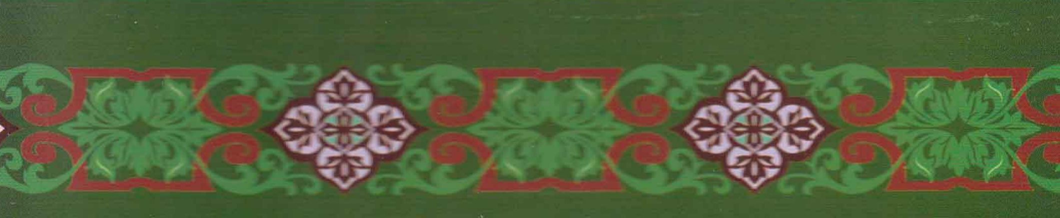


سلسلة كتب الإمام الحدّاد



سلسلة كتب الإمام الحدّاد

١٠

كتاب

إتحاف السائل

بجواب المسائل

للإمام شيخ الإسلام قطب الدّعوة والإرشاد

الحبيب عبد الله بن علوي الحدّاد الحضرمي الشافعي

رحمه الله تعالى





الطبعَة الأُولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

بالتعــاون مــع:

الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان

هاتف: ٢٤٢٨٨٦ ــ ص.ب: ٥٩٢٠ ـ ١١٣ - تلكس: ٤٣٢١٨ ــ فاكس ٨٦٠١٢٨ ـ ١ ـ ٩٦١

تعريف موجز عن الإمام الشهير عبد الله بن علوي بن محمّد الحدّاد

هو سيّدنا الإمام العلّامة الداعي إلى الله بقوله وفعله قطب الارشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمّد الحدّاد ولد رضي الله عنه بالسبير من ضواحي مدينة تريم بحضرموت ليلة الخميس ٥ صفر سنة ١٠٤٤هـ وتربّى في تريم وقد كُفّ بصره وهو صغير فعوّضه الله عنه بنور البصيرة وجدّ واجتهد في طلب العلوم النافعة وعكف على علماء عصره في مُقدّمة مشايخه سيدنا الحبيب عُمر بن عبد الرّحمن العطاس والحبيب العلّامة عقيل بن عبد الرحمن السّقاف والحبيب العلامة عبد الرحمن بن شيخ عيديد والحبيب العلامة سهل بن أحمد باحسن الحديلي باعلوي ومن مشايخه أيضًا الإمام العلّامة عالم مكّة المكرمة السّيد محمّد بن علوي السّقاف.

ثم نصبه الله للدعوة والإرشاد داعيًا إلى الله تعالى

بالحكمة والموعظة الحسنة فأقبل عليه النّاس وانتشر
صيته في البلدان وانتفع به القاصي والدّاني فنفع الله
به الكثير وأرشد الجم الغفير وانتشرت دعوته في كل مكان
وانتفع الناس بوعظه وكتبه وأخذ عنه الجم الغفير
فمن كبار تلامذته ابنه سيدنا الحبيب حسن بن عبد الله الحدّاد
والحبيب أحمد بن زين الحبشي والحبيب عبد الرّحمن بن عبد الله
بلفقيه والحبيبين محمّد وعمر أبناء زين بن سميط والحبيب عمر بن
عبد الرحمن البار والحبيب علي بن عبد الله بن عبد الرّحمن السقاف
والحبيب محمّد بن عمر بن طه الصّافي السّقاف وغيرهم العدد الكثير .
وله مؤلفات كثيرة جمعت النصائح والمواعظ والحكم وانتشرت
انتشاراً كبيراً وكتب لها القبول والمحبّة ونفع الله بها الناس
وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى لغات أجنبيّة في العصر الحاضر
مثل الإنجليزية والفرنسية . ومؤلفاته غنيّة عن التعريف

ومشهورة لدى الكبير والصغير ومنها النصائح الدينية. والدعوة التامة ورسالة المعاونه وغيرها من الوصايا والرسائل ومجموع كلامه تثبيت الفؤاد وديوانه العظيم الدر المنظوم الجامع للحكم والعلوم ووصاياه ومكاتباته وأكثر مؤلفاته مطبوعة وأقبل عليها الناس إقبالاً شديداً وأعجب بها العلماء والعارفون وجعلوها بمنزلة الغذاء يقرؤون فيها في كثير من الأوقات وقالوا عنها انها جمعت الخلاصة والزبدة من كلام الإمام حجة الإسلام الغزالي ولا يستغني عنها كل مسلم فهي وجيزة وجامعة ونفع الله بها ببركة مؤلفها الإمام الحداد رضي الله عنه وكان رضي الله عنه قد سافر إلى الحرمين الشريفين وأدى النسكين وزار جده سيد الكونين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك في عام ١٠٧٩ هجرية واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين الذين اغتبطوا به وعرفوا قدره وأثنوا عليه .

ولم يزل يدعوا الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة حتى وفاته إلى رحمة الله تعالى فتوفي ليلة الثلاثاء ٧ ذو القعدة عام ١١٣٢ هجرية ودفن بمقبرة زنبل بتريم رحمه الله رحمة واسعة ورضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه في الدارين آمين .

طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف

حرر الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٤١٢

صور من المخطوطات المستعان بها
في طبع هذا الكتاب

كتاب [illegible] المسائل بجواب المسائل لسيدنا الإمام قطب
دائرة الإسلام الشيخ الشهير والعلم
المنير أبي الحسن عفيف الدين
عبد الله بن الشيخ
علوي بن محمد
الحداد
أغاث الله به العباد والبلاد

صفحة الغلاف من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم
الحكيم الحمد لله الذي لا يخيب من أمله ولا يرد من سأله
ولا يقطع من وصله ولا يبخس من عامله ولا يسلب من شكره
ولا يخذل من نصره ولا يوحش من استأنس بذكره (٣)
ولا يسلم من استسلم لقهره ولا يكل من توكل عليه
ولا يهمل من التجأ إليه ولا يضل من تمسك بكتابه
ولا يذل من لاذ بجنابه أحمده على ما ألهم وعلم وأشكره على
ما أفضل وأنعم وأستعينه على القيام بحقه العظيم
وأعوذ بنور وجهه الكريم من زوال النعم وهجوم النقم
وأصلي وأسلم على نبيه الأكرم ورسوله الأفخم وحبيبه
الأعظم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه معادن
الفضل والكرم وينابيع العلم والحكم ما جرى قلم ونصب
علم أما بعد فقد طلب مني الشيخ الزكي ذو الفهم الذكي
عبد الرحمن بن عبد الله عباد جوابا على عدة مسائل
اشتبهت في ورقة ودخل بها إلي وذلك بمدينة شبام
عند صدوري من زيارة الشيخ الكبير العارف
بالله سعيد بن عيسى العمودي ومن بتلك النواحي
من عباد الله الصالحين الأحياء منهم والميتين فوعدته

[هامش: ولا يسلم من استسلم لقهره]

الصفحة الأولى من المخطوطة

كلما وقع فيه مما يخالف الحق او يميل الى الباطل او يوافق الهوى
او داخلنا رياء وتصنع للخلق وغفر لمن كان السبب
في تاليفه وكاتبه ومستكتبه وسامعه ووالدينا واحبابنا وجميع
المسلمين والحمد لله ما بنا من نعمة في بواطننا وظواهرنا
ودنيانا ودينا فانا نعلم ونوقن انها منك وحدك لا شريك
لك فلك الحمد ولك الشكر على ذلك عائذين بوجهك الكريم من سلب
النعم وحلول النقم سائلين بفضلك ان تعاملنا بمقتضى الجود
والكرم وان لم نكن اهلا فانك اهله رب اغفر وارحم وانت
خير الراحمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
وكان الفراغ من املائه يوم الجمعة خامس عشر
المحرم اول الشهور سنة اثنتين وسبعين
والف من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل
الصلاة والسلام
وصلى الله على
سيدنا محمد
والله وصحبه وسلم اولا واخرا وظاهرا وباطنا امين
امين

الصفحة الأخيرة من المخطوطة



ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم

الحمد لله الذي لا يخيب من أمله، ولا يرد من سأله، ولا يقطع من وصله، ولا يبخس من عامله، ولا يسلب من شكره، ولا يخذل من نصره، ولا يوحش من استأنس بذكره، ولا يسلم من لم يستسلم لقهره، ولا يكل من توكل عليه، ولا يهمل من التجأ إليه، ولا يضل من تمسك بكتابه، ولا يذل من لاذ بجنابه.

أحمده على ما ألهم وعلّم، وأشكره على ما أفضل وأنعم، وأستعينه على القيام بحقه العظيم، وأعوذ بنور وجهه الكريم، من زوال النعم وهجوم النقم.

وأصلي وأسلم على نبيه الأكرم ورسوله الأفخم، وحبيبه الأعظم، سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه معادن الفضل والكريم، وينابيع العلم والحكم، ما جرى قلم ونصب علم.

أما بعد: فقد طلب مني الشيخ الزكي ذو الفهم الذكي عبد الرحمن بن عبد الله عباد، جوابا على عدة مسائل، أثبتها في ورقة، ودخل بها إليّ وذاك بمدينة شبام، عند صدوري من زيارة الشيخ الكبير العارف بالله سعيد بن عيسى العمودي، ومن بتلك النواحي من عباد الله الصالحين، الأحياء منهم والميتين، فوعدته بالجواب، لما رأيت عليه من لوائح الرغبة في معرفة الحق، وشممت منه روائح الصدق.

وقد حان حين إنجاز الوعد بحول الله وقوته، وإكرام وفد أسئلته اللائقة، بقِرى الأجوبة الرائقة.

وأرى أن أورد مقدمة بين يدي الكلام على المسائل، يكون فيها تبصرة وإيناسٌ للسائل، ولمن ينجو نحوه من الألباء الأكياس، فأقول مستعيناً بالله، ومتوكلا على الله، ومفوضاً إلى الله، وسائلا منه سبحانه، أن يهديني لما هو الحق عنده، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ﴿صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾.

مُقدّمَـة

أعلم أن السؤال في مواضـع الحاجة، وفي مواطن الإشكال، ولطلب المزيد من العلم والاستبصار، مما جرت عليه عادة الأخيار في الأعصار والأمصار، وهو أعني السؤال، واجب عن العلم الواجب، وفضل عن العلم الذي هو فضيلة والسؤال مفتاح يتوصل به إلى ما في الصدور والقلوب، من معاني العلوم وأسرار الغيوب.

فكما أنه لا يـوصل إلى مـا في البيوت من الأمتعـة والنفائس إلا بالمفاتيـح المتخذة من الحديد والخشب، كذلك لا يـوصـل إلى مـــا عنـد العلمـــاء والعـارفين، من العلوم والمعارف، إلا بالأسئلة المتخذة من طلب الاستفادة، مقرونةً بالصدق والرغبة وحسن الأدب.

وقد ورد الشرع بالأمر بالسؤال، وورد الحث عليه، والترغيب فيه، قال الله تعالى: ﴿فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك﴾. وقال تعالى: ﴿فاسئلوا أهل الـذكر إن كنتم لا تعلـمون بالبينات والزبر﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «حسن السؤال نصف العلم». وكل من أخبر من الأئمة عن سعة علمه، فقصده بذلك أن يُعرف به فيسأل عنه، ويطلب منه. وقد روي ذلك عن عليّ كرم الله وجهه، وعن ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة، وغيرهم من السلف والخلف رضي الله عنهم.

وقد حرض جماعة من العلماء الناس على السؤال منهم، كعروة بن الزبير والحسن البصري وقتادة.

وكان سفيان الثوري، يبادر بالرحيل من كل بلدة دخلها، ولم يسأله أحد من أهلها عن شيء من العلم، ويقول: هذا بلد يموت فيه العلم.

وكان الشبلي رحمه الله، إذا جلس في حلقته ولم يسأله أحد، يتلو عليهم قوله تعالى: ﴿ووقع القولُ عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون﴾.

وربما يسأل العالم جلساءه، ليفيدهم وليعرف به ما عندهم من العلم كما ورد في الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ كان في جماعة من أصحابه فسألهم عن شجرة لا يسقط ورقها، وهي شبيهة بالمؤمن، فلم يعرفها الحاضرون، حتى أخبرهم عليه الصلاة والسلام أنها النخلة، وكان فيهم ابن عمر، وكان قد عرفها فلم يتكلم، فلما أخبر أباه بذلك، لامه على سكوته.

وكان عمر رضي الله عنه، يسأل جلساءه كثيراً، وكان إذا سأل أحداً عن شيء فقال: الله أعلم، يغضب ويقول له: لم أسألك عن علم الله، وإنما أسألك عن علمك، فقل: أعلم أو لا أعلم.

وقد يسأل العالم بعض الجلساء عما يعلمه، ليفيد سائرهم، نظير ذلك سؤال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان. الحديث.

وقد يختص المفضول بعلم دون الفاضل، لسر لطيف، فيسأله أعني من هو أفضل منه عنه، نظير ذلك: سؤال عمر لحذيفة رضي الله عنهما، عن الفتن وأهل النفاق.

وقد يسأل العالم، من هو مثله أو قريب منه، عن شيء فهمه في كتاب الله، أو في سنة رسول الله ﷺ لينظر هل يوافقه على مثل رأيه، ويقوى به ويعتضد، وذلك كسؤال عمر رضي الله عنه جماعة من الصحابة، عن شيء فهمه في سورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فلم يوافقه على ما في نفسه منهم سوى ابن عباس رضي الله عنهما، ومثل هذا كثير، يقع للأكابر من المتقدمين والمتأخرين.

وأما سؤال عمر لعليّ رضي الله عنهما، فهو على قصد الاستفادة منه، وذلك أن عليا خص بخصوصية، لم يشاركه

فيها أحد من الصحابة، وهي أنه باب مدينة العلم التي هي رسول الله ﷺ.

وأما نهي رسول الله ﷺ لأصحابه، عن الإكثار من سؤاله. فالنهي وإن كان عاما، فإنه مخصوص بالسؤال عن الأحكام والحدود، وأحوال الناس، شفقة منه عليه الصلاة والسلام على أمته، ورحمة بهم على أن يكلفوا شيئاً، يعجزون عن القيام به.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصحبوا بها كافرين﴾.

وقول رسول الله ﷺ: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

وفي الحديث الآخر: «إنما أهلك الذين من قبلكم، كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم».

وقد سأل رجل رسول الله ﷺ عن الحج: أهو واجب في كل عام؟ فسكت عنه، فلما أكثر عليه، قال: في العمر

مرة، ولو قلت: نعم لوجبت وعجزتم وتحت هذه النكتة سر شريف، لا يسمح بذكره في الكتب، فاطلبه تحت أستار قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾.

وينبغي للمريد إذا سأل شيخه، وللمتعلم إذا سأل معلمه عن شيء أن لا يكون له قصد سوى الاستفادة، وليحذر أن يكون قصده الامتحان والاختبار، فيرجع بالحرمان والخسران.

وينبغي للشيخ والعالم، إذا سأله مريده أو تلميذه عن شيء يضره علمه، أو لا يبلغه فهمه، أن ينظر، فإن عرف من حال السائل: أنه إن أخبره بعدم أهليته، لا ينكسر قلبه انكسارا يضره في دينه، ولا تنفر نفسه نفرة، يعرض به عن مطلوبه،، فليخبره وإلا فليتنزل له في جوابه إلى حد علمه وفهمه، وإن عدل عن مقتضى السؤال، ولا يقول كما قال بعض أهل الحقيقة:

عليَّ نحت القوافي من معادنها   وما عليَّ إذا لم تفهم البقر

فلهذا المقال حال، وموطن يخصه، والشيخ والعالم كالوالد الشفيق والقيم الرفيق، يتكلم ويعامل بحسب المصلحة والمنفعة.

وللعارفين غلبات واستغراقات، لا يمكنهم معها أن

يستحضروا ما أشرنا إليه فلتسلم لهم أحوالهم، فإنهم أجل من أن يعترض عليهم، أو ينسب الجهل والتجاهل إليهم، وليس هذا محل بسط العذر للمحققين فيما أودعوه كتبهم ورسائلهم من الأسرار الربانية والحقائق الغيبية.

وقد يباح السؤال بقصد الامتحان في موضعين:

أحدهما أن يرى العالم الناصح الشفيق إنساناً قد غلب عليه الإعجاب بنفسه، حتى منعه من طلب العلم، وطلب المزيد منه، وعن الاعتراف بفضل أهل الفضل فله أن يسأله على قصد الامتحان والاختبار، ليعرفه مقداره نصحاً له وكون ذلك في خلوة أولى.

والثاني أن يرى منافقاً عليم اللسان، يخشى منه أن يلبس على ضعفاء المؤمنين، بإدخاله في الدين ما ليس منه، فيسأله بمحضر منهم ممتحناً له، ليبين لهم عواره وجهله ويقصد مع ذلك نصحه، وتنبيهه على معائبه، ويرجو رجوعه إلى الإنصاف والانقياد للحق، وهذا الأمر هو الذي دعا العلماء رضي الله عنهم إلى مناظرة أهل الابتداع والزيغ والتحريف.

وإذا سئل العالم عن علم يجب عليه تعليمه، لم يسغ له السكوت لقوله ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار».

وينبغي لعلماء هذا الزمان، إن لا يكتموا العلم حتى يأتيهم من يسألهم، فإن أكثر الناس اليوم قد غلب عليهم التساهل بأمر الدين، وقلة الاحتفال بالعلم وبما ينفع في الآخرة، حتى إنها ربما شابت لحية الانسان، وهو لا يعرف فروض الطهارة والصلاة، ولا ما يتعين عليه علمه، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولسان أحوالهم تنادي عليهم بالجهل، وكفى بها سائلا للعلماء إن كانوا يعقلون.

وينبغي للمريد الذاهب إلى الله، المقصور همه على ابتغاء معرفة الله، الراغب في التخلص عن كل ما يشغله عن الذهاب في الله، أن لا يسأل أحداً عن شيء من العلم، إلا إن كان من ضرورة حاله أو وقته، ولكن المريد على هذا الوجه في هذا الزمان المبارك، أغرب من عنقاء مغرب، وأعز من الكبريت الأحمر.

فليستكثر الإنسان من السؤال عن العلم، لطلب الاستفادة والزيادة، فإن المؤمن لا يشبع من خير، وفي الحديث: «منهومان لا يشبعان منهوم العلم، ومنهوم المال».

والدليل لما ذكرنا في شأن المريد، ما بلغنا عن داود الطائي رحمه الله، أنه لما عزم على الانقطاع إلى الله، بدأ بمجالسة أهل العلم، فجالس الإمام أبا حنيفة رحمه الله قريباً

من سنة، قال: وقد تقع له المسألة، وهو أشوق إلى العلم بها من العطشان إلى الماء البارد فلا يسأل عنها، وذلك لما ذكرناه من أنه لا ينبغي للمريد أن يسأل إلا عما هو ضرورة في حقه.

ثم إن لجملة ما أوردناه من المسائل في هذه المقدمة الوجيزة، أدلة كثيرة، لو بسطناها لخرجنا عن مقصودنا من الإيجاز، وفيما أشرنا إليه كفاية وبالله التوفيق ومنه الإعانة والتثبيت، وبه الثقة وعليه التكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وهذا أوان الشروع في المقصود، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(١) **سألتَ** ـ أكرمك الله بالفهم النوراني والفتح الرباني، عن معنى لا إلـه إلا الله؟.

فاعلم ـ أن جميع العلوم الدينية ووسائلها، ترجع إلى شرح معنى هذه الكلمة الشريفة، وشرح حقها الذي هو الأمر والنهي والوعد والوعيد، وما يتبع ذلك، وما كان شرحا لحقها، كان شرحا لها بحكم التبعية، والقصد التعريف بأنه لا سبيل إلى الإحاطة بشرح علومها، فضلا عن إيراده، كما سيأتي.

وأما شرح معناها في نفسها، فهو العلم الذي يطلق عليه علم التوحيد، وهو البحر الزاخر الذي لا يبلغ له ساحل، ولا يدرك له قعر، وقد سبح النظار من المتكلمين في باحته،

وغاص المحققون من العارفين في لجته فأدركوا من لطائفه ونفائسه وعجائبه وغرائبه، ما يجل قدره ويتعذر حصره.

ثم أجمعوا بعد طول البحث والإمعان، وفناء الطاقة والإمكان على الاعتراف بالعجز عن الغاية، والوقوف على النهاية، وذلك لأن الإحاطة بعلوم التوحيد، موقوفة على الإحاطة بذات الموحد وصفاته، تعالى عن ذلك علوا كبيراً.

وقد أجمع المحققون على أن الإحاطة بذات الله تعالى وصفاته غير ممكنة، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وقد شذ من قال من المنتمين إلى الطائفة، بما يوهم حصولها، ولا حاجة بتسمية القائل، إذا قد علم فساد ما قاله، وإنما كانت الإحاطة به سبحانه محالة، لاستلزامها معنى من القهر والاستيلاء، فإن المحيط بالشي، من طريق العلم أو غيره، مستولي عليه وقاهر له من كل الوجوه أو بعضها، والحق تعالى هو القاهر الذي لا يقهر، فاعلم ذلك.

وعلم التوحيد على قسمين: **أحدهما ظاهر**، وهو الذي يعلم بالدليل والبرهان. ويجب على كل مؤمن، أن يعلم ويعتقد منه مالا يصح إيمانه بدونه.

والمتكلم هو الذي يعتني بتحرير هذا العلم، والذب عنه، والفحص عن أدلته وبراهينه، فيفضل عامة المؤمنين بذلك، وفضله إن كان إيمانا وعلما، وإلا كان صورة فقط.

والثـاني من القسمين: باطن وهـو ما لا يـدرك بدون الكشف والعيان، وذلك ميراث التقوى، ومعنى الهداية التي هي ثمرة المجاهدة، وهو سـر بين العبد وبين ربـه، وقد يتفاوض أهله في أشياء منه فيما بينهم، ولهم رضي الله عنهم الغيرة التامة على أن يقف على شيء منه من ليس من أهله، حتى كان الجنيد رحمه الله إذا أراد أن يتكلم فيه مـع أصحابه يغلق الباب ويجعل المفاتيـح تحت وركه وذلك رحمة منهم بالمؤمنين.

فإن الواقف على هذا العلم من غير أهله: إما أن ينكره، فيكون عند الله من المكذبين بما لم يحيطوا به علما، وإما أن يصدق به، ويفهمه على غير الوجه المراد منه، فيتعثر في أذيال الخطأ.

واعلم أنها قد توجد من هذا العلم تلويحات، في كتب المحققين، كالإحياء والقـوت، وإنما سمحـوا بها تشـويقاً للمريد الصادق في بعض المواضـع، لتوقف حصول الفائدة، من علم المعاملة الذي هم بصدد بيانه على ذكر ذلك. وإلا فهم أشـح شيء بإيراده.

أما ترى الإمام الغزالي رحمه الله، حين يشرف على بحاره المتلاطمة يقول:

ولنمسك عنان القلم، وتارة يقول: هاهنا سِرٌ فلنتجاوزه،

وأخرى: هذا من علم المكاشفة، وليس من غرضنا ذكره في علم المعاملة، إلى غير ذلك.

وأما من أورد من الصوفية في كتبه أطرافا من هذا العلم، كالحاتمي والكيلاني ومن نحا نحوهما، فليحمل ذلك منهم على الغلبة، والمغلوب معذور، أو على الإذن والمأذون له مأمور يجب عليه الامتثال، وسر الإذن في ذلك لا يجوز ذكره إلا مشافهة.

فصل

نذكر فيه طرفا من ظاهر معنى لا إلـه إلا الله، وقد أسلفنا العذر المقتضي للسكوت عن باطن معناها، فنقول: **اعلم** أنه لا إله إلاّ الله واجب الوجود لذاته الفرد الواحد الملك القادر، الحي القيوم القديم الأزلي، الدائم الأبدي، الذي هو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ليس كمثله شيء وهو السميـع البصير، تقدس وتعالى عن الشبيه والنظير، وعن الشريك والوزير، لا تحده الأزمـان ولا يشغله شأن عن شـأن، لا تحيط به الجهـات ولا تعتريه الحادثات، له الغنى المطلق عن كل شيء، بكل معنى ومن كل وجه. وكل ما سواه مفتقر إليه فقراً لا يتصور أنفكاكه عنه، خلق الخلق أجمعين، وخلق أعمالهم خيرها وشرها، فتبارك الله أحسن الخالقين، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويعطي من يشاء ويمنـع من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون خلقهم ورزقهم، وأنزل الكتب وبعث الرسل لهدايتهم، لطفا بهم وتفضلا عليهم، يجب توحيده وطاعته على عباده، بإيجابه

على ألسنة رسله، ولا يجب عليه لأحد شيء، لأنه المالك لكل شيء المستولي على كل شيء، فليس لأحد معه ملك ولا لأحد عنده حق، وعد المحسنين بثوابه فضلا، وتوعد المسيئين بعقابه عدلا.

فالإلـه هو الجامع لجميع هذه الصفات، وهو الله الذي لا إلـه إلا هو لأن هذه الأوصاف ثابتة لـه تعالى، ولا يصح لغيره على الإطلاق الاتصاف بشيء منها، فضلا عن جملتها.

فمن نفى الإلهية عنه أو أثبتها لغيره، أو أشرك معه فيها سواه فقد أعظم البهتان وأحاط به الخسران، أولئك الذين قال فيهم عز من قائل: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾.

فصل

أعلم أن هذه الكلمة الشريفة شطران: أحدهما نفي، وهو قولك لا إلـه، والآخر إثبات وهو قولك إلا الله، فإذا صدر النفي معقباً بالإثبات، ممن لا يشرك مـع الله إلهاً آخر، فمعناه نفي توهُّم من توهمَّ أن مـع الله إلهاً آخر من المشركين والرد عليهم، وتقرير المعنى الحاصل في القلب من التوحيد، فإنه يتأكد بتكـرار هذه الكلمـة، قال رسـول الله ﷺ: «جددوا إيمانكم بقول لا إلـه إلا الله».

وأيضاً فللشرك معان خفية دقيقة، لا ينجو منهـا إلا العارفون المحققون، والمكاشفون بصريـح الحق من طريق العيان، وقد يقـع المؤمن في شيء منـها ولا يشعر مثل أن يعتقد أن أحدا غير الله، يجلب نفعاً أو يدفـع ضرا بطريق الاستقلال، ومن ذلك شدة الحرص على الاستيلاء والاستعلاء على الخلق، ومحبة الاستقلال والاستيثار بالأمور، واشتهاء المنزلة والتعظيم والمدح في قلوب الخلق وعلى ألسنتهم.

وفي الحـديث: «الشـرك في أمتي أخفى من دبيب

النمـل». وقد سمى صلى الله عليـه وسلم الريـاء الشرك الأصغر.

وقد يشرك الإنسان مـع الله نفسه أوغيـره من هذه الحيثية، وهو لا يدري، فعلى المؤمن أن يحترز من خفـايا الشرك كما يحترز من ظاهره جهده.

ثم إن الشرك بهذا الاعتبار، لا يؤثر في أصل الإيمان الذي يدور عليه أمر النجاة، ولكنه يقدح في كماله.

وإنما قلنا في صدر الفصل: ينبغي للموحد أن يقصد بنفيه الإلهية عما سوى الله، الرد على من يتوهم ذلك من المشركين ونحوهم، وسمينا اعتقادهم الفاسد توهما، لأنه إنما ينشأ عن تصور فاسد ورأي ضعيف، يؤذن بتغير المزاج وفقد العقل، وإلا فكيف يخفى على ذي بصر وسمـع، فضلا عن ذي بصيرة وقلب، وجود من ظهرت به الأشياء، وانفراده بها، ولكن من يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل، أولئك الذين ذهب الله بسمعهم وأبصارهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، صم بكم عمي فهم لا يرجعون.

ولله در القائل حيث يقول:

أيا عجبا كيف يعصي الإلٰه أو كيف يجحـده الجاحـد

وفـي كـل شـيء لـه آيـة تـدل عـلى أنـه واحـد

ولله فـي كـل تـحـريـكـة وتـسكـيـنـه أبـداً شـاهـد

قال بعض العارفين نفـع الله بهم: من طلب دليلا على وحدانية الله، فالحمار أعرف بالله منه، ولولا الحرص على الإيجاز لأمور يعلمها الله، لأطنبنا في هذا الفن، إطنابا يبهر العاقل اللبيب، والله على ما أقول رقيب.



قال العلماء المحققون رضي الله عنهم: الإلـه هو المعبود بحق، والمعبود بحق، هو الخالق الرازق والخالق لكل شيء والرازق له هو الله تعالى، فهو الإلـه وهو المعبود وحده لا شريك له.

ومن المستحيل عقلا وشرعا أن يكون للعالم أكثر من إلـه، فما من إلـه إلا الله العزيز الحكيم، وفي الإشارة إلى كون ذلك محالا أعني أن يكون للعالم إلهان، قال الله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلـه إذاً لذهب كل إلـه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون﴾.

وما ادعى الإلهية مع الله أحد كالنمرود وفرعون، لعنة الله عليهما ولا ادعيت لأحد كالكواكب والأحجار، إلا وأثر النقص والافتقار والعجز والانقهار، المقتضية للحدوث والعبودية، ظاهر على المدعي لها من الآدميين، وعلى من ادعيت له من غيرهم.

والذي يظهر: أن المدعي للإلـٰهية مع الله، كان الحامل له على ذلك توهماً فاسداً وتخيلاً باطلاً، تولد من مشاهدة الاقتدار من نفسه، على بعض الأمور، يشير إلى ذلك قوله تعالى، فيما حكى عن الخليل عليه السلام حين حاجّه النمرود في ربه ﴿قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحي وأميت﴾.

وفي التفسير: أنه أقام البرهان على احتجاجه الداحض، بإحضار رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، وفيما حكى سبحانه عن فرعون، حيث قال لقومه: ﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾ إشارة إلى ذلك أيضاً.

ولا يبعد أن يكون مثل هذين اللعينين، كانا يعرفان بطلان ما ادعياه، ولكن حملهما البطر والأشر على الجحود، وعلى ادعاء ما ليس لهما بحق، ووجدا لذلك موضعا، من سخافة المنقادين لهما والمذعنين لطاعتهما. قال الله تعالى في شأن فرعون: ﴿فاستخفَّ قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين﴾.

وبلغنا أنه حين طلب منه قومه أن يجري لهم النيل، حين حبس عنهم، خرج بهم ثم خلا عنهم وجعل يمرغ خده في التراب، ويسأل ويتضرع ويدعو الله، فعند ذلك أجرى الله

النيل بقدرته، استدراجا لعدوه، فقال فرعون عند ذلك لقومه: أنا الذي أجريته لكم، فبان بذلك صحة ما ذكرناه، وتحت هذه الكلمات أسرار لا يجوز إيداعها الكتب.

واعلموا أن الكلام في هذه الفصول، قد دخل بعضه في بعض ومعانيه متقاربة، ولم نذكر في جملته ما يتعلق بإعراب هذه الكلمة، وحكمها وفضلها بالقصد وليس من غرضنا التعرض للإعراب.

وحسبك من شرح الحُكم والفضيلة أن الكافر بهذه الكلمة، حلال الدم والمال، مخلد في نار جهنم أبد الآباد وأن الإنسان يعيش كافراً بالله سبعين سنة مثلا، فإذا قالها معتقداً لمعناها، عصم دمه وماله، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأنه لو لقي الله تعالى عبد بذنوب الأولين والآخرين، ومع ذلك لا يشرك به شيئاً، لكان يغفر له إن شاء وإن عاقبه بذنوبه كانت عقوبة منقضية لأنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد، والموحد هو المعتقد لمعنى هذه الكلمة الشريفة.

وفي الحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله». وفيه: «من كان آخر كلامه:

لا إلـه إلا الله دخل الجنة». وفيه: «وليس على أهل لا إلـه إلا الله وحشة في قبورهم، ولا في نشورهم، وكأني بهم وقد خرجوا من قبورهم ينفضون التراب من رؤسهم، يقولون: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾. وفيه: «أنه يصاح برجل فتمد له تسعة وتسعون سجلا من الخطايا، كل سجل مد البصر فتطرح في كفة السيئات، فيقول الحق: إن لك عندنا حسنة، فتخرج له بطاقة مكتوب فيها: لا إلـه إلا الله فتطرح في الكفة الأخرى، فترجح بالسجلات كلها». الحديث بمعناه.

وقد ذكر الشيـخ ابن عطاء الله، في «مفتاح الفلاح» طرفا من فضل هذه الكلمة وما يلحق به.

ثم إن جميـع المنافـع والفوائـد المرتبـة على هذه الكلمة، في الدنيا والآخرة، لا يظفر بشيء منها من فرق بين الشهادتين، لأن حكمهما واحد.

ومن أقر بشهادة التوحيد وأنكر الشهادة للرسول، فليس من أهـل التوحيـد، والكلام فيمن يكفـر بالـرسول ويؤمن بوحدانية الله تعالى.

وأما المؤمن بالوحدانية والرسالة، فليس عليه بأس إذا قال: لا إلـه إلا الله ولم يتبعها بشهادة الرسول، ولا يفوته بسبب ذلك شيء من الخيرات المرتبة على هذه الكلمة،

فاعلم ذلك. وفي الباب فروع ودقائق، لو استقصيناها لضاق عنها مجلد ضخم. والمقصود الإشارة إلى شيء من معاني كلمة التوحيد.

تَتِمَّة

أعلم أن هذه الكلمة أجمع الأذكار وأنفعها، وأقربها إلى الفتح واستنارة القلب بنور الله، وأولاها بكل أحد، وذلك لتضمنها معاني جميع الأذكار، من التحميد والتسبيح وغيرهما، فينبغي لكل مؤمن أن يجعلها ورده اللازم، وذكره الدائم، ومع ذلك فلا ينبغي له أن يهجر بقية الأذكار، بل يجعل له من كل مَنها وردا.

ثم إن العبد لا يخلو من أن يكون سالكا أو واصلا أو غير سالك، فهم ثلاثة أقسام، وكلهم الأولى بهم الملازمة لهذه الكلمة.

أما السالك ومن ليس سالكا، فلأنهم ينظرون إلى الأشياء ويثبتونها من حيث هي وربما دخل عليهم بسبب ذلك، شيء من دقائق الشرك الخفي، فيحتاجون إلى نفيه عنهم، ولا يكون إلا بملازمة هذه الكلمة.

وأما الواصل فلأنه ينظر إلى الأشياء بالله، ويكون على الدوام مشغولا بدعوتها إلى الله تعالى، ولا يخلو في بعض

الأحيان من مطالعة نفسه، ومن خطرات تخطر له لا تليق بمقامه، فتكون هذه الكلمة لذلك أولى الأذكار به.

وقد بلغنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، كان يدخلها في كلامه، وكلما تكلم بكلمات يقـول: لا إلـه إلا الله. ثم يرجـع إلى كلامه، وهذا في مقام البقاء وهو بعد الفناء، فليس شيء أولى بالإنسان، أن يلازمه من الأذكار غيرها كما تقدم.

نعم إذا أشرف السالك على أوائل الفناء، وانمحى عن شهود جميـع الأكوان فالأولى به حينئذ ملازمة الله الله، هكذا ذكره العارفون.

وهذا كله من حيث الأفضل والأولى، وإلا فجميـع الأذكار طرق إلى الله موصلة.

وللمشايـخ رضي الله عنهم، طرق في كيفية النطق بهذه الكلمة الشريفة وفي الجهر بها والإسرار، وفي الشرائط التي يحتاج إليها الذاكر بها من المتعرضين للفيض الإلـهي والفتـح الرباني، وهي مشروحة في رسائلهم، فليطلبها من يريد أن يسير على سبيلهم.

ومن وجد في زمانه أحدا من المشايـخ المحققين، فالأولى به أن يأخذ ذلك منه، فإن الكتب حيلة الفاقد، وإلا

فكم من فرق بين من يأخذ طريقه عن عارف محقق يسلك به إلى الله، وبين من يأخد طريقه من كتاب، والله الهادي إلى الصواب وإليه المرجـع والإياب والتوفيق منه وبيده.

فصل

(٢) **وسألت** عن الحضور المتكلف، ما معناه؟

فاعلمأولاً أن الإنسان في أصل خلقته مفطور على خلو القلب، واستعداده لقبول كل ما يلقى إليه، مما يكون سبباً في صلاحه واستنارته أو سبباً في فساده وإظلامه، فأول شيء يلقى إليه رسخ فيه، وانتقش به انتقاشا، يحتاج في محوه إلى تكلف ومجاهدة.

والسابق إلى قلوب بني آدم، إلا من شاء الله منهم، المعرفة بأحوال دنياهم، وما يقع به قوامهم والتذاذهم فيها، وذلك أول شيء يسمعونه، ويرونه من أبناء جنسهم.

فإذا وردت على قلوبهم بعد تمكن هذه الأشياء منها معرفة الله ومعرفة حقوق ربوبيته، وطلب القيام بها كما ينبغي ويليق بالحضرة المقدسة، لم تجد في القلوب مستقرا ولا مستوطنا، فتبقى متزلزلة وغير ثابتة، فيحتاج لا محالة الراغب في رسوخ معرفة الله في قلبه، وأن يصير الحضور مع الله دأبه وشعاره، في جميع عباداته وسائر أحواله، إلى محو

ما سبق إلى القلب، من المعرفة بأحوال الدنيا المشغلة عن التجرد لهذا الأمر، والظفر به على وجه الكمال، ولا بد وأن يناله في ذلك مشقة ويحتاج فيه إلى رياضة ومجاهدة، قد يخف ذلك وقد يثقل، ويختلف باختلاف الفِطَر كمالا ونقصا، وباختلاف التوجهات والهمم قوة وضعفا، وباختلاف رسوخ الأمور المشوشة، فإنها قد تتمكن من القلب تمكنا بالغاً، وقد يكون دون ذلك.

وليس هذا الذي ذكرناه خاصا بالحضور فقط، بل هو عام في استجلاب جميع الأخلاق المحمودة التي هي مصادر الأعمال الصالحة، فإن المتخلق بها يحتاج في بدايته إلى الصبر والمجاهدة، ويأتي بها مع التعب والمشقة، ثم يفضي به الأمر إلى أن تصدر عنه مقرونة باللذة والراحة.

إذا علم ذلك فاعلم أن الحضور مع الله روح العبادات، وهو المقصود منها وبه يُعنى المحققون، وعليه يعول العارفون.

والأعمال التي تصدر من العبد مع الغفلة، يرونها إلى العقوبة والحجاب، أقرب منها إلى المكاشفة والثواب.

وطريق الوصول إلى الحضور مع الله في العبادات، أن ينظر الإنسان في الأمور المشوشة له فيدفعها، وهي قسمان: ما يرد من جهة الحواس كالسمع والبصر ودفعه بالخلوة،

وما يكون من قبيل حديث النفس، وتشويشها على القلب بوساوس وخواطر توردها عليه، ودفعها بالإعراض عنها.

واشتغال القلب، إما بأن تجري فيه صورة اللفظ الذي يجري على اللسان، من قرآن أو ذكر.

وإما بأن يجعل القلب مصغياً ومستمعاً إلى ما هو القائم باللسان من ذلك، والمعول عليه في هذه الحالة ضبط القلب وحفظه عن كل ما يرد عليه، من جهة النفس والحواس.

فإذا أحكم العبد هذه المرتبة، من تكلف الحضور، فلينتقل منها إلى ما فوقها وذلك أن يشعر القلب، ويقيم فيه معنى ما يكون جاريا على اللسان، وذلك كالتوحيد عند التهليل وكالتنزيه والتعظيم عند التسبيح والتكبير.

وإن كان الذي يجري على اللسان قرآناً، فليكن على القلب معاني ما يقرؤه وهذا المذكور مرتبة في الحضور شريفة، وبعدها أشرف منها وهي أن يشعر القلب ويحضره، حين التلاوة والعبادة والذكر حضرة المعبود والمتكلم والمذكور.

وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه». ويحتاج من يريد الوصول إلى هذه المشاهدة العظيمة، إلى إحكام ما قبلها كما ذكرناه وإلى أن يكون في

غاية التنزيه للإلـه الحق عن مشابهة الحوداث، فـإن من لا بصيرة له ربما يتصور ذلك مقروناً بشيء من التخيلات، التي يتقدس الحق عن مثلها.

وفي هذه المرتبة التي هي مشاهدة المتكلم في كلامه، والمذكور في ذكره، تكون الغيبة والاستغراق والسكر والفناء، وما شاكلها من أحوال أهل الله.

فمن رغب في الوصول، فليسلك السبيل ويعانق الصبر والجد، ويشمر عن ساق الطلب بكل جهده وإمكانه، ويسمـع قول سيد الطائفة الجنيد رحمه الله، وقد قيل له: من أين لك هذه العلوم، التي لا توجد عند أحد من أشياخك؟ فقال: من جلوسي مـع الله تحت هذه الدرجة ثلاثين سنة، وأشار إلى درجة في بيته.

وكان الشبلي رحمه الله تعالى في بدايته يخلو بنفسه في سرب تحت الأرض، ويأخذ معه حزمة قضبان، وكلما داخلته غفلة ضرب بها نفسه فما يمضي المساء حتى تفنى تلك الحزمة من كثرة ما يضرب بها، فإن ماكـان أول ما صاروا إليه، من المكاشفات والمشاهدات مجاهدات ومكـابدات. وقـد يحصل ذلك بدون ما ذكرناه وهو نادر جداً.

ثم إن الواصل إلى رتبة الحضور مـع الله والأنس به، يصير يتكلف الحضور مـع الخلق، والخوضَ في شيء من

أمور الدنيا، عندما تدعوه إليه الحاجة، نظير ما يتكلفه أولا في طلب الحضور مع الله تعالى.

ومن أقوى ما يستعان به على حصول الحضور مع الله: أن يشعر العبد قلبه بأن الله يراه وإنه إنما ينظر إلى قلبه وباطن قصده وتوجهه، لا إلى جسمه وصورة ما يجري عليه من عمله.

ومن المشوشات للحضور عند العارفين: أن يكون الإنسان في صلاة أو ذكر فيشغل قلبه بغير ما هو فيه ولو من أمور الآخرة، إذ المعول عليه عندهم، هو أن يجتمع الإنسان بظاهره وباطنه على كل ما يدخل فيه لله تعالى، فإنه لا يحكمه ولا يأتي به على وجهه حتى يكون كذلك.

ومع غفلة القلب قد تفسد صورة العمل، فضلا عن معناه كما هو مشاهد. والعمل مع الغفلة وعدم تكلف الحضور لا يؤدي إلى الحضور، وإنما يؤدي إليه إذا كان مصحوباً بتكلفه، ولكنه لا يخلو من بركة.

قال رجل لأبي حفص إني أذكر الله ولا أجد حضوراً، فقال له: أحمد الله الذي زين جارحة من جوارحك بذكره.

فصل

(٣) **وسألت** عن معنى التنزيه والثناء وعن ما يعبر به عن الحول والقوة، وعن معنى الندم والاستغفار، وهل ذلك خاص بأهل الذنوب أم عام حتى في الترقي من مقام شريف إلى أعلى منه؟.

فاعلم أن التنزيه هو التقديس وهو التسبيح أيضاً، ومعناه: أن يعتقد القلب تنزيه الحق جل وعلا ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً عن مشابهة المخلوقين، فإنه المتقدس سبحانه المنزه عن الشركاء والأمثال وعن الحدوث والزوال، وعن الأعراض والعلل وعن التقيد بالزمان والمحل، بل هو المنزه عن أن يتصوره وهم أو يتخيله خيال، أو يظفر به فكر أو يدرك ماهيته عقل أو يحيط به علم.

وكثيراً ما وقع التسبيح في القرآن الكريم، متصلا بتنزيه الحق نفسه، عما أضافه إليه الملحدون، مما لا يليق بعز كماله، مثل قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ إلى قوله ﴿إنما الله إله

واحد سبحانه أن يكون له ولد﴾ ومثل قوله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً﴾ إلى قوله ﴿سبحانه عما يشركون﴾ ومثل قوله تعالى: ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون﴾ الآيات إلى قوله: ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ إلى غير ذلك.

وأما الثناء فهو الحمد والمدح ومعناه: ذكر ما يستحقه الممدوح، من صفات الكمال وما هو متصف به من معاني العز والشرف والجلال، وما يفيض منه على المثني وغيره، من العطاء والنوال، وما يدفع عن المادح وعن سواه، من ضروب البلاء والأنكال مقروناً بالإعظام والإجلال.

ومن أجمع العبارات وأشملها لمعاني الثناء قول: الحمد لله.

واعلم أن الله تعالى هو المنزه على الإطلاق، والمستحق للثناء على كل وجه، وبكل معنى، وهو المنفرد بذلك والمتوحد به، لأنه المنزه عن كل نقص المتصف بكل كمال، المفيض لكل خير ونوال. فالتنزيه والثناء له حقيقة ولغيره مجازاً بل لا منزه ولا محمود سواه حقيقة ومجازاً.

فكل من أتى من الخلق شيئاً من النزاهة، أو وصل إلى شيء مما يقع عليه الثناء، فما وصل إلى ذلك بحوله وقوته، بل بقدرة الله ومشيئته وفضله ورحمته، وذلك من الله ولله.

ومن نزه مخلوقاً عما هو منـزه عنه، فتنـزيهه وثنـاؤه ومباعدته نقصٌ يعتور أبناء جنسـه، أو أثنى عليه بكمال هو متصف به فتنزيهه وثناؤه تنزيه لله وثناء على الله، عَلِمَ ذلك من عَلِمَهُ وجهله من جهله.

واعلم أن الله تعالى غني عن تنزيه المنزهين، وعن ثناء المثنين، فإن المنزه له سبحانه لم يدفـع بتنزيهه عنه نقصا، إذ لا نقص ولا يتصور وجوده.

والمثني عليه تعالى لم يثبت له بثنائـه كمالا، فـإن الكمال لله أزلا وأبداً، وإنما تنزيه العبد لربه وثناؤه عليه نفـع يجره إلى نفسه، وخير يوصله إليها، وقد وعده الله ذلك بفضله، قال ﷺ: «الحمد لله تملأ الميزان وسبحـان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض». الحديث.

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها».

وما ورد في فضل التسبيـح والتحميـد، أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يذكر، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين.



وأما ما يعبر به عن معنى التبري عن الحول والقوة، فاعلم أن أجمع العبارات عن ذلك وأشملها، قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال حجة الإسلام رضي الله عنه: الحول هو الحركة والقوة هي القدرة، ولا حركة ولا قدرة لأحد من الخلق على شيء من الأشياء، إلا بالله القوي القادر وكلما جعل الله للمخلوقين إلى فعله أو إلى تركه سبيلا، كالقيام بالتكاليف فعلا وكفّاً، وكالسعى لطلب المعاش بأنواع الحركات من الحرف والصناعات، وما في معنى ذلك. فالواجب على المؤمن، أن يعتقد أن الله تعالى، هو الخالق المخترع لإرادتهم وقدرتهم وحركاتهم، وإنما لما يصدر عنهم من الأفعال الإختيارية، نسبة إضافة إليهم، تسمى الكسب والعمل، عليها يترتب الثواب والعقاب، ولكنهم ما يشاؤن إلا أن يشاء الله ولا يقدرون على فعل شيء ولا على تركه، إلا إن أقدرهم الله و ﴿لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. وما لهم فيهما من شرك، وما له منهم من ظهير.﴾

وعلى القدرة والاختيار الذي جعل الله لعباده يترتب الأمر والنهي، فللأمور الصادرة عنهم بالقصد مع الاختيار، نسبة وإضافة إليهم وبحسب ذلك يثابون ويعاقبون.

فمعنى لا حول ولا قوة إلا بالله، نفي الاستقلال، والاستبداد بالقوة والحول مع الاعتراف بوجود القدرة والاختيار اللذين جعلهما للعبد، فإن من زعم أنه ليس للعبد اختيار ولا اقتدار على شيء، وأن أفعاله الاختيارية كالاضطرارية، وأنه مجبور في كل حال، فهو مبتدع جبري، وقد أبطل بزعمه الفاسد فائدة إرسال الرسل، وإنزال الكتب.

ومن زعم أن الإنسان يستقل بمشيئته وقدرته على أفعاله الاختيأرية، فهو مبتدع معتزلي.

وسن اعتقد أن للإنسان المكلف قدرة واختياراً، يقدر بهما على أمتثال ما أمره الله به وعلى اجتناب ما نهاه عنه، وأنه ليس مستقلا بذلك ولا خالقاً له فقد أصاب السنة ودخل في الجماعة وسلم من البدعة، ولهذا شرح طويل وهو سبيل وَعْرٌ قد تخبط فيه وضل عنه خلق كثير، وتحته سر القدر الذي حارت فيه الألباب، وأمر بالإمساك عن الخوض فيه سيد المرسلين.

فليقنع العاقل بالإشارة، وليكفه من ذلك أن يؤمن أن كل شيء خلقه الله، وأنه لا يكون كائن بدون مشيئته وقدرته،

ثم ليطالب نفسه بامتثال الأوامر واجتناب المحارم وليقم الحجة لربها عليها على كل حال.

وفي الحديث: «لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة». فافهم الإشارة في كونه كنزاً تعلم أن معناه من الأشياء الخفية الغامضة، فإن الجزاء من جنس العمل كما قال ﷺ: «ركعتان في جوف الليل كنز البر» فجعل ثوابهما كنزاً مخفياً لوقوعها في وقت بهذه المثابة وهو الليل.

وورد أيضاً: «لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء، أدناها الهم». وإنما كانت دواء للهموم، لأنها إنما ترد غالباً عند فوات محبوب أو حصول مكروه فيستشعر الإنسان عند الفوات وحصول ما يكره عجزه وضعفه، عن الوصول إلى ما يشتهي فيهتم لذلك، فإذا كرر على قلبه ولسانه معنى التبري من الحول والقوة، أنتج له ذلك يقيناً، يعلم به أنه عاجز وضعيف، إلا إن قواه الله وأقدره، فيذهب إذ ذاك همه وتتسع معرفته بربه.

ويتضح هذا المعنى من قوله عليه الصلاة والسلام: «من آمن بالقدر ذهب همه». وفي إضافة الحول والقوة إلى اسمه «الله» الذي هو قطب الأسماء ورئيسها، وإتباعه غالبا بالاسمين الكريمين، الدالين على صفتين من صفات الذات المقدسة العلو والعظمة، إشارة إلى نهاية التنزيه وغاية

التقديس عن أوهام توهمها من ضل السبيل وعمي عن الدليل وخاض في سر القدر، وفي حركات العباد بدون بصيرة فتنبهوا لذلك.



وأما الندم فهو رجوع القلب مـع التحسر والتأسف، عن شيء قد كان همّ العبد به، ممـا يسخط الله تعالى فعله كالمعاصي أو تركه كالفرائض، وقد يقـع على الانهماك في المباحات، وعلى التأخر عن نوافل القربات.

والندم الصادق ما حمل على مجانبة التقصير وملازمة التشمير وعند صحته يكاد يتضمن جميـع شرائط التوبـة، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «الندم توبة». والذي يندم على إتيان القبائـح مـع الملابسة لها متلاعب لا يغني عنه ندمه شيئاً.

وأما الاستغفار فهو طلب المغفرة من الله وهو الستر على الذنوب، وإذا تفضل الله بغفران ذنـب لم يفضـح به صاحبه ولم يعاقبه عليه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وأشرف أنواع المغفرة أن يجعل الله بين العبد ستراً من الذنـوب حاجزاً بينه وبينها حتى لا يقـع في شيء منها، ويسمى هذا الستر بلسان النبوة: عصمة وبلسان الـولاية:

حفظا، وإليه يرجع معنى قوله تعالى لسيد المعصومين عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ وقوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾.

ومن المعلوم أن الذنب لا يصدر منه ولكن ذكّره نعمته عليه بعصمته مما يبعده منه، وأمره أن يدعو بذلك، فإن الدعاء في هذا الموطن يرجع إلى الشكر، والشكر سبب المزيد ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ والله أعلم.

دَقيقَــةٌ

اعلم أن الطاعة وإن كـانت هي الطريق إلى الله، والوسيلة إلى القرب من حضرته المقدسة، قد يداخل العاملين بها من أهل الغفلة أمور معدودة من كبائر الذنوب وذلك كالرياء والعجب، والتكبر بها على العباد، والإدلال بها على الله ونسيان منّته في التوفيق لها، وما يجري هذا المجرى.

وهذه الأشياء قد تنتهي بالمطيـع إلى إحباط أصـل الثواب، وربما استوجب مـع ذلك أليم العقاب.

والمؤمن المعول على طريق الحـزم الحريص على حصول النجاة، لا يفارقه الاتهـام لنفسه وسـوء الظن بهـا فهو يستغفر بإزاء الطاعات، وإن لم تكن له صور المخالفات، مخافة أن تكون نفسه قـد دهته بشيء من هـذه الدواهي المهلكات، فقد عرفت بهذا موقـع الاستغفار من الطاعات.

وأمـر أدق من هذا يقـع لأهـل المعرفـة في بعض الحـالات، وهو أنهم إذا آنسـوا من نفـوسهم ركـونـاً إلى

الصالحات من أعمالهم أو أنساً بها أو اعتماداً عليها يرجعون إلى الله بالتوبة والاستغفار.

وهذه الأشياء بعينها قد تطرقهم عند منازلات المقامات الشريفة، والأحوال الواردة فيتوبون عنها ويستغفرون منها.

ولذلك كانت الذنوب عند أهل الله المتجردين عن علائق الأكوان، الالتفات إلى غير الله كائن ذلك الغير ما كان، فتراهم يفزعون إلى الله ويفرون إليه من أحوال لو وردت على غيرهم كان يعدها من أعظم القربات وذلك كخواطر الرجاء بإزاء الطاعة، وخواطر الخوف وخواطر الزهد، وافْهم هاهنا قولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

ولولا اندراس الطريق وأفول أنوار التحقيق لكنا نأتي من ذلك بالعجب العجاب، فتذكروا يا أولي الألباب.

قال الشيخ شهاب الدين السهرودي رحمه الله: وللمقامات قوادح قد تدخلها دواخل، لا يكاشف بها العارف في حال الإقامة بها. وإنما يتبينها إذا ارتقى من مقام إلى ما هو أعلى منه. فعند ذلك ينظر إلى الأول وقد حصل له من الثاني زيادة تبصرة فيرجع إلى الذي فارقه فيصلحه ويجبر تقصيره فيه، ولا يكون ذلك إلا بالتوبة والاستغفار، وهذا معنى كلامهم مع مزيد شرح وإيضاح.

وقد تأول بعضهم قوله عليه الصلاة والسلام: «إنه لَيُغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة»، بنحو ما ذكره السهروردي، وهو بعيد المناسبة للمنصب المحمدي، الذي تندرج فيه جميع الكمالات الحقية والخلقية. وعندي له تأويل لا أسمح بذكره إلا مشافهة لأهله، والله أعلم.



(٤) **وسألت** عن قول بعض أهل الطريق: ينبغي لمن يأخذ من أيدي الخلق، أن يكون أخذه من الله كشفا وذوقا لا إيمانا وعلما. فما كيفية ذلك، من حيث العلم به؟

فاعلم أن هذا كلام عارف أخبر عن حاله، وعبر عن شهوده وهو حال الفاني عما سوى الله، المستغرق بمشاهدة جلال الله وجماله، الذي لم يبق عنده من الخلق خبر، ولا من الوجود وأهله حس ولا أثر، قد سُلب التدبير والاختيار، وغاب عن مشاهدة الآثار، وغرق سره في لجة بحر الأسرار، وانمحت عنه ظلمه ليل الوجود، بإشراق نهار الشهود، فتراه مع ربه كالميت مع غاسله لا يتحرك إلا بتحريكه، وقد غاب عن الأسباب برؤية مسبب الأسباب، وفني عن الأغيار بمشاهدة فعل الفاعل المختار. فهو كما قال بعض العارفين الأخيار:

لله در فتى حيران ذا وَلَه ... أفنى مسماه مولاه وأسماه
يمضي الزمان ولا يدري بعدته ... يستف من رائق العذري حمياه

فصاحب هذا الحال مغلوب بمشاهدته، ومحكوم عليه

لا يستطيع خروجا عن حكم الوارد، فما وقع منه في حاله ذلك فالله وليه فيه، وهو حافظه حتى إن الصادق في هذه المواطن، لا يلابس شيئاً مما يناقض وصف العبودية، وإن كان إذ ذاك خارجا عن عهدة التكاليف، لفقد التمييز الذي هي منوطة به.

وللمتحققين رضي الله عنهم حرص بالغ على ورود هذا الوارد ودوامه، لما فيه من مفارقة الرسوم ومحو أوصاف البشرية التي هي الحجاب عن مشاهدة الأسرار الإلـٰهية.

واعلم أن هذا الحال إذا ورد لا يدوم، وإن دام ظهرت على العبد أمور عجيبة وقد ينتهي به الأمر إلى الاضمحلال والانمحاق، وهو اختصاص إلـٰهي يختص الله به من يشاء، لا يدرك بالأماني وتسويلات النفس.

وللإنسان سبيل إلى التعرض لذلك بحسن الرياضة وصدق المجاهدة، على موافقة الكتاب والسنة.

والمتكلف للتحلي بهذا الحال، المتصف بأوصاف أربابه مغرور مأزور، لأنه يقع بسبب ذلك إلى الإخلال بحقوق الله وحقوق العباد، وذلك لأن صاحب الفناء لا يتصور منه حب ولا رجاء، ولا خوف لأحد من الخلق ولا يشكر ولا يكافيء أحداً منهم على معروف يصل إليه منه لأنه ما يرى إلا الله، إلى غير ذلك من أوصاف الفاني بالله.

واعلم أن الفاني يرى الله، ولا يرى الخلق.

وصاحب البقاء ولا بقاء إلا بعد التحقق بالفناء، يرى الأشياء بالله فيوفي كل ذي حق حقه، ويضع كل شيء في موضعه، ويقوم أتم القيام بالحقوق الحقية والحقوق الخلقية، ولا يشغله ذلك عن ربه ولا يحجبه عن مقامه.

وقد يقع لصاحب الفناء بوارق من البقاء، ولصاحب البقاء طوارق من الفناء، وحاله ما هو الغالب عليه، فترى رجالا من الواصلين إلى حال البقاء تحكى عنهم أشياء تشهد للاستغراق والفناء، مثل ما بلغنا عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، أنه قال مرة في مجلس: نحن لا نحب إلا الله.

فقال له قائل: إن جدك عليه الصلاة والسلام يقول: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها.»

فقال الشيخ: نحن لا نرى محسناً إلا الله، فإن كان ولا بد فكالهباء تحسبه شيئاً، فإذا فتشته لم تجد شيئاً، يريد أن رؤيته للخلق بهذه المثابة.

والتعبير عن ذوق من لا يرى إلا الله في العطاء والمنع عسير، ولا تكاد العبارة تقع عليه، ولكن يُستدل على صاحب هذا المقام بالعلامات الظاهرة.

والمعول عليه، والذي لا بد منه في الأخذ من أيدي

الخلق، استعمال العلم والأدب ظاهراً وباطناً. أما العلم الظاهر فهو أن لا تأخذ إلا ما يسوغ لك أخذه شرعاً، وأما الباطن فهو أن لا تأخذ شيئاً وأنت عنه في غناء إلا بنية إخراجه، ولا شيئاً استشرفت إليه النفس.

ومعنى الاشتشراف: أن ترجوه وتطمع فيه من موضع معين، وهذا من الآداب الباطنة والتزامها فضل. والواجب من باطن العلم أن تؤمن يقينا أن الله تعالى هو المعطي حقيقة، فإنه هو الرزاق لذلك المعطي، والآمر له بالإعطاء والمجازي له بما هو أجل وأفضل من عطائه، وهو الذي سلط على قلبه البواعث القاهرة، التي لا يستطيع لها خلافا، وهو الذي زين له البذل وأخطرك على باله، وألقى في نفسه أن الخير والمنفعة في الاصطناع إليك، فما أحسن إلا إلى نفسه.

فقل لي: هل يبقى مع استشعار هذا الأمر من العلم بالله، نظر إلى الخلق أو وقوف معهم؟ ومع هذا كله، فلا تغفل عن شكر المحسنين وموادتهم والدعاء لهم، من حيث إنه سبحانه أمر بذلك، وما جعلهم محلا للمعروف، وموضعا للخير وواسطة بينه وبين عباده، إلا وهو يحب لهم ذلك، ويحب معاملتهم به وشُكْرُكَ إياهم شكر لله عند التحقيق.

فقد علمت بما قررناه، حكم الآخذ من أيدي الخلق بالنسبة إلى أهل الفناء وأهل البقاء وأهل السلوك، فتمسك به واعمل عليه.

دَقيقَــة

قال صاحب قوت القلوب رحمه الله ونفـع به: إذا صادفت لمعروفك أحداً من أهل اليقين، الذين لا يرون إلا الله فاغتنم اصطناع المعروف إليه. وإن كان حاله يقتضي أن لا يشكر أو لا يدعو لك لكونه لا يراك، فإن يقينه أنفـع لك وأرجـح في ميزانك من دعاء غيره وشكره. انتهى بمعناه.

⑤ **وأما** ترتيب سورة الواقعة، وقد سألت عنه؟

فاعلم أنه ورد: أن قراءتها كل ليلة أمان من الفاقة، وهي الحاجة إلى الخلق، أعنى حاجة تشين الإنسان في دنياه ومروءته.

وقد قيل لابن مسعود رضي الله عنه عند موته: تركت أولادك فقراء، فقال: ما منهم أحد إلا وقد أعطيته كنزاً، وهو سورة الواقعة.

وخواص السور والآيات القرآنية والأذكار والأدعية النبوية أمر غير مجهول وكتب السنن طافحة به.

وقد ألف الإمام الغزالي في ذلك كتاباً سماه: «الذهب الإبريز في خواص الكتاب العزيز».

وليس في ترتيب الواقعة ونحوها، لجلب المنافع ودفع المضار الدنيوية ما يقدح في عمل ولا نية، نعم لا ينبغي أن يكون الباعث على قراءتها مجردا من المقاصد الدينية.

وللعبد في التحرز من الحاجة إلى الناس ــ إذا عقل ــ أفضل نية، فإن المؤمن الفطن لا يقصد بالاستغناء عن الناس وبالسلامة في النفس والأهل، وما شاكل ذلك مما يقترن به من الراحة واللذة الصورية، بل يقصد به الخلاص من آفات تضر بالدين، وقد تظهر على كثيرين من المبتلين بشيء من هذه البليات.

ومن ثم اشتد حرص الأكابر، على سؤال العافية من الله المعنوية والحسية وذلك خوفاً من أنفسهم، لما هي مجبولة عليه من الضعف والتزلزل عند ورود الأشياء المنافرة لها.

وقد تكرر من الرسول ﷺ الاستعاذة من الفقر والأمراض وقال: «كاد الفقر أن يكون كفرا»، لما يتهدف له المبتلى به، من التبرم بالقضاء والسخط للمقدور والجزع.

قال سفيان الثوري رحمه الله: ما أجزع من البلاء لأنه يؤلمني، ولكن أخشى أن أبتلى فأكفر.

ثم إن كمال العبد في رضاه باختيار ربه له واكتفائه بعلمه، واعتنائه باختياره وتدبيره عن تدبير نفسه واختيارها.

دقيقة

قال بعض العارفين: في ترتيب سورة الواقعة سر يرجع إلى تنمية اليقين، الذي يقارنه سكون القلب وتصحبه

الطمأنينة في حال الوجد والعدم، وذلك لأن الله افتتحها واختتمها بذكر المعاد، وتفاوت الناس يومئذ.

ومن تدبر ذلك الأمر أذهله عن كل ما يخطر له من أمور الدنيا، وأيضاً فإن الله ذكر فيها أصل الخلق، وأنه ابتداه من نطفة إذا تُمْنَى، وأصل الحرث والماء اللذين بهما يكون القوام فحث على التفكر في ذلك، وعرَّف الكافة بعجزهم عن الخلق، وعن تنمية الحرث وحفظه وعن إنزال الماء، وفي ذلك أبلغ تعريف بشأن القدرة الإلـٰهية والمشيئة والعلم الأزليين.

فإذا انضم العلم بذلك إلى العلم بضمان الله وتكفله لعبده برزقه وما يقوته سكن قلبه وأقبل على عبادة ربه. والله أعلم.

تبصرة

(٦) ربما داوم الإنسان على قراءة شيء من السور، وواظب على شيء من الأذكار والأدعية، الموعود عليها شيء من المنافع الحالية فلم ير لذلك أثرا، فلا ينبغي لمن وقع له ذلك أن يتشكك في صحة ما وقع به الوعد الصادق.

والذي ينبغي له أن يرجع على نفسه باللائمة وينسبها إلى التقصير في يقينها وتوجهها، فإن القاريء والذاكر، لا يسمى قارئاً وذاكراً على الإطلاق الشرعي، إلا باجتماع شروط فيه، يقصر عن القيام بها أكثر الناس.

والعمدة في تأثير هذه الأشياء وحصول الجدوى بها، تيقن القلب بأن ما ذكر كما ذكر، من غير تشكك ولا قصد تجربة، وصدق التوجه واجتماع الظاهر والباطن على الدخول في ذلك الشيء، وامتلاء القلب بخالص حسن الظن بالله وكمال الحضور معه.

فقلَّ أن تجتمع هذه الأشياء في متوجه بشيء من الآيات والأذكار في حصول شيء، أي شيء كان، إلا ويكون

مطلوبه كأنه طوع يده وتحت حكمه وتصرفه، فلا يلومن عبد قعدت به همته وأخره جده وتشمـيره إلا نفسه، وما الله بظلام للعبيد.



(٧) **وسألت** عن شخص إذا حضر السماع، يحس بروحه كأنها تضطرب ويناله بسبب ذلك شيء من التعب، فما الأنسب له: حضور السماع، أو عدمه؟

فاعلم ـ علمك الله ـ أن أمر السماع خطر، حتى قال سيدي القطب الرباني العيدروس عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه ونفع به: إن هذاالسماع يهدي الله به واحدا ويضل به ألفا، أو كما قال.

فالذي لا بد من بيانه أن للأثر الحاصل من السماع، حكم الباعث عليه، فينبغي أن يكون الباعث من الحق، سالما من مزج الشهوة والهوى، وأن لا يسمع إلا ما يجوز الاستماع إليه في حكم العلم، وأحمد أثرٍ تحصَّل من السماع شيء يحصل من استماع القرآن والسنة والمواعظ الحسنة.

والأثر الحاصل من استماع الأشعار والأصوات الحسنة والنغمات الموزونة محمود أيضاً، إن تعلق بأمر الدين، وإلا فهو مباح ولا بأس باستماعها على هذا الوجه بشرط أن

لا يكون في ذلك خروج عن المباح. وقد قصدنا بهذه الكلمات المجملة إيناس الطالب، وإلا فكتب القوم طافحة بشرح حكم السماع، خصوصا الإحياء والعوارف منها.

وأما الشخص الذي يحصل له ما ذكر، فإن كان يخشى مع ذلك مراءاة للخلق أو تزينا لهم، فترك الحضور أنسب له.

وإن كان لا يخشى ذلك ولكن لا يحصل له بالسماع فائدة، من إنهاض همة أو نشاط في عبادة أو شوق إلى مشاهدة، ونحو ذلك، فعدم الحضور أحسن له أيضاً، لأنه لا يسوغ للإنسان أن يتعب نفسه لغير مصلحة.

وإن كانت تحصل له فائدة وتناله منفعة في دينه، فليزن ذلك بما يحصل له من التعب ويكون مع الأرجح والأصلح.

وبالجملة فالعارفون لا يرون لمتاعب الأجسام وآلامها قدراً مع منافع القلوب وفوائدها، لأن حاصل طريقهم تنقية القلب وعمارته، ومطمح نظرهم، فيما يجمع قلوبهم على مولاهم عز وجل فاعلم ذلك، وبالله التوفيق.

فصل

(٨) **وسألت** عن معنى قول الإمام حجة الإسلام شرف الأئمة المهتدين وأستاذ الأكابر المحققين محمد بن محمد بن محمد الغزالي، قدّس الله سره العزيز وأعاد علينا من بركاته الشاملة، آمين. قوله: العلم بالشيء مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء؟.

فاعلم أن هذا الكلام واضح، ونضرب للتعريف به مثلا حتى يعقل، مثال ذلك إنك تعلم أن الله هو الذي خلقك وخلق كل شيء. هذا هو العلم بالشيء ثم تعلم إنك تعلم بخلق الله لك فهذا هو العلم بالعلم، وهو غيره. وقد يتصور انفكاك أحد العلمين عن الآخر.

وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فأرفضوه.

(٩) **وسألت** عن قول الغزالي أيضاً: العلم يثمر الحال والحال يثمر المقام. هل ذلك مقرر، بل قد يفهم من كلام غيره خلاف ما ذكره؟.

فاعلم أن كلام حجة الإسلام رحمه الله، في ذلك هو العمدة. ولو خالفه مخالف لم يعتد به.

وبيان ما قاله رحمه الله تعالى، تعرفه بشرح مقام من مقامات اليقين حتى تقيس عليه غيره من المقامات.

فاعلم أن الزهد من المقامات الشريفة، وأصله أن يعلم الإنسان بما ورد في الكتاب والسنة وكلام صالحي الأمة في ذم الدنيا وتقبيح حال الراغبين فيها، وذكر فضيلة الراغبين عنها المقبلين على الآخرة فيقع في قلبه إن أدركه التوفيق أثر يقتضي الزهد في الدنيا والرغبة في العقبى. فالأول العلم، وهذا الأثر هو الحال. ويظهر على الجوارح بواسطة هذا الأثر أعمال تدل عليه، من الإعراض عن عمارة الدنيا وجمع حطامها وملازمة ما ينفع في الآخرة من الأعمال الصالحة، إلى غير ذلك.

ثم إن هذا الأثر تعرض له عوارض من وساوس الشيطان والنفس، فيما يدعو إلى الرغبة في الدنيا فيحول ويتزلزل ويطرأ عليه ضعف، وربما ينمحي في بعض الأحيان ولذلك يسمى حالا. فإذا رسخ وتأكد ورست قواعده في القلب فلم

تؤثر فيه خواطر الرغبة ولم تزلزله البتة، فعند ذلك يسمى مقاماً، فقد عرفت بهذا أن العلم يثمر الحال والحال يثمر المقام.

وللحال والمقام أمارات وعلامات، تدل على صحتها وسقمها، تجري على الظاهر وتسمى العمل وهو ينشأ أيضاً عن العلم، غير أنه يتعلق بالظاهر، فيفرق بينه وبين الحال بذلك.

وقد ذكر صاحب العوارف أن الأحوال بدايات المقامات، وأن من رسخت قدمه في شيء من مقامات اليقين، يكون له حال من المقام الذي هو أعلى منه، فاعلم ذلك.

ثم إن الأحوال قسمان أحدهما ما تقدم ذكره والآخر ما يرد على القلب المشرق بأنوار الرياضة والمجاهدة من الواردات الشريفة كالأنس والغيبة والسكر والجمع، وهذا القسم من الأحوال لا تثمره العلوم، ولكن تثمره التوجهات الخارقة في قوالب المعاملات الخالصة والنيات الصادقة، ولم يرده الإمام بقوله ذلك والأحوال التي يجري ذكرها كثيراً على لسان القوم المراد بها القسم الثاني منها، والله أعلم.

(١٠) **وسألت** عن قوله أيضاً: لا يكفي في فعل الطاعات العلم بكونها طاعة فقط، بل لا بد مع ذلك من معرفة الوقت

والترتيب والشرط فالوقت هو الزمان المعين المحدد المأمور بفعلها فيه.

والترتيب هو الإتيان بها على الوجه المأمور به، من تقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره كالطهارة والصلاة لا يصحّان بدون الترتيب، وهو واجب في الطاعات التي يتصوّر وجوده فيها، وحكم الوقت والترتيب ظاهر.

وأما الشرط فيقرب أنه أراد به علم ما يتوقف فعل الطاعات عليه أو كمالها. ومثال ذلك أن العقل شرط في صحة الإيمان والإسلام، وهما شرط في صحة القيام بالواجبات والانتهاء عن المحرمات والتقرب بنوافل الطاعات والإخلاص لله، وتصفية النية من شوائب الرياء شرط في الانتفاع بالجميع في الدار الآخرة، والله أعلم.

(١١) **وعن قوله**، رضي الله عنه، في الخواطر، من حيث المؤاخذة بها، وهو أمر واضح.

وبيانه على سبيل الإجمال، أن الخاطر ما دام متردداً خيراً كان أو شراً لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب حتى يقع الجزم والتصميم فعند ذلك تتوجه المجازاة عليه من جنسه، وأما نسبة كلامه في الخواطر التي هذا حكمها إلى كلامه الذي أورده في آخر كتاب الخوف، وذلك أنه ذكر هنالك، أن صفات باطن الإنسان المخلط من الكبر والرياء والحسد

ونظائرها، تنجلي له بعد الموت في صورة منكرة يعذب بها. وهذا حكم من خرج من الدنيا من قبل أن يزكي باطنه من هذه الخبائث.

فإن كان الذي أشرت إليه من كتاب الخوف أردت به هذا المذكور فلا إشكال، فإن الخواطر شيء يقع في النفس ثم يتردد في الصدر، إلى أن يبلغ غايته وقد يضمحل قبل ذلك.

وهذا الذي في كتاب الخوف، إنما أشار به إلى الصفات المهلكات التي يضمرها الإنسان ويصر عليها وهي من أقسام الكبائر الباطنة، وتقع عليها المؤاخذة العظيمة عاجلا وآجلا فشتّان بين صفات القلوب وبين الخواطر التي تخطر فيها.

فإن كنا قد أصبنا ما في نفسك بما ذكرناه من البيان، فللّه الحمد وإلا فانقل إلينا الكلام الذي أشكل عليك من كتاب الخوف بعينه، حتى نوضحه لك، بعون الله.

وسألت أيضاً عن قول الإمام الغزالي في (كتاب أسرار التلاوة)، اللسان واعظ والعقل ترجمان والقلب هو المتأثر. (١٢)

وهذا الذي قاله واضح فاللسان وظيفته القيام بالألفاظ المتضمنة للمعاني، والعقل يصغي إليها فيأخذ المعاني التي بها يقع التأثير فيلقيها إلى القلب المتأثر، فإنه وزيره والقائم بتدبيره فهو لتوسطه بين القلب واللسان في مثل هذا الموطن يسمى ترجماناً.

وهذا الذي ذكره يكون لأصحاب اليمين، الذين ترد عليهم المعاني عند التلاوة وبعدها.

وأما المقربون الذين ترد عليهم المعاني قبل التلاوة، وذلك لأن معاني التلاوة قد رسخت في قلوبهم ومازجت حقائقهم، فهي على الدوام حاضرة لديهم، سواء كان اللسان تالياً أو غير تالٍ.

وسألت عن قوله أيضاً فيمن يستعين بنعم الله (١٣)

على معاصيه: إنَّ تمني زوال النعمة عنه لا يكون من قبيل الحسد، بل هو من قبيل الغيرة لله تعالى.

فاعلم أن الحق ما ذكره رحمه الله ولكن لو جعل الإنسان مكان تمني زوال النعمة عن العاصي، سؤال الهداية له والتوفيق لشكر ربه، ووضع النعمة حيث يحب لكان أحسن.

ومن الأول ما يحكي عن ذي النون رحمه الله، أنه نظر في البحر إلى زورق فيه جماعة يريدون بعض الأماكن وقصدهم أن يشهدوا على بريء بالباطل ومجانبة الحق، فدعا الله عليهم فغرقوا فلما قيل له في ذلك، قال: شهادة البحر خير لهم من شهادة الزور.

ومن الثاني ما حكي عن معروف الكرخي رحمه الله، أنه مرّ هو وأصحابه على شاطيء الدجلة فنظروا إلى عصابة من الفساق راكبين في سفينة وهم مشتغلون بالشراب وأنواع اللهو، فقال أصحاب معروف له: يا أستاذ ادع الله عليهم فرفع يديه وقال: اللهم كما فرّحتهم في الدنيا ففرّحهم في الآخرة فقال له أصحابه في ذلك فقال: إذا فرّحهم في الآخرة تاب عليهم فلم يلبثوا أن جاءوا إلى الشيخ تائبين.

وهذا الذي فعله معروف أكمل وهو وصف الرحماء من أهل الله وخاصته والمكاشفين بوصف الجمال.

والذي ذكره الإمام مقام شريف في الغيرة لله، ويغلب على من مشهده الجلال من الخاصة.

واعلم أن الغيرة قسمان: أحدهما أن يغار الإنسان لربه إذا هتكت محارمه وضيعت حقوقه ويسمى الغضب لله أيضاً، وعنه يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبغض الظالمين والدعاء عليهم، كما وقع ذلك لنوح وموسى عليهما السلام.

والثاني من القسمين: غيرة الإنسان على شيء يختص به، لا يقبل الشركة كالزوجة ونحوها وقد تفرط هذه الغيرة بالإنسان، حتى يتهم من ليس بمتهم ويكره أن يشاركه غيره في شيء لا يضيق بالمشاركة، كالعلم والعبادة والشرف والرفعة وربما يبغض ويحسد من صار له من هذه الأشياء نصيب، وهذا ليس من الغيرة المحمودة في شيء.

وأما غيرة الله تعالى، فمعناها أنه يغار سبحانه على عبيده أن يعبدوا غيره وأن يقعوا في معصيته ومخالفة أمره، ويغار أيضا عليهم أن يشاركوه في صفاته الخاصة كالكبرياء والعظمة والعلو والعزة فإن هذه الصفات وما في معناها لا تليق إلا بالله الملك الحق الجبار لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

فصل

(١٤) **وسألت** عن شيء يتعلق بالرؤيا من كلام السيد الأكمل زين العابدين على ابن عبد الله العيدروس رحمه الله؟.

فاعلم أن الرؤيا من أجزاء النبوّة ولها عالم يخصّها وهي برزخ بين الكشف الباطن واليقظة الظاهرة.

وأول ما يُبدأ بها الولي كما وقع ذلك للرسول عليه الصلاة والسلام في أول الأمر ولكن ما كل أحد تقع رؤياه بهذه المثابة وقلّ أن تصدق رؤيا لأهل التخليط.

وصدق اللسان وسلامة التخيل والتوهم من التخيلات والتوهمات الفاسدة شرط في صدق الرؤيا واستقامتها.

وقد يتفق للمخلطين شيء من الرؤيا الصادقة، ولكن يضيف الشيطان إليها ما يزيد عليها من الأمور الفاسدة، فيشتبه عند التعبير صحيحها بفاسدها.

ومن كان الشيطان متحكماً عليه في يقظته وهو مع ذلك يسمع ويعقل فهو في نومه الذي تذهب به إدراكاته أشد تحكماً فيه.

ولا يؤثر في الرؤيا شيئاً نقص جسم الإنسان إذا كانت إدراكاته الباطنة سليمة، نعم إذا غلب على الإنسان مرض قوي أو شيء من الأخلاط الطبيعية خصوصاً البلغم والسوداء منها فقد تتخلط الرؤيا وربما رأى الشيء على خلاف ما هو عليه.

وذكر الإمام الغزالي رحمه الله أن الذي يحدّث نفسه بالأمور المحالية، ويشغل لسانه بما لا خير تحته من الكلام وكذا الذي يعتقد الأشياء ويراها أو يريها غيره على خلاف ما هي به قلّ أن تصدق له رؤيا، فاعلم ذلك وتأمله حقه فإنه نفيس وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وهذا آخر ما قصدنا إيراده من جواب أسئلتك وقد تضمن مع وجازته، ما لا مزيد عليه من البيان والإيضاح لمن يفهم ويكتفي بالإشارة عن بسط العبارة وخير الكلام ما قل ودل.

وقد عنَّ لنا أن نسعفك بشرح وجيز على أبيات الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس با علوي التي كنت طلبت منا قديماً الكلام عليها، ونجعل ذلك خاتمة الكتاب تيامناً وتبركاً بكلام الشيخ، نفع الله به وبسائر عباد الله الصالحين.

خاتمة

(١٥) تتضمن شرح أبيات بديعة المباني غزيرة المعاني من نظم سيدنا القطب الرباني أستاذ العارفين وقدوة المحققين الشيخ أبي بكر بن الشيخ عبد الله العيدروس الشريف الحسيني، قدس الله روحه ونور ضريحه وأعاد علينا من بركاته وأسراره في الدارين. آمين:

هبت نسيم المواصلةْ ... بلا اتصال ولا انفصالْ
بمقتضى مطلع خفي ... وليس للعلم فيه مجالْ
لأنه ثمرة اليقين ... ومرتقى رتبة الكمالْ

عبر الشيخ رضي الله عنه بالنسيم، الذي هو من ألطف الرياح وأرقها عن النفحات الإلهية والجذبات الربانية التي يختص الله بها أولياءه ويواصل بها أصفياءه، العاكفين على حضرته المشغوفين بمحبته المقبلين بكنه الهمم على طاعته المشمرين عن ساق الجد في خدمته، المتأدبين بين يديه بالآداب الروحانية والمعرضين عن كل ما يشغل عنه ويبعد منه، من اللذات البهيمية والصفات الشيطانية.

وإنما عبر الشيخ عن هذه المواصلة الشريفة بالنسيم صيانة للأسرار عن إبتذال الأغيار، ونعتها بالتقديس عن الاتصال والانفصال اللذين هما من سمات الأجسام الكثيفة وعنها تتنزه مدارك الأرواح والأسرار الشريفة والحق تعالى منزه عن الاتصال والانفصال، فلا جرم كانت المواصلات التي يواصل بها خاصته ورجال حضرته كذلك، فافهم.

والمطلع: هو المرتقى، وخفاؤه: بعده ودقته عن إدراكات الحواس الظاهرة والأفكار والعقول الباطنة.

وليس للعلم المقتنص بشبكة حواس الأجسام، المدرك بآلة الحوافظ والإلهام فيه مجال يعني اتساع، إذ نصيبها منه أن تؤمن وتصدق به فقط فإنه ليس من شأنها ولا من مدركاتها، لأنه من خاصية الروح ونصيب السر كما قال رضي الله عنه، لأنه ثمرة اليقين.

واليقين: عبارة عن تمكن الإيمان من القلب واستيلائه عليه، على وجه لا يتصور معه التزلزل والتشكك بحال.

وثمرة اليقين هي الكشف والعيان، فإن الكشف حال للموقن، واليقين مقام له وهو أعني اليقين حال للمؤمن والإيمان مقام له. فللمؤمن خطرات من اليقين، وللموقن خطرات من الكشف، ومرتقى رتبة الكمال هي المكاشفة وهي أول قدم في مقامات المشاهدة التي هي الكمال.

ثم قال رضي الله عنه ونفع به:

فــالاقــتــدا ثــم الاهــتــدا والاصـطفا حـال فـوق حـالْ
فــمــن لــزم مــا أمــر بــه من العمـل واليـقيـن نــالْ
حــلول جــنــات أنــســه يـجتـني ثـمـرة الـوصـالْ

فالاقتداء: هو الاتباع للرسول ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأقواله والتأدب بآدابه ظاهراً وباطناً.

فمن أحكم ذلك وأتى به على وجهه مخلصاً لله تعالى فاضت عليه أنوار الاهتداء الذي هو ميراث حسَن الاتباع ونتيجة المجاهدة، قال الله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾.

فهذه الهداية هي المكاشفة بصريح الحق والمبادأة بأشياء من عالم الغيب وقبلها وقبل المجاهدة هدايتان: إحداهما هداية البيان، والأخرى هداية التوفيق.

والاصطفاء: هو التحقق بحقائق اليقين وفيضان إمدادات القرب من القويّ المتين.

فحال الاهتداء فوق حال الاقتداء لأنه ثمرته.

والاصطفاء فوق الاهتداء وهو روحه ومقصوده ومعناه: أن يصطفي الله عبده لمعرفته ومحبته والمكاشفة بأسرار حضرته ولمشاهدة أنوار ذاته وصفاته المقدسة، فاعلم.

ومن شأن الصادق المستقيم الفطرة، إذا سمع بذكر هذه المواجيد والمشاهداتِ الشريفة أن يشتاق إليها فبشره الشيخ وعرفه الطريق الموصل إليها بقوله: فمن لزم ما أُمر به.

والملازمة: هي المداومة والمواظبة على الشيء والذي يؤمر به العبد هو العمل واليقين، أعني العمل بالطاعة ولها ظواهر تجري على الجوارح الظاهرة كصورة الصلاة والصدقة وما في معنى ذلك، وبواطن يتصف بها ظاهر القلب وهي الأخلاق المحمودة مثل التواضع والزهد والرضا وأخواتها.

واليقين: هو الإيمان الخالص الصادق كما تقدم ومحله باطن القلب، وقد جعل الله برحمته للعبد سبيلاً إلى تحصيل اليقين بملازمة العبادات والنظر في ملكوت الأرض والسمٰوات وتدبر الآيات المنزلات.

فمن قوي يقينه وتزين باطنه وظاهره بملازمة العمل الصالح نال القرب من ربه ونزل بحبوح جنات الأنس به واجتنى ثمرات الوصول إلى كريم حضرته.

وثمرات الوصول: هي المفاتحات والمؤانسات والمحادثات والمسامرات الربانية إلى غير ذلك من مواجيد أهل الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

وقال رضي الله عنه:

هــذه عــلوم مــحــقــقــهْ　　رجــالــهــا نعــم من رجــالْ
يـقيـنهـم لا ارتـيــاب فـيــه　　وهــديهم ليس بــه ضــلالْ
قــد اقتــدوا ثم جــاهــدوا　　وشــاهـدوا فــانتفى المحــالْ

لما ذكر الشيخ رضي الله عنه ما واصله الحق به من لطائف المكاشفات وحقائق المشاهدات، ثم أتبعه ببيان الطريق إلى غير ذلك دعوة منه إلى الله تعالى ونصيحة لعباد الله، أخذ نفع الله به في تقرير ذلك الفتوح وتلك الطريق فقال:

هذه علوم يعني التي أشار إليها محققة عند أهلها، الناظرين بنور الله الخارجين من مضيق التقليد إلى فضاء الكشف، الذين لم يقنعوا بالخبر عن العيان كما قنع به جامدوا العقول، الواقفون مع أفكارهم وما يعرفونه من أنفسهم من الذكاء والفطنة، فإن من هذا وصفه ربما أنكر علوم القوم ولم يصدق بها لخروجها عن إدراكه وتحصيله وهو عند نفسه ممن لا يفوته شيء من العلم فيكذب بما لم يحط به علماً.

ولكون التصديق بباطن علم الصوفية فضلاً عن التحقق به شاقاً على من هذا وصفه قال الجنيد رحمه الله: التصديق بعلمنا هذا ولاية.

ثم أثنى الشيخ على المتحققين بهذا العلم من أهل الله تعالى فقال: رجالها نعم من رجال. فإن الرجل من قهر نفسه واستولى عليها ونقاها وزكاها من خبائث الأخلاق وحلاها بمكارمها وقطع عن قلبه علائق الأكوان واستقبل الحضرة الإلـٰهية بوجهه الباطن والظاهر فأقام القلب في مواطن التوحيد والتفريد وأقام القالب في مواطن الخدمة لله تعالى التي هي شأن العبيد وهذا وصف الصوفي المحقق.

والصوفية: هم الرجال الموصوفون بهذه الأوصاف، الذين لم يخالط يقينهم ريب ولا شك ولم يمازج هديهم الذي هو علومهم وأعمالهم ضلال ولا ميل عن الحق ولا ركون إلى الباطل مما لم تقنع الصوفية من إيمانهم ويقينهم بدونه. ولأجله كلفوا نفوسهم تلك الرياضات وحملوها تلك المجاهدات حتى صفت ولطف جوهرها فأدركت ما غاب عنها من العلوم الغيبية التي تعبدهم الشرع بالإيمان بها، فصارت لذلك علومهم وأعمالهم بعيدة عن الجهالة سالمة من الضلالة لأنهم أخذوها من موطنها واقتبسوها من معدنها.

وما وصلوا إلى ذلك إلا بعد ما تأدبوا بآداب الشرع وعلموا من علوم الإيمان والإسلام ما لا بد منه ثم أخذوا في العمل بما علموا وشمروا في ذلك وأقبلوا على مجاهدة النفوس وتهذيب أخلاقها، بأنواع الرياضات.

وإلى ذلك أشار الشيخ رضي الله عنه بقوله: قد اقتدوا يعني بالاقتداء ها هنا أنهم علموا ما لا بد من علمه وعملوا به.

وإلى الرياضة والتهذيب أشار بقوله: ثم جاهدوا، فلما أحكموا هذين الأصلين العلم والعمل به وحسن الرياضة للنفوس بفطمها عن مألوفها ومعتادها مع التوجه الصادق إلى الله تعالى تنورت سرائرهم وانفتحت بصائرهم فشاهدوا عالم الملكوت وتحققوا بحقائق اللاهوت، فانتفى المحال حينئذٍ أعني انتفاء شهوده وأما وجوده فلم يزل منفياً.

والمراد بالمحال هاهنا: ما لا حقيقة له ولا استقلال عند النظر إليه من حيث هو. وهذا وصف لازم لكل ما سوى الله تعالى.

ثم قال الشيخ رضي الله عنه:

علم اليقين ثم عينه	بل حقه ما بقي احتمالْ
فنوا عن الكون جملة	لما بدا طالع الجلالْ
وأحياهم بعد موتهم	بالجمع في مشهد الجمالْ

أعلم أن علم اليقين يعبر به عن الإيمان الصادق المؤيد بالبراهين الصحيحةْ والأدلة الصريحة، وعين اليقين مرتبة فوقه وهي أن يستغني الإنسان عن الإستدلال لظهور الحق له من طريق العيان أو قريب منه.

وأما حق اليقين فهو المرتبة العليا المشار إليها بالكشف المطلق الأسنى، المخصوص به أكابر الأولياء وخواص العارفين الأصفياء وفيها رسخت أقدام الأنبياء وكمل ورثتهم من الصديقين.

وأما قوله نفع الله به: ما بقي احتمال أي ما بقي للشك موضع، ولا للارتياب محل.

والفناء عن الكون جملة حال شريف ينازله أهل الله وله معان جليلة ودقيقة والمراد هاهنا فناء شهود الإنسان لنفسه ولغيره من الكائنات.

والأمر الذي ينشأ عنه هذا الفناء تجلي صفات الحق الجلالية للقهرية وعند تجليها تنمحق الرسوم البشرية وتضمحل البقايا الكونية.

فإذا صح الفناء بهذا المعنى تجلى عليهم الحي القيوم بالأوصاف الجمالية اللطفية فتحيي أرواحهم وتنتعش أسرارهم وتبقى رسومهم وعوائدهم على ما هي عليه من الإماتة الحاصلة بالإفناء الجلالي فيبقيهم ما شاء سبحانه في هذا المشهد الجمالي المعبر عنه بالجمع، وفيه تجد أرواحهم من نعيم القرب وروح الأنس بالله شيئاً لا يُعَبَّرُ عنه، وعليه بعد مفارقته يتأسف المحبون وإليه يشتاق المحققون.

وإلى ذلك النعيم والروح العظيم، أشار ابن الفارض رحمه الله في قوله:

تلك الليالي التي تعتد من عمري مع الأحبة كانت كلها عـرسا
لم يحل للعين شيء بعد بُعدهم والقلب مذ أنس التّذكار ما أنسا
يا جنة فارقتها النفس مكرهة لولا التأسي بدار الخلد مُتُّ أسا

وفي كلام الناظم نفع الله به وكلام الشيـخ السودي وغيرهما من العارفين أرباب الإشارات والتمكين إشارات كثيرة إلى ما ذكرناه.

وذلك المقام الذي ينقلهم الحق إليه أعني ينقل إليه منهم من أراد أن ينفع العباد به أكمل وأشرف وهو مقام البقاء ومنه يرجع العارف إلى الخلق، فيدعوهم إلى الله تعـالى ويتخلق لهم بأخلاقهم تكلفـاً لتقع المنـاسبة بينهم وبينـه فيستجبون له.

وتحقيق ذلك يستدعي بسطاً كثيراً وتحته معان دقيقة وأسرار غامضة لا يجوز إيداعها الكتب مخافة أن يعثر عليها من ليس من أهلها فيدعيها حالا لنفسه، فيضل عن سواء السبيل.

ثم قال الشيـخ رضي الله عنه:

حتى صفى إبـريـز تبـرهم فــلا يـســاويـه قط مــالْ
فـالكـون قـد صـار طـوعهم ولا يخــالف في الانفـعــالْ

هــذا هـو الملك بِــلا مِـرا بــلا انعــزال ولا اختــلالْ

قد بيـن الشيـخ حكـم الفناء عنـد مشاهـدة الجلال والجمال ثم ذكر نفع الله به حاصل ما تثمره تلك المشاهدة من التصفية من رعونات النفس وكثائف طباعها.

وبيان ذلك: أن السالك وإن بلغ كل مبلغ في رياضة النفس ومجاهداتها، فلا بد وأن تبقى عليه بقايا من رعوناته وعـوائـده والتفاتُ إلى الأكـوان فـلا تنمحق تلك البقـايـا ولا تنمحق تلك الرعونات بدون الفناء الصرف.

ومن ثم لم يؤهـل للمشيخة والـدعـوة إلى الله من السالكين من لم يصل إلى حال الفناء والبقاء.

والإبريز هو الذهب الخالص والتبر منه: ما بقي فيه بقية من غيره، فقد تخلص جوهر أولئك العارفين وصفي عن عوارض الأجسام وعلائق الأكوان فصارت لذلـك معارفهم وعلومهم وأخلاقهم وأعمالهم لا يساويها مال، أي مال غيرهم ممن لم يبلغ إلى مثل حالهم والمال ما ينفع والمراد منه هاهنا ما ينفع عند الله وفي الدار الآخرة.

ولما اضمحلت حظوظهم وفنيت إراداتهم واختياراتهم ولم يبق لهم حظ ولا أرب في غير الله وما يقرب منه أطاعتهم الأكـوان وأذعنت لهم منقـادة، نـظيـر انقيـادهم وطـاعتهم لسيدهم.

والأكوان أبداً تكون مع مُكَوِّنِهَا ومن كان لله كان الله له ومن كان له تعالى كانت الأكوان كلها طائعة ومنقادة له.

وفي بعض كتب الله المنزلة: ابن آدم أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون.

فأي شيء يشاؤه العارف ويريده، كان بقدرة الله كما أراد ولكنه قد فنيت إرادته ومشيئته وتدبيره واختياره فلا يريد ولا يختار إلا ما أراده الله واختاره فصار بهذا الإعتبار، مراده عين مراد الله فافهم ذلك فإنه دقيق. والعارف يؤثر بهمته وتوجهه في أي شيءٍ توجه إليه، ولكنه لا يتوجه للشيء إلا عن إذن إلهي.

وطاعة الأكوان لأولياء الله، أمر معلوم بالتواتر. وكثيراً ما تتفق وتقع الانفعالات بالهمم والتوجهات للسالكين المشرفين على مراتب الكشف الذين لم يخلصوا إليها بعد، ويكون في ما يظهر لهم من ذلك تقوية لهم وتقع أيضاً لأهل لفناء وقلَّ أن يشعروا به لذهابهم في الله وعدم شعورهم بشيء من الكائنات.

وأما أهل البقاء القائمون بوظيفة الدعوة إلى الله تعالى، فَيَقِلُّ وقوعها لهم لسكونهم إلى الله تعالى وطمأنينتهم إلى ما يجري من أحكامه وأقداره فقلّ أن تنبعث هممهم

وتوجهاتهم لشيء من ذلك، وقد يؤذن لهم في إظهار شيء من الخوارق لتقوية طالب ضعيف القصد أو رد معاند يكذب بآيات الله ويدفع خصوصية الله في أوليائه.

ولو توجه العارف إلى جبل ليزول أو بحر ليغور لكان ذلك بقدرة الله.

ثم إن العارفين لا يقيمون وزناً لمن يشتهي هذه الكرامات ويطلبها لنفسه بحظه. ويقولون: الكرامة الإستقامة، وهي المعبر عنها بحسن المتابعة للرسول ﷺ ظاهراً وباطناً.

ولا يصل أحد إلى شيء من هذه الخوارق حتى تصير نفسه في غاية من اللطافة بواسطة الرياضة ويتحقق بكتمان الأسرار ويتعرى عن الحظوظ النفسانية.

ومن حصل له شيء منها قبل إحكام هذه الأمور كانت فتنة عليه إلا إن عصمه الله وحفظه وهذا الذي وصل إليه أولياء الله من التحرز عن رق الأكوان والخروج عن عوارض الأجسام والإنقطاع إلى الله والإقبال عليه بترك ما يشغل عنه ويقطع عن حضرته كائناً ما كان، فهذا هو الملك الحقيقي الذي يُغبط صاحبه، ولا يحتاج في إقامته وحفظه إلى الرجال والأموال والتدبيرات والاشغال الصافي عن مزاحمة الأغيار السالم من منازعة الأشرار البعيد عن الأنكاد والمتاعب والأكدار، المنزه عن الإنقطاع والإنعزال والزوال والإنحلال، فإن هذه عوارض

تعرض للملك الدنيوي وأما الملك الأخروي فإنه منزه عنها.

وأشرف مراتب الملك: أن يملك الإنسان نفسه وهواه ويستغني عما سوى مولاه ولا يكون لـه في الدارين إرادة ولا رغبة في شيء سوى قربه ورضاه. وهذا وصف أولياء الله وخاصته رضي الله عنهم ورضوا عنه، ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾.

ثم قال الشيخ رضي الله عنه ونفع به وقد جمع في هذه الأبيات مع وجازتها ذكر ما فتح الله به عليه وأوصله إليه وأتحفه به من الكشف والشهود وذكر الطريق إلى الله بداية ونهاية. ووصف أولياء الله، وذكر جملة ما خصوا به من مزايا القرب من الله وما أتحفوا به من النزاهة عن قذر الإلتفات إلى الأكوان الفانية. وما أيدوا به من التصرف في الوجود والملك الحقيقي الذي لا ينقضي ولا يزول.

تمت وصلوا على النبي مهذب القول والفعال
وصحبه سادة الورى وآله خير كل آل

فقد آن للشيخ أن يختم الأبيات فليس بعد ما أسعف به الطالب الصادق وأتحف به الراغب الوامق من شرح طريق الله وبيانها بيان.

فختمها بحثّ الواقفين على كلامه، على الصلاة على

الرسول الله ﷺ وهي رحمة من الله مصحوبة بتعظيم يليق بالمنصب النبوي الكريم.

وفي ختمها بالحثّ على الصلاة على النبي، تنبيه وإعلام وتنويه بأن كل ما حصل للشيخ ولغيره من العارفين، نتيجة لحسن الإقتفاء وميراث لكمال الإتباع للرسول ﷺ مهذب القول والفعال.

فقوله ﷺ الصدق الفصل المنزه عن كل ما يخالط أقوال الآدميين من كذب وغيره. قال الله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

وأفعاله ﷺ منزهة ومهذبة عن كل نقص يعرض لأفعال الإنسان، لأنه قد أيد بالعصمة واختص بالوحي الإلٰهي فهو إنما يقول ويفعل عن الأمر الرباني.

فطوبى لمن اقتدى به واهتدى بهديه وعمل بسنته والويل كل الويل لمن حاد عن متابعته وتثاقل عن إجابة دعوته وعمل بخلاف هديه وسنته.

وصحبه: هم الذين صحبوه في حياته وآمنوا به وهاجروا إليه ونصروا دينه وجاهدوا معه وبلغوا عنه ما سمعوه ورأوه من أقواله وأفعاله.

فلاجتماع هذه المزايا والفضائل لهم، التي لم يشاركهم فيها غيرهم كانوا سادات الورى وأئمة الهدى.

وآله: هم أقاربه الجامعون بين النسبة الطينية والدينية، فهم أولى الناس به وأحب الناس إليه وقد فرض الله على الأمة حبهم ومودتهم وأكرمهم بالتطهير عن الرجس فهم لذلك خير آل لأنهم آل من هو خير الخلق وأشرفهم ﷺ.

ولا يكمل لهم هذا الشرف ولا يتم لهم بدون المتابعة منهم لسيدهم الذي شرفهم الله به لأنهم أولى الناس بها وأحق الناس بالتزامها.

ومن لم يحرص عليها منهم ولم يبذل وسعه وطاقته فيها. فاللوم والشؤم اللاحق بالمعرضين عن متابعة المصطفى ألزم لهم، ونصيبهم منه أوفر من نصيب غيرهم.

كما أن الشرف والفضل الحاصل لمن أحسن المتابعة، يكون للمحسنين فيها من أهل البيت النبوي أجلُّه وأكمله وأعلاه وأفضله.

اللهم ارزقنا كمال المتابعة لرسولك ﷺ، في أخلاقه وأفعاله وأقواله وأعنا على ذلك واهدنا إليه وارزقنا الإخلاص والصدق فيه، وأحيينا وأمتنا عليه حتى تجمعنا بنبيك في دار كرامتك وأنت راض عنا في خير وعافية، يا أرحم الراحمين.

وهذا آخر ما تيسر إيراده، من الكلام على أبيات سيدي الشيـخ.

ولست أقول ولا أدعي أن هذا الذي ذكرته هو مراد الشيـخ بعينه، ولكنه شيء فهمته من كلامه وهو من الحق. فإن وافق ما عناه الشيـخ، فللّه الحمد وإلا فهو شيء من الصواب ينتفع به إن شاء الله من وقف عليه من الأحباب والأصحاب.

ثم إني أعترف عن علم ويقين، لا عن ظن وتخمين بـإفلاسي وخلوي عن حقـائق أهـل الله وعن مـواجيـدهم وطرائقهم الحميدة.

نعم أعرف من نفسي حبهم والموالاة لهم، والميل إلى التشبه بهم والتكثير لسوادهم مع حسن الظن والتصديق بكل ما فتح الله عليهم به من المكاشفات والمشاهدات.

وأرجو من الله أن يلحقني بهم ويجعل لي بفضله نصيباً مما خصهم به من معرفته ومحبته. وقد ورد، «المرء مـع من أحب» و«من تشبه بقوم فهم منهم» و«من كثّر سواد قوم فهو منهم».

ومع ذلك فقد اندرست طـريق هذه الـطائفة وعفت رسومها وانطمست معالمها وعزّ وجود الصادقين فيها، بل عزّ وجود من يطلبها بصدق وصار الكلام فيها معدودا عند الناس من البـلاغة والفصـاحة، فـلا حول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم.

وما أحسن قول الشيخ أبي مدين رحمه الله في قصيدته التي أولها:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقراء ....

مشيراً إلى جملة ما ذكرناه في شأن الإعتذار والإعتراف والإخبار باندراس الطريق، حيث يقول:

واعلم بأن طريق القوم دارسة ... وحال من يدعيها اليوم كيف ترا
متى أراهم وأنّى لي برؤيتهم ... أو تسمع الأذن مني عنهمُ خبرا
من لي وأنّى لمثلي أن يزاحمهم ... على موارد لم أُلف بها كدرا
أحبهم وأداريهم وأوثرهم ... بمهجتي وخصوصا منهم نفرا
قوم كرام السجايا حيث ما جلسوا ... يبقى المكان على آثارهم عطرا
يهدي التصوف من أخلاقهم طرفا ... حسن التآلف منهم راقني نظرا
هم أهل ودي وأحبابي الذين هُم ... ممن يجر ذيول العز مفتخرا
لا زال شملي بهم في الله مجتمعا ... وذنبنا فيه مغفورا ومغتفرا

تم الكتاب المسمى: بإتحاف السائل بجواب المسائل جعله الله خالصا لوجهه الكريم ومقربا إلى رحمته ورضوانه وغفر لنا كل ما وقع فيه مما يخالف الحق أو يميل إلى الباطل أو يوافق الهوى أو داخلنا فيه من رياء وتصنع للخلق. وغفر لمن كان السبب في تأليفه ولقارئه وكاتبه ومستكتبه وسامعه ولوالدينا وأحبابنا وجميع المسلمين، والحمد لله.

اللهم ما بنا من نعمة في بواطننا وظواهرنا وديننا ودنيانا،

فإنا نعلم ونوقن أنها منك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر على ذلك، عائذين بوجهك الكريم من سلب النعم وحلول النقم، سائلين من فضلك أن تعاملنا بمقتضى الجود والكرم، وإن لم نكن أهلا لذلك فإنك أنت أهله.

رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

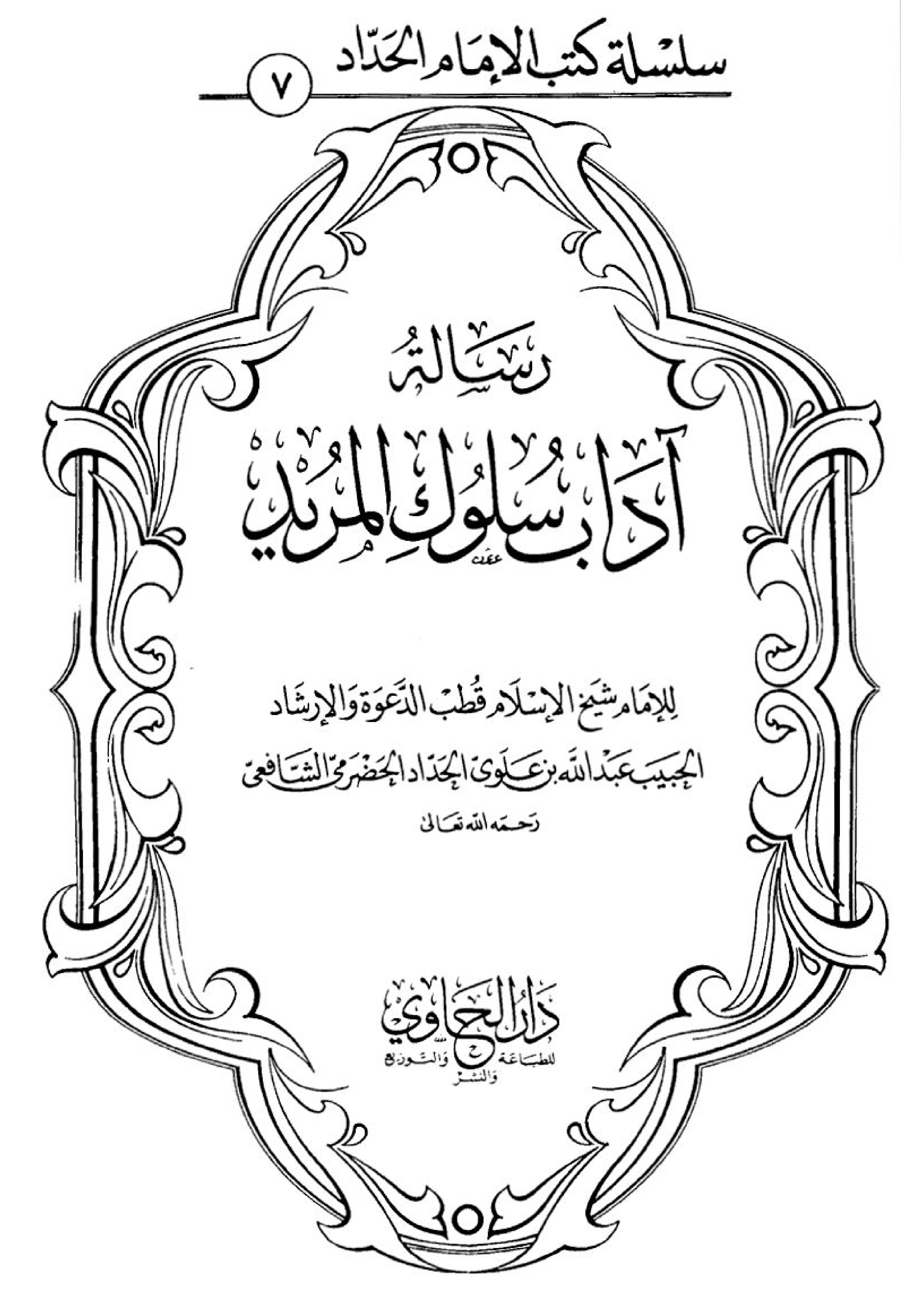
وكان الفراغ من إملائه أول يوم الجمعة خامس عشر المحرم، أول شهور سنة ١٠٧٢ اثنتين وسبعين وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

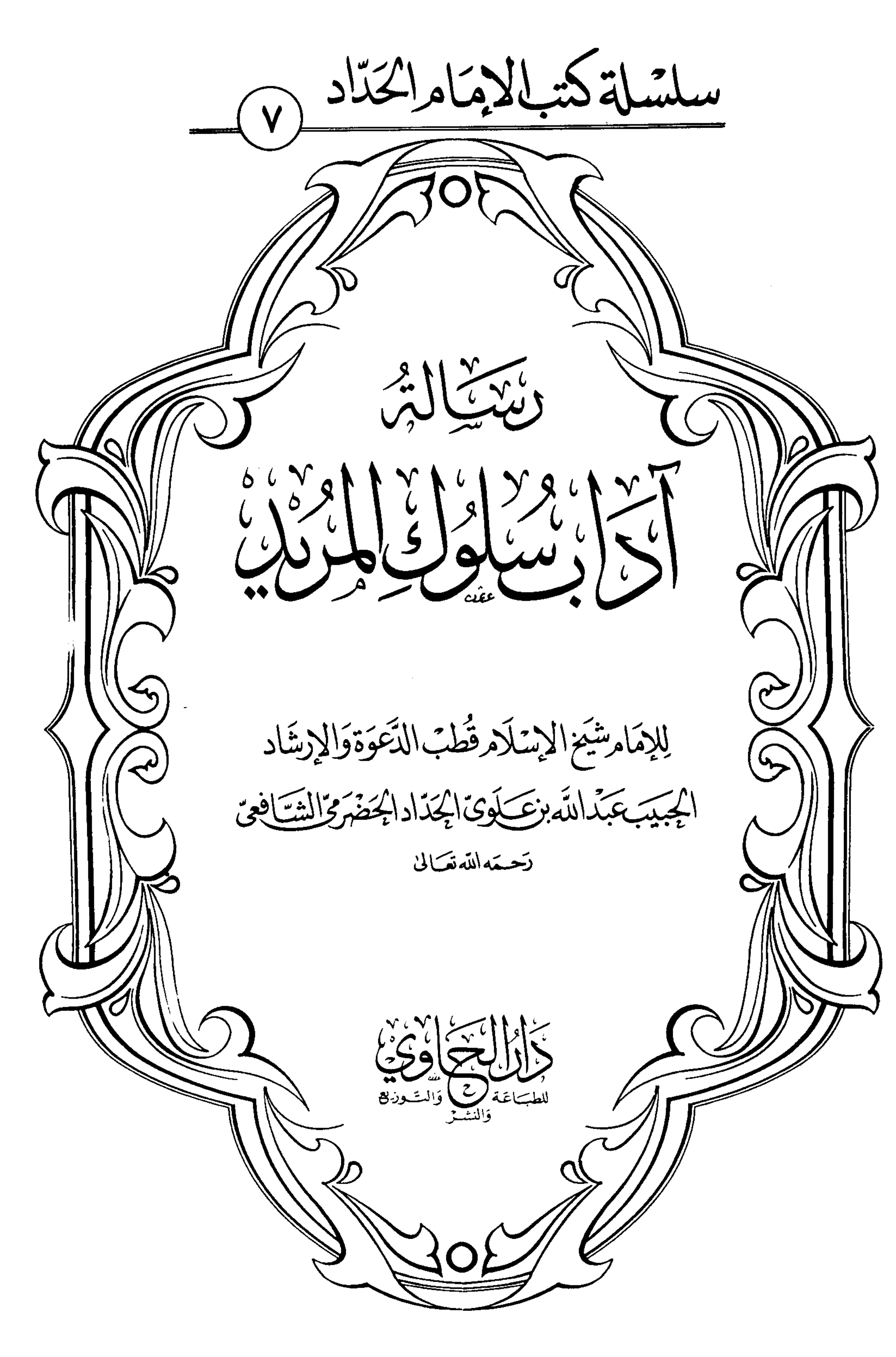
فهـــرس



سلسلة كتب الإمام الحداد
٧
رسالة
آداب سلوك المريد
للإمام شيخ الإسلام قطب الدعوة والإرشاد
الحبيب عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي الشافعي
رحمه الله تعالى
دار الحاوي
للطباعة والنشر والتوزيع

رسالة
آداب سلوك المريد





سلسلة كتب الإمام الحدّاد ٧
رسالة
آداب سلوك المريد
للإمام شيخ الإسلام قطب الدعوة والإرشاد
الحبيب عبد الله بن علوي الحدّاد الحضرمي الشافعي
رحمه الله تعالى
دار الحاوي
للطباعة والنشر والتوزيع

تشرّف بكتابته

محمّد صفوان محمود صالحي

الطبعَة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

بالتعـاون مـع :

الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان

هاتف: ٣٤٢٨٨٦ ــ ص.ب: ٥٩٢٠ ـ ١١٣ ــ تلكس: ٤٣٢١٨ ــ فاكس ٨٦٠١٢٨ ـ ١ ـ ٩٦١

تعريف موجز عن الإمام الشهير عبد الله بن علوي بن محمّد الحداد

هو سيّدنا الإمام العلّامة الدّاعي إلى الله بقوله وفعله قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمّد الحدّاد ولد رضي الله عنه بالسبير من ضواحي مدينة تريم بحضرموت ليلة الخميس ٥ صفر سنة ١٠٤٤هـ وتربّى في تريم وقد كفّ بصره وهو صغير فعوّضه الله عنه بنور البصيرة وجدّ واجتهد في طلب العلوم النافعة وعكف على علماء عصره في مقدّمة مشايخه سيدنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس والحبيب العلّامة عقيل بن عبد الرحمن السّقاف والحبيب العلّامة عبد الرحمن بن شيخ عيديد والحبيب العلامة سهل بن أحمد باحسن الحديلي باعلوي ومن مشايخه أيضًا الإمام العلّامة عالم مكّة المكرمة السّيد محمّد بن علوي السّقاف.

ثم نصبه الله للدعوة والإرشاد داعيًا إلى الله تعالى

بالحكمة والموعظة الحسنة فأقبل عليه الناس وانتشر
صيته في البلدان وانتفع به القاصي والداني فنفع الله
به الكثير وأرشد الجم الغفير وانتشرت دعوته في كل مكان
وانتفع الناس بوعظه وكتبه وأخذ عنه الجم الغفير
فمن كبار تلامذته ابنه سيدنا الحبيب حسن بن عبد الله الحداد
والحبيب أحمد بن زين الحبشي والحبيب عبد الرحمن بن عبد الله
بلفقيه والحبيبين محمد وعمر أبناء زين بن سميط والحبيب عمر بن
عبد الرحمن البار والحبيب علي بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف
والحبيب محمد بن عمر بن طه الصافي السقاف وغيرهم العدد الكثير.
وله مؤلفات كثيرة جمعت النصائح والمواعظ والحكم وانتشرت
انتشارًا كبيرًا وكتب لها القبول والمحبة ونفع الله بها الناس
وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى لغات أجنبية في العصر الحاضر
مثل الإنجليزية والفرنسية . ومؤلفاته غنية عن التعريف

ومشهورة لدى الكبير والصغير ومنها النصائح الدينية. والدعوة التامة ورسالة المعاونه وغيرها من الوصايا والرسائل ومجموع كلامه تثبيت الفؤاد وديوانه العظيم الدّر المنظوم الجامع للحكم والعلوم ووصاياه ومكاتباته وأكثر مؤلفاته مطبوعة وأقبل عليها الناس إقبالاً شديداً وأعجب بها العلماء والعارفون وجعلوها بمنزلة الغذاء يقرئون فيها في كثير من الأوقات وقالوا عنها انها جمعت الخلاصة والزبدة من كلام الإمام حجة الإسلام الغزالي ولا يستغني عنها كل مسلم فهي وجيزة وجامعة ونفع الله بها ببركة مؤلفها الإمام الحداد رضي الله عنه وكان رضي الله عنه قد سافر إلى الحرمين الشريفين وأدى النسكين وزار جده سيد الكونين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك في عام ١٠٧٩ هجرية واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين الذين اغتبطوا به وعرفوا قدره وأثنوا عليه .

ولم يزل يدعوا الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة حتى وفاته إلى رحمة الله تعالى فتوفي ليلة الثلاثاء ٧ ذو القعدة عام ١١٣٢ هجريّة ودُفن بمقبرة زنبل بتريم رحمه الله رحمةً واسعة ورضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه في الدّارين آمين .

طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف

حرر الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٤١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الحَمدُ للهِ الَّذِي يَقْذِفُ إذا شَاءَ فِي قُلُوبِ المُرِيدِينَ لَوعَةَ الإرَادَةِ ، فَيُزْعِجُهُم إلىٰ سُلُوكِ سَبِيلِ السَّعَادَةِ ، الّتي هِيَ الإيمَانُ والعِبادَةُ ، وَمَحْوُ كُلِّ رَسْمٍ وَعَادَة ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ علىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ أهْلِ السيادَة ، وَعلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّادَةِ القَادَة ، أمَّا بَعْدُ :

فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ وَهُوَ أَصْدَقُ القَائِلِين (مَنْ كَانَ يُرِيْدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيْدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَشْكُورًا)

وَالعَاجِلَةُ هِيَ الدُّنْيَا ، فَإِذَا كَانَ المُرِيْدُ لَهَا

فَضْلاً عَنِ السَّاعِي لِطَلَبِهَا مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ مَعَ اللَّوْمِ والصَّغَارِ ، فَمَا أَجْدَرَ العَاقِلَ بالإِعْرَاضِ عَنْهَا ، وَالاحْتِرَاسِ مِنْهَا ، وَالآخِرَةُ هِيَ الجَنَّةُ . وَلا يَكْفِي فِي حُصُولِ الفَوزِ بِهَا الإِرَادَةُ فَقَطْ بَلْ هِيَ مَعَ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ المُشَارِ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ) ، وَالسَّعْيُ المشكُورُ هُوَ العَمَلُ المَقْبُولُ المُسْتَوْجِبُ صَاحِبُهُ المَدْحَ وَالثَّنَاءَ وَالثَّوَابَ العَظِيمَ الَّذِي لا يَنْقَضِي وَلا يَفْنَى بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَالخَاسِرُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ مِنَ المُرِيدِيْنَ لِلدُّنْيَا الذي يَتَحَقَّقُ فِي حَقِّهِ الوَعِيْدُ المَذْكُورُ فِي الآيَةِ هُوَ الذِي يُرِيْدُ الدُّنيَا إِرَادَةً يَنْسَى فِي جَنْبِهَا الآخِرَةَ فَلا يُؤْمِنُ بِهَا ، أَوْ يُؤْمِنُ وَلا يَعْمَلُ لَهَا . فَالأَوَّلُ كَافِرٌ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، والثَّانِي فَاسِقٌ مَوْسُومٌ بِالخَسَارِ .

وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ

إلىٰ اللَّهِ وَرَسُوْلِهِ فَهِجْرَتُهُ إلىٰ اللَّهِ وَرَسُوْلِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ اِمْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إلىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيهِ » .

أَخْبَرَ صَلّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لاَعَمَلَ إِلاّعَنْ نِيَّةٍ ، وَأَنَّ الإِنْسَانَ بِحَسَبِ مَا نَوَىٰ يُثَابُ وَيُجْزَىٰ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ ، فَمَنْ حَسُنَتْ نِيَّتُهُ حَسُنَ عَمَلُهُ لاَ مَحَالَةَ ، وَمَنْ خَبُثَتْ نِيَّتُهُ خَبُثَ عَمَلُهُ لاَ مَحَالَةَ ، وَإِنْ كَانَ فِي الصُّورَةِ طَيِّبًا كَالَّذِيْ يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ تَصَنُّعًا لِلمَخْلُوقِينَ .

وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ أَنَّ مَنْ عَمِلَ لِلَّهِ عَلىٰ وِفْقِ المُتَابَعَةِ لِرَسُوْلِ اللَّهِ صَلّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَىٰ اللَّهِ وَكَانَ مُنْقَلَبُهُ إلىٰ رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ ، فِي جِوَارِ اللَّهِ وَخِيْرَتِهِ ، وَأَنَّ مَنْ قَصَدَ غَيْرَ اللَّهِ وَعَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ كَانَ ثَوَابُهُ وَجَزَاؤُهُ عِنْدَ مَنْ تَصَنَّعَ لَهُ وَرَاءَىٰ لَهُ مِمَّنْ لاَ يَمْلِكُ لَهُ وَلاَ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَلاَ مَوْتًا وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُورًا .

وَخَصَّ الهِجْرَةَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَعْمَالِ تَنْبِيهًا عَلَى الكُلِّ بالبَعْضِ لِأَنَّ مِنَ المَعْلُومِ عِنْدَ أُوْلِي الأَفْهَامِ أَنَّ الإِخْبَارَ لَيْسَ خَاصًّا بِالهِجْرَةِ بَلْ هُوَ عَامٌّ فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الإِسْلاَمِ .

ثُمَّ أَقُولُ : اِعْلَمْ أَيُّهَا المُرِيدُ الطَّالِبُ ، وَالمُتَوَجِّهُ الرَّاغِبُ أَنَّكَ حِيْنَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَبْعَثَ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ مِنَ الكَلاَمِ المَنْسُوبِ إِلَيَّ لَمْ يَحْضُرْنِي مِنْهُ مَا أَرَاهُ مُنَاسِبًا لِمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ . وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُقَيِّدَ فُصُوْلاً وَجِيْزَةً تَشْتَمِلُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ آدابِ الإِرَادَةِ بِعِبَارَةٍ سَلِسَةٍ ، وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَنِيْ وَإِيَّاكَ وَسَائِرَ الإِخْوَانِ بِمَا يُوْرِدُهُ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ وَيُوْصِلُهُ إِلَيَّ مِمَّا هُنَالِكَ ، فَهُوَ حَسْبِيْ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ .



فَصْـــلٌ

اِعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ الطَّرِيقِ بَاعِثٌ قَوِيٌّ يُقْذَفُ فِي قَلْبِ العَبْدِ يُزْعِجُهُ وَيُقْلِقُهُ وَيَحُثُّهُ عَلىٰ الإِقْبَالِ عَلىٰ اللَّهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ ، وَعَلىٰ الإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنيَا وَعَمَّا الخَلْقُ مَشْغُولُونَ بِهِ مِنْ عَمَارَتِهَا وَجَمْعِهَا وَالتَّمَتُّعِ بِشَهَوَاتِهَا وَالاغْتِرَارِ بِزَخَارِفِهَا .

وَهَذَا البَاعِثُ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ البَاطِنَةِ ، وَهُوَ مِنْ نَفَحَاتِ العِنَايَةِ وَأَعْلَامِ الهِدَايَةِ ، وَكَثِيرًا مَا يُفْتَحُ بِهِ عَلىٰ العَبْدِ عِنْدَ التَّخْوِيفِ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّشْوِيقِ ، وَعِنْدَ النَّظَرِ إِلىٰ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالىٰ وَالنَّظَرِ مِنْهُمْ ، وَقَدْ يَقَعُ بِدُوْنِ سَبَبٍ .

وَالتَّعَرُّضُ لِلنَّفَحَاتِ مَأْمُورٌ بِهِ وَمُرَغَّبٌ فِيهِ وَالانْتِظَارُ وَالارْتِقَابُ بِدُوْنِ التَّعَرُّضِ وَلُزُومِ

البَابِ حُمْقٌ وَغَبَاوَةٌ . كَيْفَ وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا» .

وَمَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهَذَا البَاعِثِ الشَّرِيْفِ فَلْيَعْرِفْ قَدْرَهُ المُنِيْفَ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ الَّتِي لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهَا وَلَا يُبْلَغُ شُكْرُهَا فَلْيُبَالِغْ فِي شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَا مَنَحَهُ وَأَوْلَاهُ ، وَخَصَّهُ بِهِ مِنْ بَيْنِ أَشْكَالِهِ وَأَقْرَانِهِ فَكَمْ مِنْ مُسْلِمٍ بَلَغَ عُمْرُهُ ثَمَانِيْنَ سَنَةً وَأَكْثَرَ لَمْ يَجِدْ هَذَا البَاعِثَ وَلَمْ يَطْرُقْهُ يَوماً مِنَ الدَّهْرِ.

وَعَلَىٰ المُرِيْدِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَقْوِيَتِهِ وَحِفْظِهِ وَإِجَابَتِهِ - أَعْنِي هَذَا البَاعِثَ - فَتَقْوِيَتُهُ بِالذِّكْرِ لِلَّهِ ، وَالْفِكْرِ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَالمُجَالَسَةِ لِأَهْلِ اللَّهِ ، وَحِفْظُهُ بِالبُعْدِ عَنْ مُجَالَسَةِ المَحْجُوبِيْنَ وَالإِعْرَاضِ عَنْ وَسْوَسَةِ الشَّيَاطِينِ ، وَإِجَابَتُهُ بِأَنْ يُبَادِرَ بِالإِنَابَةِ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ ، وَيَصْدُقَ

في الإقْبَالِ عَلىٰ اللّهِ ، وَلَا يَتَوانىٰ وَلَا يُسَوِّفَ وَلَا يَتَبَاطَأَ وَلَا يُؤَخِّرَ وَقَدْ أمْكَنَتْهُ الفُرْصَةُ فَلْيَنْتَهِزْهَا، وَفُتِحَ لَهُ البَابُ فَلْيَدْخُلْ ، وَدَعَاهُ الدَّاعِي فَلْيُسْرِعْ وَلْيَحْذَرْ مِنْ غَدٍ بَعْدَ غَدٍ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَلْيُقْبِلْ وَلَا يَتَثَبَّطْ وَلَا يَتَعَلَّلْ بِعَدَمِ الفَرَاغِ وَعَدَمِ الصَّلَاحِيَّةِ .

قَالَ أبُو الرَّبِيعِ رَحِمَهُ اللّهُ : سِيْرُوا إلىٰ اللهِ عُرْجاً وَمَكَاسِيْرَ وَلَا تَنْتَظِرُوا الصِّحَّةَ فَإِنَّ انْتِظَارَ الصِّحَّةِ بَطَالَةٌ . وَقَالَ ابْنُ عَطَاءِ اللّهِ في الحِكَمِ : إِحَالَتُكَ العَمَلَ عَلىٰ وُجُوْدِ الفَرَاغِ مِنْ رُعُونَاتِ النُّفُوسِ .



فَصْلٌ

وَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الْمُرِيْدُ فِي طَرِيْقِ اللَّهِ تَصْحِيْحُ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جَمِيْعِ الذُّنُوبِ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَظَالِمِ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ فَلْيُبَادِرْ بِأَدَائِهَا إِلَى أَرْبَابِهَا إِنْ أَمْكَنَ وَإِلَّا فَيَطْلُبُ الإِحْلَالَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ الَّذِي تَكُونُ ذِمَّتُهُ مُرْتَهِنَةً بِحُقُوقِ الْخَلْقِ لَا يُمْكِنُهُ السَّيْرُ إِلَى الْحَقِّ.

وَشَرْطُ صِحَّةِ التَّوْبَةِ صِدْقُ النَّدَمِ عَلَى الذُّنُوبِ مَعَ صِحَّةِ الْعَزْمِ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهَا مُدَّةَ الْعُمْرِ ، وَمَنْ تَابَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهِ أَوْ عَازِمٌ عَلَى الْعَوْدِ إِلَيْهِ فَلَا تَوْبَةَ لَهُ.

وَلْيَكُنِ الْمُرِيْدُ عَلَى الدَّوَامِ فِي غَايَةٍ مِنَ الِاعْتِرَافِ بِالتَّقْصِيْرِ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ رَبِّهِ ، وَمَتَى حَزِنَ عَلَى تَقْصِيْرِهِ وَانْكَسَرَ قَلْبُهُ مِنْ أَجْلِهِ

فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ إِذْ يَقُولُ سُبْحَانَهُ : أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي .

وَعَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يَحْتَرِزَ مِنْ أَصْغَرِ الذُّنُوبِ فَضْلاً عَنْ أَكْبَرِهَا أَشَدَّ مِنْ اِحْتِرَازِهِ مِنْ تَنَاوُلِ السُّمِّ الْقَاتِلِ ، وَيَكُونُ خَوْفُهُ لَوْ ارْتَكَبَ شَيْئاً مِنْهَا أَعْظَمَ مِنْ خَوْفِهِ لَوْ أَكَلَ السُّمَّ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَعَاصِيَ تَعْمَلُ فِي الْقُلُوبِ عَمَلَ السُّمِّ فِي الأَجْسَامِ ، وَالْقَلْبُ أَعَزُّ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ جِسْمِهِ بَلْ رَأْسُ مَالِ الْمُرِيدِ حِفْظُ قَلْبِهِ وَعِمَارَتُهُ . وَالْجِسْمُ غَرَضٌ لِلآفَاتِ وَعَمَّا قَرِيبٍ يُتْلَفُ بِالْمَوْتِ ، وَلَيْسَ فِي ذَهَابِهِ إِلّا مُفَارَقَةُ الدُّنْيَا النَّكِدَةِ النَّغِصَةِ وَأَمَّا الْقَلْبُ إِنْ تَلِفَ فَقَدْ تَلِفَتِ الآخِرَةُ فَإِنَّهُ لَا يَنْجُو مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَيَفُوزُ بِرِضْوَانِهِ وَثَوَابِهِ إِلّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

فَصْلٌ

وَعَلَى المُرِيْدِ أَنْ يَجْتَهِدَ في حِفْظِ قَلْبِهِ مِنْ الوَسَاوِسِ وَالآفَاتِ وَالخَوَاطِرِ الرَّدِيَّةِ، وَلْيُقِمْ عَلَى بَابِ قَلْبِهِ حَاجِباً مِنَ المُرَاقَبَةِ يَمْنَعُهَا مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ فَإِنَّهَا إِنْ دَخَلَتْهُ أَفْسَدَتْهُ، وَيَعْسُرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِخْرَاجُهَا مِنْهُ.

وَلْيُبَالِغْ في تَنْقِيَةِ قَلْبِهِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُ نَظَرِ رَبِّهِ مِنَ المَيْلِ إِلَى شَهَوَاتِ الدُّنْيَا، وَمِنَ الحِقْدِ وَالغِلِّ وَالغِشِّ لأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ، وَمِنَ الظَّنِّ السَّوْءِ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلْيَكُنْ نَاصِحاً لَهُمْ رَحِيْماً بِهِمْ مُشْفِقاً عَلَيْهِمْ، مُعْتَقِداً الخَيْرَ فِيهِمْ، يُحِبُّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الخَيْرِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الشَّرِّ.

وَلْتَعْلَمْ أَيُّهَا المُرِيْدُ أَنَّ لِلقَلْبِ مَعَاصِيَ هِيَ أَفْحَشُ وَأَقْبَحُ وَأَخْبَثُ مِنْ مَعَاصِي الجَوَارِحِ وَلَا

يَصْلُحُ القَلْبُ لِنُزُولِ مَعْرِفَةِ اللّٰهِ وَمَحَبَّتِهِ تَعَالَىٰ إِلاَّ بَعْدَ التَّخَلِّي عَنْهَا وَالتَّخَلُّصِ مِنْهَا .

فَمِنْ أَفْحَشِهَا الكِبْرُ وَالرِّيَاءُ وَالحَسَدُ . فَالكِبْرُ يَدُلُّ مِنْ صَاحِبِهِ عَلَىٰ غَايَةِ الحَمَاقَةِ ، وَنِهَايَةِ الجَهَالَةِ وَالغَبَاوَةِ ، وَكَيْفَ يَلِيقُ التَّكَبُّرُ مِمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نُطْفَةٍ مَذِرَةٍ وَعَلَىٰ القُرْبِ يَصِيرُ جِيفَةً قَذِرَةً وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الفَضَائِلِ وَالمحَاسِنِ فَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ وَصُنْعِهِ، لَيْسَ لَهُ فِيهِ قُدْرَةٌ وَلاَ فِي تَحْصِيلِهِ حَوْلٌ وَلاَ قُوَّةٌ ، أَوَلاَ يَخْشَىٰ إِذَا تَكَبَّرَ عَلَىٰ عِبَادِ اللّٰهِ بِمَا آتَاهُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ أَنْ يَسْلُبَهُ مَا أَعْطَاهُ بِسُوءِ أَدَبِهِ وَمُنَازَعَتِهِ لِرَبِّهِ فِي وَصْفِهِ ؟ لِأَنَّ الكِبْرَ مِنْ صِفَاتِ اللّٰهِ الجَبَّارِ المُتَكَبِّرِ .

وأَمَّا الرِّيَاءُ فَيَدُلُّ عَلَىٰ خُلُوِّ قَلْبِ المُرَائِي مِنْ عَظَمَةِ اللّٰهِ وَإِجْلاَلِهِ لِأَنَّهُ يَتَصَنَّعُ وَيَتَزَيَّنُ لِلْمَخْلُوقِينَ وَلاَ يَقْنَعُ بِعِلْمِ اللّٰهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

وَمَنْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ وَأَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ بِذَلِكَ لِيُعَظِّمُوهُ وَيَصْطَنِعُوا إِلَيْهِ المَعْرُوفَ فَهُوَ مُرَاءٍ جَاهِلٌ رَاغِبٌ فِي الدُّنْيَا ، لِأَنَّ الزَّاهِدَ مَنْ لَوْ أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ وَبَذْلِ الأَمْوَالِ لَكَانَ يُعْرِضُ عَنْ ذَلِكَ وَيَكْرَهُهُ ، وَهَذَا يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ فَمَنْ أَجْهَلُ مِنْهُ ؟ وَإِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَطْلُبَ الدُّنْيَا مِنَ المَالِكِ لَهَا وَهُوَ اللَّهُ فَإِنَّ قُلُوبَ الخَلَائِقِ بِيَدِهِ يُقْبِلُ بِهَا عَلَى مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَيُسَخِّرُهَا لَهُ فِيمَا يَشَاءُ .

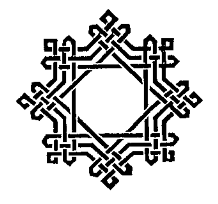
وَأَمَّا الحَسَدُ فَهُوَ مُعَادَاةٌ لِلَّهِ ظَاهِرَةٌ، وَمُنَازَعَةٌ لَهُ فِي مُلْكِهِ بَيِّنَةٌ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ بِنِعْمَةٍ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ مُرِيدٌ لِذَلِكَ وَمُخْتَارٌ لَهُ إِذْ لَا مُكْرِهَ لَهُ تَعَالَى ، فَإِذَا أَرَادَ العَبْدُ خِلَافَ مَا أَرَادَ مَوْلَاهُ فَقَدْ أَسَاءَ الأَدَبَ ، وَاسْتَوْجَبَ العَطَبَ .

ثُمَّ إِنَّ الحَسَدَ قَدْ يَكُوْنُ عَلَىٰ أُمُوْرِ الدُّنْيَا كَالجَاهِ وَالمَالِ ، وَهِيَ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ يُحْسَدَ عَلَيْهَا بَلْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَرْحَمَ مَنْ اِبْتُلِيَ بِهَا وَتَحْمَدَ اللَّهَ الَّذِيْ عَافَاكَ مِنْهَا ، وَقَدْ يَكُونُ عَلَىٰ أُمُوْرِ الآخِرَةِ كَالعِلْمِ وَالصَّلَاحِ .

وَقَبِيْحٌ بِالمُرِيْدِ أَنْ يَحْسِدَ مَنْ وَافَقَهُ عَلَىٰ طَرِيْقِهِ ، وَعَاوَنَهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ ، بَلْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفْرَحَ بِهِ لِأَنَّهُ صَارَ عَوْنَاً لَهُ وَجِنْسَاً يَتَقَوَّىٰ بِهِ ، وَالمؤْمِنُ كَثِيْرٌ بِأَخِيْهِ ، بَلْ الَّذِي يَنْبَغِي لِلْمُرِيْدِ أَنْ يُحِبَّ بِبَاطِنِهِ وَيَجْتَهِدَ بِظَاهِرِهِ فِي جَمْعِ النَّاسِ عَلَىٰ طَرِيْقِ اللَّهِ وَالاِشْتِغَالِ بِطَاعَتِهِ وَلَا يُبَالِيْ أَفَضَلُوْهُ أَمْ فَضَلَهُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ رِزْقٌ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ .

وَفِي القَلْبِ أَخْلَاقٌ كَثِيْرَةٌ مَذْمُومَةٌ ، لَمْ نَذْكُرْهَا حِرْصَاً عَلَىٰ الإِيْجَازِ ، وَقَدْ نَبَّهْنَا

عَلَى أمّهَاتِهَا ، وأمُّ الجَمِيْعِ وَأصْلُهَا وَمَغْرِسُهَا حُبُّ الدُّنْيَا فَحُبُّهَا رَأسُ كُلِّ خَطِيْئَةٍ كَمَا وَرَدَ ، وَإِذَا سَلِمَ القَلْبُ مِنْهُ فَقَدْ صَلَحَ وَصَفَا، وَتَنَوَّرَ وَطَابَ ، وَتَأَهَّلَ لِوَارِدَاتِ الأنْوَارِ وَصَلُحَ لِلمُكَاشَفَةِ بِالأُسْرَارِ.



فَصْلٌ

وَعَلَى الْمُرِيْدِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي كَفِّ جَوَارِحِهِ عَنِ المَعَاصِيْ وَالآثَامِ ، وَلَا يُحَرِّكَ شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا فِي طَاعَةٍ ، وَلَا يَعْمَلُ بِهَا إِلَّا شَيْئًا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي الآخِرَةِ .

وَلْيُبَالِغْ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ فَإِنَّ جِرْمَهُ صَغِيْرٌ وَجُرْمُهُ كَبِيْرٌ ، فَلْيَكُفَّهُ عَنِ الكَذِبِ وَالغِيْبَةِ وَسَائِرِ الكَلَامِ المَحْظُورِ ، وَلْيَحْتَرِزْ مِنَ الكَلَامِ الفَاحِشِ ، وَمِنَ الخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَرَّمًا فَإِنَّهُ يُقَسِّيْ القَلْبَ وَيَكُونُ فِيهِ ضَيَاعُ الوَقْتِ ، بَلْ يَنْبَغِي لِلْمُرِيْدِ أَنْ لَا يُحَرِّكَ لِسَانَهُ إِلَّا بِتِلَاوَةٍ أَوْ ذِكْرٍ أَوْ نُصْحٍ لِمُسْلِمٍ أَوْ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ شَيْءٍ مِنْ حَاجَاتِ دُنْيَاهُ الَّتِيْ يَسْتَعِيْنُ بِهَا عَلَى أُخْرَاهُ ،

وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ «كُلُّ كَلاَمِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لاَ لَهُ إِلاّ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ»

وَاعْلَمْ أَنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلىٰ القَلْبِ يَصِيرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا يَدْخُلُ مِنْهُمَا، وَكَمْ مِنْ شَيْءٍ يَسْمَعُهُ الإِنْسَانُ أَوْ يَرَاهُ مِمَّا لاَ يَنْبَغِي يَصِلُ مِنْهُ أَثَرٌ إِلىٰ القَلْبِ تَعْسُرُ إِزَالَتُهُ عَنْهُ فَإِنَّ القَلْبَ سَرِيعُ التَأَثُّرِ بِكُلِّ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ، وَإِذَا تَأَثَّرَ بِشَيْءٍ يَعْسُرُ مَحْوُهُ عَنْهُ، فَلْيَكُنِ المُرِيدُ حَرِيصاً عَلَىٰ حِفْظِ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ مُجْتَهِداً فِي كَفِّ جَمِيعِ جَوَارِحِهِ عَنِ الآثَامِ وَالفُضُولِ، وَلْيَحْذَرْ مِنَ النَّظَرِ بِعَيْنِ الاِسْتِحْسَانِ إِلىٰ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا فَإِنَّ ظَاهِرَهَا فِتْنَةٌ، وَبَاطِنَهَا عِبْرَةٌ.

وَالعَيْنُ تَنْظُرُ إِلىٰ ظَاهِرِ فِتْنَتِهَا وَالقَلْبُ يَنْظُرُ إِلىٰ بَاطِنِ عِبْرَتِهَا، وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ نَظَرَ إِلىٰ

شَيْءٍ مِنْ زَخَارِفِ الدُّنْيَا فَمَالَ بِقَلْبِهِ إِلَىٰ مَحَبَّتِهَا وَالسَّعْيِ فِي جَمْعِهَا وَعِمَارَتِهَا ، فَيَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا المُرِيدُ أَنْ تَغُضَّ بَصَرَكَ عَنْ جَمِيعِ الكَائِنَاتِ وَلَا تَنْظُرَ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا عَلَىٰ قَصْدِ الِاعْتِبَارِ ، وَمَعْنَاهُ أَنْ تَذْكُرَ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَيْهَا أَنَّهَا تَفْنَىٰ وَتَذْهَبُ وَأَنَّهَا قَدْ كَانَتْ مِنْ قَبْلُ مَعْدُومَةً ، وَأَنَّهُ كَمْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الآدَمِيِّينَ فَذَهَبَ وَبَقِيَتْ هِيَ ، وَكَمْ تَوَارَثَهَا خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ .

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ المَوْجُودَاتِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا نَظَرَ المُسْتَدِلِّ بِهَا عَلَىٰ كَمَالِ قُدْرَةِ مُوجِدِهَا وَبَارِئِهَا سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ جَمِيعَ المَوْجُودَاتِ تُنَادِي بِلِسَانِ حَالِهَا نِدَاءً يَسْمَعُهُ أَهْلُ القُلُوبِ المُنَوَّرَةِ ، النَّاظِرُونَ بِنُورِ اللَّهِ ـ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ .

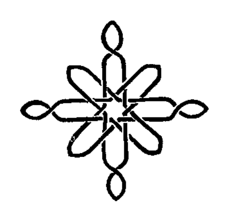
فَصْلٌ

وَيَنْبَغِي لِلْمُرِيدِ أَنْ لَا يَزَالَ عَلَى طَهَارَةٍ ، وَكُلَّمَا أَحْدَثَ تَوَضَّأَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وَإِنْ كَانَ مُتَأَهِّلاً وَأَتَى أَهْلَهُ فَلْيُبَادِرْ بِالاغْتِسَالِ مِنَ الجَنَابَةِ فِي الوَقْتِ ، وَلَا يَمْكُثْ جُنُباً ، وَيَسْتَعِينُ عَلَى دَوَامِ الطَّهَارَةِ بِقِلَّةِ الأَكْلِ ، فَإِنَّ الَّذِي يُكْثِرُ الأَكْلَ يَقَعُ لَهُ الحَدَثُ كَثِيراً فَتَشُقُّ عَلَيْهِ المُدَاوَمَةُ عَلَى الطَّهَارَةِ ، وَفِي قِلَّةِ الأَكْلِ أَيْضاً مَعُونَةٌ عَلَى السَّهَرِ وَهُوَ مِنْ آكَدِ وَظَائِفِ الإِرَادَةِ .

وَالَّذِي يَنْبَغِي لِلْمُرِيدِ أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا عَنْ فَاقَةٍ ، وَلَا يَنَامَ إِلَّا عَنْ غَلَبَةٍ ، وَلَا يَتَكَلَّمَ إِلَّا فِي حَاجَةٍ ، وَلَا يُخَالِطَ أَحَداً مِنَ الخَلْقِ إِلَّا إِنْ كَانَتْ لَهُ فِي مُخَالَطَتِهِ فَائِدَةٌ ، وَمَنْ أَكْثَرَ الأَكْلَ

قَسَا قَلْبُهُ وَثَقُلَتْ جَوَارِحُهُ عَنِ العِبَادَةِ ، وَكَثْرَةُ الأَكْلِ تَدْعُو إِلَىٰ كَثْرَةِ النَّوْمِ وَالكَلَامِ، وَالمُرِيْدُ إِذَا كَثُرَ نَوْمُهُ وَكَلَامُهُ صَارَتْ إِرَادَتُهُ صُوْرَةً لَاحَقِيقَةَ لَهَا ، وَفِي الحَدِيْثِ :

« مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ » .



فَصْلٌ

وَيَنْبَغِي لِلْمُرِيدِ أَنْ يَكُونَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ المَعَاصِي وَالمَحْظُورَاتِ ، وَأَحْفَظَهُمْ لِلفَرَائِضِ وَالمَأْمُورَاتِ ، وَأَحْرَصَهُمْ عَلَى القُرُبَاتِ ، وَأَسْرَعَهُمْ إِلَى الخَيْرَاتِ ، فَإِنَّ المُرِيدَ لَمْ يَتَمَيَّزْ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ بِالإِقْبَالِ عَلَى اللهِ وَعَلَى طَاعَتِهِ ، وَالتَّفَرُّغِ عَنْ كُلِّ مَا يُشْغِلُهُ عَنْ عِبَادَتِهِ .

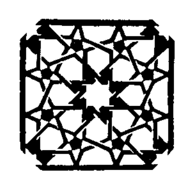
وَلْيَكُنْ شَحِيحاً عَلَى أَنْفَاسِهِ ، بَخِيلاً بِأَوْقَاتِهِ ، لاَ يَصْرِفُ مِنْهَا قَلِيلاً وَلاَ كَثِيراً ، إِلاَّ فِيمَا يُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ ، وَيَعُودُ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ فِي مَعَادِهِ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ وِرْدٌ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ العِبَادَاتِ يُوَاظِبُ عَلَيْهَا ، وَلاَ يَسْمَحُ

بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْهَا فِي عُسْرٍ وَلَا يُسْرٍ ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مَعَ التَّدَبُّرِ لِمَعَانِيهِ ، وَالتَّرْتِيلِ لِأَلْفَاظِهِ ، وَلْيَكُنْ مُمْتَلِئًا بِعَظَمَةِ الْمُتَكَلِّمِ عِنْدَ تِلَاوَةِ كَلَامِهِ ، وَلَا يَقْرَأْ كَمَا يَقْرَأُ الْغَافِلُونَ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَةٍ فَصِيحَةٍ وَأَصْوَاتٍ عَالِيَةٍ وَقُلُوبٍ مِنَ الْخُشُوعِ وَالتَّعْظِيمِ لِلَّهِ خَالِيَةٍ ، يَقْرَأُونَهُ كَمَا أُنْزِلَ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ وَلَا يَدْرُونَ مَعْنَاهُ ، وَلَا يَعْلَمُونَ لِأَيِّ شَيْءٍ أُنْزِلَ ، وَلَوْ عَلِمُوا لَعَمِلُوا ، فَإِنَّ الْعِلْمَ مَا نَفَعَ ، وَمَنْ عَلِمَ وَمَا عَمِلَ فَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَاهِلِ فَرْقٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ إِنَّ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِ آكَدُ ، فَعَلَىٰ هَذَا يَكُونُ الْجَاهِلُ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ . وَلِذَلِكَ قِيلَ : كُلُّ عِلْمٍ لَا يَعُودُ عَلَيْكَ نَفْعُهُ فَالْجَهْلُ أَعْوَدُ عَلَيْكَ مِنْهُ .

وَلْيَكُنْ لَكَ - أَيُّهَا الْمُرِيدُ - حَظٌّ مِنَ التَّهَجُّدِ

فَإنَّ اللَّيْلَ وَقْتُ خَلْوَةِ العَبْدِ مَعَ مَوْلاهُ فَأَكْثِرْ فِيهِ مِنَ التَّضَرُّعِ وَالاِسْتِغْفَارِ ، وَنَاجِ رَبَّكَ بِلِسَانِ الذِّلَّةِ وَالاِضْطِرَارِ ، عَنْ قَلْبٍ مُتَحَقِّقٍ بِنِهَايَةِ العَجْزِ وَغَايَةِ الاِنْكِسَارِ ، وَاحْذَرْ أَنْ تَدَعَ قِيَامَ اللَّيْلِ فَلا يَأْتِيْ عَلَيْكَ وَقْتُ السَّحَرِ إلاَّ وَأَنْتَ مُسْتَيْقِظٌ ذَاكِرٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .



فَصْلٌ

وَكُنْ - أَيُّهَا المُرِيْدُ - فِي غَايَةِ الاِعْتِنَاءِ بِإِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ بِإِتْمَامِ قِيَامِهِنَّ وَقِرَاءَتِهِنَّ وَخُشُوعِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَسَائِرِ أَرْكَانِهِنَّ وَسُنَنِهِنَّ وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ قَبْلَ الدُّخُولِ فِي الصَّلَاةِ عَظَمَةَ مَنْ تُرِيْدُ الوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَلَّ وَعَلَا ، وَاحْذَرْ أَنْ تُنَاجِيَ مَلِكَ المُلُوكِ وَجَبَّارَ الجَبَابِرَةِ بِقَلْبٍ لَاهٍ مُسْتَرْسِلٍ فِي أَوْدِيَةِ الغَفْلَةِ وَالوَسَاوِسِ جَائِلٍ فِي مَيَادِيْنِ الخَوَاطِرِ وَالأَفْكَارِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَتَسْتَوْجِبَ المَقْتَ مِنَ اللَّهِ ، وَالطَّرْدَ عَنْ بَابِ اللَّهِ.

وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «إِذَا قَامَ العَبْدُ إِلَىٰ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ فَإِذَا الْتَفَتَ إِلَىٰ وَرَائِهِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ :

ابْنُ آدَمَ الْتَفَتَ إِلىٰ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنِّيْ ، فَإِنْ الْتَفَتَ الثّانِيَةَ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ فَإِنْ الْتَفَتَ الثَّالِثَةَ أَعْرَضَ اللّهُ عَنْهُ » فَإِذَا كَانَ المُلْتَفِتُ بِوَجْهِهِ الظَّاهِرِ يُعْرِضُ اللّهُ عَنْهُ فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَلْتَفِتُ بِقَلْبِهِ فِي صَلَاتِهِ إِلىٰ حُظُوظِ الدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا ، وَاللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ لَا يَنْظُرُ إِلىٰ الأَجْسَامِ وَالظَّوَاهِرِ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلىٰ القُلُوْبِ وَالسَّرَائِرِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ رُوْحَ جَمِيعِ العِبَادَاتِ وَمَعْنَاهَا إِنَّمَا هُوَ الحُضُورُ مَعَ اللّهِ فِيهَا ، فَمَنْ خَلَتْ عِبَادَتُهُ عَنِ الحُضُورِ ، فَعِبَادَتُهُ هَبَاءٌ مَنْثُوْرٌ .

وَمَثَلُ الذّي لَا يَحْضُرُ مَعَ اللّهِ فِي عِبَادَتِهِ مَثَلُ الذّيْ يُهْدِيْ إِلىٰ مَلِكٍ عَظِيمٍ وَصِيفَةً مَيِّتَةً أَوْ صُنْدُوقاً فَارِغاً ، فَمَا أَجْدَرُهُ بِالعُقُوبَةِ وَحِرْمَانِ المَثُوبَةِ .

فَصْلٌ

وَاحْذَرْ أَيُّهَا المُرِيْدُ كُلَّ الحَذَرِ مِنْ تَرْكِ الجُمُعَةِ وَالجَمَاعَاتِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَادَاتِ أَهْلِ البَطَالَاتِ وَسِمَاتِ أَرْبَابِ الجَهَالَاتِ. وَحَافِظْ عَلَى الرَّوَاتِبِ المَشْرُوعَاتِ قَبْلَ الصَّلَاةِ وَبَعْدَهَا ، وَوَاظِبْ عَلَى صَلَاةِ الوَتْرِ وَالضُّحَى وَإِحْيَاءِ مَا بَيْنَ العِشَاءَيْنِ ، وَكُنْ شَدِيْدَ الحِرْصِ عَلَى عِمَارَةِ مَا بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى الطُّلُوعِ ، وَمَا بَعْدَ صَلَاةِ العَصْرِ إِلَى الغُرُوبِ فَهَذَانِ وَقْتَانِ شَرِيفَانِ تَفِيضُ فِيهِمَا مِنَ اللهِ تَعَالَى الأَمْدَادُ ، عَلَى المُتَوَجِّهِيْنَ إِلَيْهِ مِنَ العِبَادِ .

وَفِي عِمَارَةِ مَا بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ خَاصِّيَّةٌ قَوِيَّةٌ فِي جَلْبِ الأَرْزَاقِ الجِسْمَانِيَّةِ ، وَفِي عِمَارَةِ

مَا بَعْدَ العَصْرِ خَاصِّيَّةً قَوِيَّةً لِجَلْبِ الأَرْزَاقِ القَلْبِيَّةِ ، كَذَلِكَ جَرَّبَهُ أَرْبَابُ البَصَائِرِ مِنَ العَارِفِيْنَ الأَكَابِرِ . وَفِي الحَدِيْثِ « إِنَّ الَّذِيْ يَقْعُدُ فِي مُصَلاَّهُ يَذْكُرُ اللَّهَ بَعْدَ صَلاَةِ الصُّبْحِ أَسْرَعُ فِي تَحْصِيْلِ الرِّزْقِ مِنَ الَّذِيْ يَضْرِبُ فِي الآفَاقِ » أَعْنِيْ يُسَافِرُ فِيهَا لِطَلَبِ الأَرْزَاقِ .



فَصَـــلٌ

وَالَّذِي عَلَيْهِ المُعَوَّلُ فِي طَرِيْقِ اللَّهِ تَعَالَىٰ بَعْدَ فِعْلِ الأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ المَحَارِمِ مُلَازَمَةُ الذِّكْرِ لِلَّهِ فَعَلَيْكَ بِهِ أَيُّهَا المُرِيْدُ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ .

وَالذِّكْرُ الَّذِي يَجْمَعُ جَمِيْعَ مَعَانِي الأَذْكَارِ وَثَمَرَاتِهَا البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ هُوَ قَوْلُ «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ» وَهُوَ الذِّكْرُ الَّذِي يُؤْمَرُ بِمُلَازَمَتِهِ أَهْلُ البِدَايَةِ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النِّهَايَةِ .

وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَذُوقَ شَيْئاً مِنْ أَسْرَارِ الطَّرِيْقَةِ وَيُكَاشَفُ بِشَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الحَقِيْقَةِ فَلْيَعْكِفْ عَلَى الذِّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ، وَأَدَبٍ وَافِرٍ ، وَإِقْبَالٍ صَادِقٍ ، وَتَوْجِيهٍ خَارِقٍ .

فَمَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ المَعَانِي لِشَخْصٍ إِلَّا كُوشِفَ بِالمَلَكُوتِ الأَعْلَىٰ وَطَالَعَتْ رُوحُهُ حَقَائِقَ العَالَمِ الأَصْفَىٰ وَشَاهَدَتْ عَيْنُ سِرِّهِ الجَمَالَ الأَقْدَسَ الأَسْمَىٰ.

وَلْتَكُنْ أَيُّهَا المُرِيْدُ مُكْثِراً مِنَ التَّفَكُّرِ، وَهُوَ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

تَفَكُّرٌ فِي عَجَائِبِ القُدْرَةِ وَبَدَائِعِ المَمْلَكَةِ السَّمَاوِيَّةِ وَالأَرْضِيَّةِ، وَثَمَرَتُهُ المَعْرِفَةُ بِاللّٰهِ.

وَتَفَكُّرٌ فِي الآلَاءِ وَالنِّعَمِ، وَنَتِيْجَتُهُ المَحَبَّةُ لِلّٰهِ.

وَتَفَكُّرٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَحْوَالِ الخَلْقِ فِيْهِمَا، وَفَائِدَتُهُ الإِعْرَاضُ عَنِ الدّنْيَا وَالإِقْبَالُ عَلَىٰ الأُخْرَىٰ، وَقَدْ شَرَحْنَا شَيْئاً مِنْ مَجَارِي الفِكْرِ وَثَمَرَتِهِ فِي رِسَالَةِ المُعَاوَنَةِ فَلْيَطْلُبْهُ مَنْ أَرَادَهُ.

فَصْــــلٌ

وَإِذَا آنَسْتَ مِنْ نَفْسِكَ أَيُّهَا المُرِيدُ تَكَاسُلاً عَنِ الطَّاعَاتِ وَتَثَاقُلاً عَنِ الخَيْرَاتِ فَقُدْهَا إِلَيْهَا بِزِمَامِ الرَّجَاءِ ، وَهُوَ أَنْ تَذْكُرَ لَهَا مَا وَعَدَاللَّهُ بِهِ العَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ مِنَ الفَوْزِ العَظِيمِ وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ وَالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ ، وَالخُلُودِ فِي فَسِيحِ الجِنَانِ ، وَالعِزِّ وَالرِّفْعَةِ وَالشَّرَفِ وَالمَكَانَةِ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ وَعِنْدَ عِبَادِهِ.

وَإِذَا أَحْسَسْتَ مِنْ نَفْسِكَ مَيْلاً إِلَى المُخَالَفَاتِ أَوْ اِلْتِفَاتاً إِلَى السَّيِّئَاتِ فَرُدَّهَا عَنْهَا بِسَوْطِ «الخَوْفِ» وَهُوَ أَنْ تُذَكِّرَهَا وَتَعِظَهَا بِمَا تَوَعَّدَاللَّهُ بِهِ مَنْ عَصَاهُ مِنَ الهَوَانِ وَالوَبَالِ، وَالخِزْيِ وَالنَّكَالِ ،

وَالطَّرْدِ وَالحِرْمَانِ وَالصَّغَارِ وَالخُسْرَانِ .

وَإِيَّاكَ وَالوُقُوعَ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ بَعْضُ الشَّاطِحِينَ مِنَ الاِسْتِهَانَةِ بِشَأْنِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَعَظِّمْ مَا عَظَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .

وَاعْمَلْ لِلَّهِ لِأَنَّهُ رَبُّكَ وَأَنْتَ عَبْدُهُ وَاسْأَلْهُ أَنْ يُدْخِلَكَ جَنَّتَهُ وَأَنْ يُعِيذَكَ مِنْ نَارِهِ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَإِنْ قَالَ لَكَ الشَّيْطَانُ لَعَنَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غَنِيٌّ عَنْكَ وَعَنْ عَمَلِكَ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَتُكَ وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَتُكَ فَقُلْ لَهُ صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ أَنَا فَقِيرٌ إِلَىٰ فَضْلِ اللَّهِ وَإِلَىٰ العَمَلِ الصَّالِحِ ، وَالطَّاعَةُ تَنْفَعُنِي وَالمَعْصِيَةُ تَضُرُّنِي ، بِذَلِكَ أَخْبَرَنِي رَبِّي فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَإِنْ قَالَ لَكَ : إِنْ كُنْتَ سَعِيداً عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّكَ لَا مَحَالَةَ تَصِيرُ إِلَىٰ الجَنَّةِ سَوَاءً كُنْتَ

طَائِعاً أَوْعَاصِياً ، وَإِنْ كُنْتَ شَقِيّاً عِنْدَهُ فَسَوْفَ تَصِيْرُ إِلىٰ النَّارِ وَإِنْ كُنْتَ مُطِيْعاً . فَلاَ تَلْتَفِتْ إِلىٰ قَوْلِهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ السَّابِقَةِ غَيْبٌ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ فِيْهِ شَيْءٌ ، وَالطَّاعَةُ أَدَلُّ دَلِيْلٍ عَلَىٰ سَابِقَةِ السَّعَادَةِ ، وَمَا بَيْنَ الْمُطِيْعِ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ ، وَالْمَعْصِيَةُ أَدَلُّ دَلِيْلٍ عَلَىٰ سَابِقَةِ الشَّقَاءِ ، وَمَا بَيْنَ الْعَاصِيْ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ .



فَصْلٌ

وَاعْلَمْ - أَيُّهَا المُرِيْدُ - أَنَّ أَوَّلَ الطَّرِيْقِ صَبْرٌ وَآخِرَهَا شُكْرٌ ، وَأَوَّلَهَا عَنَاءٌ وَآخِرَهَا هَنَاءٌ ، وَأَوَّلَهَا تَعَبٌ وَنَصَبٌ وَآخِرَهَا فَتْحٌ وَكَشْفٌ وَوُصُوْلٌ إِلَىٰ نِهَايَةِ الأَرَبِ ، وَذَلِكَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَالوُصُولُ إِلَيْهِ وَالأُنْسُ بِهِ وَالوُقُوفُ فِي كَرِيمِ حَضْرَتِهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَمَنْ أَسَّسَ جَمِيْعَ أُمُورِهِ عَلَىٰ الصَّبْرِ الجَمِيْلِ حَصَلَ عَلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ وَوَصَلَ إِلَىٰ كُلِّ مَأْمُولٍ وَظَفِرَ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ .

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّفْسَ تَكُونُ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ أَمَّارَةً تَأْمُرُ بِالشَّرِّ وَتَنْهَىٰ عَنِ الخَيْرِ ، فَإِنْ جَاهَدَهَا الإِنْسَانُ ، وَصَبَرَ عَلَىٰ مُخَالَفَةِ هَوَاهَا صَارَتْ لَوَّامَةً مُتَلَوِّنَةً لَهَا وَجْهٌ إِلَىٰ المُطْمَئِنَّةِ

وَوَجْهُهُ إِلَىٰ الأَمَّارَةِ فَهِيَ مَرَّةً هٰكَذَا وَمَرَّةً هٰكَذَا، فَإِنْ رَفَقَ بِهَا وَسَارَ بِهَا يَقُودُهَا بِأَزِمَّةِ الرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ صَارَتْ مُطْمَئِنَّةً تَأْمُرُ بِالخَيْرِ وَتَسْتَلِذُّهُ وَتَأْنَسُ بِهِ، وَتَنْهَىٰ عَنِ الشَّرِّ وَتَنْفِرُ عَنْهُ وَتَفِرُّ مِنْهُ.

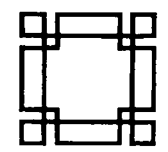
وَصَاحِبُ النَّفْسِ المُطْمَئِنَّةِ يَعْظُمُ تَعَجُّبُهُ مِنَ النَّاسِ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الطَّاعَاتِ مَعَ مَا فِيهَا مِنَ الرَّوْحِ وَالأُنْسِ وَاللَّذَّةِ، وَفِي إِقْبَالِهِمْ عَلَىٰ المَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ مَعَ مَا فِيهَا مِنَ الغَمِّ وَالوَحْشَةِ وَالمَرَارَةِ، وَيَحْسَبُ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ وَيَذُوقُونَ فِي الأَمْرَيْنِ مِثْلَ مَا يَجِدُ وَيَذُوقُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ نَفْسِهِ وَيَذْكُرُ مَا كَانَ يَجِدُ مِنْ قَبْلُ فِي تَنَاوُلِ الشَّهَوَاتِ مِنَ اللَّذَّاتِ وَفِي فِعْلِ الطَّاعَاتِ مِنَ المَرَارَاتِ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَىٰ مَا هُوَ فِيهِ إِلاَّ بِمُجَاهَدَةٍ طَوِيلَةٍ وَعِنَايَةٍ مِنَ اللَّهِ عَظِيمَةٍ.

فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الصَّبْرَ عَنِ المَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ

وَعَلَىٰ مُلازَمَةِ الطَّاعَاتِ هُوَ المُوَصِّلُ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ وَالمُبَلِّغُ إِلَىٰ كُلِّ مَقَامٍ شَرِيفٍ وَحَالٍ مُنِيفٍ ، وَكَيْفَ لاَ وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

وَقَالَ تَعَالَىٰ (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا) وَقَالَ : (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) .

وَفِي الحَدِيثِ « مِنْ أَقَلِّ مَا أُوتِيتُمْ اليَقِينُ وَعَزِيمَةُ الصَّبْرِ وَمَنْ أُوتِيَ حَظَّهُ مِنْهُمَا فَلا يُبَالِي بِمَا فَاتَهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ » .



فَصْلٌ

وَقَدْ يُبْتَلَى المُرِيدُ بِالفَقْرِ وَالفَاقَةِ وَضِيقِ المَعِيْشَةِ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْكُرَاللَّهَ عَلَى ذَلِكَ وَيَعُدَّهُ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ ، لِأَنَّ الدُّنْيَا عَدُوَّةُ وَاللَّهُ يُقْبِلُ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ وَيَصْرِفُهَا عَنْ أَوْلِيَائِهِ ، فَلْيَحْمَدُاللَّهَ الَّذِي شَبَّهَهُ بِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِيْنَ ، فَلَقَدْكَانَ سَيِّدُ المُرْسَلِينَ وَخَيْرُ الخَلْقِ أَجْمَعِيْنَ مُحَمَّدٌ صَلّىاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْبِطُ حَجَراً عَلَى بَطْنِهِ مِنَ الجُوْعِ ، وَقَدْ يَمُرُّ شَهْرَانِ أَوْ أَكْثَرُ مَا تُوَقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ لِطَعَامٍ وَلَا غَيْرِهِ إِنَّمَا يَكُوْنُ عَلَى التَّمْرِ وَالمَاءِ ، وَنَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبْيَاتِهِ التِّسْعِ فَلَمْ يُوجَدْ فِيهَا مَا يُطْعِمُهُ الضَّيْفَ . وَمَاتَ يَوْمَ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ

عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي أَصْوُعٍ مِنْ شَعِيرٍ وَلَيْسَ فِي بَيْتِهِ مَا يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ كَفٌّ مِنْ شَعِيرٍ ، فَلْيَكُنْ قَصْدُكَ - أَيُّهَا الْمُرِيْدُ - وَهِمَّتُكَ مِنَ الدُّنْيَا خِرْقَةً تَسْتُرُ بِهَا عَوْرَتَكَ ، وَلُقْمَةٌ تَسُدُّ بِهَا جَوْعَتَكَ مِنَ الحَلَالِ فَقَطْ .

وَإِيَّاكَ وَالسُّمَّ القَاتِلَ ، وَهُوَ أَنْ تَشْتَاقَ إِلَىٰ التَّنَعُّمِ بِالدُّنْيَا وَتَرْغَبَ فِي التَّمَتُّعِ بِشَهَوَاتِهَا وَتَغْبِطَ الْمُتَنَعِّمِيْنَ بِهَا مِنَ النَّاسِ ، فَسَوْفَ يُسْأَلُونَ عَنْ نَعِيْمِهَا وَيُحَاسَبُونَ عَلَىٰ مَا أَصَابُوهُ وَتَمَتَّعُوا بِهِ مِنْ شَهَوَاتِهَا .

وَلَوْ أَنَّكَ عَرَفْتَ الْمَشَاقَّ الَّتِي يُقَاسُونَهَا وَالغُصَصَ الَّتِي يَتَجَرَّعُونَهَا وَالغُمُومَ وَالهُمُومَ الَّتِي فِي قُلُوبِهِمْ وَصُدُورِهِمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَفِي الحِرْصِ عَلَىٰ تَنْمِيَتِهَا وَالاعْتِنَاءِ بِحِفْظِهَا ، لَكُنْتَ تَرَىٰ ذَلِكَ يَزِيدُ بِأَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ عَلَىٰ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ لَذَّةِ التَّنَعُّمِ بِالدُّنْيَا إِنْ كَانَتْ ثَمَّ لَذَّةٌ ،

وَيكْفِيكَ زَاجِرًا عَنْ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا وَمُزَهِّدًا فِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ (وَلَوْلَآ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) .

وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ ، وَلَوْكَانَتْ تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ » .

وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُنْذُ خَلَقَهَا مَا نَظَرَ إِلَيْهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّزْقَ مُقَدَّرٌ وَمَقْسُومٌ فَمِنَ الْعِبَادِ مَنْ بُسِطَ لَهُ وَوُسِّعَ عَلَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ وَقُتِّرَ ، حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ .

فَإِنْ كُنْتَ - أَيُّهَا الْمُرِيدُ - مِنَ الْمُقَتَّرِ عَلَيْهِمْ

فَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ وَالرِّضَا وَالقَنَاعَةِ بِمَا قَسَمَ لَكَ رَبُّكَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنَ المُوَسَّعِ عَلَيهِمْ فَأَصِبْ كِفَايَتَكَ وَخُذْ حَاجَتَكَ مِمَّا فِي يَدِكَ ، وَاصْرِفْ مَا بَقِيَ فِي وُجُوهِ الخَيْرِ وَسُبُلِ البِرِّ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَتَعَيَّنُ عَلَى الإِنْسَانِ إِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ فِي طَرِيقِ اللّٰهِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَالِهِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ أَوْ يَتْرُكَ حِرْفَتَهُ وَتِجَارَتَهُ إِنْ كَانَ مُحْتَرِفاً أَوْ مُتَّجِراً بَلِ الَّذِي يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ تَقْوَى اللّٰهِ فِيمَا هُوَ فِيهِ وَالإِجْمَالُ فِي الطَّلَبِ بِحَيْثُ لَا يَتْرُكُ فَرِيضَةً وَلَا نَافِلَةً ، وَلَا يَقَعُ فِي مُحَرَّمٍ وَلَا فُضُولٍ لَا تَصْلُحُ الاِسْتِعَانَةُ بِهِ فِي طَرِيقِ اللّٰهِ .

فَإِنْ عَلِمَ المُرِيدُ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ وَلَا يَسْلَمُ دِينُهُ إِلَّا بِالتَّجَرُّدِ عَنِ المَالِ وَعَنِ الأَسْبَابِ أَلْبَتَّةَ لَزِمَهُ ذَلِكَ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ أَزْوَاجٌ أَوْ أَوْلَادٌ تَجِبُ نَفَقَتُهُمْ وَكِسْوَتُهُمْ لَزِمَهُ القِيَامُ بِذَلِكَ

وَالسَّعْيِ لَهُ ، فَإِنْ عَجِزَ عَنْ ذَلِكَ عَجْزاً يَعْذُرُهُ الشَّرْعُ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الحَرَجِ وَسَلِمَ مِنَ الإِثْمِ .

وَاعْلَمْ أَيُّهَا المُرِيدُ أَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ عَلَى مُلاَزَمَةِ الطَّاعَاتِ وَمُجَانَبَةِ الشَّهَوَاتِ وَالإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا إِلاَّ بِأَنْ تَسْتَشْعِرَ فِي نَفْسِكَ أَنَّ مُـدَّةَ بَقَائِكَ فِي الدُّنْيَا أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ ، وَأَنَّكَ عَمَّا قَرِيبٍ تَمُوتُ ، فَتَنْصِبَ أَجَلَكَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ ، وَتَسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ وَتُقَدِّرَ نُزُولَهُ بِكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ .

وَإِيَّاكَ وَطُولَ الأَمَلِ فَإِنَّهُ يَمِيلُ بِكَ إِلَى مَحَبَّةِ الدُّنْيَا ، وَيُثَقِّلُ عَلَيْكَ مُلاَزَمَةَ الطَّاعَاتِ وَالإِقْبَالَ عَلَى العِبَادَةِ وَالتَّجَرُّدَ لِطَرِيقِ الآخِرَةِ ، وَفِي تَقْدِيرِ قُرْبِ المَوْتِ وَقِصَرِ المُدَّةِ الخَيْرُ كُلُّهُ ، فَعَلَيْكَ بِهِ ، وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ .

فَصْلٌ

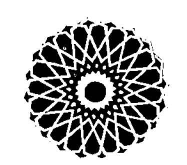
وَرُبَّمَا تَسَلَّطَ الخَلْقُ عَلَىٰ بَعْضِ المُرِيدِينَ بِالإِيذَاءِ وَالجَفَاءِ وَالذَّمِّ ، فَإِنْ بُلِيتَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ وَتَرْكِ المُكَافَأَةِ مَعَ نَظَافَةِ القَلْبِ مِنَ الحِقْدِ وَإِضْمَارِ الشَّرِّ ، وَاحْذَرْ الدُّعَاءَ عَلَىٰ مَنْ آذَاكَ وَلَا تَقُلْ إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ هَذَا بِسَبَبِ أَذَاهُ لِي .

وَأَفْضَلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ الأَذَىٰ العَفْوُ عَنِ المُؤْذِي وَالدُّعَاءُ لَهُ وَذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الصِّدِّيقِينَ . وَعُدَّ إِعْرَاضَ الخَلْقِ عَنْكَ نِعْمَةً عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فَإِنَّهُمْ لَوْ أَقْبَلُوا عَلَيْكَ رُبَّمَا شَغَلُوكَ عَنْ طَاعَتِهِ ، فَإِنْ ابْتُلِيتَ بِإِقْبَالِهِمْ وَتَعْظِيمِهِمْ وَثَنَائِهِمْ وَتَرَدُّدِهِمْ عَلَيْكَ ، فَاحْذَرْ مِنْ فِتْنَتِهِمْ وَاشْكُرِ اللهَ الَّذِي سَتَرَ مَسَاوِيكَ عَنْهُمْ .

ثُمَّ إِنْ خَشِيتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ مِنَ التَّصَنُّعِ وَالتَّزَيُّنِ لَهُمْ وَالاشْتِغَالِ عَنِ اللَّهِ بِمُخَالَطَتِهِمْ فَاعْتَزِلْهُمْ وَأَغْلِقْ بَابَكَ عَنْهُمْ ، وَإِلَّا فَارِقِ المَوْضِعَ الَّذِي عُرِفْتَ بِهِ إِلَىٰ مَوْضِعٍ لَا تُعْرَفُ فِيهِ .

وَكُنْ مُؤْثِرًا لِلْخُمُولِ ، فَارًّا مِنَ الشُّهْرَةِ وَالظُّهُورِ ، فَإِنَّ فِيهِ الفِتْنَةُ وَالمِحْنَةُ . قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : وَاللَّهِ مَا صَدَقَ اللَّهَ عَبْدٌ إِلَّا أَحَبَّ أَنْ لَا يُشْعَرَ بِمَكَانِهِ .

وَقَالَ آخَرُ : مَا أَعْرِفُ رَجُلًا أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ إِلَّا ذَهَبَ دِينُهُ وَافْتَضَحَ .



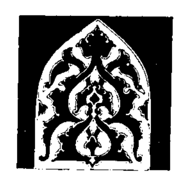
فَصْــــلٌ

وَاجْتَهِدْ أَيُّهَا المُرِيْدُ فِي تَنْزِيْهِ قَلْبِكَ مِنْ خَوْفِ الخَلْقِ وَمِنَ الطَّمَعِ فِيهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْمِلُ عَلَى السُّكُوتِ عَلَى البَاطِلِ وَعَلَى المُدَاهَنَةِ فِي الدِّيْنِ ، وَعَلَى تَرْكِ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وَكَفَى بِهِ ذُلّاً لِصَاحِبِهِ لِأَنَّ المُؤْمِنَ عَزِيْزٌ بِرَبِّهِ لَا يَخَافُ وَلَا يَرْجُو أَحَداً سِوَاهُ.

وَإِنْ وَصَلَكَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكَ المُسْلِمِينَ بِمَعْرُوفٍ مِنْ وَجْهٍ طَيِّبٍ فَخُذْهُ إِنْ كُنْتَ مُحْتَاجاً إِلَيْهِ وَاشْكُرِ اللَّهَ فَإِنَّهُ المُعْطِي حَقِيْقَةً وَاشْكُرْ مَنْ أَوْصَلَهُ إِلَيْكَ عَلَى يَدِهِ مِنْ عِبَادِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ حَاجَةٌ إِلَيْهِ فَانْظُرْ فَإِنْ وَجَدْتَ الأَصْلَحَ لِقَلْبِكَ أَخْذَهُ فَخُذْهُ ، أَوْ رَدَّهُ فَرُدَّهُ بِرِفْقٍ بِحَيْثُ لَا يَنْكَسِرُ قَلْبُ المُعْطِي فَإِنَّ حُرْمَةَ

المُسْلِمِ عِنْدَ اللهِ عَظِيمَةٌ .

وَإِيَّاكَ وَالرَّدَّ لِلشُّهْرَةِ وَالأَخْذَ بِالشَّهْوَةِ ، وَلأَنْ تَأْخُذَهُ بِالشَّهْوَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَرُدَّهُ لِلشُّهْرَةِ بِالزُّهْدِ وَالإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا ، وَالصَّادِقُ لاَ يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ أَمْرٌ ، وَلاَ بُدَّ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ رَبُّهُ نُورًا فِي قَلْبِهِ يَعْرِفُ بِهِ مَا يُرَادُ مِنْهُ .



فَصْلٌ

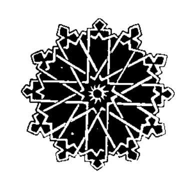
وَمِنْ أَضَرِّ شَيْءٍ عَلَى المُرِيْدِ طَلَبُهُ لِلْمُكَاشَفَاتِ وَاشْتِيَاقُهُ إِلَى الكَرَامَاتِ وَخَوَارِقِ العَادَاتِ ، وَهِيَ لَا تَظْهَرُ لَهُ مَا دَامَ مُشْتَهِيًا لِظُهُورِهَا لِأَنَّهَا لَا تَظْهَرُ إِلَّا عَلَى يَدِ مَنْ يَكْرَهُهَا وَلَا يُرِيْدُهَا غَالِبًا .

وَقَدْ تَقَعُ لِطَوَائِفَ مِنَ المَغْرُورِيْنَ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ وَابْتِلَاءً لِضَعَفَةِ المُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ ، وَهِيَ فِي حَقِّهِمْ إِهَانَاتٌ وَلَيْسَتْ كَرَامَاتٍ ، إِنَّمَا تَكُونُ كَرَامَاتٍ إِذَا ظَهَرَتْ عَلَى أَهْلِ الاِسْتِقَامَةِ ، فَإِنْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ - أَيُّهَا المُرِيْدُ - بِشَيْءٍ مِنْهَا فَاحْمَدْهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ .

وَلَا تَقِفْ مَعَ مَا ظَهَرَ لَكَ وَلَا تَسْكُنْ إِلَيْهِ ، وَاكْتُمْهُ وَلَا تُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ ، وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ

لَكَ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا تَتَمَنَّاهُ وَلَا تَتَأَسَّفْ عَلَى فَقْدِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الكَرَامَةَ الجَامِعَةَ لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الكَرَامَاتِ الحَقِيقِيَّاتِ وَالصُّورِيَّاتِ هِيَ الاِسْتِقَامَةُ المُعَبَّرُ عَنْهَا بِامْتِثَالِ الأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ المَنَاهِي ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَعَلَيْكَ بِتَصْحِيحِهَا وَإِحْكَامِهَا تَخْدُمْكَ الأَكْوَانُ العُلْوِيَّةُ وَالسُّفْلِيَّةُ خِدْمَةً لَا تَحْجُبُكَ عَنْ رَبِّكَ وَلَا تَشْغَلُكَ عَنْ مُرَادِهِ مِنْكَ.



فَصْلُ

وَلْتَكُنْ أَيُّهَا الْمُرِيْدُ حَسَنَ الظَّنِّ بِرَبِّكَ أَنَّهُ يُعِينُكَ وَيَكْفِيكَ وَيَحْفَظُكَ وَيَقِيْكَ وَلاَ يَكِلُكَ إِلَىٰ نَفْسِكَ وَلاَ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ، وَأَخْرِجْ مِنْ قَلْبِكَ خَوْفَ الْفَقْرِ وَتَوَقُّعَ الْحَاجَةِ إِلَىٰ النَّاسِ.

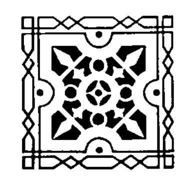
وَاحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الاِهْتِمَامِ بِأَمْرِ الرِّزْقِ وَكُنْ وَاثِقاً بِوَعْدِ رَبِّكَ وَتَكَفُّلِهِ بِكَ، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وَأَنْتَ مِنْ جُمْلَةِ الدَّوَابِّ، فَاشْتَغِلْ بِمَا طَلَبَ مِنْكَ مِنَ الْعَمَلِ لَهُ عَمَّا ضَمِنَ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ فَإِنَّ مَوْلاَكَ لاَ يَنْسَاكَ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ أَنَّ رِزْقَكَ عِنْدَهُ وَأَمَرَكَ بِطَلَبِهِ مِنْهُ بِالْعِبَادَةِ.

فَقَالَ تَعَالَىٰ : (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ) . أَمَا تَرَاهُ سُبْحَانَهُ يَرْزُقُ الكَافِرِينَ بِهِ الَّذِيْنَ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ ؟ أَفَتَرَاهُ لَا يَرْزُقُ المُؤْمِنِينَ الَّذِيْنَ لَا يَعْبُدُونَ سِوَاهُ ، وَيَرْزُقُ العَاصِينَ لَهُ وَالمُخَالِفِينَ لِأَمْرِهِ أَوَلَا يَرْزُقُ المُطِيعِينَ لَهُ المُكْثِرِينَ مِنْ ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ ؟ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ بِالحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ عَلَى الوَجْهِ المَأْذُونِ لَكَ فِيهِ شَرْعًا وَإِنَّمَا البَأْسُ وَالحَرَجُ فِي عَدَمِ سُكُونِ القَلْبِ وَاهْتِمَامِهِ وَاضْطِرَابِهِ وَمُتَابَعَتِهِ لِأَوْهَامِهِ ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى خَرَابِ القَلْبِ اهْتِمَامُ الإِنْسَانِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي وَقْتٍ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ العَدَمِ كَاليَوْمِ المُقْبِلِ وَالشَّهْرِ الآتِي ، وَقَوْلُهُ : إِذَا نَفِدَ هَذَا فَمِنْ أَيْنَ يَجِئُ غَيْرُهُ ، وَإِذَا لَمْ يَجِئْ الرِّزْقُ مِنْ هَذَا الوَجْهِ فَمِنْ أَيِّ وَجْهٍ يَأْتِي ؟

وَأَمَّا التَّجَرُّدُ عَنِ الأَسْبَابِ وَالدُّخُولُ فِيهَا

فَهُمَا مَقَامَانِ يُقِيمُ اللَّهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يَشَاءُ. فَمَنْ أُقِيمَ فِي التَّجَرُّدِ فَعَلَيْهِ بِقُوَّةِ اليَقِينِ وَسِعَةِ الصَّدْرِ وَمُلَازَمَةِ العِبَادَةِ. وَمَنْ أُقِيمَ فِي الأَسْبَابِ فَعَلَيْهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَبَبِهِ وَبِالِاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ دُونَهُ، وَلْيَحْذَرْ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَقَدْ تَرِدُ عَلَى المُرِيْدِ خَوَاطِرُ فِي أَمْرِ الرِّزْقِ وَفِي مُرَاءَاةِ الخَلْقِ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ وَلَيْسَ مَلُومًا وَلَا مَأْثُومًا عَلَيْهَا إِذَا كَانَ كَارِهًا لَهَا وَمُجْتَهِدًا فِي نَفْيِهَا مِنْ قَلْبِهِ.



فَصَـــلُ

وَلْتَكُنْ لَكَ - أَيُّهَا المُرِيْدُ - عِنَايَةٌ تَامَّةٌ بِصُحْبَةِ الأَخْيَارِ وَمُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ الأَبْرَارِ. وَكُنْ شَدِيْدَ الحِرْصِ عَلَىٰ طَلَبِ شَيْخٍ صَالِحٍ مُرْشِدٍ نَاصِحٍ، عَارِفٍ بِالشَّرِيْعَةِ، سَالِكٍ لِلطَّرِيقَةِ، ذَائِقٍ لِلْحَقِيقَةِ، كَامِلِ العَقْلِ وَاسِعِ الصَّدْرِ، حَسَنِ السِّيَاسَةِ عَارِفٍ بِطَبَقَاتِ النَّاسِ مُمَيِّزٍ بَيْنَ غَرَائِزِهِمْ وَفِطَرِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ.

فَإِنْ ظَفِرْتَ بِهِ فَأَلْقِ نَفْسَكَ عَلَيْهِ وَحَكِّمْهُ فِي جَمِيْعِ أُمُورِكَ وَارْجِعْ إِلَىٰ رَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ فِي كُلِّ شَأْنِكَ وَاقْتَدِ بِهِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ إِلاّ فِيمَا يَكُونُ خَاصاً مِنْهَا بِمَرْتَبَةِ المَشْيَخَةِ، كَمُخَالَطَةِ النَّاسِ وَمُدَارَاتِهِمْ وَدَعْوَةِ القَرِيْبِ وَالبَعِيْدِ إِلَىٰ اللهِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَتُسَلِّمُهُ لَهُ،

وَلَا تَعْتَرِضْ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِ لَا ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا وَإِنْ وَقَعَ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ مِنَ الخَوَاطِرِ فِي جِهَتِهِ فَاجْتَهِدْ فِي نَفْيِهِ عَنْكَ فَإِنْ لَمْ يَنْتَفِ فَحَدِّثْ بِهِ الشَّيْخَ لِيُعَرِّفَكَ وَجْهَ الخَلَاصِ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ تُخْبِرُهُ بِكُلِّ مَا يَقَعُ لَكَ خُصُوصًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالطَّرِيقِ.

وَاحْذَرْ أَنْ تُطِيعَهُ فِي العَلَانِيَّةِ وَحَيْثُ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَطَّلِعُ عَلَيْكَ وَتَعْصِيهِ فِي السِّرِّ وَحَيْثُ لَا يَعْلَمُ فَتَقَعُ فِي الهَلَاكِ.

وَلَا تَجْتَمِعْ بِأَحَدٍ مِنَ المَشَايِخِ المُتَظَاهِرِينَ بِالتَّسْلِيكِ إِلَّا عَنْ إِذْنِهِ، فَإِنْ أَذِنَ لَكَ فَاحْفَظْ قَلْبَكَ وَاجْتَمِعْ بِمَنْ أَرَدْتَ وَإِنْ لَمْ يَأْذَنْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ آثَرَ مَصْلَحَتَكَ فَلَا تَتَّهِمْهُ وَتَظُنَّ بِهِ الحَسَدَ وَالغَيْرَةَ، مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَصْدُرَ عَنْ أَهْلِ اللَّهِ وَخَاصَّتِهِ مِثْلُ ذَلِكَ.

وَاحْذَرْ مِنْ مُطَالَبَةِ الشَّيْخِ بِالكَرَامَاتِ

وَالمُكَاشَفَةِ بِخَوَاطِرِكَ فَإِنَّ الغَيْبَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللّٰهَ ، وَغَايَةُ الوَلِيِّ أَنْ يُطْلِعَهُ اللّٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ الغُيُوبِ فِي بَعْضِ الأَحيَانِ ، وَرُبَّمَا دَخَلَ المُرِيْدُ عَلَىٰ شَيْخِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُكَاشِفَهُ بِخَاطِرِهِ فَلَا يُكَاشِفَهُ وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ وَمُكَاشَفٌ بِهِ صِيَانَةً لِلسِّرِّ وَسَتْرًا لِلحَالِ فَإِنَّهُمْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَىٰ كِتْمَانِ الأَسْرَارِ وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ التَّظَاهُرِ بِالكَرَامَاتِ وَالخَوَارِقِ وَإِنْ مُكِّنُوا مِنْهَا وَصُرِّفُوا فِيهَا .

وَأَكْثَرُ الكَرَامَاتِ الوَاقِعَةِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ وَقَعَتْ بِدُوْنِ اخْتِيَارِهِمْ ، وَكَانُوا إِذَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ يُوصُونَ مَنْ ظَهَرَ لَهُ أَنْ لَا يُحَدِّثَ بِهِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنَ الدُّنْيَا ، وَرُبَّمَا أَظْهَرُوا مِنْهَا شَيْئًا اخْتِيَارًا لِمَصْلَحَةٍ تَزِيْدُ عَلَىٰ مَصْلَحَةِ السَّتْرِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْخَ الكَامِلَ هُوَ الَّذِي يُفِيْدُهُ

بِهِمَّتِهِ وَفِعْلِهِ وَقَوْلِهِ وَيَحْفَظُهُ فِي حُضُورِهِ وَغَيْبَتِهِ. وَإِنْ كَانَ المُرِيْدُ بَعِيداً عَنْ شَيْخِهِ مِنْ حَيْثُ المَكَانُ، فَلْيَطْلُبْ مِنْهُ إِشَارَةً كُلِّيَّةً فِيمَا يَأْتِي مِنْ أَمْرِهِ وَيَتْرُكُ. وَأَضَرُّ شَيْءٍ عَلَى المُرِيْدِ تَغَيُّرُ قَلْبِ الشَّيْخِ عَلَيْهِ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَى إِصْلاحِهِ بَعْدَ ذَلِكَ مَشَايِخُ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ لَمْ يَسْتَطِيعُوهُ إِلَّا أَنْ يَرْضَى عَنْهُ شَيْخُهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُرِيْدِ الَّذِي يَطْلُبُ شَيْخاً أَنْ لَا يُحَكِّمَ فِي نَفْسِهِ كُلَّ مَنْ يُذْكَرُ بِالمَشْيَخَةِ وَتَسْلِيكِ المُرِيْدِينَ حَتَّىٰ يَعْرِفَ أَهْلِيَّتَهُ وَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي لِلشَّيْخِ إِذَا جَاءَ المُرِيْدُ يَطْلُبُ الطَّرِيْقَ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْتَبِرَ صِدْقَهُ فِي طَلَبِهِ، وَشِدَّةِ تَعَطُّشِهِ إِلَى مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى رَبِّهِ.

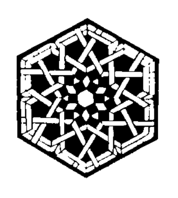
وَهَذَا كُلُّهُ فِي شَيْخِ التَّحْكِيمِ، وَقَدْ شَرَطُوا عَلَى المُرِيْدِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ كَالمَيِّتِ بَيْنَ

يَدَيِّ الغَاسِلِ وَكَالطِّفْلِ مَعَ أُمِّهِ ، وَلاَ يَجْرِي هَذَا فِي شَيْخِ التَّبَرُّكِ ، وَمَهْمَا كَانَ قَصْدُ المُرِيْدِ التَّبَرُّكَ دُونَ التَّحْكِيمِ فَكُلَّمَا أَكْثَرَ مِنْ لِقَاءِ المَشَايِخِ وَزِيَارَتِهِمْ وَالتَّبَرُّكِ بِهِمْ كَانَ أَحْسَنَ .

وَإِذَا لَمْ يَجِدِ المُرِيْدُ شَيْخًا فَعَلَيْهِ بِمُلاَزَمَةِ الجِدِّ وَالاِجْتِهَادِ مَعَ كَمَالِ الصِّدْقِ فِي الاِلْتِجَاءِ إِلَى اللَّهِ وَالاِفْتِقَارِ إِلَيْهِ فِي أَنْ يُقَيِّضَ لَهُ مَنْ يُرْشِدُهُ ، فَسَوْفَ يُجِيبُهُ مَنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ ، وَيَسُوقُ إِلَيْهِ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ مِنْ عِبَادِهِ .

وَقَدْ يَحْسِبُ بَعْضُ المُرِيْدِينَ أَنَّهُ لاَ شَيْخَ لَهُ فَتَجِدُهُ يَطْلُبُ الشَّيْخَ وَلَهُ شَيْخٌ لَمْ يَرَهُ ، يُرَبِّيهِ بِنَظَرِهِ وَيُرَاعِيهِ بِعَيْنِ عِنَايَتِهِ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ ، وَعِنْدَ التَّنَاصُفِ مَا ذَهَبَ إِلاَّ الصِّدْقُ ، وَإِلاَّ فَالمَشَايِخُ المُحَقِّقُونَ مَوْجُودُونَ ، وَلَكِنْ سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدَّلِيلَ عَلَى

أَوْلِيَائِهِ إِلاَّ مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ وَلَمْ يُوصِلْ إِلَيْهِمْ إِلاَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَيْهِ .



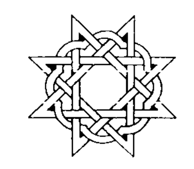
تَتِـــمَّةٌ

وَإِذَا أَرَدْتَ ـ أَيُّهَا الْمُرِيْدُ ـ مِنْ شَيْخِكَ أَمْرًا أَوْ بَدَا لَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَلاَ يَمْنَعُكَ إِجْلاَلُهُ وَالتَّأَدُّبُ مَعَـهُ عَنْ طَلَبِهِ مِنْهُ وَسُؤَالِهِ عَنْهُ ، وَتَسْأَلُهُ الْمَرَّةَ وَالْمَرَّتَيْنِ وَالثَّلاَثَ ، فَلَيْسَ السُّكُوتُ عَنِ السُّؤَالِ وَالطَّلَبِ مِنْ حُسْنِ الأَدَبِ ، اللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ يُشِيْرَ عَلَيْكَ الشَّيْخُ بِالسُّكُوتِ وَيَأْمُرَكَ بِتَرْكِ السُّؤَالِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْكَ امْتِثَالُهُ .

وَإِذَا مَنَعَكَ الشَّيْخُ عَنْ أَمْرٍ أَوْ قَدَّمَ عَلَيْكَ أَحَدًا فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَّهِمَهُ ، وَلْتَكُنْ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ مَا هُوَ الأَنْفَعُ وَالأَحْسَنُ لَكَ ، وَإِذَا وَقَعَ مِنْكَ ذَنْبٌ وَوَجَدَ عَلَيْكَ الشَّيْخُ بِسَبَبِهِ فَبَادِرْ بِالاِعْتِذَارِ إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبِكَ حَتَّى يَرْضَى عَنْكَ .

وَإِذَا أَنْكَرْتَ قَلْبَ الشَّيْخِ عَلَيْكَ كَأَنْ فَقَدْتَ مِنْهُ بِشْرًا كُنْتَ تَأْلَفُهُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، فَحَدِّثْهُ بِمَا وَقَعَ لَكَ مِنْ تَخَوُّفِكَ تَغَيُّرَ قَلْبِهِ عَلَيْكَ فَلَعَلَّهُ تَغَيَّرَ عَلَيْكَ لِشَيْءٍ أَحْدَثْتَهُ فَتَتُوبُ عَنْهُ ، أَوْ لَعَلَّ الَّذِي تَوَهَّمْتَهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الشَّيْخِ وَأَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ إِلَيْكَ لِيَسُوءَكَ بِهِ ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشَّيْخَ رَاضٍ عَنْكَ سَكَنَ قَلْبُكَ بِخِلَافِ مَا إِذَا لَمْ تُحَدِّثْهُ وَسَكَتَّ بِمَعْرِفَةٍ مِنْكَ بِسَلَامَةِ جِهَتِكَ .

وَإِذَا رَأَيْتَ الْمُرِيدَ مُمْتَلِئًا بِتَعْظِيمِ شَيْخِهِ وَإِجْلَالِهِ مُجْتَمِعًا بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ عَلَىٰ اعْتِقَادِهِ وَامْتِثَالِهِ وَالتَّأَدُّبِ بِآدَابِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَرِثَ سِرَّهُ أَوْ شَيْئًا مِنْهُ إِنْ بَقِيَ بَعْدَهُ .



خاتمة

نذكر فيها شيئاً من أوصاف المريد الصادق

قَالَ بَعْضُ العَارِفِيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَنَفَعَنَا بِهِمْ أَجْمَعِينَ :

● لَا يَكُونُ المُرِيْدُ مُرِيدًا حَتَّىٰ يَجِدَ فِي القُرْآنِ كُلَّ مَا يُرِيْدُ ، وَيَعْرِفَ النُّقْصَانَ مِنَ المَزِيْدِ ، وَيَسْتَغْنِيَ بِالمَوْلَىٰ عَنِ العَبِيْدِ ، وَيَسْتَوِيَ عِنْدَهُ الذَّهَبُ وَالصَّعِيْدُ .

● المُرِيْدُ مَنْ حَفِظَ الحُدُودَ ، وَوَفَّىٰ بِالعُهُودِ ، وَرَضِيَ بِالمَوْجُودِ ، وَصَبَرَ عَنِ المَفْقُودِ .

● المُرِيْدُ مَنْ شَكَرَ عَلَىٰ النَّعْمَاءِ ، وَصَبَرَ عَلَىٰ البَلَاءِ ، وَرَضِيَ بِمُرِّ القَضَاءِ ، وَحَمِدَ رَبَّهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَأَخْلَصَ لَهُ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَىٰ .

• المُرِيدُ مَنْ لَا تَسْتَرِقُّهُ الأَغْيَارُ ، وَلَا تَسْتَعْبِدُهُ الآثَارُ ، وَلَا تَغْلِبُهُ الشَّهَوَاتُ ، وَلَا تَحْكُمُ عَلَيْهِ العَادَاتُ . كَلَامُهُ ذِكْرٌ وَحِكْمَةٌ ، وَصَمْتُهُ فِكْرَةٌ وَعِبْرَةٌ ، يَسْبِقُ فِعْلُهُ قَوْلَهُ وَيُصَدِّقُ عِلْمَهُ عَمَلُهُ ، شِعَارُهُ الخُشُوعُ وَالوَقَارُ ، وَدِثَارُهُ التَّوَاضُعُ وَالاِنْكِسَارُ ، يَتَّبِعُ الحَقَّ وَيُؤْثِرُهُ ، وَيَرْفُضُ البَاطِلَ وَيُنْكِرُهُ ، يُحِبُّ الأَخْيَارَ وَيُوَالِيهِمْ ، وَيُبْغِضُ الأَشْرَارَ وَيُعَادِيهِمْ ، خُبْرُهُ أَحْسَنُ مِنْ خَبَرِهِ ، وَمُعَاشَرَتُهُ أَطْيَبُ مِنْ ذِكْرِهِ ، كَثِيرُ المَعُونَةِ ، خَفِيفُ المُؤُونَةِ ، بَعِيدٌ عَنِ الرُّعُونَةِ . أَمِينٌ مَأْمُونٌ ، لَا يَكْذِبُ وَلَا يَخُونُ ، لَا بَخِيلاً وَلَا جَبَانًا ، وَلَا سَبَّابًا وَلَا لَعَّانًا ، وَلَا يَشْتَغِلُ عَنْ بُدِّهِ ، وَلَا يَشِحُّ بِمَا فِي يَدِهِ . طَيِّبُ الطَّوِيَّةِ ، حَسَنُ النِّيَّةِ ، سَاحَتُهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ نَقِيَّةٌ ، وَهِمَّتُهُ فِيمَا يُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ عَلِيَّةٌ ، وَنَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا أَبِيَّةٌ ،

لَا يُصِرُّ عَلَى الهَفْوَةِ ، وَلَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ بِمُقْتَضَى الشَّهْوَةِ ، قَرِينُ الوَفَاءِ وَالفُتُوَّةِ ، حَلِيفُ الحَيَاءِ وَالمُرُوَّةِ ، يُنْصِفُ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا يَنْتَصِفُ لَهَا مِنْ أَحَدٍ . إِنْ أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِنْ مُنِعَ صَبَرَ ، وَإِنْ ظَلَمَ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ ، وَإِنْ ظُلِمَ عَفَا وَغَفَرَ ، يُحِبُّ الخُمُولَ وَالاِسْتِتَارَ ، وَيَكْرَهُ الظُّهُورَ وَالاِشْتِهَارَ ، لِسَانُهُ عَنْ كُلِّ مَالَا يَعْنِيهِ مَخْزُونٌ ، وَقَلْبُهُ عَلَى تَقْصِيرِهِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ مَحْزُونٌ ، لَا يُدَاهِنُ فِي الدِّينِ وَلَا يُرْضِي المَخْلُوقِينَ بِسُخْطِ رَبِّ العَالَمِينَ ، يَأْنَسُ بِالوِحْدَةِ وَالاِنْفِرَادِ ، وَيَسْتَوْحِشُ مِنْ مُخَالَطَةِ العِبَادِ ، وَلَا تَلْقَاهُ إِلَّا عَلَى خَيْرٍ يَعْمَلُهُ ، أَوْ عِلْمٍ يُعَلِّمُهُ ، يُرْجَى خَيْرُهُ ، وَلَا يُخْشَى شَرُّهُ ، وَلَا يُؤْذِي مَنْ آذَاهُ ، وَلَا يَجْفُو مَنْ جَفَاهُ ، كَالنَّخْلَةِ تُرْمَى بِالحَجَرِ فَتَرْمِي بِالرُّطَبِ ، وَكَالأَرْضِ يُطْرَحُ عَلَيْهَا كُلُّ قَبِيحٍ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا كُلُّ

مَلِيْحٍ ، تَلُوحُ أَنْوَارُ صِدْقِهِ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ ، وَيَكَادُ يُفْصِحُ مَا يُرَىٰ عَلَىٰ وَجْهِهِ عَمَّا يُضْمِرُ فِي سَرَائِرِهِ ، سَعْيُهُ وَهِمَّتُهُ فِي رِضَا مَوْلَاهُ ، وَحِرْصُهُ وَنَهْمَتُهُ فِي مُتَابَعَةِ رَسُوْلِهِ وَحَبِيبِهِ وَمُصْطَفَاهُ ، يَتَأَسَّىٰ بِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، وَيَقْتَدِي بِهِ فِي أَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ، مُمْتَثِلاً لِأَمْرِ رَبِّهِ العَظِيْمِ فِي كِتَابِهِ الكَرِيْمِ حَيْثُ يَقُولُ : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ، (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَاليَومَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) ، (وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) ، (إِنَّ الَّذِيْنَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) ، (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ، (فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ) .

فَتَرَاهُ فِي غَايَةِ الحِرْصِ عَلَىٰ مُتَابَعَةِ نَبِيِّهِ مُمْتَثِلاً لِأَمْرِ رَبِّهِ وَرَاغِبًا فِي الوَعْدِ الكَرِيمِ وَهَارِبًا مِنَ الوَعِيدِ الأَلِيمِ الوَارِدَيْنِ فِي الآيَاتِ الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا وَفِيمَا لَمْ نُورِدْهُ مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهَا المُشْتَمِلَةِ عَلَىٰ البِشَارَةِ بِغَايَةِ الفَوْزِ وَالفَلَاحِ لِلْمُتَّبِعِينَ لِلرَّسُولِ ، وَعَلَىٰ النَّذَارَةِ بِغَايَةِ الخِزْيِ وَالهَوَانِ لِلمُخَالِفِينَ لَهُ .

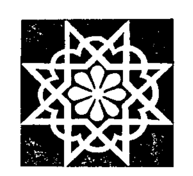
(اللّٰهُمَّ) إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ الحَنَّانُ المَنَّانُ بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ أَنْ تَرْزُقَنَا كَمَالَ المُتَابَعَةِ لِعَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَخْلَاقِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَتُحْيِينَا وَتُمِيتَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

(اللّٰهُمَّ) رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ

وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ (سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ). (لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) .

• • •

تَمَّتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ لِلْمُرِيْدِ المَخْصُوصِ مِن رَبهِ المَجِيدِ بِالتَّثْبِيتِ وَالتَّأْيِيْدِ وَالتَّسْدِيدِ ، وَكَانَ بِحَمْدِ اللَّهِ إِمْلاَؤُهَا فِي سَبْعِ لَيَالٍ أَوْ ثَمَانٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ .



الفهرس

صحيفة

الدَّعوةُ التَّامَّةُ

وَالتَّذكِرَةُ العَامَّة

لِلإمَام شيخ الإسلام قُطب الدَّعوة وَالإرشَاد

الحبيب عبدالله بن علوي الحدّاد الحضرمي الشّافعي

رحمه الله تعالى




الدَّعوةُ التَّامَّةُ
والتَّذكِرةُ العامَّة



الطبعة الرابعة
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
مصححة ومنقحة

تعريف موجز عن الإمام الشهير عبد الله بن علوي بن محمد الحداد

هو سيدنا الإمام العلامة الداعي إلى الله بقوله وفعله قطب الارشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد ولد رضي الله عنه بالسبير من ضواحي مدينة تريم بحضرموت ليلة الخميس ٥ صفر سنة ١٠٤٤هـ وتربى في تريم وقد كف بصره وهو صغير فعوضه الله عنه بنور البصيرة وجد واجتهد في طلب العلوم النافعة وعكف على علماء عصره في مقدمة مشايخه سيدنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس والحبيب العلامة عقيل بن عبد الرحمن السقاف والحبيب العلامة عبد الرحمن بن شيخ عيديد والحبيب العلامة سهل بن أحمد باحسن الحديلي باعلوي ومن مشايخه أيضا الإمام العلامة عالم مكة المكرمة السيد محمد بن علوي السقاف.

ثم نصبه الله للدعوة والإرشاد داعيا إلى الله تعالى

بالحكمة والموعظة الحسنة فأقبل عليه الناس وانتشر
صيته في البلدان وانتفع به القاصي والداني فنفع الله
به الكثير وأرشد الجم الغفير وانتشرت دعوته في كل مكان
وانتفع الناس بوعظه وكتبه وأخذ عنه الجم الغفير
فمن كبار تلامذته ابنه سيدنا الحبيب حسن بن عبدالله الحداد
والحبيب أحمد بن زين الحبشي والحبيب عبدالرحمن بن عبدالله
بلفقيه والحبيبين محمد وعمر أبناء زين بن سميط والحبيب عمر بن
عبدالرحمن البار والحبيب علي بن عبدالله بن عبدالرحمن السقاف
والحبيب محمد بن عمر بن طه الصافي السقاف وغيرهم العدد الكثير.
وله مؤلفات كثيرة جمعت النصائح والمواعظ والحكم وانتشرت
انتشاراً كبيراً وكتب لها القبول والمحبة ونفع الله بها الناس
وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى لغات أجنبية في العصر الحاضر
مثل الإنجليزية والفرنسية. ومؤلفاته غنية عن التعريف

ومشهورة لدى الكبير والصغير ومنها النصائح الدينية. والدعوة التامة ورسالة المعاونة وغيرها من الوصايا والرسائل ومجموع كلامه تثبيت الفؤاد وديوانه العظيم الدر المنظوم الجامع للحكم والعلوم ووصاياه ومكاتباته وأكثر مؤلفاته مطبوعة وأقبل عليها الناس إقبالاً شديداً وأعجب بها العلماء والعارفون وجعلوها بمنزلة الغذاء يقرؤون فيها في كثير من الأوقات وقالوا عنها أنها جمعت الخلاصة والزبدة من كلام الإمام حجة الإسلام الغزالي ولا يستغني عنها كل مسلم فهي وجيزة وجامعة ونفع الله بها ببركة مؤلفها الإمام الحداد رضي الله عنه وكان رضي الله عنه قد سافر إلى الحرمين الشريفين وأدى النسكين وزار جده سيد الكونين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك في عام ١٠٧٩ هجرية واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين الذين اغتبطوا به وعرفوا قدره وأثنوا عليه .

ولم يزل يدعوا الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة حتى وفاته إلى رحمة الله تعالى فتوفي ليلة الثلاثاء ٧ ذو القعدة عام ١١٣٢ هجرية ودفن بمقبرة زنبل بتريم رحمه الله رحمة واسعة ورضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه في الدارين آمين .

طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف

حرر الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٤١٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ .

سُبْحَانَكَ ! لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ .

الحمد لله ذي الجلال والإكرام ، الملك القدُّوس السلام ، المؤمن المهيمن العلاَّم . الذي منَّ علينا بأن هدانا إلى الإيمان والإسلام ، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس والأنام . وبيَّن لنا في كتابه العزيز المبين ، وعلى لسان رسوله الصادق الأمين ، شرائع الدين من الحدود والأحكام ، ومناهج الحلال والحرام . وميز لنا بين الحق والباطل ، والهدى والضلالة ، والطاعات والآثام ، فَوضَحت بذلك المحجة للسالكين المهتدين ، وقامت به الحجة على التاركين المعتدين . وله سبحانه وتعالى النعمة السابغة ، والحجة البالغة على جميع العالمين من كل خاص وعام . خلق الخلق لما يشاء ،

واستعملهم فيما يشاء ، رحمة وفضلاً ، وحكمة وعدلاً .
ونوَّعهم في ذلك وفي غيره من أحوالهم وأفعالهم وسِيَرِهم ،
وصوّرهم على أنواع ، وقسمهم فيه على أقسام ؛ ليدل بذلك
على عظيم قدرته الباهرة ، وعلمه المحيط ، ومشيئته القاهرة ،
وشؤونه الباطنة والظاهرة . وليس في شيء من ذلك بجائر على
عبيده ولا بظلاَّم . لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. خلق الجنة
وخلق لها أهلاً ؛ فهم بعمل أهل الجنة يعملون . وخلق النار
وخلق لها أهلاً ؛ فهم بعمل أهل النار يعملون . وهم في جميع
ذلك لا يَخلقون شيئاً وهم يُخلقون ، ولا يملكون لأنفسهم
ضرّاً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً. وليسوا بذلك
في حال تقصيرهم عن القيام بحقه ، والإمتثال لأمره ، والوفاء
بعهده ، ولا في ارتكاب نهيه ، والعمل بمعصيته ، يُعذَرون ؛
مهما كانوا مختارين وغير مستكرَهين ولا مقهورين ولا
مجبورين . وقد هلك المتنطِّعون والمتعمقون ، والمترخِّصون
المحتجُّون على ربهم ، الذين قال فيهم عزَّ من قائل :
﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[1] [الأنعام : ٦/١١٦]

---

(١) يكذبون .

فله سبحانه الحَول والطَّول[1] ، والفضل والإحسان ، والمنّ والإنعام . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمدٍ عبدِهِ ورسولِهِ، الذي أرسله رحمة للعالمين ، وختم به النبيين ، وجعله سيدَ المرسلين ، وأكرمَ السابقين واللاحقين ، وأوّل الشافعين المشفّعين ، وعلى أهل بيته الطاهرين الكرام ، وعلى أصحابه الأئمة الأعلام ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم البعث والقيام، والحشر إلى الله والحساب والوزن ، والعبور على الجسر الذي تَثبت عليه أقدام وتَزِل عنه أقدام ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم : ١٤/٢٧] ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] والسخط والانتقام ، ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [إبراهيم : ١٤/٢٣] . اللهم إن بك العياذَ واللياذ ، والاستعانة والاعتصام . نعوذ بك اللهم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ومن شر كل شيطان مارد ، وجبار معاند ، وباغ وحاسد ، ومن شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج

---

(١) الحول (بسكون الواو) : القدرة . والطول (بفتح الطاء) : الغنى والسعة.

فيهـا ، وأنـت الـرحيـم الغفـور . تجيـرُ ولا يُجـار عليـك ، ولا مَنْجَىٰ منك إلا إليك . اللهم ٱهدنا بهداك ، واجعلنا ممن يسارع في رضاك . ولا تولّنا وليًّا سواك ، ولا تجعلنا ممن خالف أمرك وعصاك . وحسبنا الله ونعم الوكيل . ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم . ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ١١/٨٨] ، ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٤/٤٥] ، ﴿ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال : ٨/٤٠] ، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة : ٢/٢٥٥] ، الذي تفرَّد بالقِدَم ، وتوحَّد بالبقاء والدوام .

أما بعد : فهذا مؤلَّف مبارك ـ إن شاء الله ـ ومجموع جمعناه بعون الله ، ذكرنا فيه نُبَذاً وأطرافاً من النصائح والوصايا ، والآداب العلمية والعملية ، التي يتعين ويتأكد الأخذ بها ، والاتصاف بحقائقها ومعانيها ، وقصدنا بذلك النصيحة والوصية والتأديب لأنفسنا ولإخواننا في الدين من المؤمنين والمسلمين ـ وفقنا الله وإياهم لمرضاته ، وجعلنا وإياهم ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته ، ويشكره ويذكره ذكراً كثيراً ، ويسبحه بكرة وأصيلاً ـ والأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى ، والمرء حيث قَصْده لا حيث جسمه ،

و ﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٧/ ٨٤] ، ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص : ٢٨/ ٦٩] ، ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٢٨/ ٧٠] . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[١] الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « من غزا وهو لا ينوي إلَّا عِقالًا فله ما نوى »[٢] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرُش[٣] ، ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله ليؤيد هذا الدِّينَ بالرجل الفاجر ، وبأقوام لا خلاق لهم »[٤] اللهم اجعل ما علّمتنا حجة

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه واللفظ له ، عن أبي هريرة .

(٢) راواه أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت . والمراد : أنه لا ينوي إلا الغنيمة .

(٣) أي الذين يموتون على فرشهم ، وهم على نية الجهاد في سبيل الله . أو يموتون في طاعون ، أو بغرق أو حرق ، أو داء بطن .

(٤) رواه الطبراني في الكبير عن عمرو بن النعمان بدون قوله : « بأقوام لا خلاق لهم » . وفي رواية له عن ابن عمرو : « إن الله ليؤيد الإسلام برجال ما هم من أهله » .
وقوله : « لا خلاق لهم » : أي لا نصيب لهم في الخير .

لنا ومحجة إلى رضاك وجنتك ، ولا تجعله حجة علينا ، ولا سبيلاً إلى سخطك ولا إلى النار التي هي دار عقوبتك . اللهم انفعنا بما علمتنا ، وعلِّمنا ما ينفعنا . والحمد لله على كل حال ، ونعوذ بالله من أحوال أهل النار . وقد سمينا هذا التأليف :

« الدعوة التامة والتذكرة العامة »

ورتبناه على مقدمة ، وذِكر ثمانية أصناف ، وخاتمة .

فأما المقدمة :

فنذكر فيها شرح الدعوة إلى الله وإلى دينه وسبيله .

وأما الأصناف :

- **فالصنف الأول :** العلماء .
- **والصنف الثاني :** أهل الزهد والعبادة .
- **والصنف الثالث :** أهل المُلك والسلطنة ونحوُهم .
- **والصنف الرابع :** أهل التجارات والصناعات ونحوهم .
- **والصنف الخامس :** أهل الفقر والضعف والمسكنة .

● **والصنف السادس** : الأتباع من الأولاد والنساء والمماليك .

● **والصنف السابع** : أهل الطاعة وأهل المعصية من العامة .

● **والصنف الثامن** : من لم يستجب لدعوة الله ورسوله ولم يؤمن بالله واليوم الآخر .

وأما الخاتمة :

فتكاد تنعطف على نصيحة هؤلاء الأصناف الثمانية على وجه وجيز ، وعلى نصائح ومواعظ ورقائق ، وبتمامها يتم الكتاب ، والله هو الهادي إلى الحق والصواب ، ومنه نسأل العون والتأييد ، ونستمد التوفيق والتسديد ؛ هو ربي لا إلٰه إلَّا هو عليه توكلت وإليه متاب .

وهذا أوان الشروع في المقصود ، وبالله الاستعانة وعليه البلاغ ، لا إلٰه غيره ولا رب سواه ، ولا معبود ولا مقصود إلَّا إياه ، وله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان ، أولًا وآخراً ، وظاهــراً وباطناً ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٥٧/٣] .

* * *

المقدّمة

وَنذكرُ فيهَا الدَّعوَة إلى الله تَعَالى وَإلى دِينِهِ وَسَبيلِهِ ، والأمر بذلكَ وَفضْله وَالحَثّ عَليه ، وَفيهَا التّنبيهُ على مَسَائِل مُهِمَّة ، وَفوائِد جَمَّة .

قال الله العلي العظيم ، القوي المتين ، في كتابه العزيز المبين ، لرسوله الصادق الأمين : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٦/ ١٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٢/ ١٠٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٤١/ ٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٤] .

فالدعاء إلى الله وإلى سبيله ودينه وطاعته .. وَصْفُ الأنبياء والمرسلين ودأبهم ، وبه وله بعثهم الله وأمرهم وأوصاهم ، وعليه حثَّهم وحرَّضهم ، وعلى ذلك اتبعهم واقتدى بهم ورثتهم من العلماء العاملين والأولياء الصالحين من عباد الله المؤمنين ؛ فلم يزالوا على كل حال ، وفي كل زمان وحينٍ ، يدعون الناس إلى سبيل الله وطاعته ، بأقوالهم وأفعالهم ، على غاية من التشمير والجد في ذلك ؛ ابتغاءً لمرضاة الله ، وشفقة على عباد الله ، ورغبة في ثواب الله ، واقتداءً برسول الله ﷺ . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مِثلُ أجور من اتّبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتّبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً »[1] وقد قال عليه الصلاة والسلام : « الدال على الخير كفاعله »[2] .

وما ورد من الآيات والأخبار والآثار في الأمر بالدعاء إلى

---

(١) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة .

(٢) رواه البزار عن ابن مسعود ، والطبراني عنه ، وعن سهل بن سعد .

الله وإلى سبيله ، وفي فضل ذلك ، كثيرة شهيرة .

وكُلُّ ما ورد في فضل نشر العلم وتعلمه ، وفي فضل الوعظ والتذكير ، بل وفي فضل الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل ومندرج في فضل الدعاء إلى الله تعالى وإلى سبيله ؛ فإن جميع ذلك من أنواعه وأقسامه .

ومن قصَّر عن الدعاء إلى الله وإلى دينه من المتأهلين له مع التمكن منه ، فإنه داخل تحت عموم الوعيد الوارد في حق مَنْ كتم ما أنزل الله من البينات والهدى ، وفي ذلك وعيد شديد ، وعذاب وبيل ، وذم من الله بليغ ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٩] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٧٤ _ ١٧٥] .

وقد أخذ الله المواثيق والعهود على الذين آتاهم كتابه وعِلمه وحكمته في أن يدعوا عباده إلى ذلك ، ويبينوه لهم ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ

لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

وقال رسول الله ﷺ : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »[١] . والسؤال بلسان المقال ظاهر جلي ، ولا يبعد أن يكون السؤال بلسان الحال مثله أو قريباً منه ، وقد قيل : « لسان الحال أفصح من لسان المقال » .

فإذا رأى ونظر العالم بدين الله ، المذكِّر بأيام الله ، الداعي إلى سبيل الله إلى الجاهلين بالعلم ، الغافلين عن الآخرة ، المقبلين على الدنيا ، لم يسعه إلا أن يبين لهم ما يجب عليهم من حق الله ، ويلزمهم من طاعته وإقامة أمره ، واجتناب معصيته وركوب نهيه .

فأما العلماء المقصرون ، الذين قد غلب عليهم التفريط والتخليط فليس يهمهم ذلك ، وربما لم يخطر لهم على بال ؛ لأنهم قد شاركوا الجهال في الإضاعة والإهمال ، وسيِّىء الأعمال والأقوال . فليسوا يتميزون عليهم إلا بصورة العلم ورسومه ، التي على ألسنتهم وظواهرهم ، فليس أولئك من

---

(١) رواه أحمد عن أبي هريرة .

أئمة الهدى ، ولا مِن دعاة الخير ، ولا أدلاء الطريق إلى الله الملك العظيم . بل قد يكون منهم من يكون هو السبب في جراءة العامة وتجاسرهم ، واسترسالهم فيما لا خير فيه من الأقوال والأفعال التي تُسخِط الله ورسوله . وذلك أن العامة إذا رأوا المنسوبين إلى العلم والدين ، يتهاونون ويتساهلون في إقامة أمر الله وفرائضه ، ولا يسارعون في طاعته ربما حملهم ذلك على الإِهمال والإِضاعة لأمور الدين ؛ بل ربما جرَّأهم ذلك على الوقوع في المُهلِكات والجرائم والموبقات ؛ فصار العلماء الكائنون بهذه المثابة من دعاة الشر وأئمة الضلالة ، من حيث يعلمون أو من حيث لا يعلمون . فنعوذ بالله من الانعكاس والانتكاس ، ونسأله العافية من كل محذور وبأس ، لنا ولأحبابنا وللمسلمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

ثم إنه ليس يسع أهلَ الحق والدين من العلماء الراسخين ، الناصحين لله ورسوله وللمسلمين ، بعد ما قد رأوا وشاهدوا بالعِيان من إعراض العامة عن العلم والهدى ، وعن إقامة الأمور الإلٰهية ، والفرائض الدينية ، وركوب المحرمات الشرعية ، والرضا بالجهل بدلًا من العلم ، والضلالة عوضاً

عن الهدى ، والباطل خَلَفاً عن الحق ؛ مع الإكباب على الشهوات ، والسعي في نيل الحظوظ الفانيات ، وإيثار الدنيا على الآخرة ، والرضا بما يَذهَب ويَفنىٰ بدلًا عما يدوم ويبقى ، أن يسكتوا عن أمرهم ونصيحتهم ، وإقامة أمر الله فيهم ، ودعوتهم إلى الهدى والخير ، ونهيهم عن الشر والمنكر . وأن يبذلوا في ذلك وُسْعَهم واستطاعتهم ، ويستفرغوا في ذلك جُهدَهم وطاقتهم ؛ فإن ذلك واجب عليهم إما على الأعيان ، وإما على الكفاية ؛ ليس لهم في ذلك عذر ، ولا في تركه سَعة ، وقد علَّمهم الله علمه ، واستحفظهم دينه ، وأورثهم كتابه وسنة رسوله ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « العلماء ورثة الأنبياء . إن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورَّثوا العلم »[1] الحديث . وفي خبر آخر : « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل »[2] . وكان يُبعَث في بني إسرائيل

---

(١) رُوي عن أنس كما في الجامع الصغير : « العلماء ورثة الأنبياء » . روى أحمد والأربعة وآخرون عن أبي الدرداء مرفوعاً ما رواه المصنف ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وحسنه بعضهم وضعفه آخرون لاضطراب سنده ؛ لكن له شواهد وله طرق يُعرَف بها أن له أصلاً ؛ كما قاله الحافظ ابن حجر ـ اهـ . عجلوني .

(٢) جَزَمَ بأنه حديث، الفخر الرازي، وابن قدامة والأسنوي والبازري وآخرون .=

النبيُّ بعد النبي بعد النبي مجددين لشريعة موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وداعين لهم إلى إقامتها ، ومحرضين على العمل بها ، ومخوِّفين لهم من إضاعة أمر الله وركوب نهيه ، وذلك بوحي من الله يوحيه إليهم ، كما يَعرف ذلك مَن نظر في أخبارهم وقصصهم ، إلى أن بعث الله عيسى بن مريم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بشريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام فكفر به بنو إسرائيل وكذبوه ، وبَهَتوا أمه عليها السلام[1] . ثم وقعت الفَتْرة بعد عيسى عليه السلام ، إلى أن بعث الله عبده ورسوله محمداً ﷺ سيدَ ولد آدم ، بالقرآن والشريعة الجامعة ، الناسخة لِمَا تقدمها من الشرائع ، فكفرت به اليهود والنصارى ، وكذبوه إلَّا من شاء الله منهم .

ولما جعل الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه خاتِمَ النبيين والمرسلين ، فقال عزّ من قائل : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣/ ٤٠] فختم به النبوة والرسالة ، وجعله كمالَها

= ولكن قال السيوطي في « الدرر » وابن حجر : لا أصل له ـ اهـ. عجلوني.

(١) كذبوا عليها بأقوال باطلة .

وتمامها . كما قد جعل به ابتداءها وافتتاحها جعل به انتهاءها وختامها ، فليس بعده نبي ولا رسول ، جعل بفضله وجميل طَوله وامتنانه من علماء أمته الذين هم ورثته وخلفاؤه وحملة شريعته ، والأهمُّ في دينه ، من يُشبِه أنبياء بني إسرائيل من بعض الوجوه أو من أكثرها وإن كانت النبوة لا سبيل إليها، ولا مطمع فيها بعد رسول الله ﷺ بحال ، والسبيل إليها مسدود . وأيضاً فالاكتساب والاجتهاد لا يوصل إليها ، ولا تُنال به ولا في الوقت الممكن وقوعها فيه ، وذلك من قبل بعث محمد صلوات الله عليه ، وقد ختم النبوة والرسالة به .

فحيث كان الأمر على حسَب ما قد علمتَ وسمعت ، جعل الله في هذه الأمة المحمدية الدعاةَ إلى الهدى ، والمجددين لما اندرس من أعلام الدين ، وانطمس من معالم اليقين ، ووقع التقصير فيه والغفلة عنه من إقامة الأوامر الإلٰهية والنواهي الشرعية .

وإلى ذلك يشير ما روي عنه ﷺ أنه قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مئة سنة » .

قال العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ : فكان على رأس المائة الأولى الخليفةُ الصالح « **عمر بن عبد العزيز الأموي القرشي** »

ـ رحمه الله[١] ـ .

وعلى رأس المائة الثانية الإمامُ « **محمد بن إدريس الشافعي المطلبي** » ـ رحمه الله[٢] ـ .

وعلى رأس المائة الثالثة الإمام « **ابن سريج الشافعي** »[٣] أو الشيخ « **أبو الحسن الأشعري** »[٤] .

وعلى رأس المائة الرابعة القاضي « **أبو بكر الباقلاني المالكي** »[٥] أو الشيخ « **أبو حامد الاسفرايني الشافعي** »[٦] .

وعلى رأس المائة الخامسة الإمام حجة الإسلام « **أبو حامد الغزالي** »[٧] .

ووقع الخلاف في المجدد على رأس المائة السادسة ، والسابعة ، والثامنة ، والتاسعة ، والعاشرة ، التي بتمامها يتم

---

(١) المتوفىٰ سنة ١٠١هـ .
(٢) المتوفىٰ سنة ٢٠٤هـ .
(٣) وهو الملقب بالباز الأشهب المتوفى سنة ٣٠٦هـ ببغداد .
(٤) المتوفىٰ سنة ٣٢٤هـ .
(٥) المتوفىٰ سنة ٤٠٣هـ .
(٦) المتوفىٰ ببغداد سنة ٤٠٦هـ .
(٧) المتوفىٰ سنة ٥٠٥هـ .

الألف من حين هجرته ﷺ ، وبها وقع ابتداء التاريخ في خلافة أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » بإشارة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ .

وكذا وقع اختلاف في المجدد على رأس المائة الثالثة والمائة الرابعة ، كما أشرنا إلى بعض ذلك . وذكر الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في كلام له على معنى هذا الخبر الوارد فيمن يجدد لهذه الأمة دينها على رأس كل مائة سنة ، أنه محتمل أن يكون المجددون على رأس كل مائة سنة جماعة من العلماء الأئمة ، يحصل بمجموعهم التجديد للدين . وهذا الذي ذكره محتمل من حيث اللفظ والمعنى . وحيث لم يذكر السلف الصالح فيمن قد عينوه وعرفوه لتجديد القرون الأُوَل سوى واحد على احتمال فيه أو مع اختلاف ؛ فصار ما ذكره الحافظ السيوطي مما يُتوقف فيه ، وقد طال العهد بالوقوف على ما ذكره . والذي يظهر ويقع في الخاطر أن هذا حاصله ، والله هو العليم الخبير .

ويكون هذا التجديد من خواص هذه الأمة المحمدية ، لكون نبيها لا نبيَّ بعده ولا رسول ـ صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ـ وقد بلغنا أنه لما قُبِض

رسول الله ﷺ وانقطع الوحي بموته ، شكت الأرض إلى ربها أنه لا يمشي عليها بعده نبي ؛ فجعل الله في هذه الأمة الأوتاد والأبدال ، وأمثالَهم من أولياء الله وأهل معرفته الذين هم ورثة الأنبياء وخلفاؤهم ، وحتى إنه قد ورد : أن منهم مَن قلبه على مثل قلب إبراهيم الخليل عليه السلام وغيرِه من أنبياء الله وملائكته عليهم السلام ، على وِفق ما ورد في الأخبار والآثار الواردة في هذا الباب .

وفي الحديث : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم مَن خَذَلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » ، وفيه « ليجدنَّ ابن مريم قوماً من أمتي هم مثل حوارييه » الخبر .

وفي كلام أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ . اللهم لا تخلو الأرض من قائم لك بحجة ، إما ظاهر مشهور ، أوخاملٍ مقهور ، إلى آخر ما روي عنه .

فدل ما ذكرناه وما لم نذكره مما في معناه على أنه : لا يزال في هذه الأمة من يدعو إلى الله وإلى سبيله ، وإقامة دينه وحفظ أمره في كل زمان ومكان . وإن فسد الزمان وغلب الباطل ، وتظاهر أهلِ البغي والعدوان ، فإن الدين مؤيَّد بتأييد

الله ، وظاهر بإظهار الله ؛ كما قال عزَّ من قائل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٩/ ٣٣] .

ثم إنه لا عذر للجاهل في ترك طلبِ ما فرض الله عليه من العلم ؛ كما قال صلوات الله وسلامه عليه : « طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلم » ولا عذر لعالم في ترك تعليم ما علَّمه الله من العلم المفروض تَعَلُّمُه ، إما على العين وإما على الكفاية .

والعلم الذي في ذكره ونشره النفع للخاص والعام : هو العلم الذي يدعو من الدنيا إلى الآخرة ، ومن المعصية إلى الطاعة ، ومن الغفلة إلى اليقظة . ويكون ذكر ذلك وإيراده مقروناً بالوعظ والتذكير ، والتخويف والتحذير ، وبيان الوعد والوعيد ، وما أعد الله من أنواع المثوبات لأهل الطاعات والإحسان ، ومن أنواع العقوبات لأهل الإساءة والعصيان ، على نحو ما شرحه الله وبيّنه في آيات القرآن ، وعلى لسان رسوله المبعوث بالهدى والبيان ؛ فبمثل ذلك ترق القلوب وتخشع ، وتنقاد النفوس وتخضع ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا

رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ [التوبة : ٩/ ١٢٢] ، وفي حديث حنظلة رضي الله عنه حين قال لرسول الله ﷺ : نكون عندك فتذكِّرنا بالجنة والنار ، حتى كأنا نراها رأي عين ما يُنبِّه على ذلك .

فترى كتاب الله وسنة رسوله مشحونين بذكر الترغيب والترهيب ، والتبشير والتحذير في خلال الآيات والأحاديث التي فيها شرح الأحكام وبيانها .

وكانت مجالس العلماء العاملين والأئمة المهتدين معمورة بذلك ، وكان منهم جماعة يقعدون على الكراسي ويجتمع عليهم الجم الغفير من المسلمين ، فيعظونهم ويذكِّرونهم بأيام الله وبآلائِهِ ، ويحثونهم على إقامة أوامره واجتناب نواهيه . وكان الناس ينتفعون بذلك ، وتظهر عليهم الآثار المحمودة من الخوف والبكاء ، والمسارعة إلى التوبة والرجوع إلى الله ، وذلك معروف ومشهور من سِيَرِهم سلفاً وخلفاً ؛ مثل : الجنيد ابن محمد[١] سيد الطائفة في زمنه ، وأبي حمزة البغدادي ، ويحيى بن معاذ الرازي[٢] ـ من المتقدمين ـ . ومثل : الإمام

---

(١) المتوفى ببغداد سنة ٢٩٧هـ .

(٢) المتوفى بنيسابور سنة ٢٥٨هـ .

الغزالي ، والشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني[1] والشيخ السُّهْرَوَرْدي[2] صاحب العوارف ـ من المتأخرين ـ وأمثال هؤلاء من أئمة الدين ودعاة الخير وأدلاء الطريق ، إلى أن ضعف هذا الأمر ، وقلت الدعوة إلى الله ؛ فغلبت الغفلة على العامة ، واستولى عليهم الإعراض عن الآخرة ، والإقبال على الدنيا وزخارفها ؛ لقلة المذكِّرين ، والدعاةِ إلى الله على البصيرة واليقين ، حتى صارت مجالس المنسوبين إلى العلم والدين في مثل مجالس الغافلين المعرضين المشغولين بحديث الدنيا وذكر أحوال أهلها ؛ فلذلك عم البلاء ، واستطال الداء ، وخرِست ألسن المذكِّرين بالله ، وغلب الجهل والغفلة على عامة الناس ، حتى توهم من ليس له علم بأحوال من مضى من أهل الحق والهدى : أن الشأن على مثل ذلك كان ، وهيهات هيهات ! ولا مردَّ لما قد ذهب وفات ! ذهب العلم بذَهاب أهله وذَهاب الطالبين له والراغبين فيه ، وفي الحديث الصحيح : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض أهله ؛ حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ

---

(١) المتوفى ببغداد سنة ٥٦١هـ .

(٢) المتوفى سنة ٦٣٢هـ . ببغداد . ويكنى أبا حفص .

الناس رُؤوساً جهالًا ، إذا سئلوا أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »[1] .

فانظر كيف صار نطق هؤلاء الجهال المترسِّمين أضر على الناس من سكوتهم ! تعرف به فرق ما بين علماء الدين الذين هم ورثة الأنبياء وأئمة الهدى ، وبين الجهال المتشبهين بهم والمترسمين برسومهم في رأي العين وظواهر الأحوال ، هؤلاء ينفعون الناس بعلمهم ، ويهدون الناس بهديهم ، ويبينون للناس سبيل ربهم وما فيه فوزهم ونجاتهم في معادهم ومعاشهم . والآخرون يضلون الناس بفتواهم ، ويلبِّسون عليهم أمرهم .

وسيأتي فيما بعد مزيد شرح في أحوال الجهال المترسمين المتشبهين بالعلماء في ظواهر أحوالهم مع إفلاسهم عن حقائق العلم والتقوى ، وإخفاقهم من بضائع الدين والهدى من طوائف المغرورين الذين غرتهم الحياة الدنيا ، وغلب عليهم اتباع الهوىٰ المشار إليه بقوله عزَّ من قائل : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

(١) رواه أصحاب السنن عن ابن عمر .

صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٨/١٠٣ـ ١٠٤] وقد ظهرت البدع والمحدثات ، وفشت المنكرات ، واستولت الغفلة والإعراض عن الله وعن الدار الآخرة على الخاص والعام ؛ فلم يبق عذر لأهل الحق والدين من أهل العلم واليقين في السكوت عن بيان الحق والهدى ، والدعاء إلى الله وإلى سبيله بالأقوال والأفعال ، والسعي بكل مستطاع وممكن في إماتة البدع والمحدثات وإزالة المنكرات ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إذا ظهرت الفتن ـ أو قال البدع ـ وسُبَّ أصحابي فليُظْهِرَ العالِمُ علمه ؛ فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلًا »[1] .

وقد تَعرِض لبعض أهل العلم أوهام فتمنعه وتصدُّه عن الدعوة إلى الحق والنشر للعلم .

منها أن يقول إني غير عامل بعلمي ، فكيف أعلِّمُه وأدعوْ إليه ! وقد ورد من الوعيد في ذلك ما لا يزيد عليه ؛ فيقال له : التعليم للعلم من جملة العمل به ، والذي يعلِّم ولا يعمل بعلمه خير بكثير من الذي لا يعمل ولا يعلِّم ، وإذا لم تقدر

(١) الصرف التوبة ، والعدل الفدية وقيل غير ذلك .

على الخير كله فلا تعجز عن القيام ببعضه ، وعليك أن تعلِّم ، وعليك أن تجتهد وتعزم على العمل بما تعلِّم . ولا شك أن الوعيد الوارد في حق من يعلِّم الناس ولا يعمل بما يعلّم هو ألزم وأجدر بالذي لا يعمل ولا يعلِّم ؛ لأن الأول فرض الله عليه فريضتين فقام بإحداهما وقصر عن الأخرى ، والثاني ترك الفريضتين جميعاً فهو بالوعيد أولى وبالعقوبة أحرى .

ومنها أن يقول في نفسه : إن الدعاء إلى الله والإرشاد لعباد الله تعالى مرتبة رفيعة ، ومنزلة شريفة ، هي من شأن أئمة الهدى والدين ووظيفتهم ، وأنا لست كذلك ولا من أهله ! فيحمله استصغاره لنفسه ، واحتقاره لها ، وتواضعه وانخفاضه على السكوت عن الدعاء إلى الله والقيام بوظيفة الإرشاد ، ويتوهم أن ذلك من التواضع المحمود ومعرفة الإنسان بقدر نفسه ووقوفه عند حدِّه ! وهذا من التوهمات الفاسدة ؛ لأن الحق لا يمنع عن الحق ، والخير لا يصرف عن الخير ؛ فعليه أن يجتهد ويشمِّر في الدعاء إلى الهدى ، والدلالة على الخير مع التواضع والخضوع ، والاستشعار للخشية والخشوع ، والاعتراف بالتقصير واحتقار النفس ؛ وذلك هو الكمال ، والجمع لأوصاف الرجال الذين لا تصدُّهم وساوس الشيطان

ولا تصرفهم تخيلاته وتلبيساته ، وترويجه للشر في معرض الخير .

ومنها أعني تلك الأوهام أن يشغل العالِم نفسه وأوقاته بمواصلة الأوراد ، وتتابع الوظائف من العبادات : من تلاوة وذكر ونحو ذلك . ويرى أن ذلك أفضل له ، وأولى به من الدعاء إلى الله وإلى سبيله ، ونشر العلم النافع في الدين .

والحق أن الدعوة إلى الله ، والنشر للعلم النافع مع الإخلاص لله فيه ، أفضل من العبادات اللازمة من نوافل الصلوات والأذكار ؛ لما في العلم من تعدِّي النفع واحتياج الخاص والعام والصغير والكبير إليه ، وفي الحديث « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي »[1] . وفي حديث آخر : « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب »[2] .

ومع ذلك فلا ينبغي للعالم الداعِي إلى الله أن يهجر الأوراد ويقصِّر عن وظائف العبادات ؛ بل ينبغي له أن يجعل لها أوقاتاً

---

(١) رواه الترمذي عن أبي أُمامة .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية عن معاذ .

تخصها ، ويُحسِن التفرغ للعبادات فيها خصوصاً بالليل وأوقات النهار التي لا ينشَط فيها لنشر العلم ، أو لا يحضر فيها الطالبون المستفيدون ، وقد قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ : اطلبوا هذا العلم طلباً لا يضر بالعبادة ، واطلبوا هذه العبادة طلباً لا يضر بالعلم . وقد كان الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ يقسِّم الليل أثلاثاً : ثلثاً للصلاة ، وثلثاً لدراسة العلم ، وثلثاً للنوم ، وقد ذكر حجة الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب ترتيب الأوراد من الإحياء كيفيةً في ترتيب أوقات العالِم وتوزيعها تخصه ، فليتمسّك العالم بما ذكره هنالك ، وليعمل عليه . والله يتولى هداه .

وهذه التوهمات التي ذكرناها وما في معناها مما لم نذكر قد يقع لبعض العلماء العاملين الموصوفين بتقوى الله وخشيته .

وأما التوهمات والحسبانات التي تقع للعلماء المترسِّمين ، الذين لم يتحققوا بتقوى الله وخشيته ، ولم يحرصوا على العمل بعلمهم فأمور كثيرة ، كلها ترجع إلى أحوال أهل الغفلة والتخليط ، فتصدهم عن الدعوة إلى سبيل الله ، وعن نشر العلم ابتغاء وجه الله ؛ مثل الاشتغال بأحوال

دنياهم وأمور معاشهم ، ومداهنة أهل الباطل من وجوه أهل الدنيا ومراعاتهم ، ومثل التسويف وتزجية الأوقات من حين إلى حين[1] ، ومثل الإبقاء منهم على ستر أحوالهم وتقصيرهم فيتوهمون أنهم إذا دعوا إلى الله وإلى الدار الآخرة وهم على خلاف ذلك تبيَّن للناس نقصهم وسوء أفعالهم وقبيح سيرهم ؛ فيسقطون بسبب ذلك من أعين الناس ، وتنحط منازلهم عندهم ، فلا يبقى لهم جاه ولا مقدار عند الخلق ، وهم أحرص شيء على إقامة جاههم ومنزلتهم في قلوب الناس لشدة رغبتهم في الرياسة التي هي من أقوى لذات الدنيا ، وأغلب الشهوات على النفوس المتبِعة للهوى .

ومن العلماء المترسِّمين من تكون العلوم التي هو مشتغل بها ، محصِّل لها ، ليست هي من علوم الدعوة إلى الله وإلى سبيله ، والتذكير به وبأيامه وآلائه ، وبوعده ووعيده وصاحبها يعدُّ نفسه عالماً ، ويَعُدُّ من ليس هو في مثل حاله من الجهال ، وذلك مثل الذي يكون علمه في دقائق علم الكلام والتقعُّر فيه ، ومجرد الفروع النادرة الوقوع من الفقه ، والفتاوى

(١) تزجية الأوقات : دفعها من وقت إلى آخر وإضاعتها .

الكائنة بهذه المثابة ، ومثل الذي يكون علمه بمجرد علوم الآلات اللُّغوية والأدوات الأدبية . فهذه العلوم وأمثالها ليست هي من علوم الدعوة إلى الله وإلى طريقه ، ولا المخوِّفة بلقائه ووعده ووعيده ، ولا المحذِّرة من إضاعة أمره وركوب نهيه ، وإن كانت تُعَدُّ من العلوم في الجملة ؛ ولكنها ليست من العلوم النافعة للخاص والعام ، ولا التي تدعو إليها حاجة الناس في دينهم وأمر آخرتهم ، وقد قيل : العلوم كثيرة وما كلُّها بنافعة ، والعلوم بمنزلة الأطعمة والأدوية ، يكون بعضها نافعاً ومُهِمّاً في حق كل أحد ، وبعضها للبعض دون البعض ، وبعضها مضراً للبعض أو للكل ، وفي ذلك تفصيل يطول ذكره .

فكل من يكون علمه مجرد هذه العلوم التي ليست بنافعة ولا مهمَّة في الدين ، كان إطلاق اسم العالم عليه صورة لا حقيقة لها ، وربما كان علمه ذلك سبباً لوقوعه في سخَط ربه ، وهلاك نفسه ، وذهاب آخرته . فينبغي أن يضيف العالِم بها إليها العلم بالعلوم الدينية الأخروية ، التي تقارنها المخافة والخشية لله ، ويكثر فيها ذكر الوعد والوعيد ، والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة ، ونحو ذلك . فهذه هي العلوم

التي قال فيها سفيان الثوري[1] ـ رحمه الله ـ : طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله . وكما قال الإمام حجة الإسلام ـ رحمه الله ـ في معنى ذلك .

وكما أنه تعرِض للعالم التقي وللعالم المخلط أوهام وظنون ، فتثبِّطه وتعوقه عن الدعوة إلى الله والدلالة على الخير ، والنشر للعلم ، فقد يقع للجاهل أوهام فتصده وتصرفه عن طلب العلم والتبصر في الدين ؛ مثل أن يتوهم أنه إن طلب العلم وعرفه توجهت عليه حقوق لله ولعباده ، ولزمه القيام بأوامر الله فيه ، واجتناب نواهٍ ومعاصٍ ، فهو يحسب بجهله أنه إن لم يعرف العلم ويطلبه سلم من تلك المطالبات وخَلُص . وهذا ظن فاسد وعذر بارد ، حتى أنك ترى بعض الجهال قد يمتنع عن حضور مجالس أهل الحق والدعوة إلى الله ، ويعدل عنها مخافة أن يسمع ما يلزمه العمل به من طاعة الله ، والاجتناب لما حرم الله عليه من معصية ، أو من الزهد في الدنيا وشهواتها التي قد استولت عليه وأخذت بمخنقه ، أو من الوعد والوعيد بثواب الله وعقابه ، ويحسب أنه ينجو من ذلك

---

(١) سيد أهل زمانه في علوم الدين ، وأمير المؤمنين في الحديث . ولد ونشأ بالكوفة ، وتوفي بالبصرة سنة ١٦١هـ .

ويسلم من المطالبة بما هناك بسبب جهله وعدوله عن الحق وأهله ، وهيهات هيهات ! فإن الله لا يعذره بجهله ، ولا يزيده بذلك إلا بعداً وعذاباً ، وخزياً ونكالًا .

وقد يَشغَلُ الجاهلَ عن طلب الحق ومعرفة الدين طلبُ الدنيا ، واستغراق الأوقات في الاشتغال بها ، والاغترار بزخارفها ، والجمع لحطامها ، حتى لا يبقى له وقت ، ولا يصفو له زمن لطلب الحق والدين . فيكون حظه الدنيا ، والشغل بجمعها ومنعها ، والتمتع بشهواتها ولذاتها ، فلا يكون له في الدين والآخرة من خلاق ولا نصيب ، وهو يتوهم لعُظْم جهله وفرط غفلته أن طلب الدنيا أهم في حقه وأوجب عليه وأولى به من طلب معرفة الدين ، والتبصر فيه ؛ والعلم بأوامر الله ونواهيه .

وفي أمثال هؤلاء يقول الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم : ٣٠/٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس : ١٠/٧ـ٨] .

والحق أن الاشتغال بطلب معرفة الدين ، والتبصر في العلم والقيام بحق الله علماً وعملاً هو الأصل والأساس

والرأس والذي عليه التعويل ، وأمور الدنيا كلها إنما هي تابعة أعني المهمَّ منها ، وأما ما ليس بمهم فمنهي عنه ومزهَّد فيه . فانظر كيف يعكس الجاهل الغافل الأمور بجهله ، ويرد الرأسَ ذَنَباً والذَّنَبَ رأساً ، والتابع متبوعاً ، والمزهود فيه والمرغوب عنه مرغوباً فيه ، تعرف بذلك شؤم الجاهل ومضرته ، وكونه بلاءً وخزياً على أهله في الدنيا والآخرة ؛ ولذلك قيل :

ما يَبلُغُ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقيل أيضاً :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله

فأجسادهم قبل القبور قبورُ

وقد غلب الجهل ، واستولى على أهل هذا الزمان السيء حالُه ، وذَهَب بهم كُلَّ مذهب ؛ حتى صار الكثير منهم أو الأكثر لا يعلم ولا يدري بالحق والدين ما هو ، ولا بالآخرة والمصير إلى الله كيف هو . فصارت تلك بلية عظيمة عمّ ضررُها الجاهلَ والعالم ، والعام والخاص .

فأما تضرر الجاهل بها فليس بخفي ؛ لأنه قد أضاع بسببها ما فرض الله عليه من معرفة دينه وتعلم أحكامه .

وأما تضرر العالم بها فلتقصيره في الدعاء إلى سبيل الله ، وتعليمه الناس ما يجهلونه من أحكام دينه مع تمكنه من ذلك . فإذا صار الجهال بحيث لا يعلمون وجوبَ طلبِ ما فرض الله عليهم طَلَبَهُ من علم الدين ، وجب على العلماء تعريفهم بذلك ، وحَرُم عليهم السكوت عنه ، ولم يعذرهم الله في ترك ابتداء الجهال بالتعريف ، والتعليمِ للجاهلِ الذي يكون هذا وصفه ، وللعلماء في ذلك شغل شاغل عن كثير من مهماتهم .

* * *

وٱعلم أن في الإسلام فترات والناس اليوم في بعضها ؛ إذ قد صار كثير ممن تشتمل عليه دائرة الإسلام لا يعلمون ما فرض الله عليهم من طاعته ، وما حَرَّم عليهم من معصيته ، ولا يعلمون بوجوبِ طلبِ علمِ ذلك عليهم ثم العمل به ، فمتى ينتهضون لذلك ، ويأخذون في طلبه وهم لا يعلمون بوجوب ذلك عليهم ؟ فتعينت المطالبةُ على أهل العلم والدعوةُ إلى الله في حقهم ، بأن يعرّفوهم بوجوب ذلك عليهم ، ويحثوهم على طلبه ابتداء منهم ؛ فإن من لا يعرف ولا يعلم لا يمكن منه الطلب والتعرف .

وهذه الفترات التي تكون في الإسلام ، وتقع بين الدعاة

إلى الله وإلى دينه تشبه الفترات التي تكون بين الرسل من بعض الوجوه . وقد أشار إلى ذلك الشيخ العارف عبد الوهاب بن أحمد الشعراني[1] ـ رحمه الله ـ في أول كتابه المسمى : « تنبيه المغترين » أواخر القرن العاشر . وهي غير الغربة التي تكون للدين في آخر الزمان ، واقتراب الساعة التي قال فيها عليه الصلاة والسلام : « بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يُحْيُون ما أمات الناسُ من سنتي » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « دخل الناس في هذا الدين أفواجاً ، وسيخرجون منه أفواجاً كما دخلوا » .

فمن أهل هذا الزمان من لا يعرف الحق والدين ، ولا يعرف أن معرفة ذلك واجبة عليه .

ومنهم من يعرف وجوب ذلك ولكنه لا يطلب معرفته تساهلاً وتغافلاً ، أو تشاغلاً بأمور الدنيا واستغراقاً في جمعها والتمتع بشهواتها .

---

(١) هو الإمام العارف بالله أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني ؛ نسبة إلى قرية ساقية أبي شعرة من قرى المنوفية بالوجه البحري بمصر ؛ وهي التي نشأ بها . وتوفي بمصر سنة ٩٨٣هـ .

ومنهم من عرف ذلك وطلب معرفته ، ولكنه لم يعمل بما عرفه وعلمه .

ومنهم من عرفه وعمل به ، ولكنه لم يخلص لله في ذلك ؛ بل عَلِمَ وعَمِلَ لأغراض دنياوية وحظوظ فانية .

وكل هذه الأصناف ضالون مفتونون ؛ غير أن بعضَهم أَضلُّ من بعض وأشد فتنة ؛ وما أحسن ما قال بعض الأئمة من السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ : الناس كلهم موتى إلا العلماء ، والعلماء كلهم موتى إلا العاملون ، والعاملون كلهم موتى إلا المخلصون ، والمخلصون كلهم موتى إلا الوَجِلون، والوجلون على خطر عظيم . انتهى بمعناه .

فقد علمتَ بما تقدم ذكره من إعراض العامة عن معرفة الدين والطلب للحق ، ورضاهم بالجهل والعمى بدلًا عن العلم والهدى ، أنها قد تضاعفت المؤونة ، وعظمت المطالبة على أهل الدعوة إلى الله والبصيرة بدينه ، والمعرفة بعلمه حيث تعين عليهم كمال القيام ، والحرصُ على إرشاد الخاص والعام ، وبدايتهم بذلك ، وإشاعته فيهم ، ونشره بين أظهرهم ؛ ليعرف ذلك من لم يعرفه ، ويعلمَه من لم يعلمه ، فتتضحَ محجة الله للسالكين ، وتقوم حجة الله على الهالكين .

وعلى الدعاة إلى الله والعلماء بدينه أن يكونوا على نهاية وغاية من الرحمة والشفقة على المسلمين ، ومن الحرص والرغبة في إرشادهم وهدايتهم ، ودعائهم إلى ما فيه نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة . وأن يكونوا على نهاية من الصبر والاحتمال ، وسعة الصدر ولين الجانب ، وخفض الجناح وحسن التأليف ؛ قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ١٥/٨٨] ، وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ٣/١٥٩] الآية . وإن احتاجوا إلى شيء من الشدة والغلظة مع من لا يصلحه إلا ذلك ، فيكون ذلك في الظاهر دون الباطن ، وعلى وجه لا يقتضي ولا يفضي إلى تنفير وفرقة .

وإن دخل عليهم ـ أعني على أهل الحق والدعاة إلى الله ـ شيء من الأذى من الجاهلين بسبب ذلك ، كان عليهم أن يصبروا ويُعرِضوا ويقولوا خيراً ؛ قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/١٩٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٢٥/٦٣]. فقد قاست الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من أئمة الحق

والهدى ، من طوائف الجاهلين والمعرضين من الأذى أمراً عظيماً ، فصبروا واحتسبوا ، ولم يزدهم ذلك إلا حرصاً على إرشادهم وهدايتهم إلى سبيل الله تعالى ، ونصيحتهم في دين الله ، وحثهم وتحريضهم على إقامة أمر الله واجتناب نهيه .

هذا الذي درج عليه أنبياء الله ورسله والأئمةُ من أممهم ، والدعاةُ إلى دينهم من هذه الأمة المحمدية وغيرها من الأمم السالفة .

وأما إذا لم يقابَل الداعي إلى الله وإلى دينه بالردِّ الصريح وبالإيذاء ، ولكنه لم يُسمَع منه ولم يُقبَل دعاؤه ، أو قُبِل منه وأجيب ، ولكن لم يظهر على المستجيبين آثار الاستجابة من الأخذ بالحق والعمل به ، فليس له مع ذلك عذر في ترك الدعاء إلى الله وإلى سبيله ، ولو أن يستجيب له في الزمن الطويل العدد القليل .

ومثل هذا الحال الذي وصفناه ، يكون حال الداعي الناصح في أكثر الجهات الإسلامية في هذه الأزمنة[1] ، أنه لا يُؤذَىٰ ولا يُرَدُّ عليه الرد الصريح ؛ بل يُقبَل الحق منه أو

---

(١) توفي المؤلف عام ١١٣٢هـ .

لا يقبل ، ويُعمل بما يدعو إليه أو لا يعمل . وربما يجيء زمان بعد هذه الأزمنة ، وأيام بعد هذه الأيام ، يشتد فيها النكير ، ويعظم فيها الأذى على من يدعو إلى الحق ويَنصَح في الدين . فليغتنم الداعي إلى الله وإلى الهدى في هذه الأيام الدعاء إلى الله فيها وإلى دينه والحال ما وصفناه ، من قبل أن يأتي زمان آخر ، وناس آخرون يُرَدُّ فيه الحق على أهله رداً صريحاً ، ويؤذَون على ذلك أذًى قبيحاً ؛ بل ربما يُبادَؤُون بالأذى من قبل أن يدعوا إلى الحق والهدى ، ذلك عند اقتراب الساعة وظهور أشراطها وأماراتها العامة . كما يعرف ذلك مَنْ نظر في الأخبار والآثار .

ومن نعم الله على الداعين إلى الله وإلى دينه في هذا الزمان أنهم إذا دعوا ونصحوا باللسان العام ، لم يُرَدَّ عليهم ولم يؤذَوا . وأيضاً إذا خَصُّوا ، اللهم إلا أن يكون ذلك من بعض الجبارين والمتكبرين من أمراء الجور وولاة السوء . فليتق الدعاة إلى الله التخصيص والتعيين ليسلموا من سوء ردهم وفتنتهم وأذيتهم ؛ فإنهم ربما ضعفوا عن احتمال ذلك ، وضاقت صدورهم وضجِروا وتبرموا ، وجعلوا ما يلقونه من هؤلاء المفتونين حجة لهم في السكوت عن النصيحة ،

ورخصة في الإمساك عن الدعاء إلى الحق والدين . وليتأسَّوا بسيد النبيين وإمام الناصحين « محمد ﷺ » فإنه كان إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لا يصرح بذكره ؛ ولكن يقول : « ما بال أقوام يقولون كذا ويفعلون كذا » كما في الأحاديث . وذلك تألفاً منه ورفقاً ، وتلطفاً وستراً . وقد قال في وصفه عليه الصلاة والسلام ربُّه عز من قائل كريم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٦٨/٤] ، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢١/١٠٧] ، ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة : ٩/١٢٨] صلوات الله وسلامه عليه ، وزاده شرفاً وكرامة لديه ، ورزقنا كمال الاتباع له وحسن التأسي به ؛ كما قال تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب : ٣٣/٢١] .

فقد تبيّن واتضح بما ذكرناه : أنه لا عذر ولا رخصة للعلماء بالدين في ترك الدعوة إلى الله ، وبذل النصيحة للمسلمين ، وتعريفهم بما يجب من طاعة الله واجتناب معاصيه ، وأنه لا عذر ولا حجة لأهل الجهل في ترك القبول منهم ، والاستجابة لهم ، والأخذ عنهم ، بل عليهم أن يطلبوا

ذلك ويحرصوا عليه ، ويقدموه على كل شغل ومهم من مهمات معاشهم ؛ فإن قصَّروا في طلب ذلك والسعي له ، لم يَسَعِ العلماءَ بالدين ، والدعاةَ إلى سبيل الله رب العالمين : أن يسكتوا كما سكتوا ، أو يتركوا كما تركوا ، فيكونوا سواء في الإضاعة والإهمال ، والتهاون بحق الله الكبير المتعال .

قال حجة الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ : (في آخر الباب الثالث من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإحياء) : اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان ، فليس خالياً في هذا الزمان عن منكر ؛ من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم ، وحملهم على المعروف . فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد ؛ فكيف في القرى والبوادي ؟. ومنهم الأعراب والأكراد ، والتركمانية وسائر أصناف الخلق .

وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيهٌ يعلّم الناس دينهم ، وكذا في كل قرية . وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرَّغ لفرض الكفاية : أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ، من العرب والأكراد وغيرهم ، ويعلمهم دينَهم وفرائضَ شرعهم ، ويستصحب مع نفسه زاداً يأكله

ولا يأكل من أطعمتهم ؛ فإن أكثرها تكون شبهة مغصوبة ، فإن قام به واحد سقط الحرج عن الآخرين ، وإلا عم الحرج الكافة أجمعين . أما العالم فلتقصيره في ترك الخروج . وأما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم . وكل عاميٍّ عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرِّف غيره وإلا فهو شريكه في الإثم .

ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالماً بالشرع ، وإنما يجب التبليغ على أهل العلم ، وكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها .

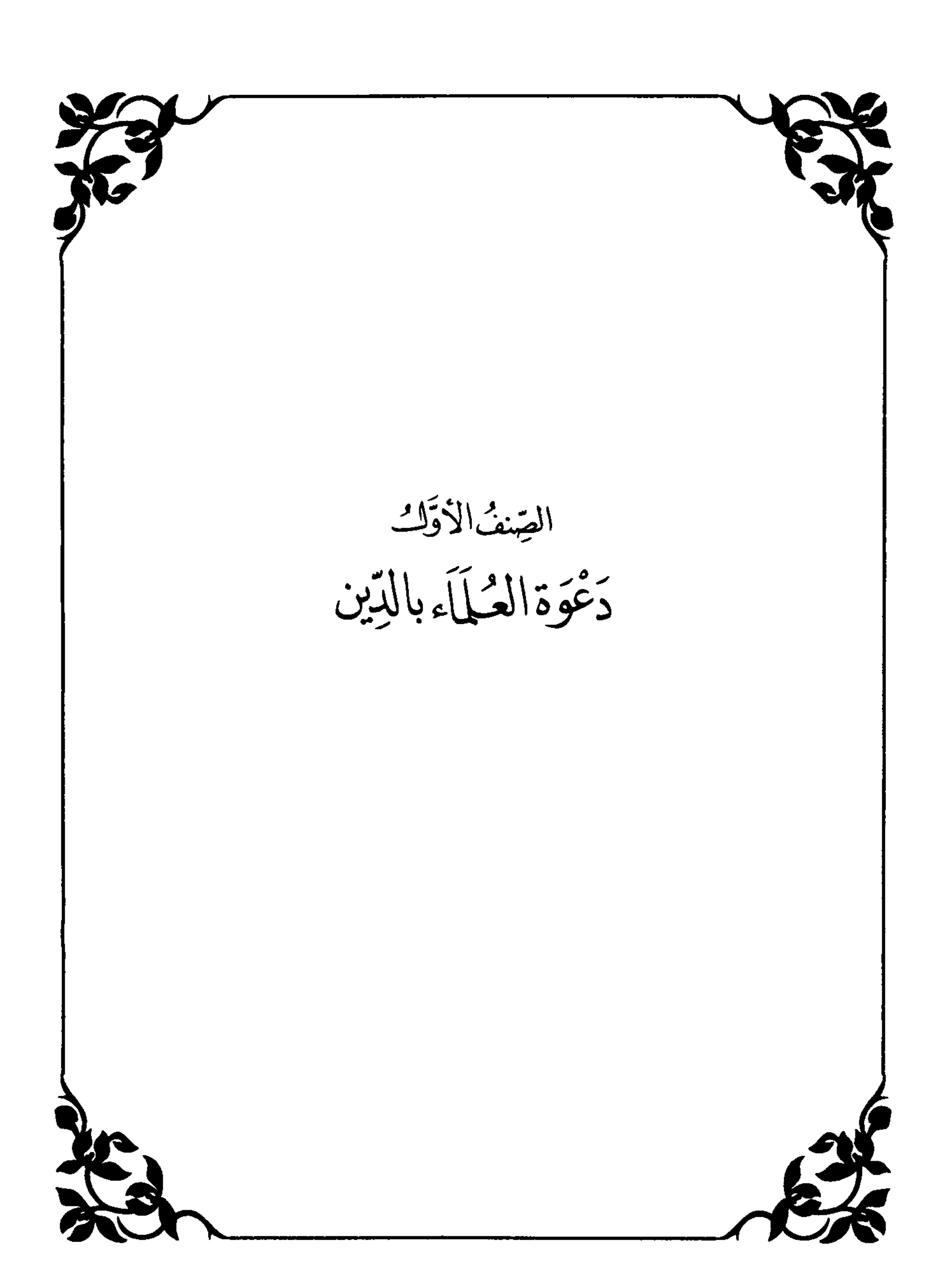
ولعمري ؟ إن الإثم على الفقهاء أشد ؛ لأن قدرتهم فيه أظهر ، وهو ببضاعتهم أليق ؛ لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش ، فهم قد تقلدوا أمراً لا بد منه في صلاح الخلق . وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بَلَغَه عن رسول الله ﷺ ؛ فإن العلماء ورثة الأنبياء ، وليس للإنسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد ؛ لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة ، بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي .

وكذلك كل من تيقن أن في السوق منكراً يجري على الدوام أو في وقت بعينه ، وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يُسقِط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت بل يلزمه الخروج . فإن

كان لا يقدِر على تغيير البعض وهو يحترز من مشاهدته ويقدر على البعض ، لزمه الخروج ؛ لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا تضره مشاهدة ما لا يقدر عليه ، وإنما يمتنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح .

فحقٌّ على كل مسلم أن يَبْدَأَ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات، ثم يعلِّم ذلك أهل بيته ، ثم يتعدى عند الفراغ منهم إلى جيرانه ، ثم إلى أهل محلته ، ثم إلى أهل بلده، ثم إلى أهل السواد المكتنف لبلده ، ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم ، وهكذا إلى أقصى العالم . فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد ، وإلَّا حَرِجَ به كل قادر عليه قريباً كان أو بعيداً ، ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه ، وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلِّمَه فرضه ، وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يَشْغَلُه عن تزجية الأوقات ، أي إضاعتها في التفريعات النادرة ، والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ، ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه والسلام. انتهى ما ذكره ـ رحمه الله تعالى ـ.

وليكن ذلك آخر الكلام في المقدمة المباركة ، ونشرع الآن مستعينين بالله ومعتمدين عليه في ذكر الأصناف الثمانية :



الصِّنفُ الأوَّلُ

دَعْوَةُ العُلَمَاءِ بالدِّين



الصّنفُ الأوّل

العُلَمَاء بالدّين وَالقوَل في نَصيحَةِ العُلَمَاء وَتَذكِيرهِمْ وَتخويفهِمْ وَتحذيرهِمْ .

أعلم أن العلماء هم الرؤوس من الناس والوجوه فيهم ، ومَثَلُهم منهم مَثَلُ الملح من الطعام ، يَصْلُح الطعام بصلاحه ، ويفسد بفساده ، ولذلك قيل :

يا معشرَ القرَّاءِ يا مِلحَ البلدْ ما يُصلح الملحَ إذا الملح فَسَدْ

فالقراء هم العلماء ، وقد كان يطلق هذا الاسم عليهم في الأزمنة السالفة ، فإن حملة القرآن كانوا هم العلماء بدين الله وبأمره وأحكامه حيث كانوا إذا قرأوا القرآن تفقهوا فيه ، وعلموا آمره وناهيه ، وواعظه وزاجره ، وما ينبغي الوقوف عنده منه ، ولذلك عزَّ مَن جمع القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ ؛ حتى إنه قُبض صلوات الله وسلامه عليه عن ألوف كثيرة من الصحابة . لم يجمع القرآن منهم إلا نفر قليل ، قيل

أربعة ، وقيل سبعة على خلاف في ذلك . وكان من يحفظ سورة « البقرة » وسورة « آل عمران » يعد من علمائهم وفقهائهم ، وفي الحديث « من استظهر القرآن فقد أُدرجت النبوة بين جنبيه ، غير إنه لا يوحَىٰ إليه » ، ومعنى استظهر القرآن : أي حفظه عن ظهر قلب وهو الحفظ بالغيب . فالقرآن تنزيل عظيم من رب عظيم ، على رسول كريم. قد جمع الله فيه علم الأولين والآخرين ، وأخبار السابقين واللاحقين ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « فيه نبأ مَن قبلكم ، ونبأ من بعدكم ، وحُكم ما بينكم ، من قال به صدق ، ومن حَكَم به عدل ، ومن التمس الهدى من غيره أضله الله » الحديث .

فقد آل الأمر إلى أقوام يقرأ القرآن أحدهم من فاتحته إلى خاتمته لا يدري ما هو ، ولا فيم أنزل ، ولا لأي شيء أنزل ، ثم إنه لا يهمه أنه لا يعلم ولا يدري حتى تنبعث منه داعية لأن يطلب علم ذلك ومعرفته ؛ وذلك من فرط غفلته ، وشدة انصراف قلبه عن فهم كتاب ربه استغراقاً بالدنيا ، ورغبة في شهواتها ، واغتراراً بزخارفها ؛ فمن أضلُّ ممن هذا الوصف وصفه ؟ وهذا الشأن شأنه ؟ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٧٩] .

فقد علمت أن القرآن العظيم أصل العلوم ومعدنها ! ومجمعها وموطنها ؛ قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ١٦/٨٩] ، وقال تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ٦/٣٨] .

فإذا رأيت الرجل يقرأ القرآن ولا يرتله ، ولا يتدبره ولا يفهم فيه ، أو رأيته يحضر عند تلاوته وهو يلهو ويلغو ، فلا تشكنَّ في أنه غافل محجوب ، مصروف عن آيات الله ، قد حل به من الله مقت وسخط ، وقد أقفل الله على قلبه ؛ قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد : ٤٧/٢٤] ولا يغرَّنك أنه يقرأ القرآن ، وقد ورد : « أن أكثر منافقي هذه الأمة قرَّاؤها » وما ينفعه ذلك ، وقد أصبح القرآن حجةً لله عليه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « والقرآن حجة لك أو عليك » ، وفي الحديث الآخر : « من جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار » .

فتبين أن من أخذ بالقرآن إيماناً وعلماً وعملاً فاز وسَعِد في الدنيا والآخرة ، ومن ضيَّعه وتعدى حدوده خاب وخسر ،

وضل عن سواء السبيل ، وصار ممن ذُكِّر بآيات ربه فأعرض عنها ، وممن كذَّب بآيات الله وصدف عنها[1] قال الله تعالى : ﴿ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام : ٦/١٥٧] . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين » .

فاجتهد أيها القارىء أن تكون ممن يرفعه الله بالقرآن ، بأن تقرأه كما أنزل وأن تتلوه حق تلاوته ، فترتله وتتدبَّر معانيه ، وتقف عند كل آية منه وتنظر فيها : هل أنت بها عالم ، وهل أنت بها عامل ؟ فإن كانت من آيات الأمر نظرت : هل أنت لذلك الأمر ممتثل ؟ وإن كانت من آيات النهي نظرت : هل أنت لذلك النهي مجتنب ؟ وكذلك في بقية الآيات . وإن مرت بك آية فوجدت أنك لا تعلم علمها سألت عنها من يعلمه ؛ فبذلك تصير من التالين لكتاب الله كما يحب ويرضى إن شاء الله تعالى .

ولا تكن ممن يقرأ ولا يدري ، وَيهُذُّ القرآن هذَّ الشعر وينثره نثر الدَّقَل[2] فيصبح من النادمين ، ويكون في الآخرة من الخاسرين .

---

(١) صدف : أعرض .

(٢) الهذ ـ بالذال المعجمة ـ : سرعة القراءة . والدقل ـ محركا ـ : أردأ التمر .

وإذا كنت ممن حفظ القرآن وتلاه ، ثم لم تُعَدَّ ولم تُذكر في علماء الدين : فلست تحفظه ولست تتلوه حقيقة ، وإنما ذلك مجاز ! أو صورة تقوم به عليك الحجة فقط ! فإن القرَّاء هم العلماء مهما كانوا ، يقرؤون القرآن كما أُمروا ، ويتلونه كما وُصفوا ؛ حسبما تقدم من البيان . والله الهادي إلى الصواب .

وقد طال الكلام وامتدَّ في شأن حملة القرآن ، وأنهم كانوا هم العلماء فيما قد مضى من الأعصار والأزمان حيث كانوا يحملونه مع العلم به والعمل بما فيه ، إلى أن صاروا بحيث لا يُعَدُّون من أهل العلم ولا يوصفون به ! فانظر ـ رحمك الله ـ تفاوت ما بين من مضى ومن بقي .

ثم اعلم أنه قد غلب على أهل العلم الغرور والفتن ، واستولى عليهم الإعراض والغفلة ، وتركوا العمل بالعلم ، وصار العلم على ألسنتهم دون قلوبهم ، وفي أقوالهم دون أفعالهم ؛ فصار العلم بذلك حجةَ الله عليهم ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « العلم علمان : علم في القلب فذلك هو العلم النافع . وعلم على اللسان وذلك حجة الله على ابن آدم » . وفي دعائه عليه الصلاة والسلام ؛ « اللهم إني أسألك

علماً نافعاً » ، واستعاذ صلوات الله عليه وسلامه من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع .

فتبين بذلك انقسام العلم إلى نافع وغير نافع ، وانقسام أهل العلم إلى منتفِع به وغير منتفع ؛ حتى إن العلم قد يكون من العلوم النافعة ولا ينتفع به صاحبه إذا كان يعمل على خلاف علمه ، فيكون حاله كحال الإناء الخبيث إذا جعل فيه الطعام الطيب خبَّثه . وقد قال بعض العلماء ـ رحمه الله ـ : زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصل شجرة الحنظل ؛ كلما ازدادت رِيًّا ازدادت مرارة . وأراد بشجرة الحنظل شجرة الحَدَج ؛ وعلى هذا فيكون كلما قل ريه بالماء قلَّت مرارته ؛ فيكون العالم السوء كلما قلَّ علمه قلّت فتنته وفساده ومضرته ، ولا تستبعد هذا ، فإن مَثَلَ بنيِ آدم في طباعهم واختلافها ، مَثَلُ الأشجار والأراضي في اختلاف طبائعها وجواهرها ، فإن من الأشجار والأرضين ما يحسن وينمو ويطيب بوصول الماء إليه ورَيِّه منه . ومنها ما يكون على الضد من ذلك ، مثل الأشجار المرة وذوات الشوك ؛ ومثل الأراضي السبخة والقِيعان المعطلة التي لا يزيدها الماء إلا مرارة وشوكاً ، وملوحة وفساداً .

ومن عجائب ما ذكر : أن مطر الربيع يقع بالمواضع التي يكون فيها الدر واللؤلؤ فتفغر له الأصداف أفواهها وتنطبق عليه ؛ فيصير فيها بإذن الله تعالى دُرًّا ولؤلؤاً . وتفغر له الأفاعي أفواهها فيكون فيها سماً ناقِعاً ! وهو مطر واحد في حين واحد ؛ فيختلف إلى هذه الغاية باختلاف مواضعه ، والمحال القابلة له ، وهو أيضاً مثَّلوه كالسيف يصح أن يُجاهِد به في سبيل الله فينال الفضل ، ويَقطَعَ به الطريق فينال الإِثم .

فلا تستبعد بعد هذا مصير العلم في الرجل السوء ضاراً أو غير نافع . والعلم إنما هو عرَض يقوم بغيره ، وآلة صالحة للصلاح والنفع إذا وقع عند أهل الصلاح والانتفاع ، وبضد ذلك إذا وقع عند أهل الفساد والإِضرار .

ثم إن العلم الذي يكون عند العالِم السوء ليس هو العلم الحقيقي الديني ، بل هو صورته وقالَبه ، وهو على لسانه وظاهره ليس في قلبه ولا في باطنه شيء منه . قال الإِمام مالك ـ رحمه الله ـ : ليس العلم بكثرة الرواية ، وإنما العلم نور يقذفه الله تعالى في القلب ، وفي كلام ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مِثْلُه ، وقال : إنما العلم الخشية . وفي بعض الآثار : العلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل : أي يرتحل معناه

وحقيقته ، ونوره وبركته . ويبقى رسمه وصورته ، تقوم به الحجة على صاحبه .

وللإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ نظماً :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يُهدى لعاصي

يشير بذلك إلى حقيقة العلم وروحه ، على مثل ما قرَّرناه وبيَّناه .

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : أخوف ما أخاف عليكم أو قال على هذه الأمة فاجر عليم اللسان . وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: قصم ظهري رجلان : عالم متهتك ، وجاهل متنسك ، هذا ينفِّر الناس بتهتكه ، وهذا يغر الناس بتنسكه . انتهى .

* * *

فقد تبين واتضح : أن العالم المتقي المصلح خير كله ، ونفع وصلاح لنفسه وللمسلمين ، وأن العالم الذي لا يتقي الله ولا يخشاه شرٌّ كله ، وبلاء وفتنة على نفسه وعلى المسلمين .

وقد ضربوا للعلماء السوء أمثالاً ، وقد تُرْوى عن عيسى ابن مريم عليه السلام :

(أحدها) ـ أن مَثَلَهم مَثَلُ قناة الْحُش ، ظاهرها جص وباطنها نتن .

(الثاني) ـ أن مثلهم مثل القبور ، ظاهرها معمور وباطنها عظام الموتى .

(وثالثها) ـ مثل البيت المظلم وعلى ظهره المصباح ، الضياء على ظاهره والظلمة على باطنه .

وأشد من هذا كله وأشنع : ما ضرب الله المجيد في كتابه العزيز للعلماء السوء من الأمثال ، حيث شبههم بأخس الدواب : الحمير والكلاب : حيث يقول عز من قائل : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة : ٦٢/٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٧٥] إلى قوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٧٦] .

ولا شك أن الدواب والبهائم أحسنُ حالًا ممن نبذ كتاب الله وضيَّع أمره ، واستهان بحقه ؛ فإن البهائم والدواب تموت ثم تصير إلى التراب ، وهو يصير إلى النار والعذاب والبوار ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « أشد الناس عذاباً يوم

القيامة : عالم لم ينفعه الله بعلمه »[1] وقال عليه الصلاة والسلام : « من ازداد علماً ولم يزدد هدى . . لم يزدد من الله إلّا بُعداً »[2] وقال عليه الصلاة والسلام : « يؤمر بالعالِم إلى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها في النار كما يدور الحمار بالرحا » الحديث .

والأقتاب : هي الأمعاء .

* * *

ثم إن العلم فنون وأنواع كثيرة ، والعلماء أصناف كثيرة وعلى مراتب ومنازل متفاوتة .

فأما العلوم الدينية الشرعية فيجب وجوباً متأكداً أن لا يريد العالمُ بها والمتعلم لها بتعليمها وتعلمها إلا وجهَ الله والدار الآخرة ، ويجب ويتأكد العمل بها ونشرها ، والدعاء إليها لوجه الله والدار الآخرة . وقد وعد الله على القيام بذلك رضاه

---

(١) رواه الطبراني في الصغير وابن عدي في الكامل ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة .

(٢) في الجامع الصغير : رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي ، ولكن بلفظ« من ازداد علماً ولم يزدد في الدنيا زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً » .

وثوابه العظيم ، وتوعَّد على ترك ذلك والتقصير فيه ، بسخطه وعذابه الأليم .

ومن العلوم ما ليس بديني ولا شرعي بحكم الأصالة ، كعلوم اللغة والحساب والطب ، فيجوز أن تُعَلَّم هذه العلوم وتُتَعلَّم لقصد الأمور الدنياوية المباحة ، ولو قصد العالم بها والمتعلم لها أمر الدين وذلك فيما يصلح التوسل به إلى الدين ، ويتوصل به إليه ويستعان عليه كان له في ذلك ثواب عظيم وأجر ، من حيث أن للوسائل حكم المقاصد .

وأما العلماء فأفضلهم وأرفعهم عند الله منزلة من يتعلم العلم ويعمل به ، ويعلِّمه ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، من غير أن يكون له قصد في ذلك ، ولا غرض آخر من أغراض الدنيا أَلبتة ، أولئك هم المفلحون الفائزون برضوان الله وجواره في دار كرامته ، والسائرون على سبيل أنبيائه ورسله ، والوارثون لهم الذين قال فيهم ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء » عليهم السلام .

ومن أهل العلم من تكون نيته في تعلمه العلم وتعليمه مقصورةً على الدنيا ونيل الجاه والمال ، والمنزلة عند الناس ، وأشباه ذلك من الحظوظ الفانية ، ولكنه يستشعر في نفسه سوء

حاله ، وخسة مقصده ونيته ، وشؤم تقصيره ؛ فذلك على خطر وعاقبته مخوفة ، ومع ذلك فالتوبة مرجوة له ، والانتباه من غفلته وسوء نيته .

ومن أهل العلم من تكون نيته وقصده بعلمه المنافسة والمباهاة ، والمجادلة والمماراة ، والتمكن من حظوظ الدنيا ونيل الولايات فيها ، وحصول المنزلة عند أهلها ، ونحو ذلك من حظوظ الدنيا الخسيسة ، وهو مع ذلك يضمر في نفسه ويستشعر فيها أنه على حالة مرضية ، ونية محمودة ، ومنزلة عند الله رفيعة لترسُّمه برسوم العلماء في الزِّي والمنطق وظواهر الأحوال . فهذا العالِم بأشرِّ المنازل ، وأوضع المراتب ، ويكاد يدخل في عموم قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٨/ ١٠٣ ـ ١٠٤] .

قال حجة الإسلام ـ رحمه الله ـ فيمن هذا وصفه : فهذا من الهالكين ، ومن الحمقى المغرورين ؛ إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين ، وهو ممن قال فيهم رسول الله ﷺ : « أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال » قيل : فما هو يا رسول الله ؟ . قال : « العلماء السوء » انتهى .

وقد قال رسول الله ﷺ : « من طلب علماً مما يُبتغىٰ به وجهُ الله لا يطلبه إلا لينال به عَرضاً من الدنيا لم يجد عَرف الجنة يوم القيامة » وعَرف الجنة : ريحها ؛ وهو كما في الحديث : « يوجد من مسيرة خمسمائة عام » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من طلب العلم ليجادل به العلماء ويماريَ به السفهاء . ويصرفَ به وجوهَ الناس إليه أدخله الله النار » .

وذكر في بعض الأخبار : أن رجلاً صحب موسى عليه السلام ، ولازمه حتى أخذ عنه العلم ، ثم جعل يقول : حدثنا موسى كليم الله ، حدثنا موسى صفي الله ؛ حتى أثرى ، وكثر ماله ، ثم فقده موسى ، فجعل يسأل عنه فلا يسمع له بخبر ، إلى أن جاءه رجل وفي يده خنزير ، وفي عنقه حبل أسود ؛ فسأله موسى عنه هل رآه ؟ فقال له : نعم ! هو هذا الخنزير . فسأل موسى عليه السلام ربه أن يعيده إلى صورته ليسأله عما أصابه فأوحى الله إليه : لو سألتني بما سألني به آدم فمن بعده لم أعِده إلى صورته ، ولكن أخبرك عنه لم صنعتُ به هذا ؟ إنه كان يطلب الدنيا بالدين .

وأغلظ من هذا ما روي عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ

موقوفاً ومرفوعاً في رواية أن رسول الله ﷺ قال : « من فتنة العالِم أن يكون الكلام أحبَّ إليه من الاستماع » ، وفي الكلام تنميق وزيادة ، ولا يُؤْمَن على صاحبه الخطأ ، وفي الصمت سلامة وعلم . انتهى الأثر أو الخبر المذكور إلى آخره .

وفيه تشديد عظيم حذفناه اختصاراً ، ذكر فيه طبقات النار ، وأن في كل طبقة منها صنفاً من العلماء السوء ، وصفهم بأوصاف قبيحة منكرة ، ذكرها في كتاب العلم من الإحياء .

فالأصل الذي ينبغي لطالب العلم أن يعوِّل عليه : هو إصلاح النية في أول طلبه ، وهو أن يريد به وجه الله والدار الآخرة ؛ فإن النية هي الأساس الذي يُبنىٰ عليه ، فإذا صلح واستقام صلح البناء واستقام ؛ فلْيعتَنِ طالب العلم بذلك أشد الاعتناء ، وليحرص عليه أتمَّ الحرص ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إنما الأعمال بالنيات » الحديثَ .

وقد ذكر الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ في أول بداية الهداية تنبيهاً جامعاً ، نبه به طالب العلم على ما هو الفاسد من النيات والصحيح منها ، وما ينبغي وما لا ينبغي منها ، وذلك قوله : أما بعد فاعلم أيها الحريص على اقتباس العلم ، المُظْهِرُ من

نفسه صدق الرغبة فيه ، وفرط التعطش إليه ، أنكِ إن كنت تقصد بطلب العلم . . . إلى قوله : وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت .

ثم إن العالم الفاضل المحمودَ حالُه ، الرفيعةَ درجتُه عند ربه ، المرفوعة منزلته ، الفائز في آخرته ، هو العالم العامل بعلمه ، الذي ينشر العلم ويدعو إليه ، ويعلِّمه لعباد الله ابتغاءَ وجه الله ومرضاته ، ورغبة فيما عنده من ثواب الآخرة .

ثم يليه العالم الذي يعمل بعلمه لله ، ولكنه لم يتصدَّ لتعليم عباد الله ؛ فإن كان الحامل له على ترك التعليم البخلَ بالعلم ، والرغبة في كتمانه عن أهله ، فهو بذلك آثم ومذموم عند الله ورسوله . وإن كان الحامل له على ذلك شغلَه بنفسه ، واستغراقه بوظائف دينه ، والعملَ لآخرته ، وقد استغنى الناس عن تعليمه ؛ لقيام غيره من العلماء بتعليم العلم ونشره للناس ، فلا بأس بما فعل ، فقد أخذ بمثل ذلك جماعة من السلف الصالح ، والخلَف المبارك ، سيما في علوم الأحكام والفتاوى ونحوها . وسيأتي زيادة بيان لهذا الأمر في ذكر أوصاف المتجردين لعبادة الله ، والمتفرغين لها من علماء الدين وعباد الله الصالحين . إن شاء الله .

ثم يلي هذا العالم من العلماء : العالم الذي لا يجدُّ ولا يشمِّر في العمل بما يعلَم ، ولكنه يعلِّم الناس وينشر العلم لهم ، ويكون الحامل له على ترك العمل بالعلم مع التعليم إما الكسل والتسويف ، وإما أنه يستثقل العمل لمعنى آخر من معاني تسويلات النفس ، ويستخف التعليم لما فيه من الشهرة والذكر بين الناس والمنزلة عندهم ، وقد شبَّهوا هذا العالم بالإبرة التي تكسو الناس وهي عارية ، وبالشمعة التي تضيء للناس وهي تحترق في نفسها ، وبالمَسَنِّ الذي يَستَحِدُّ غيرَه وهو لا يقطع ؛ وصاحب هذا الحال داخل في عموم قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف : ٦١/٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٢/٤٤] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « يؤمر بالعالم إلى النار فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور بها في النار كما يدور الحمار بالرحا ، فيطيف به أهل النار فيقولون : ما بالُك ؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتيه ، وأنهى عن الشر وآتيه » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « تعلموا ما شئتم ، فوالله لا يُقبل ذلك منكم حتى تعملوا به » .

ويلي هذا العالم من يعلَم ثم إنه لا يعمل بعلمه ولا يعلِّمه

الناس ، إما كسلاً واستثقالًا ، وإما شغلاً واستغراقاً بأمور الدنيا وحظوظها ، وقد مثلوا هذا العالم بالصخرة التي تقع في فم النهر ، فلا هي تشرب الماء ، ولا هي تترك الماء يخرج فيشرب منه الناس وينتفعون به . وجميع ما ورد من الوعيد في حق من لا يعمل بعلمه يتناول هذا العالم ، ثم يزيد عليه بالوعيد الوارد في حق من لا يعلِّم العلم لعباد الله ويكتمه ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [البقرة : ٢/١٥٩] الآية .

* * *

وأسوأ حالًا من هذا العالِم ، هو العالم الذي لا يعمل بعلمه ولا يعلِّمه الناس، ثم يدعو مع ذلك إلى الشر والضلالة، وترويج الشر في معرض الخير ، وتصوير الباطل بصورة الحق ، إما على نية المداهنة والمحاباة للظالمين والجاهلين ؛ لينالَ بذلك الجاه والمنزلة عندهم ، ويصيبَ من أموالهم وما في أيديهم من متاع الدنيا ، وإما عناداً لله ورسوله ، وبغياً في الأرض وفساداً ، أولئك من خلفاء الشياطين ، ونواب الدجال الكذاب اللعين ، وهم أسوأ العلماء حالًا وأخسرهم مآلًا ، وعليهم أوزارهم وأوزار من أضلوه من عباد الله ودعَوه إلى

الضلالة ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام : « من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام مَن تبعه من غير أن ينقص من آثامهم شيء » .

وقد يموت هذا العالم السوء ، وتبقى بعده ذنوبه وزلاته وضلالته ؛ فيعذَّب بها في قبره . وتلحقه آثامها بعد موته ؛ لبقاء العاملين بها ، المتبعين له عليها الأزمنة المتطاولة ؛ فطُوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ، كما قال بعض العلماء المحققين .

ومثل العالم السوء لو انتبه من غفلته ، وأراد التوبة إلى ربه من زلته ، فربما تتعسر وتتعذر التوبة عليه ؛ كما بلغنا : أن بعض علماء بني إسرائيل الذين كانوا يدعون إلى الضلال ، ندم على صنيعه وقصد التوبة من ضلالته ؛ فجاء إلى نبيٍّ زمانه فأخبره ليشفع فيه إلى ربه ليقبله ؛ فأوحى الله إلى ذلك النبي أن قل له : لو كانت ذنوبه فيما بيني وبينَهُ لغفرتها له ، فكيف بعبادي الذين قد أضلهم وأدخلهم النار ؟ أي باتباعه على ضلالته .

وبلغنا : أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام « يا داود ، لا تسأل عني عالماً قد أسكَرَتْه الدنيا فيصدَّك عن

سبيلي ، أولئك قطاع الطريق على عبادي » .

وذكر أن النواويص[1] شكت إلى الله من نتْن جِيَف الكفار فقيل لها : إن بطون علماء السوء أشد مما أنتم فيه .

وقال بعض السلف الصالح ـ رحمه الله ـ : ينظر أحدكم إلى الشرطي فيستعيذ بالله من مثل حاله ، وعلماء السوء أشر منه حالًا ، أو كما قال .

وفي كلام لأمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ يذكر فيه علماء السوء ، قال في آخره : أولئك الجبارون أعداء الرحمن ، وإنما صاروا بهذه المثابة من الشر ؛ لأنهم عكسوا الأمر فانعكسوا وانتكسوا ؛ حيث كان أحدهم يمكنه أن يكون داعياً وهادياً إلى سبيل الرحمن ، وصار ضالًّا مضلًّا ، يدعو ويهدي إلى سبيل الشيطان .

وقد سمعت ما قال الله العزيز الديان في شأن بَلعام بن باعوراء حيث يقول سبحانه : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٧٥] إلى قوله: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٧٦]

---

(١) النوص : الناخر وهو ما ينخر في الجِيَف .

فكذلك يكون حال العالم الطالبِ بعلمه الدنيا ، المتبعِ الهوى ، المضل للناس بما يزيِّن لهم من الضلالة والإغواء .

ومن شأن علماء الدين أن يكونوا هم المفزَع والمرجع لعموم المسلمين عندما تشتبه عليهم الأمور ، وتشكل عليهم الأشياء ؛ فإذا رجعوا إليهم وجدوا عندهم إزاحة الشبهات ، وإيضاح الأمور المشكلات ، بما آتاهم الله من الآيات البينات ، وأودع لديهم من العلم بالسنن الواضحات .

فقد صار الكثير من المترسِّمين بالعلم من أهل هذا الزمان بلاءً وفتنة ، ومضرَّة وضلالة ، إذا رجعتْ إليهم العامة أضلوهم وفتنوهم ، وفتحوا لهم أبواب الحيل والمخادعات التي يتوصلون بها إلى إبطال الحقوق ، وأكل أموال الناس بالباطل ؛ فالله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! وقد أحدث مثلَ ذلك علماء بني إسرائيل فيما حكى الله عنهم من أخبارهم ؛ فضرب الله بقلوب بعضهم على بعض ، وجعلهم نكالًا وموعظة لمن بَعدَهم .

وقد وردت الأحاديث بأن أهل الضلالة من هذه الأمة يتبعونهم على ضلالتهم ؛ حتى قال رسول الله ﷺ : « لَتتبعُن سَنن مَن قبلَكم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم من

ورائهم » . قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ » وفي رواية « حتى لو كان منهم من أتى أمه لكان منكم من يفعله » الحديث . وقد ظهرت أمثال هذه الحيل والمخادعات في بني إسرائيل ، مثل ما وقع لأهل القرية الذين استحلوا الاصطياد يوم السبت بتلك الحيلة ، ومثل قصة صاحب العصا[1] الذي جعل فيها الجوهرة التي كانت مودعة عنده ؛ فلم تغن عنهم تلك المخادعات من الله شيئاً ، وحلَّ بهم مقت الله وسخطه .

فإذا كان العالِم يكون بحيث إنه هو الذي يرخِّص للعامي .

---

(١) والقصة كما يلي :
(دُلِّت من السماء سلسلة في أيام داود عليه السلام عند الصخرة التي في وسط بيت المقدس ، فكان الناس يتحاكمون عندها فمن مدَّ يده إليها وهو صادق نالها ، ومن كان كاذباً لم ينلها إلى أن ظهرت فيهم الخديعة ، وذلك أن رجلاً أودع رجلاً جوهرة فخبأها في عكازه وطلبها المودِع فجحده فتحاكما ، فقال المدعي إن كنت صادقاً فلتَدنُ من السلسلة فمسها ، ودفع المدَّعىٰ عليه العكّازة إلى المدعي وقال : اللهم إن كنت تعلم أني رددت الجوهرة فلتدن مني السلسلة فمسها ، فقال الناس : قد سَوّت السلسلة بين الظالم والمظلوم !! فارتفعت بشُؤم الخديعة وأوحى الله إلى داود عليه السلام أن أحكم بين الناس بالبيّنة واليمين فبقي ذلك إلى الساعة . انتهى من كتاب ربيع الأبرار للزمخشري) .

ويوسِّع له فيما لا رخصة فيه من الله ولا سَعة ، فأي شيء يكون حاله عند الله ! وأي شيء تكون منزلته ؟ ولْيتوقع من الله عقاباً وسخطاً يحل به .

فالذي ينبغي للعالم إن كان من علماء الدين الذي ينفع الله بهم المسلمين ، إذا رجع العامة إليه وسألوه بلسان مقالهم أو لسان حالهم . أن يدلهم على ما فيه نجاتهم وسعادتهم في الدار الآخرة ، ويشرح لهم سبيل الورع ، ويفتح لهم أبواب الاحتياط في الدين ، ويحذِّرهم من أكل أموال الناس بالباطل ، والوقوع فيما حرم الله عليهم مع مجانبة الشبهات والأشياء المشكلات ، فإنه بذلك ومِثْلِهِ ، يعدُّ من علماء الدين ، وهداة المسلمين .

فأما أنه يوسِّع لهم ما ضيقه الله عليهم ، ويصوِّر لهم الباطل بصورة الحق ، ويحسِّن لهم الوقوع في الشبهات : فليس ذلك من شأن العلماء بدين الله ، الذين يخشون الله ويتَّقونه ، وينصحون لأنفسهم ولإخوانهم من المسلين ، بل هو من شأن الشياطين ، والأئمة المضلين ، الذين يَدعون إلى النار ويوم القيامة لا يُنصرون . وفي حديث حذيفة رضي الله عنه لما سأل رسولَ الله ﷺ فقال : إنا كنا في جاهلية فأتانا الله بهذا

الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ فذكر الحديث بطوله إلى أن قال عليه الصلاة والسلام : « نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها » وفي بعض الأخبار : « إن الناس تنزل بهم نازلة فيفزعون إلى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا قردة وخنازير » قال بعض المحققين : المراد مَسخ صورهم الباطنة ، وقد مسخت من زمان . انتهى .

فمن يكون علمه بلاءً عليه وعلى المسلمين ، وفتنة وضلالة فليس بعالم ، بل هو شيطان مارد ، وفاجر معاند لله ورسوله ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾

[المجادلة : ٥٨/ ٢٠ ـ ٢١] .

* * *

وٱعلم أن العامة محتاجون إلى من يصلحهم ويرشدهم ، ويَعِظُهم ويخوِّفهم بالله ، ويذكرهم بوعده ووعيده ؛ لأن في الغالب عليهم الغفلة عن الله وعن الدار الآخرة ، والميل إلى الدنيا ومتاعها ولذاتها وحظوظها العاجلة . فإذا صار الذي يسمى عالماً بأَلْسِنَةِ الجاهلين يفتنهم ويضلهم ، ويوسع لهم الأمور التي ضيقها الله عليهم من أمور الدين ؛ بحيث يلقِّنهم

الدعاوي الباطلة ، والشهادات الزور ، وحِيل الربا والنذور ، التي يعرف هو وإياهم أنهم لم يريدوا بها وجهَ الله تعالى وثوابَه بوجه . ويقول لمن جاءه ليكتب له وصية غير جائزة لوارث مثلاً : إن الوصية للوارث غير جائزة ، اجعلها بصيغة نذر أو إقرار . ولمن يريد أن يعطي ماله بعض ورثته ويحرم الباقين منهم : اجعله بطريق الإقرار والنذر ؛ حتى يصح ذلك في ظاهر الحكم . وأشباه ذلك من الأمور المستبشعة ، والحيل والمخادعات الفاسدة ! فما هذا العالم المترسِّم ، الموصوف بهذه الأحوال إلّا من أئمة الضلال والمِحال[1] ، ودعاة النار والبوار ، الذين جعلهم الله عاراً وخِزياً ، وبلاء وفتنة على أنفسهم ، وعلى من أخذ بزخارفهم واتبعهم على ضلالتهم : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٦/٢٢٧] . ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم : ١٤/٤٢] .

وكان العلماء المتقون إذا تكلموا مع عامة المسلمين ، أو استفتَوْهم العامة في شيء لم يحدِّثوهم بالرخص ، ولم

(١) المَحْل : المكر والكيد .

يخبروهم باختلاف العلماء فيما يوهم الترخص . وكانوا يخبرونهم بما يقتضي الاحتياط في الدين ، والبعد عن الأمور المشتبهة ، ويقولون : العامة نضيِّق عليهم وهم يوسعون لأنفسهم ؛ لما هو الغالب عليهم من الغفلة والانقياد للشهوات والحظوظ الدنياوية . فإن وسَّعتَ عليهم وحدثتهم بالرخص ، خرجوا منها إلى المحرمات ؛ لأن أكثرهم في مثل أحوال البهائم ، وفي الحديث : « من وقع في الشبهات وقع في الحرام ؛ كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه » .

وقد بلغنا أن بعض ملوك المغرب جامع في نهار شهر رمضان ، فجمع العلماء الذين عنده ليسألهم عن حكم ذلك ، فلما اجتمعوا عنده وسألهم ، قال له واحد منهم وكان المقدَّم فيهم بالعلم والفضل : عليك أن تصوم شهرين متتابعين . فلما خرجوا من عنده قالوا لذلك العالم : كيف تفتيه بأن عليه صيام شهرين متتابعين ، وأنت تعلم أن مذهب الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ : التخيير في كفارة المجامِع في نهار رمضان : بين إعتاق الرقبة ، والصوم ، والإطعام ، وكانوا مالكية ! فقال لهم : لو أخبرته بالإعتاق والإطعام لهان عليه ذلك ، وجامع في كل يوم من رمضان ، والصوم يشتد عليه مشقته فيكون

أقرب إلى زجره وردعه .

وكان الإمام أحمد بن موسىٰ بن عُجيل ـ رحمه الله تعالى ـ لا يقرأ كتاب الإيلاء والظهار واللعان في حضرة العامة . وكان يأمر القارىء إذا انتهى إليها بحضرتهم أن يتجاوزها ، ويقريه إياها خالياً لئلا يسمعوها فيسارعوا فيها فيقعوا في الحرج والعنت .

وهكذا كانت سيرة علماء الدين في كمال شفقتهم، وحسن سياستهم لعامة المسلمين . قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لبعض من أراد أن يسأله عن شيء استحى من ذكره : إنما العالم بمنزلة الوالد ، فما تُفضِي به إلى والدك فأفْضِ به إليّ . وقد سبقه إلى ذلك إمام المتقين ، وسيد الناصحين صلوات الله وسلامه عليه ؛ حيث قال : « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد » .

وقد كان صلوات الله وسلامه عليه إذا جاء من يسأله ، أرشده إلى ما فيه تقوى الله ، والنجاةُ من عذابه ، والتعظيم لحرماته ، والاحتياط في دينه .

فمن ذلك حديث الأنصاري الذي أراد أن يعطي بعض أولاده غلاماً ؛ فلما سأله عليه الصلاة والسلام : « هل أعطيت سائر أولادك مثله ؟ فقال لا ؛ فأمره برد الغلام » . وفي رواية

« أنه سأل منه عليه الصلاة والسلام أن يشهد على ذلك ؛ فقال : هذا جَور وأنا لا أشهد على الجور » الحديث .

ومن ذلك حين رأى ﷺ التمر الذي جيء به إليه من خيبر فرآه جيداً فسأل « أكُلُّ تمرِ خيبر هكذا » فقالوا : لا ، ولكنا نأخذ الصاع من هذا بصاعين من الرديء ، فقال عليه الصلاة والسلام : « هذا من الربا ، ولكن بيعوا الصاعين من الرديء بدرهم ، واشتروا بالدرهم صاعاً من الجيد » أو كما قال عليه الصلاة والسلام . فأرشدهم إلى ما يصح ويحل ، ونهاهم عما لا يصح ولا يحل .

ولما سأله عتبة بن الحـٰرث ـ رضي الله عنه ـ عن امرأة تزوج بها ؛ فجاءته امرأة سوداء فأخبرته : أنها قد أرضعته وأرضعت المرأة التي تزوجها ، وقال : يا رسول الله ، إنما هي سوداء ! فقال له عليه الصلاة والسلام : « دعها (أي المرأة التي تزوجها) ، فلا خير لك فيها » الحديث .

* * *

وهكذا كان شأن علماء الدين الناصحين لله ورسوله وللمسلمين ، إنما يدلُّونهم على ما فيه النجاة والفوز ، من البعد عن الشبهات والأمور المشكلات ، وما يوهم التساهل

في الدين ، والترخُّص المذموم الذي لا يأخذ به إلَّا كل متهاون متساهل في دينه ، متعرض للوقوع فيما يسخط ربه ، ويضره في آخرته .

ولم يزل علماء الآخرة من أهل اليقين والخشية والزهد في الدنيا ، يحذِّرون الناس من علماء السوء المفتونين الراغبين في الدنيا ، ويبينون لهم أمرهم وأحوالهم ، ويصفونهم لهم بأوصافهم المعرِّفة المميزة بينهم وبين علماء الآخرة ، الدعاة إلى الله وإلى دينه .

وقد ذكر الإمام حجة الإسلام ـ رحمه الله ـ في كتاب العلم من الإحياء ما فيه الغنية والكفاية ، وقد سبقه إلى نحوٍ من ذلك الإمام الحارث بن أسد المحاسبي(١) ـ رحمه الله ـ في كتبه ، والإمام أبو طالب المكي(٢) ـ رحمه الله ـ في كتاب (قوت القلوب) ، وغير هؤلاء كثير من السلف والخلف الصالح ، من

---

(١) أبو عبد الله . من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والأصول . وهو أستاذ أكثر البغداديين . بصري الأصل . مات ببغداد سنة ٢٤٣هـ .

(٢) هو محمد بن علي بن عطية الحارثي ، الفقيه الزاهد الواعظ ، المتوفى ببغداد سنة ٣٨٦هـ . وهو من أهل الجبل بين واسط وبغداد .

الذين كانوا يحذِّرون علماء السوء ويخوفونهم بالله ، ويحذرون الناس منهم ومن فتنتهم ، ويفرقون للناس بينهم وبين علماء الآخرة بالعلامات والدلالات . وقد ذكر الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتاب العلم باباً ذكر فيه بعض علامات علماء الآخرة ، وعدَّ من ذلك اثنتي عشرة علامة . فلينظر فيه من أراده ، ورغب في الوقوف عليه ، رحمة الله عليه ورضوانه ، وعلى جميع علماء الدين الناصحين للمسلمين .

قال ـ رحمه الله ـ : (بعدما عدَّ علامات علماء الآخرة المميزة بينهم وبين علماء الدنيا) : فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة ، تجمع كل واحدة منها جُملاً من أخلاق علماء السلف . فكن أحد رجلين : إما متصفاً بهذه الصفات ، أو معترفاً بالتقصير مع الإقرار به ، وإياك أن تكون الثالث فتلبِّس على نفسك بأن تلقب آلة الدنيا بالدين ، وسيرة البطالين بسيرة العلماء الراشدين الراسخين في الدين ؛ فتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين ، نعوذ بالله من خدع الشياطين ، فبها هلك الجمهور . فنسأل الله أن يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ، ولا يغره بالله الغرور . انتهى .

واعلم أن للعلم وأهله ، والمعلِّمين له والمتعلمين ، الذين

يريدون بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة فضلاً عظيماً ، وشأناً جسيماً ، وثواباً كريماً . وقد ورد في ذلك من الآيات والأخبار والآثار ما يطول ذكره ، ويتعذر حصره ؛ قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ٣/١٨] . وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة : ٥٨/١١] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر : ٣٩/٩] .

وقال رسول الله ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء . إن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورّثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من يرد الله به خيراً يفقِّهه في الدين ، ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه . ولَفقيهٌ واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة . وإن الملائكة لتضع

أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع . وإن العالِمَ ليستغفر له من في السمٰوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء . وفضل العالم على العابد كفضل القمر (ليلة البدر) على سائر الكواكب » الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أقرب الناس من درجة النبوة ، أهل العلم والجهاد » . أما أهل العلم : فدلُّوا الناس على ما جاءت به الرسل . وأما أهل الجهاد : فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل .

وأوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام : « يا إبراهيم ، إني عليم أحب كُلَّ عليم » .

وقال علي ـ كرم الله وجهه ـ لكُمَيل بن زياد : يا كميل ، العلم خير من المال . العلم يحرُسك وأنت تحرس المال . والعلم حاكم والمال محكوم عليه . والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق .

وقال لقمان : الحكمة تزيد الشريف شرفاً ، وترفع المملوك حتى تُجلسه مجالسَ الملوك .

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ : يوزن مداد العلماء بدم الشهداء ، فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء .

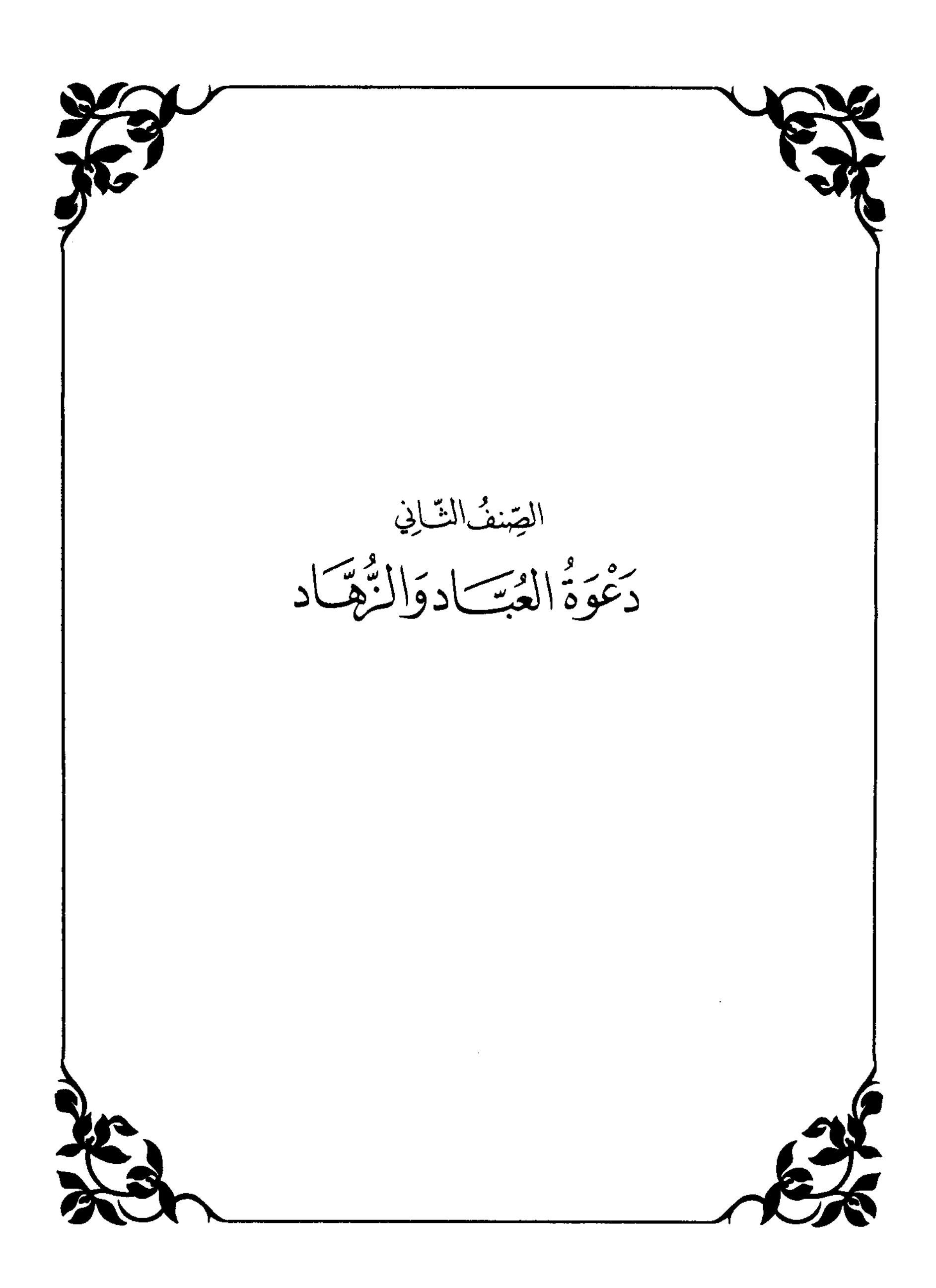
وقال أبو الأسود ـ رحمه الله ـ : ليس شيء أعز من العلم. الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك .

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : عليكم بالعلم قبل أن يُرفع ، ورفعه أن تَهْلِك رُواتُه . فوالذي نفسي بيده ، لَيَوَدُّنّ رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم . وإن أحداً لم يولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلُّم .

وقد ذكرنا هذه النبذة اليسيرة من فضل العلم وأهله ، تبركاً وتنبيهاً .

وفضل العلم مجموع مخصوص ـ بفضل الله ورحمته ـ للعلماء الذين تعلموا وعملوا ، وعلَّموا العلم ابتغاء وجه الله ومرضاته والدار الآخرة . فأما علماء السوء المفتونون فليس لهم فضل ؛ بل قد ورد في ذمهم وتوبيخهم ما يطول ويهول ، كما ذكرنا شيئاً من ذلك فيما تقدم . نسأل الله العافية من كل شرٍّ وفتنة ، وبلاء ومحنة ، في الدنيا والآخرة ، لنا ولأحبابنا وللمسلمين ، ونسأل الله علماً نافعاً ، وعملاً متقبَّلاً ، ونعوذ بالله من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، وأن يَختِم لنا بالحسنى والإحسان في لطف وعافية ، إنه أرحم الراحمين .

* * *



الصِّنفُ الثّانِي

دَعْوَةُ العُبّادِ والزُّهّاد

الصّنفُ الثّاني

العُبّاد والزُّهّاد ، وَأهلُ الجِدّ والاجْتهاد ، والمتبتّلون إلى الله ، والمتُفرّغونَ لطاعَتِه وَعِبادتهِ ، وَخِدْمَتهِ وَحُسْنِ مُعَامَلته ، وَالقوَل في نَصيحَتهم وَتذكِيرهم وَتَنبيههمْ وتحْذيرهمْ .

أعلم أن هذا الصنف من الناس هم صفوةُ الله من عباده ، وموضع نظره من خلقه ، ومعادنُ أنواره وخزائن أسراره ، وكثيراً ما يوجد منهم ويُعرَف فيهم أولياء الله وأصفياؤه من الأوتاد والأبدال ، والنقباء والنجباء من الرجال ، وفيهم ومنهم تُتعرَّف وتؤخذ حقائق الإخلاص والصدق ، والتوكل والزهد ، وأشباهها من مقامات اليقين ، وأسرار معاملات الدين . أولئك هم الصوفية الأصفياء ، الأبرياء الأتقياء ، أهل الحق والحقيقة ، العاملون السالكون ، الذائقون لأسرار الطريقة ، وأرباب الولاية والرعاية ، الذين بِيُمْن بركاتهم ومستجاب دعواتهم تُستدفع البليات ، وتُسْتَكْفىٰ الأذيات ، ويُرحم

الحاضر والباد ، ويغاث العباد والبلاد ، نفعنا الله بهم ، وأعاد من سرهم وبركاتهم علينا وعلى أحبابنا والمسلمين .

ثم اعلم أنه قد يقتدي بهؤلاء ويتأسَّىٰ بأسوتهم ، ويقصد سلوك طرائقهم من شاء الله من المبتدئين والطالبين ، فيحتاجون إلى التعريف والتنبيه ، والتعليم والتذكير ، فنحن نذكر من ذلك ما يسَّره الله ، كما أنّا قد أسلفنا في شرح أحوال الصنف الأول الذين هم العلماء بالدين ما يسَّر الله ذكره ، فنسأل الله العظيم أن يبارك لنا ولهم في ذلك ، وفي جميع ما أعطانا وأعطاهم من فضله وإحسانه ، وأن يوفقنا وإياهم لشكر نعمه الموجِب للمزيد من كرمه ؛ فإنه الجواد الكريم ، الرؤوف الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

اعلم ـ رحمك الله ـ أن من أراد سلوك طريق الله ، وعزم على التفرغ لعبادته والانقطاع إليه سبحانه وتعالى ، وعلى التجرد عن كل ما يشغل عن التفرغ لهذا الشأن ، من أي شيءٍ كان ، يتعين عليه ويتأكد جدًّا أن ينظر : فإن كان قد حصَّل من علوم الإيمان وعلوم الإسلام ما لابد منه ، أخذ في العبادة

بالتفرغ عن كل ما يشغله عنها ، وجدَّ في قطع العلائق وصرف العوائق ، وأقبل بظاهره وباطنه على الله وعلى الدار الآخرة ، وإن كانَ لم يحصِّل ما لا بد له منه من هذه العلوم ، وجب عليه أن يحصِّل القدر الذي يتعين عليه علمه ؛ فإن ذلك فرض عليه مقدم على الأخذ في العبادة وعلى سلوك طريق التألُّه والزهادة ، وقد قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وفي الخبر أو الأثر « مَن عبَدَ الله بجهل كان ما يضره (أي من عبادته) أكثرَ مما ينفعه » . فعلى الراغب في سلوك طريق الله أن يتعلم من العلوم الإيمانية والعلوم الإسلامية ما يصحح به معتَقَدَه في معرفة الله عزَّ وجلّ ومعرفة صفاته ، ومن الإيمان بالرسل وباليوم الآخر ، ومن علوم الإسلام العلم بالطهارة والصلاة والصوم ، والزكاة والحج .

وبالجملة : فلا يدخل في شيء من العبادات ، ولا يتلبَّس بشيء من العادات كالأنكحة والمبايعات حتى يعلم حكم الله تعالى فيه ، وإلّا وقع في الحرج من حيث يدري ومن حيث لا يدري من غير أن يُعذَر بذلك .

ويكفيه في معرفة علوم الإيمان : أن يعرف ويعلم بعض عقائد الأئمة المجمع على علمهم ، وأمانتهم وصلاحهم ، مثل

الإمام حجة الإسلام ، وعقيدته التي أوردها في أول كتاب قواعد العقائد من كتب إحياء علوم الدين كفاية في ذلك ونهاية . وقد ذكرنا في أوائل كتاب (إتحاف السائل) وفي خاتمة كتاب (النصائح الدينية) عقائد مختصرة جامعة ، فيها الكفاية للسالك الناسك .

وأما علوم الإسلام المترجَم عنها بعلوم الأحكام فيكفي السالك أن يعلم منها ما أورده حجة الإسلام ـ رحمه الله ـ في (بداية الهداية) غير أنه لم يذكر فيها من علوم الزكاة وعلوم الحج ما تدعو إليه الحاجة . وقد أحال مريد ذلك على كتاب (إحياء علوم الدين) ، وفيما ذكره الفقيه العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بن الحاج أبي فضل[1] ـ رحمه الله ـ في كتاب (المختصر اللطيف) ما يكفي الناسك ، فإن احتاج إلى مزيد عليه فلينظر في مختصره الكبير الذي شرحه الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي[2] ـ رحمه الله ـ .

(١) ولد بتريم بحضرموت سنة ٨٥٠هـ وتوفي بالشحر سنة ٩١٨هـ وهو فقيه شافعي ، انتهت إليه رياسة الفقه في عصره .

(٢) هو الإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجرالهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي . ولد بمصر في إحدى قراها سنة ٩٠٩هـ وتوفي بمكة سنة ٩٧٤هـ .

وإن ساعدت الأقدار ، وامتدت الأيام ، وضعنا كتاباً يشتمل على ما يحتاجه أهل النسك والعبادة وعامة المسلمين من علوم الإيمان ، وعلوم الإسلام ، وعلوم الإحسان . ونجعله كالشرح لحديث جبريل عليه السلام ، الذي سأل به رسولَ الله ﷺ عن هذه العلوم .

وأما **التبحُّر** والاتساع في العلوم فليس ذلك بواجب على الأعيان ، بل هو خاص بالمتفرِّغين المتأهلين له من أئمة الدين وأعلام الملة ، الذين أقامهم الله وأهَّلهم لنفع عباده وإرشادهم ، وبيان أحكام أحوال معاشهم ومعادهم .

وقد يجمع الله لبعض الخواص من المؤمنين بين العلوم الباطنة والظاهرة ، ويؤهِّله لنفع الخاصة والعامة ، وعلم الشريعة وسلوك الطريقة وشهود الحقيقة . وكان على هذا القَدم وعلى مثل هذا الوصف جماعة من السلف الصالح مثل سيدنا الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي أمير المؤمنين ، وولده الإمام أبي جعفر محمد الباقر ، وولده الإمام جعفر الصادق بن محمد ، ومثل الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز الأُموي ، ومثل أبي سعيد الحسن بن يسار

البصري[1] وجماعة يكثر عددهم ، ومَن بعدَهم مثل الشيخ الحارث بن أسد المحاسبي ، والشيخ الجنيد بن محمد[2] ، ومَن بعدَهم مثل الشيخ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري[3] صاحب (الرسالة) ، ومثل الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، ومثل الشيخ محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح الشريف الحسني الجيلاني ، ومثل الشيخ أبي حفص عمر بن محمد السُّهرَوَرْدي صاحب (العوارف)[4] ، وعمه الشيخ أبي النجيب السُّهروردي[5] إلى غير هؤلاء من الأئمة الأعلام . ومن السادات آل أبي علوي الأشراف الحسينيين جماعة كثيرة كانوا على هذا الوصف ، وعلى هذا القَدم من الجمع بين العلم الظاهر والعلم الباطن ، والشريعة والطريقة

---

(١) الإمام التابعي المتوفى سنة ١١٠هـ .

(٢) أبي القاسم . أصله من نهاوند ، ومولده ومنشؤه بالعراق . وهو إمام القوم وسيد الطائفة . توفي ببغداد سنة ٢٩٧هـ .

(٣) المتوفىٰ سنة ٤٦٥هـ بنيسابور . وهو شيخ خراسان في عصره .

(٤) المتوفىٰ سنة ٦٣٢هـ ببغداد ، وهو قرشي تيمي بكري ؛ وفقيه شافعي ، مفسر صوفي واعظ .

(٥) عبد القادر الملقب بضياء الدين . ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، انعقد على فضله إجماع العلماء ، وتخرج بصحبته جماعة من الأكابر . سكن بغداد إلى أن مات بها ٥٦٣ بمدرسته على شاطىء دجلة .

والحقيقة ، مثل شيخ الشيوخ الفقيه المقدَّم محمد بن علي الشريف الحسيني التريمي[1] ، ومثل الشيخ المعظم السقاف عبد الرحمن بن محمد[2] وولده الشيخ القدوة عمر المحضار[3] وولد ولده الشيخ القطب عبد الله بن الشيخ أبي بكر العيدروس[4] ، وأخيه الشيخ الجامع علي بن أبي بكر[5] .

ومن أهل هذا البيت السادة آل أبي علوي جماعة يطول تعدادهم كانوا على ذلك الوصف ، يَعرِف ذلك مَن نَظَرَ في سِيَرِهم وطالع في أخبارهم ومناقبهم . نفعنا الله بهم وبسائر الصالحين ، وأفاض علينا من بركاتهم ، وحفظنا بأسرارهم من

---

(١) ولد بتريم بحضرموت وتوفي بها سنة ٦٥٣هـ ويلقب بالأستاذ الأعظم ، والفقيه المقدم .

(٢) هو الإمام عبد الرحمن بن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي المتوفى بتريم سنة ٨١٩هـ .

(٣) ولد بتريم وحفظ القرآن بها وتلقى العلوم الدينية وكان كثير الكرامات . توفي سنة ٨٣٣هـ وهو ساجد في صلاته .

(٤) ولد بتريم وحفظ القرآن بها وتلقى العلوم الدينية وهو إمام أهل وقته والمقدم على أهل زمانه . توفي سنة ٨٦٥هـ وعمره ٥٤ سنة .

(٥) ولد بتريم وحفظ القرآن وتلقى العلوم الدينية ، واشتهر بكثرة العبادة والصلاح مثل آبائه العلويين . توفي سنة ٨٩٥هـ .

الشر والأشرار والفتن والمفتونين ؛ إنه جواد كريم ، قريب مجيب .

ومن رجال هذه الطريقة من كان شأنه الإقتصارَ من العلم على ما لا بد منه ، والأخذ في العبادة والتبتل إلى الله والإنقطاع إليه ، والتفرغ عن كل ما يشغله عنه سبحانه وعن طاعته ، والإنقباض عن الناس والفرار منهم ؛ مثل أُويْسٍ القَرَني ، ومالكِ بن دينار[1] وعبد الواحد بن زيد[2] ، وعتبةَ الغلام[3] والربيعِ بن خيثم[4] ، وثابتِ البُنَاني[5] ، وحبيبٍ

---

(١) هو أبو يحيى الزاهد . كان يكتب المصاحف بالأجرة ، ويتقوت بأجرته ، مات سنة ١٢٧هـ وقيل سنة ١٢٣هـ . وفي الطبقات سنة ١٣١هـ .

(٢) أدرك الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠هـ واستمر يصلي الغداة بوضوء العشاء أربعين سنةً .

(٣) هو عتبة بن أبان . وسمي بالغلام لأنه كان في العبادة كأنه غلام رهبان ؛ لا لصغر سنه . كان يأوي إلى المقابر والصحاري ويخرج إلى السواحل فيقيم فيها ؛ فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فيشهد الجمعة ؛ ثم يأتي إخوانه فيسلم عليهم . مات رضي الله عنه شهيداً في قتال الروم . (طبقات ص٤٠ ج١) .

(٤) ابن عائذ الكوفي ، مات رضي الله عنه سنة ٦٧هـ أيام معاوية .

(٥) هو ثابت بن أسد البناني . قيل لما مات كان الناس يسمعون من قبره تلاوة القرآن .

العجمي[1] ، وإبراهيمِ بن أدهم[2] ، والفضيل بن عياض[3] ، ووهِيب بن الورد[4] ، وداودَ الطائي[5] ، ومعروفٍ الكرخي[6] ، وبشرٍ الحافي[7] ، وسَرِيٍّ السَّقَطي[8] ، وسهلٍ

---

(١) هو أبو محمد العجمي البصري . كان عابداً فاضلاً ، ورعاً تقياً . مجاب الدعوة . (تهذيب) .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور ، من أهل بَلْخ . كان من أبناء الملوك والمياسير ، وخرج للصيد فهتف به هاتف أيقظه من غفلته ؛ فترك طريقته في التزين بالدنيا ، ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع ، وخرج إلى مكة فصحب سفيان الثوري وأضرابَه ، ودخل الشام فكان يعمل فيها ويأكل من عمل يده ، ومات بالشام . سنة ١٦١هـ .

(٣) التميمي اليربوعي . خراساني من ناحية « مرو » . مات بالحرم الشريف سنة ١٨٧هـ .

(٤) وهيب بن الورد بن أبي الورد القرشي . اسمه عبد الوهاب ، و« وهيب » لقب . كان من العباد المتجردين لترك الدنيا (تهذيب) .

(٥) هو أبو سليمان داود بن نصير الكوفي ، كان كبير الشأن في باب الزهد والورع . توفي سنة ١٦٠هـ وقيل ١٦٥ (تهذيب) .

(٦) يلقب بالزاهد . وهو من جلة المشايخ وقدمائهم ، المعروفين بالورع والفتوة ، مجاب الدعوة . وهو من موالي علي بن موسى الرضا . مات ببغداد ودفن بها سنة ٢٠٠هـ .

(٧) هو بشر بن الحارث أبو نصير . قال الخطيب فيه : كان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد . وتفرد بوفور العقل ، وحسن الطريقة واستقامة المذهب سكن بغداد ومات بها سنة ٢٢٧هـ .

(٨) هو أبو الحسن سري بن المغلس السقطي . إمام البغداديين وشيخهم في =

التستري[1] رحمهم الله .

وكان شأن هؤلاء الإنقباض عن الناس وقلة المخالطة ، وخروج الكثير منهم إلى الجبال والشعاب ، والسياحة في الفيافي والقفار ؛ رياضة للنفس ، وقطعاً لعوائدها ومألوفاتها ، وتصحيحاً لمقامات اليقين : من التوكل على الله ، والإخلاص له ، والزهد في الدنيا ، وفي المال والجاه ، والمنزلة في قلوب الناس .

وكان الأكثر من رجال الله على مثل هذا الوصف وهذا السبيل . وكان من ظهر للناس منهم أو جالسهم ، إنما يجلس مع الخاصة ، ويخوض معهم في العلوم الخاصة .

وكان أحدهم إذا كثر عليه الناس يترك الجلوس ويقوم عنهم ، وربما أمر بعضهم بغلق الباب عليه وعلى أصحابه من الخاصة ؛ لدقة العلوم التي يتذاكرون بها ، ويتفاوضون فيها بينهم .

= وقته ، وأول من تكلم بلسان التوحيد وحقائق الأحوال مات سنة ٢٥١هـ .

(١) هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري . أحد أئمة القوم ومن أكابر علمائهم المتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص وعيوب الأفعال . توفي سنة ٢٨٣هـ .

وكانوا يفِرُّون من الشهرة ، ومن نَصْب أنفسهم للفتيا ، وتقلُّد الولايات والأحكام ، والجلوس لعامة الناس شغلاً منهم بأنفسهم ، وحرصاً على سلامة دينهم وصلاح قلوبهم . ولمَّا لقي هرِم بن حيان[1] أويساً القرَني ـ رحمهما الله ـ بشاطىء الفرات بعد أن طلبه مدة قال له : حدثني بحديث أحفظه عنك عن رسول الله ﷺ ، فقال له أويس : إني لم ألق رسول الله (بأبي وأمي رسول الله) ، ولكني لقيت رجالًا رأوه ، وقد بلغني من حديثه ، وأكره أن أفتح على نفسي هذا الباب ! لي شغل شاغل في نفسي ! لا أحب أن أكون محدثاً ولا مفتياً ولا قاضياً ، أو كما قال ـ رحمه الله ـ ، والقصة في ذلك مشهورة .

وكان يقال : مَثَل بشر بن الحارث مَثَل العين العذبة ، يَرِدُها الواحد بعد الواحد . ومَثَل أحمد بن حنبل مَثَل دجلة ، يَرِدها البرُّ والفاجِرُ . وقال بشر ـ رحمه الله ـ : فضلني أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ بثلاث : ذكر منها أنه نُصِّب إماماً

---

(١) العبدي الأزدي ، من بني عبد القيس ، من كبار النساك من التابعين كان أمير عبد القيس في الفتوح . ولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان بأرض فارس ، وكان من سكان البصرة . وعدَّه ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية من كبار التابعين . مات في إحدى غزواته بعد سنة ٢٦هـ .

للعامة . وكان أحمد يقول في بشر : ومَن مِثْلُ بشر ، إنه قعد على مثل حد السيف (أي من الورع والاحتياط للدين ، والتقلل من الدنيا) . فانظر ـ رحمك الله ـ إلى هؤلاء الأئمة ، كل منهم يفضِّل صاحبه على نفسه ويشهد له بالسبق والتقدم .

وقال بشر : أشتهي أن أحدِّث ، ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدَّثت . وروى أنه دفن بضعة عشر ما بين قوصرَّة وقِمَّطر[1] من الكتب .

ورُئي الإمام محمد بن يوسف الأصفهاني وهو يدفن كتبه ويقول : كنت محدثاً فكان ماذا ! كنت مفتياً فكان ماذا ! كنت قاضياً فكان ماذا ! أو كما قال .

ومثل ذلك كان شأنُ رجال أقبلوا على الله وعلى الدار الآخرة، واشتغلوا بخاصة أنفسهم ، وتجردوا لعبادة ربهم ، وفيهم يصدق قول من قال: كان العلماء إذا علموا عملوا ، فإذا عملوا شُغلوا، فإذا شُغلوا فُقدوا، فإذا فقدوا طُلبوا ، فإذا طلبوا هربوا ـ أي فراراً بدينهم ، واحترازاً عمن يشغلهم عن عبادة ربهم ـ .

---

(١) القوصرة ـ بتشديد الراء وتخفف ـ : وعاء التمر . والقمطر ـ بتشديد الميم المفتوحة وتخفيفها ـ : ما تصان به الكتب .

وكان العلماء في تلك الأزمنة متكاثرين ومتوافرين . وكان القيام بفرض الكفاية من تعليم من ليس يعلم حاصلاً بالبعض منهم وقائماً به . فتفرغ أمثال هؤلاء الذين ذكرناهم للعمل والعبادة ، والاعتزال عن الناس ، والإقبال بكنه الهمة على الدار الآخرة ، وترك ما يَشغَلُهم عن ربهم وعن طاعته ، والتجرد لعبادته كائناً ذلك ما كان .

ثم إن من أهم المهمات على سالكي هذه الطريق بعد أخذ ما لا بد له من العلم لهم ، التحريَّ البالغَ ، والحرصَ التام على تناول الحلال ، ثم على الاقتصاد منه على قدر الضرورة والحاجة من المطعم والملبس ، ونحو ذلك من الحاجات المعاشية . وأن لا يتساهلوا في ذلك ، ولا يأخذوا فيه بالرخصة وما يجوز مما هو شأن العامة ؛ بل يجتهدوا في طلب الحلال المطلق الصافي عن جميع الشوائب ، فإن صفا لهم ذلك وتيسر وهم بين ظَهْرَانَيِ الناس ، وإلا خرجوا في طلبه إلى حيث يوجد ، ويتيسّرُ من المواضع التي يوجد ذلك فيها من الجبال والبراري التي يكثر فيها وجود الأشياء المباحة المقتاتة ولو من الحشيش .

وقد أخذ بذلك واعتمده كثير من رجال الله ، الذين لهم

عناية بصفاء قلوبهم وصلاحها واستعدادها لمعرفة الله ، والمكاشفة بأسراره وغيوبه في مُلكه وملكوته ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فبلَغَنا عن بعضهم أنه كان يقتات الحشيش حتى أخضرَّ جسده ، وكان بعضهم إذا لم يجد الحلال المطلق يستفُّ من الرمل الأيام الكثيرة ؛ نقل ذلك عن سفيان الثوري وغيره ، ـ رحمهم الله تعالى ـ .

وأما ما يقوله العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ : إن الحلال هو الذي لا يعلم الإنسان سبباً ظاهراً في تحريمه ، وإن مَن أكثرُ ماله حلال تجوز معاملته ، فذلك صحيح ، وهو الذي يسع عامة المسلمين ويتيسر لهم ، وما جعل الله عليهم في الدين من حرج ولكن الجائزَ والمباح ، وموضع الرخصة والسعة ، غيرُ الورع والاحتياط والأخذ بعزائم الدين ، ولكل مقام رجال ، ولكل حال مقال .

وقد بالغ رجال من هذا الصنف في الاقتصار من الحلال الصافي ، على ما لا بد منه في حفظ القوة التي لا بد منها في إقامة أمر الله وفرائض دينه . وانتهى بعضهم إلى الاقتصار على حد الضرورة من ذلك . ولهم في ذلك سِيَر وأقوال معروفة عن سهل بن عبد الله التستري وغيره من أئمتهم . وقد شرح ذلك

وفصَّله المصنف في فصل مجرد من « الفصول العلمية »[1] ، وجعله على أربع حالات لأربعة أصناف ، وكذلك الإمام حجة الإسلام ـ رحمه الله ـ في كتاب (كسر الشهوتين) من « الإحياء » وفي غيره من كتبه التي ألفها في علومهم وشرح طرائقهم .

وقد كان أبو سليمان الداراني[2] ـ رحمه الله ـ يقول : أحلى ما تكون العبادة إذا التصق بطني بظهري . وقال أيضاً : لأن أترك لقمة من عشاي أحب إِلَيَّ من قيام ليلة . وأقوالهم في ذلك كثيرة مشهورة .

وقد ردَّ بعضهم أصول هذه الطريقة إلى أربعة : قلة الطعام ، وقلة المنام ، وقلة الكلام ، واعتزال الأنام . قال : وبها صار الأبدال أبدالًا ، وهي أركان بيت الولاية ، وفي ذلك يقول قائلهم :

بيت الولاية قَسَّمَتْ أركانَه ساداتُنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسَّهَرِ النزيه العالي

---

(١) هو الفصل الثالث والثلاثون من الكتاب المذكور .

(٢) هو أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني . و « داريا » : قرية من قرى دمشق كان كبير الشأن في علوم الحقائق والورع ، توفي سنة ٢١٥هـ .

وقد نظمناها في بيت من آخر التائية وهو :

وكن في طعام والمنام وخِلطة ونُطْقٍ على حد اقتصار وقِلّة

وفي الرائية التي مطلعها :

يا زائري حين لا واشٍ من البَشَرِ ....

وبالرياضة من صمت ومخمصة مع التخلي عن الأضداد والسَّهَرِ

ومن آخر العينية أيضاً :

والنفس رُضْها باعتزال دائم

والصمتِ مَعْ سَهَر الدُّجىٰ وتَجَوُّع

وقد قال حاتمٌ الأصم[1] ـ رحمه الله تعالى ـ : من أراد طريقنا هذا فليوطن نفسه على أربعة ألوان من الموت : موت أبيض وهو الجوع ، وموت أحمر وهو مجاهدة النفس ، وموت أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض ، وموت أسود وهو احتمال الأذى من الخلق ، أو كما قال .

وقال الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ : لا يصلح طريقنا هذا إلّا لأقوام كُنِسَت بأرواحهم المزابل (أي من تذللهم لله ،

---

(١) هو أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف الأصم . من قدماء مشايخ خراسان من أهل بلخ مات سنة ٢٣٧هـ .

وتواضعهم لعباده ، وخضوعهم وخشوعهم لعظمته) .

واعلم أن الصادقين من أهل هذا الطريق قد قلُّوا وعزُّوا ، حتى صاروا أعز من الكبريت الأحمر ، حتى قال بعض المحققين بفقدهم وخُلُوِّ الأرض منهم ؛ وفي كلامه نظر . وقد يُعَبَّرُ عما قلَّ وعزَّ وجوده بالمفقود ، والأرض لا تخلو عن قائم لله بحججه ، وفي الحديث : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم مَن خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » ، وفي الحديث الآخر : « ليجدن ابنُ مريم من أمتي رجالًا هم مثلُ حوارييه أو خيرٌ منهم » ، أو كما قال عليه الصلاة والسلام . ولكنهم يقلون ويستترون عند فساد الزمان وعموم الفتن ، وغلبة الغفلة والإعراض عن الله [**فمنهم**] من يعتزل الناس مع الإقامة بين أظهرهم . [**ومنهم**] من يستتر عنهم بحرفة ونحوها . [**ومنهم**] من يخرج إلى البراري والقفار ؛ فراراً إلىٰ الله بدينه ، واحترازاً من الفتن والمفتونين.

قال بعض العارفين : إنما خرج أهل الحق من بين أظهر الناس إلى القِفار والبراري ؛ لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء السوء ، الذين هم علماء عند أنفسهم ، وجهال عند أهل الله تعالى من رجال الحق . انتهى ما ذكره بمعناه .

فأهل هذه الطريقة أحرصُ الناس على الاستتار والخمول ، والفرار عن الناس خصوصاً عند فساد الزمان . وإلى أهل هذه الطائفة الإشارة بمثل قوله عليه الصلاة والسلام : « كم من أشعثَ أغبرَ ذي طِمرين لا يُؤبه به ، لو أقسم على الله لأبرَّه »[1] منهم البراء بن مالك . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي »[2] يعني بالغني : غنِيَّ النفس القنوع .

قال رجل : يا رسول الله ، أي الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله » . قال : ثم من ؟ قال : « رجل معتزل في شِعب[3] من الشعاب يعبد الله ، ويَدَع الناسَ من شره » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « يوشك أن يكون خيرُ مال المسلم غنماً يتبع بها شَعَف[4] الجبال ومواقع

---

(١) روى هذا الحديث الحاكم في (المستدرك) ، وأبو نعيم عن أبي هريرة بلفظ « رب أشعث ذي طِمرين تنبو عنه أعين الناس ، لو أقسم على الله لأبره » والأشعث : المغبَرُّ الرأس ، أو المتلبد الشعر . والأغبر : ما لونه الغبرة ، وهي التراب . والطِمر : الثوب البالي .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن سعد بن أبي وقاص .

(٣) الشعب ـ بكسر أوله ـ : الطريق ، أو الجبل .

(٤) شعف الجبال : رؤوسها ؛ جمع شعفة .

القطْر ، يفرّ بدينه من الفِتن » .

وعن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « اليسير من الرياء شرك ، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة . إن الله يحب من عباده الأبرار الأتقياء الأخفياء ، الذين إذا غابوا لم يُفقدوا ، وإن حضروا لم يُعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل غبراء مظلمة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من صلاة ، وكان رزقه كفافاً وصبر عليه حتى لقي الله ، وأحسن عبادة ربه ، وكان غامضاً[١] في الناس عُجِّلت منيته ، وقلّ تراثه ، وقلَّت بواكيه » وفي مثله أنشدوا :

أخص الناس بالإِيمان عبدٌ ... خفيف الحاذِ مسكنه القِفَارُ
له بالليل حظ من صلاة ... ومن صوم إذا طلع النهار
وفيه عِفّةٌ وبه خمول ... إليه بالأصابع لا يُشَار
وقلّ الباكياتُ عليه لما ... قضى نحباً وليس له يَسارُ

قال الشيخ الإِمام عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني[٢]

---

(١) خفيف الحاذ : خفيف الظهر . غامضاً : محتقراً مهاناً .

(٢) نسبة إلى بني يافع من حمير . ولد ونشأ في عدن . وتوفي بمكة سنة ٧٦٨هـ .

ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (روض الرياحين) في الحكاية الخامسة والأربعين بعد المائة منه : روي أن أُوَيْساً القَرَني[1] ـ رضي الله عنه ـ ، كان يقتات من المزابل ويكتسي منها ، فنبحه كلب على مزبلة ؛ فقال له أويس : كُلْ مما يليك ، وأنا آكل مما يليني ولا تنبحني . فإن جزتُ الصراطَ فأنا خير منك ، وإلا فأنت خير مني . وكان أهله يقولون : هو مجنون . وأقاربه به يستهزئون ، والصغار به يتولعون ، وبالحجارة يَرمُون ، وفيه أقول :

سقى الله قوماً من شراب وداده فهاموا به ما بين بادٍ وحاضر
يظنهمُ الجهال جُنُّوا وما بهِمْ جنون سوى حُبٍّ على القوم ظاهر
سُقوا بكؤوس الحبِّ راحاً من الهوى فراحوا سُكارى بالحبيب المسامر
يناجونه في ظلمة الليل عندما به قد خَلَوْا منهم أُويْسُ بنُ عامر

---

(١) هو ابن عامر بن جزء . من بني قَرَن (بفتحتين ، بطن من مراد) من سادات التابعين ، ومن أكابر الزهاد . رَثُّ البيت قليل المتاع . يرجح أنه قتل في وقعة صفين مع علي كرم الله وجهه سنة ٣٧هـ .

وفي الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء ، الشعِثَةُ رؤوسهم ، المغبَرَّةُ وجوههم ، المخمَّصة بطونهم ، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم ، وإذا خطبوا المتنعمات لم يُنكَحوا ، وإن غابوا لم يُفتَقَدوا ، وإن طلعوا لم يُفرح بطلعتهم ، وإن مَرِضوا لم يُعادوا ، وإن ماتوا لم يُشهَدوا » . قالوا : يا رسول الله ، كيف لنا برجل منهم ؟ قال : « ذاك أُوَيسٌ القرني » . قالوا : وما أُويسٌ القرني ؟ قال : « أشهل ذو صهوبة ، بعيدُ ما بين المنكِبين ، معتدل القامة ، آدمُ شديد الأدمة ، ضاربٌ بذقنه إلى صدره ، رامٍ ببصره إلى موضع سجوده ، واضعٌ يمينَه على شماله ، يبكي على نفسه ، ذو طِمرين لا ثوب له ، متَّزِرٌ بإزار صوف ورداء صوف ، مجهول في أهل الأرض ، معروف في أهل السماء ، لو أقسم على الله لأبرّ قسمه ، ألا وإن تحت منكِبه الأيسرِ لُمعةً بيضاء ، ألا وإنه إذا كان يومُ القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة ، وقيل لأويس : قف فاشفع ؛ فيشفِّعه الله في مثل ربيعة ومضر ، يا عمر ، يا علي ، إذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه أن يستغفر لكما ، يغفر الله لكما » .

قال : فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه ؛ فلما كان في آخر السنة التي توفي فيها عمر ، قام على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته : يا أهل اليمن ، أفيكم أويس ؟ فقام شيخ كبير طويل اللحية ، فقال : إنا لا ندري ما أويس ! ولكن ابن أخ لي يقال له أويس ، وهو أخمل ذكراً ، وأقل مالًا ، وأهون أمراً من أن نرفعه إليك ! وإنه ليرعى إبلنا ، حقير بين أظهرنا . فعمَّى عليه عمر كأنه لا يريده . وقال : أين ابن أخيك هذا ؟ أبِحَرَمِنَا هو ؟ قال : نعم ، قال : وأين يصاب ؟ قال : بأراك عرفات . قال : فركب عمر وعلي ـ رضي الله عنهما ـ وأسرعا إلى عرفات ؛ فإذا هو قائم يصلي إلى شجرة والإبل حوله ترعى فشدّا حماريهما ، ثم أقبلا عليه ، وقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ؛ فخفف أويس من الصلاة ، ثم ردَّ عليهما السلام فقالا : مَن الرجل ؟ فقال : راعي إبل وأجير قوم . فقالا : لسنا نسألك عن الرعاية والإجارة ، ما اسمك ؟ قال : عبد الله ، قالا : قد علمنا أن أهل السماوات والأرض كلهم عبيد الله ؛ فما اسمك الذي سمتك به أمك ؟ قال : يا هذان ، ما تريدان بي ؟ قالا : وَصَفَ لنا النبي ﷺ أويساً القرني ، فقد عَرَفْنا الصهوبةَ والشهولة ، وأخبَرَنا أن تحت منكبه الأيسر لُمعةً

بيضاء ، فأوضِحْها لنا ، فإن كانت بك فأنت هو . فأوضح لهما منكِبه ، فإذا لُمعة فابتدرا يقبِّلانه وقالا : نشهد أنك أويس القرني ، فاستغفر لنا يغفر الله لك ، فقال : ما أخص باستغفاري نفسي ولا أحداً من ولد آدم ، ولكنه في البر والبحر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات . يا هذان قد شهَّر الله لكما حالي وعَرَّفكما أمري ؛ فمن أنتما ؟ قال علي : أما هذا فعمرَ أمير المؤمنين ، وأما أنا فعلي بن أبي طالب ؛ فاستوى أويس قائماً وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وأنت يا ابن أبي طالب ، فجزاكما الله عن هذه الأمة خيراً ، قالا : وأنت فجزاك الله عن نفسك خيراً . فقال له عمر : مكانَك حتى أدخل مكة ، فآتِيَك بنفقة من عطائي ، وفضل كسوة من ثيابي ، هذا المكان ميعاد بيني وبينك ؛ فقال : لا ميعاد بيني وبينك يا أمير المؤمنين ، ولا أراك بعد اليوم تعرفني، وما أصنع بالنفقة ؟ ما أصنع بالكسوة ؟ أما ترى عليَّ إزارين من صوف ، متى تراني أبليهما ! أما تراني قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم ، متى تراني آكلها ؟ يا أمير المؤمنين ، إن بين يديَّ ويديك عقبةً كؤوداً لا يجاوزها إلَّا كُلُّ ضامر مخفّ مهزول ، فأخِفَّ رحمك الله . فلما سمع عمر

ذلك ضرب بِدِرَّته الأرض . ثم نادى بأعلى صوته : ألا ليت عُمَرَ لم تلده أمه ! ألا ليتها كانت عقيماً لم تعالج حملها ! ألا من يأخذها بما فيها ولها (يعني الخلافة) . ثم قال يا أمير المؤمنين ، خذ أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا . فولَّىٰ عمر ناحية مكة ، وساق أويس إبله فوافى القوم فأعطاهم إياها وخلَّى الرعاية ، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله تعالى .

وفي صحيح مسلم : أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ، ثم من قَرَن ، كان به بَرص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها برٌّ ، لو أقسم على الله لأبرَّه ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل » وساق الحديث . . إلى أن ذكر اجتماع عمرَ به وقوله : فاستغفر لي فاستغفر له ، فقال له عمر : أين تريد ؟ قال الكوفة ، قال : ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال أكون في غَبْراء الناس أحب إلَيَّ . . وهذا بعض الحديث .

وفي رواية مسلم عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن خير التابعين رجل يقال له أويس ، وكان له والدة هو بها برٌّ ، وكان به بياض فمُروه فليستغفر لكم » .

قول أويس « غبراء الناس » ، هو بفتح الغين المعجمة وإسكان الباء الموحدة وبالمد وهم : فقراؤهم وصعاليكهم ، ومن لا تُعرَف عينه من أخلاطهم .

وروي عن علقمة بن يزيد ـ رضي الله عنه ـ قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين ، منهم أويس القرني ، ظن أهله أنه مجنون فبنوا له بيتاً على باب دارهم وكانت تأتي عليه السنون لا يرون له وجهاً ، وكان طعامه مما يلتقطه من النوى ؛ فإذا أمسى باعه لإفطاره . فلما وَلِيَ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال في الموسم : أيها الناس ، قوموا فقاموا ، فقال : اجلسوا إلّا من كان من اليمن ، فجلسوا . فقال : اجلسوا إلّا من كان من أهل مراد ، فجلسوا ، فقال : اجلسوا إلا من كان من قَرَن ، فجلسوا إلا رجلاً وكان عَمَّ أويس ؛ فقال له عمر : أَقَرَنيٌّ أنت ؟ قال : نعم . قال : أتعرف أويساً ؟ قال : أو تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما فينا أحمقَ ولا أجنَّ ولا أجوعَ منه ، فبكى عمر . ثم قال : بك لا به ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يدخل الجنة بشفاعته مِثْلُ ربيعة ومضر » .

وروي عن عمار بن يوسف الضبي قال : قال رجل لأويس

القرني : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أحب الله ، وأمسيت أحمد الله ، وما تسأل عن حال رجل إذا أصبح ظن أنه لا يمسي ، وإذا أمسى ظن أنه لا يصبح ، إن الموت وذِكْرَه لم يدَع لمؤمن فرحاً . وإن حقَّ الله تعالى في مال المسلم لم يدع له في ماله فضة ولا ذهباً ، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع لمؤمن صديقاً . كنا نأمرهم بالمعروف ويشتمون أعراضنا ، ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين ؛ حتى والله لقد رَمَوْني بالعظائم ، وَآيْمُ الله لا أدع أن أقوم لله فيهم بحقه . ثم أخذ الطريق (يعني يمشي) وخَلاَّني .

وروي عن هَرِم بن حيَّان ـ رضي الله عنه ـ قال : بلغني حديث أويس فقدمت الكوفة ، فلم يكن لي همٌّ إلا طلبه ، حتى سقَطْتُ عليه جالساً على شاطىء الفرات نصف النهار يتوضأ ؛ فعرفته بالنعت الذي نُعِت لي . فإذا رجل نحيل شديد الأدمة أشعث ، محلوق الرأس مهيب المنظر ؛ فسلمت عليه فردَّ عليَّ ونظر لي ، ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني .

قلت : وفي انقباض أويس ـ رضي الله عنه ـ وما كان عليه فيه من رثاثة الحال والتوحش والانعزال ، وما نَسَبَ إليه

الجهال من الجنون والاختلال ، وما كان فيه من التقشف والابتذال ، وغير ذلك من سائر الأحوال . . أظهرُ دليلٍ لمن نحا ذلك النحو من الفقراء الصادقين ، ولا مبالاة بإنكار من يُنكِر عليهم ، بزعم أن ذلك خلاف السنة ، ولم يدر أن السنة العظمى هي ترك الدنيا والإعراض عن الورى ، والإقبال على المولى سبحانه وتعالى .

قال هَرِم : فقلت : يرحمك الله يا أويس ، وغفر لك ! كيف أنت ؟ وخنقتني العَبرة من حبي إياه ، ورقَّتي عليه لما رأيت من حاله حتى بكيت وبكى . قال : وأنت فحياك الله يا هَرِمَ بنَ حيان ! فكيف أنت يا أخي مَن دلّكَ علي ؟ قلت : الله . قال : لا إله إلّا الله ، سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولًا . قلت : ومن أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتني ؟ قال : أنبأني العليم الخبير ، وعرفتْ روحي روحَك ، حين كلمتْ نفسي نفسك ، إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضاً ، ويتحابُّون بروح الله وإن لم يلتقوا ، وإن نَأَتْ بهم الدار وتفرقت بهم المنازل . قلت : حدثني رحمك الله عن رسول الله ﷺ . قال : إني لم أدرك رسول الله ﷺ ولم تكن لي معه صحبةٌ ! بأبي وأمي رسول الله ! ولكني قد رأيت

رجالًا رأوه ، وبلغني من حديثه ، ولست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب أن أكون محدِّثاً ، أو قاضياً ، أو مفتياً ، في نفسي شغل شاغل عن الناس . فقلت : أي أخي ، اقرأ علي آيات من كتاب الله تعالى أسمعها منك ، وأوصني بوصية أحفظها عنك ؛ فإني أحبك في الله ، فأخذ بيدي ، فقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . قال ربي ، وأحق القولِ قولُ ربي ، وأصدق الحديث حديث ربي ، ثم قرأ : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ إلى قوله : ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٤/٣٨ ـ ٤٢] فشهق شهقة وأنا أحسبه قد غشي عليه .

ثم قال : يا ابن حيان مات أبوك حيان ، ويوشك أن تموت أنت ، فإما إلى الجنة وإما إلى النار ، ومات أبوك آدم ، وماتت أمك حواء ، يا ابن حيان ، ومات نوح نبي الله ، ومات إبراهيم خليل الله ، ومات موسى كليم الله ، ونَجِيُّ الله ، ومات داود خليفة الله ، ومات محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء ، ومات أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ ، ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب ! فقلت له : يرحمك الله ! إن عمر لم يمت . قال : بلى قد نعاه إليَّ ربي ونعى إليَّ نفسي ، وأنا

وأنت في الموتى ، ثم صلى على النبي ﷺ ودعا بدعوات خِفاف .

ثم قال: هذه وصيتي إياك : كتاب الله ، ونعي المرسلين، ونعي صالحي المؤمنين ؛ فعليك بذكر الموت ، ولا يفارقنَّ قلبك طرفة عين ما بقيت ، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم ، وٱنصح الأمة جميعاً . وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار ، وادع لي ولنفسك . ثم قال : اللهم إن هذا زعم أنه يحبُّني فيك ، وزارني من أجلك ؛ فعرِّفني وجهه في الجنة ، وأدخله عليَّ دارَك دار السلام ، واحفظه ما دام في الدنيا حياً ، وأرضه في الدنيا باليسير ، واجعله لما أعطيته من نعمتك من الشاكرين ، واجزه عني خيراً . ثم قال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، لا أراك بعد اليوم ـ يرحمك الله ـ تطلبني ؛ فإني أكره الشهرة وأحب الوحدة ؛ لأني كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حياً ، فلا تسأل عني ولا تطلبني . واعلم أنك على بالِ وإن لم أرك وترني ، وٱذكرني وادع لي فإني سأدعو لك وأذكرك إن شاء الله تعالى ، فخذ أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا . فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى عليَّ ، وفارقته يبكي وأبكي ! وجعلت

أنظر إليه حتى دخل بعض السكك . ثم سألت عنه بعد ذلك وطلبته فلم أجد أحداً يخبرني عنه ، وما أتت عليَّ جمعة إلا وأنا أراه في منامي مرة أو مرتين .

وروي عن أصبَغ ـ رضي الله عنه ـ قال : كان أويس ـ رضي الله عنه ـ إذا أمسى يقول : هذه ليلة الركوع ، ويركع حتى يصبح ، ويقول : هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح ، وكان إذا أمسى يتصدق بما في بيته من الطعام والثياب ثم يقول : اللهم من مات جوعاناً فلا تؤاخذني به ، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به .

وروي عن النضر بن شُميل[1] ـ رحمه الله تعالى ـ قال : كان أويس يلتقط الكِسَر من المزابل فيغسلها فيتصدق ببعضها ويأكل بعضها ويقول : اللهم إني أبرأ إليك من كل كبد جائع .

وروي عن عبد الله بن سلَمة ـ رضي الله عنه ـ قال : غزونا أَذَرْبيجان زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وأويس القرني معنا ، فلما رجعنا مَرِض فحملناه فلم يستمسك فمات ،

---

(١) النضر بن شميل بن خرشه المازني التميمي . أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة . ولد بمرو من بلاد خراسان واتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقربه . وتوفي بمرو سنة ٢٠٣هـ .

فنزلنا فإذا قبر محفور ، وماء مسكوب ، وكفن وحَنوط ، فغسلناه وكفناه ، وصليت عليه ـ يعني : ودفناه ـ ومشينا . قال بعضنا لبعض : لو رجعنا فعلَّمنا قبره ، فرجعنا فإذا لا قبر ولا أثر .

وروي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ـ رحمه الله تعالى ـ قال : نادى منادٍ يوم صفين : أوَ في القوم أويس القرني ؟ فوُجِد في القتلى من أصحاب علي ـ رضي الله عنه وعنهم أجمعين ـ والله أعلم . انتهى ما ذكره اليافعي ـ رحمه الله تعالى ـ مع حذف يسير .

وعن ذي النون[1] المصري ـ رحمه الله ـ قال : بينما أنا أسير ببعض سواحل الشام ، إذ أنا بامرأة مقبلة ؛ فقلت لها : من أين ؟ فقالت : من عند رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . فقلت لها : وإلى أين ؟ فقالت : إلى قوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع . فقلت : صفيهم لي ، فأنشأت تقول :

قوم همومهمُ بالله قد عَلِقَتْ　　فما لهم هِممٌ تسمو إلى أحدِ

---

(١) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري الإخميمي . وكان أبوه إبراهيم نوبيا . وكان رضي الله عنه رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة . توفي سنة ٢٤٥هـ ورأى الناس طيوراً خضراً ترفرف على جنازته حتى وصلت إلى قبره .

فمطلبُ القوم مولاهم وسيِّدُهم يا حُسنَ مطلَبِهِمْ للواحد الصمدِ
ما إنْ تُنازعُهم دنيا ولا شرفٌ من المطاعم واللذاتِ والولدِ
ولا لباسٌ لثوب فائقٍ أنِقٍ ولا لرَوْح سرور حلَّ في بلد
فهم رهائنُ غُدرانٍ وأوديةً وفي الشواهق تلقاهم مع البَدد

وقيل للجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ : إن أبا سعيد الخراز[1] كان كثيرَ التواجد عند وفاته ، فقال : ليس بعجب أن تطير روحه اشتياقاً إلى الله عز وجل . وكان في حالته تلك ينشد هذه الأبيات :

حَنينُ قلوب العارفين إلى الذِكْرِ
وتذكارُهم عند المناجاة للسِرِّ
أديرت كؤوس للمنايا عليهمُ
فأَغْفَوا عن الدنيا كإغفاء ذي السُّكْرِ
همومهمُ جوَّالة بمعسكر به أهلُ وُدِّ الله كالأنجم الزُّهْرِ
فأجسادهم في الأرض قَتْلىٰ بحبه
وأرواحهم في الْحُجْب نحو العلا تَسري

---

(١) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز . من أهل بغداد . وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم . قيل : إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء . مات سنة ٢٧٩هـ .

فمـــا عـــرَّســـوا إلا بقـــرب حبيبهـــم
وما عرَّجوا عن مسٍّ بؤس ولا ضُرِّ

ولما حضرت الجنيد ـ رحمه الله ـ الوفاة دخل عليه أبو محمد الجريري[1] ـ رحمه الله ـ فقال : ألك حاجة ؟ قال نعم ، إذا مت فاغسلني وكفنّي وصلِّ عليَّ ، فبكى ، الجريري وبكى الناس معه . ثم قال الجنيد : وحاجة أخرى ، فقال : ما هي ؟ فقال : تتخذ لأصحابنا طعام الوليمة ؛ فإذا انصرفوا من الجنازة رجعوا إلى ذلك حتى لا يقع لهم تشتت . فبكى الجريري ثم قال : والله لئن فقدنا هاتين العينين لا اجتمع منا اثنان أبداً ! قال أبو جعفر الفرغاني : فكان كذلك الأمر بعد وفاة الجنيد ، وإنما كان ذلك الإجتماع ببركة الشيخ ـ رضي الله عنه ـ .

قال الجريري ـ رضي الله عنه ـ . وكان في جوار الجنيد ـ رضي الله عنه ـ مُصابٌ في خَرِبة ، فلما مات الجنيد ـ رحمه الله ـ ودفناه ورجعنا من جنازته ، فَقَدِمَنا ذلك المصاب فصعد

---

(١) هو أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري . كان من كبار أصحاب الجنيد . أُقعد بعد الجنيد في محله ؛ لتمام حاله وصحة طريقته وغزارة علمه وتوفي سنة ٣١١هـ .

موضعاً عالياً وقال لي : يا أبا محمد ، أتراني أرجع إلى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد ، ثم أنشأ يقول :

ووا أسفي من فراق قوم ... هم المصابيح والحصونُ
والمدْن والمزْن والرواسي ... والخِصْب والأمن والسكونُ
لم تتغيرْ لنا الليالي ... حتى توفَّتهمُ المنونُ
فكل جَمْرٍ لنا قلوب ... وكل ماءٍ لنا عيونُ

ثم قال : غاب عنا ، ذلك آخرُ العهد به . رحمة الله عليهم .

وقال بعض العلماء : رأيت الإمام الغزالي ـ رضي الله عنه ـ في البَرِّيَّة وعليه مِرْقَعَة وبيده عُكاز وركوة ، فقلت له : يا إمام ، أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا ؟ فنظر إلي شزراً وقال : لما بزغ بدر السعادة ، في فلك الإرادة ، وظهرت شمس أصول الوصول .

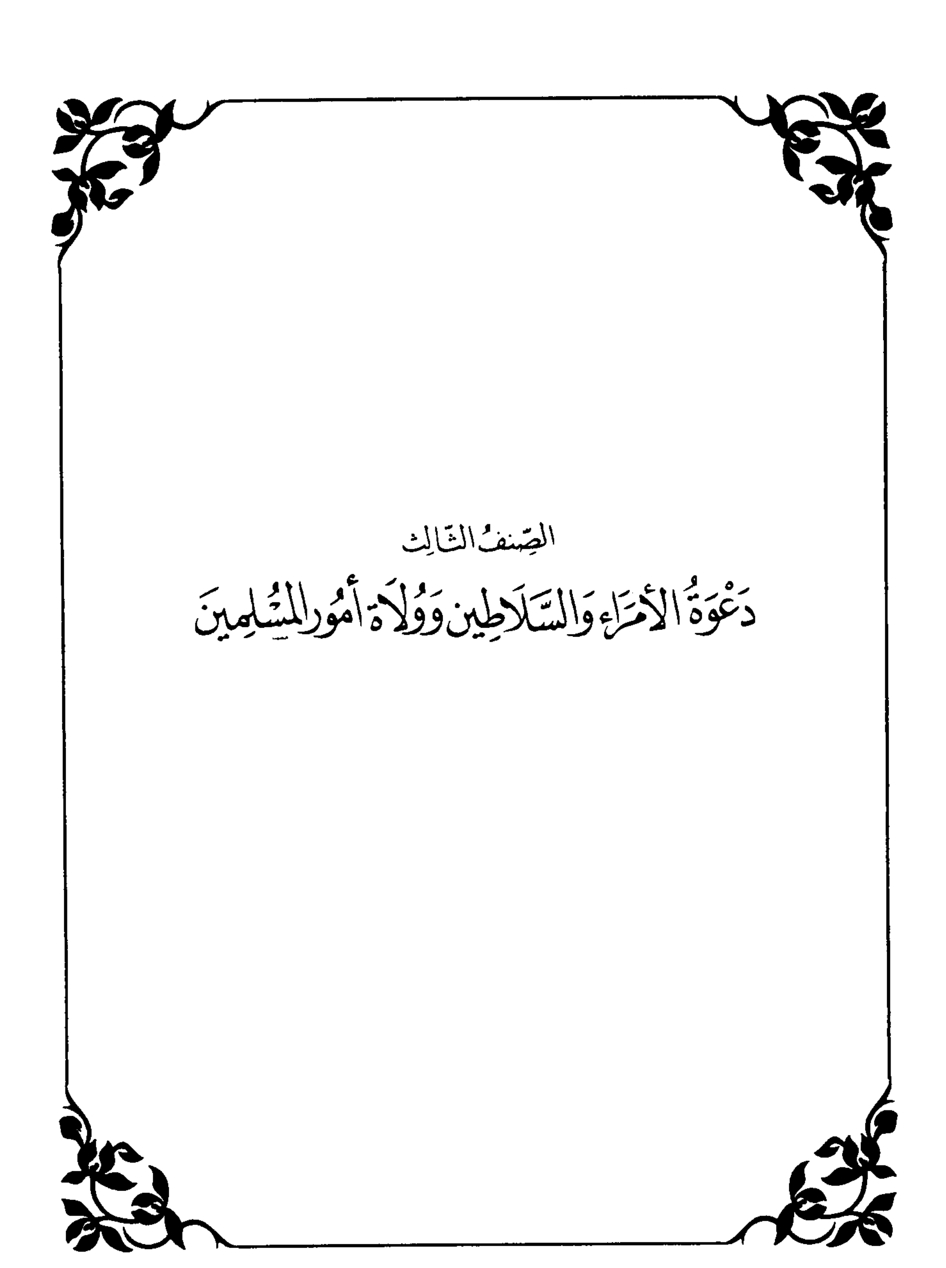
تركت هوى ليلى وسُعدى بمَعزِلِ
وعُدتُ إلى مصحوب أوَّلِ منزلِ
ونادت بِيَ الأشواق مهلاً فهذه
منازل مَن تهوى رُويدَكَ فأنْزِلِ

وقال أمير المؤمنين علي ـ كرم الله وجهه ـ في وصف

رجال الله وخلفائه في أرضه من عباده : أولئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ؛ بهم يَدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعره المترَفون ، وأَنِسُوا بما استوحش منه الجاهلون . صحبوا الدنيا بأَبدانٍ أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى ، أولئك خلفاء الله تعالى في بلاده ، ودُعاته إلى دينه ، آهـ . . آهـ شوقاً إلى رؤيتهم ؟!. انتهى . رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين ، ونفعنا والمسلمين بهم .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٥٨/ ٢٢]

* * *



الصِّنفُ الثَّالِث

دَعْوَةُ الأُمَرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ وَوُلَاةِ أُمُورِ المُسْلِمِينَ



الصنف الثالث

وهم الأمراء والسلاطين والملوك والولاة لأمور المسلمين
القول في نصيحتهم وتذكيرهم . وتنبيههم وتحذيرهم .

اعلم أن الولاة لا بد منهم ، ولا غنى للناس عنهم . والولاية أمر خطير والولاة في غاية الخطر ؛ فإنهم إن قاموا بما يلزمهم من حق الله فيها وحق عباده تعبوا ونصِبوا ، وإن ضيعوا ذلك هلكوا وعطِبوا ، وقد قال رسول الله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنكم ستحرِصون على الإمارة ، وإنها ستكون ندامة يوم القيامة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقُقْ عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرِفق بهم فارفق به » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما من وال على الناس إلا جيء به يوم القيامة مغلولةً يداه إلى عنقه ، فكَّهُ عَدْلُه أو أوبقَه جَوْره » . وقال عليه

الصلاة والسلام : « لَيَوَدُنَّ رجال لو أن ذوائبهم معلقة بالثريا ولم يَلُوا من أمر الناس شيئاً » . وقال عليه الصلاة والسلام : « كم من متخوِّض في مال الله تعالى بغير حق ، له النار يوم القيامة » .

والوعيد الوارد في حق من وَلِي أمر الناس ، ثم لم يأخذ بالعدل والإِنصاف ، ويجتنب الظلم والجَور ، شديد هائل ، ولذلك زهِد فيها المتقون . وفرَّ منها المشمِّرون الذين هم من خشية ربهم مشفِقون ، ومن ابتلي منهم بذلك ولم يجد بُداً مما هنالك ، كان على غاية من الخوف والإِشفاق ، والتحفظ والاحتياط والإِحتراز ، حتى قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مع ما كان عليه من كمال العدل ونهاية الإِحتياط والإِحتراز : من يأخذها بما فيها ـ يعني : الإِمارة ـ ودِدت أني أنجو منها كفافاً ، لا عليَّ ولا ليَ ، وكان من شدة خوفه من الإِضاعة لشيء من أمور المسلمين وحسن النظر فيها لا ينام إلا خفقَاناً وهو قاعد ويقول : إن نمت بالنهار ضيَّعت أمور المسلمين ، وإن نمت بالليل ضيَّعت نفسي ؛ فكيف لي بالنوم بين هاتين ؟!

وكان علي ـ رضي الله عنه ـ إذا اجتمع في بيت مال

المسلمين المالُ دعاهم ، ففرَّقه عليهم حتى لا يبقى فيه درهم ، ثم يأمر بكنسه ونضحه بالماء ، ويصلي فيه ويقول كما يشهد عَلَيَّ بجمع المال فيه ، يشهد لي بالصلاة فيه .

ولما ولي الأمرَ عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ سُمِعَ في داره بكاء كثير ، فسألو عن ذلك فقيل : إنه خيَّر نساءه وجواريَهُ بين أن لا يأتيهن أو الفراق ، وقال : إني قد شغلت عنكن بما كلِّفته من القيام بأمر المسلمين ؛ فاخترنَ الإقامة معه . فرُوي أنه لم يغتسل من جنابة مدة خلافته إلا مرتين ، وكانت خلافته قريباً من سنتين ونصف[1] . وأراد مرة أن يغتسل فأتي بقمقمة من نحاس فيها ماء حار وكان في برد شديد ؛ فسأل : على أي شيء سخنتم هذا الماء ؟ فقيل له : على مطبخ العامة ، فأبى أن يغتسل به ، وأراد أن يغتسل بماء بارد ، فقال له الخادم : إن اغتسلتَ بهذا الماء البارد أصبح الناس ولا خليفة لهم ـ يعني : تموت من شدة البرد ـ . فقال : كيف أصنع وهذا الماء لا يحل لي ؟ فقال له الخادم : تقوِّم الحطب الذي يوقد به على مثل هذا الماء وتجعله في بيت

---

(١) وليها سنة ٩٩هـ وتوفي سنة ١٠١هـ .

مال المسلمين ، فقوَّمه وردَّه في بيت المال .

وسِيَر الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ في أمثال ذلك معروفة ومنتشرة ، يطول ذكرها ولكنه لم يَتِمَّ ذلك ويَسْتَتِبَّ على وجهه كما يجب وينبغي إلا للخلفاء الأربعة : أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان الشهيد ، وعلي المرتضى رضوان الله عليهم ، وكانت مدة خلافتهم هي المدة التي قال فيها رسول الله ﷺ : « إن هذا الأمر بدأ نبوَّةً ورحمة ، ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون مُلكاً عَضوضاً »[1] الحديث . وقال ﷺ : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة » ، فكانت هذه المدة هي مدة الخلفاء الأربعة ، مضافاً إليها الأيام التي استخلف فيها الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ وهي نحو من ستة أشهر ؛ فتمت بها الثلاثون سنة من حين توفي رسول الله ﷺ إلى أن صالح الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ معاوية بن أبي سفيان وبايَع له حين رأى ما رأى ، وأبصر الذي أبصر ، وتم فيه ـ رضي الله عنه ـ ما وعد به جده رسول الله ﷺ في حقه ؛ حيث قال عليه الصلاة والسلام : « إن ابني هذا سيِّد ، ولعل

---

(١) عضوضاً : شديداً ؛ أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم . كأنهم يعضون فيه عضاً .

اللهَ أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ، فلم يكن في مدة الإسلام من حين توفي رسول الله ﷺ إلى أيامنا هذه . أيام ، ولا زمان ، فيه من العدل والإحسان وإماتة الجور والعدوان وإقامة الحق والدين ، وجهاد الكافرين والمعتدين ، مدة تشبه ولا تقارب مدة خلافة الخلفاء الراشدين المهديين ، التي هي الثلاثون سنة المنصوصة في حديثه عليه أفضل الصلاة والسلام .

نعم ؟! قد سار بنحوٍ من سيرتهم وقريباً منها جداً الخليفة الصالح « عمر بن عبد العزيز الأُموي » ـ رحمه الله تعالى ـ ولكنها قصرت مدة خلافته ، ولقي من الناس ومن أهل بيته خصوصاً مشقة وتعباً ، وشدة ومعاناة ومقاساة ؛ لأن الناس قد بَعُدَ بهم العهد عن زمان العدل وإقامة الحق ، وذلك من حين صالحَ الحسن بن علي وبايع لمعاوية ـ رضي الله عنهم ـ إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز ، وذلك نحوٌ من ستين سنة ، فاندرست في هذه المدة أكثر سُنن العدل والإنصاف وظهرت شعائر الظلم والجور ، ومال الناس عن الصواب ، فتعسر ذلك وصعب على عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ إعادتُهم وإرجاعهم إلى مثل ما كان عليه الحال ، والعهد به من أيام

الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ، حتى إنه بلغنا أن عمر بن عبد العزيز سأل من بعض عباد الله الصالحين أن يدعوَ له بالموت لما ٱشتد عليه أمر الناس ، وثقل عليه القيام بالحق والعدل كما ينبغي ؛ فتخيَّر الموت والانتقال إلى الدار الآخرة التي هي خير وأبقى ، وليس ذلك منه عن جزع وتبرُّم ، ولكن خوفاً وإشفاقاً من أن يستقبله الكارهون لأمر الله تعالى ، وإقامة العدل في عباده من المحبين للجور والظلم ، وأكل أموال الناس بالباطل ، بأمر لا يطاق ، ويؤول إلى فتنة واختلاف وفرقة ؛ فتخير ما عند الله على ذلك .

وقد سبقه إلى ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ حيث اختلف عليه أهل العراق ، ورأى منهم ما رأى من التباطؤ عن نصرة الحق ، ومجاهدة أهل البغي ؛ حتى روي أنه قال : اللهم أرِحْني منهم وأرحهم مني ؛ ورأى رسولَ الله ﷺ في المنام ، فشكا إليه ما لقي من الأمة من الاختلاف والمنازعة ؛ فقال له عليه الصلاة والسلام : « أدع الله عليهم » فقال علي ـ رضي الله عنه ـ : اللهم أبدلني خيراً منهم ، وأبدلهم شراً مني .

ولما بلغت مَلِكُ الروم وفاة عمر بن عبد العزيز ـ رحمه

الله ـ شق عليه ذلك ، وقال فيه كلاماً حسناً يثني به عليه ، وقال في آخره : ولكن لا يبقى أهل الخير مع أهل الشر إلا قليلاً ، أو كما قال .

ثم إنه لم يكن فيمن استُخلف على المسلمين بعد الخلفاء الأربعة ـ رضي الله عنهم ـ وبعد عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ من سار بالسيرة المرضية المحمودة المستقيمة لا من بني أمية ولا من بني العباس ـ رضي الله عنه ـ إلا أن بني أمية كانوا أضيع لأمر الله وأشد تهاوناً بحرماته ، وأقل تعظيماً لشعائره من بني العباس ، وبينهم في ذلك تفاوت بعيد وتباين بيِّن . وإلى الله العظيم مآب الجميع ، وعليه حسابهم ، وهو عليم بما يفعلون ، وسيجزيهم بما كانوا يعملون ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٦/٢٢٧] .

وحيث قد صار متعذراً أو متعسراً على من ولي شيئاً من أمور المسلمين ، أن يسير فيهم بسيرة أهل العدل والإحسان ، المجانبين للظلم والعدوان ، فيتعين على كل من كان منهم حريصاً على ابتغاء رضوان ربه وثوابه ، ومشفِقاً من سخطه وعقابه ، أن يكون في سيرته وفي جميع أفعاله وأقواله مقتدياً ومتأسياً بأئمة الحق والهدى ، والعدل والإنصاف ، ما وجد

إلى ذلك سبيلاً ، باذلاً فيه ما يمكنه ويستطيعه ، من غير ميل إلى اتباع الهوى وإيثار الدنيا على العُقْبى ، وأقلُّ ذلك أن يكون في سيرته في جميع أموره ، إلى ولاة العدل والإحسان أقرب وأشبه منه بولاة الجور والطغيان ، والظلم والعدوان ، وليكن معترفاً بتقصيره ، وخائفاً ومشفقاً على نفسه من تخليطه وتفريطه ، غيرَ مغترٍّ بربه ولا معجَباً بنفسه ، ولا ظاناً ولا متوهماً أن له قدَماً مع ولاة العدل والحق والإنصاف ؛ فلعله بذلك يتخلَّص وينجو ، وإن كانت النجاة والخلاص من أبعد شيء وأعزِّهِ في حق ولاة هذه الأزمان والأعصار .

على أنه قد يغلب على كثير منهم الإعجابُ بأنفسهم والاغترار بربهم ، وإن كانت سيرتهم قبيحة ، وأعمالهم سيئة منكرة ، وذلك من شؤم تلبيس الشيطان عليهم وسوء خداعه لهم ، وخفي سعيه في هلاكهم ؛ فإنهم لو شهدوا تقصيرهم واعترفوا بتخليطهم ، وأنهم لم يقوموا بما يجب عليهم من حق ربهم وحق من استرعاهم من عباده وولَّاهم أمرهم من خلقه ، لربما رجعوا إليه وتابوا مما هم فيه، واستغفروا ربهم لذنوبهم، فأقل ما يجب عليهم الاعتراف بالاقتراف والتقصير ، والعزم على التوبة منه إلى الله تعالى .

ومن أهم المهمات على من ولي شيئاً من أمور المسلمين، أن يتبصَّر في الدين ويتعلم ما لا بد له من علمه من علوم الإِيمان وعلوم الإِسلام ليعرف ما فرض الله عليه من طاعته ، وما حرَّم عليه من معصيته ، وما أوجب عليه سبحانه وتعالى من حق ربوبيته في نفسه ، وفي حق من ولاه أمرهم من عباده ، فإن العالم يعرف ذلك ويهدي إليه ، والجاهل بصدد كل شر وإضاعة ، والجهل قبيح بكل واحد ولكنه برؤساء الناس وأرباب المراتب منهم أشر وأقبح ؛ لأنهم لأنفسهم ولغيرهم .

ثم على الوالي أن يكون من أحرص الناس على إقامة فرائض الله تعالى . واجتناب محارمه ، وتعظيم شعائر دينه وحرماته .

وعليه أن يأمر رعيته بذلك ويحثهم عليه ؛ فإن الله تعالى ما ولَّاه أمر عباده إلا ليقيم فيهم دينه ، وما أمر به من طاعته ؛ وحرَّمه من معصيته ، وأما ما يدور على الولاة من أمور الدنيا والمعاش فهو تابع لذلك ولاحقٌ به . والأصل هو السعي في إقامة الدين وأمرِ الله في عباده .

وعلى الوالي : أن يحرص على إزالة المنكرات ومحو

آثارها ، ولا يمِّكن أحداً من التظاهر بها . ومن أظهر من ذلك شيئاً زجره أبلغ الزجر ، وعاقبه أشد العقوبة على حسَب ما يقتضيه الشرع الشريف أو السياسة السلطانية ، كل ذلك مع أهله وفي محله .

وعليه : أن يقيم حدود الله على عباده إذا قامت الحجة وصحت بها البيِّنة ، مثل حد الشرب للخمر والسرقة وغيرهما ، ولا يتساهل في مثل ذلك ولا يقصِّر عنه . وفي الحديث : « حَدٌّ يُعمَل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يُمْطَروا أربعين صباحاً » . وفي إقامة حدود الله على المعتدين لهم ولغيرهم من الزجر عن الباطل والمنكر ، ما لا مزيد عليه ، وبذلك تصلح أحوالهم ، وتحسن طرائقهم . وفيه من إخافة الظالمين وردِّ المعتدين ، وردع الفاسقين ما تحمد عواقبه ، وتحسن آثاره ، قال عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ : إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ؛ أي إن الذين يمنعهم القرآن عن محارم الله هم الذين بحيث لو لم يكن سلطان لكان تقواهم لله وخوفهم منه يمنعهم من ترك ما فرض عليهم من حق ربهم ، ويردعهم عن الوقوع فيما حرمه عليهم وأخذ ما ليس لهم . وأما الكثير من الناس فهم الذين يردهم

خوف السلطان عن التعدي ، وأخذ ما ليس لهم بحق ، ولولا خوفهم من السيف والسوط ونحوهما لم ينكفُّوا ولم يَرْعَوُوا ؛ لقصور نظرهم على أمور الدنيا وأحوال المعاش ؛ وقد قيل : الدين أس والسلطان حارس ، وما لا أس له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع ، وقيل أيضاً : الدين والملك توأمان .

ثم إن كان السلطان الذي هو قائم بالمُلك عادلًا صالحاً . . كانت أُخُوَّة مُلكه للدِّين صحيحة سليمة . وإن كان السلطان إنما رغب في الملك وتقلَّده ، وحرص عليه ليحصِّل لنفسه الرياسة والرفعة على الناس ، وليكون نافذ الأمر مسموع الكلمة رغبة بالدنيا وشهواتها . . كانت أخوَّة المُلك الذي هو صاحب للدين ، غير صحيحة ولا حقيقة ؛ بل هي صورية مجازية ، وما يتفق ويقع من المَلِك الذي هذا وصفه من حفظ أمور الدين ، وحماية أمور المسلمين ، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم فذلك بحكم الاتفاق والتبعية لتوقف استقامة المُلك والرياسة الذي هو بصددها على ذلك .

وأفهم هاهنا قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله يؤيد هذا الدين بالبر والفاجر » ، وفي رواية : « بالرجل الفاجر » ، وفي رواية : « بأقوام لا خلاق لهم » ، وفي رواية « برجال ما هم

من أهله » . وأكثر ملوك هذه الأزمنة بل وأزمنة قد خلَت ، إنما نيتهم الدنيا ونيل الرياسات فيها ، والتمتع بالشهوات منها ، وقد ارتبط بقيامهم في ذلك خيرات كثيرة ، ومصالح دينية ودنياوية من أمن البلاد والعباد ، وقهر أهل الفساد والبغي والعناد ، فسبحان الله العليم الحكيم ، المدبر العظيم . وقد قال عز من قائل كريم : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٥١] ، وفي الآية الأخرى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٢٢/ ٤٠] . وذلك عامٌ فيمن نيته الآخرة والدين من الدافعين ، وفيمن نيته الدنيا والرياسات والشهوات العاجلة الفانية ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٧/ ٨٤] وأعمالهم وأقوالهم وظواهر أحوالهم تدل على نياتهم وضمائرهم ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص : ٢٨/ ٦٩] .

وينبغي للسطان ـ وفقه الله تعالى ـ : أن يكون شفيقاً رفيقاً في موضع الرفق ، ومع مَن يَحْسُنُ معه ذلك من الضعفاء

والمساكين ، والمظلومين وذوي الحاجات . وأن يكون فيه شيء من الشدة والغلظة على الظالمين والمتجبرين ، وأهل البغي والتعدي حتى تقوم له الهيبة في صدورهم ، وتتقيد من خوف السطوة أيديهم . ويكون ذلك كله من الرفق والشدة بقدره في مواضعه ومع أهله ، وذلك من حسن السياسة ؛ فليكن السلطان ـ أصلحه الله ـ عارفاً بطرائقها ومواقعها .

* * *

فعلى حُسْن السياسة والعلم بها مدار كبير في أمور الولايات ، واستصلاح الرعايا ، وهي من ثمرات العقول الراجحة والعلوم الغزيرة ؛ ولذلك لا يُحسِنها ويقوم بها كما ينبغي ، إلا من كَمُل في علمه وعقله ، وبصيرته وصبره ، ولذلك لم يوصف به من الملوك والسلاطين إسلاماً وجاهلية إلا الآحاد منهم والأفراد .

قال الإِمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ : سياسة الناس أشد من سياسة الدواب ، وذلك بيِّن لا خفاء به .

* * *

وعلى السلطان ـ أصلحه الله ـ : أن يفتح الباب ويسهِّل

الحجاب ؛ ليتيسر الوصول إليه لمن أراده ورغب فيه من المتظلمين وذوي الحاجات . ثم ما أمكنه المباشرة له من ذلك بنفسه باشره . وما لم يمكنه مباشرته لشُغل هو أهم منه وأصلح للمسلمين ، فينبغي له أن يقيم فيه ويستكفي من يثق به في دينه وكفايته من وزرائه ووجوه دولته .

* * *

وعليه : أن لا يوسِّط بينه وبين رعيته ، ولا يستعمل عليهم إلا أهل الخير والدين ، والأمانة والصيانة ؛ فإن السلطان بوسائطه وعماله الذين يكونون بينه وبين الناس . فمهما كانوا أخياراً وأمناء بلَّغوا عنه وبلَّغوا إليه الأمور على ما هي عليه من غير تغيير ولا زيادة ولا نقصان ، ومهما كانوا أشراراً مفسدين خوَنةً بلغوا إليه الأمور على حسب أهوائهم ، ووَفق أغراضهم الفاسدة ؛ فتلتبس بسبب ذلك الأمور ، وتضطرب الأحوال ، ويُنسَب ما يصدر منهم إلى السلطان مما يستحسن أو يستقبح . فليتحرَّز السلطان غاية التحرز ، وليتحفّظ نهاية التحفظ من وسائط السوء ، وعمال السوء .

* * *

وعليه ـ أيده الله تعالى ـ : أن يظهر من نفسه نهاية الرغبة في الخير والطاعة ، وإقامة أمر الله في عباده ، ومحبة العدل والإنصاف ، وكراهية الظلم والجور ؛ حتى يتقرب إليه أعوانه ، والمتصلون به بفعل مثل ذلك ، وإظهار العمل به ، ويرفعون إليه ما عرفوا منه الرغبة فيه ، وحب القيام به من تلك الخيرات والمبرات ، فقد قالوا : « السلطان كالسوق ، يُجْلَب إليها ما يَنفُق فيها » ومعناه : أنه إن عُرِف منه الميل إلى العمل بالحق والخير . . أكثرَ أعوانُه من ذكر ذلك عنده ، وتقربوا إليه بالمعاونة عليه . وإن عُرِف منه ضدُّ ذلك . . كان الأمر منهم على وفق ما يناسبه وينفق عنده . وهذا الأمر قد عُرِف بالمشاهدة والتجربة ، وفي قريب منه قيل : « الناس على دين ملوكهم » .

* * *

ثم مَن ظهر له من وسائطه وعماله حُسْن النصيحة والأمانة والكفاية ، زاد في تقريبه وإكرامه وإعلاء منزلته . ومن ظهر منه غش وخيانة وإضاعة . . حذَّره من ذلك وهدده ؛ فإن انزجر وإلا . . حطَّ منزلته وعزله وأبعده ؛ فإنه لا خير في أهل الغش والخيانة والإضاعة ، بل هم السبب في تخريب الممالك ،

وإهلاك الرعايا ، واجتراء الأعداء .

* * *

وليتخذ السلطان ـ أيده الله ـ : وزيراً عاقلاً ، صالحاً ناصحاً ، وفي الحديث : « إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزيراً صالحاً ، إن نسي ذكَّره ، وإن ذكر أعانه . وإذا أراد به سوءاً جعل له وزيراً غير صالح ، إن نسي لم يذكِّره ، وإن ذكر لم يُعِنه » .

وليحترز والي الأمر : من الظلم فإنه أساس الخراب وأصل الفساد وسبب الدمار والبوار . وإذا عُرف به وانتشر عنه كرهته الرعية ونفرت عنه ، وأحبت زواله وهلاكه ، وانطلقت ألسنتها بذمه والدعاء عليه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « خير أمرائكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلُّون عليهم ويصلون عليكم . وشر أمرائكم الذين تُبغِضونهم ويُبغِضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » الحديث . ومعنى الصلاة هاهنا : الدعاء لهم . وقال عليه الصلاة والسلام : « يد الله على الأمير ما لم يَجُرْ ؛ فإذا جار رفع الله عنه يده » ، وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن : ١٥/٧٢] والقاسطون : هم الجائرون . وأما المقسطون : فهم أهل العدل والإنصاف .

وليعلم السلطان ـ أصلحه الله ـ : أنه لا يحل له في أموال المسلمين قليل ولا كثير ، وأَن الضرائب المضروبة عليهم من الجبايات والمكوس والعشور كلها من الظلم الفاحش ، والجور الشنيع . والأموالُ التي تحل له ولأعوانه : إنما هي أمور المصالح من الأموال التي لا مالك لها معين ، ومن مات ولا وارث له ، وما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية ونحوها ، وأشباه ذلك من الأموال .

وقد ذكر الإِمام حجة الإِسلام ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب الحلال والحرام من « الإِحياء » : وجوه الدخل التي منها يكون أموال السلاطين ، وحصرها في عشرة أقسام ، وبيَّنها بياناً حسناً .

وعليه ـ أصلحه الله ـ : أن يجتنب الإِسراف والتبذير ، حتى لا تدعوه الحاجة إلى أخذ أموال المسلمين واستلاب ما في أيديهم ، والله تعالى إنما ملَّكه وولاه عليهم ليحفظ أنفسهم وأموالهم ويحرسها من الظالمين والمعتدين ؛ فإذا ظلمهم هُوَ واغتصبهم ما في أيديهم ، فمن الذي يحفظ ويرد أهل العدوان ! وقد صار الحافظ متعدياً ، والحارس مضيِّعاً ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !

وعلى والي الأمر - أصلحه الله تعالى - : أن يحرص كل الحرص على نصرة المظلوم ، والقيام مع الضعيف حتى يأخذ له حقه من القويِّ . وليجتهد في ذلك كل الاجتهاد .

وأن يكون ناصحاً لرعيته ، باذلاً وُسْعَه في حمايتهم والذب عنهم ، ولا يَغشهم ولا يطمع فيهم ، ولا يستكثر لهم ما في أيديهم .

وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر ، ويحرص كل الحرص على إيصال النفع لهم ، ودفع الضر عنهم فيما يتعلق بأمور دينهم وأمر معاشهم ؛ فإن الله تعالى إنما أقامه لذلك ، وفي الحديث : « أيُّما وال وليَ ولم يَحُطْ رعيته بالنصيحة إلا حرَّم الله عليه الجنة » الحديث .

* * *

ومهما كان الوالي مصلحاً، حَسَنَ الرعاية، جميل السيرة، كان على الرعية أن يعينوه بالدعاء له ، والثناء عليه بالخير . ومهما كان مفسداً مخلِّطاً ، كان عليهم أن يدعوا له بالصلاح والتوفيق للاستقامة ، وألا يَشْغَلوا ألسنتهم بذمه والدعاء عليه ؛

فإن ذلك يزيد في فساده واعوجاجه ، ويعود وبال ذلك عليهم . قال الفضيل ـ رحمه الله ـ : لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلّا للإمام ؛ لأن الله إذا أصلح الإمامَ أَمِنَ العباد والبلاد . وفي بعض الآثار عن الله تعالى أنه قال : « أنا المَلِك وقلوب الملوك بيدي ؛ فمن أطاعني جعلتهم عليه نعمة ، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة . فلا تشغلوا أنفسكم بسبِّ الملوك . وسلوني أعطِّفْ قلوبهم عليكم » الأثر بمعناه .

ولما ذكر رسول الله ﷺ أمراء الجور وقيل له : أفلا ننابذهم يا رسول الله ؟ قال : « لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة » وقال : « إن أحسنوا فلكم ولهم ، وإن أساؤوا فلكم وعليهم » وفي حديث آخر : « أدُّوا الذي عليكم واسألوا الله الذي لكم » . وإنما نهى عليه الصلاة والسلام عن منابذتهم ونزع اليد من طاعتهم ؛ لما يترتب على ذلك من الفتن ، والبلايا العامة التي يكون فيها هلاك الأنفس والأموال . وقد قيل : سلطان غشوم خير من فتنة تدوم .

ومن **الولايات** المخطرة تولي القضاء بين الناس ؛ فعلى من بُلي بذلك أن يتأنى ويتثبَّت ، ويجتهد ويحكم بين عباد الله بما أنزل الله ، ولا يتبع الهوى فيضله عن سبيل الله ، وفي

الحديث : « من جُعِل قاضياً فقد ذُبح بغير سكين » . وفي الحديث أيضاً : « قاضيان في النار وقاض في الجنة : قاض قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة . وقاض قضى بالباطل وهو يعلم أو لا يعلم فهما في النار » . فليتحفظ القاضي ـ أرشده الله ـ غاية التحفظ من المحاباة والمداهنة ، ومراعاة خواطر الناس . وليراقب الله تعالى وحده ، وليقض بالحق الذي أراه الله ؛ فإن التبس عليه أمر فليتثبَّت حتى يتبين له الحق ، فإن استبان وإلَّا فيعدل عن القضاء في تلك الواقعة إلى الصلح الواقع على التراضي والاختيار ، من غير إكراه ولا إجبار .

وليعلم أن أمر القضاء خطر مخوف إلى الغاية ، ولذلك حذِر منه الأئمة الأعلام من السلف الصالح مثل الإمام سفيان الثوري ، والإمام أبي حنيفة وأشباهِهما ، وعرَّضوا أنفسهم بسبب الامتناع للضرب والحبس والفرار في البلاد ، وذلك مشهور من سِيَرهم . ولم يزل أهل الحزم والاحتياط من أهل العلم يفرُّون من تولي القضاء ، ويمتنعون منه أشد الامتناع ؛ خوفاً على أنفسهم ، واحتياطاً لدينهم . وقد ولي قاضي القضاة الشيخ المحقق إسماعيل بن محمد الحضرمي

اليمني[1] ، وولّى بعض أصهاره قضاء زبيد ، ثم إنه دخل عليه في بعض الأيام فرأى عنده ثياباً لم يكن يراها عنده قبل أن يوليه القضاء . فقال له : من أين لك هذه ؟ فقال له : من بركتك يا أبا الذبيح . فقال له : ذبحني الله إن لم أعزلك ! فعزله . وحكاياتهم في مثل ذلك كثيرة مشهورة . وفي تخويف القضاة وتحذيرهم قيل :

إذا خان الأمير وكاتباه
وقاضي الأرض داهَن في القضاء

فويلٌ للأمير وكاتبيه
وقاضي الأرض من قاضي السماء

وليحذر كل الحذر من قبول الرشوة على الأحكام ؛ فإن ذلك من أعظم الآثام . وقد لعن رسول الله ﷺ : « الراشي والمرتشي والرائش » والرائش : هو الساعي بينهما .

ومن الولايات المخطِرة التولي على أموال الأيتام وأشباهها من الأوقاف والصدقات ؛ قال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر

(١) هو قطب الدين ، فقيه شافعي حضرمي ، مولده ووفاته في قرية الضَّحِي « كفتي » من أعمال المهجم التابعة لزبيد ، وتوفي سنة ٦٧٦هـ .

ـ رضي الله عنه ـ[1] : « يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تَأَمَّرَنَّ على اثنين ، ولا تَوَلَّيَنَّ مال يتيم » وقد عدَّ عليه الصلاة والسلام أكل مال اليتيم من الكبائر الموبقات ؛ وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام : ٦/١٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء : ٤/١٠] .

وأما الأوقاف والصدقات فينبغي للشفيق على دينه أن يتباعد عنها ، وألّا يتولى على شيءٍ منها ؛ فإن بُلِيَ بشيءٍ من ذلك فليتق الله فيه ، وليبالغ في حفظها وحسن القيام والنظر عليها أوّلًا . ثم يصرفها في مصارفها ، ويضعها في مواضعها ؛ فإنه قد يأثم من المتولين لنحو الأوقاف والصدقات من لا يخون فيها ولا يأخذ منها شيئاً ، ولكنه يضيِّعها ولا يحسن الحفظ لها ؛ فلا بد في ذلك مع الأمانة من حسن الحفظ والكفاية ، فالمضيع والخائن سيّان في الإثم والتعدي .

---

(١) أبو ذر الغفاري كان يظل نهاره أجمع يتفكر فيما هو صائر إليه . وكان يرى تحريم ادخار ما زاد على نفقة اليوم . توفي رضي الله عنه بالربذة سنة ٣١هـ أو ٣٢هـ .

ثم إن الوالي المتصف بالعدل والإحسان ، السائر في رعيته بالسِيرة الحسنة المَرْضية ، عند الله بمكان ، وله في حسن قيامه بذلك من الله الثواب العظيم والجزاء الكريم ؛ فلْيصلح في ذلك نيته ، ولْيَقُم فيها صابراً محتسباً لوجه الله تعالى . وقد قال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « من إجلال الله تعالى إجلالُ ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، والسلطان المقسط » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « يوم من سلطان عادل أفضل من عبادة ستين سنة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « السلطان ظل الله في أرضه يأوي إليه المظلومون » . وقال عليه الصلاة والسلام : « المقسطون على منابر من نور يوم القيامة : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم » .

وأما إذا جار الإمام وظلم فإنه بِأَشَرِّ المنازل وأسوأ الأحوال ! وعليه يتضاعف العقاب والعذاب بعدد مَن ظلَمَهم

من خلق الله ، وأضاع حقوقهم وأهمل أمورهم ، ولم يمنع بعضَهم من ظلم بعض ، إلى غير ذلك من الذنوب التي يتعرض لها ولاة السوء وأمراء الجور . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إن هذا الأمر في قريش ما إذا استُرحِموا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ؛ فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ؛ لا يقبل الله منه صرْفاً ولا عدلًا » . وقال عليه الصلاة والسلام : « يجاء بالإمام الجائر يوم القيامة فتخاصمه الرعية ، فيفلُجُون عليه[1] فيقال له سُدَّ ركناً من أركان جهنم » . وقال عليه الصلاة والسلام « إنه سيكون من بعدي أمراءُ مَنْ صَدَّقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، وليس بواردٍ عليَّ الحوض . ومن لم يصدقهم بكذبهم ، ولم يُعِنْهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه ، وهو وارد عليَّ الحوض » . فإذا كان هذا حال من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم في الشر ، فكيف يكون حال هؤلاء الأمراء في أنفسهم ! نعوذ بالله من البلاء ، ونسأله العافية في الدنيا والآخرة ، وأن يجعلنا من أهل العدل والإحسان ؛ العاملين بطاعته وما يرضيه في السر والإعلان .

---

(١) يغلبونه .

وٱعلم أنه كما يجب ويتعين على من ولي أمراً من أمور المسلمين : أن يعدل فيمن ولّاه الله أمرهم ، وأن ينصح لهم ؛ فكذلك يجب على كل أحد أن يعدل في رعيته الخاصة به من أهله وأولاده وما ملكت يمينه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته » . وقد ورد أن الإنسان يُكتَب جباراً وما يملك إلّا أهل بيته ؛ أي فيجور عليهم . وورد أيضاً : « أن أهل الإنسان وولدَه يتعلَّقون به يوم القيامة فيقولون : يا ربنا ، خذ لنا حقنا منه ، فإنه لم يعرِّفنا ما يجب علينا من حقك » .

فعليه : أن يعلمهم ما يلزمهم من طاعة الله وفرائضه ، واجتناب محارمه ، ويَحْمِلهم على القيام بذلك فعلاً وتركاً .

وعليه : ألا يظلمَهم حقوقهم التي جعلها الله عليه لهم ، وألا يمكِّن بعضَهم من ظلم بعض ، ويأخذ للمظلوم منهم من ظالمه .

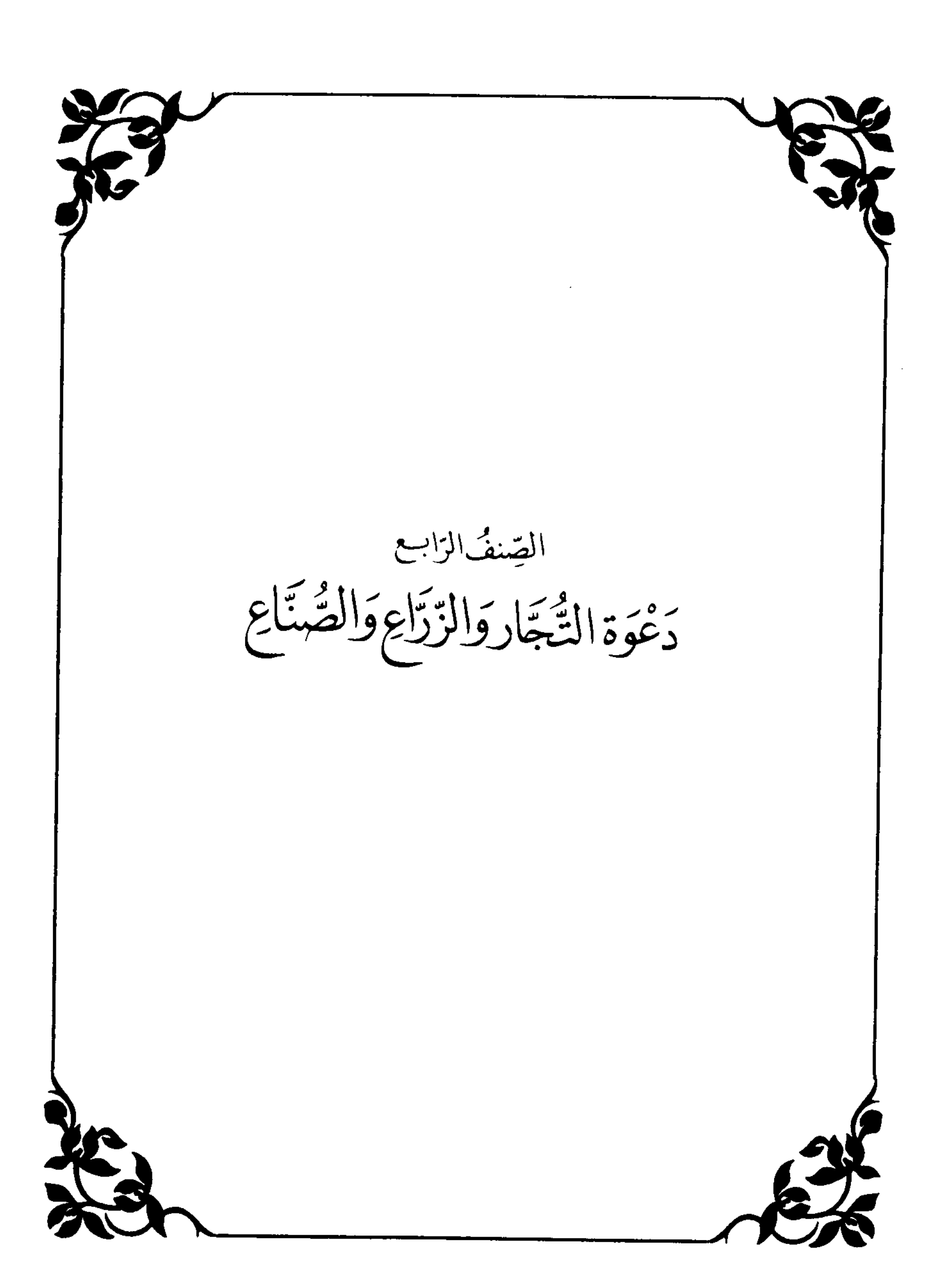
وأما المملوك فعليه أن يقوم له بطعامه وكسوته ، وألا يكلفه من العمل والخدمة ما لا يطيق ، وألا يضربَهُ ولا يشتمه بغير حق ؛ فإنه إن فعل ذلك اقتُصَّ له منه يوم القيامة ؛ كما وردت بذلك الأخبار .

وإن كان في ملكه شيء من البهائم وجب عليه أن يتعهده ، ويحسن النظر عليه في علفه وسقيه ونحو ذلك ، ويتولى ذلك بنفسه أو يوليه من يثق به من أولاده وخدمه . وفي الحديث : « اتقوا الله في هذه البهائم اركبوها صالحة[1] » أو كما قال . وورد في الخبر : « أن امرأة دخلت النار في هرة ربطتها حتى ماتت ، لا هي أطعمتها وسقتها ، ولا هي تركتها تأكل من خَشاش الأرض »[2] وبالله التوفيق والإعانة ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله تبارك وتعالى .

* * *

(١) رواه أحمد في مسنده عن سهل بن الحنظلية بلفظ « اتقوا الله في البهائم المعجمة فاركبوها صالحةً وكلوها صالحةً » اهـ . من الجامع الصغير .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة . وخشاش الأرض : هوامها وحشراتها .



الصِّنفُ الرَّابع

دَعْوَةُ التُّجَّارِ وَالزُّرَّاعِ وَالصُّنَّاعِ



الصّنفُ الرّابع

وَهُمُ التّجَار وَالزُّرّاع ، والصُّنّاعُ وَالمحتَرفونَ ، وَأشبَاهُهمْ من المبَاشرين لأحوَال المعَاش والمشغُولين بالسَّعْي له ، وَبعضُ هٰذه الأشيَاء تُعدّ في فرُوض الكفَايات المعَاشيّة وَالمعَاديّة سِيّمَا مَاهُو منهَا بمثَابة الأصُول كالزّراعَة والحيَاكة ونحْوهمَا القول في نَصيحَتهمْ وَتَذكيرهم وَتَنبيههم وَتحذيرهم .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٠] ، قال تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ [الزخرف : ٤٣/ ٣٢] الآية ؛ فسعيُ الإنسان على نفسه وعلى من يلزمه السعي عليه من أهل وولد لطلب الحلال مأمور به ، وفي الحديث : « طلبُ الحلالِ فريضة بعد الفريضة » وفيه أيضاً : « من أمسى كالًّا من عمل الحلال أمسى مغفوراً له » وفي الخبر أو الأثر : « إن الله يحب المؤمن المحترف ،

ويبغض السَّبهلَل الذي لا هو في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة » .

وقد جعل رسول الله ﷺ الساعي على نفسه ليَكُفَّها عن مسألة الناس وعلى أهله وأولاده الضعفاء ، كالمجاهد في سبيل الله ، وفي الحديث : « التاجر الصدوق الأمين يُحشر مع النبيين والصديقين » .

ولكن على التاجر في تجارته ، والصانع في صناعته وظائف يلزمه القيام بها ؛ إما فرضاً وإما ندباً متأكداً .

فأول ذلك أن يتعلم من العلم ما يَعرِف به ما فرضه الله عليه وندبه إليه في تجارته أو حرفته وصناعته ، وإلّا وقع في المحرمات والشبهات ، وصار بذلك في سبيل الشيطان وليس في سبيل الرحمٰن .

فعلى التاجر أن يتعلم من أحكام البيع والشراء ، والربا والسلَم ، والقرض والرهن ، والإجارات ونحوها ، والمعاملات التي تقع له كثيراً ما لا بد له من علمه ، ولا يباشر شيئاً من المعاملات حتى يعلم حكمَ الله فيه .

وكذلك يجب على الصانع المحترف أن يتعلم حكم الله في صناعته وحرفته ، وما يجب عليه فيها من النصيحة

للمسلمين ؛ وإلَّا أَثِمَ ووقع في الحرج .

وليجتنب الكذب والخُلْف في الوعد ؛ فإنه قد ورد : « ويل للتاجر من « لا والله » و « بلىٰ والله » . وويل للمحترف من « غدٍ وبعد غدٍ » .

ومما ينبغي ويتأكد على التُّجار والمحترفين إصلاح النية فيما يباشرونه ويتعاطونه من أسباب التجارات والصناعات ، وأن تكون نياتهم في ذلك العفاف وتحصيل الكفاف ، وكف النفس عن مسألة الناس ، وعن التشوف إلى ما بأيديهم ، والقيام بمن يلزمهم القيام بهم من الأهل والأولاد ونحوهم ؛ ليكونوا بهذه النيات من العاملين بطاعة الله تعالى ، والساعين في ابتغاء مرضاته وثوابه . وأن يقصدوا مع ذلك صلة الأرحام ، والتصدق على الفقراء والمحتاجين ، وإعانة الضعفاء والمساكين بما فضل عن حاجاتهم وحاجات من يلزمهم القيام بهم ؛ فنية المؤمن خير من عمله . وقد يبلغ بالنية إذا صلحت ما لا يبلغه بالأعمال ، والنية تتيسر لكل أحد إذ لا كبير مؤونة فيها . والأعمال قد يتعسر القيام بها في بعض الأحيان .

فإن نوى التاجر والمحترف بتجارته وحرفته إعانة

المسلمين ، وتسهيل الوصول إلى الأشياء التي هو بسبيلها وساع فيها لم يَخل من ثواب ، وإن كان إنما يعطيهم ذلك بمقابلة ومعاوضة منهم، فإن فضل الله واسع ، وإكرامه فائض.

ومن **المهم** المتعين على أهل التجارات والصناعات أن لا يشتغلوا بها عن إقامة الصلاة المفروضة ؛ بحيث يخرجونها عن أوقاتها ، أو يصلونها باستعجال واستيفاز يحصل به إخلال بما يجب من إتمام ركوع أو سجود ونحوهما من أركانها ؛ فإن البعض منهم قد تحمله شدة الحرص على سرعة العود إلى تجاراتهم وصناعاتهم على مثل ذلك ، وهو من المحرمات المحظورة في الدين .

بل ومن المتأكد عليهم ألا يؤخروا الصلوات عن أوائل أوقاتها ، وعن فعلها في الجماعات ؛ فإن ذلك كله ـ أي : تأخير الصلاة عن أوائل الأوقات وتفويت الجماعات ـ من الخسران في الدين ، الذي لا تقابله الدنيا كلها لو أعطيها أحدهم . وألا يقصِّروا في رواتب الصلوات ، ووظائف الخيرات ونوافل العبادات التي يمكنهم المداومةَ عليها ، وأن يكون أحدهم في حين مباشرته لتجارته أو صناعته تالياً للقرآن أو ذاكراً لله ، لا يشغله عن ذلك إلا أمر مهم ، ليس اللهو

واللغو ، والاستغراقَ بحديث الدنيا ؛ فإن الجمع بين التلاوة للقرآن والذكر لله وبين مباشرة أسباب التجارة والصناعة ممكن ومتيسر في أكثر الأحوال أو الكثير منها ؛ لمن وفقه الله تعالى وأهمَّه أمرُ دينه وأحوال آخرته ومعاده .

ومن الواجب المتأكد على أهل التجارات والحرف والصناعات اجتناب الكذب والغش في تجاراتهم وصناعاتهم ؛ فقد قال صلوات الله وسلامه عليه : « من غشنا فليس منا » حين رأى الصُّبرة من الطعام وأدخل يده الشريفة فيها فأصابت بللاً فقال : « يا صاحب الطعام ما هذا ؟ فقال : أصابته السماء يا رسول الله . يعني المطر . فقال : هلاّ جعلته ظاهراً ينظره الناس . من غشنا فليس منا » .

❊ ❊ ❊

ومن الكذب الشديد التحريم على التجار وأرباب الصناعات أن يقول أحدهم : أخذته بكذا وأعطيت به كذا ؛ وهو كاذب يخدع بذلك أخاه المسلم ويغشه ؛ فربما صدقه الآخذ منه ثقة به فيظلمه ويأكل ماله بالباطل .

❊ ❊ ❊

وعليهم أن لا يكثروا الحلف بالله على سلعهم وصنائعهم وإن كانوا في ذلك صادقين ؛ فإن الله أَعَزُّ وأَجَلُّ من أن يُحْلَفَ باسمه على أمر من أمور الدنيا ؛ وأما الحلف بالله تعالى مع الكذب والفجور فذلك من الكبائر ، وفي الحديث : « إن الله يُبْغِض البياع الحلّاف ، وإن الذي يحلف بالله فاجراً ليروِّج بذلك متاعه أحد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » . وقال عليه الصلاة والسلام : « اليمين مَنْفَقة للسلعة ، مَمْحَقة للبركة » وفي رواية « للكسب » . وقال عليه الصلاة والسلام : « البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما ، وإن كذبا وكتما مُحِقت بركة بيعهما » .

فعلى أهل التجارات والصناعات أن يبيِّنوا ما فيها من العيوب التي لا تعرف إلا بتعريفهم وبيانهم ؛ فإن لم يبينوا فقد غشوا وظلموا. ومهما عاملوا من لا يحسن المعاملة لغباوته أو ضعفه فعليهم أن ينظروا له ويبالغوا له في النصيحة ، ويعاملوه معاملة من يحسن المعاملة من أهل الحذق والمعرفة بأمور ذلك المبتاع الذي يرغب فيه ذلك الضعيف الذي لا يحسن ، لا يسعهم إلا ذلك ولا يسلمون من سخط الله إلا به ، ولا يجعلوا ذلك

الضعيف الذي لا يحسن، فرصة ينتهزونها، وغنيمة يغتنمونها؛ كما يقع في ذلك من لا يخشى الله ولا يتقيه من الصناع والتجار.

وليحذر التجار كلَّ الحذر من تطفيف الكيل وبخس الميزان ؛ فإن ذلك من المحرمات الشنيعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ٨٣/١ ـ ٦] . وقال عليه الصلاة والسلام : « يا معشر التجار ، إنكم وَلِيْتُم أمراً هلكت فيه الأمم من قبلكم : المكيال والميزان » . أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

وكان بعض السلف إذا وزن لغيره أرجح حبَّة ، وإذا وزن لنفسه نقص حبة: أي من النقد ، وكان يقول : لا أشتري الويل من الله بحبة .

وليحذر التاجر من الإحتكار ، ومن ترويج النقد الزائف على الناس ، ومن المعاملات الباطلة والبيوع المكروهة ؛ فإن ذلك إن نفعه في دنياه فإنه سوف يضره في دينه وآخرته ضرراً عظيماً . ثم إنه يؤول به في دنياه إلى المحق والهلاك ، وسوء العواقب في جميع أحواله .

* * *

فأما الإحتكار فهو أن يشتري الطعام ونحوه في حين حاجة الناس إليه بنيّة الادّخار له إلى حين يغلو ، ورد « أن المحتكر ملعون ، والجالب مرزوق » وهو الذي يشتري ليبيع في وقته وينتفع بربح يسير . وورد « أن من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم يكن تصدقه به كفارة لإثم احتكاره » . وورد « أن المحتكرين يحشرون مع قتلة النفوس » ، وقد أحرق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ طعام المحتكر .

وأما ترويج النقد الزائف فهو من الغشّ المحرم ، والخداع المحظور في الدين ، إلا أن يكون هو النقد الذي يتعامل الناس عليه في البلد ؛ فهو وإن غُشَّ من نحاس ونحوه فيجوز المعاملة عليه مهما كان هو النقد الرائج في البلد ، ولكن متى خالفه البعض منه بزيادة الغش فيه ، أو بكونه نحاساً خالصاً لم يجز له أن يروِّجه على الناس ، ويدخله في جملة النقد الذي يتعاملون عليه ؛ فإن ذلك منه غش ومخادعة . وعلى من وقع إليه شيء من النقد الذي هذه صفته أن يتلفه ، بأن يلقيه في بئر ونحو ذلك من وجوه الإتلاف ، أو يذهب به إلى من يستخلص مقدار الفضة منه ، وما بقي من النحاس ونحوه يكون له قيمة على قدره ؛ وأما الذي يكون في أصله نحاساً خالصاً فلا يدخله بين الدراهم التي تكون فيها الفضة مما يتعامل عليه الناس ،

فإن فعل ذلك فقد غش وخدع ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢/٩] .

وأما المعاملات الباطلة فأقبحها وأفحشها المعاملة بالربا ؛ فإن المعامل به متعرض لحرب الله ورسوله ، كما قال عزَّ من قائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢/٢٧٨ ـ ٢٧٩] ، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢/٢٧٥ ـ ٢٧٦] . وقد لعن رسول الله ﷺ : « آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الربا بضع وسبعون شعبة أدناها مثل أن يأتي الرجل أمه » الحديث . وما ورد في الربا من التشديد والتغليظ كثير منتشر .

والربا من الكبائر . وجملة القول فيه ، أنه لا يحل بيع النقد بالنقد ، ولا الطعام بالطعام الذي هو نوعه إلا يداً بيد ، سواءً بسواء ؛ فإن اختلف النوع كالذهب بالفضة ، والحنطة بالذرة ، جازت المفاضلة ، ووجب التقابض في الحال من غير تأخير ولا نسيئة .

والحيلة في الربا من الربا ، وقد قال كثير من العلماء بعدم جوازها ، وأنها لا تفيد شيئاً سوى زيادة المقت والسخط ، وخشية الاحتيال على الله في استحلال ماحرمه بغير حجة ولا وجهٍ مسوِّغ . ومنهم من قال بجوازها بالنسبة إلى أحكام الدنيا دون أحكام الآخرة . وهذا أيضاً شديد لمن تأمله ؛ فإن أحكام الدنيا قد تناط من حيث الظواهر بأمور قريبة مع كونها في الباطن ، وبالنسبة إلى أمور الآخرة من الأمور الهائلة المسخطة لله تعالى ، الموجبة لمقته وشديد عقابه . وٱنظر إلى حال المنافق الذي يُظهِر الإيمان ويُضمِر الكفر ؛ كيف تجري أموره الظاهرة كلها على مثل أمور المؤمنين ، ثم يكون في الآخرة أسوأ حالًا ، وأشد عذاباً من الكافرين الذين أظهروا الكفر ؛ وذلك لمخادعته لله واحتياله عليه ، فلا يأمن المحتال بالحيل التي يستحل بها ما حرّم الله عليه أن يكون عند الله أسوأ حالًا ممن تعاطى ذلك المحرم ظاهراً من غير احتيال ، فلعل الله أن يتجاوز عنه أو يوفّقه للتوبة . وأما هذا المحتال فمتى يتوب من شيء يرى أنه ليس بذنب ولا محرَّم عليه ! وذلك من أعظم مكائد الشيطان ، يوقع الإنسان في بعض مساخط الله ، ثم يوهمه ويلبِّس عليه بأن ذلك من الطاعات أو من

المباحات ؛ فليحذر المسلم من أمثال ذلك ، وليحذر من تغرير الشيطان ، فإنه من اتخذ الشيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ، يعِدُهم ويمنِّيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا .

فالمحتال في استحلال الربا الذي حرّمه الله عليه بنذر أو إقـرار ونحو ذلك ، وهو يعلم من باطنه أنه لم يقصد بذلك النذر والإقرار إلّا ليجيزه في الظاهر على من لا يعلم بالباطن من المخلوقين ، مغرِّر مخادع لله القوي الظاهر الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء . والذي يكتب لهؤلاء المحتالين والذي يشهد لهم بذلك مهما علموا ببواطن أمورهم، وغلب على ظنهم قصدُهم ذلك بقرائن أحوالهم ، شركاؤهم في باطلهم وغرورهم ، وما يترتب على ذلك من التعرّض لعقاب الله وعذابه ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٦/٢٢٧] .

ثم اعلم أن مداخل الربا كثيرة . وعلى التاجر أن يتعلم من ذلك ما يكثر وقوعه ، ويكثر تعاطي الناس له ، وما أشكل عليه بعد ذلك سأل عنه أهل العلم الذين يخشون الله ويتّقونه ، دون العلماء المترخِّصين المتأولين ، الآخذين من العلم بظواهر

أكثرها لا يصح ولا يستقيم عند العلماء بكتاب الله وسنة رسوله وسِيَر السلف الصالح !

واعلم أن الربا وشِبْهَه من المعاملات الفاسدة قد عمّت في هذا الزمان وفشت جدًّا ودخل فيها الخاص والعام إلّا من حفظه الله وقليل ما هم ، وهذا شيء قد وعد به الصادق الأمين صلوات الله عليه وسلامه فإنه قال : « يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلّا أكل الربا فإن لم يأكله أصابه من غباره » الحديث .

* * *

ثم ينبغي للتاجر أن يأخذ في جميع معاملاته بالعدل والإحسان ، اللذين أمر الله بهما في قوله تبارك وتعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ [النحل : ١٦/ ٩٠] الآية .

أما العدل فباجتناب الظلم والغش ، وكتمان العيوب وبخس المكيال والميزان ، وسائر ما يحرم عليه في بيعه وشرائه ؛ مع القيام بما يجب عليه من النصيحة والأمانة والوفاء .

وأما الإحسان فبأن يأخذ بالفضل والبرّ والمعروف ، من

إقالة النادم بيعته بعد لزوم البيع ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام : « من أقال نادماً صفقتَه أقال الله عثرته » . وأن يكون سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى . قال عليه الصلاة والسلام : « رحم الله عبداً سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى » . وأن يقنع بالربح اليسير ، سيما مع صديقه وقريبه ، والضعفاء من عباد الله من الفقراء والمساكين . وأن يكثر من الصدقات واصطناع المعروف ، ويغتنم ذلك ما دام يمكنه ويستطيعه .

وللسلف الصالح المباشرين للأسباب سِيَر حسنة معروفة في ذلك ، ذكر الإمام الغزالي منها نبذة صالحة في كتاب آداب الكسب والمعاش من الإحياء .

وعلى الصانع والمحترف أن يأخذ بنحو ذلك من العدل والإحسان في صناعته وحرفته : من اجتناب الظلم والغش ، والأخذ بالنصيحة والأمانة ، والصدق والوفاء ، وما شاكل ذلك من أفعال أهل التقوى والإحسان ، الذين أخبر الله تعالى في كتابه بأنه معهم حيث يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٦/١٢٨] .

وينبغي للتجار والصناع إذا عاملهم من لا يحسن المعاملة لغباوة أو حاجة شديدة ألا يغتنموه ويغبنوه ، بل ينظروا له الأصلح ، ويقدِّروا أنه يحسن المعاملة والنظر لنفسه ، وكونه من أعرف الناس بها ، فيعاملوه على ذلك التقدير ، وإلا وقعوا في بأس وحرج ، وكانوا به من مؤثري الدنيا على الآخرة ، وممن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وبلغنا عن بعض السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ : أنه كان يبيع حُلَلاً قيمةُ البعض كل واحدة منها ألف درهم ، وقيمة البعض منها كل واحدة خمسمائة درهم ، فاتفق أنه قام من دكانه وخَلَّف فيه ولد أخيه ، فجاء أعرابي يطلب حُلة فعرض عليه من التي قيمتها خمسمائة درهم ، فاشتراها منه بألف درهم ، وأعطاه الدراهم وأخذ الحلة ومضى ؛ فوجده الرجل الصالح صاحب الدكان في طريقه والحلة معه ؛ فقال : بكم أخذت هذه ؟ فقال له : بألف درهم ، قال له : إنما قيمتها خمسمائة ، فقال له : قد رضيت ، فقال : وإن رضيت فإنَّا لا نرضى ، ولكن ارجع

معي ، فإما أن تأخذ من التي قيمتها ألف بدراهمك ، وإما أن تأخذ خمسمائة وهذه الحلة التي قد أخذت ، وإلّا خذ دراهمك ودع لنا حُللنا . فانطلق معه وأخذ خمسمائة درهم والحلة التي قد أخذها أوّلًا .

وعن السَّريِّ السَّقَطي ـ رحمه الله ـ أنه أخذ أيام كان يتجر شيئاً من اللوز بستين ديناراً ، وكتب عليه الربح ثلاثة دنانير ؛ فمكث أياماً قلائل ثم جاءه الدلّال ليأخذ منه اللوز وقال له : بكم ؟ فقال : بثلاثة وستين ديناراً . فقال له الدلّال : قد صارت قيمته في هذا الحين تسعين ديناراً . فقال له السري : إني قد نويت ألّا أربح فيه إلّا ثلاثة دنانير . وقال الدلّال : إني قد عاهدت الله أن لا أغُشّ أحداً ولا أغبن مسلماً ؛ فامتنع السري من البيع وامتنع الآخر من الشراء . وحكاياتهم في نحو ذلك كثيرة . وذكر الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ منها : طرَفاً صالحاً ، وهاتان الحكايتان من جملة ما ذكره .

وهؤلاء وأشباههم من العاملين في دنياهم لآخرتهم والزيادة في دينهم وحسناتهم . قال الله تعالى فيهم : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن

فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور : ٢٤/٣٧ ـ ٣٨] . وقد قال عليه الصلاة والسلام « التاجر الأمين الصدوق المسلم ، مع الشهداء يوم القيامة » .

* * *

وأما الزُّرّاع وأهل الحرث المشغولون بذلك فإنهم على خير من ربهم وسعي مبارك لأحوال معاشهم إذا أصلحوا في ذلك نياتهم ، واتَّقَوُا الله ربهم ، ولم يشتغلوا بما هم فيه من ذلك عن إقامة صلواتهم ، واجتناب ما حرّم الله عليهم من المعاملات المحظورة عليهم في دِينهم من الربا ونحوه ؛ فإن الزَّرّاعين كثيراً ما يأخذون بالمعاملة التي لا تصح ، يُحْوِجهم إلى ذلك حضور الحاجة في إقامة أنفسهم وعيالهم ومؤن زرائعهم ، ثم إن الذي يحصل لهم من الزرائع لا يحضر إلّا بعد وقت متراخ ؛ لأن حين الحصاد يتأخر مدة عن حين إقامة الزرائع ، وحاجة الزُّرَّاع حاضرة إلى المؤن التي يقيمون بها أمر زراعتهم من البذر وغيره ، فيرجعون إلى أهل التجارات ونحوهم يطلبون منهم ما يحتاجون إليه إلى أَجَلٍ تحضرهم فيه فوائد زرائعهم ، فلا يعطونهم إلّا بالربا المحرم ، حرصاً على أرباح الدنيا وزيادتها ، ومنافعها التي تضرهم في دينهم

وآخرتهم ؛ فيشترك المعطي والآخذ في الحرام والآثام ، والانتهاك والاقتحام للربا الذي هو من الكبائر الموبقات . وإن كان الآخذ له عن ضرورة أو حاجة شديدة أَعْذَرَ من المعطي له لطلب الربح والزيادة من تلك الأغراض الخبيثة ، التي رِبْحها خسران وزيادتها نقصان ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢/٢٧٦] وفي البيع نسيئة وإلى أجل ، وفي عقد السَّلَم بشروطه مندوحة وسَعة عن الأخذ بهذا الربا المحظور المذموم ، وعن حِيَلِه التي قد قيل فيها ما قيل وَفق ما تقدم قريباً .

وليكن الزارع طيب النفس ، محتسباً للثواب من الله فيما يصاب به في زرعه من نقص أو آفة ، وما يأكله ذو كبد رطبة من آدمي أو بهيمة أو طائر ؛ فإن ذلك في صحائفه وموازين حسناته ، مهما احتسبه وأراد به وجه ربه ، وما عنده من حسن الأجر وعظيم الثواب ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « في كل كبدٍ رطبةٍ أجرٌ » وقد ورد في ذلك الأخبار .

ولْيحرص على إخراج الزكاة من زرعه مهما وجبت عليه ، ولْيُفرِّقها على مستحقيها من الفقراء والمساكين ، وبقية الأصناف الموجودين الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز حيث

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة : ٩/٦٠] الآية ، ولْيَعُمَّهم بها إن اتسع لهم القدر الذي يخرجه ، وإلّا فلا يخرجها عنهم ويعطيها لغيرهم ممن ليس من الأصناف المذكورة في الآية الكريمة ، فإن المتعدي في الصدقة كمانعها كما ورد .

وعلى أرباب الثمار والمواشي والنقود من الذهب والفضة والتجارات أن يخرجوا زكواتهم التي أوجبها الله عليهم في أوقاتها ، وأن يفرِّقوها على المستحقين لها الذين سماهم الله في كتابه ، وأن يقصدوا بذلك امتثال أمر الله وابتغاء وجهه وثوابه الذي وعدهم به في الآخرة ، ولا يقصِّروا عن ذلك ، ولا يتساهلوا فيه بترك الإخراج رأساً والعياذ بالله ! أو بإخراج البعض منها أو بإعطائها غيرَ أهلها ؛ فكل ذلك من الآثام والمحظورات المتعرضِ متعاطيها للوقوع في سخط الله وسخط رسوله وإن تفاوتوا في ذلك بحسَب ما وقعوا فيه من تلك المهالك . فإن المقصِّر في الإخراج رأساً إثمه عظيم ، وعصيانه لله فاحش فظيع ! .

وقد قرن الله بين الصلاة والزكاة في غير موضع في كتابه العزيز . وقاتل أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنهُ ـ الأعراب

الذين منعوا الزكاة . وقال ـ رضي الله عنه ـ : لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة ، ولو منعوني عَناقاً[1] (أو قال عقالًا) كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه .

وقد ورد في السنّة المطهّرة في مانعي الزكاة تشديدات هائلة ، وعقوبات عظيمة لا نطوِّل بذكرها ، وهي معروفة في حديث رسول الله ﷺ .

وفي منع الزكاة مضار عاجلة أيضاً ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « ما خالطتِ الزكاة مالًا إلّا مَحَقَتْه ، وما هلك مال في بَرٍّ ولا في بحر إلّا بمنع الزكاة » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « حصِّنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، وأعدّوا للبلاء الدعاء » .

وعلى أهل التجارات والزراعات وغيرهم من أهل الأموال أن يتعلموا من أحكام الزكاة ما لابد لهم من علمه ، وما أشكل عليهم بعد ذلك فليسألوا عنه أهل العلم الذين يخشون الله . والقولُ في أحكام الزكاة وأدائها طويل منتشر ، ومحل بسطه كتب الفقه فليطلب مريد ذلك منها .

---

(١) العناق ـ كسحاب ـ : الأنثى من ولد المعز .

ثم إن من أَبرَكِ وأَعْوَدِ ما يأخذ فيه الإنسان من أسباب المعاش (التجارة) مع الصدق والوفاء ، والأمانة والنصيحة للمسلمين (ثم الماشية) قال عليه الصلاة والسلام : « تسعة أعشار الرزق في التجارة ، وعشر في الماشية » (وكذا الزراعة) مع أن التعب فيها كثير ، والأجر والثواب لمن حسنت نيته واتقى ربه فيها عظيم ، وفي الحديث : « التمسوا الرزق في خبايا الأرض » فيقال : إنه حث على الزراعة . وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : المتوكلون هم الزراع الذين يبثُّون بذرهم في الأرض ، ويبقون منتظرين لفضل الله ، أو كما قال ـ رضي الله عنه ـ .

ومن أطيب المكاسب وأحلِّها الإحتطاب والإصطياد ، وأخذ الحشيش من المواضع المباحة ، ومهما روعيت أسباب الحِل مع الورع والإحتياط في أخذ هذه الأشياء وفي بيعها كانت من أحلِّ ما يكتسبه الإنسان ويأكله . وقد أخذ بذلك كثير من عباد الله الصالحين سلفاً وخلفاً .

ومن المستحب التبكير في طلب الرزق ، قال عليه الصلاة والسلام : « اللهم بارك لأمتي في بكورها » . وكان عليه الصلاة والسلام إذا بعث جيشاً أو سرية بعثهم من أول النهار .

وكان ابن وداعة الغامدي الصحابي ـ رضي الله عنه ـ وهو راوي هذا الحديث تاجراً ، وكان يبعث تجارته من أول النهار فأثرى وكثر ماله .

* * *

ومن المستحب المتأكد الإكثار من ذكر الله في السوق ، قال عليه الصلاة والسلام : « من دخل السوق فقال لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير . . كتب الله له ألفَ ألفِ حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « التاجر الصدوق الأمين يُحشَر مع النبيين والصديقين والشهداء » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أطيب الكسب كسب التجار ، الذين إذا حدَّثوا لم يكذبوا ، وإذا ٱؤتُمِنوا لم يخونوا ، وإذا وَعَدوا لم يُخلِفوا ، وإذا أشتروا لم يذموا ، وإذا باعوا لم يمدحوا ، وإذا كان عليهم دين لم يَمْطلوا ، وإذا كان لهم لم يُعَسِّروا »[1] وقال عليه الصلاة والسلام : « يوشك أن

---

(١) رواه البيهقي عن معاذ . وعسر الغريم وأعسره : طلب منه الدين على =

يكون خيرُ مال المسلم غنماً يتبع بها شعَف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من خير معاش الناس رجل ممسك بعنان فرسه ، يطير على متنه كلما سمع هَيعة[1] أو فزعة طار عليه يبتغي القتل أو الموت مظانه ، ورجل في غُنيمة في رأس شعَفة من هذه الشعَف ، أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ، ليس من الناس إلّا في خير » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من زرع زرعاً فأكل منه طير أو عافية كانت له صدقة »[2] والعافية : هي الوحوش .

وقال عليه الصلاة والسلام : « سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته : من علَّم علماً ، أو أجرىٰ نهراً ، أو حفر بئراً ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجداً ، أو ورَّث مصحفاً ، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته »[3] .

= عسرة ، ولم يرفق به إلى ميسرته .

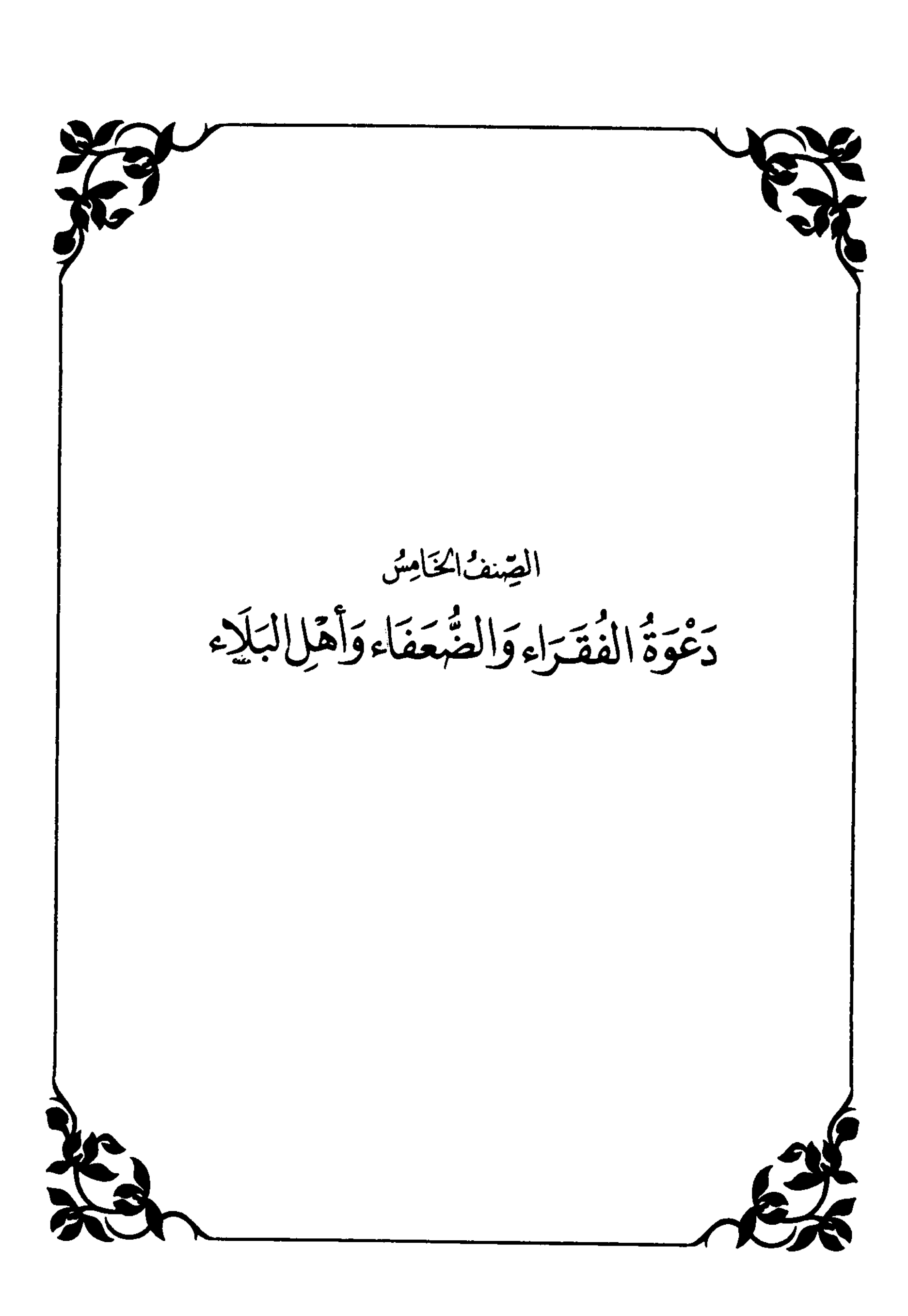
(١) الهيعة : الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو .

(٢) رواه ابن خزيمة عن خلاد السائب .

(٣) رواه البزار عن أنس .

وعن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا مضطجعة ، فحركني برجله ثم قال : « يا بنيةُ قومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين ؛ فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس » .

* * *



الصِّنفُ الخَامِسُ

دَعْوَةُ الفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ وَأَهْلِ البَلَاءِ



الصِّنفُ الخامِسُ

وَهُمْ أهْلُ الفَقْرِ والضَّعفِ وَالمَسْكَنَة وَنحْوهِم
مِنْ أهْلِ الأمرَاضِ وَالبَلاءِ
القَولُ في نَصيحَتِهِم وَتذكِيرهِم وَتنبيههِم وَتحذيرِهِم

اعلم أن الفقر والضَّعف والمسكنة من الأمور التي جعل الله فيها ابتلاءً واختباراً لعباده ؛ لينظر كيف صبرُهم عليها ورضاهم بقضائه فيها ؛ فمن صبر كان له أجر الصابرين ، ومن سَخِط وجَزِع كان عند الله من الخاطئين ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٥٥ ـ ١٥٧] . وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٤٧/ ٣١] فالصبر على البلاء من الشدائد ، والثواب عليه لمن صبر عظيم ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ٣٩/ ١٠] .

وقال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يُصِبْ منه »[1] . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » وإنما جعلها الله سجن المؤمن ليزهد فيها ولا يرغب في طول الإقامة بها ، وليكون على الدوام محباً للخروج منها وغير مطمئن إليها ولا راضٍ بها .

قال ابن عطاء الله[2] ـ رحمه الله ـ : إنما جعل الله الدنيا محلاً للأكدار ، ومعدناً لورود الأغيار تزهيداً لك فيها ، علم أنك لا تقبل النصح المجرد فذوَّقك من ذَواقها ما يسهِّل عليك وجوهَ فراقها . انتهى .

ومما ورد عن الله تعالى : « يا دنيا ، مُرِّي لأوليائي ، لا تَحْلِي لهم فتفتِنِيهم » وورد أيضاً : « إن الله إذا أقبل على عبده بوجهه كلِّه صرف عنه الدنيا كلَّها » .

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة .

(٢) هو الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري ، الزاهد الكبير ، تلميذ أبي العباس المرسي والشيخ ياقوت ، كان ينفع الناس بإشاراته ، ولكلامه حلاوة في النفوس وجلالة . له الكثير من المؤلفات : توفي سنة ٧٠٧هـ .

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام : « يا موسى ، إذا رأيت الغِنىٰ مقبلاً فقل : ذنبٌ عجلت عقوبته ، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل : مرحباً بشعار الصالحين » .

وقال رجل لرسول الله ﷺ : « إني أُحِبك ، فقال له : « إن كنت كما قلت فأعد للفقر تِجْفافاً[1] فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه » . فالفقر مع الصبر حلية الأنبياء ، وزينة الأصفياء .

وفي الحديث : « الفقراء الصبراء جلساء الله يوم القيامة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « الله يذود عبده المؤمن عن الدنيا كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مراتع العُرَّة »[2] .

وورد أيضاً : « أن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضَه الطعامَ والشرابَ » ـ ومعناه ـ : أن أهل المريض قد يمنعونه بعض الأطعمة وبعض الأشربة خشية أن تضرّه . وفي الحديث « الحِمْية أصل الدواء » .

---

(١) التجفاف ـ بكسر أوله ـ : ما جلّل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح .

(٢) العُرَّة والعُرّ ـ بضم العين المهملة وتشديد الراء ـ : الجرب . والمراد بمراتع العُرّة : مواضع الهلكة .

ولما كانت الدنيا عند الله بأوضع المنازل ، وأحقر الأشياء صان أولياءه وأحباءه عنها ، ورفعهم عن الميل إليها والتمتع بها .

وقد بلغنا أن الله تعالى حين أرسل موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام إلى فرعون اللعين قال لهما : لا يرُوعَنَّكما ما تريان عليه من زينة الدنيا ، فلو أردت لزيَّنتكما بزينة يعلم فرعون أن مقدرته تعجز عنها ، ولكني أرغب بكما عن ذلك .
وقال عليه الصلاة والسلام : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » . فانظر ـ رحمك الله تعالى ـ ما أحقرها عند الله ، وما أهونها عليه .

وقد ورد : « أن الدنيا تقول يوم القيامة لربها : يارب ، اجعلني لأدنى أوليائك ، فيقول لها سبحانه : اسكتي يا لا شيء » .

فقد علمت أنه سبحانه ما زوى عنهم نعيم الدنيا ، وحماهم عن التمتع بشهواتها الفانية ، وحذَّرهم منها إلّا لخستها وهوانها ، وكرامتهم عليه ورفعتهم لديه ؛ لئلا يتدنسوا بأقذارها ويشتغلوا بمتاعها عما هو خير لهم وأنفع ، وأبقى وأرفع ، من كرامته التي ادَّخرها لهم عنده في الدار الباقية التي

هم لها سابقون ، وفيها مخلدون ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الرعد : ١٣/٣٥] وقد قال عليه الصلاة والسلام : « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام » فيكونون في سرور وحبور ، وروح وريحان . والأغنياء محبوسون للحساب ، ومردَّدون بين تلك المخاوف والأهوال الصعاب ، بسبب ما نالوه وتمتعوا به من لذات الدنيا وشهواتها .

* * *

ثم اعلم أن الفقراء الزاهدين في الدنيا المتجردين عنها على أقسام :

قسم منهم يفرُّون من الدنيا وإن عُرِضت عليهم عفواً صفواً فليس يرغبون فيها اغتباطاً بفقرهم ، وتفرغاً عن الدنيا لطاعة ربهم وعبادته ، وذكره ومناجاته . وقد ذُكِر عن ابراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ : أنه جاءه شخص بعشرة آلافِ درهم فلم يقبلها منه ، وقال له : تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بهذه العشرةِ آلافِ ؟ لا أفعل !

وعن بعضهم قال : رأيتُ فقيراً جالساً على سجادة في المسجد الحرام ، وكان معي شيء من الدراهم فوضعتها على طرف سجادته ، وسألته أن يقبلها فنظر إليَّ شزراً وقال :

يا هذا ، اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى على الفراغ بكذا وكذا ألفاً غير العقارات والمستغلات ، فتريد أن تخدعني عنها بدراهمك هذه ؟ ثم قام ونفض سجادته ومضى ؛ فتبددت الدراهم وجعلتُ ألتقطها . فلم أرَ أعزَّ منه حين ذهب وتركها ، وأذلَّ مني حين بقيتُ ألتقط الدراهم ! (الحكاية بمعناها) . وحكاياتهم في مثل ذلك كثيرة معروفة .

ومِن وَصْف أهل هذا القسم : الفرار من الدنيا ومن دخولها في أيديهم إذا أقبلت عليهم ، وربما قيل لبعضهم : خذه وتصدّق به فيأبى ، فيقول : مَن جَمَعَهُ أولى بتفريقه ، تكون العهدة عليه في الجمع والتفريق .

والقسم الثاني : لا يفرُّون من الدنيا إذا عُرضت عليهم وأقبلت إليهم ، ولكنهم يقبلونها ويفرِّقونها على المستحقين والمحتاجين في الحال الحاضر من غير انتظار ولا تأخير ، وهؤلاء هم الأقوياء من حزب الله وخلفائه في عباده ، ولهم الأسوة الحسنة برسول الله ﷺ ؛ فإنه صلوات الله عليه وسلامه لم يفرَّ من الدنيا حين أقبلت ، ولكنه أنفقها في سبيل الله ، ووضعها حيث أمر الله . فكان يعطي الرجل الواحد المائة من الإبل ، وأعطى رجلاً غنماً بين جبلين ، وأعطى العباس

ـ رضي الله عنه ـ من المال ما عجز عن حمله ، وقال عليه الصلاة والسلام : « وما يسرّني أن لي مِثْلَ أحد ذهباً ، تمضي عليَّ ثلاثة أيام وعندي منه قيراط إلا أن أقول[1] به في عباد الله هكذا وهكذا » الحديث .

وكانت هذه سيرته عليه الصلاة والسلام . وكان يعيش هو وأهل بيته عيش الفقراء على التمر والماء ، وعلى خبز الشعير الغير المنخول .

وكذلك كانت سيرة الخلفاء الراشدين من بعده : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ، لم يفرّوا من الدنيا حين جاءت إليهم ، ولم يمسكوها للتمتع بشهواتها ؛ بل أخرجوها في الحال ، وبَقُوا على ما كانوا عليه من التقلل والتقشف ، وسيرهم في ذلك مأثورة ومعروفة . وقد بلغنا أن ابن الزبير أرسل لعائشة ـ رضي الله عنها ـ بمائة ألف درهم فأنفقتها من ساعتها وكانت إذ ذاك صائمة ؛ فلما قرّبت لها الجارية الفطور وكان خبزاً وزيتاً ، قالت لها : ألم يمكنك فيما

---

(١) العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام واللسان ؛ فتقول : قال بيده : أي أخذ . وقال برجله : أي مشى . وذلك على سبيل المجاز والاتساع .

فرقت اليوم أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه ، فقالت : لو ذكّرتيني لفعلت .

والقسم الثالث : قد يطلبون الدنيا ويسعَوْن لها ، ولكن لم يقدَّر لهم منها ، ولم يُقسَم لهم فيها إلا مقدار الكفاية وأقل من ذلك . ولكن رَضُوا به وقنِعوا وصبروا معرفةً منهم بحسن الاختيار ، وعلماً بأن الله ما زوَى عنهم فضول الدنيا إلّا لخير أرادهم به ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « قد أفلح من هدي إلى الإسلام وكان رزقه كفافاً وقنع به » . وقال عليه الصلاة والسلام في دعائه : « اللهم ارزقني ما يكفيني ، وامنع عني ما يُطغيني » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من رضي من الله باليسير من الرزق ، رضي منه باليسير من العمل » .

فأما من طلب الدنيا وجدَّ وشمَّر في السعي لها لكي يتمتع بشهواتها ويتنعّم بلذّاتها فذلك من طلاَّب الدنيا ، وأرباب الحرص عليها ، وأمره مخطِر ويُخشى عليه . فإن الطالب للدنيا على هذه الإرادة معدود من المؤثرين للدنيا الراغبين في متاعها ، سواء حصل له ما طلبه وأمَّله منها، أَمْ لم يحصل له .

وإذا كان الطالب للدنيا ليبَرَّ بها ويتصدق منها ، يقال له : يا طالب الدنيا لِتبَرَّ بها تركُك لها أبر وأبر ! فكيف يكون الأمر

في حق من يطلبها للتمتع بالشهوات واللذّات الفانيات !!

فالنجاة في طلب الدنيا أن يطلبها العبد للعفاف والكفاف ؛ فإن دخل في يده أكثر من ذلك من وجهِهِ قدَّمه لآخرته ، وادَّخره لنفسه عند ربه .

وأما الفقير الذي يطلب الدنيا ، فإن وجدها جَمَعَها ومنعها ، وإن لم يجدها تحسّر عليها ، واشتدّ حزنه وتأسّفه على فقدها ؛ فذلك مذموم الحال ، وغير معدود من الفائزين في المآل سيَّما إذا اشتغل بطلبها والسعي لها عن طاعة ربه وحسن التزود لآخرته ، ويُخشى عليه أن يكون من الذين قيل فيهم : أشقى الأشقياء من جمع الله عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة !!

فالفقر مع الصبر والقناعة بما قسم الله ، والرضا بما قضاه لعبده من اختيار القلة على الكثرة ، والضيق على السعة من الدنيا من أعظم النعم وأفضل الفضائل .

وأما الفقر مع السخط والحزن ، والتبرُّم والتضجُّر فذلك من أعظم البليات ، وقد استعاذ رسول الله ﷺ من الفقر الذي يكون صاحبه على مثل تلك الصفة . وقال عليه الصلاة والسلام : « كاد الفقر أن يكون كفراً » . فإن السخط لقضاء

الله ، وعدم الرضا بما قسمه، من الذنوب المهلكة، والمعاصي الفظيعة الهائلة ، فليحذر الفقير من ذلك غاية الحذر ، وقال عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الفقراء ، أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم ، وإلّا فلا » .

وأما الأمراض والعاهات ، وأنواع المصائب والبليات التي يوجهها الله إلى بعض عباده فإن فيها لهم من الأجر والثواب ، وحسن العواقب وكريم المآب مهما صبروا عليها ، ولم يَسْخَطوا قضاء الله عليهم بها ، ولم يتبرَّموا ولم يجزعوا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٢/١٥٥ ـ ١٥٧] . وقال عليه الصلاة والسلام : « لَيَتَمَنَّيَنَّ أهل العافية يوم القيامة أن لو قرضت أجسادهم بالمقاريض لمَا يرون من ثواب أهل البلاء » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ما يصيب المؤمنَ من نصَب ولا وصَب ولا همٍّ ولا حَزن ولا أذى حتى الشوكة يُشاكُها إلّا كفَّر الله بها من خطاياه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « عُظْم الجزاء مع عُظْم البلاء » وقال عليه الصلاة والسلام : « يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا ينصب لهم ميزان

ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب عليهم الثواب صبًّا ويُفْرَغ لهم إفراغاً » الحديث ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يبرح البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا أحب الله عبداً وأراد أن يصافِيَهُ صبَّ عليه البلاء صبًّا وسحَّهُ سحًّا ؛ فإذا دعا العبد وقال يا رباه ، قال لبيك عبدي ، لا تسألني شيئاً إلّا أعطيتك ، إما أني أعجله لك ، وإما أني أدّخره لك » .

وما ورد في ثواب البلاء مع الصبر والاحتساب كثير منتشر ، ومع ذلك فليس ينبغي للإنسان أن يسأل الله البلاء ويدعو به ، فإنه لا يدري ما يكون منه عند نزول البلاء عليه ، فلعله يجزع ويسخط فيقع في الإثم والحرج ، بل ينبغي له أن يسأل الله العافية ، ويكثر من سؤالها ؛ ففي الحديث : « ما أوتي الإنسان بعد اليقين أفضلَ من العافية ، وما سئل الله تعالى شيئاً أحبَّ إليه من أن يُسْأَلَ العافية » ، فهذا الذي ينبغي للعبد ويليق بضعفه ، فإن وجَّه الله إليه بلاء ، وأراده به كان عليه أن يصبر ويحتسب ، ويرضى بقضاء الله تعالى ، ويسأل ربه اللطف به والعافية والتثبيت والتأييد .

وكذلك لا ينبغي لأحد أن يتمنى الموت لضر نزل به من

مرض أو فقر أو نحوه من شدائد الدنيا ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا يتمنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ لضر نزل به ، فإن كان لا بد فاعلاً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيراً لي » فإن خاف فتنة في دينه لم يكن عليه في ذلك بأس ولا حرج (أعني في تمني الموت) ؛ فقد روي ذلك عن جماعة من الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين .

ومن الصبر المحمود الذي يعظم الثواب عليه : الصبر على المصائب والفاقات وشدائد الدنيا ، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : الصبر في القرآن على ثلاث منازل : صبر على طاعة الله وله ثلاثمائة درجة ، وصبر عن معاصي الله تعالى وله ستمائة درجة ، وصبر على المصائب وله تسعمائة درجة . وفي الحديث : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » أي عند أول ما يرد عليه العلم بوقوع المصيبة . وقال عليه الصلاة والسلام : « من أصيب بمصيبة ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! اللهم آجِرْني في مصيبتي واخلُف لي خيراً منها إلا آجره الله وأخلفه خيراً منها » . وقال عليه الصلاة والسلام : « قال الله تعالى ما جزاء من قبضتُ صفيَّه من أهل الدنيا فصبر إلّا الجنة » .

ومن الصبر المحمود : الصبر على ما يقع من أذى الناس بأقوالهم وأفعالهم ، وهو أعلى الصبر ، والصبر على ذلك من شأن الأكابر والأئمة، وأهل الإختصاص من الأنبياء والصديقين والأولياء والصالحين ، قال الله تعالى لرسوله الأمين : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩/٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٨/٣٣] . وقال تعالى إخباراً عن الرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ ﴾ [إبراهيم : ١٢/١٤] الآية . وقال تعالى حكاية عن قوم موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ ﴾ [الأعراف : ١٢٩/٧] الآية .

فعلى من ابتلي بشيء من أذى الناس أن يصبر ويحتمل ، ولا يكافىء ولا يقابل بمثل ذلك ، وإن كان قد أبيح له ورُخِّص له فيه . وليرض بنصر الله له ، ولا يَدْعُ على من ظلمه ولا يسبُّه ولا يشتمه ؛ فقد ورد : « من دَعَا على من ظلمه فقد انتصر » وورد : « إن المظلوم لَيدعو على ظالمه حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عليه زيادة يطالبه بها يوم القيامة ، فيعود الظالم مظلوماً والمظلوم ظالماً » .

وأفضل من ذلك أن يعفو ويصفح من غير حقد ولا محبة شر ، ولا بلاء لمن آذاه ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى : ٤٢/ ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٤/ ٢٢] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ينادي منادٍ يوم القيامة ليقم من أجرُه على الله ، فيقوم العافون عن الناس » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من أُعطي فشكر ، ومُنع فصبر ، وظُلم فغفر ، وظَلم فاستغفر ثم سكت ، فقالوا : ماذا له يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما أحدٌ أصبرَ على أذًى يسمعه ، من الله ؛ إنهم لَيدْعون له ولداً ويجعلون له أنداداً وهو مع ذلك يعافيهم ويرزقهم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لقد أوذيتُ وما يؤذَى أحد ، ولقد أخِفتُ وما يُخاف أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون ما بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلّا شيئاً يواريه إبط بلال » . وذكر القشيري في « الرسالة » بإسناده قال : أتت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ إلى رسول الله ﷺ بكسرة

خبز فقال : « ما هذا يا فاطمة ؟ » قالت : قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى آتيك به ، فقال : « أما إنه أول طعام دخل فَمَ أبيك منذ ثلاث » . ولما شكت إليه ﷺ ما تلقاه من الطحن وحمل الماء وغيرِ ذلك من خدمة البيت وسألته خادماً ، فقال لها : « كيف أعطيك خادماً وأدع أهل الصُّفة » ثم أمرها هي وعلياً ـ رضي الله عنهما ـ إذا أخذا مضجعهما من الليل : « أن يسبِّحا ثلاثاً وثلاثين ، ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ، ويكبِّرا أربعاً وثلاثين ، ثم قال : « وذلك خير لكما من خادم » الحديث .

وقد كان يأتي على رسول الله ﷺ وعلى أهله الهلال والهلال في شهرين لا توقد في أبياتهم نار لطعام ولا غيره ، إنما يكونون على الأَسْوَدَين التمرِ والماءِ . وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ : « ما شبع آل محمد ﷺ من طعام ثلاثةَ أيام حتى قبض » . وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : « كان رسول الله ﷺ يبيت الليالِيَ المتتابعة وأهلُه طاوِيْنَ لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم الشعير » . وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل ؛ فقال : « يأبن عمر ، ما لك لا تأكل ؟ قلت : لا أشتهيه يا رسول الله ، قال

لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً ، ولو شئت لدعوت ربي عز وجل فأعطاني مُلك كسرى وقيصر ، فكيف بك يأبن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين . فوالله ما برحنا حتى نزلت : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت : ٢٩/ ٦٠] . فقال رسول الله ﷺ : « إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ، ولا باتباع الشهوات ؛ فمن كنز ديناراً يريد به حياة باقية فإن الحياة بيد الله عز وجل ، ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهماً ، ولا أخبِّىء رزقاً لغد » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، قلت : لا يا رب ! ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ؛ فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبِعت شكرتك وحمدتك » .

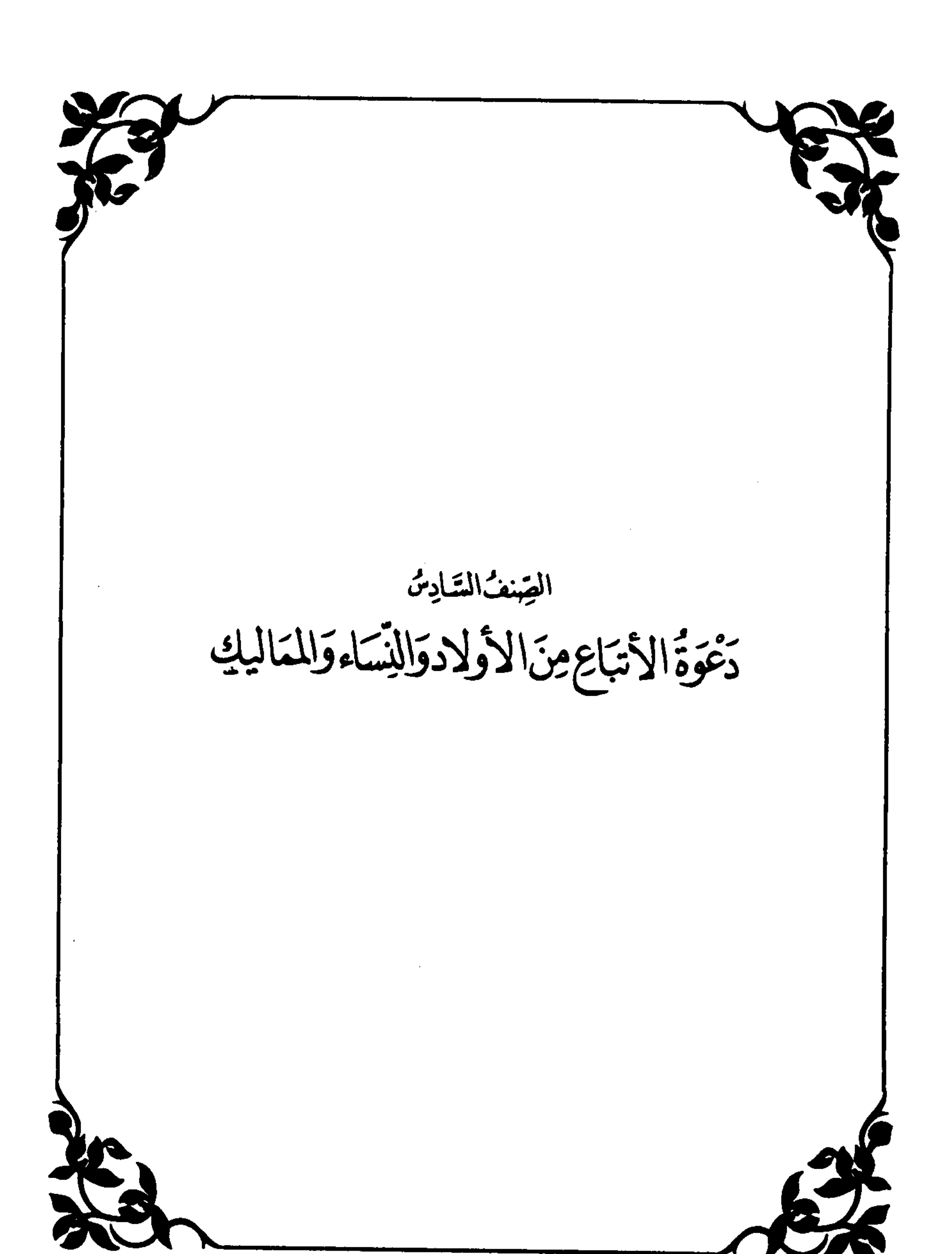
وعن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ قال : كان رسول الله ﷺ يواسي الناس بنفسه[1] ، حتى جعل يرقع إزاره

---

(١) أي بما يعمله في شأن نفسه خاصة ليتأسَّوْا به .

بالأَدَم . وما كان يجمع بين عشاء وغداء ثلاثة أيام وِلاءً حتى لحق بالله عز وجل ، ﷺ وزاده شرفاً وكرامة لديه .

* * *



الصِّنفُ السَّادِسُ

دَعْوَةُ الأتبَاعِ مِنَ الأولادِ وَالنِّسَاءِ وَالممَاليكِ



الصِّنفُ السَّادسُ

وَهُم الأَتْبَاعُ مِنَ الأولَادِ مَعَ الآبَاء ، وَالنِّسَاء مَعَ الأَزوَاجِ وَالمَمَاليك مَعَ المَالِكِينَ لَهُم
القَولُ فِي نَصِيحَتِهِم وَتَذكِيرِهِم وَتنبِيهِهِمْ وَتَحذِيرِهِم

اُعلم أن هؤلاء يكونون في الجملة في تبعيَّة غيرهم، وتكون الحقوق الإلٰهية المتوجهة عليهم أكثرَ وآكدَ من الحقوق التي لهم على الذين يكونون في تبعيَّتهم من الآباء والأزواج والمُلاَّك ، وإن كانت أيضاً لهم حقوق في الجملة على المتبوعين لهم .

* * *

أما الأولاد مع الوالِدين من الآباء والأمهات فقد قال الله عز وجل : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٧/ ٢٣ ـ ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾

[النساء : ٤/٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ٣١/١٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ٤٦/١٥] .

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : سألت رسول الله ﷺ : أيُّ الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يجزي ولدٌ والدَه إلّا أن يجده مملوكاً فيشتريَه فيعتقه » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « رضا الله في رضا الوالدين ، وسَخَطُه في سخط الوالدين » .

ويروى عنه تبارك وتعالى أنه قال : « من أصبح مُرضياً لوالديه مسخطاً لي فأنا عنه راضٍ ، ومن أصبح مرضياً لي مسخطاً لوالديه فأنا عنه ساخط » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الوالد أَوسَط أبواب الجنة ؛ فإن شئت فأضِعْ ذلك الباب أو احفظه » .

وقال رجل : يا رسول الله ، ما حق الوالدين على ولدهما ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « هما جنّتك ونارك » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سرَّه أن يُمَدَّ له في عمره ويزاد له في رزقه فلْيبرَّ والديه ولْيصِل رَحمه » .

وقال رجل يا رسول الله ، إن أبي أراد أخذ مالي ! فقال عليه الصلاة والسلام : « أنت ومالك لأبيك » . وقال ﷺ : بِرُّوا آباءَكُم تَبَرَّكم أبناؤكُم . وعِفُّوا تَعِفَّ نساؤكم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « رَغِمَ أَنْفُ ثم رغم أنف ثم رغم أنف ! قيل : يا رسول الله مَن ؟ قال : من أدرك والديه عند الكبر ، أحدَهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أكبر الكبائر ثلاث : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور أو وشهادة الزور » الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ملعون من عق والديه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « كل الذنوب يؤخِّر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة ، إلّا عقوق الوالدين ، فإنه يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يا معشر المسلمين ، اتّقوا الله وصِلُوا أرحامكم ؛ فإنه ليس من ثواب أسرعَ من صلة الرحم ، وإياكم والبغيَ فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة

البغي . وإياكم وعقوقَ الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يجدها عاقٌّ لوالديه ، ولا قاطع رحم ، ولا شيخٌ زانٍ ، ولا جارٌّ إزارَه خيلاءَ ، إنما الكبرياء لله رب العالمين . والكذبُ كلُّه إثم إلّا ما نفعتَ به مؤمناً أو دفعت به عن دِين » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة حرّم الله تعالى عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق لوالديه ، والديوث الذي يقر الخبث في أهله » .

وٱعلم أن حق الوالدين من أعظم الحقوق، وبِرَّهما من أهم المهمات، وأقرب القربات وأفضل الطاعات لله رب العالمين . وأن عقوقهما والإضاعةَ لحقّهما من أفحش المعاصي ، وأكبرِ الكبائر وأقبح المحرمات. فعليك رحمك الله بمعرفة حقِّ والديك وحسن القيام ببرّهما . واحذر كل الحذر من عقوقهما والتهاون بحقهما . واحرص كل الحرص على ابتغاء مرضاتهما ولزوم طاعتهما ، وإدخال السرور على قلوبهما بكل وجه تستطيعه وتقدر عليه؛ مع الإحسان ومنع كل أمر يسوءُهما ويشق عليهما ويجرُّ إلى سَخَطهما . واستعن بالله واصبر ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٤١/٣٥] .

وٱعلم أن برَّ الأم يزيد على برِّ الأب . ولعل سبب ذلك

ما تقاسيه من مشقة الحمل والوضع ، وزيادة الشفقة والحنان ، وما تحمله من مؤونة الرضاع والتربية ونحو ذلك ، وقد قال عليه الصلاة والسلام للسائل الذي سأله : مَن أَحقُّ الناس بحسن الصحبة ؟ فقال له : « أمك ثم أمك ثم أمك ، ثم أبوك ، ثم أدناك فأدناك » الحديث .

ومن تمام برِّ الوالدين : صلة أرحامهما وأصدقائهما وأهل مودتهما ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « أَبَرُّ البر أن يصل الرجل أهلَ وُدِّ أبيه » وفي الحديث الآخر : « من حسن بر الوالدين صلة الرحم التي لا توصل إلّا بهما » .

ومما ينبغي للوالدين وخصوصاً في هذه الأزمنة التي فشا فيها العقوق ، وقلَّ فيها البرُّ والبارُّون أن يعينوا أولادهم على برّهم بالمسامحة ، وترك الاستقصاء في طلب الحقوق والقيام بكمال البرّ ؛ لئلا يحرجوهم ويوقعوهم في سخط الله ، وليغتنموا دعاء رسول الله ﷺ حيث يقول : « رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

وينبغي ويتأكد عليهم أن يحسنوا تربية أولادهم وتعليمَهم وتأديبَهم ، وأن يحفظوهم من قرناء السوء وخلطاء الفساد ، وأن يغرسوا في نفوسهم معرفةَ الحق والدين ، ومحبة الخير

وأهله ، والحرصَ على العمل به ، وبغضَ أهل الباطل والفساد ، والشر وأهله ليقع نُشُوءُهم على ذلك ، فيشتد حرصهم ورغبتهم إذا كبِروا وأدركوا على الخير والصلاح والبر ، ومجانبة الشر والفساد .

وكما يجب ويتأكد على الإنسان أن يَبَرَّ والديه ويحذر من عقوقهما فعليه أيضاً أن يصلِ أرحامه وأقاربه، فإن صلة الأرحام من الأمور المهمة في الدين ، وهي ـ أعني الرحم ـ مما أمر الله به أن يوصل في قوله عزَّ وجلَّ من قائل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ١٣/ ٢١] .

وقد لعن الله سبحانه وتعالى القاطعين لأرحامهم في قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد : ٤٧/ ٢٢ ـ ٢٣] الآية .

وفي الحديث عن الله تعالى أنه قال : « هي الرحم وأنا الرحمٰن شققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته » وأنه تعالى قال للرحم حين قامت ـ فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ـ : « أما ترضَين أن أَصِلَ من وصلك ، وأقطع من قطعك » ، وقال عليه الصلاة والسلام :

« من سره أن يُنسَأ له في أجله ويُبْسَط له في رزقه فلْيَتق الله ولْيَصِلْ رحمه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة قاطع رحم » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « بُلُّوا أرحامكم ولو بالسلام » . وقال صلوات الله عليه وسلامه : « أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح » وهو الذي يضمر العداوة لقريبه المحسن إليه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الصدقة على القرابة صدقة وصلة » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » .

وأما النساء مع الأزواج : فإن حقوقهم عليهن مهمة وكثيرة ، وإن كان الحال من الرجال والنساء على ما وصف الله في كتابه العزيز حيث يقول تبارك وتعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [النساء : ٤/ ٣٤] الآية .

وقال رسول الله ﷺ : « لو كان ينبغي لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لما فضَّلَه الله عليها » الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا صَلَّتِ المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي من أي أبواب الجنة شئت » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

وجاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إني رسولة النساء إليك ، وما منهن امرأة علمَتْ أو لم تعلم إلّا وهي تهوَى مخرجي إليك ، الله رب الرجال والنساء ، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء ، كتب الله على الرجال الجهاد فإن أصابوا أُجِرُوا وأثروا ، وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ؛ فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة ؟ قال : « طاعة أزواجهن والمعرفة بحقوقهم . وقليل منكن من تفعله » . وقال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفس محمد بيده لا تؤدِّي المرأة حق ربها حتى تؤديَ حق زوجها ، ولو سألها نفسها وهي على ظهر قَتب بعير لم تمنعه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا ينظر الله تبارك وتعالى

إلى امرأة لا تشكر زوجها ، وهي لا تستغني عنه » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

ومن حقِّه عليها ألّا تأذن في بيته لمن يكرهه ، وألّا تخرج من البيت إلّا بإذنه ، وألّا تصوم تطوعاً إلا بإذنه ، وأن تحفظه في نفسها وفي ماله ، وأن تحسن النظر على أولاده وخدمه ، وأن تحفظ موضع سمعه وبصره وأنفه منها ؛ فلا يسمع منها إلّا خيراً ، ولا يبصر إلّا حسناً ، ولا يشُم إلّا طيباً ، وأن تكون مستعدة لأن يستمتع بها في أي وقت أراد ، لا تمنعه نفسها إلّا بعذر شرعي من حيض أو مرض أو نحو ذلك ، وأن تكون شفيقة رفيقة متعطفة على أقاربه والمتصلين به .

وحقوق الزوج على زوجته كثيرة ومهمة .

وكما أن عليها له حقوقاً فلها عليه حقوق أيضاً في القيام بالنفقة والكسوة والمعاشرة بالمعروف ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « خياركم خياركم لنسائهم » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « استوصُوا بالنساء خيراً فإنما

هنَّ عوانٍ[1] عندكم ، أخذتموهن بأمانة الله تعالى ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » الحديث ، وفي الحديث الآخر : « إن المرأة خلقت من ضِلَع أعوج ، وإن أعوج ما في الضِّلَع أعلاه ؛ فإن ذهبتَ تقيمه كسرتَه ، وإن استمتعتَ به استمتعت به على عِوَجه . فاستوصوا بالنساء خيراً » . وقد تكرر منه عليه الصلاة والسلام الوصية بهن في غير ما حديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لن يَفرَكْ مؤمن مؤمنة . إن كره منها خُلُقًا رضي منها بآخر » ومعنى يفرك : يبغض .

فيحتاج الإنسان في معاشرتهن إلى صبر وتغافل وحسن مداراة ، فإنهن خلقن من ضعف . وقد وصفهن عليه الصلاة والسلام بنقصان العقل والدين ، فقال : « ما رأيت أغلب للرجل الحازم منكن » أو كما قال صلوات الله عليه وسلامه . وقد قال : « الصبر عنهن خير من الصبر عليهن ، والصبر عليهن خير من الصبر على النار » .

فينبغي أن يسامحها الرجل بما يعسر عليها القيام به من حقوقه . ولا يسامحها بالتساهل بحقوق الله اللازمة عليها من

---

(١) قوله « عوان » أي مقهورات مأسورات . وواحدة العواني : عانية ، يقول : إنما هن عندكم بمنزلة الأسرى .

الصلوات المكتوبات ، والاغتسال من الجنابة ، والتصوُّن من الرجال الأجانب ، والتبرج بالزينة لغير الزوج والمحارم ؛ فإن الرجل الكامل هو الذي يسامح بحقوقه ولا يسامح بحقوق الله، والتهاون بدينه وحفظ حرماته، والرجل الناقص هو الذي يكون على العكس من ذلك ؛ فاعتبر هذا في نفسك وفي غيرك .

ثم إنه قد غلب على النساء في هذه الأزمنة المفتونة من التبرج ، وقلة الحياء والتصوُّن ما لا يخفى ، فينبغي لكل مسلم يخشى الله ويتّقيه أن يبالغ في حفظهن وصيانتهن ، ولا يقصر في ذلك عن شيء يمكنه ويستطيعه .

وينبغي لكل متدين شفيق على دينه أن يصون دينه ونفسه بزوجة صالحة ، يعِفُّ بها نفسه ، ويحصن بها فرجه . وليمتثل قول رسول الله ﷺ : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة ـ يعني النفقة ـ فعليه بالنكاح ؛ فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاءٌ » .

وهذا هو الذي ينبغي ويتأكد في هذه الأزمنة ، سيما في حق الشباب الذين تكون الشهوة هي الغالبة عليهم . وأما أهل النسك والدين من الذين غلب عليهم التجرد للعبادة ، والاشتغال بمهمات الدين من العلوم والأعمال فليس يخفى

عليهم ما يكون هو الأولى والأحسن في حقِّهم من التأهل أو تركه ، فإن عندهم من البصيرة بدين الله ما يكشف لهم عما هو الأحسن والأولى بهم من ذلك ، ويكون عندهم من رياضات النفوس وتأدب الجوارح ما يأمنون به على نفوسهم من الوقوع فيما يُسْخِطُ اللهَ تعالى عليهم .

والإنسان على نفسه بصيرة ، والزمان قد عظم فساده وتفاحش ، وخرج أهله عن شاكلة الصواب والاستقامة على جادَّة الحق والدين إلّا من شاء الله ، وقليل ما هم ؛ فالله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله !

وفي الحديث: « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل فيه على يد أبويه، فإن لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وأولاده، يعيِّرونه بالفقر حتى يدخل مداخل السوء » أو كما ورد .

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهواه إلّا كبَّه الله في النار ، ولما سئل عليه الصلاة والسلام وقيل له : إذا أنتَ متَّ فظَهْرُ الأرض خير لنا أو بطنها ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « إذا كان أمراؤكم خيارَكم ، وأغنياؤُكم سمحاءَكم ، وأموركم شورى بينكم ، فظَهْرُ الأرض خير لكم من بطنها . وإذا كان أمراؤكم

أشرارَكم ، وأغنياؤكم بخلاءَكم ، وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » .

فقد تبين أن المرأة الصالحة عون على الدين . والمرأة غير الصالحة شغل عن الدين ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « فاظفر بذات الدين ترِبَت يداك » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة ، التي إن نظرت إليها سرَّتك ، وإن غبت عنها حفظتك في مالك وفي نفسها » . وقال عليه الصلاة والسلام : « أعظم النساء بركة أخفهن مؤونة » .

فمهما وجد الإنسان المرأة الصالحة التي تعينه على دينه وعلى أمر آخرته ، كان التزوج أولى به وأفضل له ، وإلّا كان الترك لذلك والتفرغ لعبادة الله ، والتخفف عن مؤونة النساء أحسَنَ وأحمَدَ عاقبةً ، وقد ورد في الحديث : « خيركم بعد المائتين الخفيف الحاذ ، الذي لا أهل له ولا ولد » . وكانت المرأة الصالحة من السلف الصالح تقول لزوجها إذا رأته مهموماً : إن كان اهتمامك لأمر الآخرة فطوبى لك ! وإن كان لأمر الدنيا فإنا لم نكلفك ما لا تقدر عليه .

وكانت رابعة الشامية امرأة أحمد ابن أبي الحواري[١]

---

(١) أبو الحواري هو عبد الله بن ميمون من أهل دمشق وأحمد ابنه ، صحب أبا =

ـ رحمهما الله تعالى ـ تطعمه الطعام الطيب وتطيِّبه وتقول : اذهب بنشاطك إلى أهلك ؛ وكان له امرأة غيرها ، وكان إذا كان بعد صلاة العشاء تطيبت ولبست ثيابها ، وأتت إلى فراشه وقالت له : ألك حاجة ؟ فإن كان له حاجة معها وإلّا نزعت ثيابها وانتصبت في مصلاها حتى تصبح . وكانت هي التي دعت ابن أبي الحواري إلى التزوُّج بها ؛ لأنه كان لها زوج قبله فمات عنها وورثت منه مالًا ، فأرادت ابن أبي الحواري يتصدى لإنفاق ذلك المال على أهل الدِّين والخير في إطعام الطعام ونحوه ؛ لأن الرجل أوفق لذلك من المرأة وأقوم به ، فلذلك دعته لأنْ يتزوج بها ـ رحمة الله عليهما ـ .

وأخبار النساء الصالحات من السلف في أمثال ذلك كثيرة.

وبلغنا أن فتحاً الموصلي[1] ـ رحمه الله ـ كان إذا سافر إلى الحج أو غيره دخل النساء على زوجته وجعلن يتحنَّنَّ ويتشفَّقن عليها لغيبته عنها وعن عياله . فقالت لهن : إن فتحاً لم يكن

= سليمان الداراني ، وسفيان بن عيينة ، وجماعة من المشايخ . وكان من العارفين الورعين . وبيتهم بيت الورع والزهد . ولقّبه الجنيد بريحانة الشام . توفي سنة ٢٤٠هـ .

(١) هو أبو محمد الفتح بن سعيد الموصلي من أقران بشر الحافي ، وسري السقطي . وكان كبير الشأن في باب الورع والمعاملات .

رزاقاً ، وإنما كان يأكل الرزق ، فقد غاب مَنْ يأكل الرزق ، وبقي من يرزق وهو الله تعالى ، وبالله التوفيق والاستعانة .

* * *

وأما المماليك والأرقاء : فمن آكد الأشياء عليهم ، وأهمها في حقهم بعد ما يجب عليهم من حق الله وفرائض دينه اللازمة ، طاعةُ مُلاّكهم وخدمتهم ، والنصيحة لهم من عباد الله الذين ملَّكهم الله رِقَّهم ، وجعلهم لهم عبيداً وخَوَلًا ، ولهم في القيام بذلك لمُلاّكهم الثواب العظيم ، وعليهم في تركه وإضاعته الإثم الكبير .

وقد وردت بذلك الأحاديث وكثرت فيه الآثار ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « المملوك الذي يؤدي حق ربه تعالى وحق سيده يؤتىٰ أجره مرتين » . وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ : لولا الحج والجهاد وبرُّ أمي لأحببت أن أكون مملوكاً . يريد لما في ذلك من عظيم الثواب . فعلى المملوك حسن النصيحة لسيده ، وكمال الأمانة فيما ائتمنه عليه من ماله ، والقيام بما يستطيعه من خدمته من غير تكاسل ولا تقصير .

وعلى المالك أن يقوم له بنفقته وكسوته ، وألّا يكلّفه من العمل ما لا يطيق ، وأن لا يشتمه ولا يضربه إلّا بحق . ومتى

احتاج إلى ضربه لأمر يترتب عليه صلاحه واستقامته في دينه أو فيما يتعلق بالخدمة اللازمة له فليكن ذلك على وجه لطيف ، لا يعظم مشقته ولا يشتد تعبه على المملوك ؛ فإنه إن تجاوز في ذلك القدر المأذون فيه يأثم ويَحرَجُ ، ويقتص لمملوكه منه في الدار الآخرة كما ورد في الحديث ، وإن عَفَا عنه وصفح كان ذلك أفضل وأحسن ؛ إلّا أن تكون في الضرب والتأديب مصلحة بينة ، وتكون في تركه مفسدة ظاهرة تعود على السيد أو علىٰ المملوك .

وقد سئل عليه الصلاة والسلام : كم يُعفىٰ عن المملوك في كل يوم ؟ فقال: « سبعين مرة » وقال عليه الصلاة والسلام لخادم قَصَّر في شيء: « لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك ».

وقال عليه الصلاة والسلام : « للمملوك نفقته وكسوته ، وألّا يكلف ما يغلبه » يعني من الخدمة . وقال عليه الصلاة والسلام : « هم إخوانكم ملَّككم الله إياهم ، ولو شاء لملَّكهم إياكم ؛ فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، ولْيُلْبِسْه مما يلبس ، ولا يكلّفه من العمل ما يغلبه ؛ فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله » الحديث . وقد وردت بنحوه أحاديث وآثار كثيرة .

ومما يحرم على المملوك الإباق على سيده ، وقد ورد فيه وعيد شديد ، قال ﷺ : « إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة » وفي رواية « فقد كفر حتى يرجع إليه » أي إلى سيده . وقال عليه الصلاة والسلام : « أيما عبد مات في إباقة دخل النار وإن كان قُتل في سبيل الله » . وقال عليه الصلاة والسلام : « أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم » .

وذكر الشيخ العلّامة أحمد بن حجر الهيتمي ـ رحمه الله ـ في كتابه « الزواجر عن اقتحام الكبائر » قال : قد روى الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ : « أن رجلاً قعد بين يدي رسول الله ﷺ فقال : إن لي مملوكين يكْذِبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم ؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يُحسَب ما خانوك وعصوك وكذّبوك ، فإن كان عقابك إ ياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك . وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتُصَّ لهم منك الفضلُ . فتنحَّى الرجل وجعل يهتف ويبكي . فقال له النبي ﷺ : « أما تقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢١/٤٧] فقال الرجل : يا رسول الله ، ما أجد لي ولهم خيراً من

مفارقتهم ، أشهدك أنهم أحرار .

* * *

وٱعلم أن من المتبوعين الذين يتأكد على الأَتْباع حقوقُهم وكمال الأدب معهم : المعلِّمين للقرآن والعلم ، والمشايخ والأساتذة الذين يربُّون السالكين ، ويرشدون الطالبين ؛ فيتعين ويتأكد على المتعلمين منهم ، والسالكين المتربِّين بحسن نظرهم ، تعظيمُهم وتوقيرُهم ، وإجلالهم واحترامهم ، وحسن الأدب معهم ، وكمال الامتثال لما يشيرون به ، ويرشدون إليه من العلم والأدب؛ وقد قال بعضهم: إن للمعلمين والمرشدين على المتعلمين والمسترشدين من الحق والطاعة والبر ، مثل أو قريباً مما للوالدين على الأولاد ، بل قال بعضهم : حق المعلم والمرشد آكد من حق الوالد؛ لأن الوالد يحفظ الولد من الآفات التي يخشى عليه منها في جسمه ودنياه، ويتسبب له في تحصيل ما يلتذ به ، وتستريح إليه نفسه في أحوال معاشه . والمعلِّم والمرشد يحفظه بتعليمه وإرشاده مما يضره في آخرته ومعاده ، ويكون سبباً له وسبيلاً له في الوصول إلى دخول الجنة ونعيمها الدائم، والفوز بلقاء الله الذي هو غاية السعادات وأجلُّها .

وقد درج الأخيار من السلف والخلف على تعظيم

المعلمين والأساتذة ، ومعرفة حقهم ، وكمال الأدب معهم ، حتى قال الربيع بن سليمان[1] : ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبة منه . وقال أمير المؤمنين علي - كرَّم الله وجهه - : من حق العالِم عليك ، أن تسلّم على الناس عامة وتخصّه دونهم بالتحية ، وألّا تجلس أمامه ولا تشيرن عنده بيدك ولا تغمزنَّ بعينك ، ولا تقولن قال فلان خلافاً لقولك ، ولا تغتابنَّ عنده أحداً ، ولا تسَارَّ جليسَك في مجلسه ، ولا تأخذ بثوبه إذا قام ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تعرض أي لا تشبع من طول صحبته .

وقد ذكر الإمام النووي - رحمه الله - في كتاب « التبيان » نبذة صالحة من آداب المتعلم مع المعلم في آخر الباب الرابع .

وذكر الإمام الغزالي - رحمه الله - في كتاب « بداية الهداية » من ذلك طَرَفاً صالحاً .

* * *

واعلم أن من أجلِّ المتبوعين وأكرمهم وأعظمهم ،

---

(١) هو الربيع بن سليمان عبد الجبار المرادي ، أبو محمد المصري . صاحب الشافعي وراوية كتبه عنه . توفي سنة ٢٧٠هـ .

وألزمهم حقاً على كافة المسلمين رسول الله ﷺ ، فإنه الإمام الأعظم على الإطلاق ، والمتبوع الأكبر بالإجماع والاتفاق . فحقّه أعظم الحقوق بعد حق الله ، والأدب معه آكد الآداب ، وطاعته ألزم الطاعات ؛ فإن مَن أحبَّه وعظمه فقد أحب الله ، ومن أطاعه فقد أطاع الله ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣/٣١] ، وقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴾ [النساء : ٤/٨٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٥٩/٧] ، وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢٤/٦٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾ [الفتح : ٤٨/١٠] الآية . وقال تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ٧/١٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات : ٤٩/٢] والآية التي تليها .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون

أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لو كان موسىٰ وعيسىٰ حَيَّيْنِ لم يَسَعْهما إلّا اتِّباعي » الحديث ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « كلكم يدخل الجنة إلا من أبى ؛ فقالوا : ومن يأبى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله أدخله النار » الحديث .

ومن تمام حبّه وتعظيمه ، وحسن الأدب معه عليه الصلاة والسلام : محبةُ أهل بيته وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ ، وتعظيمهم واحترامهم ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى : ٤٢/٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة : ٩/١٠٠] الآية ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أَحِبُّوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي » ، وقال عليه

الصلاة والسلام للعباس ـ رضي الله عنه ـ : « لا يدخل قلبَ أحدٍ الإيمانُ حتى يُحبَّكم لله ولقرابتكم مني » ، وقال عليه الصلاة والسلام لفاطمة وعليٍ والحسن والحسين ـ رضي الله عنهم ـ : « أنا حرب لمن حاربتم ، وسِلم لمن سالمتم » ، وقال عليه الصلاة والسلام في حديث زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ : « وعترتي أهل بيتي أذكِّركم الله في أهل بيتي » الحديث . وقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : ارقبوا محمداً في أهل بيته .

وقال عليه الصلاة والسلام : « احفظوني في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً[1] من بعدي ، من أحبَّهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » .

فليحذر المسلم المشفق على دينه من بغض أحد من أهل

---

(١) غرضاً : هدفاً .

بيت رسول الله ﷺ أو من أصحابه ، فإن ذلك يضره في دينه وآخرته ، ويُعَدُّ به مسيئاً إلى نبيّه ومؤذياً له ﷺ ، ولْيُحِبَّهم ويُثْنِ عليهم بالخير كما أثنى الله به ورسولُه عليهم أجمعين .

ومما ينبغي ويتأكد : كف اللسان عن كثرة الخوض فيما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ بعده ووقع بينهم من الحروب والفتن . ومن أهول ذلك وأعظمه إشكالًا ، مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ، ثم ما وقع بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وبين طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنهم ـ يوم الجمل[1] . وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ، وبين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ بصِفِّين[2] .

فليلتمس المؤمن الشفيق على دينه لأصحاب رسول الله ﷺ في أمثال ذلك أحسنَ المخارج ، ويحملهم فيه على أجمل المحامل اللائقة بفضلهم وجلالة أقدارهم ؛ فإنهم ـ رضي الله

---

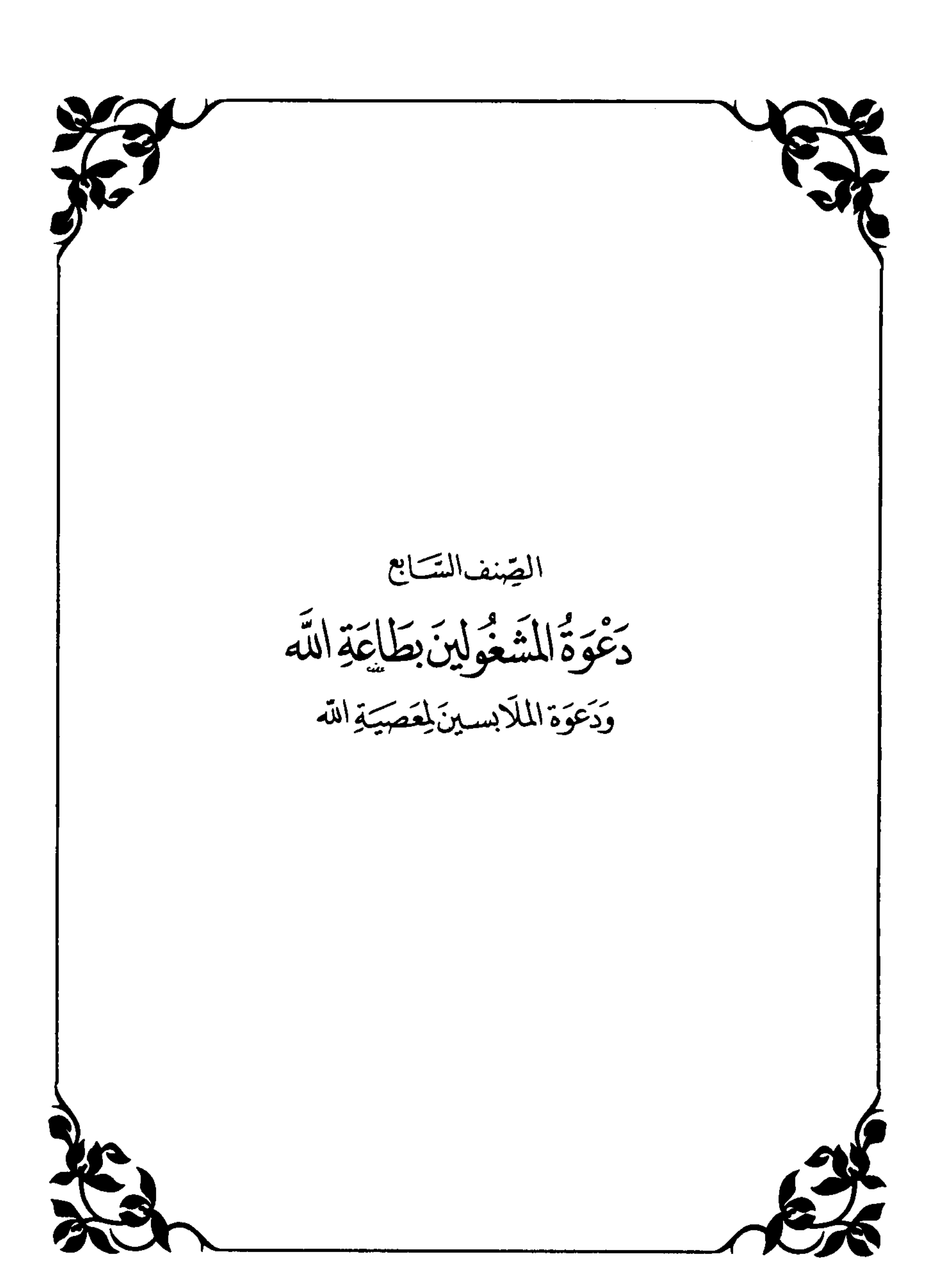
(١) كان في جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ .

(٢) صِفِّين ـ بكسر الصاد وتشديد الفاء المكسورة ـ : موضع قرب الرقة بشاطىء الفرات ، وكانت غرة صفر سنة ٣٧هـ .

عنهم ـ عدول أخيار أمناء .

فليكن المؤمن المتَّبع لهم بإحسان على مثل ما وصف الله في قوله سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ٥٩/١٠] . وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا ذُكِر أصحابي فأَمسِكوا » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أصحابي كالنجوم ، بأيِّهم اقتديتم اهتديتم » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « خير القرون قرْني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » الحديث ، وقال عليه الصلاة والسلام : « احفظوني في أصحابي وأصهاري ، فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة . ومن لم يحفظني فيهم تخلّى الله عنه ، ومن تخلّى الله عنه أوشك أن يأخذه » وبالله الإعانة والتوفيق .

* * *



الصِّنف السَّابع

دَعْوَةُ المشغُولينَ بطَاعَةِ اللهِ

ودَعوَة الملَابسينَ لِمعصيةِ الله



الصّنفُ السّابع

وهُم المشغُولونَ بطاعة اللهِ والملازمُون لهَا من عَامّة المسْلمينَ ، وَكذلك الملاَبسُونَ لمعَاصي الله والواقعُونَ فيهَا منَ العَامّة أيضًا

القَولُ في تَذكيرِ المشغُولينَ بطاعَةِ الله منَ العَامّةِ

أعلم أنه قد تقدّم في ذكر الصنف الثاني الذين هم الخاصة من عباد الله نبذة من التعريفات والتنبيهاب اللائقة بأحوال تلك الخاصة من أولياء الله والمنقطعين إليه ، نفعنا الله بهم وبارك لنا ولكافة المسلمين فيهم، ولا حرمنا بركاتِهم ومستجابَ دعواتهم .

فعلى العامي الملازم لطاعة الله تعالى والمداوم عليها ، أن يتعلم ما لا بد له منه من العلم الذي لا يصح ولا تتم طاعته إلّا به من العلوم الظاهرة : مثل أحكام الطهارة والصلاة والصيام وما في معنى ذلك .

وعليه أيضاً أن يعرف من علوم الإيمان الاعتقادية ما يحصِّن به معتَقَدَه من العلم بالله وصفاته وملائكته وكتبه

ورسله ، والعلم باليوم الآخر من البعث والحشر والميزان ، والصراط ، والجنة والنار ، فيحصِّل من العلوم الإيمانية ، والعلوم الإسلامية ما يصح به إيمانه وإسلامه ، ويتمَّان ويكمّلان به ، فذلك مقدَّم على اشتغاله بالعبادات ومواظبته عليها ، فإن العلم كالأساس ، والعبادة كالبنيان ، وما لا أساس له لا ثباتَ له . وربما اشتغل المتعبد بطاعات وعبادات يستغرق بها أوقاته ، ويتعب فيها نفسه وهو فيها غير محمود ولا مأجور . بل ربما كان ملوماً ومأزوراً إذا كان لم يعلم بما لا بد له من علمه في إقامة عباداته وصحتها ، وكمالِها من العلوم الإيمانية والإسلامية ، فليكن المتعبد في نهاية الاعتناء بذلك ، والاهتمام به ، والتفرُّغ له . وقد قيل : مَن عَبَدَ الله بغير علم كان الضرر العائد عليه من عبادته ، أكثر من الانتفاع بها . وذلك صحيح ؛ فإن بعض المتعبدين الذين لا علم لهم قد يوقِعون بعض العبادات على غير الوجه المشروع فيأثمون ، ولو أنهم تركوا تلك العبادة لم يأثموا بتركها مهما كانت نافلة ، فإن العلم هو المهمُّ المقدَّم على الأخذ في العبادة والتفرغ لها.

وعلى المتعبِّد أن يتحرى الحلال في مطعمه وملبسه ، وسائر ما يحتاجه من أحوال معاشه ؛ فإن العبادة مع أكل

الحرام ولُبسه غير مقبولة ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٥/٢٧] . وقد قيل : العبادة مع أكل الحرام كالبناء على السِّرجين[1] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « كل لحم نبت من سُحت فالنار أولى به » . فليكن في غاية من التحري والاحتياط والاحتراز في مطعمه وملبسه ، وسائر ما يحتاجه عن الحرام والشبهات ، وإلّا كانت عبادته مدخولة معلولة وغير مَرْضِية ولا مقبولة .

وعلى المتعبّد أيضاً أن يصلح نيّته ويتفقدها من أوّل أمره ومبتدأ تعبُّده ، فتكون نيته في ذلك مقصورة على إرادة وجه الله تعالى والدار الآخرة وقصد التقرب إلى الله والخدمة له دون غرض آخر من الأغراض الدنيوية ، والحظوظ النفسانية : من حصول جاه أو مال ، أو محبة عند الناس ، أو تعظيم أو ثناء منهم .

وليحذر كُلَّ الحذر من مراءاة الناس بعلمه ، والتصنع لهم بعبادته فيُحبَط بذلك عمله ، ويخيب سعيه ، ويبطل أجره وثوابه ، وربما حصل له مع ذلك من الله العقاب وأليم العذاب ؛ فإن الرياء من أعظم الجرائم الموبقات ، وقد سمّاه

---

(١) السِرجين ـ بكسر السين ـ : الزبل .

عليه الصلاة والسلام : « الشرك الخفي ، والشرك الأصغر » وذُكر أن القارىء لكتاب الله ، والشهيد في سبيله ، والمنفق لماله إذا أرادوا مع ذلك المحمدة من الناس ، والذكر عندهم أنه سبحانه وتعالى يكذِّبهم ويسخَط عليهم ، ويأمر بهم فيُسْحَبون إلى النار » الحديث .

ولما حُدِّث به بعض السلف ـ رحمه الله تعالى ـ بكى بكاءً شديداً وقال : صدق الله تعالى حيث يقول : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١/ ١٥ ـ ١٦] الآية .

وليس الرياء المحظور هو الخواطر التي تقع في قلب الإنسان من قِبَل الخلق ، وهو غير مختار لها ولا مطمئن إليها ؛ فإذا كانت هي الباعثة له على العبادة فقد أحبطت العبادة من أصلها ، وإن كان له مع ذلك باعث ديني كان في ذلك تفصيل ، وقد شرحه الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ وغيره من الأئمة ، والكل محظور منهي عنه ، وفيه خطر وذم كثير ، وردت به الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة ، مثل قوله عليه الصلاة والسلام عن ربه تبارك وتعالى : « أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري

فنصيبي لشريكي وأنا منه بريء » . وورد : « أنه يقال للمرائين إذا التمسوا ثواب أعمالهم يوم القيامة : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤونهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم » . وورد : « أن أدنى الرياء شرك ، وأن المرائي ينادَى يوم القيامة بأربعة أسماء : يا مرائي ، يا غادر ، يا خاسر ، يا فاجر ، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا » .

فليحذر المسلم المتقي لربه ، المشفق على دينه وآخرته كل الحذر من الرياء بجميع أنواعه وعلى جميع وجوهه .

وليحترز من ذلك أتم الإحتراز ، وإن وقع له شيء من خواطره وعوارضه فليجتهد في نفيها عن نفسه بإمكانه ، وليكره ذلك ، ثم يستغفِرِ الله منها ويستعِذْ بالله من شرها .

وليحذر من التكبّر على الناس بعبادته ، واستعظام نفسه عليهم بطاعته ؛ فإن ذلك مما يسخط الرب ، ويحبط ثواب الأعمال الصالحة ، وفي الحديث : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كِبْر » . وقد قال صاحب الحِكَم ـ رحمه الله ـ : رب معصية أورثت صاحبها ذُلًّا وانكساراً ، خير من طاعة أورثت صاحبها عزاً واستكباراً . فمن شأن المطيع

المحسن أن يزداد بطاعته خشوعاً لله ، وخضوعاً وتواضعاً لعباده المؤمنين ؛ وذلك من أفضل الطاعات .

وكذلك فليحذر من العُجْب بنفسه وبطاعاته ؛ فإن ذلك من المحبطات . ولْيعلم أن المنة لله عليه حيث استعمله بطاعته ورضيه لخدمته ، مع أنه عبد حقير ذليل فقير ، فقد شرَّفه سبحانه وأجلَّه حيث جعله ممن يعبده ويطيعه ، ويذكره ويشكره ، فالفضل والمنّة له تبارك وتعالى أولًا وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وعاجلاً وآجلاً .

وليعلم أن حق الله على عباده ولزوم طاعته ، ووجوب عبادتهم إياه ، وخدمتهم له من الأمور التي لا يستطيع أحد من العباد أن يقوم بالبعض منها ، ولو بلغ في الطاعة والعبادة ما عسى أن يبلغ ، واجتهد وجدَّ وشمَّر ، حتى يستوفيَ إمكانه ويستفرغ استطاعته ووسعه ، فليعترف العبد بتقصيره عما يجب عليه القيام به من عبادة ربه ، وليعترف بمنّة الله عليه فيما وفّقه له من طاعته وخدمته ، ولا يعجَب بنفسه ولا بعمله فيهلك من حيث يرجو النجاة ، ويخسر من حيث يأمل الربح ؛ وقد قال عزَّ من قائل عظيم : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢٤/ ٢١] .

وقال رسول الله ﷺ : « لن يدخل الجنة أحد بعمله » قيل : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلّا أن يتغمّدني الله برحمته » . الحديث ، هذا مع ما كان عليه ﷺ من نهاية الجد والتشمير ، والإجتهاد في عبادة الله حتى قام من الليل إلى أن تورمت قدماه ، مع ما له من المكانة والمنزلة عند الله التي لا يساويه فيها أحد من عباد الله المُكْرَمين ، وأصفيائه المقرَّبين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . وحديث الرجل العابد الذي عبد الله خسمائة سنة في الجزيرة ، وأنه يوقف بين يدي الله ، فيقول له سبحانه وتعالى : « يا عبدي ادخل الجنة برحمتي ، فيقول : بل بعملي يا رب ، فيأمر الله به ، فيحاسب بنعمة البصر فتستغرق جميع عباداته خمسمائة عام وتبقى نعم الله عليه كثيرة ، فيأمر به سبحانه إلى النار ، فيقول : يا رب ، أدخلني الجنة برحمتك . فيأمر الله به سبحانه إلى الجنة برحمته » وفي الحديث طول .

* * *

فليعلم العبد المتعبِّد لله ، أن الفضل لله عليه أولًا وآخراً ، وباطناً وظاهراً ، وعلى كل حال وفي كل موطن ، وكيفما تقلَّبت به الأحوال فليحمد الله ويشكره ، وليعترف بالمنّة له

والنعمة ، وبالقصور والتقصير عما يجب له من الحق ، ومن العبادة والخدمة ، ولو بلغ من ذلك ما بلغ ، وانتهى فيه إلى ما عسى أن ينتهي . وقد بلغنا : « أن لله ملائكةً منذ خلقهم الله تعالى وهم في عبادته ، منهم القائم لا يركع ، والراكع لا يسجد ، والساجد لا يرفع إلى يوم القيامة ؛ فإذا كان ذلك اليوم رفعوا رؤوسهم إلى ربهم ، وقالوا : سبحانك . ما عبدناك حق عبادتك » الأثر في ذلك بهذا المعنى أو قريب منه .

وعلى المشغول بعبادة الله تعالى أن يكون في عبادته خاشعاً لله وخاضعاً ، حاضرَ القلب لا يغفُل عن الله ، ولا يكون مشغول الظاهر بعبادته تعالى ، ومشغول القلب بحديث النفس في أمور الدنيا وأحوال المعاش وذكر الناس ؛ فيكون بذلك مسيء الأدب مع ربه حيث يعبده ، ويعمل له بظاهره دون باطنه ، وبجسمه دون قلبه ، وفي الحديث : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » .

وكذلك يحذر من العمل مع العجلة فيه ، وقلة التأني حتى لا يتمكن مع ذلك من إعطاء العبادة حقها من واجب أو مسنون متأكد، مثل الذي لا يرتل في قراءته ولا يتدبر ، ولا يطمئن في ركوعه واعتداله وسجوده وجلوسه ، فلا يحصُل بسبب ذلك

من صلواته وقراءته على طائل ولا نافع ، وربما تبطل العبادة بسبب ذلك من أصلها إذا أخلَّ منها بواجب ؛ فيكون قد تلبس بعبادة غير صحيحة، فيخرج منها مأزوراً غير محمود ولا مأجور.

وعليه أيضاً أن يقتصد في عبادته ، ويقتصر منها على القدر الذي يقدر على المداومة عليه من غير ملالة ولا فتور . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « تَكَلَّفوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا » . وقال عليه الصلاة والسلام : « القصدَ القصدَ تبلغوا » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ » . فعُلم أن القليل من العمل يداوم عليه صاحبه خير من الكثير الذي لا يداوم عليه . ومن شأن الشيطان ـ لعنه الله ـ : أن يغري الإنسان في أول الأمر بالإستكثار من العبادة والإفراط فيها، لكي يرجع في آخر الأمر: إما إلى الترك والملالة ، وإما إلى فعلها مع العجلة فيها ، التي لا يتمكن معها من إقامتها على وجهها من الخشوع والخضوع مع الله فيها . فيصير حاله كحال من لم يعمل أو أدنى ؛ فرُبَّ فعل لا يُحسِنه صاحبه يكون التارك له أحسن حالًا منه، كما هو معروف ومشاهد من حال من يعمل ولا يحسن ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف : ١٨/ ٣٠] ،

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
[النحل : ١٦/ ٩٧] .

فانظر كيف يخص الإحسان ويشترطه في الأعمال ، تعلم به أن الإحسان في العمل أهم من العمل نفسه ، وفي الحديث : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء » فإذا عملتَ طاعة فتأنَّ فيها وتثبَّت وأحسِن ، وأَعْطِ كُلَّ جزء منها ما يكمل به ويتم : من الخشوع والحضور مع الله فيه تكن من المحسنين ، ويكون الله سبحانه وتعالى معك إذ يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٦/ ١٢٨] .

وعليك ألَّا يمر بك وقت ولا ساعة ولا نفَس إلّا ويكون لك وظيفة من الخير تستغرقها به من صلاة أو تلاوة قرآن أو ذكر الله ، أو مطالعة علم نافع ، أو تَفكُّر في أمر ديني أخروي ، أو شغل بمعاش لا تستغني عنه في الاستعانة على معادك وآخرتك ؛ من غير ترخّص ولا تأويل ولا تعلُّل . بل يكون وجه الاستعانة به بيِّناً ظاهراً ، والله يتولى هداك وإعانتك ، ويأخذ بناصيتك إلى ما يحبه ويرضاه ، ويقرِّب إليه ويزلِف لديه فإنه الولي المعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

القَولُ في تذكير الملابسينَ للمَعاصِي من عامّة المسلمينَ وتخويفهم وتحذيرهم

اعلم أن المعاصي أقذار وأرجاس ، وأوساخ وأدناس ؛ قد عصم الله منها رسله وأنبياءه ، وحفظ منها أولياءه وأصفياءه وابتلى بها الأعداء والأشقياء ، والمطرودين والبعداء من الذين حقَّت عليهم الكلمة ، وتخلّفَت عنهم العناية .

ثم إن من أولئك الطوائف من تداركته الرحمة ، ووفق للتوبة فلحق بأهل الطاعات ، و « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » و « من تاب تاب الله عليه » . و « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغِر » أي تبلغ روحه الحلقوم من الموت . ومنهم من أصرَّ على المخالفة ، وتمادى على المعصية ، حتى خرج من الدنيا وصار إلى الدار الآخرة ، فلقي ربه دنِساً ملطَّخاً بقاذورات المخالفات ، فكان أمره على نهاية من الخطر ، وغاية من الإشكال والضرر ، وخصوصاً إن كان الذي مات وهو مصرّ عليه من الكبائر الموبقات ؛ مثل ترك الصلاة

المكتوبة ، ومنع الزكاة المفروضة ، ومثل الزنا وشرب الخمر ، وظلم الناس وأكل أموالهم بالباطل ، ومثل عقوق الوالدين ، وأكل مال اليتيم ، وأشباه ذلك من المعاصي الموبقات ، والذنوب المهلكات .

وعلى الجملة فالشرور كلها والبليات بجملتها المستَجْلِبة للعقوبات والمهلكات العاجلة والآجلة ، الدنيوية والأخروية ، الظاهرة والباطنة ، إنما سببها الوقوع في الذنوب والمخالفات ، والتجرؤ على الله الملك الجبار ، ومبارزته بما يسخطه من خلاف أمره وركوب نهيه . قال الله تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩/٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٤٢/٣٠] وقال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل : ١٦/٤٥] إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ١٦/٤٧] .

فعلى المؤمن الخائف من ربه ، المشفق على نفسه

المصدِّق بالرجوع إلى الله وأنه ملاقيه أن يجتنب الذنوب والمعاصي كل الاجتناب ، ويحترز منها غاية الاحتراز ، ويبتعد عنها غاية البعد ، ويُنزِّلها في الاجتناب لها بمنزلة السموم القاتلة ، والمياه المغرقة ، والنيران المحرقة ، فإن الملابسة لها والوقوع فيها أشد من ذلك كله من وجوه كثيرة ، كما يعرف ذلك من له بصيرة في الدين ، وعلم بسِيَر عباد الله المؤمنين المتَّقين ، ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢١/٤٩] ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ٢/٤٦] .

وليحذر كل الحذر مهما وقع في شيء منها من الاحتجاج بسبق القضاء والقدر عليه من الله بالوقوع فيها ، وأن ذلك مكتوب عليه ، وليس له محيص عنه ؛ فإن ذلك من الحجج الداحضة التي لا تغني عن صاحبها شيئاً ولا تنفعه ، بل تضره وتزيده من الله بُعداً ، وتعرّضه للمقت والسخط من الله .

وعلى الجملة ، فالإيمان بالقدر خيرِه وشرِّه واجب في أصل عَقْد الإيمان ، والاحتجاج به على الله غير جائز ، بل ذلك من الأمور المخطرة الشنيعة ، وما دام الإنسان واختياره معه فليس له رخصة ولا سَعة في أن يترك أوامر الله ويرتكب

نواهِيَه ، وليس ينفعه قوله : هذا مقضِيٌّ وقد كُتب عليَّ . ومن أين له علم ذلك ؟ . ومسألة القدر هذه مسألة مشكلة ، وفيها أغوار بعيدة يتعسّر العلم بها على الخاصة فضلاً عن العامة .

وكذلك مِن أضرّ الأشياء على الواقعين في معاصي الله تعالى وترك أوامره أماني المغفرة ، وقولهم : « إن الله كريم رحيم ، يغفر الذنوب للعصاة ولا يبالي » وذلك صحيح وحق ! ولكن لا بد للعبد من امتثاله لأمر سيده الكريم الرحيم ، واجتنابه لما نهاه عنه ، وعليه أن يبذل جهده واستطاعته في ذلك ، ويستفرغ فيه طاقته وإمكانه ، ثم يرجو بعد ذلك غفران ربه ورحمته ، ولا يتمنى ولا يغتر من غير جِدّ ولا سعي ؛ فيكون بذلك ممن قال فيهم تبارك وتعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف : ١٦٩/٧] الآية ، وقال تعالى : ﴿ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم : ٥٩/١٩] .

وقال رسول الله ﷺ : « الكيِّس مَن دانَ نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتْبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » ، ومعنى دان نفسه : حاسبها . وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن

توزَنوا ، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله تعالى .

وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه - : ألا رب مبيِّض لثيابه مدنِّسٌ لدينه ، ألا رب مُكْرِمٍ لنفسه وهو لها مهين . بادروا السيئات القديمات بالحسنات الجديدات ؛ فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ، وعمل حسنة لَعلَت فوق سيئاته حتى تقهرها .

وقال الحسن البصري - رحمه الله - : إن أماني المغفرة قد لعبت بأقوام حتى خرجوا من الدنيا مفاليس « يقول : من الأعمال الصالحة » . وقال أيضاً : وإياكم وهذه الأماني فإنها أودية النَّوْكىٰ أي (الحمقى) .

واْعلم أن الله تعالى لم يذكر الرحمة والمغفرة في وصفه لنفسه بذلك ، إلّا وقيّد ذلك بقيود وشرطه بشرائط . مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه : ٢٠/٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢/٢١٨] ونحو ذلك من الآيات ، وما وجد منها مطلقاً فيحمل على المقيد منها ، وقد قال عزَّ من قائل كريم : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [الجاثية : ٤٥/٢١] الآية ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص : ٣٨/٢٨] فقد عُلِم وتَبيَّن أن الرجاء بلا عمل ولا سعي غرور وأماني. ومع ذلك العمل والسعي رجاء وحسن ظن.

ثم إنا قد بسطنا الكلام في بيان هاتين المسألتين : الاحتجاج بالقدر عند الإضاعة لأمر الله ، وأماني المغفرة مع ركوب المخالفة وتسويف التوبة في الكتاب المسمى بـ « النصائح الدينية » فلينظره من أرادالمزيد على ما هنا ، والكل شاف كاف بعون الله وبركات رسوله لمن اتّبع الهدى واجتنب الردى ، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وكذلك ينبغي للإنسان ألّا يحدث نفسه بالتوبة من الذنب قبل الوقوع فيه ؛ فإن ذلك ربما يسهِّل عليه الوقوعَ فيه ، ويهوِّن على قلبه الارتكابَ له ؛ فيكون مثاله مثال الذي يتناول الطعام المسموم اعتماداً على أنه يتناول الدواء الشافي منه ، فيكون ذلك سبب هلاكه أو مرضه ؛ لأن الدواء ربما يتناوله من غير استجماع لشرائط التناول له ، وربما تعرض عوارض أُخر تمنعه من تناول الدواء من تسويف وتأخير ، وقصد معاودة وغير ذلك .

وٱعلم أن الاجتناب للذنب والتباعد عن المعاصي أسهل وأيسر من التوبة منها بعد الوقوع فيها من وجوه كثيرة . وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتوبة من الذنوب إذا وقعوا فيها ، ورغبهم في ذلك ووعدهم بقبولها فضلاً منه ، ووصف نفسه بذلك في كتابه العزيز ، فقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى : ٤٢/٢٥] وقال تعالى : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ [غافر : ٤٠/٣] الآية .

ثم إن للتوبة شرائط لا تتم إلّا بها ، ولا تصير أهلاً لأن تُقبَل إلّا باجتماعها ، والإتيان بها على وجهها .

فأَوَّل ذلك وأولاه الندم الصادق على ما سلف منه من الذنوب ، قال عليه الصلاة والسلام : « الندم توبة » المعنى : أنه إذا صح الندم وكان صادقاً كاد أن يتضمن ويجمع شرائط التوبة كلها .

ومن شرائطها : أن يعزم على أن لا يعود إلى الذنب الذي تاب منه ما عاش ، وأن لا يكون في حال توبته ملابساً ولا مصراً على شيء من الذنوب التي تاب عنها .

وعلى التائب أيضاً : أن يخرج من مظالم العباد التي كان

ظلمهم بها في نفس أو عِرْض أو مال ، وأن يبلغ في ذلك نهاية إمكانه واستطاعته ، وأن يقضي ما فاته من فرائض الله المكتوبة عليه من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك ، فإنها لا تتمّ توبته ولا تصير أهلاً للقبول من الله حتى يأتي بجميع ذلك ، وما ضاق عنه الوقت الحاضر أخذ فيه وعزم على التدارك حسَب الإمكان والاستطاعة ، من غير تسويف ولا تكاسل .

ثم إنه لا يزال بين الخوف والرجاء : يخاف أن لا تقبل منه التوبة لتقصيره عن القيام بشرائطها وما يلزمه فيها ، ويرجو من فضل ربه قبول توبته وغفران حَوْبته[1] ، والعفو عن ذنبه بمحض جوده وكرمه ، فإنه أرحم الراحمين ، وأكرم الأكرمين .

ومن علامات التائب الصادق في توبته : ملازمة الحزن والانكسار ، وكثرة البكاء والتضرُّع والاستغفار ، وهجران المواطن التي عصا الله فيها ، ومفارقة قرناء السوء وخلطاء الفساد من الفجار .

ثم إن الذنوب منها الكبائر ومنها الصغائر ، ولا بد في

---

(١) الحوبة ـ بفتح الحاء . والحُوْب ـ بضمها ـ : الإثم .

جميعها من التوبة ، غير أنها من الكبائر أوجب وآكد ، وقد تُكَفَّر الصغائر بالصلوات والجماعات والحسنات ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « الصلاة إلى الصلاة كفَّارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر ، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » .

وقال مولانا جلّت قدرته : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود : ١١/ ١١٤] .

وقد اختلف العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ في تعريف الكبائر وعدِّها حتى قال بعضهم : إنها مبهمة في الذنوب ؛ ليكون الإنسان على نهاية التحفظ والاحتراز من المعاصي كلها خوف أن يكون في الذنوب ما يأتيه منها من الكبائر ، وذلك على نحو ما قالوه في اسم الله الأعظم في أسمائه تعالى ، وفي ساعة الجمعة في ساعات يومها ، وليلة القدر في ليالي شهر رمضان ، وذلك له وجه ، ولكن ما صحّت به الأحاديث في تعريف أمثال ذلك هو المعتمد والمأخوذ به ، وبالله التوفيق .
وقد قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا :

بلى يا رسول الله . قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور وشهادة الزور » الحديث ، وقال عليه الصلاة والسلام: « اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلّا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات » والأحاديث بنحو ذلك كثيرة .

وقد ألف الشيخ الإمام أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي ـ رحمه الله تعالى ـ كتاباً حافلاً سمّاه « الزواجر عن اقتحام الكبائر » فعَدَّ فيه منها ما يزيد على الأربعمائة ، ولكنه عد شيئاً في الكبائر لا يوافق على كونه كبيرة ولكنه قد يقيّد في أول تراجمها بقيود وينبّه في آخرها بتنبيهات يكاد يسلم بذلك من الاعتراض عليه في عدِّ ذلك من الكبائر .

وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب « قوت القلوب » أن الكبائر سبع عشرة ، ثم عدَّها فقال : الكبائر سبعُ عشرة ، أربع في القلب : الشرك بالله ، والإصرار على المعصية ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله . وأربع في اللسان : القذف ، وشهادة الزور ، والسحر ـ وهو كل كلام يغيِّر الإنسانَ أو شيئاً من أعضائه ـ

واليمين الغموس وهي التي يُبطِل بها حقًّا أو يُثبِت بها باطلاً . وثلاث في البطن : أكل مال اليتيم ظلماً ، وأكل الربا ، وشرب كل مسكر . واثنتان في الفرج : الزنى ، واللواط . واثنتان في اليد : القتل ، والسرقة . وواحدة في الرِّجْلِ : الفرار من الزحف . وواحدة في جميع البدن : عقوق الوالدين . انتهى ، وهو كلام حسن جامع لا يكاد يصادَف مثلُه في بابه .

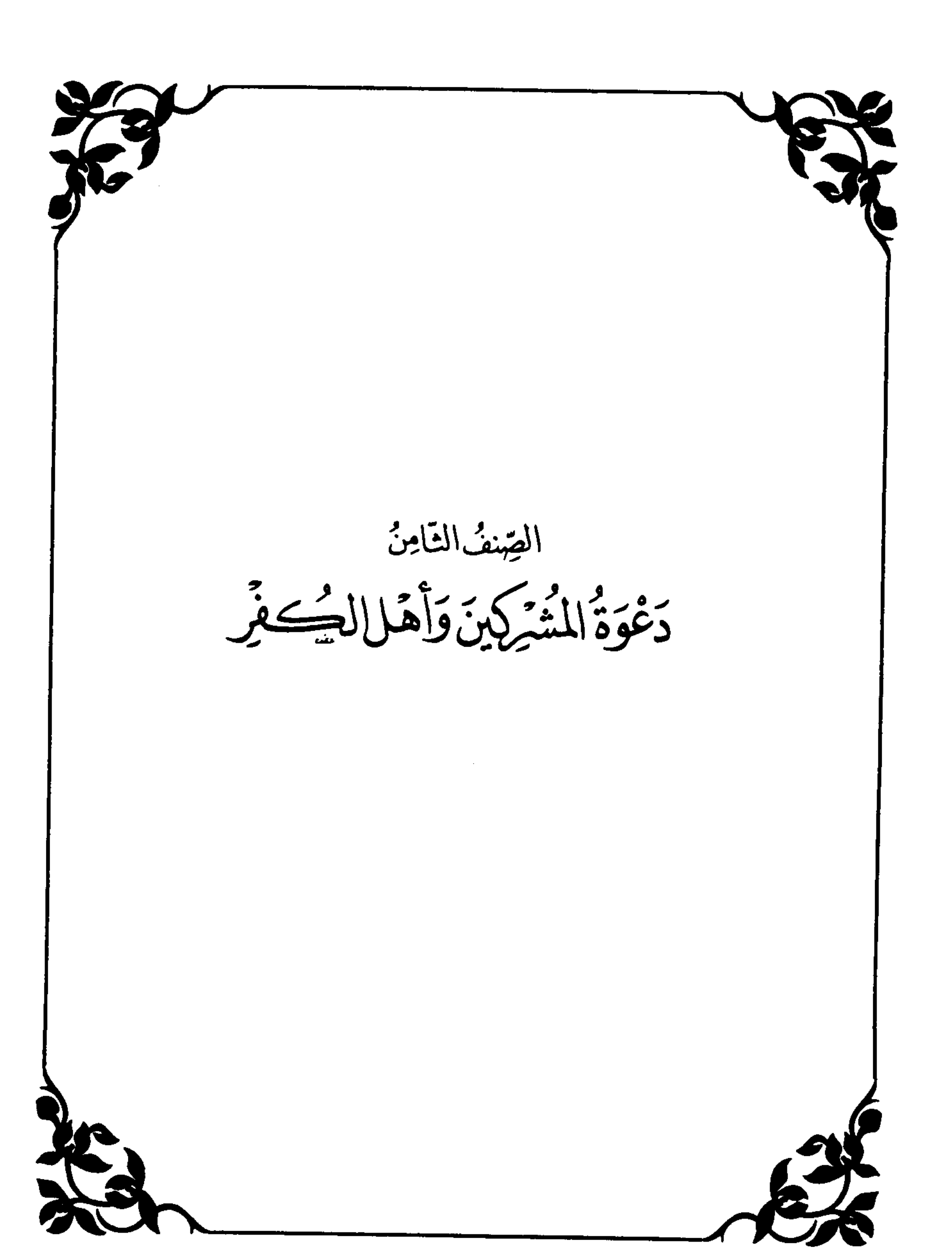
فعليك ـ رحمك الله ـ بالاحتراز البالغ من جميع الذنوب من صغائرها وكبائرها ؛ فربَّ صغيرة قد تكون على صاحبها أضرّ من كبيرة . والذنوب كالنار قد تحرق الشرارة منها القرية الواسعة .

وعن زين العابدين علي بن الحسين ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : إن الله سبحانه خبَّأ ثلاثاً في ثلاث : خبّأ رضاه في طاعته ، فلا تحتقروا من الطاعة شيئاً فلعلّ رضاه سبحانه يكون فيه . وخبّأ سخطه في معصيته ، فلا تستحقروا شيئاً من المعاصي ، فلعلّ سخطه سبحانه يكون فيه . وخبّأ ولايته في خلقه ، فلا تستحقروا منهم أحداً فلعلّه أن يكون وليًّا لله تعالى . انتهى .

وقد ورد : « لا صغيرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع

استغفار » . وقال بعض السلف : المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه . وقال غيره : الاستغفار من غير إقلاع توبة الكذّابين . وقال آخر : إن كنت تعصي الله وأنت ترى أنه يراك فأنت مستهزىء بنظر الله . وإن كنت تعصيه وأنت ترى أنه لا يراك فأنت كافر . وقال آخر : من عصى الله وهو يضحك دخل النار وهو يبكي . وقال آخر : المؤمن يرى ذنبه كالذي ينحت في أصل جبل وهو تحتَه ، كلُّ ساعة يخاف أن يقع عليه . والمنافق يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه ، فقال بيده هكذا فأطاره . نسأل الله أن يجمِّلنا بسَتره ، ويسترنا بعافيته ، ويعافيَنا من مخالفته وعصيانه وإضاعة أمره ؛ فإنه نعم المستعان وعليه التُّكلان ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .





الصِّنفُ الثَّامِنُ

دَعْوَةُ المُشْرِكِينَ وَأهْلِ الكُفْرِ

الصنف الثامن

وهم المشركون الذين يدعون مع الله إلهًا آخر، تعالى الله عمّا يقولون وعمّا يدّعون علوًّا كبيرًا، وهم أصناف: منهم المشركون، ومنهم المعطّلون والجاحدون، إلى غير ذلك.
وكلّهم في ضلالةٍ وظلماتٍ بعضُها فوق بعضٍ، غير أنّ البعض منهم أشدّ ضلالةً وكفرًا، وأكثر بهتانًا وافتراءً
وليس لأحدٍ منهم حجّة ولا برهان بوجهٍ من الوجوه.
القول في دعوتهم إلى الله وإلى توحيده، والإقرار له سبحانه بالألوهيّة والرّبوبيّة، من غير شريكٍ له في ذلك ولا منازع.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩/٤٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨/٢٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ [النساء: ١٧١/٤] وقال

تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٢/١٦٣] ، وقال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ٣/١٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/١١٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٢٨/٨٨] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤/٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ٣١/١٣] وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٥/٧٢] .

وإذا كان هذا التشديد العظيم الهائل ، والوعيد الفظيع الشنيع ، في حق من يدعو مع الله إلهاً آخر ، ويشرك به سواه في الألوهية ، مع أنه يُقِرُّ ويعترف لله بالألوهية والربوبية ؛ فكيف يكون الحال ، وعظيم الوبال والنكال في حق من ينكر أنه ليس للعالم إله من المعطِّلة ، أو يقول : إن له إلٰهاً غير الله تعالى وتقدس عن قوله وافترائه ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩/٧] . والأنعام والبهائم ، بل والنباتات والجمادات مقرَّة ومعترفة وشاهدة لخالقها وموجدها بالألوهية والوحدانية والربوبية ، ولو كانت تنطق لأعربت عن ذلك وأفصحت به ؛ قال الله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ [الإسراء : ٤٤/١٧] الآية ، وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل : ٤٨/١٦] إلى قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴾ [النحل : ٥٠/١٦] .

ولما كانت العرب قد أعطيت من التمييز ، وأُيِّدَتْ من المعقول بما لم يؤيَّد به غيرُها من الأمم لم يصدر عنها الإنكار لوجود الحق سبحانه وتعالى ؛ بل أقرت بوجوده ، وبكونه الخالق لكل شيء والرازق له ، كما حكى الله ذلك عنها في غير ما آية من كتابه ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ ﴾ [الزخرف : ٨٧/٤٣] ، وقوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ ﴾ [العنكبوت : ٦١/٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/ ٨٤-٨٥] ،

إلى غير ذلك من الآيات المصرِّحات بما ذكرناه عن مشركي العرب .

ويبين ذلك ما حكى الله عنهم في قوله تعالى أنهم قالوا فيما أشركوا به من دون الله ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣٩/٣] أي أنهم جعلوها وسائل ووسائط ، يقصدون بعبادتهم التقرّب إلى الله فأخطأوا في ذلك ، ولكنهم أقرُّوا بوجود الحق وبكونه الخالق لهم ولكل شيء ، وأنهم إنما عبدوا ما عبدوه من الأصنام لتكون وسائل لهم عنده ، ومقرِّبات لهم إليه ؛ وكانوا ـ أعني مشركي العرب ـ يرجعون إلى الله في الشدائد ، وكشف المهمات والمصائب ، ولا يطلبون ذلك ولا يسألونه إلّا منه ، كما أخبر الله بذلك في كتابه عنهم في مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ ﴾ [الإسراء : ١٧/٦٧] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾ [النحل : ١٦/٥٣] أي تتضرعون وَتستغيثون . ولما قال رسول الله ﷺ لبعضهم : « كم لك من إلهٍ ؟ قال : عشرة . فقال عليه الصلاة والسلام : إلى أيِّهم ترجع عند الشدائد ؟ فقال إلى الله ، فقال : « أسلم يا فلان فإنه ليس لك من إله غير الله » الحديث ، وقال عليه

الصلاة والسلام لآخر وهو يدلُّه على الله : « هو الذي إذا ضلّت راحلتك وأنت بأرض فلاة فدَعَوْتَهُ ردَّها عليك . وإذا أصابك عامُ سَنة فدَعَوْتَهُ أَنْبَتَها لك » .

وما أحسب أن أحداً يعقل إلّا وهو متألّه إلى إلٰه ، تقضي عليه بذلك فطرته التي فطره عليها ، وتشهد له بربوبيته خِلْقَتُهُ التي خلق عليها ، أصاب في ذلك من أصاب ، وأخطأ فيه من أخطأ ، وما من إلٰه إلّا الله العزيز الحكيم .

فمصنوعاته سبحانه ، ومخلوقاته ومبتدعاته التي ملأ بها أرضَه وسمواتِه ، شاهدة له بالألوهية ، وناطقة له بالوحدانية ، وقد أجاد وأحسن القائل الذي يقول :

أيا عجباً كيف يَعْصِي الإلٰـ ـهَ أم كيف يجحدُه الجاحدُ

ولله في كل تحريكة وتسكينة أثرٌ شاهد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحدُ

ولما دُعِي أصحاب الكهف إلى عبادة غيره سبحانه وتعالى ، وأن يعترفوا بالربوبية للعبد المربوب ، الذي ليس بأهل لذلك أنكروا ولم يُقِرُّوا ، ولم يعترفوا ، لِمَا قذف الله في قلوبهم من النور ، وألقى فيها من التصديق والإيمان به تعالى : ﴿ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ

﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف : ١٨/ ١٤] إلى قوله تعالى : ﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف : ١٨/ ١٦] .

وكذلك شأن السحرة الذين جاء بهم فرعون اللعين ، ليدفع بسحرهم وكيدهم ـ بزعمه ـ الحقَّ والبرهان الذي بُعث به موسى وهارون عليهما السلام ، فعندما عرفوا وتحققوا أن الأمر الذي بُعِث به موسى وهارون عليهما السلام ، أمر سماوي إلٰهي لا يطاق له دفاع ، ولا يستطيع أحد أن يرده ولا يغالبه ، أقروا بالحق واستسلموا ، وأسلموا وآمنوا بالله وحده فقالوا : ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٢١ ـ ١٢٢] ولم يردَّهم عن ذلك ، ولم يصرفهم عنه ما توعدهم به فرعون لعنه الله ، من قطع الأيدي والأرجل من خلاف ، وصَلْبِهم على جذوع النخل ؛ بل قالوا في الرد عليه والاستهانة بما توعَّدهم به : ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ ﴾ [طه : ٢٠/ ٧٢] إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه : ٢٠/ ٧٣] .

ثم إنه لعنه الله لم يَسَعْه ولم يُمْكِنْه أن يردَّ عليهم ، ولا أن يدفعهم عن الإيمان بالله ؛ لأنه عرف وتبيّن له بأن لا حجة له بذلك ، ولا قوة له على الدفع ؛ فعدل إلى قوله لهم :

﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأعراف : ٧/١٢٣] تكبراً منه ، ومدافعة بما لا ينفعه ولا يقوم له به حجة ؛ لأن الإيمان بالله ، والتوحيدِ له هيبة لا يمكن لأحد يعقل أن يدفع أحداً عنه ، ولا يجادله فيه ؛ لأنه الأمر الواضح البيِّن ، الذي قامت به الحجج ، واتفقت عليه الأدلة القاطعة من السمعيات والعقليات .

فأعلم ذلك وتأمله حق تأمّله ؛ فإنه أمر مهم ويكاد يشار إليه بما ذكره الله تعالى في آيات عديدة مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/١١٧] ، وقوله تعالى : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ﴾ [يوسف : ١٢/٤٠] الآية ، وقوله تعالى إخباراً عن أصحاب الكهف : ﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف : ١٨/١٥] .

فالمدعي مع الله إلٰهاً آخر لا تقوم له بما ادّعاه حجة ألبتة ؛ بل حجّته بذلك بينة البطلان والاستحالة ، فلذلك يعدِل المدعي لها إلى غير ذلك ، كما عدل إليه فرعون لعنه الله .

وكذلك نمرود فيما حكى الله عنه من محاجَّته إبراهيم

الخليل عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ [البقرة : ٢/٢٥٨] إلى قوله تعالى : ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢/٢٥٨] .

ثم اعلم أن التوحيد أعظم النعم وأكبرها ، وأنفعها لأهله في الدنيا والآخرة . فعلى من أنعم الله به عليه وأكرمه به أن يعرف قَدْرَ نعمةِ الله بذلك ، وأن يسعى في حفظها ودوام الشكر والاغتباط بها ، وأن يجتهد في تقوية توحيده ، وثباته وتأكيده بملازمة الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة ، والطاعات الخالصة التي هي من فروع التوحيد وثمرات الإيمان مع الاحتراز والاجتناب لأضداد ذلك من الأخلاق السيئة والأعمال المنكرة التي هي من مُضْعِفات الإيمان ، وموجِبات تزلزله واضطرابه حالًا ومآلًا سيَّما عند الموت ؛ قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الروم : ٣٠/١٠] ، وقال ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

وكان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يقولون : المعاصي

بريد الكفر ؛ فلْيبذُل المؤمن نهاية جهده وإمكانه في حفظ إيمانه وتقويته ، وتأكيده وتثبيت أركانه ، وليستعن بالله وليصبر على ذلك ، ويداوم عليه حتى يأتيه اليقين .

ثم اْعلم أن الإيمان هو أصل الأصول ، وأنفس النفائس ، وأعز الأشياء . وهو مع ذلك أشدها خطراً ، وأشقها حفظاً ، وأحوجها إلى حسن التعهُّد والتفقد ، وحسن النظر والاحتياط ، وكل عزيز ونفيس فعلى مثل ذلك يكون ويوجد . ولا يزال المؤمن الشفيق على دينه ، المحتاط لإيمانه ويقينه سائلاً من الله ومتضرعاً إليه : في أن يُثَبِّته على دينه وإيمانه ، وأن لا يُزيغ قلبه بعد إذ هداه إلى توحيده ومعرفته ، وأن يكون خائفاً من سلب ذلك وتزلزله . وقد كان بعض السلف يحلف بالله إنه ما أَمِنَ أحد على إيمانه أن يُسلَبَهُ إلّا سُلِبَه ، وذُكِر عن إبليس لعنه الله أنه قال : قصم ظهري الذي يسأل الله حسن الخاتمة ؟ أقول متى يُعجَب هذا بعمله ؛ أخشى أنه قد فطن .

فالأمر الذي عليه المدار والتعويل والذي لا ينبغي لعاقل من أهل الإيمان أن يكون أعظم اهتماماً به وأشد حرصاً عليه وسعياً له من سلامة التوحيد وحفظ الإيمان ، حتى يموت ويخرج من الدنيا على ذلك بفضل الله وحسن تأييده وتثبيته ؛

فإنه إن خرج من الدنيا على ذلك سلم من الشرِّ كله وفاز بالخير كله دائماً أبداً . وإن خرج من الدنيا على خلاف ذلك خسر خسراناً مبيناً ، وهلك هلاكاً مؤبداً والعياذ بالله !

فَفَقْدُ التوحيد والإيمان هو الذي لا ينفع مع فقده شيء بحال كائناً ذلك الشيء ما كان ، ولو كان عمل الأولين والآخرين ، وحيث بقي مع العبد توحيدُه وإيمانه وسلِما له ، فليس يضرّه شيء ولو كان عاصياً مذنباً ، فإما أن يغفر الله له أو يعفو عنه ، وإن عاقبه على ذنبه كانت عقوبة منقضية غير مُخلَّدة ولا مؤبدة ؛ فإنه لا يُخَلّد في النار مؤمن ، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرّة من إيمان .

وقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يموتوا على الإيمان والإسلام ، ووصف أنبياءه ورسله والصالحين من عباده : بأنهم يسألونه ذلك ، ويدْعونه به ، ويتواصَونَ به حرصاً عليه وإعظاماً له واغتباطاً به ؛ فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٣/١٠٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢/١٣٢] وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا

وَٱلْـَٔاخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٢/١٠١] ، وقال تعالى إخباراً عن المؤمنين من السحرة حين توعدهم فرعون لعنه الله : ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/١٢٦] .

وقد وردت عن رسول الله ﷺ الأحاديث الكثيرة الشهيرة في بشارة أهل التوحيد والإيمان ، ومن مات وهو لا يشرك بالله شيئاً بالنجاة من النار والفوز بالجنة ، وغير ذلك من الخيرات والدرجات . قال رسول الله ﷺ : « من شهد أن لا إلٰه إلّا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ، ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ، والجنّة حق والنارَ حقٌّ أدخله الله الجنّة على ما كان من العمل » . وفي رواية لمسلم : « من شهد أن لا إلٰه إلّا الله وأن محمداً رسول الله حرَّم الله عليه النار » .

وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ما الموجبتان ؟ قال : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار » ، وقال ﷺ لمعاذ : « يا معاذ ، ما من عبد يشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، صادقاً من قلبه إلّا حرَّمه الله تعالى على النار » قال :

يا رسول الله ، أفلا أخبر الناس فيستبشروا ؟ قال : « إذاً يتَّكلوا » فأخبر بها معاذ عند موته تأثُّماً ! أي مخافة من الإثم في كتمان هذا العلم .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله حرَّم على النار من قال لا إلٰه إلّا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى » ، وقال عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة رضي الله عنه : « اذهب فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلٰه إلّا الله مستيقناً بها قلبُه فبِشّرْه بالجنَّة » .

وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: « يا معاذ ، هل تدري ما حقّ الله على العباد ، وما حقّ العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « فإنَّ حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . وحق العباد على الله أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئاً ! فقلت يا رسول الله ، أفلا أبشر الناس ؟ قال : « لا تبشِّرهم فيتَّكِلُوا » .

وقال ﷺ : « المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ١٤/٢٧] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أتاني

جبريل ، فقال : بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله دخل الجنة ، قلت يا جبريل ، وإن سرق وإن زنى !؟ قال : نعم . قلت : وإن سرق وإن زنى !؟ قال : نعم . قلت : وإن سرق وإن زنى !؟ قال : نعم وإن شرب الخمر » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أتاني آت من عند ربِّي فخيَّرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « قال الله تعالى : يآ بن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتَني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يآبن آدم ، لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يآبن آدم لو أتيتني بِقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » .

وحديث الرجل من هذه الأمة الذي يصاح به فتنشر له تسعة وتسعون سجلاًّ من الخطايا كل سجل مدُّ البصر ؛ فتطرح في كِفّة الميزان فيقول الله تعالى : « إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم » فتخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا إلٰه إلّا الله فيقول الرجل : ما هذه البطاقة في جنب هذه السجلات فيقول الله تبارك وتعالى : « إنك لا تُظلم » . فتطرح البطاقة في

الكِفّة الأخرى فيرجح بها الميزان وتطيش تلك السجلات ـ قال عليه الصلاة والسلام : « ولا يثقل مع اسم الله شيء » ـ حديث مشهور .

وبلغنا أن رجلاً كان بعرفات وقت الحج ، أنه أخذ سبع حصيات فأشهدها أنه يشهد أن لا إلٰه إلّا الله ، فرأى بعد ذلك في النوم أنه وقف بين يدي الله للحساب وأنه حوسب وأمر به إلى النار ، فما جيء به إلى باب من أبوابها إلّا وجاء حجر فسد ذلك الباب ، وقيل له : إن هذه هي الأحجار التي أشهدتها بأنك تشهد أن لا إلٰه إلّا الله ، ثم أمر به إلى الجنة ، فجاءت لا إلٰه إلّا الله ففتحت له أبواب الجنة بفضل الله ورحمته » . والحمد لله رب العالمين .

* * *



الخاتمة

مَوَاعِظ وَمُذكِّرَات



الخاتمة

في مواعظ ومذكّرات يستيقظ بها المعرض الغافل . ويتذكّرها اللبيب العاقل إن شاء الله تعالى . تشتمل على آيات من كتاب الله وأحاديث من حديث رسول الله ﷺ . وعلى آثار تؤثر من الصّحابة والتّابعين ، وعن العلماء العاملين ، وعباد الله الصّالحين .

قال تبارك وتعالى لرسوله الأمين : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : ١٦/١٢٥] وقال تعالى : ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢/٢٧٥] ، وقال تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ [النساء : ٤/٦٣] وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء : ٤/٦٦ ـ ٦٨] .

وقال رسول الله ﷺ : « تركت فيكم واعظين ناطقٌ وصامتٌ ؛ فأما الناطق فكتاب الله ، وأما الصامت فالموت » .

وقال العِرْباضُ بن سارية ـ رضي الله عنه ـ : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وَجِلَتْ منها القلوب ، وذَرَفت منها العيون ؛ فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودِّع فأوْصِنَا . فقال عليه الصلاة والسلام : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمَّرَ عليكم عبد حبشي ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ؛ فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء المهتدين عَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإيَّاكم ومحدثاتِ الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » وقال عليه الصلاة والسلام : « كأنَّ الموت فيها على غيرنا كُتب ، وكأنَّ الحق فيها على غيرنا وَجَب ، وكأنَّ الذي نشيِّع من الأموات سَفْر[1] عما قليل إلينا راجعون ، نبوِّئُهم أجداثَهم ، ونأكل تُراثهم[2] ؛ كأنَّا مُخلّدون من بعدهم ، قد نسينا كل موعظة ، وأمِنّا كل جائحة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سِلْعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة »

---

(١) السفر ـ بفتح فسكون ـ : المسافر . يقال : رجل سفر وقوم سفر .
(٢) الأجداث : القبور والتراث ما يخلفه الميت .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يا أيها الناس ، توبوا إلى الله قبل أن تموتو ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا ، وصِلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن روح القدس نفث في رُوعي : عش ما عشت فإنك ميت ، وأحبِب من أحببت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعُدّ نفسَك من أهل القبور » . وقال عليه الصلاة والسلام : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هَرَمك ، وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » . وقال عليه الصلاة والسلام : « بادروا بالأعمال فِتَناً كقطَع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعَرَض يسير من الدنيا » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « كفى بالموت واعظاً ، وكفى باليقين غِنًى ، وكفى بالعبادة شغلاً » . وقال عليه الصلاة والسلام : « لو تعلمون ما أعلم لَضحكتم قليلاً ولَبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصُّعُدَات

تجأرون إلى الله » . والصعدات : هي الطرق . وتجأرون : أي تتضرعون .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما من صباح يصبح العباد فيه إلّا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعطِ منفِقاً خَلَفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلَفاً » . وقال عليه الصلاة والسلام : « استحيوا من الله حق الحياء ، فقالوا : إنا نستحي والحمد لله ، فقال عليه الصلاة والسلام : « من استحيا من الله حق الحياء حَفِظَ الرأسَ وما وعَى ، وحفظ البطن وما حوى ، وذكر الموت والبِلَى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما منكم من أحد إلّا سيكلِّمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيْمَنَ منه فلا يرى إلّا ما قدَّم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلّا ما قدّم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلّا النار تلقاءَ وجهه ؛ فاتقوا النار ولو بشِق تمرة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلّا فقراً مُنْسِياً ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مُفْنِداً ، أو موتاً مُجهِزاً ، أو الدجالَ فشر

غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد » .

وقال عليه الصلاة والسلام لعقبة بن عامر رضي الله عنه : « أمسك عليك لسانك ، ولْيسعك بيتُك ، وابْكِ على خطيئتك » . وقال عليه الصلاة والسلام : « قد أفلح من أسلم ورُزق كفافاً وقنَّعه الله بما آتاه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « يتبع الميتَ ثلاث : أهله ، وماله ، وعمله . فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » . وقال عليه الصلاة والسلام : « يقول العبد مالي مالي ؟ وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فأبقى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتارك للناس » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا دارُ من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن عمله ماذا عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « حُفَّت الجنة

بالمكاره ، وحُفت النار بالشهوات » . وقال عليه الصلاة والسلام : « كل آت قريب ، والبعيد ما ليس بآت » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما بعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا من دار إلّا الجنة أو النار » .

وقال أبو بكر الصِّديق ـ رضي الله عنه ـ لما استُخلِف : إني قد وليت أمركم ولست بأخيركم ، وإن أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخذ له الحق ، وأضعفكم عندي القويُّ حتى آخذ الحق منه : فإذا أحسنت ـ أو قال استقمت ـ فأعينوني ، وإذا رأيتموني زغت فقوّموني .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : من مَقَتَ نفسه في ذات الله عزَّ وجلَّ أمَّنه الله من مقته .

وعن أم المؤمنين حفصة بنت عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنها قالت لأبيها : يا أمير المؤمنين ، ما عليك لو لبست ثوباً ألين من ثوبك هذا ؟ أو أكلت طعاماً غير هذا وقد فتح الله عليك الأرض ، وأوسع لك الرزق ؟ فقال : إني سأخاصمك إلى نفسك ، أما تعلمين ما كان يلقى رسول الله ﷺ من شدة العيش ؟ فما زال يُذكِّرها حتى أبكاها . ثم قال : قلت لكِ إنه كان لي صاحبان سلكا طريقاً ، وإني إن سلكت غير طريقهما

سُلك بي غير طريقهما ، وإني والله لأشركنّهما في مثل عيشهما الشديد لَعَلِّي أدرك معهما عيشهما الرخِيّ ، يعني بصاحبيه : رسول الله ﷺ ، وأبا بكر ـ رضي الله عنه ـ .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : لما قَتل البغاة المعتدون عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ دخلوا خزائنه ، فوجدوا فيها صندوقاً فقالوا : هذا ما اختاره من فَيْء المسلمين ، فكسروه فوجدوا فيه حُقّةً فقالوا : فيها جواهر ، فكسروها فوجدوا فيها ورقة مكتوباً فيها : عثمان يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، عليها نحيا وعليها نموت ، ووجدوا في ظهرها مكتوباً :

غِنَىٰ النفس يُغنِي النفسَ حتى يكُفّها
وإن مسَّها حتى يضرَّ بها الفقرُ
فما عُسرةٌ فاصبِرْ لها إن لَقِيْتَها بكائنةٍ إلّا ومِن بعدها يُسْرُ

قال : فأُسقِط في أيدي القوم . وقال عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ لمن حضر تشحُّط عثمان في الموت حين جرح : ماذا قال عثمان وهو يتشحَّط في الموت ؟ قالوا : سمعناه يقول : اللهم اجمع أمة محمد ﷺ . ثلاثاً ؛ ثم قال :

والذي نفسي بيده ، لو قال : لا يجتمعون أبداً ، ما اجتمعوا إلى يوم القيامة .

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ؟ ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم عملك ، وأن لا تباهي الناس بعبادة ربك : فإن أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت الله ، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين ، رجل أذنب ذنباً فهو يتدارك ذلك ، ورجل يسارع في الخير .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : احفظوا عني خمساً فلو ركبتم الإبل في طلبهن لأنضيتُموهن[1] قبل أن تدركوهن : لا يرجو عبد إلّا ربه ، ولا يخاف إلّا ذنبه ، ولا يستحي جاهل أن يسأل ، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم ، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : التقوى ترك الإصرار على المعصية ، وترك الاغترار بالطاعة .

---

(١) أنضيتموهن : أَهْزلتموهن .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : أشد الأعمال ثلاثة : إعطاء الحق من نفسك . وذكر الله تعالى على كل حال ، ومواساة الأخ بالمال .

وقال ضرار بن ضمرة الكناني ـ رحمه الله ـ في وصفه حين وصفه لمعاوية : وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليلُ سُدولَه وغارت نجومه ، يتململ في محرابه ، قابضاً على لحيته تململ السليم[1] ويبكي بكاء الحزين ، وكأني أسمعه الآن وهو يقول : يا ربنا . يا ربنا ، يتضرع إليه . ثم يقول : يا دنيا إليَّ تعرضتِ أم إليَّ تشوفتِ ؟ هيهات هيهات ! غُرِّي غيري ، قد طلقتكِ ثلاثاً لا رَجعة فيها ؛ فعمركِ قصير ، وعيشكِ حقير وخطركِ كثير . آه آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ووحشة الطريق ، قال : فوكَفَتْ دموع معاوية على لحيته ما يملِكها .

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : نظر النبي ﷺ إلى مُصعب بن عُمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تمنطق به ، فقال النبي ﷺ : « انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نوَّر الله قلبه ! لقد

---

(١) السليم : الملدوغ .

رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ، فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون » .

ومرض خبّاب بن الأَرَتّ[1] ـ رضي الله عنه ـ فعاده نفر من الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ، فقالوا : أبشر يا أبا عبد الله . إخوانك تقدم عليهم غداً ؛ فبَكَىٰ وقال : أما إنه ليس بي جزع ، لكن ذكَّرتموني أقواماً وسميتم لي إخواناً ، وإن أولئك مضوا بأجورهم كما هي ، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الإعمال ما أوتيناه من بعدهم (يريد من أمور الدنيا) .

وقال عبد الله بن مسعود[2] ـ رضي الله عنه ـ : حبذا المكروهان : الموت والفقر ، وأيمُ الله ! إنْ هو إلّا الغنى

---

(١) ابن جندلة . أسلم سادس ستة . وعذب لإسلامه عذاباً شديداً . وشهد المشاهد كلها . ونزل الكوفة ومات بها سنة ٣٧ منصرف علي من صفين ، وصلى عليه عليّ . وكان مرضه شديداً حتى كاد أن يتمنى الموت لولا النهي عنه .

(٢) أسلم قديماً ، وهاجر الهجرتين ؛ وشهد بدراً والمشاهد بعدها ، ولازم النبي ﷺ ، وحدَّث عنه كثيراً ، وكان صاحب سره وسواكه ونعليه وطهوره في السفر . وكان يشبه النبي ﷺ في هديه وسمته ، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة، وأجهز على أبي جهل يوم بدر . وتوفي بالمدينة سنة ٣٢هـ.

والفقر ، وما أبالي بأيهما بُلِيت ! إن حق الله في كل واحد منهما واجب ! إن كان الغنى إنَّ فيه العطف ، وإن كان الفقر إنَّ فيه الصبر . وقال : وما أبالي إذا رجعت إلى أهلي على أي حال أراهم بسرَّاء أم بضرَّاء ، وما أصبحت على حالة فتمنيت أني على سواها .

وقال : إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دِينُه ، فيخرج ولا دين له . فقيل له : لم ذلك ؟ قال : لأنه يرضيه بما يُسخِط اللهَ تعالى .

وقال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ : وذلك لأن الداخل على السلطان معرَّض لأن يعصي الله تعالى ، إما بفعله وإما بسكوته وإما باعتقاده ، ولا ينفك عن أحد هذه الأمور .

وكان عمَّار بن ياسر[1] ـ رضي الله عنهما ـ طويلَ

---

(١) من بني ثعلبة بن عوف . من السابقين الأولين . وقد عذب لإسلامه هو وَأبوه وأمه . وكان ﷺ يمر بهما وهما يعذبان فيقول : صبراً آل ياسر موعدكم الجنة » . شهد المشاهد كلها ، واستعمله عمر على الكوفة . وهو الذي أخبره الرسول ﷺ بأنه ستقتله الفئة الباغية . وقد قتل مع علي بصفين في شهر ربيع سنة ٣٧هـ عن ٩٣ سنة . رضي الله عنه .

الصمت ، طويلَ الحزن والبكاء ، وكان عامة كلامه عياذاً بالله من الفتنة .

ولما بنى عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ داره قال لعمّار ـ رضي الله عنه ـ : هلم انظر إلى ما بنيت ؛ فانطلق عمّار فنظر إليه فقال : بنيت مشيداً ، وأمَّلت بعيداً ، وتموت قريباً .

ودخل معاذ بن جبل[1] ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ﷺ ، فقال له : « كيف أصبحت يا معاذ ؟ فقال : أصبحت بالله مؤمناً ، فقال إن لكل قول مصداقاً ، ولكل حق حقيقة ، فما مصداق ما تقول ؟ فقال : يا رسول الله ، ما أصبحت صباحاً قط إلّا ظننت أني لا أُمسي ، ولا أمسيت مساءً قط إلّا ظننت أني لا أصبح ، ولا خطوت خُطوة قط إلّا ظننت أني لا أتبعها أخرى ، وكأني أنظر إلى كل أمة ، جاثيةً تدعى إلى كتابها ، معها نبيُّها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله عزَّ وجلَّ ، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة . فقال ﷺ : قد عرفتَ فالزم » .

---

(١) الأنصاري الخزرجي . الإمام المقدم في علم الحلال والحرام . شهد المشاهد كلها . وأمَّره رسول الله ﷺ على اليمن . وهو ممن جمع القرآن . توفي بالطاعون في الشام سنة ١٧هـ عن ٣٤ سنة .

وقال عتبة بن غزوان[1] في خطبته بالبصرة : إن الدنيا قد آذنت بصَرْم ، وولت حذاء[2] ، ولم يبق منها إلّا صُبابة كصبابة الإناء يتصابُّها صاحبها ، وإنكم منتقلون منها إلى دار قرار ، فانتقلوا بخير ما يحضرنّكم . ولقد بلغني أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنّة مسيرة أربعين عاماً . وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، ولقد بلغني أن صخرة لو هوت من شفير جهنم هوت سبعين خريفاً أفعجبتم ؟ ولقد رأيتُني وسعدَ بن مالك وإني لسابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلّا ورق الشجر ، حتى قرحت أشداقنا ، وأَصَبت بُرْدة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فما من أولئك السبعة إلّا أمير على مِصْر . ألا وإنكم ستجرِّبون الأمراء بعدي . وفي رواية : إني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وفي أنفس الناس صغيراً، وستجربون الأمراء بعدي . قال الحسن : فجربناهم فوجدناهم أنتاناً .

سعد بن مالك : هو سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ .

---

(١) ابن جابر الحارثي المازني ، باني البصرة . أسلم قديماً . وهاجر إلى الحبشة ، وشهد بدراً والقادسية . وولي البصرة فمصَّرَها . توفي سنة ١٧هـ .

(٢) آذنت : أعلمت وأخبرت . وصرم ـ بفتح فسكون ـ : انقطاع . وحذاء : بمعناه .

وقال سلمان الفارسي[1] ـ رضي الله عنه ـ : ثلاث أعجبتني حتى ضحكت : مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس مغفولًا عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض . وثلاث أحزنتني حتى بكيت : فراق محمد سيد الأولين والآخِرين وحزبِهِ ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي الله عزَّ وجلَّ ، ولا أدري أينصَرَفُ بي إلى الجنة أم إلى النار .

وقال حذيفة بن اليمان[2] ـ رضي الله عنه ـ : إن الرجل لَيدخل المدخل الذي يجب عليه أن يتكلم فيه لله تعالى فلا يتكلم ، فلا يعود قلبه إلى ما كان عليه أبداً . وقال : ليأتينَّ على الناس زمان لا ينجو فيه إلّا من دعا بدعاء كدعاء الغريق .

وقال رجل لأبي الدرداء[3] ـ رضي الله عنه ـ : أوصني ؛

---

(١) هو سلمان الخير . كان عالماً زاهداً . شهد الخندق وبقية المشاهد وفتوح العراق ، وولي المدائن ، كان يأكل من كسب يده ويتصدق بعطائه . توفي سنة ٣٦هـ .

(٢) العبسي : من كبار الصحابة . أسلم هو وأبوه . واستعمله عمر على المدائن وتوفي بها سنة ٣٦هـ .

(٣) اسمه عويمر ، أو عامر الأنصاري الخزرجي . أسلم يوم بدر ، وشهد أحداً وأبلى فيها ، وقال ﷺ : نِعْم الفارسُ عويمر . وتولى قضاء دمشق في عهد =

فقال : اذكر الله عزَّ وجلَّ في السراء يذكرك في الضراء ، وإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ماذا يصير . وقال ـ رضي الله عنه ـ : حبذا نومُ الأكياس وإفطارهم ، كيف يغبنون سهرَ الحمقى وصيامَهم ! ولَذرة من ذي يقين وتقوى من البِرّ ، خير من أمثال الجبال من أعمال المغترين .

ولما مات زين العابدين علي بن الحسين[1] ـ رضي الله عنهما ـ وجدوه يعول مائةَ أهلِ بيت ، وكان إذا أقرض قرضاً لم يستعده ، وإذا أعار ثوباً لم يرجعه ، وإذا وعد إنساناً لا يأكل ولا يشرب حتى يوفي بوعده ، وإذا مشى في حاجة فوقفت قضاها من ماله ، وكان يحج ويغزو ولا يضرب راحلته ، وكان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة .

وقال الباقر محمد بن علي[2] ـ رضي الله عنهما ـ : ما الدنيا وما عسى أن تكون ؟ هل هي إلّا ثوب لبستَه ، أو

= عمر . وتوفي سنة ٣٢هـ .

(١) هوالإمام علي بن الحسين سبط رسول الله ﷺ . توفي بالمدينة سنة ٩٤ . ودفن بجانب قبر عمه الحسن ، رضي الله عنهما .

(٢) هو الإمام محمد بن علي زين العابدين . كان من النسَّاك . توفي سنة ١١٤هـ ودفن بالمدينة .

مركب ركبتَه ، أو امرأة أصبتَها !؟ وقال ـ رحمه الله ـ : كان لي صاحب وكان عظيماً في عيني ، وكان الذي عظَّمه في عيني صغر الدنيا في عينه . وقال ـ رحمه الله ـ لابنه : يا بُنيَّ ، إياك والكسلَ والضجرَ ، فإنهما مفتاح كل شر ؛ فإنك إذا كسلت لم تؤد حقًّا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق .

وقال سفيان الثوري ـ رحمه الله تعالى ـ لجعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ : حدِّثنا ، فقال : إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءهافأكثر من الحمد والشكر عليها لله عزَّ وجلَّ ؛ قال الله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ١٤/٧] . وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار ؛ قال الله تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾ [نوح : ٧١/ ١٠ ـ ١٢] . وإذا أحزنك أمر من السلطان أو غيره فأكثر من « لاحول ولاقوة إلّا بالله العلي العظيم » فإنها مفتاح الفرج ، وكنز من كنوز الجنة وقال ـ رضي الله عنه ـ : عجبت لمن أُعجِب بأمر نفسه ، كيف لا يقول ما شاء الله لا قوة إلّا بالله ؟ والله يقول : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف : ١٨/٣٩] وعجبت لمن خاف قوماً كيف لا يقول : حسبنا الله

ونعم الوكيل ، والله تعالى يقول : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٧٣] إلى قوله تعالى : ﴿ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٧٤] . وعجبت لمن مُكِر به كيف لا يقول : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر : ٤٠/ ٤٤] إلى قوله تعالى : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ [غافر : ٤٠/ ٤٥] .

وعجبت لمن أصابه غم كيف لا يقول : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢١/ ٨٧] إلى قوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢١/ ٨٨] .

وقال رجل لعمرَ بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ : أوصني ، فقال : أوصيك بتقوى الله عزَّ وجلَّ التي لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلّا أهلها ، ولا يثيبُ إلّا عليها ؛ فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل . وقال ـ رحمه الله ـ في خطبته : أما بعد ، فإن ما في أيديكم أسلابُ الهالكين ، وسيتركها الباقون كما تركها الماضون ، ألا ترون أنكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى ، وتضعونه في صَدع من الأرض غير ممهد ولا موسَّد ، قد خلع الأسباب

وفارق الأحباب ، وأُسكِنَ التراب وواجه الحساب ، فقير لما قدم أمامه ، غَنيٌّ عما ترك بعده . أما والله إني لأقول لكم هذا وما أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسي . ثم قال بطرف ثوبه على عينيه وبكى ؛ فكانت هذه آخرَ خطبة خطبها .

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : إن المؤمن قوّام على نفسه يحاسب نفسه لله عزَّ وجلَّ ، وإنما خفَّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما يشق الحساب على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة . إن المؤمن يفجؤهُ الشيء يعجبه فيقول : والله إني لأحبك وإني محتاج إليك ، ولكن والله ما من وُصلة إليك ، وهيهات ، حيل بيني وبينك . ويفرُط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت بهذا ، ما لي ولهذا ؛ والله لا أعود إلى مثل هذا أبداً إن شاء الله تعالى ، وإن المؤمنين قد أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلَكَتِهم ، وإن المؤمن أسيرٌ في الدنيا يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله تعالى ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ، ولسانه وجوارحه .

وقال ـ رحمه الله ـ : إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب

من نفسك فتصلحه ؛ فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلّا وجدت عيباً آخر لم تصلحه ، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك ، وأحب العباد إلى الله تعالى من كان كذلك ، وما سمع الخلائق بيوم قط أكثر عورةٍ بادية ولا عين باكية من يوم القيامة .

وقال ـ رحمه الله ـ : ويحك يأبن آدم هل لك بمحاربة الله طاقة ! إنه من عصى الله فقد حاربه . والله لقد أدركت سبعين بدرياً أكثر لباسهم الصوف ، لو رأيتموهم قلتم مجانين ؛ ولو رأوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خَلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا : ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب . والله لقد رأيت أقواماً كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدمه . ولقد رأيت أقواماً يمسي أحدهم ولا يجد عنده إلّا قوته ، فيقول : لا أجعل هذا كله في بطني ، لأجعلن بعضه لله ، فيتصدق ببعض وإن كان هو أحوجَ إليه ممن يتصدق به عليه .

وقال ثابت البُنَاني ـ رحمه الله ـ : إن أهل ذكر الله عزَّ وجلَّ يجلسون لذكر الله تعالى وعليهم من الآثام مثل الجبال ؛ فإذا ذكروا الله تعالى يقومون من مجلسهم بعد ذكر الله عُطُلاً من الذنوب ، ما عليهم منها شيء .

وقال ـ رحمه الله ـ : إذا وضع المؤمن في قبره احتوشته أعماله .

وقال : إن المؤمن إذا بعث من قبره تلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا يقولان له : لا تخف ولا تحزن ، وأبشر بالجنة التي كنتَ تُوعد .

وقال الربيع بن خيثم ـ رحمه الله ـ : أَعِدَّ زادك وجِدَّ في جَهازك وكن وصيَّ نفسك . وقال : إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس ، وأمنوا منه سبحانه وتعالى على ذنوبهم . ولما أصابه الفالج قيل له : لو تداويت ؟ فقال : قد عرفت أن الدواء حق ، ولكني ذكرت عاداً وثمود وأصحاب الرَّس وقروناً بين ذلك كثيراً كانت فيهم الأوجاع وكانت لهم الأطباء ؛ فما بقي المداوَى ولا المداوِي .

وقال مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ : ما تَنعَّم المتنعمون بمثل ذكر الله سبحانه وتعالى .

وقال : إن الصدِّيقين إذا قرىء عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة . وقال : لا يبلغ الرجل منزلة الصدِّيقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ، ويأوي إلى منازل الكلاب .

وقال : نظرت في أصل كل إثم فوجدته حب الدنيا ؛ فمن ألقى حبها استراح .

وقال : رأيت في بعض الكتب : أن الله عزَّ وجلَّ يقول : « إن أهون ما أنا صانع بالعالِم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه » .

وقال : إذا لم يكن في القلب حُزنٌ خرِب ، كما إذا لم يكن في البيت ساكن فإنه يخرَب .

وقال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ : الأعمال السيئة داء والعلماء دواء ؛ فإذا فسد العلماء فمن يشفي الداء ؟

وقال : العالِم طبيب الدِّين ، والدرهم داء الدِّين ؛ فإذا جر الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوي غيره .

وكان يقول : ما طاق أحد العبادة ولا قوي عليها إلّا بشدة الخوف . وقال : إنما يُطلَب العلم ليُتَّقَىٰ اللهُ به ، فمِن ثَم فُضِّل ، ولولا ذلك لكان كسائر الأشياء .

وقال الإمام أحمد ابن حنبل[1] ـ رحمه الله ـ : وجدت

---

(١) الشيباني . أحد الأئمة الأربعة . ولد ببغداد ، فنشأ مكِبًا على طلب العلم ، وسافر في سبيله إلى الكوفة والبصرة ومكّة والمدينة والشام والثغور . =

الخلوةَ أصلحَ لقلبي، وقال: العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل.
وقال له ولده عبد الله وهو صبي : يا أبت ، هب لي قطعة ؛ فقال : أبوك ما يملك قطعة ! ويومٌ لا يملك فيه قطعة أحب إليه من يوم يملك فيه قطعة . والقطعة شيء قليل جداً من الفضة .

وقال إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ : اتخِذ الله صاحباً ، وذر الناس جانباً . وقال ـ رحمه الله ـ أيضاً : من عرف ما يطلُب هان عليه ما يبذل ، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن طال أمله ساء عمله ، ومن أَطلق لسانه قتل نفسه .

وقال ـ رحمه الله ـ : ما أصدق اللهَ عبد أحب الشهرة .

وقال رجل لداود الطائي : أوصني . فقال له : صم عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وفرَّ من الناس كما تفرُّ من الأسد.

وكان سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ يقول: اللهم سلِّم سلِّم.
وكان داود الطائي يقول : اللهم خلِّص خلِّص ، ويقول : إنما يسأل السلامة من لم يقع ؛ وأما من وقع فإنما يسأل الخلاص.

وسئل ابن المبارَك[1] ـ رحمه الله تعالى ـ : مَن الناسُ ؟

= وحُبس وعُذّب في مسألة القول بخلق القرآن . توفي ببغداد سنة ٢٤١هـ .
(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي ، شيخ الإسلام الحافظ المجاهد=

قال العلماء ، قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قيل : فمن السفلة ؟ فقال : الذي يأكل بِدِينه . وقال ـ رحمه الله ـ : العُجب أن ترى عندك شيئاً ليس عند غيرك ، والكبر أن تزدري الناس .

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ : لم يُدرِك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة ، وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للأمة . وقال ـ رحمه الله ـ : لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق وطلب الحلال . وقال ـ رحمه الله ـ : التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له ، وتقبل الحق من كل من تسمعه منه . وقال : أبى الله أن لا يجعل أرزاق المتّقين إلّا من حيث لا يحتسبون .

وقال أبو عبد الله خادم محمد بن أسلم الطوسي[1] ـ رحمه الله ـ : دخلت على محمد بن أسلم قبل موته بأربعة أيام بنيسابور ، فقال : يا أبا عبد الله ، تعالَ أبشِّرْك بما صنع الله

= التاجر . مات سنة ١٨١هـ لما رجع من غزو الروم ، ودفن بـ« هيت » مدينة معروفة على الفرات . وكانت إقامته بخراسان .

(١) هو محمد بن أسلم بن سالم الطوسي . من حفاظ الحديث ، اشتهر بالصلاح ، ونعته الذهبي بـ« شيخ المشرق » . توفي سنة ٢٤٢هـ .

بأخيك من الخير ، وقد نزل بي الموت ، وقد منَّ الله عليّ أنه ليس عندي درهم يحاسبني الله عليه ، وقد علم الله ضعفي وأني لا أطيق الحساب ، فلم يدع عندي شيئاً يحاسبني عليه . ثم قال : أغلق الباب ولا تأذن عليّ لأحد حتى أموت ، واعلم أني أخرج من الدنيا وليس أَدَعُ ميراثاً غير كسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ منه ، وكتبي هذه ، لا تكلف الناس مؤونة ، وكانت معه صرة فيها ثلاثون درهماً ، فقال : هذا لابني أهداه له قريب له ، ولا أعلم شيئاً أحل لي منه ؛ لأن النبي ﷺ قال : « أنت ومالك لأبيك » ، وقال : « أطيب ما يأكل الرجل من كسبه ، ووَلَدُهُ من كسبه » كفنوني منه ؛ فإن أصبتم بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر ، وابسطوا على جنازتي لبدي ، وغطُّوا على جنازتي كسائي ، وتصدقوا بإنائي أعطوه مسكيناً يتوضأ منه . ثم مات اليوم الرابع ، فعجبت أن قال لي ذلك بيني وبينه . فلما خرجت جنازته جعلن النساء يقلن من فوق السطوح : يا أيها الناس ، هذا العالِم الذي خرج من الدنيا وهذا ميراثه الذي على جنازته، ليس مثل علمائنا هؤلاء الذين هم عبيد بطونهم ، يجلس أحدهم للعلم سنتين أو ثلاثاً فيشتري الضياع ويستفيد المال .

وقال معروف الكرخِي ـ رحمه الله ـ لرجل : توكل على

الله حتى يكون هو معك وأنيسك وموضع شكواك ؛ وليكن ذكر الموت جليسَك لا يفارقك ، واعلم أن شفاء كل بلاء نزل بك كتمانه ، فإن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يمنعونك .

وقال معروف : إنما الدنيا قِدر يغلي ، وكنيف يملأ ويرمى به . وقال : إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه أبواب العمل وأغلق عليه أبواب الجدل . وقال : كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله عزَّ وجلَّ . وجاء حجام يأخذ من شارب معروف وكان معروف يسبِّح ، فقال الحجام : لا يمكن أخذ الشارب وأنت تسبِّح ! فقال : أنت تعمل وأنا لا أعمل ! .

وقال أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ـ رحمه الله تعالى ـ : فقدنا ثلاثة أشياء لا نجدها : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الأمانة . وقال : من زيَّن باطنه بالمراقبة والإخلاص ، زين الله ظاهره بالمجاهدة واتِّباع السنَّة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٢٩/٦٩] ، وقال : إذا أنت لا تسمع نداء الله عزَّ وجلَّ ، كيف تجيب داعي الله تعالى .

وقال بشر بن الحارث ـ رحمه الله ـ : يأتي على الناس زمان لا تقَر فيه عين حكيم ، ويأتي على الناس زمان تكون فيه

الدولة للحمقى على الأكياس . وقال ـ رحمه الله ـ : إنك لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد .

وقال الحسن المسوحي : رآني بشر بن الحارث يوماً وأنا أرتعد من البرد ؛ فنظر إليّ وقال :

قَطْعُ الليالي مع الأيام في خَلَقِ
والنومُ تحت رواق الهمِّ والقلَقِ
أحرى وأجدرُ بي من أن يقالَ غداً
إني التمستُ الغنىٰ من كفِّ ممتَلقِ
قالوا قنَعْتَ بذا ، قلت القُنوعُ رِضاً
ليس الغنى كثرةَ الأموال والورِقِ
رضيتُ بالله في عُسر وفي يُسُرٍ
فلستُ أَسْلُكُ إلّا أوضحَ الطرق

وقال السَّرِي السقطي ـ رحمه الله ـ : من أراد أن يسلم دينه ، ويستريح قلبه وبدنه ، ويقلَّ غمه فليعتزل الناس ؛ لأن هذا زمان عزلة ووحدة . وقال : من لم يعرف قدر النِّعم سُلِبَها من حيث لا يعلم . وقال : قليل في سُنَّةٍ ، خير من كثير في بدعة ، وكيف يقلُّ عمل مع تقوى !

وقال ابن أبي الورد : دخلت يوماً على السري وهو يبكي ودورقه مكسور ، فقلت له : ما لك ؟ فقال : انكسر الدورق ، فقلت له : أنا أشتري لك بدله ، فقال له : من أين تشتري لي بدله وأنا أعرف الدانق الذي اشتُري به الدورق، ومَن عَمِله ومِن أين أُخذ طينه ، وأيَّ شيء أكل عاملُه حتى فرغ من عمله !؟

وسئل ذو النون المصري عن المحبة ، فقال : أن تحب ما أحب الله ، وتُبْغض ما أبغض الله ، وتفعل الخير كله ، وترفض ما يَشْغَلُك عن الله ، وأن لا تخاف في الله لومة لائم ، مع العطف للمؤمنين ، والغلظة للكافرين ، واتِّباع رسول الله ﷺ في الدين . وقال ـ رحمه الله ـ : قال تعالى : « من كان لي مطيعاً كنت له ولياً ، فليثق بي وليحكم عليَّ فوعزَّتي وجلالي لو سألني زوال الدنيا لأزلتها » . وقال ـ رحمه الله ـ : كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضاً للدنيا وتركاً لها ، فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حباً لها وطلباً . وكان الرجل ينفق ماله على علمه ، ويكسب اليوم الرجل بعلمه مالًا ، وكان يُرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره فاليوم يُرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر . وقال : الأنس بالله نور ساطع ، والأنس بالخلق غم واقع .

وقال سهل بن عبد الله التستري ـ رحمه الله ـ : إن الله عزَّ وجلَّ قال لآدم عليه الصلاة والسلام : يا آدم ، أنا الله لا إله إلّا أنا ، فمن رجا غيرَ فضلي وخاف غير عدلي لم يعرفني . وقال سهل : البلوى من الله عزَّ وجلَّ على وجهين : بلوى رحمة ، وبلوى عقوبة ؛ فبلوى الرحمة تبعث صاحبها على إظهار فقره وفاقته إلى الله سبحانه وتعالى ، وترك تدبير نفسه واختيارها ، وبلوى العقوبة تبعث صاحبها على اختيارات نفسه وتدبيرها ، وقال سهل : استجلِبْ حلاوة الزهد بقُصْر الأمل ، واقطع أسباب الطمع بصحة اليأس ، وتعرّض لرقة القلب بمجالسة أهل الذكر ، وتزيَّن لله عزَّ وجلَّ بالصدق في الأحوال كلها ، وإياك والتسويفَ ! فإن التسويف يُغرِق الهلكىٰ ، وإياك والغفلة ! فإن فيها سواد القلب واستجلب زيادة النعم بعُظْم الشكر ولستَ بالغاً منه شيئاً . وقال سهل : الغضب أشد على البدن من المرض ؛ لأنه إذا غضب دخل عليه من الألم أكثر مما يدخل من المرض ، ولهذا قال ﷺ : « لا تغضب » وكرر مراراً ، وقال سهل : يأتي على الناس زمان يذهب الحلال من أيدي أغنيائهم ، وتكون أموالهم من غير حلها ، فيسلط الله بعضهم على بعض فتذهب لذة عيشهم ويلزم قلوبَهم خوفُ فقر

الدنيا ، وخوف شماتة الأعداء ، ولا يجد لذة العيش إلّا عبيدهم ومماليكهم ، ويكون ساداتهم في بلاء وشقاء وعناء ، وخوف من الظالمين ، ولا يستلذ بعيش يومئذ إلّا منافق لا يبالي من أين أخذ ولا فيم أنفق ، ولا كيف أهلك نفسه ! وحينئذ تكون رتبة القراء رتبة الجهال ، وعيشهم عيش الفجار ، وموتهم موت أهل الحَيرة والضلال .

وقال الجنيد بن محمد ـ رحمه الله ـ : البلاء سراج العارفين ، ويقظة المريدين ، وهلاك الغافلين . وسئل الجنيد عن الشفقة ؟ فقال : أن تعطي الناس من نفسك ما يطلبونه ، ولا تحمِّلهم ما لا يطيقون ، ولا تخاطبهم بما لايعلمون . وقال : إذا صحت المودة سقطت شروط الأدب . وقال : يا معشر الشباب ، جدُّوا قبل أن تعجزوا ، واجتهدوا قبل أن تطلبوا أثراً بعد عين ؛ فإني تذكرت مجاهدات كانت لي تقبِّح في عيني بَطالتي اليوم . قال منصور بن علي : وكانت حالته إذ ذاك من أعظم أنواع المجاهدات .

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : الناس في هذه الدنيا على خمسة أصناف : العلماء هم ورثة الأنبياء ، والزهاد هم الأدلّاء ، والغزاة هم أسياف الله ، والتجار هم أمناء الله ،

والملوك هم رعاة الخلق ، فإذا أصبح العالِم طامعاً ، وللمال جامعاً ، فبمن يُقتَدَى ؟ وإذا أصبح الزاهد راغباً فبمن يُستدل ويهتدى ؟ وإذا أصبح الغازي مرائياً والمرائي لا عمل له فبمن يُظفَر بالعدا ؟ وإذا كان التاجر خائناً فبمن يؤمن ويُرتضىٰ ؟ وإذا أصبح الملك ذئباً فمن يحفظ الغنم ويرعى ؟ فوالله ما أهلك الناسَ إلّا العلماء المداهنون ، والزهاد الراغبون ، والغزاة المراؤون ، والتجار الخائنون ، والملوك الظالمون ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٦/٢٢٧] .

وأنشد الشيخ الصالح عبد العزيز الديريني ـ رحمه الله ـ لنفسه في هذا المعنى :

إذا مــا مــاتَ ذُو علــمٍ وتقــوَى
فقــد ثُلِمَــتْ مــن الإســلام ثُلْمَــهْ
ومــوتُ العــابــدِ المَــرْضــيِّ نقــصٌ
ففــي مَــرْآه لــلأســرار نَسْمَــهْ
ومــوتُ العــادِل الملِــك المــوَلَّــى
بحكــم الحــق مَنقصَــةٌ وقَصْمَــهْ
ومــوتُ الفــارس الضِّــرغــام هَــدْمٌ
فكــم شهِــدَت لــه بــالنصــر عَــزْمَــهْ

وموتُ فتًى كثيرِ الجُودِ مَخْلٌ
فإن بقَاءه خِصبٌ ونِعْمَهْ
فحسبك خمسةٌ يُبكىٰ عليهم
وموتُ الغير تخفيف ورَحْمَهْ

روي : أنه قدم على رسول الله ﷺ وفد من إياد ، فسألهم عن قُسّ بن ساعدة ؟ فقالوا هلك. فقال: ـ رحمه الله ـ ، كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل أحمر ، وهو يقول : أيها الناس ، اجتمعوا ، واستمعوا وعُوا، فإن من عاش مات، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، أما بعد : فإن في السماء لَخبَر ، وإن في الأرض لَعِبَر ، أبْحرٌ تمور ، ونجوم تغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، أقسم قس بالله قسماً : إن لله ديناً أَرْضىٰ من دينٍ أنتم عليه! ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أَرَضُوا فأقاموا ، أم تُركوا فناموا ، سبيل مؤتلف ، وعمل مختلف . ثم قال أبياتاً لا احفظها » ! فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : أنا أحفظها يا رسول الله ، فقال : « هاتها » فقال :

في الذاهبين الأوَّليـ ـنَ من القرون لنا بصائرْ
لما رأيتُ موارِداً للموت ليس لها مصادرْ
ورأيتُ قومي نحوَها تمضِي الأصاغرُ والأكابرْ

لا يَرجِعُ الماضي إلَيَّ ولا من الباقين غابِرْ
أَيقَنْتُ أني لا محَالَةَ حيث صارَ القوم صائرْ

فقال رسول الله ﷺ : رحم الله قُسًّا ! إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده » .

* * *

وَلنَخْتِمْ هٰذهِ الخَاتِمَةَ المُبَارَكَة بالأحَاديث الّتي خُتِمَتْ بهَا الكُتُبُ السَّبعَة ، الّتي هيَ أصُولُ الدّين وَالإسْلام وَأمّهات الشّريعَة وَالأحْكام . تيمّناً وتبرّكاً بحَديث رَسُول الله ﷺ ، وَتفَاؤلاً وتَرَجّيًا منَ اللهِ حُسْنَ الخِتَام . وَهِيَ :

كتاب « الموطأ » للإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ[1] وكتاب « الجامع الصحيح » للإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله[2] ، وكتاب « الجامع الصحيح » للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ـ رحمه الله تعالى[3] ـ وكتاب « السنن »

---

(١) إمام دار الهجرة ، مالك بن أنس الأصبحي ، ولد بالمدينة وتوفي بها سنة ١٧٩هـ .

(٢) إمام الأئمة وأمير المؤمنين في الحديث . ولد ببخارى سنة ١٩٤هـ وتوفي ليلة الفطر سنة ٢٥٦هـ .

(٣) كتابه أصح الكتب بعد البخاري . أخذ عن البخاري وشاركه في كثير من شيوخه . ولد بنيسابور ، ورحل إلى الأقطار الإسلامية ، وتوفي بظاهر نيسابور سنة ٢٦١هـ .

للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله[1] ، وكتاب « الجامع » للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي رحمه الله[2] وكتاب « السنن » للإمام أبي عبد الرحمن أحمد ابن شعيب النسائي[3] رحمه الله ، وكتاب « السنن » للإمام محمد بن يزيد بن ماجه[4] رحمه الله . وقد اجتمعت هذه الكتب المعظمة عندنا والحمد لله وذلك من فضل الله ومَنِّه . سبحانه لا نحصي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه ، غير أن الذي صار إلينا من سنن النسائي هو « المجتبىٰ » من السنن الكبيرة له .

خاتمة كتاب « الموطأ » ، عن محمد بن جُبير بن مطعِم[5]

---

(١) أحد أئمة الدنيا حفظاً وفقهاً وعلماً وورعاً . انتَخَب كتابه السنن من خمسمائة ألف حديث . توفي بالبصرة سنة ٢٧٥هـ .

(٢) إمام جليل في علوم الحديث . تتلمذ للبخاري وشاركه في أكثر شيوخه ، وكتب عنه البخاري . كان يُضرَب به المثل في الحفظ . مات بترمذ سنة ٢٨٩هـ .

(٣) الخراساني ثم البصري أحد الأئمة المبرزين في الحديث ، حتى قال الذهبي : هو أحفظ من مسلم . توفي سنة ٣٠٣هـ .

(٤) القزويني ، أحد الأئمة الأعلام في علم الحديث . له مصنفات في السنن والتفسير والتاريخ ، توفي سنة ٢٧٣هـ .

(٥) المدني . كان أعلم قريش بأحاديثها . وكان أبوه من أنسب قريش لقريش =

عن أبيه جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ : أن النبي ﷺ قال : « لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بِيَ الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قَدمي ، وأنا العاقب » .

خاتمة « صحيح » البخاري ؛ عن أبي زُرعة[1] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .

خاتمة « صحيح » مسلم ، عن قيس بن عبادة[2] قال : سمعت أبا ذر يُقسِم قَسَماً أن ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج : ١٩/٢٢] أنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر : حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث[3] ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ

= وللعرب قاطبة . ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة . توفي في خلافة سليمان بن عبد الملك .

(١) هو أبو زرعة بن عمرو بن جرير البجلي الكوفي ، التابعي ، قيل : إسمه كنيته . رأى عليّاً ، وكان انقطاعه إلى أبي هريرة .

(٢) أبو عبد الله من ثقات التابعين قدم المدينة في خلافة عمر وسكن البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث فقتله الحجّاج سنة ٨٥هـ .

(٣) ابن المطلب بن مناف من أبطال قريش في الجاهلية والإسلام ومن السابقين =

وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة .

خاتمة « سنن » أبي داود ، عن وهب بن منبِّه عن أخيه عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « اشفعوا تؤجروا ، فإني لأريد الأمر أؤخره كيما تشفعوا فتؤجروا » .

خاتمة « جامع » الترمذي ، عن المَقبُري[1] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : أن رسول الله ﷺ قال : « قد أذهب الله عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء : مؤمن تقي وفاجر شقي ، والناس بنو آدم وآدم من تراب » هذا حديث حسن . وعن المغيرة[2] بن أبي قرة السدوسي قال : سمعت أنساً ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رجل : يا رسول الله ، أَعقِلُها وأَتَوَكَّل ، أو أُطْلِقُها وأتوكل ؟ قال : « اعْقِلْها وتوكل » .

خاتمة « سنن » النسائي ، عن الشعبي[3] عن أم سلَمة

= في الإسلام استشهد ببدر .

(١) هو سعيد بن أبي سعيد . والمقبري : نسبة إلى مقبرة بالمدينة ، كان مجاوراً لها . اختلف في وفاته ما بين سنة ١١٧ ـ ١٢٦هـ .

(٢) في الأصل : « أبي فروة » وهو تحريف ، كان كاتب يزيد بن المهلب ، وفتح معه جرجان في أيام سليمان بن عبد الملك .

(٣) هو عامر بن شراحيل الحميري الكوفي . قال ابن شبرمة : سمعت الشعبي يقول : ما كتبت سوداء في بيضاء ، ولا حدّثني رجل بحديث إلّا حفظته ، =

ـ رضي الله عنها ـ : أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال : « باسمك ربي أعوذ بك أن أزِل أو أُزَل أو أَضِلّ أو أُضَلّ ، أو أظلِم أو أُظلَم ، أو أجهل أو يُجهَل علي » .

خاتمة « سنن » ابن ماجه ، عن يزيد بن أبي مريم عن[1] أنس ـ رحمه الله ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة . ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار : اللهم أجره من النار » . وعن أبي صالح[2] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلّا له منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ؛ فإذا مات الرجل ودخل النار ورث أهل الجنة منزله ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/ ١٠] .

* * *

= ولا حدّثني رجل بحديث فأحببت أن يعيده عليّ . اختلف في وفاته ، وكانت ولادته لستٍّ سنين خلت من خلافة عمر .

(١) في الأصل : « يزيد بن أبي مريم » هو خطأ . مولى سهل بن الحنظلية الأنصاري ، كان إمام الجامع بدمشق . قال أبو حاتم : من نفقات أهل الشام . مات سنة ٤٤هـ . وقيل بعد سنة ٤٥هـ .

(٢) أبو صالح : هو ذكوان أبو صالح السمان المدني . وثقه أحمد بن حنبل . مات سنة ١٠١هـ .

تمت خواتم هذه الكتب الشريفة من الأحاديث النبوية المنيفة ، وبتمامها يتم الكتاب ، والله الهادي إلى الحق والصواب . ونسأله حسن الختام وحسن المآب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم . والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق . سبحانَ ربِّك ربِّ العزّة عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

قال مؤلفه :

وكان الفراغ من تأليفه بعون الله وتيسيره بكرة يوم الجمعة السابع أو الثامن والعشرين من شهر المحرم سنة أربع عشرة ومائة وألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وعلى آله الطاهرين وأصحابه الأكرمين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين آمين .

* * *

الفهــــرَس

* * *

سلسلة كتب الإمام الحدّاد (٤)

الفصول العلمية

والأصول الحكمية

للإمام شيخ الإسلام قطب الدّعوة والإرشاد

الحبيب عبد الله بن علويّ الحدّاد الحضرميّ الشّافعيّ

رحمه الله تعالى



الفُصُولُ العِلْمِيَّةُ

وَالأُصُولُ الحِكَمِيَّةُ



الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الثانية
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
مصححة ومنقحة

بالتعـــاون مـــع

الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان

هاتف ٣٤٢٨٨٦ ـ ص.ب ٥٩٢ ـ ١١٣ ـ تلكس ٤٣٢١٨ ـ فاكس ١٣٨ ٨٦٠ ـ ١ ـ ٩٦١

تعريف موجز عن الإمام الشهير عبد الله بن علوي بن محمّد الحداد

هو سيّدنا الإمام العلّامة الدّاعي إلى الله بقوله وفعله قطب الارشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمّد الحدّاد ولد رضي الله عنه بالسبير من ضواحي مدينة تريم بحضرموت ليلة الخميس ٥ صفر سنة ١٠٤٤ﻫ وتربّى في تريم وقد كفّ بصره وهو صغير فعوضه الله عنه بنور البصيرة وجدّ واجتهد في طلب العلوم النافعة وعكف على علماء عصره في مقدّمة مشايخه سيدنا الحبيب عمر بن عبد الرّحمن العطاس والحبيب العلّامة عقيل بن عبد الرحمن السّقاف والحبيب العلّامة عبد الرحمن بن شيخ عيديد والحبيب العلامة سهل بن أحمد باحسن الحديلي باعلوي ومن مشايخه أيضًا الإمام العلّامة عالم مكّة المكرمة السّيّد محمّد بن علوي السّقاف.

ثم نصبه الله للدعوة والإرشاد داعيًا إلى الله تعالى

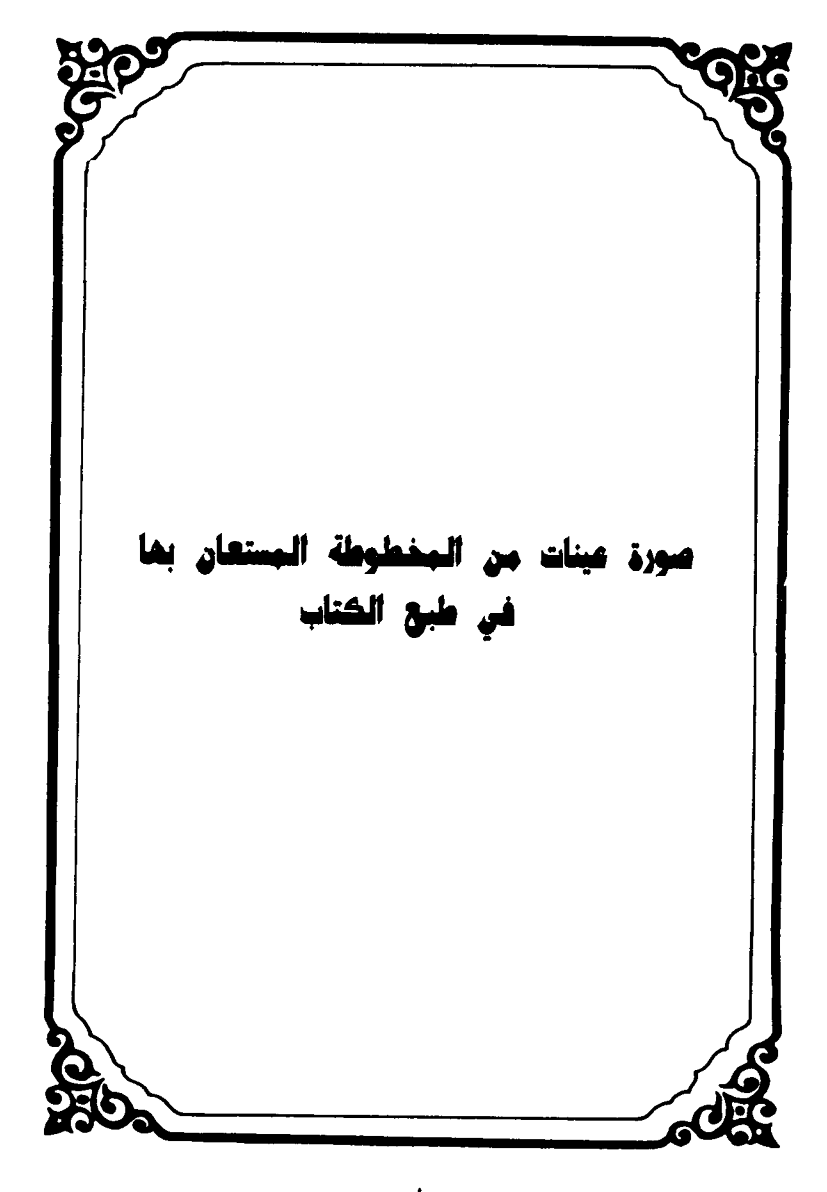
بالحكمة والموعظة الحسنة فأقبل عليه الناس وانتشر
صيته في البلدان وانتفع به القاصي والداني فنفع الله
به الكثير وأرشد الجم الغفير وانتشرت دعوته في كل مكان
وانتفع الناس بوعظه وكتبه وأخذ عنه الجم الغفير
فمن كبار تلامذته ابنه سيدنا الحبيب حسن بن عبدالله الحداد
والحبيب أحمد بن زين الحبشي والحبيب عبدالرحمن بن عبدالله
بلفقيه والحبيبين محمد وعمر أبناء زين بن سميط والحبيب عمر بن
عبدالرحمن البار والحبيب علي بن عبدالله بن عبدالرحمن السقاف
والحبيب محمد بن عمر بن طه الصافي السقاف وغيرهم العدد الكثير.
وله مؤلفات كثيرة جمعت النصائح والمواعظ والحكم وانتشرت
انتشارًا كبيرًا وكتب لها القبول والمحبة ونفع الله بها الناس
وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى لغات أجنبية في العصر الحاضر
مثل الإنجليزية والفرنسية. ومؤلفاته غنية عن التعريف

ومشهورة لدى الكبير والصغير ومنها النصائح الدينية. والدعوة التامة ورسالة المعاونه وغيرها من الوصايا والرسائل ومجموع كلامه تثبيت الفؤاد وديوانه العظيم الدر المنظوم الجامع للحكم والعلوم ووصاياه ومكاتباته وأكثر مؤلفاته مطبوعة وأقبل عليها الناس إقبالاً شديداً وأعجب بها العلماء والعارفون وجعلوها بمنزلة الغذاء يقرئون فيها في كثير من الأوقات وقالوا عنها انها جمعت الخلاصة والزبدة من كلام الإمام حجة الإسلام الغزالي ولا يستغني عنها كل مسلم فهي وجيزة وجامعة ونفع الله بها ببركة مؤلفها الإمام الحداد رضي الله عنه وكان رضي الله عنه قد سافر إلى الحرمين الشريفين وأدى النسكين وزار جده سيد الكونين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك في عام ١٠٧٩ هجرية واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين الذين اغتبطوا به وعرفوا قدره وأثنوا عليه .

ولم يزل يدعو الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة حتى وفاته إلى رحمة الله تعالى فتوفي ليلة الثلاثاء ٧ ذو القعدة عام ١١٣٢ هجرية ودفن بمقبرة زنبل بتريم رحمه الله رحمة واسعة ورضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه في الدارين آمين .

طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف

حرر الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٤١٢



صورة عينات من المخطوطة المستعان بها
في طبع الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم الحمد لله ارحم الراحمين
واحكم الحاكمين واحسن الخالقين وخير الرازقين الذي احاط
بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير
هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وسع كرسيه
السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم احمده على ما
علم والهم وانطق وفهم وفتح ومنح ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم وصلى الله
وسلم على سيدنا ومولانا محمد الذي ارسله رحمة للعالمين وختم به
النبيين وجعله سيد المرسلين وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان
الى يوم الدين اما بعد فهذه فصول علمية قيدناها واصول حكمية
نبهنا عليها مما قد سنح في الخاطر عند المذاكرة والتذكار والنظر
والاعتبار لكثير ما تدعو الحاجة اليها وينفع التعويل عليها
من كل عالم ناسك ومريد سالك ولم نرتبها على مثل ترتيب
الكتب المؤلفة في رعاية المناسبة بين فصولها وجعل بعضها
كالمقدمة لبعض والمتمم لما قبله وذلك لما ذكرنا من كونها تسنح
في اوقات المذاكرة والتذكر وذلك يكون في امور شتى وفي احيان
قد يتنافى بعضها عن بعض فلذلك ترى الفصول هذه

حادثة

اعمالنا ولا حول ولا قوة الا بالله فصل وقد ينظر بعض الطالبين للحق والسالكين لطريق الله تعالى الى كثرة العلوم والاعمال وكثرة الطرق الى الله تعالى فلا يدري بابها ياخذ ولا في ايها يسلك وربما يقف عند ذلك ويتحير فعلى من وقع في مثل هذا او يشبهه ان ينظر فان كان تحت نظر شيخ عالم عارف محقق وجب عليه ولزمه ان ياخذ ويعتمد ما يشير عليه ويعينه له من علم او عمل او حال او طريق في دين او معاش وذلك يكفيه ويغنيه وان كان ليس في نظر شيخ اصلا او في نظر شيخ ليس على مثل ما وصفناه فليعلم اولا ان من العلوم والاعمال وما هو مفروض على الاعيان لا بد منه لكل احد وذلك كعلم الايمان الذي يحصن به الانسان معتقده ومن علوم الاسلام كالطهارة والصلوة والصيام وما في معنى ذلك فهذا الابد للانسان من علمه وعمله كائنا من كان فاذا تفرغ من ذلك فليأخذ من العلوم والاعمال والطرايق والاحوال بما يراه الانسب لحاله واجمع لقلبه واقرب له الى رضى ربه ولا يخفى عليه ذلك سيما كان صادقا في قصده ورغبته وطلبه لله تعالى وللطريقة وعند ذلك فيختلف السالكون والطالبون للحق في ذلك اختلافا كثيرا

نعم وليست هذه الفصول المتأخرة مطابقة من كل وجه لما سلف
من الفصول ولكنها كثيرة الفوائد حسنت المصادر والموارد
لمن تأمل ذلك وكان من أهل الحق والانصاف وكل ذلك من فضل الله
ومن بركات رسول الله صلى الله عليه وسلم وبركات السلف الصالح
نفعنا الله بهم وحسن السلوك على طريقهم والتأسي بهم رزقنا الله ذلك
ولوالدينا وأولادنا وأحبابنا وأصحابنا وجميع المسلمين وختم لنا
ولهم بالحسنى والاحسان ولطف وعافية وحفظنا الله من
جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن ما شاء الله لا قوة إلا بالله
وهو حسبنا ونعم الوكيل عليه اتكلنا ربنا وإليك المصير تمت الرسالة



بسم الله الرحمن الرحيم

وَلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

سُبحانك ! لا عِلمَ لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنت العليمُ الحكيمُ.

الحمد لله أرحمِ الراحمين، وأحكمِ الحاكمين، وأحسنِ الخالقين، وخير الرازقين، الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كلَّ شيء عدداً، **﴿ألا يعلم من خلَق وهو اللطيف الخبير﴾ ﴿له مُلكُ السموات والأرض. يحيي ويميت وهو على كلِّ شيء قديرٌ، هو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكل شيء عليمٌ﴾ ﴿الحيُّ القيومُ، وسِعَ كرسيُّه السمواتِ والأرضَ. ولا يؤُدُه حفظهُما. وهو العليّ العظيم﴾** أحمده على ما علّم وألهم، وأنطق وفهم، وفتح ومنح **﴿ما يَفتحِ اللَّهُ للناسِ من رحمة فلا مُمسك لها. وما يُمْسكْ فلا مرْسلَ له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾** وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ومولانا محمد الذي أرسله

رحمة للعالمين، وختمَ به النبيين، وجعلَه سيِّد المرسلين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أما بعد) فهذه فصولٌ عِلْميَّة قيدناها، وأصولٌ حِكْمِيّة نبَّهنا عليها مما قد يسنح في الخاطر عند المذاكرة والتذكير، والنظر والاعتبار، كثيراً ما تدعو الحاجة إليها، ويقع التعويل عليها، من كل عالمٍ ناسكٍ. ومريد سالك، ولم نرتبها على مِثل ترتيب الكتب المؤلفة، في رعاية المناسبة بين فصولها، وجعلِ بعضها كالمقدمة لبعض، والمتمِم لما قبله وذلك لِما ذكرناه من كونها تسنَح في الخاطر في أوقات المذاكرة والتذكُّر وذلك يكون في أمور شتى، وفي أحيان قد تباعد بعضها عن بعض. فلذلك ترى هذه الفصول كأنَّ كل فصل منها مستقلٌ بنفسه، ليس له ارتباط ظاهر بما قبله ولا بما بعده، هذا هو الأكثر فيها والمُعْظم، وإن اتّفق خلافه فيكون قليلاً منها لأمر اقتضاه.

وقد اشتملت هذه الفصول على أمور كُلِّية. وحِكَم جُمْلِيَّة بحيث لو أراد العالم المتسع في العلوم أن يجعل كل فصل منها تأليفاً مستقلاً يُجَزِّىءُ فيه كُلِّيَّهُ، ويُفصِّل فيه مُجمَله لأمكنه ذلك وتيسَّر له، كما يَعرِف ذلك من وقف عليها من أهل العلم والبصائر، وأرباب القلوب والسرائر،

الذين آتاهم الله الحكمة. ﴿**ومَن يُؤْتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً. وما يذَّكر إلاّ أولو الألباب**﴾. وكنا عندما ابتدأنا في تقييد هذه الفصول قصَدنا أن لا نظهرها حتى تَتِمّ أربعين فصلاً. فطال العهد بذلك ولم تبلـغ هذا العدد. والتمس منا بعض الإِخوان الصادقين. ممن وصل إليه العلمُ بتقييدها، أن نمكّنه من كتابتها والنظرِ فيها. فدعانا ذلك إلى إظهارها. رغبةً في النفـع والانتفاع، والأعمالُ بالنيات، ولكل امرىء ما نوى.

وعدَّة الفصول ذلك الحين نحو من عشرين فصلاً. ويُضَم إليها ما يفتـح الله به مما يكون داخلاً في حيِّزها ومنتظِماً في سلكها. إن شاء الله تعالى.

وهذا أوان الشروع في المقصود، والله المستعانُ وعليه البلاغ ولا حولَ ولا قوة إلا به تبارك وتعالى، وحسبُنا الله ونعمَ الوكيلُ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلتُ وإليه أنيبُ.

الفَصْلُ الأوَّلُ

كُنهُ عناية العارفين والمحققين. ومعظمُ اهتمامهم. ومطمحُ نظرهم في تصحيح الإيمانِ واليقين وتقوِيَتهما. وفي إخلاص التوحيد من شوائبِ الشِّرْك الخفيِّ، ثم في تصحيح الأخلاق المحمودة، كالزهدِ، والإخلاصِ وسلامةِ الصدر للمسلمين، وفي نفي الأخلاق المذمومة، كالحرص والرِّياء. والكِبْر، ثم في تصْحيحِ الأعمالِ الصالحة الظاهرة، وفي الاحتراز من الأعمال السيئة، ثم في تصحيح أمور المعاش والنظر فيها، وحسن التدبير لها على طريق الورَع والنُّصح، والأخذ بالقناعة والتقلُّلُ منها.

وهذا الأخير. يفرَح العارفون بالكفاية فيه. وأن يقوم به غيرهم لهم. ممن يأخذ بالورَع، ويُجانب الظلم، فاعلم وافهم.

وغايةُ عناية الغافلين والمخلِّطين ومعظمُ اهتمامهم فيما تستقيم به أحوالُ المعيشة، وتتيسر به الشهوات واللذات

البدنية من المطاعم، والملابس، والمناكح، وفي جَمْع الأموال. وادِّخارها لذلك، ولما في معناه، ثم إن مَن تنبَّه منهم قليلاً وامتدَّ نظرهُ نَظَرَ في تصحيح الأعمال من الطاعات الظاهرة، ثم في الأخلاق الباطنة، ثم فيما يَقَوى به الإيمان، على العكس من نظر العارفين والمحققين. فتأملْ ذلك واعتبره تجدْه واضحاً والله سبحانه أعلم.

الفصل الثاني

لو اجتمع الناس على التحقُّق بالحقائق الإيمانية والعقلية لأقبلوا على الآخرة إقبالاً صادقاً كليّاً، ولأعرَضوا عن الدنيا إعراضاً تاماً، ولم يدخلوا في شيء من أسبابها إلَّا عند الضرورة بقدر الضرورة، ولكان ذلك يدعو إلى خَرابِ الدنيا وعدمِ استقامة شيء من أمورها.

وحيث سَبقت المشيئةُ الإلـهية والإرادة الأزلية، بعمارة الدنيا إلى أجل مسمًّى، وهو الوقت الذي يريد الله سبحانه وتعالى فيه خرابَها وإعدامها فلما كان الأمر كذلك اقتضت الحكمةُ البالغةُ غفلةَ أكثر الناس عن حقائق الأمور، وإعراضَهم عنها، حتى اقتضاهم ذلك وقادهم إلى عمارة الدنيا، والإقبالِ عليها، والجمْع لحُطامها، والإعراضِ عن الآخرة، والغفلةِ عنها، وفي الحديث ما ينبِّه على ما ذكرناه. إذ ورد عنه ﷺ: «الدنيا دارُ مَن لا دارَ له. ومالُ من لا مالَ له ولَهَا يَجْمعُ من لا عقلَ لهُ».

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى. لولا الحمقى لما عُمِرت الدنيا.

وقال بعض السلف الصالح رحمة الله عليهم خُلِقَ ابنُ آدمَ أحمق، ولولا ذلك لم يَهْنَهُ العيشُ، ثم إن الرحمة الإلٰهية اختصت بعضَ العباد بكمال اليقظة والتفطن لحقائق الأمور. وهم المتحققون بالحقائق التي ذكرناها، فكانوا هم المعرضين عن الدنيا جملةً، والمقبلين على الله تعالى وعلىٍ الدار الآخرة بمره، وهم أفرادٌ وآحادٌ يعزُّ وجودُهم ويقِلُّ في كل زمان ومكان عددهم، فتأمل هذا الأمر حقه فإنه نفيس، وتحته علومٌ عزيزةٌ، والله سبحانه أعلم.

الفصل الثالث

الأزمنة لم تزل قديماً وحديثاً فيها الخير والشر، وتشتمل على الأخيار والأشرار، وأهل الصلاح وأهلِ الفساد، فإذا كان الغالب على الزمان وأهله الصلاحَ والخيرَ والعملَ بالبرِّ والأخذَ بالصواب، وكان ذلك هو الأكثرَ والأظهرَ، وكان الفسادُ والباطل والمفسدون والمبطلون مغلوبين، وهم الأقلُ والأخملُ نسب الزمان إلى الصلاح والاستقامة فقيل زمانٌ صالح، وذلك مثل ما كان عليه الزمان في عهد رسول الله ﷺ وعهدِ الخلفاء الراشدين المهديين من بعده.

ومتى كان الغالب على الزمان وأهله الشرَّ والفسادَ. وكان الخير فيه نادراً والأخيار فيه قليلين ومستورين، نُسِبَ الزمان إلى الشر والفتنة، فقيل زمانُ شرّ وسوء. وزمانُ فتنة وبلاء. فظهر بما ذكرناه أن الأزمنة تنسب وتذكر بالغالب والأكثر، وإلا فليس يخلو زمان عن خير وعن شرّ حسبما تقدَّم وتقرَّر، والغالبُ على زماننا هذا، وعلى الأزمنة القريبةِ

منه الفسادُ والسوءُ والشرور والأشرار، والخيرُ والصلاحُ فيه نادر والأخيار والصالحون قليلُون مستورُون ومغلوبون ومقهورون. فالله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفصل الرابع

المتكبِّرون والغافلون مصروفون عن آيات الله وعن فهم أسراره وعن مشاهدة أنواره، قال الله تعالى: **﴿سأَصرِفُ عن آياتِيَ الذينَ يتكبَّرُون في الأرضِ بغير الحقِّ﴾** إلى قوله تعالى: **﴿وكانوا عنها غافلين﴾** فوصفهم الله تعالى بالكبر ثم بأوصاف مذمومة، آخرها الغفلة عن آياته التي صرفهم عنها لِكبْرِهم وغفلتهم. فالكِبْر والغفلة من أمراض القلب التي لا يتهيأ القلب ويتأهل لفهم آيات الله تعالى ما لَم يَصْحُ منها. ويبرأ من دائهما. وكيف يفهم المتكبر آياتِ الله وهو ذاهبٌ بنفسه شامخٌ بأنفه لا يتواضع للحق وأهله، قد طَبَع الله على قلبه، كما قال عزَّ من قال: **﴿كذلك يطبَعُ اللَّهُ على كلِّ قلبٍ متكبرٍ جبارٍ﴾**.

وأما الغافل فلأن غفلته قد أعرضت بقلبه عن فهم آيات ربه، فصار مُدبِراً مُولَياً عن الله، ولذلك أمر الله نبيَّه عليه السلام بالإعراض، عمن تولَّى فقال سبحانه وتعالى: **﴿فأعْرضْ**

عمن تولّى عن ذكرِنا﴾ وقال تعالى: **﴿ولا تطِعْ من أغفَلنا قلبَه عن ذكرنا﴾** الآية فاحذرْ أشد الحذر من الكبر فإنه الداء الذي أصاب إبليس، حتى منعه من الإمتثال لأمر الله تعالى، حين أمره بالسجود لآدم عليه السلام، فأبى واستكبر فاستحق من الله تعالى بكِبْره وعصيانه الخزيَ واللعنةَ والبعد عن رحمة الله تعالى والشقاوةَ المؤبِّدة المخلَّدَة. نسأل الله تعالى العافية من كل بليَّة.

واحذر جداً من الغفلة عن الله تعالى وعن ذكره وعن الدار الآخرة فإن الغفلة من أعظم أسباب الهلاك وهي جالبةٌ لأنواع الشرور والبليَّات دنيا وأخرى، قال الله تعالى: **﴿إنّ الذين لا يَرْجون لقاءنا ورَضُوا بالحياة الدنيا واطمأنُّوا بها والذين هم عن آياتِنا غافلون. أولئك مأواهم النارُ بما كانوا يكسبون﴾**. وقال تعالى: **﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخِرَة هم غافِلُون﴾** فانظر كيف نفى العلم عنهم. ثم أثبت لهم علماً بظاهر من الحياة الدنيا، ثم ختم ذلك بوصفهم بالغفلة عن الآخرة فافهم وتأمل، والله الموفق لا ربَّ غيره.

الفصل الخامس

لا ينبغي للتقيِّ العاقل في هذا الزمان أن يُكثِر من مراقبةِ الناس ومداراتهم، وتركِ بعض الأمور التي يرى فيها صلاحاً لقلبه، أو راحة لنفسه وأنساً لخاطره من أجلهم، فقد صارت مراقبة الناس ومحاذرتهم في هذا الزمان تعباً مجرداً ليس تحته فائدة، لاشتغال الناس بنفوسهم، واستغراق بواطنهم وظواهرهم بأمور دنياهم، وعدم التمييز بين الأمور فيهم عموماً كما يعرف ذلك من تأمله أدنى تأمل. وقد كانت مراقبة الناس ومحاذرتهم مما لا يستحسنه أرباب العزائم والهمم، وما أحسن ما قال بعض الشعراء.

من رَاقَب الناس مات غمّاً وفاز باللّذة الجَسُورُ

وقد كان في مراقبتهم بعضُ فائدة في الأزمنة السابقة حيث كان الناس يميزون بين الأمور، وكان فيهم تفرُّغٌ للنظر في أحوال غيرهم وقد ذهب ذلك واضمحلَّ، بسبب ما ذكرناه من الاستغراق وفقد التمييز.

والقصدُ أن العاقل التقي لا ينبغي له أن يعوِّل إلَّا على طلب مرضاة ربه وما فيه نجاةُ نفسه وفلاحها في الدار الآخرة، وعلى ما فيه راحة قلبه وأنسُ نفسه، في غير إثم ولا دناءة، ولا يراقب في ذلك أحداً من الناس البتة، فإن الناس قد شُغِلُوا بأنفسهم، فليشتغلْ هو بنفسه. وبما يصلحه ويهمه في دنياه وآخرته، فتأملْ ذلك راشِداً، والله يتولى هداك.

الفصل السادس

رجال العالَم أربعة. وعلى صلاحهم واستقامتهم يدور صلاحُه واستقامته.

(الأول) عابدٌ مستقيم زاهد متجرد ذو معرفةٍ بالله تعالى كاملة، وبصيرة في الدين نافذة.

(والثاني) عالمٌ بالشرع، راسخُ القدم في العلم بالكتاب والسُّنة يعمل بعلمه ويعلِّم الناسَ وينصحهم، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر لا يُداهِن في الدين، ولا يخشَى في الله لومةَ لائم.

(والثالث) سلطانٌ عادل منصف حسنُ السيرة صالحُ السريرة، مستقيمُ السياسة.

(والرابع) غنيٌّ صالح. له مال طيِّب واسعٌ ينفقه في وجوه الخيرات ويواسي منه الضعفاء والمساكين ويُسدُّ منه حاجاتِ المحتاجين لم يُمسك المال ولم يجمعه إلا لذلك، ولما في معناه من الخيرات والمكرُمات.

وبإزاء كل واحد من هؤلاء الأربعة رجل يشبهه في ظاهر الحال دون معناه وحقيقته.

فبإزاءِ العابد المستقيم الصوفيُّ المخلِّطُ الملبِّسُ.

وبإزاءِ العالم العامل العالـمُ الفاجرْ المداهن.

وبإزاءِ السلطان العادل السلطانُ الجائر الذي لا يسير بالحق، ولا يحسِنُ الرعاية والسياسة.

وبإزاءِ الغنيِّ الصالح الغنيُّ الظالمُ الذي يجمع المال من غير حلّه. ويمسكه عن حقه وينفقه في غير وجهه.

وهؤلاء الأربعة الأخيرون، هم السبب في فساد العالم واضطرابه وتشوُّش أحوال الناس وخروجهم عن شاكلة الصواب، والأمرُ كله لله، وبيده ملكوتُ كل شيء. فسبحانَ الواحد القهار، الملك الوهاب مسبِّبِ الأسباب لما يشاء كيف يشاء، لا إلـه إلاّ هو إليه المصيرُ.

الفصل السابع

اعلم أن الله تعالى وله الحمدُ، خلق الدنيا وجعلها بلاغاً للمؤمن يتزود منها لآخرته، ويعمل فيها بطاعة ربِّه، ومتاعاً للفاجر ينال فيها لذته ويقضي منها شهوتَه، في غفلةٍ عن ربه. ونسيان لآخرته، ثم إن الله تعالى ملأ الدنيا بأصناف ما يحتاج إليه الخلق، وأنواع ما يتمتعون به وخلق الله فيها من ذلك مقدارَ ما يحتاجون إليه وزائداً على ما يحتاجون إليه أضعافاً مضاعفة. ثم أذِن للعباد أن يأخذوا من الدنيا بمقدار الحاجة ليستعينوا بـه على سلوك سبيل الآخـرة، وحذَّرهم من الزيادة على قدر حاجتهم وزهَّدهم فيه ورغَّبهم عنه، فانقسم الناس في ذلك إلى أقسام.

(فمنهم) من اقتصر منها على أخذ ما دون الحاجة حزماً واحتياطاً، ومهما دخل في أيديهم شيء زائد على ذلك من غير قصد ولا تسبب أخرجوه في الحال إلى مستحقيه وطالبيه، ومن هذا القسم أنبياءُ الله ورسلُهُ عليهم أفضل

الصلاة والسلام. وكُمَّلُ ورثتهم من الصدِّيقين، والعلماء الراسخين وعباد الله الصالحين، ومن هذا القسم أيضاً الزُّهاد الفارُّون عن الدنيا جملة واحدةً، والمذكورون قبلهم أكمل منهم وأفضل، لأنهم لم يفرُّوا من الدنيا ولم يرغبوا فيها، بل أخرجوا ما يدخل في أيديهم منها على وفق ما يحب الله تعالى ويأمر به فهذا حكم القسم الأول، وهم الأكمل والأفضل.

(والقسم الثاني) أخذوا مِن الدنيا مقدار الحاجة لحسن نظر من غير تأويل ولا ترخُّص.

(والقسم الثالث) أخذوا من الدنيا فوق ما يحتاجون إليه، ثم انقسم هذا القسم إلى أقسام كثيرة، فمنهم قوم أخذوا منها فوق حاجتهم، ليتصدقوا بِه وينفقوه في وجوه الخيرات، على تراخي الأوقات، فمنهم من تمَّت له نيته واستقام عمله في ذلك ومنهم من وقع في التخليط والخطَر، ومنهم من أخذ زائداً على مقدار الحاجة ليتنعم به على وجه مباح في الشرع، وهو مع ذلك يعترف لأهل الفضل من الزاهدين بفضلهم، ويعلم أنه في حالته تلك نازلٌ عن رفيع درجاتهم. وشريفِ مقاماتهم، وهذا صنفٌ الرحمة مرجوةٌ له.

ومن هؤلاء «أعني: الآخذين فوق مقدار الحاجة للتنعم والتلذِذ وقصدِ الرفاهية» أقوامٌ تبسَّطوا في ذلك وتوسعوا فيه مع الغفلة والتخليط، واغترُّوا بالله تعالى، وربما فضّل بعضهم حالَه ذلك على أحوال الزاهدين جهلا بالله وجراءة عليه. ومنهم من يدعي أنه في توسُّعه وتنعُّمه مقتصرٌ على قدر الحاجة، بل على قدر الضرورة، ومنهم من يزعم أنه يأخذ الدنيا ويمسكها ويجمعها للتصدق والمواساة والإنفاق في وجوه الخيرات، وهو في غاية البعد عن ذلك، يشهد عليه فعلُه وعملُه على خلاف ما يزعمه ويدَّعيه، ويشهد عليه ربُّه بذلك، وملائكتُه الحافظون، وعبادُ الله المؤمنون، الناظُرون إلى سيرته وسوء عمله وقبيح اختياره لنفسه، ودعواه مع ذلك واغتراره بربِّه. نسأل الله تعالى العافية من الغرور، والزُّور، وجميع البلِيَّات والمخزِيات، ونسأله أن يُسبِل علينا سَتره الجميل وعلى المسلمين.



الفَصْلُ الثَّامِنُ

وأما من طلب الدنيا ليصيب منها مقدار حاجته أو فوق مقدار حاجته فلم يتيسر له ذلك لأنه لم يُقَسم له من الدنيا إلا دون مقدار حاجته، **فذلك هو الفقير** وهو غير معدود في الزاهدين ولكنه إن أخذ في طلبه للدنيا بالورع والتقوى ثم صَبر ورضي بما قسم له منها. **فهو الفقير الصابر**، وفقرهُ هو الفقر المحمود وقد وردت في فضله آياتٌ وأخبارٌ كثيرة. من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «الفقراء الصُّبَّر جلساءُ الله تعالى يوم القيامة».

فأما من أضاع التقوى والورع في طلبه للدنيا وقصَّرَ فيما يجب عليه من حق الله تعالى، ثم لم يصبر ولم يرض بما قَسم الله له، بل جَزِع وتبرَّم وتسخَّط، وصار يغبط أهل الدنيا على تمتعهم بها وتلذذهم فيها، فهذا هو الفقير المذموم. ولعلَّ فقره هذا هو المعنيُّ بقوله عليه الصلاة والسلام: «كادَ الفقر أن يكون كفراً» ولعل هذا هو الفقر الذي كان ﷺ يستعيذ بالله منه.

وعلى هذا الفقير يتنزل ما وقع على الفقر من الذَّم:
وهو موجود أعني ذمَّ الفقر في كلام بعض العلماء. وهو قليل ونادر، وعلى هذا الفقـر المذمـوم يُنزَّل لا محـالة. والله ورسوله أعلم.

الفصل التاسع

الدنيا لا راحة فيها لمؤمن عاقل البتَّة، وإن وجدت فيها راحة له فلا بدَّ أن تكون مصحوبةً بغفلة منه عن ربِّه وعن مَعاده. وأما الأحمق فقد يستريح في الدنيا، وسببُ وجود الراحة له فيها كونُه أحمقَ لا يهتدي إلى مواطن الآفات وما يصحب راحات الدنيا من المكدِّرات والمشوِّشات الحاليات أو المتوقعات، حيث قالوا لا راحة في الدنيا وأن الإنسان يطلب في الدنيا ما لم يخلق فيها وهو الراحة. ومرادهم بذلك الراحة الكاملة الصافية من كل وجه لأهل البصائر والعقول. وذلك كذلك فأما الأحمق ومن لا عقل له فقد يستريح. ولذلك قيل استراح من لا عقل له. وقد أشار المتنبي إلى ما يقرب من هذا المعنى فقال:

تصفُو الحياة لجاهلٍ أو غافلٍ عما مضى منها وما يُتوقَعُ
ولمن يغالطُ في الحقائق نفسَه ويسُومها طلبَ المحال فتطمَعُ

وقال أيضاً:

ذو العقل يشقَى في النعيم بعقله   وأخو الجهالة في الشقاوة ينعَمُ

انتهى والله تعالى أعلم.

الفصل العاشر

اعلم أن كلَّ شيء يحسن مع التقوى والإحسان من الأحوال المختلفة المتعاقبة على الإنسان مثل الفقر والغنى، والصحة والمرض والعزِّ والذل، والخمول والشهرة، ونحو ذلك.

وكل شيء يقبُح ويذم مع الفجور والإساءة من هذه الأحوال.

وبيان ذلك: أن الإنسان متى كان تقياً محسناً، فإن أصابه مع ذلك فقرٌ كان حالُهُ مع الله تعالى الرضا والقناعة والصبر والوَرَع والاستغناء عن الناس، إلى غير ذلك من الأحوال الشريفة، **وكان حظه من الله تعالى الرضا. والقربَ والإمدادَ بالصبر والمعونة، إلى غير ذلك من الألطاف الإلهية**، وكان حاله فيما بينه وبين الناس السَّترَ والتجمُّلَ وانطلاقَ الألسن بالثناء عليه في فقره بأن الله تعالى سلك به مسالك الأخيار الأبرار من أوليائه وأصفيائه.

وهذا الفقر نفسه لو أصاب بعض الفجار المسيئين لكان حاله الجزعَ والسخطَ، والطمعَ في الناس والتعلقَ بما في أيديهم.

وكان حظه من الله تعالى السخطَ والمقتَ وعدَم الإمداد بالصبر والمعونة، وكان حاله عند الناس الإزراءِ عليه بالفاقة والقِلة، وكانت ألسِنتهم عليه منطلقة بالذَّم في أنه لا يحسن الاختيارَ لنفسه ولا يسعَى في عفَافِها وكفايتِها، وأن الله تعالى عاقبه بالفقر لقلة دينه وخيره.

ومهما كان الإنسان تقياً محسناً فأغناه الله تعالى مع ذلك ووسَّع عليه، كان حاله مع الله تعالى الشكرَ وتعظيمَ النعمة، والاستعانةَ بها على الطاعة، وبذلَ المال في وجوه الخير، واصطناعَ المعروف للقريب والبعيد.

وكان حظه من الله تعالى الرضا والمحبةَ والإمدادَ بالمزيد من اليسر والسعة، وكانت ألسنة الناس منطلقة بالثناء عليه بفعل الخير واصطناع المعروف وبالدعاء له بزيادة اليسر والسعة، إلى غير ذلك.

وإذا كان الإنسان من أهل الفجور والإساءة وكان مع ذلك ذا مال وسعَة في الدنيا، كان حاله الجمعَ والمنعَ

والشُّحِّ، والبخلَ وقلة الورع وشدَة الحرص. إلى غير ذلك من القبائـح.

وكان حظه من الله تعالى السخطَ والمقتَ؛ وكانت ألسنة الناس منطلقة في ذمه بقلة الخير والمعروف وترك الوفاء والإنصاف وعدم البر والإحسان، إلى غير ذلك.

ومهما كان حال الإنسان من أهل التقوى والإحسان الصحّة والسلامة كان شأنه ووصفه الشكرَ لله، والجِدَّ في مرضاة الله تعالى وصرفَ صحته وقوته في طاعة الله تعالى.

وكان حظه من الله تعالى الرضا والكرامَةَ، وكانت ألسنة الناس منطلقة بالثناء عليه بالأعمال الصالحة، والجِدِّ والتشمير في الطاعة.

ومهما كان حاله المرض وعدمَ الصحة كان حـاله الرضا والصبرَ والتسليمَ لمراد الله تعالى، والاكتفاء به، وترك الضجر، والتبرم، والشكوى إلى الخلق.

وكان حظه من الله تعالى الرضا، والعنايةَ، والإعانة، والإمداد باللطف والسكينة، إلى غير ذلك، وكانت الألسنة منطلقة بالثناء عليه في أن الله تعالى إنما ساق إليه هذا

المرض ليكون لـه كفارة وطهـارة وزيادة في الحسنـات والدرجات.

ومهما كان الإنسان من أهل الفجور والإساءة، فإن كان صحيحاً معافًى كان شأنه البطرَ، والطغيانَ، وقلةَ النشاط في الطاعة، وصرفَ قوته ونشاطه في المخالفات والمعصية.

وكان حظه من الله تعالى السخطَ والبعدَ، وكانت ألسنة الناس منطلقة بذمه على طغيانه، وتعدِّيه وسعيه في مساخط الله تعالى.

ومهما مرض أو اصابته آفة أو بلية كان حاله السخطَ، والجزعَ والضجرَ، والتبرمُ بقضاء الله تعالى، إلى غير ذلك من الصفات المذمومة.

وكان حظه من اللّه تعالى المقتَ، والطردَ، وكانت الْسِنة الناس منطلقة بذمه بأن الله تعالى عاقبه بالمرض والآفات لعصيانه، وظلمه، وكثره ذنوبه وسيئاته.

وعلى مثل ذلك فانظر واعتبر في العزِّ، والـذلِّ، والخمول، والشهرة والشدة، والرخاء، إلى غير ذلك من الأحوال والأمور المتعاقبة على الناس. تعلمْ وتعرف أن التقوى والإحسان هو الذي يزينها، وبه تحسنُ وتستقيمُ،

وأن الفجور والاساءة هو الذي يقبِّح هذه الأحوال ويشينها، ويعرِّض صاحبها للذم من الناس، وللسخط والمقتِ من الله تعالى.

وتأملْ هذا الفصل جِداً فإن تحته علوماً دقيقة، وفيه حل أمور مشكلة. ولو تتبعنا الكلام فيه لطال، وفي التنبيه بالقليل كفاية للبيب النبيه عن الإكثار والإطالة والله بكل شيء عليم.

الفصل الحادي عشر

الإحسان في الأعمال أهم من الأعمال عند المحققين من العارفين أرباب البصائر واليقين. وذلك أن إقامة صورة الأعمال من صلاة، وصيام، وتلاوة، وذكرٍ الله تعالى من غير إحسان لها وإتقان، وإحكام لمعانيها الباطنة، وما يجب لله تعالى فيها من تعظيم، وخشوع، وحضور معه تعالى، وتأدب بين يديه بما يليق ويناسب تلك الحضرة المقدسة وذلك الجناب الرفيع تعبٌ وعناءُ محض لا طائل تحته، وإليه يشير قوله عليه الصلاة والسلام: «كَمْ من قائمٍ ليس له من قيامه إلا السهرُ والتعبُ. وكمْ من صائمٍ ليس له من صيامِه إلا الجوعُ والعطش» الحديث وقال علي رضي الله عنه: لا خير في تلاوة لا تدبر فيها.

وربما يرجع المباشر لصور الأعمال من غير إحسان لها مع التعب فيها بشيء من الإثم. كما يقع ذلك لبعض المرائين ومن لا يحسن قراءته في صلاته وركوعه وسجوده ولا يقيمهما

على الوجه الواجب عليه. فيكون قد باشر عبادةً باطلة. يتعب فيها ويأثم بسببها فإذا عَمِلَت فأحسِنْ، وأعطِ كل وظيفة من عملك ما يجب لله تعالى فيها وما يستحب من الأحكام الظاهرة والمعاني الباطنة، من الحضور مع الله تعالى والإخلاص له وحسن الأدب بين يديه تعالى. فيكون العمل القليل الذي تحسنه أفضلَ عند الله وأزكى من العمل الكثير الذي لا تحسنه ولا تقيمه لله تعالى كما يجب وكما ينبغي. فاعلمْ ذلك واعملْ عليه، والله يتولى هداك.

وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى كتب الإحسانَ على كل شيء. فإذا قَتلْتُم فاحسنوا القِتْلَة. وإذا ذبحتم فاحسِنُوا الذِّبحة» الحديث. فانظر وتفهَّم قوله ﷺ: «إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء». تعرف أن الأمر بالإحسان عام في كل شيء. وهو عين الأشياء حتى إنها إذا انفكت عنه صارت سيئة قبيحة، أو غير حسنة ولا مليحة.

الفصل الثاني عشر

وكما ينبغي لك ويتأكد عليك أن تحسن في جميع ما تفعله لله من الصالحات والقُربات والخيرات، كذلك ينبغي لك أن تحسن في ترك ما تتركه لله من الأعمال السيئات، والمحرمات، والشبهات، والشهوات.

ومعنى الإحسان في تركها: أن تتركها إخلاصاً لله سبحانه وتعالى وتعظيماً له، وحياءً منه، وخشيةً ورهبةً وخوفاً منه. لا حياءً من الخلق ولا رياء لهم، ولا خشيةً منهم، وكذلك إذا تركتها ظاهراً تمنع نفسك باطناً من التحدث بها والميل إليها، واشتهاء الوقوع فيها حسبما تستطيع من ذلك.

ومن الإحسان في الترك أن تعدِل عن مظانِّ ذلك من المواطن التي تخشَى وقوعَك فيها، وعن مخالطة من يجرك إليها. أو يميل بك إلى القرب منها من قرناء السوء، **فاعلم** ذلك وبالله سبحانه التوفيق.

الفصل الثالث عشر

العلوم كثيرة جدّاً. وليست كلها نافعة ولا مهِمةً في حق كل أحد بل بعضها نافـع ومهمٌّ في حق البعض دون البعض. وقد يكون في وقت دون وقت، وفي حال دون حال. وبعضها ضار لا نفـع فيه، وفضول لا مُهِمَّ منه، وقد ذكر طرفاً من ذلك الإمام حجة الإسلام رحمه الله تعالى في كتاب «العلم من الاحياء». فإذا كان الأمر كذلك فينبغي للعاقل النجيبِ أن يشتغل من العلوم بالمهمِّ النافـع، بل بالأهم الأنفـع في حق نفسه بالخصوص، ثم في حق غيره إن تأهل لذلك وفرِغ له، وذلك لأن العمر قصيرٌ، والوقتَ عزيزٌ. والموتَ قريبٌ، والسفرَ بعيدٌ، والوقوفَ بين يدي الله تعالى للحساب على النقير والفتيل خَطرٌ صعبٌ.

وليعتبـر ذلك الإنسـان في أحوال المعـاش. فإنـه لا يشتغِل منها إلاّ بما هو الأهم الأنفـع متى كان عاقلاً، ولا يكاد يشتغل بما يهمّ غَيرَه من ذلك. فإذا كان هذا فعلَ

الإنسان في الأمور المعاشية الدنيوية، فما الظن به في الأمور الدينية الأخروية.

على أن الإنسان لو قدم الاشتغال بأمور غيره في أمور المعاش ربما حُمِدَ على ذلك واستُحسن منه، بخلاف الأمور الدينية، فإن الأمر فيها على العكس من ذلك.

الفصل الرابع عشر

وإذا أردت أن تعرف النافع المهمَّ في حقك من العلوم والأعمال والأنفَعَ الأهمَ، فاستحضر في نفسك أنك تموت غداً وأنك تصير إلى الله تعالى، وتقفُ بين يديه. فيسألك عن كل شيء من علومك وأعمالك، وجميع شؤونك وأحوالك، ثم تصير إلى الجنة أو النار، فالمهم النافع من ذلك ما تجده عند ذلك الاستحضار هو الأولى بك، والأهمُّ عندك والأجدرُ الأحق أن تشتغلَ به وتلازمَه، وما تجده عند ذلك الاستحضار غير نافع ولا مُهِم فينبغي لك أن تدعه ولا تشتغل به، ولا تأخذ فيه، وكذلك من أحوال المعاش، إذا استحضرت مثل ذلك الاستحضار، فالذي تجده منها مهماً، وكالذي لا بد لك منه فينبغي لك أن تعرج عليه. وما تجدك كالمستغني عنه منها وغير المحتاج إليه فينبغي لك أن لا تعرِّج عليه، ولا تأخذ فيه. فتأمل هذه النكتة جداً وأحسن النظر فيها، فإنها عظيمة النفع، كبيرة الموقع، عند من له بصيرةٌ واهتمامٌ لمعاده. ورجوعِه إلى

الله تعالى، ونجاته وفوزِه في الدار الآخرة التي هي خيرٌ وأبقى والتوفيقُ بيد الله والفضلُ له سبحانه يؤتيه من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم.

الفصل الخامس عشر

أجمعُ العلوم وأنفعُها وأصحُّها وأوضحها ما كان هو الأقربَ والأشبهَ بالعلوم المشروحة في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله ﷺ، والذي يكثر ذكرها وتكرارها فيهما، وذلك مثل العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله والعَلم بأمر الله تعالى، وذكر ما يقرب إليه من الأوصاف، والأعمال، والعِلم بنهيه تعالى، وذكر ما يبعد عنه من الأوصاف، والأعمال. والعلم بالمعاد، والرجوع إلى الله تعالى، وما فيه من الأحوال والأهوال، ووصف الجنة التي هي دار السعداء، والنار التي هي دار الأشقياء. وهذه العلوم هي أصول العلوم كلها ومقصودُها ولبابُها، وكثرةُ النظر فيها تثمر مزيد الإيمان واليقين بالله، وبرسوله، وباليوم الآخر، وتحث على لزوم الطاعة والعبادة لله تعالى، وترك ما يسخطه سبحانه وتعالى من السيئات والمنكرات، وتحمل على قِصر الأمل، والاستعدادِ للموت. وحسن التزود للمعاد، ومحبةِ لقاء الله تعالى، وعلى الزهدِ في الدنيا، والرغبةِ في الآخرة،

وما يشبه ذلك من الأخلاق الشريفة، والأعمال الصالحة التي هي شأن أنبياء الله وأوليائه.

ثم إنك إذا نظرت إلى ما ألَّفه أئمة الدين، من الكتب النافعة. لم تر شيئاً منها أجمعَ لهذه العلوم المذكورة من كتب الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله، مثل الإحياء، والأربعين الأصل ومنهاج العابدين وبداية الهداية وهذا يعرفه من تأمله وأحسنَ النظر فيه من أهل الحق والإنصاف، وأرباب البصائر في الدين، وما ينكره إلاَّ غبي جاهل، أو رسميٌّ متجاهل، قد غشَّ نفسه، وغفل عن معاده، فالله تعالى بفضله يلهمنا رُشْدنا ويعيذنا من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الفصل السادس عشر

وقد ينظر بعض الطالبين للحق. والسالكين لطريق الله تعالى إلى كثرة العلوم والأعمال. وكثرةِ الطرق إلى الله تعالى، فلا يدري بأيّها يأخذ ولا في أيّها يسلُك، وربما يقف عند ذلك ويتحيَّر فعلى من وقع له مثلُ هذا أو شبههُ أن ينظر، فإن كان تحت نظر شيخ عالم عارف محقّق وجب عليه اتباعه ولزمه أن يأخذ ويعتمد ما يشير عليه به ويعيِّنه له من علم أو عمل، أو حال، أو طريق في دين أو معاش، وذلك يكفيه ويُغنيه، وإن كان ليس في نظر شيخ أصلاً، أو في نظر شيخ ليس على مثل ما وصفناه، فليعلم أولاً أن من العلوم والأعمال ما هو مفروض على الأعيان، لا بد منه لكل أحد، وذلك كعلم الإيمان الذي يحصِّن به الإنسان معتقده، ومن علوم الإسلام كالطهارة، والصلاة، والصيام، وما في معنى ذلك. فهذا لا بدَّ للإنسان من علمه وعمله كائناً ما كان، فإذا فرغ من ذلك فليأخذ من العلوم والأعمال والطرائق والأحوال بما يراه أنسب لحاله، وأجمع لقلبه،

وأقرب له إلى رضى ربه. ولا يخفى عليه ذلك مهما كان صادقاً في قصده ورغبته وطلبه لله تعالى ولطريقه.

وعند ذلك يختلف السالكون والطالبون للحق في ذلك اختلافاً كثيراً. فبعضهم يصلح له ويحسن به هذا الأمر وآخر يصلح له أمر أخر وهذا يصلح له هذا العلم، وآخر يصلح له علم آخر، وكذلك في الأعمال. وكم من طالب تصلح له العزلة ويستقيم فيها حاله، واخر لا تصلح له إلاّ الخلطة. وطالب لا يصلح له إلاّ التجرد عن الأسباب. وآخر لا يصلح له إلاّ التلبس بها، وكذلك في السفر والإقامة. وغير ذلك من الأحوال والأمور المتغايرة.

وإذا أخذَ السالك فيما يراه أصلحَ له وأنسبَ وأقربَ له إلى رضى ربه ونيل القرب منه، فلا ينبغي له أن ينكرَ ويعاديَ ما يخالف الحالة التي هو عليها. والطريقَ التي هو سالك لها، من الأحوال والطرائق المرضيةِ في الشرع، المشهودِ بصحتها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، لكونها ليست حاله ولا طريقه، فإن الله سبحانه وتعالى له الحمد جعل لكل علم عالِماً وعاملاً ولكل طريقٍ سالكاً، ولكل مقام وحال أقواماً يقومون به ويأخذون فيه. لا يصلح لهم إلاَّ ذلك، ولا يرضى منهم سبحانه إلاَّ به، وفي ذلك سرٌ بل أسرار وحِكَم يطول النظر فيها، ويتعسر الوقوف عليها،

إلا على أرباب البصائر والسرائر، من الناظرين بنور الله تعالى، الراسخين في العلم، المكاشَفِين بالأمور الغيبية من حضرة الله تعالى.

وأيضاً فعلى السالك أن ينظر. فإن كان بحيث إذا نظر في العلم والعمل والطريق والحال الذي ليس هو سبيلَه يجد في ذلك تفريقاً لقلبه أو تشويشاً لأمر سلوكه. فليمسك عن النظر في ذلك، ولا يعرِّج عليه أصلاً. وإن كان لا يجد تفريقاً ولا تشويشاً فلا بأس أن ينظر في ذلك.

ولْيَعلم أن مثالَ العلوم والأعمال والطرائق في كثرتها وكونها صالحة للناس كلهم في الجملة، وأن كل أحد منهم يصلح له شيء منها، ويضرُّ به شيء آخر أو لا يصلح له مثالُ المائدة تقدم عليها الأطعمة الكثيرة ليختار كلٌّ من الحاضرين لها المدعوين إليها ما يناسبه ويعجبه ويصلح لمزاجه، ويدَع ما سواه فإنه يصلح لغيره من الحاضرين ويوافقه، ومثالُ الأسواق تُجْمَعُ فيها البضائعُ الكثيرةُ، والسلع المختلفة، فإذا دخل الإنسان إليها طلب الحاجة التي تصلح له وتناسبه، وترك ما سوى ذلك لغيره، وليس له أن ينكر ولا أن يستثقل كثرة البضائع والأشياء الموجودة في تلك السوق، لكونه هو غير محتاج إليها ولا راغب فيها فإنه

ما هو الناسَ كلَّهم حتى لا يريد ولا يرغب أحدٌ فيما لا يريده هو ولا يرغب فيه.

فإذا عرفتَ مقصود التمثيل بالمائدة وبالسوق، وبما فيهما من كثرة الأطعمة والأمتعة، وأن ذلك يكون لكافة الحاضرين بهما يأخذ كل أحد منهم ما يرغب فيه مما يوافقه ويصلح له **فاعلم أن الناس ينقسمون في ذلك إلى أربعة أقسام:-**

(الأول) هو الذي إذا رأى كثرة الأطعمة والأمتعة، أخذ ما يصلح له من غير أن يستثقل ولا أن يرغب فيما عدا ذلك، وهذا هو العاقل النجيب المتسع في النظر.

(الثاني) هو الذي يأخذ ما يصلح له ويكره ما عداه، ويظن أن أحداً لا يرغب فيه، وهذا فيه غباوة وقصور نظر.

(الثالث) هو الذي يرغب في جميع ما يراه مما يصلح له ويوافق وما لا يصلح ولا يوافق، فتراه قد يرغب فيما لا يصلح له ولا يُحسن به، وربما رغب في هذا وقتاً وفي غيره وقتاً آخر، وهذا فيه غباوة وفضول من غير بصيرة.

(الرابع) هو الذي إذا رأى كثرة الأطعمة والأمتعة توقف وتحيَّر فلم يدر في أيّها يرغب، ولا أيّها يأخذ، فتراه متحيراً مدهوشاً.

وهذه الأحوال المطابقة لهذا التقسيم، قد تقع بعينها لبعض الناظرين في العلوم والأعمال والطرائق والأحوال المتغايرة، فترى أحدهم يرغب في كل شيء وآخر يتحير فلا يدري بأي شيء يأخذ وآخر يتمسك بشيء يرى فيه صلاحية له ثم يمقت ما عداه وينافره ويعاديه، وكل ذلك من القصور وضعف البصيرة وضيق النظر.

فتنبّه أيها الطالب لفهم ما ذكرناه فإنه مهمٌّ وعليه مدارٌ كبيرٌ، وقد وقع لسيدي الشيخ (أبي الحسن الشاذلي). رحمه الله في بدايته تردُّدٌ كثير، بين أن يأخذ في العلوم، أو يتجرد للعبادات والسياحات حتى طال عليه ذلك، إلى أن قصد بعض الأشياخ، فأخرجه من ذلك التردد، والقصة في ذلك مشهورة.

وكذلك حصل مثل ذلك أو قريب منه للشيخ الجليل (عبد الله به أسعد اليافعي) رحمه الله تعالى قال فبينما أنا في ذلك، أعني التردُّدَ بين الأخذ في العلم، أو التجرد للعبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، تناولت كتاباً أنظر فيه فإذا فيه ورقة ليست منه، ولم أرها فيه من قبل، مع كثرة نظري في الكتاب، وفي الورقة مكتوب هذه الأبيات:

كن عن همومك مُعرِضاً وكِلِ الأمورَ إلى القضا

إلى آخرها. فتعلمُ بذلك أن ما ذكرناه يقع كثيراً لأهل البدايات وأهل السلوك في أوائل سلوكهم، وقد دخلت أنا على السيد العارف (عبد الرحمن بن شيخ عيديد باعلوي) فذكر لي أنه وصله كتاب من السيد الصوفي (عبد الله بن محمد علوي) المجاور بالمدينة الشريفة، وذكر له في ذلك الكتاب بأنه شغلته مطالعة الكتب وشتتت عليه، أو لفظ هذا معناه. ثم قال السيد عبد الرحمن ما تقول، بأي شيء أكتب إليه؟ فقلت له أنت أعرَف، فقال أرى أن أكتب له أن يترك مطالعة الكتب والإكثار منها فوقع لي أن الذي شكاه السيد عبد الله بن محمد مما يقع له عند مطالعة الكتب هو مايرى فيها من الطرائق الكثيرة، والأحوال المتغايرة، مما قد يحصِّل عنده بعض ما ذكرناه من التحيُّر والتردد، وقد اجتمعنا بهذا السيد أعني عبد الله المذكور عندما وصلنا إلى المدينة الشريفة لزيارة رسول الله ﷺ، اجتمعنا به مراراً وجالسناه وانتفعنا بمجالسته وهو سيدٌ فاضل من أهل الانقباض والخمول، نفع الله به وبسلفه وسائِر عباد الله الصالحين.

الفصل السابع عشر

واعلم أنه يقع كثيراً في كلام أهل التصوف نفع الله بهم، أنه ينبغي للعبد أن يرضى بما أقامه الله تعالى فيه من الأشياء، ولا يطلب الخروج من ذلك بحكم ميل الطبع واتِّباع هوى النفس، وذلك لأن اختيار الله تعالى لعبده أحسن وأتم من اختيار العبد لنفسه، وتدبيرَه سبحانه للعبد أجملُ وأكملُ من تدبيره لنفسه، لأنه سبحانه أعلم وأحكم، وألطف وأرحم، ولكن قد يلتبس الأمر على بعض المغترِّين من الجاهلين والغافلين، فيظنون أن إقامة الله لهم فيما هم فيه هو أمر مطلق غير مقيد، وأمر عام غير مخصص، حتى إنا قد نسمع على ألسنة بعضهم من الكلمات الشنيعة، والاحتجاجات الداحضة ما لا أصل له ولا حجة فيه، ولا بينة به، فمن الولاة الظلَمة الغشَمة من يحتج بإقامة الله تعالى له فيما هو عليه من الظلم للعباد والفساد في البلاد، ومن الأغنياء وأبناء الدنيا المتخبطين المخلطين في أخذ الأموال من غير حِلِّها، ووضعها في غير حقِّها، مَن يحتج بمثل ذلك من

إقامة الله سبحانه وتعالى له فيما هو فيه، وذلك بهتان عظيم وضلال مبين. **وبيانه أن إقامة الله للعبد لا تكون إلّا فيما يحبه الله ويرضاه من الأمور والأحوال، هذا هو الشرط الأول (والثاني) أن يكون فيما هو فيه عاملاً بطاعة الله تعالى، وسالكاً سبيل مرضاة الله سبحانه (والثالث) أن يكون طالباً وراغباً في الترقي إلى ما هو فوق حاله ومقامه من الأحوال** والمقامات المرضية ما وَجَدَ إلى ذلك سبيلاً وطريقاً، لا يمنعه من ذلك إلا العجز عنه، وعدمْ التمكن منه، ليس مجردَ الكسل والتسويف، والميل إلى راحات النفوس. وشهوات الطباع.

فتأمل هذه الجملة وأمعِن النظر فيها. فإنها مهمَّة جداً والسلام.

الفصل الثامن عشر

ينبغي للمؤمن الحريص على طلب مرضاة الله تعالى ونيل القُرب منه، والكرامة عنده، والمجاورة له في داره سبحانه، أن لا يسمع بشيء من الفضائل الدينية والخيرات الأُخروية إلاّ ويشمِّر غاية التشمير في نيلها، والعمل بها لا يمنعه من ذلك إلاَّ عدم التمكن والاستطاعة.

ثم إن من الفضائل والخيرات ما يتمكن من العمل به كل أحد، كالنوافل من الصلاة، والصيام وتلاوة القرآن، والذكر لله تعالى، ونحو ذلك، ومنها ما لا يستطيعه ولا يتمكن منه إلاّ الآحاد، ومن الفضائل ما يتمكن منه بعض المؤمنين. ولكن يمنعه من العمل به قيامُه بفضيلة أو عمل من أعمال الخير هو أولى به وأوجبُ في حقه، ولا يمكنه الجمع بين ذلك وبين فضيلة أخرى.

فمهما سمعتَ بفضيلة من الفضائل، أو عمل من أعمال الخير لا تستطيع العمل به، أو تستطيعه ولكن

لا تتمكن منه إلا بترك ما أنت قائم به وملابِسٌ له من خير آخر هو أولى بك وأصلح في حقك فينبغي لك أن تنوي ذلك الخير الذي لا يمكنك العمل به ولا تستطيعه، أو تستطيعه وتقدر عليه ولكن لا يكون ذلك إلا بترك ما أنت فيه مما هو أولى بك وأصلح في حقك، وتعزمَ على فعل ذلك الفضل والعمل الصالح متى تمكنت منه وفرغت له. لتكون بنيتك الصالحة في جملة العاملين به والمقيمين له «ونية المؤمن خير من عمله» وقد يبلغ بها ما لا يبلغ بالعمل.

ومثال ذلك أن تسمع بفضائل الجهاد وأنت لا تستطيعه ولا تتمكن منه أو بفضائل الصدقات وإطعام الطعام وأنت لا تقدر عليها لفقرك وقلة ذات يدك، أو بفضائل العدل وإقامة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنت لا تستطيع ذلك، إذ لا ولاية لك ولا قدرة تتمكن بها من ذلك، فتنوي أنك لو كنت تستطيع لَفعلتَ من هذهِ الخيرات ما يساعدك عليه الإمكان، وأن تبذل في ذلك الاستطاعةَ وغايةَ الجُهْد.

وينبغي لك أيضاً أن تساعد أرباب هذه الفضائل والوظائف الدينية بما تقدر عليه، ولو بالدعاء لهم، والمحبة

لما هُمْ عليه من القيام بهذه الأمور الدينية لله تعالى، وأن تدْعُوَهم وتحثَّهم وترغبَهم في حسن القيام بما هم عليه من تلك الوظائف والأعمال الصالحة فربما يكون لك بذلك من الأجر والثواب مثل ما يكون لهم فيها، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «الدالُّ على الخير كفاعله» وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مثلَ أجور من تبعه على ذلك لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً» الحديث.

ثم ما يمكنك الجمع بينه من الخيرات فتجمعه. وما لم يمكن الجمع بينها فتختار ما هو الأفضل والأكمل منها على حسب ما تستطيعه من ذلك ويمكنك منه. وما لم تتمكن منه فتكون لك في العمل به نية صالحة صادقة متى قدرت عليه على وفق ما تقدم.

ثم إن من الخيرات ما لا خطر فيه ابتداء ولا انتهاء. كتحصيل العلم النافع والإكثار من نوافل العبادات من الصلاة والصيام ونحو ذلك فأمثال هذه الخيرات ينبغي لك أن تسعى لها وتشمِّر في قصدها وطلبها بكل وجه يمكنك وتستطيعه، ومن الخيرات ما فيه خطر ويخاف على المتعرض له من الوقوع في شيء من الشرور والمحذورات، وذلك كالولايات، واتخاذ الأموال ونحو ذلك، فأمثال هذه

الأشياء ينبغي للعاقل الحكيم أن لا يتعرض لها ولا يسعى لطلبها، مخافة أن يناله منها شيئاً يكون فيه هلاكه كما وقع ذلك لكثيرين تعرضوا لهذه الأشياء، فذهب فيها دينهم ودنياهم، ووقعوا فيما يُسخط ربِّهم عليهم، فيكفيك في الخيرات التي ينالها من وفقه الله تعالى من أرباب الولايات والأموال النيةُ الصالحة بينك وبين الله تعالى، إنك إن نِلتَ شيئاً منها وأُقِمتَ فيه أن تقوم به لله تعالى، وتعملَ فيه بمرضاة الله سبحانه، وما يقرِّبك إليه، فيكفيك ذلك ويكون لك عند الله تعالى بنيتك الصالحة مثل ثواب القائمين بها لله مع السلامة من أخطارها وبليَّاتها؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام في الإمارة لبعض أصحابه «لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلتَ إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها». وأمرُ ثعلبة الذي سأل من رسول الله ﷺ أن يدعو الله له أن يرزقه مالاً ليتصدق منه ويفعل الخيرَ مشهورٌ، وفيه أنزل الله عز وجل ﴿**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصَّدقَنَّ**﴾ الآيات.

وكل شيء فيه خطرٌ فلا ينبغي أن تسعى له وتتعرضَ، واقنع بالسلامة فإنها إحدى الغنيمتين، ومن ذلك أن تسمع بما ورد في ثواب البلاء والأمراض للصابرين فتشتهي ذلك

وتتمناه لما فيه من الفضل، فلعلك تبتلى فلا تصبر، وقد رغَّب رسول الله ﷺ في سؤال العافية وحثَّ عليه كثيراً، ويكفيك في ذلك النيةُ والعزمُ الصادق على أنه إن ابتلاك الله تعالى صبَرْتَ واحتسبْتَ مع سؤال العافية والاستعانة بها على طاعة الله تعالى، وابتغاء مرضاته سبحانه.

فقد عرفت مما تقدم أنه ينبغي لك أن تعمل بكل ما تستطيعه من الفضائل والخيرات. وتجمع بين ما أمكنك الجمع بينه منها، وتختار الأفضل الأكمل حيث لا يمكن الجمع، ولا تتعرض لما فيه خطرٌ وإن كان فيه خيرٌ ما إلاَّ إن ابتليت به أو أُكرهت عليه، ولا تُقدِّمْ على ما هو الأولى بك والأصلحُ لك في دينك شيئاً وإن كان أفضلَ مما أنت فيه على حسب ما شرحناه في هذه الفصول المتقدمة، فإن الكلام فيها مرتبط بعضه ببعض، ومبيِّن بعضُه لبعض، فتأمله وأحسن النظر فيه، أمدنا الله وإياك بدوام التوفيق، وهدانا جميعاً إلى سواء السبيل وأقوم طريق في لطف وعافية.

الفصل التاسع عشر

أكثرُ الناس راحةً في الدنيا وأعظمهُم لذةً فيها وأحرصهم على ذلك أشدُّهم تعباً ونصَباً وخطراً، وأكثرهم همًّا وغمًّا وحزناً، وذلك مثل الملوك والأغنياء، وأقلُّهم راحةً ولذةً فيها وأضعفهم حرصاً عليها أقلُّهم تعباً ونصَباً وخطراً وهمًّا وغمًّا، وذلك مثل الفقراء والمساكين.

وسبب ذلك أن لذَّات الدنيا وراحاتها وشهواتها مكدِّرة منغِّصة مشوِّشة في الأصل، وأن المزحمين عليها والمنازعين فيها والحاسدين عليها كثير، فبسبب ذلك يعظم التعب والخطر والغم في تحصيلها. وفي التمتع بها، وفي الحفظ والتنمية لها فتتضاعف مع ذلك المتاعبُ والأخطار والهموم والغموم كلما كثرت الدنيا والشهوات، وكثر الطاب لها والحرص عليها، ويقلّ التعب والخطر والهمُّ والغمُّ كلما ضعف الطلب لها وقلَّ الحرص عليها، فترى الملوك والأغنياء من أتعب الناس وأكثرِهم هموماً وغموماً وأعظمهم

خطراً، حتى إن الواحد منهم ليغرِّر بروحه ويخاطر **بمهجته** في نيل أغراضه وشهوات نفسه، وفي حفظها وفي تنميتها، وذلك مُشاهَد لا خفاء به على عاقل.

والفقراء والمساكين أقل الناس همًّا وغمًّا لقلة ما يطلبون من لذَّات الدنيا وشهواتها، وضعف رغبتهم في نيلها، إما اختياراً وهو حال الزاهدين، وإما اضطراراً وهو حال الضعفاء، الذين لا يحدِّثون أنفسهم بنيل الأمور الكبيرة من أمور الدنيا حتى يطلبوه ويحرصوا عليه، فقلَّ لذلك تعبهم وهمهم.

واعلم أن من يطلب من أمور الدنيا كفاية يومه أقلُّ تعباً وهمًّا ممن يطلب كفاية أسبوعه، ومن يطلب كفاية أسبوعه أقل همًّا في ذلك ممن يطلب كفاية الشهر، والذي يطلب كفاية الشهر أقل هَمًّا في ذلك ممن يطلب كفاية العام، والذي يطلب لنفسه أقل تعباً وغمًّا ممن يطلب لنفسه ولغيره، وكلما كثرت المطالب كثرت المتاعب وكثرت الهموم والغموم. وكان ما يُحصِّل الإنسان من لذَّات الدنيا وراحاتها يكون في كِفَّة ميزان. والتعبُ والخطر والغم الذي يلاقيه ويقاسيه في كفة أخرى، سواءً بسواء، وربما يزيد

أحد الأمرين قليلاً أو ينقص قليلاً، ويختلف الناس في ذلك اختلافاً غير بعيد.

هذا ما يناله الفريقان في هذه الحياة الدنيا ويقاسونه في أيام حياتهم، وأما في الآخرة فما يتعرض له الطالبون للذات الدنيا وشهواتها والمتمتعون بها من الحساب، والعقاب، والشدائد، والأهوال، وما يرجوه ويؤمله الفقراء والمساكين المحرومون من لذات الدنيا وشهواتها الصابرون على ذلك من النعيم، والكرامة، والفوز، والراحة معروفٌ مشهور فيما وردت به الأخبار، وشهدت به الآثار. التي يطول ذكرها ويتعذر حصرها، فإن أردت الراحة في الدنيا فهو في ترك الراحة فيها، وقد قيل لبعض الحكماء: الآخرة لِمَن؟ فقال لِمن طلبها: فقيل له: والدنيا لمن؟ فقال: لمن تركها.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله لبعض الفقراء وقد رآه مغموماً، لا تهتم ولا تغتم، فإن الملوك لو علموا بما نحن فيه من الراحة لقاتلونا عليه بالسيف، وكان سبب خروجه رحمه الله تعالى مما كان فيه من أمر الدنيا والملك الفاني، أنه أشرف من قصره يوماً في وسط النهار، فرأى فقيراً قد مال إلى ظل قصره وأخرج رغيفاً له فأكله ثم شرب

من الماء ونام في ظل القصر، فأعجبه حاله وغبَطه على راحته، فوكَّل به من يأتيه به إذا استيقظ، فلما أتاه به قال له إبراهيم أكلتَ الرغيف وأنت جائع فشبعت، قال نعم. قال ونمتَ فاسترحتَ، قال نعم، فقال إبراهيم لنفسه، إذا كانت النفس تقنع من الدنيا بمثل هذا، فمالي وللدنيا، فلما جَنَّ عليه الليل خرج من قصره وما كان فيه سائحاً منقطعاً إلى الله تعالى فكان من أمره ما كان.

فعلمت بما تقرَّر أن راحات الدنيا ولذاتها وشهواتها تعبٌ وخطرٌ وهمومٌ وغمومٌ وأحزان، كلما كثرت كانت هذه الأشياء أكثر. وكان الإنسان بها أجدر، وكلما قلَّت اللذات والراحات والشهوات كان التعب والخطر والهم والغم أقل، وكان الإنسان أروح، مع ما في ذلك من تَبِعات الآخرة لأهل الشهوات، ومن كراماتها للتاركين شهوات الدنيا المعرضين عنها اختياراً أو اضطراراً. وذلك بيِّن واضح لمن تأمله وكان لنفسه ناصحاً.

الفصل العشرون

قد ينظر بعض من ضَعُفت بصيرته إلى هذا العالم فيرى ما فيه من الأشياء المتضادة المختلفة مثل النور والظلمة، والخير والشر، والصلاح والفساد، والنفع والضر، إلى غير ذلك، فربما يهجس في نفسه ويتصوّر في وَهْمه أنه لو كان العالم نوراً وخيراً وصلاحاً ونفعاً فقط لكان أولى وأصلح، وربما يصدر منه الاعتراض على الله عزَّ وجل في إيجاده أضداد هذه الأشياء، ويظن ويحسب أنه لا معنى لوجودها ولا حكمة في خلقها، وذلك ممن يتوهمه جهلٌ وقصور وغفلة، لأن الله سبحانه وله الحمد أحكمُ الحاكمين، وله العلم المطلق المحيط بجميع الأشياء من جميع جهاتها، وهو أقدر القادرين، وأرحم الراحمين، وقد ورد في بعض الآثار عن الله تعالى أنه قال: إني أنا الله لا إلـه إلّا أنا خلقتُ الخير والشر وخلقتُ لكل واحد منهما أهلاً، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه،

وويلٌ لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه، **وويلٌ ثم ويل** لمن قال: لم، وكيفَ، انتهى الأثر بمعناه.

فالذي يقول: لم، وكيف، ولو، عندما يرى الأشياء التي لا يعرف وجهها ولا يطلع على معنى الحكمة فيها، هو المعترض على الله تعالى المنازع له في تدبيره سبحانه.

واعلم أن وجود هذا العالَم على ما هو عليه من وجود الأشياء الكثيرة فيه المتغايرةِ أو المتضادة هو الوجود الأكمل الأحسن الذي لا أحكم منه ولا أصلح، بالنسبة إلى ما أريد العالَم به وبما خلق لأجله، فاعلم ذلك.

وبيانه أن العالَم متردد في وجوده بين أربعة أحوال:

(الأول) أن يكون على وجوده هذا الذي هو موجود عليه من وجود التضاد فيه.

(والثاني) أن يوجد خيراً صِرْفاً ونفعاً محضاً.

(والثالث) أن يوجد شراً محضاً وضرراً فقط.

(والرابع) أن لا يوجد العالم أصلاً، وليس لهذه الأحوال الأربعة خامس يتصور في العقل **(أما العدم) فما هو** بشيء، ولا حقيقة له في نفسه، فلا معنى له أصلاً **(وأما**

الخير المحض) فلو وجد العالم عليه لتعطلت وبطلت أشياء كثيرة من الحِكم والمصالح، وكان العالم واقعاً على نصف الوجود، فلا يتم ولا يحصل المقصود بوجوده الذي أريد به وخلق له، **(وأما الشر والضرر المحض)** فلو وجد عليه العالم لكان بحيث لا يكون فيه نفع ولا صلاح.

فعلمت بما تقرر أن الحال الذي وجد عليه العالم هو الأصلح والأكمل والأولى والأحرى، وإلى قريب مما ذكرناه يرجع معنى المسألة التي ذكرها الإمام حجة الإسلام، في كتاب التوحيد من الإحياء إلى أن قال في تقريرها، (فليس في الإمكان أبدع مما كان) فإن قوله ذلك صحيح مسلَّم لا اعتراض عليه فيه، نعم، لما بالغ رحمه الله تعالى في تقرير المسألة، والمجال فيها ضيِّقٌ. ضاقت العبارة عن إيراد المعنى المقصود بها، فقام الإشكال وحصل الغموض، وقصدُ الإمام في ذلك صحيح، والمعنى الذي أراده معنى شريف دقيق، وهكذا القول في المسائل الدقيقة، إذا أراد العالم العارف إيصال فهمها إلى من ليس من أهلها، ازدادت غموضاً وإشكالاً، وتهدَّف العالِم بسبب ذلك لاعتراض مَن ليس من أهل ذلك العلم، ولا له قدمٌ راسخة فيه.

ثم اعلم أن في وجود هذا العالَم على ما هو عليه دلالاتٍ كثيرة على أسماء الله تعالى وصفاته، لا تتم إلا بوجود العالم على ما هو عليه.

وفيه أيضاً دلالاتٌ على الأمور الأخروية، هي لا تتم أيضاً إلّا بوجود العالم على ما هو عليه وفيه أيضاً دلالات على العالم نفسه، لا تتم إلا بوجوده على ما هو عليه، وذلك أن النور لا يعرف كما ينبغي إلا بضده وهو الظلمة، والخير لا يعرف إلا بضده وهو الشر، وكذلك القول في الصلاح والفساد، والنفع والضر، والصحة والسقم، إلى غير ذلك من الأشياء المتضادة المتغايرة، فاعرف ما شرحناه في هذا الفصل فإنه من النكت الشريفة، والحقائق اللطيفة، التي تحتاج في بيانها وشرحها إلى كلام كثير وشرح طويل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفصل الحادي والعشرون

أكرمُ الناس وأرفعهُم وأعزَّهم وأفضلهم في الدنيا والآخرة أهلُ العلم والمعرفة بالله، وأهل الطاعة والتقوى لله تعالى، وذلك ظاهر لا خفاء به ولا نزاع فيه لوضوحه ومعرفة الخاص والعام به، ولكن لما كانت ملازمة الطاعة لله والتقوى له سبحانه شاقةً على النفس ومخالِفةً لهواها، ومشوِّشة عليها شهواتِها التي فيها حظها وقضاء أوطارها الفانية أعرض أكثر الناس عن ملازمة الطاعة والتقوى، وإن كانوا يعرفون ويعلمون ما في الطاعة والتقوى من العزِّ، والشرف، والكرامة والرفعة في الدنيا والآخرة، ومالوا إلى الشهوات واللذات، بل إلى المحرمات والمخالفات، لما فيها من ملائمة النفس، وحصول شهواتها، وإن كانوا يعرفون ويعلمون ما فيها من الذل، والمهانة، والضعَّة، ايثاراً لموافقة الطبع، ورغبةً في نيل الحظ العاجل الخسيس.

واعلم أن مِثال أهل المعرفة والطاعة لله في

عباد الله تعالى، مثالُ الخاصة من عبيد الملِك، الذين هم أمناؤه على أسراره وخزائنه، والواقفون بين يديه في حضرته لمناجاته وخصوص خدمته، وتنفيذ أموره الصادرة من الحضرة الخاصة، فمن يكون أعز وأكرم من هؤلاء العبيد، الذين هم بهذه المنزلة من الملك؟ ولله المثل الأعلى.

وأما أهل الشهوات والغفلات والمخالفات، فمثالهم من عباد الله تعالى، مثال بعض عبيد الملك، الذين يجعل إليهم سياسةَ الدوابِّ، وكناسة الأقذار، وأشباه ذلك من الأعمال الخسيسة المستقذرة.

فانظر فرق ما بين الفريقين، واخترْ لنفسك الكون في خير الطائفتين، واعلم أنه لو لَم يَعِد الله تَعالى أهل المعرفة به والطاعة له والتقوى بما وَعَدَهم من الكرامة في الدار الآخرة، لكان ما أعطاهم في الدنيا من الشرف، والرفعة، والعز، والجلالة عنده تعالى، وعند عباده كافياً لهم ونهايةً في جزائهم ومثوبتهم، كيف وقد وعدَهم سبحانه في جنَّته ودار كرامته بما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلبِ بشرٍ، وكذلك لو لم يتوَعَّد الله سبحانه وتعالى المكبّين على الشهوات والواقعين في المخالفات، بما توعَّدهم به في **الدار** الآخرة من الحساب، والحجاب والعقاب، وأليم

العذاب، لكان ما يقاسون في الدنيا من الذلة، والهوان، والضعَّة، كافياً لهم، وغايةً في جزائهم وعقابهم فتأمل ـ رحمك الله تعالى ـ هذا الفصلَ، وأحسنْ النظر فيه والله الموافق.

الفصل الثاني والعشرون

إذا أحب أهلُ الدنيا من الغافلين والمخلِّطين أهلَ الآخرة من العلماء العاملين والأولياء والصالحين وعظَّموهم وغَبَطوهُم على ما هم عليه من العمل بطاعة الله تعالى، والإقبال على الله عز وجل، كان ذلك منهم خيراً وطاعة ودليلَ سعادةٍ وفلاح. وربما جرَّهم ذلك وجذبهم إلى التشبه بأهل الخير، والدخول في طرائقهم، والعمل بأعمالهم الصالحة والاتصافِ بصفاتهم المحمودة، وقد وقع مثلُ ذلك كثيراً.

ومن ذلك أو قريبٌ منه ما بلغنا أن جماعة من أهل الغفلة والتخليط اجتمعوا في موضع، وبعثوا شخصاً منهم بعشرين درهماً ليأخذ لهم بها من الفواكه والطيب ونحوها ما يُصلِحون به مجلسهم فلما ذهب إلى السوق ليشتري لهم ذلك، وجد الناس مجتمعين على بِطِّيخة كلٌّ منهم يريد أن يشتريها لأنَّ بشرَ بنَ الحارث رحمه الله ونفع به مسها بيده

فاشتراها ذلك الشخص بالذي معه من الدراهم، وذهب بها إلى أصحابه بعد أن أبطأ عليهم، فلما جاء إليهم وليس معه إلا تلك البطيخة، قالوا له قد أبطأت ثم لم تجيء إلا بهذه البطيخة، فقال لهم إن في هذه البطيخة عجباً، قالوا وما ذاك، قال لهم مسَّها بشرُ بنُ الحارث بيده فنافستُ عليها حتى أخذتها بالدراهم، فقالوا له وما يكون بَشرٌ هذا؟ فقال لهم هو عبد أطاع الله فأكرمه، فرجع بعضهم إلى بعض، وقالوا إذا كان صاحب الطاعة تنتهي به الكرامة عند الله تعالى إلى مثل هذا في الدنيا، فكيف في الآخرة، فتابوا بأجمعهم، وتركوا ما كانوا عليه من اللهو والباطل انتهت الحكاية بمعناها.

ومثلُ ذلك كثيرٌ وقوعهُ لأهل الغفلة والإعراض، مع أهل التقوى والإقبال، مهما عظَّموهم وأحبوهم.

وأما أهل الآخرة والإقبال على الله تعالى فمهما أحبوا أهل الدنيا من الغافلين والمخلِّطين، ومالوا إليهم، واستحسنوا أحوالهم، وغبطوهم على ما هم فيه وعليه من التمتع بشهوات الدنيا والتقلب في لذاتها دل ذلك منهم على ضعف البصائر، وسقوط الهمة وقلة الصدق أو عدمه في الإقبال على الله تعالى وعلى الدار الآخرة، وذلك لأن الدنيا حقيرة، حقير ما فيها حقير من يرغب فيها ويحرص

عليها، ويتعلق قلبه بشهواتها، ولذاتها، ويكثرُ همُّه بجمعها وتنميتها، فإذا صار أهل الآخرة بحيث يغبِطون ويُعظِّمون من يكون هذا حاله وهذا وصفه، فربما صاروا أنزل منهم رتبة، وأقل منهم خيريَّة، وأخسَّ منهم همة، بل ينبغي لأهل الدين والآخرة أن يرفعوا هممهم، وينزهوا أنفسهم عن الركون إلى الدنيا وأهلها، وأن يستقبحوا ويستقذروا جميع شهوات الدنيا، ولذاتها الفانية فإنها بالحقيقة أقذار، وأدناس. وأوساخ.

وقد شبهت الدنيا بالجيفة المنتنة وبالمزبلة المستقذرة في قول رسول الله ﷺ، وأقوال السلف الصالح وفي الحديث «الدنيا جيفةٌ قذِرة» وشبهها عليه الصلاة والسلام بما يخرج من بطن ابن آدم من النَّتن، في حديث الضحاك. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى لو قيل لي خذ الدنيا حلالاً من غير أن تحاسب عليها، لكنت أتقذَّرُها كما يتقذّر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثيابه.

وذكر اليافعي رحمه الله تعالى في بعض كتبه، أن وزيراً من الوزراء خرج في موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا؟ من هذا!؟ يستعظمون ما هو فيه. فقالت امرأة على جنب الطريق، إلى كم تقولون من هذا؟ مَن هذا؟ هذا عبدٌ سقط من عين الله فابتلاه الله تعالى بما

تَروْن، فسمع الوزير مقالتها. فرجع إلى الملك واستعفى من الوزارة، وخرج تائباً إلى مكة المشرفة، فلم يزل كذلك إلى أن مات.

فليس ينبغي لأهل الدين والآخرة إذا رأوا أهل الدنيا المشغوفين بجمعها، المشغولين بشهواتها إلَّا أن يرحموهم، ويدعو لهم بالخلاص والسلامة مما وقعوا فيه من الإعراض عن الله تعالى، والإشتغال عن آخرتهم التي هي مصيرهم ومعادهم، وأما أن أهل الآخرة يحبون أن يكونوا مثلهم ويغبطونهم على ما هم فيه، فمعاذ الله أن يصدر ذلك إلَّا ممن لا بصيرة له ولا صدق مع الله تعالى، ولا زهادة صحيحة، ولا رغبة في الدار الآخرة التي هي خير وأبقى، ومن فعل ذلك فقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وابقى ولم يعرف قدر نعمة الله تعالى عليه فيما اختار له من الإقبال عليه وعلى الدار الآخرة الباقية، وصرف عنه من بليَّة الاعراض والغفلة عنه عز وجل، ومن الإقبال على الدنيا الحقيرة الفانية التي لا قدرَ لها ولا قيمة. وقد قال رسول الله ﷺ: «لو وَزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» والأخبارُ في هذا المعنى كثيرةٌ شهيرةٌ والتوفيق بيد الله، والأمر كلُّه لله، ولا حول ولا قوَّة **بالله** سبحانه وتعالى.

الفصل الثالث والعشرون

اعلم أن الاقتصاد والأخذ بالوسط في جميع الأمور هو المطلوب والذي ينبغي، وقد ورد «خير الأمور أوساطها». وورد أيضاً «الاقتصاد والتؤدة والسمْتُ الحسنُ جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة». وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، عليكم بالنَّمَط الأوسط، فإنه يرجع إليهم الغالي، ويلحقهم التالي انتهى.

فالتقصير عن الوسط والاقتصادِ عجز وتفريط، ومجاوزته والزيادة عليه غلوٌّ وإفراط، وكل ذلك مذموم ومستقبح عقلاً وشرعاً، وعبادة وعادة.

وقد أرشد الله تبارك وتعالى إلى الاقتصاد والتوسط في الإنفاق الذي هو من أحسن الأفعال والأخلاق بقوله تعالى: **﴿ولا تجعلْ يدكَ مغلولة إلى عنقك ولا تَبْسُطْها كلَّ البسط فتقعدَ ملوماً محسوراً﴾**. وقوله تعالى: **﴿والذين إذا أنفقُوا لم يسرِفوا ولم يَقْتُرُوا وكان بين ذلك قَواما﴾**. والحال

المحمود على مثل ذلك في الأخلاق المحمودة والأفعال الصالحة. ثم إنَّ ذكر ذلك على سبيل التفصيل يدعو إلى الاكثار والتطويل. فنشير منه إلى شيء قليل.

فمن ذلك السخاء والإنفاق، وقد سمعت ما قال الله تعالى فيه فالإفراط منه والغُلوُّ فيه تبذيرٌ وإسراف، والله لا يحب المسرفين، والتقصير عنه والتفريطُ شُحٌّ وبخلٌ والبخيل بعيدٌ من الله تعالى ومن الناس.

ومن الأخلاق الحسنة والأفعال المشكورة الشجاعةُ، والإفراطُ فيها تهوُّر والقاءٌ بالنفس إلى التَّهْلُكَة، والتقصير عنها جُبْن وذل.

ومنها التواضع وهو محمود جداً، والإفراط فيه ضَعة ومهانة، والتقصير عنه تكبّر ورعونة.

ومنها الحياء، والإفراط فيه أُنوثة وضعف والتقصير عنه فظاظة وهَتْك.

ومنها البِشْر والبشاشة، والإفراط في ذلك سُخف وخلاعة، والتقصير عنه جفاء ووحشة، فقس على ما ذكرناه ما لم نذكره مما في معناه. وكذلك القول في العادات من المنام. وتناول الطعام، والمنطق واللباس ونحوها، ينبغي

الأخذ فيها ومنها بالقصد والوسط، فإنَّ كِلَا طرفَيْ قصْدِ الأمورِ ذَمِيم كما يقال.

واعلم أنه قد يخفى حد الاقتصاد في الأمور. ويعسر الوقوف على الوسط منها إلَّا على أرباب البصائر في الدين. الراسخين في العلم واليقين. فمن أشكل عليه شيء من ذلك فعليه بالرجوع إليهم، فإن أعوزه وجودهم كما هو الغالب في هذا الزمان فعليه بالتوقف والتثبت حتى يتبين له الصواب. ومن أحسن الطرق في ذلك عند وقوع الالتباس أن يأخذ في الأمور المستحسنة في الجملة مثل التواضع والسخاء والحياء إلى طرف الزيادة، ويميل في الأمور العادية مثل الأكل والنوم والنطق إلى طرف القلة والاقتصار، هذا عند الالتباس، وإلَّا فالمحمود هو التوسط. ومن طبع النفس ميلُها في الأمور العادية إلى طرَف الإفراط والاستكثار، وفي الأمور الدينية إلى طَرف التقصير والتفريط، فيكون الأخذ بما يخالف هواها في الطرفين من السداد والصواب إن شاء الله تعالى.

وقد أشار حجة الإسلام رحمه الله تعالى في بعض كلامه إلى شيء مما ذكرناه. وبيان ذلك أنه إذا أشكل عليه مثلاً في حال البذل للمال أنه مقَتّر أو مبذِّر، فليمل قليلاً إلى

طرف التبذير، فإنه أحسن من التقْتير والنفس متهمة بدعوى التقتير لغلبة حب المال على النفوس وميلها إلى الإمساك، وإذا أشكل عليه في حال التواضع أنه مائل إلى طرف الإفراط منه أو إلى طرف التفريط مال إلى طرف الإفراط قليلاً لما ذكرناه في خُلق السخاء والبذل، وأما في العادات فإذا أشكل عليه مثلاً في قدر ما يتناوله من الطعام، أو يتعاطاه من المنام، أنه مفْرِط مستكثر، أو مقلِّل مقتصر، فلْيمِل إلى طرف التقلل والاقتصاد، فإن النفس متهمة في ذلك ولها فيه حظ، ولأن التقلل من ذلك والاقتصاد محمود على الاطلاق، ما لم ينته صاحبه إلى ما يضر بعقله أو بجسمه، فاعلم هذه الجملة فإنها مهمة.

ثم اعلم رحمك الله أنه يذكر عن جماعات من أهل الصلاح والتصوف أمور قد تُفهِم ترك الاقتصاد ومجاوزةَ حد الوسط، وذلك في العبادات بالإكثار منها وفي العادات بالمجانبة لها إلى حد تكاد تضعف عنه قوة البشر، وذلك منهم «رحمة الله عليهم» في البدايات محمول على قصد رياضة النفس وتمرينها، وتهذيب أخلاقها، وتلطيف كثافتها، وذلك لا يتم كما ينبغي إلاّ على وجه يشبه الإفراط والمجاوزة للحد، كحال الدابة الجموح الحرُون لا يمكن تذليلها وإسلاسها حتى تستقيم على ما يراد منها من الركوب

والعمل بأن يُقلَّل لها من العلف، وتكلَّف من العمل فوق ما تطيق، إلى أن تنقاد ويذهب جِماحها، فعند ذلك ترد إلى الوسط فهذا وجه ما نقل عنهم من ذلك في البـدايات، وهو وجه صحيـح موافق للحكمة وحسن السياسة.

وأما ما نقل من ذلك عن بعض أهل النهايات منهم فهو محمول على غلبة الأحوال واستيلاء الأنوار والمكاشـفة بالأسرار، حتى يخـرج العبد عن المقتضيـات البشريـة، ويصير إلى حالة تشبه حال الملائكة الكرام من أكثر الوجوه، ويكون ذلك في بعض الأوقات من غير استمرار مطلقاً، وذلك مسلَّم لصاحبه، وهو معذور فيه، ومعدود في باب الكرامات الخارقة للعادات، فمن ذلك ما حكي عن الشيـخ (سهل بن عبد الله) رحمه الله تعالى أنه كان لا يأكل إلا في كل خمسة عشر يوماً فإذا دخل شهر رمضان طوى الشهر كله. وعن أبـي عبيد السري رحمه الله، أنه كان إذا دخل شهر رمضان يدخل في بيته ويأمر زوجته أن تسـدَّ عليه الباب، وتترك كوَّة صغيرة ترمى إليه منها برغيف كل ليلة، فإذا خرج الشهر فتحت عليه الباب فتجد ثلاثين رغيفاً في زاوية البيت. وعن بعضهم أنه كان لا يأكل في السنة إلا أكلة واحدة. وعن سيدنا القطب المقدم (محمد بن علي باعلوي) رحمه الله ونفـع به، أنه مكث في آخر عمره نحو

أربعة أشهر لم يأكل فيها طعاماً ولم يشرب فيها شراباً، فلما كان آخر يوم من حياته أكرهوه على شيء من الطعام. فلما أحس به فتح عينيه وقال ضجرتم مني أو نحو هذا. ثم توفي إلى رضوان الله تعالى. وحكاياتُهم في ذلك كثيرة. عن أهل البدايات منهم وعن أهل النهايات. والوجه فيها ما ذكرناه في الحالين، وفيها وجوه أخرى، وكلها سائغة ومسلَّمة لأهلها نفع الله بهم.

الفصل الرابع والعشرون

اعلم أن الرفق في جميع الأمور مطلوب ومحبوب ومرغَّبٌ فيه شرعاً وعقلاً. ويأتي به ومعه من المطالب والخيرات ما لا يتأتى مثله ولا قريب منه مع العنف والخرق، والرفقُ صفة الحكماء الرحماء من عباد الله الذين اصطفى، قال الله تعالى في وصف نبيِّه سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه ﴿**فَبِما رحمة من الله لِنْتَ لهم ولو كنتَ فظّاً غليظ القلب لانفَضُّوا من حولِك**﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿**خُذِ العفوَ وأْمرْ بالعُرْف وأعْرض عن الجاهلين**﴾ وقال: ﴿**وعبادُ الرحمن الذين يَمشُونَ على الأرض هَوْناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سَلاماً**﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيقٌ يحب الرفق في الأمر كله» الحديث. وقال عليه الصلاة والسلام: «ما كان الرفقُ في شيء إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شانه». ومعنى الرفق محاولة الأمور والأخذ فيها باللطف واليُسر

والوقار والتؤدة. وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام «ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه».

ويحتاج إلى الرفق بالخصوص حاجةً كبيرةً أربابُ المراتب من الناس من أهل الولايات والمناصب الدينية والدنيوية. وبه يتألفون الناس ويحسنون السياسة لهم ويتم لهم به ما هم بسبيله من اجتماع الكلمة عليهم. وكثرةِ الأتباع لهم، وتوفر الأخذ عنهم، ومن لم يأخذ بالرفق من الرؤساء المتبوعين وأخذ بضده من العنف والشدة فقلّما يتم له أمر وتجتمع له كلمة، وإن وقع ذلك قليلاً لبعض من يكون كذلك فيكون بالظاهر دون الباطن مع الكراهية والاشمئزاز والاستثقال.

فظهر أن الرفق هو الخير الصَرف، وأنه لا ينبغي للإنسان العاقل أن يحاول شيئاً من الأمور إلا به، سيما ما يتعلق منها بالناس. من خاصّ كأهله وأولاده وخدمه، ومن عامّ كغيرهم، ولا ينبغي له أن يعدل عنه وهو يمكنه أن يحصِّل مطلوبه ومقصوده معه ولو على تراخ.

وأما إذا خاف من فوات المطلوب أو تشوُّشه مع الرفق

واللطف كما قد يقع ذلك نادراً مع بعض الخلق لِلُؤم ونذالة تكون في فطرهم وطبائعهم بحيث يضرُّ بهم الأخذ معهم بالرفق والمعاشرة لهم باللطف، فينبغي الأخذ معهم بالعنف والشدة ظاهراً على قصد إصلاحهم وتقويمهم، قال بعض العارفين: إن بعض الناس قوالبُ بلا عقول إن لم تقهرهم قهروك، وإلى قريب من هذا يشير قول المتنبي رحمه الله تعالى:

إذا أنــت أكــرمــتَ الــكــريــم مــلكْــتَــه
وإن أنــت أكــرمــتَ الــلــئــيــم تمــرَّدا

ووضــعُ الـنَّـدى في مــوضــع السيف بــالعُــلا
مِضــرٌّ كـوضــع السيف في مــوضــع النَّـدى

ولكن إنما يكون ذلك في نادر من الأحوال، مع شَواذَ من الناس، قلَّ فيهم الخير، وضعفت منهم العقول، وغلبت عليهم الجهالة والحماقة، مع شراسة في طبائعهم وسبعِيَّة في نفوسهم، فلا ينبغي الأخذ بغير الرفق واللطف إلا مع مَن هذا وصفُه، على قصد استصلاحه والاستكفاف لشره وفساده، وعلى ذلك يُنزَّل ما أخذ به بعض الأكابر من ترك الرفق في بعض الأحوال مع بعض الناس.

والرفق هو الأصل والغالب والذي ينبغي أن يعول

عليه إلا عند خشية الإستضرار به واسترسال المفسد في فساده وتعدِّيه، ولم يمكن ردُّه عن ذلك إلا بشيء من الشدة والعنف والغلظة. وقد كان رسول الله ﷺ يأمر بالرفق ويأخذ به في أكثر أحواله وعمومها كما يعرف ذلك من نظر في سيرته واطلع على حديثه وأخباره في تعليمه للجاهل، ومعاشرته للقريب والبعيد، فمن ذلك حديث الاعرابي الذي بال في المسجد وهو مشهور، وحديث الآخر الذي أعطاه ﷺ شيئاً فسخط منه وقال ما لا ينبغي، فهمَّ به المسلمون فكفَّهم عنه ثم زاده شيئاً من العطاء حتى رضي وقال جميلاً. وحديث الشاب الذي قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله ائذَن لي في الزنا فقال له عليه السلام: «أتحبه لابنتك؟ فقال لا، فقال له كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم» الحديث. وفي آخره أنه عليه الصلاة والسلام مسح على صدر الشاب ودعا له فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنا، والأخبار عنه صلوات الله عليه في مثل ذلك كثيرة وكذلك عن الأئمة من بعده والعلماء والصالحين من السلف المهتدين والخلف المقتدين. فعليك بالرفق رحمك الله في جميع الأمور، فإنه مبارك، وله عواقب حسنة جميلة.
﴿وما يُلقَّاها إلاّ الذين صبروا. وما يُلقَّاها إلاّ ذو حظ عظيم﴾.

الفصل الخامس والعشرون

لا ينبغي لأحد ممن يعوَّل عليه أن يعظِّمَ ولا أن يُثْنِيَ على الجاهل وإن كان ممن له نسبٌ شريف وسلفٌ صالح، فإن تعظيمه والثناء عليه في الظاهر قد يفتُنه في دينه، ويغرُّه بالله ويُزهده في العمل الصالح ويلهيه عن التزود لآخرته، ويكون الذي يعظمه ويثني عليه سبباً في فتنته وغروره وكالساعي في هلاكه، فيستوجب بذلك السخط من الله ورسوله ومن السلف الصالحين الذين ينسب إليهم ويتشرف بهم ذلك الجاهل. وكيف يغترُّ أحد بنسب مجرد عن التقوىٰ، أو يعتمد عليه بعد قول رسول الله ﷺ يا فاطمةُ بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً الحديثَ الصحيح وفيه يا بني عبد المطلب، يا فلان يا فلان من قرابته عليه السلام يعمُّ ثم يخصُّ فمضرّة المدح وفتنته على الجاهل عظيمة، وقد أثنى رجل على آخر عند رسول الله ﷺ. فقال: «ويلك قطعت عنقَ أخيك لو سمعها ما أفلح» الحديثَ. وقال عليه الصلاة والسلام: «لأن يمشيَ أحدُكم إلى أخيه بسكِّين مرهَف خيرٌ

له من أن يُثنَي عليه في وجهه».

وإنما يضر المدحُ والثناء الجاهلَ المغرورَ الذي لا بصيرة له في الدين ولا معرفة له ولا يقين، وأما العالمُ البصيرُ العارفُ بربه وبنفسه فليس يضرُّه ذلك. فقد أثنى رسول الله ﷺ على رجال من أصحابه وأُثنِيَ عليهم عنده فلم يزدهم ذلك إلا معرفة وبصيرة بدين الله. وجِدّاً وتشميراً في طاعته وعبادته، وفي الحديث «إذا مُدِح المؤمنُ رَبا الإيمان في قلبه». ولكن أهلُ البصائر وأهلُ النصيحة لأنفسهم قليل، وخصوصاً في هذا الزمان، وأهلُ الجهل والغرور كثير فليحذر المؤمن المتَّقي لربه الشفيقُ على دينه من كلِّ ما يضرُّ به نفسِه، أو يضرُّ به غيرَه من إخوانه المسلمين، نعم، وقد يجري على ألسنة بعض الناس إذا قيل له فعل فلان من أهل البيت النبويِّ كذا وكذا من المخالفات والتخليطات، فيقول هؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ، ورسولُ الله شفيع لهم، ولعل الذنوب لا تضرُّهم، وهذا قول شنيعٌ، يضرُّ القائل به نفسَه، ويضرُّ به غيره من الجاهلين، وكيف يقول أحدٌ ذلك وفي كتاب الله العزيز ما يدل على أن أهل البيت يضاعف لهم الثوابُ على الحسنات، والعقابُ على السيئات، وذلك قوله تعالى:

﴿يا نساءَ النبيِّ مَن يأتِ منكُنَّ بفاحشة مبَيِّنة يضاعفْ لها العذابُ ضِعْفين﴾ الآية والآية التي بعدها، ونساؤه من أهل بيته ﷺ.

ومن قال أو ظنَّ أن تركَ الطاعات وفعلَ المعاصي لا يضر أحداً لشرف نسبه أو صلاح آبائه فقد افترى على الله الكذبَ. وخالف إجماع المسلمين، ولكن لأهل بيت رسول الله ﷺ شرَفٌ، ولرسول الله ﷺ بهم مزيدُ عناية وقد أكثر على أمته من الوصيَّة بهم والحث على حبِّهم ومودتهم. وبذلك أمر الله تعالى في كتابه في قوله تعالى: **﴿قُل لا أسألُكم عليه أجراً إلاّ المودةَ في القُربَى﴾** فعلى كافة المسلمين أن يعتقدوا حبَّهم ومودتهم، وأن يوقِّروهم ويعظّموهم من غير غلوّ ولا إسراف.

ثم إن مَن كان من السادة أهل البيت على مثل أو قريبٍ من سير سلفهم الصالح وطريقتهم المرضية فهو إمام يُهتَدى بأنواره ويُقتدى بآثاره كآبائه المهتدين، فإن منهم الأئمةَ المتقدمين. مثلُ أمير المؤمنين الإمامِ علي بن أبي طالب والحسنِ، والحسينِ سبَطي رسول الله ﷺ ومثلُ جعفر الطيار، وسيد الشهداء حمزة ومثلُ حبر الأمة عبدِ الله بن العباس، وأبيه الإمام العباس عمِّ رسول الله ﷺ، ومثلُ

الإمام زين العابدين عليٍّ بن الحسين، والإمام الباقر وولدهِ الإمام جعفر الصادق عليهم السلام وأمثالهم من سلَف هذا البيت المطهَّر وخلفِهم.

وأما من كان من أهل هذا البيت ليس على مثل طرائق أسلافهم الطاهرين، وقد دخل عليهم شيء من التخليط لغلبة الجهل، فينبغي أيضاً أن يعظِّمُوا ويحترِمُوا لقرابتهم من رسول الله ﷺ. ولا يدع المتأهل للنصيحة نصحَهم وحثَّهم على الأخذ بما كان عليه سلفهم الصالح، من العلم. والعمل الصالح، والأخلاق الحسنة، والسير المرضية، ويخبرهم أنهم أولى بذلك وأحق به من سائر الناس، وأن مجرد النسب لا ينفع ولا يرفع مع إضاعة التقوى، والإقبال على الدنيا، وترك الطاعات والتدنُّس بدَنس المخالفات. وقد تفطَّن لذلك جماعة من الشعراء فضلاً عن الأئمة والعلماء. حتى قال بعضهم:

لعمرك ما الإنسانُ إلّا ابنُ دينه
فلا تتركِ التقوى اتكالاً على النَّسَبْ

فقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارسٍ
وقد وضع الشركُ الحسيبَ أبا لهبْ

وقال المتنبي:

إذا لم تكن نفسُ الشريف كأصلِه
فماذا الذي تُغني رِفاعُ المناصبِ

وقال آخر:

وما ينفع الأصلُ من هاشمٍ
إذا كانت النفسُ من بَاهِلَه

والكلامُ في أولاد الصالحين مثلُ الكلام في أهل البيت النبويِّ بمعنى أن من كان على مثل حال سلفه فهو صالح مثلهم. يعظَّم ويتبرّك به، ومن كان على الجهل والغفلة فينبغي أن يُنصح ويُرشد إلى الصواب، ويُحترم شيئاً من الاحترام لأجل سلفه الصالحين، وكيف لا، وقد قال الله تعالى ما قال في شأن الغلامين والجدار ﴿**وكان تحتَه كنزٌ لهما وكان أبوهما صالحاً**﴾ وقد بلغنا أنه الأب السابع لهما من جهة الأم، فحُفِظا به في أمر الدنيا فضلاً عن الآخرة، فاعلَمْ وافهمْ، وضعْ كلَّ شيء في موضعه، وآتِ كلَّ ذي حقّ حقّه، واستعن بالله تسعدْ وترشُدْ والأمر كله لله.

الفصل السادس والعشرون

إذا أراد الإنسان أن يعرف نفسه من حيث دينُه أهو في ترَقّ وارتفاع، أم هو في نزول وانحطاط؟ فلينظر في أحواله وأعماله التي قد كان عملها في شهر قد مضى، أو عام قد انقضى فإن كان يجدها أحسنَ في نفسه وأفضلَ من الأحوال والأعمال التي هو عليها في أوقاته الحاضرة، وساعته الراهنة، فلْيعلم أنه في نزول وهبوط، وإن كان يرى أحوالَه وأعمالَه التي في وقته الحاضر خيراً وأحسن من أحواله وأعماله السابقة، فليعلم أنه في ترق وصعود، وقد ورد في الخبر أو الأثر «من كان يومه مثلَ أمسه فهو مغبونٌ، ومن كان يومُه شرًّا من أمسه فهو ملعونٌ» أي بعيدٌ عن الرحمة الخاصة ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان.

وبيان ما قلناه على معنى من التفصيل، أنك إذا تفكرت في أيام قد مضت عليك أنك كنتَ ترى في نفسك زهداً في الدنيا، ورغبةً في الآخرة وتورعاً عن الشبهات،

ومسارعةً في الخيرات، ومبادرة إلى الطاعات، وتباعداً عن السيئات ثم لم تجد مثل ذلك ولا أكثر منه في ساعتك الحاضرة عرفتَ بذلك أنك في انحطاط ونزول من حيثُ دينك وإقبالُك على ربك، وسعيُك لآخرتك، فتشفق وتخاف وتأخذُ في الجدِّ والاجتهاد.

وإن ظهر لك المزيدُ في الإقبال والرغبةِ ازددت لله تعالى شكراً ولمنَّته وفضله عليك شهوداً وذِكْراً، ولم تُعجب بنفسك، ولم تنظر إلى حولك وقوتك فإن الأمر كما قال الله تعالى: ﴿ولولا فضلُ الله عليكم ورحمتُه ما زكَى منكم من أحدٍ أبداً. ولكنَّ الله يزكِّي من يشاء والله سميعٌ عليم﴾.

الفَصْلُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ

كلُّ من سَوَّى بين آخرته ودنياه في الاهتمام والحرص الباطن والسعي والطلب الظاهر فهو على غايةٍ من الحماقة، ونهايةٍ من الغباوة، فكيف بمن يكون اهتمامه بدنياه وحرصُه عليها وسعيه لها أعظمَ وأكثرَ من اهتمامه بأخراه وسعيه لها، بل كيف يكون حال من لا يكون له اهتمامٌ بآخرته ولا حرص عليها البتَة، نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العافية من جميع البليَّات والمهالك لنا ولإحبابنا والمسلمين.

وإنما صار الذي سوّى بين الآخرة والدنيا في الحرص والسعي الظاهر على مثال ما ذكرنا من الحماقة والغباوة لتسويته بين ما هو خير وأبقى، وأصفى وأوسع، وبين ما هو دني، زائل، كدِر، منغص ضيِّق، فصار مَثله مَثَل من سوّى بين الجوهرة والبعرة، وبين القطعة من الذهب الخالص والخَزفة، بل أبعدُ وأغرب، ولو لم يكن في الآخرة إلا البقاءُ والسلامة من جميع الآفات لكانت أحقَّ بالرجحان والإيثار.

كما قال بعض السلف الصالح رحمهم الله لو كانت الدنيا من ذهب يَفنَى والآخرة من خزف يَبقَى لكان ينبغي لنا أن نؤثر خَزَفا يبقى على ذهب يفنى، فكيف والأمر على العكس من ذلك؟ انتهى.

فتبين واتضح أن الذي يؤثر الدنيا على الآخرة شاكٌّ مرتاب، والذي يسوِّي بينهما غبيٌّ أحمق، والذي يؤثر الآخرة على الدنيا هو المؤمن الكيِّس الحازم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والهُدى هُدَى الله يهدي به من يشاء وهو الحكيم العليم.

الفصل الثامن والعشرون

أمراضُ القلوب أضرّ وأخطر، وأبشع وأشنع من أمراض الأجسام من جهات كثيرة ووجوه متعددة، وأشدُّ ذلك ضرراً وأعظمُه خطراً أنّ مرض القلب يضرُّ العبد في دينه الذي هو رأس مال سعادته في الدنيا والآخرة، ويضرُّه في آخرته التي هي دار البقاء والدوام والخلود أبد الآباد، وأما مرض الجسم فليس يضرُّ الإنسان إلا في دنياه الزائلة المنقضية على القرب، وفي البدن الذي هو معرَّض للآفات والفناء في أسرع الأوقات، وهو أعني مرضَ الجسم مع ذلك ينفع الإنسانَ في دينه وفي آخرته نفعاً كثيراً، لما رتّبَ الله عليه من الثواب العظيم، ومن الفوائد والمنافع الكثيرة العاجلة والآجلة على وفق ما ورد في الآيات والأخبار من ثواب الأمراض والمصائب النازلة بالأجسام.

ثم إن أمراض القلوب لما كانت لا تدرك بالحس ولا يجد الإنسان لها ألماً محسوساً خفيت وتعسَّر العلمْ بها

والوقوفُ عليها، وقلَّ الاهتمام لها، وضعفت العنايةُ بطلب مداواتها وعلاجها، وهي كما قال الإمام الغزالي رضي الله عنه كَبَرصٍ على وجه من لا مِرْآة له، وإذا أخبره غيره به ربما لم يصدقه.

وأيضاً فالآلام والعقوبات التي ورد الوعيد بها على أمراض القلوب في الدار الآخرة أمر يستبعده الغافلون ويرونه شيئاً متراخياً، وربما تشككوا فيه والعياذُ بالله، أو طمعوا في السلامة منه والخلاص بخواطر تخطُر لهم من خواطر الرجاء الكاذب، من الاغترار بالله، ومن أماني المغفرة والنجاة من غير سَعي لذلك فمن هذه الحيثيات وأشباهها خفِيتْ أمراض القلوب وتمكنت، وتهاونَ الغافلون بها. وبطلت مداواتها، حتى ربما قد يعلم أحدهم بالمرض في قلبه أو الأمراض فلا يهمه ذلك، ولا يلقى له بالاً، ولو علم بمرض في جسمه أو أعلمه به غيره لعَظُم اهتمامه به واشتدَّ خوفه منه وحَرَص واجتهد في مداواته ومعالجته وسعي في ذلك بكل ما يمكنه ويقدر عليه، وسبب ذلك ما ذكرناه من أن مرض القلب لا يُدرك بالحس، ولا يُشعر له بألم في الحال وأن العقوباتِ الموعودَ بها عليه غائبة وواقعة بعد الموت وفي الدار الآخرة، والغافل يستبعد الموت ويستبعد

ما بعده، ولو أنه عقل واستيقن لعلم أن الموت أقرب غائب ينتظر، كما قال عليه الصلاة والسلام، وكما قال أيضاً صلوات الله عليه وسلامه: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شِرَاك نعله» والنار كذلك.

وأمراض القلوب كثيرة، ومن أخطرها وأضرِّها الشكُّ في الدين والعياذ بالله ومنها ضعفُ الإيمان بالله ورسوله والدار الآخرة، ومنها مراءاة الخلق بطاعة الله، والكبرُ على عباد الله، والشحُّ والبخلُ والحسدُ والحقدُ والغشُّ للمسلمين، ومحبةُ الدنيا، والحرصُ عليها، وطولُ الأمل ونسيانُ الموت، والغفلةُ عن الدار الآخرة، وتركُ العمل لها. إلى غير ذلك من أمراض القلوب وعِلَلها.

ولما كانت القلوب في حكم الاحتجاب عن الحس وليس لأمراضها ألمٌ يُدرَك بالآلات الظاهرة، تعين على العاقل الذي يهمُّه أمر دينه وسلامة آخرته أن يسعَى في تعرّفها ويحرصَ على طلب الوقوف عليها، حتى يأخذ في علاجها ومداواتها، من قبل أن يفاجئه الموت، ويصيرَ إلى ربه، فيلقاه بقلب غير سليم، فيخسَر ويهلِك مع الهالكين.

وتُعرَف أمراض القلوب ويستدل عليها بالعلامات

والأمارات الظاهرة، التي تُخبِر عنها وتُعرِّفُ بوجودِها، وهي كثيرة، ومن أظهرها التكاسلُ عن الطاعات، والتثاقل عن فعل الخيرات والحرصُ على شهوات الدنيا وشدةُ الميل إلى لذاتها، والرغبةِ في عمارتها وطولِ البقاء فيها، وأشباه ذلك من أحوال أهل الغفلة وأوصاف المعرِضين عن الله تعالى، فإذا ظهر له من أمثال هذه العلامات ما يعرف به مرض القلب وجب عليه أن يسعى في مداواته ومعالجته.

وأبلغ الطرق في ذلك وأقربها إلى حصول القصد من ذلك، أن يطلب له شيخاً عالماً عارفاً من أهل القلوب والسرائر، فإن لم يجده فأخاً صالحاً ناصحاً يستعين برأيه وإشارته في تعرُّف أمراض قلبه ومداواتها، فإن لم يظفر به كما هو الغالب من أحوال أهل الزمان من قلَّة المعاونين على الحق والخير، فعليه بُكُتب أئمة هذا الشأن التي ألفوها في وصف أمراض القلوب وتعريف الطرق إلى مداواتها. وأجمعُ الكتب المؤلفة في ذلك وأنفعُها كتابُ (إحياء علوم الدين) سيما ربع المهلكات منه، فإنه مؤلف بالقصد في معرفة أمراض القلوب والطرق إلى معالجتها، وعلاماتها الدالة على وجودها، وقوتها وضعفها إلى غير ذلك، ولكن ليست الكتب تنزل في حصول المقصود منزلة الشيخ

العارف والأخ الصالـح، ولكنها حيلة من فقدَهما وتعذرَا عليه والله تعالى يعين الطالب على قدر همته وصدقه وحسن رغبته وهو سبحانه الولي المعين.



الفَصْلُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ

من لم يستطـع أو لم ينشط لفعل الخير كلِّه فلا ينبغي له أن يتركه كلَّه، بل يفعل منه ما يستطيـع وما يتيسر عليه، فإن الخير يدعو بعضه إلى بعض، والصغير منه يجرُّ إلى الكبير، والقليلُ منه يدعو إلى الكثير والخيرُ عادةٌ كما ورد.

كذلك من عجز عن ترك الشر كلِّه، فينبغي له أن يترك ما يتيسر عليه تركُه منه، وخيرٌ وشرٌّ أخف وأيسر من شرّ محض، والحسنات يذهبن السيئات وفي الحديث «أتبـعِ السيئةَ الحسنةَ تمْحُها»، وفي الحديث الآخر: «إذا عملتَ سيئة فاعمل بعدها حسنة تكفِّرْها السرُّ بالسـر والعلانيـةْ بالعلانية». أو كما ورد.

وإذا ابتُلي العبد بالشر والمعصية فلا ينبغي له أن يُدْبر عن الله وعن فعل الخير والطاعة بالكلِّية فلا يبقى بينه وبين ربِّه طريقٌ إلى المصالحة والرجوع إليه، وليعتبِر بقصة اللص الذي كان يقطـع الطريق، ويسفك الدماء وينهَب أموال

المسلمين، فرآه بعض الصالحين يفعل تلك المحرمات، وهو مع ذلك صائم، فقال له يا هذا تفعل ما تفعل وتصوم؟ فقال: نعم أدَع للصلح موضعاً ولا أقطع الطرق كلِّها بيني وبين ربي، قال فرأيته بعد مدة وهو يطوف بالكعبة وقد تاب، فقال حين رأيته: إن ذلك الصوم أوقع الصلح بيني وبين ربي، هذا معنى الحكاية.

فتبين بما ذكرناه أن الذي ينبغي للعبد أن يكون على الخير المحض، والطاعة الصِّرف فإن لم يتيسر له ذلك وعوَّقته عنه نفسُه وشهواتها، وأوقعته في شيء من الشرور والمعاصي فلْيتعلق ويستمسكْ من الخيرات والطاعات بما أمكنه وتيسر عليه. والله هو الولي الحميد.

الفصل الثلاثون

للصحبة والمخالطة والمجالسة أثرٌ كبير في الصلاح والنفـع، وكذلك في الفساد والضرر. عند مصاحبة ومخالطة ومجالسة الصالحين والأخيار، أو الفاسقين والأشرار، ولكن قد لا يظهر ذلك مرة واحدة، بل بالتدريـج وطول زمان الصحبة والخلطة في الخير مـع أهله أو في الشرِّ مـع أهله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «المرءُ مـع جليسه» و «المرء على دِين خليله، فلينظر أحدُكم من يُخالل». وقال عليه السلام: «مثَل الجليس الصالـح كبائـع المسك، إما أن يَحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه رائحة طيبة، ومثَلُ الجليس السوء مثل نافـخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة».

ومن أراد أن يعرف من خليطه وجليسه الزيادة في إيمـانه وديـنـه وعمله، أو النقص في ذلك، فلينـظر قبل المخالطة والمجالسة فيما عنده من معاني الإيمان والدين،

وفيما هو عليه من الأخلاق الحسنة، والنيات المحمودة والعزائم القويَّة على العمل بالطاعات والحسنات، ثم يخالط ويجالس ثم ينظر بعد ذلك فيما تقدم ذكره، فإن رآها قد ازدادت قوة وتأكداً، وقد ازداد هو فيها رغبة وعليها حرصاً فيعلم أن تلك المخالطة وتلك المجالسة قد نفعته في دينه وفي قلبه، وأنه إن داوم عليها وواظب أفضَتْ به إلى نفع كبير، وخير كثير إن شاء الله، وإن نظر بعد المخالطة إلى ما عنده من تلك المعاني الدينية فرأى فيها ضعفاً ورِكَّة، فليعلم أن تلك المخالطة قد ضرَّته في دينه وفي قلبه ضرراً ظاهراً، وإنه إن داوم عليها أفضت به إلى إضرار كبير وشر كثير والعياذ بالله.

وكذلك ينظر فيما لديه وفي نفسه من معاني الشَّر قبل المخالطة ثم بعدها.

وبهذا الميزان الذي ذكرناه فلْيزِن أحواله في ضده مع مخالطيه ومجالسيه، ثم ليعلم أن الحكم من ذلك للأقوى والأغلب في الخير والشر.

والمعنى أن الخير متى كان أقوى وأغلب كان المرجوُّ للمخالط من أهل الشر الانجرارَ إلى الخير وأهله، ومتى كان

الشر هو الأقوى والأغلب كان المخوف على أهل الخير الانجرارَ إلى الشر وأهله، وهذه معانٍ دقيقة يعرفها أهلها من ذوي البصائر والتجارب، في أمثال هذه المسالك. والتفصيل فيها يحتاج إلى تطويل، وقد قال صلوات الله عليه وسلامه: «الجليس الصالح خيرٌ من الوحدة والوحدةُ خيرٌ من جليس السوء». وقد أوتي صلوات الله وسلامه عليه جوامع الكِلم ما لم يُؤتَه غيره من الأولين والآخرين.

الفصل الحادي والثلاثون

خُبْرُ المؤمن التقيِّ خَيرٌ وأطيب من خَبرهِ وذِكره، وإن كان خَبره وذكره حسناً طيباً. وكلما ازددْتَ به معرفة وله خلطة ومعاشرة ازددْتَ له محبةَ وتعظيماً، لما تعرفه وتراه في مخالطته ومعاشرته من إقباله على الله، وتعظيمه لأمر الله، ومسارعته في مرضاة الله، ومواظبته على طاعة الله، ومجانبته ومباعدته لمعاصي الله وشدةِ تحفُّظه واحترازه عن مساخط الله.

وخُبْرُ المنافق الفاجر شرٌّ من خَبره وأخبث من ذكره. وإن كان خَبره وذكره شراً وخبيثاً أيضاً. وكلما ازددْتَ به معرفةً وله مخالطةً ازددْتَ لهُ بُغْضاً ومقتاً، لما تطَّلع عليه وتراه منه من التهاون بأمر الله، والمسارعة في مساخط الله، والتثاقل عن طاعة الله، وقلة المحافظة على فرائض الله.

فتعرف بما ذكرناه أن خُبرُ المؤمن خَيرٌ من خَبره وأطيب وأن المنافق على الضد من ذلك.

وكذلك ينبغي أن تعتبر على قريب من هذا المعنى أصحابَ المراتب الدينية، من العلماء والصالحين، وأصحابَ المراتب الدنيوية، من الملوك والسلاطين. **فإن** كان بحيث يكون الأقرب منهم والمتصل بهم على خير وصلاح، دلَّ ذلك على خيرهم وصلاحهم واستقامة أمورهم. وإن كان الأبعد من المتّصلين بهم على خلاف ذلك، ويكون سببه من جهة أصحاب المراتب إما ضعف عن القيام بحقوق ما تعرضوا له من حقوق تلك المراتب، أو غفلة عن ذلك وتشاغل بغير ما هو الأولى بهم والأوجبُ عليهم.

وكلما كان الأبعد منهم أقل خيريَّة واستقامة والأقرب أكثر صلاحاً وخيرية، دل ذلك على خيريَّة أصحاب المراتب واستقامتهم، ولكن مع ضعف عن القيام بما حملوه، أو غفلة عن حسن النظر والتفقد لما وُلُّوه، وقد يكون سببُ ذلك اتساعَ الدوائر، وانتشار الرعايا، وإلى نحو ذلك يشير قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في آخر أيام خلافته: اللهم إنه قد كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبِضني إليك غير مفتون ولا مضيَّع، أو كما قال، وقال أيضاً لو ماتت سَخلة على شاطىء الفرات ضَياعاً لخشيت أن أسأل عنها.

فتبين بما ذكرناه أن المراتب الكبيرة، والدوائر الواسعة، لا يصلح ولا يتأهل للقيام بها مَن فيه ضعفٌ عن القيام بذلك، وعن حسن النظر والتفقد لما هنالك، ولعل ذلك وما في معناه هو الذي حمل بعض الأكابر في الدين على البعد عنها، والفرار منها، إيثاراً لجانب السلامة التي هي إحدى الغنيمتين، كما قال عليه الصلاة والسلام: «نفسٌ تحييها خيرٌ من إمارة لا تُحصيها» أي لا تطيق القيام بها، والله سبحانه أعلم.

الفصل الثاني والثلاثون

صحبةُ أهل الدين وأهل الخير من العلماء العاملين، وعباد الله الصالحين ومخالطتُهم ومجالستُهم محبوبةٌ ومرغَّب فيها، وفيها منافع وفوائد عاجلة وآجلة، ورَدت بها وفيها الأخبار والآثار الكثيرة، ولكنَّ الناس في طلب ذلك، والحرص عليه، والرغبة فيه على نيَّات ومقاصدَ ومطالبَ شتى، أعلاهم وأولاهم في ذلك من يصحَبُهم ويخالطُهم ليعلم من علومهم، ويتأدب بآدابهم، ويشاهد من أخلاقهم الحسنة، وصفاتهم المحمودة، وأعمالهم الصالحة وأقوالهم الطيبة، ما يَقْتَدي بهم فيه، ويطالب نفسه، بالاتصاف والتخلق به والعمل به، وليس له همٌّ ولا قصد إلاَّ ذلك، ولا سعيٌ إلاَّ له، ولا حرصٌ إلاَّ عليه.

ومنهم من يصحبهم ويخالطهم محبةً لهم، ولما هم عليه من إيثار دين الله، وإقامة أمره، والإشتغال بطاعته، والعمل بما يقرِّب منه ويُزْلِف لديه، من العلوم النافعة،

والأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، فهو يحبُّهم لذلك، ويرغَب في مخالطتهم، ويتشبّه بهم، ويطالب نفسه في أن تعمل وتتخلّق بما يساعده عليه الفراغ ويتيسر له من ذلك، وما لم يتيسر له منه فهو يتأسف على فوته، ويودُّ أن لو وُفق له وتمكَّن منه، وفي مثله يقال: «المرء مع مَن أحب»، «ومَن تشبه بقوم فهو منهم».

ومنهم من يصحبهم ويخالطهم لتناله بركتهم، وصالح دعواتهم، من غير أن تكون له نية ولا عزيمة في الاقتداء بهم والتشبُّه بسيرهم، فذلك لا يخلو من بركة وخير، وهو داخل تحت عموم ما ورد في الحديث القُدسي «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» حتى إن الذي يجالسهم ليتحصن بيُمْن مجالستهم وبركتها من الظالمين والمعتدين، من شياطين الإنس والجن، لا يخيب ولا يحرم من بركتهم، وإنما يحرم ويَخيب من تكون نيته في صحبتهم والاختلاط بهم أن يُعرف بذلك بين الناس، فيتوصَّلَ به إلى شيء من الأمور المحظورة المحرَّمة في الشرع على توهُّم منه وظنّ فاسدٍ أن الناس إذا عرفوه بخُلطة أهل الخير والصلاح وصحبتهم لا يظنون به ولا يتوهَّمون فيه أنه يرتكب المحارم، ويقتحم المحظورات، فلا يُستبعد مثل ذلك، فإنه قد يكون

من بعض المخذولين المسخوط عليهم. وقد ذكر حجة الإسلام رحمه الله في أقسام الرِّياء في المراءَى لأجله، أن بعضهم يرائي بإظهار الطاعات ليعرف بذلك، فيتمكن به من أفعال الفجور. فإذا كان مثلُ ذلك قد يكون، ففي خُلطة الصالحين يكون مثله، والشيطان عدوٌّ مبين، وله أنواع كثيرة من التلبيس والتزوير، التي هذا من جملتها، وله منها أشياء أخطرُ من هذا وأنكرُ، وأشرُّ منه وأضرُّ، نسأل الله العافية والحفظ، فإنه خير الحافظين.

الفَصْلُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثونَ

طلب الحلال فريضة بعد الفريضة، وفي أكله ولُبسه والاقتصارِ منه على قدر الضرورة والحاجة فوائدُ جليلة، ونتائـجُ جميلة، ومنافـعُ كثيرة، وثمراتٌ عزيزة خـطيرةٌ، وهو أصلٌ كبير في تزكيةِ القلب وتطهيره، وتلطيفه وتنويره وتحليته وتزيينه بالعقـائد الشـريفة المستقيمـة، والصفات المنجيات والأخلاق الحسنة، والجوارح بالأعمال الصالحة والطاعات الخالصة، والأقوال السديدة.

ثم إن الحلال على درجات (أعلاها) وأطيبُها الحلال المطلق الباقي على الإباحة الأصلية من جميـع وجوهه، وذلك كالماء الفرات وكالحشيش النابت في الموات، وصيد البر والبحر المأكول الذي يمكن الإنسانَ تناولُه والاجتزاء به، فإذا أخذه الإنسان وتناوله على الوجه السائـغ شرعاً مـع الإحتياط في ذلك، وعلى نية التّقوى والاستعانة به على طاعة الله وعبادته وإقامة أمـره، ومقتصراً منـه على قدر الضرورة، والحاجة كان بذلك آخذاً للحلال المطلق.

وقد كان من السلف الصالح رحمهم الله مَن اقتصر على أكل الحشيش حتى اخضرَّ جسده. وكان سفيان الثوري وإبراهيمُ بن أدهم رحمة الله عليهما إذا لم يجدا الحلال الذي هذا وصفه يسْتَفَّانِ الرمل، وكان يقوم لهما بالتغذية مقام الطعام، ومن الحشائش الموجودة في بعض الجبال والأودية ما يمكن الإنسانَ التناولُ له والاقتصار عليه. والله يعين العبد على قدر نيته وقصده.

(الدرجة الثانية) من درجات الحلال ما يكون حلالاً مطلقاً صافياً من إحدى جهتيه دون الجهة الأخرى. ومثالُه من يأخذ الحشيش والحطب من الأودية مع الاحتياط في أخذ ذلك، ثم يحمله إلى الأماكن التي يباع فيها فيبيعه ويشتري بثمنه ما يحتاجه من طعام وغيره، ويُراعي أسباب الوَرَع في جميع ذلك، مع الاقتصار في طعامه ولباسه على ما لا بدَّ منه، وقد درج على مثل ذلك جماعةٌ من السلف الصالح.

(الدرجة الثالثة) من درجات الحلال الذي لا يكون من جهتيه جميعاً من ذلك الحلال المطلق، ولكن يحصِّله صاحبه بالاكتساب بصناعة، أو حرفة، كالوِراقة، والخياطة، والتجارة، ونحو ذلك، وبتعاطي أسباب التجارة، من البيع

والشراء، ونحوهما، وهو في جميع ذلك يأخذ بالتقْوَى، والـوَرع، والتحرِّي، والاحتيـاط، على نية صـالحـة في الاستعانة بما يحصِّله من ذلك على طاعة الله، وإقامة أمره، وعلى الاقتصار على ما لا غِنى له عنه في طعامه، ولباسه، وسائر حاجاته، وعلى نية التصدق والبذل بما زاد عنده من ذلك في وجوه الخير، وسبل المعروف والبِرِّ لـوجه الله تعالى.

(**الدرجة الرابعة**) من الحلال أحوال المخلِّطين الذين لا يحتـرزون في معامـلاتهم أخذاً وتـركـاً من الشبهـات ولا يتحرَّون فيها. والغالب عليهم التساهـلُ، وقلةُ الأخذ بالتقوى فيما يأخذون ويتركـون، حتى تكثر الشبهـة في أمـوالهم، والتخليطات فيمـا بأيـديهم، وفيهم يقال: من لم يُبالِ من أين يأخذ الأموال، لم يُبال الله به من أيِّ باب يُدخِله من أبواب النار.

فهذه الأربـع الدرجات هي درجات الحلال. وتقابلها أربـع من الدرجات هي درجات الحرام والمحظورات. والشبهات والمشكلات.

(**الأولى منها**) الحرام المطلق الذي لا يحل بوجـهٍ إلا عند الاضطرار، وذلك مثل الميتة والدم، ولحم الخنزير،

والخمر **(والدرجة الثانية)** ما هو حلال في نفسه، كالحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، ولكنه مملوك لغيرك، فإنه لا يزال محرَّماً عليك، إلى أن يصل إليك بوجه سائغ في الشرع، من الشراء، والهبة، والإرث. ونحو ذلك. **(والدرجة الثالثة)** الشبهات التي أصلها الحرام، وإنما تصير حلالاً بأمر مشكوك فيه، لا يأخذ به أهل الحق والتقوى، ولا يعوِّلون عليه، وإنما يقع فيه ويسارع إلى الأخذ له من قلَّ علمه وتقواه، وغلبت عليه نفسُه وهواه. ومن هذه الدرجة أيضاً الشبهات التي أصلها الحلال، ثم وقع الشك في تحريمها لمقتضٍ اقتضاه، أو شكّ عرض فيه، وفي الحديث الصحيح «من وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه». وفيها أيضاً حديث عُقبَة المشهورُ في المرأة التي كان تزوجها، فجاءته امرأة سوداء فزعمت أنها أرضعته، وأرضعت المرأة التي تزوج بها، وأمثلة هذا القسم كثيرة. وقد أطال التفصيل في أقسامها حجة الإسلام رحمه الله، في كتاب الحلال والحرام من الإحياء.

وأما المشكلات فأكثرها أو الكثير منها ما هو حلال في ظاهر العلم، ولكن يكون في أخذه تساهلٌ وقلة مبالاة مع

من يعامله ويأخذ من يده، وإسراف وتبذير وتوسُّع وتنعُّم، فعند ذلك يضيق الحلال، وتغلب المجازفة على الإنسان فيما يأخذه، وفي معاملته وما يتقلَّب فيه من أنواع الشهوات، وأصناف التنعمات. وقد قالوا الحلال لا يحتمل السَّرف. وفي الحديث «لا يبلغ العبد درجة المتَّقين حتى يترك ما لا بأسَ به حذراً مما به بأس» ومن كلام بعض الصحابة رضي الله عنهم، كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافةً الوقوع في الحرام، وفي حديث الحسن ابن علي رضي الله عنهما ما يشير إلى ذلك «دعْ ما يُرِيبك إلى ما لا يُرِيبك» والله أعلم.

الفصل الرابع والثلاثون

من أضر الأشياء على الإنسان في حال صلاته، وتلاوته للقرآن، وذكره لله تعالى، وساوسُ الصدر، وكثرة الخواطر، وحديث النفس بالماضيات والمستقبلات، وإذا استغرق القلب بها وأمعن فيها أفسدت عليه حقيقة هذه العبادات ومعناها، وما هو المراد منها، وربما تفسد عليه صورةَ العبادة والظاهرة منها، فيصير حاله كحال من لم يقم بها أصلاً، أو أسوأ حالاً منه، كما يعرف ذلك من يهتم له ويجرِّبه ممن يهمه أمرُ دينه، والقيامُ بحق ربّه، والسعي لآخرته.

ثم إن كانت تلك الخواطر وأحاديث النفس بطاعات لا تعلق لها بما هو فيه فذلك من خداع الشيطان وتلبيسه على الإنسان، وترويجه الشرَّ في معرض الخير، وإن كانت بأمور من المباحات كان ذلك أنزل وأسفل، وإن كانت بأمور أخرى من المعاصي والسيئات كان ذلك أسوأ وأقبح، وربما

يُصَد العبدُ بسببها عن حضرة الله تعالى ويكون من الممقوتين والمبعدين.

فليحذر العبد من ذلك كل الحذر، ولا يُخَلِّ نفسه وأحاديثها ووساوسها التي لا خير فيها، وهو بين يدي الله تعالى يذكره ويناجيه ويصلِّي لوجهه، ويتلو كتابه العزيز ﴿ومن جاهد فإنّما يجاهد لنفسه إن الله لغنِيٌّ عن العالَمين﴾ ﴿وما يُلقَّاها إلاّ الذين صبَروا وما يُلقَاها إلاّ ذو حظ عظيم وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ من الشيطان نَزْغٌ فاستعذْ بالله إنّه هو السميعُ العليمُ﴾.

الفصل الخامس والثلاثون

الاستقامة على الصراط المستقيم والسبيل القويم الموصل إلى الله تعالى من غير اعوجاج بحالٍ ولا زيغٍ أمرٌ متعذرٌ ومتعسرٌ جدّاً إلاّ على الأنبياء المعصومين، والأكابر الصديقين، من الأولياء المحفوظين، قال الله تعالى لرسوله الأمين: **﴿فاستقِم كما أُمِرْت ومن تاب معك ولا تطْغَوْا إنّه بما تعملون بصيرٌ﴾** إلى قوله: **﴿واصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين﴾** وقال تعالى: **﴿فاستقم كما أُمرت ولا تتّبع أهواءَهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾**، إلى قوله: **﴿وإليه المصير﴾**، وقال تعالى: **﴿إنَّ الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾** إلى قوله: **﴿نزُلا من غفور رحيم﴾** وقال تعالى: **﴿إنَّ الذين قالوا ربنّا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أُولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾**، وقال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تُحصوا، ولكن سدِّدوا وقارِبُوا، واعلموا أنّه لن ينجوَ أحدٌ بعمله، فقالوا ولا أنت يا

رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغَمَّدني الله برحمة منه وفضلٍ».

وقال سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قلت يا رسول الله قلْ لي قولاً في الإسلام لا أسأل عنه أحداً غيرَك، فقال: قل آمنتُ بالله ثم استقم. وقال عمر رضي الله عنه: استقيموا ولا تَرُوغُوا روَغَان الثعالب.

والاستقامةُ هي الخصلةُ الجامعةُ للعلوم النافعة، والأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، مع الثبات والاستواء، من غير تزلزلُ ولا اضطراب، ولا زيغ ولا التواء وقد قال بعض السلف: الكرامة الجامعة هي الاستقامة، وقد رأى بعض الصالحين رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله، إنك قلت حين قيل لك قد شِبْتَ يا رسول الله: شيبتني هود وأخواتها، فما الذي شيَّبك منها، فقال عليه السلام قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ انتهى وفي الأحاديث الواردة شيَّبتني هود وأخواتُها، إنه هلاك الأمم، قوله تعالى فيهم ﴿ألا بُعداً لعاد﴾ ﴿ألا بُعداً لثمودَ﴾ ﴿ألا بُعداً لمدين﴾ وهذا لا ينافي ما ذكره الرائي في تلك الرؤيا، بل كل ذلك في محله، وله محمل صحيح، وما جاءت به الرواية أعلى وأتم، مما وقع في الرؤ يا وإن كانت صالحة من صالح والله أعلم.

الفصل السادس والثلاثون

قال الله عزَّ من قائل كريم: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، الّم، ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه، هدىً للمتقين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وأُولئك هُم المُفلحون﴾، وقال تعالى: ﴿تلك الدارُ الآخرة نجعلُها للّذين لا يريدون عُلوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبةُ للمتقين﴾ وقال تعالى: ﴿مَن كان يريد حرْث الآخرة نَزِدْ له في حَرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما لَه في الآخرة مِن نصيب﴾.

وقال ﷺ: «الكيِّسُ من دَان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبعَ نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني» وقال ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كُن في الدنيا كأنَّك غريب، أو عابرُ سبيل وعُدَّ نفسك من أهل القبور» الحديث.

ولما نزل قوله تعالى: ﴿أفمَن شرَحَ الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ سألوه صلوات الله عليه

وسلامه عن ذلك الشرح، فقال إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح، فقالوا هل لذلك من علامة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود والاستعدادُ للموت قبل نزوله» فمن تأمل هذه الآياتِ الكريماتِ، وهذه الأحاديث الصحيحة وما في معناها من آيات الكتاب العزيز والأحاديثَ النبويةَ وما جاء عن صالحي السلف رحمهم الله من أكابر الصحابة، وصالحي التابعين. والتابعين لهم بإحسان. وكان موقناً بالله ورسوله واليوم الآخر وما فيه من الوعد والوعيد والعذاب الأليم للكافرين والفاسقين، ومن النعيم المقيم في جنات النعيم للمؤمنين من المتقين والمحسنين، زَهِد في حُطام هذه الدار. وفي شهواتها الفانية المكدِّرة، المنغِّصة التي لا تصفو. ولا تدُوم. وعظمت رغبتُه في الدار الباقية، التي يدوم نعيمُها ويتخلَّد، ويصفو عن جميع الأكدار والمشوِّشات، وشمّر عن ساق الجِدِّ، وجَدَّ واجتهد، واستغرق جميع أوقاته، وساعاته، وأنفاسه وجميعَ حالاته وحركاته وسكناته، فيما يعود عليه بالنفع في الدار الآخرة وينجو به من سَخَط الله وعذابه، ولم يدخل في شيء من أمور الدنيا إلا فيما لا بد له منه في الاستعانة على التفرغ

للعلوم النافعة، والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة، من البلاغ والوصولِ إلى ما هو بسبيله. فأما ما كان من الشهوات واللذات والتمتعات التي هي من شأن الغافلين والمعرِضين الذين هم أشباه الأنعام والبهائم الذين قال فيهم تعالى: **﴿أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ وأولئك هم الغافلون﴾** فيترك مشاركتهم فيها ومزاحمتهم عليها. ويكون كما قال الإمام الشافعي رحمه الله.

«ومن يجهل الدنيا فإني عرفتها وسيقَ إلينا عَذْبُها وعذَابُها»
«وما هي إلا جِيفةٌ مستحيلةٌ عليها كلابٌ همّهن اجتذابُها»
«فإن تجتنبْها عِشتَ سِلماً لأهلها وإن تجتذِبْها جاذبتك كلابها»

وقال الآخرُ:

«إذا امتحنَ الدنيا لبيب تكشَّفت له عن عدوّ في ثيابِ صديق»

وقال آخرُ:

«تنحَّ عن الدنيا ولا تخطُبَنْها فلا تخطبَنْ قتَّالةً من تُناكحُ»
«فليس يفي مرجوُّها بمخوفها ومكروهُها إذا ما تأملتَ راجحُ»

إلى آخرها. والقصدُ أن العاقل اللبيب، والحازم الأريب، هو الذي يجعل أعظم اشتغاله، وجُلَّ أوقاته في

عمارة آخرته، والتزودِ لمعاده، ولا يصرف منها شيئاً إلّا فيما لا بد له منه من الاعانة على ذلك، مع الاحتياط والقرب من القِلّة، ويكتفي باليسير من كل شيء من أمتعة الـدنيا، ويستمتـع ويُصْغِي إلى قول نبيِّه عليه أفضل الصلاة والسلام «ما لي وللدنيا إنما مَثَلي ومَثَلها كراكبٍ سار في يوم صائِف، فقَالَ تحت شجرة ثم راح عنها وتركها» وقال عليه الصلاة والسلام: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناحَ بعوضة ما سقَى منها كافراً شربة ماء» وقال عليه الصلاة والسلام: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» والله الموفق وهو الوليّ والمعين.

الفَصْلُ السَّابِعُ وَالثَّلاثُون

قال الإمام الشافعي رحمه الله: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة. وقال البستي في قصيدته المشهورة:

«زيادةُ المرءِ في دنياهُ نقصانُ ... وربحُه غيرَ محض الخيرِ خُسرانُ»

وقال الإمام اسماعيل المقري في قصيدته التي ينصح فيها ولده وأولها:

«إلى كم تَمادٍ في غرور وغفلةٍ
وكم هكذا نومٌ إلى غير يقظةِ»
«أتُنفق هذا في هوى هذه التي
أبى الله أن تَسوَى جناح بعوضة»
«ولو نلت منها مالَ قارونَ لم تَنَل
سوى لقمةٍ في فيك منها وخِرقة»

إلى آخر ما أوصى به رحمه الله تعالى فتبين مما ذكرناه في الفصل السابق، وفي هذا الفصل أن الذي ينبغي للعاقل

الموقن الكيِّس الفطِن، أن لا يشتغل إلَّا بآخرته وبالعمل لها، وبما يعين عليها مما لا بدَّ له منه في معاشه، على الوجه الذي ذكرناه في الفصل السابق. **﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه. إن الله لَغَنيٌّ عن العالمين﴾ ﴿وما يلقَّاها إلاّ الذين صبَرُوا وما يُلَقَّاها إلا ذو حظّ عظيم﴾**.

الفصل الثامن والثلاثون

قال حجة الإسلام رحمه الله في آداب الاستعداد لسائر الصلوات من البداية ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مهملة، فتشتغل في كل وقت منها بما أتفق وكيف اتفق. بل ينبغي أن تحاسب نفسك، وترتب أورادَك ووظائفك في ليلك ونهارك وتُعيِّن لكل وقت شغلاً لا تتعداه ولا تؤثر فيه سواه. فبذلك تظهر بركة الأوقات، فأما من ترك نفسه سُدًى مهملاً إهمال البهائم، لا يدري بماذا يشتغل في كل وقت. فينقضي أكثرُ أوقاته ضائعة، وأوقاتك عمرُك وعمرُك رأسُ مالك، وعليه أصل تجارتك، وبه وصُولك إلى نعيم الأبد في جوار الله تعالى، فكل نَفس من أنفاسك جوهرة لا قيمة لها، إذ لا بدل له، وإذا فات فلا عودَ له. فلا تكن كالحمقى المغرورين الذين يفرحون في كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم، فأي خير في مال يزيد وعمرٍ ينقص فلا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح، فإنهما رفيقاكَ، يصحبانك في قبرك حيث يتخلف عنك أهلك ومالك وولدك وأصدقاؤك. انتهى.

ثم قال رحمه الله في هذه الآداب واعلم أن الليل والنهار أربـع وعشرون ساعة فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثرَ من ثمان ساعات، فيكفيك إن عشت ستين سنة مثلاً أن تضيِّع منها عشرين سنة وهو الثلث. إلى أن قال رحمه الله فإن فعلتَ ذلك يعني ذكرَ الموت، والاستعدادَ له، والصبرَ على طاعة الله تعالى فرحت عند الموت فرحاً لا آخر له. وإن سوّفتَ وتساهلت جاءك الموت في وقت لا تحتسبه. وتحسرت تحسراً لا آخر له «وعنـد الصباح يَحمَـدُ القومُ السُّرى». وعند الموت يأتيك الخبر اليقين، ولتعلَمَنَّ نبأه بعد حين. انتهى ما ذكره من هذه الآداب في بداية الهداية. وهي نهاية.

ويكفي العاقل الناسك المستيقظ العلمُ بما في هذا الكتاب المختصر عن غيره من الكتب المطـولـة في هذا الفن. وقد قال بعض علماء الشاذلية يكفي الصوفيَّ المبتدي ما أودعه الإمام الغزالي رحمه الله ونفـع به في (البداية) والمتوسطَ ما أودعه في (منهاج العابدين)، والمنتهِي ما أودعه وجمعه في (إحياء علوم الدين) انتهى ما قاله بمعناه.

والأمر على مثل ما ذَكر لمن أخذ بالانصاف، وقصد

التحلي بمحاسن الأخلاق والأوصاف، والله الموفق لا ربَّ غيره. ولله دَرُّ من يقول:

تـزوَّد للذي لا بـدّ منـه فميعـادُ العبـاد إلى المعـاد
أترضى أن تكون رفيقَ قوم لهـم زادٌ وأنت بـغـير زاد

وقول صاحب القصيدة المشهورة التي أولها:

أراك وقد أضاء لك النهارُ عن النهج القويم لك ازوِرارُ

إلى أن قال:

سأنصـح مرةً وأشير أخرى أفاد النصـحُ فيك أو الشوَّارُ
إذا ما اخترتَ عن أخراك دنيا لـزخـرفهـا فبئس الاختيـارُ
إذا التبست المقاصد والمساعي فمن أشـرارُنا ومَنْ الخيـار
لَعِبْنَ بنا غصونٌ مـورِقاتٌ من الآمـال ليس لها ثمـارُ

وهذه القصيدة قصيدة مباركة وهي لبعض أهل اليمن. وكانت تعجب سيدنـا الشيـخ القطب عمـر المحضار بن عبد الرحمن، وكـذلك الشيـخ القـدوة فضل بن عبـد الله التريمي الشّحري رحمهما الله تعالى ونفـع بهما وسائر عباد الله الصالحين.

الفَصْلُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُونَ

روي أن معاوية قال لضرَّار بن ضُمرة: يا ضرار صِفْ لي علياً. فقال له: أعفِني يا أمير المؤمنين فقال: لا أعفيك. قال: فأما إذا لم تعفني، فكان رضي الله عنه بعيدَ المدَى، شديدَ القُوى، يقول فصلا، ويحكُم عدلاً، ويُعجبه من الطعام ما خَشُن، ومن اللباس ما قَصُر، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل وظلمته ووحشته، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُدولَه، وغارت نجومه، قائماً في محرابه، يتململُ تململَ السليم، ويبكي بكاء الحزين، قابضاً على لحيته وهو يقول: يا دنيا غُرِّي غيري، إليّ تشوَّفتِ، أم إليّ تعرضت، قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصيرٌ، وقدرُك حقيرٌ، وخطرُك عظيم، آه من قلة الزاد، وبُعْد الطريق، ووحشة السَّفَر، فبكى معاوية وجعل كُمَّهُ على وجهه يستبق دمعه ما يملكه ثم قال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك والذي ظهر بالقرائن من حال معاوية أنه أسِف ونَدِم على خروجه على عليّ ومقاتلته له وكذلك

ندم غيره على الخروج، مثل عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم، وندم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على ترك القتال مع علي عليه السلام ولكن كان أمرُ الله قدراً مقدوراً رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين.

وما أحسن ما قاله صاحب البردة فيها في الحث على التزود للآخرة.

أستغفر الله من قول بلا عمل
لقد نَسبتُ به نَسْلا لذي عُقُمِ

أمرتُك الخيرَ لكن ما ائتمرتُ به
ولا استقمتُ فما قولي لك استقِم

ولا تزودْتُ قبل الموت نافلةً
ولم أصلِّ سوى فرض ولم أصُم

ظلمتُ سنّةَ من أحيا الظلام إلى
أن اشتكت قدماه الضُّرّ من وَرَم

وشدَّ من سغَب أحشاءه وطوى
تحت الحجارة كشحا مترف الأدَم

وراودتْه الجبال الشُّم من ذهب
عن نفسه فأراها أيّما شَمَم

وأكّـدت زهـدَه فـيـهـا ضـرورتُـه
إن الـضـرورة لا تـعـدو عـلى الـعِـصَـم
وكيف تـدعـو إلى الـدنـيـا ضـرورةُ من
لـولاه لم تخـلقَ الـدنـيـا مـن الـعـدَم
(محـمـد) سيـدُ الـكـونـين والـثـقـلين
والـفـريـقـين مـن عُـرْبٍ ومـن عَـجَـم

وقال أيضاً في قصيدته اللاّمية:

إلـى مَتـى أنـت بـالـلذات مـشـغـولُ
وأنـتَ عـن كـل مـا قـدَّمـت مـسـؤولُ
في كـلِّ يـوم تُـرَجِّـى أن تـتـوب غـداً
وعـقـدُ عـزمِـك بـالـتـسـويف محـلُول

وقال الخليل بن أحمد رحمه الله:

ومـا هـي إلا لـيـلةٌ بـعـد لـيـلةٍ
ويـومٌ إلى يـوم وشـهـرٌ إلى شـهـر
مـراحـلُ يُـدنِـين الجـديـدَ إلى الـبِـلاَ
ويُـدلِـين أشـلاءَ الـكـرام إلى الـقـبـر
ويـتـركْـنَ أزواج الـغـيـورِ لـغـيـره
ويسلُبنَ مـا يَحـوِي الشحيـحُ من الـوَفْـر

وقال غيره:

أراك يــزيــدك الاثــراءُ حــرْصــاً
علــى الــدنــيــا كــأنًّــك لا تمــوتُ
فــهــل لــك غــايــةٌ إن صــرتَ يــومــاً
إلــيــهــا قــلتَ حــســبِــي قــد رَضِــيــتُ

وقال صاحب لامية العجم في آخرها:

يــا واردا ســؤرَ عــيش كــلُّه كــدَرٌ
أنــفــقــت صــفــوَك في أيــامــك الأولِ
فــيم اقــتــحــامــك لُــجّ الــبــحــر تــركــبَــهُ
وأنــت تــكــفــيــك مــنــه مَــصَّــةُ الــوَشَــل
مُــلْك الــقــنــاعــة لا يُخشــى عــليــه ولا
يُحــتــاج فــيــه إلى الأنــصــار والخَــوَلِ

الفصل الأربعون

روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان إذا تنفَّس يشم منه رائحة الكبد المشويِّ، فقيل إن ذلك من شدة خوفه من الله تعالى، وقيل من كَمده وحزنه على رسول الله ﷺ بعد وفاته، وقيل إنه من أثر سموم الحية التي لدغته ليلة الغارِ حين ألقم قدمَه الجُحرَ شفقة على رسول الله ﷺ، وقيل إنه من أكل طعام مسموم أكلَ منه هو ورجلٍ من العرب، أظنه يسمى الحارث وكان عنده شيء من الطِّب فأحسَّ بما في الطعام من السُّم فقال لأبي بكر الطعام مسمومٌ، وإلى سنة أموت أنا وإياك من سُمِّه. فذُكر أنهما ماتا في يوم واحد. ولما مرض قيل له ألا ندعُو لك طبيباً، فقال قد نظر إليَّ الطبيب فقال: إني أفعل ما أشاء. وقيل إنه قال: الطبيبُ أمرضني يريد الربَّ تعالى، ولما ثقل واستخلف عمر أوصى بردِّ ما أصابه من بيت المال إلى عمر، وكان شيئاً قليلاً فقال عمر لقد أتعب من يأتي بعده.

وأما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فكان يأكل

الشعير في خلافته ويرقِّع ثوبه، وسيرته في ذلك معروفة. وكان يقرأ الآية من كتاب الله في صلاته من الليل فيغلب عليه الخوف فيسقط على وجهه، فيمرض ولا يخرج من البيت ويعاد.

وأما عثمان رضي الله عنه فكان يقدم للناس طعام الإمارة، ويدخل البيت فيأكل الخبز، ويستأدم بالزيت، ولما تسوَّر البغاةُ عليه الدار ودخلوا عليه وذبحوه، كان يقول: اللهم اجمع أمة محمد، وكان المصحف في حجره فوقع شيء من دمه على قوله تعالى: **﴿فسيكفيكهم الله وهو السميعُ العليم﴾** فقال بعض الصحابة عبد الله بن سلام أو غيره، لو لم يدْعُ بأنَّ الله تعالى يجمع الأمة لم تجتمع الأمة بعده.

وأما علي رضي الله تعالى عنه. فقد تقدم بعض ما وصفه به صاحبه ضرار حين سأله معاوية، وكان يأكل الشعير في خلافته ويقصِّر كُمَّ قميصه إلى الرسغ أو إلى أطراف الأصابع، وعوتب في خشونة العيش واللباس، فقال ليقتدي بي المسلم، ولا يزْرَى على الفقير فقرُه أو كما قال رضي الله عنه.

وهكذا كانت سير السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم من التقلُّل في الدنيا والاقتصار منها على البُلْغة وما لا بد منه من جميع متاعها وشهواتها. كما ذكر عنهم في سيرهم، مثل عمّار، وأبي عُبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وأبي ذَرّ، وَحذيفة، وخبَّاب ابن الأرت، وعِتبان بن مالك.

(وكذلك عن أئمة التابعين): مثل الإمام علي بن الحسين زين العابدين، وابنه الباقر، وابنه جعفر، وسعيد بن المسيَّب، وعمر بن عبد العزيز، وأُويس القَرَني وهرم بن حيَّان والحسن البصري، وأبي حازم المدني وعطاء بن السائب.

وكذلك أتباع التابعين مثل الأئمة الأربعة، والفُضَيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم، وإبراهيم التيمي، ومالك بن دينار، إلى غير ذلك من أقرانهم وأشباههم من صالحي الأمة، وخصوصاً من أهل القرون الثلاثة الذين قال فيهم صلوات الله عليه وسلامه: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم». قالها مرتين أو ثلاثاً الحديث. وقال ﷺ: «في كل قرْن من أمتي سابقون» والأمر كذلك، ولكنهم يقِلُّون

ويستترون في الأزمنة ولا يُفقدون كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها» وقد ذكرنا نبذة من أحوال هؤلاء السلف في خاتمة الكتاب، المسمَّى «الدعوة التامة» وأشرنا إليهم في القصيدة العينية، التي أولها:

(يا سائلي عن عَبرتي ومدامعي وتنهُّدٍ ترتجُّ منه أضالعي)

وقد شرح هذه القصيدة السيد العالم العلامة الصُّوفي من خواص أصحابنا الشريف أحمد بن زين الحبشي علوي أمتع الله به شرحاً مبسوطاً، وذكر فيه شيئاً من مناقب المذكورين في القصيدة المشار إليها، وحيث كان هذا الكتاب قصدُنا فيه الاختصار فما طولنا بشرح شيء من مناقبهم، نعم وهي مذكورة مبسوطة في مثل كتاب سير السلف، وكتاب مجمع الأحباب، وكتاب الإمام أبي طالب قوت القلوب، وكتاب الإحياء لحجة الإسلام وغيرها من السير والتواريخ، فليطالعها من أراد ذلك وقصدَ معرفة ما كان عليه السلف الصالحون من الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين لهم بإحسان ممن آثر الآخرة على الدنيا، وقنعَ من الدنيا باليسير، ولم يغترَّ بزخارفها، ولم يقصد

التمتع بشهواتها، مع القدرة على ذلك والتمكن منه من الحلال.

ولله دَرُّ القائل:

إنَّ لله عباداً فُطَنا   طلقوا الدنيا وخافوا الفِتنا
نظرُوا فيها فلما عَلِموا   أنها ليست لحيّ وَطَنا
جعلوها لُجَّةً واتَّخذُوا   صالحَ الأعمال فيها سُفُنَا

وقول أبي العتاهية:

ألا يا طالبَ الدنيا   دَع الدنيا لِشانيكا
فما تصنَع بالدنيا   وظلُّ المِيل يكفيكا

وقول بشر بن الحارث:

أُقسم بالله لرضْحُ النَّوى   وشربُ ماء القُلُب المالِحَهْ
أجملُ بالإنسان من حرصه   ومن سؤالِ الأوجهِ الكالحهْ
فاستغن بالله تكنْ ذا غِنىً   مغتبطا بالصفقة الرابحهْ
اليأس عِزٌّ والتقى سُودَدُ   وشهوةُ النفس لها فاضحهْ
من كانت الدنيا به برَّةً   فإنها يوماً له ذابحهْ

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

خاتمة الكتاب

وتشتمل على آيات من كتاب الله عزّ وجلّ، وأحاديث من سنّة رسول الله ﷺ وآثارٍ من كلمات السلف الصالحين، الهادين إلى سبيل الله، نفع الله بهم.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**واتَّقُوا يوماً تُرجعونَ فيه إلى الله ثمّ تُوَفَّى كلُّ نفسٍ ما كسَبت وهم لا يظلمون**﴾ ويروى أن هذه الآية هي آخر آية نزلت من القرآن، ولم يعِشْ بعدها رسول الله ﷺ إلا نحو عشرة أيام وقال تعالى: ﴿**يا أيها الّذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتّقوا الله لعلّكم تفلحون**﴾ وقال تعالى: ﴿**يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأُولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى اللّهِ والرسولِ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخرِ ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً**﴾ وقال تعالى: ﴿**ليس على الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات جناحٌ فيما طَعِمُوا إذا ما اتَّقَوْا وآمنُوا وعملوا الصالحات ثم اتّقوْا وآمنوا ثم اتَّقوْا وأحسنوا والله**

يحب المحسنين﴾ وقال تعالى: ﴿خُذِ العفوَ وأْمرْ بالعُرْف وأعْرِضْ عن الجاهلين﴾ وقال تعالى: ﴿وما تكونُ في شأن وما تتلُو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلاّ كنا عليكم شهودا إذ تُفِيضُون فيه وما يعزُب عن ربّك من مثقال ذرَّة في الأرض ولا في السماء ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلاّ في كتابٍ مبين﴾ وقال تعالى: ﴿مَن كان يريدُ الحياةَ الدنيا وزينتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسُون﴾ وقال تعالى: ﴿وما أُبرِّىءُ نفسي إن النفس لأمَّارة بالسوء إلاَّ ما رحِم ربِّي إنَّ ربِّي غفور رحيم﴾ وقال تعالى: ﴿ولا تمدَّنَّ عينَيك إلى ما متَّعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحَك للمؤمنين﴾ وقال تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتّقَوا والذين هم محسِنون﴾ وقال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاءَ ربّه فلْيعملْ عَملاً صالحاً ولا يشركْ بعبادة ربِّه أحداً﴾ وقال تعالى: ﴿وأْمرْ أهلَك بالصلاة واصْطبرْ عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقُك والعاقبة للتقْوى﴾ وقال تعالى: ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عَبثاً وأنّكم إلينا لا ترجعون﴾ وقال تعالى: ﴿والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبُلَنا وإنّ الله لمع المحسنين﴾ وقال تعالى: ﴿إنا عرَضْنا الأمانةَ على السمواتِ والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يحمِلْنَها وأشفَقْن منها وحمَلها

الإنسانُ إنَّه كان ظلوماً جهولاً﴾ وقال تعالى: ﴿وما قدَروا الله حقَّ قدره والأرضُ جميعاً قبْضَتُهُ يومَ القيامة والسمواتُ مَطوِيَّاتٌ بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ وقال تعالى: ﴿أم حَسب الذين اجترحُوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهُم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ وقال تعالى: ﴿يا أيها الّذين آمنوا اتَّقوا اللَّهَ ولتُنظر نفس ما قدَّمت لغد واتَّقُوا الله إنَّ الله خبير بما تعملون﴾ وقال تعالى: ﴿يا أيها الدين آمنُوا تُوبوا إلى الله توبةً نَصُوحاً، عسى ربّكم أن يكفِّر عنكم سيّئاتكم ويُدخلَكم جنّات تجري من تحتها الأنهارُ يوم لا يُخزي الله النبيّ والّذين آمنُوا معه نورهم يَسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربَّنا أتمم لنا نُورَنا واغفر لنا إنك على كلّ شيء قدير﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشْغلُوا، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربّكم بكثرة ذكركم له»، وقال عليه الصلاة والسلام: «بادروا بالأعمالِ فتناً كقِطَع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي فيها مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرَضٍ يسير من الدنيا»،

وقال عليه الصلاة والسلام: «من خاف أدْلَج ومَن أدلَج بلغ المنزل، ألا إن سِلْعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»، وقال عليه الصلاة والسلام: «رأس الحكمة خشية الله»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من حُسن إسلام المرء تركهُ ما لا يعنيه»، وقال عليه الصلاة والسلام: «دعْ ما يُريبك إلى ما لا يُريبك»، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه»، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنّ مما أدرك الناسُ من كلام النبوَّة الأولى، إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله فرض فرائض فلا تضيِّعوها وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء رحمةً لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكراً فلْيغيِّره بيده، فإن لم يستطيع فبِلسانه، فإن لم يستطع فبِقلبه وذلك أضعف الإيمان»، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يكونَ هواه تبعاً لما جئت به»، وقال عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضعٌ وسبعون شُعبة، أعلاها قول لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما رأيتُ كالجنة نام طالبُها ولا كالنار نام

هاربُها»، وقال عليه الصلاة والسلام: «حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات»، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شرّاً من بطنه، بحسب ابن آدم لُقيماتُ يُقِمْن صُلبه، فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلث لنفسه» وفي حديث آخر: «كُلُوا في أنصاف البطون، وعوِّدوا الأجساد ما تعتاد فإن ذلك جزء من النبوة» أو قال من أجزاء النبوة، وقال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثٌ منجيات وثلاث مهلكات: فأما الثلاث المنجيات فخشية الله في الغيب والشهادةِ، والقصدُ في الغنى والفقر، وكلمة العدل في الرضي والغضب، وأما الثلاث المهلكات فشحٌّ مطاع، وهوىً متّبع، وإعجاب المرء بنفسه»، وقال عليه الصلاة والسلام: «سبعةٌ يظلُّهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله، إمامٌ عادل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبُه معلَّق بالمساجد. ورجلان تحابًّا في الله تعالى اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذاتُ منصِب وجمالٍ فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»، وقال عليه الصلاة والسلام: «كأنَّ الموت فيها على غيرنا كُتِب، وكأنَّ الحق فيها على غيرنا وَجب، وكأنَّ من

نُشيِّع من الموتى سَفَرٌ عن قريب إلينا راجعون، نُبَوِّءُهم أجداثهم، ونأكل تُراثَهم، كأنّا مخلَّدون بعدهم، قد نسينا كل موعظة، وأمِنَّا كل جائحة» وقال عليه الصلاة والسلام تركت فيكم واعظين، ناطق، وصامت، فأما الناطق فكتاب الله، وأما الصامت فالموت»، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزول قَدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»، وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا حدث في الناس تسعة أشياء: كانت معها تسعة أشياء، إذا كثر الزنى كثر موت الفجاءة، وإذا منعوا الزكاة منعهم الله القطر، وإذا طفَّفوا المكيال أُخذوا بالسنين، وإذا جاروا في الحكم عمهم الظلم والعدوان، وإذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوَّهم، وإذا تركوا الأمر بالمعروف اضطربت عليهم الأمور، وإذا تركوا النهي عن المنكر ملكَهُم أشرارهم وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال بأيدي الأشرار، وإذا ارتكبوا المحارم طرقتهم الآفات».

(وقال علي كرم الله وجهه) لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً؛ وقال هب أن الله قد تجاوز عن المسيئين، أليس قد فاتهم ثواب المحسنين، وقال رضي الله عنه، طوبى

للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخـرة، أولئك قـوم اتخذوا الأرض بساطاً وترابَها فِراشاً، وماءَها طِيباً والدعاء والقرآنَ شِعاراً ودثاراً، فرفضوا الدنيا على منهاج عيسى عليه السلام.

(وقـال زين العـابـدين علي بن الحسين رضي الله عنهما): إنّ الله خبأ ثلاثاً في ثلاث: خبأ رضاه في طاعته فلا تحتقروا من طاعته شيئاً فلعل رضاه فيه، وخبأ سُخطه في معصيته فلا تحتقروا من معصيته شيئاً فلعل سُخطه فيه، وخبأ ولايته في خلقه فلا تحتقروا من عباده أحداً فلعله وليٌّ لله، وقال رضي الله عنه: سلاح اللئام قبيح الكلام.

(وقال ابنه محمد الباقر رضي الله عنه): كـان لي صاحب، وكان في عيني عظيماً، وكان الذي عظَّمه في عيني صِغَر الدنيا في عينيه.

(وقال ابنه جعفر الصادق): لقد عزت السلامة حتى خفي مطلبها، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن لم تكن في الخمول فيوشك أن تكون في التخلي وليس كالخمول، فإن لم تكن في التخلي فيوشك أن تكون في الصمت وليس كالتخلي، فإن لم تكن في الصمت فيوشك

أن تكون في كلام السلف الصالحين، والسعيد من وجد في نفسه خلوة.

(وقال الحسن البصري رحمه الله): فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لبّ فيها فرحاً، وقال إياكم وأماني المغفرة من غير سعي لها فإنها قد لعبت بأقوام حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، وقال إياكم وهذه الأماني فإنها أودية النُّوكي يعني الحمقى، (وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى) يؤتي بالحُلة بالألف درهم فيقول ما أحسنها لولا خشونةٌ فيها فلما استخلف كان يؤتى بالحُلة بالعشرة الدراهم أو نحوها فيقول ما أحسنها لولا نعومةٌ فيها، وكان رضي الله عنه هو الذي نهى عن لعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه على المنابر، وأمر بأن يقرأ عوضاً من ذلك ﴿ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ الآية. أو قولُه تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية، أو كلتا الآيتين، وما أحسن قول الشريف الرضي في عمر بن عبد العزيز قال:

يا ابنَ عبد العزيز لو بكت الْعَيْـ ـن فتى من أميةٍ لبكيتُكْ
أنت نزَّهتنا عن السب والقذ فِ فلو أمكن الجزاء جزيتُكْ
ديـرَ سمعان لا أغبَّـك غادٍ خيرُ ميت من آل مروان ميتك

(وقال أبو حازم المدني رحمه الله): ما مضى من الدنيا فحلُم، وما بقي منها فأماني، وقال ما تمد يدك إلى شيء من الدنيا إلاّ وتجد فاجراً قد سبقك إليه.

(وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى): إذا خرج من بيته يشده بحبل، ويقول لولا الكلاب لتركته مفتوحاً، وذلك لفراغه عن أمتعة الدنيا، وجاءت امرأة فأخذت مصحفه وملحفته، فجعل يتبعها، وينادي، يا هذه ألكِ ولد يقرأ؟ ألك زوج يقرأ! فقالت لا، فقال ردِّي المصحف وخذي الملحفة.

(وقال الفضيل بن عياض رحمه الله): تركُ العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما، وكان يقول لو كانت الدنيا ذهباً يفنى، والآخرة خزَفاً يبقى، لكان ينبغي لنا أن نؤثر خزَفاً يبقى على ذهب يفنى، فكيف والآخرة ذهب يبقى والدنيا خزف يفنى.

(وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى): مررت بحجر مكتوب عليه اقلِبْنِي تعتبر، فقلبته فإذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل، فكيف تطلب علم ما لم تعلم؟ وقيل له إن اللحم قد غلا، فقال أرخصوه بالترك، وقال أطب مطعمك وما عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار.

(وقال رجل لداود الطائي رحمه الله): أوصني، فقال له صُم عن الدنيا، واجعل فطرك الآخرة، وفرَّ من الناس فرارك من الأسد.

(وقال معروف الكرخي رحمه الله تعالى): مررت بابن السماك وهو يعظ الناس، فسمعته يقول من أقبل على الله أقبل الله عليه، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه، ومن كان مرة بمرة كان الله كذلك، فأخبرت مولاي علي بن موسى الرضا، فقال يكفيك بما سمعت موعظة، فتركت كل شيء يعني من أشغال الدنيا إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا رضي الله عنه.

(وقال سَرِي السَّقَطي رحمه الله تعالى): من عرف الله تعالى عاش ومن أحب الدنيا طاش، والعاقل على نفسه فتاش، والأحمق يغدو ويروح في لاش **(وقال الجنيد بن محمد رحمه الله تعالى)**: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع والسهر وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات، وسمعوه وقد حضره الموت وقد ختم القرآن وافتتحه من أوله، فقيل له في مثل هذا الحال قال نعم ومن أولى بذلك منِّي وهو ذا تُطوى صحيفتي. **(قال بشر الحافي)**:

مكرمُ الدنيا مهانٌ مستذلٌّ في القيامهْ
والذي هانت عليه فَله ثَمَّ الكرامهْ

ودخل عليه داخل في برد شديد وقد تجرد عن ثيابه فقال له في ذلك فقال ذكرتُ ما الفقراء عليه من مقاساة البرد، ولم يكن عندي ما أواسيهم به فواسيتهم بنفسي.

(وقال الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى): من زيَّن باطنه بالمراقبة والإخلاص، زيّن الله ظاهره بالمجاهدة واتّباع السنة.

(وقال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى): تركت الدنيا لكثرة عَنائها، وسرعة فَنائها، وقلة غنائها، وخسَّة شركائها.

(وقال سهل التُّستري رحمه الله تعالى): لا مُعين إلا الله، ولا دليل إلاّ رسولُ الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر.

(وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى): من ظنَّ أنه بجهده يصل فهو مُتعنّ، ومن ظنَّ أنه بدون الجهد يصل فهو متمَنّ.

(وقال أبو الحسن الشعراني رحمه الله تعالى): رأيت

منصور بن عمّار رحمه الله تعالى في المنام، فقلت ما فعل الله بك. فقال أوقفني بين يديه، وقال أنت منصور بن عمار؟ فقلت بَلى يا ربّ، فقال أنت الذي كنت تزهّد الناس في الدنيا وتَرغبُ أنت فيها، قلت قد كان ذلك ولكني ما اتّخذت مجلساً إلاّ وبدأتُ فيه بالثناء عليك، وثنّيتُ بالصلاة على نبيك محمد ﷺ، وثلثت بالنصيحة لعبادك، فقال عزّ وجل صدَق، ضعوا له كرسياً يمجّدني في سمائي بين ملائكتي كما كان يمجّدني في أرضي بين عبادي.

وروي أنه مرَّ بمجلس منصور بن عمَّار رحمه الله غلامٌ مملوك لبعض التجار، فسمعه يقول مَن أعطى هذا الفقير أربعة دراهم، بعثه سيده ليأخذ له بها حاجة، فدفعها إلى الفقير، أربعة دراهم، بعثه ليأخذ له بها حاجة، فدفعها إلى الفقير، فدعا له ورجع إلى سيده بلا شيء فسأله عن الدعوات التي دعا بها، فقال: أن يخلّصني الله تعالى من الرِّق، فأعتقه قال والثانية، فقال: أن يخلِف الله الدراهم، فقال لك أربعة آلاف درهم، قال والثالثة، قال: أن يتوب الله عليَّ وعليك، فقال إني تبتُ إلى الله. قال والرابعة. قال: أن يغفر الله لي ولك، وللمذكِّر وللقوم فقال الرجل أما هذه فليست إليَّ، فلما نام الرجل رأى في منامه الحقَّ عزَّ وجلَّ، فقال أتراك

تفعل ما إليك ولا أفعل ما إليّ، قد غفرت لك وللغلام وللمذكِّر وللقوم، فسبحانه تعالى ما أجوده وأكرمه وأعظمه وأرحمه ذي الطَّوْل لا إلـه إلا هو إليه المصير.

* * *

وليكن هذا آخرُ ما يسَّره الله تعالى من إملاء هذا الكتاب. والله الهادي إلى الحق والصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلَّى الله وسلم على عبد الله ورسوله وأمينه على وحيه وتنزيله سيدنا ومولانا محمد الذي أرسله رحمةً للعالمين وختم به النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الهادين المهتدين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين ﴿قلْ هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾.

وكان الفراغ من إملائه بكرة يوم الخميس ثاني عشر شهر صفر الخير، أحد شهور سنة ١١٣٠ ثلاثين ومائة وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وكان الكلام في هذه الفصول قد وقع الوقوف عنه من مدة من غير سبب ظاهر أكثر من أن نلحق بها ما يناسبها

ويوافقها من الكلام الذي ذكرناه في أولها، فلما طال ذلك، ونقلها الناس، ولم يتفق تمامها، هممنا باتمامها على بركة الله، وذلك من أول فصل الاستقامة، وليست هذه الفصول المتأخرة مطابقة من كل وجه لما سلف من الفصول، ولكنها كثيرة الفوائد، حسنة المصادر والموارد لمن تأمل ذلك وكان من أهل العدل والإنصاف وكل ذلك من فضل الله ومن بركات رسول الله ﷺ، وبركات السلف الصالح الذين ننتسب إليهم ونحب السلوك لطريقهم والتأسي بهم، رزقنا الله ذلك ووالدينا وأولادَنا وأحبابَنا وأصحابَنا وجميعَ المسلمين، وختم لنا ولهم بالحسنى والإحسان في لطف وعافية وحفظ وسلامة من جميع الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ما شاء الله لا قوَّة إلا بالله، وهو حسبُنا ونعم الوكيل، غفرانَك ربّنا وإليك المصير.

فهرس الكتاب

سلسلة كتب الإمام الحدّاد (١)

النصائح الدينيّة

والوصايا الإيمانيّة

للإمام شيخ الإسلام قطب الدّعوة والإرشاد

الحبيب عبد الله بن علويّ الحدّاد الحضرميّ الشّافعيّ

رحمه الله تعالى



النصائح الدينية
والوصايا الايمانية

الطبعة الثالثة

١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م

مصححة ومنقحة

بالتعاون مع

الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان

هاتف: ٣٤٢٨٨٦ ـ ص.ب: ٥٩٢٠ـ ١١٣ ـ تلكس: ٤٣٢١٨ ـ فاكس ٨٦٠١٣٨ـ ١ ـ ٩٦١

تعريف مُوجز عن الإمام الشهير عبد الله بن علوي بن محمّد الحدّاد

هو سيّدنا الإمام العلّامة الدّاعي إلى الله بقوله وفعله قطب الارشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمّد الحدّاد ولد رضي الله عنه بالسبير من ضواحي مدينة تريم بحضرموت ليلة الخميس ٥ صفر سنة ١٠٤٤هـ وتربّى في تريم وقد كُفّ بصره وهُو صغير فعوّضه الله عنه بنور البصيرة وجدّ واجتهد في طلب العلوم النافعة وعكف على عُلماء عصره في مُقدّمة مشايخه سيدنا الحبيب عُمر بن عبد الرّحمن العطاس والحبيب العلّامة عقيل بن عبد الرحمن السّقاف والحبيب العلّامة عبد الرحمن بن شيخ عيديد والحبيب العلامة سهل بن أحمد باحسن الحديلي باعلوي ومن مشايخه أيضًا الإمام العلّامة عالم مكّة المكرمة السّيد محمّد بن علوي السّقاف.

ثم نصبه الله للدعوة والإرشاد داعيًا إلى الله تعالى

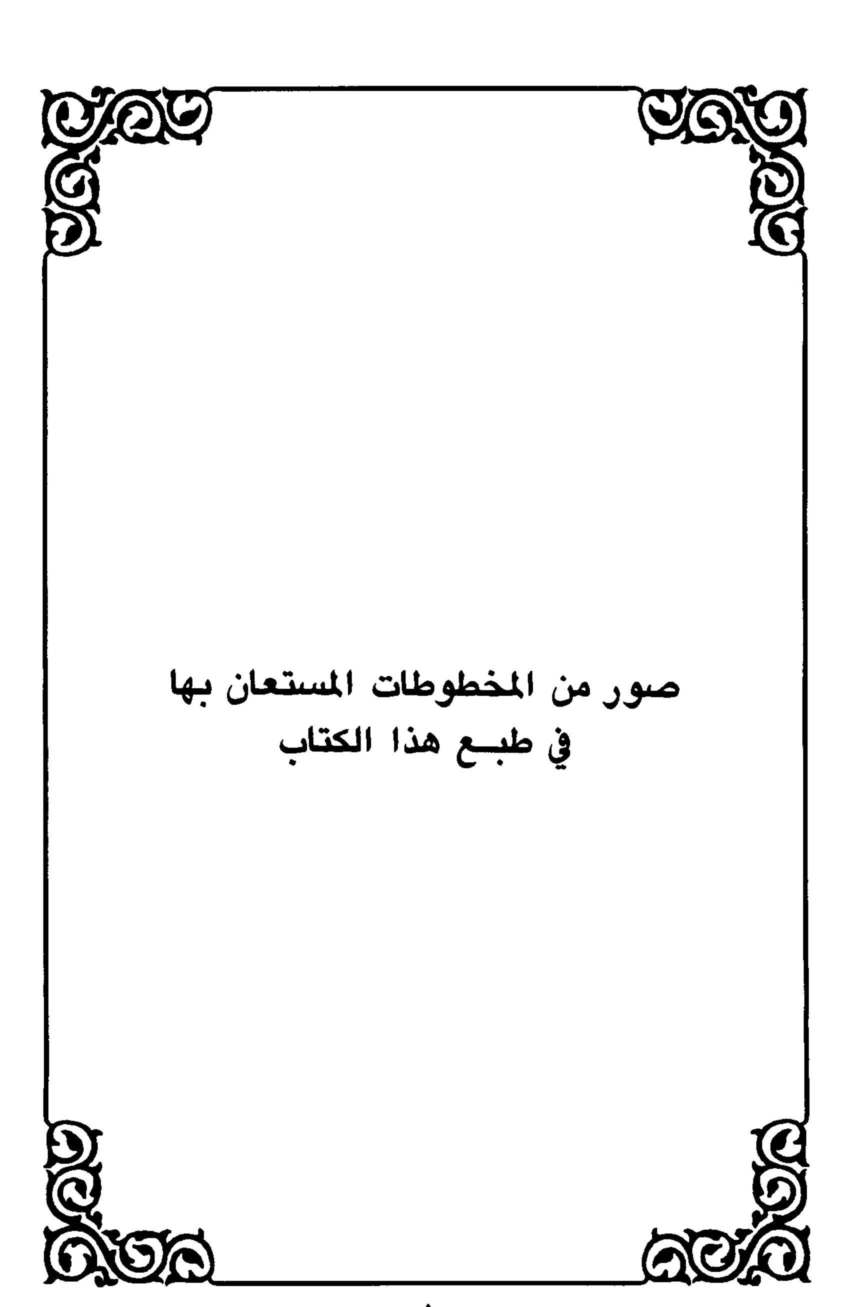
بالحكمة والموعظة الحسنة فأقبل عليه الناس وانتشر
صيته في البلدان وانتفع به القاصي والداني فنفع الله
به الكثير وأرشد الجم الغفير وانتشرت دعوته في كل مكان
وانتفع الناس بوعظه وكتبه وأخذ عنه الجم الغفير
فمن كبار تلامذته ابنه سيدنا الحبيب حسن بن عبدالله الحدّاد
والحبيب أحمد بن زين الحبشي والحبيب عبدالرّحمن بن عبدالله
بلفقيه والحبيبين محمّد وعمر أبناء زين بن سميط والحبيب عمر بن
عبدالرحمن البار والحبيب علي بن عبدالله بن عبدالرّحمن السقاف
والحبيب محمّد بن عُمر بن طه الصّافي السّقاف وغيرهم العدد الكثير.
وله مؤلفات كثيرة جمعت النصائح والمواعظ والحكم وانتشرت
انتشارًا كبيرًا وكتب لها القبول والمحبّة ونفع الله بها الناس
وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى لغات أجنبيّة في العصر الحاضر
مثل الإنجليزية والفرنسية. ومُؤلفاته غنيّة عن التعريف

ومشهورة لدى الكبير والصّغير ومنها النصائح الدينيّة. والدعوة التامّة ورسالة المعاونة وغيرها من الوصايا والرسائل ومجموع كلامه تثبيت الفؤاد وديوانه العظيم الدّر المنظوم الجامع للحكم والعلوم ووصاياه ومكاتباته وأكثر مؤلفاته مطبوعة وأقبل عليها الناس إقبالاً شديداً وأعجب بها العلماء والعارفون وجعلوها بمنزلة الغذاء يقرئون فيها في كثيرٍ من الأوقات وقالوا عنها أنها جمعت الخلاصة والزبدة من كلام الإمام حجّة الإسلام الغزالي ولا يستغني عنها كل مسلم فهي وجيزة وجامعة ونفع الله بها ببركة مؤلفها الإمام الحدّاد رضي الله عنه وكان رضي الله عنه قد سافر إلى الحرمين الشريفين وأدّى النسكين وزار جدّه سيّد الكونين سيدنا محمد عليه أفضل الصّلاة والسّلام وذلك في عام ١٠٧٩ هجريّة واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين الذين اغتبطوا به وعرفوا قدره وأثنوا عليه .

ولم يزل يدعوا الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة
الحسنة حتى وفاته إلى رحمة الله تعالى فتوفي ليلة الثلاثاء
٧ ذو القعدة عام ١١٣٢ هجرية ودفن بمقبرة زنبل
بتريم رحمه الله رحمة واسعة ورضي الله عنه ونفعنا
به وبعلومه في الدارين آمين .

طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف

حرر الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٤١٢



صور من المخطوطات المستعان بها
في طبــع هذا الكتاب

كتاب النصائح الدينية والوصايا

الإيمانية تأليف سيدنا وبركتنا ووسيلتنا

إلى ربنا غوث البلاد العلامة العارف الحبيب

عبد الله بن علوي بن محمد

الحداد علوي نفع

الله به آمين

آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

صفحة الغلاف من المخطوطة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحانك لا

علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم الحمد لله

رب العالمين الذي جعل الدعوة إلى الهدى والدلالة على الخير

والنصيحة للمسلمين من أفضل القربات وأرفع الدرجات

وأهم المهمات في الدين وذلك سبيل أنبياء الله والمرسلين

وأوليائه الصالحين والعلماء العاملين الراسخين في

العلم واليقين وصلى الله على سيدنا محمد الرسول الأمين

والحبيب المكين خاتم النبيين وإمام المتقين وقائد

السابقين واللاحقين وعلى آله وأصحابه المخلصين الصادقين

وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت

هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن

كانت

الصفحة الأولى من المخطوطة الأولى

كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته
إلى ما هاجر إليه رواه البخاري ومسلم وقال عليه
الصلاة والسلام الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه
ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم
وهذا الكتاب ألفناه وجمعنا فيه نبذا من
النصائح الدينية والوصايا الإيمانية وقصدنا بذلك
النفع والانتفاع والتذكير لأنفسنا ولإخواننا
من المسلمين وقد جمعناه بعبارة سهلة قريبة وألفاظ
سلسة مفهومة حتى يفهمه الخاص والعام من أهل
الإيمان والإسلام وسميناه كتاب
النصائح الدينية والوصايا الإيمانية نسأل الله تعالى
أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ومقربا إلى جواره
في جنات النعيم وأن يعظم النفع به لنا ولكافة
إخواننا من المؤمنين فإنه ولي ذلك والقادر عليه
وحسبنا الله ونعم الوكيل وما توفيقي إلا بالله

الصفحة الثانية من المخطوطة الأولى

فقال اكثروا من قول لا اله الا الله وقال عليه السلام لا اله الا الله

نصف الميزان والحمد لله تملاه ولا اله الا الله ليس لها من

دون الله حجاب وورد ان عموداً من نور واقفاً بين يدي الله

تعالى فاذا قال القائل لا اله الا الله اهتز ذلك العمود فيقول

الله تعالى له اسكن فيقول كيف اسكن ولم تغفر لقائلها

فيقول تعالى قد غفرت له فيسكن وورد ايضاً ان العبد

اذا قال لا اله الا الله اسلم من لا اله الا الله في صحيفته الا محتها

حتى تجد حسنة فتسكن الى جنبها وورد ايضاً ان لو

كانت السموات السبع وما فيهن في كفه ولا اله

الا الله في كفه لرجحت بها لا اله الا الله وما ورد في

فضل هذه الكلمة كثير شهير والقصد الاشارة دون

الاستقصا وكفى معرفة فضلها انها الكلمة التي فيها

يدخل الانسان في الاسلام ومن ختم له عند الموت بها فاز

بالسعادة الابدية التي لا شقاوة بعدها اللهم يا كريم

نسالك ان تحيينا وتميتنا وتبعثنا على قول لا اله الا الله

صفحة من داخل المخطوطة الأولى

الترغيب والترهيب وقال رواه ابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم
وذكر المنذري الحديثين الذين قبله في الكتاب المذكور ايضا رحمه الله
وجزاه عن المسلمين خيرا الحديث السابع عن ابي ذر
رضي الله عنه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه
عن ربه انه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته
بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته
فاستهدوني اهدكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل
والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم
يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا
نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم
وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي
شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على
افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي
لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسالوني
فاعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص
المخيط اذا ادخل البحر يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم
اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن
الا نفسه رواه مسلم والترمذي وابن ماجه

الصفحة قبل الأخيرة من المخطوطة الأولى

وقد ختمنا الكتاب بهذه الأحاديث من حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما افتتحناه بشيء منها تبركا وتيامنا بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ونرجوا
بذلك أن يجعل الله الكلام المؤلف بين ذلك مقبول الدين ومقربا إلى رضاه
في سبيل طاعته وتدبره وأن يغفر لنا ويتجاوز عنا ما وقع فيه من خطأ أو تخليط
وما داخلنا فيه من رياء أو تصنع للناس أو مباهاة أو إعجاب ونستغفر الله
من جميع ذلك ومن سائر الذنوب ونتوب إليه منها ومن يغفر الذنوب
إلا الله ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت
التواب الرحيم ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا
كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف
عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
لا إله إلا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك
اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي
من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب تم الكتاب
بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ...
... سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد ...

الصفحة الأخيرة من المخطوطة الأولى

وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا

ثم ننجي الذين اتقوا وقال تعالى وينجي الله

الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم

يحزنون ومن ذلك المخرج من الشدايد والرزق

من حيث لا يحتسب واليسر وعظم الاجر قال الله

تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه

من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له

من امره يسرا ومن يتق الله يكفر عنه سيأته

ويعظم له اجرا ومن ذلك الوعد بالجنة قال

الله تعالى تلك الجنة التي وعد المتقون

الصفحة الأولى من المخطوطة الثانية

وازلفت الجنة للمتقين عند ربهم جنات النعيم

ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند

مليك مقتدر ومن ذلك الكرامة في الدنيا والاخرة

قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فجعل

الكرامة عنده بالتقوى لا بالانساب ولا بالاموال

ولا بشي اخر فكم وعد الله ورسوله على التقوى

من خيرات وسعادات ودرجات وحسنات و

صلاح وفلاح وغنايم وارباح يطول ذكرها

ويتعذر حصرها وما احسن ما قيل في المعنى بيت

ومن يتق الله فذاك الذي • سيق اليه المتجر الرابح •

الصفحة الثانية من المخطوطة الثانية

وورد ان عمودا من نور واقفا بين يدي الله عز وجل

فاذا قال القائل لا اله الا الله اهتز ذلك العمود فيقول الله

تعالى له اسكن فيقول كيف اسكن ولم تغفر لقائلها فيقول

الله تعالى قد غفرت له فيسكن وورد ايضا ان العبد اذا قال

لا اله الا الله لم تمر لا اله الا الله على سيئة في صحيفة الا محتها

حتى تجد حسنة فتسكن الى جنبها وورد ايضا ان لو كانت

السموات السبع والارضون السبع وما فيهن في كفة ولا

اله الا الله في كفة لرجحت بهن لا اله الا الله وما ورد في

فضل هذه الكلمة كثير شهير والقصد الاشارة دون

الاستقصاء ويكفي في معرفة فضلها انها الكلمة التي يدخل بها

الانسان في الاسلام ومن ختم له عند الموت بها فاز بالسعادة

الابدية التي لا شقاوة بعدها اللهم يا كريم نسالك

ان تحيينا وتميتنا وتبعثنا على قول لا اله الا الله مخلصين

والدينا واحبابنا والمسلمين امين وقال صلى الله عليه وسلم

صفحة من داخل المخطوطة الثانية

احتوشته ملايكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من
بين ايديهم ورايت رجلا من امتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا
منع فجاءه صيامه فسقاه وارواه ورايت رجلا من امتي والنبيون
قعود حلقا حلقا كلما دنا الحلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة
فاخذه بيده فاقعده الى جنبي ورايت رجلا من امتي بين يديه
ظلمه وخلفه ظلمه وعن يمينه ظلمه وعن يساره ظلمه ومن فوقه
ظلمه ومن تحته ظلمه فهو متحير فيها فجاءه حجته وعمرته فاستخرجاه
من الظلمه وادخلاه النور ورايت رجلا من امتي يكلم المومنين
ولا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يا معشر المومنين كلموه
فكلموه ورايت رجلا من امتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن
وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على
راسه ورايت رجلا من امتي اخذته الزبانيه من كل مكان
فجاءه امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من ايديهم
وادخلاه مع ملايكة الرحمه ورايت رجلا من امتي جاثيا

على ركبتيه

الصفحة قبل الاخيرة من المخطوطة الثانية

ليقبض روحه فاذا دخل قبره ورد الروح في جسده وجاءه

ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة

انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا

معقودا في عنقه ثم حضر معه واحد سايق واخر شهيد

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قدامكم لامرا

عظيما ما تقدرواله فاستعينوا بالله العظيم ذكره الحافظ

السيوطي رحمه الله تعالى في شرح الصدور وقال اخرجه ابن

ابي الدنيا وابو نعيم الحديث الثاني عن عبد الرحمن بن سمره

رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

اني رايت البارحه عجبا رايت رجلا من امتي جاءه ملك الموت

ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه ورايت رجلا

من امتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه

من ذلك ورايت رجلا من امتي احتوشته الشياطين فجاءه

ذكر الله فخلصه من بينهم ورايت رجلا من امتي قد

الصفحة الأخيرة من المخطوطة الثانية

تنبيه واستدراك

هذا الكتاب مؤلف على طريقة السابقين ، الذين غلب اهتمامهم بموضوع ما يكتبون على اهتمامهم بفهرسة الكتاب ووضع الأبواب والفصول لهُ . . . وحرصاً على عمل ذلك من غير مساسٍ بأصل الكتاب فقد عملت مباحث بصفحات مستقلة . . . وعناوين بالهامش . . . لعموم الفائدة بذلك . . .

والله ولي التوفيق . . .

الناشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .
سُبْحَانَكَ ! لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

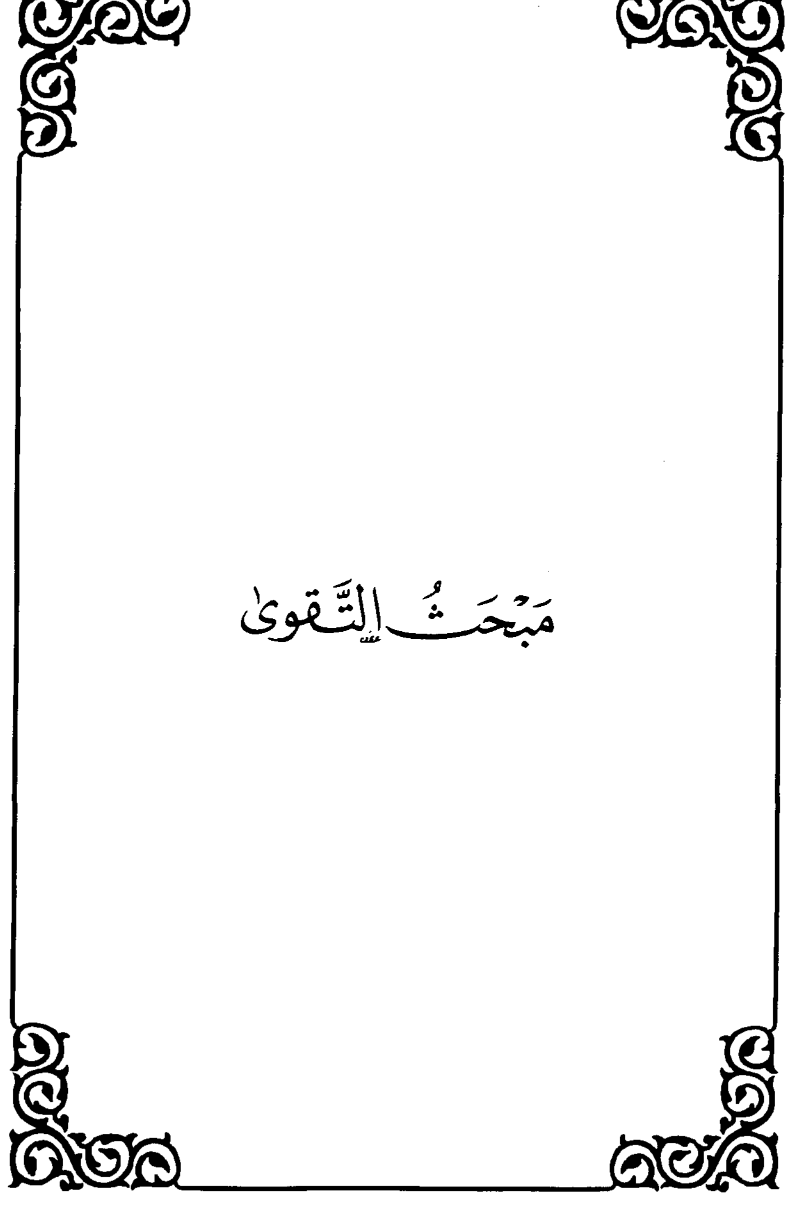
الحمد لله رب العالمين ، الذي جعل الدعوة إلى الهدى ، والدلالة على الخير ، والنصيحة للمسلمين ، من أفضل القربات ، وأرفع الدرجات ، وأهم المهمات في الدين ؛ وذلك سبيل أنبياء الله المرسلين ، وأوليائه الصالحين ، والعلماء العاملين الراسخين في العلم واليقين . وصلىٰ الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد الرسول الأمين ، والحبيب المكين ، خاتم النبيين ، وإمام المتقين ، وسيد السابقين واللاحقين ، وعلى آله وأصحابه المخلصين الصادقين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

(أما بعد) فقد قال رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله

ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو آمرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » (رواه البخاري ومسلم) . وقال عليه الصلاة والسلام : « الدين النصيحة » . قالوا : لمن يا رسول الله؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (رواه مسلم) .

وهذا كتاب أَلَّفناه وجمعنا فيه نُبذاً من النصائح الدينية ، والوصايا الإيمانية . وقصدنا بذلك النفع والانتفاع ، والتذكر والتذكير لأنفسنا ولإخواننا من المسلمين . وقد جعلناه بعبارة سهلة قريبة ، وألفاظ سلسة مفهومة ؛ حتى يفهمه الخاص والعام ، من أهل الإيمان والإسلام . وسميناه كتاب (النصائح الدينية والوصايا الإيمانية) . نسأل الله تعالىٰ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ومقرباً إلى جواره في جنات النعيم ، وأن يعظم النفع به لنا ولكافة إخواننا من المؤمنين ؛ فإنه وليُّ ذلك ، والقادر عليه . وحسبنا الله ونعم الوكيل . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

* * *



مَبْحَثُ التَّقوى



قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٤/ ٨٧] . ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء : ٤/ ١٢٢] . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٢ـ١٠٥] .

فقوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٢] . أمر منه عز وجَلَّ لعباده المؤمنين بتقواه . وكأنه سبحانه قد جمع في التقوى جميع الخيرات العاجلة والآجلة ، ثم أمر عباده المؤمنين بها ليفوزوا ويظفروا بما جعله فيها من الخير والصلاح ، والسعادة والفلاح ؛ رحمة بعباده المؤمنين . وكان بالمؤمنين رحيماً .

« والتقوىٰ » وصية الله رب العالمين للأولين والآخِرين ،

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٤/ ١٣١] . فما من خير عاجل ولا آجل ، ظاهر ولا باطن إلا والتقوىٰ سبيل موصل إليه ، ووسيلة مبلِّغة له . وما من شر عاجل ولا آجل ، ظاهر ولا باطن إلا والتقوى حرز حريز ، وحصن حصين للسلامة منه ، والنجاة من ضرره .

وكم علَّق الله العظيم في كتابه العزيز على التقوى من خيرات عظيمة ، وسعادات جسيمة .

فمن ذلك المعية الإلهية الحفظية اللطفية ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٩٤] .

ومن ذلك العلم اللدني قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٨٢] .

ومن ذلك الفرقان عند الاشتباه ووقوع الإشكال ، والكفارة للسيئات ، والمغفرة للذنوب ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال : ٨/ ٢٩] .

ومن ذلك النجاة من النار ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ١٩/ ٧١-٧٢] . وقال : ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر : ٣٩/ ٦١] .

ومن ذلك المخرج من الشدائد ، والرزق من حيث لا يحتسب ، واليسر وعظم الأجر قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٦٥/ ٢-٣] . ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٦٥/ ٤] . ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق : ٦٥/ ٥] .

ومن ذلك الوعد بالجنة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٩/ ٦٣] . وقال الله تعالىٰ : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الرعد : ١٣/ ٣٥] . ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٦/ ٩٠] .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [القلم : ٦٨/ ٣٤] .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : ٥٤/ ٥٤-٥٥] .

ومن ذلك الكرامة في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ٤٩/ ١٣] . فجعل الكرامة عنده بالتقوى ، لا بالأنساب ولا بالأموال ولا بشيء آخر . وكم وعد الله ورسوله على التقوى من خيرات وسعادات ، ودرجات وحسنات ، وصلاح وفلاح ، وغنائم وأرباح ، يطول ذكرها ، ويتعذر حصرها .

وما أحسن ما قيل في المعنى :

مَـنْ يتَّـقِ اللهَ فَـذَاكَ الَّـذي ... سِيْـقَ إليـهِ ٱلْمَتْجَـرُ الـرَّابِـحُ

وقيل أيضاً :

مَـنْ عَـرَفَ اللهَ فلَـمْ تُغْنِـهِ   مَعْـرِفَـةُ اللهِ فَـذَاكَ الشَّقـي
ما ضرَّ ذا الطّاعةِ ما نالَهُ   فـي طـاعـةِ اللهِ ومـاذا لَقِـي
ما يصنَعُ ٱلعبدُ بعزِّ ٱلغِنىٰ   وٱلعِـزُّ كُـلُّ ٱلعِـزِّ لِلْمُتَّقِـي

أقوال العلماء في التقوى

قال العلماء ـ رضوان الله عليهم ـ : التقوى عبارة عن امتثال أوامر الله تعالىٰ ، واجتناب نواهيه ظاهراً وباطناً ، مع استشعار التعظيم لله ، والهيبة والخشية والرهبة من الله .

وقال بعض المفسرين ـ رحمهم الله ـ في قوله تعالىٰ : ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران : ٣/١٠٢] . هو أن يطاع فلا يعصىٰ ، ويذكر فلا ينسى ، ويُشكر فلا يُكفر . انتهىٰ .

ولن يستطيع العبد ولو كان له ألفُ ألفِ نفس إلى نفسه ، وألفُ ألفِ عمر إلى عمره ، أن يتقي الله حق تقاته ولو أنفق جميع ذلك في طاعة الله ومحابه ، وذلك لعظم حق الله تعالىٰ على عباده ، ولجلال عظمة الله ، وعلو كبريائه ، وارتفاع مجده . وقد قال أفضل القائمين بحق الله ، وأكملهم ، محمد ﷺ في دعائه ، اعترافاً بالعجز عن القيام بإحصاء الثناء على الله : « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك . لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

وقد بلغنا أن لله ملائكة لم يزالوا منذ خلقهم الله في ركوع

وسجود ، وتسبيح وتقديس ، لا يفترُون عنه ، ولا يشتغلون بغيره ، فإذا كان يوم القيامة يقولون : « سبحانك! ولك الحمد . ما عرفناك حق معرفتك! ولا عبدناك حق عبادتك » .

وقد قال بعض العلماء : إن قوله تعالىٰ : ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٢] . منسوخ بقوله : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ٦٤/ ١٦] . وقال بعضهم : الآية الثانية مبيِّنة للمراد من الآية الأولى لا ناسخة لها ؛ وهذا هو الصواب إن شاء الله تعالىٰ ، فإن الله تعالىٰ ـ وله الحمد ـ لا يكلف نفساً إلا وسعها . وإن كان له ذلك لو أراده وأمر به ، لأن له أن يفعل في ملكه وسلطانه ما يشاء . ولكنه سبحانه قد خفف ويسَّر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٤/ ٢٨] . ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٨٥] .

قال الإمام الغزالي رحمه الله في « الإحياء » : لما نزل قوله تعالىٰ : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٨٤] . شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ورضي عنهم ؛ فجاءوا إليه وقالوا : يا رسول الله ، كُلِّفنا ما لا نطيق! وفهموا من الآية المؤاخذة والمحاسبة حتى على حديث النفس ؛ فقال لهم عليه السلام : « أتريدون أن تقولوا كما قالت بنو إسرائيل : سمعنا وعصينا! ولكن قولوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك

المصير » . فقالوا ذلك ، فأنزل الله : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٨٥] .

فحكى ذلك عنهم وما بعده من دعائهم : بأن لا يؤاخذهم بالنسيان والخطأ ، وأن لا يحمل عليهم الإصر ، إلى آخر ما أخبر به عنهم . فاستجاب لهم وخفَّف ويسَّر ورفع الحرج ، فله الحمد كثيراً .

وبيَّن ذلك عليه السلام بقوله : « تُجُوِّز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرِهوا عليه ، وما حدَّثوا به أنفسهم ما لم يقولوا أو يعملوا » الحديث .

* * *

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٢] . أمر منه سبحانه بالموت على الإسلام ، وهو دين الله الذي أخبر في كتابه أنه الدين عنده ، وأنه لا يقبل من أحد سواه ، وأنه الدين الذي رضيه لرسوله ولعباده المؤمنين ؛ فقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٩] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ٨٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٥/٣] . وليس يَقْدِر الإنسان على أن يميت نفسه على الإسلام ، ولكن قد جعل الله له سبيلاً إلى ذلك ، إذا أخذ به كان قد أتى بالذي هو عليه ، وامتثل ما أمره به ، وهو أن يختار الموت على الإسلام ، ويحبه ويتمناه ، ويعزم عليه ، ويكره الموت على غيره من الأديان ، ولا يزال داعياً متضرعاً وسائلاً من الله أن يتوفاه مسلماً ؛ وبذلك وصف الله أنبياءه والصالحين من عباده فقال مخبراً عن يوسف بن يعقوب عليهما السلام : ﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٢/١٠١] . وعن السحرة حين آمنوا فتوعدهم فرعون بالعقوبة : ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/١٢٦] . وحكى الله تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام أنه أوصى بنيه ، وعن يعقوب أنه أوصىٰ بنيه أيضاً عليهم السلام بالموت على الإسلام فقال تعالىٰ : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٣٢] .

* * *

وعلى الإنسان الاجتهاد في حفظ إسلامه وتقويته بفعل ما أُمر به من طاعة الله تعالىٰ ، فإن المضيِّع لأوامر الله متعرض للموت على غير الإسلام ؛ فإنَّ تَرْكَه لذلك دليل على استهانته بحق الدين وعلى الاستخفاف به ، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر .

وعليه أيضاً أن يجانب المعاصي والآثام ، فإنها تُضْعِف

الإسلام وتوهنه ، وتزلزل قواعده وتعرضه للسلب عند الموت ، كما وقع ذلك ـ والعياذ بالله ـ لكثير من الملابسين لها ، والمصرين عليها .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الروم : ٣٠/١٠] . ما يدل على ذلك ؛ فتأمله ، وخذ نفسَك بامتثال أوامر الله تعالىٰ ، واجتناب محارمه . وإن وقعتَ في شيء منها فتب إلى الله تعالىٰ منه ، واحذر كلَّ الحذر من الإصرار عليه .

ولا تزال سائلاً من الله حسن الخاتمة ، وقد بلغنا أن الشيطان ـ لعنه الله ـ يقول : قصم ظهري الذي يسأل الله تعالىٰ حسن الخاتمة . **أقول** : متى يُعجَب هذا بعمله! أخاف أن قد فطن .

وأكثِرْ من الحمد والشكر لله على نعمة الإسلام ، فإنها أعظم النعم وأكبرها ؛ فإن الله لو أعطى الدنيا بحذافيرها عبداً ومنعه الإسلام لكان ذلك وبالاً عليه . ولو أعطاه الإسلام ومنعه الدنيا لم يضره ذلك ، لأن الأول يموت فيصير إلى النار ، وهذا الثاني يموت فيصير إلى الجنة .

وعليك أن لا تزال خائفاً وجلاً من سوء الخاتمة ، فإن الله مقلب القلوب ، يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء . وفي الحديث الصحيح : « والذي لا إلٰه غيره إن أحدَكم ليعمل

بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » الحديث .

وفيه غاية التخويف لأهل التقوى والاستقامة ، فضلاً عن أهل التفريط والتخليط . وكان بعض السلف الصالح يقول : والله ما أَمِنَ أحد على دينه أن يُسلب إلا سُلب . وقد كان السلف الصالح ـ رحمة الله عليهم ـ في غاية الخوف من خاتمة السوء مع صلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم ، حتى قال بعضهم : لو عُرض عليَّ الموت على الإسلام بباب الحجرة ، والشهادة بباب الدار ، يعني الشهادة في سبيل الله ، لاخترت الموت على الإسلام على باب الحجرة ، على الشهادة على باب الدار ؛ لأني لا أدري ما الذي يَعرِض لقلبي فيما بين الحجرة إلى باب الدار!

وقال آخر لبعض إخوانه : إذا حضرني الموت فاقعد عند رأسي وانظر ، فإن رأيتني قد مُتُّ على الإسلام فخذ جميع ما معي فبعه ، وخذ به سكراً ولوزاً وفرِّقه على الصبيان . وإن رأيتني قد مت على غير ذلك فأَعلِم الناس ليصلي عليَّ من أراد أن يصلي ، على بصيرة . وكان قد ذكر له علامة يعرف بها الفرق بين الأمرين . قال : فرأيته قد مات على الإسلام . وفعل

ما أمره به من التصدق على الصبيان . وحكاياتهم في ذلك كثيرة مشهورة .

واعلم أنه كثيراً ما يُختَم بالسوء للذين يتهاونون بالصلاة المفروضة ، والزكاة الواجبة ، والذين يتتبعون عورات المسلمين ، والذين ينقصون المكيال والميزان ، والذين يخدعون المسلمين ويغشونهم ويلبسون عليهم في أمور الدين والدنيا ، والذين يكذِّبون أولياء الله ، ويُنكرون عليهم بغير حق ، والذين يَدَّعُون أحوال الأولياء ومقاماتهم من غير صدق ، وأشباه ذلك من الأمور الشنيعة .

ومن أخوف ما يخاف منه على صاحبه سوء الخاتمة ، البدعة في الدين ، وكذلك إضمار الشك في الله ورسوله واليوم الآخر ، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر ، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم .

اللهم يا أرحم الراحمين ، نسألك بنور وجهك الكريم ، أن تتوفانا مسلمين ، وأن تلحقنا بالصالحين في عافية يا رب العالمين .

* * *

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران : ٣/١٠٣] . أمرٌ بالاعتصام بدين الله ، وهو التمسك

والأخذ به ، والاستقامة عليه ، والاجتماع على ذلك . ونهيٌ عن التفرق فيه ، لأن الجماعة رحمة والفرقة عذاب ، ويد الله مع الجماعة ، كما قال عليه الصلاة والسلام .

ولما كان قيام هذا الدين الشريف في أصله بالاجتماع ، والمعاونة واتحاد الكلمة . كان الافتراق فيه وعدم المساعدة على إقامته موجباً لِوَهنه وضعفه ؛ فظهر أن الاجتماع في الدين أصل كلِّ خير وصلاح . والتفرق فيه أصل كل شر وبلاء .

* * *

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران : ٣/١٠٣] . أمرٌ بشكره تعالىٰ على نعمة الألفة التي أنعم الله بها عليهم بعد العداوة الشديدة التي كانت بين الأوس والخزرج . وهم أنصار الله ورسوله خصوصاً ، وبين سائر العرب عموماً ؛ فإنهم إنما كانوا يقتتلون ويتناهبون ، ويأكل بعضهم بعضاً حتى بعث الله فيهم رسوله ، وأنزل عليه كتابه ، فجمع به شتاتهم ، وألَّف بين قلوبهم ، وأزال به ما كان بينهم من الضغائن والعداوات ، والفتن والمقاطعات ، فأصبحوا بنعمته إخواناً في دينه ونصرة رسوله ، وتعظيم شعائره ، وقد ذكر الله تعالىٰ ذلك في معرض الامتنان على رسوله عليه السلام في قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ . . . ﴾ [الأنفال : ٨/ ٦٢-٦٣] . وقد كانوا من قبل أن يبعث الله إليهم رسوله على شفا حفرة من النار ، وذلك بما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الأصنام ، فأنقذهم الله منها بما شرعه لهم من توحيده والعمل بطاعته ؛ فطلب الله منهم سبحانه أن يشكروه على ذلك ، ويعرفوا حق نعمته عليهم في إنقاذهم من الضلالة ، واجتماعهم بعد الفرقة . وحذَّرهم في ضمن ذلك من موجبات الفرقة ، والاختلاف بعد الاجتماع والائتلاف ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٣] . أي تزدادون هدىً إلى هداكم ؛ كما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد : ٤٧/ ١٧] .

* * *

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ . أي جماعة ، ﴿ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٠٤] وهو ـ أعني الخير على الجملة ـ الإيمان والطاعة . والدعوة إلى ذلك منزلة عند الله رفيعة ، وقربة إلى الله عظيمة .

قال ﷺ : « من دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه من غير ان ينقص من آثامهم شيء » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الدالُّ على الخير كفاعله » .
فمن جعل الدعاء إلى الخير دأبه وشُغلَه فقد أخذ بحظ وافر من ميراث رسول الله ﷺ ، وسار على سبيله التي قال الله تعالىٰ فيها : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٢/١٠٨] . فلم يكن شغله عليه الصلاة والسلام في جميع أوقاته غير الدعوة إلى الله بقوله وفعله ؛ ولذلك بعثه الله ، وبذلك أمره ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ [الرعد : ١٣/٣٦] . فأقرب الناس من رسول الله ﷺ وأولاهم به في الدنيا والآخرة ، أحرصهم على هذا الأمر ، وأكثرهم شغلاً به ، وأتمهم دخولاً فيه ، أعني به الدعوة إلى الخير المفسَّر بالإيمان والطاعة ، والنهي عن ضديهما اللذين هما الكفر والمعصية .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٠٤] . والفلاح : هو الفوز بسعادة الدنيا والآخرة .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : من أعظم شعائر الدين ، وأقوى دعائم الإسلام ، وأهم الوظائف على المسلمين ، وبهما قِوام الأمر وصلاح الشأن كله . وبإهمالهما تتعطل الحقوق ، وتُتعدىٰ الحدود ، ويخفى الحق ويظهر الباطل .

والمعروف : عبارة عن كل شيء أمر الله بفعله ، وأحب من عباده القيام به . والمنكر : كل شيء كره الله فعله ، وأحب من عباده تركه . والقيامُ بذلك ، أعني الأمر والنهي ، لابد منه ، ولا رخصة في تركه ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان » . وفي رواية أخرى : « وليس وراء ذلك ـ يعني الإنكار بالقلب ـ من الإيمان مثقال ذرة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف ويَنْهَ عن المنكر » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده ، لتأمرُنَّ بالمعروف ، ولتنهَوُنَّ عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم أو ليبعثن الله عليكم عقاباً من عنده » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا هابت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم ؛ فقد تُوُدِّعَ منها » ومعنى ذلك : فقد ذهب خيرها ، ودنا هلاكها .

* * *

ولا يقبل الله تعالىٰ الأعذار الباردة ، والتعللات الكاذبة التي يتعلل بها أبناء الزمان في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك كقولهم : إنه لا يُقبل منا مهما أمرنا أو نهينا . أو أنه يحصل لنا بواسطة الأمر والنهي أذى لا نطيقه ، وأشباه

ذلك من توهمات من لا بصيرة له ، ولا غَيرة على دين الله . وإنما يجوز السكوت عند تحقق وقوع الأذى الكثير ، أو تيقُّن عدم القبول ، ومع وجود ذلك فالأمر والنهي أفضلُ وأولىٰ ، غير أنه يُسقط الوجوب . والعَجَبُ أن أحدهم إذا شُتم أو أُخذ من ماله ولو شيئاً يسيراً تضيق عليه الدنيا ولا يمكنه السكوت ، ولا يتعلل بشيء من تلك التعللات التي يتعلّل بها في السكوت على المنكرات . فهل لهذا محمل ، أو وجه سوى أن أعراضهم وأموالهم أعز عليهم من دينهم!

وإذا سلمنا لهم أنه لا يُسمع منهم إذا أمَروا أو أنكروا ، فما الذي يحملهم على مخالطة أهل المنكر ومعاشرتهم!؟ وقد أوجب الله عليهم تركهم والإعراضَ عنهم مهما لم يستجيبوا لله ورسوله . وقد ثبت أن الذي يشاهد المنكرات ولا ينكرها مع القدرة شريكٌ لأصحابها في الإثم . وكذلك الذي يرضى بها وإن لم يكن حاضراً عندها . بل وإن كان بينه وبين الموضع الذي تُعمل فيه مثل ما بين المشرق والمغرب . والذي يخالط أهل المنكر ويعاشرهم وإن لم يعمل بعملهم معدودٌ عند الله منهم ، وإن نزلت بهم عقوبة أصابته معهم ، ولا ينجو ولا يسلم إلا بالنهي ، ثم بالمجانبة والمفارقة لهم إن لم يقبلوا وينقادوا للحق .

والحبُّ في الله لأهل طاعته ، والبغضُ في الله لأهل معصيته من أوثق عُرىٰ الإيمان . وقد بلغنا عن رسول الله ﷺ

أنه قال : « لما أحدث بنو إسرائيل الأحداث نهتهم علماؤهم فلم يستجيبوا لهم ، فخالطوهم بعد ذلك وواكلوهم ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله بقلوب بعضهم على بعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم » .

وفي قصة أهل القرية التي كانت حاضرة البحر : أنهم لما استحلّوا الاصطياد المحرّم عليهم يوم السبت تفرقوا ثلاث فرق ؛ ففرقة اصطادوا واستحلوا ما حرم الله عليهم ، وفرقة أمسكوا ونهوهم ولم يفارقوهم ، وفرقة فارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم بعد النهي لهم ، فلما نزلت العقوبة عمت الأولى وكذا الثانية ، لإقامتهم مع أهل المعصية وإن لم يعملوا بعملهم . ونجت الفرقة الثالثة ، وذلك قوله تعالىٰ : ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٦٥] . فمسخهم الله قردةً ولعنهم ، كما في الآية الأخرى : ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾ [النساء : ٤/ ٤٧] . وتكون الهجرة والمجانبة لأهل المعاصي ، عند الإياس من قبولهم للحق .

* * *

واعلم أنه ليس بواجب على أحد أن يبحث عن المنكرات المستورة حتى ينكرها إذا رآها ، بل ذلك محرم لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ [الحجرات : ٤٩/ ١٢] . ولقول النبي عليه الصلاة

والسلام : « من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته . . » الحديث . وإنما الواجب هو الأمرُ بالمعروف عندما ترى التاركين له في حال تركهم ، والإنكارُ للمنكَر كذلك . فاعلم هذه الجملة ؛ فإنا رأينا كثيراً من الناس يغلَطون فيها .

ومن المهمِّ : أن لا تصدِّق ولا تقبل كل ما يُنقل إليك من أفعال الناس وأقوالهم المنكَرة حتى تشاهد ذلك بنفسك ، أو ينقله إليك مؤمن تقيٌّ لا يجازف ، ولا يقول إلا الحق . وذلك لأن حسن الظن بالمسلمين أمرٌ لازم ، وقد كثرت بلاغات الناس بعضهم على بعض ، وعمَّ التساهل في ذلك ، وقلّت المبالاة ، وارتفعت الأمانة ، وصار المشكور عند الناس من وافقهم على هوى أنفسهم وإن كان غير مستقيم لله! والمذمومُ عندهم من خالفهم وإن كان عبداً صالحاً ، فتراهم يمدحون من لا يستأهل المدح لموافقته إياهم وسكوته على باطلهم ، ويذمُّون من يخالفهم وينصحهم في دينهم!!

هذا حال الأكثر إلاَّ من عصمه الله ، فوجب الاحتراز والتحفظ والاحتياط في جميع الأمور ، فإن الزمان مفتون وأهله عن الحق ناكبون إلا من شاء الله منهم وهم الأقلون .

* * *

واعلم أن الرفق واللطف ، ومجانبة الغلظة والعنف ، أصلٌ كبير في قبول الحق والانقياد له ، فعليك بذلك مع مَن أمرتَه أو

نهيتَه أو نصحتَه من المسلمين ، وأَحْسِن السياسة في ذلك ، وكَلِّمه خالياً ، ولِنْ له جانباً ، واخفض له جناحاً ، فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نُزع من شيء إلا شانه ، كما قال عليه الصلاة والسلام ، وكما قال الله تعالىٰ لرسوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٥٩] .

* * *

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٥] نهيٌ من الله لعباده المؤمنين عن التشبه بالمتفرقين المختلفين في دينهم من أهل الكتاب ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين اختلفوا في دينهم ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ فاستعظم ـ رحمك الله ـ جدّاً عذاباً سمَّاه الإلٰه العظيم عظيماً ، وتفكَّر فيه وانجُ بنفسك منه ، وذلك بملازمة الكتاب والسنة ، ومجانبة الزيغ والبدعة ، والآراء المختلفة والأهواء المتفرقة .

* * *

واعلم أنه كما تفرق أهل الكتاب واختلفوا في دينهم ، فقد تفرقت هذه الأمة واختلفت أيضاً على وفق ما أخبر به رسول الله ﷺ في قوله : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارىٰ على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق

أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلا فرقة واحدة » . وقد افترقت هذه الأمة على هذا العدد من زمان قديم ، وتمّ ما وعد به الصادق الأمين على وحي الله تعالىٰ وتنزيله ، ولما سئل عليه الصلاة والسلام عن الفرقة الناجية مَن هي؟ قال : « التي تكون على مثل ما أنا عليه وأصحابي » . وأمر عليه الصلاة والسلام عند الاختلاف بلزوم السواد الأعظم وهو الجمهور الأكثر من المسلمين . ولم يزل أهل السنة بحمد الله تعالىٰ من الزمان الأول إلى اليوم هم السواد الأعظم ، وصح أنهم الفرقة الناجية بفضل الله لذلك ، ولملازمتهم للكتاب والسنة ، وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وبعد : فإنا والحمد لله قد رضينا بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبيّاً ورسولاً ، وبالقرآن إماماً ، وبالكعبة قبلةً ، وبالمؤمنين إخواناً . وتبرَّأنا من كل دين يخالف دين الإسلام ، وآمنا بكل كتاب أنزله الله ، وبكل رسول أرسله الله ، وبملائكة الله ، وبالقَدَر خيره وشره ، وباليوم الآخر ، وبكل ما جاء به محمد رسول الله ﷺ عن الله تعالى ، على ذلك نحيا وعليه نموت ، وعليه نبعث إن شاء الله من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، بفضلك اللهم يا رب العالمين . وقد قال رسول الله ﷺ : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً » . وقال عليه

الصلاة والسلام : « من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات : رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، كان حقاً على الله أن يرضيه » .

* * *

واعلموا معاشر الإخوان أنه من رضي بالله رباً : لزمه أن يرضى بتدبيره واختياره له ، وبمُرِّ قضائه ، وأن يقنع بما قسمه له من الرزق ، وأن يداوم على طاعته ، ويحافظ على فرائضه ، ويجتنب محارمه ، ويكون صابراً عند بلائه ، شاكراً لنعمائه ، محبّاً للقائه ، راضياً به وكيلاً ووليّاً وكفيلاً ، مخلصاً له في عبادته ، ومعتمداً عليه في غَيبته وشهادته . لا يفزع في المهمات إلا إليه ، ولا يعوّل في قضاء الحاجات إلا عليه سبحانه وتعالىٰ .

ومن رضي بالإسلام ديناً : عظّم حرماته وشعائره ، ولم يزل مجتهداً فيما يؤكده ويزيده رسوخاً واستقامة من العلوم والأعمال ، ويكون به مغتبطاً ، ومِن سَلْبه خائفاً ، ولأهله محترماً ، ولمن كفر به مبغضاً ومعادياً .

ومن رضي بمحمد ﷺ نبياً : كان به مقتدياً ، وبهديه مهتدياً ، ولشرعه متَّبِعاً ، وبسنته متمسِّكاً ، ولحقِّه معظِّماً ، ومن الصلاة والسلام عليه مكثراً ، ولأهل بيته وأصحابه محباً ، وعليهم مترضياً ومترحماً ، وعلى أمته مشفقاً ولهم ناصحاً .

فينبغي لك أيها المؤمن : أن تطالب نفسك بتحقيق هذه المعاني التي ذكرناها في معنى قولك : « رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً » وكلِّف نفسك الاتصاف بها ، ولا تقنع منها بمجرد القول ، فإنه قليل الجدوى ، وإن كان لا يخلو عن منفعة .

وكذلك فافعل في جميع ما تقوله من الأذكار والأدعية ونحوها ، وطالب نفسك بحقائقها والاتصاف بمعانيها ، مثال ذلك : أن تكون عند قولك « سبحان الله » ممتلىء القلب بتنزيه الله وتعظيمه ، وعند قولك « الحمد لله » ممتلىء القلب بالثناء على الله تعالىٰ وشكره ، وعند قولك « رب اغفر لي » ممتلئاً من الرجاء في الله أن يغفر لك ، ومن خوفه أن لا يغفر لك ، فقس على ذلك .

واجتهد في الحضور مع الله ، وتدبر معاني ما تقوله ، واجتهد في الاتصاف بما يحبه الله منك والاجتناب لما يكرهه .

إصلاح القلب

واصرف عنايتك إلى أمر القلب والباطن ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » فحقِّق قولك بعملك ، وعملك بنيتك وإخلاصِك ، ونيتَك وإخلاصَك بتصفية ضميرك وإصلاح قلبك ، فإن القلب هو الأصل وعليه المدار .

وفي الحديث : « ألا إن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح

سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ؛ ألا وهي القلب » . فوجب الاهتمام به ، وصرف العناية إلى إصلاحه وتقويمه ، وهو ـ أعني القلب ـ سريع التقلب ، كثير الاضطراب حتى قال عليه الصلاة والسلام فيه : « إنه أسرع تقلُّباً من القِدْر إذا استجمعت غليانها » . وكان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يدعو : « يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك » . ويقول : « إن القلوب بين أُصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامها وإن شاء أزاغها » ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا حلف واجتهد في اليمين يقول : « لا . . ومقلِّب القلوب » . وقال تعالىٰ حاكياً عن إبراهيم خليله عليه السلام : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٢٦/ ٨٧ـ٨٩] . فاحرص كل الحرص ـ رحمك الله ـ على أن تأتي ربك بالقلب السليم من الشرك والنفاق ، والبدعة ومنكرات الأخلاق ، مثل الكبر والرياء ، والحسد والغش للمسلمين ، وأشباه ذلك . واستعن بالله واصبر ، واجتهد وشمِّر ، وقل كثيراً : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٣/ ٨] . فبذلك وصف الله الراسخين في العلم من عباده المؤمنين .

* * *

القسوة والغفلة

وإياك والقسوة ، وهي غلظ القلب وجموده حتى لا يتأثر بالموعظة ، ولا يرقّ ولا يلين عند ذكر الموت والوعد والوعيد ، وأحوال الآخرة ، قال ﷺ : « أبعد الأشياء من الله تعالىٰ القلبُ القاسي » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من الشقاء أربع : قسوة القلب ، وجمود العين ، والحرص ، وطول الأمل » . فاحترز من هذه الأربع . وفي الحديث الآخر : « واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل » .

والغفلة دون القسوة ، وهي مذمومة ، وفيها غاية الضرر . والقلبُ الغافل : هو الذي لا يستيقظ ولا يتنبَّه إذا وردت عليه المواعظ والزواجر ، ولا يلتفت إليها من غفلته وسهوه ، واشتغاله بلعبه ولهوه ، وزخارف دنياه ، واتِّباع هواه ، قال الله تعالىٰ لرسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/٢٠٥] . فنهاه عن أن يكون من أهل الغفلة ، كما نهاه عن طاعة الغافلين والسماع منهم في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ١٨/٢٨] .

ومن الغفلة أن يقرأ العبد القرآن الكريم أو يسمعه فلا يتدبره ولا يتفهم معانيه ، ولا يقف عند أوامره وزواجره ، ومواعظه وقوارعه . وكذلك أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وكلام السلف الصالح رضوان الله عليهم .

ومن الغفلة أن لا يكثر ذكر الموت وما بعده من أمور الآخرة ، وأحوال أهل السعادة وأهل الشقاوة فيها ، ولا يُدْمِن على الفكر في ذلك .

ومن الغفلة أن لا يكثر مجالسة العلماء بالله وبدينه ، المذكِّرين بأيامه وآلائه ووعده ووعيده ، المحرِّضين على طاعته وعلى اجتناب معصيته بأفعالهم وأقوالهم ، ومن لم يجدهم فكتبهم التي صنفوها تُجزِي عن مجالستهم عند فقدهم .

على أن الأرض لا تخلو إن شاء الله منهم ، وإن عمَّ فساد الزمان وتفاحش ظهور الباطل وأهله ، وأدبر الخاص والعام وأعرضوا عن الله وعن إقامة الحق إلاَّ من شاء الله وقليلٌ ما هم ، وذلك لقول النبي عليه الصلاة والسلام : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم حتى يأتي أمر الله » مع أخبار وآثار كثيرة تدل على أن الأرض لا تخلو في كل زمان عن عصابة من أهل الحق ، مستقيمين على كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ يدعون الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة ، غير أنهم يَقِلُّون جداً في آخر الزمان ، وقد يستترون حتى لا يعرفهم ويهتدي إليهم إلا الطالب الصادق ، والراغب المخلص ، والله تعالىٰ أعلم .

* * *

واعلموا معاشر الإخوان ـ أيدنا الله وإياكم ـ أن خير القلوب وأحبها إلى الله : ما كان نظيفاً نقياً من الباطل والشكوك ، ومعاني الشر كلها ، واعياً للحق والهدى ، ومعاني الخير والصواب .

وفي الحديث : « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن . وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر . وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق . وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق ، فمَثَل الإيمان فيه مَثَل البقلة يمُدها الماء العذب ، ومَثَل النفاق فيه مَثَل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه ذهبت به » .

قلت : والظاهر أن هذا القلب الأخير وصف قلوب أهل التخليط والتفريط من عامة المسلمين .

وفي الحديث أيضاً : « إن الإيمان يبدو في القلب لمعة بيضاء ثم تزيد حتى يَبْيَضَّ القلب كله . وإن النفاق يبدو في القلب نكتة سوداء ثم تزيد حتى يَسْوَدَّ القلب كله » نسأل الله العافية والوفاة على الإسلام لنا وللمسلمين .

وإنما يزيد الإيمان بالمداومة على الأعمال الصالحة والإكثار منها مع الإخلاص لله .

وأما النفاق فزيادته بالأعمال السيئة : من ترك الواجبات ، وارتكاب المحرمات ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام :

« من أذنب ذنباً نكت في قلبه ، نكتة سوداء ؛ فإن تاب صُقل قلبه وإن لم يتب زاد ذلك حتى يَسْوَدَّ قلبه » . فذلك الرَّان الذي قال الله تعالىٰ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ٨٣/ ١٤] . فلا شيء أشر وأضر على الإنسان في الدنيا والآخرة من الذنوب ، ولا يكاد يخلص إليه سوء ولا يناله مكروه إلا من جهتها ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٤٢/ ٣٠] .

فينبغي للمؤمن أن يكون على نهاية الاحتراز منها ، وفي غاية البعد عنها ، وإن أصاب منها شيئاً فليبادر بالتوبة منه إلى الله ، فإنه تعالىٰ يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، ظلموا أنفسهم فعرضوها لسخط الله بالوقوع في معصيته ، ثم بالإصرار عليها بتركهم التوبة منها التي أمرهم ربهم بها ووعدهم بقبولها ، ووصف نفسه بذلك فقال تعالىٰ : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [غافر : ٤٠/ ٣] . فتأملوا ـ رحمكم الله ـ هذه الآية ، وما جمعت من المعاني الشريفة والأسرار اللطيفة الباعثة على الخوف والرجاء . والرغبة والرهبة ، وغير ذلك ، ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ٤٠/ ١٣ـ١٤] .

* * *

وقال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ : إن لله في الأرض آنيةً ألا وهي القلوب ، فخيرها أصفاها وأصلبها وأرقها . ثم فسر ذلك فقال : أصفاها في اليقين ، وأصلبها في الدين ، وأرقُّها على المؤمنين .

قلت : واليقين عبارة عن تمكن الإيمان من القلب واستيلائه عليه ، وهو الطمأنينة التي سألها إبراهيم عليه السلام ربه فيما أخبر عنه بقوله : ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة : ٢/ ٢٦٠] .

فبان من هذا أن اليقين غاية الإيمان ونهايته . وفي الحديث : « اليقين هو الإيمان كله » وما نزل من السماء أشرف من اليقين ، وكفى باليقين غنى . وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : « سلوا الله اليقين والعافية ، فإنه ما أوتي أحد بعد اليقين أفضل من العافية » .

وأما الصلابة في الدين فهي القوة فيه ، والثبات عليه ، والغَيرة له حتى يقول الحقَّ وإن كان مُرّاً ، ولا يخاف في الله لومة لائم . وبذلك وصف الله أحِبَّاءه في قوله : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ . [المائدة : ٥/ ٥٣ـ٥٤] .

وبذلك وصف رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال فيه : « أقواكم في دين الله عمر ، قوله الحق ، وما له في الناس من صديق » .

وقد كان رضي الله عنه من أصلب المؤمنين في دين الله ، وأشدهم أخذاً به في حق نفسه وفي حق غيره ، حتى صارت الأمثال تُضرب به في عدله ، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وقيامه بالحق على القريب والبعيد ، رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين .

الرقة على لمؤمنين

وأما الرقة على المؤمنين فأن يكون رحيماً بهم مشفقاً عليهم ، وذلك من أشرف الأخلاق وأفضل الخصال ، وبه وصف الله رسوله فقال : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨/٩] .

وقال رسول الله ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن . ومن لا يَرحمْ لا يُرحمْ » . وقال رسول الله ﷺ أيضاً : « إن أبدال أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ، بل بسلامة الصدور وسخاوة النفوس ، والرحمة بكل مسلم » .

قلت : ولا يُفهَم من هذا أن الأبدال ليسوا بمكثرين من الصلاة والصيام ، بل كانوا مكثرين منهما ومن غيرهما من الأعمال الصالحة . ولكن هذه الأوصاف التي وصفهم بها

نبي الله ﷺ قدَّمتهم إلى الله وقرَّبتهم إليه لفضلها وشرفها أكثر من غيرها من بقية أعمالهم الصالحة لأنها من أعمال القلوب ، وأوصاف السرائر . . فافهم .

واعلم أنها لا توزن أعمال القلوب بأعمال الجوارح في الخير والشر إلا وترجح أعمال القلوب رجحاناً بيِّناً على أعمال الجوارح ، وتزيد عليها زيادة كثيرة . ومن هذه الحيثية فَضَلَ أهلُ التصوف ، المعتنون بتزكية القلوب ، والمهتمون بما يخصها من الأوصاف والأعمال الصالحة ، غيرَهم من طوائف المسلمين من العباد والعلماء الذين ليس لهم من العناية بأمر الباطن مثل ما لأهل التصوف ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم .

والرحمة بالمسلمين أمرٌ واجب وحق لازم ، وهي بالضعفاء والمساكين وأهل البلايا والمصائب أولى وأوجب . ومن لم يجد في قلبه عند مشاهدة ضعفاء المسلمين وأهل البلاء منهم ، رقة ورحمة فهو غليظ القلب ، قد غلبت عليه القسوة ، ونزعت منه الرحمة ، ولا تنزع الرحمة إلا من شقي ، كما قال عليه الصلاة والسلام .

فإن وَجَد مع ذلك ـ أعني هذا القاسي ـ في نفسه تكبراً وأنفة واستنكافاً من مخالطة أهل الضعف والمسكنة من المسلمين فسحقاً له وبعداً ومقتاً من الله ، قد حل به ما استوجب من الطرد عن باب الله ، ويكون في جملة المتكبرين المنازعين لله

تعالىٰ ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » .

* * *

ومن الرقة : خشوع القلب وكثرة البكاء من خشية الله . وذلك وصف شريف ، ومسعى حميد ، به وصف الله أنبياءه والصالحين من عباده فقال تعالىٰ : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : ١٩/٥٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء : ١٧/١٠٩] .

وقد عدَّ عليه الصلاة والسلام في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : « رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » وقال عليه الصلاة والسلام : « كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » يعني في الجهاد ، وكان البكاء الخالص من خشية الله عزيزاً جداً حتى صار بهذه المنزلة من الله مع كثرة من يبكي من الناس ، حتى ورد عنه عليه الصلاة والسلام : « لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، وحتى يلج الجمل في سمِّ الخياط » ، وفي رواية : « من خرج من عينه مثل رأس الذباب من خشية الله » وقد سوّى عليه الصلاة والسلام بين المدمع من خشية الله وبين الدم يهراق في سبيل الله . وورد : « لو أن باكياً بكى في أمة لرحمهم الله ببكائه » ، فتبين بما

ذكرناه أن البكاء كثير ، وأن الذي يكون من خشية الله فقط من البكاء قليل ، فابك من خشية الله ، فإن لم تبك فتَبَاك . وإياك والرياء والتصنع والتزين للمخلوقين فتسقط بذلك من عين رب العالمين .

* * *

وإن عزّ عليك البكاء فتذكَّر ما بين يديك من أهوال الآخرة التي أنت ملاقيها من غير شك ولا ريب ، إن كنت قد آمنت بالله وبما جاء به محمد رسول الله ﷺ ، فسوف تبكي لا محالة إن كان لك قلب يفقه ، وعقل يعقل ، فإن لم يكن لك شيء من ذلك فاعُدد نفسك في الأنعام السائمة في المرعى ، والبهائم الراتعة في الكلأ ، فإن الله تعالىٰ إنما خاطب أهل القلوب وذكرهم ، فقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٥٠/٣٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٣٨/٢٩] . وفي غير موضع من الكتاب العزيز : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة : ٢/٢٦٩] . وهم أولو العقول ، فانظر كيف نفى التذكر عن غيرهم .

كما خص الله تعالىٰ بالتذكُّر أهلَ الإنابة وهم الراجعون إليه ، وأهل الخشية وهم الخائفون منه ، وأهل الإيمان وهم المصدقون به وبرسوله وبوعده ووعيده ، فقال الله تعالىٰ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ . [غافر : ٤٠/ ١٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ [الأعلى : ٨٧/ ٩ـ١٠] . وقال تعالىٰ : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥١/ ٥٥] .

فشرع التذكُّرَ وأمر به رسوله عموماً ، وخص بنفعه المؤمنين من عباده ، وكان ذلك لهم حجة عنده ومحجة إليه ، كما كان على الآخرين حجةً قائمة مدحِضةً لحججهم الباطلة ، فإنهم أعرضوا بعد العلم ، وأنكروا بعد المعرفة ، ولم يستجيبوا لله ورسوله ، ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴾ [فصلت : ٤١/ ٥] . ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [فاطر : ٣٥/ ٤٢] .

فهذا وصف من دعاه ربه إلى توحيده وطاعته على لسان رسوله فأبى واستكبر ، وجحد وكفر . ومن آمن بلسانه وصدَّق بظاهره ، وأنكر بقلبه فهو المنافق ، الذي له ما للكافر وعليه ما عليه من غضب الله ولعنته .

ومن آمن بقلبه ولسانه ، وضيّع ما فرض الله عليه من طاعته ، وارتكب ما حرّم الله عليه من معصيته ، فأمره في غاية الخطر ، ويخشى عليه إن لم يتداركه الله بالتوفيق لتوبة خالصة

قبل مماته أن يلتحق بالمنافقين والكافرين ، ويكون معهم في نار الله الموقدة ﴿ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ [الهمزة : ١٠٤/ ٧ـ٩] .

فاثبُت أيها المؤمن المطيع على طاعة ربك ، واستكثر منها ، واصبر عليها ، وأخلص له فيها ، ودم على ذلك حتى تلقاه جلّ وعلا ، فيرضيك ويرضى عنك ، ويحلك دار كرامته ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾

[الرعد : ١٣/ ٣٥] .

وانزع أيها المؤمن العاصي عن معصيتك ، وتب إلى ربك منها من قبل أن ينزل بك الموت ، فتلقى ربك دنِساً خبيثاً ، فتكون كما قال الله ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه : ٢٠/ ٧٤] . ولا تأمن إن لم تبادر بالتوبة من عصيانك أن يُنزل الله بك عقاباً من عقابه ، فإن العاصين لربهم متعرضون لذلك في كل وقت ، ألم تسمع قول الله تعالىٰ : ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٤٥ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝٤٦ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[النحل : ١٦/ ٤٥ـ٤٧] .

اللهم اجعلنا يا كريم بتذكيرك منتفعين ، ولكتابك ورسولك

متبعين ، وعلى طاعتك مجتمعين . وتوفنا يا ربنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، ووالدينا وأحبابنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

* * *

واعلموا معاشرَ الإخوان ـ أيقظ الله قلوبنا وقلوبكم من سِنة الغفلة ، ووفقنا وإياكم للاستعداد للنقلة من الدار الفانية إلى الدار الباقية ـ أن من أضر الأشياء على الإنسان طول الأمل .

طول الأمل

ومعنى **طول الأمل** : استشعارُ طول البقاء في الدنيا حتى يغلب ذلك على القلب فيأخذ في العمل بمقتضاه ، وقد قال السلف الصالح ـ رحمة الله عليهم ـ : من طال أمله ساء عمله . وذلك لأن طول الأمل يحمل على الحرص على الدنيا ، والتشمير لعمارتها ، حتى يقطع الإنسان ليله ونهاره بالتفكر في إصلاحها ، وكيفية السعي لها تارةً بقلبه وتارةً بالعمل في ذلك ، والأخذ فيه بظاهره ، فيصير قلبه وجسمه مستغرقين في ذلك ، وحينئذ ينسى الآخرة ويشتغل عنها ، ويسوِّف في العمل لها ، فيكون في أمر دنياه مبادراً ومشمِّراً ، وفي أمر آخرته مسوِّفاً ومقصِّراً ، وكان الذي ينبغي له أن يعكس الأمر ، فيشمِّر للآخرة التي هي دار البقاء وموطن الإقامة ، وقد أخبره الله تعالىٰ ورسوله ﷺ أنه لا ينالها بدون السعي والطلب والجدّ في ذلك والتشمير له . وأما الدنيا فهي دار زوال وانتقال ، وعن

قريب يرتحل منها إلى الآخرة ويُخلِّفها وراء ظهره ، وليس مأموراً بطلبها والحرص عليها ، بل هو منهي عنه في كتاب الله تعالىٰ ، وفي سنة رسوله ﷺ ، ونصيبهُ المقدر له منها لا يفوته ولو لم يطلبه ، ولكنه لما طال عليه الأمل حمله على الحرص على الدنيا والتسويف في الآخرة ، فلا يخطر له أمرُ الموت ، ووجوب الاستعداد له بالأعمال الصالحة ، إلاَّ وعدَ نفسه بالفراغ لذلك من أشغال الدنيا في أوقات مستقبَلة كأنَّ أجله في يده يموت متى شاء . وهذا كلّه من شؤم طول الأمل ، فاحذروه ـ رحمكم الله ـ واجعلوا التسويف والتأخير في أمور الدنيا ، والمبادرة والتشمير في أمور الآخرة ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : « اعمل لدنياك كأنك لا تموت أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك ميت غداً » .

واستشعِرُوا قربَ الموت ، فإنه كما في الحديث : « أقرب غائب ينتظر » وما يدري الإنسان! لعلّه لم يبقَ من أجله إلا الشيء اليسير ، وهو مقبل على دنياه ومعرضٌ عن آخرته ، فإن نزل به الموت وهو على تلك الحالة رجع إلى الله ، وهو غير مستعد للقائه ، وربما يتمنى الإمهال عندما ينزل الموت به فلا يجاب إليه ولا يمكّن منه ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/٩٩ـ١٠٠] . فلا يطيل الأمل ويسوِّف العمل ، ويغفل عن

الاستعداد للموت إلا أحمق مغرورٌ ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الكيِّس من دان نفسه ـ يعني حاسبها ـ وعَمِل لما بعد الموت . والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » . فطول الأمل من اتِّباع هوى النفس والانخداع بأمانيها الكاذبة .

وقال بعض السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ : لو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره . وقال آخر : كم من مستقبلٍ يوماً لم يستكمله ، ومؤمِّلٍ غداً لم يدركه . وقال آخر : ربّ ضاحك مِلءَ فيه ولعل أكفانه قد خرجت من عند القصَّار . وفي الحديث : « ينجو أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، ويهلك آخرُها بالحرص وطول الأمل » .

وقال علي رضي الله عنه : أخوف ما أخاف عليكم اتباعُ الهوى وطول الأمل . فأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق ، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة ، ومن نسي الآخرة لم يعمل لها ، ومن لم يعمل لها قدم إليها وهو مفلس من الأعمال الصالحة التي لا نجاة ولا فوز في الآخرة بدونها ، فإن طلب عند ذلك أن يُرَد إلى الدنيا ليعمل صالحاً حيل بينه وبين ذلك ، فيعظمُ عند ذلك تحسُّره وندمُهُ حيث لا ينفع الندم .

وفي وصية رسول الله ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وفي ذلك غايةُ الحثِّ على قِصَر الأمل ، وقلّة الرغبة في الدنيا . وكان ابن عمر

يقول : إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح . وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك .

* * *

واعلم أن الناس في الأمل على ثلاثة أصناف :

أصناف الناس من الأمل

الصنف الأول : وهم السابقون من الأنبياء والصديقين ، لا أمل لهم أصلاً ، فهم على الدوام مستشعرون لنزول الموت بهم ، مستعدون له بالإقبال الدائم على الله وعلى طاعته ، متفرغين عن أشغال الدنيا بالكلية ، إلا ما كان منها ضرورياً في حق أنفسهم أو في حق من لا بُدَّ لهم منه من أتباعهم . وقد صاروا من الإقبال على الله وعلى الدار الآخرة بحيث لو قيل لأحدهم : إنك ميتٌ غداً لم يجد موضعاً للزيادة على ما هو عليه من العمل الصالح ، لانتهائه فيه إلى الغاية القصوى التي ليس وراءها غاية وكذلك لا يجد شيئاً يتركه ، لأنه قد ترك كل شيء لا يحب أن ينزل به الموتُ وهو ملابس له . وإلى ما ذكرناه من حال هذا الصِّنف الشريف الإشارةُ بقوله ﷺ : « والذي نفسي بيدهِ ما رفعتُ قدمي فظننت أني أضعُها حتى أقبض ، ولا رفعتُ لقمةً فظننت أني أسيغها حتى أغصّ بها من الموت . . » الحديث . وكان عليه الصلاة والسلام ربما يتيمم والماء منه قريب ؛ فيقال له في ذلك فيقول : لا أدري! لعلي لا أبلغه » .

والصنف الثاني : وهم المقتصدون من الأخيار والأبرار لهم

أمل قصير لا يلهيهم عن الله وعن ذكره ، ولا ينسيهم الدار الآخرة ، ولا يشغلهم عن الاستعداد للموت ، ولا يحملهم على عمارة الدنيا وتزيينها ، والاغترار بزخارفها وشهواتها الفانية المنغِّصة . ولكنهم لم يُعطَوا من القوة مثل ما أعطي الصِّنف الأول من دوام الاستشعار لنزول الموت في كل وقت ، ولو دام عليهم ذلك لتعطلت عليهم أمور معايشهم التي لابدّ لهم منها ، وربما تتعطل عليهم أمور آخرتهم من غلبة الذهول والدهش عليهم ؛ فإن استشعار نزول الموت على الدوام أمرٌ عظيم لا تستقل بحمله إلا قوة النبوة أو الصديقية الكاملة .

ومن هذه الحيثية يقال : إن من الأمل رحمة ؛ أعني هذا الأمل الذي لولا وجوده لتزلزت أمور الدين والدنيا ، وإلى ذلك الإشارة بما بلغنا أن الله تعالىٰ لما أخرج ذرية آدم عليه السلام يوم الميثاق من ظهره ورأت الملائكة كثرتهم قالوا : يا ربنا ، لا تسعهم الدنيا! فقال تعالىٰ : « إني جاعل موتاً » فقالوا : لا يهنؤُهم العيش؟ فقال : « إني جاعل أملاً » .

وعن النبي عليه الصلاة والسلام : « إن الملائكة يقولون لأهل الميت إذا انصرفوا عن قبره . انصرفوا إلى دنياكم ، أنساكم الله موتاكم » والملائكة عليهم السلام لا يدعون للمؤمنين بالشر الذي هو طول الأمل المذموم ؛ بل بالخير الذي هو قِصَر الأمل ـ أعني القدر الذي لا يلهي عن الآخرة ، ويتيسر معه القيام بالمعايش التي لا غنى عنها ـ والله أعلم .

والصنف الثالث : وهم المغرورون والحمقى الذين طال عليهم الأمل جداً حتى أنساهم الآخرة ، وألهاهم عن ذكر الموت ، وأقبلوا بقلوبهم على محبة الدنيا ، والحرص على عمارتها ، وجمع حُطامها ، والاغترار بزخارفها وزينتها ، والنظر إلى زهرتها التي نهى الله نبيه عليه الصلاة والسلام عن مدِّ العين إليها فقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾

[طه : ٢٠/ ١٣١] .

فترى أحدَهم لا يكاد يذكر الآخرة ، ولا يتفكر فيها ، ولا يخطر له أمر الموت وقُرب الأجل ، وإن خطر له نادراً لم يؤثر في قلبه شيئاً ، وإن خاف من تأثيره فيه صرفه عنه ، وأدخل على نفسه ما ينسيه ذلك ، حتى لا يتشوش عليه إقباله على الدنيا والتمتع بلذاتها وشهواتها .

والأمل على هذا الوجه هو الأمل المردي المذموم على الإطلاق ، وصاحبه من الخاسرين الذين ألهتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله ، وسوف يقول عندما ينزل به الموت ويعاين الآخرة : ﴿ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ [المنافقون : ٦٣/ ١٠] . على وفق ما ذكر الله في كتابه حيث يقول تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ

﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٦٣/٩ـ١١] .

وقد بلغنا أن ملك الموت عليه السلام يظهر للإنسان عندما يبقى من أجله شيء يسير فيخبره به فيقول له : يا ملك الموت ، أخرني قليلاً لأتوب إلى ربي وأستغفره . فيقول له الملك : قد طالما أُخِّرْت وعُمِّرت فلم تتب ولم ترجع إلى ربك حتى الآن . وقد انقضت المدة وبلغت الأجل الذي كتبه الله لك ، فلا سبيل إلى التأخير .

قال بعض العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ : فلو كانت الدنيا بأسرها لهذا الإنسان وأمكنه أن يشتري بها ساعة واحدة يزيدها في عمره ، ويعتذر فيها إلى ربه ، لَفَعَل .

ثم إن الغفلة عن الآخرة والإعراض عنها بالكلية إقبالاً على الدنيا واشتغالاً بها قد يكون سببه طول الأمل كما ذكرناه ، وقد يكون سببه شكاً في الآخرة وتردداً في كونها حقاً ـ والعياذ بالله من ذلك ـ فإنه من الكفر بالله ورسوله . والعلامة المميزة للغافل عن الآخرة بين أن يكون سبب غفلته طول الأمل أو الشك ، هي أن الغافل الذي يكون سبب غفلته طول الأمل إذا مرض أو حصل له شيء يتوقع عنده قرب الموت يكثر ذكر الآخرة ، ويتحسر على ترك العمل لها ، ويتمنى أن يعافى ليعمل صالحاً . والذي تكون غفلته عن الشك لا يظهر عليه عند

المرض ونحوه شيء مما ذكرناه ؛ بل يظهر عليه التأسف على فراق دنياه ، والتخوف على أولاده وأمواله أن تضيع من بعده ؛ وأشباه ذلك مما يدل على قصور النظر والرغبة في أحوال الدنيا . فاعتبر هذا ـ رحمك الله ـ في نفسك ، وفي غيرك حتى تعظه وتنصحه إن شممت منه روائح الشك في الدار الآخرة . فليس الشك في الآخرة في الذم والخطر بمنزلة طول الأمل ، وإن كان طول الأمل المنسي للآخرة مذموماً جداً .

* * *

ذكر الموت

واعلم أن الإكثار من ذكر الموت مستحب ومرغَّب فيه ، وله منافع وفوائد جليلة منها : قِصَر الأمل ، والتزهيد في الدنيا ، والقناعة منها باليسير ، والرغبة في الآخرة والتزود لها بالأعمال الصالحة ؛ وقد قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » يعني الموت .

وكان عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل فينادي : « جاء الموت بما فيه ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة .[1] » الحديث . ولما سئل صلوات الله عليه عن الأكياس من الناس من هم؟ قال : « أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم له استعداداً ، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا ونعيم الآخرة » .

---

(١) الراجفة : نفخة الصعق . الرادفة : نفخة البعث .

قلت : وليس ذكر الموت النافع هو أن يقول الإنسان بلسانه : الموت الموت فقط ؛ فإن ذلك قليل المنفعة وإن أكثر منه ، بل لا بد مع ذلك من تفكر القلب واستحضاره عند ذكر الموت باللسان . كيف يكون حاله عند الموت وأهواله وسكراته ، ومعاينته أمور الآخرة . وما الذي بقي من أجله وبم يختم له ، وكيف كان حال من مضى من أقرانه وأصحابه عند الموت ، وإلى أي مصير صاروا!! وأشباه ذلك من الأفكار والأذكار النافعة للقلب والمؤثرة فيه .

قال بعض السلف : أنظر كل شيء تحب أن يأتيك الموت وأنت عليه فالزمه ، وكل شيء تكره أن يأتيك الموت وأنت عليه فاجتنبه . فتأمل ـ رحمك الله ـ هذه المقالة ، فإنها عظيمة النفع لمن عمل بها . والله الموفق والمعين ، لا رب غيره .

وأما كراهية الموت فأمر طبيعي لا يكاد الإنسان ينفك عنه ، وذلك لأن الموت مؤلم في نفسه ، ومفرق بين الإنسان وبين محبوباته ومألوفاته من دنياه . ولما قال رسول الله ﷺ : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قالت له عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ، كلنا نكره الموت؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « إن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برحمة الله ، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضره الموت بُشِّر بعذاب الله ؛ فكره لقاء الله

وكره الله لقاءه » وفي وصف المؤمن المحبوب المذكور في قـولـه عليـه الصـلاة والسـلام عـن الله : « مـا تقـرب المتقربون . . . » فساق الحديث عن الله تعالىٰ إلى أن قال تعالىٰ : « وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه » .

فانظر كيف وصفه بكراهية الموت مع كمال إيمانه ، وعلو منزلته عنده تعالىٰ ، تعلم صحة ما ذكرناه .

وفي أخبار موسىٰ عليه السلام : أنه لطم ملك الموت حين جاءه ليقبضه فأخرج عينه .

نعم ، قد تنغمر كراهية الموت حتى لا تُحَس في حال قوة إشراق أنوار المعرفة واليقين ، ويكون ذلك لأهله في وقت دون وقت . وأما الأمر العام في أهل الإيمان : فهو أنهم يحبون الموت لما فيه من لقاء الله ، والمصير إلى الدار الباقية ، والخروج من الدنيا محلِّ الفتن والمحن . ويكرهون الموت بالنفس بالطبع ، لما فيه من الألم وفراق المحبوبات ، وكلما كان الإيمان أقوى كانت الكراهية أقل ومقتضى الطبع أضعف ، وبالعكس . فتفطن لذلك ، والله يتولىٰ هداك .

* * *

طول العمر

وأما طول العمر في طاعة الله فهو محبوب ومطلوب ، لقوله عليـه الصـلاة والسـلام : « خيـركـم مـن طـال عمـره وحسـن

عمله » . وكلما كان العمر أطول في طاعة الله كانت الحسنات أكثر والدرجات أرفع . وأما طوله في غير طاعة الله فبلاءٌ وشر : تكثر السيئات وتتضاعف الخطيئات .

ومن زعم من الناس أنه يحب طول البقاء في الدنيا ليستكثر من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالىٰ ، فإن كان مع ذلك حريصاً عليها ، ومشمراً فيها ، ومجانباً لما يشغل عنها من أمور الدنيا ، فهو بالصادقين أشبه . وإن كان متكاسلاً عنها ومسوفاً فيها ـ أعني الأعمال الصالحة ـ فهو من الكاذبين المتعللين بما لا يغني عنه ، لأن من أحب أن يبقى لأجل شيء وجد في غاية الحرص على ذلك الشيء مخافة أن يفوته ويحال بينه وبينه . سيما والعمل الصالح لا يمكن إلا في الدنيا ، ولا يتصور وجوده في غيرها البتة ، لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ، فتفكر في ذلك جداً عسى الله أن ينفعك به ، واستعن بالله واصبر ، واجتهد وشمر ، وبادر بالأعمال الصالحة من قبل ألا تجد إليها سبيلاً ، واغتنم فسحة المَهَل من قبل أن يفجأك الأجل ، فإنك غرض للآفات ، وهدف منصوب لسهام المنيات ، وإنما رأس مالك الذي يمكنك أن تشتري به من الله سعادة الأبد . هذا العمر . فإياك أن تنفق أوقاته وأيامه وساعاته وأنفاسه فيما لا خير فيه ولا منفعة ، فيطول تحسرك ، ويعظم أسفك بعد الموت إذا عرفت قدر الفائت وتحققته .

وقد ورد أنه تُعرض على الإنسان في الدار الآخرة ساعات

أيامه ولياليه في هيئة الخزائن كل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة بعدد ساعاتهما ، فيرى الساعة التي عمل فيها بطاعة الله خزانة مملوءة نوراً ، والتي عمل فيها بمعصية الله مملوءة ظلمة ، والتي لم يعمل فيها بطاعة ولا معصية يجدها فارغة لا شيء فيها . فيعظم تحسره إذا نظر إلى الفارغة أن لا يكون عمل فيها بطاعة الله فيجدها مملوءة نوراً .

وأما التي يجدها مملوءة ظلمة فلو قضي عليه أن يموت عند النظر إليها من الأسف والحسرة لمات ، غير أنه لا موت في الآخرة .

فالعامل بطاعة الله يكون فيها فرحاً مغتبطاً على الدوام ، يزيد فرحه واغتباطه على ممر الأيام . والعامل بمصعية الله تَرِحٌ مغموم ، لا يزال يزداد ترحه وغمه إلى غير نهاية . فاختر لنفسك ـ رحمك الله ـ ما دمت في دار الاختيار ما ينفعها ويرفعها ، فإنك لو قد مُتَّ خرج الأمر عن اختيارك .

* * *

وبادر ولا تسوف ، فإن التسويف شر ، والإنسان معرَّض لآفات وشواغل كثيرة ، قال ﷺ : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك » . وقال عليه الصلاة والسلام : « بادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغَلوا ، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » .

قلت : فالمغبون فيهما من أوتيهما فعاش صحيحاً فارغاً ، ينفق صحته وفراغه في الغفلات والبطالات ، أو في معاناة الأشغال الدنيويات الملهيات عن ذكر الله وعن الأعمال الصالحات ، وإنما يستبين له أنه مغبون بعد الموت حين يعاين ما فاته من الدرجات العُلىٰ التي لو أنفق في طلبها صحته وفراغه لنالها .

قال علي كرم الله وجهه : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ [التغابن : ٦٤/٩] .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها » وذلك إذا رأوا قدر الفائت بسبب الغفلة في تلك الساعة من القرب والنعيم .

وأما من أنفق صحته وفراغه في معاصي الله ومساخطه فهو خاسر ممقوت وليس بمغبون ، إنما المغبون من ينفقها في البطالات والمباحات . وقد يكون معنى الغبن في الصحة والفراغ : أن لا يعطاهما الإنسان فيبتلى بالأمراض أو الضعف وكثرة الأشغال ، فلا يتمكن بسبب ذلك من الأعمال الصالحات التي يتمكن منها الأصحاء الفارغون ، فافهم ههنا قوله تعالىٰ :

﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤/ ٩٥] .
وقوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالىٰ من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، فاحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، فإن غلبك أمر فقل قدَّر الله وما شاء فعل . وإياك و « لو » فإن « لو » تفتح عمل الشيطان » .

قلت : لأن « لو » لا يقولها في الأكثر إلا عاجز كسلان ، يفوِّت الأمور الحسنة عند التمكن منها من عجزه وكسله ، أو معتمدٌ على حوله وقوته ، وسعيه وحيلته ، يحسب أنه ينجو باحترازه وحرصه عما قضى الله عليه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا يُغني حَذَر من قَدَر » . فتأمل ذلك وأمعن النظر فيه ، فإنه معنى جليل ، تحته علم كثير . وإلى الله عاقبة الأمور .

* * *

أماني المغفرة

وأما أماني المغفرة ودخول الجنة من غير سعي لذلك بفعل المأمورات ، والمسارعة في الخيرات ، مع ترك المحظورات ، ومجانبة السيئات ، فهو حُمقٌ وغرور ، وموالاةٌ للشيطان ـ لعنه الله ـ بقبول تزويره وتلبيسه ، وترويجه للشر في معرض الخير ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء : ٤/ ١١٩-١٢٠] . فمن ظن أنه يُذنب ثم لا يتوب إلى الله توبةً صحيحةً ، وأنه تعالىٰ يغفر له ، وكذلك يتكاسل عن الطاعات ويتشاغل عنها بأمور الدنيا ، ويتوهم مع ذلك أن الله تعالىٰ يكرمه ويرفعه في درجات الجنة مع المحسنين فهو المتمني المغرور ، العاجز الأحمق ، وذلك لأن الله تعالىٰ يقول وقوله الحق : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم : ٥٣/ ٣١] .

ثم وصف الله الذين أحسنوا بقوله تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم : ٥٣/ ٣٢] . واللمم : هو الصغائر من الذنوب التي لا يكاد العبد يخلو منها . وقال تعالىٰ : ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص : ٣٨/ ٢٨] . أي لا نجعلهم سواء عندنا لا في الدنيا ولا في الآخرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية : ٤٥/ ٢١] . فأبطل حسبانهم وتوهُّمَهم ، وذم حكمهم بذلك ، أعني ظنهم التسوية بينهم وبين أهل الإحسان عند ربهم .

* * *

وقد وصف الله ملائكته وأنبياءه عليهم السلام ، وعباده المؤمنين في كتابه بالأعمال الصالحة ، وبالملازمة لها ، والمسارعة فيها مع الخوف والخشية والإشفاق والوجل ، فقال تعالىٰ في الملائكة : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾

[الأنبياء : ٢١/ ٢٦ـ٢٨] .

وقال تعالىٰ في الأنبياء : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء : ١٧/ ٥٧] . وقال أيضاً فيهم : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢١/ ٩٠] .

وقال تعالىٰ في المؤمنين : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢١/ ٤٨ـ٤٩] . وقال أيضاً فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾

[المؤمنون : ٢٣/ ٥٧ـ٦١]

ولما سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن قوله

تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/ ٦٠] . أهو أن الرجل يزني ويسرق ثم يخاف . قال : « لا ، بل هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه . . » الحديث .

ولما وصف الله بعض أعدائه وصفهم بالغرور والتمني فقال عن واحد منهم : ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف : ١٨/ ٣٦] . يعني من جنته التي أعجب بها ونسي نعمة الله عليه فيها ، وتكبَّر بها وافتخر على من هو خير منه من عباد الله! فانظر ذلك في جملة قصته التي حكاها الله عنه ، وعن العبد الصالح في قوله : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ [الكهف : ١٨/ ٣٢] .

وقال تعالىٰ عن آخر من الأعداء المغرورين : ﴿ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم : ١٩/ ٧٧] . يعني في الآخرة ، فكذبه الله وتوعَّده بالعذاب وإنزاله به .

وقال تعالىٰ عن آخر منهم : ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [فصلت : ٤١/ ٥٠] .

فانظر الآن ـ رحمك الله ـ بأي شيء وصف الله أحبابه وأولياءه ، وبُغَضاءه وأعداءه ، فبأي الفريقين اقتديتَ وتشبَّهت كنتَ معه ، فإن من تشبه بقوم فهو منهم ، كما ورد .

وقد تبين لك عن ملائكة الله وأنبيائه وعباده الصالحين :

أنهم كانوا يسارعون في الخيرات وأنهم ملازمين لصالح العمل ، ومجانبين للسيئات والزلل ، مع الخوف من الله والوجل ، وأن الأعداء كانوا على الضدِّ من ذلك : على العصيان وترك الإحسان ، مع الغرور ، والأمن من مكر الله ، والتمني على الله ، فاختر لنفسك صحبة خير الفريقين ، وتشبه بهم في الأعمال والأوصاف ، تكن معهم إن شاء الله .

* * *

واعلم أن أماني المغفرة مع الكسل والبطالة من أضر شيء على الإنسان ، وقد فشت على ألسنة المخلِّطين من أهل هذا الزمان ، ولذلك طوَّلنا الكلام فيها رجاء أن ينفع الله به من وقف عليه منهم ، فينتبه من غفلته ، ويستيقظ من رقدته عندما يعلم أن أهل النبوة وأهل الصلاح كانوا في نهاية الخوف من الله ، حتى كان نبينا محمد ﷺ يقول : « لو آخذني الله أنا وابن مريم بما جنت هاتان ـ يعني السبابة والإبهام ـ لعذَّبَنا ثم لم يظلمنا شيئاً » .

ولاشك أن الأنبياء والأولياء أعرف بالله وبكرمه العظيم ورحمته الواسعة من غيرهم ؛ فلم يبق إلا أن يكون أهل التخليط والتفريط أولى بالخوف من كل وجه ، وعلى كل حال .

* * *

واعلم أن المتمني المغرور مقطوع الحجة بأيسر مئونة ، فإذا قال : إن الله تعالىٰ لا تضره الذنوب ، ولا تنفعه الطاعة ، وهو غني عني وعن عملي ، فقل له : صدقت ، ولكن الذنوب تضرك والطاعات تنفعك ، وأنت فقير إلى العمل الصالح . ثم قل له : اقعد عن الكسب والحركة والسعي للمعاش ، فإن الله تعالىٰ قد ضمن لك الرزق ، وخزائن السموات والأرض في قبضته ؛ فسوف يقول لك : صدقت ، ولكن لابد من السعي والحركة ، وقلما رأينا شيئاً يحصل بدون ذلك . فقل له : إن الدنيا التي أمرك الله بتركها ، ونهاك عن الرغبة فيها ، وضمن لك قدر الكفاية منها لا تحصل إلا بالسعي والطلب . والآخرة التي رغبك الله فيها ، وأمرك بطلبها ، وأخبرك في كتابه وعلى لسان نبيه بأنك لا تنجو فيها من عذابه ، وتفوز بثوابه حتى تسعى لها وتجتهد في طلبها نراك مضيعاً لها ، وغير مكترث بها ؛ فما أنت إلا شاك مرتاب ، أو أحمق مغرور ، قد عكست الأمر ، ووضعت الأشياء في غير مواضعها . فبأي حجة ، وبأي وجه تلقى الله ، وتلقى رسوله ﷺ الذي أرسله إليك يدعوك من الدنيا إلى الآخرة!؟ فعند ذلك تنقطع حجته ، ولا يدري ما يقول .

* * *

واعلم ـ رحمك الله ـ يقيناً أنه كلما كان الإيمان أقوى

والعمل أصلح ، كان الخوف أكثر . وكلما كان الإيمان أضعف والعمل أسوأ ، كان الخوف أقل ، والأمن والاغترار أغلب ؛ فاعتبر ذلك في نفسك وفي غيرك تجده بيِّناً .

وعلى الجملة ، فإن المؤمن الصادق هو الذي يعمل بالصالحات ، ويخلص فيها ، ويرجو القبول والثواب عليها من فضل الله ، ويجانب السيئات ، ويبعد عنها ، ويخاف أن يبتلى بها ، ويخشى العقاب على ما عمله منها ، ويرجو المغفرة من الله بعد التوبة والإنابة إلى الله ، فمن كان من المؤمنين على غير هذه الأوصاف فهو من المخلِّطين ، وأمره في غاية الخطر . فافهم هذه الجملة ، وطالب نفسك بها تنج وتفز إن شاء الله تعالىٰ .

واعلم أن عنوان السعادة أن يوفق الله العبد للعمل الصالح في حياته ، وييسره له . وعنوان الشقاوة أن لا ييسَّر للعمل الصالح ، ويبتلى بالعمل السوء ؛ قال رسول الله ﷺ : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، مَن خُلِقَ للجنة يُسِّر لعمل أهل الجنة ، ومَن خُلِقَ للنار يُسِّر لعمل أهل النار » ولما قبض الله القبضتين قال لقبضة السعداء : هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون . وقال لقبضة الأشقياء : وهؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون .

ثم اعلم أن المؤمن البصير بالدين ، الراسخ في العلم

واليقين : هو الذي يحسن العمل لله ، ويجتهد في ذلك بكليته ، ثم يعتمد على الله وعلى فضله ، ولا يعتمد على عمله وإحسانه . وعلى هذا الوصف مضى الأنبياء والعلماء وصالحو السلف والخلف عليهم السلام والرحمة والرضوان .

وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله : « لن يدخل أحد الجنة بعمله » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » .

ثم كان ﷺ يجتهد في الأعمال الصالحة إلى الغاية والنهاية ، حتى تورَّمت قدماه من طول القيام بالليل .

وأما الذي يجتهد في الأعمال الصالحة ويعتمد عليها فهو معجب بنفسه ، جريء على ربه ، وربما يُبتلىٰ ليستبين له عجزه وعدم صلاحيته لشيء من الصالحات لولا فضل الله ورحمته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢٤/ ٢١] . وكما بلغنا : أن عابداً عَبَدَ اللهَ خمسمائة سنة ، فإذا كان يوم القيامة يقول الله له : يا عبدي ادخل الجنة برحمتي . فيقول : يا رب ، بل بعملي! فيأمر الله به فيحاسب على نعمة البصر فتستغرق جميع عبادته وتبقى عنده نعم الله كثيرة ، فيأمر به إلى النار فيقول : يا رب! أدخلني الجنة برحمتك ، فيأمر به إليها ويثني عليه ويمدحه جل وعلا . فقد ظهر أنه لابد من أمرين :

أحدهما : إصلاح العمل . والثاني : الاعتماد على الله دونه .

وما أحسن ما قاله الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، حيث يقول في ذلك : بك لا نَصِلُ ، ولابد منك . يعني أننا لا نصل بالعمل دون فضل الله ، ولابد من العمل امتثالاً لأمر الله .

وقال الشيخ أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالىٰ : من ظن أنه بالعمل يصل فهو مُتَعَنٍّ[1] . ومن ظن أنه بدون العمل يصل فهو مُتَمَنٍّ ـ يعني أن يصل إلى الله ، والمتمني : هو الذي لا يعمل ويزعم أنه متكل على فضل الله ، وذلك غرور وحماقة ؛ فإنه لا يصح منه الاتكال على الله وعلى فضله إلا مع العمل الصالح كما تقدم .

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : إن أماني المغفرة قد لعبت بأقوام حتى خرجوا من الدنيا مفاليس . أي : من الأعمال الصالحة .

وقال أيضاً : إن المؤمن جمع إحساناً وخوفاً ، وإن المنافق جمع إساءة وأمناً .

قلت : وذلك عجيب جداً ، لأن الخوف بصاحب الإساءة

---

(١) مُتَعَنٍّ : متكلف ما يشق عليه .

أليق ، لتعرضه بإساءته لسطوات الله ، وإنما أمن مع الإساءة لانتكاس قلبه وعمىٰ عين بصيرته ، ولكن ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف : ١٨/١٧] .

اللهم اهدنا وكن لنا يا ربنا ولياً مرشداً إلى ما تحبه منا ، وترضىٰ به عنا ؛ فقد فوضنا إليك أمرنا ، وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

* * *

الإيمان بالقضاء والقدر

وأما الاحتجاج بالقدر الذي يجريه الشيطان اللعين على ألسنة كثير من عامة المسلمين ففيه خطر كبير . وهو أن أحدهم إذا قيل له ، وقد ترك بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات : لِمَ فعلتَ ذلك وخالفت أمر الله وأمر رسوله؟ فيقول : ذلك مقدَّر علي ، ومكتوب ومقضي ؛ يعذر بذلك نفسه ، ويرفع الحرج عنها ، ويحتج على الله تعالىٰ الذي له الحجة البالغة على جميع خلقه في كل حال ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء : ٢١/٢٣] .

وأقول : إن قول العاصي هذا أعظم من معصيته ، وأكثر ضرراً عليه في دنياه وآخرته ؛ لأن معنى هذه المقالة يدل من صاحبها إنه قالها عن اعتقاد باطن على تزلزل قواعد دينه من أصلها ، فمتى يتوب هذا العاصي ، ومتى يندم على فعله القبيح ، ومتى يستغفر منه! وهو لا يرى له فعلاً ، ويرى أنه

مجبور مقهور ، ليس له اختيار ولا قدرة . وهذا هو بعينه مذهب الجبرية : وهم فرقة من المبتدعين في الدين ، يقولون بعدم الاختيار . على ضد ما تقوله المعتزلة : وهم فرقة أخرى من أهل البدعة . ومعتقد أهل الحق والسنة والجماعة : وسط بين هاتين الفرقتين . وهو كما قال بعض العلماء : خارج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

ومعتقد أهل السنة جعلنا الله منهم بفضله : أنه لا يكون كائن صغير ولا كبير إلا بقضاء الله تعالى ومشيئته ، وإرادته وقدرته . وأن العباد وأفعالهم خيرها وشرها خَلْقُ الله تعالىٰ ، ثم بعد ذلك يطالبون أنفسهم بامتثال أوامر الله كل المطالبة ، ولا يرخِّصون لها في ترك شيء منها ويحملونها على ترك المنهيات وعلى اجتنابها رأساً . وإن وقعوا في شيء منها بادروا إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار . وإن فرطوا في شيء من الأوامر بادروا بقضائه وتابوا إلى الله تعالى من تركه . ولا يحتجُّون لأنفسهم على الله أبداً ، ولا يعذرونها بسبق القدر ، ولا يرخصون في ذلك لأحد ؛ فإن الله تعالىٰ وصف بعض أعدائه في كتابه بالاحتجاج بالمشيئة ثم أنكر عليهم ذلك ووبخهم عليه ؛ ولم يقبله منهم ورده عليهم وكذبهم فقال تعالىٰ : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۢ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍۢ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ

﴿إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام : ٦/ ١٤٨-١٤٩] .

وفي الآية الأخرى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾

[النحل : ١٦/ ٣٥] .

فإياك والاقتداء بالمشركين في الاحتجاج على الله رب العالمين .

وحسبك من القدر الإيمان به خيره وشره ، ثم كلِّف نفسك الامتثال لأمر الله والاجتناب لنهيه ، وتب على الدوام من تقصيرك عن القيام بحقه تعالىٰ ، واستعن بالله تعالىٰ ، وتوكل عليه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إذا ذُكر القدر فأَمسكوا » فنهى عن الخوض فيه ؛ لما في ذلك من الخطر وكثرة الضرر .

وسأل رجل علياً رضي الله عنه ، عن القدر ؟ فقال له في جوابه : هو بحر عميق فلا تَلِجْهُ ، وطريق مظلم فلا تسلكه . سرُّ الله تعالى قد خفي عليك فلا تُفشِه .

وسأل رجل من ولاة الأمور محمد بن واسع ـ رحمه الله ـ عن القدر ؟ فقال له : جيرانك من أهل القبور ، لك في التفكر فيهم شغل شاغل عن القدر .

وقد مضى عمل السلف والخلف من أهل الحق على الإيمان

بالقدر خيره وشره . وانعقد إجماعهم ـ رحمة الله عليهم ـ على ذلك ، وعلى الإمساك عن الاحتجاج بالقضاء والقدر عند ترك الأمر وإتيان النهي . وكانوا يرون ذلك من أعظم المنكرات ـ أعني الاحتجاج بأمر القدر عند ارتكاب المحارم وترك الواجبات ـ فإن كنت من أهل الحق فاقتد بهم ، واسلك سبيلهم ؛ وإلا فقد سمعت ما قاله الله تعالىٰ للمتبعين غير سبيل المؤمنين ، واسمعه الآن ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ٤/ ١١٥] .

ثم اعلم ـ رحمك الله ـ أنه لا يجوز ولا يصح للمؤمن أن يعتقد في نفسه أنه لا حرج ولا جناح عليه إذا ترك واجباً أو فَعَل محرماً ، لأن القدر غالب له وسابق عليه . ثم إذا صدر منه فعل أو ترك لا يرضىٰ الله به ؛ فإن احتج بالقدر على إقامة العذر لنفسه وهو باقٍ على الاختيار والتمييز فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً .

وقد خشيت أن تكون هذه البلية قد دبَّت إلى أناس من المنسوبين إلى العلم والصلاح ، فضلاً عن غيرهم من عامة المسلمين ، ويكاد يدل على وجود هذا الأمر منهم أنه لا يظهر عليهم كثير توجع وتألم وتأسف عندما يصدر من بعضهم ما يلام عليه ويُذم به شرعاً . فليتق الله مؤمن أحسَّ من نفسه بذلك ، وليتكلف نفيهُ عنها ، وليعلم أن الله لا يعذره بالقدر ، ولا يقبل

منه الاحتجاج به ما دام مختاراً أبداً ، فإذا سمعت من أحد المسلمين هذه الحجة الساقطة فازجره عنها ، وعرِّفه بأن إثمه في الاحتجاج بالقضاء والقدر على ترك الأوامر وفعل المحرمات ، أعظم من إثمه على نفس الترك للواجب والفعل للمحرم . فليتق الله ولا يجمع على نفسه بليتين ، ويقودها إلى سخط ربه من جهتين .

* * *

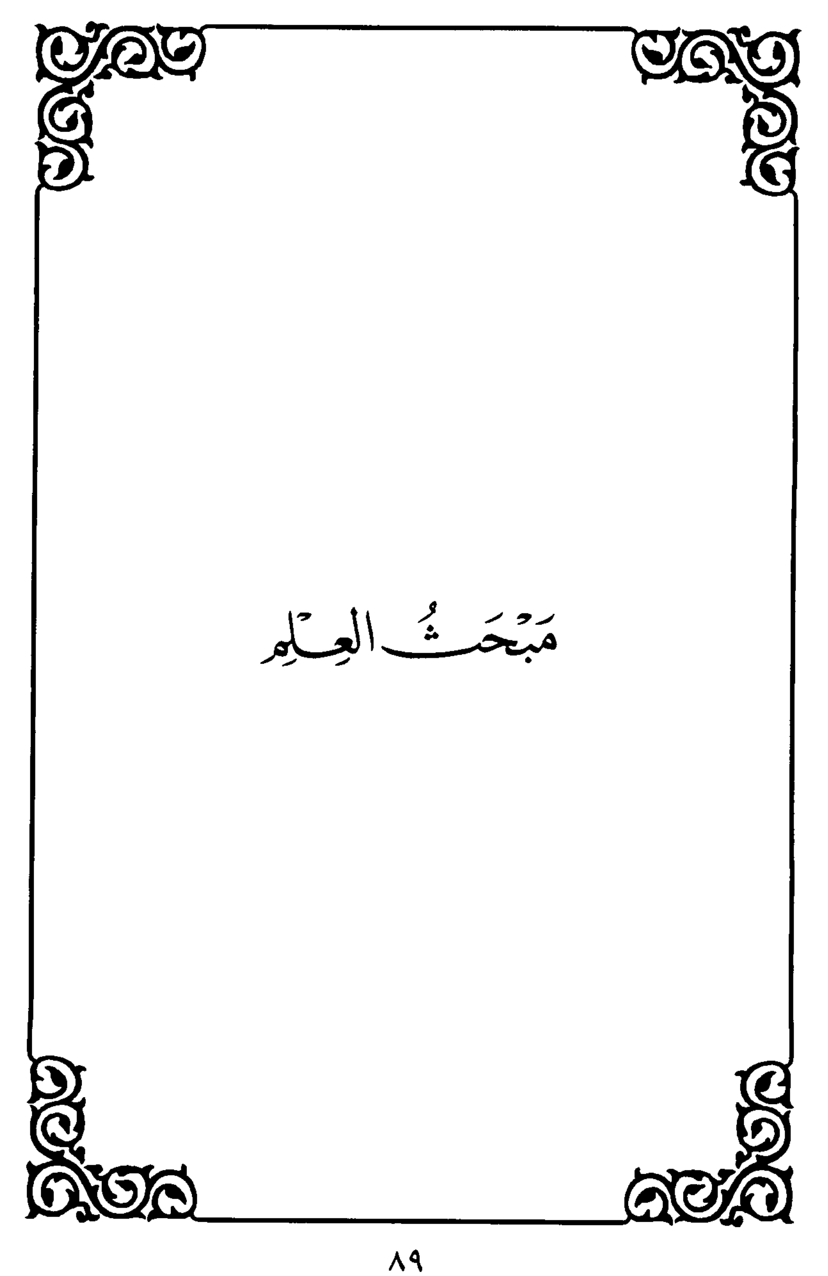
وأما ذكر القضاء والقدر والتذكير به عند الشدائد والبلايا والمصائب فلا بأس به ، وهو احتجاج على النفس وليس احتجاجاً لها ؛ لأن العبد المبتلى والمصاب إذا علم أن المبتلي له هو ربه الرحيم به ، وأنه بذلك البلاء سبق عليه الكتاب من الله تعالى تحقق وأيقن أن في ضمن ذلك له صلاحاً وخيراً كثيراً ؛ فيحمله العلم بذلك على الرضا والتسليم لله الحكيم العليم . فقد وضح وتبين لك أن الاحتجاج بالقدر عند الأمر والنهي محظور ومذموم ، فاحذره ، وعند البلاء والمصائب نافع ، ولكن لمن يعقل عن الله تعالىٰ ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد : ٥٧/ ٢٢ـ٢٣] .

وإنْ تذكر العبد عند المصائب والبلايا ما وعد الله عليها من

الدرجات والحسنات ، والكفارات للسيئات ، فذلك حسن ، وهو أنفع لعامة المسلمين وأقرب إلى أفهامهم ؛ لأن النظر إلى العلم الأزلي والقضاء والقدر السابق يفتقر إلى فطنة وبصيرة يخلو عنها كثير من الناس ، بخلاف الوعد الأخروي فإن كل أحد يفهمه ، وكذلك الوعيد .

ومن أجل ذلك كان التذكير بالوعد والوعيد عام المنفعة عند البلايا وعند الطاعات ، وعند المعاصي وغير ذلك . ولهذا ترى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مشحونين بذكر الوعد والوعيد ، والوعظ والتذكير بهما ؛ فافهم هذه الجملة وتأملها ترشد . وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* * *



مَبْحَثُ العِلْمِ

العلم الواجب

واعلموا معاشر الإخوان منَّ الله علينا وعليكم بالعافية واليقين ، وسلك بنا وبكم مسالك المتقين أنه لابد لكل مسلم ومسلمة من معرفة العلم ، ولا رخصة لأحد من المسلمين في تركه أبداً ، أعني العلم الذي لا يصح الإيمان والإسلام بدون معرفته . وجملتُه : العلم بالله ورسوله واليوم الآخر ، والعلم بما أوجب الله فعله من الفرائض ، وبما أوجب تركه من المحارم ، وقد قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . وقال عليه الصلاة والسلام : « اطلبوا العلم ولو بالصين » . والصين : إقليم بعيد من أبعد المواضع ، وقليل من الناس الذي يصل إليه لبعده . فإذا وجب على المسلم أن يطلب العلم وإن كان في هذا المحل البعيد ، فكيف لا يجب عليه إذا كان بين العلماء ولا يلحقه في طلبه كثير مَئُونة ، ولا كبير مشقة؟ فأما علوم الإسلام فترجع جملتها إلى قول رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام في الحديث المشهور فقال له : أخبرني عن الإسلام ؟ قال : « الإسلام أن تشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ،

وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » ثم قال له : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره . . » الحديث بطوله .

وأما ما يجب علمه على كل مسلم من علوم الإيمان فيوجد في عقائد الأئمة المختصرة التي وضعوها لعامة المسلمين ، مثل عقيدة الإمام الغزالي رحمه الله ، وهي جامعة نافعة وفيها زيادات كثيرة على القدر الواجب عِلْمُه على كل مؤمن ، ولكنها مؤكِّدات ومقوِّيات ومكملات للإيمان . وسنورد في آخر هذا التصنيف إن شاء الله (عقيدة وجيزة تشتمل على ما لابد من علمه من علوم الإيمان) .

وأما علوم الإسلام فتوجد في تصانيف الأئمة من الفقهاء رضي الله عنهم ، والواجب من ذلك هو القدر الذي لا يسع مسلماً أن يجهله ، كالعلم بوجوب الصلوات الخمس ، وكيفية فعلها وشرائطها ومواقيتها والطهارة لها ، وما في معنى ذلك . وكالعلم بوجوب الزكاة والقَدْر الواجب منها ، والوقت الذي تجب فيه . والعلم بوجوب صوم شهر رمضان وشرائط الصوم ومبطلاته ، والعلم بوجوب الحج على المستطيع وشروط الاستطاعة .

* * *

وبالجملة : فيجب على المسلم أن يعلم بوجوب جميع الـواجبـات العينيّـة ، وبتحـريـم جميـع المحـرمـات التـي هـو مستهدَف للوقوع فيها : كالزنا واللواط وشرب المسكر ، وظلم الناس ، والسرقة والخيانة ، والكذب والنميمة ، والغيبة وأشباه ذلك .

وأما العلم بأحكام الزكاة على من لا مال له تجب عليه الزكاة فيه فلا يجب . وكذلك العلم بأركان الحج وشرائطه في نفسه لا يجب على غير المستطيع ، ولا على المستطيع حتى يعزم على السفر أو على الشروع في الحج . وأما العلم بوجوب الزكاة والحج على كل مسلم فيجب علم ذلك على الجملة .

وأما العلم بشروط البيع والشراء والمعاملات والنكاح فيجب على من أراد الدخول في شيء منها أن يعلم حكم الله تعالى فيها ، وما تصح به ، وما تفسد به ، في ابتدائها وفي الدوام عليها .

لابدَّ له من ذلك ، وإلا وقع فيما يُسخِطُ اللهَ عليه شاء أم أبى . فإن الجاهل متعرض بجهله لسخط الله وللوقوع في الهلاك على كل حال ، وكيف لا يكون كذلك ، وربما يعتقد في بعض الواجبات أنها من المحرمات ، أو أنها ليست بواجبة ، وفي بعض المحرمات أنها من الواجبات أو من الطاعات ، أو أنها ليست بمحرمة ، وفي ذلك غاية الخطر

ونهاية الضرر على أهل الجهل ؛ وربما وقعوا بسبب جهلهم في أمور تشبه الكفر ، أو هي الكفر بعينه كما يعرف ذلك من تأمل أحوالهم ، واعتبر أفعالهم وأقوالهم ، وليس يعذرهم الله في شيء من ذلك ، فإنه سبحانه قد فرض عليهم طلب العلم ، ويسّر لهم الأسباب ، وأوجب على العلماء تعليمهم ، فتقصيرهم بعد ذلك كله اشتغالاً بالدنيا ، واتباعاً للهوى يزيدهم عن الله بعداً ، ويوجب لهم عنده مقتاً وطرداً .

وهذا كله في العلم الواجب الذي لا يسع أحداً من المسلمين أن يجهله .

والعجب أنك ترى الجاهل المغرور لا يفتُر عن طلب الدنيا ليلاً ونهاراً ، ولا يزال متكالباً عليها ، شديد العناية بجمعها ومنعها ، والتمتع بها ، ويقيم لنفسه الأعذار الكثيرة على ذلك ، ثم تجده جاهلاً بأمر دينه ، لم يطلب علماً ، ولم يجالس عالماً ليتعلم منه قط .

فإن قيل له في ذلك ، احتج لنفسه بما يسقط به من عين الله من عدم الفراغ ، وكثرة الأشغال ، مع أن الله وله الحمد قد يسّر له طلب العلم بوجوده العلماء ، وبقلة المئونة في تعلم القدر الواجب من العلم ، وأمرُ الدنيا على الضد من ذلك ، فلا يكاد ينال منها شيئاً يسيراً إلا بعُسْر ومشقة وتعب كثير ، فليس ذلك إلا من موت القلب ، وهوان أمر الدين على الإنسان ، وقلة

الاحتفال بأمر الآخرة فإنه يرى حاجته إلى متاع الدنيا ظاهرةً حاضرةً ، ويرى حاجته إلى العلم بعيدةً غائبةً ؛ لأنه لا يحتاج إليه ولا يعرف منفعته إلا بعد الموت ، وهو قد نسي الموت ، ونسي ما بعده لغلبة الجهل عليه ، وفقد العلم عنده .

وصاحبُ هذا الوصف من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم : ٣٠/٦-٧] .

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : يأخذ أحدهم الدرهم على ظُفره فيخبرك بزنته ، يعني من شدة معرفته بأمور الدنيا . قال : ولو سألته عن شروط الطهارة والصلاة لم يعرف شيئاً منها . انتهى بمعناه .

وعلى الجملة : فالجهل رأس الشرور والبلايا كلّها في الدنيا والآخرة . ولو اجتمع على الجاهل أعداؤه ليضرُّوه لم يقدروا أن يضرُّوه بمثل ما قد ضرّ به نفسه ؛ كما قال القائل :

مَا يَبْلُغُ ٱلْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ ... مَا يَبْلُغُ ٱلْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وكما قال الآخر :

وفي ٱلْجَهْلِ قَبْلَ ٱلموتِ مَوْتٌ لأَهْلِهِ ... فَأَجْسَادُهُمْ قَبْلَ ٱلْقُبُورِ قُبُورُ

ثم إن الجهل المذموم على الإطلاق : هو أن يجهل الإنسان من العلم ما فرض الله عليه علمه .

فاحذر أيها الأخ من ذلك ، واخرج من ظلمات جهلك إلى

أنوار العلم . وليس بواجب عليك أن تتّسع في العلم ، بل واجب عليك تَعَلُّم القدر الذي لابدَّ لك منه ، ولا غنى لك عنه .

* * *

وكما يجب عليك أن تتعلَّم في نفسك : يجب عليك أيضاً أن تعلّم أهلك وأولادك وكلَّ من لك ولاية عليه ؛ فإن لم تقدر أن تعلمهم كان عليك أن تأمرهم بالخروج إلى أهل العلم حتى يتعلّموا منهم القَدْر المفروض منه ، وإلا أثمتَ وأثموا ـ أعني يأثم منهم من كان مكلفاً .

والقدرُ الواجب من العلم على كل مسلم ليس بكثير ، ولا يكاد يلحق الطالبَ له في طلبه مشقةٌ إن شاء الله لسهولته . ولأن الله تعالىٰ يُعينهُ على ذلك ، وييسِّره له إذا صلحت نيته . وله في طلبه ثواب عظيم .

فضل العلم

قال ﷺ : « من سلك طريقاً يلتمس به علماً يسر الله له به طريقاً إلى الجنة » وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « حضور مجلس علم أفضلُ من صلاة الف ركعةٍ ، وعيادةِ ألف مريض ، وحضورِ ألف جنازة . . » الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله تكفل لطالب العلم برزقه » .

قلت : وهذا تكفلٌ خاص بعد التكفّل العام الذي تكفل الله به لكل دابّة في الأرض في قوله : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ١١/٦] . فيكون معناه زيادةَ التيسير ورفعَ المئونة والكُلفة في طلب الرزق وحصوله ، والله أعلم .

وفي الحديث الطويل الذي ذكر فيه عليه الصلاة والسلام فضلَ العلم قال في آخره : « يُلْهَمُه السعداء ـ يعني العلم ـ ويُحْرَمُه الأشقياء » وليس من شيء يجمع جميع أنواع الخير غير السعادة ، وليس من شيء يجمع جميع أنواع الشر سوى الشقاوة .

فقد علمت ـ بما تقدم ـ أنه لا عذر لجاهل عند الله تعالى في ترك العلم ، وكذلك لا عذر لعالم في ترك العمل بعلمه .

* * *

ومثَلُ الجاهل المقصّر في طلب العلم الواجب عليه كمثَل عبدٍ أَرسل إليه سيده كتاباً يأمره فيه بأشياء وينهاه فيه عن أشياء ، فلم ينظر في ذلك الكتاب ولم يعرف ما فيه أصلاً مع القدرة على ذلك والتمكن منه .

ومثَلُ العالم الذي لم يعمل بعلمه كمثَل من نظر في كتاب

سيده وعلم ما فيه فلم يمتثل لشيء من أوامره ولم يجتنب شيئاً من نواهيه التي نصّ عليها في كتابه .

فانظر ـ رحمك الله ـ هل ترى تقصيراً أشنع من تقصير هذين العبدين في حقّ سيدهما؟ وهل تقوم لهما عنده حجة أو عذر! وهل أحد أحق بالعقاب والنَّكال منهما لجراءتهما وقلة تعظيمهما لسيدهما . فاحذر أن تكون أحد الرجلين المشئومين : الجاهل الذي لا يتعلم ، أو العالم الذي لا يعمل فتهلك مع الهالكين . وتخسر الدنيا والآخرة ؛ ذلك هو الخسران المبين .

وأما الاتساع في العلوم الدينية النافعة ، والاستكثارُ منها والزيادةُ على قدر الحاجة فذلك من أعظم الوسائل إلى الله ، وأفضل الفضائل عند الله ؛ ولكن مع الإخلاص لوجه الله في طلب العلم ، ومع مطالبة النفس بالعمل بما تعلم . وتعليمه لعباد الله ؛ مريداً بذلك كله وجه الله والدار الآخرة .

* * *

وتلك المرتبة هي التي تلي مرتبة النبوة . وجميعُ مراتب المؤمنين أَنْزَلُ منها . فإن العلماء العاملين هم الواسطة بين رسول الله ﷺ وبين المسلمين ؛ وقد قال الله تعالىٰ في فضل أهل العلم : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٨] .

فانظر كيف قرنهم مع ملائكته في الشهادة على توحيده ، وقيامه بالقسط وهو العدل .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٣٩/٩] . أي : لا يستوون لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولكن يفضِّل الله من يعلم على من لا يعلم بدرجات كثيرة ، قال تعالىٰ : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة : ٥٨/١١] . أي : على الذين آمنوا .

وقال عليه الصلاة والسلام : « العلماء ورثة الأنبياء . لأن الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم . . » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا حسد إلاَّ في اثنتين : رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً ، فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار » ومعنى الحسد ههنا : الغبطة ، وهي محمودة في أمور الآخرة . وقال عليه الصلاة والسلام : « فضل العالِم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » وفي رواية أخرى : « كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » .

فإذا كان فضل العالم على العابد بهذه المثابة مع أن العابد لا يخلو عن علم بعبادته ؛ ولولا ذلك لم يسمَّ عابداً فكيف يكون فضل العالم على الجاهل؟

وفضائل العلم وأهله لا تحصى ، وكتابُ الله وسنةُ رسوله

ﷺ وآثار السلف الصالح مشهورة ومعروفة في ذلك . والكتب مشحونة بها ؛ أعني بفضائل العلم والعلماء .

قال علي رضي الله عنه : العلم خير من المال . العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال . والعلم يزيد بالإنفاق ، والمال ينقص به . والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه .

* * *

واعلم أن العالِم الذي لا يعمل بعلمه مسلوب الفضيلة ؛ فلا ينبغي له أن يغتر بما ورد عن الله وعن رسوله في فضل العلم ، ويوهم نفسه أنه داخل في ذلك بمجرد العلم من غير عمل ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « تعلموا ما شئتم ، فوالله لا يُقبل منكم حتى تعملوا به » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من ازداد علماً ولم يزدد هدًى، لم يزدد من الله إلا بُعداً » .

وإنما صار العلم بتلك المنزلة الرفيعة عند الله لما فيه من المنفعة العامة لجميع عباد الله تعالى .

وإذا لم ينتفع العالم بعلمه في نفسه فكيف ينتفع به غيره؟

فاعرف من ههنا بطلان الفضيلة في حق من يعلم ولا يعمل . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » . وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذ بالله من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع .

وليس عند العالم الذي لا يعمل بعلمه إلا صورة العلم

ورسمه دون معناه وحقيقته ؛ كما قال بعض السلف ـ رحمة الله عليهم ـ : العلم يهتف بالعمل ؛ فإن أجابه وإلا ارتحل ، أعني يرتحل منه روحه ونوره وبركته ، وأما صورته فلا ترتحل بل تبقى مؤكدة للحجة على العالِم السوء .

ثم إن كان هذا العالم يعلِّم علمه للناس وينفعهم به كان بمنزلة الشمعة تضيء للناس وهي تحترق ، وكالإبرة تكسو الناس وهي عارية ؛ قال تعالىٰ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٢/ ٤٤] .

وفي الحديث : « إنه يؤمر بالعالم إلى النار فتخرج أمعاؤه فيدور بها في النار كما يدور الحمار بالرحى ، فيطوف به أهل النار فيقولون له : ما بالك؟ فيقول : إني كنت آمر بالخير ولا آتيه ، وأنهى عن الشر وآتيه . . » الحديث .

قلت : وهذا العالم الذي يعلِّم الناس ولا يعمل خاسر ، وأمره في غاية الخطر ؛ ولكنه أحسن حالاً من الذي لا يعمل ولا يعلِّم الناس ، فإنه خاسر من كل وجه ، وهالك على كل حال ، إذ لم يبق فيه خير ولا نفع البتة ، وأخشى أن يكون من الذين قال فيهم عليه الصلاة والسلام : « يؤمر بأقوام من حملة القرآن إلى النار قبل عبدة الأوثان ، فيقولون : يُبدأ بنا قبل عبدة الأصنام! فيقال لهم : نعم ، ليس من يعلم كمن لا يعلم » .

* * *

فإن كان العالم مع كونه لا يعمل ولا يعلِّم يدعو إلى الشر ، ويفتح للعامة أبواب التأويلات والرخص ، ويلقنهم المخادعات والحيل التي يخرجون بها من الحقوق التي عليهم ، ويتوصلون بها إلى أخذ حقوق الناس فهو شيطان مارد ، فاجر معاند لله ورسوله ، قد استخلفه الشيطان ، وجعله نائباً عنه في الفتنة والضلالة والإغواء ، وهو عند الله من الذين شبههم بالحمير والكلاب في الخسة والمهانة ، وإلا فالحمير والكلاب خير منه ، لأن الحمير والكلاب يصيرون إلى التراب وهو يصير إلى النار ؛ قال تعالىٰ : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة : ٦٢/ ٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٧٥ـ١٧٦] .

* * *

وكان عمر رضي الله عنه يقول : أخوف ما أخاف عليكم منافق عليم باللسان . وقد يتمكن مثل هذا الفاجر المنافق من علم الكتاب والسنة ؛ فيكون بلاء على المسلمين وفتنة . وفي

مثله قال عليه الصلاة والسلام : « أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال » قيل : وما ذلك . قال : « علماء السوء » . وقد وصف عليه الصلاة والسلام أناساً يقرءون القرآن كما أُنزل وأنه لا يجاوز تراقِيَهم ، وأنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرَّميَّة » .

وفي الحديث : « إن مَثَل المنافق الذي يقرأ القرآن كمَثَل الريحان ريحه طيب وطعمه مُر » .

فلا يُستبعد بعد هذا أن من يعلم ظاهر العلم منافق فاجر ، وعلامته أن لا ينتفع بالعلم ولا ينفع به ؛ بل يضرُّ به نفسه ويضرُّ به غيره .

وبالجملة فإن العالم العامل المعلِّم لعباد الله هو الفاضل الخيِّر المعدود من ورثة الأنبياء . والعالم الذي لا يعمل ولكنه يعلِّم الناس الخير والعلم ، أمره مخطر ، وهو خير بكثير من العالم الشرير الذي لا يعمل ولا يعلِّم خيراً ، ويدعو مع ذلك إلى الشر بتيسير أسبابه وفتح أبوابه .

ففرِّق بين العلماء ، واقتد بخيرهم ، واتصف بصفته ، وسِرْ على سبيله ، تكن من المهتدين . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

* * *

ثم اعلم ـ رحمك الله ـ أن للعالم العامل بعلمه ، المعدود عند الله ورسوله من علماء الدين وعلماء الآخرة : علاماتٍ وأمارات تفرق بينه وبين العالم المخلِّط المعدود عند الله ورسوله من علماء اللسان ، المتبعين للهوى ، المؤثرين الدنيا على العقبى . فمن علامات العالم المعدود من علماء الآخرة : أن يكون خاشعاً متواضعاً خائفاً وَجِلاً مشفقاً من خشية الله ، زاهداً في الدنيا قانعاً باليسير منها ، منفقاً للفاضل عن حاجته مما في يده ، ناصحاً لعباد الله تعالى ، شفيقاً عليهم ، رحيماً بهم ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، مسارعاً في الخيرات ، ملازماً للعبادات ، دالاً على الخير ، داعياً إلى الهدى ، ذا سمت وتؤدة ، ووقار وسكينة ، حسنَ الأخلاق ، واسع الصدر ، ليِّن الجانب ، مخفوض الجناح للمؤمنين ، لا متكبراً ولا متجبراً ، ولا طامعاً في الناس ، ولا حريصاً على الدنيا ، ولا مؤثراً لها على الآخرة ، ولا جامعاً للمال ولا مانعاً له عن حقه ، ولا فظاً ولا غليظاً ، ولا ممارياً ولا مجادلاً ولا مخاصماً ، ولا قاسياً ، ولا سيء الأخلاق ولا ضيِّق الصدر ، ولا مداهناً ولا مخادعاً ، ولا غاشاً ولا مقدِّماً للأغنياء على الفقراء ، ولا متردداً إلى السلاطين ، ولا ساكتاً عن الإنكار عليهم مع القدرة ، ولا محباً للجاه والمال والولايات ؛ بل يكون كارهاً لذلك كله ، لا يدخل في شيء منه ولا يلابسه إلا من حاجة أو ضرورة .

وبالجملة : يكون متصفاً بجميع ما يحثه عليه العلم ، ويأمره به من الأخلاق المحمودة والأعمال الصالحة ، مجانباً لكل ما ينهاه العلم عنه من الأخلاق والأعمال المذمومة .

وهذه الأشياء التي ذكرناها في وصف علماء الآخرة يجب أن يتحلى بها ويتصف بها كل مؤمن ، غير أن العالم أولى بها وأحق ، وهي عليه أوجب وآكد ؛ لأنه عَلَمٌ به يُهتدى ، وإمام به يُقتدى . فإن ضل وغوى وآثر الدنيا على الآخرة ، كان عليه إثمه وإثم من تابعه على ذلك ، وإن استقام واتقى كان له أجره وأجر من تابعه على ذلك .

وظائف العلم

وينبغي للعالم بأمور الدين الظاهرة : أن يضيف إلى ذلك العلمَ بالأخلاق الباطنة من صفات القلوب ، والعلمَ بأسرار الأعمال وآفاتها ، والعلمَ بالوعد والوعيد الواقعين في الكتاب والسنة ، من ذكر ثواب المحسنين وعقاب المسيئين ، فبذلك يتم أمر العالِم ، ويكمل النفع له والانتفاع به . فإن هذه العلوم التي ذكرناها لا يتم بعضها بدون بعض ، وهي علوم السلف الصالح ، يعرف ذلك من طالع سيرهم .

وأما علم الباطن فلا قِوام له بدون علم الظاهر ، وأما علم الظاهر فلا تمام له بدون علم الباطن .

وأما علم الوعد والوعيد فلما فيهما من الترغيب في إقامة الأوامر والفضائل ، ومن الترهيب عن الوقوع في المحارم والرذائل .

وقبيح بالعالم أن يتكلم في حكم بعض الواجبات ، أو فضائل الخيرات ، أو شيء من المحرمات ؛ فإذا طولب عند ذلك بذكر بعض ما ورد عن الله وعن رسوله في ذلك الأمر لم يقدر أن يورد شيئاً في ذلك ، وصدورُ المؤمنين إنما تنشرح بكلام الله تعالى وبكلام رسولهﷺ، وبه تطمئن قلوبهم ، وتنتهض هممهم .

فتأمل هذه الجملة وأحسن النظر فيها ، وخذ من هذه العلوم الثلاثة قدراً صالحاً : وهي علم الأحكام الظاهرة من العبادات والمعاملات ، وعلم الأمور الباطنة من الأخلاق وأوصاف القلوب ، وعلم الوعد والوعيد وأعني به ما ورد عن الله ورسوله في فضل الطاعات ، وهو الوعد ، وعقاب السيئات وهو الوعيد .

وينبغي ويتأكد على أهل العلم أن يبالغوا في نشره وإذاعته ، وبذله وتعليمه لجميع المسلمين أعني العلم العام النافع علمه لكل أحد من أهل الإسلام .

* * *

وينبغي للعالِم أن يكون حديثه مع العامة في حال مخالطته ومجالسته لهم في بيان الواجبات والمحرمات ، ونوافل الطاعات ، وذكر الثواب والعقاب على الإحسان والإساءة ، ويكون كلامه معهم بعبارة قريبة واضحة يعرفونها ويفهمونها ، ويزيد بياناً للأمور التي يعلم أنهم ملابسون لها ، ولا يسكت

حتى يُسأل عن شيء من العلم وهو يعلم أنهم محتاجون إليه ومضطرون له ، فإنَّ عِلْمَه بذلك سؤال منهم بلسان الحال .

والعامة قد غلب عليهم التساهل بأمر الدين علماً وعملاً ، فلا ينبغي للعلماء أن يساعدوهم على ذلك بالسكوت عن تعليمهم وإرشادهم ، فيعم الهلاك ، ويعظم البلاء ، وقلما تختبر عاميّاً ـ وأكثرُ الناس عامة ـ إلا وجدته جاهلاً بالواجبات والمحرمات ، وبأمور الدين التي لا يجوز ولا يسوغ الجهل بشيء منها ، وإن لم يوجد جاهلاً بالكل وجد جاهلاً بالبعض . وإن علم شيئاً من ذلك وجدتَ علمه به علماً مسموعاً من ألسنة الناس ، ولو أردت أن تقلبه له جهلاً ، فعلت ذلك بأيسر مئونة لعدم الأصل والصحة فيما يعلمه .

* * *

وينبغي للعالم إذا جاءه من يطلب العلم أن ينظر فيه ، فإن كان فارغاً ومتأهلاً لفهم العلم فليأمره بقراءة الكتب ، وإن كان عامياً يقصد أن يتعلم ما لا بد له من العلم فلْيُلقِّنه ذلك تلقيناً ، وليعلِّمه ويفهِّمه ، ويختصر له الأمر ، ولا يطوِّل عليه بقراءة الكتب التي عساه لا يفهمها ولا يفرغ لها ، ولا يحتاج لأكثر ما فيها فإن حاجة العامة من العلم ليست شيئاً كثيراً .

* * *

وينبغي للعلماء وخصوصاً منهم ولاة الأحكام أن يعظوا عامة المسلمين عند الاختصام إليهم ، ويخوِّفوهم بما ورد عن الله تعالى وعن رسوله من التشديدات والتهديدات في الدعاوي الكاذبة ، وشهادة الزور والأيمان الفاجرة . والمعاملات الفاسدة ، مثل الربا وغيره . ويذكروا لهم بعض ما ورد في الشرع من تحريم هذه الأمور . وشدة العقاب فيها ؛ وذلك لغلبة الجهل ، وشدة الحرص ، وقلة المبالاة بأمر الدين . وكم من عاميّ من المسلمين إذا سمع تحريم الكذب في الدعاوي والشهادات والأيمان يرجع عن شيء قد عزم عليه من ذلك لجهله وقلة علمه .

وعلى الجملة : فيتأكَّد على العلماء أن يجالسوا الناس بالعلم ، ويحدثوهم به ، ويبينوه لهم . ويكون كلام العالم معهم في بيان الأمر الذي جاءوا إليه من أجله : مثل ما إذا جاءوا لعقد نكاح يكون كلامه معهم فيما يتعلق بحقوق النساء : من الصداق ، والنفقة والمعاشرة بالمعروف ، وما يجري هذا المجرى . ومثل ما إذا جاءوا لعقد بيع وكتاب مسطور بينهم في ذلك . يكون كلامه معهم : في الشهادات ، وفي صحيح البيوع وفاسدها ، ونحو ذلك .

وهذا والله خير وأولى في هذه المجالس من الخوض في فضول الكلام ، وما لا تعلق له بالأمر الذي من أجله جاءوا ، ولا بالدين رأساً .

ولا ينبغي للعالم أن يخوض مع الخائضين ، ولا أن يصرف شيئاً من أوقاته في غير إقامة الدِّين . .

وهذا الذي ذكرناه من أنه ينبغي للعالم ويتأكد عليه : أن يجعل مجالسته ومخالطته مع عامة المسلمين معمورة ومستغرقة بتعليمهم وتنبيههم وتذكيرهم . قد صار في هذا الزمان بالخصوص من أهم المهمات على أهل العلم ، لاستيلاء الغفلة والجهل والإعراض عن العلم والعمل على عامة الناس ؛ فإن ساعدهم أهل العلم على ذلك بالسكوت عن التعليم والتذكير غلب الفساد . وعمَّ الضرر . وذلك مشاهد لإهمال العامة أمر الدين ، وسكوت العلماء عن تعليمهم وتعريفهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله!

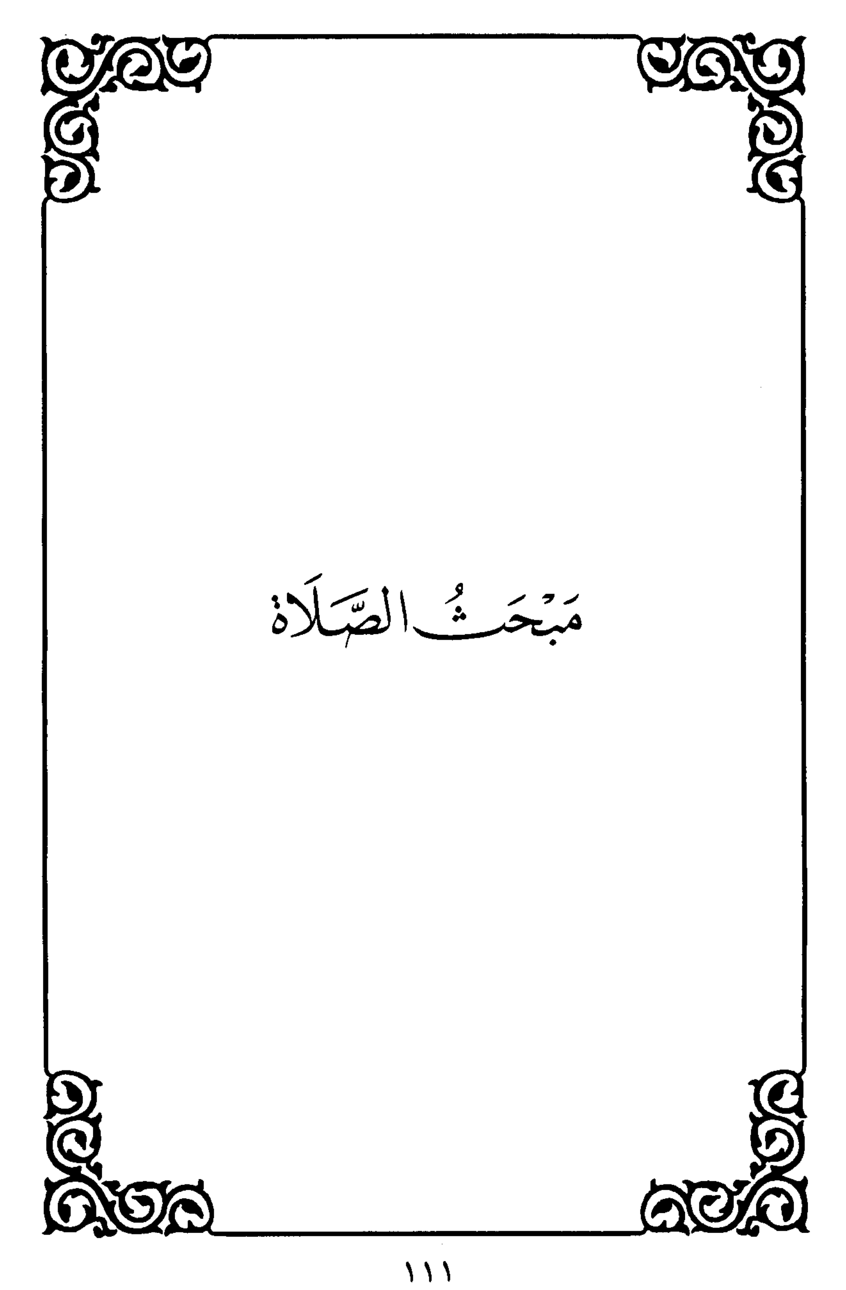
* * *

ثم إن من آكد الوظائف والآداب في حق العالم : أن يكلم الناس بفعله قبل قوله ، وأن لا يأمرهم بشيء من الخير إلا ويكون من أحرصهم على فعله والعمل به ، ولا ينهاهم عن شيء من الشر إلا ويكون من أبعدهم عنه ، وأشدهم تركاً له ، وأن يكون مريداً بعلمه وعمله وتعليمه وجهَ الله والدار الآخرة فقط ، دون شيء آخر من جاهٍ أو مالٍ أو ولاية أو شيء من أعراض الدنيا ، قال رسول الله ﷺ : « من طلب علماً مما يُبتغىٰ به وجهُ الله ليباهيَ به العلماء أو ليماريَ به السفهاء ، أو

ليصرف به وجوه الناس إليه لقي الله وهو عليه غضبان » .

اللهم انفعنا بما علمتنا ، وعلِّمنا ما ينفعنا ، وزدنا علماً ، والحمد لله على كل حال ، ونعوذ بالله من أحوال أهل النار .

* * *



مَبْحَثُ الصَّلَاة

فضائل الصلاة

واعلموا معاشر الإخوان ـ فقهنا الله وإياكم في الدين ، وألهمنا رشدنا ، وأعاذنا من شر أنفسنا ـ أن الصلاة عماد الدين ، وأجلُّ مباني الإسلام الخمس بعد الشهادتين . ومحلها من الدين محل الرأس من الجسد ، فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له ، فكذلك لا دين لمن لا صلاة له ، كذلك ورد في الأخبار .

جعلنا الله وإياكم من المحافظين على الصلاة ، المقيمين لها ، الخاشعين فيها ، الدائمين عليها ، فبذلك أمر الله عباده المؤمنين في كتابه ، وبه وَصَفَهم فقال عزَّ من قائل : ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢/٢٣٨] . فالصلوات هي المكتوبات الخمس : الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، والصبح . فتلك هي الصلوات التي لا يسع أحداً من المسلمين ترك شيء منها في حال من الأحوال ما دام يعقل ، ولو بلغ به العجز والمرض إلى أقصى غاياته .

والصلاة الوُسطى : هي العصر كما ورد به الحديث

الصحيح خصها الله بالذكر لزيادة الفضل والشرف ، وذلك معروف ومشهور في الإسلام ، حتى بَلَغَنا في سبب نزول الرخصة في صلاة الخوف : أن المسلمين كانوا مع رسول الله ﷺ في بعض الغزوات ، فصلى بهم عليه الصلاة السلام صلاة الظهر على الوجه المعهود ، وكان المشركون قريباً منهم يرونهم ، فلما فرغوا من صلاتهم قال بعض المشركين : لو أغرتُم عليهم وهم في صلاتهم لأصبتموهم ، فقال بقية المشركين : إن لهم بعد هذه الصلاة صلاةً هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم ـ يعنون العصر ـ فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ بصلاة الخوف . فانظر كيف صار فضل هذه الصلاة ـ أعني العصر ـ معلوماً حتى للمشركين .

وقال تعالىٰ : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم : ٣٠/ ٣١] .

فالإنابة : هي الرجوع إلى الله ، والتقوى : هي الخشية من الله ، والإقامة للصلاة : هي الإتيان بها على الوجه الذي أمر الله به .

وقال تعالىٰ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

﴿ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون : ٢٣/ ١ـ٩] .

وقال تعالىٰ : ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج : ٧٠/ ٢٢ـ٢٣] .

فاستثناهم من نوع الإنسان المخلوق على الهلع والجزع عند مس الشر له ، والمنع عند مس الخير له ، كأنه سبحانه يقول : إن المصلين على الحقيقة ليسوا ممن يهلع ويجزع ويمنع .

قلت : لأن هذه الأوصاف من المنكر ، وقد قال تعالىٰ : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت : ٢٩/ ٤٥]. فالمصلي المقيم للصلاة كما أمر الله ورسوله ، تنهاه صلاته عن فعل ما يكرهه الله منه ، مثل هذه الصفات المذكورة وغيرها من المكاره .

وقال عليه الصلاة والسلام : « صلُّوا كما رأيتموني أُصلي » . فالمصلي على الاتباع والاقتداء برسول الله ﷺ في صلاته ، على الوجه الذي نَقَلَتْه علماء الأمة من السلف والخلف رضي الله عنهم ، هو المصلي المعدود عند الله من المقيمين للصلاة والمحافظين عليها .

* * *

ثم إن للصلاة صورة ظاهرة ، وحقيقة باطنة لا كمال للصلاة ولا تمام لها إلا بإقامتهما جميعاً . فأما صورتها الظاهرة : فهي القيام ، والقراءة ، والركوع ، والسجود ، ونحو ذلك من وظائف الصلاة الظاهرة . وأما حقيقتها الباطنة : فمثل الخشوع ، وحضور القلب ، وكمال الإخلاص ، والتدبر والتفهُّم لمعاني القراءة ، والتسبيح ، ونحو ذلك من وظائف الصلاة الباطنة .

فظاهر الصلاة : حظ البدن والجوارح . وباطن الصلاة : حظ القلب والسِّر ، وذلك محل نظر الحق من العبد ـ أعني قلبه وسره .

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ مثل الذي يقيم صورة الصلاة الظاهرة ويغفل عن حقيقتها الباطنة ، كمثل الذي يهدي لملك عظيم وصيفة ميتة لا روح فيها . ومثل الذي يقصِّر في إقامة ظاهر الصلاة ، كمثل الذي يهدي إلى الملك وصيفة مقطوعة الأطراف ، مفقوءة العينين ، فهو والذي قبله متعرضان من الملك بهديتهما للعقاب والنكال ، لاستهانتهما بالحرمة ، واستخفافهما بحق الملك . ثم قال : فأنت تُهدي صلاتك إلى ربك ، فإياك أن تهديها بهذه الصفة فتستوجب العقوبة . انتهى بمعناه .

المحافظة على الصلاة والخشوع فيها

ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها : كمال الطهارة والاحتياط فيها في البدن والثوب والمكان ، قال عليه الصلاة والسلام : « الطهور مفتاح الصلاة » وفي الحديث الآخر : « الطهور شطر الإيمان » .

وإسباغُ الوضوء : تثليثه من غير وسوسة ولا إسراف ، فإن الوسوسة في الطهارة والصلاة من عمل الشيطان ، يلبِّس بها على من قلَّ علمه وضعف عقله ، كما قال بعض السلف : الوسوسة من جهلٍ بالسُّنة أو خبال في العقل . ومذهب السلف في الطهارات هو المذهب المحمود ، وفي جميع الأشياء ، فإنهم القُدوة ، وبهم الأُسوة ، وتجديد الوضوء لكل صلاة من السنة ، والدوامُ على الوضوء مطلقاً محبوب وفيه منافع كثيرة .

بلغنا : أن الله تعالىٰ قال لموسىٰ عليه السلام : إذا أصابتك مصيبة وأنت على غير طهارة فلا تلومنَّ إلا نفسك .

وقد وردت الأحاديث الصحيحة بأن من توضأ فأحسن الوضوء خرجت جميع خطاياه من أعضائه ، ودخل في الصلاة نقياً من الذنوب .

* * *

ومن المحافظة على الصلاة ، والإقامة لها : المبادرةُ بها في أول مواقيتها ، وفي ذلك فضل عظيم . وهو دليل على محبة الله تعالى وعلى المسارعة في مرضاته ومحابِّه ، قال عليه

الصلاة والسلام : « أول الوقت رضوانُ الله ، وآخره عفو الله ، وإن العبد ليصلي الصلاة ولم يخرجها من وقتها ، ولَمَا فاته من أول الوقت خير له من الدنيا وما فيها » . وقبيح بالمؤمن أن يدخل عليه وقت صلاته وهو على شغل من أشغال الدنيا فلا يتركه ، ويقوم إلى فريضته التي كتبها الله عليه فيؤديها ، ما ذلك إلا من عُظم الغفلة وقلة المعرفة بالله ، ومن ضعف الرغبة في الآخرة .

* * *

وأما تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها أو يقع بعضها خارجه فغير جائز وفيه إثم . والأذانُ والإقامةُ من شعائر الصلاة تتأكد المحافظة عليهما ، وفيهما طرد للشيطان ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان » الحديث .

* * *

ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها : حسنُ الخشوع فيها ، وحضورُ القلب وتدبرُ القراءة ، وفهم معانيها ، واستشعارُ الخضوع والتواضع لله عند الركوع والسجود ، وامتلاء القلب بتعظيم الله وتقديسه عند التكبير ، والتسبيح ، وفي سائر أجزاء الصلاة ، ومجانبة الأفكار والخواطر الدنيوية ، والإعراضُ عن حديث النفس في ذلك ، بل يكون

الهمُّ في الصلاة مقصوراً على إقامتها وتأديتها كما أمر الله . فإن الصلاة مع الغفلة وعدم الخشوع والحضور لا حاصل لها ولا نفع فيها .

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع .

وفي الحديث : « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ، وإن المصلي قد يصلي الصلاة فلا يُكتب له منها سدُسها ولا عشرُها » ؛ أعني : أنه يكتب له منها القدر الذي كان فيه حاضراً مع الله وخاشعاً له ، وقد يقلّ ذلك وقد يكثر بحسب الغفلة والانتباه . فالحاضر الخاشع في جميع الصلاة تُكتب له صلاته كلّها . والغافل اللاهي في جميع صلاته لا يكتب له شيء منها .

فاجتهد ـ رحمك الله ـ في الخشوع ، والحضور في الصلاة ، وتدبَّر ما تقرَؤُه من كلام ربّك في صلاتك ، ولا تعجل إذا قرأت ، فإنه لا تدبُّر مع العجلة .

* * *

وإذا ركعت وسجدت فاطمئن . ولا تنقر الصلاة نَقْرَ الدِّيك ، فلا تصح صلاتك . وذلك لأن الطمأنينة في الركوع والاعتدال منه ، وفي السجدتين وفي الجلوس بينهما ، واجبةٌ لابد منها في الفرض والنفل ، تبطل الصلاة بتركها ، والذي

لا يتم ركوعه وسجوده وخشوعه في صلاته هو الذي يسرق الصلاة ، كما ورد به الحديث .

وورد : أن من حافظ على الصلاة وأتمها تخرج صلاته بيضاء مسفرة . تقول : حفظك الله كما حفظتني . والذي لا يتم الصلاة تخرج صلاته سوداء مظلمة ، تقول : ضيّعك الله كما ضيعتني ، ثم تُلَف كما يُلف الثوب الخلق فيُضرب بها وجهه . وفي الحديث : « إنما الصلاة تمسكنٌ وتخضُّعٌ وتخشُّعٌ » .

ولما رأىٰ عليه الصلاة والسلام الرجل الذي يعبث بلحيته في صلاته قال عليه الصلاة والسلام : « لو خشع قلبُ هذا لخشعت جوارحه » .

فبيّن أن خشوع الجوارح من خشوع القلب ، وأنه لا كمال للصلاة بدون ذلك . وقد قال السلف ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ : مَن عرف مَن على يمينه وشماله وهو في الصلاة فليس بخاشع .

وقد بلغ الخشوع في الصلاة برجال من السلف الصالح مبلغاً عجيباً ، فمن ذلك : أن أحدهم كان يقع عليه الطير وهو قائم في الصلاة أو ساجد يحسب أنه حائطٌ أو جماد من شدة هدوئه وطول قيامه وسجوده . وسقطت في جامع البصرة أسطوانة انزعج لسقوطها أهل السوق ، وكان بعضهم يصلي في المسجد فلم يشعر بها من شدة استغراقه في صلاته . وكان

بعضهم يقول لأهله وأولاده : إذا دخلت في الصلاة فافعلوا ما بدا لكم ـ يعني : من رفع الأصوات وكثرة اللغط ـ فإني لا أحس بكم . فكانوا ربما يضربون بالدّف عنده فلا يشعر به .

واحترق بيت علي بن الحسين رضي الله عنهما بالنار وهو ساجد ، فجعلوا يصيحون عليه : النار النار ياابن رسول الله ! فلم يرفع رأسه . فلما فرغ من صلاته قيل له في ذلك فقال : ألهتني عنها النار الأخرى .

وقيل لبعضهم : هل تجد في صلاتك ما نجده من وساوس الدنيا؟ فقال : لأن تختلف فيَّ الأسنَّة أحبُّ إليَّ من ذلك . وقيل لآخر : هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء؟ فقال : وهل شيء أحب إليَّ من الصلاة حتى أحدث نفسي به فيها!

وجاء السارق فسرق فرس الربيع بن خيثم وهو في الصلاة ، فجعل الناس يدعون عليه ، فقال الربيع : لقد رأيته حين أطلقه . فقالوا : لو طلبته فأخذته منه؟ فقال : كانت صلاتي أحبَّ إليَّ من الفرس ، وهو منه في حلّ .

وصلى بعض أصحاب رسول الله ﷺ في حائط نخل له ، فجعلت الطير تطير من شجرة إلى شجرة ، وجعل ينظر إليها ، فألهاه ذلك عن شيء من صلاته ، فلما عرف ذلك من نفسه ، شق عليه ؛ فجعل ذلك الحائط كلّه في سبيل الله لَمّا ألهاه عن صلاته .

قلت : وهذا كله لمعرفة السلف الصالح رضي الله عنهم بجلالة قدر الصلاة وعِظَم موقعها من الدين .

وقد بلغنا : أن الله تعالىٰ قسّم أعمال الصلاة على أربعين ألف صفّ من الملائكة ، في كل صف سبعون ألفاً : عشرة منها قيام لا يركعون ، وعشرة منها ركوع لا يسجدون ، وعشرة سجود لا يرفعون ، وعشرة قعود لا يقومون ، وجمع جميع ذلك لعبده المؤمن في ركعتين يصليهما ، فانظر عُظم منته وفضله على عباده المؤمنين ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « مثل الصلوات الخمس مثل نهرٍ غمرٍ على باب أحدكم يقتحمه في كل يوم وليلة خمس مرات ؛ أفترون ذلك يُبقي عليه من درنه شيئاً؟ » قالوا : لا . وقال عليه الصلاة والسلام : « الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر » .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا حضر وقت الصلاة يقول : قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها . يريد بالنار الذنوب ، وبإطفائها القيام إلى الصلاة ؛ فإنه مكفِّر للسيئات ومذهب لها ؛ قال تعالىٰ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾

[هود : ١١/ ١١٤] .

وقد ورد أن هذه الآية نزلت في رجل أصاب من امرأة ما دون الزنا ، وجاء إلى رسول الله ﷺ يسأله أن يقيم عليه الحد ، فلم يرد عليه حتى أقيمت الصلاة ؛ فلما فرغ عليه

الصلاة والسلام من صلاته استحضره فقرأ عليه هذه الآية ، فقال الرجل : هذا لي خاصةً أم للناس عامة؟ قال : « بل هو للناس عامة » .

قلت : وفيه دليل على أن الصغائر من السيئات تكفَّر بالصلوات وغيرها من الحسنات ، والتوبة منها ـ أعني : الصغائر ـ مع ذلك أتم وأحوط .

قلت : ولا حدَّ على الرجل فيما أصابه من المرأة دون الزنا : من القبلة واللمس ونحو ذلك ، ولكنه حَسِبَ أن عليه في ذلك حداً ، والله ورسوله أعلم .

فضيلة الجماعة

ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها : المداومةُ والمواظبة على فعلها في الجماعة ؛ وذلك لأن الصلاة في الجماعة تفضلُ على صلاته وحده بسبع وعشرين درجة ، كما ورد به الحديث الصحيح . فمن تساهل بهذا الربح الديني الأخروي الذي لا تعب في تحصيله ولا مشقة في نيله ، فقد عظمت عن مصالح الدين غفلته ، وقلَّت في أمر الآخرة رغبته ، لا سيما وهو يعلم من نفسه كثرة ما يتحمله من التعب ، ويقاسي من المشاق في طلب ربح الدنيا اليسير الحقير ، وإذا حصل له منه شيء تافهٌ بتعب كثير نسي تعبه ، وعدَّ ما ناله من ربح الدنيا الفانية غُنماً جسيماً . أفلا يخشى من يعرف من نفسه هذه الأوصاف أن يكون عند الله من المنافقين ، وفيما وعد الله به من المتشككين!

ولم يبلغنا في جملة ما بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه صلى منفرداً ولا صلاة واحدةً! وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لقد رأيتُنا وما يتخلف عنها - يعني صلاة الجماعة - إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به على عهد رسول الله ﷺ يُهادى بين الرجلين من الكِبَر حتى يُقام في الصف .

ولما شكا ابن أم مكتوم الأعمى إلى رسول الله ﷺ أنه لا قائد له ، وذكر له ما بالمدينة يومئذٍ من الآبار والهوام ، وبُعد منزله عن المسجد ليعذره عن المجيء لصلاة الجماعة ؛ فعذره بعد ذكره لهذه الأشياء كلِّها . فلما قام وذهب دعاه عليه الصلاة والسلام ، فلما رجع إليه قال له : « هل تسمع حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح »؟ فقال : نعم . فقال له عليه الصلاة والسلام : « فهلم هلا » - يعني بذلك : تعال إلى الصلاة فلا عذر لك .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سمع النداء فارغاً صحيحاً فلم يُجِبْ ، فلا صلاة له » وقد همَّ عليه الصلاة والسلام بإحراق بيوت أقوام عليهم بالنار كانوا يتخلفون عن الصلاة في الجماعة ؛ كذلك ورد في الحديث : وهو الغاية في التشديد والتهديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر صحيح .

والعذرُ الصحيح : هو الذي لا يمكن الحضور معه بوجه

ما ، وإن أمكن فبمشقة ظاهرة يعسر على أكثر الناس تحمُّلها ؛ ومع ذلك فالحضور أفضل ، والثواب فيه أكثر إلا في صُور نادرة : مثل أن يكون عذره داء الإسهال المتواتر ، ويخشى لو حضر من تلويث المسجد ، وما في معنى ذلك . والعذرُ إنما معناه : سقوط الحرج عن المعذور . وقد يحصل الثواب مع إسقاط الحرج لمن كان عذره صادقاً ، وهو يود أن لو استطاع الحضور بأي ممكن ، ويقع في قلبه لعدم حضوره حزن وتعب على ما فاته من طاعة ربه وتعظيم حرماته ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام في بعض غزواته : « إن أقواماً خلفنا بالمدينة ما سِرنا مسيراً ، ولا قطعنا وادياً إلا كانوا معنا ، حبسهم العذر . . » الحديث .

وكأنهم هم الذين قال الله فيهم : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا ﴾ [التوبة : ٩/ ٩٢] . ومَن في معناهم من أهل الصدق والإخلاص ، وقوة الرغبة فيما عند الله ، وبذل النفس فما دونها في طلب مرضاته .

فإياك أن تتخلف عن صلاة الجماعة لغير عذر ناجز يمكنك أن تعتذر به بين يدي الله علام الغيوب! وإن بدا لك القعود في بيتك لأمر رأيت فيه خيراً وصلاحاً لك في دين أو دنيا ، فاخرج إلى المسجد أوقات الصلوات لتصليها في جماعة ، أو خذ إليك من يصلي معك في بيتك ولو واحداً حتى تسلم من الحرج

وتفوز بالثواب ؛ فإن فضل الجماعة يحصل بإمام ومأموم ، وكلما كثروا كان أفضل .

وتزكو الصلاة ويزيد ثوابها خلف الأئمة من أهل الخير والصلاح ، وترجح على الصلاة خلف من ليس بهذا الوصف .

فينبغي أن تتحرى وتجتهد أن تصلي خلف الأئمة المعروفين بالتقوى ؛ وهذا من حيث الأفضل والأولى ، وإلا فقد قال عليه الصلاة والسلام : « صلوا خلف كلِّ بر وفاجر » .

وفي المشي إلى المسجد لأجل الصلاة فيه ، ثواب عظيم ، وردت به الأخبار ، حتى ورد أن كل خطوة يخطوها العبد إلى المسجد تحسب له ، وتكتب له في حسناته .

وانتظار الصلاة بعد الصلاة من القُربات . ومثاله : أن تصلي المغرب ثم تجلس في المسجد لأجل العشاء حتى تصليها . والمنتظرُ للصلاة يُعَد عند الله مصلياً ويكتب له ثواب المصلين ، سواء كان ذلك انتظار صلاة بعد صلاة ، أو سبق إلى المسجد قبل أن تقام الصلاة فقعد ينتظرها . والذي يمكث في محله الذي صلى فيه لا تزال الملائكة تستغفر له وتدعو له حتى يُحدث ، أو يتكلم . كل ذلك قد وردت به الأخبار عن النبي ﷺ ؛ قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ؛

فذلكم الرباط فذلكم الرباط » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « بشِّر المشَّائين إلى المساجد في الظُّلَم بالنور التام يوم القيامة » . وورد أن مشي الإنسان إلى المسجد يُكتَب له ، ويجعل الله له ثوابه : خطوة يكفر بها عنه سيئةً ، وخطوة يكتب له بها حسنة ، وخطوة يرفع له بها درجة ، وكما يكتب له ممشاه إلى المسجد كذلك يكتب له رجوعه من المسجد إلى منزله . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في محله الذي صلى فيه ما لم يحدث أو يتكلم تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » .

* * *

ومن المتأكد الذي ينبغي الاعتناء به ، والحرص عليه الملازمة للصف الأول ، والمداومة على الوقوف فيه لقوله عليه الصلاة والسلام : « لو يعلم الناس ما في الأذان والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا » ؛ ومعنى الاستهام : الاقتراع .

ويحتاج من يقصد الصلاة في الصف الأول لفضله ، إلى المبادرة قبل ازدحام الناس ، وسبقهم إلى الصف الأول ؛ فإنه مهما تأخر ثم أتى وقد سبقوه ربّما يتخطّى رقابهم فيؤذيهم ، وذلك محظور ، ومن خشي ذلك فصلاته في غير الصف الأول

أولى به . ثم يلوم نفسه على تأخره حتى يسبقه الناس إلى أوائل الصفوف . وفي الحديث : « لا يزال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله » .

* * *

ومن السنن المهمة المغفول عنها : تسوية الصفوف والتراص فيها ؛ وقد كان عليه الصلاة والسلام يتولى فعل ذلك بنفسه ، ويكثر التحريض عليه والأمر به ويقول : « لَتُسَوُّنَّ صفوفكم أو ليُخالِفَنَّ الله بين قلوبكم » ، ويقول : « إني لأرى الشياطين تدخل في خلل الصفوف » ؛ يعني بها الفُرَج التي تكون فيها . فيُستحبُّ إلصاق المناكب بالمناكب مع التسوية ، بحيث لا يكون أحد متقدماً على أحد ولا متأخراً عنه فذلك هو السنة . ويتأكد الاعتناء بذلك ، والأمر به من الأئمة وهم به أولى من غيرهم من المسلمين ؛ فإنهم أعوان على البر والتقوى ، وبذلك أمروا ؛ قال تعالىٰ : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة : ٥/ ٢] .

فعليك ـ رحمك الله تعالىٰ ـ بالمبادرة إلى الصف الأول ، وعليك برصّ الصفوف وتسويتها ما استطعت ؛ فإن هذه سنة ميتة من سنن رسول الله ﷺ ، من أحياها كان معه في الجنة . كما ورد .

* * *

واعلم أن من أهم المهمات : ملازمة الصلوات في الجماعة

كما تقدم ، وهو أعني حضور الجماعة ، وفي صلاة العشاء والصبح أشد تأكداً وأكثر فضلاً ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل . ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « فرقُ ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يستطيعون حضور العشاء والصبح في الجماعة » الحديث .

وورد أن : « من صلى العشاء في جماعة كان في ذمة الله حتى يُصبح . ومن صلى الصبح في جماعة كان في ذمة الله حتى يُمسي » . قال عليه الصلاة والسلام : « فلا يطلبنَّكم الله بشيء من ذمته » ، ينهى عن التعرض لمن هو في ذمة الله بشيء من السوء .

وقد بلغنا : أن الحجاج مع جوره وظلمه وتعديه لحدود الله كان يسأل كلَّ من يُؤتى به نهاراً : هل صليت الصبح في جماعة؟ فإن قال : نعم . خلَّىٰ سبيله ، مخافة أن يطلبه الله بشيء من ذمته .

* * *

صلاة الجمعة

وإذْ قد عرفت من قبلُ ما ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام من التشديدات في ترك الجماعة من غير عذر صحيح .

فاعلم وتحقق أن المتخلف عن صلاة الجمعة بذلك الوعيد

أحق ، والتشديدُ عليه في تركها أعظم ، وذلك لأنها فرض عين بالإجماع . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من ترك ثلاث جمع من غير عذر طبع الله على قلبه » . وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل يقوم الليل ويصوم النهار ، ولكنه لا يحضر الجمعة والجماعة فقال : هو في النار .

وليس يسع مؤمناً أن يترك الجمعة من غير عذر وهو يسمع قول الله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة : ٦٢/٩] . ثم إنك ترى أقواماً يدَّعون الإسلام والإيمان ، ويسمعون كلام الله تعالى ، وكلام رسوله ، يتخلَّفون عن الجمعة بغير عذر ، أو بعذر فاسد لا يصح كونه عذراً عند الله وعند رسول الله ﷺ تسقط به الفرائض اللازمة . وقد أسلفنا أن العذر المرخص في ترك الجماعة هو الذي لا يمكن الحضور معه ، وإن أمكن فمبشقة شديدة لا يسهل احتمالها ، ويكاد يتعذر في العادة ، وهذا في الجمعة أولى وأولى! فلا يتخلف عنها لغير عذر صحيح إلا منافق مرتاب ، قد أخطأ الحقَّ والصواب ، وخرجت من قلبه أنوار التعظيم لله العظيم ، ولحقوق ربوبيته التي لا عِزَّ للعبد ، ولا شرف له ولا سعادة ، ولا فلاح في الدنيا والآخرة ، إلا في القيام بها ، والملازمة لها ، والمداومة عليها . بل لا نجاة ولا سلامة له من عذاب الله وسخطه إلا في القيام بها ، والمحافظة عليها . فانظر كيف

يزهد هذا العبد السوء في سعادة نفسه وفلاحها ، ثم لا يبالي بخسرانها وهلاكها حتى يترك حقوق الله ، وما أوجبه عليه من فرائضه! نسأل الله العافية والسلامة ، ونعوذ به من درك الشقاء وسوء القضاء .

ثم اعلم أن الحضور إلى الجمعة مع العذر الصحيح الذي يمكن الحضور معه أفضل ، ويدل من صاحبه على كمال التعظيم لله ولحقوقه ، وعلى تمام الرغبة فيما عند الله من ثوابه ، وشدة الرهبة من سخطه وعقابه .

* * *

واعلم ـ أسعدك الله ـ أن يوم الجمعة سيد الأيام ، وله شرف عند الله عظيم ، وفيه خلق الله آدم عليه السلام ، وفيه يقيم الساعة ، وفيه يأذن الله لأهل الجنة في زيارته . والملائكةُ تسمي يوم الجمعة : يوم المزيد ، لكثرة ما يفتح الله فيه من أبواب الرحمة ، ويُفيض من الفضل ، ويبسط من الخير .

وفي هذا اليوم ساعة شريفة يستجاب فيها الدعاء مطلقاً ، وهي مبهمة في جميع اليوم ؛ كما قاله الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ وغيره .

فعليك في هذا اليوم بملازمة الأعمال الصالحة ، والوظائف الدينية ، ولا تجعل لك شغلاً بغيرها إلا أن يكون

شغلاً ضرورياً لابد منه ؛ فإن هذا اليوم للآخرة خصوصاً ، وكفى بشغل بقية الأيام بأمر الدنيا غَبْناً وإضاعة! وكان ينبغي للمؤمن أن يجعل جميع أيامه ولياليه مستغرَقةً بالعمل لآخرته ؛ فإذا لم يتيسر له ذلك ، وعوّقته عنه أشغال دنياه فلا أقلّ له من التفرغ في هذا اليوم لأمور الآخرة .

* * *

ومن السنَّة : قراءة سورة الكهف ، والإكثار من الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة وليلتها . فعليك بذلك ، وبالبكور إلى الجمعة ، وأقل ذلك أن تروح قُبيل الزوال أو معه . وليس من السنة تأخير صلاة الجمعة حتى يمضي نصف الوقت أو نحوه ، بل السنة أن تصلَّى أول وقت الظهر كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك .

وكن ـ رحمك الله ـ حَسَن الإصغاء والاستماع إلى الخطبة والوعظ ، واتَّعظ بما تسمعه ، واستشعر في نفسك أنك مقصود ومخاطب بذلك .

* * *

ومن البدع المنكرات : تأخُّرُ بعض أهل الأسواق والحِرَف من الذين تجب عليهم الجمعة عن المجيء إليها .

ويجب على ولاة الأمور أن يحملوهم على ذلك ، ويعاقبوا

من تخلف منهم عن الجمعة بعد التعريف والإنذار . ولا رخصة لولاة الأمور في ترك ذلك وما يجري مجراه . وما ولاَّهم الله أمر عباده إلا ليقيموا فيهم شعائر دينه ، ويحملوهم على إقامة فرائضه واجتناب محارمه . وما ترتب من المصالح الدنيوية على وجود الولاة فهو تبع لذلك ولاحقٌ به ، والله أعلم .

* * *

صلاة النفل

ومن تمام المحافظة على الصلوات : حسنُ المحافظة على رواتبها وسننها التي ندب الشارع عليه الصلاة والسلام إلى فعلها قبل الصلاة وبعدها ؛ وذلك لأن النوافل جوابر للفرائض كما ورد . فإذا وقع في الفريضة نقص واختلال بسبب قلة خشوع أو حضور قلب أو غير ذلك كانت النوافل متمِّماتٍ لذلك النقصان ، ومُصْلِحاتٍ لذلك الاختلال . ومن لم تكن له نافلة بقيت فريضته ناقصة ، وفاتَه الثواب العظيم الموعود به على فعل تلك النوافل . وقد ورد : أن أول شيء يحاسب عليه العبد الصلاة . فإذا وجدت ناقصة يقال : انظروا ، هل له من نافلة تكمل بها صلاته . وهذه الرواتب معروفة ومشهورة ، تُغني شهرتها عن ذكرها .

* * *

ومن المتأكَّد فعله والمواظبة عليه : صلاةُ الوتر ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله وتر يحب الوتر ؛ فأوتروا يا أهل القرآن » . وكل مسلم يُعدُّ من أهل القرآن لأنه مؤمن به ،

ومطالب بالعمل بما فيه . وقال عليه الصلاة والسلام : « الوتر حق ؛ فمن لم يوتر فليس منا » . وأكثرُ صلاة الوتر إحدى عشرة ركعة ، وأقلها ركعة واحدة ، ولا ينبغي الاقتصار عليها ، ولابأس بالاقتصار على ثلاث .

ومن أوتر بثلاث كان المستحب له أن يقرأ في الأولى بعد الفاتحة : ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ ، وفي الثانية : ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ، وفي الثالثة : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوِّذتين . ومن أوتر بأكثر من ثلاث قرأ فيما قبل الثلاث الذي يتيسر من القرآن ، وكلما طال وكثر كان أفضل ، وقرأ في الثلاث ما تقدم ذكره .

والإيتارُ من آخر الليل أفضل لمن كانت له عادة في القيام بحيث لا يفوته إلا نادراً ، ومن ليس كذلك فإيتاره قبل أن ينام خير له وأحوط ، ومهما أوتر قبل نومه ، ثم استيقظ من الليل وقصد أن يصلي فليصل ما بدا له ، ووتره الأول كافِيْهِ .

* * *

ومن السنة : المحافظة على صلاة الضحى ، وأقلها ركعتان ، وأكثرها ثمان ركعات . وقيل : اثنتا عشرة . وفضلها كبير .

ووقتها الأفضل : أن تصلَّى عند مضي قريب من ربع النهار ، قال عليه الصلاة والسلام : « يصبح على كل سُلامىٰ

من أحدكم صدقة ، وكلُّ تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمرٌ بالمعروف صدقة ، ونهيٌ عن المنكر صدقة ، ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحىٰ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » و« الشفعة » : هي الركعتان ، و« السلامىٰ » : هو المفصل ، وفي كل إنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً بعدد أيام السنة . وتسمَّى صلاة الضحىٰ صلاة الأوابين ، كالصلاة بين العشاءين . و« الأوَّاب » : هو الرجَّاع إلى الله في أوقات الغفلة . وهذان الوقتان ـ أعني وقت صلاة الضحى ، وما بين العشاءين ـ من أوقات الغفلة .

أما الأول : فلإكباب الناس فيه على المعايش والمكاسب الدنيوية .

وأما الثاني : فلاشتغال الناس فيه بالرجوع إلى المنازل وتناول الأطعمة . فمن رجع إلى الله واستيقظ لطاعته في هذه الأوقات كان عنده بمكان .

ومن المستحب : صلاةُ التسبيح وهي أربع ركعات . وقد وردت الأخبار بفضلها ، وأن من صلاها غفر الله له ما تقدم من ذنوبه وما تأخر . وقال ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه حين

علّمه إياها : « صلِّها في كل يوم ، أو في كل جمعة ، أو في كل شهر ، أو في كل سنة ، أو في العمر مرة » الحديث .

قال بعض العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ : وهذه الصلاة مجرَّبة لقضاء الحوائج المهمة . وقال بعضهم : إذا صُلِّيَتْ ليلاً كان الذي ينبغي أن تُصلَّىٰ بتحرُّمين وتشهُّدين وتسليمتين : ركعتين بعد ركعتين . وإن صليت نهاراً فبتحرُّم واحد وتشهّد واحد : أربع ركعات جملةً واحدة . ولها كيفيتان :

الأولى : أن تُحْرِمَ ثم تقرأ دعاء الافتتاح ، ثم تقول : سبحان الله والحمد لله ، ولا إلـه إلا الله ، والله أكبر (خمس عشرة مرة) ، ثم تقرأ الفاتحة وسورة بعدها ، ثم تقولها (عشراً) ، ثم تركع فتقولها (عشراً) ، ثم ترفع فتقولها (عشراً) ، ثم تسجد فتقولها (عشراً) ، ثم ترفع من السجود فتقولها (عشراً) ، ثم تسجد فتقولها (عشراً) . ثم تقوم إلى الثانية فتقولها قبل القراءة (خمس عشرة) . وعلى هذا السبيل إلى آخر الصلاة .

والكيفية الثانية : مثل الأولى ، غير أنك لا تسبح بين التحرم والقراءة ، بل بعدها تسبح (خمس عشرة) ثم تركع فتقولها (عشراً) وعلى ذلك السياق في الأركان (عشراً ، عشراً) وتبقى (عشر) فتقولها بعد الرفع من السجود الثاني ، إما قبل القيام وإما بعده وقبل القراءة ؛ **فافهم** . وفي كل ركعة خمس وسبعون تسبيحة ، والجملة ثلثمائة في أربع ركعات .

قال العلماء : ويأتي بأذكار الركوع والاعتدال والسجود والجلوس قبل التسبيحات ، ومن نسي التسبيحات أو بعضها في ركن أتى بها في الذي بعده .

قلت : وينبغي للمتنسِّك أن لا يدع هذه الصلاة في كل أسبوع ، أو في كل شهر وذلك أقله . والله أعلم .

* * *

ومن المستحب المتأكد : إحياء ما بين العشاءين بصلاة وهو الأفضل ، أو تلاوة قرآن أو ذكرٍ لله تعالىٰ : من تسبيح أو تهليل أو نحو ذلك .

قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من صلى بعد المغرب ست ركعات لا يفصل بينهن بكلام عَدَلْنَ له عبادة اثنتي عشرة سنة » . وورد أيضاً : أن من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعةً بُني له بيت في الجنة .

وبالجملة : فهذا الوقت من أشرف الأوقات وأفضلها ، فتتأكد عمارته بوظائف الطاعات ومجانبة الغفلات والبطالات . وورد كراهة النوم قبل صلاة العشاء ، فاحذر منه وهو من عادة اليهود . وفي الحديث : « من نام قبل صلاة العشاء الآخرة فلا أنام الله عينه » .

* * *

وحافظ على أربع ركعات بعد صلاة العشاء ؛ فإن فيها فضلاً كثيراً لقوله عليه الصلاة والسلام : « أربع بعد العشاء كمثلهن من ليلة القدر » والركعة في ليلة القدر تعدل ثلاثين ألف ركعة في غيرها من الليالي وهذا مفهوم بالحساب من قوله تعالىٰ : ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر : ٩٧/ ٣] . فتأمله .

ويكره الحديث والكلام بعد صلاة العشاء كراهةً شديدة إلا في خير وصواب ؛ كمدارسة علم ، أو مذاكرته ، أو النظر فيه ، وما أشبه ذلك من أعمال البر .

* * *

قيام الليل

وأما قيام الليل ففضله عظيم ، وثوابه جزيل ، والوارد في فضله من الكتاب والسنة شيء كثير يطول ذكره ، ويعسر حصره ، قال الله تعالىٰ لرسوله ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾

[المزمل : ٧٣/ ١ـ٤] .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل : ٧٣/ ٢٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ١٧/ ٧٩] .

وقال تعالىٰ في وصف المؤمنين : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة : ٣٢/ ١٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٥١/١٧ـ١٨] . وقال ﷺ : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل » . وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بقيام الليل ؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربةٌ لكم إلى ربكم ، ومَكْفَرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم ، ومطردة للداء عن الجسد » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلُوا الأرحام ، وصَلُّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » وقال عليه الصلاة والسلام : « صلِّ من الليل ولو كحلب شاة » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « شرف المؤمن قيام الليل ، وعزُّه استغناؤه عن الناس » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين . ومن قام بمائة آية كتب من القانتين . ومن قام بألف آية كتب من المقنطِرين » . وفي الحديث الآخر : القنطار اثنتا عشرة ألف أوقية ، الأوقية خير مما بين السماء والأرض .

قال العلماء : مِنْ ﴿ تَبَٰرَكَ ﴾ المُلْك إلى آخر القرآن ألف آية . وفي الحديث الصحيح : « إن في الليل لساعةً لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه » وذلك كل ليلة . فلو لم يَرِد في فضل الليل وفضل قيامه سوى هذا الحديث لكفى . وقال عليه الصلاة والسلام : « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : هل من

داع فأَسْتَجيبَ له ، هل من سائل فأُعطيَهُ ، هل من مستغفر فأغفِرَ له » .

فتأمل ـ رحمك الله ـ هذا الحديث والذي قبله ، وأَكثِر النظر فيهما لعله ينشرح صدرك لقيام الليل ويكمل نشاطك ، وتصدق رغبتك فيه ، وينتفي عنك الكسل والغفلة ، والإكثار من النوم الذي فيه ذهاب بركة العمر وضياعُ الوقت . وقد ورد في بعض الآثار : أن من يكثر النوم بالليل يأتي فقيراً يوم القيامة . وورد : أن ركعتين في جوف الليل كنز من كنوز البر . وقال عليه الصلاة والسلام : « أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل ؛ فإن استطعت أن تكون مصلياً في ذلك الوقت فكن » . وقال عليه الصلاة والسلام : « يحشر الناس في صعيد واحد فينادي مناد : أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب . . » الحديث .

واعلم أن قيام الليل من أثقل شيء على النفس ولاسيما بعد النوم ، وإنما يصير خفيفاً بالاعتياد والمداومة ، والصبر على المشقة ، والمجاهدة في أول الأمر ، ثم بعد ذلك ينفتح باب الأنس بالله تعالىٰ وحلاوة المناجاة له ، ولذة الخلوة به عز وجل ؛ وعند ذلك لا يشبع الإنسان من القيام ، فضلاً عن أن يستثقله أو يكسل عنه ؛ كما وقع ذلك للصالحين من عباد الله حتى قال قائلهم : إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه بالليل إنهم لفي عيش طيب .

وقال آخر : منذ أربعين سنة ما غمني شيء إلا طلوع الفجر .

وقال آخر : أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم .

وقال آخر : لولا قيام الليل وملاقاة الإخوان في الله ما أحببت البقاء في الدنيا .

وأخبارهم في ذلك كثيرة مشهورة . وقد صلى خلائق منهم الفجر بوضوء العشاء رضي الله عنهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٦/ ٩٠] .

فعليك - رحمك الله - بقيام الليل وبالمحافظة عليه وبالاستكثار منه ، وكن من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً .

واتصف ببقية أوصافهم التي وصفهم الله بها في هذه الآيات إلى آخرها . وإن عجزت عن الكثير من القيام بالليل فلا تعجز عن القليل منه ؛ قال تعالىٰ : ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [المزمل : ٧٣/ ٢٠] ؛ أي : في القيام من الليل . وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بقيام الليل ولو ركعة » .

وما أحسن وأجمل بالذي يقرأ القرآن الكريم بالغيب أن يقرأ كل ليلة في قيامه بالليل شيئاً منه ، ويقرؤه على التدريج من أول القرآن إلى آخره ، حتى تكون له في قيام الليل ختمة ، إما في

كل شهر أو في كل أربعين ، أو أقل من ذلك أو أكثر ؛ على حسب النشاط والهمة .

* * *

واعلم أن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » . وليتخذ هذا القارىء المذكور ورداً لازماً يواظب عليه ، ويقضيه إذا فاته ، حتى تعتاد النفس المواظبة وتتمرن على المداومة ، ولا يفوِّته إلا لعذر . وقد ورد : أن من نام عن حزبه من القرآن ، أو عن شيء منه فقرأه فيما بين الصبح والظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل . وكان عليه الصلاة والسلام إذا منعه من قيامه بالليل عذرٌ من مرض أو غيره يصليه بالنهار .

* * *

ترك الصلاة

ثم اعلم أن من أنكر المنكرات ، وأكبر الكبائر ، وأفحش المحرمات : ترك بعض المسلمين للصلوات المكتوبات ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ الأحاديث الصحيحة الكثيرة بكفر تارك الصلاة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً » .

وفي الحديث الآخر : « من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من حافظ على الصلاة كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة . ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأُبي بن خلف » .

فقد وقع التصريح من رسول الله ﷺ بكفر تارك الصلاة . وكذلك ورد عن الصحابة والسلف الصالح حتى قال بعضهم : ما سمعت أصحاب رسول الله ﷺ يقولون في شيء من الأعمال : إنَّ تركه كفر إلا الصلاة ، فإياك ثم إياك وترك الصلاة أو ترك شيء منها! فإن فعلت ذلك فقد هلكت مع الهالكين ، وخسرت الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

* * *

وكما يجب عليك أن تحافظ على الصلاة ، ويحرم عليك أن تضيِّعها ، كذلك : يجب عليك أن تشدد على أهلك وأولادك وكل من لك عليه ولاية في إقامة الصلاة ، ولا تدع لهم عذراً في تركها ، ومن لم يسمع منهم ويطع فهدده وعاقبه ، واغضب عليه أشد وأعظم مما تغضب عليه لو أتلف مالك ، فإن لم تفعل ذلك كنت من المستهينين بحقوق الله تعالى وبدينه ، ومن عاقبتَه وغضبتَ عليه ، ولم يمتثل وينزجر فأبعده عنك ، واطرده منك فإنه شيطان لا خير فيه ولا بركة ، تحرم موالاته ومعاشرته ، وتجب معاداته ومقاطعته ، وهو من المحادين لله

ورسوله ، قال تعالىٰ : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة : ٥٨/ ٢٢] .

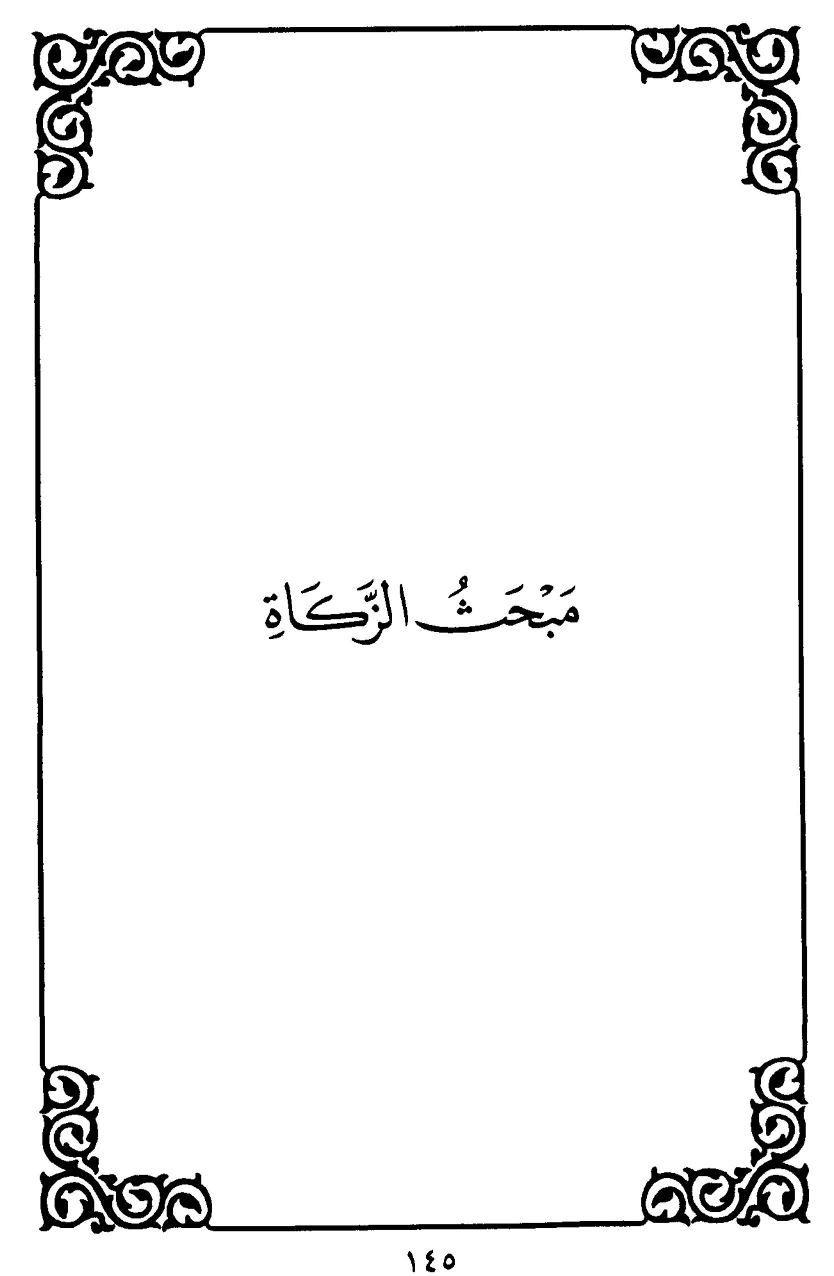
فنفى الإيمان عن الموادِّين للمحادِّين له ولرسوله وإن كانوا من أقرب الأقربين .

وغاية ما يسمح به للعامي الغافل المستغرق مهما فاتته الصلاة : أن يقضيها مع التوبة عن العود إلى مثل ذلك : فأما الإضاعة فلا! كيف وعليه في إخراج الصلاة عن وقتها إثم عظيم وإن بادر بقضائها . وليس بعذرٍ الاشتغالُ بالدنيا ولا بغيرها عن الصلاة حتى تفوت . ولا عذر إلا النوم أو النسيان فقط .

* * *

وعلى ولاة الأمور أن يحملوا العامة على فعل الصلاة المكتوبة . وعليهم أن يعاقبوا من تركها كسلاً بالقتل ، وذلك بعد الاستتابة إن لم يتب .

وعلى الولاة إثم عظيم وحرج ، إذا سكتوا عن ذلك مع العلم وقصروا في القيام به . ولا رخصة لهم في ترك ذلك وما يجري مجراه من أمور الدين . والحمد لله رب العالمين .



مَبْحَثُ الزَّكَاةِ

واعلموا معاشر الإخوان ـ جعلنا الله وإياكم ممن تزكى وذكر اسم ربه فصلى ولم يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة ، التي هي خير وأبقى ـ أن الزكاة أحد مباني الإسلام الخمس ، وقد جمع الله تعالى بينها وبين الصلاة في كتابه العزيز فقال عزَّ من قائل : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢/ ١١٠] .

وقال تعالىٰ في وصف عباده المؤمنين : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾

[الأنفال : ٨/ ٣ـ٤] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩/ ٧١] . إلى غير ذلك من الآيات .

وقال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤدِّ زكاة ماله » . فأَفْهَمَ عليه الصلاة والسلام أن من لم يؤد الزكاة فليس بمؤمن .

واعلم أن من صلّى وصام وحجّ ولم يُزَكِّ ماله لم يقبل الله له صلاةً ولا صياماً ولا حجاً حتى يُخرج الزكاة . وذلك لأن هذه الأشياء مرتبط بعضُها ببعض ، لا يقبل الله من عاملٍ العمل ببعضها حتى يعمل بها كلها ، كما ورد ذلك عن الرسول عليه الصلاة والسلام .

* * *

واعلم أن الزكاة لا تجب إلا في مال مخصوص : وهو النصاب من الذهب والفضة ، وأموال التجارة ، والحبوب والثمار ، والأنعام . وكذلك لا تجب إلا في وقت مخصوص : وهو الحول في النقود والتجارات والأنعام ، وعند الحصاد في الزرع والثمار . والواجب قدر مخصوص . وهو ربع العُشر من النقد والتجارة ، والعشر من الحبوب والثمار التي تُسقى بغير مؤونة ، ونصف العُشر في التي تُسقى بالمؤونة . وأما النَّعمُ : وهي الإبل والبقر والغنم فيطول النظر فيها ، وتفصيل ذلك في كتب الفقه فيجب على صاحب المال أن يتعلم من علوم الزكاة ما يجب عليه علمه : من معرفة النصاب ، والقدر الذي يُخرجه ، والمستحقين الذين يجب عليه صرف الزكاة إليهم وما في معنى ذلك .

* * *

وللمزكي في إخراج الزكاة ثواب عظيم وأجر كريم ، وله فيه منافع وفوائد دينية ودنيوية . وفي المال بلايا وفتن وآفات يسلم منها المحافظ على إخراج الزكاة إن شاء الله تعالىٰ ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « إذا أدّيت زكاة مالك طيبةً بها نفسك فقد أذهبت عنك شرَّه » وكذلك لا يعرض للمال المزكّىٰ شيء من المتالف والمهالك ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « ما هلك مالٌ في بحر ولا بر إلا بحبس الزكاة » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « حصنوا أموالكم بالزكاة . وداوُوا مرضاكم بالصدقة » .

فالمال المزكّىٰ محصَّنٌ ومحفوظ في حِرز الله ؛ لأنه طيب مبارك . والمال الذي ليس بمزكّىٰ ضائع ، لأنه خبيث وغير مبارك . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما خالطت الزكاة مالاً إلا محقته » .

وأي خير! وأي نفع! في المال الممحوق الذي قد مُحقت بركته وبقي شره وفتنته ، والمحق منه ظاهر ، وهو ذهاب صورة المال ورجوع الإنسان بعد الاستغناء فقيراً هلوعاً جزوعاً ، متبرِّماً بقضاء الله . وقد وقع ذلك لخلق كثير من المتساهلين بأمر الزكاة . ومن المحق : محقٌ باطنٌ وهو أن يكون المال في الصورة موجوداً وكثيراً ، ولكن لا ينتفع به صاحبُه ، لا في دينه بالإنفاق وبذل المعروف ، ولا في نفسه ومروءته بالستر والصيانة ، ومع ذلك يتضرر به تضرراً كثيراً

بإمساكه عن حقه ، ووضعه في غير وجهه : إما بإنفاقه في المعاصي والعياذ بالله ، وإما في الشهوات البهيمية التي لا نفع فيها ولا حاصل لها .

منع الزكاة

وأما منع الزكاة فهو من أكبر الكبائر . وقد وردت فيه عن الله ورسوله تشديداتٌ هائلةٌ ، وتهديداتٌ عظيمة . ويُخشىٰ على مانع الزكاة من سوء الخاتمة ، والخروج من الدنيا على غير ملة الإسلام .

وقد يعاقب قبل الموت كما وقع ذلك لقارون من بني إسرائيل حين منع الزكاة ، قال تعالىٰ : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [القصص : ٢٨/ ٨١] . وقد ورد أن المال الذي لا يزكّىٰ يتمثّل لصاحبه في موقف القيامة حيّة عظيمة فيطوّق بها عنقه ؛ قال تعالىٰ : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٨٠] . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما من صاحب ذهبٍ ولا فضةٍ لا يؤدي منها حقَّها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائحُ فأُحمي عليها في نار جهنم فيُكوىٰ بها جبينُه وجَنبُه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنةٍ » الحديث بطوله .

وفيه أن صاحب الماشية التي لا يُخرج زكاتها تأتيه يوم القيامة أوفر ما كانت ، فتطؤه بأخفافها وأظلافها ، وتعضُّه بأفواهها وتنطحه بقرونها .

آداب المزكّي

ومن آداب المزكي التي تتأكد عليه : أن يكون طيّب النفس بإخراج الزكاة ، فرِحاً مسروراً ، مستبشراً مُمتناً للمستَحِق بقبول زكاته منه ، غير مانّ عليه بها ، فإن المنّ بالصدقة محبطٌ لثوابها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٦٤] . ولا ينبغي للمزكِّي أن يكون كارهاً لإخراج الزكاة ، وليحذر من ذلك فإنه من صفات المنافقين . قال الله تعالىٰ : ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة : ٩/ ٥٤] . وأراد بالإنفاق ههنا : إخراج الزكاة . وعرَّف سبحانه أن المنافق قد يصلي ولكن مع الكسل ، وقد يزكِّي ولكن مع الكراهية ؛ ومن تشبه بقوم فهو منهم .

ومن آدابه : أن يخرج الزكاة من أجود ماله ، وذلك أفضل ، والواجب الإخراج من الوسط ، وأما إخراج الرديء فغير جائز إلا أن يكون المال كله كذلك ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٦٧] .

ومن الواجب على مُخرِج الزكاة : أن لا يفرِّقها على مقتضى هوى نفسه ، بل على موافقة الكتاب والسنة . ومن التفريق على مقتضى الهوى : أن يخص بزكاته أو بشيء منها من المستحِقِّين من تحصل له منه منفعة دنيوية ، من خدمة ونحوها ، فإذا أعطاه لأنه يخدمه أو يختلف إليه ، أو يعظمه

كان بذلك مسيئاً ؛ وربما لا تقبل منه زكاته . وإن كان الذي أعطاه مع ذلك مستحقاً ، فأما إذا أعطاه لكونه من أهل الزكاة فقط ، ولم يبال مع ذلك أكان ينفعه ، ويعرفه أم لا ، فلا يضر ذلك . وإن كانت له فيه منفعة وبه حاجة ـ أعني : المستحق ـ نبهنا على ذلك لتساهل بعض الأغنياء فيه وقلة تمييزهم له .

ومن المشكل أن يعطي الغنيُّ الفقير شيئاً من الزكاة ويريه في الظاهر أن ذلك صلة له أو هدية أو نحو ذلك . وكذلك من يُعطي زكاته لأقاربه المحتاجين الذين تجب لهم عليه النفقة ، مثل الوالدين والأولاد ، وأما بقية الأقارب الفقراء الذين لا تجب عليه نفقتهم فيجوز له إعطاؤهم زكاته ، وهي عليهم أفضل منها على غيرهم ، لمكان القرابة ، واستشراف نفوسهم إليها منه .

* * *

زكاة الفطر

وأما زكاة الفطر فتجب في كل شهر رمضان على كل كبير وصغير ، وحرّ وعبد من المسلمين القادرين عليها . ومن وجبت عليه النفقة لأحد وجبت عليه فطرته . والفطرة أربعة أمداد بمُدِّه عليه الصلاة والسلام من التمر أو البُر أو الذرة أو الشعير ، أو من أي قوت يقتاته الناس في حال الاختيار .

والإخراج من النوع الذي يقتاته المخرج أو مِن أحسنَ منه أحسنُ وأفضل .

وفي زكاة الفطر تضييقٌ يَغفُلُ عنه كثير من عامة المسلمين فيقصِّرون عن الإخراج ، ويرون أنهم غيرُ قادرين عليه وهم من القادرين .

قال العلماء ـ رحمهم الله ـ : يباع من المتاع في زكاة الفطر ما زاد على قوت ليلة العيد ويومها ، وعلى ما لا بد منه من الكسوة والمسكن ونحوهما . وفي ذلك نهاية التضييق ، وبه جاءت الشريعة فليحذر المسلم من ترك الإخراج مع الاستطاعة .

* * *

ثم اعلم أنه متى طلب السلطان العادل أن تُحمَل الزكاة إليه وجب ذلك ، وبرئت ذمة المزكِّي بدفعها إليه . وكانت العهدة على السلطان في التفريق . وكذلك إذا طلبها السلطان الذي ليس بعادل ، وذلك لخوف الفتنة وافتراق الكلمة . ثم إن فرَّق الزكاة على الذين كتبها الله لهم وهم الموجودون من الأصناف الثمانية أثابه الله ثواباً عظيماً ، وأثاب أهل الزكاة كذلك . وإن فرقها على غير من أمر الله بتفريق الزكاة عليهم في كتابه وهم المذكورون في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩/٦٠] . فقد أثم إثماً عظيماً وظلم ظلماً

فاحشاً ، وصار ظالماً للأغنياء بوضعه زكواتهم في غير مواضعها ، وظالماً للفقراء بمنعه إياهم حقوقَهم التي كتبها الله لهم في أموال الأغنياء من عباده . وإنما فرض الله الزكاة لتكون طُهرة للغني ، وقِواماً للفقير ، وبلاغاً له ، فمن عمل فيها على خلاف ذلك فقد احتمل بهتاناً وإثماً عظيماً .

وإذا أخذ الزكاة السلطانُ الظالم ووضعها في غير موضعها ، وسمحت نفس المزكي بتفريق زكاة ثانية على المستحقين كان ذلك أحوط له وأفضل ؛ وليس ذلك بواجب .

وإذا أمكن المزكي أن يمنع زكاته أو شيئاً منها عن أخذ السلطان الظالم لها جاز ذلك ، ولكن بشرط أن لا تترتب على المنع فتنة ، ولا معصية لله : من كذب صريح ، أو يمين فاجرة أو نحو ذلك ، ويكون نيته في المنع تخليص السلطان من الإثم الذي يكون عليه في وضع الزكاة في غير موضعها ، وإعانة الفقراء على إقامة دينهم بإعطائهم ما فرض الله لهم عليه في ماله . وبالله التوفيق .

صدقة التطوع

وأما صدقة التطوع والإنفاق في وجوه البر والخير ابتغاء مرضاة الله وثوابه ، فقد ورد في فضل ذلك من الآيات والأخبار ما يطول ذكره ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٧٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٧٤] .

وقال تعالىٰ : ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ٥٧/ ٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد : ٥٧/ ١١] .

فاستشعر في نفسك هذا الأجر الذي سماه الله كبيراً وكريماً ، أيُّ أجرٍ هو! وكذلك المضاعفة التي لم يحصرها الله بعدد في قوله : ﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ ﴾ [الحديد: ٥٧/ ١١] . وفي الآية الأخرى : ﴿ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٤٥] .

فأطلق الكثرة ولم يجعلها إلى حد .

فأي ترغيب من الله الجواد الكريم يزيد على هذا الترغيب .

فأفٍّ لمن لا يعقل عن الله ، ولا يفهم في آياته حتى غلب عليه البخل بماله ، واستولى عليه الشح بما عنده من فضل الله . حتى ربما ينتهي به ذلك إلى منع الحقوق الواجبة ، فضلاً عن التطوع بالصدقات . فلو كان هذا فقيراً لا يملك قليلاً ولا كثيراً كان ذلك أجمل به وأحسن له .

وقال عليه الصلاة والسلام في فضل التصدق والإنفاق ، عن الله تعالىٰ : « ابنَ آدم أَنْفِقْ أُنفِقْ عليك » . وقال عليه

الصلاة والسلام : « ما طلعت الشمس إلا وعلى جنبيها ملكان يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً . ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » .

قلت : ودعاء الملائكة مستجاب .

ومن أمسك فلم يتلف ماله التلف الظاهر فهو تالف بالحقيقة ؛ لقلة انتفاعه به في آخرته ودنياه ؛ وذلك أعظم من التلف الذي هو ذهاب المال .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من تصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا طيباً ، فإن الله يأخذها بيمينه فيربِّيها له ، كما يربي أحدكم فِلْوه[1] حتى تكون مثل الجبل » ، وكذلك ورد في الكسرة واللقمة من الخبز الطيب وهو الحلال ، ولا يقبل الله غيره .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يا ابن آدم ، إنك إن تَبْذُلِ الفضل خير لك ، وإن تُمْسِكْه شر لك ، ولا تُلامُ على كفاف ، وابدأ بمن تعول . واليد العليا خير من اليد السفلىٰ » .

قلت : أراد عليه الصلاة والسلام ببذل الفضل : الفضل من المال . وبالكفاف قدر الحاجة من المال . وبمن تعول : الذين تجب عليك نفقتهم ، ولا يجوز أن تضيّعهم ولا تنفق عليهم ،

---

(١) الفِلْو ـ بالكسر ـ وكعَدْو ـ وسُمُوّ ـ : المهر يفصل عن أمه .

وتتصدّق على الغير وهم محتاجون . وباليد العليا : يد المعطي . وذكر خيريتها على يد الآخذ ترغيباً منه عليه الصلاة والسلام في الاستغناء عن الناس ، والتصوُّن عن مسألتهم . والحاجة إليهم حسب الاستطاعة . وأما إذا مست الضرورة فللآخذ ثوابٌ كالمعطي ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « ما الذي يأخذ عن حاجة بأقل ثواباً من الذي يعطي من سعة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط ، وأجوع ما كانوا قط ، وأعطش ما كانوا قط ، وأنصب ما كانوا قط ، فمن كسا لله كساه الله ، ومن أطعم لله أطعمه الله ، ومن سقى لله سقاه الله » الحديث ، وأراد بقوله : « لله » أن يفعل ذلك مخلصاً لوجه الله ، من غير رياء ولا تصنُّع للناس ولا طلب محمدة منهم .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من أطعم أخاه حتى يُشبعه ، وسقاه حتى يُرويه ، باعده الله من النار سبعة خنادق ، ما بين كل خندقين خمسمائة عام » .

وقد ورد في فضل إطعام الطعام وسقي الماء أخبار كثيرة ، فعليك بهما ، واجتهد في ذلك ولا تعجز .

* * *

آداب التصدق

واعلم أن القليل عند الله كثير . وكل معروف صدقة ، ولا تستحقر شيئاً تفعله من الخير ، استحقاراً يمنعك من فعله ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « لا تحقرَنَّ من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طِلق ، وتصدق كل يوم بشيء وإن قل ، واجعله من أول النهار ؛ فإن البلاء لا يتخطى الصدقة » كما ورد . ومعناه : أن الصدقة تكون حاجزاً بينك وبين ما يقصدك من البلايا .

* * *

وإذا وقف السائل عليك فلا تردَّه خائباً ولو بشيء يسير ، فإن لم تفعل أو لم تستطع فإياك أن تنهره أو تشتمه ، واصرفه عنك برفق ووجه طلق ، فإن الإنسان قد ينهر السائل نهرة لو أعطاه معها نصف ماله مثلاً كانت تلك النهرة أرجح منه ، وربما لا يساوي ثواب ما أعطاه إثم ذلك الانتهار .

ولا ترد أول سائل يسألك ، واحذر من ذلك .

* * *

وإذا تصدقت فابدأ بأقاربك وأرحامك الفقراء ، وجيرانك المحتاجين فإنهم أولى به من غيرهم . والثوابُ في الصدقة عليهم أكثرُ وأعظم ، قال النبي ﷺ : « الصدقة على الأقارب صدقة وصلة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « المتعدي في الصدقة

كمانعها » ، ومن التعدي : أن تعطي صدقاتك للأجانب والأباعد ، وأنت تعلم أن أقاربك وجيرانك أحوجُ إليها .

* * *

وعليك **بصدقة السِّر** ؛ فقد ورد : أن ثوابها يضاعف على ثواب الصدقة الظاهرة سبعين ضِعفاً . وقال عليه الصلاة والسلام : « صدقة السر تطفىء غضب الرب » . وأيّ شيء أعظم من غضبه سبحانه وتعالىٰ ؛ وما أطفأته صدقة السر إلا لعظمها عنده سبحانه وتعالىٰ ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[البقرة : ٢/ ٢٧١] .

وإنما فُضِّلت صدقة السر لأنها أقرب إلى الإخلاص الذي هو روح الأعمال ، ولأنها أبعد من الرياء المفسد للأعمال ؛ فإياك والرياء في صدقتك ، أو في شيء من أعمالك . وإياك والمنَّ بالصدقة على الفقراء! فقد ورد فيه وعيد شديد .

* * *

ولا تطلب ممن تتصدق عليه مكافأة على الصدقة بنفع منه لك ، أو خدمة ، أو تعظيم ؛ فإن طلبت شيئاً من ذلك على صدقتك كان هو حظَّك ونصيبك منها .

وقد كان السلف الصالح يكافئون الفقير على دعائه لهم عند التصدُّق عليه بمثل دعائه ؛ مخافة نقصان الثواب ، وذلك غاية الاحتياط .

وكذلك لا تطلب من الفقير شكراً ولا مدحاً ، ولا أن يذكر للناس الذي أعطيته فينقص بذلك أجرك ، أو يذهب رأساً .

ولا تترك الصدقة مخافة الفقر أو نقصان المال ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام : « ما نقص مال من صدقة » . والتصدق هو الذي يجلب الغنى والسعة ، ويدفع القِلّة والعَيلة . وتركُ التصدق على الضد من ذلك : يجلب الفقر ، ويُذْهِب الغنى ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ : ٣٤/٣٩] .

واعلم أن التصدق بالقليل من المُقِلّ أفضلُ عند الله من التصدق بالكثير من المكثر ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « سبق درهم ألف درهم . قيل له : وكيف ذلك؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « رجل لا يملك إلا درهمين تصدق بأحدهما ، ورجل تصدق من عَرَض ماله بألف درهم فسبق الدرهمُ الألفَ » أو كما قال عليه الصلاة والسلام ؛ فصار الدرهم الواحد من المُقِل أفضل من الألف من المكثر وهو صاحب المال الكثير .

* * *

ومن المذموم المحظور : تعيير الفقراء بفقرهم ، واستحقارُهم لأجله ـ وهو شعار الأنبياء ، وحليةُ الأصفياء ـ والتكبُّر عليهم ، والاستهانة بهم ، والاستخفافُ بحقهم ، وتقديم الأغنياء لأجل الدنيا عليهم . فكل ذلك من الجرائم المحظورة فاحذر منه . وعظِّم الناس على قدر تعظيمهم لله ولرسوله ، وإقامتهم لدينه ، ومعرفتهم بحقه ، إن كانوا مع ذلك فقراء أو أغنياء .

نعم ، للفقراء عند الاستواء مع الأغنياء في الديانة ، زيادةٌ لفقرهم ، وانكسار قلوبهم ، وقلَّةِ احتفال أكثر الناس بهم . بخلاف الأغنياء ؛ فإن نفوس الغافلين ، وهم أكثر الناس ، من شأنهم تعظيم الأغنياء لعظمة الدنيا التي بأيديهم في نفوس أهل الغفلة .

* * *

وعليك بالتصدق والإنفاق مما تحب لتنال البر ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٣/ ٩٢] . قال المفسرون : البر هٰهنا : هو الجنة . وعليك بالإيثار على نفسك . ومعنى الإيثار : أن يكون عندك شيء من الدنيا وتكون محتاجاً إليه ؛ فتؤثر به على نفسك مُحتاجاً من إخوانك المؤمنين فتكون بذلك من المفلحين ، والمفلحون هم الفائزون ـ قال الله تعالىٰ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

ـ أي حاجة ـ ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

[الحشر : ٥٩/٩] .

واستبشر بالسائل إذا وقف على بابك ؛ فإنه هدية الله تعالى إليك ، وله حق وإن جاء على فرس كما ورد . وأقلُّ ذلك الردُّ الجميل .

وباشر إعطاء السائل بنفسك ولو في بعض الأوقات ، فإنه عليه الصلاة والسلام كان يناول السائل بيده الكريمة . وذلك لأن الله تعالىٰ يأخذ الصدقات بيده المقدسة من يد المتصدق فتقع في يده سبحانه قبل أن تقع في يد السائل كما جاء في الخبر ، وكما قال الله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

[التوبة : ١٠٤] .

آداب الفقير

وينبغي لمن كان فقيراً أن يصبر على فقره ، ويقنع بما قسم الله له ، ويرضى عن الله فيما قضى له به من الفقر . وليحذر أن يكون جزوعاً هلوعاً ، متسخّطاً ، قال عليه الصلاة والسلام : « يا معاشر الفقراء ، أعطُوا الله من قلوبكم الرضا ، تظفروا بثواب فقركم » وإلا فلا . وقال عليه الصلاة والسلام : « الفقراء الصُّبُرُ جلساء الله يوم القيامة » وقال عليه الصلاة والسلام : « كاد الفقر أن يكون كفراً » .

قلت : هذا إذا كان الفقير متسخِّطاً لقضاء ربه ، وغير قانع

بقسمته ، وربما يقع مع ذلك في بليَّة الاعتراض على الله تعالىٰ في تفضيله بعض عباده على بعض في الرزق . ومن مثل هذا يُخشىٰ على الفقير الذي لا صبر له ، ولا معرفة بالله عنده .

وكذلك ينبغي للفقير أن يكون شاكراً لله ، ولمن أسدى إليه معروفاً من عباد الله ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ويكون أيضاً مُثنياً على أهل المعروف ، وداعياً لهم بالخير ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « من قال لمن أسدى إليه معروفاً : جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء » .

ولا ينبغي للفقير أن يذُمَّ ويغتاب من لم يُعطه شيئاً ؛ فإن ذلك مذموم جداً ؛ والمعطي والمانع بالحقيقة إنما هو الله تعالىٰ ، والخلق مسخَّرون تحت مشيئته ، يصرّفهم كيف يشاء .

وليحذر الفقير من كثرة التشوف إلى الناس والتعلق بهم والطمع فيهم ، فإن الطمع فقر حاضر ؛ والمتشوِّف والمتعلّق بغير الله خائب وخاسر .

وليكن متعففاً ومستغنياً بالله ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « من يستعفف يُعفَّه الله . ومن يستغن يُغنِهِ الله » فوعدَه عليه الصلاة والسلام بالعفاف والغنى إذا تعفَّف واستغنى ، ووَعْدُ الله ورسوله حقٌّ لا شك فيه .

وليحذر الفقير من قوله : أعطاني فلان كذا وهو كاذب ؛

يريد بذلك التلبيس على السامع لعلّه يُعطيه . ومن قوله : لم يعطني فلان شيئاً إذا سُئل وقد أعطاه ؛ مخافة أن لا يعطيه الآخر .

وليحذر من كتمانه ما أعطاه الله من فضله ، ومن كثرة الشكوى إلى الناس ، ومن إظهار حاجته لكل واحد ؛ وقد يفعل ذلك بعض الفقراء ويتوهم أن من سمع ذلك منه أعطاه . وربما فعل ذلك كاذباً فيأثم على الكذب ، وعلى أخذه ما يُعطاه على التلبيس . وهذه الأشياء وما في معناها قد يبتلى بها كثير من الفقراء الذين يقل علمهم ، ويكثر في الناس طمعهم .

* * *

وأما المسألة للناس فهي مذمومة جداً إلا عند الحاجة الشديدة ، وهي ـ أعني : المسألة ـ من الفواحش ، ولم يحلّ من الفواحش غيرُها كما ورد . وقد قال رسول الله ﷺ : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مُزْعة لحم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تحل المسألة لغنيّ ولا لذي مِرّة سويّ » ؛ والمرّة : هي القوة . ومعنى الحديث : أن من كان غنيّاً عن المسألة بمال أو قريب يُنفِق عليه ، أو كان قوياً يقدر على الكسب والحرفة ثم يسأل ؛ فإنه يأثم ، وتحرم عليه المسألة . وأما الذي يُعطيه فلا يأثم بل يؤجر على العطاء ولا

يأثم أحد على العطاء ، حتى يُعطي من يعلم أنه يستعين بما يعطاه على معاصي الله فاعلم ذلك .

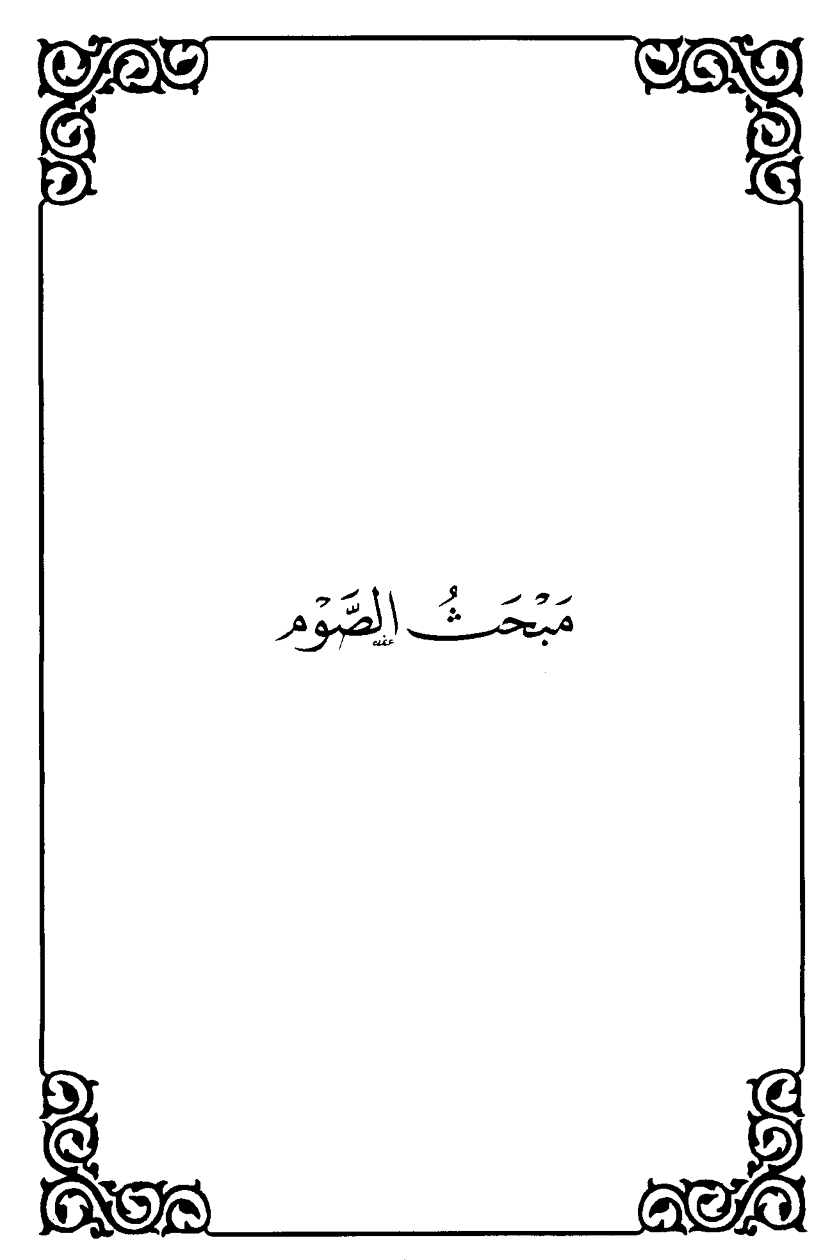
واحذر رحمك الله ، وحذِّر إخوانك المسلمين من مسألة الناس عند الغنى عنها وفقد الحاجة الشديدة إليها ، قال عليه الصلاة والسلام : « لو تعلمون ما في المسألة ما مشى أحد إلى أحد يسأله » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « مسألة الغنيِّ نار ، إنْ قليلاً فقليل ، وإنْ كثيراً فكثير » .

قلت : وليس المراد بالغني ههنا من له مال كثير ، بل المراد ههنا هو الغني عن المسألة بكسب أو بشيء يكفيه في وقته وإن قل ؛ فإن اضطررت إلى المسألة فاسأل ولا تُلْحِف ولا تُلح ، وليكن قلبك متعلّقاً بالله وسائلاً منه وإذا أُعِطيت ما يكفيك في الحال الحاضر فأمسك عن المسألة ، واشكر من أحسن إليك ، واعذر من لم يعطك شيئاً فإنه لا رزق لك عنده ، ولو كان ، لم يقدر على حبسه عنك . ولا تسأل الإنسان وهو بين الناس على قصد أن يُعطيك حياءً منهم ، فإن فعلت ذلك وأعطاك من الحياء ، ولو سألته وهو وحده لم يعطك شيئاً ، فقد قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ : ما يؤخذ بالحياء على هذا الوجه لا يحلّ للآخذ في الباطن وإن حلّ له في الظاهر . انتهى بمعناه .

وأما إذا أُعطيت شيئاً من الدنيا من غير مسأَلة ولا استشراف نفس فخذه ولا ترده ، خصوصاً إذا كنت محتاجاً إليه . ولك أن

تردّه إذا علمت أن في الرد صلاحاً لدينك أو قلبك . فأما إذا رددت لأجل الجاه وانتشار الصيت وأن يقال : إن فلاناً لا يقبل الدنيا ؛ فقد وقعت في الحرج فاحذر من ذلك ولا تقبل الحرام ، ولا ما فيه شبهةٌ ظاهرة وإن جاءك بدون مسألة ، فاعلم هذه الجملة راشداً وبالله التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *



مَبْحَثُ الصَّوْم

واعلموا معاشر الإخوان ـ يسَّرنا الله وإياكم لليُسرى ، وجنَّبنا العُسرى ، وغفر لنا في الآخرة والأولى ـ : أن شهر رمضان شهر عظيم القدر والمنزلة عند الله وعند رسوله ، وهو سيد الشهور . فرض الله صيامه على المسلمين وكتبه عليهم ؛ فقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٨٣] .

وفيه ـ أعني : شهر رمضان ـ أنزل الله كتابه ، وجعل من لياليه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر . والألفُ شهر أكثر من ثلاث وثمانين سنة . فتأمل حساب ذلك ، وتفكر في نفسك أيّ ليلة هذه الليلة! التي صارت عند الله خيراً وأفضل من هذه المدة الطويلة . وقال الله تعالىٰ : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٨٥] . ثم قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر : ٩٧/ ١ـ٥] . فعرّفنا سبحانه أنه أنزل القرآن في رمضان ، ثم أنه أنزله في ليلة القدر منه بالخصوص. وهذا الإنزال من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء

الدنيا ، نزل القرآن جملة واحدةً من اللوح إلى بيت العزة ، ونزل به جبريل بأمر الله على رسوله عليهما السلام مفرَّقاً في نحو ثلاث وعشرين سنةً ، وهي مدة الوحي إلى رسول الله ﷺ إذ أوحى الله إليه وهو ابن أربعين سنة وقُبض عليه الصلاة والسلام عن ثلاث وستين سنة . كذلك قال العلماء المحققون من السلف والخلف .

فضل شهر رمضان

وفي فضل شهر رمضان قال رسول الله ﷺ : « رمضان إلى رمضان ، والجمعة إلى الجمعة ، والصلاة إلى الصلاة مكفِّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » . وقال عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان : « هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة » ، وقال فيه : « أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار » . وأن الله تعالىٰ ينظر في أول ليلة منه إلى المسلمين ، ومن نظر إليه لم يعذِّبه ، ويغفر لهم في آخر ليلة منه . وقال جبريل لرسول الله عليهما السلام : « من أدرك رمضان فلم يُغفر له أبعده الله ، قل آمين . فقال رسول الله ﷺ : آمين » الحديث .

قلت : وذلك لتيسر أسباب المغفرة في رمضان أكثر منها في غيره من الشهور ، فليس يُحرم المغفرة فيه إلا من تفاحش إعراضه عن الله ، وعظمت جراءته على الله تعالى ، فاستوجب البعد والطرد عن باب الله . نسأل الله العافية من سخطه وعذابه وجميع بلائه .

وقد ورد أن أبواب السماء وأبواب الجنة تفتح كلها في

رمضان ، وتُغلق أبواب النيران ، وتقيّد مردة الشياطين ويُذهب بهم إلى البحار كي لا يُفسدوا على المسلمين صيامهم وقيامهم ، وينادي منادٍ كل ليلة من رمضان : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر .

وورد أيضاً : « أن من تقرّب إلى الله تعالى في رمضان بفريضة عدلت له سبعين فريضةً في غيره . ومن تقرب فيه بنافلة عدلت له فريضة يؤديها في غيره » .

فنوافل رمضان بمنزلة الفرائض في غيره من الشهور ؛ من حيث الثواب . وفرائضه مضاعفةٌ على الفرائض في غيره إلى سبعين ضعفاً .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه » .

قلت : والإيمان : هو التصديق بوعد الله . والاحتسابُ : هو الإخلاص لله . والله أعلم .

آداب الصائم

وللصائم آداب لا يكمل صيامه إلا بها .

فمن أهمها : أن يحفظ لسانه عن الكذب والغِيبة ، وعن الخوض فيما لا يعنيه ، ويحفظ عينه وأُذنه عن النظر والاستماع إلى ما لا يحل له ، وإلى ما يُعد فضولاً في حقه .

وكذلك يحفظ بطنه عن تناول الحرام والشبهة ، وخصوصاً

عند الإفطار يجتهد جداً أن لا يُفطر إلا على الحلال .

قال بعض السلف : إذا صُمت فانظر على أي شيء تُفطر ، وعند من تفطر؟ إشارة إلى الحث على التحري والاحتياط فيما يُفطِر عليه .

وكذلك يحفظ الصائم جميع جوارحه عن ملابسة الآثام ثم عن الفضول ؛ فبذلك يتم صومه ويزكو ، وكم من صائم يُتعِب نفسه بالجوع والعطش ، ويرسل جوارحه في المعاصي فيفسد بذلك صومه ، ويضيع بذلك تعبه ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام : « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » .

وترك المعاصي واجب على الدوام على الصائم وعلى المفطر ، غير أن الصائم أولى بالتحفظ ، وهو عليه أوجب وآكد ؛ فافهم .

قال عليه الصلاة والسلام : « الصوم جُنَّة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل ؛ فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إني صائم . . . » الحديث .

ومن آداب الصائم : أن لا يكثر النوم بالنهار ، ولا يكثر الأكل بالليل ، وليقتصد في ذلك حتى يجد مسّ الجوع والعطش ؛ فتتهذّب نفسه وتضعف شهوته ، ويستنير قلبه ، وذلك سرّ الصوم ومقصوده . وليجانب الصائم الرفاهية

والإكثار من تناول الشهوات واللذات كما ذكرناه . وأقل ذلك أن تكون عادته من الترفُّهِ واحدةً في رمضان وغيره . وهذا أقلّ ما ينبغي . وإلا فللرياضة ومجانبة شهوات النفس أثر كبير في تنوير القلب ، وتُطلب بالخصوص في رمضان .

وأما الذين يجعلون لهم في رمضان عادات من الترفُّهات والشهوات التي لا يعتادونها في غير رمضان فغرورٌ غرّهم به الشيطان حسداً منه لهم حتى لا يجدوا بركات صومهم ، ولا تظهر عليهم آثاره من الأنوار والمكاشفات ، والخشوع لله تعالى والانكسار بين يديه ، والتلذذ بمناجاته ، وتلاوة كتابه وذكره .

وكانت عادة السلف ـ رحمة الله عليهم ـ : التقليل من العادات والشهوات ، والاستكثار من الأعمال الصالحات في رمضان بالخصوص ؛ وإن كان ذلك معروفاً من سيرهم في جميع الأوقات .

ومن آدابه : أن لا يكثر التشاغل بأمور الدنيا في شهر رمضان ؛ بل يتفرغ عنها لعبادة الله وذكره ما أمكنه ، ولا يدخل في شيء من أشغال الدنيا إلا إن كان ضرورياً في حقه ، أو في حق من يلزمه القيام به من العيال ونحوهم ؛ وذلك لأن شهر رمضان في الشهور بمنزلة يوم الجمعة في الأيام . فينبغي للمؤمن أن يجعل يوم جمعته وشهره هذا لآخرته خصوصاً .

ومن السُّنة : تعجيلُ الفُطور ، وأن يكون على التمر ؛ فإن

لم يجده فعلى الماء . وكان عليه الصلاة والسلام يُفطر قبل أن يصلي المغرب ويقول : « لا تزال أمتي بخير ما عجّلوا الفُطور وأخروا السُّحور » فتأخير السحور من السنة أيضاً .

وينبغي للصائم أن يقلّل من الأكل ولا يستكثر منه ، وذلك حتى يظهر عليه أثر الصوم ، ويحظى بسرِّه ومقصوده الذي هو تأديب النفس ، وتضعيف شهواتها ، فإن للجوع وخلوِّ المعدة أثراً عظيماً في تنوير القلب ، ونشاط الجوارح في العبادة . والشبع أصلُ القسوة والغفلة ، والكسل عن الطاعة ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه . حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ؛ فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسه » . وقال بعضهم : « إذا شبعت البطن جاعت جميع الجوارح ، وإذا جاعت البطن شبعت جميع الجوارح » .

قلت : وجوع الجوارح عبارةٌ عن طلبها وحرصها على شهواتها ؛ فيشتهي اللسانُ الكلام ، والعينُ النظر ، والأذن الاستماع ، وكذلك سائر الجوارح . ويكون انبعاثها لطلب الفضول من شهواتها عند امتلاء البطن . وعند خلوِّه يكون سكونها وهُدوءُها المعبَّر به عن شبع الجوارح ، وذلك مشاهد ، والله أعلم .

ومن المستحب المتأكّد تفطير الصائمين ولو على تمرات ، أو شربة من الماء ، قال عليه الصلاة والسلام : « من فطَّر

صائماً كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء » ؛ يعني : من أجر الصائم . وهذا الثواب إنما يحصل لمن فطَّره ولو على الماء ؛ فأما من أطعم الصائم من بعد فطره في بيته أو في موضع آخر فليس يحصل له هذا الثواب ، ولكن يحصل له ثواب الإطعام ، وهو عظيم ، وثوابُ من أشبع الصائم مهما أطعمه حتى يشبعه وهو كثير .

صلاة التراويح

وصلاة التراويح في كل ليلة من رمضان سُنَّة مأثورة . وعادة السلف ـ رحمة الله عليهم ـ توزيع القرآن من أوله إلى آخره عليها ، يقرؤون منها في كل ليلة ما تيسر ، ويجعلون الختم في بعض الليالي من آخر الشهر ؛ فمن أمكنه أن يقتدي بهم في ذلك فليُشمِّر ولا يقصّر ، فإن الخير غنيمةٌ ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المزمل : ٧٣/ ٢٠] . ومن لم يتفق له الاقتداء بهم في ذلك فليحذر من التخفيف المفرط الذي يعتاده كثير من الجهلة في صلاتهم للتراويح ، حتى ربما يقعون بسببه في الإخلال بشيء من الواجبات ، مثل : ترك الطمأنينة في الركوع والسجود ، وترك قراءة الفاتحة على الوجه الذي لابد منه بسبب العجلة ، فيصير أحدهم عند الله تعالى لا هو صلّى ففاز بالثواب ، ولا هو ترك فاعترف بالتقصير وسَلِمَ من الإعجاب ، وهذه وما أشبهها من أعظم مكائد الشيطان لأهل الإيمان ، يُبطِل على العامل منهم عملَه مع فعله للعمل . فاحذروا من ذلك ، وتنبهوا له معاشر الإخوان .

وإذا صليتم التراويح وغيرها من الصلوات فأتموا القيام والقراءة ، والركوع والسجود ، والخشوع والحضور ، وسائر الأركان والآداب . ولا تجعلوا للشيطان عليكم سلطاناً ، فإنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، فكونوا منهم . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ، فلا تكونوا منهم .

واستكثروا من أعمال البر ، وأفعال الخير ما استطعتم في شهر رمضان ، لفضل أوقاته وحصول المضاعفة فيه ، وكثرة الثواب وتيسير العمل بالخيرات .

فأما المضاعفة فلما ورد : أن النافلة في رمضان يعدل ثوابها ثواب الفريضة ، والفريضة فيه بسبعين فريضة في غيره . فمن يسمح بفوات هذا الربح ويكسل عن اغتنام هذه التجارة التي لا تبور!

وأما تيسُّر العمل بالخير في رمضان فلأن النفس الأمارة بالسوء مسجونة بالجوع والعطش ، والشياطين المُثبِّطين عن الخير المعوِّقين عنه مُصفَّدون لا يستطيعون الفساد ولا يتمكّنون منه ، فلم يبق بعد ذلك عن الخيرات مانع ، ولا من دونها حاجز إلا من غلب عليه الشقاء ، واستولى عليه الخذلان والعياذ بالله! فيكون رمضان وغيره عنده سواء في الغفلة عن الله ، بل ربما يكون في رمضان أعظمَ إعراضاً عن ربه وأكثر غفلة .

وكما ينبغي للمؤمن أن يستكثر من الأعمال الصالحة في هذا الشهر ويسارع فيها ، كذلك ينبغي له أن يبالغ في التحرز عن المخالفات ، ويكون في نهاية البعد عنها ، فإن المعاصي في الأوقات الفاضلة يكون إثمها عظيماً ووزرها كثيراً ، نظير كثرة الثواب على الأعمال الصالحة الواقعة في الأوقات الفاضلة .

فضل العشر الأواخر في رمضان

وقد ورد : أنه عليه الصلاة والسلام كان يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره ، وكان يجتهد في العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيرها من رمضان .

قلت : وذلك لفضل العشر الأواخر على غيرها من الشهر ، وقد أمر عليه الصلاة والسلام بالتماس ليلة القدر فيها .

قال العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ : وهي في الأوتار منها أرجى .

وبالجملة : فينبغي للمؤمن الفَطِن أن يكون في كل ليلة من ليالي رمضان مستعداً لليلة القدر ومستيقظاً لها ، ومداوماً على العمل الصالح ، فإن المقصود الذي عليه المعوَّل : أن تأتي عليه ليلة القدر وهو مستغرق بالعمل الصالح ، ذاكراً الله تعالىٰ ، غير غافل ولا ساهٍ ولا لاهٍ ، وسواء بعد ذلك رأى ليلة القدر أو لم يرها ، فإن العامل فيها بطاعة الله يكون عمله فيها خيراً من عمله في ألف شهر علم بها أو لم يعلم . وإنما قلنا : إنه ينبغي أن يتنبَّه لليلة القدر ويستعدَّ لها في كل ليلة من هذا الشهر ،

لكثرة ما وقع بين العلماء من الخلاف في تعيينها ، وأنها أيّ ليلة هي؟ حتى قال بعضهم : إنها مبهمة في جميع ليالي الشهر . وقال بعضهم : إنها متنقلةٌ في لياليه ، وليست ليلة بعينها .

قلت : وأجدني أميل إلى هذا القول ، وأرى أنها قد تكون في غير العشر الأواخر وإن كان وقوعها فيها هو الأكثر ، وعليه جمهور العلماء ؛ أعني : أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان .

* * *

وينبغي الإكثار من الصدقة والمواساة ، وتعهُّد الفقراء والمساكين ، وتفقد الأرامل والأيتام في هذا الشهر الشريف ، فقد ورد « أنه كان عليه الصلاة والسلام أجود بالخير من الريح المرسلة ، وأنه أجود ما يكون في رمضان » .

وينبغي الإكثار فيه من تلاوة القرآن ومدارسته ، ومن الاعتكاف في المساجد ولاسيما في العشر الأواخر ، إذ كان عليه الصلاة والسلام يعتكفها .

ثم اعلم أن شهر رمضان شهرٌ مبارك على المسلمين ، وفي اليوم السابع عشر منه كانت « وقعة بدر » وهو يوم الفرقان يوم التقى الجمعان . وفي رمضان كان « فتح مكة المشرفة » ودخول الناس في دين الله أفواجاً . وفيه « ليلة القدر » التي هي خير من ألف شهر ، ومن أدركها وعمل فيها بطاعة الله اثنتي

عشرة سنة مثلاً كان بمثابة من عاش في طاعة الله ألف سنة ، فهل شيء أعظم من ذلك وأجلّ قدراً ، وكم في رمضان من البركات والخيرات! فطوبى لمن عرف قدره ، واغتنم أوقاته وساعاته ، واستغرق لياليَهُ وأيامه بفعل ما يُقَرِّبُه من ربه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

صيام النفل

واعلم أن أفضل الصيام صيام شهر رمضان ، وكذلك يكون الأمر في جميع الفرائض ؛ أعني أنها تكون أفضل من الفرائض التي من جنسها بشيء كثير ، لقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالىٰ : « ما تقرَّب المتقرِّبون إليَّ بمثل أداء ما افترضته عليهم . ولا يزال العبد يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه . . . » الحديث .

ثم صوم الأشهر الحُرُم وهي أربعة : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة : ٩/٣٦] .

وقد ورد : « أن صوم يومٍ من الأشهر الحُرم يعدل صيام ثلاثين يوماً من غيرها . وصيام يوم من رمضان يعدل صيام ثلاثين يوماً من الأشهر الحرم » . وورد : « أن من صام ثلاثة أيام متتابعة من شهر من الحُرُم : الخميس والجمعة والسبت باعده الله من النار » .

* * *

ومن السنَّة : صيامُ ستّ من شوال على أثر رمضان ، توديعاً له وجبراً للخلل إن عرض فيه للصائم . والنوافلُ جوابرُ الفرائض ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من صام رمضان ثم أتبعه ستّاً من شوال فكأنما صام الدهر كله » .

ومن الفضائل : صوم يوم عرفة ، وهو يوم الحج ، التاسعُ من ذي الحجة . وقد ورد أن صومه يكفِّر سنتين .

قال العلماء : وهو أفضل يوم يُصام في السنة بعد رمضان ، ولا يستحب للحاج أن يصومه لأجل القوة على الدعاء في الموقف ، والقيام بالمناسك .

وصومُ يوم عاشوراء ، وهو العاشر من المحرَّم ، وقد ورد أن صومه يكفّر سنة .

ومن المتأكد المستحب من الصيام : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وقد وردت الأحاديث الكثيرة بأنها تعدل صيام الدهر ، وإن تحرّى بها الصائم الأيام البيض كان أفضل وأحسن ؛ لأنه ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان لا يترك صيام الأيام البيض في حضر ولا سفر ، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر . وإن صام هذه الثلاثة من غير البيض فلا بأس . إلا أنها أولى ، وكذلك إذا صام هذه الثلاثة مفرَّقة .

ولا ينبغي للمتنسك أن يترك صيام هذه الثلاثة من كل شهر ، فإنه صوم خفيف المؤونة عظيم الفضيلة . وحسبك من

فضله أنه يعدل صيام الدهر ، وقد أوصى به عليه الصلاة والسلام جماعة من أصحابه رضي الله عنهم ، وقال عليه الصلاة والسلام : « صام نوح الدهر ، وصام داود نصف الدهر ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً . وصام إبراهيم الدهر وأفطر الدهر ، كان يصوم ثلاثة من كل شهر ، صلوات الله عليهم أجمعين .

قلت : وأفضل الصيام صيام داود عليه السلام ، وهو أن يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أفضل من صيام الدهر كما ورد في الأحاديث الصحيحة ـ قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ : وهو ـ أعني صوم داود عليه السلام ـ أبلغ في رياضة النفس ، وأقوى في مجاهدتها من صيام الدهر .

وفي صيام الاثنين والخميس من الأسبوع فضل كثير ، كان عليه الصلاة والسلام يصومهما ويقول : « هما يومان تعرض فيهما الأعمال على الله ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم » .

وصيام يوم الجمعة محبوب لفضله وشرفه ، لكن مع الخميس أو السبت ؛ لأنه ورد في إفراده بالصوم نهي عن النبي ﷺ .

* * *

وعليك بالإكثار من الصوم مطلقاً ، فإنه من أبلغ الأشياء في رياضة النفس وكسر الشهوة ، واستنارة القلب وترقيقه ،

وتأديب الجوارح وتقويمها ، وتنشيطها للعبادة . وفيه الثواب العظيم ، والجزاء الكريم الذي لا نهاية له ولا غاية .

وليس شيء من الأعمال إلا ولثوابه حدٌّ ومقدار سوى الصوم ، فإن ثوابه لم يقدَّر بقَدْر ، ولم يُحدَّ بحدٍّ ؛ قال النبي ﷺ : « كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها ، قال تعالىٰ : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع الإنسان طعامه وشرابه وشهوته من أجلي . للصائم فرحتان : فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه .

ولَخَلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » ، فتأمَّل رحمك الله تعالىٰ جداً قوله تعالى : « إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » ، وتفكر في الوعد بالجزاء المطلق من السيد الكريم الجواد الرحيم . وتأمل أيضاً في خلُوف فم الصائم الذي هو عند الله أطيب من ريح المسك ، واستحضر معنى العِنْديَّة الإلٰهية الكائنة من الطِّيب بهذه المنزلة ! !

قلت : ومن أجْلِ فضل هذا الخلوف ومكانته عند الله تعالىٰ كره الاستياك للصائم بعد الزوال حتى يفطر ، لأن السواك يزيله أو يخفِّفه . وقال عليه الصلاة والسلام في فضل الصوم : « للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون ؛ فإذا دخلوا منه أغلق » .

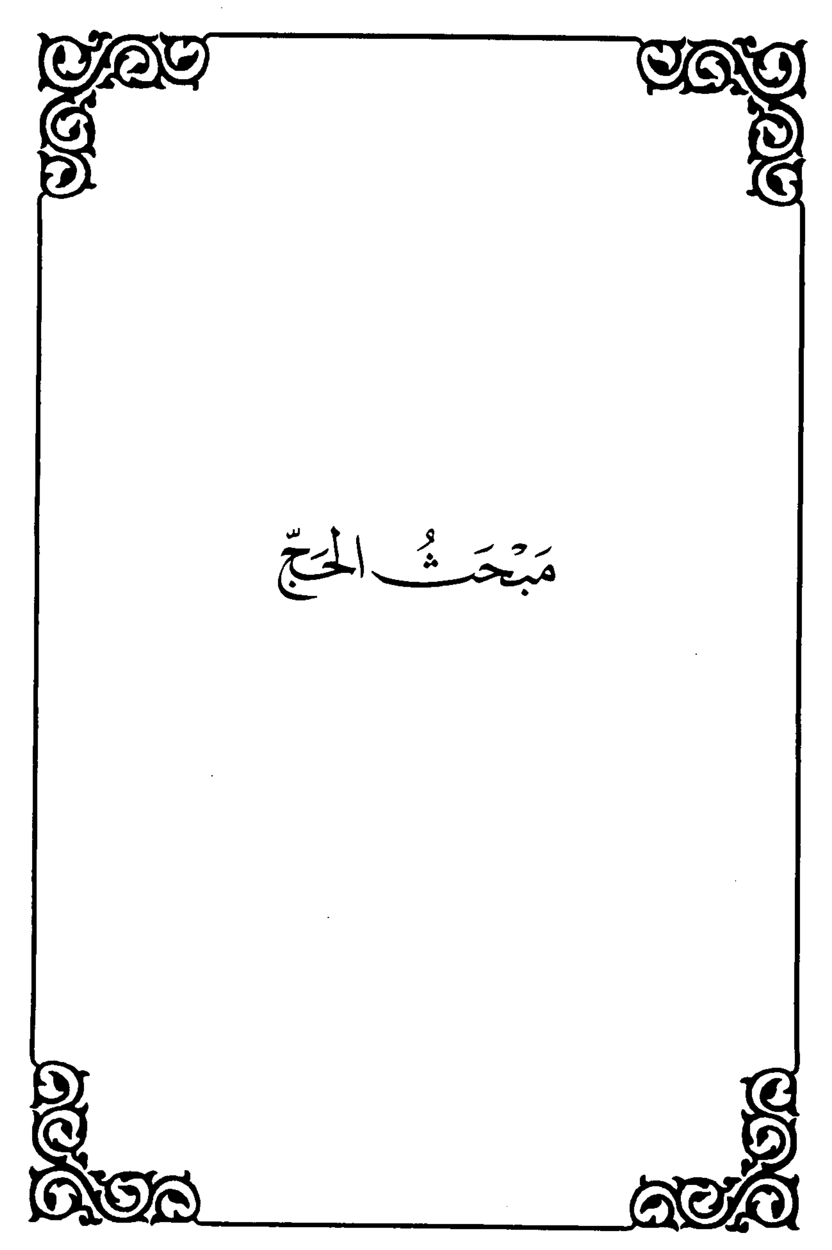
وقال عليه الصلاة والسلام : « الصوم نصف الصبر . ولكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم » . وقال عليه الصلاة

والسلام : « الصوم جُنة وحصن حصين من النار » .

واعلم : أن للصوم صورة وروحاً . فأما صورته : فهي الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النيّة . فمن أكل أو شرب أو جامع في نهاره وهو عامد عالم مختار بطل صومه . وإن كان ناسياً أو جاهلاً أو مكرهاً لم يبطل صومه ؛ هذه هي صورة الصوم .

وأما روحه : فهو الإمساك عن الآثام والمحرَّمات ، والقيام بالفرائض والواجبات . والذي يصوم عن الأكل والشرب والجماع ، ولا يصوم عن المخالفات ، هو الصائم الذي ليس له من صيامه إلا العناء والتعب . فإذا صُمْتَ فأَحسِنْ ، وكذلك في جميع أعمالك اجتهد في إحسانها وإكمالها وإخلاصها ؛ حتى ينفعك الله بها ، ويعظم لك الأجر عليها عند الرجوع إليه ، وله سبحانه الأمر كله ؛ فاعبده وتوكل عليه ؛ وما ربك بغافل عما تعملون . لا إلـه إلا هو إليه المصير .

* * *



مَبْحَثُ الحجّ

واعلموا معاشر الإخوان ـ جعلنا الله وإياكم من الذين سبقت لهم منه الحسنى ، ومن الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا ـ : أن الحج إلى بيت الله الحرام أحد مباني الإسلام ، وهو فرض لازم محتوم على كل مسلم مستطيع في العمر مرةً وكذلك العُمرة .

قال الله تعالىٰ : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران : ٣/ ٩٧] .

وقال الله لخليله إبراهيم عليه السلام : ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ (٢٩) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾

[الحج : ٢٢/ ٢٧-٣٠] .

وقال رسول الله ﷺ : « بُني الإسلام على خمس : شهادة

أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من ملك زاداً وراحلة تبلِّغه إلىٰ بيت الله تعالى ثم لم يَحُجّ فلا عليه أن يموت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً » .

وفي هذا نهايةُ التشديد على من يترك الحج مع الاستطاعة .

فلا ينبغي للمؤمن أن يؤخّر ويتكاسل ويُسوِّف ، ويتعلّل بالأعذار من سنة إلى سنة ، وهو مع ذلك مستطيع ، وما يدريه لعل الموت ينزل به ، أو تذهب استطاعته ؛ وقد استقر الحج في ذمته لتمكنه منه فيلقى الله تعالىٰ عاصياً آثماً !

الاستطاعة في الحج

والاستطاعة أن يملك الإنسان ما يحتاج إليه في سفره إلى الحج ذهاباً ورجوعاً من زاد ومركوب ، وما في معنى ذلك مما لا بُدَّ له منه ، ونفقة من تلزمه نفقته من الأولاد والأزواج ونحوهم إلى وقت رجوعه .

وتختلف الاستطاعة باختلاف الناس ، وباختلاف الأماكن في القرب والبعد . ومن تكلَّف الحجَّ شوقاً إلى بيت الله الحرام ، وحرصاً على إقامة هذه الفريضة من دين الله وليس بمستطيع من كل الوجوه فإيمانه أكمل ، وثوابه أعظم وأجزل ؛ ولكن بشرط أن لا يضيِّع بسبب ذلك شيئاً من حقوق الله تعالىٰ لا في سفره ولا في وطنه ، وإلا كان آثماً وفي حرج ، مثل أن يسافر ويترك مَن فَرَضَ الله تعالىٰ عليه نفقتهم ضائعين لا شيء لهم ، أو يكون في سفره متكلاً على مسألة الناس ، مشغول

القلب بالتشوُّف إليهم ، أو يضيع بسبب السفر شيئاً من الصلوات المكتوبات ، أو يقع في شيء من المحرمات ؛ فمثل من يسافر إلى الحج على هذا الوجه وقد وسع الله له في الترك حيث لم يكن مستطيعاً مثل من يعمّر قصراً ، ويهدم مصراً .

نبهنا على ذلك ؛ لأن كثيراً من العامة يسافرون على هذا الوجه ، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله تعالىٰ بحج بيته وهم في غاية البعد عنه ، لأنهم لم يدخلوا الأمر من بابه . وإذا كان هذا في الحج المفروض ، فاعلم أنه يكون في الحج الذي ليس بمفروض أعظم حرجاً وأكثر تشديداً .

وكلامنا هذا في حق العاجز الضعيف . وأما القويّ المستطيع فقد ذكرنا أنه تتأكد عليه المبادرة بحجة الإسلام ، ثم يُستحبّ له بعد ذلك أن لا يترك التطوُّع بالحج . قال بعض السلف رحمة الله تعالى عليهم : أقلُّ ذلك أن لا تمر عليه خمسة أعوام إلا ويحج فيها حجّة . وقد بلغنا عن الله تعالىٰ أنه قال : « إنَّ عبداً صحَّحت له جسمه ، ووسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام ولم يفدْ عليَّ لمحرومٌ » .

قلت : وإنما ينبغي للمسلم القادر : الاستكثارُ من الحج لما فيه من التعظيم لحرمات الله وشعائره التي تعظيمها من تقوى القلوب ، ولما فيه من الفضل العظيم الذي وردت به الأخبار ؛ قال رسول الله ﷺ : « أفضل الجهاد الحج » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الحج يهدم ما قبله » ؛ أي : من الذنوب .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من حج فلم يرفُثْ ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » والرفثُ والفسوق : شيئان جامعان للأقوال والأفعال القبيحة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « بِرُّ الحج إطعام الطعام ، ولين الكلام » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الحجاج والعُمّار وفدُ الله ، إن سألوا أُعطوا ، وإن دَعَوا أُجيبوا ، وإن أنفقوا أُخلِف لهم » .

آداب الحج

ومن آكد المهمات على المسافر إلى الحج : الاجتهاد في أن يكون زاده طيباً ، ونفقته حلالاً ، وليحرص كل الحرص على ذلك ، فإن الذي يحج بالمال الحرام لا يقبل الله حجه ، وإذا لبّى عند إحرامه يقول له سبحانه : لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام وراحلتك حرام وحجك غير مبرور ، ويقول تعالىٰ للذي يحج بالمال الحلال إذا لبّى : لبيك وسعديك ، زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور ؛ كذلك ورد في الخبر .

وليكن المسافر إلى الحج طيِّب النفس بما ينفقه من المال في سفره ؛ فإنها نفقة مخلوفة متبوعة بالخير والبركة ، واليسر

والسعة . وقد ورد أن النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله ، الدرهم بسبعمائة .

ومهما كان الحاج موسراً فليبالغ في توسيع النفقة على الفقراء والمساكين ، وبذل المعروف للضعفاء والمقلِّين ، خصوصاً لهؤلاء ، ولغيرهم من المسلمين عموماً مخلصاً في ذلك لله رب العالمين .

* * *

وليكن في سفره متواضعاً متخشعاً ، متمسكناً . فعلى مثل هذه الأوصاف ينبغي له أن يَفِدَ على الله الملك الجبار المتكبر .

ولا يكون في سفره وحجه من المستكبرين ، ولا من المترفهين فيكون عند الله من المطرودين ، قال عليه الصلاة والسلام : « إنما الحاج أشعث أغبر » .

وحج عليه الصلاة والسلام على رَحْل رثّ وتحته قطيفة رثَّة لا تساوي أربعة دراهم . فكلما كان الحاج أكثر تواضعاً وتمسكناً ، وأرثَّ هيئة يريد بذلك وجه الله كان حجه أطيب وأزكى ، وأجل وأكمل .

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : جعل الله السفر إلى الحج مثالاً للسفر إلى الآخرة ؛ فينبغي لك أن تستحضر عند كل عمل من أعمال السفر أمراً من أمور الآخرة يوازيه ويماثله ، فتتذكر عند وداع الأهل والأصحاب عند السفر ، وداعهم في

سكرات الموت . ومِن أَخْذ الزاد للطريق ، أَخْذ الزاد لطريق الآخرة ، ومن بُعد الطريق وخوف السباع والقطاع فيها ، تذكر بُعد طريق الآخرة ، وفتنة منكر ونكير ، وعذاب القبر . ومن الالتفاف في ثياب الإحرام الالتفاف في الأكفان . ومن السعي بين الصفا والمروة التردد بين كفتي الميزان أيهما ترجح . ومن الموقف موقف القيامة . هذا كلامه ملخصاً بمعناه فانظره في محله . والأمر كما ذكره رحمه الله ، وجزاه عن المسلمين خيراً .

وينبغي للحاج إذا وصل إلى حرم الله وبلده الحرام الأمين « مكة المشرفة » زادها الله شرفاً : أن يكون ممتلىء القلب بتعظيم الله وإجلاله ، ويكون على أتم ما يمكن منه ويستطيعه من التذلل والتواضع ، والخضوع والخشوع والانكسار لله تعالىٰ ولتكن هذه الأوصاف شعاره ودثاره في جميع المواطن والمواقف الشريفة .

* * *

وينبغي له أن يستكثر جداً من الطواف بالبيت ، ومن الصلاة عنده ، فقد ورد « أن من طاف أسبوعاً كان له كعدل رقبة » أي يعتقها لوجه الله تعالىٰ . وورد« أن الطائف بالبيت لا يرفع قدمه في طوافه ، ولا يضعها إلا محيت عنه سيئة أو كتبت له حسنة ، أو رفعت له درجة » . وورد أيضاً « أنها تنزل في كل يوم على

البيت عشرون ومائة رحمة : ستون منها للطائفين ، وأربعون للمصلين عند البيت وعشرون للناظرين إليه » .

وليكثر في طوافه من تلاوة القرآن ، ومن الأذكار والأدعية ، وخصوصاً منها الوارد في الطواف .

وليكثر من استلام الحجر الأسود المبارك ؛ فإنه يمين الله في الأرض يصافح بها عباده . ومن الصلاة في الحِجر ؛ فإنه من البيت تركته قريش لمَّا بنته في الجاهلية حين قصرت بهم النفقة من الحلال .

* * *

وليكثر من شرب ماء زمزم ، فإنه خير ماء على وجه الأرض كما قال عليه الصلاة والسلام . وقال أيضاً : « ماء زمزم لما شرب له ، وإنها طعام طُعم وشفاء سُقم » .

وقد شرب منها جماعات من الأكابر لمطالب شريفة فنالوها بفضل الله وببركات رسول الله ﷺ .

* * *

وإذا وقف بعرفات فليكثر من الاستغفار والدعاء ، والتضرع والبكاء وليسأل الله بصدق ورغبة ، وإقبال وإنابة ، لنفسه ولوالديه وأحبابه ولكافة المسلمين بصلاح جميع الأمور الأخروية والدنيوية ؛ فإنه يسأل كريماً جواداً ، بيده الخير كله ، وله خزائن السموات والأرض .

وهذا الموقف أعظمُ المواقف الإسلامية وأجمعُها ، ويحضره من ملائكة الله وعباده الصالحين خلائق لا يُحْصَون ، وقد ورد « أن الله تعالىٰ يباهي بأهل الموقف أهلَ السماء ، ويشهد ملائكته على أنه غفر لهم ـ أعني : لأهل الموقف ـ وأنه تعالىٰ قبل محسنهم ووهب مسيئهم لمحسنهم » . وفي بعض الآثار : أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفات فظن أنه لم يغفر له . وجاء في الخبر : أن إبليس لعنه الله لا يُرى أصغرَ ولا أدحرَ ولا أغيظَ منه في يوم عرفة ؛ وما ذلك إلا لكثرة ما يرى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن المذنبين من الواقفين بعرفات .

* * *

ومن آداب الحاج المهمة : أن يكون قصده مجرد حج بيت الله وتعظيم حرماته ؛ فإن لم يتفق له ذلك فليحذر كل الحذر أن يستصحب شيئاً من أمور الدنيا التي تشغله عن إقامة المناسك ، وتعظيم شعائر الله كما يجب وينبغي ؛ كما يقع ذلك لكثير من الغافلين عن الله ، المشغوفين بمحبة الدنيا من الاشتغال بأمور التجارات والمبايعات عن تعظيم الحرمات وإقامة المناسك ، وربما أفضى الأمر ببعضهم إلى أن يجعل قصد التجارة هو الأصل والحج تابع له ؛ وهذا عظيم وفيه ذم كثير .

وأما الاتجار في الحج إذا لم يشغل عن إقامته ، والإتيان به على وجهه فلا جناح فيه ولا حرج ؛ وقد أذن الله فيه وأنزل في شأنه : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة : ٢/١٩٨] . ولكن تجريد القصد للحج فقط هو الأفضل ، واستصحاب شيء من أمور التجارة الذي لا يشغل عن الحج ولا يفرِّق القلب لابأس به . وما يفرق القلب ويكثر به الاشتغال عن إقامة المناسك هو المذموم ؛ فاحذر منه أيها الحاج الراغب في أن يكون حجك مبروراً وسعيك مشكوراً .

ومن المذموم في الاستئجار للحج ما يقع لبعض العامة : من أن أحدهم يسير إلى الحج ونيته أن يفرغ ذمته من حجة الإسلام حتى يصير بذلك صالحاً لأن يستأجره الناس ؛ حتى يحج لهم رغبة منه في الإجارة ، وحرصاً قبيحاً على الدنيا . ولعل الله تعالىٰ لا يقبل حجة الإسلام من الذي يكون ضميره منطوياً على مثل ذلك . فليتق الله وليحذر هذا القصد الذي لا خير فيه ، وإنما ذكرناه لظهوره على بعض العامة الذين لا بصائر لهم ؛ فليعرَّفوا به وليشاع ذكره .

وأما الاستئجار للحج فلا بأس به ولا حرج فيه . ولا يخلو الأجير الذي يكون له قصد في زيارة البيت وتعظيم الحرمات الإلٰهية وإسقاط الفرض عن أخيه المسلم شفقة عليه : لا يخلو

من ثواب كبير من فضل الله تعالىٰ . وأما الأجير الذي ليس له قصد إلا الإجارة فقط فأمره غير خال من الخطر .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ : ينبغي لمن يؤجر نفسه في الحج أن يجعل قصد البيت هو الأصل والإجارة تابعة ، ولا يعكس فيجعل الإجارة أصلاً والحج تابعاً . انتهى بمعناه .

* * *

وينبغي للحاج أن يأتي بالحج على أكمل وجوهه فرضاً ونفلاً ، مع القيام بجميع السنن والآداب على وفق المنقول من حج رسول الله ﷺ ، ويُعرَف ذلك من المناسك التي وضعها العلماء رحمة الله عليهم .

ومن أحسنها ما ألفه الإمام النووي رحمه الله ، فلا يستغني الحاج عن استصحاب شيء منها أي : من المناسك التي ألفها العلماء ، ليكون على بصيرة من أمره وبينة من ربه ؛ ولْيَزُرْ جميع المشاهد والمواضع المعظمة ، وهي مشهورة ومعروفة .

* * *

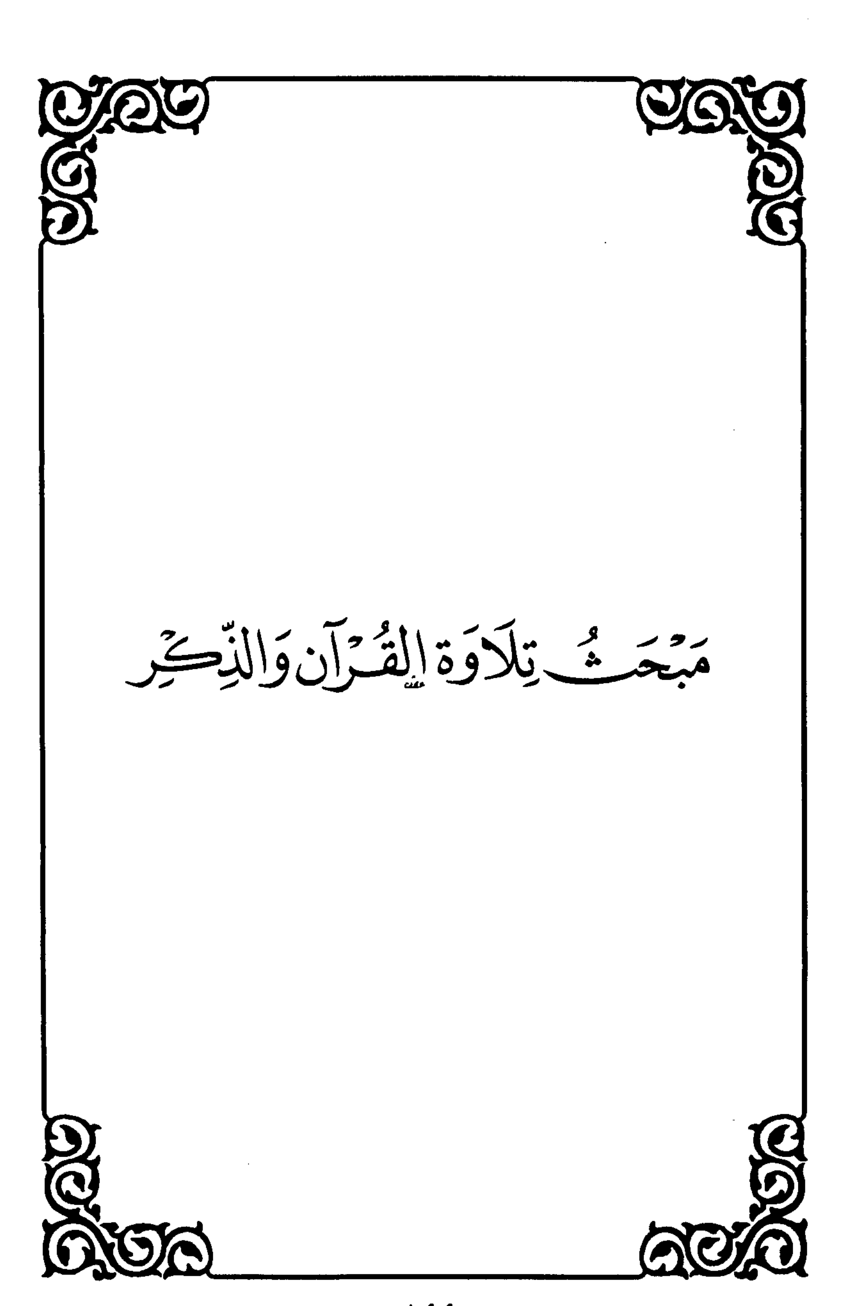
وليحرص كل الحرص على زيارة رسول الله ﷺ ، وليحذر كل الحذر من تركها مع القدرة ، وخصوصاً بعد حجة الإسلام ، وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من حج ولم يزرني فقد جفاني . ومن زارني ميتاً فكأنما زارني حيّاً » فلا ينبغي للمؤمن أن يقصر عن زيارة نبيه عليه الصلاة

والسلام إلا لعذر ناجز ؛ فإن حقه ﷺ على أمته عظيم . ولو أن أحدهم يجيء على رأسه أو على بصره من أبعد موضع من الأرض عن قبره الشريف لزيارته عليه الصلاة والسلام لم يقم بالحق الذي عليه لنبيه .

جزاه الله عنا وعن سائر المسلمين أفضل ما جزى نبياً عن أمته ؛ فقد أدى الرسالة ، وأوضح الدلالة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وتركنا على بيضاء نقية ، ومحجة واضحة من الحق ، ليلها مثل نهارها صلى الله وبارك وسلم عليه وعلى آله أفضل ما صلى وبارك وسلم على أحد من خلقه وأدومه ، عدد ما علم وزِنة ما علم ومِلء ما علم ؛ كلما ذكره الذاكرون ، وسها وغفل عن ذكره الغافلون .

* * *





مَبْحَثُ تِلَاوَةِ القُرْآنِ وَالذِّكْرِ

واعلموا معاشر الإخوان ـ جعلنا الله وإياكم من التالين لكتابه العزيز حق تلاوته ، المؤمنين به الحافظين له المحفوظين به ، المقيمين له القائمين به ـ : أن تلاوة القرآن العظيم من أفضل العبادات وأعظم القربات ، وأجل الطاعات ، وفيها أجر عظيم ، وثواب كريم ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٥/٢٩ـ٣٠] . وقال ﷺ : « أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن » وقال عليه الصلاة والسلام : « من قرأ حرفاً من كتاب الله كتبت له حسنة والحسنة بعشر أمثالها . لا أقول ألم حرف واحد ؛ بل ألف حرفٌ ، ولامٌ حرفٌ ، وميم حرفٌ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « يقول الله تعالىٰ : من شغله ذكري وتلاوة كتابي عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين . وفضل كلام الله تعالىٰ على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » . وقال علي كرم الله وجهه :

من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأه وهو قاعد في الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأه خارج الصلاة وهو على طهارة كان له بكل حرف خمس وعشرون حسنة ، ومن قرأه وهو على غير طهارة كان له بكل حرف عشر حسنات .

آداب التلاوة

واعلموا : أن للتلاوة آداباً ظاهرة وباطنة ، ولا يكون العبد من التالين حقيقة ، الذين تزكو تلاوتهم ، ويكون من الله بمكان حتى يتأدّب بتلك الآداب ، وكلٌّ من قصر فيها ولم يتحقق بها لم تكمل تلاوته ؛ ولكنه لا يخلو في تلاوته من ثواب ، وله فضل على قدره .

فمن أهم الآداب وآكدها : أن يكون التالي في تلاوته مخلصاً لله تعالىٰ ومريداً بها وجهه الكريم ، والتقرب إليه والفوز بثوابه ، وأن لا يكون مرائياً ولا متصنعاً ، ولا مُتزيناً للمخلوقين ، ولا طالباً بتلاوته شيئاً من الحظوظ العاجلة والأغراض الفانية الزائلة ، وأن يكون ممتلىء السِّر والقلب بعظمة المتكلم عزَّ وعلا خاضعاً لجلاله ، خاشع القلب والجوارح ، حتى كأنه من تعظيمه وخشوعه واقفٌ بين يدي الله تعالى يتلو عليه كتابه الذي أمره فيه ونهاه . وحق لمن عرف القرآن وعرف المتكلِّم به ، أن يكون كذلك وعلى أتم من ذلك ، كيف وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر : ٥٩/٢١] .

فإذا كان هكذا يكون حالُ الجبل مع جموده وصلابته لو أنـزل عليـه القـرآن ، فكيـف يكـون حـال الإنسـان الضعيـف المخلوق من ماء وطين ، لولا غفلة القلوب وقسوتها ، وقلة معرفتها بعظمة الله وعزه وجلاله ! !

وقال تعالىٰ في وصف الخاشعين من عباده عند تلاوة كتابه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء : ١٧/١٠٧ـ١٠٩] .

وقال تعالىٰ : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر : ٣٩/٢٣] .

فالتعظيم والخشية والخشوع والخضوع عند تلاوة القرآن من أوصاف المؤمنين الصادقين ، العارفين بجلال الله رب العالمين . والغفلةُ والقسوةُ والسهو واللهو عند تلاوة القرآن من أوصاف المعرضين المخلِّطين ، الذين ضعف إيمانهم ، وقلَّ يقينهم ، وخلت قلوبهم من حقائق معرفة الله ، ومعرفة كلامه . نسأل الله لنا ولكم العافية من ذلك ، ومن جميع أنواع البلاء والمهالك .

* * *

ومن أهم الآداب وأوجبها : أن يكون في حال تلاوته متدبراً لما يقرأ متفهماً له ، حاضر القلب عنده ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [صَ : ٣٨/ ٢٩] .

وقال تعالىٰ في معرض الإنكار والتوبيخ لأقوام : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد : ٤٧/ ٢٤] .

وقال علي رضي الله عنه : لا خير في قراءة لا تدبُّر فيها .

وصدق رضي الله عنه ؛ فإن القرآن إنما أنزل ليُتدبر ، وبالتدبر يُفهم المراد منه ، ويُتوصل إلى العلم به والعمل بما فيه ، وهذا هو المقصود بإنزاله وبعثةِ الرسول ﷺ به .

فعليك في حال تلاوتك بالتدبر والتفهم ، فإن قليلاً تقرؤه من القرآن مع التدبر والتفهم ، خيرٌ من كثير تقرؤه من القرآن بدون ذلك .

قال بعض السلف رحمة الله عليهم : لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة ، أتدبرهما وأتفهمهما أحبُّ إلي من أن أقرأ القرآن كله .

وسئل بعضهم عن قارئين : قرأ أحدهما البقرة فقط ، وقرأ الآخر البقرة وآل عمران ، وابتدآ معاً وختما معاً ، أيهما أفضل؟ فقال : الذي قرأ البقرة فقط أفضل .

قلت : وإنما صار هذا الذي قرأ البقرة أكثر فضلاً ، مع أن

الآخر قرأ مثله نحواً من مرتين لكون قارىء البقرة كان أكثر تدبراً وترتيلاً . دلَّ على ذلك استغراقه بقراءتها ذلك الوقت الذي قرأ فيه الآخر البقرة وآل عمران .

فقد تبين لك أن التدبر والتفهم هو المقصود ، والذي عليه المعول في حال التلاوة للقرآن الكريم ؛ فعليك به رحمك الله .

قال الحسن البصري رحمه الله : إن من كان قبلكم رأوا هذا القرآن رسائل إليهم من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذُونها بالنهار . انتهى .

وكلما كان العبد أوسعَ علماً ومعرفة بالله ، كان أكثرَ تدبراً للقرآن ، وأعظمَ فهماً فيه ، ولذلك اتسع المجال في تدبر القرآن وفهمه للعارفين بالله من العلماء الراسخين والأئمة المهتدين . قال أبو ذر رضي الله عنه : قام بنا رسول الله ﷺ ليلة بقوله تعالىٰ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ٥/١١٨] .

وكان عمر رضي الله عنه يقرأ الآية في قيامه من الليل فيتدبَّرها حتى ربما سقط من قيامه من شدة خشيته وخشوعه . وربما مرض بسبب ذلك حتى يعاد .

وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية يردّدها إلى الصباح : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية : ٤٥/ ٢١] .

وقام سعيد بن جبير رحمه الله ليلة بقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس : ٣٦/٥٩] يرددها .

وما يحكى عن السلف الصالح في هذا المعنى كثير منتشر .

وكان الخوف والبكاء يغلب عليهم عند قراءة القرآن من شدة معرفتهم بالله وفهمهم في كتابه ، وتدبرهم له . وكان يُغشى على كثير منهم عند قراءته وسماعه ، وربما مات بعضهم . وذلك معروف في أخبارهم وسيرهم ، رحمهم الله ونفعنا بهم .

فإذا قرأت القرآن فتدبَّر وتفهَّم وتفكَّر ، وتوقَّف عند كل آية يكون فيها أمر من أوامر الله تعالى ، أو نهي من نهيه ، أو وعد أو وعيد ، ثم انظر ، فإن وجدت نفسك ممتثلاً لذلك المأمور ، مجتنباً لذلك المنهي ، ومصدقاً موقناً بذلك الوعد والوعيد ، فاحمد الله ، واعلم أن ذلك حصل لك بتوفيقه ومعونته ، وزد في الجدِّ والتشمير ، واحترز من التساهل والتقصير . وإن وجدت نفسك غير ممتثل لذلك المأمور ، وغير مجتنب لذلك المنهي ، وغير قوي اليقين بالوعد والوعيد ، فاستغفر ربك ، وتُبْ إليه من تقصيرك ، واعزم على امتثال أمره واجتناب نهيه ، وألزِم قلبك اليقين الكامل بوعده ووعيده .

وكذلك إذا تلوت آيات التوحيد لله والتقديس له عزَّ وجلَّ ، والآيات التي فيها ذكر صفاته العلى وأسمائه الحسنى ، تقف عندها وتتدبر ما فيها من معاني جلاله ، ورفيع مجده وكماله ،

وتكون عند ذلك ممتلىء القلب بتوحيده وتقديسه وتعظيمه وإجلاله .

وإذا تلوت الآيات التي فيها ذكر أوصاف المؤمنين والصالحين من عباد الله تعالىٰ ، وفيها شرح أخلاقهم المحمودة ، تتدّبرها وتنظرُ فيها ، وتطالب نفسك بالاتصاف والتخلق بها .

وإذا تلوت الآيات التي فيها ذكر الأعداء من الكافرين والمنافقين ، وذكر أوصافهم وأخلاقهم القبيحة ، تتدبرها وتنظر هل أنت ملابس لشيء منها ، فتتنزه عنه وتتوب إلى الله منه لئلا ينزل بك من الله مثل الذي نزل بهم من السخط والعقاب .

وعلى مثل هذا النحو فتدبر في آيات الله عند كل آية منها على حسب المناسبة والموافقة ، فإن آيات القرآن كثيرة ، وهي أنواع وأقسام متعددة ، وفيها العلوم الواسعة الغزيرة التي لا غاية لها ولا نهاية ، قال تعالىٰ : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٦/٣٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ١٦/٨٩] .

وفي الحديث : « إن لكل آية ظهراً وبطناً ، وحدّاً ومطلعاً » .

* * *

واستعن على حسن التدبر والتفهم لمعاني القرآن بحسن الترتيل ، والتأني في حال تلاوته ، ومجانبة العجلة والهذ والهـذرمـة ، فقـد ورد النهـي عـن ذلـك : أعنـي عـن الهـذ والهذرمة ، وهو عبارة عن الاستعجال ، وترك الترتيل المأمور به ، قال الله تعالىٰ لرسوله عليه الصلاة والسلام : قال تعالىٰ : ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل : ٧٣/ ٤] .

ولما وصفت أم سلمة وغيرُها من الصحابة رضي الله عنهم قراءة رسول الله ﷺ ، وصفوا قراءةً مرتلة مفسرة حرفاً حرفاً . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « يقال لقارىء القرآن : اقرأ وآرق ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » .

قال بعض العلماء رحمهم الله تعالىٰ : عدد درج الجنة بعدد آي القرآن ، فتكون منزلة من يقرأ القرآن كله في أعلى درجات الجنة . انتهى بمعناه . قلت : وهذا يكون للقارىء المحسن في تلاوته ، العامل بما يقرؤه من القرآن دون القارىء المخلِّط الغافل . دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة الواردة في عقاب القارىء الذي لا يعمل بالقرآن وإن كان يقرؤه كما أنزل في الظاهر . وعدد آيات القرآن الكريم أكثر من ستة آلاف آية فيكون عدد درجات الجنة بحسب ذلك على وفق ما ذكره العالم الذي نقلنا قوله قريباً . والله أعلم .

* * *

ومن **المندوب إليه** : تحسين الصوت بالقرآن ؛ وهو معين على حضور القلب وخشوعه وحُزنه ، وباعثٌ على حسن الاستماع والإصغاء إلى القرآن . وقد قال رسول الله ﷺ : « حسنوا القرآن بأصواتكم » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » . وقال عليه الصلاة والسلام في معرض الثناء على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وقد سمعه يقرأ القرآن بصوت حسن : « لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود » ولكن ينبغي أن يكون ذلك التحسين على وجه يليق بتعظيم القرآن واحترامه ، بحيث لا يشبَّه بالغناء ، وإنشاد الأشعار بالألحان كما يفعل ذلك بعض الأغبياء .

* * *

وينبغي أن تكون في حال تلاوتك على أكمل الأحوال : من الطهارة واستقبال القبلة ، وسكون الجوارح ، وقلة الالتفات ؛ مع جمع الهمِّ وترك تفريق النظر ، وأن تكون نظيف البدن والثياب والمكان ، طيب الرائحة ، وهذا هو الأكمل الأفضل . ولو أن القارىء قرأ وهو محدث وغير مستقبل القبلة ، أو وهو قائم أو سائر أو مضطجع جاز ذلك ، وله في تلاوته فضل وثواب ، ولكن دون ثواب من يكون على ما ذكرناه من حسن الآداب وكمال الهيئات .

* * *

ثم اعلموا ـ رحمكم الله ـ : أن قارىء القرآن وحافظه عند الله بمكان .

قال عليه الصلاة والسلام : « الذي يقرأ القرآن وهو به ماهرٌ مع السفرة الكرام البررة . والذي يقرؤه ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » وقال عليه الصلاة والسلام : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » إلى غير ذلك من الفضائل التي وردت بها الأخبار الكثيرة الشهيرة .

* * *

ولكن ينبغي لقارىء القرآن أن يعرف للقرآن حقه ، وما يجب له من الاحترام والتعظيم ، وما يتعين عليه من الأخذ به والعمل بما فيه ، وما أرشد إليه من جميل الأوصاف ، وكريم الأخلاق وصالح الأعمال . وهذا وإن كان مطلوباً من عامة المسلمين فهو على قارىء القرآن أوجب وآكد ، وهو به أجدر وأولى ؛ لفضله وفضل ما معه من كتاب الله وبيناته وحججه .

قال عمر رضي الله عنه : يا معشر القرّاء ، ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق ، واستبقوا الخيرات .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ينبغي لصاحب القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون ، وبنهاره إذ الناس مفطرون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون ، وببكائه إذ الناس

يضحكون ، وبصمته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون . انتهى .

قلت : معنى كلام ابن مسعود هذا أنه ينبغي أن يتميز صاحب القرآن عن غيره من عامّة الناس ؛ بزيادة التشمير في طاعة الله وكثرة المسارعة في الخيرات ، وشدة الاحتراز من الغفلة مع مجانبة اللهو وكمال الخشية ، والخوف من الله تعالىٰ .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً : نزل القرآن ليُعمل به فاتخذتم دراسته عملاً .

* * *

فأما القارىء المخلِّط الغافل الذي لا يعمل بالقرآن ، ولا يأتمر بأوامره ، ولا ينزجر بزواجره ، ولا يقف عند حدوده ؛ فقد وردت في ذمّه الأخبار ، وجاءت في حقه تشديدات ، وتخويفات كثيرة .

قال عليه الصلاة والسلام : « اقرأ القرآن ما نهاك ، فإن لم ينهك فلست تقرؤه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله وراء ظهره ساقه إلى النار . . . » الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « النار إلى فسقة القراء أسرع

منها إلى عبدة الأوثان » . وورد « أن القرآن غريب في جوف الظالم ، وأنه كم من قارىء يقرأ القرآن ، والقرآن يلعنه » يعني لمخالفته له وعمله على خلاف ما يدعوه إليه . وبلغنا أنه يؤمر بأناس من حملة القرآن إلى النار قبل عبدة الأصنام ، فيقولون : أَيُبْدَأُ بنا قبل عبدة الأصنام؟ فيقال لهم : ليس من يعرف كمن لا يعرف .

وفي بعض الآثار : أن قارىء القرآن إذا ركب المعاصي يناديه القرآن في جوفه : أين زواجري؟ أين قوارعي؟ أين مواعظي؟! . الأثر إلى آخره .

وقال ميمون بن مهران رحمه الله تعالىٰ : إن أحدهم يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه ، قيل له : وكيف ذلك؟ قال : يقرأ : ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران : ٣/ ٦١] . وهو يكذب .

﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود : ١١/ ١٨] . وهو يظلم .

وفي الحديث : « إن المنافق الذي يقرأ القرآن مَثَلُه مَثَلُ الريحانة ريحها طيب وطعمها مُرّ » . وفيه أيضاً : « أن أقواماً يقرؤون القرآن كما أُنزل ، وأنه لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة » . نسأل الله تعالى اللطف والعافية ، والتوفيق للتمسك بكتابه ، والعلم به والفهم فيه ، والعمل بما أرشد إليه ، مع حسن الخاتمة وحسن العاقبة في الأمور كلِّها لنا ولأحبابنا وللمسلمين .

* * *

ومن القربات العظيمة والفضائل الجسيمة : تعلم القرآن الكريم وتعليمه ، وذلك من فروض الكفايات المتأكدات . وقد قال رسول الله ﷺ : « خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه » .

وسئل سفيان الثوري رحمه الله تعالى ، فقيل له الرجلُ يتعلم القرآن أحبُّ إليك ، أو يغزو في سبيل الله؟ فقال : بل يتعلم القرآن .

* * *

الإكثار من قراءة القرآن

وينبغي للقارىء لكتاب الله : أن يستكثر من تلاوته آناء الليل والنهار ، مع التدبُّر والترتيل ، وغاية الأدب والاحترام . وليحذر كل الحذر من هجران التلاوة ، وترك تعهد القرآن! فيتعرض بذلك لنسيانه الذي هو من أعظم الذنوب ؛ ففي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام : « عُرِضت عليَّ ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها . . . » الحديث . وفي حديث آخر : « إن الذي ينسى القرآن بعد حفظه يلقى الله يوم القيامة وهو أجذم » .

وقد أمر عليه الصلاة والسلام صاحب القرآن بتعهده ، وأخبر أن القرآن أسرع تفلُّتاً من صدور الرجال من الإبل من عُقُلها .

وقد كان للسلف ـ رحمهم الله ـ عنايةٌ تامة بقراءة القرآن ،

ولهم في ذلك عادات مختلفة ؛ فمنهم من كان يختم في كل شهر ختمة ، ومنهم في كل عشر ليال ، وفي كل ثمان ليال ، وفي كل سبع ، ومنهم في كل ثلاث ، ومنهم من كان يختم في كل يوم وليلة ختمةً .

وختم بعضهم في اليوم والليلة ختمتين وبعضهم أربعاً ، وانتهى بعضهم إلى الختم في اليوم والليلة ثمان ختمات .

قال الإمام النووي رحمه الله : وهذا أكثر ما بلغنا ، يعني الختم في اليوم والليلة ثمان مرات . وكره بعضهم الختم في أقل من ثلاثة أيام ، أعني المداومة على ذلك . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » .

* * *

وينبغي لصاحب القرآن : أن يجعل له وِرْداً من القرآن يقوم به في صلاته من الليل ؛ فيتتبع القرآن من أوله حتى يختمه في صلاته من الليل ؛ إما في كل شهر ، أو في كل أربعين ، أو أقل أو أكثر حسب النشاط والتيسير ، ولا يترك ذلك ولا يكسل عنه ؛ فقد ورد في الحديث : « أن القرآن والصوم يشفعان في العبد عند الله ؛ فيقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفِّعني فيه . ويقول الصوم : منعته من الطعام بالنهار فشفِّعني فيه فيُشفَّعان » . وقد قال تعالىٰ : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

[آل عمران : ٣/ ١١٣ـ١١٤] .

فيتأكد على القارىء للقرآن أن يقوم من الليل ، وأن يقرأ في صلاته بالليل ما تيسّر من القرآن ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل : ٧٣/ ٢٠] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطِرين » .

قال العامري رحمه الله في « بهجته » : ينبغي لقارىء القرآن أن يقرأ في كل شهر ختمتين ، ختمةً بالليل في القيام من الليل ، وختمةً بالنهار .

قال : وهذا شيء سهل ، والمداومة عليه متيسرة . وصدق رحمه الله ، والموفَّق من وفقه الله تعالى .

* * *

وينبغي لمن أراد أن يختم القرآن : أن يختمه من أول الليل أو من أول النهار ؛ حتى يتسع وقت صلاة الملائكة عليه ، فإنه ورد في بعض الآثار : أن من ختم القرآن أيةَ ساعة من الليل صلَّت عليه الملائكة حتى يصبح ، وأيةَ ساعة من النهار صلت

عليه الملائكة حتى يمسي . وفي صلاة الملائكة على العبد كل خير ، وكل سعادة له . ومعنى صلاتهم عليه : استغفارهم له ، ودعاؤهم له بالخير .

* * *

وليكثر من الدعاء عند الختم ، فإنها ساعة شريفة مباركة ، ومن المواطن التي يستجاب فيها الدعاء وتتنزل الرحمة .

قال الإمام النووي رحمه الله : وينبغي أن يكون أكثر دعائه عند الختم في صلاح أمور المسلمين . وذَكَر طرفاً من الأدعية التي ينبغي أن يُدعَىٰ بها عند ختم القرآن ، وذلك في كتاب « التبيان » له ، وهو كتاب جليل نفيس ، جمع فيه من آداب حملة القرآن وقراءته قدراً صالحاً ، لا يستغني حامل القرآن عن معرفته والوقوف عليه .

* * *

ومما ينبغي المداومة عليه والتمسك به لاسيّما في هذه الأزمنة المباركة : الحزب المبارك الذي تُعتاد قراءته ، والمواظبة عليه في كثير من البلدان ، وإقامته في المساجد بين المغرب والعشاء وبعد صلاة الفجر ، وهو معروف بحزب الأسبوع . يفتتح ليلة الجمعة ويختم يوم الخميس ، وقد رُوي عن عثمان رضي الله عنه أنه كان يفتتح القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس . فهذا الحزب موافق لما روى عنه من

حيث الابتداء والختم . وأما من حيث توزيع القراءة وقسمة الأسباع فهو أيضاً على مثل هذه القسمة أو قريب منها ، منقول عن عثمان رضي الله عنه وعن غيره من السلف .

قال الفقيه أبو عبد الله بن عباد شارح الحِكَم رحمه الله تعالى عند ذكره لحزب الأسبوع في بعض « رسائله » : هو من البدع الحسنة ، ويتأكد التمسك به في مثل هذه الأزمنة التي ضعفت فيها شعائر الدين . انتهى كلامه بمعناه ، والأمر كما ذكره رحمه الله .

ولكن ينبغي للمداوم على هذا الحزب المبارك ألا يغفل عن أدبين قد أغفلهما كثير من المواظبين عليه .

أحدهما : أن لا يقتصر من تلاوة القرآن على قراءة هذا الحزب فقط ، فإنه في الأكثر يُقرأُ في جماعة وقد يكثرون فيكون نصيبه منه الذي يقرؤه شيئاً يسيراً .

والثاني من ـ الأَدبيْن ـ : أن لا يفعل كما يفعل بعض الغافلين ، وهو أن بعضهم ينعس في حال القراءة حتى لا يشعر بالمُقْرِإِ الذي يدور عليه حتى يوقظوه له . وبعضهم يأخذ في الحديث والكلام فيما لا يعني مع صاحبه القريب منه ، حتى يأتيه المقرأُ . وهذا مما لا ينبغي ! بل هو مكروه ومستقبَح ، سيّما إذا كانَ ذلك في المساجد ، والكلامُ فيها بغير ذكر الله وتلاوة كتابه شديد الكراهة . وقد ورد : الكلام في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

ونبهنا على هذين الأدبَين لأنّا رأينا كثيراً من قُراء هذا الحزب يغفلون عنهما . والذي يُقرَأ عليه كتاب الله وهو ينعس أو يلغو حاله مشكل ، وأمره مخطر ؛ لأنه يصير كالمعرِض عن كتاب الله تعالى واللاهي عنه . فليحذر من يتقي الله ويعظم حرماته من ذلك .

* * *

وينبغي لمن لا يحفظ كتاب الله تعالى : أن يكثر من استماعه ومن الإصغاء عند قراءته ؛ قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف : ٧/ ٢٠٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من استمع إلى آية من كتاب الله كُتبت له حسنة مضاعفة . ومن قرأها كانت له نوراً يوم القيامة » ، وليس طلب الاستماع خاصاً بمن لا يقرأ القرآن ، بل هو عام لكل أحد من قارىء وغيره ؛ وقد قال رسول الله ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه : « اقرأ عليّ . فقال له : كيف أقرأ عليك وعليك أنزل! فقال عليه الصلاة والسلام : إني أحب أن أسمعه من غيري » فقرأ عليه من أول سورة النساء . . . الحديث .

واستمع عليه الصلاة والسلام إلى قراءة أبي موسى ، وإلى قراءة سالم مولى أبي حذيفة ثم قال : « الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله » . وإلى قراءة ابن مسعود أيضاً هو وأبو بكر

وعمر ثم قال : « من سرّه أن يقرأ القرآن رَطْباً كما أنزل ، فليقرأ على قراءة ابن أم عَبْد » ؛ وهو ابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين .

فضائل سور وآيات معينة

ومما ينبغي المحافظة عليه ويتأكد : قراءة السُّوَر والآيات التي وردت الأخبار بفضائلها ، وجزالة الثواب في تلاوتها ، والحثّ على المواظبة عليها في بعض الأوقات .

فمن ذلك : قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلة الجمعة ؛ ففي الحديث : « إن من قرأها غفر له إلى الجمعة الأخرى ، وسطع له نور من قدمه إلى عَنان السماء » وفي رواية : « أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق » وورد : « أن من حفظ عشر آيات من أول الكهف ثم خرج الدجال عصم من فتنته » .

وقال عليه الصلاة والسلام في سورة البقرة : « اقرؤوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطَلة » . وورد : « أن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يقربه شيطان ثلاثاً » .

ومن ذلك : قراءة سورة يس المباركة ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « يس قلب القرآن ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له » وورد : « أن من قرأها كان كمن قرأ القرآن عشر مرات » .

ومن ذلك : قراءة سورة تبارك المُلك كل ليلة ، قال عليه الصلاة والسلام : « هي النافعة والمنجية من عذاب القبر » ووَدَدْتُ أنها في قلب كل مؤمن ، وأنها شفعت في رجل فغفر له .

وكان عليه الصلاة والسلام لا ينام كل ليلة حتى يقرأ الٓمٓ السجدة ، وتبارك المُلك .

ومن ذلك : قراءة سورة (الدخان) ، قال عليه الصلاة والسلام : « من قرأ سورة الدخان في ليلة أصبح مغفوراً له » .

وقال في سورة (الواقعة) : « من قرأها كل ليلة لم تصبه فاقة » .

وقال في سورة (إذا زلزلت) : « إنها تعدل نصف القرآن » .

وفي سورة (ألهاكم التكاثر) : « إن من قرأها كان كمن قرأ ألف آية » .

وفي (قل هو الله أحد) : « إنها تعدل ثلث القرآن ، وأن من قرأها عَشْرَ مرات بني له قصر في الجنة » . وورد الحثُّ على قراءتها بعد كلّ صلاة عشرَ مرات ، وعند الصباح وعند المساء وعند النوم . ووردت قراءتها مع المعوِّذتين ثلاث مرات . وفي ذلك حفظٌ من الآفات وكفايةٌ لجميع المهمات .

وقال عليه الصلاة والسلام في الفاتحة : « إنها أعظم سورة

في القرآن ، وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم ، وأنها أنزلت هي وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش . وأن الفاتحة لِمَا قرئت له ، وأنها رُقية حق » .

وورد في آية الكرسي أنها : سيدة آي القرآن ، وأن من قرأها بعد كل صلاة مكتوبة لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا أن يموت ، وأن من قرأها عند النوم لم يقربه شيطان حتى يصبح .

وورد : « أن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « علموهما نساءكم وأبناءكم فإنهما صلاة وقرآن ودعاء . . . » الحديث . وقال عليّ رضي الله عنه : ما أعلم أحداً يعقل دخل في الإسلام ينام حتى يقرأ بالثلاث الآيات من آخر سورة البقرة ، يعني : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرٗا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٨٤ـ٢٨٦] .

وأما الآيتان المذكورتان في قوله عليه الصلاة والسلام : « من قرأ بهما في ليلة كَفتاه » فهي من قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٨٥ـ٢٨٦] .

قال العلماء في معنى قوله عليه الصلاة والسلام « كفتاه » : أي كفتاه ما أهمه ، أو كفتاه من قيام الليل .

قال الإمام النووي رحمه الله : يجوز أن يكون المراد « بكفتاه » : أي ما أهمه ، ومن قيام الليل جميعاً . انتهى بمعناه .

وهذا الباب منتشر ، وما ورد فيه كثير معروف عند أهل العلم . والقصدُ الإشارة إلى بعض المُهم من ذلك ؛ ليتمسَّك به الراغبون في الخير فيفوزوا بما ترتّب عليه من جزيل الثواب ، ومن الحفظ والكفاية للآفات ، والله الموفق والمعين ، لا ربَّ غيره ولا إلـه سواه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

فضل ذكر الله

واعلموا معاشر الإخوان ـ جعلنا الله وإياكم من الذاكرين له كثيراً ، ومن الذين لا تُلهيهم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله ـ : أن الذِّكر لله تعالىٰ من أعظم الأوامر ، وأفضل القربات وأوصل الوسائل ؛ قال الله عزَّ من قائل : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣/ ٤١ـ٤٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ٢٠٥] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ١٣/ ٢٨] .

وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إليّ شِبْراً تقرّبت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هَرْوَلة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعِها في درجاتكم وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق ، ومن أن تلقَوْا عدوَّكم فيضربوا أعناقكم وتضربوا أعناقهم ؟ قالوا بلى ، قال : ذكر الله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله » . وقال عليه الصلاة والسلام : « لَذِكْرُ الله بالغداة والعشيّ أفضلُ من حَطْم السيوف في سبيل الله تعالى ، ومن إعطاء المال سَحًّا »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « مَثَل الذي يذكر الله والذي لا يذكره مَثلُ الحيّ والميت ، وَمَثلُ الشجرة الخضراء بين الشجر اليابس . وذاكِرُ الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارِّين » .

وما ورد في الأمر بالذكر وفي فضله من الآيات والأخبار يطول ذكره ويتعذّر حصره .

* * *

قال العلماء رحمهم الله : أفضلُ الذكر ما كان بالقلب واللسان جميعاً . وذكرُ القلب على انفراده أفضلُ من ذكر اللسان على انفراده . انتهى .

قلت : ومعنى ذكر القلب : أن تكون صورةُ الذكر الجاري على اللسان حاضرةً فيه وجاريةً عليه ؛ مثل : ما إذا قال الذاكر بلسانه : لا إلـه إلا الله ، يكون كذلك قائلاً لها بقلبه . وقد يكون معنى ذكر القلب بأن يكون معنى الذكر الجاري على اللسان حاضراً فيه ؛ مثل : أن يقول بلسانه : لا إلـه إلا الله ،

---

(١) السّحّ : الصّبّ والسّيلان من فوق .

ويكون معنى هذه الكلمة الشريفة الذي هو انفراد الحق بالإلـٰهية حاضراً في القلب . والله أعلم .

قال حجة الإسلام رحمه الله : الذكر على أربع مراتب :

الأولى : ذكر اللسان فقط .

والثانية : ذكر القلب مع اللسان تكلّفاً .

والثالثة : ذكر القلب طبعاً وحضورهُ مع اللسان من غير تكلف .

والرابعة : استيلاء المذكور على القلب واستغراقه به .

قال : والمرتبة الأولى قليلة النفع وضعيفة الأثر ، يعني بها ذكر اللسان مع غفلة القلب . انتهى كلامه بمعناه .

ولا شك أن ذكر اللسان مع غفلة القلب قليل الفائدة والنفع ، ولكنه خير من ترك الذكر رأساً .

قيل لبعض العارفين : إنا لنذكر الله ولا نجد حضوراً ؟ فقال : احمدوا الله الذي زيّن جارحةً من جوارحكم بذكره يعني بها اللسان .

فينبغي لمن أخذ في الذكر بلسانه أن يتكلّف إحضار قلبه مع اللسان ، حتى يصير ذاكراً بهما جميعاً تكلُّفاً في أول الأمر ، ثم لا يزال يواظب على ذلك حتى يذوق القلبُ لذّة الذكر ، وتشرق عليه أنواره ؛ فعند ذلك يحضر بلا تكلف ولا مؤونة ، بل ربما صار إلى حالة لا يمكنه معها الصبر عن الذّكر ، ولا الغفلة عنه .

آداب الذكر

ثم اعلموا رحمكم الله : أن للذكر آداباً ، وأن حضور القلب مع اللسان حالَ الذكر هو أهمها وآكدها ، فعليكم به . فإن الذاكر لا يكاد يصل إلى شيء من فوائد الذكر وثمراته المقصودة إلا بالحضور .

ومن آداب الذكر : أن يكون الذاكر لله على أكمل الآداب وأحسن الهيئات ظاهراً وباطناً ، وأن يكون على طهارة ونظافة تامّةٍ ، وأن يكون في حال ذكره خاشعاً لله ، معظِّماً لجلاله ، مستقبلاً للقبلة ، مطرِقاً ساكنَ الأطراف كأنه في الصلاة .

ثم إن المطلوب من العبد : أن لا يزال ذاكراً لله في جميع أحواله وعلى دوام أوقاته ، فإن أمكنه الدوام على هذه الآداب التي ذكرناها ، من الطهارة والاستقبال وغيرهما في دوام أحواله ؛ كما هو شأن أرباب الخلوة والانقطاع إلى الله تعالى فعل وداوم . وإن لم يمكنه الدوام على ذلك ـ وهو الأكثر والأغلب ـ فينبغي له أن يجعل له وقتاً معيَّناً يجلس فيه للذكر ، متأدِّباً بهذه الآداب التي ذكرناها ، وبما في معناها مما لم نذكره ، ثم لا يزال في بقية أوقاته ذاكراً لله : قائماً وقاعداً ومضطجعاً من غير حَدّ ولا تقييد ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء : ٤/١٠٣] .

* * *

ولْيحذر من الغفلة عن الذكر في وقت من الأوقات ؛ فإن الغفلة عن ذكر الله كثيرة الضرر ، قال النَّبي ﷺ : « من قعد

مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه إلا كانت عليه من الله تِرَة ، ومن اضطجع مضطجَعاً لم يذكِر الله تعالى فيه إلا كانت عليه من الله تِرة ، ومن مشى ممشًى لا يذكر الله تعالى فيه إلا كانت عليه من الله ترة » . انتهى . ومعنى الترة : الحسرة . وقيل التّبِعة .

وربما تسلّط الشيطان على الغافل ، واستولى عليه بسبب غفلته عن ذكر مولاه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٤٣/٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة : ٥٨/١٩] .

ومن شأن المؤمن أن يذكر ربّه كثيراً . كما أن وصف المنافق أن لا يذكر ربه إلا قليلاً ؛ قال الله تعالى في وصف المنافقين : ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٤/١٤٢] .

وفي ملازمة الذكر والمداومة عليه طردٌ للشيطان ، وقطع لوسوسته ؛ كما ورد : « إن الشيطان جاثم على قلب العبد ؛ فإذا ذكر اللهَ خنس ، وإذا غفل وسوس له » .

فتنبغي وتتأكد المواظبةُ والملازمةُ لذكر الله على دوام الأوقات ، وفي عموم الأحوال ؛ قال عليه الصلاة والسلام للرجل الذي قال له : يارسول الله ، قد كثرت عليّ شرائع الإِسلام ، فمُرْني بشيء أتشبّث به . فقال له : « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » .

وقد عدَّ العلماء ـ رحمهم الله ـ من فضائل الذكر وأرجحيّته على غيره من الأعمال الصالحة : أنه تُمكِنُ المداومة عليه في جميع الأوقات والأحوال ؛ لأنه غير مؤقَّت بوقت ، بل هو مأمور به على الدوام ، ويتعاطاه المحدِث والجُنب ، والمشغولُ والفارغ . ولا هكذا غيره من الصلاة والصوم والتلاوة ؛ فإن لها شرائطَ تتوقّف عليها ، وأوقاتاً لا تصح إلا فيها . وأفضلُ الأعمال الصلاةُ وهي ممنوعة في نحو ثلث النهار : من بعد صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس ، ومن بعد صلاة العصر إلى الغروب . والصوم ممنوع إلا في النهار . وقراءةُ القرآن الكريم ممنوعةٌ على صاحب الجنابة وغير محبوبة من صاحب الأشغال التي تُفرِّق القلب بحيث لا يجتمع معها قلبه ؛ وذلك لحرمة القرآن وجلالته ، وأما الذكر فقد وسّع الله تعالى الأمر فيه رحمةً لعباده ومِنّةً عليهم ، ومع ذلك فالمؤونة فيه قليلة ، والكلفة خفيفة بالنسبة إلى غيره . فَفَضَلَ الذكرُ من هذه الحيثيّات غيرَه من الأعمال ، وإن كان لبعضها فضل عليه من حيثيات أخرى .

فمن خصوصيات الذكر خفّة المؤونة فيه مع فضله ، وأنه يمكن المداومة عليه ؛ حتى إنه ينبغي لمن يكون على حالة يكره له فيها أن يذكر الله بلسانه ؛ مثل : الخلاء والجماع ، أن لا يغفل عن ذكر الله بقلبه ، كذلك قال العلماء بالله رحمهم الله .

فلا تزل ـ رحمك الله ـ ذاكراً وإن كنت صانعاً ومحترفاً وملابساً لشيء من أشغال الدنيا ، فلازم الذكر مع ذلك بقلبك وبلسانك حسب الإمكان .

وإن ذكرت الله تعالى في سِرّك ، وبحيث تُسمِع نفسك فقد أصبت وأحسنت ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « خير الذكر الخفِيّ ، وخير الرزق ما يكفي » وفي الآية الكريمة : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ٢٠٥] .

وإن جهرت بالذكر مع الإخلاص لله فيه ، ولم تشوش بسبب ذلك على مُصَلٍّ ولا قارىء بحيث تَخلِط عليه صلاته وقراءته ولا بأس بالجهر ، فلا منع منه بل هو مستحب ومحبوب .

* * *

وإن كان ذلك مع جماعة اجتمعوا لذكر الله على وفق ما ذكرناه من الإخلاص وعدم التشويش على المصلين والتالين ونحوهم ، فذلك مندوب إليه ومرغَّب فيه ، وقد وردت بفضله الأخبار .

قال عليه الصلاة والسلام : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يذكرون الله تعالى يريدون بذلك وجه الله تعالى إلاّ غَفَر لهم ، وبدّل سيئاتهم حسنات » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما قعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفّتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قيل : وما رياض الجنة ؟ قال حِلَقُ الذكر . وفي رواية مجالس الذكر » ، وورد في الحديث الطويل الذي أوله : « إن لله ملائكةً سيّارةً في الأرض يطلبون مجالس الذكر . ثم ساق الحديث إلى أن قال في آخره ، فيقول الله للملائكة : أُشهدكم أني قد غفرت لهم ـ أي للذاكرين ـ وأعطيتهم ما يسألون ، وأعذتهم مما يستعيذون ، فتقول الملائكة فيهم فلان عبدٌ خَطَّاءٌ وإنما مرَّ فجلس معهم ، فيقول تعالى : هم القوم لا يَشقَى بهم جليسهم . . . » الحديث ، وهو مشهور .

* * *

وقد اختار جماعة من أهل طريقة التصوُّف الجهرَ بالذكر ، والاجتماعَ لذلك ، ولهم في ذلك طرائقُ معروفةٌ . واختار آخرون الإِسرارَ به ؛ والجميعُ على خير من ربّهم ، وسداد من طرائقهم رحمهم الله ونفع بهم . ثم إن أهل هذه الطريقة أعني طريقة التصوف لا يعدلون بالذكر لله شيئاً ، وعليه تعويلهم ، وفيه شغلهم بعد إقامة الفرائض واجتناب المحارم ، وبه يأمرون المريد والسالك لطريقهم ، ويأخذون عليه العهد بالمداومة

عليه والملازمة له ؛ مع شرائط وآداب لهم في طريقهم ، الذكرُ لله أهمها وآكدها .

أنواع الذكر

والذكر على أنواع كثيرة ، ولكل نوع منها فضل وثواب عظيم ، وفيه فوائِد ومنافع جمة ؛ وله ثمرات وآثار شريفة .

فمن أنواع الذكر بل هو أشرفها وأفضلها : « لا إلـه إلاّ الله » قال النَّبي ﷺ : « أفضل الذكر لا إلـه إلا الله . وأفضلُ الدعاء الحمدُ لله » وقال عليه الصلاة والسلام : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إلـه إلا الله » . وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن الله تعالى : « لا إلـه إلا الله حِصني ، ومن دخل حِصني أَمِنَ من عذابي » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « جدِّدوا إيمانكم . قالوا : وكيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من قول لا إلـه إلا الله » . وقال عليه الصلاة والسلام : « سبحان الله نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إلـه إلا الله ليس لها دون الله حجاب » .

وورد : أن عموداً من نور واقفٌ بين يدي الله تعالى ؛ فإذا قال القائل : لا إلـه إلا الله ، اهتز ذلك العمود ، فيقول الله تعالى : اسكن فيقول : كيف أسكن ولم تغفر لقائلها ، فيقول الله تعالى : قد غفرت له . فيسكن .

وورد أيضاً : أن العبد إذا قال : لا إلـه إلا الله ، لم تمرّ

لا إلـه إلا الله على سيئة في صحيفته إلا محتها ، حتى تجد حسنةً فتسكن إلى جنبها .

وورد أيضاً : « أنه لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن في كِفّة ، ولا إلـه إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إلـه إلا الله » . وما ورد في فضل هذه الكلمة كثير شهير ، والقصدُ الإشارة دون الاستقصاء . ويكفي في معرفة فضلها أنها الكلمة التي يدخل بها الإنسان في الإسلام ، ومن خُتم له عند الموت بها فاز بالسعادة الأبديّة التي لا شقاوة بعدها . اللَّهمَّ يا كريم : نسألك أن تحِيِيَنا وتميتَنا وتبعثَنا على قول « لا إلـه إلاّ الله » مخلصين ، ووالدينا وأحبابنا والمسلمين . آمين .

وقال صلى الله عليه وسلم : في « لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل عليه السلام » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من قال لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة ، كانت له عِدْلَ عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومُحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حِرْزاً من الشيطان يومَه ذلك حتى يمسي .

ولم يأت أحد بأفضلَ مما جاء به إلا رجلٌ عَمِل أكثر منه » .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « من قال لا إلـٰه إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لم يسبقها عمل ، ولا تبقىٰ معها خطيئة » .

* * *

ومن أفضل أنواع الذكر وأجمعها قول : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، والله أكبر » فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام : « أنها خير الكلام وأحبه إلى الله تعالى » . وقال عليه الصلاة والسلام : « لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، والله أكبر ، أحبُّ إليِّ ممّا طلعت عليه الشمس » . وقال عليه الصلاة والسلام : « لَقِيت إبراهيمَ عليه السلام ليلةَ أُسري بي فقال : يا محمد ، اقرأ على أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيّبة التُّرْبة ، عذبة الماء ، وأنها قِيعان[1] وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » . وقال عليه الصلاة والسلام في هذه الكلمات الأربع : « من قالهن غُرست له بكل واحدة منهن شجرة » ؛ أي : في الجنة . وقال عليه الصلاة والسلام لأبي

(١) جمع قاع ، وهو في الأصل : المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه ، ويستوي نباته .

الدرداء رضي الله عنه : « قل سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ فإنهن الباقيات الصالحات ، وهنّ يَحططن الخطايا كما تحطُّ الشجرة ورقها » .

وقال عليه الصلاة والسلام في : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم : « إنها كنز من كنوز الجنة ، وإنها دواءٌ من تسعة وتسعين داء أدناها الهَمّ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من كانت لله عليه نعمةٌ وأحبَّ بقاءها فليُكثر من : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

ومن أنواع الذكر الفاضلة قول : سبحان الله وبحمده ، قال عليه الصلاة والسلام : أحبُّ الكلام إلى الله تعالى ، سبحانَ الله وبحمده » وسئل عليه الصلاة والسلام : أيُّ الكلام أفضلُ ؟ قال : « ما اصطفى الله لملائكته : سبحانَ الله وبحمده » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من قال سبحان الله وبحمده غُرست له نخلةٌ في الجنة . ومن قالها مائة مرة كُتبت له ألفُ حسنة ، وحُطّت عنه ألفُ خطيئة » . وقال ﷺ : « من قال حين يصبح وحين يمسي : سبحان الله وبحمده مائة مرة ، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضلَ مما جاء به إلا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد عليه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحانَ الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .

وعن أم المؤمنين جُوَيْرية رضي الله عنها : أن النَّبي ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضْحَى وهي جالسة تسبِّح فقالَ : « مازلت على الحالة التي فارقتك عليها ؟ قالت نعم . قال النَّبي ﷺ : لقد قلتُ بعدك أربعَ كلمات (ثلاث مرات) لو وُزنت بما قلتِ منذُ اليوم لوَزنتهنّ : سبحانَ الله وبحمده عددَ خلقه ، ورِضَا نفسِه ، وزِنَةَ عرشِه ، ومِداد كلماته » .

فضل الاستغفار

ومن أنواع الأذكار الكثيرة الخير والبركة ، العظيمة الفضل والثواب : الاستغفار ، والصلاة على النبي المختار ، والدعاء .

أما الاستغفار فقال الله عز من قائل في فضله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٨/ ٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [هود : ١١/ ٣] .

وقال تعالى فيما حكاه عن نبيّه نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾

[نوح : ٧١/ ١٠-١٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٤/ ١١٠] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من لزم الاستغفارَ جعل الله

له من كل هَمّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقَه من حيث لا يحتسب » . وقال عليه الصلاة والسلام : « طُوبَى لمن وجد في صحيفته إستغفاراً كثيراً » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من قال أَستغفر الله في يوم سبعين مرةً غفر الله له سبعمائة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة يذنب في يوم وليلة أكثرَ من سبعمائة ذنب » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الا أخبركم بدائكم ودوائكم ، ألاَ إنَّ داءكم الذنوبُ ، ودواءَكم الاستغفارُ » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « قال إبليس : وعِزّتِك وجلالِك يا ربّ لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحُهم في أجسادهم . فقال الله : وعِزّتي وجلالي لا برحتُ أغفر لهم ما استغفروني » .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : كنا نَعدّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد (مائة مرة) : « ربّ اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم » .

فعليك ـ رحمك الله ـ : بالإِكثار من هذا الذكر المبارك ، الذي كان من رسول الله ﷺ بهذه المنزلة .

وبلغنا أن الإِمام أحمد بن حنبل رحمه الله رُئيَ بعد موته في المنام فذكر : أن الله نفعه كثيراً بكلمات سمعها من سفيان الثوري رحمه الله ، وهي هذه : اللّهم يا ربَّ كلِّ شيء ،

بقدرتك على كل شيء ، اغفر لي كل شيء ، ولا تسألني عن شيء . انتهى بمعناه .

فعليك أيضاً : بالإكثار من هذه الكلمات المباركات .

ومن المأثور : أن مَنِ ٱستغفر الله كل يوم للمؤمنين والمؤمنات (سبعاً وعشرين مرّةً) صار من العِباد الذين بهم يُرحم الخلق ، وبهم يُمطرون ويرزقون . وهذه صفة الأبدال من رجال الله وعباده الصالحين .

فضل الصلاة على النبي

وأما الصلاة على رسول الله ﷺ ففضلها عظيم ، ونفعها في الدنيا والآخرة للمكثرين منها كثير ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٣٣/٥٦] .

فناهيك بما نصّ الله عليه في هذه الآية تشريفاً لنبيه وتعظيماً ، وحثًّا لعباده المؤمنين على الصلاة والتسليم عليه وتحريضاً .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من صلَّى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً » .

قال بعض العلماء المحققين رحمهم الله : لو صلى الله على العبد في طول عمره مرة واحدة لكفاه ذلك شرفاً وكرامة ؛ فكيف بعشر صلوات على كل صلاة يصليها المسلم على نبيه ؟!
انتهى .

فالحمد لله على عظيم فضله وجزيل عطائه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من صلّى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ورفع له بها عشر درجات ، وكتب له بها عشر حسنات ، وحط بها عنه عشر خطيئات » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاةً » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من قال اللّهم صلِّ على محمد ، وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي » وقال عليه الصلاة والسلام : « من قال جزى الله عنّا محمداً ما هو أهله ، أتعب سبعين كاتباً ألفَ صباح » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « صلوا عليّ حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغني » .

وورد : « أن لله ملائكةً سيّاحين في الأرض يبلغونه عليه الصلاة والسلام صلاةَ من يصلي عليه من أمته » .

وورد : « أنه لا يسلّم عليه أحد من أمته إلا رد الله عليه روحه الشريفة حتى يَردَّ عليه » . قال الشيخ ابن حجر في « الدر المنضود » : ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنَّه قال : « ما من أحد يسلِّم عليه إلا رَدَّ الله عليه روحه الشريفة حتى يرد عليه » .

وقد ورد في السلام عليه المضاعفة بالسلام من الله عشر مرات على المسلِّم عليه كما ورد في الصلاة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليّ . . . » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « من ذُكِرْتُ عنده فأخطأ الصلاةَ عليّ أخطأ طريق الجنة » .

وقد أمر عليه الصلاة والسلام بالإكثار من الصلاة عليه في يوم الجمعة خصوصاً ، قال عليه الصلاة والسلام : « أكثروا من الصلاة عليّ يومَ الجمعة ، فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة : فأقربهم مني منزلة أكثرهم عليَّ صلاة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « صلّوا علي في الليلة الغَرّاء واليوم الأزهر » ؛ يعني : ليلة الجمعة ويومها .

فينبغي لكل مؤمن : أن يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ في دوام الأوقات ، وفي ليلة الجمعة ويومها خصوصاً . وليجعل السلام عليه مع الصلاة ؛ فقد أمر الله بهما جميعاً .

وفي الحديث عن الله تعالى أنه قال له عليه الصلاة والسلام : « من صلى عليك صلّيت عليه ، ومن سلَّم عليك سلمت عليه » .

وينبغي لمن صلّى وسلّم على نبيه : أن يصلِّي ويسلِّم على آله بعده ؛ فإنه عليه الصلاة والسلام يحب لهم ذلك ، وقد وردت به الأحاديث . وجاء في بعض الآثار : أن الصلاة التي لا يُصَلَّى فيها على الآل تسمّى الصلاةَ البتراء . والله أعلم .

الدعاء وآدابه

وأما الدعاء : فقد أمر الله به وحثّ عليه ورغّب فيه ، فقال عزّ من قائل كريم : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ٥٥ـ٥٦]

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٤٠/ ٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر : ٤٠/ ٦٥] .

وقال النّبي ﷺ : « الدعاء هو العبادة » وقال عليه الصلاة والسلام : « الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يَردُّ القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البّر » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الدعاء مُخُّ العبادة » ، وقال : « لا يهلك مع الدعاء أحد . والدعاء ينفع ممّا نزل وممّا لم ينزل » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة . واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ ساهٍ » .

وأمرَ عليه الصلاة والسلام بتعظيم المسألة وبجزمها . وأن لا يقول العبد : اللهم اغفر لي إن شئت . بل يَعزم المسألة ،

ويُعظم الرغبة ، ويلح في المسألة ، ويوقن بالإجابة ، ويكون عند دعائه حاضر القلب مع ربّه ، خائفاً من الردّ من حيث غفلتُه عن مولاه ، وتقصيرُه في القيام بحقه وطامعاً في الإجابة ونَيل الرغبة لكمال الجود وصدق الوعد .

وقد ورد : أن الله حَيِيٌّ كريم ، يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردَّهما فارغتين .

وورد أيضاً : أنه لا يدعو الله داع إلا استجاب له ؛ فإما أن يعجِّل له ماسأل ، وإما أن يدفع عنه من البلاءِ أعظمَ من ذلك ، وإما أن يدّخر له في الآخرة ما هو أفضلُ وأكمل فينبغي للعبد أن لا يزال داعياً ومتضرّعاً في رخائه وشدته ، ويسره وعسره . ولا يستبطىء الإجابة ولا ييأس ، فقد يكون لله تعالى سرٌّ وخيرة في تأخير بعض الأمور . ويكون للعبد في ذلك صلاح ونفع من حيث لا يشعر ؛ فليدْعُ ويفوِّضْ .

وكلما سأل ربه شيئاً فليسأل معه اللُّطفَ والعافية وصلاحَ العاقبة . وليسألِ الله كلَّ ما يشاء مما فيه رضاه من أمور الآخرة والدنيا ، ومن كل جليل وحقير .

ولا يغفل عن أكل الحلال ؛ فإنه من أهم الشرائط لاستجابة الدعاء ، كما ورد في الحديث الصحيح : « ثم ذكَر الرجلَ يطيل السّفَر ، أشْعَثَ أَغْبر يمد يديه إلى السماء ، يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذِّيَ بالحرامِ ،

فأنّى يستجاب لذلك »! وقال بعض السلف : الدعاء كالمفتاح ، وأسنانه لُقَم الحلال . انتهى .

وينبغي للإنسان أن لا يغفل عن الدعاء في أوقات الشدة والرخاء . قال عليه الصلاة والسلام : « تعرَّفْ إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « مَن سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرب فليكثر من الدعاء في حالة الرخاء » .

وبالجملة : فالدعاء من أعظم ما أنعم الله به على عباده حين أمرهم به وحرضهم عليه ؛ حتى إنه عز وجل يغضب على من لم يسأله ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام : « من لم يسألِ الله تعالى يغضبْ عليه » .

وكما ينبغي للإنسان أن يدعو لنفسه بالخير وبالنجاة من الشر ، ينبغي له أن يدعو بمثل ذلك لوالديه ولأحبابه وللمسلمين .

وليحذر كل الحذر من الدعاء بالشر على نفسه أو على أولاده أو على ماله ، أو على أحد من عباد الله ، وإن ظلمه فلْيكِلْ أمره إلى الله ، ولْيرْضَ بنصرة الله تعالى له ، وفي الحديث : « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » .

ولا خير في الدعاء بالشر على ظالم ولا على غيره ، ولْيجعل بدل الدعاء عليه الدعاء له ، كما هي صفة عباد الله الرحماء .

* * *

وفي حديث عائشة رضي الله عنها : أنه كان عليه الصلاة والسلام يستحب من الدعاء الجوامع الكوامل ، ويَدَعُ ما سوى ذلك .

فمن الدعوات النبويات الجامعات : « اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة » ، « اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » ، « اللهم ارزقني طيباً واستعملني صالحاً » ، « اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي » ، « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » ، « اللهم كما حسَّنت خَلْقي فحسِّن خُلُقي » ، « اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي ، واجعل علانيتي صالحة » . « اللهم إني أسالك علماً نافعاً ، وأسألك رزقاً طيباً ، وأسألك عملاً متقبلاً » ، « اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم لقائك » ، « اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه ، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه » ، « اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » ، « اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

ولْيفتتح الدعاء بالحمد لله والثناء عليه ، ثم بالصلاة والسلام على النبي وعلى آله ، وليختم دعاءه بمثل ذلك ، ثم ليقل بعده آمين . وليكثر العبد جداً من سؤال العافية في الدنيا والآخرة ، فقد ورد في الحديث : « أنه ما سُئل اللهُ شيئاً أحب

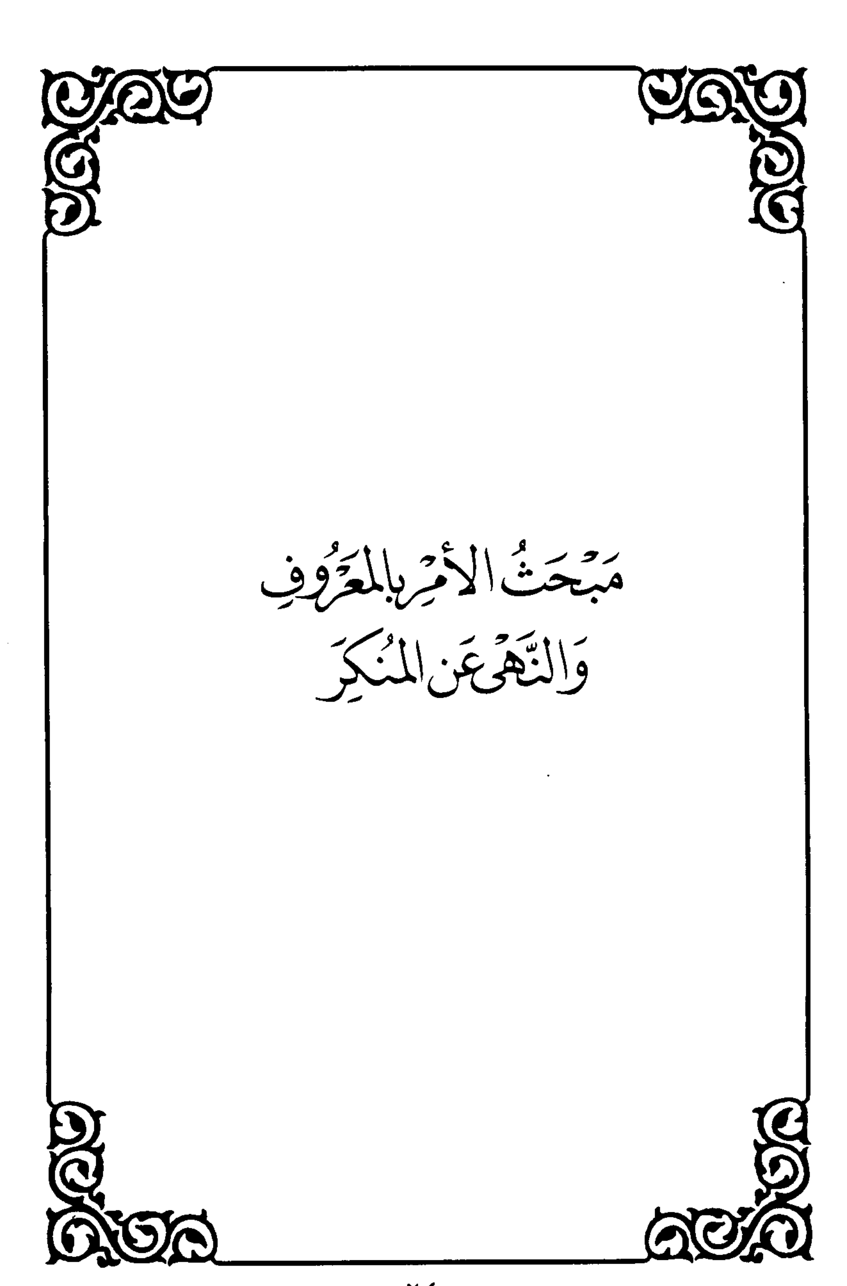
إليه من أن يُسألَ العافية في الدنيا والآخرة » ؛ فهي من أجمع الدعوات وأفضلها . والله ولي التوفيق .

ثم إنه قد ورد عن رسول الله ﷺ من الأذكار والأدعية المطلقة والمقيدة بالأوقات المتعاقبة ، والأحوال المتغايرة ما كثر وانتشر ، وقد رتبها عليه الصلاة والسلام لأمته ، ورغبهم فيها ؛ لتكون سبباً لهم إلى نيل الخير والخيرات ، والسلامة من الشر والآفات الواقعة بمشيئة الله تعالى في تلك الأحوال والأوقات . فمن حافظ عليها نجا وسلم ، وفاز وغنم . ومن فرَّط فيها وأهمل العمل بها فلا يلومنَّ إلا نفسه . وما ربك بظلام للعبيد .

وقد جمع الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في « كتاب الأذكار » له ، جملة مستكثرة من ذلك ، وضم إليها من الإيضاح والبيان ، ونفائس الأحكام ، ومهمات الفوائد ما يطمئن به القلب ، وينشرح له الصدر شكر الله سعيه ، وجزاه عن المسلمين خيراً .

وذكر أيضاً صاحب « عدة الحصن الحصين » فيها من ذلك طرفاً صالحاً رحمه الله . وقد جمعنا لأصحابنا من أذكار الصباح والمساء خاصة نبذة مختصرة مباركة إن شاء الله تعالى . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *



مَبْحَثُ الأمْرِ بالمعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنكَرِ

واعلموا معاشر الإخوان ـ جعلنا الله وإياكم من القوّامين بالقسط ، الآمرين به ـ : أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الدين ، وأهم المهمات على المؤمنين ؛ وقد أمر الله بذلك في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ؛ وحث عليه ورغب فيه ، وشدد في تركه فقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٤] .

وقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩/ ٧١] .

وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٥/ ٧٨ـ٧٩] .

وقال رسول الله ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » وقال عليه الصلاة والسلام : « يا أيها الناس ، مروا بالمعروف وانْهَوْا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم ، وقبل أن تستغفروا فلا يُغفَرُ لكم » ، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقاً ، ولا يقرب أجلاً ، وأن الأحبار من اليهود ، والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ، ثم عُمُّوا بالبلاء . وقال عليه الصلاة والسلام : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

وسئل صلوات الله عليه عن خير الناس فقال : « أتقاهم للرب ، وأوصَلُهم للرحم ، وآمَرُهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر » .

* * *

وبلغنا أن الله تعالى عَذَّبَ قريةً فيها ثمانية عشر ألفاً ؛ أعمالهم كأعمال الأنبياء غير أنهم كانوا لا يغضبون لله . فقد تبيَّن واتضح أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا رخصة لأحد في تركهما عند القدرة والإمكان ، وأن من أضاع ذلك وتساهل فيه فهو متهاون بحق الله ، وغير معظِّم لحرماته كما ينبغي ، وقد ضعُف إيمانه وقلَّ من الله خوفه وحياؤه . فإن كان

سكوته رغبةً في الدنيا ، وطمعاً في الجاه والمال ، ويخشى أنه إذا أمر أو نهى سقطت منزلته ، وضعف جاهه عند من أمرَه أو نهاه من العصاة والظلَمة ؛ فقد عظُم إثمه ، وتعرض بسكوته لسخط ربه ومقته . فأما إذا سكت عن الأمر والنهي لعلمه أنه يحصل له إذا أمَرَ أو نهىَ مَكروهٌ في نفسه أو ماله ؛ فقد يجوز له السكوت إذا تحقق ذلك وكان المكروه الذي يحصل له شديداً وله وقع ظاهر . ولو أمر ونهى مع ذلك كان له أجر عظيم ، وثواب جزيل ، وكان ذلك منه دليلاً على محبة الله ، وإيثاره على نفسه ، وعلى نهاية الحرص على نصرته لدينه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ٣١/١٧] .

وما أحسن حال العبد إذا ضُرِب أو حُبِس أو شُتِم بسبب قيامه بحقوق ربه ، وأمره بطاعته ، ونهيه عن معصيته ! ! ذلك دأبُ الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، والعلماء العاملين ، كما هو منقول في أخبارهم ، ومعروف من سيرهم وآثارهم ، ولا خير في الجبن والضعف المانِعَيْنِ من نصرة الدين ، ومجاهدة الظالمين والفاسقين ، لردّهم إلى طاعة الله رب العالمين . فإن الغضب لله والغَيرة عند ترك أوامره ، وارتكاب نواهيه وزواجره ، شأنُ الأنبياء والصديقين ، وبذلك وصِفُوا ، واشتهروا وعرفوا ، كما ورد في الحديث : أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يغضب لنفسه ، فإذا انتهك شيء من

حرمات الله تعالى لم يقم لغضبه شيء ، وكما قال عليه الصلاة والسلام في حق عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « قوله الحق ، وماله في الناس من صديق » . وقال تعالى في وصف أحبابه من المؤمنين : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة : ٥/ ٥٤] .

فتبين أن المؤمن الكامل لا يقدر أن يملك نفسه عند مشاهدة المنكرات حتى يغيِّرها أو يحال بينه وبين ذلك بما لا طاقة له على دفعه . وأما المنافق ومن ضعف إيمانه جداً ، فإذا رأوا المنكرات تعلَّلوا وعذَرُوا أنفسهم بالأعذار الركيكة التي لا تقوم بها حجة عند الله وعند رسوله ﷺ . وتراهم إذا شُتِمُوا أو ظُلِمُوا بشيء من أموالهم يقومون أتمَّ القيام ويغضبون أشدَّ الغضب . ومن فعل معهم ذلك يخاصمونه ويصارمونه الزمان الطويل ، ولا يفعلون شيئاً من ذلك مع المصرِّين على الظلم والمنكر ، المضيِّعين لحقوق الله تعالى . وأن المؤمنين الصادقين على العكس من ذلك ، يغضَبون لله ولا يغضَبون لأنفسهم ، ويقاطعون من عصى الله وترك أمره ، ويصارمونه إذا لم يقبل الحق ، ويصفحون ويتجاوزون عمن ظلمهم أو شتمهم .

فانظروا الفرق ما بين الفريقين ، وكونوا مع أحسنهم فريقاً ، وأقومهم طريقاً ، و ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٢٨] .

* * *

ثم إن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر واجب على الكفاية ، فحيث قام به البعض من المسلمين سقط الحرج بقيامهم عن الباقين ، واختص الثواب بالقائمين فقط . وحيث قصَّروا فيه كلهم عمَّ الإثم والحرج كل عالم بالمنكر منهم يستطيع إزالته وتغييره بيدٍ أو لسان .

* * *

وأول ما يجب عند مشاهدة المنكر : التعريفُ والنهيُ بلطف ورفق وشفقة ؛ فإن حصل بذلك المقصود وإلاّ انتقل منه إلى الوعظ والتخويف ، والغلظة في القول والتعنيف ، ثم إلى المنع والقهر باليد وغيرها ، ومباشرة تغيير المنكر بالفعل .

أما الرتبتان الأَوَّلتان : التعريف باللطف ، والوعظ والتخويف ؛ فهما عامتان والغالب فيهما الاستطاعة ، ومدَّعي العجز عنهما متعلِّل ومتعذر في الأكثر بما لا يقوم به عذر .

وأما الرتبة الثالثة : التي هي المنع بالقهر ، وتغييرُ المنكر باليد ؛ فلا يستطيعه ويتمكن منه في الأكثر إلا من بذل نفسه لله تعالى ، وجاهد بماله ونفسه في سبيل الله ، وصار لا يخاف في الله لومة لائم ، أو كان مأذوناً له في تغيير المنكر من جهة السلطان .

والحاصل : أن الإنسان يأتي من ذلك بما يستطيع ، ولا يقصِّر في نصرة دين الله ، ولا يعتذر في إسقاط ذلك بالأعذار

التي لا تصح ولا يسقط بها ما وجب عليه من أمر الله تعالى .

* * *

واعلم : أن الأخذ بالرفق واللطف ، وإظهار الشفقة والرحمة عليه مدار كبيرٍ عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فعليك به ، ولا تعدل عنه ، ما دمت ترجو نفعه وحصول المقصود به ؛ وفي الحديث : « ما كان الرفق في شيء إلا زانَه ، وما نُزِع من شيء إلا شانه » . وورد أيضاً : « إنه لا يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به ، رفيق فيما ينهى عنه » .

وكذلك ينبغي للإنسان : أن يكون عاملاً بما يأمر به ، مجتنباً لما يَنهى عنه ؛ فإنه يكون لكلامه وقع في القلوب ، وهيبة في الصدور ، وقد ورد الوعيد الشديد في حق من يأمر بالخير ولا يأتيه ، وينهى عن الشر ويأتيه ، وهذا هو الأفضل والأولى . وإلا فعلى الإنسان أن يأمر وينهى وإن كان غير عامل بما يدعو إليه ؛ فإن العالم الذي لا يعمل بعلمه ولا يعلِّمه الناس أخسّ حالاً ، وأشد عقاباً من الذي يعلِّم ولا يعمل . والله أعلم .

* * *

واحذروا معاشر الإخوان ـ أرشدكم الله ـ من المداهنة في الدين . ومعناها : أن يسكت الإنسان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعن قول الحق وكلمة العدل ، طمعاً في

الناس ، وتوقعاً لما يحصل منهم من جاه أو مال ، أو حظ من حظوظ الدنيا ؛ فقلّما فعل ذلك أحد إلا أذلَّه الله وأهانه ، وسلَّط عليه الناس ، وحُرِم ما يرجوه ممّا في أيديهم .

وأما المداراة فهي مباحة ، وربما تندب ، ومعناها : أن يبذُل الإنسان شيئاً من دنياه لصلاح دينه ، أو لصلاح دنياه ، أو لسلامة عِرْضه من مذمّة أهل الشر ؛ وفي الحديث : « ما وَقَى به المرء عِرضَه فهو له صدقة » . فإذا استكفى الإنسان ما يخافه من شر الأشرار بما لا يضره في دينه ، لم يكن عليه في ذلك بأس ولا جناح إن شاء الله . ولكن العدول عن الأشرار ومجانبتهم أحسن من ذلك وأحوط .

وهذا الذي ذكرناه إنما يكون عند الابتلاء بهم ، وإلا فلا رخصة لمؤمن تَقِيّ في الاختلاط بأهل الشر وأهل الباطل ، بل عليه مجانبتهم والاحتراز منهم .

* * *

وكذلك فاحذروا من التجسُّس ، وهو طلب الوقوف على عورات الناس المستورة ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ . وقال عليه الصلاة والسلام : « من تتبَّع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن تتبع عورته يفضحه ولو في جوف بيته . . . » الحديث .

وعليكم بستر عورات المسلمين ، والكف عن ذكرها

وإشاعتها ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النور : ٢٤/١٩] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة » .

ولا يكثر الخوضَ في عيوب الناس وذكر مساوئهم وكشف عوراتهم ، إلا كل منافق ممقوت .

والذي يجب على المسلم إذا رأى من أخيه المسلم عورة أن يسترها عليه ، وأن ينصحه في السر بلطف وشفقة « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

ومن الواجب على من رأى منكراً لا يستطيع تغييره والنهي عنه ، أن يبغض فاعله ، ويكرهه ويكره فعله بقلبه ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام : « فإن لم يستطع فبقلبه » ويبغض المصرِّين على المعاصي من القرابات ، وعليه أن يفارق ذلك الموضع ، فإن مشاهدة المنكرات وحضورها بالاختيار غير جائز .

ومن نهاهُ عن منكر فلم ينته وأصر على منكره ، فعليه أن يهجره ويجانبه حتى يترك المنكر ، ويتوب إلى ربه منه ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله ، والبغضُ في الله » .

* * *

ولْيحذر كلَّ الحذر من أُمِرَ بمعروف ونُهِيَ عن منكر من الكبر والأنفة وردِّ الحق ، والقول لآمره وناهيه : عليك نفسَك ! وما في معنى ذلك من الكلام المصرِّح بكراهية الحق ؛ فإنه يخشى عليه عند ذلك من نزول مقت الله به وحلول غضبه عليه ، ويكون حاله كحال من قال الله فيه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾

[البقرة : ٢/٢٠٦] .

وأما الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فلا عليه من ذلك ، وإن رُدَّ عليه قوله كان أبلغ في ثوابه وأعظم في أجره ؛ فلْيصبرْ وليحتسبْ .

ولْيكن قصده تخليص نفسه وتخليص أخيه من الإثم ، ولْيكن حاله كحال من وقع أخوه المسلم في هلَكة أو ورطة من الورطَات ، كحرق أو غرق وهو قادر على تخليصه وإنقاذه ؛ بل أولى . فإن هلاك الدِّين والتعرض لسخط رب العالمين أشدُّ وأعظم من هلاك الدنيا ، وتلف النفوس الذي لايَفوت به إلا مفارقة هذه الحياة الفانية ، وهذه الدار الزائلة ، بل لا مناسبة وَلا مقاربة بين إتلاف الدين ، وبين تلف الدنيا ، وإن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ساع في خلاص نفسه ونجاتها ، سواء أُخذ بقوله أم لم يؤخذ به . وقد بلغنا أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه ، فيقول له : مالكَ

إليّ ! وما بيني وبينك معرفة ، فيقول : كنت تراني على الخطأ والمنكر فلا تنهاني .

وفي الحديث : « مثل القائم على حدود الله ، ومثل الواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين من أسفل إذا استقوا الماء يمرون على من فوقهم فقالوا : لو خرقنا خَرقاً في نصيبنا ولم نُؤْذ مَنْ فوقنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نَجْوا ونجوا جميعاً » والمعنى : أن الذي يأمر وينهى ساع لنفسه ، ومجتهد في نجاتها بالسلامة مما جعل الله عليه من الإِثم لو سكت عن الأمر والنهي مع الاستطاعة ؛ وبما يرجو من ثواب الله وكريم وعده ، الذي وعد به مَن نَصَر دينه وقام بأمره قال الله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٢٢/ ٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٤٧/ ٧] .

* * *

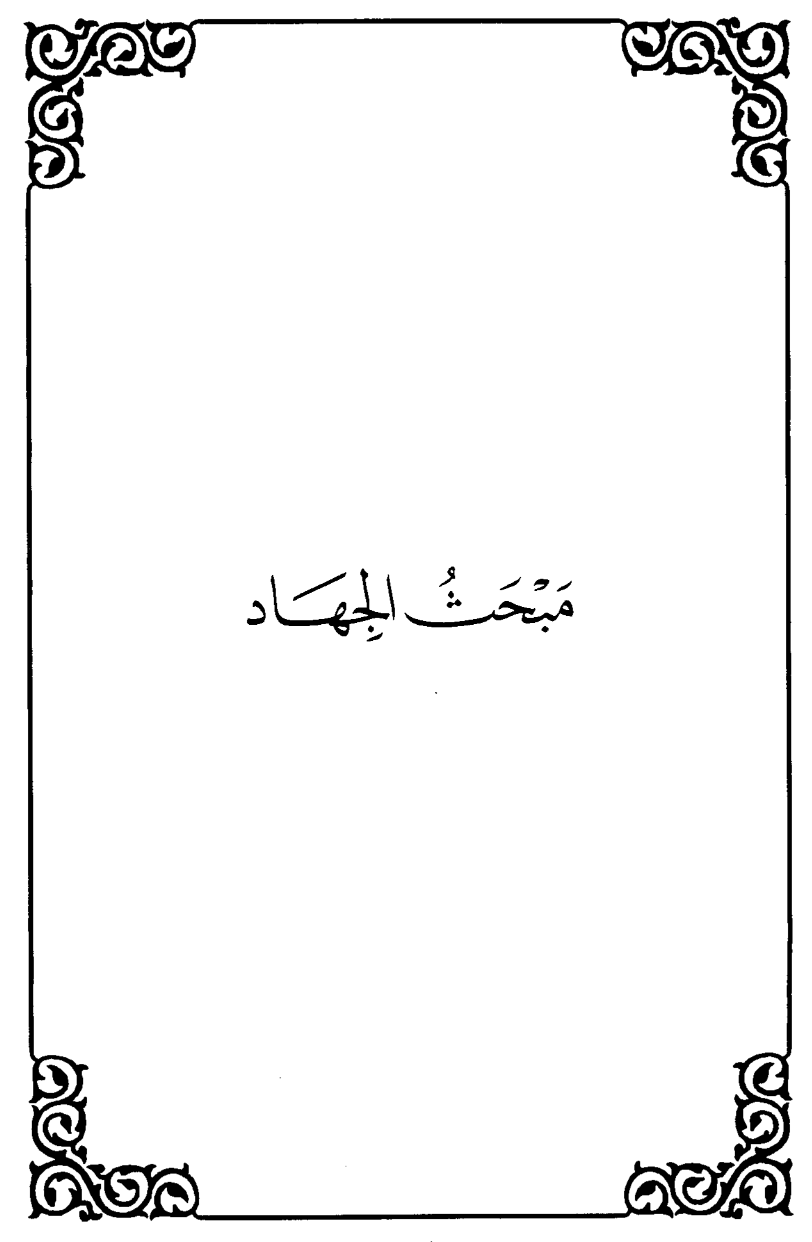
ومن أهم الآداب وآكدها على من أمر بمعروف أو نَهَى عن منكر : مجانبة الكبر والتعنيف ، والتعيير ، والشماتة بأهل المعاصي ؛ فإن ذلك قد يبطل الثواب ويوجب العقاب ؛ وربما يكون داعياً إلى ردِّ الحق وعدم قبوله والاستجابة له . فلْيحذر

كل الحذر من ذلك ، وليكن رفيقاً شفيقاً ليناً ، رحيماً متواضعاً ، مخفوض الجناح ، والله الموفق والمعين ، وبه الثقة وعليه التكلان .

ثم إنّا قد قدمنا في أول التأليف هذا طرفاً من الكلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك عند ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٤] .

وربما أنّا أعدنا ههنا بعض الكلام الذي قد ذكرناه هنالك لمناسبة المحل ، ولأجل زيادة الإقناع ، وشدة الحرص على تأثر القلوب لرجاء الانتفاع . فإن هذا الأصل ـ أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ جدير بطول الكلام وتكرره ، لعظم موقعه من الدين ، وعموم نفعه للمسلمين ، ومسيس حاجتهم إليه ؛ سيَّما وقد رأينا من يتساهل من الناس في ترك هذا الأمر حيث لا عذر له فيه ، ولا ضَيْر عليه لو قام به . فدعانا ذلك إلى الإكثار والتكرار والأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى .

* * *



مَبْحَثُ الجِهَاد

وقد رأينا أن نذكر طرفاً مما ورد في الجهاد من الآيات والأخبار في الأمر بالجهاد في سبيل الله وفي فضله ، تتميماً للفائدة .

وهذا الموضع من أنسب المواضع لذكر ذلك ، لأن الجهاد من أقسام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو أعلاها ، وأشرفها وأفضلها ، لأنه أمرٌ برأس المعروف الذي هو التوحيد والإسلام ، ونهيٌ عن أفحش المنكرات والآثام ، الذي هو الكفر والإشراك بالله .

وأول الجهاد الدعوة إلى الإسلام ، ثم القتال بالسيف .

فضل الجهاد

وقد ورد في الجهاد من الآيات والأخبار ما يطول ذكره ، ويتعذر حصره ، ونحن نذكر من ذلك شيئاً يسيراً تبركاً بذكر هذا الأصل الشريف من أصول الدين ، الذي أعز الله به الإسلام والمسلمين ، وأذل به الشرك والمشركين ، قال الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢/٢١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾

[البقرة : ٢/ ١٩٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

[النساء : ٤/ ٩٥ـ ٩٦] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩/ ٥] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩/ ٢٠ـ ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[التوبة : ٩/ ٤١] .

وقال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٢٢/ ٣٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ

أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٩/ ١١١] .

وقال رسول الله ﷺ : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » .

وسئل عليه الصلاة والسلام عن أفضل الأعمال فقال : « الإيمان بالله ، والجهاد في سبيل الله » .

وسئل أيضاً عليه الصلاة والسلام : أيُّ العمل أفضل ؟ فقال : « الإيمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال حج مبرور » .

وقال عليه الصلاة والسلام « أُغزُوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فَوَاقَ ناقة وجبت له الجنة » والفَوَاقُ : ما بين الحلبتين ؛ قاله النووي رحمه الله .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أي الناس أفضل ؟ فقال : « مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله . قال ثم مَن ؟ قال ثُم مؤمن في شِعْب من الشعاب يعبد الله ويَدَع الناسَ من شره » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « رِباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى والغدوة خير من الدنيا وما عليها » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « تَضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي ، وإيمان بي ، وتصديق برسلي ، فأنا ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة . والذي نفس محمد بيده ، ما منكم أحدٌ يُكْلَمُ في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِمَ ، لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك . والذي نفس محمد بيده ، لولا أن أَشُق على المسلمين ما قعدتُ خلافَ سَرِيّة تغزو في سبيل الله تعالى أبداً ، ولكن لا أجد سَعة فأحملهم ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني . والذي نفس محمد بيده ، لودِدتُ أن أغزوَ في سبيل الله فأُقتَلَ ، ثم أغزوَ فأُقتَل ، ثم أغزوَ فأُقتَل » ؛ الكَلْمُ : هو الجرح .

وقيل : يارسول الله ، ما يعدل الجهاد ؟ قال : « لا تستطيعونه » ، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً ، كل ذلك يقول : « لا تستطيعونه » ، ثم قال في الثالثة : « مثَل المجاهد في سبيل الله كمثَل الصائم القائم القانت بآيات الله ، لا يفتُر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن في الجنة مائة درجة أعدَّها الله تعالى للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما اْغبرَّت قَدَمَا عبد في سبيل الله فتمسَّه النار » .

وقال ﷺ : « لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضَّرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخرَي مسلم أبداً » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « كل عين باكيةٌ يوم القيامة إلا عيناً بكت من خشية الله ، وعيناً باتت تحرس في سبيل الله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من رمى بسهم في سبيل الله كان له كعِدل محرَّرٍ »[1] .

وقال ﷺ : « من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده ، فإن شِبَعه ورِيَّه ورَوْثَه وبَوْلَه في ميزانه يوم القيامة » ؛ يعني : حسنات .

* * *

وللنفقة في سبيل الله وإعانة الغزاة فضل وثواب عظيم ؛ قال ﷺ : « من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خَلَف غازياً في أهله بخير فقد غزا » . وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ بناقة مخطومة وقال : هذه في سبيل الله . فقال له عليه الصلاة والسلام : « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة » .

وقال ﷺ : « من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف » .

---

(١) أي : كمثل عبد محرر من الرق ، والمراد كمثل أجر عتقه .

وروي عنه ﷺ : « أن من أنفق على الغازي ولم يَغْزُ فله بكل درهم سبعمائة درهم ، ومن أنفق على نفسه في الغزو فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم » .

* * *

وللرباط في سبيل الله فضل عظيم ، قال عليه الصلاة والسلام : « رباط يوم في سبيل الله أفضل من ألف يوم فيما سواه من المنازل » .

وورد : « أن من مات مرابطاً أجري عليه أجره ورزقه إلى يوم القيامة ، وأمن من فتنة القبر » .

* * *

وأما فضل الشهادة في سبيل الله فأعظم من أن يحاط به ، وأجلّ وأكبر من أن يأخذه حدٌّ ومقدار ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٦٩-١٧٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد : ٤٧/ ٤-٦] .

وقال ﷺ : « إن للشهيد عند الله سبعَ خصال : أن يغفر له في أول دَفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلَّى حلية الإِيمان ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ،

ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم تُهراق في سبيل الله . وأما الأثران : فأثر في سبيل الله ، وأثر في فريضة من فرائض الله » . وقال ﷺ : « ما يجد الشهيد من ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مسَّ القرصة » .

* * *

وورد : « أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ، تأكل من ثمر الجنة ، وتشرب من أنهارها ، وتأوي إلى قناديل معلّقة بالعرش » .

وورد : « أن الشهيد يتمنّى أن يرجع إلى الدنيا فيُقتَل عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة » .

وسئل عليه الصلاة والسلام : هل يفتن الشهيد في قبره ؟ فقال : « كفى ببارقة السيوف فتنة على رأسه . . . » الحديث .

آداب المجاهد

ومن أهم الأمور على المجاهد في سبيل الله ، وأوجبها عليه وآكدها في حقه : الإخلاص لله في جهاده ، وأن يريد به وجه الله تعالى ، ونصرة دينه وإعلاء كلمته ، دون غَرَض آخر

من مراءاة الناس ، وطلب الذكر والمنزلة عندهم ، ونيل غنيمة أو شيء من حظوظ الدنيا . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالاً فله ما نوى » . وقال رجل : يارسول الله ، إني أقف الموقف أريد وجه الله ، وأريد أن يُرى موطني ؟ فلم يرد عليه حتى نزلت : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١٨/ ١١٠] . وقيل : يارسول الله ، الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليُرى مكانه ؟ فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

وفي حديث الثلاثة الذين قال فيهم عليه الصلاة والسلام : « إنهم أول خلق الله تسعَّر بهم النار » . قال عليه الصلاة والسلام : « ورجل قتل في سبيل الله فأُتي به وعرّفه نعمته فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت في سبيلك حتى قتلت . فيقول الله تعالى : كذبت ، بل أردت أن يقال هو جريء فقد قيل ، ثم يؤمر به فيسحب على وجهه حتى يلقى في النار » . الحديث .

وقال ﷺ : « أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرُش ، وكم من قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته » .

فينبغي للمجاهد : أن يحترز كل الاحتراز من الرياء ،

وإرادة غير وجه الله بجهاده ، ولْيُخلِصْ نيته لله ، وليبالغ في ذلك عند القتال ، ولْيزدَدْ من التحفظ والاجتهاد في إصلاح النية ؛ مخافة أن يُقتل على غير كمال الإخلاص فيحبط عمله ، ويبطل أجره ، وتكون خاتمته والعياذ بالله غير حسنة ، ويصير أمره في غاية الخطر .

* * *

ومما ينبغي للمجاهد أن يحذره ويحترز منه غاية الاحتراز : الفرار من الزحف حيث لا يجوز الفرار ؛ فقد عدّ عليه الصلاة والسلام ذلك من المُوبقات ، ومن الكبائر المهلكات . وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاث لا ينفع معهن عمل : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف » .

* * *

وكذلك يجتنب الغُلول كل الاجتناب ؛ فإن إثمه عظيم ، وقد ورد فيه عن رسول الله ﷺ تشديدات هائلة . ومعناه : أن يأخذ شيئاً من الغنيمة مختصّاً به دون بقية المجاهدين ، ودون علمهم بذلك ورضاهم . والله أعلم .

* * *

وينبغي لكل مسلم أن ينوي الجهاد ، ويحدث نفسه به حتى يسلم من الوعيد الوارد في ترك ذلك ؛ قال عليه الصلاة

والسلام : « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغَزْوِ مات على شعبة من النفاق » .

* * *

وينبغي الإكثار من سؤال الشهادة ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » .

اللهم اجعلنا من المجاهدين في سبيلك بأموالهم وأنفسهم ابتغاء مرضاتك ، فضلك ومنتك يا كريم .

وقد ذكرنا هذه الأحرف الوجيزة في الجهاد تيمُّناً وتبركاً بذكره ، وكراهية أن يخلو هذا الكتاب منه ، ورجاء ورغبة في أن يقف عليها أحد من المسلمين ، فتنبعث له نية صالحة على الجهاد في سبيل الله فيجاهد ، فيكون لنا في ذلك نصيب من ثواب المجاهدين وأجرهم ؛ « فإن الدّالّ على الخير كفاعله ، ومن دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً » ؛ كما في الحديث الصحيح . وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

* * *

فقد علمتم معاشر الإخوان ـ رحمكم الله ـ فضل الجهاد في سبيل الله ومكانته من الدين ، فمن استطاع الجهاد وتمكن منه ،

فليجاهد وليبادر ويشمِّر ، ولا يتكاسل ولا يقصِّر . ومن لم يستطع ولم يتمكّن ، فعليه بحسن النية في الجهاد ، وكثرة الدعاء للمجاهدين ، وإعانتهم بما يقدر عليه ، وليشتغل بمجاهدة نفسه وهواه في طاعة ربه ومولاه ، فإن ذلك من أقسام الجهاد ، قال ﷺ : « المجاهد من جاهد هواه ، والمهاجر من هجر ما نهىٰ الله عنه » .

وبلغنا أنه عليه الصلاة والسلام قال لبعض أصحابه وقد قدموا من الجهاد : « رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ؛ جهاد النفس » .

* * *

ثم إن من أكبر الكبائر الموبقات ، وأعظم الجرائم المهلكات : قتال المسلمين بعضهم بعضاً على الرياسة والملك ، وحظوظ الدنيا والحميَّة والعصبية التي هي من أمور الجاهلية ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤/ ٩٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار . قالوا : هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » .

وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة يوم النحر في حجة

الوداع : « إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم ؛ كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، وَيْحَكُمْ ، أُنظروا لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » . الحديث .

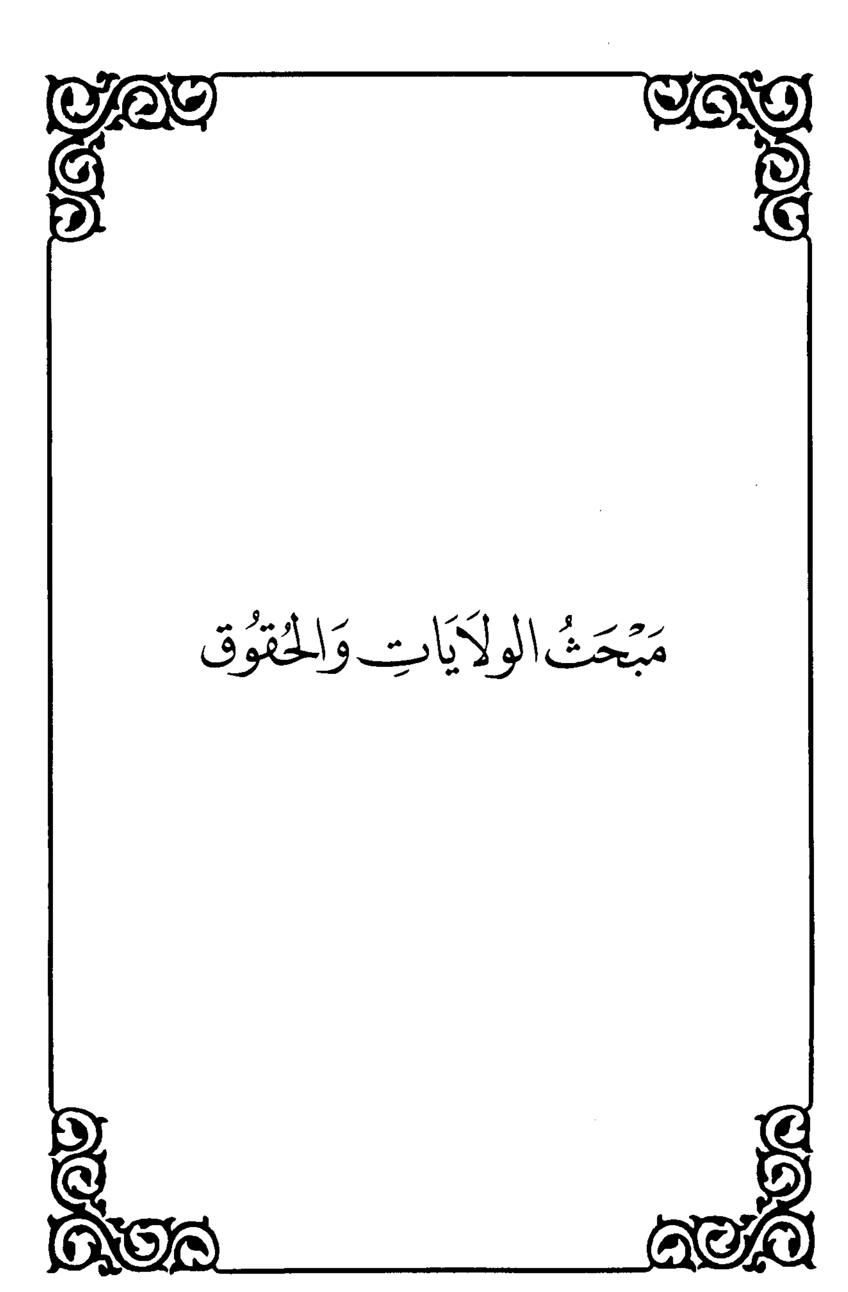
وقال عليه الصلاة والسلام : « سِبابُ المؤمن فسوق ، وقتاله كفر » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لن يزال الرجل في فُسحة من دينه ما لم يُصِبْ دماً حراماً » ، وقال ﷺ : « لَزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق . ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه اشتركوا في قتل مؤمن لأدخلهم الله النار » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة ، لقي الله مكتوباً بين عينيه : آيس من رحمة الله » .

والتشديدات في هذا الباب كثيرة هائلة ، فليحذر المسلم من ذلك كل الحذر ، ولا يعرض نفسه للوقوع في سخط الله تعالى وغضبه ، ولعنته وعذابه العظيم ، والإِياس من رحمته ، نسأل الله العافية والسلامة من جميع أنواع الخزي والبلاء في الآخرة والأولى ، لنا ولأحبابنا وكافة المسلمين .

* * *



مَبْحَثُ الولَايَاتِ وَالحُقُوق

ثم إنّا نرى أن نذكر هاهنا شيئاً يسيراً مما يتعلق بالولايات ، فإن هذا الموضوع من أنسب المواضع لذكر ذلك .

* * *

واعلموا معاشر الإخوان ـ أمدنا الله وإياكم بدوام التوفيق ـ : أن التعرض للولايات فيه خطر ، وأن الدخول فيها والتقلد لعهدتها من أثقل الأمور وأشقها ؛ فينبغي للمؤمن المشفق على دينه ، الحريص على نجاة نفسه وسلامتها وخلاصها أن يحترز من الولايات ويتباعد عنها ما وجد إلى ذلك سبيلاً .

ثم إن من أهم الولايات الإمارة والسلطة ، ثم القضاء والحكم ، ثم الولاية على أموال اليتامى والأوقاف ونحو ذلك ، وفي جميعها خطر .

قال ﷺ في الإمارة : « أولها ملامة ، ووسطها ندامة ، وآخرها عذاب يوم القيامة » . الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما من وال يلي عشرة فما فوق ذلك إلا جيء به يوم

القيامة مغلولةً يده إلى عنقه ، فكَّه عَدْلُه ، أو أوبقَهُ جَورُه » .

وورد : « أن الوالي يوقف على جسر جهنم ، فإن كان محسناً نجا ، وإن كان مسيئاً إنخرق به الجسر فهوى في جهنم سبعين خريفاً » .

وورد أيضاً : « لَيودُّنَّ رجال لو أن ذوائبهم ـ أي : شعر رؤوسهم ـ علّقت بالثريا بين السماء والأرض ولم يَلُوا من أمر المسلمين شيئاً » .

وقال عليه الصلاة والسلام في القضاء : « من جُعل قاضياً فقد ذُبح بغير سكين » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من قضى بالجهل فهو في النار ، ومن قضى بالجَوْر فهو في النار ، ومن قضى بالعدل فحرِيٌّ أن ينجو كَفافاً » ؛ أي : لا له ولا عليه . الحديث .

* * *

وبالجملة فالبعد من الولايات هو الحزم والذي ينبغي . فإن بُلِيَ العبد بها فليعرف مالله عليه فيها وما لعباده ، ثم ليجتهد ويشمِّر في الوفاء بذلك وفي إقامته ، والعمل به من غير تفريط ولا إضاعة ، ولا عجز ولا تقصير ؛ فبذلك ينجو من الوعيد الوبيل ، ويفوز بالثواب الجزيل . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لَيومٌ من إمام عادل خير من عبادة ستين سنة ، وحدٌّ يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحاً » .

وورد : « أن الإمام العادل مستجاب الدعوة ، وأنه لا يستخف به إلا منافق ، وأنه أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلُّه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « المقسِطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن . . . » الحديث . والمقسطون : هم أهل العدل والإنصاف .

وأما من ولي فجار وظلم ، فويلٌ له من عذاب الله وعقابه . وكم ورد في خزيه ومقته من الأخبار والآثار ، وإن تمتع في الدنيا قليلاً فسوف يقاسي في الدار الآخرة من الوبال والنكال ما يتمنّى عنده أنه لم يخلق ، ولم يكن شيئاً مذكوراً ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « اللّهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً فشَقَّ عليهم ، فاشقُقْ عليه ، ومن رفَق بهم فارفق به » .

وورد : أنه « ما من والٍ يموت يوم يموت غاشّاً لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة » .

واجبات الوالي

فعليك أيها الوالي الموفَّق بنصح رعيتك ، وبالرفق بهم ، وبحسن النظر في أمورهم ، وكمال التعهد والتفقد لهم في جميع أحوالهم ، ولا تغفُل عنهم ولا تَلْهُ ، فإن الله سائلك عما استرعاك ، وكل راع مسؤول عن رعيته .

وإياك ثم إياك والظُلْمَ والجورَ على الرعيّة ! فإن فيه هلاك دنياك وآخرتك .

وكما يحرم عليك أن تظلم رعيتك ، فكذلك يحرم عليك أن تمكن بعضهم من ظلم بعض . وكذلك تحرم عليك الإضاعة لأمورهم ، وترك النظر فيها ؛ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو ماتت سخلة على شاطىء الفرات ضياعاً لخشيت أن أُسأل عنها . انتهى .

فكيف بإضاعة الأيتام والأرامل ومساكين المسلمين وضعفائهم ! .

واجبات القاضي

وعليك أيها القاضي المبارك بالاحتراز والتثبت في قضائك ، حتى يتبين لك الحق الذي لا شك فيه فتقضي به . وإياك والانحرافَ والميلَ إلى أحد المتخاصمين ! وإن وجدت شيئاً من ذلك فأمسك عن القضاء حتى يصيرا عندك بمثابة واحدة ، بحيث لا تبالي لأيهما يكون الحق ، أو يكون عليه ، وإلا هلكت .

وإياك وقبولَ الرُّشا فإنها من السحت ، وقد لعن عليه الصلاة والسلام الراشي ، والمرتشي ، والساعي بينهما .

واحكم بما أنزل الله بين عباد الله ، فإنه عزَّ من قائل كريم يقول : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة : ٥/ ٤٤] و﴿ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ و﴿ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ في آيات بينات محكمات في كتاب مجيد ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

واجبات مولى الأيتام

وأما الولاية على أموال اليتامىٰ فهي من الأمور الخطرة ، وفيها عُسرٌ ومشقة ؛ فينبغي ويتأكد على من بُلي بذلك أن يبالغ في الاحتراز والاحتياط ، وأن يجتهد غاية الاجتهاد في حفظ أموالهم وتنميتها ، وليحذر من تفريطها وإضاعتها ، ومن أكلها وتبذيرها ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء : ٤/ ٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء : ٤/ ١٠] .

وقد عدّ عليه الصلاة والسلام أكل مال اليتيم في السبع الموبقات ، والكبائر المهلكات .

ويقرب من أكل مال اليتيم في الإثم والحرج : أكل مال الأوقاف ظلماً وتعدِّياً ، فينبغي الاحتراز من ذلك ، وغايةُ التوقِّي عنه ، ومِن تولِّيها رأساً إيثاراً للسلامة وبعداً عن مواضع الخطر ومظانِّ الحرج . والله أعلم .

* * *

وكما يجب على الوالي العدلُ في أهل ولايته ، ومجانبة الظلم والجَور عليهم ، والإضاعةِ والإهمالِ لأمورهم فكذلك يجب على الرجل في أهل بيته العدلُ والإنصاف ، واجتنابُ

الظلم والإهمال ؛ فإنهم رعيته ، وله الولاية الشرعية عليهم . وقد ورد : أن الرجل يكتب من الجبّارين وما يملك إلا أهل بيته ؛ أي فيظلمهم ويجور عليهم .

نسأل الله تعالى اللطف والعافية ، والتحقّق بالتقوى والاستقامة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

حقوق الوالدين

واعلموا معاشر الإخوان ـ جعلنا الله وإياكم من البارِّين المحسنين ، القائمين بحقوقه تعالى ، وبحقوق عباده ابتغاء وجهه ومرضاته ـ : أن بر الوالدين ، وصلة الأرحام والأقربين ، وحسن القيام بالأهل والعيال والمملوكين ، والإحسان إلى الجيران والأصحاب وسائر المسلمين ؛ كل ذلك مما أمر الله به وحث عليه ، ورغَّب فيه وندب إليه ، ونهى عن تركه وإغفاله ، وتوعَّد على إضاعته وإهماله .

أما الوالدان فقد أمر الله ببرّهما والإحسان إليهما ، ونهى عن عقوقهما ، وشدَّد في ذلك أبلغ التشديد ، وحذّر عنه أبلغ التحذير ، وذلك في كتابه العظيم ، وعلى لسان رسوله الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾

[الإسراء : ١٧/ ٢٣ـ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾

[لقمان : ٣١/ ١٤] .

فانظروا رحمكم الله كيف قرن تعالى الأمر بالإحسان إلى الوالدين مع توحيده وعبادته ، وكيف قرنَ شكرهما بشكره ، وقال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء : ٤/ ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف : ٤٦/ ١٥-١٦] .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ : أيُّ الأعمال أحبّ إلى الله ؟ فقال : « الصلاة لوقتها . قلت ثم أيُّ ؟ قال : برُّ الوالدين . قلت ثم أيُّ ؟ قال : الجهاد في سبيل الله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « رضا الله في رضا الوالدين ، وسخَطه في سخط الوالدين » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاث لا ينفع معهن عمل :

الإِشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرارُ يوم الزحف » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أكبر الكبائر ثلاث : الإِشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور . . . » . الحديث .

وقال ﷺ : « رَغِم أنفُ مَن أدرك أبويه عند الكبر أحدَهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة » ؛ أي : فلم يَبَرَّهما بِرًّا يكون سبباً في دخوله الجنة . وخص به البر عند الكبر لاشتداد حاجة الإِنسان عند كبره إلى من يَبرُّه ويقوم به ، ويتعاهده أكثر من حاجته إلى ذلك قبل الكبر . والله أعلم .

وروي عن الله تعالى أنه قال : « من أصبح مُرْضياً لوالديه ، مسخطاً لي فأنا عنه راض ، ومن أصبح مرضياً لي ، مسخطاً لوالديه فأنَا عنه ساخط » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « بَرُّوا آباءكم تَبَرّكم أبناؤكم ، وعِفُّوا عن نساء الناس تعف نساؤكم » . وقال ﷺ لرجل استأذنه في الجهاد : « أحيٌّ والداك » ؟ قال : نعم . قال : « ففيهما فجاهِد » . وسأله عليه الصلاة والسلام رجل فقال : ما حق الوالدين على ولدهما ؟ فقال : « هما جنّتك ونارك » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سره أن يُمَدَّ له في عمره ، ويزاد له في رزقه ؛ فليبرّ والديه ، وليصل رحمه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة حرَّم الله تبارك وتعالى

عليهم الجنة : مدمِن الخمر ، والعاقُ لوالديه ، والديوث الذي يقر الخبث في أهله » . وورد : « أن برّ الوالدين أفضل من الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله . وأن العاق لوالديه لا ينظر الله إليه يوم القيامة ، وأنه لا يَرَحْ رائحة الجنة » .

وبالجملة فحق الوالدين أعظم الحقوق بعد حق الله وحق رسوله ؛ فعليك ببرّهما وبالإحسان إليهما ، وبطاعتهما وخفض الجناح لهما ، وبتقديمهما في البر والصلة والمعروف ، على نفسك وعلى أهلك وأولادك ؛ من غير مِنّة عليهما ولا استثقال لهما ، وعُدَّ حاجتهما إليك ورغبتهما في برك وخدمتك إياهما من أعظم ما منّ الله به عليك ، ووفقك له .

* * *

واعلم أن بر الوالدة أضعاف برّ الوالد ؛ كما ورد في الحديث . ولعل السبب في ذلك ما تقاسيه الوالدة من تعب الحمل ومشاقه ، ومشقة الوضع ومؤونة الرّضاع والتربية ، ومزيد الحنانة والشفقة . والله أعلم .

وقد قال رجل للنّبي ﷺ : من أحق الناس بحسن صحبتي ؟ أي ببري وصِلَتي . فقال له ﷺ : « أمُّك . قال ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال ثم من ؟ قال : أبوك » .

* * *

وكما يجب على الإنسان أن يَبَرَّ والديه في حياتهما ، كذلك ينبغي له أن يَبَرَّهما بعد وفاتهما ، وذلك بالدعاء والاستغفار لهما ، وبالتصدق ، عنهما ، وبقضاء ديونهما وتنفيذ وصاياهما ، وبصلة أرحامهما وبِرِّ أصدقائهما وأهل مودتهما ؛ فذلك كله من تمام البِر كما وردت به الأحاديث . وفي الدعاء للميت وفي الاستغفار له ، والتصدق عنه نفع له كثير ؛ فينبغي للإنسان أن لا يغفل عن ذلك في حق والديه خصوصاً ، وفي حق غيرهم من الأقارب وذوي الحقوق عليه ، والمسلمين عموماً .

حقوق الأولاد

ثم إنه ينبغي ويستحب للوالدين أن يُعينوا أولادهم على برهم بالمسامحة ، وترك المضايقة في طلب القيام بالحقوق ، ومجانبة الاستقصاء في ذلك ؛ سيما في هذه الأزمنة التي قلّ فيها البر والبارُّون ، وفشا فيها العقوق وكثر العاقُّون ؛ فإذا فعل ذلك وسامح أولاده سلَّمهم وخلَّصهم من إثم العقوق ومما يترتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ، وحصل له من ثواب الله وكريم جزائه ما هو أفضل وأكمل ، وخير وأبقى من برّ الأولاد . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

وليحذر الوالدان كل الحذر من الدعاء على ولدهما العاق ؛ فإن ذلك يزيده ضرراً وفساداً وعقوقاً ، ويعود بعض ما يتولّد من ذلك من الضرر على الوالدين في الدنيا ، ودعاء الوالد

مستجاب ؛ فينبغي له أن يدعو له ولا يدعو عليه ، فقد يصلحه الله ببركة دعائه ، فيعود بارًّا فينتفع الوالد ببره وتقرّ عينه به ، ويفوز الولد بثواب البر ، ويسلم من إثم العقوق . والله الموفق والمعين .

* * *

ثم إن للأولاد على الوالد حقوقاً وذلك في القيام بكفايتهم ما داموا محتاجين إلى ذلك ، وفي تأديبهم وحسن تربيتهم وهدايتهم إلى الأخلاق المحمودة والصفات الحسنة والخصال الجميلة ، وحفظهم وصيانتهم من أضداد ذلك ، وتحسين أسمائهم ، وأن يختار لهم الأمهات المباركات من المَنابت الحسنة الصالحة ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام : « تخيَّروا لنطفكم الأكْفاء فإن العرق دسَّاس » .

وعليه أيضاً أن يسوِّي بينهم في العطية ، وأن لا يقدم أحداً منهم على أحد بمجرد ميل الطبع واتباع هوى النفس .

وأهم ما يتوجه على الوالد في حق أولاده تحسين الآداب والتربية ، ليقع نشوءُهم على محبة الخير ومعرفة الحق ، وتعظيم أمور الدين ، والاستهانة بأمور الدنيا وإيثار أمور الآخرة . فمن فرط في تأديب أولاده وحسن تربيتهم ، وزرع في قلوبهم محبة الدنيا وشهواتها ، وقلة المبالاة بأمور الدين ، ثم عقّوه بعد ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسه ، والمفرِّط أولى

بالخسارة ! وأكثر العقوق الفاشي في هذه الأزمنة سببه التفريط فيما ذكرناه ؛ كما يعرف ذلك من تأمله وأحسن النظر فيه . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! .

صلة الأرحام

وأما صلة الأرحام وهم الأقارب .

فقال تعالى في الأمر بصلتهم : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾

[الإسراء : ١٧/ ٢٦] .

وقال تعالى في معرض الثناء على قوم اختارهم ورضيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد : ١٣/ ٢١] .

ومما أمر الله به أن يُوصَل : الأرحام .

وقال الله تعالى في الزجر عن قطيعة الرحم والتحذير منها : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾

[الرعد : ١٣/ ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾

[محمد : ٤٧/ ٢٢-٢٣] .

فقاطع الرحم ملعون في نص الكتاب .

وقد قال عليّ بن الحسين رضي الله عنهما يوصي بعض بَنيه : إياك وصحبةَ قاطع الرحم ! فإني وجدته ملعوناً في ثلاثة

مواضع من كتاب الله تعالى . انتهى .

وقال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيصِلْ رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سرّه أن يُمَدَّ له في عمره ، ويُوسَّع له في رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء فليتَّق الله وليصل رحمه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « قال الله عز وجل أنا الله ، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشقَقْت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » .

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع » ؛ أي : قاطع رحم . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم » . فإذا كانت الرحمة لا تنزل على القوم بسبب كون قاطع الرحم فيهم ، فكيف يكون حال القاطع نفسه ؟ وكيف يكون مقت الله له وقطعه إياه من كل خير ! ! .

فعليكم رحمكم الله بصلة الأرحام ، وإياكم وقطيعَتَهم فإنها من أعظم الآثام ، وعقوبتها معجلة في الدنيا ، مع ما يدَّخر الله تعالى للقاطع في الآخرة من شديد العقاب وأليم العذاب .

وكذلك يعجَّل ثواب البر والصلة في الدنيا ، مع ما يدَّخر الله للواصل من عظيم الثواب وكريم المآب . وقد

قال ﷺ : « أسرع الخير ثواباً البرُّ وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقاباً البغي وقطعية الرحم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبةَ في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » .

قلت : فثواب البر والصلة معجَّل ومؤجل ، وعقاب العقوق والقطيعة كذلك . نسأل الله العافية .

وينبغي للإنسان أن يصل أرحامه وإن لم يصلوه ، ويحسن إليهم وإن لم يحسنوا إليه . قال عليه الصلاة والسلام : « ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل هو الذي إذا قَطَعْتَ رَحِمُه وصلها » .

وينبغي له أيضاً أن يصبر على أذاهم إن آذَوه ، ولا يكافِئْهم بإساءتهم إن أساؤوا إليه ؛ بل يعفو ويصفح ، ويصل ويحسن ، وكلما آذَوْه وأساؤوا في حقه كانت الصلة لهم آكد، وكانت الصدقة عليهم أفضل .

قال عليه الصلاة والسلام : « أفضل الصدقِة الصدقةُ على ذي الرحم الكاشح » . وهو الذي يضمر العداوة لقريبه المحسن إليه . وفي حديث الرجل الذي قال للنَّبي ﷺ : « إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني! فذكر الحديث حتى قال في آخره : « ولا يزال معك من الله ظهير ما دمتَ على ذلك » يعني : على برهم وصِلَتِهم وإن قطعوا وأساؤوا .

* * *

وكذلك ينبغي للإنسان أن لايتعدى بصدقته أقاربَه وأرحامه المحتاجين ، فيتركهم ويتصدقَ على غيرهم ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « المتعدي في الصدقة كمانعها » . وورد : « أن من يتصدق على الأجانب مع علمه بحاجة أقاربه إلى صدقته لا يقبل الله تعالى صدقته » . وقال عليه الصلاة والسلام : « الصدقة على الأجانب صدقة ، والصدقة على الأقارب اثنتان : صدقة وصلة » .

قلت : ومحل ذلك ما لم تشتد حاجة الأقارب ، وإلا فهم أحق بالصدقة من غيرهم . وإذا وَسِعت الصدقة القريب والبعيد فاشتركوا فيها ، كانت على البعيد صدقة فقط ، وعلى القريب صدقة وصلة . وأما إذا تعدى بصدقته ، وترك أقاربه مع العلم بحاجتهم ؛ فقد أساء وظلم ، وصدقته غير مقبولة كما ورد .

وكلما كان الرحم أكثر قرابةً كان حقه آكد ، وكانت صلته أوجب . ويكون القريب الضعيف المسكين المحتاج أولى بالبر والصلة من القريب الغني ؛ وذلك لأنه يصير للقريب المسكين حقَّان : حق القرابة ، وحق المسكنة . وقد قرن الله بين الأمر بالإحسان إلى القرابة والمساكين في آيات من كتابه ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الروم : ٣٠/ ٣٨] .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٧٧] إلى غير ذلك .

فلا شك أن صلة من له حقان معاً أولى من صلة من له حق واحد .

فلْيجتهد العبد الموفق في صلة أرحامه وأقاربه ، بكل ما يمكنه ويستطيعه من برٍ ومعروف ، وهدية وصدقة ، وزيارة ومؤانسة ، ويفعل مع كل منهم ما يناسبه من ذلك ، ويكون فيه بره وصلته وإيناسه ، ولا يقصِّر في صلة أرحامه كسلاً وبخلاً واستخفافاً بحق الرحم التي عظَّم الله تعالى أمرها ، وأكثرَ الوعيدَ في قطيعتها ، وعلى العبد بذل الاستطاعة والمقدور . وعلى الله الإِعانة والمسامحة . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « بلّوا أرحامكم ولو بالسلام » . أي : صِلوهم بما تقدرون عليه .

وقد عمّت في هذا الزمان قطيعة الأرحام ، وقلة المبالاة بصلتهم وتعهدهم . ولعل السبب فيما حدث ، وعمّ العباد والبلاد من ضنك المعاش ، وضعف الأرزاق ، وقلة ذات اليد هو القطيعة للأرحام التي قد فشت وانتشرت في هذه الأيام ؛ وقد وردت الأحاديث بأن صلة الأرحام مَنْسأة في الآجال ، مَثْراة في الأموال .

وأن الله تعالى قد بسط الرزق لأقوام ، وأكثر لهم الأموال ، وما نظر إليهم منذ خلقهم ؛ لِصِلَتِهِم أرحامهم ، فتكون القطيعة وترك الصلة على الضد من ذلك . والله أعلم .

حقوق الأهل والعيال

وأمـا الأهـل والعيـال ونعنـي بـالأهـل ههنـا : الـزوجـة والزوجات . وبالعيال : كل من يكون في نفقة الإنسان ، وتحت نظره وكفالته ؛ فيجب عليه القيام بنفقتهم وكسوتهم ، ورعاية حقوقهم وإرشادهم إلى وظائف دينهم ، وما فيه سلامتهم ونجاتهم في الدار الآخرة .

وعليـه أيضـاً أن يُلْـزِمهـم القيـامَ بمـا يجـب عليهـم مـن أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وقد قال الله تعالى في حق النساء : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ٤/ ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٤/ ٣٤] .

وقال النبي ﷺ : « استوصوا بالنساء خيراً » . وقد أكثر عليه الصلاة والسلام من الوصية بالنساء ، وحث على الرفق بهن ، وحسن المعاشرة لهن . وقال عليه الصلاة والسلام : « خياركم خياركم لنسائهم » .

وقـال ﷺ : « خيـركـم خيـركـم لأهلـه ، وأنـا خيـركـم لأهلي » .

فينبغي للإنسان أن يكون حسن المعاشرة مع نسائه ، لطيف الأخلاق ، شفيقاً رفيقاً ، صبوراً على جفائهن وسوء أخلاقهن ؛ ويكون كثير المسامحة لهن بما يجب له من الحقوق عليهن .

وأما ما يجب عليهن من حقوق الله فيكلفهن بالقيام به ، ولا تجوز المسامحة والمساهلة في ذلك .

وكذلك لا ينبغي له أن يملِّك المرأةَ أمرَه ، ويولِّيها نفسه وماله ؛ كما يفعله بعض الأغبياء المغفلين . وذلك من الأمور المستقبحة شرعاً وعقلاً ؛ فإن المرأة حكمها حكم المملوك والتابع ، فمن جعل المملوك مالكاً والتابع متبوعاً فهو معكوس منكوس . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة . . . » الحديث . وقال الحسن البصري رحمه الله : ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهواه إلا أكبه الله في النار .

* * *

وإذا كان للرجل زوجتان أو زوجات لزمه العدل بينهن . فإن لم يعدل وقع في الإثم والحرج ؛ قال النَّبي ﷺ : « من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » .

* * *

وأما حق الزوج على زوجته فهو من أعظم الحقوق ، ولها في القيام به ثواب كثير ، وعليها في إضاعته وإهماله إثم كبير . قال عليه الصلاة والسلام : « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد

لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » لعظم حقه عليها . وقال عليه الصلاة والسلام : « أيّما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا صلّت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها : أُدخلي من أي أبواب الجنة شئت » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر زوجها وهي لا تستغني عنه » .

وقال ﷺ : « إذا دعا الرجل زوجته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » . فيجب على المرأة طاعة زوجها وترك المخالفة له ، وأن لا تأذن في بيته ولا تتصدق من ماله ، ولا تخرج من البيت إلا بإذنه ورضاه ؛ فإن فعلت شيئاً من ذلك بدون إذنه أثمت . وإذا دعاها إلى فراشه لم يجز لها الامتناع إلا لعذر شرعي .

وبالجملة فحق الزوج على زوجته عظيم ؛ حتى إنه ورد عن النّبي ﷺ : « لو كان بالرجل جراحة من رأسه إلى قدمه فلحستها المرأة بلسانها لم تقم بحقه عليها » . فينبغي للمرأة أن تجتهد في القيام بحق زوجها وأن لا تقصر في القيام به ؛ لتفوز بثواب الله ورضاه ، وتنجو من عذابه وسخطه .

وينبغي للزوج أن يسامح زوجته بعض المسامحة ، ولا يستقصي عليها في طلب القيام بالحقوق فيوقعها في الحرج ،

فإن النساء ناقصات عقل ودين ، والغالب عليهن التساهل والتغافل عن حقوق الأزواج . ومن سامح سامحه الله ، ومن تجاوز تجاوز الله عنه .

فضل النكاح

واعلموا رحمكم الله : أن للنكاح فضلاً وفوائد ومنافع دنيوية وأخروية ؛ وقد ورد الترغيب فيه كتاباً وسنة ، قال تعالى : ﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾

[النساء : ٤/ ٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

[النور : ٢٤/ ٣٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وِجاءٌ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح » . وقال عليه الصلاة والسلام : « تناكحوا تكاثروا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا تزوج العبد فقد استكمل

نصف الدين ، فليتَّقِ الله في النصف الباقي » . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور .

قلت : وفي النكاح فراغ للقلب من وساوس الشيطان فيما يتعلق بالنساء ، وربما يعرض بعض ذلك للإنسان وهو في صلاته واقفاً بين يدي الله ، أو وهو يتلو القرآن أو وهو في ذكر الله فيقع في سوء الأدب مع الله . وفي النكاح غض للبصر ، وتحصين للفرج . وقد ورد في فضل ذلك وفي التحذير من تركه من شواهد الكتاب والسنة ما لا يخفى على ذي علم وبصيرة .

قال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور : ٢٤/ ٣٠] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس . . . » الحديث .

وفي النكاح من الصبر على معاشرة النساء بالمعروف ، والقيام بحقوقهن ، والإنفاق عليهن وعلى العيال فضل كبير ، وفيه فضل التسبُّب في تحصيل أولاد صالحين يعبدون الله تعالى ، ويدعون لآبائهم ، ويستغفرون لهم في حياتهم وبعد وفاتهم ؛ وربما مات بعضهم قبل البلوغ فيحصل لوالديهم من ثواب ذلك الحظُّ العظيم .

وفي تربيتهم ، أعني الأولادَ ، وحسنِ القيام بهم لاسِيَّما البنات منهم ، ثواب كثير ، وفضل كبير . وقد قال عليه الصلاة

والسلام : « دينارٌ أنفقتَه في سبيل الله ، ودينارٌ أَنفقَته في رقبة ، ودينارٌ تصدقتَ به على مسكين ، ودينارٌ أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك » . وقال ﷺ : « ما أطعمتَ نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

* * *

وقال ﷺ : « ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْث[1] إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » وفي رواية « فقالت امرأة : واثنانِ ! فقال أو اثنان » . وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لأن أقدِّم سِقْطاً أحبّ إليّ من أن أخلف خمسين فارساً يجاهدون في سبيل الله » . وورد : « أن الأطفال يُعطَوْنَ آنية فيها من شراب الجنة فيسقون آباءَهم في موقف القيامة وبالناس من الكرب والعطش ما لا يعلمه

(١) أي لم يبلغوا مبلغ الرجال ويجري عليهم القلم؛ فيكتب عليهم الحنث والطاعة.

إلا الله ، وأنهم يقفون على أبواب الجنة ويأبَوْن أن يدخلوها حتى يدخلها آباؤهم ؛ فيأمر الله بإدخال آبائهم معهم الجنة برحمته » .

* * *

وقال عليه الصلاة والسلام : « من أُبتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة ألبته . قيل : يارسول الله ، وإن كانتا اثنتين ؟ قال : وإن كانتا اثنتين » قال : فرأى بعض القوم أنْ لو قال : واحدة . لقال : واحدة . وقال ﷺ : « من كانت له أنثى فلم يَئِدْها ولم يُهِنْهَا ولم يُؤْثِر ولده ـ يعني الذكور ـ عليها أدخله الله الجنة » ومعنى « يئدها » يدفنها حية ، كما كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك . وقد يصدر من بعض الناس الأغبياء إذا أخبر بحدوث بنت له أو لغيره من الكلمات الشنيعة الدالة على كراهية الأنثى وعدم الرضا بها بما لا ينبغي . وذلك من المكروهات والمستقبحات ، وهو قريب مما وصف الله به أهل الجاهلية في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ١٦/٥٨-٥٩] .

فليحذر المؤمن التقيُّ من ذلك ـ أعني كراهية الأنثى ـ ومن

إهانتها ، ومن إيثار ولده الذكَر عليها ؛ فإنه لا يدري فيمن تكون البركة والعاقبة الحسنة .

* * *

وينبغي لمن أراد التزوّج أن يتحرَّى ذات الدِّين والخير والصلاح وإن كانت فقيرة وغير فائقة في الجمال ؛ فقد حثّ عليه الصلاة والسلام على ذات الدِّين ، ورغّب فيها وقال : « فاظفَر بذات الدِّين تَرِبَتْ يداك » فلا ينبغي للإنسان أن يتزوّج المرأة لمالها وجمالها فقط ؛ فإن ذلك مكروه . قال عليه الصلاة والسلام : « لا تزوَّجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يُرْديهن ، ولا تزوجُوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهُنّ على الدِّين . . . » الحديث .

* * *

ثم إن مَن قصد ترك النكاح تفرُّغاً للعلم والعبادة ، وتباعداً عن شواغل الدنيا وعلائقها ، وكان مع ذلك فارغ القلب عن الميل إلى النساء والركون إليهن ، فإنه لا بأس عليه في تركه ولا جناح ، فقد رأى ذلك وأخذ به جماعة من صالحي السلف والخلف ، رحمهم الله . وقد قيل لبعضهم : ألا تتزوج ؟ فقال : قد عجزت عن تقويم نفسي ، أفأضم إليها نفساً ثانية ؟! وقيل مثل ذلك لآخرَ منهم فقال : لو قدَرت على تطليق نفسي

لطلقتها . وقيل لِبِشْر بن الحارث رحمه الله : إن الناس يتكلمون فيك ، يقولون : إنك تارك للسنة !! يريدون التزوّج ، فقال : قولوا لهم : هو مشغول بالفريضة . انتهى .

قلت : فينبغي لمن أراد التزوج أن يتزوّج بنيَّة الاستعانة على الدِّين والآخرة . ومن ترك فينبغي أن يترك بنية التحفظ على الدين وإيثار جانب السلامة والاحتياط ؛ فيكون في تزوجه وتركه على نية صالحة يصلح التقرب بها إلى الله . فأما من يعوِّل في نكاحه وفي ترك النكاح على حظوظ الدنيا وأغراضها ، وبواعث الطبع والشهوة فهو بعيد من الصواب والتأسِّي بصالحي السلف . والله الموفق والمعين لا رب غيره .

الإحسان إلى المماليك والجيران

وأما الإحسان إلى المماليك والأرقَّاء فقد ورد الأمر به والحث عليه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء : ٤/٣٦] .

وقال ﷺ : « للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ، وأن لا يكلَّف من العمل ما لا يطيق » . وقال عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ، أطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، فما أحببتم فأَمسِكوا ، وما كرهتم فبيعوا ، ولا تعذِّبُوا

خَلْق الله ؛ فإن الله تعالى ملّككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم » . وقال رجل : يارسول الله ، كم نعفو عن الخادم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « اعف عنه في كل يوم سبعين مرة » .

وورد أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة سيِّء المَلْكَة » وهو الذي يسيء إلى ما ملكت يمينه . ومن الإساءة إلى المملوك . أن لا يقوم له بما يكفيه من الطعام واللباس ، وأن يكلفه من الخدمة فوق ما يطيق ، وأن يشتمه ويضربه بغير حق ؛ فإن فعل به شيئاً من ذلك اقتص له منه في الدار الآخرة كما وردت به الأحاديث . ومهما ضربه أو شتمه على أمر يستوجب به ذلك فعليه أن لا يجور ، ولا يتجاوز الحدَّ ، وإن عفا وصفح كان ذلك أحسنَ وأجمل ، وكان له فيه الثواب العظيم من الله عزَّ وجل .

وعَلَى من ملك شيئاً من الحيوانات والبهائم أن يتعهدها ويتفقدها ، ويحسن النظر عليها ؛ يتولى ذلك بنفسه ، أو يوليه من يثق به من أولاده وخدمه ؛ فإنه إن لم يفعل ذلك وقع في الإثم والحرج . وفي الحديث : « إنَّ امرأة دخلت النار في هرّة ربطتها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خَشَاش الأرض » .

* * *

وأما الإحسان إلى الجيران : فقد أمر الله به في قوله تعالى :

﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾

[النساء : ٤/ ٣٦] .

وقد عظم رسول الله ﷺ حقّ الجار ، وحثّ على الإحسان إليه ، وبالغ في النهي عن إيذائه ، حتى قال عليه الصلاة والسلام : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه » أي يجعل له نصيباً من الإرث في مال جاره . وقال عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من آذى جاره فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله » . وقال عليه الصلاة والسلام : « والله لا يؤمن من لم يأمن جاره بوائقه » يعني بذلك شره وأذاه وفتنته . والله أعلم .

وحق الجار عظيم ، والإحسان إليه من أهم المهمات في الدين ، ولا يتم الإحسان إلا بكف الأذى عنه ، واحتمال الأذى منه إن آذاك ، مع اصطناع المعروف وبذل الإحسان إليه حسب الاستطاعة ، وذلك وصف كل مؤمن كامل الإيمان كما قال عليه الصلاة والسلام : « أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا » .

وأحقُّ الجيران بالإحسان الأقرب منهم باباً إليك فالأقرب .

وفي الحديث : « إن من الجيران من له ثلاثة حقوق وهو الجار المسلم ذو القرابة . ومنهم من له حقان وهو الجار

المسلم . ومنهم من له حق واحد وهو الجار الذّمّي » . فانظر كيف أثبت للجار الذمي حق الجوار مع كفره تعرِفْ به عظم تأكيد حق الجار ومحلّه من الدِّين . فعليك رحمك الله بالإحسان إلى جيرانك حسب الإمكان بعد كف الأذى عنهم مطلقاً ، واحتمال الأذى منهم إن كان . واستعن بالله واصبر ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

[فصلت : ٤١/ ٣٥] .

وقد ذكر الإمام حجة الإسلام في « الإحياء » وغيره ؛ حديثاً جامعاً فيما ينبغي للجار أن يفعله مع جاره ، فقال رحمه الله : قال عليه الصلاة والسلام : أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعنته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر جُدْتَ عليه ، وإن مَرِض عُدْتَه ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنّأته ، وإن أصابته مصيبة عزّيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه ، وإن اشتريت فاكهة فأهْدِ له ؛ فإن لم تفعل فأدخلها سِرّاً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقُتار[1] قِدْرِك إلا أن تغرف له منها . أتدرون ما حقّ الجار ؟ والذي نفسي بيده ! لا يبلغ حقَّ الجار إلا من رحمه الله » انتهى .

وقد كان السلف الصالح يبالغون في الإحسان إلى الجيران

---

(١) القتار ـ بضم القاف ـ ريح القدر والشواء ونحوهما .

وكفّ الأذى عنهم إلى الغاية والنهاية ؛ حتى بلغنا أنه كثر الفأر في دار بعضهم فقيل له : لو اقتنيت هرّاً ؟ فقال أخاف أن يهرُب الفأر منه إلى ديار الجيران ؛ فيكون ذلك من الأذى لهم .

الإحسان إلى الأصحاب

وأما الإحسان إلى الأصحاب : فهو مأمور به ، ومرغّب فيه ، ومندوب إليه . وللأصحاب حقوق تجب مراعاتها وتتأكد المحافظة عليها ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ [النساء : ٤/ ٣٦] .

وروي عنه عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال : « ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعةً من نهار إلا سئل عن صحبته يوم القيامة هل أقام فيها حقّ الله أو أضاعه ؟ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « خير الأصحاب خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران خيرهم لجاره » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما تحابَّ اثنان إلا كان أحبُّهما إلى الله أشدَّهما حبّاً لصاحبه » وفي رواية « أرفقَهما بصاحبه » .

* * *

وأصل الصحبة صدق المحبة وصفاء المودة ، ومهما كان ذلك في الله ولله فثوابُه عظيم . وقال عليه الصلاة والسلام : « قال الله تعالى : وجَبت محبتي للمتاحبِّين فيّ ، والمتجالسين فيّ ، والمتزاورين فيّ ، والمتباذلين فيّ » . وقال عليه الصلاة

والسلام : « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين المتحابّون بجلالي ، اليوم أُظلّهم في ظلّي يوم لا ظلَّ إلا ظلِّي » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سرّه أن يجد حلاوة الإِيمان فليحبّ المرء لا يحبه إلا لله » . وقال عليه الصلاة والسلام : « سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه ، فذكرهم حتى قال : ورجلان تحابّا في الله ، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه . . . » الحديث .

فإذا أحب الإِنسانُ الإِنسانَ وألِفَه وصاحَبَه لأنه يحب الله ويعمل بطاعته كان ذلك من المحبة في الله تعالى .

وإذا أحبه وصحبه لأنه يعينه على دِينه ويساعده على طاعة ربه فقد أحبه في الله .

وإذا أحبه وصحبه لأنه يعينه على دنياه التي يستعين بها على أخراه فقد أحبه في الله تعالى .

وإذا أحبه وصحبه لأنه وجد طبعه يميل إليه ونفسه تأنس به ، أو لأنه يعينه على دنياه وأسباب معاشه التي يتمتع بها فتلك محبّة طبعية ليست من المحبة لله في شيء ، وتلك صحبة نفسانية اقتضاها ميل الطبع ولكنها مباحة ، ولعلها لا تخلو من خير إن شاء الله تعالى .

وأما إذا أحبه وصاحبه لأنه يعينه على المعصية والظلم ، ويساعده على أسباب الفسق والمنكر فتلك محبة وصحبة

مذمومة قبيحة ، وهي في سبيل الشيطان وليست من الله في شيء ، وهي التي تنقلب في الآخرة عداوة وربما انقلبت في الدنيا قبل الآخرة ؛ قال الله تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٤٣/ ٦٧] .

* * *

الحمد

فينبغي لك أيها الأخ أن لا تحبّ ولا تصحب إلا أهل التقوى وأهل العلم ، وأهل الزهد في الدنيا من عباد الله الصالحين ، وأوليائه المؤمنين ؛ فإن المرء مع من أحب في الدنيا والآخرة كما في الحديث الصحيح ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : « المرء من جليسه ، والمرء على دين خليله ؛ فلينظر أحدكم من يُخالِل » وقال عليه الصلاة والسلام : « الجليس الصالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من الجليس السوء » .

فصحبة المتقين والصالحين قربة إلى الله ، وهي الصحبة المحمودة المشكورة ، وفي فضلها وردت الأخبار والآثار الكثيرة ، وهي المحبة لله وفي الله التي عظُم فضلها وثوابها ، وارتفع قدرها ومحلها من الدِّين .

وأما صحبة الأشرار ، ومن لا خير في صحبته من الغافلين المعرضين عن الله وعن الدار الآخرة فهي الصحبة المذمومة الممقوتة ، لأن أهل الشر والفساد يتعيّن بغضهم في الله ،

وتجب مباعدتهم ومجانبتهم ، وذلك من المهمات في الدين . ومن أحبّ في الله ولله مَنْ بَرَّ مِن عباد الله واتَّقى ، أبغضَ لا محالة من عصى الله وأعرض عن طاعته ؛ فإن الحب في الله والبغض في الله متلازمان لا يصح أحدهما بدون الآخر ، وهما من الدين بمنزلة عالية رفيعة ، وقد قال رسول الله ﷺ : « من أوثقِ عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله » . وقال عليه الصلاة والسلام : « أفضل الأعمال الحبّ في الله والبغض في الله . . » وقال عليه الصلاة والسلام : « وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله » الحديثَ . وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام : « لو عبدتني بعبادة أهل السماء وأهل الأرض وحبٌّ فيَّ ليس ، وبغض فيَّ ليس ، ما نفعك ذلك عندي » .

وقال عيسى عليه السلام : « تحبَّبوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، وتقرَّبوا إلى الله بالبعد عنهم ، واطلبوا رضا الله تعالى بسخطهم » .

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ : مقاطعة الفاسق قربان إلى الله . انتهى .

فتبين بما ذكرنا : أنه ينبغي للمؤمن ويتعين عليه أن يحب أهل الخير والدين والعلم والصلاح أحياء وأمواتاً ، ويبغض أهل الباطل والفساد والظلم والفسوق أحياء وأمواتاً .

وينبغي له أيضاً : أن يختار صحبة الأخيار والأبرار ، ويجتنب صحبة الأشرار والفجار . وفي الحديث : « لا تصحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي » وأنَّ مَن لم يجد مؤمناً تقيّاً ، برّاً صالحاً يصحبه ويعاشره فالعزلة والانفراد خير له وأصلح من مخالطة أهل الشر والفساد ؛ فإن خلطة المفسدين عظيم ضررها ، كثير شرها ، وفيها آفات كثيرة ، وبَلِيّات هائلة عاجلة وآجلة ؛ فمنها : استراق الطبع من الطبع من حيث لا يشعر الإنسان ، ومنها : أن مشاهدة أهل الغفلة والإعراض تقتضي الأنس بهم ، والميل إلى ما هم عليه من سوء الحال ، وتهون على القلب وقع المعاصي ، وتجر إلى التشبه بهم ، والاستحسان لأقوالهم وأفعالهم ؛ وفي ذلك يقول الشاعر :

عَنْ ٱلْمَرْءِ لاتَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُـلُّ قَـرِيـنٍ بـِٱلْمُقـارَنِ يَقْتَـدي

وقال الآخر :

ما يُبرِىءُ ٱلْجَرْباءَ قُرْبُ سَليمةٍ ... مِنْهـا ، وَلٰكِـنَّ السَّليمَـةَ تَجْـرَبُ

وبهذا السبيل تعرف ما في خلطة الأخيار وأهل الصلاح : من المصالح والمنافع ، والفوائد العاجلة والآجلة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك : إما أن يحذيك ـ أي يعطيك ـ ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه رائحة طيبة . ومثل الجليس السوء كنافخ الكير : إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه رائحة منتنة » .

فإن قلت : قد يصحب الإنسان صاحباً من أهل الخير والطاعة ، ثم يطرأ عليه ما يغيّر ذلك من الغفلة والمعصية ، فما الذي ينبغي لصاحبه أن يعامله به ؟

فأقول ينصحه باللطف والرفق حتى يرده إلى الله ؛ فإن رجع وإلا وعظه وأغلظ عليه وخوفه بالله . فإن لم ينفع فيه ذلك وأيس معه جانبه وأعرض عنه ، وانتظر فيه أمر الله . فإن عاد إلى ما كان عليه من الخير عاد له ؛ وإلا فلا خير في صحبة من لا خير فيه .

فإن قلت : الذي ينبغي للإنسان ويتعين عليه : بغض أهل المعاصي ومجانبتهم ، وترك المعاشرة والمخالطة لهم ، ومع ذلك فالإنسان مأمور بالنصيحة للمسلمين عموماً ، وبدعوة أهل الشر والمعصية إلى الخير والطاعة ؟

فأقول : الأمر كذلك ، ولكن النصيحة والدعوة إلى الخير لا تقتضي معاشرة ومخالطة ؛ بل إذا لقيهم ورأى للنصيحة والدعوة إلى الخير موضعاً فيهم فعل ذلك معهم ، وإن قصدهم بذلك وكان من أهله إلى أماكنهم من غير معاشرة ولا مخالطة فهو أيضاً مأمور به ومندوب إليه من أهله ، وفي محله فاعلم ذلك ، ولا يلبِّس عليك الشيطان . فإن السبيل واضح ، والحق غير ملتبس بالباطل .

* * *

ثم اعلم : أنه ينبغي لك إذا قصدت صحبة أحد ومصادقته ؛ ليكون لك جليساً وأنيساً ومعاوناً على أمور آخرتك ودنياك أن تقدم قبل عقد الصحبة واختيارها حسنَ النظر والاختبار ، والتفتيش عن أحوال من تريد أن تصحبه وتتخذه صديقاً ؛ فإن كان يصلح لذلك صحبته وإلا تركت ؛ فليس كل أحد يصلح للصحبة والمعاشرة ، ورب صحبة لم تتقدمها الخبرة وحسن النظر تعودُ وحشةً وعداوةً في أسرع وقت .

* * *

وقد قال حجة الإسلام رحمه الله تعالى : إذا أردت صحبة أحد فراعِ فيه خمس خصال : العقل ، والخلُق الحسن ، والصلاحُ ، وأن لا يكون حريصاً على الدنيا ، وأن لا يكون كذاباً . انتهى كلامه مختصراً ، وهو الغاية في ذلك والكفاية .

ثم إذا انعقدت الصحبة ، وتمت المودة بينك وبين صاحب فقد توجّهت عليك له حقوق لا بد لك من القيام بها ، وإلا كانت الصحبة صورة بلا حقيقة لا نفع فيها ولا طائل لها .

* * *

وحقوق الصحبة كثيرة ، وجملتها : أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك من الخير ، وأن تكره له ما تكرهه لنفسك من الشر . وأن تنزله منزلة نفسك في الاهتمام بأموره ، والسعي في مصالحه ، وقضاء حوائجه ، والسرور بمساره والاغتمام

بمكارهه . وأن تجتهد في إدخال السرور عليه بكل وجه أمكنك ، وأن تحفظه حاضراً وغائباً وحياً وميتاً . وأن تحسن الوفاء مع أهله وأولاده وأقاربه بعد مماته وفي حياته كذلك ، وأن تواسيه من مالك عند حاجته ، وإن آثرته على نفسك كان أحسن وأفضل ، على مثل ما كان عليه السلف الصالح رحمة الله عليهم ، فقد كانت لهم سِيَرٌ وأفعال مع من صحبهم وعاشرهم محمودةً مشهورة حتى كان أحدهم يأتي إلى بيت صديقه في غيبته فيأكل من طعامه ، ويأخذ من متاعه ما أراد ، وكان الآخر يفعل مع أخيه كذلك .

وقيل لبعضهم : أخوك أحبّ إليك أم صديقك ؟ فقال : إنما أحبّ أخي ـ أي من النسب ـ إذا كان صديقي . وقال بعضهم لبعض مَنْ قَدِم عليه : هل يُدِخل أحدكم يده في جيب أخيه فيأخذ منه ما أراد ؟ فقال : لا . فقال : لستم إذاً بإخوان ، وكان الرجل منهم يقوم بأولاد صديقه وأهله بعد وفاته ، حتى أنهم لا يفقدون من أبيهم إلا وجهه ، وحكاياتهم في ذلك كثيرة معروفة . وهذا أمر قد تُوُدِّعَ منه من زمان سابق ، ولم يبق من الأخوّة في الله والصداقة إلا صورٌ ورسوم لا حاصل تحتها ! وقد أشبع الكلام في شرائط الصحبة وحقوقها وآدابها : الإمام حجة الإسلام في كتاب الصحبة من « الإحياء » ، وذكر من ذلك في « بداية الهداية » نبذة صالحة .

وعلى الجملة : فكل ما يجب عليك لعامة المسلمين من

الحقوق ، أو يستحب ، ففِعْلُ ذلك مع الصديق والصاحب آكد وجوباً ، وأكثر استحباباً .

حق المسلم على المسلم

ثم إن للمسلم على المسلم حقوقاً كثيرة ، وقد ذكرنا منها طرفاً في رسالة (المعاونة) فانظره إن شئت .

وقد قال رسول الله ﷺ : « حق المسلم على المسلم ستّة ، فقيل : وما هي يارسول الله ؟ قال : إذا لقيتَه فسلِّم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطَس فحمد الله فشَمِّتْه ، وإذا مرض فعُده ، وإذا مات فاتْبَعْه » .

ومن آكد حقوق المسلم على المسلم : النصيحة في الدِّين ، والمعاونة على البر والتقوى ، والحث على طاعة الله رب العالمين .

ومن أهم الحقوق : ستر العورات ، وتفريج الكربات ، والمعاونة في المهمات ، وقضاء الحاجات ، وإغاثة الملهوف ، ونصرة المظلوم ، وإعانة الضعيف ، والتيسير على المعسر ، والتوقير للكبير ، والرحمة للصغير ، وأن لا يؤذي أحداً من المسلمين ، ولا يستخف به ، ولا يحتقره ولا يخذله ، ولا يسخر منه ولا يستهزىء به ، وأن لا يغش أحداً من المسلمين ولا يحسده ولا يحقد عليه ، ولا يظنَّ به السوء ، وأن يهتم بأمور المسلمين ، ويفرح بمسارِّهم ، ويغتم بما يسوؤهم ، وأن يحب لسائرهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن

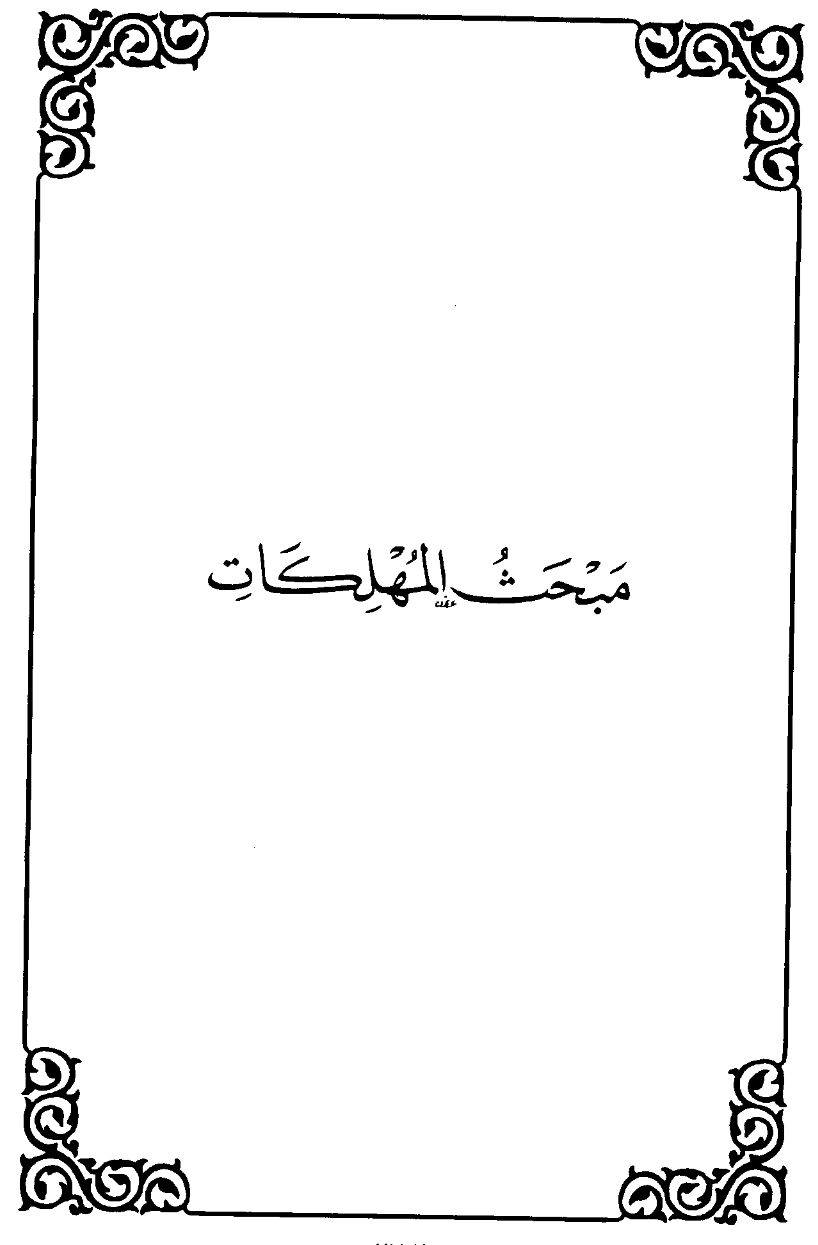
أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « المسلم للمسلم كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » وقال عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من غشّنا فليس منا » . وقال عليه الصلاة والسلام : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل : ننصره إذا كان مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ » قال ﷺ : « تمنعه من الظلم فذلك نصرةٌ له » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تحاسدوا ولا تناجَشُوا ولا تباغضوا ولا تدابرُوا ولا يَبِعْ بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقِرُه ولا يَكْذِبُه ، التقوى ههنا ، ويشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمُه وماله وعرضُه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من نَفَّس عن مؤمن كُربة من كُرَب الدنيا نفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . . » الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *



مَبحَثُ المُهلِكَاتِ

طلب الحلال

واعلموا معاشر الإخوان أغنانا الله وإياكم بحلاله عن حرامه ، وبطاعته عن معصيته ، وبفضله عمن سواه : أن الورع عن المحرمات والشبهات ، وطلبَ الحلال والأكل منه مع اجتناب الحرام رَأساً اكتساباً وأكلاً وغير ذلك ، كل ذلك من أهم المهمات في الدين ، ومن أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله رب العالمين ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

[البقرة : ٢/١٦٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥/٨٨] .

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾

[النساء : ٤/٢٩-٣٠] .

وقال رسول الله ﷺ : « خير دينكم الورع » وقال عليه

الصلاة والسلام : « يا أبا هريرة ، كن ورعاً تكن أعبد الناس . . » الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « طلب الحلال واجب على كل مسلم » وقال عليه الصلاة والسلام : « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله طيِّب لا يقبل إلا طيِّباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/ ٥١] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٧٢] .

ثم ذكر الرجل أشعثَ أغبرَ يطيل السفر ، يمد يديه إلى السماء يا ربُّ يا ربُّ ! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِّي بالحرام فأنَّى يستجاب لذلك » ! ؟ وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة لحم نبت من سُحْت » . وقال عليه الصلاة والسلام : « كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به » وقال عليه الصلاة والسلام : « لأن تجعل في فيك تراباً خير لك من أن تجعل فيه طعاماً حراماً » . وقال ﷺ : « من اكتسب مالاً من غير حلّه فإن تصدَّق به لم يقبل منه ، وإن أنفق منه لم يبارك له فيه ، وإن تركه خلف ظهره كان زادَه إلى النار » الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من اشترى ثوباً بعشرة دراهم

وفيه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه » فإذا كان هذا في الثوب الذي يكون عُشر ثمنه حراماً ، فكيف يكون الحال لو كان الثمن كله من الحرام ! ؟ وإذا كان هذا الثوب الذي يكون على ظاهر الجسد ، فكيف يكون الحال في الطعام الذي يكون في باطن الجسد ويجري في اللحم والدم والعروق والعظام وسائر أجزاء البدن ! ؟ فتأمّلوا ذلك جدّاً ، وأمعنوا فيه النظر ، واتقوا الله واحذروا .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يقبل الله تعالى صلاة امرىء وفي جوفه لقمة حرام .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار[1] لم يُتقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز . ويقال : إن في التوراة : من لم يبال من أين مطعمه لم يُبالِ الله من أي أبواب النار أدخله .

وقال سفيان الثوري رحمه الله : مثل الذي ينفق في طاعة الله من الحرام مثل الذي يغسل الثوب المتنجس بالبول . انتهى . وذلك لا يطهر الثوب ؛ ولكنه يزيد في نجاسته .

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى : رَدُّ درهم من شبهة

---

(١) الحنايا جمع حنية . وهي القوس ، والمراد حتى صرتم كالأقواس في الانحناء من طول الركوع والسجود ، وكالأوتار في النحافة والهزال من شدة الجوع .

أحب إلى الله من التصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ومائة ألف ، حتى عدّ ستمائة ألف .

وقال سهل بن عبد الله التُّستَرِي رحمه الله : من أكل الحرام عَصتْ جوارحه شاء أم أبىٰ ، علم أم لم يعلم . ومن أكل الحلال أطاعت جوارحه شاء أم أبى ، علم أم لم يعلم ، ووفق للخيرات . وكان السلف رحمهم الله يقولون : كُلْ ما شئت فمثله تعمل . انتهى .

قلت : والذي يأكل الحرام والشبهات وإن عمل بالطاعات في الظاهر ، فطاعاته غير مقبولة ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٥/ ٢٧] .

ولقوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » . ولا بد أن يعرض لآكل الحرام في طاعته من العوارض الظاهرة والباطنة ما يفسدها عليه ، ويحبطها ويخرجها عن كونها طاعة ، ومن تأمل ذلك وجربه من نفسه أو من غيره عرفه إن لم يكن مغروراً مستدرَجاً . فقد تبين لكم واتضح : أن الحرام يجب اجتنابه بكل حال ، ويتعين الاحتراز منه ، والبعد عنه بكل وجه .

* * *

وأما **الشبهات** : فيتأكد اجتنابها وربما وجب . وفي الحديث الصحيح : « من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه

وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام » . وقال عليه الصلاة والسلام : « دع ما يَرِيبك إلى ما لا يَرِيبك » انتهى .

والشبهات كل شيء تتشكك فيه ، وتتردد في كونه حلالاً أو حراماً ، شكّاً وتردداً ينشأ عن أسباب متعارضة ، فما كان من الشبهات أصله الحل ، ثم طرأ الشك في تحريمه فيجوز الأخذ فيه بالأصل ، والورع عن هذه الشبهة فضيلة مهمة ، وما كان من الشبهات أصله التحريم ، ثم طرأ الشك في حله فهذه شبهة يجب اجتنابها اعتماداً على الأصل .

وأقسام الشبهات كثيرة متفاوتة ، والورع عن سائرها مهمٌّ متأكد ؛ إلا ما كان من ذلك يرجع إلى الوسوسة والأوهام التي لا مستند لها ولا سبب يدل عليها ، مثل أن يقول الإنسان : أموال الدنيا كلها شبهات ، وليس تخلو أصولها عن شيء من المعاملات الفاسدة ، والأيدي المتعدية ، فأنا أتركها جملة ، أو آخذ ما أحتاج إليه منها من غير تفرقة . فمثل هذا وسواس وتنطُّع ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « هلك المتنطِّعون » قالها ثلاثاً . وأمثلة الوسوسة كثيرة ، وترجع إلى كل توهم وتشكك لا يستند إلى سبب معروف .

ولا ينبغي للإنسان أن يقول : ما بقي في الدنيا من الحلال شيء يعذر بذلك نفسه في ترك الورع والاحتياط ، فإن ذلك قول فاسد .

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ : الحلال بيِّن

والحرام بيِّن ـ كما قال عليه الصلاة والسلام ـ وذلك في زمانه عليه السلام ، وكذلك يكون في كل زمان ، وإنما تختلف الأزمنة في قلة الحلال وكثرته باختلاف صلاح الأزمنة وفسادها . قال : فالحلال كثير والحرام كثير ، وليس الحرام بالأكثر . ولا بد في كل زمان من وجود الأقسام الثلاثة : الحلال ، والحرام ، والشبهات على وفق ما أخبر به رسول الله ﷺ في قوله « الحلال بيّن . . . » الحديث . انتهى كلامه رحمه الله بمعناه .

ثم اعلموا رحمكم الله : أنّا قد نبهنا على الشبهات بما قدمناه فيها من الكلام المجمل الوجيز . وقد أطال الكلام فيها ، وفي تفاصيل أقسامها حجة الإسلام في كتاب الحلال والحرام من « الإحياء » ، فمن أراد شفاء الغليل في ذلك فعليه بالكتاب المذكور ؛ فقد ذكر بعض العلماء رحمهم الله : أنه لم يؤلَّف في الإسلام مثل ذلك الكتاب .

قلت : وجميع الإحياء لم يؤلف في الإسلام مثله في فنه كما يعرف ذلك ويتحققه من نظر فيه وتأمله من أهل العلم والإنصاف .

اقسام محرمات

ثم اعلموا رحمكم الله أن المحرمات على قسمين :

القسم الأول : شيء محرَّم في عينه ، وذلك كالميتة والدم والخمر ، وما لا يحل أكله من الطير والسباع والحيوانات

والحشرات . وهذا القسم لا يحل منه قليل ولا كثير بوجه من الوجوه إلا عند الاضطرار . وهو : أن يشرف الإنسان على الهلاك ثم لا يجد غيره ، فعند ذلك يحل له التناول منه ، قال الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥/ ٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٧٣] .

والقسم الثاني من المحرمات : شيء هو حلال في نفسه ولكنه مملوك لغيرك ؛ فمهما كان شيء منها مملوكاً لغيرك لم يحل لك أخذه ، ولا تناوله إلا بوجه صحيح سائغ في الشرع ؛ كالشراء والنذر ، والهدية والهبة ، والصدقة والإرث ، إلى غير ذلك من الوجوه السائغة في الشرع . فإن أخذت شيئاً من ذلك بغير وجه شرعي صار محرماً عليك ، وصرت بأكله أو شربه أو لبسه آكلاً وشارباً ولابساً للحرام .

والوجوه المحرَّمة كثيرة ؛ مثل الغصب ، والسرقة ، والخيانة والربا ، وغير ذلك .

وكذلك إذا كان مال الإنسان الذي تعامله أو تأخذه من يده حراماً لم يفدك الأخذ من ماله ، وإن كان بوجه سائغ في الشرع ؛ مثال ذلك : أن يهدي إليك أو يبيع لك على وجه صحيح من تعلم أن أكثر ماله حرام أو شيئاً من ماله ذلك ؛ فلا تُصَيِّرهُ المعاملة الصحيحة فيما بينك وبينه حلالاً مهما كان حراماً ؟؟ وهذا موضوع إشكال وقد يغلط فيه من لا بصيرة له . فعُلم أن المعاملة وإن كانت صحيحة لا تصيِّر الحرام حلالاً ، وأن المعاملة الفاسدة يصير بها الحلال حراماً ؛ كالذي تعامله معاملة غير صحيحة من رباً ونحوه على مال حلال ، فيصير بها ذلك المال الحلال حراماً .

* * *

ثم اعلموا رحمكم الله : أن الناس بالنسبة إلى المعاملة في أمور الدنيا على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : المعروفون بالصلاح والخير والورع ، تجوز معاملتهم مطلقاً من غير سؤال ولا تفتيش .

والقسم الثاني : هم المجهولون الذين لا تعرفهم بصلاح ولا تخليط وأحوالهم مستورة عنك ؛ فهؤلاء أيضاً تجوز معاملتهم مطلقاً ، ولكن يستحب السؤال والتفتيش إن أمكن برفق ودون إيذاء ، وهو من الورع المستحب ، أعني السؤال .

والقسم الثالث : هم المعروفون بالتخليط وقلة الورع ، وكثرة المجازفة في بيعهم وشرائهم ومعاملاتهم ، وهؤلاء ينبغي للإنسان المتقي أن لا يعاملهم رأساً ؛ فإن احتاج إلى معاملتهم تأكد عليه أن يقدم التفتيش والسؤال عما يأخذه من أيديهم ، وذلك من الورع المهم .

فأما إذا علم أو غلب على ظنه في شخص معين أن جميع ماله حرام ، فتحرم عليه معاملته . وكذلك إذا علم أن أكثر ماله حرام ، وأن الحلال في يده عزيز نادر . وقد سأل ابنَ المبارك رحمه الله بعضُ وكلائه عن شخص يعامل السلطان ، هل يعامله أم لا . فقال له : إن كان لا يعامل إلا السلطان فقط فلا تعامله ، وإن كان يعامل السلطان ويعامل غيره فعامله ، انتهى .

* * *

الورع

قلت : ومن أراد التورع والتحري وإيثار الحلال ، فينبغي له أن يتصف بالقناعة من الدنيا ، وأن يرغب في التقلل منها ، وأن يجانب الإسراف والتوسع والميل إلى شهواتها ؛ فقد قال السلف الصالح : الحلال لا يحتمل السرف . ومن توسع وتبسط في لذات الدنيا احتاج لا محالة إلى مباشرة أسباب لا تتم بل لا تتأتى إلا باقتحام شبُهات ، بل باقتحام محرمات كما يعرف ذلك من جرَّبه من أهل الإنصاف والنصيحة

لأنفسهم ، دون الحمقى المغرورين ، والأغبياء الجاهلين ، من الذين ترى أحدهم يتناول الشبهات والمحرمات ويدعي لنفسه أنه يتناول الحلال ويتحراه ، ويقيم لنفسه في ذلك الحجج الساقطة ، ويطلب لها التأويلات البعيدة ! والتقوى والورع هو الواجب والمتعيّن ، فإن لم يكن فلا أقل من الإنصاف والاعتراف ، وملازمة الانكسار والاستغفار ، وقد قيل لبعض السلف الصالح رحمهم الله : من أين تأكل ؟ فقال : من حيث تأكلون ، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي مثل من يأكل وهو يضحك . والله سبحانه أعلم .

* * *

فقد تبين لكم أن الورع مِلاك الدين وسبيل أهل الحزم واليقين من المؤمنين وقد كان للسلف الصالح رحمهم الله العناية التامة البالغة بالورع ، ولهم فيه النظر الدقيق ، وحكاياتهم في ذلك مشهورة ، وسيرَهم فيه معروفة ومذكورة .
وقد بلغنا أن ابن سيرين رحمه الله : اشترى من دهن الزيت حِبَاباً[1] كثيرة بمال كثير ، فوجد في واحد منها فأرة ميتة فصبها كلها ، وقال : أخاف أن تكون الفأرة قد ماتت في المعصرة وجرى عليها الزيت كله .

---

(١) الحباب ـ بالكسر : جمع حب ـ بالضم ـ الجرة الضخمة .

وكان سفيان الثوري رحمه الله ، إذا لم يجد الحلال الصافي يأكل الرمل ويمكث عليه الأيام .

ورجع ابن المبارك من مَرْوْ بخراسان إلى الشام في قلم استعاره ونسي أن يرده على صاحبه .

ورجع إبراهيم بن أدهم رحمه الله من القدس إلى البصرة في ردِّ تمرة سقطت في تمر اشتراه حال الوزن ، وغفل عن ردها حينئذٍ .

وكان ذو النون المصري رحمه الله محبوساً ، فحملت إليه امرأة صالحة طعاماً حلالاً من ثمن غزلها فرده وقال : جاءني على طبق ظالم يعني به يد السجان ، وكانت أرسلته له على يده .

وكان بعضهم عند إنسان محتضر بالليل ، فلما مات المحتضر قال لهم : اطفئُوا السراج ، فإنه من الآن صار في ملك الورثة .

وقال بعضهم : كنت مسافراً فتهت في الطريق واشتد عليّ العطش ، فاستقبلني جندي وسقاني شربة من ماء ، فعادت قساوتها على قلبي ثلاثين سنة . وحكاياتهم في ذلك أكثر من أن تحصى قصدنا بهذا اليسير منها التبرك بذكرهم ؛ لأن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين . وليعلم العاقل البصير تفاوت ما بين السلف والخلف ، ويعقل ويعرف في أي زمان هو ، وأي ناس الذين هو منهم وبين أظهرهم .

* * *

ثم اعلموا رحمكم الله : أن أكل الحلال ينور القلب ويرقِّقه ، ويجلب له الخشية من الله والخشوع لعظمته ، وينشط الجوارح للعبادة والطاعة ، ويزهِّد في الدنيا ويرغِّب في الآخرة ، وهو سبب في قبول الأعمال الصالحة واستجابة الدعاء ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه : « أطِب طُعمتك تُسْتَجَب دعوتك » . وأما أكل الحرام والشبهات فصاحبه على الضدِّ من جميع هذه الخيرات : يقسِّي القلب ويُظلمه ، ويقيد الجوارح عن الطاعات ، ويرغّب في الدنيا . وهو سبب في عدم قبول الأعمال الصالحة وردِّ الدعاء ؛ كما في الحديث : أنه عليه الصلاة والسلام ذكر الرجل أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء يا ربّ يا ربّ ! ومطعمه حرام . . . » الحديث ، وقد تقدم فاحرصوا على أكل الحلال وعلى اجتناب الحرام كلَّ الحرص . وليس الورع خاصّاً بالأكل فقط ، بل هو عام في جميع الأمور .

* * *

وعليكم بالاكتساب من الحلال ؛ فإن الاكتساب مأمور به ، وفيه فضل وثواب كثير مهما صلحت فيه النية ، قال النَّبي ﷺ : « أطيب ما أكل الرجل من كسب يمينه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من أمسى كالاً من عمل الحلال أمسى مغفوراً له » فلينوِ الإنسان باكتسابه صيانة دينه ، وصيانة وجهه عن الحاجة

إلى الناس ، وكفاية نفسه وعياله ، والتصدق بما فضل من كسبه عن حاجته على المحتاجين من عباد الله تعالى ؛ فيكون بذلك عاملاً للآخرة .

وليحذر كل الحذر : من أن يشتغل بسبب الكسب عن فرائض الله ، أو يقع بسببه في محارم الله ، فيخسر بذلك في دنياه وأخراه ، وذلك هو الخسران المبين .

وقد قال بعض السلف رحمهم الله تعالى : الرجال ثلاثة : رجل شغله معاده عن معاشه فهذا من الفائزين ، ورجل شغله معاشه لمعاده فهذا من المقتصدين ، ورجل شغله معاشه عن معاده فهذا من الظالمين . أو قال من الهالكين . انتهى .

* * *

فإن كنت ممن يكتسب بصنعة أو حرفة فعليك بالنصح فيها للمسلمين ، وبالإحسان والإتقان لصنعتك وحرفتك حسب الإمكان ؛ وفي الحديث : « إن الله يحب المؤمن المحترف » . وإياك والكذب والغشَّ ، وكثرة الإخلاف بالوعد ، ومن غدٍ ، بعد غدٍ . واحذر كل الحذر من التساهل في ترك إتقان الحرفة في معاملة من لا يعرفها كما ينبغي ؛ فتتساهل في حقه وتغرّه لقلة معرفته . وقد ورد : « وَيْلٌ للتاجر من لا والله ، وبلى والله ، وويل للمحترف من غدٍ بعد غدٍ » .

آداب التاجر

وإن كنت ممن يكتسب بالتجارة والبيع والشراء فعليك في جميع معاملاتك باجتناب المعاملات الفاسدة ، والبيوع المحرَّمة والمكروهة . وتعلَّم ذلك وتفقَّه فيه . لا بدَّ لك من ذلك ، ولا رخصة لك في تركه . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا يبع في سوقنا ولا يشتر من لم يتفقه ، فإن من لم يتفقه أكل الربا وهو لا يعلم . إنتهى بمعناه . والحال كما ذكر رضي الله عنه .

وعليك في تجارتك بملازمة الإحسان والعدل ، وسلوك سبيل المسامحة والفضل ، وترك المشاحة والاستقصاء ؛ فإن ذلك أكثر للبركة وأنمى للتجارة . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « رحم الله عبداً : سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا اقتضى » . وقال عليه الصلاة والسلام : « أفضل المؤمنين : رجل سمحاً إذا باعَ ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا اقتضى ، سمحاً إذا قضى » .

ولا تبع ولا تشتر شيئاً إلا بإيجاب وقبول صحيحين ، فإن المعاطاة بدون لفظ لا تكفي في انعقاد البيع ، وقد أجازها بعضهم في المحقرات ، ومال إليه حجة الإسلام في « الإحياء » وأطال الكلام في المعاطاة هنالك . وعلى كل حال فالبيع والشراء بالإيجاب والقبول في كل شيء أحسن وأحوط .

* * *

وعليك باجتناب الكذب رأساً ، وقول : أخذته بكذا وأعطيت عليه كذا ، ولا أبيع إلاّ بكذا ، وأنت في قولك غير صادق فتخسر من حيث ترجو الفائدة ، ولا تحلف بالله على البيع والشراء ، ولا تتعوّد ذلك ؛ فإن الدنيا بأسرها أصغر وأحقر من أن يُحلف بالله عليها مع الصدق ، فكيف مع الكذب !

ولا حاجة إلى الأيمان . وفي الحديث : « إن الله يبغض البياع الحلاّف » .

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : « اليمين منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة والكسب » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « التجار يحشرون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى وبرّ وصدق » .

* * *

واحذر كل الحذر من الغش والخداع والتلبيس ، وكتمان عيوب المبيع ؛ فإن ذلك محرم شديد التحريم ، وقد يفسد به البيع من أصله ، وقد مرَّ ﷺ على رجل يبيع طعاماً فأدخل يده فيه فمسّت أصابعه بللاً فقال : « يا صاحب الطعام ما هذا ؟ فقال : أصابته السماء ، يعني المطر » ، فقال عليه الصلاة و السلام : « هلاّ جعلته ظاهراً حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا » وفي رواية : أنه رأى داخل الطعام طعاماً رديئاً فقال

لصاحبه : « هلاَّ بعت هذا على حدته وهذا على حدته ! من غش المسلمين فليس منهم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كذبا وكتما مُحقت بركة بيعهما » . فلا يحل لأحد أن يبيع المعيب إلا ويُبيِّن ما فيه من العيب ، فإن لم يبين وكان من الحاضرين من يعلم ذلك وجب عليه أن يبين ، وقد ورد الحديث بذلك ، وهو من النصح الواجب . ومن الغش المحرَّم : خلطُ جيّد المتاع برديئه وبيعهما على حدة واحدة تلبيساً وخداعاً .

ومنه : إدخال الدرهم الزائف في الدراهم الجيدة ؛ وذلك مما لا يجوز . فإن أعطاه الزائف بنقصان وجده بين الدراهم مسامحة ، وكان يعرف من حالِهِ أنه سَيُرَوِّجهُ على مسلم آخر في بيع ثان لم يحلَّ ذلك . فلا خلاص من النقد الرديء الذي يخالف نقد البلد إلا بأن يرميه في بئر ونحوها ؛ كما كان يفعل ذلك بعض السلف الصالح . أو يذهب به إلى الصائغ ليخرج ما فيه من الفضة الخالصة ، فيكون نقداً صالحاً ، ويكون الغش الذي فيه من نحاس ونحوه نافعاً على قدره ، ومن لم تسمح نفسه بذلك فليحترز من أخذ الدراهم الزائفة التي لا تجوز المعاملة عليها ، وإذا وقع في يده الدرهم الزائف وكان يعرف صاحبه الذي عامله عليه فليرده على صاحبه إن لم تسمح نفسه بإتلافه ، ولا يروِّجه على مسلم آخر فيأثم بذلك .

* * *

وليتَّق التاجر ربه في كل شيء ولا سيما في المكيال والميزان ؛ فإن الخطر فيهما عظيم ، قال الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين : ٨٣/ ١ـ٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام للتجار : « إنكم وُلّيتم أمراً هلكت فيه الأمم السابقة : المكيال والميزان . . » الحديث ، فلا بد له من العدل ، وهو أن يأخذ ويعطي على حدّ سواء ، ويحترز ويحتاط ، وإن أرجح قليلاً إذا أعطى ، ونقص قليلاً إذا أخذ كان ذلك أفضل وأحوط ، كان بعض السلف الصالح يفعل ذلك ويقول : لا أشتري الويل من الله بحبة . يريد الويل المذكور في قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين : ٨٣/ ١] وأراد بالحبَّة هنا القدر اليسير من المال .

* * *

ومن الفضائل في حق المُتَّجِر : إقالة النادم ، والتيسير على المعسر ، والتجاوز عن الموسر ، وإقراض المستقرض ، وقضاء حاجة المحتاج .

قال عليه الصلاة والسلام : « من أقال نادماً بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة » . وفي الحديث الصحيح : « إن الله أُتي بعبد لم يعمل خيراً قط ، غير أنه كان يداين الناس ، وكان يأمر غلمانه بالتيسير على المعسر ، والتجاوز عن الموسر ويقول :

لعل الله يتجاوز عنا ؛ فقال الله له : نحن أولى بذلك منك ؛ فتجاوز عنه » .

وقال ﷺ : « كل قرض صدقةٌ » . وقال عليه الصلاة والسلام « رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة : الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر . . . » الحديث .

* * *

وليحذر كل الحذر : من البيع على بيع أخيه ، والشراء على شراء أخيه ؛ ومثال ذلك : أن يقول للبائع أو للمشتري في زمن الخيار : أنا أبيعُك غير هذا بأرخص منه ، أو أشتري منك هذا بأكثر مما اشتراه ؛ وذلك محرّم منهي عنه .

وكذلك النَّجْش : وهو أن يزيد في ثمن السلعة من غير رغبة فيها ليغُرّ غيره من المسلمين .

وليحذر أيضاً : من احتكار الطعام ؛ فإنه محرَّم شديد التحريم . وقد وردت فيه أخبار فيها تشديدات هائلة ، مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يحتكر إلا خاطىء » .

وقال ﷺ : « من احتكر طعاماً أربعين يوماً ثم تصدّق به لم يكن له كفارة » . وفي الحديث : « إن الحاكرين وقتلة النفوس يحشرون يوم القيامة معاً » .

ومعنى الاحتكار : أن يشتري الإنسان الطعام في أوقات الغلاء وشدة حاجة الناس إلى الأطعمة ، ثم يخبؤه ويحبسه ليبيعه بأغلى .

فإن أخذه في وقت الرخص على نية أن يدَّخره للغلاء ، أو كان من غلته زائدة على حاجته فادخره على تلك النية لم يخلُ في ذلك من كراهة شديدة ، وصار في خطر عظيم من محبته ورغبته في غلاء الأسعار ، ولَوْ سلم من ادِّخار الطعام لما سلم من محبة الغلاء الذي فيه أعظم المشقة على المسلمين . وقد كان السلف الصالح يكرهون البيع والشراء في الأطعمة لما في ذلك من التعرض لضرورة الإنسان ؛ بحيث يكره السعة والرخاء ، ويحب القحط والغلاء .

تحريم الربا

وأما المعاملة بالربا : فإثم عظيم ، وحُوبٌ كبير ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾

[البقرة : ٢/٢٧٨-٢٧٩] .

فمن ذا الذي يقوى على محاربة الله ورسوله ! نعوذ بالله تعالى من المقت والبلاء ، ودرك الشقاء ! وقد لعن رسول الله ﷺ : « آكل الربا ومؤكله وشاهده وكاتبه » .

وعدَّ عليه الصلاة والسلام أكل الربا في السبع الموبقات ، التي منها « الإشراك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الربا ثلاثة وسبعون باباً ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أربعة حقٌّ على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاقُّ لوالديه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبُرُّ بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مِثْلاً بمِثْل ، سواء بسواء ، يداً بيد . وإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » فقد بيّن عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث حكم الربا ؛ فليس لأحد بعد ذلك سبيل إلى الخلاف وترك الامتثال ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٥٩/ ٧] .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢٤/ ٦٣] .

فمن باع ذهباً بذهب ، أو فضة بفضة ، أو بُرّاً ببر ، أو ذرة بذرة ، أو تمراً بتمر ، لزم أن يكون ذلك مِثْلاً بمِثْل ، يداً بيد . فإن اختلف النوع كالبر بالذرة أو الذرة بالتمر ، جازت المفاضلة ووجب التقابض في الحال . وفي الباب فروع ومسائل كثيرة محلها كتب الفقه ؛ وهذا جملة القول في ذلك .

فاحذروا معاشر الإخوان ـ رحمكم الله ـ من الربا غاية الحذر ، واحترزوا منه غاية الاحتراز ، فإنه الله تعالى حرمه وحظره على عباده ، وجعله خبيثاً ممحوقاً لا خير فيه ولا بركة ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٧٦] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[آل عمران : ٣/ ١٣٠ـ١٣٢] .

فتأملوا وانظروا ، واتقوا الله واحذروا .

* * *

واعلموا أن في بيع النسيئة بسعر ينقص عن السعر الحاضر سَعةً عن الربا ، وهو جائز مباح ؛ فليأخذ به الراغب في أرباح الدنيا .

* * *

وإياكم وما يتعاطاه بعض الجهال الأغبياء المغرورين الحمقى من استحلالهم الربا في زعمهم بحيل أو مخادعات ، ومناذرات يتعاطَوْنها بينهم ، ويتوهمون أنهم يسلمون بها من إثم الربا ، ويتخلصون بسببها من عاره في الدنيا وناره في العقبى ؛ وهيهات هيهات ! إن الحيلة في الربا من الربا ، وإن

النذر شيء يتبرر به العبد ويتبرع ويتقرب به إلى ربه ، لا يصح النذر إلا كذلك . وقرائن أحوال هؤلاء تدل على خلاف ذلك ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لانذر إلا فيما ابتُغِي به وجه الله » . وبتقدير أن هذه المناذرات على قول بعض علماء الظاهر تؤثر شيئاً فهو بالنسبة إلى أحكام الدنيا وظواهرها لا غير ، فأما بالنسبة إلى أحكام الباطن وأمور الآخرة فلا .

ومن تأمل كلام علماء الدين أرباب البصائر وجدهم مجمعين على ذلك ، وقد قال حجة الإسلام فيمن يحتال في إسقاط الزكاة بأن ينذر ماله لغيره في آخر الحول ؛ وذكر صوراً تشبه هذا ، ثم قال : وهذا كله من الفقه الضارّ ، ومن قال بجوازه فيعني بذلك قطع المطالبة بالنسبة إلى أحكام الدنيا ، أما إذا رجع الأمر إلى أحكم الحاكمين وجبار الجبابرة فليس يغني ذلك شيئاً . انتهى كلامه بمعناه .

وقد حلَّت ببني إسرائيل أنواع العقوبات من الله ؛ لمّا أخذوا بأمثال هذه الحيل والمخادعات ، كما يعرف ذلك من عنده علم بسِير الأولين . ولولا خشية الإطالة لأوردنا من ذلك طرفاً ، وخير الكلام ما قلّ ودلَّ ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ [المائدة : ٥/ ٤١] .

* * *

ومن الربا أكل أموال الناس بالباطل ، وجهاتُ أكل أموال الناس بالباطل كثيرة ، وقد نهى الله عن جميع ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النساء : ٤/٢٩] .

فمن جهات أكل أموال الناس بالباطل : جميعُ ما يأخذه السلاطين الظلمة وأعوانهم من أموال المسلمين من الجبايات والمكوس والعشور وغير ذلك ، وذلك محرم شديد التحريم .

والمأخوذُ من الحرام السحت الذي لاشبهة فيه . والمكاس والعشّار من المتعرضين لسخط الله ومقته ، وقد ورد في ذمِّهم وشدة عقاب الله لهم الأخبار الكثيرة ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » . قال يزيد بن هارون ـ رحمه الله ـ : يعني العشار . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن صاحب المكس في النار » .

ومن أكلِ أموال الناس بالباطل : ما يؤخذ ظُلماً بالغصب والنهب ، والسرقة والخيانة في الأمانات ، وما يقتطعه الإنسان من أموالهم بالأيمان الفاجرة وشهادات الزور ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « من ظَلَم قِيد شبر من الأرض طُوِّقَه من سبع أرضين » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه » قال ذلك لشدة ما حرَّم الله من مال المسلم على المسلم .

وقال عليه الصلاة والسلام في السرقة : « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده » .

وقال عليه الصلاة والسلام في الخيانة : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا إيمان لمن لا أمانة له » . وقال ﷺ : « لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة ولا زكاة له . . » الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاث متعلقات بالعرش : الرحم تقول : اللهم إني بك فلا أقطع ، والأمانة تقول : اللهم إني بك فلا أخان ، والنعمة تقول : اللهم إني بك فلا أكفر » .

* * *

وأما اقتطاع أموال المسلمين بالأيمان الفاجرة وشهادة الزور فذلك من الكبائر ، وفيه من الوعيد الشديد الهائل ما لايخفى ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « من اقتطع مال أخيه المسلم بيمين فاجرة فليتبوأ مقعده من النار » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقه لقي الله تعالى وهو عليه غضبان » .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ثم قرأ رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣/ ٧٧] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس » .

قال الحافظ المنذري رحمه الله : سُمِّيت اليمين الغموس غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم في الدنيا ، وتغمسه في النار في الآخرة . انتهى . واليمين الغموس : هي التي يقتطع بها الإنسان شيئاً من مال أخيه المسلم وإن كان ذلك شيئاً يسيراً ؛ حتى قال عليه الصلاة والسلام : « ولو قضيباً من أراك » .

* * *

وأما الاقتطاع من أموال الناس بشهادة الزور فأن يشهد به له غيره بشهادة باطلة وهو يعلم ذلك ويريده فيأثم المشهود له والشاهد ؛ فيكون الشاهد على مثل ذلك ممن باع آخرته بدنيا

غيره . وشهادة الزور من أكبر الكبائر ، كما في الحديث الصحيح . وقال عليه الصلاة والسلام : « عدلت شهادة الزور الإشراك بالله » قالها ثلاث مرات .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار » .

* * *

ومن أكل أموال الناس بالباطل : ما يأخذه الحكّام والعمّال من الرُّشا والهدايا . ورشوات الحكام وهدايا العمال من السحت الحرام ، وقد لعن عليه الصلاة والسلام « الراشي والمرتشي والرائش وهو الساعي بينهما » وقال عليه الصلاة والسلام : « هدايا العمال غُلول » والعمال هم الذين يستعملهم السلطان على الأمور .

* * *

ومما يتأكد الاحتراز عنه ، ويتعين على كل مؤمن أن يصون نفسه منه : مسألة الناس ، إلا عند الضرورة أو الحاجة الشديدة التي لا بد منها ، ولا غنى عنها ، قال رسول الله ﷺ : « لا تحل المسألة لغنيّ ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيّ » والمرة : هي القوة . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس على وجهه مُزعة لحم » وقال عليه الصلاة

والسلام : « مسألة الغَنِيِّ نار ، إن أُعطيَ قليلاً فقليل ، وأن أعطى كثيراً فكثير » . وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغِنىٰ الذي لا تحل معه المسألة فقال : « قدر غدائه وعَشائه » وقال عليه الصلاة والسلام : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطَوْه أو منعوه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « استغنُوا عن الناس ولو بشَوْص السواك »[١] .

تحريم الخمر

وقد رأينا أن نذكر ها هنا شيئاً مما ورد في تحريم الخمر وذمِّها . وهذا الموضع من الكتاب من أنسب المواضع لذكر ذلك ؛ لأنه في تتمة الكلام على الورع عن المحرمات من المأكولات والمشروبات وغيرها .

والخمر من الأشربة التي حرّمها الله وحظرها ، ونهى عنها في كتابه المبين وعلى لسان رسوله الأمين ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٥/ ٩٠ـ٩١] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » فناهيك بهذا حرمة ومذمة

---

(١) أي بغسالته وقيل : بما يتفتت منه عند التسوك .

لشيء إذا تعاطاه الإنسان فارقه الإيمان ؟! .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه » زاد في رواية « وآكل ثمنها » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر . . . » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « مُدمِن الخمر إن مات لقي الله تعالى كعابد وثن » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصدّق بالسحر » . وقال عليه الصلاة والسلام « اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر » . وقال عليه الصلاة والسلام : « الخمر جِمَاع الإثم ، والنساء حبائل الشيطان ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة » . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما حُرّمت الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض وقالوا : حرمت الخمر وجُعلت عِدْلاً للشرك ؛ أي في الإثم . وقال عليه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر خرج نور الإيمان من جوفه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر سقاه الله من حميم جهنم » . وقال عليه الصلاة والسلام : « كل مسكر حرام ، وإن على الله عهداً لمن شرب الخمر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا : يارسول الله ، وما طينة الخبال ؟ قال : عَرَق أهل النار أو عصارة أهل النار » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا شربوا الخمر فاجلدوهم ، ثم إن شربوا فاجلدوهم ، ثم إن شربوا فاجلدوهم ، ثم إن شربوا فاقتلوهم » .

قال الحافظ المنذري رحمه الله تعالى : قتل شارب الخمر قد جاء في غير ما وجه صحيح وهو منسوخ . والله أعلم . انتهى .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الخمر أم الخبائث » وقال عليه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً » .

والوارد في تحريم الخمر وذمها والتحذير منها كثير شهير ، وفيما ذكرناه كفاية لمن وفقه الله فاحذروا عباد الله ـ رحمكم الله ـ من هذا الشراب الخبيث ، الذي حرمه الله ، وجعل السخط والمقت والخزي حظَّ شاربه في الدنيا والآخرة . ومن ابتلي بشربها فليتب منها من قبل أن تحلّ به العقوبة ، أو يموت فيصير إلى النار وسخط الجبّار . نسأل الله لنا ولكم العافية والسلامة من جميع البليات .

حفظ القلب والجوارح

واعلموا معاشر الإخوان ـ جعلنا الله وإياكم ممن صلحت سريرته وعلانيته ، واستقام باطنه وظاهره على اعتقاد الحق والعمل به ـ : أن من أهم المهمات على كل مؤمن مراقبة قلبه وجوارحه ومراعاتهما ، وبذل الجهد في حفظهما وكفهما عن

مساخط الله ومكارهه ، واستعمالهما بمحاب الله ومراضيه ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ١٧/ ٣٦] .

والقلب والجوارح من أعظم نعم الله على عباده ؛ فمن استعملها بطاعته وزيّنها بمحابّه ، وصرف كلاً منها فيما خلق له فقد شكر النعمة ، وحفظ الحرمة ، وأحسن الخدمة ، وله عند الله جزاء الشاكرين وثواب المحسنين ؛ إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً . ومن أرسل قلبه وجوارحه في مخالفة الأمر ، وأهملها وأضاعها ، ولم يحفظها ، فقد كفر نعمة الله فيها ، واستوجب الذم والعقوبة من الله بسببها ، وستشهد عليه بين يدي الله بما عمل بها من معاصي الله ، كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور : ٢٤/ ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يسٓ : ٣٦/ ٦٥] .

وأما القلب : فهو رئيس الجوارح وأميرها ، وعليه يدور صلاحها وفسادها ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألاَ وهي القلب » .

وأما الجوارح : فنعني بها الأعضاء السبعة : العين ، والأذن ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل .

* * *

فأما العين : فهي نعمة عظيمة من الله على عبده ، وقد خلقها له لينظر بها في عجائب مصنوعاته في أرضه وسمٰواته ، فيزداد بذلك معرفة ويقينا بربه ، وطاعة وخدمة له . وليهتدي بها في الظلمات ، ويستعين بها على الحاجات ، فإن استعملها فيما خلقت له كان من المطيعين الشاكرين . وإن أطلقها وأرسلها فيما حرّم الله عليه من النظر إلى النساء الأجانب والصور الجميلة بباعث الشهوة ، فقد عصى وتعرض للعقاب والبلاء . فليحذر المؤمن من ذلك كل الحذر ، ومن النظر إلى أحد من المسلمين بعين الاستصغار والاحتقار والاستخفاف ، ومن التطلع إلى عورات المسلمين وعيوبهم .

وكذلك ينبغي له أن لايكثر النظر إلى شهوات الدنيا ومباحاتها التي تدعو النفس إلى الرغبة فيها ، فإن ذلك ربما فرّق القلب ، وأقبل به على عمارة الدنيا وجمع حُطامها ، والإعراض عن الآخرة وترك الاستعداد لها ؛ فحفظ النظر عن ذلك مهمٌّ ومتأكد ، لاسيّما على المتوجهين المقبلين على الله والدار الآخرة .

وأما النظر إلى المحرمات : من النساء الأجنبيات ، والصور المشتهيات التي لا تحل ، فذلك محرم شديد التحريم . قال الله تعالى : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور : ٢٤/ ٣٠] .

وروي عن النَّبي ﷺ أنه قال « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، من تركها مخافة من الله أعطاه الله عبادة يجد حلاوتها في قلبه » . وقال عيسى عليه السلام : « النظرة تزرع في القلب شهوة ، وكفى بها لصاحبها فتنة » .

* * *

وأما الأذن فهي من أعظم النعم أيضاً ، وقد خلقت للعبد ليستمع بها كلام ربه وسنة نبيه ، وكلام العلماء والحكماء من صالحي عباد الله ، فيستفيد بذلك سلوك سبيل مرضاة الله ، وينتفع بها في معاشه الذي يستعين به على معاده ـ أعني الأذن ـ فإن أصغى بها إلى استماع ما حرم الله عليه : من كذب ، وغيبة ، وكلام قبيح فقد كفر النعمة ولم يشكرها ؛ لأنه قد استعملها في غير ما خلقت له .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : ولا تظننَّ أن الإثم يختص به القائل دون المستمع ، فإن المستمع شريك القائل ، وهو أحد المغتابين . انتهى .

فالمستمع إلى الخير شريك في ثوابه ، والمستمع إلى الشر شريك في إثمه . والله أعلم .

* * *

وأما اللسان : فهو من أعظم نعم الله على عبده ، وفيه خير كبير ، ونفع كثير لمن حفظه واستعمله فيما خلق له . وفيه شر كثير ، وضرر عظيم لمن أضاعه واستعمله في غير ما خلق له . وقد خلقه الله تعالى للعبد ليكثر به من ذكره وتلاوة كتابه ، ولينصح به عباده ويدعوهم به إلى طاعته ، ويعرفهم ما يجب عليهم من عظيم حقه ، وليظهر به ما في ضميره من حاجات دينه ودنياه . فإن استعمله بذلك كان من الشاكرين ، وإن شغله واستعمله بخلاف ما خلق له كان من الظالمين المعتدين .

ثم إن أمر اللسان مهم جداً ، وهو أغلب أعضاء العبد عليه ، وأقواها في سياقته إلى الهلاك إن لم يضبطه ويكفه عما حرم الله عليه .

وفي الحديث : « وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » . وقال عليه الصلاة والسلام : « رحم الله امرأ قال خيراً فغنم ، أو سكت عن شر فسلم » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من صمت نجا » وقال عليه الصلاة والسلام : « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ذكر الله أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر » . وقال عليه الصلاة والسلام « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من

سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها في النار سخطه إلى يوم يلقاه » .

وفي الحديث الآخر : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالاً فيهوي بها في النار أبعد من الثُّريا » .

فخطر اللسان عظيم ، وأمرُه مخوف ، ولا ينجّي منه إلا الصمت وترك النطق إلا عند الحاجة بقدرها ، ويكون له في تلاوة كتاب الله وفي الإكثار من ذكر الله شغلٌ شاغل عن الخوض في الباطل ، وفيما لا يعنيه من الكلام .

آفات اللسان

ومن أعظم آفات اللسان : الكذبُ ، وهو الإخبار بغير الواقع ، سواء أثبَتَ به منفيّاً كأن يقول : وقع كذا لما لم يقع : أو نفى به ثابتاً كأن يقول : لم يقع كذا لما قد وقع . وإثم الكذب عظيم ، وهو مناقض للإيمان ، وصاحبه متعرِّض بسببه للعنة الرحمن ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾

[النحل : ١٦/ ١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾

[آل عمران : ٣/ ٦١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من أراد أن يلعن نفسه فليكذب » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال العبد يكذب

ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » . وسُئل عليه الصلاة والسلام : أيكذب المؤمن ؟ فقال : « لا ، إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله . . » الحديث .

* * *

ومن أعظم آفات اللسان : الغِيبةُ ، وهي ذكرك أخاك المسلم في غَيْبته بما يكرهه لو سمعه ، وسواء ذكرته بنقص في دينه أو بدنه أو أهله أو ولده ، حتى في مشيته وثوبه وسائر ما يتعلق به ، وسواء في ذلك النطق باللسان والكتابة والإشارة باليد . كذلك قال العلماء رحمهم الله ، مثل الإمام الغزالي والإمام النووي وغيرهما .

والغِيبة محرّمة شديدة التحريم ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٤٩/ ١٢] .

فشبه الله تعالى المغتاب الظالم بآكل لحم أخيه المسلم ميتاً : وناهيك بذلك ذمّاً وزجراً عن الغيبة ! وقد قال رسول الله ﷺ : « كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الربا اثنان وسبعون باباً ، أدناها مثل أن ينكح الرجل أمّه . وإن أَرْبَى الربا استطالةُ الرجل

في عِرض أخيه المسلم » . وقالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا ! قال بعض الرواة : تعني أنها قصيرة .

فقال عليه الصلاة والسلام : « لقد قلتِ كلمة لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزجته » أي لو خلطت بماء البحر لغيرته وأنتنته من فحشها وقبحها .

وقالت امرأة : ما أطولَ ذيل فلانة ! فقال عليه الصلاة والسلام : « الْفِظِي الْفِظِي » فأخرجت من فمها قطعة لحم ؛ فصارت بهذه الكلمة الواحدة القريبة آكلة من لحمها . فانظروا عباد الله ما أفحش الغيبة وأقبحها ! وما أهون الوقوع فيها على الناس إلا من رحم الله ، وقليل ما هم ! .

واعلم : أن من الواجب عليك إذا رأيت من أخيك المسلم عيباً أو نقصاً يمكنك إزالته : أن تذكر له ذلك في الخلوة على سبيل النصيحة ، فإن عجزت عن ذلك ، أو لم توفق له فذلك نقص فيك ، فلا تجمع إليه نقصاً آخر أقبح منه ، وهو أن تهتك ستره وتذكر عيوبه للناس في غَيْبته ؛ فتجمع على نفسك مصيبتين ، وتجر إليها بليتين .

* * *

ومن **آفات اللسان** : النميمة ، وهي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض ، يقصد بذلك الإفساد والفتنة بينهم .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم : ٦٨/ ١٠ـ١١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة قتّات » وهو النمام . وقال عليه الصلاة والسلام : « شرار عباد الله المشّاءون بالنميمة ، المفرِّقون بين الأحبة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن النميمة والحقد في النار ، لا يجتمعان في قلب مسلم » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ليس مني ذو حقد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه » ثم تلا : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب : ٣٣/ ٥٨] .

وقال بعض السلف الصالح رحمهم الله : لا يكون النمام إلاَّ ولد زِنا .

ومن أقبح أنواع النميمة وأفحشها : ما كان منها إلى السلاطين والولاة ونحوهم ، وتسمّى السعاية ؛ يقصد بها صاحبها إغراء الوالي بإيذاء من سعى به إليه ، وأخذ ماله ، وجلب الشرِّ له . وإثمها عظيم ، مضاعف على إثم النميمة التي تكون بين عامة الناس .

ومن آفات اللسان : شتم المسلم وسبه في الوجه ؛ قال ﷺ : « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر » وقال عليه الصلاة والسلام : « المتسابّان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان » :

وقال عليه الصلاة والسلام : « من الكبائر السَّبّتان بالسَّبَّة » .

ومن آفات اللسان : السخرية بالمسلم ، والاستهزاء به ، والضحك عليه استخفافاً واحتقاراً له ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

[الحجرات : ٤٩/ ١١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » .

ومن آفات اللسان : اليمين الفاجرة ، وشهادةُ الزور ، واللعنُ ، وقولُك للمسلم يا كافر ، والقطع بالشهادة على أحد من أهل القبلة بكفر أو بدعة أو فسق من دون أن يتحقق ذلك يقيناً ، والدعاء على المسلمين بالشر ، والوعدُ الكاذب ، وكلامُ ذي الوجهين ، وسائرُ الكلام القبيح ، والقول الفاحش الذي يُستحيا منه ، والمِراءُ والجدالُ ، ومنازعة الناس في الكلام ، وكثرةُ الخصومة ، والخوضُ فيما لا يعني .

وقد وردت في ذم جميع ذلك الآياتُ والأخبار الكثيرة الشهيرة.

فعلى المؤمن الناظر لنفسه ، الشفيق على دينه ، أن يكون كما قال عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت » .

وآفاتُ اللسان كثيرة ؛ وقد عدَّ الإمام حجة الإسلام منها عشرين آفة في كتاب آفات اللسان من « الإحياء » ، وأشبع الكلام في ذلك على ما يليق بجلالة قدره ، وسعة علمه . فرضي الله عنه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً .

* * *

وأما البطن : فحفظه وضبطه من أهم المهمات ، وذلك بكفِّه عن الحرام والشبهات ، ثم عن فضول الشهوات ، وعن الشبع من الحلال .

فأما الحرام والشبهات فقد تقدم الكلام عليهما في باب الورع .

وأما التوسع في الشهوات والإكثارُ من الشبع فذلك مكروه ، وفيه آفات كثيرة ومضرَّات عديدة ؛ ومنها : قسوةُ القلب ، وكسلُ الأعضاء عن الطاعة ، وقلةُ نشاطها للعبادة ، وقلةُ الفهم للعلم والحكمة ، وقلةُ الرحمة والشفقة على ضعفة المسلمين وأهل الحاجة منهم .

ويخشى من ذلك ـ أعني : الاتساع في أكل الشهوات وكثرة الشبع ـ الوقوعُ في اقتحام الشبهات بل والمحرمات .

قال حجة الإسلام رحمه الله تعالى : الشبع من الحلال أصل كل شر ؛ فكيف من الحرام ؟! انتهى .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « ما ملأ ابن آدم وعاءً شرّاً من بطنه ، حسْب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ؛ فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسه » .

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « شرار أمتي الذين غُذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم ، وإنما همة أحدهم ألوانُ الطعام وألوان الثياب ، ويتشدقون في الكلام » . وقال عليه الصلاة والسلام : « أطول الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة » . وقال علي كرم الله وجهه : من كان همته ما يدخل بطنه كان قيمته ما يخرج منها .

فعلى المؤمن أن يكف نفسه عن الشهوات عفةً وقناعةً ، وزهادةً في الدنيا ، وإذا أكل فليقتصر على ما دون الشبع ، وليأكل ما وجد من الحلال من غير قصد لما كان ألذّ وأوفق للطبع ، وإن تحرَّى الأخشن الأدنى كان أقرب للتقوى ، وأقلَّ للكلفة ، وأبعدَ عن الشهوات ، وأشبه بِهَدْي السلف الصالح .

وقد كان أكثر طعام رسول الله ﷺ من الشعير ، وكان يُعجَن ويخبز له من غير أن يُنخَل فإن المناخل حادثة ، وكان يمكث هو وأهله عليه الصلاة والسلام الأشهر على التمر والماء ، لا توقدَ لهم نار لطعام ولا لغيره .

وعلى المؤمن إذا أكل أن يأكل بالأدب ، واتباع السنة في ذلك ؛ من التسمية عند الابتداء ، والحمد لله في الآخر ،

ويأكل بنية الاستعانة على طاعة الله ، والتقوّي على عبادته ، إلى غير ذلك من الآداب التي وردت بها الأخبار .

حفظ الفرج

وأما الفَرْج : فحفظه مُهِمٌّ ، وأمره مخطر ، وقد أثنى الله في كتابه على المؤمنين من عباده فقال في أثناء وصفهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾

[المؤمنون : ٢٣/ ٥-٧] .

وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يُدْخِل الناس النار فقال : « الأجوفان ؛ الفمُ والفرْجُ » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من وقاه الله شر ما بين لحييه ورجليه دخل الجنة » .

فعليك أيها المؤمن بحفظ فرجك ، واستعن على ذلك بحفظ قلبك عن التفكر فيما لا يحل لك ، وبحفظ بصرك عن النظر إلى ما لا يجوز لك النظر إليه ، وفي الحديث : « العين تزني ، والنفس تتمنّى ، والفرج يصدّق ذلك أو يكذّبه » .

* * *

وتَباعدْ كل البعد ، واحذر كل الحذر من الزنا ومن اللِّواط ، فإنهما من الفواحش المهلكة والكبائر الموبقة ، وقد حرمهما الله تحريماً شديداً ، ونهى عنهما نهياً أكيداً فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٧/ ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ

ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان : ٢٥/٦٨-٧٠] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » . وقال عليه الصلاة والسلام : « المقيم على الزنا كعابد وثن » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الزناة يأتون تشتعل فروجهم ناراً » . أي : يأتون يوم القيامة . وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم ؛ شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الزنا يجلب الفقر » .

وورد : « أنه يأتي على أهل الموقف ريح منتنة تؤذي كل برّ وفاجر غاية الأذى . فيقال لهم : هذه رائحة فروج الزناة » . وفي الحديث الصحيح : أنه ﷺ رأى الزناة والزواني في مثل التنور ، يأتيهم لهب النار من أسفله فيصيحون ويرتفعون ، وذلك من أنواع تعذيب الله إياهم في البرزخ ، وقال الله تعالى في ذكر إهلاك قوم لوط ، حين عملوا بالفاحشة وأصروا عليها : ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود : ١١/٨٢-٨٣] .

قيل في بعض التفاسير : وما هي ببعيد من الظالمين الذين يعملون بعملهم .

وبلغنا أن رجلين كانا يعملان هذه الفاحشة الخبيثة في بيت ، ومن فوق سقفه حجر من الحجارة التي أرسلت على قوم لوط ؛ فخرق الحجر السقف ووقع عليهما فأهلكهما ، فبلغ ذلك بعض السلف فقال صدق الله ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود : ١١/ ٨٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أخوف ما أخاف على أمتي : عمل قوم لوط » . وقال ﷺ : « لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سموات » ورَدَّد اللعنة على واحد منهم ثلاثاً ، ولعن كل واحد لعنة تكفيه قال : « ملعون من عَمِل عَمَل قوم لوط ، ملعون من عمل عمل قوم لوط ، ملعون من عمل عمل قوم لوط ، ملعون من ذبح لغير الله ، ملعون من أتى شيئاً من البهائم ، ملعون من عقّ والديه ، ملعون من جمع بين المرأة وأُختها ، ملعون من غَيَّر حدودَ الأرض ، ملعون من ادعى إلى غير مواليه » . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعة يصبحون في غضب الله ، ويمسون في سخط الله » قلت : من هم يارسول الله ؟ قال « المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذي يأتي البهيمة ، والذي يأتي الرجال » .

وما ورد في تحريم الزنا واللواط ، وفي عقوبة مرتكبهما كثير شهير ، وحسبك بهما قبحاً وتحريماً ونكالاً ؛ ما رتّب الله عليهما في الدنيا قبل الآخرة من الحد والعقوبة .

وبيان ذلك : أن الزاني والزانية مهما قامت عليهما البينة بالزنا فإن كانا بكرين جُلدا مائة جلدةٍ ، وغُرِّبا عن أوطانهما عاماً . وإن كانا محصَنَين رُجما بالحجارة حتى يموتا . وإن كان أحدهما محصَناً والآخر بكراً ، كان لكل واحد حكمه .

وأما اللواط : فحدّه كحدِّ الزنا على القول الصحيح ، وفي قول : يقتل الفاعل والمفعول به ، وقد ورد به الحديث . وفي بعض الأقوال : أنهما يُحْرَقان بالنار . نسأل الله العافية من كل بلية .

وأما إتيان البهيمة : فهو من العظائم ، وفاعله ملعون كما في الحديث المتقدم . وفي الحديث الآخر : « من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوها » .

وأما الاستمناء باليد : فهو قبيح مذموم ، وفيه آفات وبليات كثيرة ، وقد يبتلى به بعض الناس ، فليتق ويحذر ! وفي بعض الأحاديث : « لعن الله من نكح يده » . وقال ﷺ : « أهلك الله أمة كانوا يعبثون بفروجهم » .

اللهم يا عليم يا خبير ، طهر قلوبنا من النفاق ، وحصن فروجنا من الفواحش ، والطف بنا والمسلمين .

* * *

وأما اليدان : فعليك ببسطهما في الصدقات ، وإعانة المسلمين في الحاجات وفي كتابة العلم والحكمة ، وفي اكتساب الحلال بنية الاستعانة على الدين ، واحفظهما عن أن تضرب بهما مسلماً أو تؤذيه بغير حق ، أو تأخذ بهما ما لا يجوز لك أخذه من أموال المسلمين ؛ كالأخذ بالظلم والخيانة ، والمعاملات الفاسدة .

وأما الرِّجلان : فإياك أن تمشي بهما إلى حرام أو معصية ، أو إعانة على باطل ، أو إلى باب سلطان ظالم ، أو إلى لهو ولعب ، وما لا خير فيه ولا نفع ، ولا تمشِ بهما إلا إلى الخيرات والصالحات ؛ مثل طلب العلم النافع ، والسعي إلى المساجد لإقامة الصلوات في الجماعات ، والعمل بوظائف العبادات . ومثل زيارة الإخوان في الله ، وقضاء حوائج المسلمين ، وإقامة حقوقهم من عيادة المرضى وتشييع الجنائز ، ونحو ذلك من أعمال البر وأفعال الخير .

وبالجملة : فجوارحك من أعظم نعم الله عليك ، وقد خلقها لك لتستعين وتسعى بها إلى طاعته ؛ فإن استعملتها فيما خلقت له من الطاعات والموافقات فقد شكرت وصرت من المحسنين ، وإن استعملتها في غير ما خلقت له من المعاصي والمخالفات فقد كفرت نعمة ربك ، وخنته في أمانته التي ائتمنك عليها ؛ فإن الجوارح من الأمانات التي ائتمنك عليها ربك .

وقد انتهى الكلام في الجوارح السبع على وجه مختصر جامع .

حفظ القلب

وقصدنا الآن : أن نذكر شيئاً يسيراً فيما يتعلق بالقلب الذي هو سيد الجوارح وملك الأعضاء ، وهو معدن العقائد والأخلاق والنيات المذموم منها والمحمود ، ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا لمن طهَّره وزكاه عن القبائح والرذائل ، وزيّنه وحلاه بالمحاسن والفضائل . قال الله تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس : ٩١/٧ـ١٠] .

ثم إن الأخلاق المذمومة والخصال الممقوتة في القلب كثيرة ، وكذلك الأخلاق المحمودة والخصال المحبوبة التي ينبغي للمؤمن أن يحلّي بها قلبه كثيرة أيضاً .

وقد استوفى الكلام في ذلك كله الإمام حجة الإسلام في النصف الثاني من « الإحياء » في ذكر المهلكات والمنجيات ، وكلامه في هذه الفنون هو المعوَّل عليه والمرجع إليه ؛ لكماله في العلم والعبادة ، والزهد والمعرفة ، ولأنه جمع في ذلك كلام من تقدمه من السلف الصالح ومشايخ الطريق .

وقد اقتفى آثاره ، واقتبس من أنواره من جاء بعده من أَهل هذا الشأن من علماء المسلمين وصالحيهم ، من أهل سائر الآفاق والبلدان . كما يعرف ذلك ويعلمه تحقيقاً من له رسوخ في هذه العلوم ، وغَوْص واطلاع على أسرار طريق الله .

فإذا علمت ذلك وعرفته فاعلم أن الصفات المذمومة في القلب أمراضٌ له ، وقد تؤديه إلى الهلاك في الدنيا والآخرة ، فلا غنى للمؤمن عن علاج قلبه ، ولا بد له من السعي في تحصيل الصحة والسلامة له ، فإنه لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

وإذا عرفت أن صفات القلب المذمومة والمحمودة كثيرة ، والنظر فيها يطول ، وقصدنا الاختصار والإيجاز ، وقد أحَلْنا في طلب الاستقصاء في ذلك على ما شرحه حجة الإسلام في « الإحياء » ، ولكنا ننبه بكلام قريب على شيء من المهلكات التي يجب تزكية القلب عنها ، وعلى شيء من المنجيات التي يجب تحلية القلب بها ، ونقتصر من جملة ذلك على ما يعم وجوده ، ويغلب وقوعه ، وتشتد الحاجة إليه .

آفات القلب

فأول ذلك : أنه يجب على الإنسان أن يزكي قلبه ، ويطهره من رذيلة الشك في الله ورسوله والدار الآخرة ، فإن ذلك من أعظم أمراض القلوب المهلكة في الآخرة ، والتي تضر ضرراً عظيماً ؛ خصوصاً عند الموت ، وقد تؤدي والعياذ بالله إلى سوء الخاتمة ، وهذا الشك قد يبتلى به بعض الناس . فلا يجوز لمن وجد شيئاً من ذلك أن يضمره في نفسه ، ويطويه في قلبه ، فيلقى الله شاكّاً ، بل يجب عليه أن يجتهد في إزالة ذلك ، ويسعى في نفيه عنه بكل ما يمكنه .

وأنفعُ الأشياء في إزالته سؤال العلماء بالله تعالى وبدينه أهلِ

اليقين والخشية ، والزهد في الدنيا . فإن لم يصادف أحداً منهم فلينظر في كتبهم التي ألفوها في علوم التوحيد واليقين . ولست أعني بالشك ما يجده الإنسان من الخواطر والوساوس في أمور الإيمان بما يعلم بطلانه ، ويجد قلبه مصمّماً على خلافه ونفسه كارهة له ونافرة عنه ، فإن ذلك هو الوسوسة ، ويكفي الإنسان فيها أن يكرهها ويعرض عنها ويستعيذ بالله منها .

الكبر

ومن أعظم أمراض القلوب وصفاتها المهلكة : الكبر ، وهو من صفات الشياطين ؛ كما قال تعالى في إبليس اللعين : ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢/ ٣٤] .

والمتكبر بغيض إلى الله تعالى ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل : ١٦/ ٢٣] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان : ٣١/ ١٨] .

والخيلاء والفخر من أوصاف المتكبرين ، والمتكبر متعرّض لأن يطبع الله على قلبه ؛ كما قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر : ٤٠/ ٣٥] .

والمتكبر مصروف عن آيات الله ؛ كما قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٤٦] .

وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يحشر المتكبرون يوم القيامة مثل الذر في صورة الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « من تعاظم في نفسه ، واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان » . وقال عليه الصلاة والسلام : « بينما رجل ممن كان قبلكم يجرُّ إزاره خيلاء خسف الله به في الأرض ؛ فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » ، فقال رجل : يارسول الله ، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ـ يعني : رده ـ وغمط الناس » ؛ يعني : احتقارهم وازدراءهم .

فمن تعاظم في نفسه وأُعجب بها ، واحتقر الناس ، واستصغرهم فهو المتكبر الممقوت .

والكبر إنما يكون في القلب ، ولكن تكون له علامات في الظاهر تدل عليه ، فمنها : حبُّ التقدم على الناس ، وإظهار الترفُّع عليهم ، وحبُّ التصدر في المجالس ، والتبخترُ والاختيال في المِشْية ، والاستنكافُ من أن يُرَدَّ عليه كلامه وإن كان باطلاً ، والامتناع من قبول الحق ، والاستخفاف بضعفة المسلمين ومساكينهم .

ومنها : تزكيةُ النفس والثناء عليها ، والفخرُ بالآباء من أهل الدين والفضل ، والتبجحُ بالنسب ، وذلك مذموم ومستقبح

جداً ، وقد يبتلى به بعض أولاد الأخيار ممن لا بصيرة له ولا معرفة بحقائق الدين .

ومن افتخر على الناس بنسبه وبآبائه ذهبت بركتهم عنه ؛ لأنهم ما كانوا يفتخِرون ولا يتكبرون على الناس ، ولو فعلوا ذلك لبطل فضلهم ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من بَطَّأَ به عمله لم يسرع به نسبه » . وقال ﷺ : « يا فاطمة بنت محمد ، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنكم من الله شيئاً ، اشتروا أنفسكم من النار . . » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا فضل لأحمر على أسود ، ولا لعربي على عجمي إلا بتقوى الله ، أنتم من آدم وآدم من تراب » . وقال عليه الصلاة والسلام : « لينتهين أقوام عن الفخر بآبائهم أو ليكونُنَّ أهونَ على الله تعالى من الجِعلانِ » . فالفضل والكرم بالتقوى لا بالنسب ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ٤٩/١٣] .

ولو أن الإنسان كان من أتقى الناس وأعلمهم وأعبدهم ، ثم تكَّبر على الناس وافتخر عليهم لأحبط الله تقواه وأبطل عبادته ، فكيف بالجاهل المخلِّط الذي يتكبر على الناس بتقوى غيره وصلاح غيره من آبائه وأجداده ؟! فهل هذا إلا جهل عظيم وحمق فظيع ؟! وإن الخير كُلَّه في التواضع والخشوع والخضوع لله تعالى . قال عليه الصلاة والسلام : « مَن تواضع رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله » .

وإنَّ حُبَّ الخمول والاختفاء ، وكراهية الشهرة والظهور لَمِنْ أخلاق صالحي المؤمنين ، والرضا بالدُّون من المجلس ، ومن اللباس والطعام وسائر أمتعة الدنيا كذلك أيضاً . فاحرص أيها المؤمن على ذلك .

الرياء

ومن **أعظم المهلكات** ؛ الرياء : وقد سمَّاه رسول الله ﷺ بالشرك الأصغر ، والشرك الخفي .

ومعنى الرياء : طلب المنزلة والتعظيم عند الناس بعمل الآخرة ؛ كالذي يصلي ويصوم ، ويتصدق ويحج ، ويجاهد ويقرأ القرآن ، ليعظمه الناس لذلك ويكرموه أو يعطوه من أموالهم ، فذلك هوالمرائي ، وعمله مردود ، وسعيه خائب ، سواء فعل له الناس ما أمله منهم أو لم يفعلوه له . وقد قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١٨/ ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى : ٤٢/ ٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾

[الماعون : ١٠٧/ ٤ـ٧] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يقول الله تعالى : أنا أغنى

الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء ، ونصيبي لشريكي » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من صام يرائي فقد أشرك ، ومن صلى يرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يرائي فقد أشرك » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس الله وجهه ، ومحق ذكره ، وأثبت اسمه في النار » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ، وأساء الصلاة حيث يخلو ، فتلك استهانة استهان بها ربَّه تبارك وتعالى » .

فالرياء مهلك وخطره عظيم ، والاحتراز منه واجب مهم ؛ وأشدُّ أنواعه : أن يتجرّد باعث الرياء في العبادة ، بحيث يصير أولَ ما يقصده الناس ، ويصير حريصاً على اطّلاعهم ونظرهم إليه ، ولم يجد باعثاً على العمل غير ذلك أصلاً ، ودون ذلك : أن يقصد بعمله التقرّب إلى الله تعالى وطلب ثواب الآخرة ، مع مراءاة الناس وطلب المحمدة عندهم والمنزلة ، وهذا قبيح محبط للثواب ، والذي قبله أقبح وأحبط وأخطر ، ولا يخلو صاحبه من الإثم والعقاب .

فعلى المؤمن أن يجتهد في دفع الرياء عن نفسه ، وأن لا يكون له نية ولا قصد في جميع طاعاته وعباداته إلا التقرب إلى الله وطلب ثواب الآخرة ؛ فبذلك يخلص من الرياء ، ويسلم من شره وبليّته إن شاء الله تعالى .

ومهما خاف على نفسه الرياء فليُخْفِ أعماله ويفعلها في

السر ، حيث لا يطَّلع عليه الناس ، فذلك أحوط وأسلم ، وهو أفضل مطلقاً أعني العمل في السرِّ حتى لمن لم يَخَفْ على نفسه الرياء إلا للمخلص الكامل ، الذي يرجو إذا ظهر العمل أن يقتدي به الناس فيه . نعم ، ومن الأعمال ما لا يتمكن الإنسان من فعله إلا ظاهراً ؛ كتعلم العلم وتعليمه ، وكالصلاة في الجماعة والحج والجهاد ، ونحو ذلك . فمن خاف من الرياء حال فعله شيئاً من هذه الأعمال الظاهرة ، فليس ينبغي له أن يتركه ، بل عليه أن يفعله ، ويجتهد في دفع الرياء عن نفسه ، ويستعين بالله تعالى ، وهو نعم المولى ونعم المعين .

الحسد

ومن المهلكات : الحسدُ للمسلمين ، ومحبة الشر لأحد منهم ، وإضمارُ العداوة والغش والحقد لهم . وقلةُ الرحمة بهم والشفقة عليهم ، وسوءُ الظن بهم ، فكل ذلك من الصفات المهلكة .

أما الحسد : فحسبك به ذمّاً وقبحاً أن الله تعالى أمر رسول الله ﷺ بالاستعاذة من شر الحاسد ، كما أمره بالاستعاذة من شر الشيطان فقال تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق : ١١٣/٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إياكم والحسدَ ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يجتمع في جوف عبدٍ الإيمانُ والحسد » وهذا شديد فتأمله . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تحاسدوا ولا

تباغضوا ولا تدابروا . . . » الحديث . ومعنى الحسد : أن يجد الإنسان في صدره وقلبه ضيقاً وحرجاً ، وكراهيةً لنعمة أنعم الله بها على عبد من عباده في دينه أو دنياه ، حتى إنه ليحب زوالها عنه ، وربما تمنى ذلك وإن لم تصِر إليه . وذلك منتهى الخبث .

فمن وجد شيئاً في نفسه من هذا الحسد لأحد من المسلمين فعليه أن يكرهه ويخفيه في نفسه ، ولا يظهره بقول ولا فعل ؛ فلعله أن ينجو بذلك من شره .

وفي الحديث : « ثلاث لا يخلو منهن أحد : الحسد ، والظن ، والطيِّرة . أفلا أُنَبِّئُكم بالمخرج من ذلك : إذا حسدت فلا تَبْغِ ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا تطيَّرت فامض » . أي : لا ترجع بسبب الطيرة عن الأمر الذي تريده .

وإنْ عَمِلَ الحاسد على ضد ما يتقاضاه الحسد من الثناء على المحسود والسعي في إكرامه ومعاونته ، كان له في ذلك فضل ، وهذا من أنفع الأدوية في إزالة الحسد أو تضعيفه .

ولا بأس بالغبطة وهي أن تتمنى لنفسك مثل النعمة التي تراها على أخيك من فضل الله . ثم إن كان ذلك من النعم الدينية كالعلم والعبادة كان محموداً ، وإن كان من النعم الدنيوية كالمال والجاه المباح كان ذلك جائزاً مباحاً .

وأما حبّ الشر لأحد من المسلمين ، وإضمار الغش والعداوة والحقد : فحسبك زاجراً عنه قوله عليه الصلاة

والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من غش المسلمين فليس منهم » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن قدَرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل ، وذلك من سنتي » .

* * *

وأما قلة الرحمة بالمسلمين والشفقة عليهم : فذلك يدل على قساوة القلب ، وعلى الفظاظة والغلظة ، وكل ذلك مذموم وقبيح ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « ارحم من في الأرض يرحَمْك من في السماء ، ارحم تُرحم ، إنما يرحم الله من عباده الرحماء » . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تُنزع الرحمة إلا من شقي » . ومن لم يجد في قلبه رحمة وشفقة على جميع المسلمين ، لاسيّما على أهل المصائب والبلايا ، وأهل الضعف والمسكنة ؛ فذلك لقساوة قلبه ، وضعف إيمانه ، وبعده عن ربه .

وأما سوء الظن بالمسلمين : فمذموم قبيح ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : حسن الظن بالله ، وحسن الظن بعباد الله . وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : سوء الظن بالله ، وسوء الظن بعباد الله » . ومعنى سوء الظن بالمسلمين : أن تظن بهم السوء

في أقوالهم وأفعالهم التي ظاهرها الخير ، وتظن بهم خلاف ما يُظهرون من ذلك هذا غايته .

وأيضاً : أن تنزِّل أفعالهم وأقوالهم التي تحتمل الخير والشر على جانب الشر ، مع إمكان تنزيلها على جانب الخير ، فذلك من سوء الظن أيضاً ، ولكنه دون الأول . وحسن الظن بالمسلمين خلاف ذلك كله ، فما كان من أفعالهم وأقوالهم ظاهره الخير حملته على الخير أو ظننت فيهم الخير . وما كان من الأقوال والأفعال يحتمل الخير وغيره ، نزَّلته على الخير ، فاعمل على ذلك جهدك ، واستعن بالله تعالى . والله ولي التوفيق .

حب الدنيا

ومن المهلكات العظيمة : حبّ الدنيا وإرادتها ، وشدة الحرص عليها والرغبة فيها ، وحبّ الجاه والمال ، وكثرة الحرص عليهما ، والشحُّ والبخل ، فجميع هذه المذكورات من الصفات المهلكات ، والأخلاق المذمومات .

ومن أحب الدنيا وأرادها ، واشتد حرصه عليها ، وعظُمت رغبته فيها : فقد تعرض بذلك لخطر عظيم ، ووعيد من الله شديد . قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾

[هود : ١١/ ١٥ـ١٦] .

وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾

[الإسراء : ١٧/ ١٨ـ١٩] .

وقال تعالى مزهِّداً لعباده في الدنيا ومذكِّراً لهم بذَهابها وفنائها : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف : ١٨/ ٤٥] .

وقال تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٥٧/ ٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٧٩/ ٣٧ـ٣٩] .

وقال نبي الله عليه الصلاة والسلام : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » . وقال ﷺ : « الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذِكْرَ الله ، وعالماً أو متعلماً » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من أصبح وهمه الدنيا شتَّت الله عليه أمره ، وفرَّق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له » الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الزَّهادة في الدنيا تريح القلب والبدن ، والرغبة في الدنيا تكثر الهمَّ والحزن ، والبطالة تقسِّي القلب » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « نجا أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، وسيهلك آخرها بالحرص وطول الأمل » .

وما ورد من الآيات والأخبار والآثار ، في ذم الدنيا وذم المحبين لها ، والراغبين فيها ، وذم الحرص عليها خارجٌ عن الحصر .

وتصانيف العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ من السلف والخلف مشحونة بذلك .

ثم إن الدنيا عبارة عن كل ما علىٰ وجه الأرض من

المشتهيات واللذات ، وأصناف الأمتعة التي تشتهيها النفوس وتميل إليها ، وتحرص عليها . وقد جمع الله أصول ذلك كلّه في قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

[آل عمران : ٣/ ١٤] .

فمن أحبّ ذلك ورغب فيه ، واشتد حرصه عليه ، وليس له غرض في ذلك إلا مجرد التمتع والتلذذ والتنعم ، صار بذلك من جملة المحبين للدنيا والراغبين فيها ، فإن أفرط به ذلك وغلب عليه ، حتى لم يبال من أين أخذ الدنيا من حلال أم من حرام ، وحتى اشتغل بسبب حرصه على الدنيا وسعيه لها عما فرض الله تعالى عليه من طاعته ، ووقع بسببه فيما حرم الله عليه من معصيته ؛ فقد تحقق في حقه الوعيد الوارد في المحبين للدنيا ، والمريدين لها ، والراغبين فيها من غير شك . وصار أمره في نهاية الخطر إلا أن يتداركه الله بتوبة قبل مماته ، وقبل خروجه من هذه الدار .

* * *

حب الجاه والمال

وأما حبّ الجاه والمال ، وكثرة الحرص عليهما : فمذموم جداً ؛ قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص : ٢٨/ ٨٣] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٦٣/ ٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾

[التغابن : ٦٤/ ١٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حب المال والشرف في دين الرجل المسلم » . ومعنى ذلك : أن حب المال والجاه يفسدان دين صاحبهما أكثر مما يفسد الذئبان الجائعان إذا أرسلا في الغنم .

فمن اشتد حرصه على الجاه والمال ، وطلب المنزلة ، والتعظيم في قلوب الناس فقد تعرض بذلك لآفات كثيرة ؛ كالكبر والرياء ، والتزين والتصنُّع ، وترك التواضع للحق وأهله ، وكراهية الخمول ، إلى غير ذلك من البليَّات .

وفي الحديث : « إن الله يحب من عباده الأتقياء الأخفياء الأبرياء » وفيه « رُبَّ أشعثَ أغبرَ ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه » .

ومن اشتدَّ حرصه على المال فقد تعرض بذلك لأخطار عظيمة ، وبليّات جسيمة ، إن لم يحفظه الله ويتداركه برحمته .

والمذموم من حب الجاه والمال ومن الحرص عليهما :

شدة ذلك وإفراطُه ، حتى يطلبهما الإنسان ويتسبّب في حصولهما بكل وجه يمكنه من جائز وغير جائز ، ويصير بهما في شغل شاغل عن التفرغ لعبادة الله وذكره ؛ كما يقع ذلك كثيراً لبعض المفتونين الغافلين عن الله تعالى .

فأما مَنْ طلب ذلك بنية صالحة للاستعانة به على الآخرة ، وصيانة الدين والنفس عن تعدي الظالمين ، وعن الحاجة إلى الناس ، ولم يشتغل بسبب ذلك عن عبادة الله تعالى وذكره ، ولم تفارقه التقوى والخوف من الله ؛ فذلك مما لا بأس به ولا حرج فيه إن شاء الله تعالى . وعلى كل حال ، فقلة الحرص على الجاه والمال وتركُ الرغبة فيهما أسلم وأحوط ، وأقرب إلى التقوى ، وأشبه بهدي السلف الصالح .

* * *

الشح والبخل

وأما الشحُّ والبخل : فقبيحان مهلكان ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٥٩/٩]

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٨٠] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الشح ؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » . وقال عليه الصلاة والسلام : « البخيل

بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار » . الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « السخاء شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا ، فمن تعلق بغصن منها قاده إلى الجنة ، فلا يلج الجنة إلا سخِيٌّ . والبُخْل شجرة في النار وأغصانها في الدنيا ، فمن تعلق بغصن منها قاده إلى النار ، فلا يلج النار إلا بخيل » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ألا وإن كل جواد في الجنة ، حتمٌ على الله وأنا به كفيل . ألا وإن كل بخيل في النار ، حتمٌ على الله وأنا به كفيل » . وقال عليه الصلاة والسلام : « الجاهل السخيُّ أحبّ إلى الله من العالم البخيل ».

فقد علمت شدة ذم الشح والبخل وقبحهما .

والشح : هو البخل المفرط الشديد ، وهو كما قال بعض العلماء رحمهم الله : حرص الإنسان على أخذ ما في أيدي الناس .

وأما البخل : فهو بخل الإنسان بما في يده . وغايته : أن يبخل الإنسان بإخراج الحقوق الواجبة عليه في ماله كالزكاة وما في معناها . ومن كان كذلك فهو البخيل حقاً ، المتعرِّض للذم والوعيد الواردين في البخل .

وأما من بخل بالإنفاق في وجوه الخيرات ، وطرائق القرُبات مع التمكن من ذلك فحاله أهون من حال الذي قبله ،

ويسمى بخيلاً أيضاً ، لأنه قد آثر المال ورغب في إمساكه ، وبخل ببذله فيما هو أرفع له وأنفع عند ربه من الدرجات العلَى ، والخيرات الباقية في الدار الآخرة .

وما دام الإنسان يرجح إمساك المال على بذله في محابِّ الله ومراضيه فهو غير خال عن شيء من البخل . ولا يكون الإنسان جواداً سخياً حتى يكون بذل المال في محاب الله أرجحَ عنده وأحبَّ إليه من إمساكه . فاعلم ذلك واعمل عليه ، والله يتولى هداك .

* * *

الغرور

ومن المهلكات : الغرور ، ومعناه : أن يُلبِّس الإنسان على نفسه ، ويريها الأمور على خلاف ما هي عليه ، وذلك لضعف بصيرته في الدين ، وقلة معرفته بحقائقه ، ولجهله بآفات الأعمال ومكائد الشيطان ، ولغلبة هوى النفس عليه ، وركونه إلى أمانيها وخُدَعها ؛ وقد قال الله تعالى محذراً لعباده من الغرور : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [فاطر : ٣٥/ ٥] .

وقال تعالى في وصف بعض المغترين : ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ [الكهف : ١٨/ ١٠٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ

ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد : ٥٧/ ١٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانيّ » .

وأنواع الغرور كثيرة ، وأصناف المغترين من المطيعين ومن العاصين كثيرة . ومن أمثال الغرور في أهل الطاعات : أن يطلب الإنسان العلم ويسوّف العمل ، ثم يحتج لنفسه بما ورد في فضل العلم وفضل طلبه ، ويغفل عما ورد من الذم والوعيد الشديد في حق من لا يعمل بعلمه .

ومنها : أن يتعلَّم ويعلِّم للرياسة والطمع في الناس ، ويظن بنفسه أنه يتعلم ويعلِّم لله ، ولا يناقش نفسه ولا يختبرها بأحوال أهل الإخلاص .

ومنها : أن يكثر الصلاة والصيام وأفعال الخير ، ثم يعجب بنفسه ، وينظر إلى حوله وقوته ، وينسى منّة الله عليه في توفيقه وهدايته ؛ والعُجب محبط للأعمال ، أو يرائي بعبادته ويطلب بها المنزلة عند الناس ، ويظن بنفسه الإخلاص وإرادة التقرب إلى الله .

وقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه : حبذا نومُ الأكياس وفِطْرهم ! كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم ؛ ولَذرّةٌ من صاحب يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين .

ومن أمثال غرور العصاة : أن يعصي الإِنسان ثم يتوب ، ويستغفر بلسانه من غير معرفة بشرائط التوبة وتحقيقها ، ثم يظن بنفسه أنه قد تاب وقد غفر الله له .

ومنها : أن يكثر المعاصي ويصّر عليها ، ويقصِّر في الواجبات ، ثم يحتج لنفسه بالقَدَر ، وأنه لا اختيار له ولا قدرة على ترك ما قد كُتب عليه ؛ وهذا غرور عظيم ، والقائل به مبتدع وليس من أهل السنة .

ومنها : أماني المغفرة مع التقصير عن امتثال الأوامر واجتناب المحارم . وقول بعض العصاة والمقصِّرين : إن الله غنيٌّ عنا وعن أعمالنا ، وليس تضره الذنوب ولا تنفعه الطاعات . وهذا الكلام حق أريد به باطل ، وقد ألقاه الشيطان في قلب هذا المتمني ، وأجراه على لسانه ليقطعه به عن المغفرة ، وعن السعي لها الذي أمره الله به .

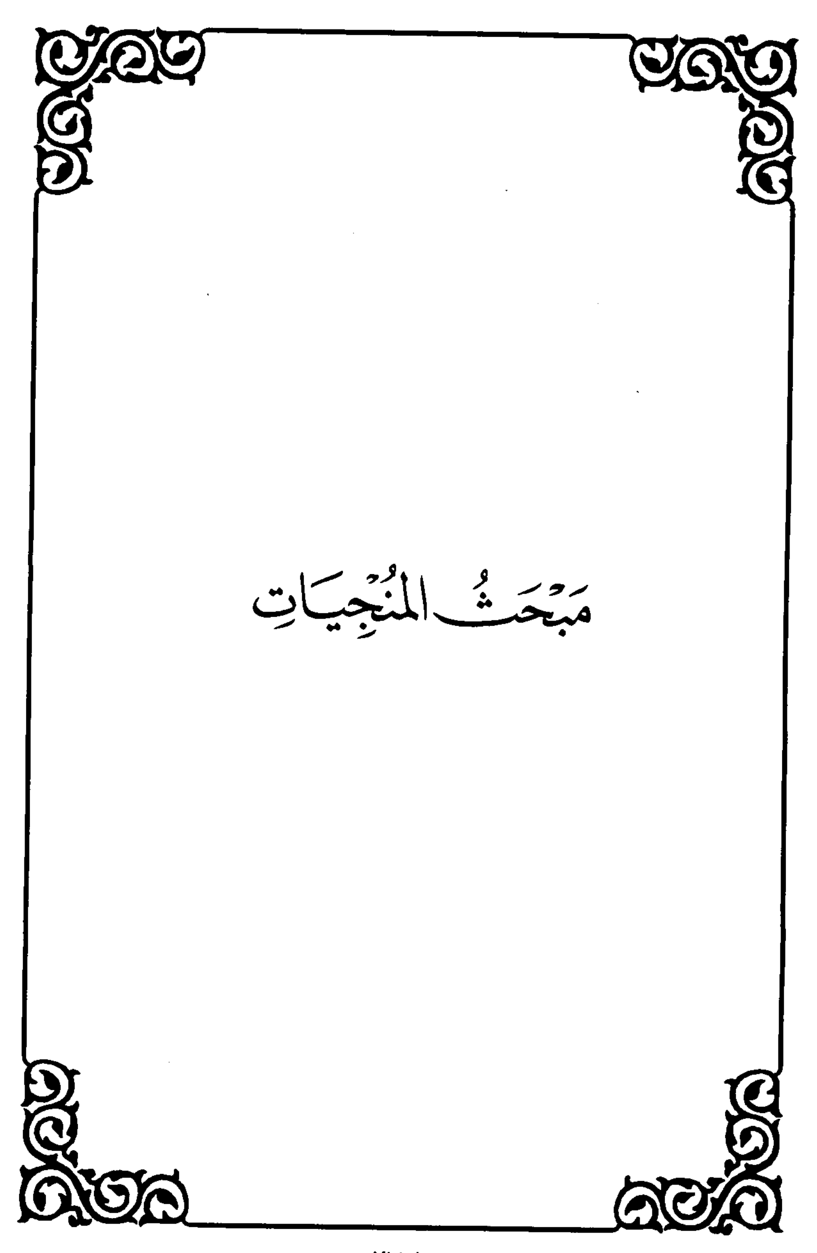
ومنها : اتّكال بعض العصاة والمخلِّطين على صلاح آبائهم وأجدادهم من أهل العلم والصلاح ، مع ترك الاقتداء بهم في أخلاقهم وأفعالهم وأقوالهم الصالحة . وذلك من الغرور المذموم ، والحمق الفاحش .

ومنها : اغترار بعض العصاة برؤية الصالحين وخدمتهم ، وحسن الظن بهم مع المجانبة والمباعدة لما هم عليه من الخير والصلاح ، والملازمة لطاعة الله .

وأنواعُ الغرور كثيرة كما تقدم ، ولا ينجّي منها إلا الرجوعُ

إلى الله ، والاتكالُ على محض فضله وكرمه ، مع الحزم والاحتياط والتشمير في طاعته ، والجد والاجتهاد في عبادته ، ومع اجتناب معصيته ، والشكرُ له على ذلك مع الاعتراف بغاية التقصير عن القيام بأقل شيء من واجب حقه ، ومع ملازمة الانكسار ، ونهاية الافتقار إليه ، مع دوام التضرع والدعاء ، ولزوم الاستغفار آناء الليل والنهار . وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

* * *



مَبْحَثُ المُنْجِيَاتِ



وأما المنجيات التي يجب تحلية القلب واتصافه بها فكثيرة ، فنذكر شيئاً من أمهاتها ومهماتها ، وننبه عليها بكلام مجمل وجيز ، إن شاء الله تعالى .

التوبة

فمن أعظم المنجيات التوبة إلى الله تعالى : من جميع الذنوب . وقد أمر الله عز وجل عباده بالتوبة ، ورغَّبهم فيها ، ووعدهم بقبولها فقال تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٢٤/ ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم : ٦٦/ ٨] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥/ ٣٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى : ٤٢/ ٢٥] .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » . وقال ﷺ : « إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار حتى تطلع الشمس من مغربها » .

وقال ﷺ : « يا أيها الناس ، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا ، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ » . أي : تبلغ روحه إلى الحلقوم حين الموت . وقال عليه الصلاة والسلام : « من تاب تاب الله عليه » .

* * *

ثم اعلم - رحمك الله - أن التوبة ليست هي قول العبد بلسانه : أستغفر الله وأتوب إليه ؛ من غير ندم بالقلب ، ومن غير إقلاع عن الذنب .

وقد ذكر العلماء - رحمهم الله - للتوبة شرائط لا بد منها ، ولا تتم التوبة إلا بها ؛ وهي ثلاثة :

الأول : الندم بالقلب على الذنوب السالفة .

الثاني : الإقلاع عن الذنب ، ومعناه : أن لا يتوب من ذنب وهو مقيم عليه وملازم له .

الثالث : العزم على أن لا يعود إلى الذنوب ما عاش .

وهذه الثلاث لا بد منها في التوبة من الذنوب التي تكون بين العبد وبين ربه . ويزيد عليها شرط رابع في الذنوب التي تكون بين العبد وبين غيره من العباد .

وبيان ذلك : أنه إن ظلم أحداً من الآدميين في نفس أو عِرض أو مال ، وجب عليه أن يرد حقه إليه بتمكينه من القصاص في المظالم النفسية ، ورد المظالم المالية ، وطلب الإحلال في المظالم العِرْضيَّة . وعليه بذل جهده في ذلك وإمكانه . وكذلك يجب عليه إذا تاب من ترك شيء من الفرائض اللازمة كالصلاة والزكاة : أن يتدارك ما فاته من ذلك بالقضاء حسب الاستطاعة والإمكان .

فإذا تاب العبد من ذنوبه على الوجه الذي وصفناه فينبغي له أن يكون بين الخوف والرجاء ، يرجو من ربه قبول توبته بفضله وكرمه ، ويخاف من عدم قبول التوبة مخافة أنه لم يأت بالتوبة على وجهها الذي أمره الله به ، فيكون غير تائب عند الله .

وينبغي لكل مؤمن ويجب عليه وجوباً متأكداً : أن يحترز من جميع الذنوب احترازاً كلياً لأن فيها سخط الله ومقته ، وهي السبب في جميع البليات والهلكات التي تحل بالعباد في الدنيا والآخرة .

ثم إن وقع في شيء من الذنوب وجب عليه أن يبادر بالتوبة

إلى الله من ذنبه من غير إصرار ، ولا إقامة على الذنب ، ولا رضاً به .

وينبغي لكل مؤمن أن لا يزال تائباً إلى الله ، ومجدداً للتوبة في كل حال وحين ؛ وذلك لأن الذنوب كثيرة ، ومنها الصغائر والكبائر ، والذنوب الباطنة ، والذنوب الظاهرة ، وذنوب يعلمها العبد ، وذنوب لا يعلمها ؛ وقد يؤاخذ بها من حيث إنه قصر في طلب العلم بكونها ذنوباً ، أو من حيث إن لها مقدمات وسوابق داخلة في العلم والاختيار .

* * *

ومن المتأكد المهم : الإكثار من الاستغفار ؛ فقد أمر الله به ، ورغّب فيه فقال تعالى : ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة : ٢/١٩٩] .

وقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد : ٤٧/١٩] .

وقال تعالى في وصف عباده المحسنين : ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات : ٥١/١٨] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » . وقال عليه الصلاة والسلام : « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً » .

وحسبك في فضل الاستغفار ومنافعه وفوائده قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٨/ ٣٣] .

وقوله تعالى مخبراً عن نبيه نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾

[نوح : ٧١/ ١٠ـ١٢] .

فالتوبة والاستغفار من كنوز الخيرات ، ومن أعظم أبواب القربات والبركات ، ومن أوصل الوسائل إلى جميع خيرات الدنيا والآخرة .

فعليكم ـ رحمكم الله ـ بلزوم التوبة والاستغفار آناء الليل والنهار . ثم إن الشيطان لعنه الله قد يخدع بعض الأغبياء من المسلمين فيقول له : كيف تتوب وأنت لا تعرف من نفسك الثبات على التوبة ؟! وكم تتوب ثم تعود إلى الذنب ؟! ويُلقي عليه وساوس من هذا الجنس . فليحذره المسلم ولا يغتر ، ولا يأخذ بتزويره وتلبيسه ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « ما أصرّ من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة » . وعلى العبد أن يتوب ، ويسأل من ربه الإعانة والتثبيت . ثم إن غلبته نفسه على العود إلى الذنب فَلْيغْلبها على العود إلى التوبة . والله الموفق والمعين .

الرجاء والخوف

ومن المنجيات الرجاء في الله والخوف من الله : والرجاء والخوف من المقامات الشريفة ؛ وقد وصف الله بهما أنبياءَه

والمرسلين وأتباعهم بإحسان من صالحي المؤمنين قال الله تعالى : ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾

[الإسراء : ١٧/ ٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢١/ ٩٠]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾

[البقرة : ٢/ ٢١٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢١/ ٤٨-٤٩].

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/ ٦٠] .

وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني . . . » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي ، ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، ابن آدم ، إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئاً للقيتك بقُرابها مغفرة » . وقال عليه الصلاة

والسلام : « قال الله تعالى : وعزتي ، لا أجمع لعبدي خوفين ولا أمنين ، فإن هو خافني في الدنيا أمَّنتُه يوم القيامة ، وإن هو أمِنَني في الدنيا أخفتُه يوم القيامة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « رأس الحكمة مخافة الله » . ودخل ﷺ على شاب يعوده وهو في الموت فقال له : « كيف تجدك ؟ فقال أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي . فقال عليه الصلاة والسلام : ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمَّنه ممّا يخاف » .

واعلم : أن الخوف زاجر ، يزجر الإنسان عن المعاصي والمخالفات . والرجاء قائد ، يقود العبد إلى الطاعات والموافقات ؛ فمن لم يزجره خوفه عن معصية الله عزَّ وجلَّ ، ولم يَقُدْهُ رجاؤه إلى طاعة الله تعالى ، كان خوفه ورجاؤه حديث نفس لا يُعتدّ بهما ، ولا يعول عليهما ، لخلوهما عن ثمرتهما المقصودة ، وفائدتهما المطلوبة .

ثم الأفضل للمؤمن المستقيم على طاعة الله أن يكون بين الخوف والرجاء ، حتى يكونا كجناحي الطائر ، وكِفَّتي الميزان ، قال النبي ﷺ : « لو وُزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعْتَدَلا » .

وأما المؤمن المخَلِّطُ الذي يخشى على نفسه من الوقوع في ترك الطاعات ، وركوب المنهيات فالأصلح له والأولى به ، غلبة الخوف عليه ، فإن الخوف يقبض النفس ويزجرها عن

طغيانها وتعدِّيها ، ومن كان بهذا الوصف من غلبة النفس واستيلاء الشهوة ، وكان الرجاء مع ذلك غالباً عليه ، ربما كان سبباً في هلاكه ، لأنه كلَّما ذكَّر نفسه الأمَّارة بسعة رحمة الله ، وكثرة تجاوزه عن الذنوب ، ازداد على الله تجرُّؤًا ، ومن طاعته تباعداً ، وفي معصيته وقوعاً ، فيهلك من حيث لا يشعر .

وقد وقع في ذلك طوائف من عامة المسلمين المغترين بالله ، والرجاءُ على هذا الوصف هو الرجاء الكاذب ، وهو الاغترار بالله ، وليس من الرجاء المحمود في شيء ، لأن الرجاء المحمود هو الذي يقود العبد إلى العمل بطاعة الله ، ويحمله على سلوك سبيل مرضاته . فليحذر المؤمن من الرجاء الذي يكون بهذه المثابة ، فإنه غرور من الشيطان ، وشرّ ساقه إليه في معرِض الخير . وأما إذا نزل الموت بالإنسان ، فالأليق به غلبة الرجاء ، وحسن الظن بالله كيفما كان حاله ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » .

وليحذر المؤمن كل الحذر من الأمن من مكر الله ، ومن القنوط من رحمته ، قال تعالى : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر : ١٥/ ٥٦] .

والأمن من مكر الله : عبارة عن تمحّض الرجاء وذهاب

الخوف من الله بالكلية ، حتى لا يجوِّز أن الله يعذبه ولا يعاقبه .

وأما القنوط : فهو عبارة عن تمحّض الخوف وذهاب الرجاء بالكلية ، حتى لا يجوِّز أن الله يرحمه ويتجاوز عنه ، والأمنُ من مكر الله . والقنوطُ من رحمة الله : من كبائر الذنوب ، فاحذر منهما أيها المؤمن ، وكن بين الخوف والرجاء ، ولا تغتر بربك ، ولا تجترىء عليه ، فإن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم .

الصبر

ومن **المنجيات العظيمة** : الصبر على بلاء الله ، والشكر لنعماء الله ، والزهد في الدنيا المشغلة عن الله .

أما الصبر : ففضائله عظيمة ، وحاجة المؤمن إليه في الأحوال كلها داعية وعامة ، وما ورد في الصبر عن الله تعالى ، وعن رسول الله ﷺ من الأمر والترغيب : كثير منتشر ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة : ٢/ ١٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة : ٢/ ١٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٤٦] .

وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل : ٢٧/ ١٢٧] .

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٥٢/ ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [السجدة : ٣٢/ ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ٣٩/ ١٠] .

وقال رسول الله ﷺ : « من يصبر يصبِّره الله ، وما أعطي أحد عطاءً خيراً ولا أوسع من الصبر » . وقال عليه الصلاة والسلام : « الصبر مِعْوَلُ المؤمن ، والصبر أميرُ جنود المؤمن » . وقال عليه الصلاة والسلام : « في الصبر على ما تكره خيرٌ كثير » . وفي الخبر أو الأثر : أن الإيمان شطران : أحدهما الصبر ، والثاني الشكر ، فيحتاج المؤمن حاجة شديدة إلى الصبر عند ورود البلايا من الشدائد والمصائب ، والفاقات والأذيات ، بأن لا يجزع إذا نزل به شيءٌ منها ، بل ويطمئن ويتوقَّر ، ولا يضيق ولا يتضجر ، ولا يشكو إلى الخلق ، بل يرجع إلى الله بخشوعه وخضوعه ، ودعائه وتضرعه ، ويحسن الظن بربه ، ويعلم يقيناً أن الله تعالى لم ينزل به ذلك البلاء إلا وله فيه خير كثير من رفع الدرجات ، وزيادة الحسنات ، وتكفير السيئات ، كما وردت بذلك الأخبار الشهيرة الكثيرة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما يصيب المؤمنَ من نَصَب ، ولا وَصَب ، ولا هَمّ حتى الشوكة يُشاكُها إلا كفَّر الله به من سيئاته » .

ويحتاج المؤمن إلى الصبر حاجةً شديدةً عند فعل الطاعات ، بأن لا يكسل عنها ، وبأن يؤديها كما أمره الله من كمال الحضور مع الله فيها ، والإخلاص لله ، وأن لا يكون بها مرائياً ، ولا متصنّعاً للخلق . ومن شأن النفس التثاقل عن الطاعة ، والتكاسل عنها ، فيحتاج العبد إلى إكراهها على ذلك بحسن الصبر .

ويحتاج المؤمن إلى الصبر حاجة شديدة في كف نفسه عن المعاصي والمحرّمات ، لأن النفس قد تدعو إليها ، وتتحدث بالوقوع فيها ، فيمنعها بحسن صبره عن فعل المعاصي ظاهراً ، وعن التحدث بها والميل إليها باطناً .

ويحتاج المؤمن حاجةً شديدةً إلى الصبر عن الشهوات المباحات ، التي تكون رغبة النفس فيها مقصورة على التلذذ والتمتع بالدنيا المجرد ، فإن الانهماك في ذلك ، والاسترسال معه يجرّ إلى الشبهات والمحرمات ، ويكثر الرغبة في الدنيا ويهيج الحرص عليها ، ويحمل على الإيثار للدنيا والأنس بها ، وعلى نسيان الآخرة والغفلة عنها ، فقد عرفت ـ رحمك الله ـ بما ذكرناه حاجة المؤمن إلى الصبر في عموم أحواله ودوام أوقاته ، فعليك به تَفُزْ بكل خير ، وتظفرْ بكل سعادة .

الشكر

وأما الشكر : فهو من المقامات الشريفة ، والمنازل الرفيعة ، قال الله تعالى : ﴿وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [النحل : ١٦/ ١١٤] .

وقال تعالى : ﴿ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ﴾
[سبأ : ٣٤/ ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ٣٤/ ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٤٥] .

وقال رسول الله ﷺ : « من أُعطي فشكر ، وابتُلي فصبر ، وظُلِمَ فغفر ، وظَلَمَ فاستغفر ، ثم سكت عليه الصلاة والسلام ، فقالوا : ما له يارسول الله ؟ قال : أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « أول من يدعى إلى الجنة الحمَّادون ، الذين يحمَدون الله على كل حال » . وما ورد في فضل الشكر وفي الأمر به كثير .

وأصل الشكر : معرفة العبد بأن جميع ما به من النعم ، وما عليه منها في ظاهره وباطنه من الله تعالى ، تفضلاً منه سبحانه وامتناناً .

ومن الشكر : الفرح بوجود النعم من حيث إنها وسيلة إلى العمل بطاعة الله ، ونيل القرب منه .

ومن الشكر : الإكثار من الحمد لله ، والثناء عليه تعالى باللسان ، قال ﷺ : « لو أعطي رجل من أمتي الدنيا بأسرها ،

ثم قال الحمد لله ، كان قوله الحمد لله ، أفضل من ذلك كله » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « الحمد لله تملأ الميزان » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله ليرضَى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » .

ومن الشكر : العمل بطاعة الله ، وأن يستعين بنعم الله على طاعته ، وأن يضع نعم الله في مواضعها التي يحبها الله ، وذلك هو غاية الشكر ونهايته ، وأن لا يتكبر بالنعم ، ولا يفتخر بها على عباد الله ، ولا يبغى ولايطغَى ، ولا يتعدّى على العباد ، ومن فعل شيئاً من ذلك فقد كفر النعمة ولم يشكرها ، والكفران سبب لسلب النعم وتبدلها بالنقم ؛ قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٨/٥٣] أي : بتركهم الشكر عليها .

فالتارك للشكر متعرِّض للسلب والهلاك ، والشاكر متعرض للخير والمزيد ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ١٤/٧] .

ومن الشكر : تعظيم النعمة وإن كانت صغيرة ؛ نظراً إلى عظمة المنعِم بها تبارك وتعالى . ثم إن لله على عبده نعماً كثيرة لا تعدُّ ولا تحصى ، والعبد عاجز عن إحصائها فضلاً عن القيام بشكرها ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ١٦/١٨] .

وينبغي للإنسان أن لا ينظر إلى من فُضِّل عليه في النعم على سبيل الغِبطةِ والاستكثار ؛ فإنه ربما يزدري نعمة الله تعالى عليه ويستحقرها ، فلا يشتغلُ بشكرها ، فيكون ذلك سبباً لسلبها عنه وتحويلها منه ، فلا يُعطىٰ الكثير الذي غبَط عليه أخاه ، ويُسلَب مع ذلك القليل الذي قد أعطاه مولاه لتركه الشكر ، وعدم حفظه للأدب مع ربه . وفي الحديث : « انظروا إلى من هو دونكم ، فهو أجدر أن لا تزدَرُوا نعمة الله عليكم » . وقد فضل الله بعض العباد على بعض لأسرار له في ذلك ، وحِكَم لا يطلع عليها سواه ، ولمنافع ومصالح لهم لا يحيط بعلمها غيره . فلْيرضَ العبد بقمسة ربه ، وليشكره على ما أعطاه من نعمه ، وليسأله المزيد من فضله ؛ فإن خزائن السموات والأرض في قبضته ، وجميع الخير بيده ، يفعل ما يشاء ، وهو على كل شيء قديرٌ .

الزهد

وأما الزهد في الدنيا : فإنه من أفضل المنجيات ، وأجل القربات .

وقد قال الله تعالى مزهِّداً لعباده في الدنيا : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف : ١٨/ ٧ـ٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٠ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾

[القصص : ٢٨/ ٦٠ـ٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى : ٨٧/ ١٦-١٧] .

وقال رسول الله ﷺ : « اِزهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » . وقال عليه الصلاة والسلام : « كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل ، وعدَّ نفسك من أهل القبور » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من أحب آخرته أضر بدنياه ، ومن أحب دنياه أضر بآخرته ؛ فآثِروا ما يبقى على ما يفنى » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من أصبح وهمه الآخرة جمع الله عليه أمره ، وحفظ عليه ضيعته ، وأتته الدنيا وهي راغمة . . » الحديث .

وحقيقة الزهد : خروج حب الدنيا ، والرغبة فيها من القلب ، وهوانُ الدنيا على العبد ؛ حتى يكون إدبار الدنيا وقلة الشيء منها أحب إليه وآثر عنده من إقبال الدنيا وكثرتها . هذا من حيث الباطن ، وأما من حيث الظاهر فيكون الزاهد منزوياً عن الدنيا ، ومتجافياً عنها اختياراً مع القدرة عليها ، ويكون مقتصراً من سائر أمتعتها مأكلاً وملبساً ومسكناً ، وغير ذلك على ما لابد منه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب » .

فأما من أحب الدنيا بقلبه ، ورغب فيها ، وسعى لجمعها

يقصد بذلك التنعُّم والتمتع بشهواتها ؛ فهو من الراغبين في الدنيا ، وليس من الزهد في شيء . فإنْ مال إلى الدنيا ورغب فيها ، لا للتنعم ولكن لينفقها في وجوه الخيرات والقربات ؛ فهو على خير إن وافق عمله نيته ، ولا يخلو في ذلك من خطر .

وأما من طلب الدنيا ورغب فيها فلم يتيسّر له ، ولم يحصل على مطلوبه منها فبقي فقيراً لا شيء له ؛ فهذا هو الفقير وليس بالزاهد ، وله في فقره فضل وثواب عظيم إن صبر عليه ورضي به .

وأما من تبسط في الدنيا وتوسع في شهواتها ، وادّعى مع ذلك أنه غير راغب فيها ، ولا محب لها بقلبه ؛ فهو مدع مغرور ، لا تقوم له حجة بدعواه ، وليس له في حالته تلك قدوة يقتدي به من الأئمة المهتدين والعلماء الصالحين ، لا من السلف ولا من الخلف . فاعلم ذلك والله يتولّى هداك .

التوكل على الله

ومن المنجيات الشريفة : التوكل على الله ، والحب لله ، والرضا عن الله ، وحسن النية مع الله ، والإخلاص في الظاهر والباطن لله .

أما التوكل على الله : فهو من أشرف مقامات الموقنين ، وأعز ثمرات اليقين .

قال الله تعالى : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النمل : ٢٧/ ٧٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

[المائدة : ٥/ ١١] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[المائدة : ٥/ ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾

[النساء : ٤/ ٨١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لو توكلتم على الله حق توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِمَاصاً وتروح بِطاناً » . وفي المأثور : « حسبنا الله ونعم الوكيل » قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين قذف به في النار ، وقالها محمد ﷺ والمؤمنون حين قيل لهم : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾

[آل عمران : ٣/ ١٧٣] .

وقال بعض السلف الصالح رحمه الله : من رضي بالله وكيلاً وجد إلى كل خير سبيلاً .

وأصل التوكل : يقين القلب بأن الأمور كلها بيد الله وفي قبضته ، وأنه لا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع غير الله ، ثم طمأنينة القلب وسكونه إلى وعد الله وضمانه ؛ حتى لا يضطرب ولا يتزلزل عند ورود الشدائد والفاقات ، وحتى لا يفزع ولا يرجع في المهمات والملمات إلا إلى الله تعالى ،

وإن رجع في شيء من ذلك إلى الخلق كان ذلك في الظاهر دون الباطن ، ويكون على موافقة الأمر الإلـهي المشروع .

* * *

وليس من شرط المتوكِّل أن يكون متجرداً عن أسباب الدنيا ؛ بل قد يكون ملابساً للأسباب مع التوكل ، ولكنه يكون معتمداً على الله لا على الأسباب . وعلامة صدقه في ذلك : أن لا يسكن إليها ، ولا يطمئن بها في حالة وجودها ، ولا يتزلزل ولا يضطرب عند فقدها وتشوشها .

وقد يكون العبد متجرداً عن أسباب الدنيا ، وهو غير متوكل ، مهما كان متعلقاً بالأسباب ، وملتفتاً إلى الخلق وطامعاً فيهم .

ثم إن الأسباب على قسمين : دينية ودنيوية .

فالأسباب الدينية : مثل العلوم النافعة ، والأعمال الصالحة التي لا بدّ منها ؛ فلا بد لكل مسلم من إقامة تلك الأسباب والعمل بها ؛ مع الاعتماد على الله دونها .

وأما الأسباب الدنيوية : فكالحِرَف والصناعات ، وسائر ما يتسبَّب به الناس لتحصيل معايشهم . وهذه الأسباب لا يجوز للإنسان ترك ما يحتاج إليه منها ، ولا يستغني عنه ؛ إلا إن كان عاجزاً لا يستطيع السعي والحركة ، أو كان ممّن أقيم في ذلك من عباد الله أهل المعرفة واليقين .

وعلى كل حال فليس يجوز للإنسان أن يترك التسبب لمعاشه الذي لا بد له منه ، إلا إن كان عاجزاً ، أو ممن أقيم في التجريد من أهله . ويحرم على الإنسان أن يقعد عن الاكتساب الذي يقدر عليه ويحتاج إليه ، ويترك نفسه وعياله ضياعاً يسألون الناس ، ويتشوّفون إلى ما في أيديهم ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول » . والله سبحانه أعلم .

الحب في الله

وأما **الحب في الله** : فهو من أشرف المقامات وأرفعها . قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾

[البقرة : ٢/ ١٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾

[المائدة : ٥/ ٥٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكونَ الله ورسوله أحب إليه ممّا سواهما . . » الحديث . وقال عليه الصلاة والسلام : « أحِبُّوا الله لِما يغذوكم به من نعمهِ ، وأحبوني بحب الله » .

ومعنى الحب لله تعالى : ميل وتعلق وتألّهٌ ، يجده العبد في قلبه إلى ذلك الجناب الأقدس الرفيع ، مصحوباً بنهاية التقديس والتنزيه ، وغاية التعظيم والهيبة لله تعالى ، لا يخالطه شيء من خواطر التشبيه ، ولا يمازجه شيء من أوهام التكييف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

نبهنا على هذا ؛ لأن بعض العامة الذين لا بصائر لهم إذا سمعوا بأحوال أهل الله ، وبأذواقهم في محبة الله ، قد تسبق إلى قلوبهم وأفهامهم وساوس وأوهام عظيمة الخطر ، شديدة الضرر .

ثم إن مَن صدق في محبة الله تعالى دعاه ذلك إلى إيثار الله على ما سواه ، وإلى التشمير لسلوك سبيل قربه ورضاه ، وإلى الجد في طاعته ، وبذل الاستطاعة في خدمته ، وترك ما يشغل عن ذكره ، وحسن معاملته من كل شيء .

الرضا عن الله

ومن أعظم ما يدل على محبة الله : حسن الاتباع لرسول الله ﷺ .

قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣/ ٣١] .

وأما الرضا عن الله تعالى فهو حال شريف عزيز ، قال الله تعالى : ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [البينة : ٩٨/ ٨] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ؛ فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله بحكمته جعل الرَّوح والفرح في اليقين والرضا ، وجعل الضيق والحرج في الشك والسخط . . . » الحديث .

والراضي عن الله : هو الراضي بقضائه ؛ فمهما قضى عليه

سبحانه بما يخالف هواه ، وبما لا تشتهيه نفسه من مصيبة في نفس أو مال ، أو بلية أو شدّة أو فاقة ، فعليه أن يرضى بذلك ويطيب نفساً ، ولا يسخط قضاء الله ولا يجزع ، ولا يتبرم ؛ فإن الله تعالى له أن يفعل في ملكه ما يشاء ، وليس له في سلطانه منازع ولا معارض .

وليحذر العبد عند ذلك من : لو ، ولِمَ ، وكيف . وليعلم أن الله تعالى حكيم عادل في جميع أفعاله وأقضيته ، وأنه لايقضي لعبده المؤمن بشيء وإن كرهته نفسه إلا ويكون له فيه خير وخيرة ، وعاقبة حسنة ؛ فليحسن ظنه بربه ، وليرضَ بقضائه ، وليرجع إليه بذلِّهِ وافتقاره ، وليقف بين يديه بخضوعه وانكساره ، وليكثر من حمده والثناء عليه في يسره وعسره ، وشدته ورخائه . والحمد لله رب العالمين .

الإخلاص

وأما حسن النية والإِخلاص لله : فذلك من أعظم المنجيات وأهمها .

قال الله تعالى : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء : ١٧/ ١٩] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنما يبعث الناس على نيّاتهم » . وقال عليه الصلاة والسلام :

« من غزا ولم ينو إلا عقالاً فله ما نوى » . وقال عليه الصلاة والسلام : « نية المؤمن خير من عمله » ؛ وذلك لأن النية عمل القلب ، والقلب أشرف من الجوارح ، فكان عمله خيراً من عملها ، ولأن النية تنفع بمجردها ، وأعمال الجوارح بدون النية لا نفع لها . وفي الحديث : « من هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة » .

فعليك ـ رحمك الله ـ بحسن النية وبإخلاصها لله ، ولا تعملْ شيئاً من الطاعات إلا أن تكون ناوياً بها التقرب إلى الله وابتغاء وجهه وطلب رضاه ، وإرادة الثواب الأخروي الذي وعد به سبحانه على تلك الطاعة من باب الفضل والمنّة .

ولا تدخلْ في شيء من المباحات حتى الأكل والشرب والنوم ، إلا وتقصد بذلك الاستعانة على طاعة الله ، وحصولَ التقوِّي به على عبادته تعالى ؛ فبذلك تلحق المباحات بالطاعات ، فإن للوسائل أحكام المقاصد . والمغبون من غُبِنَ في حسن النية .

واجعل لك في طاعاتك ومباحاتك نيات كثيرة صالحة ، يحصل لك بكل واحدة منها ثواب تام من فضل الله ، وما عجزتَ عنه من الطاعات والخيرات ، ولم تتمكن من فعله فانوه واعزم على فعله عند الاستطاعة ، وقُلْ بصدق وعزم وصلاح نية : لو استطعته لفعلته ؛ فقد يحصل لك بذلك ثواب الفاعل ، كما بلغنا أن رجلاً من بني إسرائيل مرَّ في وقت مجاعة على

كُثبان من رمل ، فقال في نفسه : لو كانت هذه طعاماً ، وكان لي ، لقسَّمته على الناس ؛ فأوحى الله إلى نبيهم « قل لفلان : قد قبل الله صدقتك ، وشكر الله حسن نيتك » .

وفي المأثور : « أن الملائكة إذا صعدوا بصحيفة العبد إلى الله تعالى ، يقول الله تعالى لهم سبحانه : أُكتبوا له كذا وكذا . فيقولون : إنه لم يعمله . فيقول تعالى : إنه نواه » .

وقال تعالى في الإخلاص : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٩٨/ ٥] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمر : ٣٩/ ٣] .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أخلص دينك يُجْزِك العمل القليل » . وسئل عليه الصلاة والسلام عن الإيمان فقال : « هو الإخلاص لله » . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان منها خالصاً له ، وابتُغِي به وجهه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من أخلص لله أربعين يوماً أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » .

ومعنى الإخلاص : أن يكون قصد الإنسان في جميع طاعاته وأعماله مجرد التقرب إلى الله ، وإرادة قربه ورضاه ؛ دون غرض آخر من مراءاة الناس ، أو طلب محمدة منهم ، أو طمع فيهم .

قال سهل بن عبد الله التُّستَرِي رحمه الله تعالى : نظرَ الأكياسُ في تفسير الإِخلاص فلم يجدوا غير هذا : أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى لا يمازجه شيء ؛ لا نفسٌ ولا هوى ولا دنيا . انتهى .

فالذي يعمل لقصد التقرب إلى الله ، وطلب مرضاته وثوابه هو المخلص ، والذي يعمل لله ولمراءاة الناس هو المرائي ، وعمله غير مقبول ، والذي يعمل لمراءاة الناس فقط ، ولولا الناس لم يعمل أصلاً أمره خطر هائل ، ورياؤه رياء المنافقين .

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العافية من جميع البليات .

الصدق مع الله والمراقبة والتفكر

ومن **المنجيات الفاضلة** : الصدق مع الله ، والمراقبة لله ، وحسن التفكر وقِصَر الأمل ، وكثرة ذكر الموت والاستعداد له .

أما الصدق : فقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ٩/١١٩] .

وقال تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾

[المائدة : ٥/١١٩] .

وقال تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾

[الأحزاب : ٣٣/٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ ﴾

[الأحزاب : ٣٣/٢٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، وما يزال العبد يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً . والكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرّى الكذب حتى يكتب عند الله كذَّاباً » .

وأول الصدق مجانبة الكذب في جميع الأقوال ؛ ثم إن للصدق مَدْخلاً في جميع الأعمال والنيات ، والأحوال والمقامات .

ومعنى الصدق فيها : الثبات عليها ، والإتيان بها على الوجه الحسن الأكمل الأحوط ، مع بذل الاستطاعة ، ونهاية الجد والتشمير لله في الظاهر والباطن .

وأما المراقبة لله فمعناها : استشعار قرب الله من العبد على الدوام ، وإحاطته به ، ومعيّته له ، واطّلاعه عليه ، ونظره إليه .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣/ ٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٢٠/ ٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق : ٥٠/ ١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٥٧/ ٤] .

وقال ﷺ : « الإِحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

فالمراقبة من مقام الإِحسان ، ومن تحقق بها أثمرت له : الخشية لله تعالى ، والحياء من الله تعالى أن يراه حيث نهاه ، أو يفقده حيث أمره ، أو يراه متثاقلاً عن طاعته ، متكاسلاً عن عبادته ، مشتغلاً عن خدمته ، غافلاً عن ذكره وحسن معاملته .

* * *

وأما حسن التفكر واستقامتُه ففيه منافع كثيرة ، وفوائد عظيمة .

وقد قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾ [البقرة : ٢/٢١٩ـ٢٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٣٠/٢١] .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس : ١٠/١٠١] .

روي عن النَّبي ﷺ : « تفكُّرُ ساعة خير من عبادة ستِّين سَنَةٍ » . وقال علي كرم الله وجهه : لا عبادة كالتفكُّر .

والفكر على أنواع كثيرة ، وأشرف أنواعه وأفضلها : التفكر في أفعال الله وآياته ، وعجائب مصنوعاته في أرضه

وسماواته . ومن أحسَنَ التفكر في ذلك أثمر له زيادة المعرفة بالله ، وهي الإكسير الأكبر .

ومن أنواعه : التفكُّر فيما لله عليك من النعم والآلاء الدينية والدنيوية . وحسنُ التفكُّر في ذلك يثمر زيادة الحب لله ، ويحُثّ على الشكر لله .

ومن أنواعه : أن تتفكَّر في عظيم حق الله عليك ، وكثرة تقصيرك عن القيام بحقوق ربوبيته . وحسنُ التفكُّر في ذلك يثمر الخوف والخشية والحياء من الله تعالى ، ويبعث على التشمير والجِد في طاعته وإقامة حقه تعالى .

ومن أنواعه : التفكُّر في الدنيا وسرعة زوالها ، وكثرة أكدارها وأشغالها . وحسنُ التفكُّر في ذلك يثمر الزهد في الدنيا ، والتجافي عنها وقلة الرغبة فيها .

ومن أنواعه : التفكُّر في الآخرة وبقائها ، وصفاء نعيمها ودوام لذاتها وسرورها . وحسنُ التفكُّر في ذلك يثمر إيثار الآخرة وكثرة الرغبة فيها ، والتشمير في العمل لها .

ومجاري الفكر كثيرة ، وكلما كانت بصيرة العبد أنفذ ، وكان علمه أغزر وأوسع ، كان تفكُّره أعظم وأكثر .

قصر الأمل

وأما قِصَر الأمل ، وكثرة ذكر الموت والاستعداد له : فنفع ذلك عظيم ، وفضله كثير . فإن من قَصُر أمله ، وكثر للموت ذكره ؛ جدّ في صالح العمل ، وترك التسويف والكسل ،

وزهد في الدنيا ورغب في العقبى ، وبادر بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى ، وتباعد عما يشغله عن طاعة الله تعالى وعن سلوك سبيل مرضاته . ومن طال أمله ، وقل للموت ذكره ، كان على الضد من ذلك .

وقد ذكرنا في أوائل هذا التصنيف ، قبيل الكلام على العلم ، طرفاً صالحاً في فضل قِصَر الأمل ، واستشعار قرب الأجل ، وما يتعلق بذلك ، فأغنانا ذلك عن إطالة الكلام فيه ههنا .

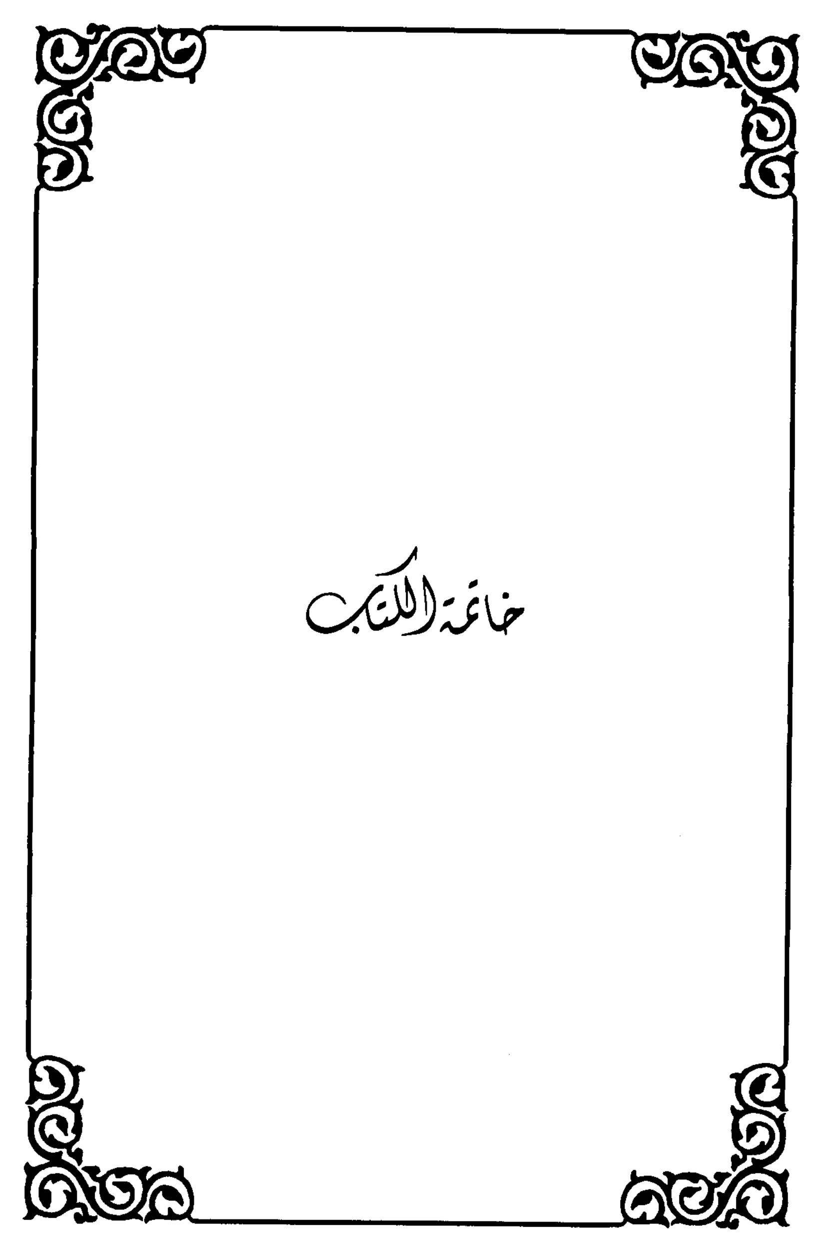
وعن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « أكلُّكم يحب أن يدخل الجنة ؟ قالوا : نعم يارسول الله . قال : قصِّروا في الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم ، واستحْيُوا من الله حقَّ الحياء » . وكان رسول الله ﷺ يقول في دعائه : « اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل » . وقالت عائشة رضي الله عنها : يارسول الله ، هل يحشر مع الشهداء غيرهم ؟ فقال : « نعم ، مَنْ يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « أكثروا من ذكر الموت ؛ فإنه يمحِّص الذنوب ويزهد في الدنيا » . ولما سئل عليه الصلاة والسلام عن معنى الشرح المذكور في قوله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر : ٣٩/٢٢] .

قال عليه الصلاة والسلام : « إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح . قيل : فهل لذلك من علامة ؟ قال : نعم ، التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله » .

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في « البداية » : وتفكَّر في قصر عمرك وإن عشت مثلاً مائة سنة بالإضافة إلى مقامك في الدار الآخرة وهي أبد الآباد . وتأمل أنك كيف تتحمّل المشقة والذل في طلب الدنيا شهراً أو سنة رجاء أن تستريح بها عشرين سنة ، فكيف لا تتحمّل ذلك أياماً قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد ، ولا تطوِّل أملك ، فيثقل عليك عملك ، وقدِّر قرب الموت ، وقل في نفسك إني أتحمَّل المشقة اليوم فلعلي أموت الليلة ، وأصبر الليلة فلعلي أموت غداً ؛ فإن الموت لا يهجم في وقت مخصوص وحال مخصوص ، وسن مخصوصة ، ولا بد من هجومه ، فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا ، وأنت تعلم أنك دلا تبقى فيها إلا مدة يسيرة ، ولعله لم يبق من أجلك إلا نفس واحد أو يوم واحد . فكرر هذا على قلبك كل يوم ، وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يوماً يوماً ، فإنك لو قدَّرت البقاء خمسين سنة وألزمتها الصبر على طاعة الله تعالى نفرَت واستعصت عليك ؛ فإن فعلتَ ذلك فرحتَ عند الموت فرحاً لا آخر له ، وإن سوَّفتَ وتساهلتَ جاءك الموت في وقت

لا تحتسبه ، وتحسَّرتَ تحسراً لا آخر له ، وعند الصباح يَحمَد القوم السُّرَى ، وعند الموت يأتيك الخبر اليقين ، ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين .

* * *



خاتمة الكتاب



خَاتمة الكتاب

في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة

في عقيدةٍ وجيزةٍ جامعةٍ نافعةٍ إن شاء الله تعالى على سبيل الفرقة النّاجية وهم أهل السُّنَّة والجماعة والسواد الأعظم من المسلمين .

الحمد لله وحدَه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وبعد : فإنّا نعلم ونقرُّ ونعتقد ، ونؤمن ونوقن ، ونشهد : أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له . إلٰه عظيمٌ ، ملك كبير ، لا ربَّ سواه ، ولا معبود إلا إياه . قديم أزليٌّ ، دائم أبدي ، لا ابتداء لأوَّليته ، ولا انتهاء لآخِريته . أحد صمَد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كُفُواً أحد . لا شبيه له ولا نظير ، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وأنه تعالى مقدَّس عن الزمان والمكان ، وعن مشابهة الأكوان ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تعتريه الحادثات . مستوٍ

على عرشه على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، إستواءً يليق بعزِّ جلاله ، وعلُوِّ مجده وكبريائه .

وأنه تعالى قريب من كل موجود ، وهو أقربُ للإنسان من حبل الوريد ، وعلى كل شيء رقيبٌ وشهيدٌ . حيٌّ قيومٌ ، لا تأخذه سِنَةٌ ولا نومٌ . بديعُ السموات والأرض ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيلٌ .

وأنه تعالى على كل شيء قديرٌ ، وبكل شيء عليمٌ ، قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً . وما يعزُب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرُج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير . ويعلم السرَّ وأخفى ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبةٍ في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

وأنه تعالى مريدٌ للكائنات ، مدبِّرٌ للحادثات . وأنه لا يكون كائن من خير أو شر ، أو نفع أو ضر ، إلا بقضائه ومشيئته ؛ فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يحركوا في الوجود ذرة ، أو يسكنوها دون إرادته لعَجَزوا عنه .

وأنه تعالى سميعٌ بصير ، متكلم بكلام قديم أزلي ، لا يُشبِهِ كلامَ الخلق .

وأن القرآن العظيم كلامُه القديمُ ، وكتابه المنزلُ على نبيه ورسوله محمد ﷺ .

وأنه سبحانه الخالقُ لكل شيء ، والرازق له والمدبِّر والمتصرفُ فيه كيف يشاء ، ليس له في مُلْكه منازعٌ ولا مدافعٌ ، يعطي من يشاء ، ويمنعُ من يشاء ، ويغفِرُ لمن يشاء ، ويعذِّبُ من يشاء ، لا يُسألُ عما يفعل ، وهم يُسألون .

وأنه تعالى حكيم في فعله ، عَادل في قضائه ، لا يتصوّر منه ظلم ولا جَوْر ، ولا يجب عليه لأحد حقٌّ . ولو أنه سبحانه أهلك جميع خلقه في طَرْفة عين لم يكن بذلك جائراً عليهم ولا ظالماً لهم ؛ فإنهم مِلْكهُ وعبيدُه ، وله أن يفعل في مُلْكه ما يشاء وما ربك بظلام للعبيد . يثيب عباده على الطاعات فضلاً وكرماً ، ويعاقبهم على المعاصي حكمةً وعدْلاً ، وأن طاعته واجبة على عباده بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

ونؤمن بكل كتاب أنزله الله ، وبكل رسول أرسله الله ، وبملائكة الله ، وبالقَدر خيره وشرِّه .

ونشهد أن محمداً عبدُ الله ورسوله ، أرسله إلى الجن والإنس ، والعرب والعجم ، بالهُدَى ودين الحق ليظهِرَه على الدين كله ولو كره المشركون . وأنه بلَّغ الرسالةَ ، وأدَّى الأمانة ، ونصحَ الأمة ، وكشفَ الغُمَّة ، وجاهد في الله حَقَّ

جهاده ، وأنه صادقٌ أمين ، مؤَيَّدٌ بالبراهين الصادقة والمعجزات الخارقة . وأن الله فرض على العباد تصديقه وطاعته واتباعه ، وأنه لا يُقبلُ إيمانُ عبد وإن آمن به سبحانه حتى يؤمن بمحمد ﷺ ، وبجميع ما جاء به وأخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة والبرزخ .

ومن ذلك : أن يؤمن بسؤال منكر ونكير للموتى ؛ عن التوحيد والدين والنبوة . وأن يؤمن بنعيم القبر لأهل الطاعة ، وبعذابه لأهل المعصية .

وأن يؤمن بالبعث بعد الموت ، وبحشر الأجساد والأرواح إلى الله ، وبالوقوف بين يدي الله ، وبالحساب ، وأن العباد يتفاوتون فيه إلى مُسامَح ومُناقَش ، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب .

وأن يؤمن بالميزان الذي تُوزَن فيه الحسنات والسيئات ، وبالصراط وهو جسر ممدود على مَتْن جهنم وبحوض نبينا محمد ﷺ الذي يشربُ منه المؤمنون قبل دخول الجنة ، وماؤه من الجنة .

وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم الصديقين والشهداء ، والعلماء والصالحين والمؤمنين . وأن الشفاعة العظمى مخصوصة بمحمد ﷺ .

وأن يؤمن بإخراج من دخل النار من أهل التوحيد حتى

لا يخلَّد فيها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان . وأن أهل الكفر والشرك مخلّدون في النار أبد الآبدين ، لا يخفّفُ عنهم العذاب ولا هم ينظرون . وأن المؤمنين مخلّدون في الجنة أبداً سرمداً ، لا يمسهم فيها نَصَبٌ وما هم منها بمخرجين .

وأن المؤمنين يَرَوْن ربهم في الجنة بأبصارهم على ما يليق بجلاله وقُدْسِ كماله .

وأن يعتقد فضلَ أصحاب رسول الله ﷺ وترتيبَهم ، وأنهم عُدُول أخيار أمناء ، لا يجوز سَبُّهم ولا القَدْح في أحدٍ منهم . وأن الخليفة الحقَّ بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان الشهيد ، ثم عليّ المرتضى رضي الله عنهم وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم برحمتك اللهم يا أرحم الراحمين .

* * *

خاتمة الخاتمة

وتشتمل على سبعة أحاديث ، تحتوي على حكم جامعة ومواعظ نافعة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحديث الأول : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن ابن آدم لفي غفلة عما خُلِقَ له . إن الله إذا أراد خَلْقَه قال للملك اكْتُب رزقه ، اكتب أثره ، اكتب أجله ، اكتب شقيّاً أم سعيداً . ثم يرتفع ذلك الملك . ثم يوكِّل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ؛ فإذا حضره الموت ارتفع ذانِك الملكان ، وجاء ملك الموت ليقبض روحه ؛ فإذا دخل قبره رُدَّ الروحُ في جسده ، وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان ؛ فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات ، فانتشطا كتاباً معقوداً في عنقه ، ثم حضرا معه واحد سائقٌ وآخر شهيد . ثم قال رسول الله ﷺ : إن قُدَّامكم لأمراً عظيماً ما تقدرونه ؛ فاستعينوا بالله العظيم » . ذكره الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في « شرح الصدور »

وقال : أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو نُعَيْم .

الحديث الثاني : عن عبد الرحمن بن سَمُرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « إني رأيت البارحة عجباً ! رأيت رجلاً من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه ؛ فجاءه بِرُّه بوالديه فرده عنه . ورأيت رجلاً من أمتي قد بُسط عليه عذاب القبر ؛ فجاءه وضوؤُه فاستنقذه من ذلك . ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين ؛ فجاءَهُ ذكر الله فخلّصه من بينهم . ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب ؛ فجاءته صلاته فاستنقذته من بين أيديهم . ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً كلما وَرَدَ حوضاً مُنع منه ؛ فجاءه صيامه فسقاه وأَرْواه . ورأيت رجلاً من أمتي والنبيّون قعود حِلقاً حِلَقاً ، كلما دنا لحلقة طردوه ؛ فجاءَهُ اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده إلى جنبي . ورأيت رجلاً من أمتي بين يديه ظُلْمة ، وخلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن يساره ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، فهو متحير فيها ؛ فجاءه حجُّهُ وعمرته فاستخرجاه من الظلمة ، وأدخلاه النور . ورأيت رجلاً من أمتي يكلِّم المؤمنين ولا يكلِّمونه ؛ فجاءته صلة الرحم فقالت : يا معشر المؤمنين كلِّموه ، فكلَّموه .

ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وَهَجَ النار وشررها بيده عن وجهه ؛ فجاءته صدقته فصارت سِتْراً على وجهه ، وظِلاً على رأسه . ورأيت رجلاً من أمتي أخذته الزبانية من كل مكان ؛

فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ؛ فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة .

ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب ؛ فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده فأدخله على الله تعالى . ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت به صحيفته من قِبَل شماله ؛ فجاءه خوفه من الله ؛ فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه . ورأيت رجلاً من أمتي قد خفّت موازينه ؛ فجاءته أفراطه فثقَّلوا ميزانه . ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم ؛ فجاءه وَجَلُه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى .

ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار ؛ فجاءته دموعه التي بكى بها من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار . ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعَفَة ؛ فجاءه حُسن ظنه بالله تعالى فسكن رعْده ومضى . ورأيت رجلاً من أمتي على الصراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً ؛ فجاءته صلاته عليَّ فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط . ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة ؛ فَغُلِّقت الأبواب دونه ؛ فجاءته شهادة أن لا إلـه إلا الله ففتحت له الأبواب فأدخلته الجنة . ورأيت ناساً من أمتي تُقرَض شفاههم ، فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال : المشّاءون بالنميمة بين الناس . ورأيت رجالاً من أمتي معلقين بألسنتهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يَرْمُون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا » .

ذكره السيوطي أيضاً في كتاب « شرح الصدور » وقال : أخرجه الطبراني في « الكبير » ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ، والأصبهاني في « الترغيب » .

الحديث الثالث : عن رَكب المصري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « طوبى لمن تواضع في غير منقصة ، وذلّ في نفسه من غير مسألة ، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية ، ورحم أهل الذل والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة . طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وكرمت علانيته ، وعزل عن الناس شره . طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله » .

ذكره الحافظ المنذري رحمه الله تعالى في كتاب « الترغيب والترهيب » . وقال : رواه الطبراني .

الحديث الرابع : عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها **قالت** : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بئس العبد عبد بخل واختال ، ونسي الكبير المتعال! بئس العبد عبد تجبّر واعتدى ، ونسي الجبار الأعلى! بئس العبد عبدٌ سها وَلَهَا ، ونسي المقابر والبِلى! بئس العبد عبدٌ عتا وطغى ، ونسي المبتدأ والمنتهى! بئس العبد عبد يَخْتِلُ الدنيا بالدين![1] بئس العبد عبد يختل الدين بالشهوات! بئس العبد عبد طمع يقوده!

(١) أي يطلب الدنيا بعمل الآخرة .

بئس العبد عبد هوىً يضله! بئس العبد عبد رَغَبٌ يذله » .

رواه الترمذي وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

الحديث الخامس : عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء » . قيل : وما هي يارسول الله ؟ قال : « إذا كان المغنم دُولاً ، والأمانة مغنماً ، والزكاة مَغْرماً ، وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أمه ، وبرَّ صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وكان زعيم القومِ أرذلهم ، وأُكِرم الرجل مخافة شرِّه ، وشُربت الخمر ، ولُبِس الحرير ، واتخذت القَيّنات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء ، أو خسفاً أو مسخاً » .

رواه الترمذي : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه عن عليّ .

الحديث السادس : عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله ، ما كانت صحف إبراهيم عليه السلام ؟ قال : « كانت أمثالاً كلها : أيها المَلِك المسلَّط المبتلى المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ؛ فإني لا أردها ولو كانت من كافر . وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات :

ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها في صنع الله ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب . وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث : تزوّد لمعاد ، أو مَرَمَّة لمعاش ، أو لذة في غير محرَّم . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه . ومن حسب كلامه من عمله ، قلّ كلامه إلا فيما يعنيه . قلت : يارسول الله ، فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال : كانت عبراً كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح! عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك! عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب! عجبت لمن رأى الدنيا وتقلُّبها بأهلها ثم اطمأن إليها! عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل . قلت : يارسول الله أوصني . قال : أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله . قلت : يارسول الله زدني . قال : عليك بتلاوة القرآن ؛ فإنه نور لك في الأرض ، وذكرٌ لك في السماء . قلت : يارسول الله زدني . قال : إياك وكثرة الضحك ؛ فإنه يميت القلب ، ويَذْهَب بنور الوجه . قلت : يارسول الله زدني . قال : عليك بالصمت إلا من خير ؛ فإنه مطردة للشيطان عنك ، وعون لك على أمر دينك . قلت : يارسول الله زدني . قال : عليك بالجهاد ؛ فإنه رهبانية أمتي . قلت : يارسول الله زدني . قال : أحِبّ المساكين وجالِسهم . قلت : يارسول الله زدني . قال : انظر إلى من هو دونك ولا

تنظر إلى من هو فوقك ، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك . قلت : يارسول الله زدني : قال : قل الحق وإن كان مرّاً . قلت : يارسول الله زدني : قال : ليردّك عن الناس ما تعلمه من نفسك ، ولا تجد عليهم فيما تأتي ، وكفى بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك ، وتجد عليهم فيما تأتي . ثم ضرب بيده على صدري فقال : لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكفِّ ، ولا حسب كحسن الخلق » .

ذكره المنذري في كتاب « الترغيب والترهيب » ، وقال : رواه ابن حبان في « صحيحه » واللفظ له ، والحاكم . وذكر المنذري الحديث الذي قبله في الكتاب المذكور أيضاً . رحمه الله تعالى ، وجزاه عن المسلمين خيراً .

الحديث السابع : عن أبي ذر رضي الله عنه أيضاً عن النَّبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « يا عبادي : إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . يا عبادي : كلكم ضالٌّ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم . يا عبادي : كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي : كلكم عارٍ إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم . يا عبادي : إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفِرْ لكم . يا عبادي : إنكم لن تبلغوا ضرّي فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي : لو أن أولَكم وآخركَم ، وإنسكَم

وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً . يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً . يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أُدخل البحر . يا عبادي : إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه » رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

وقد ختمنا الكتاب بهذه الأحاديث من حديث رسول الله ﷺ ، كما افتتحناه بشيء منها ؛ تبرُّكاً وتيمُّناً بكلام رسول الله ﷺ . ونرجو بذلك أن يجعل الله الكلام المؤلَّف بين ذلك مقبولاً لديه ، ومقرّباً إلى رضاه ، وفي سبيل طاعته وقربه . وأن يغفر لنا ويتجاوز عنّا ما وقع فيه من خطأ أو تخليط ، وما داخلنا فيه من رياء أو تصنُّع للناس ، أو مباهاة أو إعجاب . ونستغفر الله من جميع ذلك ، ومن سائر الذنوب ونتوب إليه منها (ومن يغفرُ الذنوب إلا الله) (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) (وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا

على القوم الكافرين) (لا إلـه إلا أنت سبحانك) اللهم إنّي أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك . اللهم زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

* * *

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) (سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

* * *

وكان الفراغ من إملائه يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر شعبان المبارك سنة تسع وثمانين بعد الألف من هجرته ﷺ . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

[تم الكتاب بعونه تعالى]

الفهرس

سلسلة كتب الإمام الحدّاد (٦)

رسالة المذاكرة

مع الإخوان المحبّين من أهل الخير والدّين

للإمام شيخ الإسلام قطب الدّعوة والإرشاد

الحبيب عبد الله بن علويّ الحدّاد الحضرميّ الشّافعيّ

رحمه الله تعالى




رسالة المذاكرة
مع الإخوان المحبين من أهل الخير والدين


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الثانية
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
مصححة ومنقحة

بالتعاون مع

الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان
هاتف ٣٤٢٨٨٦ ــ ص.ب ٥٩٢٠ـ١١٣ ـ تلكس ٤٣٢١٨ ــ فاكس ٨٦٠١٣٨ـ١ـ٩٦١

تعريف موجز عن الإمام الشهير عبد الله بن علوي بن محمد الحداد

هو سيدنا الإمام العلامة الداعي إلى الله بقوله وفعله قطب الارشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد ولد رضي الله عنه بالسبير من ضواحي مدينة تريم بحضرموت ليلة الخميس ٥ صفر سنة ١٠٤٤هـ وتربى في تريم وقد كف بصره وهو صغير فعوضه الله عنه بنور البصيرة وجد واجتهد في طلب العلوم النافعة وعكف على علماء عصره في مقدمة مشايخه سيدنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس والحبيب العلامة عقيل بن عبد الرحمن السقاف والحبيب العلامة عبد الرحمن بن شيخ عيديد والحبيب العلامة سهل بن أحمد باحسن الحديلي باعلوي ومن مشايخه أيضاً الإمام العلامة عالم مكة المكرمة السيد محمد بن علوي السقاف.

ثم نصبه الله للدعوة والإرشاد داعياً إلى الله تعالى

بالحكمة والموعظة الحسنة فأقبل عليه الناس وانتشر
صيته في البلدان وانتفع به القاصي والداني فنفع الله
به الكثير وأرشد الجم الغفير وانتشرت دعوته في كل مكان
وانتفع الناس بوعظه وكتبه وأخذ عنه الجم الغفير
فمن كبار تلامذته ابنه سيدنا الحبيب حسن بن عبد الله الحداد
والحبيب أحمد بن زين الحبشي والحبيب عبد الرحمن بن عبد الله
بلفقيه والحبيبين محمد وعمر أبناء زين بن سميط والحبيب عمر بن
عبد الرحمن البار والحبيب علي بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف
والحبيب محمد بن عمر بن طه الصافي السقاف وغيرهم العدد الكثير .
وله مؤلفات كثيرة جمعت النصائح والمواعظ والحكم وانتشرت
انتشاراً كبيراً وكتب لها القبول والمحبة ونفع الله بها الناس
وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى لغات أجنبية في العصر الحاضر
مثل الإنجليزية والفرنسية . ومؤلفاته غنية عن التعريف

ومشهورة لدى الكبير والصغير ومنها النصائح الدينية. والدعوة التامة ورسالة المعاونه وغيرها من الوصايا والرسائل ومجموع كلامه تثبيت الفؤاد وديوانه العظيم الدر المنظوم الجامع للحكم والعلوم ووصاياه ومكاتباته وأكثر مؤلفاته مطبوعة وأقبل عليها الناس إقبالاً شديداً وأعجب بها العلماء والعارفون وجعلوها بمنزلة الغذاء يقرئون فيها في كثير من الأوقات وقالوا عنها انها جمعت الخلاصة والزبدة من كلام الإمام حجة الاسلام الغزالي ولا يستغني عنها كل مسلم فهي وجيزة وجامعه ونفع الله بها ببركة مؤلفها الإمام الحداد رضي الله عنه وكان رضي الله عنه قد سافر إلى الحرمين الشريفين وأدى النسكين وزار جده سيد الكونين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك في عام ١٠٧٩ هجرية واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين الذين اغتبطوا به وعرفوا قدره وأثنوا عليه .

ولم يزل يدعو الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة حتى وفاته إلى رحمة الله تعالى فتوفي ليلة الثلاثاء ٧ ذو القعدة عام ١١٣٢ هجرية ودفن بمقبرة زنبل بتريم رحمه الله رحمة واسعة ورضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه في الدارين آمين .

طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف

حرر الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٤١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾
[البقرة : ٢/ ٣٢] .

الحمد لله رب العالمين ، الذي خلق الإنسان من طين ، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين ، وأخرج المؤمنين المتواصين بالحق والصبر من زمرة الخاسرين ، باستثنائه إيّاهم بعد أن عمّ بالخسران نوع الإنسان الذي هو سائر الآدميين ، وأمر عباده الذين آمنوا بالتعاون علىٰ البرّ والتقوىٰ ، وأخبرهم أنّ أكرمهم عنده أتقاهم ، وأنَّه وليّ المتقين ، وانَّه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ، لا ليعمروا الدنيا ويجمعوا الأموال ، بل قد حذَّرهم ذلك علىٰ لسان رسوله الأمين القائل : « ما أُوحِيَ إليّ أن أجمع الماء وأكونَ من التاجرين ، ولكن أنْ سبّح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين » .

فإذاً سعادة كل أحد وكماله ، في التزام الأمر وفي مالَهُ الذي لأجله خُلِق ، والذوب فيه ، والتفرغ له ، بقطع ما يمنع منه ويصدّ عنه من ترّهات الحمقاء المغترين ، وتهويسات الأغبياء البطّالين .

وصلّىٰ الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين ، الذي أرسله رحمة للعالمين ، وعلىٰ آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد : فإن جِماع الخير وملاكه تقوىٰ الله في السرّ والعلانية وَالغيب والشهادة ؛ والتقوىٰ هي الخصلة التي تجمع لصاحبها خير الدنيا والآخرة ؛ ولعِظَم موقعها من الدِّين ، وجلالة قدرها عند العلماء الرَّاسخين ، صدّروا بها خطبهم والمواعظ والوصايا ؛ ولكونها جامعة للخير كله ، اكتُفِيَ بذكرها في الوصية الواجبة في الخطبة ، وكثيراً ما يقتصر عليها الأكابر في وصية من استوصاهم .

والتقوىٰ وصية الله رب العالمين للأوّلين والآخرين . قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٤/ ١٣١] .

وفي الأمر بالتقوىٰ قال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [النساء : ٤/ ١] الآية . وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٣/ ٧٠] . وقال عزَّ وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٢] وقال تعالىٰ : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ٦٤/ ١٦] ؛ أي : استفرغوا الطاقة والإمكان في ذلك . ﴿ لَا يُكَلِّفُ

﴿ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق : ٦٥/ ٧] .

والآيات في الأمر بالتقوى كثيرة .

وقد جمع الله للمتقين خيرات الدنيا والآخرة ، فمن ذلك :

المخرج من الشدّة ، والرزق من حيث لا يحتسبون .

قال الله تعالىٰ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق : ٦٥/ ٢ـ٣] .

ومن ذلك **الهدىٰ** . قال الله تعالىٰ : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [البقرة : ٢/ ٢] .

ومنها : **العلم** ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٨٢] .

ومنها : **الفرقان** والكفارة للسيئات والمغفرة للذنوب . قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال : ٨/ ٢٩] .

قال بعض المفسرين : يجعل لكم فرقاناً : هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل .

ومنها : **الولاية** . قال الله تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [الجاثية : ٤٥/ ١٩] .

ومنها : **المعية** . قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ٢/ ١٩٤] ؛ أي : بالنصر والإعانة والحراسة .

ومنها : النجاة . قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [مريم : ١٩/ ٧٢] .

ومنها الوعد بالجنة . قال عزَّ من قائل : ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [محمد : ٤٧/ ١٥] ، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ [القلـــــم : ٦٨/ ٣٤] ، ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق : ٥٠/ ٣١] .

إلىٰ غير ذلك من الخيرات الجميلة ، والفضائل الجليلة ، والمواهب الجزيلة ، ويكفي في شرف التقوىٰ أن الله تعالىٰ ذكرها في أكثر من تسعين موضعاً من كتابه .

وفي الأمر بالتقوىٰ وفضيلته ، قال رسول الله ﷺ : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

وقال رسول الله ﷺ : « أوصيكم بتقوىٰ الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمّر عليكم عبد حبشي » الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : «اتَّقِ النار ولو بشقّ تمرة ، فإن لم تجد فبكلمة طيبة » .

وكان عليه الصلاة والسلام ، يقول في دعائه : « اللهم إني أسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا فضل لأبيض علىٰ أسود

ولا لعربي علىٰ عجميّ إلا بتقوىٰ الله ، أنتم من آدم وآدم من تراب » .

وقيل يا رسول الله : من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاهم » الحديث .

وروي أنه عليه الصلاة والسلام ، قال : « لا تأكلْ إلا طعام تقي ، ولا يأكل طعامك إلا تقي » .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ما أعجب رسول الله شيء من الدنيا ، ولا أعجبه أحد إلا أن يكون ذا تقىٰ .

وقال عليّ ـ كرم الله وجهه ـ : إنه لا يهيج علىٰ التقوىٰ زرع قوم . ومعنىٰ يهيج : يهلك .

وقال قتادة : مكتوب في التوراة : اتَّق الله وَمُتْ حيث شئت .

وقال الأعمش : من كان رأس ماله التقوىٰ ، كلّت الألسنة عن وصف ربحه .

وكان بشر الحافي ينشد :

موت التقيّ حياة لا نفاد لها قد مات قوم وهم في الناس أحياء

وفضائل التقوىٰ والمتقين أكثر من أن تُحصر ، وقد بسط الكلام في التقوىٰ الإمام الغزالي في منهاجه ، وقد لخصنا من كلامه بعض ما ذكرناه .

فصل

قال الإمام الغزالي : التقوىٰ في القرآن تُطلق علىٰ ثلاث معان :

أحدها : بمعنىٰ الخشية والهيبة .

والثاني : بمعنىٰ الطاعة والعبادة .

والثالث : بمعنىٰ تنزيه القلب عن الذنوب ، وهذا هو الحقيقة . انتهىٰ مختصراً .

وعلىٰ الجملة ، فالتقوىٰ عبارة عن اتقاء سخط الله وعقابه بامتثال ما به أمر ، واجتناب ما عنه نهىٰ وزجر . وحقيقة التقوىٰ أن لا يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك والسلام .

فصل

وقد علمت أولو القلوب السليمة والعقول المستقيمة أنهم يُجْزَوْن ما كانوا يعملون ، ويَحصُدون ما يزرعون ، وكما يدينون يُدانون ، وعلىٰ ما قدّموه يقدمون ، وكيف لا يعلمون ذلك ، ويوقنون بما هنالك ، وهم يسمعون ما به يؤمنون ، ويصدقون من تنزيل الله المحكم وحديث نبيه ﷺ ما يوجب العلم اليقيني القطعي لمن نوّر الله قلبه وشرح صدره ، فأحضرْ قلبك واصغ بأذنك إلىٰ طَرَف من ذلك ، لعلك بسماعه تستيقظ من غفلتك ، وتتنبّه من نومتك ، فتعمل لنفسك صالحاً تنجو به ، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء : ٢٦/٨٨ ـ ٨٩] .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [النجم : ٥٣/ ٣١] . وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم : ٥٣/ ٣٩ ـ ٤٢] . وقال تعالىٰ : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا

نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء : ٤/ ١٢٣ - ١٢٤] . وقال تعالىٰ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة : ٩٩/ ٧ - ٨] . وقال تعالىٰ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٨٦] . وقال تعالىٰ : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت : ٤١/ ٤٦] . وقال تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران : ٣/ ٣٠] . وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٨١] ؛ ويقال إن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن .

وقال رسول الله ﷺ : « إن روح القدس نفث في رُوعي : عِشْ ما شئت فإنك ميِّت ، وأحبِبْ ما أحببت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك تُجزىٰ به » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « البر لا يَبلىٰ ، والذنب لا يُنْسىٰ ، والديَّان لا يفنىٰ ، كما تدين تدان » .

وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه : « يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ، ثم أوَفِّيكم إيَّاها ، فمن وجد

خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تسبوا الموتىٰ فإنهم قد أفضوا إلىٰ ما قَدَّموا » .

وورد : إن العبد قد يُرفَع علىٰ سيده في درجات الجنة ، فيقول السيد : أي رب !! هذا كان عبدي في الدنيا ، فيقول سبحانه : « إنما جزيته بعمله » .

وقال عليّ ـ كرم الله وجهه ـ : الدنيا دار عمل ولا جزاء فيها ، والآخرة دار جزاء ولا عمل فيها ، فاعملوا في دار لا جزاء فيها لدار لا عمل فيها .

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : يقول الله لأهل الجنة ادخلوا الجنة برحمتي ، واخلدوا فيها بنياتكم الصالحة ، واقتسموها بأعمالكم .

وما ذكرته من الأدلة علىٰ وقوع المجازاة أردت به التنبيه ، وإلا فهو أمر معلوم للخاص والعام ، معروف لا يكاد يَخفىٰ حتىٰ علىٰ الأغبياء من العوام .

فصل

وقد جعل الله بمشيئته ، رضاه في طاعته ، وسخطه في معصيته ، ووَعَد من أطاعه دخول جنته برحمته ، وأوعد من عصاه دخول ناره بعدله وحكمته ، فقال تعالىٰ : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء : ٤/ ١٣ ـ ١٤] .

وقد أمر سبحانه عباده الذين آمنوا بالمسارعة إلىٰ مغفرته وجنته ، وأن يقوا أنفسهم وأهليهم ناراً بامتثال أمره واجتناب معصيته ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٣٣] . وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم : ٦٦/ ٦] .

فصل

في ذكر شيءٍ ممّا يُكرِمُ الله به مَن أطاعَه وعَمل الصّالحاتِ لوَجْهِهِ

قال الله تعالىٰ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ الآية [النحل : ١٦/ ٩٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٢٤/ ٥٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الكهف : ١٨/ ٣٠ ـ ٣١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم : ١٩/ ٩٦] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يحبهم ويحبّبهم إلىٰ المؤمنين .

وقال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالىٰ قال : من عادىٰ لي وليّاً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتىٰ أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعَهُ الذي يسمع به ، وبصرَهُ الذي يبصر به ، ويدَهُ التي يبطش بها ، ورجلَهُ التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » .

أكرم الله بهذه المحبة العظيمة التي تصير معها حركات العبد وسكناته كلها بالله ، ولله مَن أَدَّىٰ ما افترضه عليه ، وأكثر من نوافل الطاعات تقرُّباً إليه .

وقال عليه الصلاة والسلام ، فيما يرويه عن الله عز وجل : « إذا تقرّب إليّ عبدي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إليّ ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة » ، فتقرُّب العبد إلىٰ ربه بطاعته وخدمته ، وتقرُّب الرب من عبده بفضله ورحمته .

وقال عليه الصلاة والسلام فيما يحكي عن ربه : « أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر » .

وفي الزبور : « ابن آدم أطعني ؛ أملأ قلبك غنىٰ ، ويديك رزقاً ، وجسمك صحة » .

وأوحىٰ الله إلىٰ الدنيا : « يا دنيا مَن خدمني فاخدميه ، ومن خدَمَكِ فاستخدميه » .

وقال بشر بن الحارث ـ رحمه الله ـ : ذهب أهل الخير بالدنيا والآخرة .

وقال يحيىٰ بن معاذ : أبناء الدنيا تخدمهم العبيد ، وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار .

فإن أردت يا أخي أن يكون لك عز لا ينقضي ، وسؤدد لا ينقطع ، وشرف لا يذهب ، ومجد لا يبلىٰ ؛ فَأَطِعْ ربك . فإنَّ الله قد جعل ذلك كله في طاعته ، يُكرِمُ به من أطاعه من عباده ، وقد أكرم الله عباداً أطاعوه فحرّرهم من رقِّ الشهوات ، وطهَّرَ قلوبهم من دنس الالتفات إلىٰ الفانيات ، وأجرىٰ علىٰ أيديهم خوارق العادات ، وعجائب الكرامات ؛ من الإخبار بالمغيبات ، وإدرار البركات ، وإجابة الدعوات . فأصبح الناس يقتبسون من أنوارهم ، ويقتدون بآثارهم ، ويتوجَّهون بهم إلىٰ الله في كشف مهمّاتهم ، ويسألونه بحقِّهم في دفع ملمّاتهم ، ويَسْتَشْفعون بمواطىء أقدامهم ، ويتبركون بتربة ضرائحهم ، وقد أكرمهم سبحانه بما هو أجلّ من ذلك ، قذف في قلوبهم من نوره ، وحشاها من خالص معرفته ومحبته ، وآنسهم في خلواتهم بذكره ، فاستَوْحَشوا من خليقته ، وأعدّ لهم النعيم المقيم في دار النعيم ، ووعدهم النظر إلىٰ وجهه الكريم ، ورضاه عنهم أكبر : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٤/٥٧] ، ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات : ٣٧/٦١] .

فصل

في ذكر شيء مما يترتب على المعصية من الخزي والدمار والهوان والبوار في الدنيا والآخرة

قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ [طه : ٢٠/ ٧٤] . وقال تعالىٰ : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [العنكبوت : ٢٩/ ٤] . ومعنىٰ يسبقونا : يعجزونا ويفوتونا .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٣/ ٣٦] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

وقال رسول الله ﷺ : « إذا أذنب العبد ذنباً كان نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب صَفَا قلبه ، وإن عاد زاد ذلك حتىٰ يسودَّ قلبه » ؛ فذلك قوله تعالىٰ : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين : ٨٣/ ١٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام: «قسوة القلب من كثرة الذنوب»

وقال ﷺ : « إن العبد لَيُحْرَم الرزق بالذنب يصيبه » الحديث . وأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ : « يا موسىٰ أوّل من مات من خلقي إبليس ، لعنه الله ، لأنه أوّل من عصاني ، ومن عصاني كتبته ميتاً » .

وقال سعيد بن المسيَّب ـ رحمه الله ـ : ما أكرمت العباد أنفُسَها بمثل طاعة الله ، ولا أهانتها بمثل معصية الله ، وكَفَىٰ المؤمن من نصر الله له أن يرىٰ عدوّه يعمل بمعصية الله .

وقال محمد بن واسع : الذنب علىٰ الذنب يميت القلب .

وقال بعض السلف : إن كنت تعصي الله وأنت ترىٰ أنه يراك ؛ فأنت مُسْتَهِيْنٌ بنظر الله . وإن كنت تعصيه وأنت ترىٰ أنه لا يراك ؛ فأنت كافر .

وقيل لوهيب بن الورد ـ رحمه الله ـ : هل يجد لذة العبادة من يعصي الله ؟ قال : لا ، ولا من يهمّ بالمعصية .

وكان السلف الصالح يقولون : المعاصي بريد الكفر أي : رسوله .

وعلىٰ الجملة فعلامة السقوط من عين الله ، والكون في مَقت الله ؛ العمل بمعصية الله . فالمصرّ عليها مَقِيْتُ الرحمٰن ، ووليّ الشيطان ، وبغيض أهل الإيمان ، فإياك يا أخي والتعرض لسخط الله وعقابه ، بارتكاب معصيته ، ومهما دعتك نفسك إلىٰ

ارتكابها فذكِّرها باطّلاع الله عليك ، ونظره إليك ، وخَوِّفها بما توعد الله مَن عصاه من أليم العذاب ، وعظيم العقاب ، ولو لم يكن في ارتكابها إلا فوات منازل السابقين ، وحرمان ثواب المحسنين ، لكان كافياً .

كيف ؟ وفي ارتكابها العار والنار ، وسخط الجبار ، وغضبه الذي لا تقوم له السمٰوات والأرض . نسأل الله العافية بمنّه .



قال رسول الله ﷺ : « مَن سَرَّتْهُ حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » .

فإذا وفقك الله أيها المؤمن للعمل بطاعته ، فليعظم فرحك بذلك ، ولتبالغ في شكر الله الذي أكرمك بخدمته ، واختارك لمعاملته ، واسأله أن يقبل منك بفضله ، ما يَسَّرَهُ عليك من صالح العمل .

قال عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ : كونوا بقبول العمل أهمّ منكم بالعمل ، فإنه لا يقلّ عمل مقبول .

ولا تزال معترفاً بتقصيرك عن القيام بواجب حق ربك عليك ، وإن عَظُمَ في طاعته جِدُّك وتشميرك ، فإن حقه عليك عظيم ، أوجدك من العدم ، وأسبغ عليك النعم ، وعاملك بالفضل والكرم ، وبحوله وقوّته أطعته ، وبتوفيقه ورحمته عبدته .

وإيّاك أن تدنِّس قميص إيمانك ، وتسوِّد وجه قلبك ؛ بإتيان ما نهاك عنه مولاك ، ومهما وقع منك ذنب ولو على سبيل الندور ، فعليك أن تبادر بالتوبة ، وتُحْسِن الأوبة ، وتكثر الندم

والاستغفار ، ولا تزال خائفاً وجلاً ، فإن المؤمن لا يزال في غاية من الخوف والوجل ، وإن أخلص الطاعة وأحسن المعاملة . وأنت تعلم ما كانت عليه الأنبياء مع عصمتهم ، والأولياء مع حفظهم ، من الخوف والإشفاق ، مع صلاح أعمالهم ، وقلة ذنوبهم أو عدمها ، فأنت بذلك أولى وأحرى .

فلقد كانوا أعرف منك بسعة رحمة الله ، وأحسن منك ظنّاً بالله ، وأصدق منك طمعاً في عفوه ، وأعظم منك رجاء في كرمه وفضله ، فاقْتَدِ بآثارهم تَنْجُ وتسلَمْ ، واتَّبعْ سبيلهم تَفُزْ وتَغْنَمْ ، واعْتصمْ بالله . وَمَنْ يَعتصِمْ بالله فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيمٍ .

فَصْلٌ

ولما كانت هذه الدار قد أُسِّسَتْ على المحن والآفات ، وعُجِنَتْ بالمنغِّصات والمكدِّرات ، وَحُشِيَتْ بالمُشْغِلات والمُلْهِيات ، كثُرتْ لذلك الصوارف عن الطاعات ، وتوفرتِ الدواعي إلى المخالفات ، ثم إنها وإن كثرت تلك الصوارف ، وتوفرت تلك الدواعي .

فتكاد تنحصر في أربعة أشياء : أحدها : الجهل . الثاني : ضعف الإيمان . الثالث : طول الأمل . الرابع : أكل الحرام والشبهات .

ونحن إن شاء الله نشير إلى كل واحد من هذه الأربعة بكلمات وجيزة ، تنبه على ذمها ، وصدور التثبط عنها ، وسبيل الخلاص منها .

وبالله التوفيق .

فصل

أما **الجهل** : فهو أصلُ كلِّ شر ، ومنشأُ كلِّ ضرر ، وهو وأهله داخلون في عموم قوله ﷺ : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله ، وعالم ومتعلم » .

ويروى : « إن الله لما خلق الجهل قال له : أقبل ، فأدبر . فقال له : أدبرْ ، فأقبل . فقال له : وعزتي ما خلقت خلقاً أبغض إليّ منك ، ولأجعلنك في شرار خلقي » .

وقال عليّ ـ كرم الله وجهه ـ : لا عَدُوَّ أعدى من الجهل ، والمرءُ عدوّ ما جَهِل .

وذمّ الجهل معلوم بالنقل والعقل ، لا يكاد يخفى على أحد ، والجاهل واقع في ترك الطاعات وفعل المعاصي ، شاء أم أبى ، فإنه لا يدري أيّ شيء الطاعة التي أمره الله بفعلها ، ولا أي شيء المعصية التي نهاه الله عن ارتكابها ، ولا يخرج من ظلمات الجهل إلا بنور العلم .

ولله درّ الشيخ علي بن أبي بكر ، حيث يقول :

الجهل نار لدين المرء يُحْرِقُه   والعلم ماء لتلك النار يطفيها

فعليك أن تتعلم ما أوجب الله عليك علمه ، وليس بواجب عليك أن تتسع في العلم ، بل عليك أن تتعلم ما لا يصلح إيمانك بدونه من علوم الإيمان ، وعليك أن تتعلم كيف تؤدي ما افترض الله عليك من طاعته ، وكيف تجتنب ما نهاك عنه من معصيته ، وجوباً فورياً في الفوريات ومُوَسَّعاً في المُوَسَّعات .
وقد كان مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ يقول : من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه ، ومن طلب العلم للناس فحوائج الناس كثيرة .

فَصْلٌ

وأما **ضعف الإيمان** : فهو بلية عظيمة ، وخصلة ذميمة ، تنشأ عنها أمور مذمومة ؛ مثل : ترك العمل بالعلم ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأماني في المغفرة بلا سعي لها ، والاهتمام بالرزق ، وخوف الخلق ، إلى غير ذلك من الأخلاق المشْئُوْمة . وعلى قدر إيمان العبد يكون امتثاله للأمر واجتنابه للنهي ، وأَدَلُّ دليل على ضعف إيمانه تركه للموافقات ، وارتكابه للمخالفات ، فعلى كل مؤمن أن يسعى في تقوية إيمانه .

والأمور التي يَقْوَىٰ بها الإيمان ويزيد ثلاثة :

أحدها : أن يصغي بسمعه إلى الآيات والأخبار التي فيها ذكر الوعد والوعيد وأمور الآخرة ، وإلى قصص الأنبياء ، وما أيدوا به من المعجزات ، وما حلّ بمعانديهم من المثلات ، وإلى ما كان عليه السلف الصالح من الزهادة في الدنيا والرغبة في الآخرة . إلى غير ذلك من الأدلة السمعيات .

الثاني : أن ينظر بعين الاستبصار والاستدلال إلى ملكوت السمٰوات والأرض، ومافيهما من عجائب الآيات وبدائع المصنوعات .

الثالث : أن يواظف على العمل بالصالحات ، ويحترز من الوقوع في المعاصي والسيئات ، فإن الإيمان قول وعمل ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وكل هذه المذكورات يزيد بها الإيمان ، ويقوى بها الإيقان . والله المستعان .



وأما **طول الأمل** : فمذموم جداً ، بل هو الذي يدعو إلىٰ خراب الآخرة وعَمار الدنيا ، وقد قال رسول الله ﷺ : « ينجو أول هذه الأمة بالزهد في الدنيا وقصر الأمل ، ويهلك آخرها بالحرص علىٰ الدنيا وطول الأمل » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من الشقاء أربع : جمود العين ، وقسوة القلب ، والحرص ، وطول الأمل » .

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام : « أعوذ بك من كل أمل يلهيني » .

وقال علي ـ كرم الله وجهه ـ : أَخْوَفُ ما أخاف عليكم اتباع الهوىٰ وطول الأمل ، أما اتباع الهوىٰ : فيصدّ عن الحق ، وأما طول الأمل فَيُنْسِي الآخرة .

ومن المأثور : مَن طال أمله ساء عمله .

فطول الأمل عبارة عن استشعار طول البقاء في الدنيا ، وهو دالّ من صاحبه علىٰ فرط الحماقة ونهاية الغباوة ، فإنه قد ضيَّع الحزم وتمسَّك بالوهم ، ولو قيل له مساء : هل تثق بالبقاء إلىٰ الصباح ؟ أو صباحاً : هل تثق بالبقاء إلىٰ المساء ؟ لقال : لا .

ثم هو يعمل لدنياه عمل من لا يموت ، حتىٰ لو أنه أُخبر أنه يُخَلَّد في الدنيا لم يجد موضعاً للزيادة علىٰ ما هو عليه من الحرص والرغبة في الدنيا .

فمن أعظم حماقة ممن هذه صفته ؟

ثم إن طول الأمل أصل لجملة من سيئات الأخلاق والأعمال التي تثبط عن الطاعة ، وتدعو إلىٰ الوقوع في المعصية ، مثل : الحرص ، والبخل ، وخوف الفقر .

ومن أعظمها قبحاً : الاستئناس بالدنيا ، والأخذ في عمارتها ، والسعي لجمع حطامها . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « بُعِثْتُ لخراب الدنيا ، فمن عمرها فليس مني » .

وعن طول الأمل يكون التسويف ، وهو العقيم الذي لا يلد خيراً قط ، يقال : إن أكثر صياح أهل النار من التسويف . فلا يزال المسوّف يتثاقل عن الطاعات ، ويؤخّر التوبة عن السيئات ، حتىٰ ينزل به الموت ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ ﴾ [المنافقون : ٦٣/ ١٠] ، فيقال له : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ ﴾ [المنافقون : ٦٣/ ١١] ، ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧ ﴾ [فاطر : ٣٥/ ٣٧] .

فيَخرج من الدنيا بحسرة لا آخر لها ، وندامة لا انتهاء لها ؛ فقصّر يا أخي أملك ! وليكن أجلك نصب عينيك ، وأملك وراء

ظهرك ، واستعِنْ علىٰ ذلك بالإكثار من ذكر هادم اللذات ، ومفرق الجماعات ، وتَفَكَّر في مَن دَرَجَ أمامك من المعارف والقرابات ، واستشعر قرب الموت ، فإنه أقرب غائب ينتظر ، وكن مستعداً له متخوّفاً هجومه في جميع الحالات .

وقد كان رسول الله ﷺ : يقول : « والذي نفسي بيده ما رفعت طرفي فَظَنَنْتُ أني أخفضه حتىٰ أُقْبَضَ ، ولا أكلت لقمة فظننت أني أسيغها حتىٰ أغص بها من الموت » الحديث .

وربما ضرب عليه السلام بيده علىٰ الحائط للتيمم فيقال له : إن الماء منك قريب ، فيقول : « لا أدري لعلي لا أبلغه » .

وكان الصِّدِّيق رضي الله عنه ، ينشد :

كل امرىء مصبح في أهله ... والموت أدنىٰ من شراك نعله

قال حجة الإِسلام ـ رحمه الله ـ : اعلم أن الموت لا يهجم في وقت مخصوص وحال مخصوص وسنّ مخصوص ، ولا بد من هجومه ؛ فالاستعداد له أولىٰ من الاستعداد للدنيا .

فصل

وأما **تناول الحرام والشبهات** : فهو لا محالة يصرف عن الطاعة ، ويدعو إلىٰ المعصية ، وقد رُوِيَ مرفوعاً إلىٰ رسول الله ﷺ : « من أكل الحلال أطاعت جوارحه شاء أم أبىٰ ، ومن أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبىٰ » .

وفي الخبر أو الأثر : « كُلْ ما شئت فمثله تعمل » .

وقال بعض العارفين : ما قطع الخلق عن الحق ، وأخرجهم من دائرة الولاية ؛ إلا عدم تفتيشهم عن هذه اللقمة .

وآكل الحرام والشبهة وإن أطاع فطاعته غير مقبولة لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة : ٥/ ٢٧] والله طيِّب لا يقبل إلا طيِّباً .

فأمسكْ يا أخي عن تناول الحرام وجوباً ، وعن تناول الشبهات ورعاً ، وعليك بطلب الحلال ، فإن طلبه فريضة بعد الفريضة ، فإذا ظفرت به فكُلْ منه قصداً ، والبَسْ منه قصداً ، ولا تُسرفْ فإن الحلال لا يحتمل السَّرَف ؛ وإياك والشِّبع فإنه من الحلال مبدأ كل شر ، فكيف من الحرام ؟

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرّاً من بطنه ، حَسْب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ؛ فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لِنَفَسِه » ، والسلام .

فصل

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات : ٥١/٥٦] . وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت : ٢٩/٥٦] .

فعليك أيها المؤمن ـ وفقك الله ـ بالتفرغ لعبادة ربك بقطع ما يَقطع عنها من القواطع ، وصرف ما يَصرف عنها من الصوارف والموانع .

واعلم أن العبادة لا تصح بدون العلم ، والعلم والعبادة لا ينفعان إلا مع الإخلاص ، فعليك به ، فإنه القطب الذي عليه المدار ، والأصل الذي عليه المعوّل . وهو كما قال أبو القاسم القشيري ـ رحمه الله ـ : الإخلاص : إفراد الحق في الطاعة بالقصد . وهو أن تقصد بطاعتك التقرب إلىٰ الله دون شيء آخر ؛ مِنْ تَصَنُّع لمخلوق ، أو اكتساب محمدة عند الناس ، أو محبة مدح من الخلق ، أو معنىً من المعاني سوىٰ التقرب إلىٰ الله . قال : ويصح أن يقال : الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة الخلق . انتهىٰ ، وهو القصد في هذا الباب .

فصل

وإياك **والرياء** فإنه يحبط العمل ويبطل الثواب ، ويوجب المقت والعقاب ، وقد سمَّاه رسول الله ﷺ : الشرك الأصغر .

وفي الحديث الصحيح عنه ، ﷺ : « أوَّلُ خَلْقِ الله تُصلَىٰ بهم النار ثلاثة : رجل قرأ القرآن ليقال إنّه قارىء ، ورجل استشهد وما قاتل إلا ليقال إنه جريء ، ورجل له مال تَصَدَّق منه صدقة ليقال إنه جواد » . الحديث مختصر بمعناه .

والرياء : عبارة عن طلب المنزلة عند الناس ، بعمل يتقرب بمثله إلىٰ الله ؛ كالصلاة والصيام . فإن أحسستَ من نفسك بالرياء فلا تطلبنّ الخلاص منه بترك العمل ، فتكون قد أرضيت الشيطان ، بل عليك أن تنظر ، فكل عمل لا تستطيع أن تعمله إلا حيث يراك الناس ؛ كالحج والجهاد وطلب العلم وصلاة الجماعة وما جرىٰ مجرىٰ ذلك ، فعليك أن تفعله ظاهراً كما أمرك الله ، وجاهِدْ نفسك واستعن بالله . وأما ما لا يكون من الأعمال بهذه المثابة ؛ كالصيام والقيام والصدقة والتلاوة ، فعليك في مثل هذه الأعمال بالمبالغة في كتمانها ، فإن فعلها في السر أفضل مطلقاً ، إلا لمن أمن الرياء وأمَّل الاقتداء ، وكان من أهله .

فصل

واحذر **العُجْب** فإنه من المحبطات .

قال رسول الله ﷺ : « العُجْب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوىٰ متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » .

والعُجْب : عبارة عن نظر الإنسان إلىٰ نفسه بعين التعظيم ، وإلىٰ ما يصدر منها بعين الاستحسان ، وعنه نشأ الإدلال بالعمل والتعاظم علىٰ الناس والرضا عن النفس .

وهو كما قال ابن عطاء الله ـ رحمه الله ـ : أصل كل معصية وغفلة وشهوة : الرضا عن النفس . انتهىٰ .

ومن رضي عن نفسه عمي عن عيوبها ، ومتىٰ يُفلح من يجهل عيوب نفسه ؟ :

وعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ ولكن عين السخط تبدي المساويا

فصل

قال رسول الله ﷺ : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

فإذا كان حُبُّها رأسَ كُلِّ خطيئة ، وأَصْلَ كُلِّ بلية ، وأساس كل رَزِيَّة ، ومعدن كل فتنة ، ومنبع كل محنة ، وهو أمر قد عم في هذا الزمان ضرره ، وطار شرره ، وعظم خطره ، وأطبق عليه الخاص والعام ، وتظاهر الناس به بلا احتشام كأنه لا عار فيه ولا ملام ، وقد تمكن من قلوبهم كل التمكن ، فأثمر لهم الحرص البالغ علىٰ عمارة الدنيا وجمع الحطام ، فَغَدَوا وراحوا بشبكاتهم لاصطياد الشبهات والحرام ، كأن الله قد فرض عليهم عمارة الدنيا كما فرض الصلاة والصيام .

ولذلك دَرَسَتْ معالم الدين ، وطَمَسَتْ أنوار اليقين ، وخَرِسَتْ ألسنة المذكرين ، وعَفَت سُبُل الهدىٰ ، واقتُحِمَتْ سُبُل الردىٰ ، وهذه والله هي الفتنة العمياء الصماء ، المدلهمة السوداء ، التي لا يُجاب فيها من دعا ، ولا يُسمع فيها من نادىٰ ، حق ما أخبر به سيد الأنبياء ، إذ يقول : « لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي المال . ولكل أمة عجل ، وعجل أمتي الدينار والدرهم » . معناه والله أعلم : أن لكل أمة شيئاً يشتغلون به عن عبادة الله تعالىٰ كل الاشتغال ، كما اشتغلت بنو إسرائيل بعبادة العجل عن عبادة الله تعالىٰ .

وَبَعدُ فَمِنَ الحَسَنِ أن نَختمَ هٰذهِ النَّبذَةَ بشَيءٍ مِمّا وَرَدَ في ذَمِّ الدّنيَا وَذَمِّ مُؤثِرِهَا ، وَيَنبغِي أن نُصَدِّرَ ذلك بقَاعِدَةٍ يعَوَّلُ عَليهَا وَيُرجَعُ إليها . فَنَقولُ وَباللهِ التَّوفِيقُ :

الدنيا علىٰ ثلاث طبقات : فدنيا فيها الثواب ، وأخرىٰ فيها الحساب ، وثالثة فيها العذاب .

فأما التي فيها **الثواب** : فهي التي تصل بواسطتها إلىٰ الخير ، وتنجو بواسطتها مِنَ الشر ، وهي مطية المؤمن ومزرعة الآخرة ، وهي الكفاف من الحلال .

وأما التي فيها **الحساب** : فهي التي لا تشتغل بسببها عن أداء مأمور ، ولا ترتكب في طلبها أمراً محظوراً ، وهذه الدنيا فيها الحساب الطويل ، وأربابها هم الأغنياء الذين يسبقهم الفقراء إلىٰ الجنة بنصف يوم وهو خمسمائة عام .

وأما التي فيها **العذاب** : فهي التي تَقْطَع عن أداء المأمورات ، وتُوقِع في ارتكاب المحظورات ، وهي زاد صاحبها إلىٰ النار ، ومدرجته إلىٰ دار البوار . وإليه الإشارة بما روي : « إن الله يأمر بالدنيا إلىٰ النار فتقول : يا رب ، أشياعي وأتباعي ؟ فيقول سبحانه وتعالىٰ : ألحقوا بها أشياعها وأتباعها ، فيُلْحَقون بها » .

واعلم أن طلاب الدنيا علىٰ أنواع : فمنهم من يطلبها على

نية صلة الأقربين ومواساة المقلين ، وهذا يعدّ من الأسخياء ، وله ثواب إن وافق عمله نيته ، ولكنه لا حكمة عنده ، لأن الحكيم لا يطلب أمراً لا يدري ماذا يكون الحال عند حصوله ؛ وَلْيَعْتَبِرْ من يطلبها علىٰ هذه النية بقصة ثعلبة المشار إليه في قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ [التوبة : ٩/ ٧٥] . الآيات . وكم من طالب نيته نيل الشهوات ، والتمتع باللذات ، وهذا يعدّ في جملة البهائم ويدخل في حيز الأنعام ، وإليه وإلىٰ نوعه الإشارة بقوله تعالىٰ : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان : ٢٥/ ٤٤] ، وكم من طالب يطلب الدنيا ليفاخر بها ويكاثر بها ويباهي بها ، وهو معدود من الحمقىٰ المغرورين بل من الهالكين المثبورين ، و ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢/ ٦٠] ، ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [القصص : ٢٨/ ٦٩] .

فانصح يا أخي لنفسك ، وإياك أن تغشها ، فتدّعي أمراً ليس من نيتك ، فتكون قد جمعتَ بين الإفلاس والدعوىٰ ، فتخسر الدنيا والآخرة : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر : ٣٩/ ١٥] . إذا تقرر هذا فلنشرع في الخاتمة ونقول :

خاتمة

تحتوي على آيات من كتاب الله وأخبار من سنة رسول الله ﷺ وآثار من حكمة أولياء الله تدل على حقارة الدنيا وسرعة زوالها وعلى حماقة من اغتر بها وركن إلى محالها وتحمل على الزهد في الدنيا من نظر فيها، وكان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

قال الله تعالىٰ ، وقوله الحق وكلامه الصدق : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ١٠/ ٢٤] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف : ١٨/ ٧ ـ ٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١ ﴾ [طه : ٢٠/ ١٣١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ

﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الشورىٰ : ٤٢/ ٢٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد : ٥٧/ ٢٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النازعات : ٧٩/ ٣٧ ـ ٣٩] .

وقال رسول الله ﷺ : « الدنيا ملعَونة ، ملعَون ما فيها ، إلا ذكر الله ، وعالم ومتعلم ، فلو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ، ما سقىٰ كافراً منها شربة ماء » . « الدنيا جيفة قذرة » .

« إن الله تعالىٰ جعل ما يَخْرُج من ابن آدم مَثَلاً للدنيا » .

« ما الدنيا في الآخرة ؛ إلا مثل ما يضع أحدكم إصبعه في اليمّ ، فينظر بماذا يرجع » .

« لَيَوَدَّنَّ كل أحد يوم القيامة ، أَنَّ ما أعطي من الدنيا كان قوتاً » .

« إن بين أيديكم عقبة كئوداً ، لا يجوزها إلا المُخِفُّون » .

وقال رجل : هل أنا من المُخِفِّين يا رسول الله ؟ فقال :

« هل عندك قوت يومك » ؟ قال : نعم ، قال : « عندك قوت غد » ؟ قال : لا ، فقال رسول الله ﷺ : « لو كان عندك قوت غد لم تكن من المُخِفِّين » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الدُّنيا حلوة خضرة ، وإن الله مُسْتَخْلِفُكم فيها ، فناظر كيف تعملون ، فاتّقوا الدنيا ، واتّقوا النساء ، فوالله ما الفقرُ أخشىٰ عليكم ، إنما أخشىٰ أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا كما بُسِطَتْ علىٰ مَن كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم » .

« إن مما أخاف عليكم بعدي ما يُفْتَحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها وزهرتها » .

« احذروا الدنيا ؛ فإنها أسحر من هاروت وماروت » .

« الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر » .

« إن الله يذود الدنيا عن عبده المؤمن ، كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة » .

« ذنبٌ لا يُغْفَرُ ؛ حُبُّ الدنيا » .

« مَن أحبَّ آخرته ، أضرّ بدنياه . ومَن أحب دنياه ، أضرّ بآخرته . فآثروا ما يبقىٰ علىٰ ما يفنىٰ » .

« مُرَّة الدنيا حلوة الآخرة ، وَحلوة الدنيا مُرَّة الآخرة » .

« الأكثرون هم الأقلّون يوم القيامة إلا مَنْ قال هكذا وهكذا » .

« ليجاءُنّ بأقوام يوم القيامة ، لهم أعمال كجبال تهامة ، فتجعل هباء منثوراً ، ويؤمر بهم إلىٰ النار ، كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هينة من الليل ، فإذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « ما لي وللدنيا ، إنما مَثَلِي وَمَثَلُ الدنيا كراكب سار في يوم صائف ، فقال تحت شجرةٍ ساعةً ، ثم راح » .

« من أصبح آمناً في سربه ، معافىٰ في جسده ، عنده قوت يومه ؛ فكأنما حيزت إليه الدنيا بحذافيرها » .

« بُعِثْتُ لخراب الدنيا ، فمَن عَمَرَها فليس مني » .

« من كانت نيته الآخرة ؛ جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، واتته الدنيا وهي راغمة . ومن كانت نيته الدنيا ؛ جعل الله الفقر بين عينيه ، وشتَّت عليه أمره ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له » .

« كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعُدَّ نَفْسَك في أهل القبور » .

« ازهد في الدنيا يحبّك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبُّك الناس » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا دار من لا دار له ،

ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يحزن من لا علم له ، وعليها يَحْسُدُ من لا فقه له ، وبها يفرح من لا يقين له » .

« ما سَكَن حبُّ الدنيا قلبَ عبد إلا التاط منها بثلاث : شغل لا ينفك عَناه ، وفقر لا يدرك غَناه ، وأمل لا يُنال منتهاه » .

« إنَّ الدنيا والآخرة طالبتان ومطلوبتان ، فطالب الآخرة : تطلبه الدنيا حتىٰ يستوفي رزقه ، وطالب الدنيا : تطلبه الآخرة حتىٰ يأخذ الموت بعنقه » .

« ألا وإن السعيد من آثر باقيةً يدوم نعيمها علىٰ فانية لا ينفدُ عذابها ، وقَدَّمَ لما يقدم عليه ، مما هو الآن في يديه ، قبل أن يُخَلِّفَهُ لمن يَسْعَدُ بإنفاقه ، وقد شَقِيَ هو بجمعه واحتكاره » ، « تعس عبد الدنيا وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الزهادة في الدنيا : تريح القلب والبدن ، والرغبة في الدنيا : تكثر الهمّ والحزن ، والبطالة : تقسي القلب » .

« إن النور إذا دخل القلب انشرح له وانفسح ، قيل : فهل لذلك من علامة ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلىٰ دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله » .

وأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ : « يا موسىٰ ، إذا أحببت عبدي زويت عنه الدنيا ، وهكذا أفعل بأحبابي . يا موسىٰ ، إذا رأيت الغنىٰ مقبلاً فَقُلْ : ذنبٌ عُجِّلَتْ عقوبته ، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل : مرحباً بشعار الصالحين » .

وأوحىٰ الله إلىٰ داوود : « يا داوود ، من آثر هوىٰ دنياه علىٰ لذة آخرته ، فقد استمسك بالعروة التي لا وثاق لها . ومن آثر هوىٰ آخرته علىٰ لذة دنياه ، فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها » .

وأوحىٰ الله إلىٰ عيسىٰ : « يا عيسىٰ ، قُلْ لبني إسرائيل يحفظوا عني حرفَيْن : قل لهم لِيَرضُوا بِدَنِيِّ الدنيا لسلامة دينهم ، كما رضي أهل الدنيا بِدَنِيِّ الدين لسلامة دنياهم » .

وفي بعض كتب الله المنزلة : أهون ما أنا صانع بالعالِم إذا ركن إلىٰ الدنيا ؛ أن أُخْرِجَ حلاوة مناجاتي من قلبه .

ويروىٰ عن الله تعالىٰ أنه قال للدنيا : « يا دنيا : مُرّي لأوليائي ولا تَحْلِي لهم فتفتنيهم » .

وقال عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ : مَثَلُ الدنيا والآخرة مَثَلُ المشرق والمغرب ؛ علىٰ قَدْر ما تقرُبُ من أحدهما تبعد عن الآخر . ومَثَلُ الضَّرّتَيْن إذا أرضيتَ إحداهما أسخطتَ الأخرىٰ . ومَثَلُ إناءين أحدهما فارغ والآخر ممتلىء ، بقَدْر ما تصب في الفارغ ينقص الملآن .

وقال رضي الله عنه : وجدت الدنيا ستة أشياء : مطعوم ، وأطيبه العسل ، وهو مَذْقَة ذباب . ومشروب ، وأحسنه الماء ، وهو الذي يستوي به البَرُّ والفاجر . ومشموم ، وأذكاه المسك ، وهو دم فأرة . وملبوس ، وألينه الحرير ، وهو نسج دودة . ومركوب ، وأَنْفَسُهُ الفرس ، وهي التي يُقْتَل عليها الرجال . ومنكوح ، وهو مبالٌ في مبالٍ ، وحسبك أن المرأة تتزَيَّن بأحسن ما عندها ، ويُقْصَدُ منها أخسّ ما فيها .

وقال رضي الله عنه : طوبىٰ للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً ، وترابها فراشاً ، وماءَها طِيْباً ، والدعاء والقرآن شعاراً ودثاراً ، فرفضوا الدنيا علىٰ منهاج عيسىٰ عليه الصلاة والسلام .

وفي المعنىٰ أنشدوا :

إنَّ لله رجــــالاً فُطُنــــا	طَلَّقوا الدنيا وخافوا الفِتَنا
نظـروا فيهـا فلمـا علمـوا	أنهـا ليسـت لحـيّ وطنـا
جعلـوهـا لجـة واتخـذوا	صـالـح الأعمـال فيهـا سفنـا

وقال سعيد بن المسيَّب ـ رحمه الله ـ : الدنيا نذلة ، وهي بكل نذل أشبه . وأنذل منها مَنْ يأخذها من غير وجهها .

وللمتنبِّي في المعنىٰ :

وشِبْـهُ الشـيء منجـذبٌ إليـه	وأَشْبَهُنـا بـدنيـانـا الطغـام

ولـو لـم يَغْـلُ إلا ذو محـل   تعالىٰ الجيش وانحط القَتام

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لبّ فيها فرحاً ، رحم الله أمْرَأً لبس خَلَقاً ، وأكل كسرة ، ولزق بالأرض ، وبكىٰ علىٰ الخطيئة ، ودأب في العبادة .

وقال ـ رحمه الله ـ : إذا دخل القلبَ حُبُّ الدنيا ذهب منه خوف الآخرة ، وإياكم وما يشغل من الدنيا ؛ فإنه لم يَفْتَحْ عبد علىٰ نفسه باباً من الدنيا إلا سدّ عليه عدة أبواب من عمل الآخرة .

وقـال ـ رحمـه الله ـ : مسكيـن ابـن آدم يستقـلّ مـالـه ، ولا يستقلّ عمله . يفرح بمصيبته في دينه ، ويجزع بمصيبته في دنياه . علىٰ الأسقام والأمراض أُسِّسَتْ هذه الدنيا ، هَبْكَ تصح من الأسقام ، وتبرأ من الأمراض ، هل تقدر أن تنجو من الموت ؟

ولله در القائل :

هَـبِ الـدنيـا تـواتيكـا   أليـس المـوت يـأتيكـا
ألا يـا طـالـب الـدنيـا   دع الـدنيـا لشـانيكـا
فمـا تصنـع بـالـدنيـا   وظـل المِيْـل يكفيكـا
كما أضحكك الدهر   كـذاك الـدهـر يُبْكيكـا

وقال محمد الباقر رضي الله عنه : ما الدنيا ؟ وما عسىٰ أن تكون ؟ هل هي إلا مركب ركبته ، أو ثوب لبسته ، أو امرأة أصبتها ؟

وقال وهب بن منبه ـ رحمه الله ـ : للجنة ثمانية أبواب ، فإذا حصل الناس عليها قال لهم الخزنة : وعزّة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة .

وقال محمد بن سيرين : اختصم رجلان في أَرْضٍ ، فأوحىٰ الله إلىٰ الأرض : أن كلّميهما ، فقالت لهما : يا مسكينان ، قد ملكني قبلكما ألفُ أعور فضلاً عن الأصحاء .

وقال أبو حازم المدني ـ رحمه الله ـ : ما في الدنيا شيء يسرك ، إلا وقد لصق به شيء يَسُوْءُك ، الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، وموطن شقاء لا موطن رخاء . وقالت له امرأته : إن الشتاء قد يهجم ، ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب ، فقال : مِن هذا كله بُدٌّ ، ولكن لا بدّ لنا من الموت ، ثم البعث ، ثم الوقوف بيني يدي الله ، ثم الجنة أو النار .

وقال ـ رحمه الله ـ : ما تضرب بيدك إلىٰ شيء من الدنيا ، إلا وتجد فاجراً قد سبقك إليه .

وقال ـ رحمه الله ـ : نعمة الله عليّ فيما زوىٰ عني من الدنيا ، أفضل من نعمته عليّ فيما صرفه إليّ منها .

وقال : ما مضىٰ من الدنيا فَحِلْمٌ ، وما بقي منها أمانيّ .

وأنشدوا في المعنىٰ :

كعبور طيف أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يُخْدَعُ

ولأبي الطيب المتنبي :

وكم مَنْ يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل إلىٰ الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال

وقال لقمان عليه السلام : من باع دنياه بآخرته ربحهما جميعاً ، ومن باع آخرته بدنياه خسرهما جميعاً .

وفي وصية لابنه : إنَّ الدنيا بحر عميق ، قد غرق فيه ناس كثير ، فلتكن سفينتك فيه تقوىٰ الله ، وحشوها الإِيمان ، وشراعها التوكل ، لعلك تنجو ، وما أراك ناجياً .

وقال مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ : إذا سقم البدن ، لم ينجع فيه طعام ولا شراب ، ولا نوم ولا راحة ، وكذلك القلب ، إذا غلبه حب الدنيا لم تنفعه الموعظة .

وقال مالك لأصحابه : أنا أدعو وأمِّنوا أنتم : اللهم لا تُدْخِلْ بيت مالك من الدنيا لا قليل ولا كثير .

وكان إذا خرج من منزله يشد بابه بحبل ويقول : لولا الكلاب لتركته مفتوحاً .

وكان يقول : لا يبلغ العبد منازل الصدّيقين ، حتىٰ يدع امرأته كأنها أرملة ، ويأوي إلىٰ الكلاب .

ومر علىٰ رجل يغرس فسيلاً ، فغاب يسيراً ، ثم مر بالموضع وقد أثمر الفسيل ، فسأل عن غارسه ، فقيل له : مات ، فأنشأ يقول :

مـؤمِّـلُ دنيـا لتبقـىٰ لـه فمـات المـؤمِّـلُ قبـل الأمـلْ
يـربـي فسيـلاً ويُعْنَـىٰ بـه فعاش الفسيل ومات الرجل

ولأبي العتاهية :

كم عامرٍ داراً لِيَسْكُنَ ظِلَّها سَكَنَ القبورَ ودارَهُ لم يَسْكُنِ

وفي بعض الآثار : « لا تزال لا إلٰه إلا الله تدفع عن قائليها ما لم يؤثروا صفقة دنياهم علىٰ دينهم ، فإذا فعلوا ذلك وقالوها ، قال الله : كذبتم لستم بها صادقين » .

وكان بعض السلف يقول : يا من يمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض إلا بإذنه ، أمسك عني الدنيا .

ودخـل إبـراهيـم بـن أدهـم علـىٰ المنصـور ، فقـال : يا إبراهيم ، ما تقول ؟ فأنشده :

نُـرَقِّـعُ دنيـانـا بتمـزيـق ديننـا فلا ديننا يبقىٰ ولا ما نُرَقِّعُ

وقال إنسان لداوود الطائي : أوصني ، فقال له : صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة ، وفِرَّ من الناس فرارك من الأسد .

ورآه رجل في المنام وهو يعدو ، فقال له : يا أبا سليمان ، ما لك ؟ فقال : الآن أفلت من السجن . فلما استيقظ قيل له : مات دوواد الطائي .

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ : جُعِل الشر كله في بيت ، وجُعِل مفتاحه : الرغبة في الدنيا . وجُعِل الخير كله في بيت ، وجُعِل مفتاحه : الزهادة في الدنيا .

وقال ـ رحمه الله ـ : لو كانت الدنيا ذهباً يفنىٰ والآخرة خزفاً يبقىٰ ، لكان ينبغي لنا أن نؤثر خزفاً يبقىٰ علىٰ ذهب يفنىٰ ، فكيف والدنيا خزف يفنىٰ والآخرة ذهب يبقىٰ ؟ .

وقال ـ رحمه الله ـ : لو أُتِيت بالدنيا وقيل لي خذها حلالاً بلا حساب ، لكنت أستقذرها كما يستقذر أحدكم الجيفة إذا مرّ بها أن تصيب ثوبه .

وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ : لو كانت الدنيا تباع في السوق لما اشتريتها برغيف . لما أرىٰ فيها من الآفات .

وقال ـ رحمه الله ـ :

ومن يجهل الدنيا فإني عَرَفْتُها ... وسيق إلينا عذبها وعذابُها
فلم أرها إلا غروراً وباطلاً ... كما لاح في ظهر الفلاة سرابُها

وما هي إلا جيفة مستحيلة　　عليها كلاب هَمُّهُنَّ اجتذابها
فإن تجتنبها عشت سلماً لأهلها　　وإن تجتذبها جاذبتك كلابها

وقال بشر بن الحارث ـ رحمه الله ـ : من سأل ربه الدنيا فقد سأله طول الوقوف بين يديه ـ يعني : للحساب ـ

وكان ينشد هذه الأبيات :

أقسم بالله لرضخُ النوىٰ　　وشربُ ماء القُلُبِ المالحهْ
أحسنُ للمؤمن من حِرْصِهِ　　ومن سؤال الأوجه الكالحه
فاسْتَغْنِ بالله تكن ذا غنىٰ　　مغتبطاً بالصفقة الرابحة
اليأس عزّ والتقىٰ سؤدد　　ورغبة النفس لها فاضحه
من كانت الدنيا به بَرَّةً　　فإنها يوماً له ذابحه

وكان ينشد أيضاً هذين البيتين لبعض السلف، رضوان الله عليهم :

مكرم الدنيا مهانٌ　　مُسْتَذَلٌ في القيامهْ
والذي هانت عليه　　فله ثَمَّ كرامهْ

وقال ضرار بن ضمرة يصف عليّاً ، ـ كرم الله وجهه ـ : كان يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ؛ وقد أَرْخىٰ الليل سدوله وغارت نجومه ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، قابضاً على لحيته قائلاً : يا دنيا غُرِّي غيري ، أَلِيْ تعرضتِ ، أم إليَّ تشوفتِ ، قد بتَتَك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعمركِ قصير ، ومجلسكِ حقير ، وخطركِ كبير. آه آه من قلة الزاد، وبعد الطريق، ووحشة السفر.

وقال بعض السلف : مسكين ابن آدم ، رضي بدار حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، إن أخذه مِن حِلِّه حوسب بنعيمه ، وإن أخذه من غير حِلِّه عذب به .

وقال المأمون ـ رحمه الله ـ : ما أحسب أحداً يصف الدنيا ـ يعني : من الشعراء ـ بمثل ما وصفها به الحسن بن هانئ في قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكَشَّفَتْ له عن عدوّ في ثياب صديقِ
وما الناس إلا هالكٌ وابن هالكٍ وذو نسب في الهالكين عريق

وقال يحيى بن معاذ ـ رحمه الله ـ : ليكن نظرُك في الدنيا اعتباراً ، وزهدك فيها اختياراً ، وأخذك منها اضطراراً .

وقال ـ رحمه الله ـ : تركت الدنيا لكثرة عنائها ، ولقلة غنائها ، ولسرعة فَنائها ، ولِحَسَد شركائها .

وقال أيضاً : الدنيا حانوت إبليس ، مَن أخذ منه شيئاً تبعه حتى يأخذه . الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غَمَّ ساعة ، فكيف بغم عمرك مع قلة نصيبك منها ؟

وقال بعض الصالحين :

ومَن يحمد الدنيا لعيش يَسُرُّه
فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرةً
وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

ودعا الرشيد بشربة ماء ، فأُتي بها ـ وكان ابن السماك عنده ـ فقال له : أرأيت لو حيل بينك وبين هذه الشربة ، أكنت تشتريها بملكك ؟ قال : نعم . فقال ابن السماك : أفّ لدنيا لا تساوي شربة ماء .

وقيل لبعض المتقدمين ممن طال عمره : صف لنا الدنيا ، فقال : بيت له بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ، ورأيت سُنَيَّاتِ بلاء وسُنَيَّاتِ رخاء ، ومولود يولد وهالك يهلِك ، فلولا مَن يَلِد مابقي منهم أحد، ولولا من يهلِك ما وسعتهم الدنيا .

وقال بعض الحكماء : الدنيا خراب ، وأخرب منها قلب من يعمرها . والآخرة عَمار ، وأعمر منها قلب من يطلبها .

وقيل لحكيم آخر : الدنيا لمن ؟ قال : لمن تركها ، قيل : فالآخرة لمن ؟ قال : لمن طلبها .

وقيل لبعض الزهاد : كيف رأيت الدنيا ؟ قال : تخلق الأبدان ، وتجدد الآمال ، وتقرّب المنية ، وتبعد الأمنية ، قيل : فما حال أهلها؟ قال: من ظفر بها تَعِب، ومن فاتته نَصِب .

ولله درّ من يقول :

أرى الدنيا لمن هي في يديهِ ... عـذابـاً كلمـا كثـرت عليـهِ
تُهِيـن المُكْـرِمِيـن لهـا بصُغْـرٍ ... وتُكْرِم كُلَّ من هانت عليهِ
إذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخـذ مـا أنـت محتـاج إليـه

قال الإمام حجة الإسلام في « الإحياء » : أما بعد ، فإن الدنيا عدوّةٌ لله ِ، وعدوّة لأولياء الله ، وعدوّة لأعداء الله .

أما عداوتها لله : فإنها قطعت الطريق على عباد الله ، ولذلك لم ينظر إليها مذ خلقها .

وأما عداوتها لأولياء الله : فإنها تزينت لهم بزينتها ، وعمتهم بزهرتها ونضارتها ، حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها .

وأما عداوتها لأعداء الله : فإنها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها ، واقتنصتهم بشبكتها ، حتى وثقوا بها وعوّلوا عليها ، فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها ، فاجْتَنَوْا منها حسرة تتقطع منها الأكباد ، ثم حرمتهم من السعادة أبد الآباد ، فهم على فراقها يتحسرون ، ومن مكائدها يستغيثون فلا يغاثون ، بل يقال لهم : ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/١٠٨] ، ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢/ ٨٦] . انتهى .

وعلى الجملة فالآيات والأخبار والآثار في هذا الباب أكثر من أن تحصى ، وأبعد من أن تستقصى ، وفيما أشرنا إليه كفاية ، وعبرة لمن يعتبر ، وتذكرة لمن يتذكر ، ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [غافر : ٤٠/ ١٣] .

وَلنَختِمْ هٰذه الخَاتِمَة بِذِكرِشَيْءٍ مِن كلَامِ رَأْسِ
الزّاهِدِينَ وَحُجّةِ اللهِ عَليهِم عيسَى ابن مَريَم على نَبيّنَا
وَعَلَيْه أفضَل الصَّلَاةِ والسَّلَام .

قال عيسى عليه السلام : الدنيا قنطرة ، فاعبروها ولا تعمروها . يا طالب الدنيا لِتَبَرَّ بها ، تَرْكُك لها أبرّ وأبرّ . لا يجتمع حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن ، كما لا يجتمع الماء والنار في إناء واحد .

وقال عيسى عليه السلام : الدنيا عَرَض حاضر ، يأكل منه البَر والفاجر . والآخرة وعد صادق ، يحكم فيه مَلِك قادر .

وقال عليه الصلاة والسلام: «لاتتخذوا الدنيا رَبّاً فتتخذكم عبيداً ، اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليها الآفة ، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة » .

وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « إدامي : الجوع ، وشعاري : الخوف ، ولباسي : الصوف ، وصلاتي في الشتاء: مشارق الشمس، وسراجي: القمر، ودابتي: رجلاي ، وطعامي وفاكهتي : ما أنبتت الأرض ، أبيت وليس لي شيء ، وأصبح وليس لي شيء ، وما أجد على الأرض أغنى مني » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عجبت لغافل ليس بمغفول عنه ، وبمؤمل دنيا والموت يطلبه ، ولباني قصر والقبر مسكنه ، إن خشية الله وحُبَّ الفردوس يباعدان من زهرة الدنيا ، ويورثان الصبر على المشقة ، وإن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس » .

وكان يقول : يا معشر الحواريين : قد أكببت لكم الدنيا على وجهها ، فلا تنعشوها بعدي .

وقالوا له : ما لك تمشي على الماء ، ونحن لا نستطيع المشي عليه ؟ قال : كيف منزلة الدينار والدرهم عندكم ؟ قالوا : حسنة رفيعة ، قال : لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدر .

وتوسد حجرا ، فأتاه إبليس فقال له : يا عيسى ، ركنتَ إلى الدنيا ، فرمىٰ إليه بالحجر ، وقال : ما عندي منها غير هذا .

واشتدّ عليه المطر والبرق والرعد يوماً ، فرُفِعَتْ له خيمة فقصدها ، فإذا فيها امرأة فتركها .

ورأى مغارة فأتاها ، فرأى بها سبعاً ، فقال : اللهم جعلت لكلٍّ مأوى ولم تجعل لي مأوى ، فأوحى الله إليه : مأواك في مستقر رحمتي ، لأزوجنّك آلافاً من الحور العين ، ولأطعمنّ أهل الجنة في عرسك آلافاً من السنين .

وقال عليه الصلاة والسلام : يا ابن آدم ، إن كنت تطلب من الدنيا ما يكفيك ، فالقليل منها يكفيك . وإن كنت تريد منها فوق ما يكفيك ، فجميع الدنيا بأسرها لا يكفيك . فلا تهلكوا أنفسكم بطلب الدنيا ، واغلبوا أنفسكم عليها بترك ما فيها ، فعُراةً دخلتموها ، وعراةً تخرجون منها ، وَاسألوا الله رزق يوم بيوم ، واعلموا أن الله قد جعل الدنيا قليلاً ، وما بقي منها قليل من قليل ، قد شُرِب صَفْوُه وبقي كدره .

واعلموا أن الدنيا دار عقوبة وغرور ، فكونوا فيها كرجل يداوي جرحه ، يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء وعافية الداء ، فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عجباً لكم تعملون للدنيا ، وأنتم ترزقون فيها بغير عمل . ولا تعملون للآخرة ، وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل » .

وتمثلت له الدنيا في صورة امرأة ، عليها من كل زينة ، فقال لها : « هل لك من زوج » ؟ قالت : أزواج كثيرة ، فقال : « فكلهم طلقَكِ أم مات عنكِ ، أم كلهم قتلتِ » ؟! قالت : بل كلهم قتلتُ ، قال : « هل حزنت على أحد منهم » ؟ قالت : هم يحزنون عليّ ولا أحزن عليهم ، ويبكون عليّ ولا أبكي عليهم ، قال : « عجباً لأزواجِكِ الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين » !!

ومر على قوم يعبدون الله ، وفيهم رجل نائم ، فقال : « يا هذا ، قم فاعْبُد ربك مع أصحابك » ، فقال له : قد عبدته بأفضل من عبادتهم ، زهدت في الدنيا ، فقال له : « نَمْ هنيئاً فقد فقت العابدين » . أو كما قال .

وقال عليه الصلاة والسلام : ـ وقد سئل عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ـ قال : « الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، واهتموا بآجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها ، وأماتوا منها ما خَشُوا أن يميتهم ، وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم ، فما عرض لهم من نائلها عارض إلا رفضوه ، ولا خادَعَهم من رفعتها خادِع إلا وضعوه ، خَلُقَتِ الدنيا عندهم فما يجدِّدونها ، وخربت بينهم فما يعمرونها ، وماتت في صدورهم فما يُحيونها ، بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ، ويبيعونها فيشترون بها ما يَبْقى لهم ، ونظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المَثُلات ، فلا يرون أماناً دون ما يرجون ، ولا خوفا دون ما يحذرون » .

آخر الخاتمة

وبه تكمل « رسالة المذاكرة مع الإخوان وَالمحبين من أهل الخير والدين » ، وما سميتها بهذا الاسم إلا لكوني وضعتها على سبيل المذاكرة معهم . ألهمني الله وإياهم رشدنا ، ووقانا شر أنفسنا .

وكل ما أوردته في هذه الرسالة من الأخبار والآثار نقلته من الكتب الصحيحة المعتمدة ، وقد تركت الفصل بين الأحاديث التي أوردتها في صدر الخاتمة وصيرتها كأنها أربعة أحاديث أو خمسة وهي نحو من عشرين ، وما فعلت ذلك إلا لكوني رأيته أوجز وأخصر وأقرب إلى حصول الأثر .

و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ : ٣٤/ ١ـ٢] .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم إلى يوم البعث والنشور ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من إملاء هذه الرسالة : يوم الأحد قبيل وقت الظهر سلخ جمادىٰ الأول أحد شهور سنة ١٠٦٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله رب العالمين .

مباحث الرسالة

سلسلة كتب الإمام الحدّاد ٣

رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة

للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة

للإمام شيخ الإسلام قطب الدّعوة والإرشاد

الحبيب عبد الله بن علويّ الحدّاد الحضرميّ الشّافعيّ

رحمه الله تعالى



رسالة
المعاونة والمظاهرة والمؤازرة

للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة



الطَّبعَة الثَانِيَة

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

بالتعاون مع

الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان

هاتف ٢٤٢٨٨٦ ـ ص.ب ٥٩٢٠ ـ ١١٣ ـ تلكس ٤٣٢١٨ ـ فاكس ١٢٨ ٨٦٠ ـ ١ ـ ٩٦١

تعريف موجز عن الإمام الشهير عبد الله بن علوي بن محمد الحداد

هو سيدنا الإمام العلامة الداعي إلى الله بقوله وفعله قطب الارشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد ولد رضي الله عنه بالسبير من ضواحي مدينة تريم بحضرموت ليلة الخميس ٥ صفر سنة ١٠٤٤هـ وتربى في تريم وقد كُفَّ بصره وهو صغير فعوضه الله عنه بنور البصيرة وجدّ واجتهد في طلب العلوم النافعة وعكف على علماء عصره في مقدمة مشايخه سيدنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس والحبيب العلامة عقيل بن عبد الرحمن السقاف والحبيب العلامة عبد الرحمن بن شيخ عيديد والحبيب العلامة سهل بن أحمد باحسن الحديلي باعلوي ومن مشايخه أيضًا الإمام العلامة عالم مكة المكرمة السيد محمد بن علوي السقاف.

ثم نصبه الله للدعوة والإرشاد داعيًا إلى الله تعالى

بالحكمة والموعظة الحسنة فأقبل عليه الناس وانتشر
صيته في البلدان وانتفع به القاصي والداني فنفع الله
به الكثير وأرشد الجم الغفير وانتشرت دعوته في كل مكان
وانتفع الناس بوعظه وكتبه وأخذ عنه الجم الغفير
فمن كبار تلامذته ابنه سيدنا الحبيب حسن بن عبد الله الحداد
والحبيب أحمد بن زين الحبشي والحبيب عبد الرحمن بن عبد الله
بلفقيه والحبيبين محمد وعمر أبناء زين بن سميط والحبيب عمر بن
عبد الرحمن البار والحبيب علي بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف
والحبيب محمد بن عمر بن طه الصافي السقاف وغيرهم العدد الكثير.
وله مؤلفات كثيرة جمعت النصائح والمواعظ والحكم وانتشرت
انتشاراً كبيراً وكتب لها القبول والمحبة ونفع الله بها الناس
وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى لغات أجنبية في العصر الحاضر
مثل الإنجليزية والفرنسية. ومؤلفاته غنية عن التعريف

ومشهورة لدى الكبير والصغير ومنها النصائح الدينية. والدعوة التامة ورسالة المعاونة وغيرها من الوصايا والرسائل ومجموع كلامه تثبيت الفؤاد وديوانه العظيم الدر المنظوم الجامع للحكم والعلوم ووصاياه ومكاتباته وأكثر مؤلفاته مطبوعة وأقبل عليها الناس إقبالاً شديدًا وأعجب بها العلماء والعارفون وجعلوها بمنزلة الغذاء يقرؤون فيها في كثير من الأوقات وقالوا عنها انها جمعت الخلاصة والزبدة من كلام الإمام حجة الإسلام الغزالي ولا يستغني عنها كل مسلم فهي وجيزة وجامعة ونفع الله بها ببركة مؤلفها الإمام الحداد رضي الله عنه وكان رضي الله عنه قد سافر إلى الحرمين الشريفين وأدى النسكين وزار جده سيد الكونين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك في عام ١٠٧٩ هجرية واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين الذين اغتبطوا به وعرفوا قدره وأثنوا عليه .

ولم يزل يدعو الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة
الحسنة حتى وفاته إلى رحمة الله تعالى فتوفى ليلة الثلاثاء
٧ ذو القعدة عام ١١٣٢ هجرية ودفن بمقبرة زنبل
بتريم رحمه الله رحمةً واسعة ورضي الله عنه ونفعنا
به وبعلومه في الدارين آمين .

طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف

حرر الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٤١٢هـ

كتاب رسالة المعاونة
والمظاهرة والمؤازرة
للراغبين من المؤمنين
في سلوك طريق
الآخرة لغوث
البلاد والعباد
عبد الله بن
علوي الحداد
نفع الله
المسلمين ببركته آمين
وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم

[illegible]

[illegible]

صفحة الغلاف من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن يا كريم وافتح بالحق وأنت الفتاح العليم سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم الحمد لله الواحد المتفرد الوهاب الرازق الحنان المنان الذي بعث محمدا خاتم أنبيائه برسالته إلى جميع الإنس والجان وأنزل عليه القرآن فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وشرع له ولأمته ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى وفضل دينه على سائر الأديان وجعله أكرم خلقه عليه وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتعاونون على البر والتقوى ولا يتعاونون على الإثم والعدوان ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويتواصون بالحق والصبر ويجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم من أهل الزيغ والخذلان فمما يصلك عن

بسم الله

الصفحة الأولى من المخطوطة

اذا لبست ثوبك الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه
من غير حول مني ولا قوة ومن السنة لبس
العمامة وليس من السنة توسيع الاكمام وكبر
العمايم وعليك ان لا تنطق الا بخير وكلام لا يحل
النطق به محرم عليك الاستماع اليه واذا تكلمت
فرتل كلامك وزينه واصغ الى حديث من حدثك
ولا تقطعن على احد كلامه الا ان كان من الكلام
الذي يسخط الله كالغيبة واجتنب المداخلة في الكلام
ولا تظهر لمن حدثك حديثا تعرفه انك تعرفه فان
ذلك مما يوحش الجليس واذا حدثك احد وحكى لك
انسان بكلام على غير الوجه المنقول لا تقل له
ليس كما تقول ولكنه كذا وكذا فانه تعلق ذلك
بامر الدين فعرفه الصواب برفق واياك والخوض
فيما لا يعنيك والاكثار الحلف بالله ولا تحلف به
الا صادقا عند الحاجة واحذر الكذب بجميع انواعه
فانه مناقض للايمان واياك والغيبة والنميمة
والاكثار من المزاح واجتنب ساير الكلام القبيح
وامسك عن جميع الكلام كما تمسك عن
مذمومه وتفكر فيما تقول قبل ان تقول

فاذا كان

صورة من وسط المخطوطة

ذنوبا وهو مصر عليها ثم ندم واستغفر في
مرة واحدة وعلمت من قلبه انه لا يريد
ان يعود اليها ابدا التبتها عنه اسرع من
هبوط الطير من السما الى الارض قال
داود الهي لك الحمد من اجل ذلك لا ينبغي
لمن يعرفك ان يقطع رجاه منك اللهم
آتنا من لدنك اجرا عظيما واهدنا صراطا
مستقيما واجعلنا من الذين انعمت عليهم
من النبيين و[illegible]
وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله
وكفى بالله عليما آخر الرسالة والحمد لله
اولا وآخرا وظاهرا وباطنا هو الاول
والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي
عليم ما شا الله لا قوة الا بالله العلي العظيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله قال المولف
قدس الله سره ونور ضريحه ونفع المسلمين
بركاته وكان الفراغ من نا[illegible] في احد
شهور سنة تسع وستين والخمس
الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة
والسلام وهو يشهد [illegible] وسيلتنا

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسر وأعن يا كريم، وافتح بالحق وأنت الفتاح العليم.
﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾.

الحمد لله الواحد الجواد الوهاب الرزاق الحنَّان المنَّان، الذي بعث محمداً خاتم أنبيائه صلّى الله عليه وسلم برسالته إلىٰ جميع الإنس والجان، وأنزل عليه القرآنَ، فيه هُدًى للناسِ وبيناتٌ من الهدى والفرقان، وشرع له ولأمته ما وصَّى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى، وفضَّل دينه على سائر الأديان، وجعله أكرم خلقه عليه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتعاونون على البر والتقوى ولا يتعاونون على الإثم والعدوان، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويتواصَوْن بالحق والصبر، ويجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لَومة لائم من أهل الزيغ والخِذْلان؛ فما يَصدُّ عن سبيل الله، ويلوم على القيام بواجب حق الله، إلا الذين حقَّت عليهم الكلمة من الله بالشقاوة والخسران، والخزيِ والهوان، ولا يتجرَّد لنصح عباد الله

ودعوتهم إلى باب الله إلا الذين سبقت لهم من الله الحسنَى بالسعادة والأمان، والفوز والرضوان، أولئك وَرثة النبِّيين، وأئمةُ المتّقين وخِيرةُ رب العالمين من المؤمنين الراسخين في العلم، المتحققون بحقائق الإيمان والإيقان والإحسان، الواقفون على أسرار الله في مُلْكه ومَلكوته من طريق الكشف والعِيَان، وما فازوا بهـذه المناقب، ولا وصلوا إلى هـذه المراتب، إلا بحسن اقتفائهم، وكمال اتباعهم، لإمام الأئمّة الذي أرسله الله تعالى للعالمين رحمةً، عبدِ الله ورسوله وحبيبه وخليله سيدِنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم في كل حين وأوان، صلاةً وسلاَما دائمين بدوام الله الملك الديان.

أما بعدُ، فيقول العبد الفقير، المعترف بالقصور والتقصير، الراجي عفو ربه القديـر، الشريف عبـد الله بن علوي الحداد باعلوي الحسيني عفا الله عنه وعن أسلافه آمين: هذه رسالة بحول الله وقوته جامعة، ووصية بفضل الله ورحمته نافعة، حملني على وضعها الامتثالُ لأمر الله تعالى وأمر رسوله، والرغبةُ في الوعد الصادق الوارد في الدلالة على الهدى والدعوة إلى الخير والنشر للعلم.

قال الله تعالى: ﴿ولْتكُنْ منكم أمةٌ يدْعُـون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهَوْن عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾، وقال الله تعالى: ﴿ادعُ إلى سبيل ربِّك بـالحكمة والمـوعظة

الحسنة﴾، وقال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾، وقال تعالى لنبيه: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتَّبعني﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لِيبلِّغ الشاهد منكم الغائب فربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه وربَّ حامل فقه ليس بفقيه». وقال عليه الصلاة والسلام: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من دلَّ على خير كان له من الأجر مثل فاعله».

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» وقال عليه الصلاة والسلام «أجودكم بَعدِي رجل عَلِمَ علْما فنشره يبعث يوم القيامة أمةً وحدَه».

وقال عليه الصلاة والسلام: «الخلق كلُّهم يُصَلُّون على معلِّمي الناسِ الخيرَ حتى الحيتان في الماء».

وقال عليه السلام: «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله تعالى أنفعهم لعياله».

ولا يستطيع أحد أن ينفع خلق الله بمثل دعوتهم إلى الله تعالى، بتعريفهم ما يجب له من التوحيد والطاعة، وتذكيرهم

بآياته وآلائه، وتبشيرهم برحمته، وتحذيرهم من سخطه الواقع بالمتعرِّضين له من الكافرين والفاسقين.

وقد حثَّني على امتثال هذا الأمر العظيم، وأكَّد رغبتي في السعي إلى تحصيل هذا الوعد الكريم الواقعَيْن في الآيات والأخبار التي ذكرتها وما في معناها مما لم أذكره سؤالُ أخٍ من السادة، صادقٍ في الإدارة، سالكٍ لسبيل السعادة، التمس مني أن أكتب له وصية يتمسك بها، فأجبته إلى ذلك راغبًا فيما تقدم من الامتثال للأمر والفوز بالثواب وفي معونة الله تعالى، وأن يكون سبحانه في حاجتي على وَفْقِ ما أخبر به رسوله عنه في قوله عليه الصلاة والسلام: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» وأنا أستغفر الله، ولا أقول: إن نيتي في وضع هذه الرسالة مقصورة على هذه المقاصد الحسنة الدينية، كيف وأنا أعلم ما عندي من الشهوات الخفية، والحظوظ النفسية، والإرادات الدنيوية، ﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمَّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربي إنَّ ربِّي غفور رحيم﴾ والنفس عدوٌّ، والعدوُّ لا يؤمن. بل هي أعدى الأعداء، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «أعدى عدوِّك نفسك التي بين جنبيك». ولله در القائل حيث يقول:

تَوقّ نفسك لا تأمنْ غوائلَها
فالنفسُ أخبث من سبعينَ شيطانا

اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شرِّ نفسي

اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم.

وقد صدَّرتُ فصول هذه الرسالة بقولي في أول كل فصل منها: (**وعليك**) بكذا قاصدا بذلك مخاطبة نفسي وأخي الذي كان سببًا في وضعها. خصوصاً، وسائرِ من وقف عليها من المسلمين عموما.

وهذه الكلمة لها وقع في قلب المخاطب. وأنجو بها ـ إن شاء الله تعالى ـ من التوبيخ والوعيد الواردين في حق من يقول ولا يفعل، ويعلم ولا يعمل؛ لأني إذا خاطبت نفسي بقولي «**وعليك**» دل ذلك على أنها لم تتحقق بالعمل بما عَلِمَتْ، وعلى أني لم أزل أحثها على استعمال ما تدعو إليه، وبذلك يزول التلبيس على المؤمنين، والنسيان للنفس الذي وصف الله تعالى به من لا يعقل في قوله تعالى: ﴿أتأمرون الناسَ بالبِرِّ وتنسَوْنَ أنفسَكم وأنتم تتلُون الكتاب أفلا تعقلون﴾ ومن الوعيد الوارد في حق من يقول ولا يفعل في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤمر بالعالم إلى النار فتندلق أقتابه[1]. فيدور بها في النار كما يدور الحمار بالرحا فيجتمع عليه أهل النار فيقولون ما بال

---

(١) تندلق: تخرج ـ أقتاب جمع قتب بالكسر وهو المعى.

الأبعد قد آذانا على ما بِنَا فيقول: إن الأبعد كان يأمر بـالخير ولا يأتيه وينهى عن الشر ويأتيه».

وقال عليه الصلاة والسلام: «العالم الذي يعلم ولا يعمل مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها».

وقال عليه السلام: «مررت ليلة أسري بي برجال تقرض شفاههم بمقاريضَ من نار فقلت من أنتم؟. فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه» وهذا الوعيد إنما يتحقق في حق من يدعو إلى الله على نية الدنيا، ويحث على الخير وهو مُصرٌّ على تركه، ويحذِّر من الشر وهو مُصرٌّ على فعله رياءً وسمعةً، فأما من يدعو إلى باب الله وهو مع ذلك يلوم نفسه وينهاها عن التقصير ويحثها على التشمير فالنجاة مرجوة له.

وعلى كل حال فالذي يعلَم ويعلِّم ولا يعمل أحسن حالا وأرشد طريقة وأحمد عاقبة من الذي لا يعمل ولا يعلم.

وربما قال قائل ممن لا يعقل: الكتب كثيرة وفيها غنية وكفاية فلا فائدة في تصنيف الكتب في هذا الزمان، فهذا القائل إن أصاب في قوله: إن في الكتب غنية وكفاية فقد أخطأ في قوله: لا فائدة للتصنيف في هذا الزمان؛ لأن للقلوب ميلا بحكم الجِبِلَّة إلى كل جديد، وأيضا فإن الله يُنطِقُ علماء كل زمان بما يوافق أهله، والتصانيف تبلغ الأماكن البعيدة وتبقى بعد موت العالم

فيحصل له بذلك فضل نشر العلم ويكتب معلِّما داعيا إلى الله في قبره، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «من أنعش لسانه حقًّا يعمل به من بعده أُجرِيَ عليه أجرُه إلى يوم القيامة» وقد سميتُ هذه الرسالة المشار إليها:

«رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة».

أسأل الله تعالى أن ينفعني بها وسائر المؤمنين، وأن يجعل جمعي لها واعتنائي بها وبتأليفها خالصا لوجهه الكريم.

وهذا أوان الابتداء وبالله التوفيق فأقول مستعيناً بالله ومفوِّضا إليه، وسائلا منه أن يوفقني لإصابة الصواب في النيات والأعمال والأقوال؛ فإنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبي ونعم الوكيل:

فَصْلٌ

(وَعَلَيْكَ) أيها الأخ الحبيب بتقوية يقينك وتحسينه؛ فإن اليقين إذا تمكن من القلب واستولى عليه صار الغيب كأنه شهادة، وعند ذلك يقول الموقن كما قال علي كرم الله وجهه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا.

واليقين عبارة عن قوة الإيمان وثباته ورسوخه حتى يصير كالطَّود الشامخ، لا تزلزله الشكوك، ولا تزعزعه الأوهام، بل لا يبقى للشكوك والأوهام وجود ألبتةَ. فإن جاءت من خارج لم تصغ إليها الأذن ولم يلتفت إليها القلب.

والشيطان لا يستطيع الدنوَّ من صاحب هذا اليقين بل يفِرّ منه ويَفرَق من ظله ويقنع بالسلامة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان لَيفرَق من ظلِّ عُمَرَ وما سلك عُمرُ فَجًّا إلا سلك الشيطان فَجًّا آخر».

ويقوَى اليقين ويحسُن بأسباب:

منها ــ وهو الأصل والذي عليه المدار ــ أن يُصغِي العبد

بقلبه وأذنه إلى استماع الآيات والأخبار الدالة على جلال الله تعالى وكماله وعظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والأمر، والسلطان والقهر وعلى صدق الرسل وكمالهم وما أُيدوا به من المعجزات وما حَلَّ بمعانديهم من أنواع العقوبات وما ورد في اليوم الآخر من إثابة المحسنين ومعاقبة المسيئين.

وإلى كون هذا الأمر كافيًا في إفادة اليقين الإشارةُ بقوله تعالى ﴿أَوَ لَمْ يكفِهِمْ أنا أنزلنا عليك الكتابَ يُتلَى عليهم﴾ الآية.

السبب الثاني أن ينظر بعين الاعتبار في ملكوت السموات والأرض، وما بث الله فيهما من عجائب المصنوعات، وبدائع المكوَّنات.

وإلى إفادته اليقين الإشارةُ بقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتِنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق﴾.

السبب الثالث أن يعمل على مقتضى ما آمن به ظاهرًا وباطنًا ويشمّر في ذلك ويبذل الاستطاعة فيما هنالك.

وإلى إفادته الإشارة بقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لَنَهدينَّهم سُبلَنا﴾.

* * *

ومن ثمرات اليقين السكون إلى وعد الله، والثقة بضمان الله، والإقبالُ بكنه الهمة على الله، وترك ما من شأنه أن يشغل عن الله تعالى، والرجوعُ في كل حال إلى الله واستفراغ الطاقة في ابتغاء مرضاة الله.

وعلى الجملة فاليقين أصل الإيمان وسائر المقامات الشريفة والأخلاق المحمودة والأعمال الصالحة من فروعه وثمراته، والأخلاقُ والأعمال تابعةٌ لليقين قوة وضعفا، وصحة وسُقْما. قال لقمان عليه السلام لا يستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل العبد إلا بقدر يقينه، ولا يُقصِّر عامل حتى ينقص يقينه، ولهذا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «اليقينُ الإيمان كله».

وأهل الإيمان في اليقين على ثلاث درجات:

الأولى ـ وهي درجة أصحاب اليمين ـ التصديقُ الجازم مع إمكان التشكك والتزلزل لو جاءَ ما يقتضيه، ويعبر عنها بالإيمان.

الدرجة الثانية ـ وهي درجة المقرَّبين ـ استيلاءُ الإيمانِ على القلب، وثباتهُ فيه حتى لا يجوِّز النقيض، بل لا يتصور وجوده فضلا عن إمكانه، وفي هذه الدرجة يصير الغيب كأنه شهادة ويعبر عنها باليقين.

الدرجة الثالثة ـ وهي درجة النبيين وكُمَّل ورثتهم

من الصِّـديقين ــ أن يصير الغيب شهـادة ويعبر عنهـا بالكشف والعيان.

وبين أهل كل درجة في درجتهم تفاوت بعيد، وكلٌّ فاضل والبعض أفضل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فصل

(وَعَلَيْكَ) يا أخي بإصلاح النية وإخلاصها وتفقدها والتفكر فيها قبل الدخول في العمل؛ فإنها أساس العمل، والأعمال تابعة لها حسنا وقبحا وصحة وفسادا. وقد قال صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى» فعليك أن لا تقول قولا، ولا تعمل عملا، ولا تعزم على أمر، إلا وتكون ناوياً بذلك التقربَ إلى الله، وابتغاء الثواب الذي رتبه سبحانه على الأمر المنويِّ من باب المِنَّة والفضل.

(وَاعْلَمْ) أنه لا يصلح التقرب إلى الله إلا بما شرعه على لسان رسوله من الفرائض والنوافل، وقد تؤثر النية الصادقة في الأمر المباح فيصير قربة لله من حيث إن للوسائل حُكْمَ المقاصد، كمن ينوي بأكله التقوِّي على طاعة الله، وبإتيانه أهله التسبب في حصول ولد يعبد الله.

ويشترط لصدق النية أن لا يكذبها العمل؛ فمن يطلب العلم، مثلا، ويزعم أن نيته في تحصيله أن يعمل ويعلِّم، فإن لم يفعل ذلك عند التمكن منه فنيته غير صادقة، وكمن يطلب

الدنيا ويزعم أنه إنما يطلبها لأجل الاستغناء عن الناس، والتصدق على المحتاجين، وصلة الأقربين، فإن لم يفعل ذلك عند القدرة عليه فلا أثر لنيته.

والنية لا تؤثر في المعاصي شيئًا كما أن التطهير لا أثر له في نجس العين، فمن وافق إنسانا على غيبة مسلم وادَّعى أنه يقصد بذلك إدخال السرور على قلبه فهو أحد المغتابين، ومن سكت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وادَّعى أنه نوى بسكوته التوقِّي عن كسر قلب المباشر فهو شريكه في الإثم، وإذا تعلقت النية الخبيثة بالعمل الطيب أفسدته وصيَّرته خبيثًا، كمن يعمل الصالحات وينوي بذلك تحصيل المال والجاه.

فاجتهد يا أخي أن تكون نيتك في طاعتك مقصورة على ابتغاء وجه الله تعالى، وانو بما تتعاطاه من المباحات الاستعانة على طاعة الله تعالى.

(وَاعْلَمْ) أنه يتصور أن يجتمع في العمل الواحد نيات كثيرة، ويكون للعامل بكل نيَّة منها ثواب تام.

مثاله من الطاعات أن ينوي بقراءة القرآن مناجاة الله تعالى، فإن القارى مناجٍ ربَّه، وينوي استخراجَ العلوم من القرآن فإنه معدنها، وينوي نَفعَ نفسه والسامعين، إلى غير ذلك من النيات الصالحة الحسنة.

ومثاله من المباحات أن تنوي بالأكل امتثالَ أمر ربك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ وتنوي به التقوِّي على طاعة الله تعالى، وتنـوي التسبب في استخراج الشكر منك لربك إذ يقول سبحانه: ﴿كلوا من رزق ربكم واشكـروا له﴾ فقس على هـذين المثالين مـا عـداهمـا من الطاعات والمباحات واستكثر من صالـح النيات جهدَك.

ثم إن النية تطلق ويراد بها أحد معنيين: الأول أن النية عبارة عن غرضك الذي حملك على العزم والعمل والقـول، وتكون النية بهذا الاعتبار في الأكثر خيرا من العمل إن كان خيرا، وشرا منه إن كان شرا، وقد قال عليـه الصلاة والسـلام: «نية المؤمن خير من عمله» فانظر كيف خص المؤمن بالذكر!

والمعنى الثـاني أن النية عبـارة عن قصدك فعـل الشيء وعزمك عليه. وهذه النية لا تكون خيرا من العمل ولكن لا يخلو الإنسان عند عزمه على فعل شيء من إحدى ثلاث حالات:

الأولى أن يعزم ويعمل.

والثانية أن يعزم ولا يعمل مـع القدرة على العمل. وحكم هذه الحالة والتي قبلها قد أتى مبينا فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات» ثم بيَّن ذلك بقوله: «فمن همَّ

بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة».

الحالة الثالثة أن يعزم على فعل أمر لا يستطيع فعله، فيصير يقول لو استطعت عملت، فله نية ما للعامل وعليه ما عليه. والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «الناس أربعة رجل آتاه الله علما ومالا فهو يعمل في ماله بعلمه، فيقول آخر لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت مثل عمله فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط في ماله بجهله فيقول آخر لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت مثل عمله فهما في الوزر سواء».

فصل

(وَعَلَيْكَ) يا أخي بمراقبة الله تعالى في حركاتك وسكناتك ولحظاتك وطرفاتك وخطراتك وإراداتك وسائر حالاتك، واستشعر قربه منك، واعلم أنه ناظر إليك ومطَّلع عليك، لا يخفى عليه منك خافية ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء﴾، ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ وهو معك أينما كنت، بالعلم والإحاطة والاقتدار ويدلُّك مع الهداية والإعانة والحفظ إن كنت من الأبرار، فاستحي من مولاك حق الحياء، واجتهد أن لا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، واعبده كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ومتى رأيت من نفسك تكاسلا عن طاعته أو ميلا إلى معصيته فذكِّرها بأن الله يسمعك ويراك ويعلم سرك ونجواك، فإن لم يُفدها هذا الذكر لقصور معرفتها بجلال الله تعالى فاذكر لها مكان الملكين الكريمين اللذين يكتبان الحسنات والسيئات واتل عليها ﴿إذْ يتلقَّى المتَلقيانِ عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفِظُ من قول إلاَّ لديه رقيب عتيد﴾ فإن لم تتأثر بهذا التذكير فذكِّرها

قرب الموت وأنه أقرب غائب ينتظر، وخوِّفها بهجومه على غِرَّة وأنه متى نزل بها وهي على حالة غير مرضية تنقلب بخسران لا آخر له، فإن لم ينفعها هذا التخويف فاذكر لها ما وعد الله به من أطاعه من الثواب العظيم وما توعَّد به من عصاه من العذاب الأليم، وقل لها يا نفس ما بعد الموت من مستعتَب وما بعد الدنيا من دار إلاّ الجنة أو النار فاختاري ـ لنفسِكِ إن شئت ـ طاعة تكون عاقبتها الفوز والرضوان والخلود في فسيح الجنان، والنظر إلى وجه الله الكريم المنان، وإن شئت، معصية يكون آخرها الخزي والهوان والسخط والحرمان والحبس بين طبقات النيران، فعالج نفسك بهذه الأذكار عند تقاعدها عن الطاعة وركونها إلى المعصية فإنها من الأدوية النافعة لأمراض القلوب.

ثم إنه إن ثار من قلبك عند استشعارِك أن الله يراك حياءٌ منه يمنعك عن مخالفته ويحملك على التشمير في طاعته فعندك شيء من حقائق المراقبة.

(واعلم) أن المراقبة من أشرف المقامات وأرفع المنازل وأعلى الدرجات وهي مقام الإحسان المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وكل واحد من المؤمنين يؤمن بأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ويعلم أن الله معه أينما كان لا يخفى عليه شيء من حركاته وسكناته، ولكن الشأن في دوام

هذا المشهد وحصول ثمراته التي أقلها أن لا يعمل فيما بينه وبين الله عملا يستحيي أن يراه عليه رجل من الصالحين، وهذا عزيز وما وراءه أعز منه إلى أن يصير العبد في آخر الأمر مستغرقًا بالله تعالى وفانيا عما سواه قد غاب عن الخلق بشهود الحق والتحق بمقعد صدق عند مليك مقتدر.

فصل

(وعليك) يا أخي بإصلاح سريرتك حتى تصير خيرا من علانيتك الصالحة، وذلك لأن السريرة موضع نظر الحق، والعلانية مطمح نظر الخلق، وما ذكر الله تعالى السرّ والعلن في كتابه إلا وبدأ بذكر السر. وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة» ومتى صلحت السريرة صلحت العلانية لا محالة، فإن الظاهر أبداً يكون تابعًا للباطن صلاحا وفسادا. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح بها سائر الجسد وإذا فسدت فسد بها سائر الجسد ألا وهي القلب».

(واعلم) أن من ادَّعى أن له سريرة عامرة وكان قد خَرَّبَ علانيتَه بترك الطاعات الظاهرة فهو مدَّعٍ كذاب، ومن اجتهد في إصلاح علانيته بتحسين زِيه وهيئته وتقويم لسانه ووزن حركاته وسكناته في قعوده وقيامه ومِشيته وترَكَ باطنه مشحونا بخبائث الأخلاق ورذائل الطباع، فهو من أهل التصنع والرياء المعرضين عن المولى.

فإياك يا أخي أن تستر شيئاً لو ظهر للناس كنت تستحي من ظهوره حياء ينشأ من خوف الاستقباح. قال بعض العارفين: لا يكون الصوفي صوفيا حتى يكون بحيث لو طيف بجميع ما في باطنه على طبق في السوق ما استحيا من ظهور شيء منه؛ فإن لم تقدر أن تجعل سريرتك خيرا من علانيتك فلا أقل من أن تسوِّي بينهما، فيكون امتثالك لأمر الله واجتنابك لنهيه وتعظيمك لحرماته ومسارعتك في مرضاته في الخلاء والملأ على حد سواء. وهذه أول قدم يضعها العبد في طريق المعرفة الخاصة فاعلم ذلك. وبالله التوفيق.

فصل

(وَعَلَيْكَ) بعمارة أوقاتك بوظائف العبادات حتى لا تمرّ ساعة من ليل أو نهار إلا وتكون لك فيها وظيفة من الخير تستغرقها بها فبذلك تظهر بركات الأوقات، وتحصل فائدة العمر، ويدوم الإقبال على الله تعالى، وينبغي أن تجعل لما تتعاطاه من العادات كالأكل والشرب والسعي للمعاش أوقاتًا تخصُّها.

(وَاعْلَمْ) أنه لا يستقيم مع الإهمال حال، ولا يصلح مع الإغفال بال. قال حجة الإسلام ــ نفع الله به ــ: ينبغي أن توزع أوقاتك وترتب أورادك وتعين لكل وقت شغلا لا تتعداه ولا تؤثر فيه سواه، وأما من ترك نفسه مهملا سدًى إهمال البهائم يشتغل في كل وقت بما اتفق كيف اتفق فتمضي أكثر أوقاته ضائعة، وأوقاتُك عمُرك، وعمرك رأس مالك، وعليه أصل تجارتك، وبه وصولك إلى نعيم الأبد في جوار الله تعالى؛ فكل نفَس من أنفاسك جوهرة لا قيمة له؛ إذ لا عوض له وإذا فات فلا عود له. انتهى.

ولا ينبغي أن تستغرق جميع أوقاتك بورد واحد وإن كان أفضل الأوراد مثلاً فتفوتك بذلك بركات تعدد الأوراد والتنقل فيها

فإن لكل ورد أثرا في القلب ونورًا ومددًا ومكانة من الله ليست لغيره.

وأيضًا إذا نتقلت من ورد إلى ورد أمنت بذلك من السآمة والكسل، ومن الضجر والملل، قال ابن عطاء الله الشاذلي رحمه الله تعالى: لما علم الحق منك وجود الملل لوَّن لك الطاعات.

(وَاعْلَمْ) أن للأوراد أثرًا كبيرًا في تنوير القلب وضبط الجوارح، ولكن لا يظهر ويتأكد إلا عند المواظبة والتكرار وفعل كل ورد منها في وقت يخصه.

فإن لم تكن ممن يستغرق جميع ساعات ليله ونهاره بوظائف الخيرات فاجعل لك أورادا توظب عليها في أوقات مخصوصة وتقضيها مهما فاتتك لتعتاد النفس المحافظة عليها، ومتى أيستْ منك النفس أنك لا تسمح بترك أورادك حتى تتداركها بالقضاء متى فاتت بادرت إلى فعلها في أوقاتها، وقد قال سيدي الشيخ عبد الرحمن السقاف رضي الله عنه: من لم يكن له ورد فهو قرد، وقال بعض العارفين: الواردات من حيث الأوراد فمن لم يكن له ورد في ظاهره لم يكن له وارد في سرائره.

وعليك بالقصد ولزوم الوسط من كل أمر، وخذ من الأعمال ما تطيق المداومة عليه. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم:

«أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ» وقال عليه السلام: «خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمَلُّ حتى تملوا» ومن شأن الشيطان ــ لعنه الله ــ أن يزين للمريد في مبدأ إرادته الاستكثار من الطاعات والإفراط فيها، وغرضه من ذلك أن يرده على عقبه بترك فعل الخير أصلا، أو فعله على غير الوجه الذي ينبغي، ولا يبالي اللعين بأيهما دهاه. ثم إن الأوراد تكون في الأكثر صلاة نفل أو تلاوة قرآن أو قراءة علم أو ذكراً أو فكراً.

ونحن نذكر نَبذة من الآداب التي يحتاج إليها العامل بهذه الوظائف الدينية فنقول:

ينبغي أن يكون لك ورد من صلاة النفل زائد على النوافل الواردة تعيِّن له وقتا وتضبطه بعدد تطيق المداومة عليه، وقد كان من السلف الصالح رحمهم الله تعالى مَن وردُه في اليوم والليلة ألف ركعة مثل الإمام علي بن الحسين رضي الله عنهما، ومنهم من ورده خمسمائة ركعة، ومنهم من ورده ثلثمائة ركعة، إلى غير ذلك.

(وَاعْلَمْ) أن للصلاة صورة ظاهرة، وحقيقة باطنة، ولا يكون من المقيمين للصلاة عند الله تعالى حتى يُقيم صورتها وحقيقتها كما ينبغي.

فأما صورتها فهي الأركان والآداب الظاهرة من القيام والقراءة والركوع والسجود والتسبيح ونحوها.

وأما حقيقتها فهي الحُضور مع الله، وإخلاصُ النية والقصد لله، والإقبالُ بكُنه الهمة على الله تعالى، وجمعُ القلب عليه، وأن يكون فكرك مقصورًا على صلاتك فلا تحدَّث نفسك بغيرها، وتكون متأدبا بآداب المناجاة مع الله تعالى.

قال عليه الصلاة والسلام: «إنما المصلي مناجٍ ربه»، وقال عليه الصلاة والسلام «إذا قام العبد إلى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه».

ولا ينبغي أن تشتغل بنفل مطلق في وقت نفل ورد في السنة المطهرة من فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلم أو قوله حتى تأتي على العدد الأكمل منه.

فمن ذلك الركعات التي وردت قبل المكتوبات وبعدها وشهرتها تغني عن ذكرها.

ومن ذلك صلاة الوتر وهي صلاة ثابتة مؤكدة، وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوبها وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم «إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن»، وقال عليه الصلاة والسلام «الوتر حق ومن لم يوتر فليس منا، وأكثرها إحدى عشرة ركعة، وأقل ما ينبغي أن يقتصر عليه ثلاث ركعات.

وفعلها من آخر الليل لمن له عادة راسخة في القيام من آخره أفضل.

قال عليه الصلاة والسلام: «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا» ومن لم تكن له عادة في القيام ففِعْلُها بعد صلاة العشاء أولى له.

ومن ذلك صلاة الضحى وهي صلاة مباركة كثيرة النفع، وأكثرها ثمان ركعات، وقيل اثنتا عشرة وقد ورد وأقلها ركعتان، وأفضل أوقاتها أن تصلى إذا أَضْحَىٰ النهار ومضى قريب من ربعه، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «يصبح على كل سُلامَى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة ويجزيه من ذلك كله ركعتان يركعهما من الضحى» فلو لم يرد في فضل هذه الصلاة إلا هذا الحديث الصحيح لكفىٰ.

ومن ذلك الصلاةُ بين المغرب والعشاء وأكثرها عشرون ركعة وأوسطها ست ركعات قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم «من صلّى بين العشاءين عشرين ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة» وقال عليه الصلاة والسلام: «من صلّى بعد المغرب ست ركعات لا يتكلم فيما بينهن بشيء عدلن له عبادة اثنتي عشرة سنة».

ومن السنة إحياء ما بين العشاءين، وقد ورد في فضله أخبار وآثار، وحسبك من ذلك أن أحمد بن أبي الحواري شاور شيخه أبا سليمان رحمهما الله تعالى في أن يصوم النهار أو يحيي ما بين

العشاءين فقال: اجمع بينهما. فقال: لا أستطيع؛ لأني متى صمت اشتغلت بالإفطار في هذا الوقت. فقال له: إذا لم تستطع أن تجمع بينهما فدع صيام النهار وأَحْيِ ما بين العشاءين.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلم بيتي بعد العشاء الآخرة إلا صلّى أربعًا أو ستًّا، وقال عليه السلام: «أربع ركعات بعد العشاء، كمثلهن من ليلة القدر».

(وَعَلَيْكَ) بصلاة الليل فقد قال عليه السلام: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل» وقال عليه الصلاة والسلام: «فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السرِّ على العلانية». وقد ورد أن صدقة السرِّ تضاعف على صدقة العلانية بسبعين ضعفا، وقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقرَبة لكم إلى ربكم، ومكفَرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم ومطرَدة للداء عن الجسد».

(وَاعْلَمْ) أن من صلّى بعد العشاء فقد قام من الليل، وقد كان بعض السلف يصلّي ورده من أول الليل ولكن في القيام بعد النوم إرغام للشيطان ومجاهدة للنفس وسرٌّ عجيب، وهو التهجد الذي أمر الله به رسوله في قوله ﴿ومن الليل فتهجَّد به نافلة لك﴾ وفي المأثور: إن الله يعجب من العبد إذا قام من على

فراشه وبين أهله إلى صلاته ويباهي به ملائكته ويقبل عليه بوجهه الكريم.

(وَاعْلَمْ) أنه يَقْبُح بطالب الآخرة أن لا يكون له قيام بالليل. كيف والمريد لا يزال طالبا للمزيد متعرضًا للنفحات على دوام الأوقات.

وقد قال، صلّى الله عليه وسلم: «إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة» أخرجه مسلم.

وفي بعض كتب الله المنزلة: كذب من ٱدَّعَى محبتي فإذا جنَّه الليل نام عني أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه.

وقال الشيخ إسمعيل بن إبراهيم الجبرتي رحمه الله جُمع الخير كله في الليل وما عقدت لولي ولاية إلا بالليل.

وقال سيدي العيدروس عبد الله بن أبي بكر من أراد الصفاء الرباني فعليه بالانكسار في جوف الليل.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: هل من داع فاستجيب له، هل من مستغفر فاغفرَ له، هل من سائل فاعطيه، هل من تائب فأتوبَ عليه حتى يطلع الفجر». ولو لم يرد في الحث على قيام الليل غير هذا الحديث لكفى.

كيف والكتاب والسنة طافحان بالترغيب فيه والحث عليه، وللعارفين بالله في القيام بالليل منازلات شريفة، وأذواق لطيفة يجدونها في قلوبهم من نعيم القرب من الله، ولذة الأنس به وطيب المناجاة والمحادثة مع الله، حتى قال بعضهم: إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه إنهم لفي عيش طيب، وقال آخر: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، وقال آخر منذ أربعين سنة ما غمني شيء إلا طلوع الفجر، وهذا النعيم لا يكون إلا بعد تجرع المرارات، وتحمل المشقات في القيام، كما قال عتبة الغلام: كابدت الليل عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة أخرى.

(فإن قلت) ماذا أقرأ في صلاتي بالليلِ وكم ركعات ينبغي أن أصلي فاعلم أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم لم يواظب في تهجده على قراءة شيء مخصوص، ومن الحسن أن تتتبع القرآن فتقرأه شيئًا فشيئًا في قيامك حتى تختم في شهر أو أقل أو أكثر حسب نشاطك.

وأما عدد الركعات فأكثر ما روي من قيام رسول الله صلّى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة وورد الاقتصار على تسع وسبع وأكثر ما ورد عنه صلّى الله عليه وسلم المواظبة عليه إحدى عشرة ركعة.

ويتلخص من مجموع الأحاديث أنه ينبغي لك ويستحب

إذا قمت من النوم أن تمسح النوم عن وجهك بيدك وتقول: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، وتقرأ ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾ إلى آخر السورة، ثم تستاك وتتوضأ وضوءًا كاملا، ثم تصلي ركعتين خفيفتين ثم تصلي بعدهما ثمان ركعات تطوِّلهن تسلم من كل ركعتين إن شئت أو من كل أربع أو تجمعهن بتسليمة واحدة فكل ذلك قد ورد، ثم إن رأيت أنه بقي عندك نشاط فتنفَّل ما بدا لك، ثم صلّ ثلاث ركعات بنية الوتر بتسليمة أو تسليمتين وتقرأ في الأولى سبح اسم ربك الأعلى[1] وفي الثانية قل يأيها الكافرون[2] وفي الثالثة الإخلاص والمعوذتين، ولا تحسب أن الوتر الذي هو إحدى عشرة شيء وهذه الركعات المذكورة في هذا السياق شيء آخر كلاًّ إنه لم يرو عن قيام رسول الله صلّى الله عليه وسلم غير ما قصصناه عليك فاعلم ذلك والله سميع عليم.

(١) أي سورة الأعلى كلها
(٢) أي سورة الكافرون كلها

فصل

وينبغي أن يكون لك ورد من تلاوة الكتاب العزيز تداوم على قراءته في كل يوم وليلة، وأدنى ذلك أن تقتصر على جزء فيكون لك في كل شهر ختمة وأعلى ذلك أن تختم في كل ثلاثة أيام.

(وَاعْلَمْ) أن لقراءة القرآن فضلاً عظيمًا، وأثرًا في تنوير القلب كبيرا. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن» وقال علي كرم الله وجهه: من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأه وهو قاعد في الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه وهو خارج الصلاة وهو على طهارة كان له بكل حرف خمس وعشرون حسنة، ومن قرأه وهو على غير طهارة كان له بكل حرف عشر حسنات.

(وَإِيَّاكَ) أن يكون همك في تلاوتك مقصورا على الإكثار منها دون تدبر وترتيل.

(وَعَلَيْكَ) ـ إذا تلوت ـ بالتدبر والتفهم، واستعن على

ذلك بالترتيل والترسل وأحضر في قلبك عظمة المتكلم سبحانه، وأنك بين يديه تقرأ عليه كتابه الذي أمرك فيه ونهاك ووعظك ووصاك، وكن عند قراءة آيات التوحيد والتمجيد ممتلئا بالإجلال والتعظيم، وعند قراءة آيات الوعد والوعيد ممتلئا بالرَّغَب والرَّهَب، وعند قراءة آيات الأوامر والزواجر شاكرا معترفا بالتقصير أو مستغفرا عازما على التشمير.

(وَٱعۡلَمۡ) أن القرآن هو البحر المحيط، ومنه تستخرج جواهر العلوم ونفائس الفهوم، ومن فتح له طريق الفهم فيه من المؤمنين دام فتحه وتم نوره واتسع علمه وصار لا يمل من قراءته ليلا ولا نهارا؛ لأنه قد وجد فيه مقصوده وظفر منه بمطلوبه وهذه صفة المريد الصادق.

قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه: لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد.

(وَعَلَيۡكَ) بالمحافظة على قراءة السور والآيات التي ورد الحث عليها في السنة في بعض الأوقات.

فمن ذلك أن تقرأ كل ليلة قبل أن تنام آلٓمٓ السجدة، وتبارك الملك، وسورة الواقعة، وآمن الرسول إلى آخر السورة، وسورة الدخان ليلة الاثنين والجمعة، وسورة الكهف يوم الجمعة وليلتها، وإن أمكنك أن تقرأ المنجيات السبع كل ليلة فذلك من الفضائل العظيمة.

ومن ذلك أن تقرأ إذا أصبحت وإذا أمسيت أوائل الحديد، وخواتيم الحشرِ، والإخلاصَ والمعوذتين «ثلاثا ثلاثا» وكذلك تقرأ الإخلاص والمعوذتين عند النوم مع آية الكرسي، وقل يأيها الكافرون واجعلها آخر ما تقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.



فصل

وينبغي أن يكون لك ورد من قراءة العلم النافع وهو الذي يزيد في معرفتك بذات الله وأقواله وصفاته وأفعاله وآلائه، وتعرف به ما أمرك به من طاعته ونهاك عنه من معصيته، ويورثك زهدا في الدنيا ورغبة في الآخرة، ويبصرك بعيوب نفسك وآفات أعمالك ومكائد عدوك.

وهذا العلم مبثوث في الكتاب والسنة وكتب الأئمة وقد جمعه الإمام الغزالي في كتبه العظيمة القدر، الكبيرة الخطر، عند من له بصيرة في الدين ورسوخ في العلم وكمال في اليقين، فواظب على مطالعتها إن كانت لك همة في سلوك الطريق ورغبة في الوصول إلى مراتب التحقيق، وقد انفردت الكتب الغزالية من بين كتب المحققين من الصوفية بالجمع والتحرير وحصول التأثير الكثير في الزمن القصير.

(وَعَلَيْكَ) بالإكثار من قراءة كتب الحديث والتفسير ومن مطالعة كتب القوم عامة فإن ذلك فتح عام وسلوك تام كما قال بعض العارفين.

ولكن ينبغي لك أن تحترز عمّا يشتمل من رسائلهم على الأمور الغامضة والحقائق المجردة وهذه الأشياء توجد في أكثر مؤلفات الشيخ محمد ابن عربي وفي شيء من رسائل الإمام الغزالي كالمعراج والمضنون به. وقد ذكر الشيخ زرُّوق[1] في «تأسيس القواعد» قاعدة في التحذير من الكتب التي تجري هذا المجرى فراجعها إن شئت، ولم يذكر في جملتها مؤلفات الشيخ عبد الكريم الكيلاني؛ لأنه متأخر ومؤلفاته عن آخرها مما ينبغي الاحتراز عنها إيثارًا للسلامة.

(فإن) قال قائل لا بأس عليَّ في مطالعة هذه الكتب؛ لأني آخذ ما أفهمه وأسلم لما لا أفهمه لقائله (قيل له) قد أنصفت، ونحن إنما نخشى عليك مما تفهمه أن تفهمه على غير وجهه فتضل عن سواء السبيل، كما وقع ذلك لأقوام عكفوا على مطالعة هذه الكتب فصاروا في زندقة وإلحاد، وقالوا بالحلول والاتحاد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) هو العلامة الفقيه المحدث أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى أبو العباس زروق من أهل فاس بالمغرب قرأ بمصر والمدينة وتصوف وساح وتوفي في تكرين من قرى مسراته من أعمال طرابلس الغرب سنة ٨٩٩ هـ

فصل

وينبغي أن يكون لك ورد من ذكر الله تعالى تحده بوقت أو تحصره بعدد وحينئذ فلا بأس بالسبحة لضبط العدد.

(وَاعْلَمْ) أن الذكر ركن الطريق، ومفتاح التحقيق، وسلاح المريدين، ومنشور الولاية، كما قال بعض العارفين. وقد قال الله تعالى ﴿فاذكروني أذكركم﴾ وقال تعالى ﴿فاذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم﴾ وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرا﴾ وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه». وقال عليه السلام: «يقول الله تعالى: «أنا جليس من ذكرني» وقال عليه السلام «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورِق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله».

وللذكر ثمرات ونتائج يجدها من واظب عليه بوصف الأدب

والحضور، أقلها أن يجد فيه من الحلاوة واللذة ما يستحقر في جنبه كل ما يعرفه من اللذات الدنيوية والملاهي. وأعلاها أن يفنى بالمذكور عن الذاكر وعما سواه.

ومن قعد وهو على طهارة في خلوة مستقبل القبلة ساكن الأطراف مطرق الرأس ثم ذكر الله بقلب حاضر وأدب وافر، رأى للذكر في قلبه أثرًا ظاهرًا. فإن دام على ذلك أشرقت عليه أنوار القرب وانكشفت له أسرار الغيب.

وأفضل الذكر ما كان بالقلب واللسان، وذكر القلب أن يكون حاضرا فيه معنى الذكر الذي يجري على اللسان كالتقديس والتوحيد عند التسبيح والتهليل.

والأفضل للذاكر من الإسرار والجهر بالذكر والقراءة الأصلحُ منهما لقلبه؛ والذكر هو الورد الدائم المستمر، فاجتهد أن لا يزال لسانك رطبا منه في كل حال إلا في وقت ورد لا يمكن الجمع بينه وبين الذكر كالقراءة والتفكر، ويكون في هذه العبادات وغيرها من القربات ذاكرًا لله تعالى بالمعنى الأعم، ولا تقتصر على نوع واحد من الذكر بل ينبغي أن يكون لك من كل نوع ورد.

(وَعَلَيْكَ) بالمحافظة على الأذكار والأدعية الواردة في أدبار الصلوات، وعند الصباح والمساء، والنوم واليقظة، إلى غير ذلك

من الأوقات والأحوال المتعاقبة، فما سنَّها رسول الله صلّى الله عليه وسلم لأمته إلا لتكون سببا لهم إلى الفوز بالخير والنجاة من الشر الواقعين في ذلك الوقت والحال. فمن أهملها ثم بعد ذلك ناله مكروه أو حيل بينه وبين محبوبه فلا يلومنَّ إلا نفسه.

ومن أراد العمل بما ذكرناه فعليه بمطالعة كتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيرا.

ومن آكد ما ورد في أدبار الصلوات وأفضله أن تقول بعد كل مكتوبة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وتسبح ثلاثا وثلاثين وتحمد كذلك وتكبر كذلك وتختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وقل هذه الكلمة بزيادة (يحيى ويميت) «عشر مرات» وأنت ثان رجليك وقبل أن تتكلم بعد صلاة الفجر والعصر والمغرب.

ومن ذلك أن تقول إذا أصبحت وإذا أمسيت: سبحان الله وبحمده «مائة» وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر «كذلك» ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم «مائة مرة».

* * *

واجعل لك وردا من الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلم؛ فإنها وصلة بينك وبين نبي الله صلّى الله عليه وسلم، وباب يفيض عليك منه المدد بواسطته من حضرته عليه الصلاة والسلام، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «من صلّى عليَّ مرة صلّى الله عليه بها عشرا» وقال عليه الصلاة والسلام: «أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أكثركم عليَّ صلاة» وقد أمر الله بها في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ فامتثلْ واستكثر منها ولا تستقلل، واجمع بينها وبين السلام وصلّ على آله معه.

وأكثر منها في ليلة الجمعة ويومها خصوصا؛ لقوله عليه السلام: «أكثروا من الصلاة عليَّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر» صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم والحمد لله رب العالمين.

فصل

(**وينبغي**) أن يكون لك ورد من التفكر في كل يوم وليلة تعين له ساعة أو ساعات، وأحسن الأوقات للتفكر أفرغها وأصفاها وأجدرها في حضور القلب جوف الليل.

(**واعلم**) أن صلاح الدنيا والدين موقوف على صحة التفكر، ومن أعطي حظه منه أخذ بحظ وافر من كل خير، وقد ورد «تفكر ساعة خير من عبادة سنة».

وقال علي كرم الله وجهه: لا عبادة كالتفكر، وقال بعض العارفين رحمهم الله: الفكرة سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له.

ومجاري الفكر كثيرة، فمنها ــ وهو أشرفها ــ أن تتفكر في عجائب مصنوعات الله الباهرة، وآثار قدرته الباطنة والظاهرة، وما بثَّ من الآيات في ملكوت الأرض والسموات.

وهذا التفكر يزيد في معرفتك بذات الله وصفاته وأسمائه، وقد حثَّ الله عليه بقوله ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾

وأنت من عجائب المصنوعات فتفكر في نفسك. قال الله تعالى ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾.
واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في آلاء الله وأياديه التي أوصلها إليك، ونعمه التي أسبغها عليك قال الله تعالى: ﴿فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ وقال الله تعالى: ﴿وإن تعدُّوا نعمة الله لا تُحصوها﴾ وقال تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾.

وثمرة هذا التفكر امتلاء القلب بمحبة الله، والاشتغال بشكره باطنا وظاهرا كما يحبه ويرضاه.

(وَاعْلَمْ) أنه ينبغي لك أن تتفكر في إحاطة علم الله بك، ونظره إليك، وإطلاعه عليك. قال الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسُه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ وقال تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ وقال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوَى ثلاثة إلا هو رابعُهم﴾ الآية.

وهذا التفكر ثمرته أن تستحيي من الله أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك.

(وَاعْلَمْ) أنه ينبغي لك أن تتفكر في تقصيرك في عبادة مولاك، وتعرضك لسخطه بإتيانك ما عنه نهاك. قال الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا لِيعبدون﴾ وقال تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ وقال تعالى: ﴿يأيها

الإنسان ما غرَّك بربك الكريم﴾ وقال تعالى: ﴿يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدْحًا فملاقيه﴾.

وهذا التفكر يزيد في خوفك من الله، ويحملك على لوم نفسك وتوبيخها، ومجانبة التقصير وملازمة التشمير.

(وَٱعْلَمْ) أنه ينبغي لك أن تتفكر في هذه الحياة الدنيا، وكثرة أشغالها ووبالها، وسرعة زوالها، وفي الآخرة ونعيمها ودوامها. قال الله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ وقال تعالى: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ وقال تعالى: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهيَ الحيوان لو كانوا يعلمون﴾.

وهذا التفكر يثمر لك الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

(وَٱعْلَمْ) أنه ينبغي لك أن تتفكر في قرب نزول الموت، وحصول الحسرة والندامة بعد الفوت. قال الله تعالى: ﴿قل إن الموت الذي تفِرُّون منه فإنه ملاقيكم ثم تردُّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

وقال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلًا إنها كلمة هو قائلها﴾.

وقال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم

ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها﴾.

وفائدة هذا التفكر قصر الأمل وإصلاح العمل وإعداد الزاد ليوم المعاد.

(واعلم) أنه ينبغي لك أن تتفكر في الأخلاق والأعمال التي وصف الله بها أولياءه وأعداءه، وفيما أعدَّ للفريقين في العاجل والآجل. قال الله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾ وقال تعالى: ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾ وقال تعالى: ﴿فأما من أعطى وأتقى وصدَّق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجِلَت قلوبهم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لهم درجات عند ربِّهم ومغفرة ورزق كريم﴾ وقال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿فكُلًّا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسَهم يظلمون﴾ وقال تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ وقال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم

أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ إلى قوله: ﴿ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ وقال تعالى: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ إلى قوله: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾.

وثمرة هذا التفكر محبة السعداء، وحمل النفس على اتباعهم والعمل بأعمالهم والتخلق بأخلاقهم، وبغض الأشقياء، وحمل النفس على اجتناب أعمالهم وأخلاقهم.

وإن ذهبنا نتتبع مجاري الفكر خرجنا عن مقصودنا من الإيجاز وفيما أشرنا إليه كفاية للعاقل.

(**وينبغي**) أن تستحضر عند كل نوع من التفكر ما يناسبه من الآيات والأخبار والآثار، وقد أشرنا إلى ذلك عند كل نوع بذكر شيء من الآيات المناسبة له.

(**وَإِيَّاكَ**) والتفكرَ في ذات الله تعالى وصفاته من حيث تطلب الماهية وتعقل الكيفية، فقلَّما ولع بذلك أحد إلا وهوَى في مهاوي التعطيل أو تورط في تورطات التشبيه، وقد روي مرفوعا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «تفكروا في آيات الله ولا تتفكروا في ذات الله؛ فإنكم لن تقدروه حق قدره».

فهذا ما قصدنا ذكره من آداب هذه الوظائف. ومقصودُ الأوراد وروحها إنما هو الحضور مع الله فيها فعليك به،

ولن تصل إليه ما لم تسلك طريقه، وهي فعل الأعمال الظاهرة مع تكلف الحضور مع الله فيها، فإن واظبت على هذا غشيتك أنوار القرب وفاضت عليك علوم المعرفة فعند ذلك يقبل قلبك على الله تعالى بكلِّيته ويصير الحضور مع الله سبحانه سجيَّة له وخُلقا راسخا فتصير تتكلف الحضور مع الخلق عند الحاجة إليه. وربما لم تقدر عليه، وعن هذه الحالة تنشأ الغَيبة والاستغراق والفناء عما سوى الله تعالى إلى غير ذلك من مواجيد أهل الله، وأصل ذلك كله المواظبة على الأعمال الظاهرة والمحافظة عليها مع تكلف الحضور مع الله فيها.

واحذر أن تترك العمل بوِردٍ مخافة أن لا تدوم عليه؛ فإن ذلك من الحماقة.

(وينبغي) أن لا تعمل في كل وقت بحسب النشاط والفراغ، بل ينبغي أن تسمي شيئًا تزيد عليه عند النشاط ولا تنقص منه عند الكسل.

(وَٱعۡلَمۡ) أن المسارعة إلى الخيرات، والمحافظة على العبادات، والمداومة على الطاعات، دأب الأنبياء والأولياء في بداياتهم ونهاياتهم؛ لأنهم أعرف الخلق بالله، فلا جرمَ كانوا أعبدهم وأطوعهم وأخشاهم له عزَّ وجلَّ فإن إقبال العبد على ربه وعبادته له على قدر محبته له، والمحبة تابعة للمعرفة؛ فكلما كان العبد أعرف بالله كان أشد حبًّا له وأكثر عبادة. فإن شغلك جمعُك

للدنيا واتباعك للهوى عن اتخاذ الأوراد وملازمة العبادات فاجتهد أن تجعل لربك ساعة من أول نهارك وساعة من آخره تشتغل فيهما بالتسبيح والاستغفار وغير ذلك من أنواع الطاعات فقد روي عن الله تعالى أنه قال: «ابنَ آدم اجعل لي ساعة من أول نهارك وساعة من آخره أكفك ما بين ذلك».

وورد أن صحيفة العبد إذا عرضت على الله عزَّ وجلَّ من آخر كل يوم فإن كان في أولها وفي آخرها خير يقول الله تعالى للمَلك أمح ما بين ذلك، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.



فصل

(وَعَلَيْكَ) بالتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما؛ فإنهما دين الله القويم وصراطه المستقيم، من أخذ بهما سلم وغنم ورَشَد وعُصِم، ومن حاد عنهما ضل ونَدِم وهلك وقُصِم، فاجعلهما حاكمين عليك ومتصرفين فيك وارجع إليهما في كل أمرك ممتثلا لوصية الله ووصية رسوله. قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردُوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ ومعنى قوله: فردوه إلى الله والرسول أي إلى الكتاب والسُّنة.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم «أوصيكم بما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي».

فإن سرَّك أن تكون على الهدى سالكا للمحجة البيضاء التي لا عِوَج فيها ولا أمَتًا فاعرض جميع نياتك وأخلاقك وأعمالك وأقوالك على الكتاب والسنة، فخذ ما وافق ودَع ما خالف، واعمل على الاحتياط، واتَّبع الأحسن أبدا، ولا تبتدع في

الدين، ولا تتبع غير سبيل المؤمنين فتخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

(**وإيـــاك**) ومحدثاتِ الأمور ومختلفات الآراء فقد قال عليه الصلاة والسلام: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وقال عليه السلام: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ».

والبدع ثلاث: «بدعة حسنة» وهي ما رآه أئمة الهدى مما يوافق الكتاب والسنة من حيث إيثار الأصلح والأنفع والأحسن، وذلك كجمع القرآن في مصحف لأبي بكر، ونصب الديوان وصلاة التراويح لعمر، وترتيب المصحف والأذان الأول يوم الجمعة لعثمان، وأحكام قتال البغاة لعليٍّ رضي الله عنه وعن الخلفاء الأربعة.

والثانية: «بدعةٌ مذمومة» على لسان الزهد والورع والقناعة فقط وذلك كالتوسع في الملابس والمآكل والمساكن المباحة.

والثالثة: «بدعةٌ مذمومة مطلقا» وهي ما خالف نصوص الكتاب والسنة أو خرق إجماع الأمة، وقد وقع من هذا النوع للمبتدعة كثير في الأصول وقلَّ وقوعه في الفروع، وكل من لم يبالغ في التمسك بالكتاب والسنة، ولم يبذل وسعه في متابعة الرسول، وهو مع ذلك يدعي أن له مكانة من الله تعالى، فلا تلتفت إليه ولا تُعرِّج عليه، وإن طار في الهواء ومشى

على الماء وطويت له المسافات وخرقت له العادات، فإن ذلك يقـع كثيرًا للشياطين والسحـرة والكهّان والعـرّافين والمنجّمين وغيرهم من الضُّلّال، ولا يُخْرِجُ مثلَ ذلك عن كونه استدراجا وتلبيسا إلى كونه كرامة وتأييدا إلا وجود الاستقامة فيمن ظهـر عليه، وهذا المغرور وأمثاله إنما يلبِّسون على الغوغـاء والسَّفلة الذين يعبدون الله على شك، وأما أولو العقول والألباب فقد علموا أن تفاوت المؤمنين في القرب من الله وعلى حسب تفاوتهم في متابعة الرسول، وأنه كلما كانت المتابعة أكمل كان القرب من الله أتم وكانت المعرفة به أجل.

وقد قصد أبو يزيد البسطامي إلى زيارة رجل يوصف بالولاية فقعد له في المسجد فلما خرج حضرته نُخامة فرمى بها في حائط المسجد فرجـع أبو يزيد ولم يجتمع به وقال كيف يؤمن على أسرار الله من لم يحسن المحافظة على آداب الشريعة.

وقـال الجنيد رحمـه الله كل الـطرق مسـدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول صلّى الله عليه وسلم.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله لا مُعين إلا الله ولا دليل إلا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ولا زاد إلا التقوى ولا عمل إلا الصبر عليها.

(واعلم) أنه لا يستقل بعرض جميع أموره التي تقـع له في ظاهره وباطنه على الكتـاب والسنة كـل أحد، فـإن ذلك

مخصوص بالعلماء الراسخين فإن عجزت عن شيء من ذلك، فعليك بالرجوع إلى من أمرك الله بالرجوع إليه في قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[1] وأهل الذكر هم العلماء بالله وبدينه العاملون بعلمهم ابتغاء وجه الله تعالى الزاهدون في الدنيا الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى الداعون إلى الله على بصيرة المكاشفون بأسرار الله.

وقد عزَّ على بسيط الأرض وجود واحد من هؤلاء حتى لقد زعم جماعة من الأكابر أنهم مفقودون، والحق أنهم موجودون ولكن قد سترهم الله برداء الغيرة وضرب عليهم سرادقات الإخفاء؛ لغفلة الخاصة وإعراض العامة، فمن طلبهم بصدق وجدَّ في ذلك لم يعوزه ـ إن شاء الله تعالى ـ وجود واحد منهم، فالصدق سيف لا يوضع على شيء إلا قطعه، والأرض لا تخلو من قائم لله بحجة. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم حتى يأتي أمر الله».

أولئك نجوم الأرض وحُمَّال الأمانة ونُوَّاب المصطفى وورثة الأنبياء، رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.

فَصْلٌ

(وَعَلَيْكَ) بتحسين معتقدك وإصلاحه وتقويمه على منهاج «الفرقة الناجية» وهي المعروفة من بين سائر الفرق الإسلامية بأهل السنة والجماعة وهم المتمسكون بما كان عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأصحابه، وأنت إذا نظرت بفهم مستقيم عن قلب سليم في نصوص الكتاب والسنة المتضمنة لعلوم الإيمان، وطالعت سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين، علمت وتحققت أن الحق مع الفرقة الموسومة بالأشعرية نسبة إلى الشيخ «أبي الحسن الأشعري» رحمه الله فقد رتب قواعد عقيدة أهل الحق وحرَّر أدلتها، وهي العقيدة التي أجمعت عليها الصحابة ومن بعدهم من خيار التابعين، وهي عقيدة أهل الحق من أهل كل زمان ومكان، وهي عقيدة جملة أهل التصوف كما حكى ذلك أبو القاسم القشيري في أول رسالته.

وهي بحمد الله عقيدتنا، وعقيدة إخواننا من السادة الحسينيين المعروفين بآل أبي علوي، وعقيدة أسلافنا من لدن رسول الله صلّى الله عليه وسَلم إلى يومنا هذا، وكان الإمام

المهاجر إلى الله جد السادة المذكورين سيدي «أحمد بن عيسى بن محمد بن علي ابن الإمام جعفر الصادق» رضي الله عنهم لما رأى ظهور البدع وكثرة الأهواء واختلاف الآراء بالعراق هاجر منها ولم يزل ـ نفع الله تعالى به ـ يتنقل في الأرض، حتى أتى أرض «حضرموت» فأقام بها إلى أن توفى، فبارك الله في عقبه، حتى اشتهر منهم الجمُّ الغفير بالعلم والعبادة والولاية والمعرفة ولم يعرض لهم ما عرض لجماعات من أهل البيت النبوي من انتحال البدع واتباع الأهواء المضلة ببركات نية هذا الإمام المؤتمن وفراره بدينه من مواضع الفتن، فالله تعالى يجزيه عنا أفضل ما جزى والدا عن ولده ويرفع درجته مع آبائه الكرام في عليين ويلحقنا بهم في خير وعافية غير مبدِّلين ولا مفتونين إنه أرحم الراحمين. والماتريدية كالأشعرية في جميع ما تقدم.

وينبغي لكل مؤمن أن يحصِّن معتقده بحفظ عقيدة من عقائد الأئمة المجمع على جلالتهم ورسوخهم في العلم. ولا أحسب مبتغي ذلك يصادف عقيدة جامعة واضحة بعيدة عن الشُّبَه سالمة من الأشياء الموهمة مثل عقيدة الإمام الغزالي رضي الله عنه التي أوردها في الفصل الأول من كتاب قواعد العقائد من الإحياء، فعليك بها فإن تشوفت إلى مزيد فانظر في الرسالة القدسية التي أوردها في الفصل الثالث من الكتاب المذكور.

ولا تتوغل في علم الكلام ولا تكثر من الخوض فيه لمجرد طلب التحقيق في المعرفة فإنك لا تظفر بهذا المطلوب من هذا العلم. ولكن إن أردت التحقق في المعرفة فعليك بسلوك طريقه وهي التزام التقوى ظاهرًا وباطنا، وتدبر الآيات والأخبار، والنظر في ملكوت السموات والأرض على قصد الاعتبار، وتهذيب أخلاق النفس وتلطيف كثافاتها بحسن الرياضة، وتصقيل مرآة القلب بملازمة الذكر والفكر، والإعراض عما يشغل عن التجرد لهذا الأمر. فهذا سبيل التحصيل إن سلكته عثرت ــ إن شاء الله تعالى ــ على المطلوب، وظفرت بالأمر المرغوب، والصوفية إنما جاهدوا نفوسهم وبالغوا في رياضتها وقطعوها عن عاداتها ومألوفاتها لعلمهم بتوقف حصول كمال المعرفة على ذلك، وعلى كمال المعرفة يتوقف التحقق بمقام العبودية الذي هو بغية العارفين وأمنية المحققين رضي الله عنهم أجمعين.

فصل

(وَعَلَيْكَ) بأداء الفـرائض واجتناب المحـارم، والإكثار من النوافل. فإنك إن فعلت ذلـك مخلصا لـوجه الله الكـريم حصلت على غاية القرب من الله وخُلِعتْ عليك خلعة المحبة التي تصير عندها جميـع حركاتك وسكناتك لله وبالله؛ وهي خلعة الولاية بل خلعة الخلافة، وقد أشار إليها رسول الله صلّى الله عليه وسلم بقوله فيما يرويه عن ربه إن الله تعالى قال: «ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعـه الذي يسمـع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمـع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من الموت».

فانظر ـ رحمك الله ـ إلى ما انطوى عليه هذا الحديث القدسي من الأسرار والمعارف وتأمل ما أومـأ إليه من الـدقائق

واللطائف وما وصل هذا العبد الموفق إلى هذه المرتبة العظيمة التي صار فيها ما يحبه محبوبا لله وما يكرهه مكروها عند الله إلا بأداء ما افترضه عليه والإكثار من النوافل ابتغاء الزلفى لديه فالسباقَ السباق إن كانت لك همة في الوصول إلى مراتب الكمال ورغبة في بلوغ درجات الرجال فقد وضح لك الطريق وبدا لك شعاع التحقيق.

(وَاعْلَمُوا) أن الله قد جعل بفضله ورحمته في النوافل جبرًا لما يقع من الخلل في الفرائض. ولكن لا يجبر خلل الفريضة إلا بنفل من نوعها كالصلاة بالصلاة، والصيام بالصيام، والفرض هو الأصل والنفل تابع له، والذي يؤدي الفرائض ويجتنب المحارم ولا يتنفل أحسن حالا ممن يتعاطى النوافل ويقع في إهمال بعض الفرائض، فإياك أن تعرض عن شيء من الفرائضُ اشتغالا بشيء من النوافل فتأثم بترك الفريضة ولا يتقبل الله منك النافلة وتقع في ذلك مثل من يشتغل بتحصيل العلم الذي هو في حقه فضيلة ويترك الاشتغال بتحصيل ما هو عليه من العلم فريضة في ظاهره أو باطنه، ومن يقعد عن الكسب مع القدرة عليه اشتغالا بنوافل العبادات ويترك عياله يتكففون الناس فقس على هاتين الصورتين ما عداهما مما في معناهما.

(وَاعْلَمُوا) أنك لا تصل إلى القيام بامتثال ما فرض الله عليك من طاعته واجتناب ما حرم الله عليك من معصيته

وإلى العمل بما شرع لك من النوافل التي تقربك إليه زلفى إلا بالعلم، فعليك بطلبه فقد قال عليه الصلاة والسلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وبالعلم تعرف كون الواجب واجبًا والمندوب مندوبًا، والمحرم محرمًا، وتعرف كيف تؤدي الواجب وتفعل المندوب وتترك المحرم فإذًا لا بد لك من العلم ولا غنى لك عنه، وعليه وعلى العمل به مدار سعادتك في الدنيا والآخرة.

(وَاعْلَمْ) أن مَنْ عَبَدَ الله بغير علم كان الضرر العائد عليه بسبب عبادته أكثر من النفع الحاصل له بها، وكم من عابد أتعب نفسه في العبادة وهو مع ذلك مصرٌّ على معصية يرى أنها طاعة أو أنها غير معصية.

وقد حكى الشيخ العارف بالله محمد بن علي عربي في باب الوصايا من الفتوحات عن رجل من أهل المغرب أنه كان كثير الاجتهاد في العبادة وأنه اشترى أتاناً[1] ولم يستعملها في شيء، فسأله إنسان عن سبب إمساكها، قال: ما أمسكتها إلا لأحصِّن بها فرجي! وكان لا يعلم تحريم إتيان البهائم، فلما عرَّفه بتحريمه أشفق وبكى بكاء شديدًا. انتهت الحكاية بمعناها.

والعلم الواجب على كل مسلم هو أن يعلم وجوب جميع

(١) الأتان: أنثى الحمار

الفرائض التي فرضهن الله عليه وتحريم جميع المحرمات التي حرمهن الله عليه.

وأما العلم بكيفية فعل الشيء الواجب فلا يجب إلا عند إرادة مباشرته فمن بلغ أو أسلم في شهر المحرم مثلا كان الواجب عليه فورًا أن يتعلم معنى الشهادتين وينطق بهما، ويتعلم وجوب الصلوات الخمس وما يجب من معرفة أركانها وأحكامها، ومن الواجب عليه أن يعرف وجوب الصوم والزكاة والحج وغيرها من الواجبات العينية ويعرف تحريم الزنى وشرب الخمر وأخذ أموال الناس بالباطل وغيرها من المحرمات الشرعية ولكن لا يجب عليه أن يتعلم كيفية الصيام والحج إلا عند مجيء رمضان وإرادة الحج، ولا كيفية الزكاة إلا حتى يملك مالاً يزكّى ويجيء وقت إخراج الزكاة والله أعلم.

والمحرمات والواجبات العينية معروفة بين المسلمين لا تكاد تخفى وإنما المهم معرفة الأحكام.

نعم ولا يكفيه إلا أن يتلقى جميع ذلك من عالم يخشى الله ويدين بالحق. والعامة تخطىء وتصيب، فإياك أن تفعل ما يفعلونه وتترك ما يتركونه اقتداء بهم؛ فإن الاقتداء لا يصح إلا بالعلماء العاملين، وقد عزَّ اليوم عالم يعمل بعلمه. فإذا رأيت العالم في هذا الزمان يفعل شيئًا أو يتركه مما يُجْهَلُ كونُه حقًّا أو باطلا، فلا تكتف بمجرد رؤيته في الفعل أو الترك حتى تسأله عن وجه

ذلك في الشرع وحكمه من الدين، ولا يحتاج المسلم في تحصيل ما هو فرض عليه من العلم إلى طول مدة، ولا يكاد تلحقه مشقة في ذلك لسهولته، ويكفي الطالبَ الفطن في تعلم ذلك أن يجلس مع العالم المتقن ساعة أو ساعتين من زمان وقد جاء أعرابي إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو يخطب على منبره فسأله أن يعلمه مما علمه الله فنزل عن منبره فعلمه ثم صعد المنبر فأتم خطبته.

وعلى الجملة فمن أراد أن يسلم ويغنم فعليه أن لا يدخل في شيء ولا يقيم على فعل شيء قد دخل فيه حتى يعلم حكم الله في ذلك الشيء من الوجوب أو الندب أو الإباحة أو التحريم فجميع الأشياء لا تخلو عن أحد هذه الأمور الأربعة، والأشبه أن هذا الأمر واجب على كل مسلم.

ثم إن المؤمنين ينقسمون إلى عموم وخصوص، فالعموم قد يقعون في ترك الواجبات وفعل المحرمات، وأحسنهم من يبادر بالتوبة والاستغفار، ولا يحرصون على فعل النوافل وينهمكون في المباحات، وأما الخصوص فيؤدون الواجبات ويتركون المحرمات بكل حال ويحافظون على فعل المندوبات ويقتصرون من المباحات على ما يكون وسيلة إلى القيام بامتثال الأوامر واجتناب النواهي وبالله التوفيق.

فصل

(وَعَلَيْكَ) بلزوم النظافة ظاهرًا وباطنًا؛ فإن من كملت نظافته صار بروحه وسريرته ملَكا روحانيًّا، وإن كان بجسمه وصورته بشرًا جسمانيًّا. وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «بني الدين على النظافة» وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله نظيف يحب النظَافة».

وتحصل النظافة الباطنة بتزكيةِ النفس عن رذائل الأخلاق، كالكبر والرياء والحسد وحب الدنيا وأخواتها، وتحليتِها بمكارم الأخلاق، كالتواضع والحياء والإخلاص والسخاء وأخواتها.

وحقائق هذه الأخلاق وطريق الخلاص من رذائلها وسبيل التحصيل لفضائلها قد جمعه الإمام الغزالي في الشطر الثاني من الإحياء فعليك بمعرفة ذلك واستعماله.

وأما النظافة الظاهرة فتحصل بترك المخالفات وفعل الموافقات.

فمن زيَّن ظاهره بملازمة الأعمال الصالحة، وعمَر باطنه بالتخلق بالأخلاق المحمودة، فقد كملت نظافته وإلَّا فَلَه نصيب

منها بقدر بُعده عن منكرات الأخلاق والأعمال وقربه من محاسنها.

ومن أقسام النظافة الظاهرة ما أرشد إليه الشرع من أخذ الفضلات وإزالة الأدناس، والتطهر من الأحداث والأنجاس.

فمن ذلك: إزالة شعر العانة، ونتف الإبط أو حلقه، وقصّ الشارب، وتقليم الظفر، ويستحب أن يبتدىء من سبابة اليمنى إلى خنصرها ومن خنصر اليسرى إلى إبهامها ويختم بإبهام اليمنى، وأما الرِّجلان فيبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كالتخليل في الوضوء، ويكره تأخير فعل هذه الأشياء عن كل أربعين يومًا.

ومن ذلك إزالة الأوساخ التي تجتمع في معاطف البدن وأغواره بالماء، وما يجتمع من الرمص على العينين، ومن القذر في المنخرين، ومن الطعام بين الأسنان بالخلال.

(وَعَلَيْكَ) تنظيف فمك بالسواك، وكونُه من أراك أولى، ويتأكد عند إرادة الدخول في العبادات، وتنظيف ثيابك بالماء كلما تدنست من غير إفراط وتشبه بالمترفين.

ومن السنة التابعة للنظافة: دهن شعر اللحية، وترجيلها بالمشط، وكذا كل شعر يقصد تبقيته، والاكتحال بالإثمد في كل عين ثلاثا، وكان عليه السلام يكتحل في كل ليلة كذلك،

واستعمال الطيب والإكثار منه فإنه يستر الروايـح الكريهة الثائرة من الإنسان وغيره، ويتأكد عند حضور الجمعـة وسائـر جموع الإسلام، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يحبه ويكثر منه، وربما رئيَ بَريق الطيب على مفرق رأسه وذلك ليُستن به وإلا فقـد كان عليـه السلام لـه طيب في جسده يستغني بـه عن الطيب حتى إنهم كانوا يجمعون عرقه فيتطيبون به ويستحب أن يتطيب الرجل بما يظهر ريحه ويخفى لونه والمرأة بضد ذلك.

(وَعَلَيْكَ) بالاحتراز عن النجاسات كلها، فإذا أصابك منها شيء مـع الرطوبـة فبادر بغسله، وإذا أصـابتك جنـابة فبـادر بالاغتسال في الحال فإن الجُنب مطرود عن حضرة الله ولذلك حرم عليه اللبث في المسجد وتلاوة القرآن.

وقد ورد أن الملائكة لا تدخـل البيت الذي فيـه الجنب وإذا ذهبت الملائكة جاءت الشياطين من كل ناحية.

واحذر أن تأكل أو تنام وأنت جنب فتتعرض بذلك لآفات عديدة فإن عجَزْتَ عن الاغتسال في الحال فلا تَعجِزْ عن غسل الفرج والوضوء.

(وَعَلَيْكَ) بتجديد الوضوء لكل فريضة واجتهد أن لا تزال على طهارة، وجدد الوضوء كلما أحدثت؛ فإن الوضـوء سلاح المؤمن ومتى كان السلاح حاضرا لم يتجاسر العدوُّ على الدنو

منك، وقد جاء رجل إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه يسأله أن يعلمه الكيمياء فأمره الشيخ أن يقيم عنده سنة وشرط عليه أن يتوضأ كلما أحدث ويصلي ركعتين ووعده التعليم بعد ذلك، فلما كملت السنة ذهب ذلك الرجل إلى بئر يستقى منها ماء فطلع الدلو مملوءا ذهبا أو فضة فصبَّه في البئر؛ زهدا فيه وجاء إلى الشيخ فأخبره فقال له الشيخ: قد صرت الآن كلك كيمياء ونصبه داعيا إلى الله تعالى.

(وَعَلَيْكَ) بصلاة ركعتين كلما توضأت. فإن لم تقدر أن تداوم على الطهارة فاجتهد أن لا تدعها عند الجلوس في المسجد وقراءة القرآن والعلم والقعود للذكر ونحو ذلك من العبادات.

وإذا توضأت أو اغتسلت فاحذر أن تقتصر على الفرض من ذلك بل ينبغي أن تحافظ على السنن والآداب على نحو ما بلغك من غسله ووضوئه عليه الصلاة والسلام.

(**وينبغي**) أن تغتسل في بعض الأوقات بنية النظافة وإن لم تصبك جنابة وقد ورد الحث في السنة على الاغتسال يوم الجمعة لحاضريها فعليك به وهو كاف في التنظيف لكن في بعض الأوقات وفي حق بعض الأشخاص.

وإذا فرغت من الوضوء وكذا الغسل فقل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

فصل

(وَعَلَيْكَ) بالمحافظة على آداب السنة ظاهرا وباطنا وعادة وعبادة تكمل لك المتابعة ويتم لك الاقتداء برسول الله صلّى الله عليه وسلم رسول الرحمة ونبي الهدى.

وإن سرك أن تكون من الصديقين فلا تدخل في شيء من العادات ـ فضلا عن العبادات ـ حتى تبحث وتنظر هل دخل فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلم أو أحد من الصحابة الأئمة، فإن لم تجدهم دخلوا فيه مع القدرة على ذلك فأَمسك عنه، وإن شملته الإباحة، فإنهم ما أمسكوا عنه إلا لخير علموه في تركه، وإن رأيتهم دخلوا فيه فاعرف أولا كيفية دخولهم فيه واقتد بهم في ذلك، وقد أمسك بعض العلماء عن أكل البطيخ وقال قد بلغني أنه عليه الصلاة والسلام أكله ولكن لم يبلغني كيفية تناوله له فلذلك أتركه.

وقد تقدم فيما قبل هذا الفصل ويأتي فيما بعده إن شاء الله تعالى نَبذة من الآداب التي تتأكد المحافظة عليها في العبادات.

ونذكر الآن في هذا الفصل نَبذة من الآداب التي ينبغي المحافظة عليها في العادات فنقول:

اعلم أن من حافظ في عاداته على الآداب النبوية حفظه الله من التعدي إلى ما وراءها من الأعمال والأخلاق الردية وحصل على المصالح والمنافع الدينية والدنيوية التي جعلها الله بحكمته في تلك الأمور العادية، ومن سرَّه أن تكمل له الحرية والطهارة من أدناس الحظوظ البشرية فليجعل حركاته وسكناته في ظاهره وباطنه مضبوطة بالقانون الشرعي، تابعة لإشارة الشرع والعقل، وكيفما وقع ذم العادات على لسان الصوفية فالمقصود به الدخول فيها على مقتضى الشهوة والهوى والاسترسال معها دون محافظة على الآداب الشرعية.

وقد قال حجة الإسلام في «الأربعين الأصل» بعد أن حث على متابعة الرسول ونبَّه على شيء من أسرارها: هذا كله في العادات وأما في العبادات فلا أعرف لتارك السنة وجهًا إلا كفرًا خفيًّا أو حمقًا جليًّا فاعرف ذلك.

(وَٱعْلَمْ) أنه ينبغي لك أن تصدِّر جميع أمورك باسم الله فإن نسيت أن تسمي في أول الأمر فقل ـ إذا تذكرت ـ: باسم الله في أوله وآخره، واجتهد أن لا تدخل في شيء من العادات إلا بنية صالحة؛ فإذا لبست ثوبك فانو به ستر عورتك التي أمرك الله بسترها وابدأ باليمين في نحو القميص وأخِّرها في النزع، وارفع إزارك وقميصك إلى نصف الساق فإن أبيت فلا تجاوزن الكعب، وللمرأة إرسال ثوبها على الأرض من كل ناحية قريبًا

من ثلثي ذراع، واجعل كم قميصك إلى الرُّسغ أو إلى أطراف الأصابع وإن زدت فلا تسرف، وقد كان كمُّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى الرسغ، وقطع عليٌّ كم قميص له إلى أطراف الأصابع، ولا تتخذ من الملابس إلاَّ ما تحتاج إلى لبسه، ولا تتحرَّ أنفَسَ الملبوس ولا أخشنه وتوسط في ذلك ولا تكشف عورتك ولا شيئًا منها لغير حاجة، ومتى دعت الحاجة إلى كشف شيء منها فقل عنده: بسم الله الذي لا إله إلا هو. وقل إذا لبست ثوبك: «الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة».

ومن السنة لبس العمامة وليس من السنة توسيع الأكمام وكبر العمائم.

(وَعَلَيْكَ) أن لا تنطق إلا بخير، وكل كلام لا يحل النطق به يحرم عليك الاستماع إليه، وإذا تكلمت فرتل كلامك ورتبه، واصغ إلى حديث من حدثك ولا تقطعنَّ على أحد كلامه إلا إن كان من الكلام الذي يسخط الله كالغيبة، واحذر المداخلة في الكلام، ولا تظهر لمن حدثك حديثًا تعرفه أنك تعرفه؛ فإن ذلك مما يوحش الجليس، وإذاحدثك إنسان بكلام أو حكى لك حكاية على غير الوجه المنقول فلا تقل له ليس كما تقول ولكنه كذا وكذا، فإن تعلق ذلك بأمر الدين فعرِّفه الصواب برفق.

(وَإِيَّاكَ) والخوضَ فيما لا يعنيك وإكثارَ الحلف بالله، ولا تحلف به تعالى إلا صادقًا عند الحاجة، واحذر الكذب بجميع أنواعه فإنه مناقض للإيمان.

(وَإِيَّاكَ) والغيبةَ والنميمة والإكثارَ من المزاح، واجتنب سائر الكلام القبيح، وأمسك عن رديء الكلام كما تمسك عن مذمومه، وتفكر فيما تقول قبل أن تقول فإن كان خيراً فقل وإلا فاصمت.

وقال عليه الصلاة والسلام: «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ذكر الله أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر».

وقال عليه الصلاة والسلام: «رحم لله امرءًا قال خيرًا فغنم أو سكت عن شر فسلم».

وقال عليه الصلاة والسلام: إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوِي بها أبعد من الثريا».

(وَعَلَيْكَ) أن لا تنقل قدميك إلا إلى خير أو في حاجة، وإذا مشيت فلا تستعجل، ولا تختال في مشيتك ولا تتبختَر فتسقط بذلك من عين الله، ولا تكره أن يُمشى أمامك ولا تحب أن يوطأ عقبك وَيُمشى خلفك فإن ذلك من أخلاق المتكبرين، ولا تكثر الالتفات وأنت تمشي ولا تقف في طريقك لمجرد الفضول، وكان عليه الصلاة والسلام إذا مشى يتقلَّع كأنما ينحطُّ من صبَب وإذا نودِي من ورائه وقف ولم يلتفت.

(وَعَلَيْكَ) إذا جلست بالتحفظ على عورتك واجلس مستقبلا للقبلة على هيئة الخشوع والوقار ولا تكثر الاضطراب والتحرك والقيام من مجلسك.

(وَإِيَّاكَ) والإكثار من الحكِّ والتمطط والتجشؤ والتثاؤب في وجوه الناس وإذا أخذك التثاؤب فضع يدك اليسرى على فيك.

(وَإِيَّاكَ) وكثرَة الضحك فإنه يميت القلب وإن استطعت أن تجعل ضحكك التبسم فافعل، ولا تقم من مجلسك حتى تقول: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» فقد ورد أن من قال ذلك غفر له ما كان في مجلسه ذلك.

وإذا أردت النوم فاضطجع على جنبك الأيمن مستقبلاً للقبلة تائبًا من جميع الذنوب عازمًا على قيام الليل قائلاً: باسمك **اللهم** ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه فاغفر لي ذنبي، اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك «ثلاثًا» أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ وأتوب إليه «ثلاثًا» وقل: سبحان الله «ثلاثًا وثلاثين» مرة والحمد لله كذلك والله أكبر «أربعًا وثلاثين».

وللنوم أذكار غير هذه فلا تغفل عنها.

ولا تنم إلا على طهارة، وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله

تعالى، ولا تتعود النوم على الفرش الوطيئة فيدعوك ذلك إلى كثرة النوم وترك القيام بالليل، فيعظم حزنك وتحسرك إذا رأيت ما أعد الله للقائمين. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «يحشر الناس في صعيد واحد فينادى مناد أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب».

وقال عليه الصلاة والسلام: «قالت أم سليمان بن داود عليه السلام له يا بني لا تكثر النوم بالليل، فإن من يكثر النوم بالليل يأتي فقيرًا يوم القيامة».

وقال الإمام الغزالي رحمه الله اعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا يكون نومك فيها أكثر من ثمان ساعات فيكفيك إن عشت ستين سنة أن تضيِّع منها عشرين سنة وهي الثلث.

ومتى تعذر عليك في بعض المواضع الجمع بين التيامن والاستقبال فَنم على يمينك واجتهد أن لا تستدبر القبلة، وإذا قصدت باضطجاعك الاستراحة دون النوم فلا بأس أن تضطجع على الأيسر.

وفي النوم وقت القيلولة معونة على قيام الليل فعليك به.

واحذر أن تنام بعد صلاة الصبح فإنه يمنع الرزق، أو بعد صلاة العصر فإنه يورث الجنون، أو قبل صلاة العشاء فإنه يورث الأرق.

وإذا رأيت في منامك ما يسرُّك من الرؤيا فاحمد الله وأوِّله بخير مناسب يكون كذلك، وإذا رأيت ما يسوءُك فتعوذ بالله من الشر واتْفُل عن يسارك ثلاثًا وتحوَّل إلى جنبك الآخر ولا تحدِّث بها أحدًا فإنها لا تضرك، وإذا قصَّ عليك أحد رؤيا فلا تؤولها له حتى يسأل منك ذلك أو تستأذنه فيه.

وإذا أكلت أو شربت فابدأ باسم الله واختم بالحمد لله، وكُلْ واشرب بيمينك، وإذا قدم إليك الطعام فقل: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وأطعمنا خيرًا منه إلا أن يكون لبنا فقل: وزدنا منه فإنه لا شيء خير منه كما ورد.

(وَعَلَيْكَ) بغسل اليدين قبل الطعام وبعده، وبتصغير اللقمة، وتدقيق المضغ، ولا تمدن يدك إلى الطعام حتى تبتلع ما في فمك، وكلْ من نواحي القصعة ولا تأكل من وسطها فإن البركة تنزل عليه، وإذا سقطت لقمتك فأمِطْ ما بها من أذى ثم كُلْها ولا تدعها للشيطان، والعَق أصابعك والقصعة بعد الفراغ، وكل بالسبابة والوسطى والإبهام، وإن احتجت إلى الاستعانة بالبقية في نحو الأرز فلا بأس.

وإذا أكلت مع غيرك فكُلْ مما يليك إلا الفاكهة، ولا تكثر النظر إلى الحاضرين في حال أكلهم، وتحدث معهم بما يناسب الحال، ولا تتكلم والطعامُ في فمك، وإن غلبك بصاق أو مخاط فالْوِ برأسك عنهم أو قم إلى موضع آخر.

وإذا أكلت عند قوم فأثن عليهم وادْعُ لهم بخير وقلْ بعد الفراغ من الأكل: الحمد لله. اللهم كما أطعمتني طيبًا فاستعملني. صالحًا، الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة. فمن قال ذلك غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ولا تتكلف الإدام لكل طعام، ولا تعِب طعامًا قط وإن كان رديئًا.

ولا تجعل همتك أكل الطيبات وتناول الشهوات فتكون من الذين قال فيهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «شرار أمتي الذين غذُوا بالنعيم ونبتت عليه أجسادهم وإنما همتهم ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام».

وقال علي، كرم الله وجهه: من كانت همته ما يدخل بطنه كانت قيمته ما يخرج منها.

واجتهد أن لا تُدْخِلْ بطنك إلا حلالا؛ فإن من أكل الحلال أربعين يومًا استنار قلبه، وجرت منه ينابيع الحكمة على لسانه، وأكرمه الله بالزهد في الدنيا، وصفت سريرته، وحسنت معاملته مع ربه، ومن أكل الحرام والشبهات كان على الضدِّ من ذلك كله.

(وَإِيَّاكَ) والاتساعَ في الأكل وكثرةَ الشبع فإنه من الحلال

مبدأ كل شر. ومن آفاته قسوة القلب وفساد الفطنة وتشويش الفكرة والكسل عن العبادة إلى غير ذلك من الآفات.

وسبيل الاقتصاد في الأكل أن تمسك عن الطعام وأنت تشتهيه ولا تتناوله حتى تشتهيه بشهوة صادقة.

وعلامة صدق الشهوة أن تشتهي كل طعام.

وإذا شربت الماء فمصَّه ولا تعبّه، واشرب في ثلاثة أنفاس، ولا تتنفس في الإناء ولا تشرب من ثُلمته[1]، ولا تشرب وأنت قائم ولا من فم السقاء فإن لم تجد إناء فاشرب على يدك وقل بعد الشرب: الحمد لله الذي جعله عذبًا فراتًا برحمته ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا.

وإذا أتيت أهلك فقل: بسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، واستر نفسك وأهلك بثوبك.

(وَعَلَيْكَ) بالهدوء والسكينة وإذا أحسست بالانزال فاقرأ في نفسك من غير أن تحرك لسانك قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشرًا فجعله نَسَبًا﴾ الآية.

والأفضل للناسك من التزوج وتركه ما كان منهما أسلم لدينه وأصلح لقلبه وأجمع لفكره، ويكره كراهة شديدة لمن لا زوجة

(١) الثلمة بضم أوله فرجة المكسور.

له أن يتفكر في شأن النساء التفكير الذي يحمل النفس على الميل إليهن، ومن بُليَ بذلك ولم يقدر على قمعه بوظائف العبادات فعليه بالتزوج فإن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه يكسر الشهوة.

وإذا قصدت بيت الخلاء لبول أو غائط فالبسْ نعليك واستر رأسك وقدم رجلك اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج وقلْ عند إرادة الدخول «بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» وعند الخروج «غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني». ولا تذكر الله على تلك الحالة إلا بقلبك.

ولا تستصحب شيئًا مكتوبًا عليه اسمه تعالى؛ إجلالا له، ولا تعبث ولا تتكلم إلا لضرورة ولا ترفع من ثوبك إلا القدر الذي يخشى عليه التنجس، واستتر بحيث لا يراك شخص، وابعد بحيث لا يسمع منك صوت ولا يشمُّ لك رائحة، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ببول ولا بغائط، وقد يتعذر فعل ذلك في بعض الأبنية فيغتفر للمشقة، ولا تَبُلْ في الماء الراكد وإن كان كثيرًا، إلا عند الحاجة ولا على الأرض الصلبة ولا في مهابِّ الريح كل ذلك احترازا من البول الذي عامة عذاب القبر منه فعليك بالاستبراء منه جَهْدَكَ من غير خروج إلى حدِّ الوسوسة، ويحصل بالتنحنح ونتر الذكر وإمرار اليد على أسفله برفق، واستنج بالحجر ثم بالماء فإن اقتصرت على أحدهما فالماء

أفضل وقدِّم القُبل في الماء وأخِّره في الحجر وقل بعد الاستنجاء «اللهم حصِّن فرجي من الفواحش وطهر قلبي من النفاق».

(وَعَلَيْكَ) بالتيامن في كل شأنك إلا في غسل النجاسات وإزالة الأقذار والدخول في المواضع التي من شأنها الاستقذار فينبغي أن يفعل ذلك كله باليسار.

وإذا عطست فاخفض بها صوتك واستر فمك وقل: الحمد لله رب العالمين ولا تبصق إلا عن شمالك أو تحت قدمك اليسرى.

(وَعَلَيْكَ) بشد أفواه الأسقية، وتخمير[1] الأواني، وإغلاق باب المنزل لا سيما عند النوم وعند الخروج منه، ولا تنم حتى تطفىء كل نار في البيت من سراج وغيره أو تواريها، وإذا أصبح الإناء مكشوفًا أو السقاء مفتوحًا فلا تشرب الماء الذي فيه ولا تستعمله إلا فيما يستعمل فيه الماء المتنجس، وهو طاهر ولكنْ في استعماله خطر، وقد ذكر الشيخ ابن عربي في الفتوحات أن في السنة ليلة مبهمة تنزل فيها الأدواء فلا تصادف إناء مكشوفًا ولا سقاء محلولاً إلا دخلته، ولذلك أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلم بشدِّ الأسقية وتخمير الآنية[2]، وإذا لم تجد

(١) التخمير: التغطية.

(٢) الآنية: جمع إناء.

ما تغطي به الإناء فاجعل عليه عودا واذكر اسم الله عليه وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين.

فَصْلٌ

(وَعَلَيْكَ) بطول المكث وكثرة الجلوس في المسجد بنية الاعتكاف؛ فإن المساجد بيوت الله وأحب البقاع إليه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «المسجد بيت كل تقي» وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» وقال الله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ وعدَّه عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله فقال: «ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه» ولكن عليك حال الجلوس فيه بالأدب والاحترام والإمساك عن فضول الكلام فضلا عن المحظور منه والحرام، فإن بدا لك التحدث بشيء من أمور الدنيا فابرز إلى خارج المسجد، ولا تشتغل في المسجد إلا بالعبادة فقط؛ لأنه لم يُبْنَ إلا ليعبد الله فيه. قال الله تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾ إلى قوله ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

وإذا دخلت المسجد فقدِّم رجلك اليمنى وقل «بسم الله

والصلاة على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» ولا تجلس حتى تصلي ركعتين فإن لم تتمكن من الصلاة فقل أربع مرات «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وإذا خرجت منه فقدِّم رجلك اليسرى وقل ما تقدم واجعل بدل «أبواب رحمتك» «أبواب فضلك» وزد «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وجنوده».

وإذا سمعت المؤذن فقل مثل ما يقول إلا في الحيعلتين فقل: «لا حول ولا قوة إلاّ بالله» وفي التثويب[1]: صدقت وبَرَرْتَ، فإذا فرغت من جوابه فصلّ على النبي صلّى الله عليه وسلم ثم قل: «اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محمودًا الذي وعدته».

وأكثِرْ من الدعاء بين الأذان والإقامة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «الدعاء بين الأذانين لا يرد»، ومن الدعاء الوارد في هذا الوقت «اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة» وقد ورد الحث في السُّنة على هذا الدعاء في غير هذا الوقت فعليك به فإنه من أجمع الأدعية وأفضلها.

(١) التثويب: هنا هو قول المؤذن في أذان الصبح خاصة: الصلاة خير من النوم.

فصل

(وَعَلَيْكَ) بالمبادرة بالصلاة أول الوقت بحيث لا يُؤذِّن المؤذن لكل مكتوبة إلا وقد توضأت وحضرت في المسجد، فإن لم تفعل ذلك فلا أقل من أن تأخذ في الاستعداد للصلاة من حين تسمع الأذان. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا» وقال عليه الصلاة والسلام: «أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله».

(وَعَلَيْكَ) بالمحافظة على السنن الراتبة التي أرشدك الشرع إلى فعلها قبل المكتوبات وبعدها، **واحذر** أن تتساهل بترك شيء منها وما فاتك منها بعذر فبادر بقضائه.

(وَعَلَيْكَ) بالخشوع في صلاتك، وحضور القلب، وتحسين القيام، وترتيل القراءة وتدبرها، وإتمام الركوع والسجود وسائر الأركان، والمحافظة على السنن والآداب التي ندبك الشرع إلى العمل بها في صلاتك، والاحتراز عما يوجب نقصا في الصلاة أو يفوت به وجود الكمال؛ فإنك إذا فعلت ذلك خرجت صلاتك بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتني،

وإلا خرجت سوداء مظلمة تقـول: ضيعك الله كمـا ضيعتني. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها».

وقال الحسن البصري رحمه الله: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع.

والشيطان لعنه الله حـريص على أن يشغل المؤمن عن صلاته، حتى إنه يفتح له عند قيامه إلى الصلاة أبوابا من الحوائج ويذكِّره أشياء من الأمور التي تهمه في دنياه لم تكن له قبل الصلاة على بال، وقصدُ اللعين بذلك أن يشغله في صلاته عن الإقبال على الله والحضور معه فيها، وإذا لم يحصل له ذلك فاته الإقبال من الله، وربما خرج من صلاته مأزورا، ولذلك استحب العلماء رحمهم الله للمصلى أن يقـرأ عند إرادة الـدخول في الصـلاة قل أعوذ برب الناس[1] تحصنا من الشيطان الرجيم.

(وينبغي) أن لا تـداوم في صلاتـك على قراءة سـورة مخصوصة بعد الفاتحة، إلا إن ورد الشرع به، وذلك كقراءة (الٓمٓ السجدة، وهل أتى على الإنسان) في صبـح يوم الجمعة.

واحذر أن تداوم في صلاتك على قراءة السور القصيرة كالكافرون والإخلاص والمعوذتين.

---

(١) أي سورة الناس كلها.

وإن كنت إماما؛ فالمصير إلى التخفيف المندوب إليه الإمام إلى حديث معاذ رضي الله عنه وهو أنه أمَّ قومًا فأطال عليهم جدًّا فشكاه رجل منهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فقال له عليه الصلاة والسلام: «أفتَّانٌ أنت يا معاذ اقرأ **بسبح الأعلى**، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى». ومن نظر في كتب الأثر عرف ما قلناه، وقد روي أن آخر صلاة صلاها رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالناس صلاة المغرب قرأ فيها بالمرسلات عرفا. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فصل

(وَعَلَيْكَ) إذا صليت خلف إمام أن تحسن المتابعة له؛ فإنما جعل الإمام ليؤتم به، واحذر أن تقارنه في شيء من أفعال الصلاة، فضلا عن أن تتقدم عليه. والذي ينبغي، أن تجعل أفعالك في صلاتك تابعة لأفعاله بالأثر. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «الذي يخفض ويرفع قبل الإمام إنما ناصيته بيد الشيطان».

(وَعَلَيْكَ) بالمبادرة إلى الصف الأول والمزاحمة عليه من غير إيذاء لأحد. واحذر أن تتأخر عنه مع إمكان التقدم إليه، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يزال قوم يتأخرون» أي عن الصف الأول «حتى يؤخرهم الله» أي عن فضله ورحمته. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم» وكان صلوات الله عليه وسلامه يستغفر لأهل الصف الأول ثلاثا وللثاني مرة.

(وَعَلَيْكَ) برصِّ الصفوف وتسويتها. فإن كنت إماما كان الأمر منك بذلك آكد، وهذا أمر مهمٌّ في الشرع وأكثر الناس

غافلون عنه، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يحرص على ذلك ويتولى فعله بنفسه ويقول: «لتسون صفوفكم أو ليخالفنَّ الله بين قلوبكم» ويأمر بسدِّ الفُرَج ويقول: «والذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل في خلل الصف كأنه الحَذَف» يعني الغنم الصغار.

(وَعَلَيْكَ) بالمحافظة على فعل الصلوات الخمس مع الجماعة والمداومة على ذلك؛ فإن صلاة الجماعة تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة كما في الحديث الصحيح، واحذر أن تدع الصلاة في الجماعة لغير عذر أو لعذر فاسد. ومهما جئت إلى موضع الجماعة فوجدتها قد صليت، أو قعدت في بيتك تبتغي بذلك السلامة في دينك فينبغي أن تضم إليك من يصلي معك؛ ليحصل لك ثواب الجماعة وتسلم من الوعيد والتهديد الوارد في حق تاركيها، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «لينتهينَّ أقوام عن ترك الجماعة أو لأحرِّقنَّ عليهم بيوتهم» وقوله عليه السلام: «من سمع النداء فارغا صحيحا فلم يجب فلا صلاة له»، وقول ابن مسعود رضي الله عنه: لقد رأيتنا وما يتخلف عنها يعني صلاة الجماعة إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم يُهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف ـ يعني من الكِبَر.

وإذا كان هذا التشديد كله في ترك الجماعة فما ظنك به في

ترك الجمعة التي هي فرض عين وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «من ترك ثلاث جمع تهاونًا طبع الله على قلبه» فإذا وقع لك عذر في ترك جمعة أو جماعة فقدّر أن في الموضع الذي تقام فيه رجلا يفرق دنانير على الحاضرين فإن نشطت للحضور ورغبت فيه فعذرك غير صحيح واستحي من الله أن يكون غرَض الدنيا أعز عليك مما عنده.

(وَٱعۡلَمۡ) أن العذر الصادق غايته إسقاط الحرج، وأما الثواب فلا يحصل إلا بالفعل «**نعم**» قد يحصل الثواب لمن تعذر عليه الحضور من كل وجه، كالذي يكون عذره الإسهال المتواتر، أو الحبس عدوانًا ونحو ذلك، أو لا يتعذر عليه الحضور ولكن يلحق بسببه لمسلم غيره مشقة شديدة، كالذي يكون عذره تمريض الضائع ونحوه، فصاحب هذا العذر والذي قبله، إن قارن عذرَهم الحزنُ والتحسر على ترك الحضور حصل لهم الثواب.

ثم إن المؤمن الكامل لا يدع شيئًا مما يقرِّبه إلى الله وإن كان له في تركه ألف عذر حتى يعلم أن تركه أحب إلى الله من فعله، وهذا قَلَّما يتفق، ولذلك تحمَّل الكُمَّل من أهل الله في فِعْل ما يقربهم إلى الله أمورا تعجز عن حملها الجبال الرواسي. وأما من ضعف إيمانه وقل يقينه وقصرت معرفته بالله فلا يعول في

ترك ما افترضه الله عليه إلا على سقوط الحرج ﴿ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾ .

(وَعَلَيْكَ) بحمل كل مَن لك عليه ولاية من ولد وزوجة ومملوك على فعل الصلوات المكتوبة. فإن امتنع أحد من هؤلاء من فعلها فعليك بوعظه وتخويفه، فإن تمرد أو أصر على الترك فعليك بضربه وتعنيفه، فإن امتنع ولم ينزجر عن الترك فعليك بمقاطعته ومدابرته فإن تارك الصلاة شيطان بعيد عن رحمة الله، متعرض لغضبه ولعنته، تحرم موالاته وتجب معاداته على كل مسلم، وكيف لا وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد أشرك» وقد قال صلّى الله عليه وسلم: «لا دين لمن لا صلاة له وإنما مثل الصلاة من الدين كمثل الرأس من الجسد».

(وَعَلَيْكَ) بالتفرغ يوم الجمعة من جميع أشغال الدنيا، واجعل هذا اليوم الشريف خالصًا لآخرتك، فلا تشتغل فيه إلا بمحض الخير ومجرد الإقبال على الله، وأحسن المراقبة لساعة الإجابة وهي ساعة تكون في كل يوم جمعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرًا ويستعيذه من شر إلا استجاب الله له.

(وَعَلَيْكَ) بالبكور إلى الجمعة ولو أن تروح إليها قبل الزوال، وبالقرب من المنبر، والإنصات للخطبة، واحذر

أن تشتغل عنه بذكر أو فكر، فضلا عن اللغو وحديث النفس، واستشعر في نفسك أنك مقصود بجميع ما تسمعه من الوعظ والوصية واقرأ بعد السلام وأنت ثانٍ رجليك وقبل أن تتكلم الفاتحة والإخلاص والمعوذتين «سبعا سبعا» وقل أيضًا بعد الانصراف من الصلاة سبحان الله العظيم وبحمده «مائة مرة» ففي الخبر ما يدل على فضل ذلك وبالله التوفيق.



فصل

(وعليك) إن كان لك مال تجب فيه الزكاة بإخراج زكاته طيبةً بها نفسُك قاصدًا بها وجه الله، مبادرًا بتمييزها وتفريقها عند حضور وقتها من غير تأخير، فإن فعلت ذلك درَّت عليك البركات وتضاعفت لديك أنواع الخيرات وصار مالك في حرز حصين من جميع الآفات.

(وعليك) بتمييز الزكاة ثم بتفريقها واجتنب ما يفعله بعض أبناء الدنيا، وذلك أن أحدهم لا يميز الزكاة عن ماله ولكن يصير كلما صادف مستحقا أعطاه قسطا وحَسَبَهُ حتى يستوفي القدر الواجب، ولا تأكل من ثمرك وزرعك الذي يجيء نصابا عند الحصاد بعد بدوٍّ صلاحه حتى تعلم القدر الواجب منه جافًا.

وإن أردت أن تأكل من شجراتٍ معينة فلا يجب عليك أن تعرف إلا القدر الواجب فيها فقط.

(واعلم) أن من يحتال في إسقاط الزكاة بهبة ونحوها أو يعطيها غير المستحقين مع العلم، أو يفرقها على مقتضى

الهوى كالذي يخص بإعطائها من يعود عليه منه نفع عاجل لا يخرج من الدنيا حتى يعذبه الله بماله ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾.

وإذا كان هذا حال من يخرجها على غير الوجه المشروع، فكيف يكون حال من لا يخرج الزكاة رأسا ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾.

وقد تقرر أن مانع الزكاة قرين تارك الصلاة في الشر وقد قاتل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ مانعي الزكاة وسماهم أهل الردة.

(وَعَلَيْكَ) بإخراج زكاة الفطر عنك وعن كل من تلزمك نفقته وذلك إن استطعت.

(وَعَلَيْكَ) بالإكثار من الصدقة وبالتصدق على الأرحام المحتاجين وأهل الخير المقِلِّين خصوصا فإن الصدقة تزكو ويزيد ثوابها بوضعها في مثل هذه المواضع.

(وَعَلَيْكَ) بالتصدق بما تحب وبما يعز عليك؛ لتنال البر. قال الله تعالى ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾، وبالإيثار على نفسك عند الحاجة؛ لتصير من المفلحين، وعليك بالإسرار بالصدقة؛ فإن صدقة السر تطفىء غضب الرب. وتضاعف على صدقة العلانية بسبعين ضعفًا وتسلم من تطرق الرياء المفسد

للأعمال، ولا تدع أن تتصدق كل يوم بشيء وإن قلَّ وباكِر به؛ فإن البلاء لا يتخطى الصدقة.

ولا تخيِّب سائلا وقف ببابك ولو أن تعطيه تمرة فما دونها فإنه هدية الله إليك فإن لم تجد ما تعطيه فأحسن رده بلين من القول وجميل من الوعد، وإذا أعطيت مسكينًا شيئًا فأظهر له البشر والبشاشة واستشعر في نفسك أن له المنة عليك لقبوله منك عَرضا يسيرا حصل لك بسببه من الثواب حظ لو بذلت الدنيا بحذافيرها في مقابله لكنت رابحا، وقد ورد أن اللقمة الواحدة يصير ثوابها عند الله أعظم من جبل أحد، ولا يمنعك من التصدق مخافة الفقر فإن ترك التصدق هو الذي يجلب الفقر، وأما التصدق فهو يجلب الغنى والسعة، حتى إن الذي تدبر عنه الدنيا لو أخذ يتصدق لعاد المدبر منها مقبلاً إليه وأمثاله معه.

(وَاعْلَمُوا) أن للصدقة منافع عاجلة وآجلة، فمن منافعها العاجلة أنها تزيد في الرزق والعمر، وتدفع ميتة السوء، وتجلب الصحة للجسم والبركة للمال، ومن منافعها الآجلة أنها تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وتكون ظلا على رأس صاحبها يوم القيامة، وسترا له من العذاب إلى غير ذلك من المنافع وما يذكر إلَّا من ينيب.

فَصْلٌ

(وَعَلَيْكَ) بالإكثار من أعمال البر وخصوصًا في شهر رمضان؛ فإن ثواب النافلة فيه يعدل ثواب الفريضة في غيره، وأيضًا فإنه يحصل في رمضان من التيسير والنشاط في أعمال البر ما لا يحصل مثله ولا قريب منه في غيره من الشهور؛ وذلك لأن النفس المتكاسلة عن البر مسجونة بالجوع والعطش، والشياطين المثبِّطة عن الخير مصفَّدة، وأبواب النار مغلَّقة، وأبواب الجنة مفتَّحة، والمنادي ينادِي كل ليلة بأمر الله: يا باغي الخير هلمَّ ويا باغي الشر أقصر.

(وينبغي) أن لا تعرج في هذا الشهر الشريف على غير عمل الآخرة، ولا تدخل في شيء من أعمال الدنيا إلا إن كان ضروريًا، واجعل شغلك بأمر المعاش في غير رمضان وسيلة إلى الفراغ للعبادة فيه، وخُص العشر الأواخر منه بمزيد إقبال على الله ولزوم للعبادة، وإن أمكنك أن لا تخرج من المسجد في هذه العشر إلا إلى ما لا بد منه فافعَلْ.

(وَعَلَيْكَ) بصلاة التراويح في كل ليلة من رمضان

وقد جرت العادة في بعض البلاد بتخفيفها جدا حتى ربما وقع بسبب ذلك في ترك بعض الأركان فضلا عن السنن، والمعروف من فعل السلف توزيع القرآن من أوله إلى آخره على هذه الصلاة كل ليلة يقرؤون منه فيها شيئًا حتى يختموه في بعض الليالي من آخر الشهر فإن أمكنك أن تقتدي بهم في ذلك فالغنيمةَ الغنيمةَ، وإلا فلا أقل من إتمام أركان الصلاة والمحافظة على آدابِها.

وأحسِن المراقبةَ لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وهي الليلة المباركة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم ومن كوشف بها رأى الأنوار ساطعة، وأبواب السماء مفتحة والملائكة تصعد وتنزل وربما رأى الموجودات كلها ساجدة لله تعالى الذي خلقها، وجمهور العلماء على أنها في العشر الأواخر من رمضان، وفي الأوتار منها أرجى، وقد كوشف بها بعض العارفين ليلة السابع عشر وإليه ذهب الحسن البصري، وقال بعض العلماء: إنها أول ليلة من رمضان وذهب جماعة من الأكابر إلى أنها ليست ليلة مخصوصة ولكنها تتنقل في ليالي رمضان، قالوا والسرُّ في ذلك أن يصير المؤمن في كل ليلة من هذا الشهر في غاية من الإقبال على الله تعالى وعلى طاعته رجاء أن يصادف هذه الليلة التي قد أبهمت عليه والله أعلم.

* * *

(وَعَلَيْكَ) بتعجيل الفطور عند تيقن الغروب وتأخير السحور ما لم تخش الوقوع في الشك، وبتفطير الصائمين ولو على تمرات أو شربة من الماء؛ فإن من فطَّر صائمًا كان له مثل أجره لا ينقص ذلك من أجره شيئًا، واجتهد أن لا تفطر ولا تفطر صائمًا إلا على طعام حلال.

(وَعَلَيْكَ) بالتقليل من الأكل، وتناول الموجود من الحلال من غير إيثار للطيب الملائم؛ فإن مقصود الصوم كسر الشهوة، والاتساعُ في الأكل وقصد الطيبات لا يكسرها ولكنه يقويها ويهيجها.

(وَعَلَيْكَ) بصيام الأيام التي ورد الشرع بالترغيب في صيامها كيوم عرفة لغير الحاج، ويوم عاشوراء، وتاسوعاء، والست من شوال، وابتدىء فيها من ثاني يوم العيد؛ فإن ذلك أبلغ في رياضة النفس.

(وَعَلَيْكَ) بصيام ثلاثة أيام من كل شهر فإن ذلك يعدل صيام الدهر. وإن تحريت له الأيام البيض فهو أحسن؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان لا يدع صيامها حضرًا ولا سفرًا.

(وَعَلَيْكَ) بالإكثار من الصوم مطلقًا ولا سيما في الأوقات الفاضلة كالأشهر الحرم والأيام الشريفة كالاثنين والخميس.

(وَاعْلَمْ) أن الصيام قطب الرياضة وأساس المجاهدة

وقد ورد أن الصوم نصف الصبر، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف» قال الله تعالى: «إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي» «للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه» «ولخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فَصْلٌ

(وَعَلَيْكَ) بالمبادرة إلى أداء ما فرض الله عليك من الحج والعمرة عند الاستطاعة، **وإياك** والتأخير بعد حصولها فربما عجزت أو مت بعد التمكن فيستقر الوجوب في ذمتك وتعدُّ به مقصرًا وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ومات ولم يحج فلْيمت إن شاء يهوديًّا وإن شاء نصرانيًّا».

(وَعَلَيْكَ) عند القدرة بالتطوع بالحج والعمرة كغيرهما من القربات؛ فقد ورد عن الله تعالى أنه قال: «إن عبدا قد صححت جسمه وأكثرت ماله تأتي عليه خمسة أعوام ولا يغدو عليَّ لَعبد سوء» الحديث بمعناه.

(وَعَلَيْكَ) عند إرادتك المسير إلى الحج بتعلم واجباته وسننه وأذكاره، وبتعلم أدلة القبلة ورخص السفر وآدابه وما يقال فيه من الأذكار، ولا تجعل قصدك الحج مشتركا بينه وبين التجارة بل ينبغي أن لا يصحبك شيء من متاع الدنيا إلا ما تقصد إنفاقه

في مدة سفرك وإن كان ولا بد فاجتنب أخذ ما يشغلك عن أداء المناسك على وجهها وتعظيم شعائر الله كما ينبغي.

(وَعَلَيْكَ) بزيارة رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فإن زيارته عليه السلام بعد وفاته كزيارته في حياته وهو صلى الله عليه وسلم حيٌّ في قبره وكذلك سائر الأنبياء، ومن الجفاء أن تحج بيت الله وتترك زيارة حبيب الله لغير عذر ناجز.

(وَاعْلَمْ) أنك لو جئت على رأسك من أقصى بلاد الإسلام لزيارته صلّى الله عليه وسلم لم تقم بشكر نعمة الهداية التي أوصلها الله إليك على يده.

(وَعَلَيْكَ) إذا أردت الشروع في أمر مهمٍّ كالسفر والزواج ونحوهما بمشاورة من تثق بمعرفته وأمانته من إخوانك، ثم إذا صادفَتْ إشارته ما في النفس فعليك بصلاة ركعتين من غير الفريضة بنية الاستخارة، وادع بعدهما بالدعاء المشهور. قال عليه الصلاة والسلام: «ما خاب من استخار وما ندم من استشار».

(وَعَلَيْكَ) إذا نذرت لله نذرًا من صلاة أو صدقة أو غير ذلك من القربات بالمبادرة بالوفاء به، ولا تتعود الإكثار من النذر؛ فإن الشيطان ربما أغراك بذلك ليوقعك في الإخلال.

وإذا حلفت على فعل شيء ثم رأيت الخير في تركه،

أو على ترك شيء ثم رأيت الخير في فعله، فكفِّر عن يمينك وَأْتِ الذي هو خير.

(**واحذر**) أن تحلف أو تشهد على مقتضى الظن وإن كان غالبًا، فضلا عن الوهم والشك. وإذا أخذت مال مسلم بيمينك فالواجب عليك ردُّ ما أخذته وتكفير يمينك، وكفارتها إطعام عشرة مساكين لكل مسكين مُدٌّ أو كسوتهم أو تحرير رقبة فإن لم تجد فصيام ثلاثة أيام.

(**وإياك ثم إياك**) واليمينَ الفاجرة؛ فإنها تدع الديار بَلَاقِعَ ـ أي خراباً. وتغمس صاحبها في نار جهنم.

(**والحذر كل الحذر**) من شهادة الزور؛ فإنها من أكبر الكبائر وقد قرنها عليه الصلاة والسلام بالإشراك بالله، وإذا كان كتمان الشهادة من العظائم فما الظن بافترائها. نسأل الله العافية والسلامة قبل حصول الندامة.

فصل

(وَعَلَيْكَ) بالورع عن المحرَّمات والشبُهات؛ فإن الورع ملاك الدين، والذي عليه المدار عند العلماء العاملين. وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «كل لحم نَبَتَ من سُحت فالنار أولى به» وقال عليه الصلاة والسلام: «من اتَّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام».

(وَاعْلَمْ) أن الذي يتناول الحرام والشبهات قلَّ أن يوفق لفعل العمل الصالح، وإن وفق له ظاهرا فلا بد أن يعرض له من الآفات الباطنة ما يفسده عليه كالعُجب والرياء.

وعلى كل حال فالذي يأكل الحرام عمله مردود عليه؛ لأن الله طيِّب لا يقبل إلا طيبا.

وبيان ذلك أن الأعمال لا يتصور فعلها إلا بحركات الجوارح، وحركات الجوارح لا تستطاع إلا بالقوة المكتسبة من الغذاء، فإذا كان الغذاء خبيثا كانت القوة والحركات المتولدة منه خبيثة، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لو صليتم

حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار لم يتقبل الله ذلك منكم إلا بورع حاجز. (وروي) مرفوعًا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيها درهم من حرام لم يتقبل الله له صلاة ما دام عليه شيء منه» وإذا كان هذا حكم الثوب الذي عشر ثمنه من حرام فكيف يكون الحال لو كان كله كذلك! وإذا كان هذا في الملبوس الذي هو على ظاهر الجسد فما الظن به في الغذاء الذي يتخلل العروق والأوصال ويسري في سائر البدن؟

(وَاعْلَمْ) أن المحرمات قسمان:

(أحدهما) شيء محرَّم لعينه كالميتة والدم والخمر ونحو ذلك، وهذا النوع لا يحل بوجه من الوجوه إلا عند الاضطرار وهو توقف بقاء النفس المحترمة على تناوله مع فقدان غيره.

(والثاني) حلال في نفسه كالحنطة والماء الطاهر ولكنه مملوك لغيرك فلا يزال محرما عليك حتى يصير إليك من وجه سائغ في الشرع كالبيع والهبة والإرث ونحو ذلك.

وأما الشبهات فهي درجات (فمنها) ما تُيُقِّن تحريمه وشُك في حله وهذه الشّبه حكمها حكم الحرام.

(ومنها) ما تيقن حله وشك في تحريمه وهذه الشبه تركها من الورع.

(ومنها) ما هو بين ذلك كالذي يحتمل أن يكون حلالا ويحتمل أن يكون حراما. وقد قال عليه الصلاة والسلام «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

وإنما يستدل على ورع الرجل بإحجامه عن الأمر المشكل حتى يتضح، ولا يكون العبد من المتقين حقا حتى يترك الحلال المحض الذي يخشى عند تناوله الوقوع فيما وراءه من الشبهات والحرام. وقد قال صلّى الله عليه وسلم: «لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس» وقالت الصحابة رضوان الله عليهم: كنا نترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع في الحرام، وهذا أمر قد تُودِّع منه من زمان قديم فمن لنا بورع يحجزنا عن الشبهات والمحرمات فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(وَعَلَيْكَ) بمعرفة جميع ما حرم الله عليك لتجتنبه فإن من لا يعرف الشر يقع فيه.

(وَاعْلَمْ) أنه لا يُخشى على ذي دين من وقوعه في تناول المحرمات العينية كأكل ما لا يحل أكله من الحيوانات، ولا في أخذ أموال الناس عدوانا وظلما بالغصب والنهب والسرقة؛ فإن ذلك إنما يصدر غالبا من جبار عنيد أو شيطان مريد، وإنما دخل الاشتباه على أهل الدين من حيث إهمالهم النظر في ثلاثة أمور:

«الأول» ترك التفتيش في موضعه، وبيان ذلك أن الناس ينقسمون بالنسبة إليك ثلاثة أشخاص:

«شخص» معروف عندك بالخير والصلاح فكُلْ من طعامه وعامِلْه إذا شئت ولا تسأل.

«والثاني» شخص مجهول عندك ولا تعرفه بخير ولا بشرٍّ، فإذا أردت أن تعامل هذا أو تقبل هديته فمن الورع أن تسأل، ولكن برفق حتى إنك لو عرفت أنه ينكسر قلبه لذلك كان السكوت أفضل.

«والثالث» شخص معروف عندك بالظلم كالذي يعامل بالربا ويجازف في بيعه وشرائه ولا يبالي من أي جهة يصلْ إليه المال، **فينبغي** أن لا تعامل هذا رأسًا، وإن كان ولا بد فقدِّم التفتيش والسؤال، وهذا كله من الورع حتى تعلم أن الحلال في يده نادر عزيز فعند ذلك يجب عليك الاحتراز.

وإذا وصلت إليك عين تعلم أو تظن بعلامة ظاهرة أنها حرام أو شبهة فلا تتوقف عن ردها وإن وصلت إليك على يد أصلح الصالحين.

(والأمر الثاني) عدم الاحتراز من المعاملات الفاسدة وطريق الخلاص أن تجتنب جميع البيوع الفاسدة والمكروهة. فلا تبيعُ ولا تشتري إلا بصيغة صحيحة، ولا بأس بالمعاطاة في

المحقَّرات، واجتنب الغش والكذب والحلف على السلع، ولا تكتم عيبًا في سلعتك لو اطلع عليه المشترى لم يشترها بذلك الثمن.

(**واحذر كل الحذر**) من المعاملة بالربا؛ فإنه من الكبائر قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذَرُوا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ وقد لعن رسول الله صلّى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده.

وجملة القول في الربا أنه يحرم بيع النقد بمثله كالفضة بالفضة والمطعوم بمثله كالحنطة بالحنطة إلا مِثْلا بمثل يدًا بيد، فإن إختلف النوع كالذهب بالفضة والتمر بالحنطة جاز التفاضل ووجب التقابض في الحال، ولا ربا في بيع الحيوان بالحيوان والثوب بالثوب والمطعوم بالنقد.

(وَإِيَّاكَ) والاحتكار وهو أن تشتري طعامًا تعظم الحاجة إليه وتدَّخره بنية الغلاء.

(والأمر الثالث) الانهماك في شهوات الدنيا والتبسط في ملذوذاتها، فعند ذلك يعسر الورع ويضيق الحلال فإن هذا سَرف والحلال لا يحتمل السرف، وأما من غرضُه من الدنيا أخذ قدر الضرورة أو الحاجة فالورع ميسر له.

قال حجة الإسلام نفع الله به: وإذا قنعت في السَّنة بقميص خشن، وفي اليوم والليلة برغيفين من الخشكار لم يعوزك من الحلال ما يكفيك؛ فإن الحلال كثير، وليس عليك أن تتيقن باطن الأمور بل عليك أن تحترز من كل ما تعلمه حراما أو تظنه ظنا حصل من علامة ناجزة مقرونة بالمال انتهى.

وإذا حاك في نفسك شيء فمن الورع اجتنابه وإن أحله ظاهر العلم؛ فإن الإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك المفتون كما قال عليه الصلاة والسلام، وهذا خاص بمن له قلب مستنير، وفي جانب الكف دون الأخذ.

ولا تحسب أن الورع خاص بالمطعوم والملبوس، بل هو عام في جميع الأمور ولكن ينبغي لك إذا كان في يدك حلال وأحلُّ منه أو حلال وشبهةٌ أن تقدم المطعوم بما كان أحلَّ وأطيب؛ فإن المدار كله على الغذاء، وللطُّعمة من الحلال أثر كبير في تنوير القلب ونشاط الجوارح للعبادة، وقد قال بعض السلف: كل ما شئت فمثله تعمل. وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: أطب مطعمك وما عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار. فاعلم ذلك! وبالله التوفيق.

فصل

(وعليك) بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه القطب الذي عليه مدار أمر الدين، ولأجله أنزل الله الكتب وأرسل المرسلين، وقد انعقد على وجوبه إجماع المسلمين، وتظاهرت نصوص الكتاب والسنة على الأمر به والتحذير من تركه. قال الله تعالى: ﴿ولْتكن منكم أمَّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهَوْن عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾.

وقد وصف الله المؤمنين في غير موضع من كتابه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقدم وصفهم به في بعض المواضع على الإيمان، وفي بعضها على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ وقال تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبَنَّ الذين ظلموا منكم خاصة﴾ الآية.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «من رأى منكم

منكرًا فلْيغيِّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «والذي نفسي بيده لَتأمرنَّ بالمعروف ولتنهُونَّ عن المنكر أو لَيوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم».

وقال عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقِّر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر».

(وَاعْلَمْ) أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين، واختص الثواب بالقائمين به، وإذا لم يقم به أحد عمَّ الحرج كافة العالمين به القادرين على إزالته.

والواجب عليك إذا رأيت من يترك معروفًا أو يفعل منكرًا أن تعرِّفه بكون ذلك معروفًا أو منكرًا، فإن لم يدعْه فعليك بوعظه وتخويفه، فإن لم ينزجر فعليك بتغييره وقهره بالضرب وكسر آلة اللهو المحرّمة وإراقة الخمر ورد الأموال المغصوبة من يده إلى أربابها. وهذه الرتبة لا يستقل بها إلا من بذل نفسه لله، أو كان مأذونا له من جهة السلطان، وأما الرتبتان الأولتان أعني التعريف والوعظ فلا يقصر عنهما إلا جاهل مخبِّط أو عالم مفرِّط.

(وَٱعْلَمْ) أن الأمر بالمعروف واجب، والنهي عن المحرم واجب والأمر بالمندوب والنهي عن المكروه مستحب.

(وَعَلَيْكَ) إذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر ولم يُسمع لك، بمفارقة موضع المنكر وهجر مرتكبه حتى يفيء إلى أمر الله.

(وَعَلَيْكَ) بكراهية المعاصي وكراهية المصِّرين عليها وبغضهم في الله وهذا واجب على كل مؤمن.

وإذا ظُلمت أو شُتمت فظهر عليك من الغضب وتغيُّر الوجه ووجدت من كراهية الفعل والفاعل ما لا يكون مثله ولا أعظم منه عند سماع المنكر ومشاهدته، فتحقق أنك ضعيف الإيمان وأن عِرضك ومالك أعز عليك من دينك.

وإذا علمت وتحققت أنك إذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر لا يستمع لك ولا يقبل منك أو علمت أنه يحصل عليك بسببه ضرر ظاهر في نفسك أو مالك جاز لك السكوت وصار الأمر والنهي بعد أن كان واجبا من الفضائل العظيمة الدالة من فاعلها على محبة الله وإيثاره على من سواه، وأما إذا علمت أن المنكر يزيد بسبب النهي أو يتعدى الضرر إلى غيرك من المسلمين فالسكوت حينئذ أولى وربما وجب.

(وَإِيَّاكَ) والمداهنةَ فإنها من الجرائم وهي أن يكون

الحامل لك على السكوت الخـوفَ من فوات مال أو جاه أو نفـع يكون من قِبَل المباشر للمنكر أو غيره من الفسقة.

(وَعَلَيْكَ) إذا أمرت أو نهيت بالإخلاص لله تعالى، والرفق وحسن السياسة، وإظهار الشفقة؛ فما اجتمعت هذه الخصال في عبد مـع كونه عاملا بما أمر به مجتنبا لما نهى عنه إلا كان لكلامه صولة وهيبة في الصدور ووقـع في القلوب وحلاوة في الأسماع وقلَّ أن يُرَدَّ عليه مـع هذا كلامه، وكل من تحقق بمراقبة الله والتوكل عليه وتخلَّق بالرحمة على عباده لم يقدر أن يملك نفسه عند مشاهدة المنكر حتى يزيله أو يحال بينه وبين ذلك بما لا قدرة له على دفعه.

(وَإِيَّاكَ) والتجسُّسَ وهو تطلب الـوقوف على عـورات المسلمين ومعاصيهم المستورة، قال عليه السلام: «من تتبـع عورة أخيه المسلم تتبـع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته».

* * *

(وَاعْلَمْ) أن المعصيـة إذا سترت لم تضـر إلا مرتكبهـا فإذا ظهرت ولم تغيَّر عمَّ ضررها.

(وَعَلَيْكَ) إذا تفاحش ظهور المعاصي والمنكرات في موضع أنت به وأيِست من قبول الحق بالعزلة فإن فيها السلامة، أو بالهجرة إلى موضع آخر وهي أولى فإن العذاب إذا نزل على موضع يعم الخبيث والطيب ويكون للمؤمن الذي لم يقصر في نصرة دين الله كفارة ورحمة ولغيره عقابا ونقمة والله أعلم.



فصل

(وَعَلَيْكَ) بالعدل في رعيتك الخاصة والعامة وكمال الحفظ والتفقد لها؛ فإن الله تعالى سائلك عنها وكل راع مسئول عن رعيته. وأعني برعيتك الخاصة جوارحَك السبع وهي اللسان والسمع والبصر والبطن والفرج واليد والرجل فإن هذه الجوارح رعية استرعاك الله إياها وأمانة ائتمنك عليها فعليك بكفها عن معصيته واستعمالها في طاعته؛ فإن الله تعالى إنما خلقها لك لتطيعه بها وهي من أجلِّ نعم الله عليك، وشكرها أن تطيعه سبحانه بها وأن لا تعصيه بشيء منها، فإن تركت ذلك ولم تفعله فقد بدَّلت نعمة الله كفرًا، ولولا أن الله تعالى سخر لك هذه الجوارح وجبلها على طاعتك لكنت لا تستطيع أن تعصي الله بشيء منها، وكل جارحة منها تقول لك بلسان حالها إذا أردت أن تعمل بها معصية: يا عبد الله اتَّق الله ولا تُكرهني على فعل ما حرم الله علي فإذا عصيت الله بها ترجع إلى الله وتقول قد نهيته يا رب فلم يسمع وأنا بريئة مما صنع، وسوف تقف بين يدي الله تعالى فتنطق جوارحك شاهدة لك بما عملت بها من خير، وعليك بما عملت بها من شرٍّ في يوم ﴿لا مردَّ له من الله

ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير﴾ ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾.

وأعني برعيتك العامة من جعل الله لك عليه ولاية من ولد وزوجة ومملوك فكل هؤلاء من رعيتك، والواجب عليك إرشادهم إلى القيام بما فرض الله عليهم من طاعته وما حرَّم عليهم من معصيته، واحذر أن تسامحهم في ترك واجب أو ارتكاب محرَّم، وادعُهم إلى ما فيه نجاتهم وسعادتهم في الدار الآخرة، وأحسِن أدبهم ولا تغرس في قلوبهم حب الدنيا وشهواتها فتكون بذلك مسيئًا إليهم، وقد ورد أن أهل الإنسان وولده يتعلَّقون به بين يدي الله، ويقولون: يا ربنا إن هذا لم يعرِّفنا ما أوجبت علينا من حقك فاقتصَّ لنا منه.

(وَعَلَيْكَ) بمعاملتهم بالعدل والفضل، أما العدل فهو أن توفِّيهم حقوقهم التي أوجبها الله لهم عليك من النفقة والكسوة والمعاشرة بالمعروف، ومن العدل الواجب أن تردع بعضهم عن ظلم بعض وتقتص لمظلومهم من ظالمهم وفي الحديث: «إن العبد يكتب جبارًا وما يملك إلا أهل بيته» يعني فيجور عليهم.

وأما الفضل فهو أن لا تستقصي عليهم في طلب الحقوق التي أوجبها الله لك عليهم، وأن ترفق بهم وتخالقهم بالأخلاق

الكريمة وتباسطهم في بعض الأوقات من غير إثم بقدر ما تزول الوحشة والتنفير وتبقى الهيبة والتوقير.

(وَعَلَيْكَ) بالعفو عن مسيئهم والصفح عن جانيهم، واجعلهم باطنًا في حِلٍّ مما اختلسوه من مالك، فإنك سوف تجد ذلك في كِفة حسناتك، فلا ينبغي أن يكون حظك منهم الثواب وحظهم منك العقاب. وقد سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلم: كم يُغْفَرُ للرقيق في كل يوم؟ قال: «سبعون زلة».

وهذه المسامحة إنما هي في حقوقك، وأما في حقوق الله فلا وجه لها.

وخُص النساء من أهل بيتك بمزيد حفظ وتفقُّد فإنهن ناقصات عقل ودين وعلِّمهن أحكام الحيض وفرائض الغسل والوضوء والصلاة والصيام وحقوق الأزواج وما يجري مجرى ذلك.

وقد تتسع رعية بعض العباد كالسلاطين والعلماء، وكلٌّ راع مسئول عن رعيته. قال الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية وقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم من وليَ من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه» وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من وال يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلاَّ حرَّمَ الله عليه الجنة» الحديث.

(وَعَلَيْكَ) ببر الوالدين؛ فإنه من أوجب الواجبات وإياك وعقوقَهما؛ فإنه من أكبر الكبائر قال تعالى: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا﴾ الآية والتي بعدها وقال تعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ فانظر كيف قرن الأمر بالإحسان إليهما بتوحيده وشكرهما بشكره فعليك بابتغاء مرضاتهما وامتثال أمرهما ما لم يكن معصية، واجتناب نهيهما ما لم يكن طاعة واجبة، وبإيثارهما على نفسك وتقديم مهماتهما على مهماتك.

ومن العقوق أن تؤذيهما بقطع ما تستطيع إيصاله من المعروف إليهما فكيف بتقطيب الوجه والانتهار لهما، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «يوجد ريح الجنة من مسيرة ألف عام ولا يجده عاقٌّ ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا مسبل إزاره خيلاء إنما الكبرياء لله رب العالمين».

وقال عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى: «من أصبح مرضيا لوالديه مسخطا لي فأنا عنه راض ومن أصبح مسخطا لوالديه مرضيا لي فأنا عنه ساخط».

(**وينبغي**) للوالد أن يعين ولده على بره بعدم الاستقصاء عليه في طلب الحقوق، ولا سيما في هذا الزمان الذي عزَّ فيه وجود البر وعم فيه وجود الشر، وصار الوالد يَعُدُّ أبر أولاده

من لم يسيء إليه منهم، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «رحم الله والدًا أعان ولده على بره».

(وَعَلَيْكَ) بصلة الرحم الأقرب فالأقرب، وبالإحسان إلى الجيران الأدنى بابا فالأدنى. قال الله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجُنب والصاحب بالجُنب﴾ الآية.

وقد أمر الله بالإحسان إلى القرابة في مواضع عديدة من كتابه العزيز. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «الصدقة على القرابة صدقة وصلة» وقال عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصِلْ رحمه». وفي حديث آخر: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره». وقال عليه الصلاة والسلام: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى خشيت أنه سيورِّثه».

ولا تتم صلة الأرحام والإحسان إلى الجيران إلا بكف الأذى عَنهم واحتمال الأذى منهم وبذل المعروف حسب الاستطاعة لهم.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «ليس الواصل بالمكافىء إنما الواصل الذي إذا قَطَعَتْ رحمه وصلها» وقال عليه الصلاة السلام: «وطِّنوا أنفسكم على أن تحسنوا إذا أحسن الناس ولا تسيئوا إذا أساءوا». وبالله التوفيق.

فصل

(وَعَلَيْكَ) بالحب في الله والبغض في الله فإنه من أوثق عرى الإيمان. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله تعالى» فإذا أحببت العبد المطيع لله لكونه مطيعا أو أبغضت العاصي لله لكونه عاصيا لا لغرض آخر فأنت ممن يحب في الله ويبغض في الله حقيقة، وإذا لم تجد في نفسك محبة لأهل الخير لخيرهم وكراهة لأهل الشر لشرهم فاعلم أنك ضعيف الإيمان.

(وَعَلَيْكَ) بصحبة الأخيار واعتزال الأشرار ومجالسة الصالحين ومجانبة الظالمين. قال عليه الصلاة والسلام: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل». وقال عليه الصلاة والسلام: «الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء».

(وَاعْلَمْ) أن مخالطة أهل الخير، ومجالستهم تزرع في القلب محبة الخير وتعين على العمل به، كما أن مخالطة أهل الشر ومجالستهم تغرس في القلب حب الشر وحب العمل به،

وأيضًا فإن من خالط قوما وعاشرهم أحبهم ضرورةً سواء كانوا أخيارًا أو أشرارا والمرء مع من أحب في الدنيا والآخرة.

(وَعَلَيْكَ) بالرحمة لعباد الله والشفقة على خلق الله، وكن رحيما شفيقا ألوفا مألوفا، واحذر أن تكون فظا غليظا أو فاحشا جافيا، قال عليه الصلاة والسلام: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء ومن لا يرحم لا يرحم» وقال عليه السلام: «المؤمن ألوف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».

(وَعَلَيْكَ) بتعليم الجاهلين وإرشاد الضَّالين وتذكير الغافلين، واحذر أن تدع ذلك قائلا إنما يعلِّم ويذكر من يعمل بعلمه وأنا لست كذلك، أو إني لست بأهل للإرشاد لأنه من أخلاق الأكابر، وهذا كله تلبيس من الشيطان؛ فإن التعليم والتذكير من جملة العمل بالعلم، والأكابر ما صاروا أكابر إلا بفضل الله والعمل بطاعته وإرشادهم عباد الله إلى سبيل الله، وإذا لم تكن أهلا فليس لك طريق إلى حصول الأهلية إلا فعل الخير والدعاء إليه وإنما الشؤم في الدعوى والدعاء إلى غير الحقّ.

(وَعَلَيْكَ) بجبر قلوب المنكسرين، وملاطفة الضعفاء والمساكين، ومواساة المقِلين، والتيسير على المعسرين، وإقراض المستقرضين، وفي الحديث إن ثواب القرض يزيد على ثواب

الصدقة بثمانية أضعاف؛ وذلك أن القرض لا يأخذه إلا محتاج.

(وَعَلَيْكَ) بتعزية من نزلت به مصيبة قال عليه السلام: «من عزَّى مصابا أي صبَّره كان له مثل أجره».

(وَإِيَّاكَ) والشماتة بأحد من المسلمين وهي أن تفرح بما ينزل به من المصائب. قال عليه الصلاة والسلام: «لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك» واحذر أن تعيِّر مسلما بذنب وقع فيه فإن من عيَّر مسلما بذنب لم يمت حتى يبتلى بمثل ما عيَّره به.

(وَعَلَيْكَ) بالتفريج عن المكروبين، وقضاء حوائج المسلمين المحتاجين، وستر عورات المسلمين المذنبين قال عليه الصلاة والسلام: «من يسَّر على معسر يسر الله عليه، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن فرَّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

(وَعَلَيْكَ) بإماطة الأذى عن طريق المسلمين؛ فإن ذلك من شُعَب الإيمان وفي الحديث قال النبي صلّى الله عليه وسلم: «رأيت رجلا يتقلب في الجنة في غصن شوك قطعه من طريق المسلمين».

(وَعَلَيْكَ) برحمة اليتيم والمسح على رأسه. قال عليه السلام: «من مسح على رأس يتيم كتب الله له بكل شعرة مرَّت عليها يده عشر حسنات» واجتهد في إدخال السرور على قلوب المؤمنين بكل وجه أمكنك ما لم يكن إثمًا.

(وَعَلَيْكَ) بالشفاعة لكل من سألك أن تشفع له في حاجة إلى من لك عنده جاه؛ فإن الله يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن ماله، وإذا توجه على عبد شيء من الحدود الشرعية كحد الزنى والسرقة فاحذر أن تشفع له؛ فإن الشفاعة في الحدود غير جائزة، وإذا شفعت شفاعة فأهديت لك بسببها هدية فلا تقبلها فإنها رُشا.

(وَعَلَيْكَ) بالتبسم في وجوه المؤمنين، وطلاقة الوجه وإظهار البشر لهم، وطيب الكلام معهم، ولين الجانب وخفض الجناح لهم. قال الله تعالى لنبيه ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» وقال عليه الصلاة والسلام: «الكلمة الطيبة صدقة» ومن المأثور: إذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة تسع وتسعون منها لأكثرهما بِشْرًا.

واحذر أن تهجر مسلما لحظ نفسك، فإن اقتضت المصلحة الدينية هجره، فلا تهجره فوق ثلاثة أيام. فقد قال عليه الصلاة والسلام: «من هجر أخاه فوق ثلاث أدخله الله النار

إلا أن يتداركه الله برحمته». ومحل هذا إذا كان الهجر للتأديب فأما إذا كان لإتيانه باطلا أو تركه حقا فلا آخر له إلا برجوعه إلى الحق.

(وَعَلَيْكَ) بإظهار الفرح والاستبشار بكل ما يتجدد للمسلمين من المسارّ، كنزول الأمطار، ورخاء الأسعار، وظهورهم على الباغين والكفار.

(وَعَلَيْكَ) بالحزن والاغتمام بسبب ما ينزل بهم من البلايا كالوباء والغلاء والفتن، وتوجه إلى الله في أن يكشف ذلك عنهم مع التسليم لقضائه وقدره. وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم». وقال صلوات الله عليه: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

(وَعَلَيْكَ) إذا أسدى إليك مسلم معروفا بقبوله منه وشكره ومكافأته عليه، فإن لم تقدر عليها أو كان ممن توحشه المكافأة فعليك بالدعاء له. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لو أُهدي إليَّ ذراع أو كُراع لقبلت ولو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت» وقال: «من اصطنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تقدروا على ذلك فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه» وقال عليه السلام:

« من قال لمن أسدى إليه معروفا جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء» .

(وَإِيَّاكَ) أن تكسر قلب مسلم برد صنيعته عليه، وأنت تعلم أن الواصل إليك على يده إنما هو من الله حقيقة وإنما هو واسطة مسخر مقهور وفي الحديث: «من أتاه شيء من غير مسألة ولا استشراف نفس فردَّه فإنما يردُّه على الله» .

وفي الردِّ آفة عظيمة وهي أن العامة مجبولون على تعظيم من يرد صِلاتهم عليهم، فربما كان الحامل لبعض النساك على الرد التظاهر بالزهد؛ حرصا منه على حصول المنزلة عندهم، ومن ههنا كان بعض المحققين يأخذ من أيدي الناس ظاهرًا ثم يتصدق به سرًّا.

وقد يجب الرد في مسائل، وقد يندب:

«منها» أن يُحمل إليك ما تعلم أو تظن بعلامة أنه حرام، أو تُحمل إليك صدقة واجبة على ظن أنك من أهلها وأنت لست كذلك.

«ومنها» أن يكون المسدي إليك ظالمًا مصرًّا على الظلم وتخشى إذا قبلت معروفه أن قلبك يميل إليه أو تداهنه في الدين أو يغلب على ظنك أنك متى قبلت شيئا يصير بحيث لا يقبل منك ما تلقيه إليه من الحق.

«ومنها» أن تعلم من حال إنسان أنه يقصد بصلته إضلالك عن سبيل الله بمساعدته على باطل أو ترك حق، ومن هذا القبيل ما يأخذه القاضي والعامل وغيرهما من ولاة الأمور من الخصمين أو أحدهما إذا ترافعا إليهم، وهذا هو الرشا المحرم، وله تتمات مذكورة في مواضعها فعليك بالرد في جميع هذه المسائل المذكورة.

(واحذر) أن تدعو على نفسك أو على ولدك أو على مالك أو على أحد من المسلمين وإن ظلمك؛ فإن من دعا على من ظلمه فقد انتصر. وفي الخبر «لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم ولا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة إجابة».

(وَإِيَّاكَ) أن تؤذي مسلما أو تسبَّه بغير حق فقد قال عليه الصلاة والسلام: «من آذى مسلما فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» وقال عليه السلام: «سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر».

واحذر أن تلعن مسلما أو بهيمة أو جمادا أو شخصا بعينه وإن كان كافرا إلا إن تحققت أنه مات على الكفر كفرعون وأبي جهل أو علمت أن رحمة الله لا تناله بحال كإبليس. وقد ورد أن اللعنة إذا خرجت من العبد تصعد نحو السماء فتغلق دونها أبوابها ثم تنزل إلى الأرض فتغلق دونها أبوابها ثم تجيء إلى الملعون فإن وجدت فيه مساغا وإلا رجعت على قائلها.

(وَعَلَيْكَ) بالتأليف بين قلوب المؤمنين وتحبيب بعضهم إلى بعض بإظهار المحاسن وستر القبائح.

(وَعَلَيْكَ) بإصلاح ذات بينهم فإن في الإصلاح فضلا يزيد على فضل النفل من الصلاة والصيام ولا سيما بين الوالد وولده والقريب وقرابته. قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾.

(وَإِيَّاكَ) وإفساد ذات البين بالنميمةِ والغِيبة ونحوهما مما يوجب التنافر والتدابر؛ فإن ذلك عند الله تعالى عظيم.

أما النميمة فهي أن تنقل كلام إنسان لإنسان تقصد بذلك الإفساد بينهما. وقد قال صلّى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنّة نمّام» وقال عليه السلام: «أبغضكم إلى الله تعالى المشاءون بين الأحبة بالنميمة المفرِّقون بين الإخوان».

وأما الغيبة فهي أن تذكر إنسانًا في غَيبته بما يكرهه لو كان حاضرا تقصد بذلك تنقيصه، وسواء حصل التفهيم بالنطق أو الإشارة أو الكتابة. وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» وقال عليه السلام: الغِيبة أشد من الزنى»، وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرًّا عليها فهو أول من يدخل النار.

(وَإِيَّاكَ) والظلم فإنه ظلمات يوم القيامة ولا سيما ظلم العباد فإنه الظلم الذي لا يتركه الله. وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بحسنات كثيرة ويأتي وقد ضرب هذا وشتم هذا وأخذ مال هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت على سيئاته ثم يقذف به في النار» فإن وقعْتَ في ظلم أحد فبادر بالخروج منه بالتمكين من القصاص إن كان من المظالم النفسية، وبطلب الإحلال إن كان من المظالم العِرضية، وبرد ما أخذته إن كان من المظالم المالية، وفي الحديث: «من كانت عليه لأخيه مَظْلِمة فليستحل منه قبل أن يأتي يوم لا دينار فيه ولا درهم إنما هي الحسنات والسيئات» فإن تعذر عليك ردُّ بعض المظالم حتى لم يمكن بحال فعليك بصدق اللجأ إلى الله تعالى والافتقار والاضطرار في أن يرضيٍّ عنك خصمك، وبالإكثار لمن ظلمته من الدعاء والاستغفار.

(وَعَلَيْكَ) بالذبِّ عن دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم في غَيبتهم وحضورهم كما تذبُّ عن نفسك في ذلك كله فإن من نصر مسلما نصره الله ومن خذل مسلما خذله الله.



(وَعَلَيْكَ) بالنصح لكل مسلم، وغايته أن لا تكتم عنه شيئًا ترى في إظهاره له حصولا على خير أو نجاة من شر. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم «الدين النصيحة».

ومن النصح أن تكون لكل مسلم في غَيبته كما تكون له في حضوره، وأن لا تظهر له من المودة بلسانك فوق ما يضمره قلبك. ومنه إذا استشارك مسلم في شيء وعرفت أن الصواب في خلاف ما يميل إليه أن تخبره به.

ومما يدل على خلاف النصح الحسد للمسلمين على ما آتاهم الله من فضله. وأصله أن يشق عليك إنعام الله تعالى على عبد من عبيده بنعمة في دينه أو دنياه. وغايته أن تتمنى زوال النعمة عنه، وقد ورد أن «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» والحاسد معترض على الله في ملكه وتدبيره وكأنه يقول بلسان حاله: يا رب إنك وضعت النعمة في غير موضعها، ولا بأس بالغبطة وهي أن ترى نعمة من الله على عبد من عبيده فتطلب منه سبحانه مثلها.

(وَعَلَيْكَ) إذا أثنى عليك أحد بكراهية الثناء بقلبك، ثم إن أثنى عليك بما فيك فقل الحمد الله الذي أظهر الجميل وستر القبيح، وإن أثنى عليك بما ليس فيك فقل كما قال بعض السلف: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي ما لا يعلمون واجعلني خيرًا مما يظنون.

وأما أنت فلا تثني على أحد إلا إن علمت أنه يزداد بثنائك نشاطه في الخير، أو كان فاضلا لا يُعرف فضله فأثنيت عليه للتعريف بفضله بشرط السلامة من الكذب في جهتك، ومن الاغترار في جهة من تثني عليه.

(وَعَلَيْكَ) إذا أردت أن تنصح إنسانا في أمر بلغك عنه بالخلوة به والتطلف له في القول ولا تعدل إلى التصريح مع إمكان التفهيم بالتلويح فإن قال لك مَن بلَّغك عني هذا؟ فلا تخبره كيلا تثير العدواة بينه وبينه، ثم إن قبل منك فاحمد الله واشكر له وإن لم يقبل فارجع على نفسك باللوم وقل لها يا نفس السوء مِن قِبلكِ أُتِيت، فانظري لعلك لم تقومي بشرائط النصح وآدابه.

وإذا ائتمنك إنسان على شيء فعليك بحفظه أشد مما تحفظه لو كان ملكًا لك.

(وَعَلَيْكَ) بأداء الأمانة وإياك والخيانة فيها وقد قال

رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «لا إيمان لمن لا أمانة له» وقال عليه السلام: «ثلاث متعلقات بالعرش: النعمة تقول اللهم إني بك فلا أكفر، والرحم تقول اللهم إني بك فلا أقطع، والأمانة تقول اللهم إني بك فلا أخان».

(وَعَلَيْكَ) بصدق الحديث وبالوفاء بما عاهدت عليه ووعدت به فإن نقض العهود والخلف في الوعود من أمارات النفاق وفي الحديث: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان» وفي رواية: «وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر».

(وَعَلَيْكَ) بالحذر من المراء والجدال فإنهما يوغران الصدور ويوحشان القلوب ويولِّدان العداوة والبغضاء فإن ماراك أو جادلك محِقٌّ فعليك بالقبول منه؛ لأن الحق أحق أن يتبع، أو مبطل فعليك بالإعراض عنه؛ لأنه جاهل والله تعالى يقول: ﴿وأعرِض عن الجاهلين﴾.

(وَعَلَيْكَ) بترك المزاح رأسا فإن مزحت نادرا على نية تطييب قلب مسلم فلا تقل إلا حقًّا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعِده موعدةً فتخلفه.

(وَعَلَيْكَ) بإجلال المسلمين وتوقيرهم لا سيما أهل الفضل منهم كالعلماء والصلحاء والشرفاء ومن له شَيبة في الإسلام.

(وَإِيَّاكَ) أن تروِّع أحدا من المسلمين أو تخيفه أو تستهزئ به أو تسخر منه أو تنظر إليه بعين الاستحقار فإن هذا كله من الأخلاق المشئومة والأفعال المذمومة. وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

(وَعَلَيْكَ) بالتواضع فإنه من أخلاق المؤمنين. (وإياك) والتكبر فإن الله لا يحب المتكبرين، ومن تواضع رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» وقال عليه السلام: «الكبر بطَر الحق» يعني ردَّه و«غمْط الناس» يعني احتقارهم.

ومن نظر إلى نفسه بعين التعظيم وإلى غيره بعين الاستصغار فهو من المتكبرين.

وللمتواضعين والمستكبرين أمارات تميز بعضهم عن بعض ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾.

فمن أمارات التواضع حبُّ الخمول وكراهية الشهرة وقبول الحق ممن جاء به من شريف أو وضيع.

ومنها محبة الفقراء ومخالطتهم ومجالستهم.

ومنها كمال القيام بحقوق الإخوان حسب الإمكان مع شكر من قام منهم بحقه وعذر من قصَّر.

ومن أمارات التكبر محبة التصدر في المجالس والمحافل والتقدم على الأقران وتزكية النفس والثناء عليها والتشدق في الكلام والتبجح بالآباء والاختيال والتبختر في المشية وترك الوفاء بحقوق الإخوان مع مطالبتهم بالحقوق.

فصل

(وَعَلَيْكَ) بإقراء السلام على كل من تعرفه ومن لا تعرفه من المسلمين، وإذا سلمت على أحد منهم فلم يرد عليك فلا تسيء به الظن، وقل لعلَّه لم يسمع أو لعله ردَّ فلم أسمعه.

وإذا دخلت بيتك فسلم على أهلك، وإذا دخلت مسجدًا أو بيتًا وليس فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وإذا لقيت مسلمًا فاجتهد أن تبدأه بالسلام قبل أن يسلم عليك قيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إذا لقي المسلم المسلم فأيهما يبدأ بالسلام؟؟ قال أولاهما بالله» وفي الحديث: «يسلم الراكب على الماشي، والقائم على القاعد، والصغير على الكبير، والقليل على الكثير».

(وَعَلَيْكَ) بتشميت العاطس إذا حمد فإن لم يحمد فذكِّره بقولك الحمد لله. ولا تدخل على بيت غيرك حتى تستأذن أولا فإن استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لك فلا تُعِد الاستئذان، وإذا ناداك مسلم فأجبه بالتلبية.

وإذا دعاك إلى طعامه فلا تترك الإجابة إلا لعذر شرعي،

وإذا أقسم عليك أن تفعل شيئًا أو تتركه فبِرَّ قسمه ما لم يكن فيه معصية لله. ولا تسأل أحدًا بالله شيئًا وإن سُئلت بالله شيئًا، فإياك أن تمنع، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «ملعون من سئل بالله فلم يعط».

(وَعَلَيْكَ) بعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وبزيارة إخوانك المسلمين في الله كلما اشتقت إليهم، وبمصافحتهم عند اللقاء، وسؤالهم عن أحولهم، والسؤال عمن غاب منهم؛ فإن كان مريضا عدته، وإن كان في شغل أعنته إن استطعت وإلا دعوت له.

(وَعَلَيْكَ) بحسن الظن بجميع المسلمين واحذر أن تسيء الظن بأحد منهم، قال عليه الصلاة والسلام: خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر، سوء الظن بالله، وسوء الظن بعباد الله».

وغاية حسن الظن بالمسلمين أن لا تعتقد الشرَّ في شيء من أفعالهم وأقوالهم وأنت تجد له محملا في الخير فإن لم تجد له محملا في الخير كالمعاصي فنهاية حسن الظن بمرتكبيها أن تنهاهم عنها وتظن بهم أن إيمانهم يحملهم على الانتهاء عنها وترك الإصرار عليها بالتوبة منها.

وغاية سوء الظن بالمسلمين أن تعتقد السوء في أفعالهم وأقوالهم التي ظاهرها الخير (ومثال ذلك) أن ترى مسلمًا يكثر الصلاة والصدقة والتلاوة فتظن به أنه ما فعل ذلك إلا مرائيًا للناس وحرصًا على المال والجاه وهذا الظن الفاسد لا يصدر إلا من ذي طويَّة خبيثة وهو من أخلاق المنافقين وقد قال الله تعالى في وصفهم: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾، أي يرمونهم بالرياء. وقال صلّى الله عليه وسلم: «أكثروا من ذكر الله حتى يقول المنافقون إنكم مراءون».

(وَعَلَيْكَ) بالإكثار من الدعاء والاستغفار لنفسك ولوالديك وقرابتك وأصحابك خصوصا ولسائر المسلمين عموما فإن دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجاب. وقال صلّى الله عليه وسلم: «دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب دعوة المظلوم ودعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب».

وقال عليه السلام: «إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله» وقال ميمون بن مهران رحمه الله من استغفر لوالديه بعد كل مكتوبة فقد قام بالشكر لهما الذي أمره الله به في قوله: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾.

وورد أن من استغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب دعاؤهم وبهم يرزق العباد ويمطرون وهذا وصف الأولياء.

(وَٱعۡلَمۡ) أن حقوق المسلم على المسلم كثيرة فإذا أردت القيام بها على وجهها فعامل المسلمين في غيبتم وحضورهم بما تحب أن يعاملوك به وجاهد نفسك ووطِّن قلبك على أن تحب لهم من الخير ما تحب لنفسك وتكره لهم من الشر ما تكره لنفسك. وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «المسلم للمسلم كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: إذا لم تستطع أن تنفع المسلمين فلا تضرهم، وإذا لم تستطع أن تسرهم فلا تسؤْهم، وإذا لم تستطع أن تفرحهم فلا تغمّهم، وإذا لم تستطع أن تمدحهم فلا تذمهم، وقال سيدي محيي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: كن مع الحق كأن لا خلق وكن مع الخلق كأن لا نفس، وقال بعض السلف: الناس مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واشكروا الله على العافية والحمد لله رب العالمين.

فصل

(وعليك) بالتوبة من كل ذنب سواء كان صغيرا أو كبيرا ظاهرًا أو باطنًا؛ فإن التوبة أول قدم يضعها العبد في طريق السلوك وهي أساس جميع المقامات والله يحب التوابين. قال الله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»... الحديث.

(واعلم) أن التوبة لا تصح بدون ترك الذنب والندم على فعله والعزم على أن لا تعود إليه ما عشت.

وللتائب الصادق علامات منها: رقة القلب، وكثرة البكاء، ولزوم الموافقة، وهجر قرناء السوء ومواطن المخالفة.

(وإياك) والإصرار، وهو أن تذنب ثم لا تتوب على الفور، والواجب على كل مؤمن أن يحترز من المعاصي صغائرها وكبائرها كما يحترز من النيران المحرقة، والمياه المغرقة، والسموم القاتلة، ولا يختار الذنب ولا يقصده ولا يتحدث به قبل

وقوعه ولا يفرح به بعد الوقوع، فإذا وقـع فيه كان الواجب عليه ستره وكراهته والمبادرة بالتوبة منه في الحال.

(وَعَلَيْكَ) بتجديد التوبة والمبادرة بها في كل حين، فإن الذنوب كثيرة والعبد لا يخلو في ظاهره وباطنه من معاص عديدة وإن حسنت حالته واستقـامت طريقتـه ودامت طاعتـه وحسبك أن رسو الله صلّى الله عليه وسلم كان مـع عصمته وكماله المطلق يتوب إلى الله تعالى ويستغفره في كل يوم أكثر من سبعين مرة.

(وَعَلَيْكَ) بالإكثار من الاستغفار آناء الليل وآنـاءَ النهار ولا سيما عند الأسحار، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب».

وأكثِر أن تقول: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم. فقد كـانوا يعـدون لرسـول الله صلّى الله عليه وسلم من هذا الذكر المبارك في المجلس الواحد قريبًا من مائة مرة.

(وَعَلَيْكَ) بدعوة ذي النون عليـه السلام وهي: لا إلـه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فقد ورد أنها اسم الله الأعظم، وأنه لا يقولها مهموم ولا مغموم إلا فرج الله عنه قال الله تعالى: ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾.

(وَعَلَيْكَ) بالرجاء والخوف فإنهما من أشرف ثمرات اليقين وقد وصف الله بهما عباده السابقين فقال وهو أصدق القائلين: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيُّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورًا﴾ وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فلْيظنَّ بي ما يشاء» وقال عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: «وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي أمنين ولا خوفين إن هو أمِنني في الدنيا أخفته يوم أبعث عبادي وإن هو خافني في الدنيا أمَّنته يوم أجمع عبادي».

وأصل الرجاء معرفة القلب بسعة رحمة الله وجوده وعظيم فضله وإحسانه وجميل وعده لمن عمل بطاعته فيتولد من هذه المعرفة حالة فرح تسمى الرجاء. وثمرته المقصودة منه كثرة المسارعة في الخيرات، وشدة المحافظة على الطاعات فإن الطاعة هي السبيل الموصلة إلى رضوان الله وجنته.

وأما الخوف فأصله معرفة القلب بجلال الله تعالى وقهره وغناه عن جميع خلقه وشديد عقابه وأليم عذابه اللذين توعد بهما من عصاه وخالف أمره فيتولد من هذه المعرفة حالة وجَل تسمى الخوف. وثمرته المقصودة منه ترك المعاصي وشدة الاحتراز منها فإن المعصية هي الطريق الموصلة إلى سخط الله ودار عقوبته.

وكل رجاء وكل خوف لا يحملان على فعل الموافقات وترك المخالفات معدودان عند أرباب البصائر من الترَّهات والتهويسات التي لا حاصل لها ولا طائل تحتها فإن من رجا شيئًا طلبه ومن خاف شيئًا هرب منه لا محالة.

(وَٱعۡلَمۡ) أن الناس ثلاثة: «عبدٌ» قد أناب إلى ربه واطمأنت نفسه به وانقشعت ظلمات شهواته بإشراق أنوار قربه فلم تبق له لذة إلاَّ في مناجاته، ولا راحة إلا في معاملته، فصار رجاؤه شوقا ومحبة، وخوفه تعظيمًا وهيبة، «وعبدٌ» لا يأمن على نفسه من التقاعد عن المأمورات والركون إلى المحظورات، والذي ينبغي لهذا العبد استواء الخوف والرجاء حتى يكونا كجناحي الطائر. وفي الحديث: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا» وهذا حال أكثر المؤمنين.

«وعبدٌ» قد غلب عليه التخليط واستولى عليه التفريط، فاللائق به غلبة الخوف عليه لينزجر عن المعاصي إلا عند الموت فينبغي أن يكون رجاؤه غالبا على خوفه لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله».

(وَعَلَيۡكَ) إذا تكلمت في الرجاء مع العامة بالاقتصار على ذكر الرجاء المقيَّد وهو أن تذكر الوعد الجميل والثواب الجزيل المتوقف على فعل الحسنات وترك السيئات.

(**واحذر**) أن تخوض معهم في الرجاء المطلق وذلك مثل أن تقول: العبد يذنب والرب يغفر، ولولا الذنوب لم يظهر عفو الله وحلمه، وما ذنوب الأولين والآخرين في سعة رحمة الله إلا كنقطة في بحر لجي ونحو ذلك. وهذا الكلام حق ولكنه يضر بالعامة وربما أغراهم بركوب المعاصي فتكون أنت السبب في ذلك، وما كل حق يقال، ولكل مقام رجال.

(وَإِيَّاكَ) والقنوطَ من رحمة الله والأمنَ من مكر الله فإنهما من كبائر الذنوب قال تعالى: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ وقال: ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾.

والقنوط عبارة عن تمحض الخوف حتى لا يبقى للرجاء وجود البتة.

والأمن عبارة عن تجرُّد الرجاء حتى لا يبقى للخوف وجود بحال.

فالقانط والآمن جاهلان بالله واقعان لا محالة في ترك الطاعة وفعل المعاصي؛ فإن القانط يترك الطاعة لأنه يرى أنها لا تنفعه والآمن يرتكب المعصية بظنه أنها لا تضره نعوذ بالله من دركْ الشقاء وسوء القضاء.

(وَإِيَّاكَ) وأماني المغفرة القاطعةَ عنها وهي ما تسمعه على لسان طائفة من المغترين من قولهم: ﴿إن الله يغفر الذنوب

جميعًا﴾ وهو غنيٌّ عنا وعن أعمالنا وخزائنه مملوءة بالخير ورحمته وسعت كل شيء، مع إصرارهم على فعل المعاصي وترك الأعمال الصالحة، وكأنهم يقولون بلسان أحوالهم إن الطاعات لا تنفع وإن المعاصي لا تضر وهذا بهتان عظيم، وقد قال الله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يرهُ ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يرهُ﴾ وقال تعالى: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى﴾ وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

ولو أنك قلت لواحد من هؤلاء المغرورين: اقعد عن الكسب والتجارة والله تعالى يأتيك برزقك لَسخِر منك، وقال ما رأينا شيئًا يجيء إلا بالسعي والطلب، بل بالكدِّ والنصَب، مع أن الله تعالى قد تكفل له بالدنيا ولم يتكفل له بالآخرة فهل ذلك إلا انعكاس وانتكاس على أم الرأس!

وقد قال الحسن البصري رحمه الله: إن أماني المغفرة قد لعبت بأقوام حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، يعني من الأعمال الصالحة، وقال رحمه الله: إن المؤمن جمع إحسانا وخوفا، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا فالمؤمن لا يصبح إلا خائفًا،

ولا يمسي إلا خائفًا، يعمل ويقول: لعلي أنجو! والمنافق يترك العمل ويقول سواد الناس كثير وسوف يغفر لي. انتهى.

وقد كان الأنبياء والأولياء مع كمال معرفتهم بالله وحسن ظنهم به وصلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم أو عدمها بالكلية في غاية من الخوف والإشفاق ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾.



فصل

(وَعَلَيْكَ) بالصبر فإنه ملاك الأمر ولا بد لك منه ما دمت في هذه الدار وهو من الأخلاق الكريمة والفضائل العظيمة قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ وقال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ وقال تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرَهم بغير حساب﴾ وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «الصبر أمير جنود المؤمن» وقال عليه الصلاة والسلام: «في الصبر على ما تكره خير كثير» وفي وصيته لابن عباس رضي الله عنهما «واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا».

(وَاعْلَمْ) أن السعادة موقوفة على حصول القرب من الله وحصوله موقوف على اتباع الحق واجتناب الباطل أبدًا، والنفس مجبولة بأصل فطرتها على كراهية الحق والميل إلى الباطل، فلا يزال من همُّه تحصيل السعادة في حاجة إلى الصبر تارة بحمل النفس على اتباع الحق، وأخرى بحملها على اجتناب الباطل.

والصبر على أربعة أقسام (أولها) الصبر على الطاعات،

ويحصل باطنا بالإخلاص وحضور القلب فيها، وظاهرا بلزومها والدوام عليها والدخول فيها بنشاط والإتيان بها على الوجه المشروع.

ويبعث على هذا الصبر ذكر ما وعد الله على فعل الطاعات من الثواب عاجلا وآجلا، ومن لزم الصبر على هذا الوجه وصل إلى مقام القرب وهناك يجد في الطاعات من الحلاوة واللذة والأنس ما لا يوصف، وينبغي لمن حصل له هذا الأمر أن لا يسكن إليه دون الله.

(وثانيها) الصبر عن المعاصي ويحصل ظاهرا باجتنابها والبعد عن مظانِّها، وباطنا بترك تحدث النفس بها وميلها إليها؛ لأن أول الذنب خطرة. وأما تذكر الذنوب السالفة فإن كان يحصل به خوف أو ندم فهو حَسنٌ وإلا فتركه أحسن، ويبعث على هذا الصبر تذكر ما توعد الله به على المعاصي من العقاب عاجلا وآجلا، ومن واظب على الصبر على هذا الوجه أكرمه الله بوجود الأنفة من المعاصي كلها حتى يصير دخول النار أهون عليه من ارتكاب أدناها.

(وثالثها) الصبر على المكاره وهي نوعان:

«الأول» ما يحصل من الله بلا واسطة كالأمراض والآفات وذهاب الأموال وموت الأعزة من الأقارب والأصحاب، ويحصل

باطنا بترك الجزع وهو التبرم والتضجر، وظاهرا بترك الشكوى إلى الخلق، ولا يناقضه وصف العلة للطبيب وفيضان العين عند المصيبة نعم يناقضه لطم الخدود وشق الجيوب والنياحة ونحو ذلك.

ويبعث على هذا الصبر العلم بأن الجزع مؤلم في نفسه وهو مع ذلك مفوِّت للثواب وموجب للعقاب، وأن الشكوى إلى من لا يستطيع أن ينفع نفسه ولا أن يكشف عنها ضرًّا من الحماقة وهذه صفة كل مخلوق، ومع ذلك فالشكوى دالة على عدم الاكتفاء بالله الذي بيده ملكوت كل شيء، وذكر ما في الصبر على المصائب والعاهات والفاقات من الثواب وأن الله تعالى أعلم بما يصلح له من نفسه. وقد قال الله تعالى: ﴿ولَنبلونَّكم بشيء من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وأولئك هم المهتدون﴾.

ومن لزم الصبر على هذا الوجه ذوقه الله حلاوة التسليم وروَّحه برَوح الرضا وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر الرضا فيما بعد.

«والنوع الثاني» من المكاره ما يكون من قِبَل الخلق من الأذى في النفس أو العِرض أو المال.

ويحصل كمال الصبر على ذلك بكف النفس عن بغض

المؤذي إن كان مسلما، وعن حبِّ الشر له، وكف اللسان عن الدعاء عليه وترك المؤاخذة له رأسا؛ إما حلما واحتمالا أو عفوًا وصفحًا اكتفاء بنصرة الله في الأول ورغبة في ثوابه في الثاني.

ويبعث على هذا الصبر العلمُ بما ورد في فضل كظم الغيظ واحتمال الأذى والعفو عن الناس، قال الله تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجرُه على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ وقال تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من كظم غيظا ولو شاء أن ينفذه لنفذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا». وقال عليه السلام: «ينادي مناد يوم القيامة لِيقم من أجره على الله فيقوم العافون عن الناس».

ومن لزم الصبر على هذا الوجه أكرمه الله بحسن الخلق وهو رأس الفضائل وملاك الكمالات.

وقال صلّى الله عليه وسلم: «لا شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق وإن العبد لَيبلغ بحسن خلقه درجة صاحب الصلاة والصيام».

وقال عليه السلام: «أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم خُلُقا».

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى: حسن الخلق بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.

وقال الإمام الغزالي نفع الله به: حسن الخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الجميلة بسهولة.

(ورابعها) الصبر عن الشهوات وهي كل ما تميل النفس إليه من مباحات الدنيا، ويحصل كمال الصبر عنها بكف النفس باطنا عن التفكير فيها والميل إليها، وظاهراً بكفها عن طلبها والتعريج عليها، ويبعث على هذا الصبر العلم بما في طلب الشهوات وتناولها من الشغل عن الله وعن عبادته ومن التعرض للوقوع في الشبهات والمحرمات ومن هيجان الحرص على الدنيا وحب البقاء فيها والتمتع بشهواتها، قال أبو سليمان الداراني رحمه الله ترك شهوة واحدة أنفع للقلب من عبادة سنة ومن أدْمن الصبر عن الشهوات أكرمه الله بإخراج حبها من قلبه حتى يصير يقول كما قال بعض العارفين أشتهي أن أشتهي لأترك ما أشتهي فلا أجد ما أشتهي وبالله التوفيق.

فصل

(وعليك) بالشكر لله على ما أنعم به عليك، وما بك من نعمة في ظاهرك وباطنك ودينك ودنياك إلا وهي من الله، قال الله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ ولله عليك من النعم ما تعجز عن عدِّه وإحصائه فضلا عن القيام بشكره ﴿وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ولو أن الفقير المريض من الموحدين تفكر فيما لله عليه من النعم لَشغلَه أداء شكره عن مكابدة الصبر فعليك ببذل الاستطاعة في شكر ربك ثم بالاعتراف بالعجز عن القيام بما يجب عليك من شكره.

(واعلم) أن الشكر سبب لإبقاء النعم الموجودة ووسيلة إلى حصول النعم المفقودة. قال الله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ والله تعالى أكرم من أن ينزع نعمه عن شاكر. وقال تعالى: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيِّرًا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم﴾ أي بترك الشكر عليها، وقد أمر الله عباده بشكره في عدة مواضع من كتابه، قال الله تعالى: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ وقال

تعالى: ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «ليتخذ أحدكم لسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا» وقال عليه السلام: «الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر».

(وَٱعْلَمْ) أنه كما يجب عليك أن تشكر الله على النعم الخاصة بك كالعلم والصحة، كذلك يجب عليك أن تشكره على النعم العامة كإرسال الرسل وإنزال الكتب ورفع السماء وبسط الأرض.

وأصل الشكر معرفة القلب بالنعم وأنها من الله وحده لم يصل إليه شيء منها بحوله وقوته بل بفضل الله وبرحمته. وغاية الشكر أن تطيع الله بكل نعمة أنعم بها عليك فإن لم تطعه بها فقد تركت الشكر عليها وإن عصيته بها فقد وقعت في الكفران، وعنده تتبدل النعم بالنقم ومن بقيت عليه نعمة مع عصيانه لله بها فهو مستدرَج. قال الله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾.

وفي الحديث: «إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلِته».

ومن الشكر كثرة الثناء على الله والفرح بالنعم من حيث إنها وسيلة إلى نيل القرب من الله أو من حيث إنها دالة على عناية الله بعبده.

ومن الشكر تعظيم النعمة وإن كانت صغيرة، يروى عن الله أنه قال لبعض أنبيائه: إذا سُقت إليك حبة مسوَّسة فاعلم أني قد ذكرتك بها فاشكرني عليها.

ومن الشكر التحدث بالنعم من غير خروج إلى ما يوهم تزكية النفس في الدينيات والتبجح بالدنيا في الدنيويات، والأعمال بالنيات والخير كله في الاقتداء بالسلف الصالح في جميع الحالات والله تعالى أعلم.



فصل

(وعليك) بالزهد في الدنيا فإنه بشير السعادة ومظهر العناية وعنوان الولاية، وكما أن حبَّ الدنيا رأس كل خطيئة كذلك يكون بغضها رأس كل طاعة وحسنة، ويكفيك مزهِّدا في الدنيا أن الله تعالى سماها في عدة مواضع من كتابه العزيز «متاع الغرور».

وقال الحسن رحمه الله تعالى: متاع الغرور كخضرة النبات ولُعب البنات، وقال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله تعالى: متاع الغرور اسم للجيفة المنتنة وقد حصر الله تعالى الدنيا في اللهو واللعب اللذين لا يلتفت إليهما عاقل ولا يعرِّج عليهما إلّا كل غبي جاهل، فقال تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾ إلى غير ذلك.

(واعلم) أن الزهد في الدنيا لأهله نعيم عاجل ولا يستطيعه إلا من شرح الله صدره بإشراق أنوار المعرفة واليقين، قال صلّى الله عليه وسلم: إن النور إذا دخل القلب انشرح له وانفسح» قيل فهل لذلك من علامة قال: «نعم: التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود».

وقال صلّى الله عليه وسلم: «الزهادة في الدنيا تـريـح القلب والبدن والرغبة في الدنيا تكثر الهمَّ والحزَنَ».

وقال عليه الصلاة والسلام: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس».

وأصل الزهد معرفة القلب بحقارة الدنيا وخستها، وأنها لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء، وأنها ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها، وأن من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر.

وثمرة هذه المعرفة المقصودة منها ترك الميل إلى الدنيا باطنا وترك التنعم بشهواتها ظاهرا.

وأدنى درجات الزهد أن لا يقـع بسبب الدنيا في ركوب معصية ولا في ترك طاعة.

وأعلى درجاته أن لا يأخذ من الدنيا شيئًا حتى يعلم أن أخذه أحب إلى الله من تركه وبين هاتين الدرجتين درجات كثيرة.

وللزاهد الصادق علامات منها: أن لا يفرح بـالموجـود، ولا يحزن على المفقود من الدنيا، ومنها أن لا يشغله طلب الدنيا والتمتـع بها عما هو خير له عند ربه.

(وَعَلَيْكَ) بـإخـراج حب الـدينـار والـدرهم من قلبـك

حتى يصيرا عندك بمنزلة الحجر والمدر، وبإخراج حب المنزلة عند الناس من قلبك حتى يستوي عندك مدحهم وذمهم وإقبالهم وإدبارهم؛ فإن حب الجاه أضر على صاحبه من حب المال وكلاهما دالّان على الرغبة في الدنيا، وأصل حب الجاه حب التعظيم، والعظمة من صفات الله فهو منازعة للربوبية، وأما حب المال فإنما أصله حب التمتع بالشهوات وذلك من صفات البهائم. وقد قال عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى: «العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار». وقال عليه الصلاة والسلام «ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم».

(وَعَلَيْكَ) بإيثار التقلل من الدنيا والاقتصار على ما لا بد منه من ملابسها ومآكلها ومناكحها ومساكنها وسائر أمتعتها.

(وَإِيَّاكَ) أن تتسع في شهواتها وتدعي مع ذلك الزهد وتحتج لنفسك بالحجج الداحضة عند الله تعالى وتطلب لها التأويلات البعيدة عن الحق، وإعراضُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم والأنبياء قبله والأئمة بعده عن التنعم بالدنيا مع القدرة عليه من الحلال لا يخفى على من له أدنى معرفة بالعلم. وإذا لم تقدر على الزهد في الدنيا فما عليك أن تعترف بالرغبة فيها والحرص عليها ولست مأثوما إلا على طلبها والتمتع بها على وجه محرم في الشرع. والزهد مقام فوق ذلك.

وليت شعري لو أن الله تعالى فرض علينا التوسع في الدنيا فمن أين لنا القدرة عليه في زمان عز فيه ما يواري العورة ويسد الجوعة من الحلال فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فصل

(وَعَلَيْكَ) بالتوكل على الله، فإن من توكل على الله كفاه وأغناه وتولاه ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبهُ﴾ والتوكل من ثمرات صدق التوحيد وثباته في القلب واستيلائه عليه. قال الله تعالى: ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتَّخذه وكيلا﴾ فانظر كيف بدأ بإثبات الربوبية ثم بإثبات الانفراد بالإلهية ثم أمرنا بالتوكل عليه جل وعلا فلم يبق في تركه عذر للبرية، وقد أمر الله عباده بالتوكل عليه ورغبهم فيه بقوله: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وبقوله تعالى: ﴿فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِمَاصا وتروحُ بطانا».

(وَاعْلَمْ) أن أصل التوكل على الله معرفة القلب بأن الأمور كلها بيد الله ما ينفع منها وما يضر وما يسوء منها وما يسرُّ وأن الخلق لو اجتمعوا كلهم على أن ينفعوه بشيء

لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له أو على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه.

ويشترط لصحة التوكل أن لا تعصِي الله بسببه وأن تجتنب ما نهاك عنه وتفعل ما أمرك به معتمدا في جميع ذلك عليه ومستعينا به ومفوضًا إليه.

ولا يقدح في توكلك دخولك في شيء من الأسباب الدنيوية إذا كنت معتمدا على الله دونه.

نعم مَن صدق توكله ضعف دخوله في الأسباب الدنيوية، وأما التجرُّد عنها بالكلية فلا يُحْمَد إلا في حق من دام إقباله على الله وطهر قلبه عن الالتفات إلى غير الله ولم يضيع بسببه مَن هُمْ عيالٌ عليه من خلق الله، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثما أن يضيِّع من يعول».

(وَٱعْلَمْ) أن الادخار والتداوي من الأمراض لا يقدحان في أصل توكل من يعلم أن المغني والنافع والضار هو الله وحده وقد ادخَّر رسول الله صلّى الله عليه وسلم لعياله لبيان الجواز، وأما هو صلّى الله عليه وسلم فما كان يدخر لنفسه شيئًا إلى غد وربما ادخر له غيره فنهاه عند الشعور به. ولما سئل عليه الصلاة والسلام عن السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب

من أمته فقال: «هم الذين لا يسترْقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».

وللمتوكل الصادق ثلاث علامات: «الأولى» أن لا يرجو غير الله ولا يخاف إلا الله، وعلامة ذلك أن لا يدع القول بالحق عند من يُرجى ويُخشى عادة من المخلوقين كالأمراء والسلاطين. «والثانية» أن لا يدخل قلبه همٌّ الرزق ثقة بضمان الله بحيث يكون سكون قلبه عند فقد ما يحتاج إليه كسكونه في حال وجوده وأشد. «والثالثة» أن لا يضطرب قلبه في مظان الخوف علما منه أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه.

ومن هذا القبيل ما حكي أن سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني نفع الله به كان يتكلم في القدَر فسقطت عليه حية عظيمة ففزع الحاضرون فَرقا منها فالتفَّت على عنق الشيخ ودخلت من أحد كميه وخرجت من الآخر والشيخ نفع الله به ثابت لم يضطرب ولم يقطع كلامه.

وقيل لبعض الشيوخ وقد طُرح للسبع ليأكله فلم يؤذه: في أي شيء كنت تتفكر حين طُرحت للسبع قال في حكم سؤر السباع من العلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل.



(وَعَلَيْكَ) بالحب في الله حتى يصير سبحانه أحب إليك مما سواه بل حتى لا يصير لك محبوب إلا إياه.

وسبب وجود الحب من جهة المحبوب إما وجود كمال فيه أو حصول نوال منه.

فإن كنت ممن يحب لأجل الكمال فالكمال والجمال والجلال لله وحده لا شريك له في شيء من ذلك، وما يلوح على صفحات بعض الموجودات من معنى كمال أو يبدو عليها من رونق جمال فهو المكمِّل والمجمل لها سبحانه وتعالى بل هو الموجد لها والمخترع ولولا أنه أنعم عليها بالإيجاد لكانت مفقودة معدومة ولولا ما أفاض عليها من أنوار جمال صنعه لكانت قبيحة مشئومة.

وإن كنت ممن يحب لأجل النوال فلست ترى إحسانا ولا تشاهد امتنانا ولا ترى إكراما ولا تبصر إنعاما عليك وعلى سائر الخلق إلا والله تعالى هو المتفضل بجميع ذلك بمحض الجود والكرم فكم من خير قد أسداه إليك! وكم من نعمة قد أنعم بها

عليك! فهو سيدك ومولاك الذي خلقك وهداك، والذي له مماتك ومحياك، والذي أطعمك وسقاك، وكفلك ورباك وأسكنك وآواك، يرى القبيح منك فيستره، وتستغفرْه منه فيغفره، ويرى الجميل منك فيكثره ويظهره، وتطيعه بتوفيقه ومعونته فينوِّه باسمك في الغيوب ويقذف تعظيمك وحبك في القلوب، وتعصيه بنعمته فلا يمنعه وجود العصيان عن إفاضة الإحسان، فكيف ينبغي لك أن تحب غير هذا الإله الكريم؟ أم كيف يَحسُن منك أن تعصي هذا الرب الرحيم؟

(وَٱعْلَمْ) أن أصل المحبة المعرفة وثمرتها المشاهدة وأدنى درجاتها أن يكون حب الله تعالى هو الغالب على قلبك، ومحكُّ الصدق في ذلك أن لا تجيب أحب الخلق إليك إذا دعاك إلى ما يكون سخط الله في فعله كالمعاصي أو في تركه كالطاعات. وأعلى درجاتها أن لا يصير في قلبك حب لغير الله ألبتة. وهذا عزيز ودوامه أعز منه، وعند دوامه تضمحل البشرية بالكلية وعنه ينشأ الاستغراق بالله الذي لا يبقى معه شعور بالوجود وأهله بحال.

(وَٱعْلَمْ) أن محبة رسول الله صلّى الله عليه وسلم وسائر أنبياء الله وملائكته وعباده الصالحين وما يعين على طاعته كل ذلك من محبته تعالى. قال صلّى الله عليه وسلم: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي

بحبي» وقال عليه الصلاة والسلام عن الله: «وجبت محبتي للمتحابِّين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ».

وللمحبة الصادقة علامات أجلُّها وأعلاها كمال المتابعة للرسول صلّى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأخلاقه قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ وبحسب المحبة لله تكون المتابعة لحبيب الله إن كثيرًا فكثير وإن قليلا فقليل والله على ما نقول وكيل.



في سلطانه، وهو مع ذلك يعلم أنه تعالى هو المنفرد بالخلق والأمر والحكم والتدبير يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾ بل من الواجب عليك أن تعتقد أن جميع أفعال الله تعالى وقعت على وجه لا أحكم منه ولا أعدل ولا أفضل منه ولا أكمل.

وهذا حكم الرضا بأفعال الله تعالى على وجه الإجمال، وأما على وجه التفصيل، فإن الأمور التي تخصك على قسمين (منها) ما يلائمك كالصحة والغنى وهذا القسم لا يتصور فيه سخط إلا من حيث نظرك إلى من فُضِّلَ عليك في ذلك فالواجب عليك عنده أن ترضى بما قسم الله لك من حيث إن له سبحانه وتعالى أن يفعل في ملكه ما يشاء أو من حيث إنه تعالى قد اختار لك ما هو الأصلح لك والأنسب لحالك وهذا أكمل (ومنها) ما لا يلائمك كالمصائب والأمراض والآفات فحرام عليك أن تتبرم بشيء من ذلك أو تجزع عنده، بل الأكمل لك أن ترضى وتسلِّم فإن لم تستطع فلْتصبر ولتحتسب، قال النبي صلّى الله عليه وسلم: «اعبد الله تعالى بالرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير».

وليس من الرضا في شيء ما يجده بعض الأغبياء من الطمأنينة عند ترك بعض المأمورات وارتكاب بعض المحظورات فإن فعل المعاصي وترك الطاعات مما يسخط الله

تعالى فكيف يرضى هو بشيء لا يرضى الله به قال الله تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غنيٌّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضَه لكم﴾ وإنما رضي هذا المسكين عن نفسه وظن أنه رضي عن ربه، والرضا عن الله وعن النفس يبعد أن يجتمعا في موطن واحد.

وما أحسن ما قاله الإمام الغزالي رضي الله عنه في رسالته إلى أبي الفتح الدمشقي رحمه الله: الرضا هو أن ترضى بما يفعل الله باطنا وتفعل ما يرضيه ظاهرا. فإن أراد العبد أن يعرف ما عنده من الرضا فلْيلتمسه عند نزول المصائب وورود الفاقات واشتداد الأمراض فسوف يجده هناك أو يفقده.

وكثيرًا ما تسمع من سَفلة أبناء الزمان عندما يقال لهم ما لكم تتركون الطاعات وتفعلون المحرمات فيقولون هذا شيء قد قضاه الله علينا وقدَّره ولا محيص لنا عنه وإنما نحن عبيد مقهورون فهذا هو مذهب الجبرية بعَينه، ومنتحله قائل بلسان حاله إن لم يقل بلسان مقاله: لا فائدة في إرسال الرسل وإنزال الكتب، ويا عجبا كيف يصدر ممن يدعي الإيمان الاحتجاج لنفسه على ربه ولله الحجة البالغة على جميع خلقه، أم كيف يرضى المؤمن لنفسه أن يتشبه بالمشركين القائلين: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرَّمنا من شيء﴾ أولا يسمع ما رد الله عليهم به

إذ يقول لنبيه ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلاَّ تخْرُصون﴾.

ثم إنه لا يسع المشركين إذا رجعوا إلى الله أن يحتجوا بهذه الحجة الداحضة عند الله بل يقولون: ﴿ربنا غلبت علينا شَقوتنا وكنا قوما ضالين﴾ ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون﴾.

(وَٱعْلَمْ) أن الدعاء والإلحاح فيه لا يقدح في الرضا بل هو من الرضا كيف والدعاء مُعْرِب عن التحقق بالتوحيد وهو لسان العبودية وعنوان التحقق بالعجز والاضطرار والذل والافتقار، ومن تحقق بهذه الأوصاف عرف ووصل، وعلى غاية القرب من الله حصل، وقد ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إن الدعاء مخ العبادة وسلاح المؤمن ونور السموات والأرض وإن من لا يسأل الله يغضب عليه». وقال مولانا جلت قدرته: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾.

وما وقع من الخليل عليه السلام من الإمساك عن الدعاء حين طرح في النار إنما ذلك لسرٍّ يختص بتلك الحال وإلا فقد حكى الله عنه الدعاء في مواضع عديدة من كتابه

بل لم يحك عن أحد من الأنبياء أكثر مما حكاه عنه، فتفقه في كتاب الله واستخرج العلوم منه فإنها بجملتها مودعة فيه لا يشذ منها دقيق ولا جليل ولا جليٌّ ولا خفي. قال الله تعالى: ﴿ما فرطْنا في الكتاب من شيء﴾ ﴿وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾.

خَاتِمَة

في وَصَايا إلٰهيَّة

وَرَدَت بهَا أخبَار قُدسِيَّة، وآثار صَحِيحَة مَرويَّة

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه:

«يا عبادي إنّي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منكم مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئًا إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها

فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه».

وقال صلّى الله عليه وسلم: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد».

وقال صلّى الله عليه وسلم: «رأيت ربي في المنام فساق الحديث إلى أن قال: يا محمد قلت لبيك قال: إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون».

وقال صلّى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: ابنَ آدم قم إليَّ أمش إليك وامش إليّ أهرول إليك، ابن آدم اذكرني ساعة من أول النهار وساعة من آخره أكفيك ما بين ذلك، ابن آدم لا تعجز أن تصلي لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره، وأوحى الله إلى آدم عليه السلام «أربع خصال فيهن جماع الخير لك ولولدك خصلة لي وخصلة لك وخصلة فيما بيني وبينك وخصلة فيما بينك وبين عبادي، أما التي هي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئًا، وأما التي هي لك فعملك أجزيك به، وأما التي هي فيما بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الإجابة، وأما التي هي فيما بينك وبين عبادي فتصحبهم بما تحب أن يصحبوك به».

وفي صحف إبراهيم عليه السلام: «وعلى العاقل أن يكون ممسكا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه، وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات: فساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يبصرونه بعيوب نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين شهواتها» يعني المباحة.

وفي التوراة: (يا ابن آدم) لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليا فأنا الله الذي اقتربتُ إليك وبالغيب رأيت نوري. وفي بعض كتب الله المنزلة: (يا ابن آدم) خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت لك برزقك فلا تتعب، (يا ابن آدم) اطلبني تجدني فإنك إذا وجدتني وجدت كل شيء وإذا فُتُّك فاتك كل شيء فأنا أحب إليك من كل شيء (ابن آدم) أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون.

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: (يا ابن عمران) كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا فكل خِدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو (يا موسى) مالك ولدار الظالمين فليست لك بدار، أخرج عنها همك وفارقها بقلبك فبئست الدار هي، إلا لعامل عمل فيها الخير فنعمت الدار هي، (يا موسى) إني مرصد للظالم حتى آخذ منه لمن ظلمه، (يا موسى) إذا رأيت الغِنَى مقبلا فقل: ذنب عُجلتْ عقوبتُه وإذا رأيت الفقر مقبلا فقل: مرحبًا بشعار الصالحين. (يا موسى) لا تنس ذكري فعند

نسيانه تكثر الذنوب، ولا تجمع المال فإن جمعه يقسي القلب (يا موسى) قل للظالمين لا يذكروني فإنهم إذا ذكروني أذكرهم باللعنة؛ لأني آليت على نفسي أن أذكر من ذكرني.

وأوحى الله إلى بعض أنبيائه عليهم السلام قل لقومك لا يدخلوا مداخل أعدائي ولا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يركبوا مراكب أعدائي ولا يطعموا مطاعم أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي.

وأوحى الله إلى داود عليه السلام: كن بي مستأنسا ومن سواي مستوحشا (يا داود) قل للصديقين من عبادي: بي فليفرحوا، وبذكري فليتنعموا (يا داود) حببني إلى عبادي. قال: يا رب، وكيف أحببك إلى عبادك؟ قال: ذكرهم آلائي (يا داود) من ردَّ إليَّ هاربا كتبته جهبذًا، (يا داود) إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما، (يا داود) لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيضلك عن سبيلي أولئك قطاع الطريق على عبادي، (يا داود) اعمل بعمل الأبرار، ولا تبسم في وجوه الفجار، وخالط أَوْدَّائي مخالطة وخالف أعدائي مخالفة، (يا داود) كن للأرملة واليتيم كالأب الشفيق أزيد في رزقك وأكفر عنك ذنبك، (يا داود) غض طرفك وصن لسانك فإني لا أحب الفاسقين. وأكثر من الاستغفار لنفسك وللخاطئين.

وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: اذكرني إذا غضبتَ أذكرْكَ إذا غضبتُ فلا أمحقك فيمن أمحق. وأوحى الله إلى عيسى عليه الصلاة والسلام أن قل لبني إسرائيل لا يدخلوا بيتًا من بيوتي إلا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وأبدانٍ نقية وأخبرهم أني لا أستجيب لهم دعوة ولأحد من الخلق قِبَلَهُم مَظْلِمة.

وأوحى إليه أيضًا: يابن مريم، عظ نفسك، فإن اتعظتْ فعظ الناس، وإلا فاستحِ مني.

وفي بعض الآثار عن الله تعالى: «قل للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويلبسون للناس مسوك الكباش ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرّ من الصبر، أبي يغترون!، أم عليّ يجترئون! فإن حلفت لأبعثن على أولئك فتنة، تترك الحليم منهم حيران».

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: إذا رأيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الأغنياء، فإن لم تفعل فضع كل شيء علمتك تحت التراب.

وأوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود، قل لأوليائي وأحبائي: ليفارق كل واحد منهم صاحبه، فإني مؤنسهم بذكري، ومحادثهم بأنسي، وكاشف الحجاب فيما بيني وبينهم ينظرون إلى

عـظمتي، فـأبلـغ يـا داود عني أهـل الأرض: أني حبيب لمن أحبني، وجليس لمن جالسني، ومؤنس لمن استأنس بي، وصـاحب لمن صـاحبني، ومـطيـع لمن أطـاعني، ومختـار لمن اختارني، فهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومعاملتي، فأنا الله الجواد الماجد، أقول للشيء كن فيكون.

وأوحى الله إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: عبدي هب لي من عينيك الدموع ومِن قلبك الخشوع ثم ادعني أستجب لك وأنا القريب المجيب، عبدي قف على المدائن والحصون وأبلغهم عني كلمتين قل لهم: لا يأكلون إلا طيبا ولا يتكلمون إلا الحق وإذا أراد أحد منهم الدخول في أمر فليتدبر عاقبته فإن كان خيرا فليمضه وإن كان شرا فلا يأته.

وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام قـل لبني إسرائيـل يحفظوا عنّي حرفين قل لهم ليرضوا بدنيء الدنيا لسلامة دينهم كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين لسلامة دنياهم.

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: يا موسى كن كالطير الوحداني يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من الماء القراح، فإذا جنًّه الليل أوى إلى كهف من الكهوف استئناسًا بي واستيحاشا ممن عصاني (يا موسى) إني آليت على نفسي أن لا أتم لمدبر

عني عملا، ولَأقطعن أمل[1] كل من يؤمِّل غيري، ولأقصمن ظهر من استند إلى سواي، ولأطيلن وحشة من استأنس بغيري، ولأعرِضن عمن أحب حبيبا سواي (يا موسى) إن لي عبادا إن ناجَوْني أصغيتُ إليهم، وإن نادَوْني أقبلتُ عليهم، وإن أقبلوا علي أدنيتهم، وإن دنوا مني قربتهم، وإن تقرَّبوا مني اكتنفتهم، وإن والَوْني، واليتهم، وإن صافَوْني صافيتهم، وإن عملوا لي جازيتهم، أنا مدبِّر أمورهم، وسائس قلوبهم وأحوالهم، لم أجعل لقلوبهم راحة إلا في ذكرى؛ فهو لأسقامهم شفاء، وعلى قلوبهم ضياء، لا يستأنسون إلا بي، ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي، ولا يستقر بي قرار إلا إليَّ.

وأوحى الله إلى داود عليه السلام: (يا داود) بَشِّر المذنبين وأنذر الصديقين. فقال: يا رب وكيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟ فقال: بشِّر المذنبين أنه لا يتعاظمني ذنب أن أغفره، وأنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم فإني لا أضع عدلي ولا حسابي على أحد إلا هلك. (يا داود) كتبت الرحمة على نفسي وقضيت المغفرة لمن استغفرني. أغفر الذنوب جميعها صغيرها وكبيرها ولا يكبر ذلك عليَّ ولا يتعاظمني فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا تقطنوا من رحمتي فإن رحمتي وسعت كل

(١) الأمل هنا بمعنى الرجاء.

شيء ورحمتي سبقت غضبي، وخزائن السموات والأرض بيدي والخير كله بيدي. ولم أخلق شيئًا مما خلقت لحاجة كانت مني إليه؛ ولكن لتعلم قدرتي، ويعلم الناظرون في حكم تدبيري وصنعي. (يا داود) اسمعٍ مني والحقَّ أقول: من لقيني من عبادي وهو يخاف عذابي لم أعذِّبه بناري (يا داود) اسمع مني والحق أقول: من لقيني من عبادي وهو مستحٍ من معاصيه أنسيت حَفَظته ذنبه ولم أسأله عنه (يا داود) اسمع مني والحق أقول: لو أن عبدا من عبادي عمل حشو الدنيا ذنوبا وهو مصرٌّ عليها ثم ندم واستغفرني مرة واحدة وعملت من قلبه أنه لا يريد أن يعود إليها أبدًا ألقيتها عنه أسرع من هبوط الطائر من السماء إلى الأرض، قال داود إلهي لك الحمد من أجل ذلك لا ينبغي لمن يعرفك أن يقطع رجاءه عنك.

اللهم آتنا من لدنك أجرًا عظيما واهدنا صراطا مستقيما، واجعلنا من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما، والحمد لله أولا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، ما شاء الله لا قوة إلا بالله العلي العظيم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. قال المؤلف قدس الله سره ونور ضريحه ونفع المسلمين به: وكان الفراغ من تأليفها في أحد شهور سنة تسع

وستين وألف (١٠٦٩) من الهجرة النبوية، على صاحبها ـ وهو سيدنا ومولانا ووسيلتنا إلى ربنا محمد رسول الله وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، ما بقيت الليالي والأيام. والحمد لله رب العالمين.



فهْـــرس

سلسلة كتب الإمام الحدّاد ٥

سبيل الادّكار

والاعتبار بما يمرّ بالإنسان وينقضي له من الأعمار

للإمام شيخ الإسلام قطب الدّعوة والإرشاد

الحبيب عبد الله بن علويّ الحدّاد الحضرميّ الشّافعيّ

رحمه الله تعالى




سبيل الادكار
والاعتبار بما يمر بالإنسان وينقضي له من الأعمار



الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الثانية
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
مصححة ومنقحة

بالتعاون مع

الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان

هاتف ٢٤٢٨٨٦ ـ ص.ب ٥٩٢ـ ١١٢ - تلكس ٤٢٢١٨ ـ فاكس ١٢٨·٨٦ـ١ـ٩٦١

تعريف موجز عن الإمام الشهير عبد الله بن علوي بن محمد الحداد

هو سيدنا الإمام العلامة الداعي إلى الله بقوله وفعله قطب الارشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد ولد رضي الله عنه بالسبير من ضواحي مدينة تريم بحضرموت ليلة الخميس ٥ صفر سنة ١٠٤٤هـ وتربى في تريم وقد كف بصره وهو صغير فعوضه الله عنه بنور البصيرة وجد واجتهد في طلب العلوم النافعة وعكف على علماء عصره في مقدمة مشايخه سيدنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس والحبيب العلامة عقيل بن عبد الرحمن السقاف والحبيب العلامة عبد الرحمن بن شيخ عيديد والحبيب العلامة سهل بن أحمد باحسن الحديلي باعلوي ومن مشايخه أيضا الإمام العلامة عالم مكة المكرمة السيد محمد بن علوي السقاف.

ثم نصبه الله للدعوة والإرشاد داعيا إلى الله تعالى

بالحكمة والموعظة الحسنة فأقبل عليه الناس وانتشر
صيته في البلدان وانتفع به القاصي والداني فنفع الله
به الكثير وأرشد الجم الغفير وانتشرت دعوته في كل مكان
وانتفع الناس بوعظه وكتبه وأخذ عنه الجم الغفير
فمن كبار تلامذته ابنه سيدنا الحبيب حسن بن عبد الله الحداد
والحبيب أحمد بن زين الحبشي والحبيب عبد الرحمن بن عبد الله
بلفقيه والحبيبين محمد وعمر أبناء زين بن سميط والحبيب عمر بن
عبد الرحمن البار والحبيب علي بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف
والحبيب محمد بن عمر بن طه الصافي السقاف وغيرهم العدد الكثير.
وله مؤلفات كثيرة جمعت النصائح والمواعظ والحكم وانتشرت
انتشاراً كبيراً وكتب لها القبول والمحبة ونفع الله بها الناس
وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى لغات أجنبية في العصر الحاضر
مثل الإنجليزية والفرنسية . ومؤلفاته غنية عن التعريف

ومشهورة لدى الكبير والصغير ومنها النصائح الدينية. والدعوة التامة ورسالة المعاونة وغيرها من الوصايا والرسائل ومجموع كلامه تثبيت الفؤاد وديوانه العظيم الدر المنظوم الجامع للحكم والعلوم ووصاياه ومكاتباته وأكثر مؤلفاته مطبوعة وأقبل عليها الناس إقبالاً شديداً وأعجب بها العلماء والعارفون وجعلوها بمنزلة الغذاء يقرءون فيها في كثير من الأوقات وقالوا عنها انها جمعت الخلاصة والزبدة من كلام الإمام حجة الإسلام الغزالي ولا يستغني عنها كل مسلم فهي وجيزة وجامعة ونفع الله بها ببركة مؤلفها الإمام الحداد رضي الله عنه وكان رضي الله عنه قد سافر إلى الحرمين الشريفين وأدى النسكين وزار جده سيد الكونين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك في عام ١٠٧٩ هجرية واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين الذين اغتبطوا به وعرفوا قدره وأثنوا عليه .

ولم يزل يدعوا الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة حتى وفاته إلى رحمة الله تعالى فتوفي ليلة الثلاثاء ٧ ذو القعدة عام ١١٣٢ هجريّة وَدُفن بمقبرة زنبل بتريم رحمه الله رحمةً واسعة ورضي الله عنه ونَفعنا به وبعلومه في الدّارين آمين .

طه بن حسن بن عبدالرحمن السقاف

حرر الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٤١٢

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

سُبْحَانَكَ ! لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

الحمد لله الواحدِ القهار ، العزيزِ الغفار ، مدبرِ الأمور ، ومقدِّر الأقدار ، مولج النهار في الليل ، ومولجِ الليلِ في النهار ، تبصرة وذكرى لأولي البصائر والأبصار .

فسبحانه وتعالى وتقدس ، من ملك عظيم متكبر جبار ، قديم أزلي دائم أبدي ، حي قيوم ، قضى وحكم على خلقه بالفناء والانقضاء ، والموت والبلاء ، والتحول من حال إلى حال ، والانتقال من دار إلى دار ، وتفرد بالدوام والبقاء على تطاول الدهور ، وامتداد الأعصار ، وتغاير الأطوار ، وانصرام الأعمار .

أحمده بما حَمِدَ به نفسه ، وبما حَمِدَه به عباده المخلصون الأبرار ، من ملائكته المقربين ، وأنبيائه والمرسلين ، وعباده الصالحين الأخيار .

والصلاة والسلام على عبده ورسوله ، سيدِنا ومولانا محمدٍ ، المصطفى المختار ، الذي أرسله رحمة للعالمين ،

وختم به النبيين، وعلى أهل بيته الطيبين الأطهار، وأصحابه المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والجزاء، وانقسام الناس إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في النار.

أما بعد، فهذا مؤلَّف مبارك إن شاء الله، أَلَّفناه لقصد التذكر والاعتبار، بما يمر بالإنسان من الأعمار، ويحول به من الأحوال، ويختلف عليه من الأطوار من حين ينتقل من صلب إلى رحم، إلى أن يستقر في إحدى الدارين: الجنة أو النار.

وقد أمر الله رسوله ﷺ بالتذكير ووَصَفَه به، وجعل التذكر من وصف المؤمنين، أهل الإنابة والخشية والقلوب والشهادة. قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥١/٥٥] وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٥٢/٢٩] وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ [الأعلى: ٨٧/٩-١٠] وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٨٨/٢١-٢٢] وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [غافر: ٤٠/١٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٥٠/٣٧].

وقد بلغنا أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ [الذاريات: ٥١/٥٤] حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً، وخاف أَنْ قد دنا عذابهم، ووقع الإياس من هدايتهم، فأنزل الله على إثرها: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥١/٥٥] فسرّ رسول

الله ﷺ بذلك ، وسُرِّي عنه ، وذلك كله لما جبله الله عليه ، وحققه به ، من الرحمة والشفقة على العالمين ، والحرص البالغ على نصحهم ، وقبولهم للحق والهُدَىٰ لأن الله سبحانه وتعالى أرسله رحمة لهم ، ووصفه بذلك في كتابه فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩/ ١٢٨] .

وقد كان ﷺ يشتد عليه إباؤهم وردهم للحق والهدى ، يشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : ١٨/ ٦] أي مهلك نفسك .

ثم إن العمر هو : المدة المتمادية من الزمان ، كما قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ١٠/ ١٦] وكان ذلك العمر أربعين سنة ، من حين مولده ﷺ ، إلى حين بَعَثَهُ الله رسولاً وهو مقيم مع قومه بمكة المشرفة .

وقد استحسنا أن نقسّم مدة الإنسان هذه المتطاولة ، المتباعدة الطرفين ، إلى خمسة أعمار ، مع أن للإنسان في كل واحد من هذه الأعمار أحوالاً وأطواراً ليست له في العمر الآخر، وله فيها نشأة مختلفة ، فيما يعلم وفيما لا يعلم كما قال تعالى : ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة : ٥٦/ ٦١] مع أنه بحقيقته التي هي حقيقته هو هو، ليست هي غيره، وإن اختلفت به الأحوال ، وتعاقبت عليه

الأطوار ، وله شعور بنفسه ، وبما يجري عليه من خير وشر ، وثواب وعقاب .

وقد خطر لنا وضع هذا التأليف من مدة ، ثم خطر لنا تأخيره إلى أن تمضي الثالثة والستون من العمر ، التي هي مدة عمر رسول الله ﷺ ، على الصحيح كما ورد في ذلك . وقيل ستون سنة . وقيل خمس وستون سنة .

وقد مضت هذه المدة من السنين . وهي الآن في السابعة والستين ، وقد مضت أشهر منها ، فنسأل الله خير ذلك وبركته ، وحسن ختامه ، ونعوذ بالله من شره وفتنته وسوء عواقبه ؛ فإنه خير مَسْئُوْل وأكرم مأمول .

ونسأله سبحانه ، ونبتهل إليه ، أن يحيينا ما كانت الحياة خيراً لنا ، ويتوفانا ما كانت الوفاة خيراً لنا .

اللهم لا تُقَدِّمْنا لعذاب ، ولا تؤخرنا لفتنة ، اللهم إنا نسألك خير الحياة وخير الوفاة ، وخير ما بين ذلك ، ونعوذ بك من شر الحياة وشر الوفاة ، وشر ما بين ذلك ، أحينا حياة السعداء ، حياة من تحب بقاءه ، وتوفنا وفاة الشهداء ، وفاة من تحب لقاءه .

واختم لنا بالحسنى والإحسان ، في لطف وعافية ، وأحبابنا ومحبينا ، وأوليائنا فيك ، والمسلمين ، يا أرحم الراحمين ، آمين .

واسم هذا المؤلَّف : **سبيل الادِّكار والاعتبار بما يمر بالإِنسان وينقضي له من الأعمار** .

نسأل الله تعالى عموم النفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ومقرِّباً من رضاه ومجاورته في جنات النعيم ، بفضله ورحمته ، وجوده وكرمه ، إنه الجواد الكريم البر الرحيم .

وهذا أوان الشروع في المقصود من الكتاب ، والله الميسر والمعين ، والهادي إلى الحق والصواب . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وهو ربي لا إلٰه إلا هو عليه توكلت وإليه متاب .

* * *

واعلم أنا نظرنا في جملة الأعمار التي تمر على ابن آدم ويمر عليها ، فوجدناها ترجع إلى خمسة ، لكل واحد منها أجل ، وللإِنسان في كل واحد منها أطوار ، يتطور فيها ، وينتقل منها ، وأحوال تحول عليه. وللناس في ذلك اختلاف، وتوافق وتباين.

العمر الأول منها : من حين خلق الله آدم عليه السلام ، وضمَّن ظهرَه الذرية السعداء منهم والأشقياء . فلم تَزل تنتقل من صلب إلى رحم ، ومن رحم إلى صلب ، إلى أن خرج كل واحد منهم من بين أبيه وأمه .

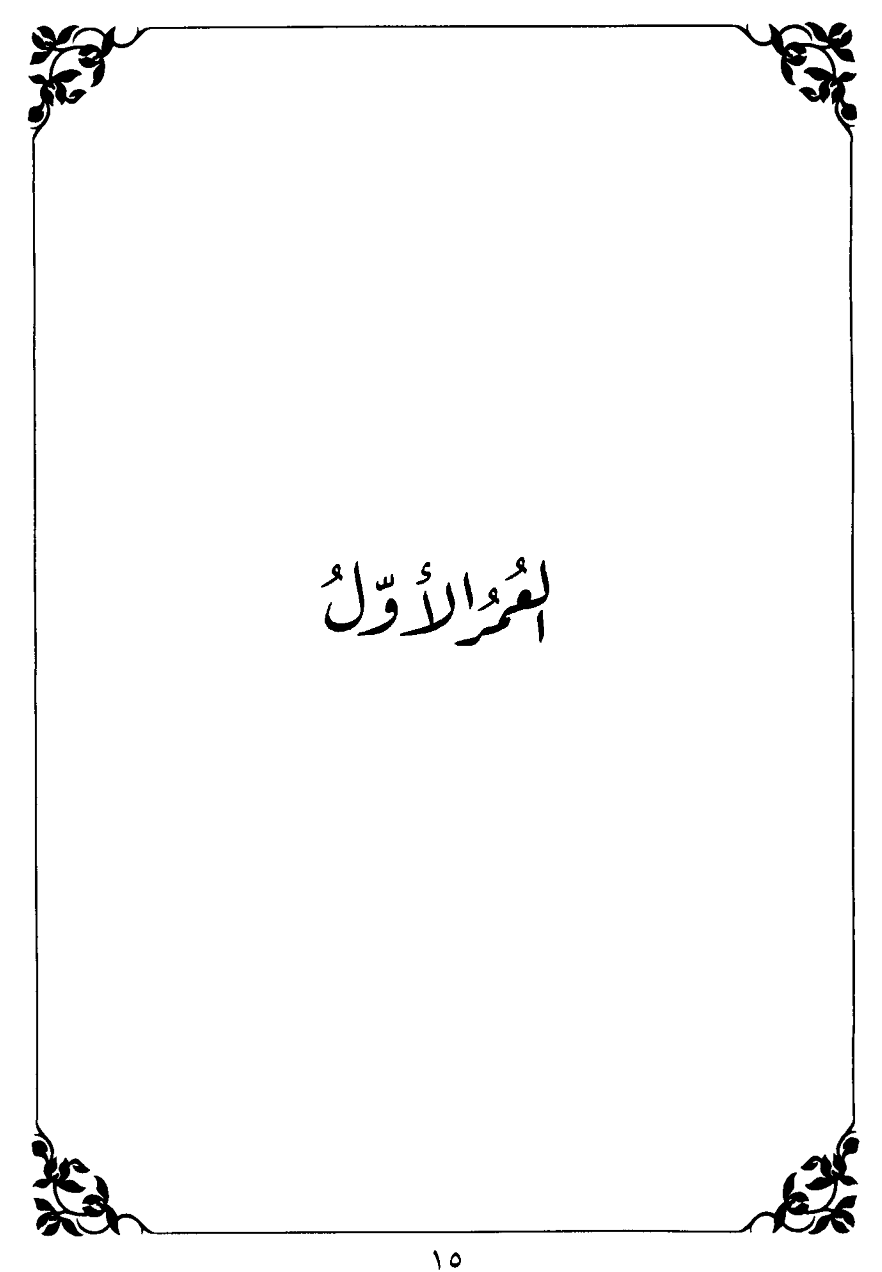
والعمر الثاني : من حين خروج الإِنسان من بين أبويه إلى الدنيا ، إلى وقت موته ، وخروجه من الدنيا .

والعمر الثالث : من حين خروج الإنسان من الدنيا بالموت، إلى أن يبعثه الله بالنفخ في الصور، وتلك مدة البرزخ.

العمر الرابع : من حين خروج الإنسان من قبره ، أو من حيث شاء الله بالنفخ في الصور ، ليوم البعث والنشور ، إلى الحشر إلى الله ، والوقوف بين يديه للوزن والحساب ، والمرور على الصراط وأخذ الكتاب ، إلى غير ذلك من مواقف القيامة وأحوالها ، وشدائدها وأهوالها .

والعمر الخامس : من وقت دخول الإنسان في الجنة إلى الأبد . وهذا هو العمر الذي لا انقضاء له ولا غاية ، أو من حين دخول أهل النار إلى النار .

وأحوالهم مختلفة في ذلك ، فمنهم الخالد المؤبد بلا غاية ولا نهاية ، وهم الكافرون وهُم على اختلاف أنواعهم ، ومنهم الخارجون منها ، وهم عصاة الموحدين إما بالشفاعة وإما بغيرها ، على حَسَب ما يأتي من التفصيل ، عند شرح ذلك العمر الذي هو العمر الخامس . ونحن نشرح كل واحد من هذه الأعمار شرحاً وجيزاً ، يليق بالزمان والمكان ، من غير تطويل وإسهاب ، ولا إيجاز مخل بحصول الفوائد المقصودة التي يقع عنها السؤال، وتمس الحاجة إلى شرحها، فأما التفصيل الكلي، فلا مطمع فيه ، لأنه يستدعي شرحاً طويلاً وبسطاً مملاً .



العُمُرُ الأوّلُ



العُمُرُ الأوّل

وَهوَ مِنْ حِين خَلق الله آدمَ عَلَيْهِ السَلَام ، وَأودَعَ الذرّيّة في صُلبه المبَارك أهْلَ اليَمين وَأهْلَ الشِّمَال ، وَهُمْ أهْلُ القبضَتين مِنَ اليَدين اليُمْنيَيْن المقدّسَتَيْن

وقد استخرج الله هذه الذرية من ظهر آدم ، بعد أن أودعها فيه ، حين أخرجهم دفعة واحدة ، لأخذ الميثاق عليهم ، بالإقرار بالوحدانية والربوبية ، وذلك بنعمان : واد قريب من عرفات ، كما ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٧٢] والآية التي تليها .

وفي الخبر أو الأثر : أنه سبحانه لما أخذ عليهم ذلك الميثاق ، كتب عليهم به كتاباً ، وألقمه الحجر الأسود . وذلك معنى قول المستلم للحجر ، عند الطواف بالبيت العتيق : اللهم إيماناً بك ، ووفاءً بعهدك ، وتصديقاً بكتابك .

ولا شك أن ذلك يقتضي أَنَّ لِلذُّرِّيَّةِ ، وجوداً سمعاً ونطقاً ، ولكنه في مرتبة أخرى من مراتب الوجود ، ليست هذه المرتبة

من الوجود الدنيوي . ومراتب الوجود كثيرة ، كما يعرف ذلك أهل العلم به وبها .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ : « أنه كان نبياً وآدم بين الماء والطين ، وبين الروح والجسد ، وأنه هبط مع آدم حين أُهْبِطَ ، وكان مع نوح حين ركب السفينة ، ومع إبراهيم حين أُلْقِيَ في نار النمرود» .

وهذا وإن كان عامّاً في جميع الذرية ، التي كانت في أصلاب هؤلاء النبيين المذكورين ، عليهم الصلاة والسلام ، فَلِرَسُوْلِ الله ﷺ ، من ذلك وجود أتم وأكمل .

ولعل ذلك كان بعلم منه ، وشعور بقي معه في تلك الحالة ﷺ إلى حين ظهوره في العالم الدنيوي ، وقوله ذلك ليتميز ، عليه الصلاة والسلام من غيره ، بما خص به نفسه ، ونبّه به على خصوصيته .

وأما غيره من الذرية ، فيحتمل أنه كان لهم شعور ما في تلك الأحوال سيما عند أخذ الميثاق ، ولكنه لم يبق لهم ذلك ، لا علماً ولا شعوراً ، كما بقي له ﷺ .

وقد كانت الذرية في ظهر آدم لا محالة حتى في الجنة ، ويدل عليه ما ذكر في حديث الشفاعة : « وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم » . وفي محاجة موسى لآدم عليهما السلام : « أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بخطيئتك » . الحديث ، وورد أيضاً : « إن الله تعالى لما استخرج الذرية من

ظهر آدم عليه السلام ، فرأتهم الملائكة عليهم السلام ، وقد ملأوا السهل والوعر ، قالوا : يا ربنا لا تسعهم الدنيا ، فقال الله تعالى : إني جاعل موتاً ، فقالوا : إذاً لا يَهْنَؤُهم العيش ، فقال تعالى : إني جاعل أملاً » .

وورد أيضاً : « أن الله لما استخرج الذرية من ظهر آدم عليه السلام ، فرأى منهم واحداً جميل الصورة ، فسأل عنه فقيل له : هو ولدك داود عليه السلام ، فسأل آدم ربّه : كم كتبت لداود من العمر ؟ قال تعالى : ستين سنة . فسأل ربه تعالى له الزيادة من العمر . فقال سبحانه وتعالى : هذا الذي كتبت له . فقال آدم عليه السلام : أَزِيد لَهُ من عمري أربعين سنة ، وكان الله سبحانه قد كتب لآدم من العمر ألف سنة » . والحديث معروف ومشهور .

ولما رأى موسى عليه السلام في التوراة ، أمة موصوفة بأوصاف حميدة ، ومنعوتة بنعوت كريمة ، سأل عن تلك الأمة رَبَّهُ : من هي ؟ وأيُّ نَبيٍّ نَبيُّها ؟ وأن يجعلها أمته . فقال الله تعالى : هي أمة أحمد ، صلوات الله وسلامه عليهما . فسأل ربّه : أن يُظهِر تلك الأمة له . فأظهرها له سبحانه وتعالى . ولعل هذا الخبر يأتي بتمامه في آخر هذا العمر . وهو مذكور في بعض التفاسير عند قوله : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [القصص : ٢٨/٤٦] الآية .

فتبين بما ذكرناه ، وبما لم نذكره ، مما في معناه : أن

للذرية وجوداً ، قبل بروزها إلى هذا العالم الدنيوي . وأَن لرسول الله ﷺ وجوداً وظهوراً في ذلك أَتم وأكمل .

وقد أشار إليه العباس عم رسول الله ﷺ ، ورضي عنه ، في أبيات له ، يمتدح بها رسول الله ﷺ . منها : قوله :

مِنْ قَبْلِها طِبْتَ في الظلال وفي ... مستودعٍ حيث يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم هبطتَ البلاد لا بَشَرٌ ... أنت ولا مضغة ولا عَلَقُ
بل نطفةٌ تَرْكبُ السَّفِيْنَ وقد ... أَلْجَمَ نَسْراً وأَهلَه الغرقُ
تُنْقَلُ مِن صُلُبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مضى عالمٌ بدا طَبَقُ

إلى أن قال :

حتى احتوى بَيْتَكَ المهيمنُ مِنْ ... خِنْدِفِ عَلْياءَ دونها النُّطُقُ

ونَسر : من أصنام قوم نوح عليه السلام . وخِندف : امرأة إلياس بن مضر ، وهي جدة رسول الله ﷺ .

وروي أن آدم ﷺ ، كان يسمع تسبيح نور رسول الله ﷺ ، نشيشاً في ظهره كنشيش الطائر . فلما حملت حواء بشيث ، عليهما السلام ، انتقل ذلك إليها ، ثم إلى شيث عليه السلام ، ثم لم يزل ينتقل ذلك النور في الأصلاب الطاهرة ، والأرحام الزاهرة ، إلى أن خرج رسول الله ﷺ ، من بين أبويه الكريمين ، لم يصبه شيء من أدناس الجاهلية وأقذارها ، وقد كانت لهم أنكحة باطلة ، طهره الله منها صلوات الله عليه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء : ٢٦/٢١٨ـ٢١٩] عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن ذلك انتقاله عليه أفضل الصلاة والسلام ، من صلب نبي إلى نبي آخر ، مثل إسماعيل وإبراهيم ونوح وشيث وآدم ، عليهم السلام . وهذا لا خلاف فيه .

وأما التقاؤه صلوات الله وسلامه عليه بآدم في السماء الدنيا ، فذلك ليلة المعراج ، وهو صلوات الله عليه في عمره الدنيوي ، وآدم في البرزخ .

وأما الأَسْوِدة التي رآها عن يمين آدم وعن شماله ، فسأل عنها فقيل : إنها نَسَمُ بنيه . فيحتمل أنهم الذين قد ماتوا وظهرت أعمالهم المميزة لهم ويحتمل غير ذلك .

وأما التقاء موسى عليه السلام بآدم ، حيث حاجّه ، فيحتمل أن يكون ذلك وهما في البرزخ جميعاً ، ويحتمل غيره . والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

خَاتِمَة هـٰذا العُمُر

فيما وقع به الوعد من إيراد ذلك الخبر

أو الأثر المذكور بتمامه ، في صفة الأمة المحمدية

قال وهب بن منبه ، رحمه الله : لما قرأ موسى عليه السلام الألواح ، وجد فيها فضيلةَ أمةِ محمد ﷺ .

قال : يارِبّ ! ماهذه الأمةُ المحمدية التي أجدها في الألواح ؟

قال : هم أمة أحمد ، يَرضَوْن مني باليسير من الرزق أعطيهم إياه ، وأرضى منهم باليسير من العمل ، أُدْخلُ أحدهم الجنة بشهادة أن لا إلٰه إلا الله .

قال : فإني أجد في الألواح أمةً ، يحشرون يوم القيامة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر ، فاجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحمد ، أَحْشُرُهم يوم القيامة غُرًّا محجلين من آثار الوضوء والسجود .

قال : يا رب ! إني أجد في الألواح أمةً ، أرديتهم على ظهورهم ، وسيوفهم على عواتقهم ، أصحاب توكل ويقين ، يكبرون على رُؤُوْس الصوامع ، يطلبون الجهاد بكل حق ، حتى يقاتلون الدجال فاجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً ، يصلون في اليوم والليلة خمس صلوات ، في خمس ساعات من النهار ، وتفتح لهم أبواب السماء ، وتنزل عليهم الرحمة ، فاجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً ، تكون الأرض لهم مسجداً وطهوراً ، وتحل لهم الغنائم ، فاجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً ، يصومون لك شهر رمضان ، فتغفر لهم ما كان قبل ذلك ، فاجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً ، يحجون لك البيت الحرام ، لا يقضون منه وطراً ، يعجون بالبكاء عجيجاً ، ويضجون بالتلبية ضجيجاً ، فاجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحمد .

قال : فما تعطيهم على ذلك ؟

قال : أَزِيدهم المغفرة ، وأشفعهم فيمن وراءهم .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً سفهاءَ ، قليلة أحلامهم ، يَعْلِفون البهائم ، ويستغفرون من الذنوب ، يرفع

أحدهم اللقمة إلى فيه ، فلا تستقر في جوفه حتى يُغْفَرَ له ، يفتتحها باسمك ، ويختمها بحمدك ، فاجعلهم أمتي

قال : هم أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً ، هم السابقون يوم القيامة ، وهم الآخِرون في الخلق ، رب اجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً ، أناجيلهم في الصدور يَقْرَءُوْنَها ، فاجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً ، إذا همَّ أحدهم بحسنة يعملها ، فلم يعملها ، كتبت له حسنة واحدة . وإن عملها كُتِب له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، فاجعلهم أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً ، إذا همَّ أحدهم بالسيئة ، ثم لم يعملها لم تكتب عليه ، وإن عملها كتبت سيئة واحدة ، فاجعلهم أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً ، هم خير الناس ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمتي .

قل : هم أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً ، يحشرون يوم القيامة على ثلاث ثُلل : ثلة يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلة يحاسَبون حساباً يسيراً ، وثلة يمحَّصون ثم يدخلون الجنة ، فاجعلهم أمتي .

قال : هم أمة أحمد .

قال موسى : يا رب بسطت هذا الخير لأحمدَ وأمته ، فاجعلني من أمته .

قال الله : يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين .

وعن ابن عباس ، رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ ، يوماً لأصحابه : ما تقولون في هذه الآية : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [القصص : ٢٨/٤٦] .

فقالوا : الله ورسوله أعلم .

فقال : لما كلم الله موسى عليه السلام قال : يا رب هل خلقت خلقاً أكرم عليك مني ؟ اصطفيتني على البشر ، وكلمتني بطور سيناء .

قال : يا موسى أما علمت أن محمداً أكرم عليّ من جميع خلقي . وإني نظرت في قلوب عبادي ، فلم أجد قلباً أشد

تواضعاً من قلبك . فلذلك اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فمُتْ على التوحيد وعلى حب محمدٍ .

قال موسى : يا رب فهل في الأمم أكرم عليك من أمتي ، ظَلَّلْتَ عليهم الغمام ، وأنزلت عليهم المن والسلوى ؟

فقال الله تعالى : يا موسى أما علمت أن فضل أمة محمد على سائر الأمم ، كفضلي على جميع خلقي .

قال موسى : يا رب أفأراهم ؟

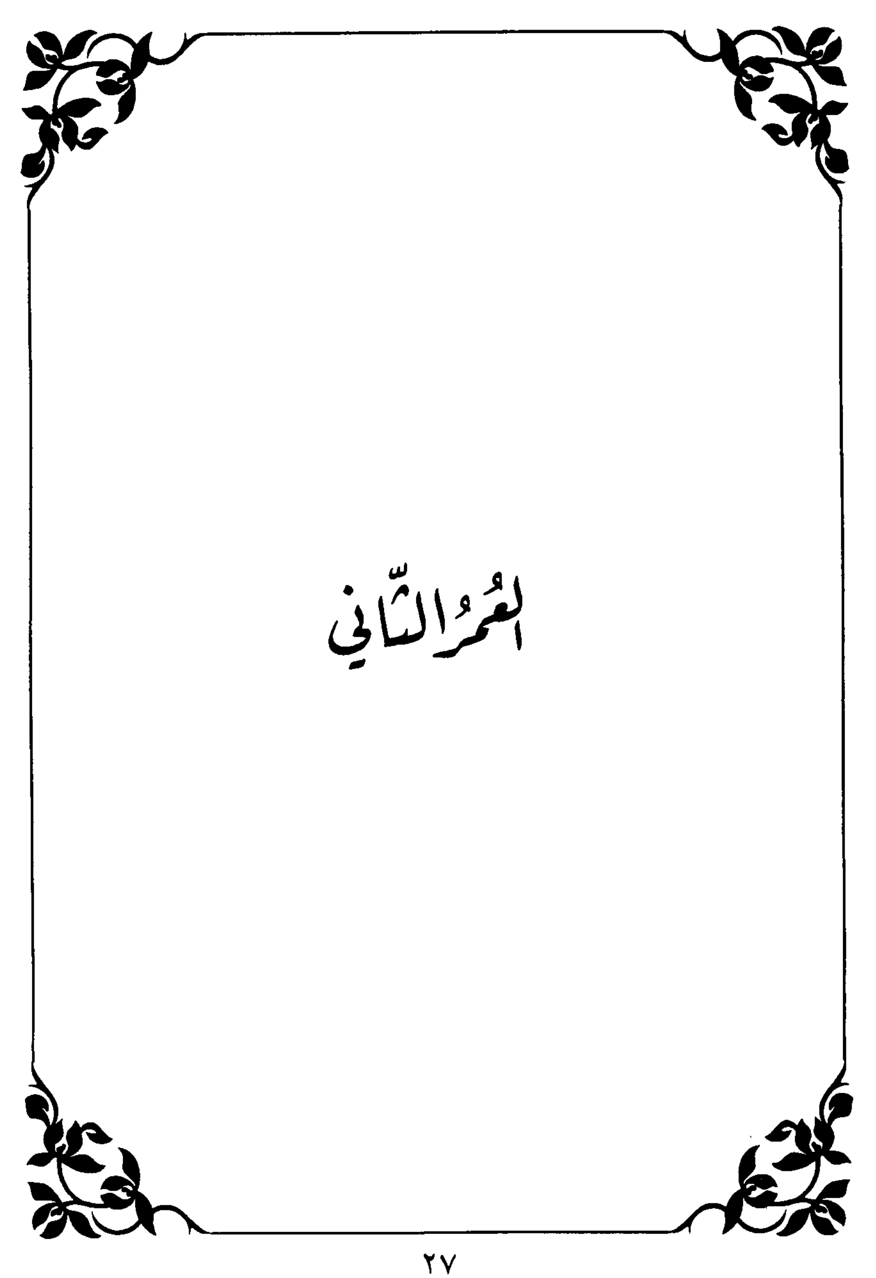
قال : لن تراهم، ولكن إن أحببت أن تسمع كلامهم فعلت .

قال : فإني أحب ذلك .

قال الله تعالى : يا أمة محمد . فأجابوا كلهم بصيحة واحدة يقولون : لبيك اللهم لبيك ، وهم في أصلاب آبائهم .

ثم قال الله تعالى : صلاتي وسلامي عليكم ، ورحمتي سبقت غضبي ، وعفوي سبق عذابي . وإني قد غفرت لكم قبل أن تستغفروني ، واستجبت لكم قبل أن تدعوني ، وأعطيتكم قبل أن تسألوني . فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، غفرت له ذنوبه . فأراد الله أن يمن عليّ بذلك ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [القصص : ٢٨/٤٦] أمتك حتى أسمعنا موسى كلامهم . انتهى .

ذكره الشيخ العارف بالله عبد العزيز الديريني رحمه الله في طهارة القلوب .



العُمُرُ الثّاني



العُمُرُ الثّاني

وَهوَ مِنْ حِينِ خُرُوجِ الإِنسَانِ من بَطنِ أمِّه بالوَضعِ إلىٰ حِينِ خُرُوجِهِ مِنَ الدّنيَا بالموَت .

وهذا هو أوسط الأعمار ومقصودها ، وفيه مدة التكليف بالأمر والنهي الإلٰهيين اللذين عليهما يترتب الثواب والعقاب والنعيم المؤبد ، في جوار الله عز وجل ، أَوْ العذاب المخلد والبعد عن الله عز وجل .

والناس مختلفون في هذا العمر اختلافاً كثيراً ، من حيث المدة بالطول والقصر من حيثيات أُخر ، ولهذا العمر مقدمة تشبه البرزخ الأخروي ، الذي تظهر فيه جُمَل أمور الآخرة ، التي يقع بها التفضيل بعد البعث ، ويبقى فيه شيء من معاني أمور الدنيا التي كانت مع الإنسان قبل موته .

وهذه المقدمة التي ذكرناها لهذا العمر ، هي مدة الحمل ، لأنه يظهر فيه شيء من معاني أمور الدنيا التي تظهر على الإنسان ، بعد خروجه من بطن أمه ، ويبقى فيه شيء من معاني وجود الإنسان في الأصلاب والأرحام ، التي كان ينتقل فيها من قبل ظهوره في بطن أمه بالحمل .

وقد ذكر الله هذا الأمر ، أعني الحمل وما فيه من تلك

المظاهر والأطوار في غير ما آية من كتابه العزيز . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ إلى قوله عز من قائل : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/ ١٢-١٤] وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الحج : ٢٢/ ٥] .

ووردت أحاديث في ذلك كثيرة ، عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ومن أجمعها أو هو أجمعها ، حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، المذكور في الصحيحين قال : حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق : « إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله إليه الملَك ، فينفخ فيه الروح . ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد . فوالذي لا إلٰه غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » . رواه البخاري ومسلم .

وفي هذا الحديث الصحيح ، ما يوجب عظيم الخوف للمطيعين المحسنين ، فضلاً عن العاصين المسيئين .

ثم إن الإنسان يمكث في بطن أمه إلى وقت أن يشاء الله خروجه منها لأقل الحمل أو أكثره أو غالبه وهو تسعة أشهر فإذا خرج مس بطن أمه فذلك أول عمره الدنيوي .

وقد ذكر الله ابتداء هذا العمر في كتابه ، وتَنَقُّل الإنسان فيه من طور إلى طور ، ومن حال إلى حال . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [الحج : ٢٢/٥] وفي الآية الأخرى : ﴿ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر : ٤٠/٦٧] . والآيات في هٰذا المعنى كثيرة .

فالإنسان في هذا العمر ، ينتقل من حال طفولية إلى حال بلوغ بالسن أو الاحتلام ، ثم إلى حال شباب ، ثم إلى حال كهولة ، ثم إلىٰ حال شيخوخة وَكِبَرٍ إلى ما شاء الله ، من حال هرم وخرف ، على وفق ما ذكر الله في كتابه .

فإذا وُضِع الإنسان من بطن أمه ، استهل صارخاً . وذلك من لكزة الشيطان لعنه الله ، التي لم يسلم منها إلا عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام ، وذلك أن الله أعاذهما منها ، بقول أم مريم زوجة عمران : ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : ٣/٣٦] كما ذكر ذلك في الحديث ، وإن إبليس جاء ليطعن فوقعت طعنته في الحجاب .

ومن السنة المأمور بها : أن يؤذَّن في أُذُن المولود اليمنى ، ويقام للصلاة في أُذُنه اليسرى ، تذكيراً له بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهي التوحيد . قال رسول الله ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه . وقال الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم : ٣٠/ ٣٠] .

فمن الأمر المؤكد على الأبوين ، أن يحفظا المولود من كل شيء يخرج به عن حَدِّ الفطرة ، ويُحْسنا تربيته ، ويجتهدا في ذلك ، ويجنباه المراضع السوء ؛ فإن الرضاع يغير الطباع . كما في الحديث .

وعليهما أن يغرسا في قلبه تعظيم شعائر الدين ، وحرمات الله ومحبة الخير ، ومحبة العمل به ، ومحبة أهله ، ويرغباه فيه ، ويحثاه عليه ، وَيُبَغِّضا إليه الشر والعمل به ويبغضا إليه أهله والعاملين به ، وأن لا يزرعا في قلبه حب الدنيا وشهواتها ، والميل إلى التنعم بها ، ولا يعيناه على ذلك ، ولا يساعداه عليه ، ولا يُسعِفاه به . فإن ذلك من الإساءة إليه والعدول به عن شاكله الاستقامة .

وعليهما أن يأمراه بالصلاة ، وبما أطاق من الصوم ، إذا بلغ سبع سنين ، ويضرباه على ترك ذلك ، إذا بلغ عشر سنين ، ويمنعاه من قرناء السوء وخلطاء الشر ، ومَنِ الغالب عليه

الفضول والغفلة ، من صغير أو كبير ، ويزيدا في تعهده ، وحسن النظر عليه ، مهما ظهرت فيه مخايل التمييز ، ولا يدعاه يقول ويفعل إلا المليح المستحسن ، ليقع نشوءُه على ذلك ، ويرسخ فيه تعود العادات الحسنة ، فيتيسر عليه العمل بذلك في كِبَرِهِ ؛ فإن الخير عادة ، وأكثر وظائف هذا الحين من هذا العمر ، يتعلق القيام بها بالآباء والأولياء .

ومن المهم حفظ الصبي من الصبيان الذين ليسوا من أولاد أهل الخير ، ولا من المغارس الطيبة . فقد قيل : أكثر فساد الصبيان من بعضهم لبعض .

وقد ذكر الإمام حجة الإسلام رحمه الله ، في كتاب « رياضة النفس » من « الإحياء » بياناً كافياً شافياً في رياضة الصبيان ، وكيفية العمل في حسن تربيتهم .

وهذا الوقت الذي هو من حين الوضع إلى حين البلوغ ، حال تخفيف من الله عز وجل ، ليس فيه تكليف على الصبيان ، بصلاة ولا بصوم ، ولا بغيرهما من التكاليف الشرعية ، إلا ما كان على الأولياء من الأمر بذلك .

وفي الحديث : « رفع القلم عن ثلاثة ، عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق » . وذلك مَنٌّ مِن الله وفضل ولطف وتخفيف . وأعمال الطفل من الطاعات التي تكون قبل البلوغ في صحائف أبويه من المسلمين .

ومهما أحسنا في تربيته والقيام عليه كما ينبغي فالمرجو من فضل الله أن لا يخيبهما من ثواب أعماله الصالحة وطاعاته بعد البلوغ ، بل المرجو من فضل الله أن يكون لهما منها مثل ثوابه .

ويشهد لذلك ما ورد من الأحاديث في الدعاء إلى الهُدَىٰ والدلالة على الخير فإنهما قد دعواه إلى الهدى ، ودلاه على الخير ، مهما أخذا في حقه بنحو ما ذكرناه من الإحسان في تربيته ، وأمره بالخير ، وترغيبه فيه ، ونهيه عن الشر وزجره عنه . والله أعلم .

فإذا بلغ الطفل وهو عاقل ، فقد صار مكلفاً ، وتوجه عليه الخطاب ، والمطالبة من الله ، بالأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، وأمر الله الحافِظَيْنِ الكريمَيْنِ من الملائكة ، أن يكتبا له الحسنات ، وعليه السيئات ، أحدهما عن يمينه ، وهو صاحب الحسنات ، والآخر عن شماله وهو صاحب السيئات . قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار : ٨٢/ ١٠ـ١٢] وقال الله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ٥٠/ ١٧ـ١٨] . وقد أُمِرا أن يحفظا عليه جميع أقواله وأفعاله ، من الخير والشر مدة حياته إلى أن يموت ، ثم يحضرا معه يوم القيامة ، حين يقف بين يدي الله فيشهدا له وعليه . قال الله تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق : ٥٠/ ٢١] .

وعلى الأب والولي إذا بلغ الطفل ، أن يجددا عليه التذكير بعلوم الإيمان ، وعلم الأمر والنهي ، إن كان قد سبق عليه منهم التعريف لذلك ، والتذكير به قبل البلوغ فإن هذا الذي صار إليه طور آخر . وله فيه شأن آخر .

وهو وإن كان قد بلغ وصار مكلفاً ومخاطباً بأمر الله ، فهو محتاج مع ذلك إلى زيادة الحث منهما ، والتذكير والتعريف بما ذكر ، وبما في معناه من الأمور التي قد توجهت عليه ، من وجوب الفرائض ، من الصلوات والصيام ، وترك المحارم ، من الزنا واللواط ، وشرب الخمر ، وأكل أموال الناس بالباطل ، من الربا والغصب والخيانة ، وغير ذلك .

وإن كانت هذه الأشياء مما يلزم البالغ العاقل طلب علمها بنفسه ، إن لم يكن قد علمها من قبل البلوغ فإنه بقي على الآباء والأولياء ، أن يحثوه ويحرضوه على علم ذلك وعلى العمل به تذكيراً ونصيحة ، إما على الوجوب وإما على الندب المتأكد ، يختلف ذلك باختلاف أحوال الآباء وأحوال الأولاد .

فإذا بلغ الطفل فقد دخل ببلوغه في أول طور الشباب من العمر ، وهو منه حال النشاط وإقبال القوة ، وأَقْمَنُها وأَجْدَرُها باكتساب الحسنات ، والعمل بالصالحات ، واجتناب السيئات والأعمال المنكرات ، لما فيه من توافر النشاط واستكمال القوة وإقبال العمر ، ولكنه شأن مخطر وحال مخوف ، الغالب فيه

على كثير من الشباب أو أكثرهم الميل إلى الشهوات الدنيوية ، والإيثار للذات العاجلة ، والتكاسل عن الطاعات والخيرات ، والأعمال الصالحات .

وَيَعِزُّ من الشباب وُجُودُ المستقيم على الطاعة ، الراغب في الأعمال الصالحة ، التارك لشهوات الدنيا ولذاتها الفانية .

ولذلك ورد في الحديث : « عجب ربك من شاب لا صبوة له » . وعَدَّ رسول الله ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، شاباً نشأ في عبادة الله .

وروي عن الله أنه قال : « أيها الشاب التارك شهوته من أجلي ، أنت عندي كبعض ملائكتي » . فيتعين على الشاب ، ويتأكد غاية التأكد أن يتحفظ على شبابه أن يوقعه في سخط الله وأليم عقابه ، وليجعله وسيلة له وسُلَّماً ، موصلاً إلى نيل رضوان الله وعظيم ثوابه ، وليمتثل وصية رسول الله ﷺ ، فإنه أشفقُ علينا وأرحم بنا من أنفسنا وآبائنا وأمهاتنا ، حيث يقول : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابَك قبل هرمك ، وصحتَك قبل سقمك ، وفراغَك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتَك قبل موتك » .

وقال صلوات الله عليه : « لا تزول قدما عبد ، أي من موقف القيامة ، حتى يُسْأَلَ عن خمس : عن عمره فيما أفناه ؟ وعن شبابه فيما أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيما

أنفقه ؟ » الحديث .

والشباب هو الزمن الذي يمكن فيه تحصيل الفضائل ، واقتناص العلوم ، ونيل مراتب السيادة والرياسة الدينية وغيرها ، حتى قال القائل ، مشيراً إلى ذلك :

إذا بلغ الفتى عشرين عاماً وأعجزه الفَخَارُ فلا فَخَارُ

وقال آخر :

إذا لم تَسُدْ في ليالي الشبابِ فلا سُدْتَ ما عشتَ مِن بَعْدِ هِنَّهْ
وهل جُلُّ عُمرِك إلا الشبابُ خُذِ الحظ منه ولا تُهْمِلَنَّهْ

وكان الرجال من السلف الصالح الذين طالت أعمارهم في سبيل الله وطاعته ، يحضون الشباب ، ويحثونهم على اغتنام شبابهم . ويقولون لهم : اغتنموا شبابكم من قبل أن تصيروا إلى مثل حالنا هذا ، يعنون الكِبَرَ والضعف والعجز ، عن كثير من الأعمال الصالحة ، مع أنهم في أحوالهم تلك ، كانوا يسبقون الشباب في السعي إلى الله ، والجد والتشمير في طاعته .

ثم ينتقل الشاب من حال الشباب إلى حال الكهولة ، وفي هذا الحال استواء العمر ، وبلوغ الأَشُدِّ .

وقد قسَّم ابن الجوزي العمر إلى خمسة مواسم فقال :

الموسم الأول : الصِّبَا ، وهو إلى أن يبلغ الإنسان خمس عشرة سنة .

والثاني : الشباب ، وهو إلى أن يبلغ الإِنسان خمس وثلاثين سنة .

والثالث : الكهولة ، وهو إلى أن يبلغ الإِنسان خمسين سنة .

والرابع : الشيخوخة ، وهو إلى أن يبلغ الإِنسان سبعين سنة .

والخامس : الكِبَرُ ، وهو إلى آخر العمر . انتهى بمعناه .

وقد قسَّم غيره من العلماء رحمهم الله تعالى ، العمر إلى قريب أو نحو مما ذكره .

وبعد بلوغ الأَشُدِّ واستواء العمر ، يُنتظر من الله إتيانُ الحكم والعلم لأهله ، وتغلب الإِنابة والرجوع إلى الله ، على العبد الموفق ، الملحوظ بعين الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص : ٢٨/ ١٤] وقال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ الآية [الأحقاف : ٤٦/ ١٥] .

وعلى رأس الأربعين من سن رسول الله ﷺ ، أوحى الله إليه ، وأرسله كافة للناس بشيراً ونذيراً .

ويكاد يتبين في هذا السن الذي هو سن الكهولة ، ما الإِنسان مراد به وله ، من الخير والشر ، والصلاح والفساد ، بأمارات وعلامات تلوح على الإِنسان ، وتغلب عليه ، حتى إنه

بلغنا أن الإنسان إذا بلغ الأربعين ولم يَغلِبْ خيرُهُ شَرَّه ، يمسح الشيطان وجهه ويقول : بأبي وجه لا يفلح .

ويقال أيضاً : من بلغ الأربعين ولم يغلب خيره شره ، فليتجهز إلىٰ النار .

والأربعون : هو العمر الذي قال الله تعالىٰ فيه : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر : ٣٥/ ٣٧] في أحد الأقوال . وقيل : هو الستون . وَرُجِّحَ .

وقال الشيخ العارف عبد الوهاب بن أحمد الشعراني ، في (البحر المورود) : أخذ علينا العهود إذا بلغنا من العمر أربعين سنة أن نطوي فراش النوم إلا غلبة . ولا نغفل عن كوننا مسافرين إلىٰ الآخرة في كل نَفَس ، حتىٰ لا يكون لنا في الدنيا قرار قط . وأن نرىٰ الذرة الواحدة من عمرنا بعد بلوغ الأربعين ، تعدل مائة عام قبل ذلك . وكذلك لا يكون لنا بعد الأربعين راحة ، ولا مزاحمة علىٰ وظيفة ، ولا فرح بشيء من الدنيا . كل ذلك لضيق العمر بعد الأربعين ، وعدم مناسبة الغفلة والسهو واللعب لمن أشرف علىٰ معترك المنايا .

وقد كان الإمام مالك يقول : أدركنا الناس وهم يتفقهون إلىٰ الأربعين ، فإذا بلغوا أربعين سنة ، اشتغلوا بالعمل بما علموا ، ولم يبق لهم فراغ إلىٰ الالتفات لشيء من الدنيا .

ولما بلغ الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ أربعين سنة ، صار

يمشي على العصا ، فإذا قيل له في ذلك يقول : لأذكر أني مسافر . انتهىٰ . ووالله إني صرت أرىٰ نفسي الآن مثل الطائر المحبوس في القفص ، فخرج كله من القفص في الهواء ، وصار معوقاً بكعبه في القفص فقط ، فحكمي الآن كذلك ليس عندي بقايا شهوة للإقامة في الدنيا ، وليس أحد من أصحابي في حل أن يُعْطِيَني شيئاً من الدنيا صدقة ، أو يذكر لي شيئاً من أحوالها ، إلا ما يلزمني شرعاً ، وبيني وبينه الله ، إن ذكر لي شيئاً منها غير ما لزمني ، وأقول : حسبي الله . والله يجعل كل إخواني كذلك ، آمين . انتهىٰ .

وقال وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ ، قرأت في بعض الكتب : أن منادياً ينادي من السماء الرابعة كل صباح : أبناء الأربعين أنتم زرع قد دنا حصاده ، أبناء الخمسين ماذا قدمتم ؟ وماذا أخرتم ؟ أبناء الستين لا عذر لكم ، ليت الخلقَ لم يُخْلَقوا ، وإذا خُلِقوا علموا لماذا خلقوا ، قد أتتكم الساعة ، خذوا حذركم .

ثم ينتقل الكهل من حالة الكهولة إلىٰ حال الشيخوخة . وهو من الخمسين إلىٰ السبعين علىٰ ما ذكره ابن الجوزي . وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر : ٤٠/ ٦٧] .

وفي هذا السن من هذا العمر ، تظهر علىٰ الإنسان أوائل الضعف ، وتراجع القوىٰ والتراجع : رجوع الشيءِ إِلى وراء ، فيرجع بعد القوة إلى الضعف ، وفيه الوقت الذي سماه ﷺ « معترك المنايا » وهو من الستين إلىٰ السبعين .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « حصاد أمتي بين الستين والسبعين » . وفي ذلك السن قُبض رسول الله ﷺ ؛ فإنه صلوات الله وسلامه عليه توفي وسنه ثلاث وستون علىٰ الصحيح . وكذلك أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم .

وأما عثمان رضي الله عنه فعاش إلىٰ أن جاوز الثمانين . وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ [فاطر : ٣٥/ ٣٧] فقيل : إن ذلك العمر هو الستون كما سبق .

والنذير هو القرآن أو الرسول أو الشيب . وفي الحديث : أعذر الله إلىٰ امرىء أَخَّر الله أجله حتىٰ بلغ الستين . ومعنىٰ أعذر الله إليه ، أي لم يترك له عذراً يعتذر به في أنه عاجَلَهُ الأجل ، وقصرت به مدة العمر .

ثم إن هذه الأمة من أقصر الأمم أعماراً ، وقد كان الرجل من الأمم السابقة يُعَمَّر الألف وما قاربها أو زاد عليها .

قال بعض العلماء : كان المُحْتَلِمُ من الأمم السالفة لا يحتلم حتىٰ يجاوز الثمانين . وروي أن بعض بني آدم توفي لمائتي سنة ، فترحمت عليه الخلائق لِقِصَرِ عمره . وروىٰ أن

إبراهيم الخليل عليه السلام ، اختتن وهو ابن ثمانين سنة ، حين أمره الله بالاختتان .

ويروىٰ أن رسول الله ﷺ لما استقصر أعمار أمته من بين سائر الأمم ، سأل الله لهم وتضرع إليه ، من حيث إنه إذا قصرت أعمارهم ، لم تطل أيامهم في طاعة الله ، أي والعمل لآخرتهم، فتقل بسبب ذلك حظوظهم من ثواب الله والدرجات العُلَىٰ ، فأعطاه الله ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر ، تطويلاً لأعمارهم ، وتضعيفاً لثوابهم وحسناتهم ، حتىٰ يصير الواحد منهم إذا قام فيها بطاعة الله يصير كأنه قام ألف شهر ، وذلك أكثر من ثمانين سنة .

فمن قام في ليلة القدر اثنتي عشرة سنة ، كان كمن عاش في طاعة الله ألف سنة أو أكثر ، فتأمل حساب ذلك ، فإنه ظاهر وذلك الذي أعطاه الله هذه الأمة ببركات رسوله ، وعظم كرامته عليه ومن شدة اعتنائه ﷺ بأمته وحرصه علىٰ حب الخير لها .

وفي هذا السن الذي هو الشيخوخة ، يغلب علىٰ الإنسان الرجوع إلىٰ الله ، وشدة العناية بالتزود للآخرة ، والزهد في الدنيا وغاية التشمير ، والجد في العمل بالطاعة لمن وفقه الله ، وهو وقت الوقار والخشوع ، ومجانبة اللهو والهَزْل بالمرة .

ولذلك كان الذي يميل من المشايخ إلىٰ خلاف ذلك ، مستقبح الحال سيء الطريقة ، مستنكر السيرة .

وفي الحديث الصحيح : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » . فَعَدَّ منهم الشيخ الزاني . فصارت هذه الفاحشة القبيحة من كل أحد ، أقبح منه وأفحش ، لما هو عليه من كبر السن . وكونه في مظنة الخوف من الله تعالىٰ والخشية ، وحال الوقار والحياء من الله تعالىٰ .

وفي هذا السن ، يغلب ظهور الشيب ويعم ، وهو نور المسلم كما ورد ، وفي الحديث : من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً .

وقد بلغنا أن أول من شاب إبراهيم الخليل عليه السلام ، فلما رأىٰ الشيب قال : يا رب ما هذا ؟ فقال له ربه : هذا هو الوقار ، فقال : رب زدني منه .

والشيب مُذَكِّرٌ ، أي مذكر بقرب الأجل ، وَطَيٍّ بساط الأمل ، وَمُؤْذِنٌ بقرب الرحيل ، وسرعة التحويل . ويقال : الشيب مظنة الأجل ، وطريدة الأمل ويقال أيضاً : ما أقبح غشيان اللَّمَم إذا ألم الشيب باللِّمَم .

وقال الخطيب بن نباتة : ألا إن الشيبَ ثغرُ الحياة الذي لا يمكن سِداده ، ولا يُصلح الدهر فساده ، وهو نور طالع بأفول النَّسَم ، سائر بالأشخاص إلىٰ محل الرِّمَم ، فلا تحرقوا ـ رحمكم الله ـ نور مشيبكم بنار ذنوبكم . انتهىٰ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « قال الله تعالىٰ : وعزتي وجلالي وفاقة خلقي إليَّ ، أني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإِسلام أن أعذبهما . ثم بكىٰ فقيل : مايبكيك يارسول الله ؟ قال : أبكي ممن يَسْتَحْيِي الله منه ، وهو لا يَسْتَحْيِي من الله » .

ومن المندوب إليه توقير ذي الشيبة المسلم ، قال عليه الصلاة والسلام : من إجلال الله إِجلال ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ، ولا الجافي عنه ، والإِمام المقسط وهو العادل .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما وقر شاب شيخاً إلا قيض الله له في سنه من يوقره » .

وقال الإِمام الغزالي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : وفي ذلك بشارة بطول العمر مع ما فيه من الأجر . انتهىٰ .

ويستحب تغيير الشيب وخضابه : إما بالصفرة ، وإما بالحمرة ، ويحرم بالسواد إلا لمجاهد في سبيل الله ، إرهاباً للكفار ، وتهييباً لهم .

ثم ينتقل الإِنسان من حال الشيخوخة إلىٰ حال الهَرَم والكِبَر ، وهو من السبعين إلىٰ آخر العمر علىٰ ما قاله ابن

الجوزي ، ولا يزال يسمىٰ الإنسان شيخاً وإن جاوز ذلك السن إلىٰ أن يموت .

وفي هذا السن من العمر ، يستولي علىٰ الإنسان الضعف ، ويغلب عليه وعلىٰ جميع حواسه وجوارحه وقواه . قال الله تعالىٰ : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٣٠/ ٥٤] .

ومنه يرد إلىٰ أرذل العمر الذي قال فيه عز من قائل : ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [الحج : ٢٢/ ٥] وهو الخرف ، واضطراب العقل ، ومنه استعاذ عليه السلام فقال في دعائه : وأعوذ بك من أن أرد إلىٰ أرذل العمر . واستعاذ من سوء الكبر في غير ما حديث .

ويقال في الزبور : من بلغ السبعين اشتكىٰ من غير علة . ورُوِي عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال ، قالوا : يا رسول الله ما أعمار أمتك ؟ قال : « مصارعهم ما بين الستين إلىٰ السبعين » . قالوا : يا رسول الله فأبناء السبعين ، قال : قل من يبلغها من أمتي . فرحم الله أبناء السبعين . ورحم الله أبناء الثمانين . وقد قيل :

إذا كانت السبعون داءَك لم يكن ... لدائك إلا أن تموت طبيبُ
وإن ٱمْرَأً قد سار سبعين حجةً ... إلىٰ منهلٍ من وِرْدِهِ لقريبُ

وقيل أيضاً :

وماصاحب السبعين والعَشْرِ بعد ... ها بأقربَ ممن حَنَّكَتْه القوابل
ولكــنَّ أمــالاً يــؤملهــا الفتــىٰ ... وفيهـن للـراجيـن حق وبـاطـل

وقيل أيضاً :

مَن عاش أَخْلقَتِ الأيامُ جِدَّتَهُ ... وخانه ثِقَتَاهُ السمعُ والبصرُ

وقيل أيضاً :

تمـر بنـا الأيـام تتـرىٰ وإنمـا ... نُسَاقُ إلىٰ الأجداث والعين تنظرُ
فلا عائدٌ ذاك الشبابُ الذي مضىٰ ... ولا زائِلٌ هذا المَشِيْبُ المكدّرُ

وقيل أيضاً :

لَـذَّةُ العيـش صحـة وشبـاب ... فـإذا وَلَّيـا عـن المـرء ولّـىٰ
وإذا الشيخ قال أُفٍ فَمَا مَلْـ ... ـلَ حَيَاةً وإنما الضُّعْفَ مَلاَّ

ودخل معن بن زائدة علىٰ المأمون . فقال له : إلىٰ أي حال صيرك الكبر؟ قال له: إلىٰ أن أعثر ببعرة، وتقيدني شعرة. قال : كيف حالك في المأكول والمشروب والنوم ؟ قال : إن جعت جردت وإن أكلت ضجرت، وإن كنت في ملأ نعست، وإذا صرت إلىٰ فراشي أرقت . قال : كيف حالك مع النساء ؟ قال: أما القباح فلست أريدهن، وأما الملاح فلسن يردنني، قال: لا يحل أن يتشاب مثلك ، أَضْعِفوا رزقه وأَلْزِمُوه منزله ، تركب الناس إليه ولا يركب إلىٰ أحد . انتهىٰ . ذكَرَهُ في « ربيع الأبرار » .

وأعلم أن طول العمر في طاعة الله تعالىٰ ، محبوب ومرغب فيه . قال عليه الصلاة والسلام : «خيركم من طال عمره وحسن عمله» .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يتمنين أحدكم الموت ، إما محسن فلعله يزداد ، وإما مسيء فلعله يستعتب ، أي يتوب ويعتذر » . إلا أنه عليه الصلاة والسلام ، قد استعاذ من الرد إلىٰ أرذل العمر ، وهو الخرف واضطراب العقل ، كما تقدم .

وخير العمر : بركته ، والتوفيق فيه للأعمال الصالحة ، والخيرات الخاصة والعامة . وقد يبارك الله لبعض عباده المصطفين في أعمارهم القصيرة ، حتىٰ تكون أكثر خيراً وأعم نفعاً من أعمار غيرهم الطويلة . مثل الإِمام الشافعي ـ رحمه الله ـ فإنه لم يبلغ من العمر إلا أربعاً وخمسين سنة .

والإِمام حجة الإِسلام ، توفي وله من السن خمس وخمسون سنة . ومثل الإِمام القطب الشريف : عبد الله بن أبي بكر العيدروس باعلوي ، توفي وله أربع وخمسون سنة . ومثل الإِمام النووي ، فإنه توفي ، وسنه دون الخمسين ، ومثل الإِمام الخليفة الصالح ، عمر بن عبد العزيز ، توفي وسنّه دون الأربعين سنة .

وغير هؤلاء ، من الأئمة كثير ، لم تطل أعمارهم ، وقد نشرت لهم من الخيرات ، وجرت علىٰ أيديهم من البركات ، ما عم في البلاد والعباد ، ونفع الله بهم الحاضر والباد ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وهذه الأمة المحمدية عظيمة البركة ، ولها من الله مكانة ليست لغيرها من الأمم ، وهي بأسرها قصيرة الأعمار والمدة ، بالنسبة إلىٰ غيرها من الأمم الماضية ، كما تقدمت الإشارة إلىٰ ذلك .

ثم إن آخر هذا العمر الذي هو الكِبَر ، أن يمرض الإنسان فيموت ، هذا هو الغالب ، أو يموت بغير مرض . وذلك نادر وهو مع ندرته واقع ، وإنما ندرته بالنسبة إلىٰ غلبة من يموت عن مرض .

قال حجة الإسلام ، في أثناء كلام ذكره في « الإحياء » ، في الاحتراز من طول الأمل ، ونسيان قرب الأجل . فإن قلت : فإن الموت في الأكثر لا يكون إلا عن مرض ، وقلَّ ما يكون فجأة ، فاعلم أن الموت قد يكون فجأة ، فإن لم تمت فجأة فإن المرض لا يكون إلا فجأة ، وإذا مرضت عجزت عن الأعمال الصالحة التي هي زاد الآخرة . انتهىٰ بمعناه .

واعلم أن قصر الأمل ، والإكثار من ذكر الموت ، أمر مرغب فيه ، مندوب إليه ، وأن طول الأمل ، ونسيان الموت أمر مكروه ، قد ورد التحذير عنه . قال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

[المنافقون : ٦٣/ ٩ ـ ١١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ٥٧/١٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة : ٦٢/٨] الآية . وقال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » الحديث .

وسئل عليه السلام : هل يحشر مع الشهداء أحد غيرهم ؟ فقال : « من يذكر الموت في كل يوم وليلة عشرين مرة » .

وسئل عليه السلام عن الأكياس من الناس من هم ؟ فقال : « أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم له استعداداً . أولئك الأكياس ، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة » . وقال عليه السلام : « الموت أقرب غائب ينتظر » الحديث .

فإذا كان الموت أقرب غائب ينتظر ، كان الحزم والأخذ بالأحوط ، هو الاستعداد له والتهيؤ لمجيئه في كل حال ووقت ، يمكن مجيئه وقدومه فيه ، وجميع الأحوال والأوقات ، يمكن مجيئه وهجومه فيها .

قال الإمام حجة الإسلام ـ رحمه الله ـ في « البداية » : واعلم أن الموت لا يهجم في وقت مخصوص ، وحال

مخصوص ، وسن مخصوص ، ولا بد من هجومه ، فالاستعداد له أولىٰ من الاستعداد للدنيا .

وقال أيضاً في موضع آخر من « البداية » : ولا تدع عنك التفكر في قرب الأجل ، وحلول الموت القاطع للأمل ، وخروج الأمر عن الاختيار ، وحصول الحسرة والندامة ، بطول الاغترار . انتهىٰ .

وقد كان من السلف الصالح ، من لو قيل له : إنك ميت غداً ، لم يجد موضعاً للزيادة من العمل الصالح ، لما هو عليه من غاية الإقبال علىٰ الآخرة ، والاشتغال بالأعمال الصالحة .

وقال بعضهم لبعضِ مَنِ استوصاه : انظر ، فكل شيء تحب أن يأتيك الموت ، وأنت تعمله فالزمه الآن ، وكل شيء تكره أن يلقاك الموت وأنت تعمله ، فاتركه الآن .

وفي الحديث : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وَعُدَّ نفسك في أهل القبور » . وقال عليه السلام : « ما لي وللدنيا ، إنما مثلي ومثل الدنيا ، كمثل راكب سار في يوم صائف ، فرفعت له شجرة ، فقال تحتها ساعة ، ثم راح وتركها » . الحديث .

وفي الإِكثار من ذكر الموت ، واستشعار قرب نزوله ، فوائد جليلة ، ومنافع كثيرة ، منها الزهد في الدنيا ، والقناعة باليسير منها ، وملازمة الأعمال الصالحة التي هي زاد الآخرة ،

ومجانبة السيئات والمخالفات ، والمبادرة بالتوبة إلىٰ الله تعالىٰ منها ، إن كان قد قارفها .

وفي نسيان ذكر الموت ، وإطالة الأمل ، أضداد هذه الفوائد ، وهذه المنافع ، من شدة الرغبة في الدنيا ، وشدة الحرص علىٰ جمع حطامها ، والتمتع بشهواتها ، والاغترار بزخارفها ، وتسويف التوبة من الذنوب ، والتكاسل عن الأعمال الصالحة .

وقد قال السلف الصالح رحمهم الله : من طال أمله ساء عمله .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ينجو أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، ويهلِكُ آخرها بالحرص وطول الأمل » .

وقال علي كرم الله وجهه : أخوف ما أخاف عليكم ، اتباع الهوىٰ ، وطول الأمل ، فأما اتباع الهوىٰ فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة ، انتهىٰ .

ولا خير بحال فيما ينسي الآخرة من الآمال ، وهو الأمل الذي استعاذ منه عليه الصلاة والسلام ، فقال : أعوذ بك من كل أمل يلهيني . ومن دعائه صلوات الله عليه : « وأعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، ومن حياة تمنع خير الممات ، ومن أمل يمنع خير العمل » .

فإذا غلب علىٰ قلب الإنسان استشعار طول البقاء في الدنيا ، غلب عليه الاهتمام لها ، والسعي لجمعها ، حتىٰ يَغْفُلَ

عن الآخرة وعن التزود لمعاده فيبغته الموت وهو علىٰ ذلك ، فيلقىٰ الله مفلساً من الأعمال الصالحة ، فيندم ويتحسر ، حيث لا ينفعه التحسر فيقول : ﴿ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر : ٨٩/ ٢٢] ، و﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/ ٩٩ ـ ١٠٠] .

ثم إذا مرض الإنسان فينبغي له أن يأخذ في التوبة ، والإكثار من الاستغفار ومن الذكر لله ، والاعتذار إليه من سالف إساءاته وغفلاته ، فإنه لا يدري لعله يموت من مرضه ذلك ، ولعله قد حضره الأجل ، فَيَخْتِم عمله وأيام عمره بالخيرات فإن الأعمال بخواتيمها .

والأمراض مذكِّرات بالآخرة ، وبالرجوع إلىٰ الله تعالىٰ ، وَلْيُوصِ بما يحتاج إلىٰ الوصية به ، مما يهمه من أمور آخرته ودنياه ، سيما من حقوق الخلق وتبعاتهم ، فإنها شديدة والخلاص منها عسير .

وليكن في مرضه علىٰ غاية ونهاية ، من حسن الظن بالله تعالىٰ . قال عليه الصلاة والسلام : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالىٰ » . وليكن ذلك هو الغالب علىٰ قلبه ، والمستولي عليه ، فإنه تعالىٰ يقول : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني .

ودخل صلوات الله وسلامه عليه علىٰ مريض شاب يعوده فقال : كيف تجدك ؟ فقال : أرجو ربي ، وأخاف ذنوبي ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ما اجتمعا في قلب مسلم في مثل

هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وآمنه مما يخاف » .

ومع ذلك فينبغي أن يكون حال الرجاء هو الغالب على المريض ، سيما إذا ظهرت عليه علامات الموت ، وقرب حضور الأجل ، ليموت على حسن الظن بالله ، وقوة الرجاء في كرمه وسعة رحمته وحب لقائه .

وفي الحديث : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » . وقد جاء في معناه : أن العبد المسلم إذا حضره الموت ، بُشِّرَ برحمة الله وفضله فأحب لقاء الله ، وأحب الله لقاءه ، وأن المنافق إذا حضره الموت ، بُشِّرَ بعذاب الله ، فكره لقاء الله ، وكره الله لقاءه .

فالمؤمنون المتقون يُبَشَّرُون برحمة الله ، عند خروجهم من الدنيا ، فتكاد أرواحهم أن تطير من أجسادهم شوقاً إلى ربهم وحب لقائه ، حين تسلم عليهم الملائكة ، وتبشرهم بدخول الجنة ، وأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ١٦/ ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٤١/ ٣٠ ـ ٣٢] .

وينبغي للمريض أن يحترز من النجاسات أن تصيبه في بدنه أو في ثيابه ، فتمنعه من الصلاة ، وليحذر كل الحذر من ترك الصلاة ، وليصل على حَسَب حاله ، قاعداً أو مضطجعاً ، أو كيف أمكنه ، ولا يختم عمله بالإضاعة لعماد الدين الذي هو الصلاة .

وينبغي لمن حضره من أهله وأصحابه أن يحثوه على ذلك ، ويعاونوه ويذكّروه به .

وليعلم أن فرض الصلاة لا يسقط عنه ما دام عقله معه . وليكثر من قول : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فقد ورد أن من قالها أربعين مرة ومات من مرضه ذلك ، مات شهيداً . وليكثر من قراءة سورة الإخلاص .

ومن الكلمات التي قال فيها رسول الله ﷺ : أن من قالها في مرضه ثم مات من ذلك المرض ، لم تطعمه النار ، وهي : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ، لا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم إن المريض إذا غلب عليه المرض ، وظهرت عليه أمارات قرب الموت ، كان الذي ينبغي لحاضريه من أهله وأقاربه : أن ينظروا فإن رأوا عليه شيئاً من مخايل الجزع ، وشدة الخوف ، فليذكروا له محاسن عمله ، وسعة رحمة ربه ، وعظيم عفوه عن المذنبين ، وتجاوزه عن المقصرين ، فقد كان

السلف يستحسنون مثل ذلك ، مع المُحْتَضَرِين من حاضريه ، وربما التمس المُحْتَضَر منهم ، مثل ذلك من حاضريه .

ومن المتأكد المأمور به ، أن يلقنوه لا إلٰه إلا الله لقوله عليه الصلاة والسلام : « لقنوا موتاكم لا إلٰه إلا الله . فمن كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله دخل الجنة » . فإذا قالها فلا ينبغي أن يعاد عليه ذلك ، إلا إن تكلم بكلام آخر .

وينبغي أن يقرأ عليه سورة يٰس المباركة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « اقرؤوا علىٰ موتاكم سورة يٰس » . يقال : إن ذلك يسهل طلوع الروح . وللموت كرب وسكرات . وقد تُسَهَّل وتُهَوَّن علىٰ بعض المؤمنين .

وفيما يُرْوَىٰ عن ملك الموت عليه السلام أنه قال : إني بكل مؤمن شفيق رفيق . وقد تَحضر الموتىٰ في حال قبضهم ، أنواع من الفتن والعياذ بالله .

فلذلك ينبغي الإكثار لمن يحضرهم ، من قراءة القرآن ، وأحاديث الرجاء وذكر أحوال الصالحين عند خروجهم من الدنيا .

وفي بعض الاثار ، أن الشيطان لعنه الله ، أقرب ما يكون من العبد عند وفاته حرصاً منه علىٰ أن يفتنه ، ولكن ﴿ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ١٦/ ١٠٠]
﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم : ١٤/ ٢٧] .

وقد اشتد خوف السلف الصالح ، رحمهم الله ، من سوء الخاتمة ، ولهم في ذلك أخبار وحكايات ، يطول ذكرها . وقد ورد في ذلك ما يقتضي الخوف البالغ ، مثل قوله عليه السلام : « فوالذي لا إلٰه غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » الحديث .

وقال عليه السلام : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، فيما يبدو للناس ، وهو من أهل الجنة » ، ومثل ذلك كثير .

قالوا : وأكثر من يخشىٰ عليه سوء الخاتمة ، والعياذ بالله ، المتهاون بالصلاة ، والمدمن لشرب الخمر ، والعاق لوالديه ، والذي يؤذي المسلمين ، وكذلك المصرون علىٰ الكبائر والموبقات ، الذين لم يتوبوا إلىٰ الله منها ، ويكاد يدل لذلك قوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الروم : ٣٠/ ١٠] .

فينبغي للمسلم : أن يرجو من فضل الله ، أن لا يسلبه نعمة الإِسلام ، من بعد أن أنعم عليه بها ابتداء من غير وسيلة منه ، ويخاف مع ذلك من التغير ، لتقصيره في الشكر علىٰ هذه النعمة التي هي أعظم النعم .

وقد كان بعض السلف ، يحلف بالله : أنه ما أَمِنَ أحد علىٰ إسلامه أن يُسْلَبَهُ إلاَّ سُلِبَهُ . وينبغي أن لا يزال سائلاً من الله تعالىٰ ، متضرعاً إليه ، أن يرزقه حسن الخاتمة .

وقد ذُكِرَ عن إبليس ، لعنه الله أنه قال : قصم ظهري الذي يسأل الله حسن الخاتمة ، أقول : متىٰ يعجب هذا بعمله أخشىٰ أنه قد فَطِن .

اللهم إنا نسألك بنور وجهك ، وبحقك عليك ، حُسْنَ الخاتمة عند الممات ، لنا ولأحبابنا وللمسلمين ، يا أرحم الراحمين . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين.

ومن السنة أن يُضْجَعَ المُحْتَضَرُ علىٰ يمينه ، مستقبل القبلة ، فإذا قضىٰ نحبه ، فينبغي أن تُغمض عيناه ، فإنه يشخص ببصره عند ذلك ، وفي الحديث : إن البصر يتبع الروح ، ويُكْثِرَ عند ذلك حاضروه من الاستغفار له ، والترحم عليه ، والدعاء فإن الملائكة يُؤَمِّنُوْنَ علىٰ ما يقولون ، وفي البكاء رخصة ، والصبر خير منه ، وأفضل .

وأما النياحة والندب ، وهو التعديد ، وطرح التراب علىٰ الرأس ، ولطم الخدود ، وشق الجيوب ، فجميع ذلك محرم شديد التحريم وقد وردت الأحاديث الصحيحة ، بالنهي عنه ، والوعيد عليه .

ويُكره تمني الموت ، والدعاء به ، لضر ينزل بالإنسان ، من مرض أو فقر أو نحو ذلك من شدائد الدنيا فإن خاف فتنة في دينه جاز له تمنيه ، وربما نُدِبَ ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لا بد فاعلاً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي » . وقال عليه السلام : « لا يتمنين أحدكم الموت ، إما محسن فلعله يزداد ، وإما مسيء فلعله يَسْتَعْتِبُ » أي يتوب ويعتذر .

ثم إن الموت أمر مكتوب علىٰ جميع الأنام ، وقضاء محتوم على الخاص والعام ، وقد سوىٰ الله فيه بين القوي والضعيف ، والوضيع والشريف ، وقهر به الجبابرة ، وقصر به القياصرة ، وكسر به الأكاسرة . وجعله للمؤمنين المتقين تحفة ، وأي تحفة ، وزلفة وأي زلفة ، وللكافرين والمنافقين حسرة ، وأي حسرة ، وأَخْذة وأي أخذة .

فسبحانه من مَلِك جبار ، متفرِّد قهار ، قد توحد بالدوام والبقاء ، وتنزه عن الموت والفناء ، فهو الأول بلا ابتداء ،

والآخر بلا انتهاء ، قال عز من قائل ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمٰن : ٥٥/ ٢٦ ـ ٢٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٢٨/ ٨٨] وقال تعالىٰ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٨٥] .

خَاتِمَةُ هٰذَا العُمُر

في أشيَاء تتصِّل بمَا تقَدّم وَتنعَطفُ عَليه

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المولود حتىٰ يبلغ الحنث ، ما عَمِلَهُ من حسنة كتبت لوالديه ، وإن عَمِلَ سيئة لم تكتب عليه ولا علىٰ والديه ، فإذا بلغ الحنث وجرىٰ عليه القلم ، أمر الله سبحانه الملكين اللذين معه يحفظانِهِ ويسددانِهِ ، فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام ، آمنه الله من الثلاث : الجنون والجذام والبرص ، فإذا بلغ خمسين سنة ، خفف الله عنه حسابه ، فإذا بلغ ستين سنة ، رزقه الله الإنابة إليه فيما يحب ، فإذا بلغ سبعين سنة ، أحبه أهل السماء ، فإذا بلغ ثمانين سنة ، كتب الله سبحانه حسناته وتجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ تسعين سنة ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشفعه في أهل بيته ، وكان أَسِيْرَ الله في الأرض ، فإذا رُدَّ إلىٰ أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ، كتب الله له ما كان يعمل في صحته من الخير ، وإن عمل سيئة ، لم تكتب عليه » .

ذكر هذا الحديث الشيخ أحمد بن علي بن أبي القاسم اليمني ، في الأربعين التي جمعها ، في غفران ما تقدم من الذنوب وما تأخر .

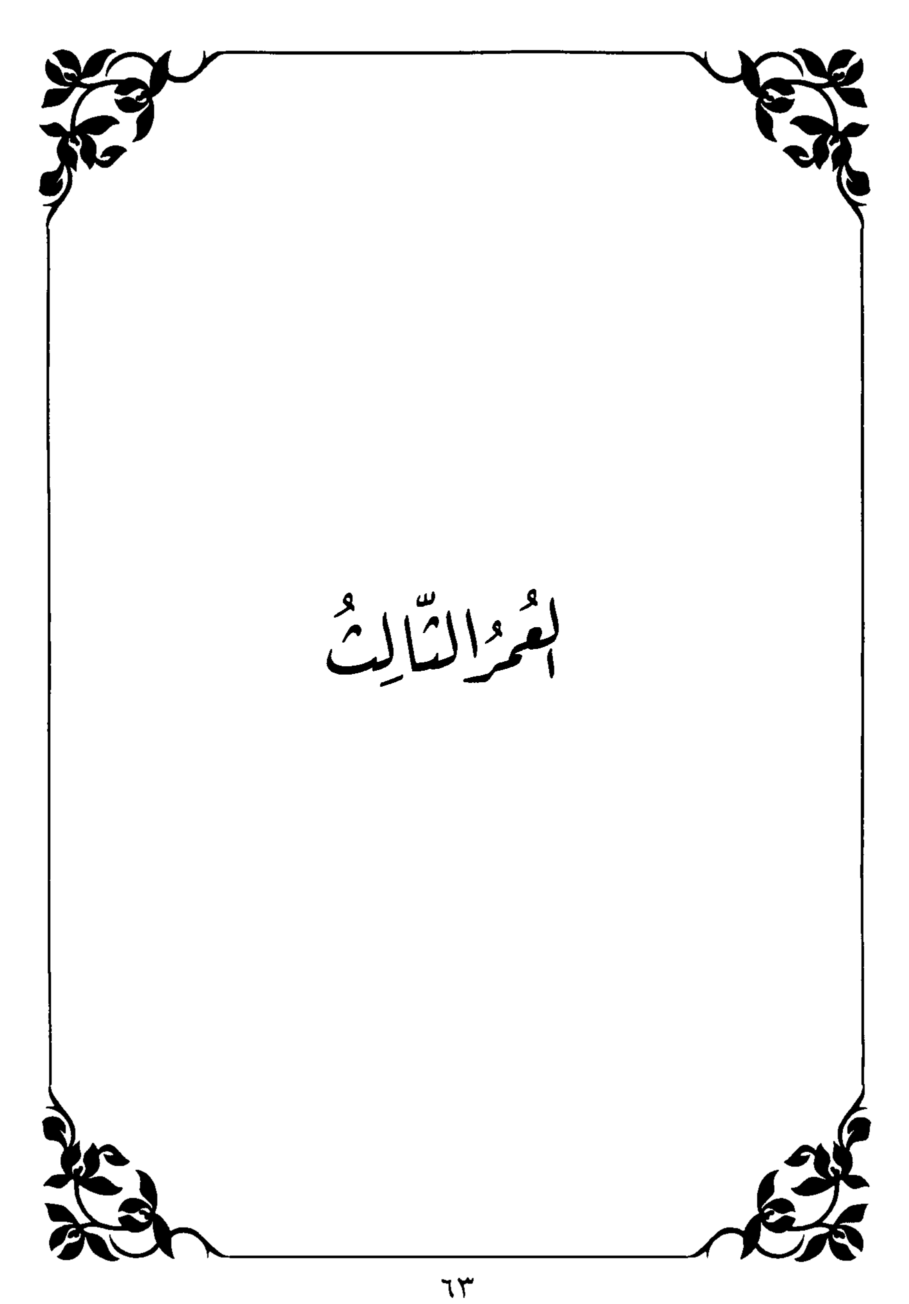
وقال عليه الصلاة والسلام : « يموت المرء علىٰ ما عاش عليه ، ويبعث علىٰ ما مات عليه » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا أراد الله بالعبد خيراً غَسَّلَهُ » ، قيل : وما غُسْلُهُ ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته » الحديث .

وقال عليه السلام ، وقد مُرَّ عليه بجنازة : « مستريح أَوْ مستراح منه » . قالوا : يا رسول الله : ما المستريح ؟ وما المستراح منه ؟ فقال : « العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلىٰ رحمة الله ، والفاجر يستريح منه العباد والبلاد ، والشجر والدواب » . وقال ﷺ لأبي ذر : « يا أبا ذر إن الدنيا سجن المؤمن ، والقبر أمنه ، والجنة مصيره ، يا أبا ذر إن الدنيا جنة الكافر ، والقبر عذابه ، والنار مصيره » .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ، ليلقىٰ ربه وهو حَسَنُ الظن به ، وإذا كان حَيّاً فخوفوه . وعن علي رضي الله عنه قال : إن المؤمن إذا مات بكىٰ عليه مصلاه من الأرض ، ومَصْعَدُ عمله من السماء ، ثم تلا : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان : ٤٤/ ٢٩] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من وافق موتُهُ عند انقضاء رمضان دخل الجنة ، ومن وافق موته عند انقضاء عرفة ، دخل الجنة ، ومن وافق موته عند انقضاء صدقته دخل الجنة » . وقال عليه السلام : « من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة ، أجير من عذاب القبر ، وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء » .





العُمرُ الثّالِثُ

العُمُر الثّالِث

وَهوَ مِنْ حين خُروج الإنسَان مِنَ الدُّنيَا بالموت إلى حِين يُبعَثُ مِن قَبرِهِ بالنّفخ في الصُّور

وهذا هو البرزخ . قال الله تعالى : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/ ١٠٠] .

فإذا مات العبد المسلم ، وتحقق موته . فينبغي الأخذ في تجهيزه إلى قبره ، بغسله وتكفينه ، والصلاة عليه ، وينبغي أن يراعىٰ فيه ذلك الاتباع ، والأخذ بما ورد في السنة النبوية .

وينبغي أن يُعْلَمَ بموته ، أهلُه وأقاربه وجيرانه وأصحابه ، وأهل الخير والصلاح ، ليدعوا له ، ويترحموا عليه ، ويشهدوا الصلاة على جنازته .

ويستحب لمن بلغه موت أخيه المسلم ، أن يقول بعد الاسترجاع : اللهم اجعل كتابه في عليين ، واكتبه عندك من المحسنين ، واخلفه في أهله في الغابرين ، واغفر لنا وله ، يا رب العالمين .

ويدعو له ويثني عليه بالخير ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « اذكروا محاسن موتاكم ، وكفوا عن مساويهم » .

وقال عليه السلام : « أنتم شهداء الله في الأرض ، فمن أثنيتم عليه خيراً ، كان كذلك » . الحديث بمعناه .

ولا ينبغي الإفراط في الثناء والمجازفة فيه بما يوقع في الكذب وما يقاربه .

ثم إن البرزخ منزل بين الدنيا والآخرة . وهو بالآخرة أشبه بل هو منها ، ولكنه موطن الغلبة فيه والظهور للأرواح ، وللأمور الروحانية ، والأجسامُ فيه تابعة ، ومندرجة في الأرواح وهي ـ أعني الأجسام ـ مشاركة للأرواح ، فيما هي فيه من نعيم وسرور ، أو عذاب وغموم .

والأرواح باقية ، وأما الأجسام فتبلىٰ وتتلاشىٰ ، لا يبقىٰ منها إلا عَجْبُ الذَنَب ، ومنه يُرَكَّبُ الخلق عند البعث ، كما ورد في الحديث .

وقد استُثني من ذلك أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإنهم أحياء في قبورهم ، وكذلك الشهداء في سبيل الله قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٦٩] .

وفي الأخبار الصحيحة : أن أرواحهم تكون في أجواف طير خضر ، تسرح في الجنة ، وتأوى إلى قناديل معلقة بالعرش . وورد أن نسمات المؤمنين تكون في طير بيض ، تعلف من ثمر الجنة .

وفي تشييع جنازة المسلم ، والصلاة عليه ، وحضور دفنه فضل وثواب كثير . وفي الحديث الصحيح : إنَّ من شيع جنازة مسلم حتى يُصَلَّىٰ عليها ، كان له قيراط من الأجر . فإن بقي معها ، حتى يحضر دفنها ، كان له قيراطان ، والقيراط مثل جبل أحد . الحديث .

وورد أن من شيع جنازة أخيه المسلم ، أمر الله الملائكة أن تشيع جنازته وتصلي عليه إذا مات .

وينبغي الإسراع بالميت وتعجيلُه إلى قبره . فقد قال عليه الصلاة والسلام : « إذا وُضِعَتِ الجنازة واحتملها الرجال فإن كانت صالحة قالت : قدموني قدموني ، وإن كانت غير صالحة قالت : **يا** ويلها إلى أين تذهبون بها ؟ » وقال عليه الصلاة والسلام : « أسرعوا بالجنازة ، فإن تكن صالحة فخير تقدمونها إليه . وإن تكن سوى ذلك ، فشر تضعونه عن رقابكم » .

وللميت شعور ومعرفة ، بمن يغسِّله ويكفنه ، ويُدْلِيْهِ في قبره . وقد ورد أن روحه بيد ملك ، يقف بها بالقرب منه ، ويمشي بها مع جنازته . وأنه يسمع ما يُثْنَىٰ به عليه من خير أو شر ، فإذا وضع الميت في قبره فمن المستحب أن يقول الذي يضعه فيه : باسم الله وعلى ملة رسول الله ، وأن يحثو من يدنو من القبر ثلاث حثيات ، ويقول مع الأولى : « منها خلقناكم » ومع الثانية : « وفيها نعيدكم » ومع الثالثة : « ومنها نخرجكم تارة أخرى » .

ويصب عليه التراب قليلاً قليلاً برفق ، فإذا سوي عليه التراب ، فينبغي أن يمكث عنده الحاضرون ساعة ، يتلون القرآن ، ويستغفرون للميت ، ويدعون له بالتثبيت ، فإنه حينئذ يُسْأَلُ كما في الحديث ، أي يسأله الملكان : منكر ونكير ، اللذان هما فتّانا القبر ، يسألان الميت بعدما يدفن على الأَثَر : مَن ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

فمن ثبته الله قال : الله ربي ، والإسلام ديني ، ومحمد نبيي . ومن أزاغه الله حار وتردد ، على وفق ما كان عليه في الدنيا ، من الشك والزيغ والإضاعة لأمر الله ، وارتكاب محارمه ، فيقول : هاه ، هاه . لا أدري . كما ورد في الأحاديث الصحيحة ، فعند ذلك يضربانه ، ويضيق عليه قبره ، ويُمْلأُ عليه عذاباً .

وأما المؤمن المُثَبَّتُ ، المستقيم على الإيمان والطاعة في حياته ، فإنهما يبشرانه ويُوَسَّعُ له في قبره ، ويُمْلأُ عليه نوراً ونعيماً ، وتحيط به أعماله الصالحة ، من الصلاة والصدقة والصيام ، وقراءة القرآن ، وذكر الله تعالى ، فيدفعن عنه ما يقصده من المخاوف والأهوال .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « القبر إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه » .

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه ، إذا حضر القبر يبكي ، حتى تبتل لحيته ، فقيل له : إنك تذكر الجنة والنار ، فلا تبكي هذا البكاء ، فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه صاحبه ، فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه ، فما بعده أشد منه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن للقبر ضغطةً ، ولو نجا أحد منها لَنجا سعد بن معاذ ، وهو الذي اهتز لموته عرش الرحمن » .

ويقال : إن أكثر عذاب القبر من ثلاثة أشياء : الغيبة والنميمة ، وقلة التحفظ من البول ، وفي الحديث : « عامة عذاب القبر من البول » . وحديث الرجلين اللذين سمعهما ﷺ ، يعذبان في قبريهما وأمر بجريدة من النخل ، فجُعِلَتْ على قبريهما ، وقال : « لعله يُخَفَّفُ عنهما ما دامتا رطبتين ، وأنهما يعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستبرىء من البول » ، الحديث . وهو حديث صحيح مشهور .

وكان ﷺ يكثر الاستعاذة من عذاب القبر ، وأمر بها في الدعاء الذي بعد التشهد من كل صلاة ، وفي أذكار المساء والصباح . فعذاب القبر حق ، ونعيمه كذلك .

فالنعيم في القبر لأهل الإيمان والطاعة ، والعذاب في القبر

لأهل الكفر والنفاق والفجور والمعصية . وكُلٌّ من الفريقين يتفاوتون في النعيم والعذاب ، تفاوتاً كثيراً ، على حَسَب تفاوتهم فيما كانوا عليه في الدنيا ، من موجبات النعيم والثواب ، أو موجبات العذاب والعقاب .

غير أن تعلق نعيم القبر أو عذابه بالأرواح ، ووقوعه عليها ، أكثر وأظهر من تعلقه بالأجسام ، ووقوعه عليها ، مع أنهما أعني الروح والجسم ، يشتركان في نعيم القبر أو عذابه .

وفي المسألة إشكال واختلاف ، والحق فيها ما ذكرناه ، من اشتراك الروح والجسد في نعيم القبر أو عذابه إن شاء الله تعالى .

ومما ينفع الله به الميت في قبره ، ويدفع به عنه ، الدعاء له ، والاستغفار ، والتصدق عنه . وقد وردت في ذلك الأخبار والآثار الكثيرة ورُئِيَتْ فيه المنامات الصالحة عن الصالحين والأخيار .

وفي الحديث : إن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ : إن أمي انفلتت نفسها ، ولو تكلمَتْ لتصدقَتْ ، فهل ينفعها أن أتصدق عنها ؟ فقال عليه السلام : « نعم » . فحفر بئراً وقال : هذه عن أم سعد . الحديث .

وقال رجل : يا رسول الله إن أبويَّ قد ماتا ، فهل بقي شيء أَبَرُّهُما به ؟ قال : « أربع : الدعاءُ لهما والاستغفار ، وإنفاذُ

عهدهما ، وبِرُّ أصدقائهما ، وصلةُ الرحم التي لا توصل إلا بواسطتهما » .

وروي عنه عليه الصلاة والسلام : « لولا الأحياء لهلكت الأموات » . أي لِمَا يصل إليهم ، من دعائهم ، واستغفارهم ، والترحم عليهم . وقال عليه السلام : « أمتي أمة مرحومة ، تدخل قبورها بذنوب كالجبال ، وتخرج من القبور ، وقد غُفر لها باستغفار الأحياء للأموات » . الحديث .

ويروىٰ أن هدايا الأحياء للأموات ، من صدقات ، والدعاء ، وقراءة القرآن تأتيهم بها الملائكة في أطباق من نور ، مخمرة بمناديلَ من سندس ، وتقول لأحدهم : هذه الهدية بعث بها إليك فلان ، فيسره ذلك ويفرح به .

وبلغنا أنه رُئِيَ بعض الموتىٰ في المنام فسئل عن حاله ، فقال : استقبلني ملك بشهاب من نار ليحرق به وجهي ، فقال فلان من الأحياء : رحم الله فلاناً ، فطُفِىءَ ذلك الشهاب .

ومن أعظم ما يُهْدَىٰ إلى الموتىٰ بركة وأكثر نفعاً ، قراءةُ القرآن العظيم ، وإهداءُ ثوابه إليهم .

وقد أطْبَقَ على العمل بذلك المسلمون ، في الأعصار والأمصار ، وقال به الجماهير من العلماء والصالحين ، سلفاً وخلفاً ، ورُوِيَتْ فيه أحاديث غير أنها ضعيفة ، كما قال الحافظ السيوطي رحمه الله ، والأحاديث الضعيفة يُعمَل بها في فضائل

الأعمال وذلك منها ، أي من الفضائل .

ومن أنفع ما يهدىٰ للموتىٰ من القرآن ، وكل القرآن نافع مبارك ، إحدىٰ عشرة من سورة الإِخلاص المعظمة . وقد رُئِيَ في ذلك منامات مباركة .

فينبغي للإِنسان أن يقرأ هذا العدد ، من هذه السورة الشريفة ، إما كل ليلة أو كل يوم ، أو أكثر من ذلك ، أو أقل ، ولو في كل ليلة جمعة ، ويهدي ثواب ذلك لوالديه ومشايخه وذوي الحقوق عليه .

ولا ينسىٰ موتاه من دعائه واستغفاره وصدقاته فينساه مَنْ بَعْدَه إذا مات وصار إلى ما صار إليه مَنْ قَبْلَه ؛ فإنَّ من ذَكَرَ ذُكِر ، ومن نَسِيَ نُسِي ، والبِرُّ سلف ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

واعلم أن زيارة القبور أمر مندوب إليه ، وقد أذن فيها رسول الله ﷺ بعد ما نهىٰ عنها ، وفيها منافع وفوائد للحي الزائر ، وللميت المزور . قال عليه السلام : « زوروا القبور فإنها تُذَكِّرُ الموت » ، وقال عليه السلام : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ، فإنها تُزَهِّدُ في الدنيا ، وتُذَكِّر الآخرة » .

وقال عليه السلام : « ما من رجل يزور قبر أخيه ، ويجلس إليه إلا استأنس به ورُدَّتْ عليه روحه حتىٰ يقوم » ، وقال عليه

الصلاةُ السلام : « آنَسُ ما يكون الميت في قبره ، إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا » .

فينبغي للزائر إذا دخل المقبرة أو مرّ بها أن يقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، غداً مُؤَجَّلُون ، وأتاكم ما توعدون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . أنتم لنا سلف ، ونحن لكم تبع . أسأل الله لنا ولكم العافية . اللهم اغفر لنا ولهم .

ويتأكد ندباً الزيارة ليلةَ الجمعة ويومَها ، وكذلك ليلة السبت إلى طلوع الشمس من يومه ، وكذلك يوم الاثنين ، فإنه يقال : إن أرواح الموتىٰ ترجع إلى قبورهم في هذه الأوقات ، وقد ورد في ذلك آثار .

وينبغي للزائر للقبور ، أن يُكْثِرَ لهم في حال زيارته إياهم من الاستغفار والدعاء والترحم عليهم ، ويقرأ ما تيسّر من القرآن ، ويُهْدِي ثوابه إليهم ، وأن يعتبر ويتعظ بهم ، ويتذكّر أنه عن قريب صائر إلى مثل ما صاروا إليه .

وإذا أتىٰ قبر والديه وأقربائه وذوي الحقوق عليه ، فينبغي له أن يطمئن عندهم ويستكثر من الاستغفار والدعاء لهم ؛ فإنهم يفرحون بذلك ، ويُسَرُّون به .

وكذلك إذا زار قبور الصالحين ، فيكثر من الدعاء عندها ، فإن منهم من يكون الدعاء عند قبره مستجاباً ، وقد جُرِّبَ ذلك ، حتىٰ إن أهل بغداد يسمون قبر السيد الإمام موسى الكاظم ابن

الإمام جعفر الصادق ، « الترياق المجرب » ، أي لاستجابة الدعوات ، وانكشاف المهمات . وكذلك قبر معروف الكرخي ، سمي لذلك ، وهو ببغداد أيضاً .

ومن السادة آل أبي علوي ، من كان يجلس عند قبر سيدنا الفقيه المقدم ، الجلوس الطويل ، وهو في حر الشمس ، بحيث لو عصرت ثيابه من كثرة العرق لخرج منها ، وهو لا يشعر بذلك من كثرة الاستغراق في الدعاء ، نقل ذلك عن الشيخ عبد الله بن علوي وغيره .

وأما التمسح بالقبور ، والتقبيل لها فغير مستحب بل هو مكروه ، وأشد كراهة منه الطواف بها .

وذكر بعضهم : أنه إذا لم يمكن للزائر الوقوف تجاه وجه الميت ، كان الوقوف جهة رأسه أولى ، وزعم أن الميت يشعر بالواقف تجاه وجهه ، أكثر من شعوره به إذا وقف في جهة رأسه أو غيرها . والله أعلم .

واعلم أن أعمال الأحياء تعرض على الموتىٰ ، من أهليهم وأقاربهم ، فإن رأوا خيراً فرحوا به واستبشروا ، ودعوا لهم بالتثبيت والاستقامة . وإن رأوا غير ذلك حزنوا وساءهم ما رأوه ، ودعوا لهم بالهداية والتوفيق للخير والعمل الصالح .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيراً استبشروا ، وإن

كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله تعالى ، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم ، وتزداد وجوههم نوراً وإشراقاً ، فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم » .

خاتمة هٰذا العُمُر

في أشياء تتعلّق بما تقدَّم، وتتّصل به

اعلم أن الخلق يجتمعون في البرزخ ، في الوقت الذي بين النفختين ، لأنه لا يبقىٰ في ذلك الوقت من الخلائق ، إلا من لا يموت . قال الله تعالىٰ : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر : ٣٩/٦٨] .

وهذه هي النفخة الأولىٰ ، التي يموت بها كل حي من المخلوقين ، ولا يبقىٰ إلا الله الحي القيوم الذي لا يموت ، وهذه هي القيامة الأولىٰ ، وبعدها تكون القيامة الثانية التي يحيا بها كل ميت بإذن الله تعالىٰ ، وذلك قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر : ٣٩/٦٨] وبين النفختين أربعون سنة .

وأما الذين استثناهم الله في قوله : ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل : ٢٧/٨٧] فقد اختلفت فيهم أقوال المفسرين فقيل : هم الملائكة . وقيل : الأنبياء . وقيل : الشهداء ، ورجح هذا القول وقيل غير ذلك .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يخرج الدجال في أمتي ، فيمكث أربعين ، قال الراوي : لا أدري أربعين يوماً أو أربعين

شهراً أو أربعين عاماً ، فيبعث الله عيسىٰ بْنَ مريم عليه الصلاة والسلام ، كأنه عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه ، فيطلبه فيهلكه .

ثم يمكث الناس سبع سنين ، ليس بين اثنين عداوة .

ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام ، فلا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير ، أو قال : إيمان ، إلا قبضته ، حتىٰ لو أن أحدكم دخل في كبد جبل ، لدخلت عليه ، حتىٰ تقبضه فيبقىٰ شرار الناس في خفة الطير ، وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفاً ، ولا يُنْكِرُون منكراً ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستحيون ! فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم .

ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد ، إلا أصغىٰ لِيتا ورفع ليتا . فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله ، قال : فيصعق الناس . قال : ثم يرسل الله ، أي ينزل الله مطراً كأنه الطل ، فتنبت منه أجساد الناس .

ثم ينفخ فيه أخرىٰ ، فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس هلموا إلىٰ ربكم . وقفوهم إنهم مسئولون .

ثم يقال : أخرجوا بعث النار ، فيقال : من كَم كَم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، قال : فذلك يوماً يجعل الولدانَ شيباً » ، وذلك « يوم يكشف عن ساق » .

اللِّيت : صفحة العنق ، ويلوط حوضا إبله : أي يطينه ويصلحه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تقوم الساعة علىٰ أحد يقول : لا إِلٰه إِلاَّ الله » . وفي حديث آخر : « فيبقىٰ شرار يتهارجون فيها تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟! » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يطوي الله السمٰوات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنىٰ ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرض بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » .

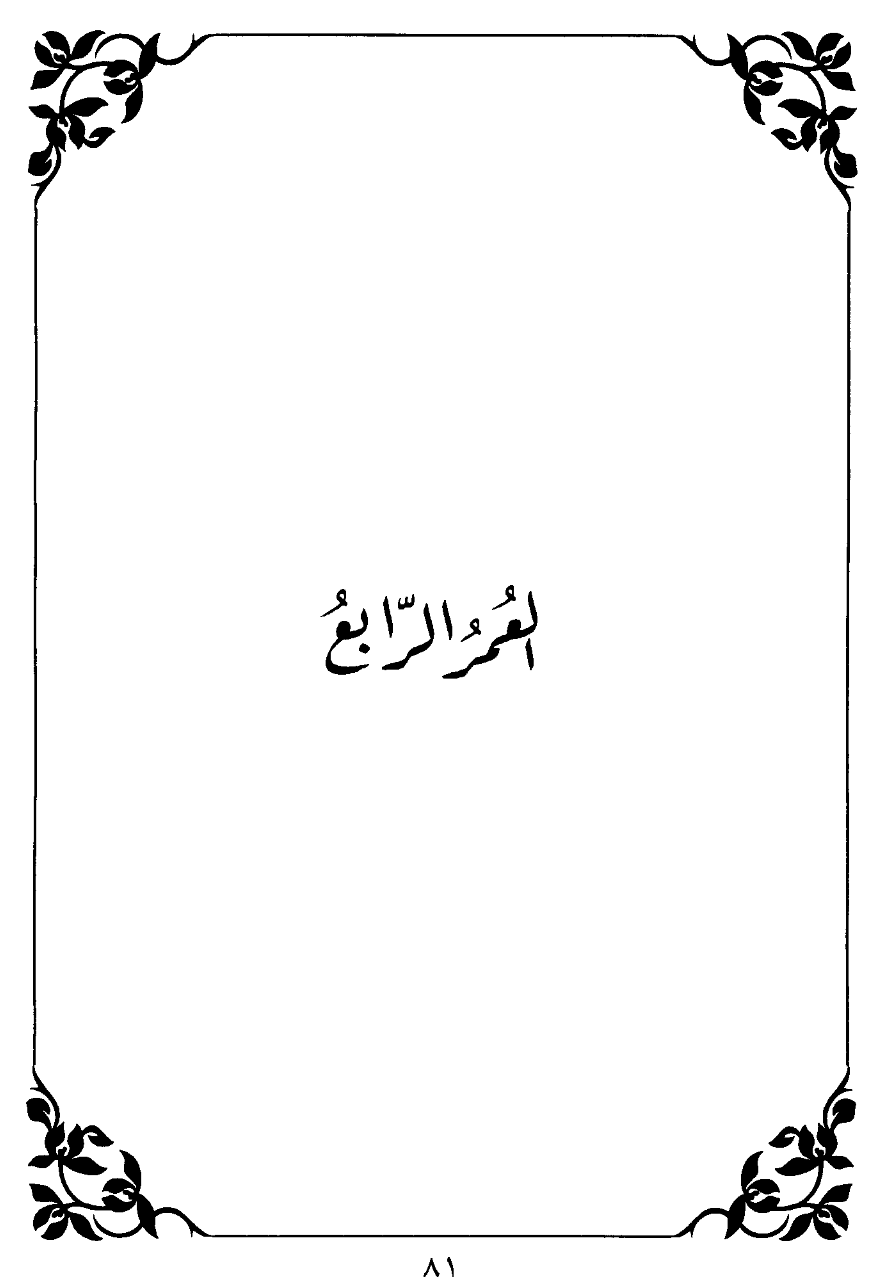
وقال عليه الصلاة والسلام : « يُدْرَسُ الإِسلام كما يدرس الثوب ، حتىٰ لا يُدْرَىٰ ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويُسْرَىٰ بكتاب الله تعالىٰ في ليلة ، فلا يبقىٰ في الأرض آية ، ويبقىٰ طوائف من الناس منهم الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا علىٰ هذه الكلمة لا إلٰه إلا الله ، فنحن نقولها » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إنكم لا ترون الساعة حتىٰ ترون قبلها عشر آيات ، أولها طلوع الشمس من مغربها ، ثم الدخان ، ثم الدجال ، ثم الدابة ، ثم ثلاثة خسوف : خسف

بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وخروج عيسىٰ ، وخروج يأجوج ومأجوج ، ويكون آخر ذلك ناراً تخرج من اليمن من قعر عدن » .

واعلم أن وقت مجيء الساعة أمر تفرد الله تعالىٰ بعلمه ، فليس يعلمه إلا هو ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ** ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٨٧] . وقال تعالىٰ : ﴿ **وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ** ﴾ [الزخرف : ٤٣/ ٨٥] .

وإنما يتعلق علم الخلائق بأماراتها وأشراطها التي تدل علىٰ اقترابها ، وهي كثيرة جاءت بها الأحاديث الصحيحة ، وقد ظهر الكثير منها ، ولم يبق فيما يظهر إلا الآيات العامة منها ، مثل طلوع الشمس من مغربها ، والدجال لعنه الله ، ودابة الأرض ، ونزول عيسىٰ عليه السلام وأمثال ذلك .



العُمُرُ الرَّابِعُ

العُمُر الرَّابِع

وَهوَ مِنْ حِينِ خُروجِ الإنسَانِ مِن قَبْرِهِ للبَعْثِ وَالنّشُور إلىٰ حِين دُخول أهل الجنَّةِ في الجنَّةِ ، وَدُخول أهل النَّار في النَّار

وذلك أنه يأمر الله عز وجل إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصور النفخة الثانية . قال الله تعالىٰ : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يسٓ : ٣٦/ ٥١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر : ٣٩/٦٨] وقال تعالىٰ : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن : ٦٤/ ٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣١/ ٢٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت : ٢٩/ ١٩ ـ ٢٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي

ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج : ٢٢/٦ ـ ٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت : ٤١/٣٩] .

وقال تعالىٰ ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يسۤ : ٣٦/٧٨ ـ ٧٩] .

وعن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق ، وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : « أوَ ما مررت بوادي قومك جَدْباً ، ثم مررت به يهتز خَضِراً ؟ » قال : نعم . قال : « فتلك آيته في خلقه » .

وذكر القرطبي ـ رحمه الله ـ في كتاب « التذكرة » ، في حديث طويل ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال :

حدثنا رسول الله ﷺ ، ونحن في طائفة من أصحابه ، وساق الحديث بطوله ، إلىٰ قوله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه : ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨ ﴾ [إبراهيم : ١٤/٤٨] ، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم : ١٤/٤٨] فيبسطها بسطاً ، ثم يمدها مد الأديم العكاظي ، لا ترىٰ فيه عوجاً ولا أمتاً .

ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة ، فإذا هم في الأرض المبدلة ، في مثل ما كانوا فيه من الأول . من كان في بطنها كان

في بطنها ، ومن كان علىٰ ظهرها كان علىٰ ظهرها .

ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش يقال له : الحيوان فتمطر السماء عليكم أربعين يوماً ، حتىٰ يكون الماء من فوقكم اثني عشر ذراعاً .

ثم يأمر الله بالأجساد فتنبت كنبات الطراثيث ، وكنبات البقل ، حتىٰ إذا تكاملت أجسادكم ، فكانت كما كانت ، يقول الله تعالىٰ : لِيَحْيَىٰ حملة العرش ، فيحيون .

ثم يقول : ليحيىٰ جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فيأمر الله إسرافيل ، فيأخذ الصور ، ثم يدعو الله تعالىٰ الأرواح فيؤتَىٰ بها تتوهج أرواح المسلمين نوراً ، والأخرىٰ مظلمة فيأخذها الله فيلقيها في الصور .

ثم يقول لإسرافيل : انفخ نفخة البعث ، فينفخ فتخرج الأرواح كأمثال النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض ، فيقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي ، لَيَرْجِعَنَّ كل روح إلىٰ جسده ، فتدخل الأرواح في الأرض إلىٰ الأجساد ، ثم تدخل في الخياشيم ، فتمشي في الأجساد مشي السُّمِّ في اللديغ .

ثم تنشق الأرض عنكم . وأنا أول من تنشق الأرض عنه ، فتخرجون منها شباباً أبناء ثلاث وثلاثين . واللسان يومئذ بالسريانية ، سراعاً ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يسٓ : ٣٦/٥١] ، ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾[القمر : ٥٤/٨] ، ﴿ ذَٰلِكَ

﴿ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ [ق : ٥٠/٤٢] ، ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١٨/٤٧] الحديث .

والصُّوْر : قرن عظيم من نور ، لا يعلم قدر عِظَمِهِ إلا الله تعالىٰ ، والطراثيث ، جمع طرثوث ، نبات يؤكل .

وفي الحديث : « إنَّه يَبْلَىٰ من الإنسان كل شيء إلا عظماً واحداً ، وهو عَجْبُ الذَّنَب ، ومنه يُرَكَّبُ الخلق » ، وعجب الذنب عظم صغير جداً في آخر الصلب .

فإذا أراد الله جلت قدرته أن يبعث الخلق أمطر السماء مطراً غزيراً ، يشبه مني الرجال ، فَيَنْبُتُوْنَ من حيث دُفِنوا ، كما ينبت الزرع ، ثم يبعث الله إسرافيل عليه السلام ، ويأمره أن ينفخ في الصور نفخة البعث ، فترجع الأرواح إلىٰ أجسادها فَيَحْيَوْنَ بإذن الله تعالىٰ ، وَيُنْشَرُون ، وتنشق عنهم الأرض ، وتُبَعْثَرُ القبور ، ثم تُحْشَرُ الأجساد والأرواح إلىٰ الله تعالىٰ ، إلىٰ موقف القيامة .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف : ١٨/٤٧ ـ ٤٨] الآيات . وقال تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [ق : ٥٠/٤٤] .

وقال رسول الله ﷺ : « يموت المرء علىٰ ما عاش عليه ،

ويبعث علىٰ ما مات عليه » ، وقال ﷺ : « يحشر الناس حُفاة عُراة غُرْلاً ، النساء مختلطات بالرجال » ، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: واسوأتاه ! ينظر بعضهم إلىٰ بعض ! فقال ﷺ : الأمر أشد من أن يهمهم ذلك .

وقال ﷺ : « يحشر الناس أَجْوَعَ ما كانوا قط ، وأعطش ما كانوا قط ، وأعرىٰ ما كانوا قط ، وأَنْصَبَ ما كانوا قط ، فمن أطعم لله أطعمه الله ، ومن سقىٰ لله سقاه الله ، ومن كسا لله كساه الله ، ومن عمل لله كفاه الله ، فإذا خرجوا من قبورهم ، أُمروا بالمسير إلىٰ أرض المحشر ، ويقال : إنها الأرض المباركة والأرض المقدسة بالشام ، فتسوقهم الملائكة إليها » .

وقد ورد أن الله عز وجل يبعث ناراً من قعر عدن ، فتسوق الناس إلىٰ أرض المحشر ، وقيل : من برهوت وادٍ أسفلَ حضرموت ، فتسير تلك النار معهم حيث ساروا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتمسي معهم حيث أمسوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، ويكون سيرها كسير الإبل ، وتتمثل للناس عند ذلك أعمالهم من صالح ، فيتبع صاحبه ، ويؤنسه ويكون معه ، ومن سيء عمله فيوحشه ويوبخه ، وربما ركبه وكلفه أن يحمله علىٰ ظهره ، قال الله تعالىٰ : ﴿ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام : ٦/ ٣١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت : ٢٩/ ١٣] .

ويجيء مع كل إنسان حفظته من الملائكة الذين كانوا يحفظون عليه عمله في حياته الدنيا .

قال الله تعالىٰ : ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق : ٥٠/ ٢١] .

وتظهر علىٰ المجرمين دلالة أعمالهم السيئة التي كانوا عملوها في الدنيا ، وماتوا ولم يتوبوا منها إلىٰ ربهم تعالىٰ .

حتى ورد أن أَكَلَةَ الربا ، تعظم بطونهم جداً ، فيقومون تارة ، ويقعون أخرىٰ من عظم بطونهم ، وأن الزناة تعظم فروجهم ، حتىٰ يسحبونها علىٰ الأرض ، وشَرَبَةَ الخمرِ يحشرون وَكُئُوْسُها في أيديهم ، وأهلَ الكذب والغيبة والنميمة تطول ألسنتهم حتىٰ تبلغ صدورهم ، ومانعي الزكاة تتمثل لهم أموالهم في صُوَرِ حَيَّاتٍ هائلة ، يُطَوَّقُونَ بها .

ويحشر المتكبرون على الناس في صور الذر ، يَطَؤُهم البر والفاجر ، إلى غير ذلك .

قال الله تعالىٰ : ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن : ٥٥/ ٤١] .

وفي الحديث : « إن الناس يحشرون على ثلاث طوائف : رُكْبان ، ومشاة على أقدامهم ، وعلى وجوههم » . قال عليه

الصلاة والسلام : « إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يُمْشِيَهُم على وجوههم » .

وروي من حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت ، يا رسول الله ، أرأيت قول الله عز وجل : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ : ٧٨/١٨] فقال النبي ﷺ : « يا معاذ بن جبل ! لقد سألت عن أمر عظيم . ثم أرسل عينيه بالبكاء ، ثم قال : يُحشر عَشَرَةُ أصناف من أمتي أشتاتاً ، قد ميزهم الله من جماعات المسلمين ، وبَدَّل صورهم ، فمنهم على صورة القردة ، وبعضهم على صورة الخنزير ، وبعضهم مُنَكَّسون أرجلهم أعلاهم ، ووجوههم يُسْحَبون عليها . وبعضهم عُمْي يترددون ، وبعضهم صم بكم لا يعقلون ، وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم ، يسيل القيح من أفواههم لعاباً ، يقذرهم أهل الجمع ، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم ، وبعضهم مُصَلَّبون على جذوع من النار ، وبعضهم أشد نتناً من الجيفة ، وبعضهم يلبسون جلاليب سابغة من القطران .

فأما الذين على صورة القردة فالقتّات من الناس يعني النمام . وأما الذين على صورة الخنازير ، فأهل السحت والحرام والمكس . وأما المنكسون على رُءُوْسهم ووجوههم فأكلة الربا . وأما العُمي ، فمن يجور في الحكم ، وأما الصم البُكم ، فالذين يعجبون بأعمالهم . وأما الذين يمضغون

ألسنتهم ، فالعلماء والقضاة الذين يخالف قولهم فعلهم ، وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم ، فالذين يؤذون الجيران . وأما المصلبون على جذوع من النار ، فالسعاة بالناس إلى السلاطين . وأما الذين أشد نتناً من الجيفة ، فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ، ويمنعون حق الله من أموالهم ، وأما الذين يلبسون الجلابيب ، فأهل الكبر والفخر والخيلاء » . انتهى . ذكر هذا الحديث القرطبي ، ـ رحمه الله ـ في « التذكرة » .

وقال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس على أرض بيضاء عَفْرَاء كقرص النَّقِيِّ ، ليس فيها علم لأحد » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يحشر الناس في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر » الحديث .

وذلك هو موقف القيامة ، فإذا اجتمع فيه الخلائق ، من الجن والإنس والشياطين والبهائم والوحوش والسباع ، ثم تنزلت الملائكة عليهم السلام بأمر الله ، وأحاطوا بأهل الجمع ، صفاً خلف صف ، فلا يستطيع المجرمون والظالمون هرباً ولا فراراً ، ولا يجدون إلى ذلك سبيلاً قال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ إلى قوله تعالىٰ : ﴿ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٥/ ٣٣ـ٣٥] .

ويزدحم أهل الموقف ، ويموج بعضهم في بعض ، وتدنوا

الشمس من رُءُوْسهم حتى تكون على قدر مِيل .

قال الراوي : لا أدري أهو مِيل المسافة من الأرض ، أو الميل الذي يُكْتَحَلُ به . فحينئذ ينزل بالناس من الكرب والحر والعطش ، ما لا يعلمه إلا الله ، ويبلغ منهم مبلغاً عظيماً ، ويعرق الناس ، حتى يذهب عرقهم في الأرض أربعين ذراعاً .

قال عليه الصلاة والسلام : « تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة ، فيعرق الناس ، فمن الناس من يبلغ عرقه كعبيه ، ومنهم من يبلغ نصف ساقيه ، ومنهم من يبلغ ركبتيه ، ومنهم من يبلغ فخذيه ، ومنهم من يبلغ خاصرته ، ومنهم من يبلغ فاه ، وأشار بيده فألجمها فاه ، ومنهم من يغطيه عرقه ، ومر بيده على رأسه ﷺ هكذا » .

وقال ﷺ : « المرء في ظل صدقته يوم القيامة » . وقال ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » . معنىً في ظله : أي في ظل عرشه .

وقال ﷺ : « من أنظر معسراً أو وضع له ، أظله الله في

ظله » وقال ﷺ : « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١/٨١] و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ [الانفطار : ١/٨٢] و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق : ١/٨٤] » .

فإذا طال الوقوف على أهل الموقف ، وعظم الكرب عليهم ، تشاوروا فيما بينهم ، فيمن يأتونه فيشفع لهم إلى ربهم ، في أن يفصل بينهم ، ويريحهم مما هم فيه . فيأتون إلى آدم عليه السلام ، فيحيلهم على نوح عليه السلام ، ويحيلهم نوح على إبراهيم عليه السلام ، ويحيلهم إبراهيم على موسى عليه السلام ، ويحيلهم موسى على عيسى عليه السلام ، ويحيلهم عيسى على محمد ﷺ ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « أنا لها ، أنا لها » ، ويذهب إلى ربه ، فيستأذن ثم يسجد له ويحمده ، ثم يؤمر بأن يرفع رأسه ، وأن يشفع فَيُشَفَّعَ .

والأحاديث في ذلك كثيرة صحيحة ومشهورة . ويقال : إن ذلك هو المقام المحمود ، الذي يغبطه فيه الأولون والآخِرون . قال تعالىٰ : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ١٧/ ٧٩] .

وبَلَغَنا أن أطفال المسلمين ، الذين ماتوا قبل أن يبلغوا الحُلُم ، يُؤْذَنُ لهم أن يسقوا آباءهم فيتخللون الجمع لطلب آبائهم ، ليسقوهم ، وبالناس من العطش ما لا مزيد عليه .

حتىٰ أَنَّ بعض الصالحين كان قد عزم على ترك الزواج ، فرأىٰ في منامه أنه في موقف القيامة ، وبه من العطش ما يجل عن الوصف ، ورأىٰ أطفالاً وبأيديهم آنية وفيها الماء ، وهم يسقون أحداً ، ويَدَعون أحداً . فاستسقاهم فقالوا : إنما نسقي آباءنا ، فلما أصبح طلب التزوج على رجاء أن يرزقه الله ولداً ، فيموت في حال طفولته ، ليكون ممن يُسقىٰ في ذلك الموقف العظيمِ كَرْبُهُ وأهواله . نسأل الله اللطف والعافية بفضله . آمين .

ويشتد الكرب ، وتعظم الأهوال على أهل الموقف ، حتىٰ بلغنا أن الكافر يقول : رب أرحني ولو إلى النار .

فإذا شفع رسول الله ﷺ إلى ربه ، في أن يفصل بين عباده ، ويريحهم مما هم فيه ، أمر الله الملائكة الذين هم حملة العرش العظيم ، فيحملون عرش الرحمن إلى الموقف ، ويُجاءُ بالجنة فتُجْعَلَ عن يمين العرش ، ويؤمر بالنار ـ أعاذنا الله منها ـ فتُجْعَلَ على يسار العرش ، وتعرض الخلائق على الله تعالىٰ للحساب .

فمنهم من لا يحاسب ، وهم السابقون ، ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً ، ومنهم من يناقش في الحساب ، ومن نوقش الحساب عُذِّب . ويُعطىٰ الناس كتبهم بأيمانهم ، وبشمائلهم ، ومن وراء ظهورهم .

ويسأل الله تعالىٰ المرسلين عن تبليغ الرسالة إلى أممهم . ويسأل الأمم : هل بلغهم المرسلون ما أرسلوا به إليهم ؟ قال

الله تعالىٰ : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ٦ـ٧] . وحينئذ تبيض وجوه وتسود وجوه . قال الله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ إلى قوله تعالىٰ : ﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٦ـ١٠٧] .

وما من أحد إلا ويوقفه الله بين يديه ، فيسأله عن عمله . قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله كفاحاً ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه ، فلا يرىٰ إلا ما قدم ، وينظر شماله ، فلا يرىٰ إلا ما قدم ، وينظر بين يديه ، فلا يرىٰ إلا النار تلقاء وجهه . فاتقوا النار ولو بشق تمرة » .

وقال ﷺ : « لا تزول قدما عبد حتىٰ يُسأل عن أربع : عن شبابه فيما أبلاه ؟ وعن عمره فيما أفناه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيما أنفقه ؟ » وفي رواية : « وعن علمه فيما عمل فيه ؟ » .

وفي ذلك الموطن ، تشهد على الناس ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وجلودهم بما عملوا بها . وفي بعض وجوه التفسير : أن الجلود هي الفروج . قال الله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور : ٢٤/ ٢٤] وقال تعالىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يسٓ : ٣٦/ ٦٥] وقال تعالىٰ : ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ

﴿ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [فصلت : ٤١/٢١] .

وكذلك تشهد بقاع الأرض بما عملوا عليها من خير أو شر قال الله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الزلزلة : ٩٩/٤] قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما أخبارها ؟ هو أن تشهد على كل عبد أو أَمَة بما عمل عليها ، فتقول : عمل كذا في يوم كذا » . الحديث .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : « يدني الله العبد المؤمن ، حتىٰ يضع عليه كَنَفَهُ ، فيقرِّره بذنوبه ، حتىٰ إذا خاف أنه قد هلك . قال له سبحانه : قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم » . ثم إن يوم القيامة وإن كان كما وُصِفَ من الطول والشدة ، فقد يهونه الله ، ويخففه على المؤمن التقي ، حتىٰ يكون كمقدار الصلاة المكتوبة يصليها . وفي رواية : « كمقدار ما بين الظهر والعصر » . كذلك ورد في الحديث .

ومن أشد المواطن كربا على أهل الموقف ، حين يأمر الله بالنار ، فيؤتىٰ بها تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك ، فإذا دنت من أهل الموقف ، سمعوا لها زفيراً وشهيقاً ، وزمجرة وأصواتاً مزعجة هائلة ، فعند ذلك يجثو الخلائق على الركب ، ويشفق الأنبياء ، ويخاف البُرآء ، حتىٰ

إن كلا من الرسل الكرام ، عليهم السلام يقول : يا رب نفسي نفسي ، لا أسألك غيرها ، إلا رسول الله ﷺ ، فإنه لا يزال يقول : « أمتي أمتي » .

ويروىٰ : « أنه يتقدم إلى النار فيزجرها عن الخلائق ، وأنها تؤمر بأن تطيع له ، فتعود إلى الانقياد على الملائكة الآخذين بأَزِمَّتها ، حتىٰ يجعلوها بأمر الله ، عن يسار عرش الله » كما تقدم .

ويحرر الحساب ويُقْتصُّ حتىٰ فيما بين البهائم . كما ورد : « أَنَّه يقاد للشاة الجماء من القرناء » .

وورد أن الله تعالىٰ إذا اقتص للبهائم بعضها من بعض ، يقول لها : كوني ترابا وعند ذلك يقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً ، كما في الآية الكريمة .

ثم ينصب الميزان لوزن الأعمال . قال الله تعالىٰ : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢١/٤٧] . وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٧/٨ ـ ٩] .

فتوزن الحسنات والسيئات . فمن رجحت حسناته على سيئاته فاز وسعد ، ومن رجحت سيئاته على حسناته خاب

وخسر ، ومن استوت حسناته وسيئاته ، فقيل : يوقف على الأعراف بين الجنة والنار، ثم يصير إلى الجنة برحمة الله تعالى .

وورد أن ملكاً واقف على الميزان . فإذا رجح ميزان العبد ، نادىٰ : ألا إن فلان بن فلان رجح ميزانه ، وسعد سعادة لا يشقىٰ بعدها أبداً . وإذا خف ميزان العبد ، نادى : ألا إن فلان بن فلان خف ميزانه ، وشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً .

وحديث صاحب التسعة والتسعين سجلاً من الخطايا . وهو من هذه الأمة . مشهور .

وينصب الصراط على متن جهنم ، ويؤمر الناس بالجواز عليه . وقد ورد أنه أحدُّ من السيف ، وأدق من الشعر . فيجوز الناس بأعمالهم . فمن كان أكمل إيماناً وأسرع في طاعة الله ، خف على الصراط ، وجاز كالبرق الخاطف ، وكالريح وكالطير ، وكأجود الخيل والرِّكاب ، وكأشد رجل تجري بهم أعمالهم . ومنهم من يحبو ، ومنهم من يزحف ، ومنهم من تلفحه النار ، ومنهم من يقع فيها .

وأول من يجوزه ، الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وكل منهم يومئذ يقول : رب سلِّم سلِّم . وأول من يجوز منهم : محمد ﷺ . ومن الأمم : أمته .

وترسل الأمانة والرحم ، فتقومان حول الصراط ، وفيه دحض ومزلة ، وكلاليب كشوك السعدان ، تأخذ من أُمِرَتْ

بأخذه .

ويرد المؤمنون حوض رسول الله ﷺ ، فيشربون منه ، فيذهب ما بهم من العطش . وماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأطيب من المسك ، وأحلىٰ من العسل . فيه ميزابان ، يصبان من الكوثر ، عرضه مسيرة شهر ، وطوله كذلك ، وحوله أباريق كعدد نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً .

واختلف العلماء : هل الحوض بعد الصراط ، وقبل دخول الجنة ، أو هو قبل الميزان والصراط ، والأمر محتمل . وتعرف هذه الأمة من بين سائر الأمم ، لأنهم غُرٌّ مُحَجَّلُون من آثار الوضوء . كذلك قال رسول الله ﷺ .

ويذاد عن الحوض أقوام ، بعد ما يراهم رسول الله ﷺ ويعرفهم ، ويؤخذ بهم ذات الشمال . فيقول عليه الصلاة والسلام : « إنهم من أصحابي » فيقال له : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .

ويُؤْذَنُ في الشفاعة ، فيشفع النبيون والصديقون ، والعلماء والصالحون والمؤمنون كل على حَسَبِ جاهه ومنزلته عند الله تعالىٰ ، حتىٰ إنه يشفع رجل من هذه الأمة ، في مثل ربيعة ومضر . ويشفع الرجل ، في الرجل والرجلين .

وأول من يؤذن له في الشفاعة : محمد ﷺ ، قال عليه الصلاة والسلام : « أنا أول شافع وأول مشفَّع » الحديث . فهو

أعظم الأنبياء شفاعة وجاهاً عند ربه وله شفاعات كثيرة .

وأولها وأعظمها شفاعته ﷺ في فصل القضاء . قال عليه الصلاة والسلام : « لا أزال أشفع حتىٰ أُعْطَىٰ صِكاكاً برجال قد أُمر بهم إلى النار » . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا أزال أشفع ، حتىٰ يقول لي مالِكٌ : لَمْ تَدَعْ لغضب ربك في أمتك من بقية ؟ » .

فمن شفاعاته ﷺ : أن يشفع لقوم من أمته قد دخلوا النار ، فيخرجون منها ، ولقوم منهم في زيادة رفع درجات من الجنة ، إلى غير ذلك من الشفاعات ، حتىٰ يقول لربه : « ائذن لي فيمن قال : لا إلٰه إلا الله ، فيقول له سبحانه : إن ذلك ليس إليك ، ولكن وعزتي وجلالي لا أجعل من آمن بي يوماً من الدهر ، كمن لم يؤمن بي » . ولعل المشار إليهم بذلك : أهل القبضة التي يقبضها أرحم الراحمين من النار . والله أعلم .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال ، قلت : يا رسول الله ، مَن أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال صلوات الله عليه : « أسعد الناس بشفاعتي ، من قال : لا إلٰه إلا الله خالصاً من قِبَلِ نفسه » .

وعن زيد بن أرقم ، ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال لا إلٰه إلا الله مخلصاً دخل الجنة » . قيل : يا رسول الله وما إِخلاصها . قال : « أن تحجزه عن

محارم الله » .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة ، فقال : « أنا فاعل ذلك إن شاء الله » . قال : فأين أطلبك ؟ قال : « أول ما تطلبني عند الصراط » ، قال: فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال : « اطلبني عند الميزان » ، قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : « فاطلبني عند الحوض ؛ فإني لا أخطىء هذه الثلاثة المواضع » .

واعلم أن مِنْ أشد الأشياء وأشقها في موقف القيامة : ظلم العباد ، فإنه الظلم الذي لا يتركه الله ، وفي الحديث : « الظلم ثلاثة : ظلم لا يغفره الله ، وهو الشرك ، وظلم لا يتركه الله ، وهو ظلم الناس بعضهم لبعض . وظلم لا يعبأ الله به ، وهو ظلم العبد لنفسه فيما بينه وبين ربّه » .

وقال ﷺ : « أتدرون من المفلس من أمتي ؟ » فقالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال عليه السلام : « المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعْطَىٰ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فَنِيَتْ حسناته ، قبل أن يَقْضِيَ ما عليه أُخذ من خطاياهم ، فطُرِحَتْ عليه ثم طُرح في النار » .

وورد أن الإِنسان يَسُرُّه يوم القيامة أن يكون له الحق علىٰ

أبيه أو ابنه ، حتىٰ يأخذ منه ويضايقه فيه . وفي الحديث : « من كانت عليه لأخيه مظلمة ، فليتحللها منه ، من قبل أن يأتي يوم لا دينار فيه ولا درهم ، إنما هي الحسنات والسيئات ، إن كانت له حسنات أُخذ من حسناته ، وإلا أُخذ من سيئاتهم ، فطرح فوق سيئاته ، ثم طرح في النار » .

ثم اعلم أن يوم القيامة يوم عظيم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ٨٣/ ٤ ـ ٦] وفيه مواقف طويلة ثقيلة ، وأهوال شديدة .

وقد وصف الله في كتابه العزيز ، من أحوال ذلك اليوم وأهواله ، ما يطول ويهول . ووصف رسول الله ﷺ ، في حديثه من ذلك كذلك ، ووصف السلف الصالح ، من أمر ذلك اليوم علىٰ حَسَبِ ما بلغهم عن الله ورسوله .

وقد جمع العلماء في كتبهم ومؤلفاتهم التي ألفوها في أخبار يوم القيامة وأحواله وأهواله شيئاً كثيراً كذلك . مثل كتاب ذكر الموت وما بعده من « الإحياء » لحجة الإسلام الغزالي ـ رحمه الله ـ ، وكتاب « الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة » ، له أيضاً .

وكتاب « التذكرة » للقرطبي ـ رحمه الله ـ. وكتاب « شرح الصدور في أحوال الموتىٰ والقبور » ، وكتاب « البدور السافرة في أحوال الآخرة » ، للحافظ السيوطي رحمه الله .

وقد ذكرنا من ذلك غرره وعيونه وجمله ، وما لا غنىٰ عن الاطلاع عليه والعلم به ، فمن اكتفىٰ به كفاه ، ومن أراد زيادة الاطلاع والاتساع في ذلك العلم ، فعليه بالنظر في هذه الكتب التي ذكرناها ، وما في معناها ، مما لم نذكره من المؤلفات التي أُلفت في هذه العلوم ، علىٰ انفرادها أو مع غيرها ، وبالله الإِعانة والتوفيق .

خَاتِمَة هٰـذا العُمُر

في أشيَاء تتعَلّق بمَا تقَدَّم ، وَتتّصِل بهِ

قال رسول الله ﷺ : « من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة » . الحديث .

وقال ﷺ : « لكل نبي دعوة مستجابة قد دعا بها ، وإني خبأت دعوتي شفاعةً لأمتي ، وهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً » .

وقال ﷺ : « إن شئتم أنبأتكم بأول ما يقول الله تعالىٰ للمؤمنين يوم القيامة ، وبأول ما يقولون له » . قالوا : نعم يا رسول الله ، صلَّى الله عليك وسلم . قال : « يقول الله تعالىٰ للمؤمنين : هل أحببتم لقائي ؟ فيقولون : نعم يا ربنا . قال : وما حملكم علىٰ ذلك ؟ فيقولون : رجاء عفوك ورحمتك ورضوانك . فيقول : فإني قد أوجبت لكم رحمتي » .

وقال ﷺ : « لما خلق الله الجنة ، أرسل جبريل إلىٰ الجنة ، فقال : انظر إليها وإلىٰ ما أعددت فيها . فجاءها ونظر إليها وإلىٰ ما أعد الله فيها لأهلها ، قال : فرجع إليه ، وقال : فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فـأَمَرَ بها فحُفَّت

بالمكاره ، فقال : فارجع إليها ، فانظر ما أعددت فيها لأهلها ، قال : فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره ، فرجع إليه فقال : فوعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد ، قال : اذهب إلىٰ النار ، فانظر إليها وإلىٰ ما أعددت فيها لأهلها ، فإذا هي يركب بعضها بعضاً ، فرجع إليه فقال : وعزتك لا يسمع بها أحداً فيدخلها ، فأمرها فحفت بالشهوات ، فقال : ارجع إليها ، فقال : فوعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد » .

وقال ﷺ : « يؤتىٰ بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيضع في النار أصبعه ، ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مرّ بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب . ويؤتىٰ بأشد الناس بؤساً في الدنيا ، من أهل الجنة ، فيضع أصبعه في الجنة ، فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ وهل مرّ بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله ما مرّ بي بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط » .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، أنها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله ﷺ : « ما يبكيك ؟ » فقالت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال : « أما في ثلاثة مواطن ، فلا يذكر أحد أحداً ، عند الميزان حتىٰ يَعلم أيخف ميزانه أو يثقل ، وعند الكتاب حين يقال ، هاؤم اقرؤوا كتابيه ، حتىٰ يعلم أن يقع كتابه أفي يمينه ؟ أم في شماله ؟ أم من وراء ظهره ؟ ، وعند

الصراط إذا وُضع بين ظهراني جهنم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا صار أهل الجنة إلىٰ الجنة ، وأهل النار إلىٰ النار ، جيء بالموت حتىٰ يُجعل بين الجنة والنار ، ثم يُذبح ، ثم ينادي منادٍ : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت . فيزداد أهل الجنة فرحاً إلىٰ فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلىٰ حزنهم » .

وقال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة عشرون ومائة صنف : ثمانون من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم » .

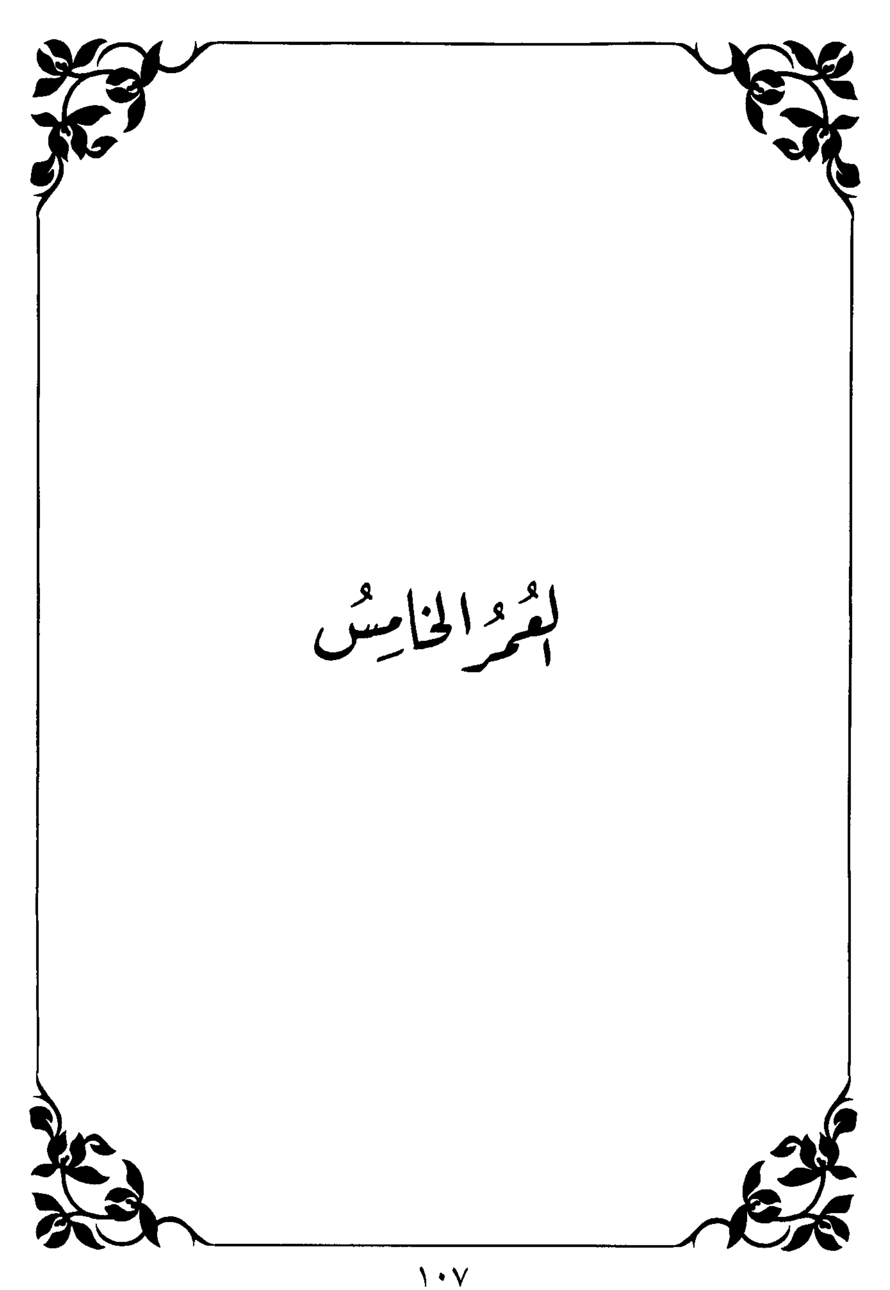
وقال عليه الصلاة والسلام : « لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا وأنا قائدهم إذا وَفَدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا شفيعهم إذا حُبِسوا، وأنا مبشرهم إذا أَيِسوا ، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي، ولواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم علىٰ ربي، يطوف عليَّ ألف خادم، كأنهم بَيْض مكنون أو لؤلؤ منثور » .

صّلىٰ الله عليه وسلَّم ، وزاده فضلاً وشرفاً ، وكرامة لديه .





العُمرُ الخامِسُ



العُمُرُ الخَامِسُ

وَهوَ مِنْ حِين دُخول أهْل النَّارِ في النَّار ، وَدُخول أهْل الجنَّة في الجَنَّةِ إلى الأبَـدِ الّذي لاَغايـة له وَلانِهَايَـة .

وهذا العمر أطول الأعمار مطلقاً ، وهو أحسن الأعمار وأطيبها ، وخيرها وأنعمها في حق أهل الجنة ، وأشر الأعمار وأنكدها وأتعبها وأشقاها في حق أهل النار .

ونبدأ في هذا العمر ، بذكر النار وأهلها ، لأن عليها ورود المؤمنين المتقين قبل دخولهم إلىٰ الجنة .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ١٩/ ٧١ ـ ٧٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦٦/ ٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ [المدثر : ٧٤/ ٢٦ ـ ٢٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل : ٩٢/ ١٤ ـ ١٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة : ١٠٤/ ٤ ـ ٩] .

وقال تعالىٰ : ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف : ١٨/ ٢٩] .

وقال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء : ٤/ ٥٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر : ٣٥/ ٣٦ ـ ٣٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون : ٢٣/ ١٠٣ ـ ١٠٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف : ٤٣/ ٧٤ ـ ٧٧] .

والآيات في ذكر النار ، ووصف أحوال أهلها فيها كثيرة منتشرة جداً ، وكذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ ، كثيرة منتشرة ، نشير منها إلىٰ شيء يسير ، لقصد التنبيه والتذكير .

قال عليه الصلاة والسلام : « ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » ، قيل : يا رسول الله إن كانت لكافية ، قال : « فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً ، كلهن مثل حرها » .

وقال عليه السلام : « أُوْقِدَ علىٰ نار جهنم ألفَ سنة حتىٰ احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتىٰ ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتىٰ اسودت ، فهي سوداء مظلمة » .

وقال عليه السلام : « إن أهون أهل النار عذاباً : من له نعلان وشراكان من نار ، يغلي منهما دماغه ، كما يغلي المرجل ، ما يَرىٰ أن أحداً أشد منه عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً » .

وقال عليه السلام : « منهم من تأخذه النار إلىٰ كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلىٰ ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار إلىٰ حجزته ، ومنهم من تأخذه النار إلىٰ ترقوته » .

وقال عليه السلام : « يا أيها الناس ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن أهل النار يبكون في النار ، حتىٰ تسيل دموعهم

علىٰ وجوههم ، كأنها جداول ، حتىٰ تنقطع الدموع فتسيل الدماء ، فتتقرح العيون ، فلو أن سفناً أجريت فيها لجرت » .

وقال عليه السلام : « يُلْقَىٰ علىٰ أهل النار الجوع ، فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع ، لا يسمن ولا يغني من جوع ، فيستغيثون بطعام ، فيغاثون بطعام ذي غصة ، فيذكرون أنهم كانوا يتجرعون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب ، فيرفع إليهم الحميم ، بكلاليب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شَوَتْ وجوههم ، فإذا دخلت بطونهم ، قطَّعت ما في بطونهم ، فيقولون : ادعوا خزنة جهنم . فيقولون : ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا : بلى . قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال . قال ، فيقولون : ادعوا مالكاً فيقولون : يا مالك ليقض علينا ربّك ، قال : إنّكم ماكثون » .

قال الأعمش : نبئت أن بين دعائهم وإجابة مالكٍ إياهم ألفَ عام .

قال : « فيقولون : ادعوا ربكم ، فلا أحد خير لكم من ربكم ، فيقولون : ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين . ربّنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون ، قال : فيجيبهم تعالىٰ : اخسؤوا فيها ولا تكلمون . قال : فعند ذلك ييأسون من كل خير . وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل » .

وقد ورد أن في النار حيات مثل أعناق البخت ، وهي الإبل الخراسانية ، وعقارب أمثال البغال الموكفة ، تلسع اللسعة ، فيجد ألم حمتها أربعين خريفاً ولو أن دلو من الغساق أهريق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا ، ولو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا ، لأفسدت علىٰ أهل الدنيا معايشهم ، ولو أن رجلاً من أهل النار خرج إلىٰ الدنيا ، لمات أهل الدنيا من نتن ريحه وتشويه خلقه .

وإن أبواب النار سبعة كما قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحِجر : ١٥/ ٤٤] وهي سبع طبقات ، بعضها فوق بعض .

الأولىٰ منها : جهنم ويقال : إنها لعصاة الموحدين . والثانية : سقر . والثالثة : لظىٰ . والرابعة : الحطمة . والخامسة : السعير . والسادسة : الجحيم . والسابعة : الهاوية وهي السفلىٰ ، وليس لها قعر ولا منتهىٰ .

وقد حشيت هذه الطبقات السبع بالعذاب الشديد ، والنكال الفظيع ، والخزي الوبيل . وإن كانت متفاوتة في ذلك بحيث إن كل طبقة أشد عذاباً من التي فوقها أعاذنا الله منها ووالدينا وأحبابنا والمسلمين بمنّه وكرمه .

ثم اعلم أن أهل النار قسمان : قسم منهما ، هم الذين يدخلونها من عصاة أهل التوحيد . وهذا القسم لا يخلدون في

النار ، بل يخرجون منها بالشفاعة ، وبرحمة الله تعالىٰ بعضهم قبل تمام العقوبة ، وبعضهم بعد ذلك ، وهم متفاوتون .

ويروىٰ أن آخرهم خروجاً منها ، وأطولهم فيها مكثاً ، يخرج بعد سبعة آلاف سنة ، وذلك عمر الدنيا فيما يقال .

ولا يخلد في النار موحد البتة ، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، كما في الأحاديث الصحيحة .

والقسم الآخر من أهل النار هم الكافرون بالله ، والمشركون ، والمنافقون الذين يُظْهِرون الإيمان بألسنتهم ، ويُضْمِرون الكفر في قلوبهم .

وأنواع الكافرين بالله كثيرة ، فمنهم اليهود والنصارىٰ والمجوس وغيرهم ، وكلهم خالدون في النار أبد الآبدين ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٦١ ـ ١٦٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤/ ٤٨ و١١٦] وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٥/ ٧٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء : ٤/ ١٤٥] .

وقد ورد أن ضرس الكافر في النار مثل جبل أُحد ، وغلظ جلده اثنان وأربعون ذراعاً ، وأنّ الكافر لَيَسْحَب لسانه الفرسخ والفرسخين يطؤه الناس ، يعظّم الله أجساد الكافرين في النار حتىٰ يضاعف لهم العذاب ، ويعظم عليهم النكال والعقاب .

ثم إذا خرج عصاة الموحّدين من النار ، ولم يبق فيها أحد من أهل التوحيد أُغلقت أبوابها علىٰ الكافرين وأطبقت عليهم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ [الهُمزة : ١٠٤/٨ ـ ٩] .

ومنهم من يُجعل في تابوت يملأ عليه ناراً ، ثم يغلق عليه ، فلا يزالون كذلك أبداً سرمداً ، مخلدين في عذاب الله وغضبه وسخطه ، إلىٰ غير نهاية ولا غاية ، نسأل الله العافية ، والوفاة علىٰ الإسلام ، ونعوذ بالله من أحوال أهل النار .

ذكر الجنة ونعيمها

وما أعد الله لأهلها فيها من أنواع الكرامة

اعلم أن الآيات والأخبار في ذكر الجنة كثيرة منتشرة ، لا يأخذها الحصر ولا يأتي عليها الذكر ، فنشير إلىٰ طرف منها قريب موجز ، يحصل به التذكير والتعريف ، بجمل ذلك : قال الله تعالىٰ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الزمر : ٣٩/ ٧٣ ـ ٧٥] وقال تعالىٰ : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمٰن : ٥٥/ ٤٦ ـ ٧٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ٥٦/ ١٠ ـ ٤٠] وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإنسان : ٧٦/ ٥ ـ ٢٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٣/ ٧٠ ـ ٧٣] وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٤/ ٥١ ـ ٥٧] وقال تعالىٰ : ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ [محمد : ٤٧/ ١٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴾ [فاطر : ٣٥/ ٣٣ ـ ٣٥] وقال تعالىٰ : ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾ [ق : ٥٠/ ٣١ ـ ٣٥] وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ [القمر : ٥٤/ ٥٤ ـ ٥٥] .

وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالىٰ : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر . واقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ » [السجدة : ٣٢/ ١٧] . وقال عليه الصلاة والسلام : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما . وما بين القوم وبين أن يروا ربّهم إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنة عدن » .

وقال ﷺ : « إن في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين

كما بين السماء والأرض . والفردوس أعلاها درجة ، منها تتفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون العرش ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لَمَوْضِعُ سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها . ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت علىٰ أهل الأرض ، لأضاءت ما بينها ، ولملأت ما بينها ريحاً ، وَلَنَصِيْفُها علىٰ رأسها خير من الدنيا ومافيها » . النصيف : الخمار .

وقال عليه السلام : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام وما يقطعها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب » . وقال عليه السلام : « إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يرىٰ بعضهم بعضاً ، يطوف عليهم المؤمن » .

وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: قلت يا رسول الله : مم خلق الخلق ؟ قال : « من الماء » . قلت : الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، ومِلاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يفنىٰ ولا يموت ، ولا تبلىٰ ثيابه ، ولا يفنىٰ شبابه » . والملاط : هو الطين الذي يُجعل بين اللبنتين .

وقال عليه السلام : « أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم علىٰ مثل القمر ليلة البدر . والزمرة الثانية علىٰ مثل أحسن كوكب دري في السماء ، لكل رجل منهم زوجتان ، علىٰ كل واحدة منهما سبعون حلة ، يُرىٰ مخ ساقها من ورائها » . وقال عليه السلام : « يدخل أهل الجنة الجنة مرداً جُرداً مكحلين أبناء ثلاثين سنة أو ثلاث وثلاثين سنة » .

وقال عليه السلام يوماً لأصحابه : « ألا شمروا للجنة ، فإنّ الجنة لا خطر لها ، هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز ، وقصر مشيّد ، ونهر مُطَّرِد ، وفاكهة كثيرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، في مقام أبدي ، في حياة ونضرة ، في دار عالية ، سليمة بهية » . قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله . قال : قولوا : « إن شاء الله تعالىٰ » .

وقال عليه السلام : « نخل الجنة ، جذوعها من زمرد أخضر ، وكرمها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة لأهل الجنة ، منها مقطعاتهم وحللهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضاً من اللبن، وأحلىٰ من العسل ، وألين من الزبد ، ليس فيها عجم » .

وقال عليه السلام : « إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ، ولا يتفلون ، ولا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتمخطون » . قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : « جشاء ورشح كرشح المسك ،

يُلْهَمُون التسبيحَ والتقديس والتحميد » . وفي رواية : « والتكبير كما يلهمون النفس » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الرجل من أهل الجنة يُعطىٰ قوة مائة رجل ، في الأكل والشرب والجماع والشهوة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ينادي منادٍ يا أهل الجنة آنَ لكم أن تَصِحُّوا فلا تسقموا أبداً ، وآنَ لكم أن تَحْيَوْا فلا تموتوا أبداً ، وآنَ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَموا أبداً ، وآنَ لكم أن تنعموا فلا تَبْأَسُوا أبداً » .

وذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ٤٣] .

وسئل عليه الصلاة والسلام : ما الكوثر ؟ قال : « ذاك نهر أعطانيه الله . ـ يعني في الجنة ـ أشد بياضاً من اللبن ، وأحلىٰ من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر » ، قال عمر : إن هذه لناعمة ، قال رسول الله ﷺ : « آكلها أنعم منها » .

وقال رسول الله ﷺ : « لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أُسْرِيَ بي فقال : يا محمد أقرىء أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلٰه إلا الله ، والله أكبر » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إنّ في الجنة لغرفاً ، يُرىٰ

ظاهرُها من باطِنِها ، وباطِنُها من ظاهِرِها » ، فقام إليه أعرابي فقال : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلىٰ بالليل والناس نيام » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربّنا وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضىٰ يا رب ، وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أَحَداً من خلقك ، فيقول : أفلا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب أي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً» .

وقد ورد أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وهو خمسمائة سنة ، وأن أنهار الجنة تجري من غير أخدود علىٰ وجه أرضها ، وأن طول كل واحد منهم ستون ذراعاً ، علىٰ طول أبيهم آدم ، وأن أدنىٰ أهل الجنة من يُعْطَىٰ مثل الدنيا عشر مرات ، ويكون له ألف خادم ، واثنتان وسبعون زوجة من الحور العين ، وينظر في نعيمه وما أعد الله له من الكرامة ، مقدار ألف سنة ، وأنَّ ساق كل شجرة في الجنة من ذهب ، وأن أبواب الجنة ثمانية ، وعدد درجاتها بعدد آيات القرآن الكريم ، جعلنا الله بفضله وكرمه من أهلها . آمين .

خاتمة هٰذا العمر

وبها نختم الكتاب إن شاء الله تعالىٰ ، في رؤية المؤمنين لربّهم تبارك وتعالىٰ في الجنة ، وفي ذكر شيء مما ورد في سعة رحمة الله الرؤوف الرحيم ، الجواد الكريم .

قال الله تعالىٰ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦/١٠] جاء في تفسيرها أن الحسنىٰ هي الجنة ، وأن الزيادة هي النظر إلىٰ وجه الله عز وجل .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٧٥/ ٢٢ ـ ٢٣] . وقال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال تبارك وتعالىٰ : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ! ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ! قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلىٰ ربّهم عز وجل » ، وفي رواية : « ثم تلا هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ » [يونس : ٢٦/١٠] .

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فنظرنا إلىٰ القمر ليلة البدر ، فقال : « إنكم سترون ربّكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته . فإن استطعتم أن لا تغلبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس ،

وصلاة قبل غروبها فافعلوا » . ثم قرأ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه : ٢٠/ ١٣٠] . ويعني بالصلاتين : صلاة الصبح وصلاة العصر .

وعن أبي رزين العقيلي قال : قلت : يا رسول الله أَكُلُّنا نرىٰ الله مخلياً به يوم القيامة ؟ قال : « نعم » . قلت : وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : « يا أبا رزين أليس كلكم يرىٰ القمر ليلة البدر مخلياً به ؟ » ، قلت : بلىٰ . قال : « فالله أعظم ، إنما هو خلق من خلق الله عز وجل » ، يعني القمر .

وقال عليه الصلاة والسلام : «إنّ أهل الجنة إذا دخلوها ، نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون ربّهم ، ويبرز لهم عرشه ، ويتبدىٰ لهم في روضة من رياض الجنة ، فتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة . ويجلس أدناهم ـ وما فيهم أدنىٰ ـ علىٰ كثبان المسك والكافور وما يرون أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً» .

قال أبو هريرة رضي الله عنه ، قلتُ : يا رسول الله هل نرىٰ ربّنا ؟ قال : « نعم ، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ؟ » قلنا : لا . قال : « كذلك لا تمارون في رؤية ربِّكم ، ولا يبقىٰ في ذلك المجلس أحد إلا حاضَرَهُ الله محاضرة ، حتىٰ يقول للرجل منهم : يا فلان بن فلان ، أتذكر يوم قلت كذا وكذا ،

فيذكره بعض عثراته في الدنيا ، فيقول : أفلم تغفر لي ؟ فيقول : بلىٰ . فَبِسَعَةِ مغفرتي بلغتَ منزلتك هذه . فبينما هم كذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط . فيقول ربّنا : قوموا إلىٰ ما أعددت لكم من الكرامة ، فخذوا ما شئتم ، فيأتون سوقاً قد حفت به الملائكة لم تنظر العيون إلىٰ مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر علىٰ القلوب ، فنحمل ما اشتهينا ، ليس يباع فيه ولا يشترىٰ ، وفي ذلك السوق يلقىٰ أهلُ الجنة بعضهم بعضاً .

قال : فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة ، فيلقىٰ من هو دونه ـ وما فيهم أدنىٰ ـ فيروعه ما يرىٰ عليه من اللباس ، فما ينقضي آخر حديثهما ، حتىٰ يُخلع عليه ما هو أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها . ثم ننصرف إلىٰ منازلنا ، فتتلقانا أزواجنا ، فيقلن : مرحباً وأهلاً لقد جئت وإن بك من الجمال أكثر مما فارقتنا عليه ، فيقول : إنا جَالَسْنا اليومَ ربَّنا الجبّار ، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا » .

وأعظم النعيم وأفضله وأجله وأكمله : النظر إلىٰ وجه الله الكريم ، في دار الكرامة والنعيم .

منَّ الله علينا بذلك بمحض فضله وكرمه ، وجوده وإحسانه ووالدينا ، وأحبابنا والمسلمين برحمته ، إنه أرحم الراحمين .

ذكر شيء مما ورد في سعة رحمة الله

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ٧/١٥٦] وقال تعالىٰ : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحجر : ١٥/٤٩] وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ الآية [الأنعام : ٦/٥٤] . وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٣٩/٥٣] . وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٤/١١٠] .

وقال رسول الله ﷺ : « إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة ، بين الإنس والجن والطير والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وادخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » .

ويروىٰ : أنه إذا كان يوم القيامة ، أخرج الله كتاباً من تحت العرش فيه : « إن رحمتي سبقت غضبي ، وأنا أرحم الراحمين » ، فيخرج من النار مثل أهل الجنة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يتجلىٰ الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول : أبشروا يا معشر المسلمين ، فإنه ليس

منكم واحد ، إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ليغفرن الله مغفرة ، يتطاول لها إبليس رجاء أن تناله » يعني يوم القيامة . وإبليس لعنه الله ، لا تناله مغفرة الله بحال ، لأنه من القانطين الآيسين من مغفرة الله ورحمته ، وهو رأس المشركين ومقدَّمهم .

وقد قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ الآية [النساء : ٤/٤٨ و١١٦] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من شهد أن لا إلٰه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، حرم الله عليه النار » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة : يا أمة محمد ، أَمَّا ما كان لي قِبَلكم فقد وهبته لكم ، وبقيت التبعات التي بينكم، فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي» .

وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا المؤلَّف المبارك إن شاء الله تعالىٰ ، والبركة من الله ، والفضل والخير كله بيد الله ، والأمر كله لله . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وحسبنا الله

ونعم الوكيل .

« ربّنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » . « ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين » .

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ومولانا محمدٍ عبدِ الله ورسولِهِ ، الأمين علىٰ وحيه وتنزيله .

وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين ، وعلىٰ أصحابه الهداة المهتدين ، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين . وعلينا معهم وفيهم ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

تمّ الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه .

وكان الفراغ من إملائه ، بكرة يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر شعبان سنة ١١١٠ عشر ومائة بعد الألف من الهجرة علىٰ مهاجرها أفضل الصلاة ، وأزكىٰ السلام .

والحمد لله ربّ العالمين .

فهرس كتاب « سَبيْلُ الادِّكار »

سلسلة كتب الإمام الحدّاد ٨



للإمام شيخ الإسلام قطب الدّعوة والإرشاد
الحبيب عبد الله بن علويّ الحدّاد الحضرميّ الشّافعيّ
رحمه الله تعالى





الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الثانية

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

مصححة ومنقحة

بالتعاون مع

الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان

هاتف: ٣٤٢٨٨٦ ــ ص.ب: ٥٩٢٠ـ١١٣ - تلكس: ٤٢٢١٨ ــ فاكس ٨٦٠١٣٨ـ١ـ٩٦١

تعريف موجز عن الإمام الشهير عبد الله بن علوي بن محمد الحداد

هو سيدنا الإمام العلامة الداعي إلى الله بقوله وفعله قطب الارشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد ولد رضي الله عنه بالسبير من ضواحي مدينة تريم بحضرموت ليلة الخميس ٥ صفر سنة ١٠٤٤ﻫ وتربى في تريم وقد كف بصره وهو صغير فعوضه الله عنه بنور البصيرة وجد واجتهد في طلب العلوم النافعة وعكف على علماء عصره في مقدمة مشايخه سيدنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس والحبيب العلامة عقيل بن عبد الرحمن السقاف والحبيب العلامة عبد الرحمن بن شيخ عيديد والحبيب العلامة سهل بن أحمد باحسن الحديلي باعلوي ومن مشايخه أيضاً الإمام العلامة عالم مكة المكرمة السيد محمد بن علوي السقاف .

ثم نصبه الله للدعوة والإرشاد داعياً إلى الله تعالى

بالحكمة والموعظة الحسنة فأقبل عليه الناس وانتشر
صيته في البلدان وانتفع به القاصي والداني فنفع الله
به الكثير وأرشد الجم الغفير وانتشرت دعوته في كل مكان
وانتفع الناس بوعظه وكتبه وأخذ عنه الجم الغفير
فمن كبار تلامذته ابنه سيدنا الحبيب حسن بن عبد الله الحداد
والحبيب أحمد بن زين الحبشي والحبيب عبد الرحمن بن عبد الله
بلفقيه والحبيبين محمد وعمر أبناء زين بن سميط والحبيب عمر بن
عبد الرحمن البار والحبيب علي بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف
والحبيب محمد بن عمر بن طه الصافي السقاف وغيرهم العدد الكثير.
وله مؤلفات كثيرة جمعت النصائح والمواعظ والحكم وانتشرت
انتشاراً كبيراً وكتب لها القبول والمحبة ونفع الله بها الناس
وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى لغات أجنبية في العصر الحاضر
مثل الإنجليزية والفرنسية . ومؤلفاته غنية عن التعريف

ومشهورة لدى الكبير والصغير ومنها النصائح الدينية. والدعوة التامة ورسالة المعاونه وغيرها من الوصايا والرسائل ومجموع كلامه تثبيت الفؤاد وديوانه العظيم الدر المنظوم الجامع للحكم والعلوم ووصاياه ومكاتباته وأكثر مؤلفاته مطبوعة وأقبل عليها الناس إقبالاً شديدًا وأعجب بها العلماء والعارفون وجعلوها بمنزلة الغذاء يقرئون فيها في كثير من الأوقات وقالوا عنها انها جمعت الخلاصة والزبدة من كلام الإمام حجة الإسلام الغزالي ولا يستغني عنها كل مسلم فهي وجيزة وجامعه ونفع الله بها ببركة مؤلفها الإمام الحداد رضي الله عنه وكان رضي الله عنه قد سافر إلى الحرمين الشريفين وأدى النسكين وزار جده سيد الكونين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك في عام ١٠٧٩ هجرية واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين الذين اغتبطوا به وعرفوا قدره وأثنوا عليه .

ولم يزل يدعوا الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة حتى وفاته إلى رحمة الله تعالى فتوفي ليلة الثلاثاء ٧ ذو القعدة عام ١١٣٢ هجرية ودُفن بمقبرة زنبل بتريم رحمه الله رحمة واسعة ورضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه في الدارين آمين .

طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف

حرر الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٤١٢

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة ، الآية رقم : ٣٢] ، الْحَمْدُ للهِ الحنَّانِ المنَّانِ ، دائم الإِحْسَانِ والامْتِنَانِ ، الَّذي تَقَدَّسَتْ مَوَاهِبُهُ عَنِ التَّخْصِيْصِ بِمَكانٍ أَوْ زَمَانٍ ، وَعَنِ الحَصْرِ فِي فُلانٍ دُونَ فُلانٍ ، جَلَّ عَنِ التَّقْييدِ ذَاتاً وَصِفَاتٍ وأَفْعالاً فَسُبْحَانَهُ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ .

أحمدُهُ حَمْدَ مَنْ غَرِقَ فِي بِرِّهِ ، فَاعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنِ القِيامِ بِشُكْرِهِ ، وَعَنْ أَنْ يَقْدُرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ بعدَ الإِتْيَانِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ وَالإِمْكَانِ ، وَصَلاتُهُ وَسَلامُهُ عَلَىٰ خِيرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ وَالمَبْعوثِ بِخَيْرِ الأَدْيانِ ، سَيِّدِنا وَمَولانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحابِهِ فِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ .

أَما بعد : فَإِني بِعونِ اللهِ قَدْ عَزَمْتُ بَعْدَ أَنِ اسْتَخَرتُ رَبِّيَ عَلَىٰ تَقْييدِ كَلماتٍ وَأَمْثالٍ وَأَبْياتٍ ، تردُ عليَّ عندَ التَّذَكُّرِ

---

(١) هذه المقدمةُ كانَ المؤلفُ ـ رحمهُ الله تعالىٰ ونفعنا بعلومِهِ في الدَّارين ـ أَرادَ أَنْ يجعلَها علىٰ حِكَمِهِ ويجعلَ الحِكَمَ كِتاباً مفرداً . . ثُمَّ عَنَّ لَهُ أَنْ يجعلَ الحِكَمَ مَعَ المكاتباتِ والوَصَايا والديوانِ في مجموعٍ واحِدٍ وجعلَ لهُ خطبةً واحدةً . . وبقيتْ هذهِ الخطبَةُ مفردةً ليستْ علىٰ كتابٍ . . فلمَّا وفَّقَنا اللهُ لطباعةِ كتاب الحكم مُفرداً اسْتَحْسَنَّا إِثباتَها إِلحاقاً لها بِأَصْلِهَا ليتُمَّ نفعُها . . واللهَ نَسْأَلُ أَنْ يتقبَّلَ ذلكَ مِنَّا بمحضِ فضْلِهِ ومنِّهِ والحمد لله ربِّ العالمين .

وَالمُذاكَرَةِ ، أَرجُو الانتفاعَ بِها في الدُّنْيا والآخِرةِ ، وقد جَرَّدْتُ العَزمَ عَلىٰ هٰذا الأَمرَ مِراراً ، فَلَم تتمَّ العَزْمَةُ ، وَلَمْ تَنْفُذَ الْهِمَّةُ ، وَالسَّبَبُ فِي ذٰلِكَ بَعدَ سابقِ القَدَرِ ٱحْتِقارُ النَّفْسِ ، وٱلاتِّكالُ عَلىٰ الحِفْظِ والدَّرْسِ ، ثُمَّ إِني لمَّا رَأَيْتُ أَنِّي نَسيتُ مِن ذَلِكَ الشيءَ الكثيرَ ، ولمْ يبقَ منهُ إلاَّ القليلُ اليسيرُ ، ورأَيتُ الحاجةَ فِي بعضِ الأَحيانِ تدعونِي إِلىٰ ما دخَلَ تَحْتَ دَائِرَةِ النِّسيَانِ ، ووقَفْتُ عَلىٰ كَلاَمِ للشَّيْخِ ابنِ عَرَبِيٍّ حَاصِلُهُ : أَنَّ الإِنْسَانَ تَرِدُ عَلَيْهِ الأَشياءُ في نِهَايَةِ الطَّلَبِ ، يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَنِيَ بِحِفْظِهَا ، لأَنَّهُ سَوفَ يحْتاجُ إِلَيْها فِيمَا بَعْدُ ، وَمَا وَرَدَتْ إِلاَّ لذَلِكَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَمَّمْتُ عَلىٰ تَقْييدِ ما يخطُرُ فِي البَالِ ، وإِليهِ ، أُضيفُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ ما يكونُ في الاستقبالِ مُسْتَثْنِياً بِمَشِيئَةِ اللهِ تعالىٰ النَّافِذَةَ ، ومُفَوِّضاً إِليهِ ، ومُتَوَكِّلاً عليهِ ، وراغباً فِيمَا لدَيْهِ ، ومعتصِماً بِهِ : ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آلِ عِمران ، الآية رقم : ١٠١] ، ثُمَّ إِنِّي أُعلمُ أَخاً وَقَفَ علىٰ مَا هُنا فَرأَىٰ فِيهِ مُقارَبَةً لكَلاَمِ أَحَدٍ لفظاً أَو مَعْنىً أَنَّ ذَلِكَ وقعَ بِطَريقِ الموافَقَةِ إِذْ ليسَ بِخافٍ أَنَّ مَنْ أَثْبَتَ كَلاَمَ أَحَدٍ ، وَلَمْ يَعْزُهُ إِليهِ ، أَنَّهُ سَارِقٌ أَو غَاصِبٌ ، وكِلاهُمَا قَبِيْحٌ ، وَهَذا أَوانُ ٱلابتداءِ ، أَصلَحَ اللهُ النِّيَّةَ ، وصَفَّىٰ الطَّوِيَّةَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال رضي الله عنه ونفع به :

الخلق مع الحق ، لا يخلو أحد منهم من أن يكون في إحدى الدائرتين : إِمَّا دائرة الرحمة ، أو دائرة الحكمة . فمن كان اليوم في دائرة الرحمة ، كان غداً في دائرة الفضل . ومن كان اليوم في دائرة الحكمة ، كان غداً في دائرة العدل .

وقال : ما ترك من الكمال شيئاً مَنْ أقام نفسه من ربه مقام عبده من نفسه .

وقال : النائم يوقَظ ، والغافل يُذَكَّر . ومن لم يُجْدِ فيه التذكير والتنبيه فهو ميِّت . إنما تنفع الموعظة من أقبل عليها بقلبه . وما يتذكر إلا من ينيب .

وقال: كيف يكون من المؤمنين مَنْ يُرضي المخلوقين بسخط رب العالمين ؟

وقال : العادة إذا رسخت نسخت .

لا تدوم مع الكلفة ألفة .

وقال : من لم يدفع عنه الفقرَ قليلُ المال ، لم يُحَصِّل له الغِنَى كثيرُه . كذلك من لم ينتفع بقليل العلم ، فهو من الانتفاع بكثيره أبعد .

وقال : نازعَ الأقدارَ من استقبح من أخيه ما لا يدخل تحت الاختيار .

وقال : الرضا بالقضاء ينتفي معه الاعتراض على الله . ويبقى معه الطلب لِما ينبغي أن يطلب ، والهرب مما منه يهرب .

وقال : الدنيا المحمودة هي التي يصل بها إلى فعل خير ، أو ينجو بها من فعل شر .

والدنيا المباحة هي التي لا يقع بسببها في ترك مأمور ولا ركوب محظور ، والدنيا المذمومة على لسان الكتاب والسنة ، هي التي يقع بسببها في ترك طاعة أو فعل معصية .

وقال : من الناس من يكتفي بالإشارة عن التعيين ، ومنهم من يحتاج إلى التصريح مع الرفق واللين ، ومنهم من لا يجدي فيه إلا التعنيف والتخشين ، ومن لم ينتفع

بذا ولا بذاك ، فهو من الشياطين ، ولهؤلاء الأربعة أمثال من البهائم .

فمَثَلُ الأول : مَثَلُ الدابة المذلَّلة ، تستغني عن أن تلجمها أو تضربها .

ومَثَلُ الثاني : مَثَلُ الدابة التي تكتفي بالخطام دون الضرب .

ومَثَلُ الثالث : مَثَلُ الدابة التي لا تستقيم إلا بالضرب والزجر .

ومَثَلُ الرابع : مَثَلُ الدابة التي إن خطمتها أو ضربتها ازدادت نفورا .

وقال : إن شئت أن تكون حُرّاً فاترك كل أمر ، إن لم تتركه اختياراً تركته اضطراراً .

وقال : ما عُرِف قدر الشيء بمثل ضده ، ولا تسلى المصاب بمثل ذكر من أصيب بمثل مصيبته .

وقال : من أشغله حقُّ ربه عن حقوق نفسه وحقوق إخوانه ، فهو عبد الحضرة .

ومن أشغله القيام بحق نفسه عن القيام بحق ربه وحق إخوانه ، فهو عبد الشهوة .

ومن أشغله القيام بحقوق إخوانه عن القيام بحقوق ربه وحقوق نفسه ، فهو عبد الرِّياسة .

ومن أشغله القيام بحقوق ربه وحقوق إخوانه عن القيام بحقوق نفسه ، فهو صاحب وراثة .

وقال: عجباً لمن يطلب الدنيا وهو من تحصيلها على وَهْم ، ومن الانتفاع بما حصله منها على شك . ومِنْ تَرْكِهَا والخروج منها على يقين .

وقال : من تعوَّد نقض العزائم حيل بينه وبين الغنائم .

وقال : إذا دعتك نفسك إلى شهوة ، فإياك أن تقول أجيبها في هذه ، وأفرِّغ القلب من مطالبتها ، فإنك إن أجبتها إليها دعتك إلى أعظم منها .

وقال : لا يبلغ العبد حقيقة الإِيمان حتى يجد في معاملة الحق ما يجد أهل الشهوات في شهواتهم من اللذة والحلاوة .

وقال : المؤونة في كتمان السر أقل من المؤونة في تخوُّفِ إفشائه ، ممن تطلعه عليه .

وقال : أدل دليل على كمال عقل الرجل ، ثناؤه على أقرانه . وأَدلُّ دليل على تواضعه رضاه بالتأخير في موطن يستحق فيه التقديم ، وأَدلُّ دليل على إخلاصه عدم المبالاة بإسخاط الخلق في جنب الحق .

وقال : الدنيا شيئان لا ثالث لهما ، أحدهما : حب المال ، والآخر : حب الجاه . فمن زهد في المال والجاه ، فهو صِدِّيق . ومن زهد في المال دون الجاه ، فهو مُراءٍ . ومن زهد في الجاه وأحبَّ المال ، فهو لئيم . ومن أحبَّ المال والجاه كان أصغر عقوبته حرمانهما .

وقال : الأراضي ثلاث . أرض إذا سُقِيَتْ أنبتتِ العشب والكلأ .

ومَثَلُها من الناس ؛ الذي يتعلم ويفهم في العلم . فكما أن النبات ليس عين الماء ، ولكن الماء سبب حصوله . فكذلك الفهم ليس عين العلم ، ولكن عن العلم يكون .

والأرض الثانية تمسك الماء ولا تنبت الكلأ .

ومَثَلُها من الناس مَثَلُ الذي يحفظ العلم ولا يفهم فيه .

وإذا رأيت العالم لا يزيد على ما يسمع ، فهو ذاك . وإذا رأيته يزيد عليه شيئاً يوافق ما سمع من العلم ، فهو الأول .

والأرض الثالثة أرض لا تنبت كلأ ولا تمسك ماء .

ومَثَلُها من الناس مَثَلُ من لا يحفظ العلم ، ولا يفهم فيه . فإلقاء العلم إلى من هذه صفته إضاعة للعلم . فكما أن رب الأرض التي هذه صفتها لا يسقيها . ويرى أن سقيها من الإضاعة ، كذلك ينبغي أن لا يُلْقَىٰ العلم إلى من يضيعه ، بل أولى .

وقال : لا تثبت الدعاوي بالأقوال حتى تقوم بإثباتها البيِّنة من الأفعال والأعمال .

وقال : إذا ادَّعتْ نفسك أنها لا تفرق بين وجود الشيء وعدمه ، فلا تقنع منها بذلك حتى تختبرها بالأمرين جميعاً .

وقال : لولا العلامات لادَّعى كل واحد ما ليس عنده . ولكن بالعلامات والأمارات يُفَرَّق بين الصادق والكاذب .

وقال : من تيسَّرت له مطالبه الأخروية ، وتعسَّرت

عليه مطالبه الدنيوية ، فهو من ورثه النبيين .

ومن تيسَّرت مطالبه الدنيوية والأخروية ، فهو من أصحاب اليمين .

ومن تيسَّرت له مطالبه الدنيوية ، وتعسَّرت عليه الأخروية ، فهو من المستدرَجين .

ومن تعسَّرت عليه مطالبه الأخروية والدنيوية ، فهو من الممقوتين .

وقال : شر الفقراء من يودُّ أنه من الأغنياء ، وخير الأغنياء من لا يكره أن يكون من الفقراء .

وقال : من أمسك عن تناول فضول الشهوات ، ولم ينفق ما في يديه من فضول الأموال ؛ فهو محروم .

والذي يتمتع بما في يده من الدنيا ، وينفقه في شهواته المباحة أحسن حالا منه .

وقال : لا يكمل حال الداعي إلى رب العالمين ، حتى يصير قوله وفعله حجة على جميع المؤمنين .

وقال : إذا رأيت العالِم يفيد بقوله دون فعله ، فاعلم إنه ناقص . وإذا رأيت المتعلِّم تفيده الأقوال ، ولا تؤدِّبه

الأفعال ، فاعلم أنه عن التحصيل ناكص .

وإذا رأيت الطالب ينتفع بأقوال شيخه ، ولا ينتفع بأفعاله ، فانظر فإن لم تَرَ في أفعال الشيخ ما تحصل به الفائدة ، فليس بشيء . وإذا رأيت أفعاله تفيد ، ولكن لا يحسن الطالب أن يستفيد ، فلا تعتد به .

وقال : من أَحَبَّ أن يوصف بما ليس عنده من الخير ، وكره أن يذكر بما فيه من الشر ، فاعلم أنه مراءٍ .

وقال : كثيراً ما يلتبس الحياء المحمود بالجبن المذموم ، والفرق بينهما : أن كل حياء حملك على ترك خير وَوَقعْتَ بسببه في شر ؛ فهو الجبن المذموم ، وليس بالحياء ، لأن الحياء لا يأتي إلا بخير . كما في الحديث .

وقال : مَنْ أَهمل الصدق حيث يخاف ، استعمل الكذب حيث يرجو .

وقال : من نظر إلى الدنيا بعيني رأسه ، رأى غروراً وزوراً . ومن نظر إليها بعيني قلبه ، رأى هباء منثوراً .

وقال : في الحرص على المال هلاك الدين ، وفي

الحرص على الجاه هلاك الدين والمال جميعاً .

وقال : ليس واضع المال في غير حقِّه بأقل إثماً من ماسكه عن حقه .

وقال : من أمسك شيئاً يرى أن إنفاقه خير من إمساكه ، فهو من المؤثرين للدنيا .

وقال : مشاهدة المؤثرين للدنيا تمحو حب الآخرة من القلب . فكيف بالمجالسة والمخالطة ؟!

وقال : كفى بفقدان الرغبة في الخير مصيبة ! وكفى بالذل في طلب الدنيا عقوبة ! وكفى بالظلم حتفاً لصاحبه ! وكفى بالذنب عاراً لِلمُلِمِّ به !

وقال : من ترك الحزم للوهم ، فهو أحمق ! ومن أقام على الشك مع إمكان المصير على اليقين، فهو أخرق!

وقال : ينبغي أن يدور كلام العالم بالله مع عامة المؤمنين ، على ثلاثة أمور :

الأول : التذكير بالنعم . والثاني : إلزام الطاعة . والثالث : اجتناب المعصية .

فكل عالم أخذ يتكلم مع العامة بغير ما يدخل تحت

هذه الثلاثة ؛ فهو فتَّان .

وقال : رحمة تطلبك ، ورحمة تطلبها .

فالتي تطلبك : رحمة الهداية بالبيان . ولأجلها كان إرسال الرسل ، وإنزال الكتب .

والتي تطلبها : هي الجنة ، تسعى لها بالعمل الصالح ، على قانون العلم النافع .

وقال : دواعي الحرص على الدنيا ثلاثة :

أحدها النظر إليها بعين الاستحسان . وعنه يكون حب البقاء للتمتع .

والثاني : تعظيم الناس لأربابها ، ومنه يكون التفاخر والتكاثر .

والثالث : تَوَهُّم أن لا قِوَام بدونها . وعنه ينشأ البخل وخوف الفقر .

وقال : أجهل الجاهلين من تزيده المعرفة بسعة رحمة الله جرأة على معاصيه .

وقال : من حَدَّثَ نفسه بالتوبة من الذنب قبل الوقوع فيه ، دعاه ذلك إلى فعله .

وقال : مَثَلُ الذي يذنب ليتوب ، مَثَلُ الذي يدنس بدنه وثيابه ليغتسل ! وما هكذا ينبغي . إنما ينبغي أن يحترز من الدنس ما استطاع ، ثم إن وقع بحكم الغفلة والسهو ، كان الواجب عليه التنظف في الحال .

وقال : مَثَلُ الأخوّة في الله مَثَلُ الشجرة ، تُسقى بماء التزاور ، وتثمر التعاون على البر والتقوى . فإذا لم تسقَ الشجرة يَبِسَتْ ، وإذا لم تُثْمِرْ قُطِعَتْ .

وقال : إذا عملتَ الطاعة ، فانظر إن شئت في بدايتها التي كانت بحول الله وقوته وحسن توفيقه ، وبذلك ينتفي الإعجاب ، ويبقى شهود المنة لله تعالى .

وإن شئت نظرت في نهايتها التي هي جزيل الثواب ، وحسن المآب ، وعنده تعظم الرغبة وتخف المداومة . والأول أتم .

وإذا وقعت منك المعصية ، فإياك أن تنظر إلى بدايتها التي هي التقدير ، فيدعوك ذلك إلى الاحتجاج على الله ، وهو أعظم من المعصية . ولكن ينبغي أن تنظر في نهايتها التي هي أليم العقاب ، وعنده تبادر إلى التوبة ، وتعظم الرهبة .

وقال : من مكارم الأخلاق : التواضع في الرفعة ،

والتجمل في القلة ، والاقتصاد في الثروة .

وقال : العاقل الذي لا علم له ؛ كالرَّشيد الذي لا مال له !! والعالم الذي لا عقل له ؛ كصاحب المال الذي لا رشد له !!

وقال: سخِّرْ عقلك لعلمك ، وسخِّرْ نفسك لعقلك .

وقال : ما الشأن شهود التقصير في التقصير ؛ إنما الشأن شهود التقصير في التمشير .

وقال : يكون الخير في الأكثر شاقاً في الحال ، حلواً في المآل ، ومَثَلُ فاعله مَثَلُ الذي يصعد في العقبة الكئود ، لا يجد الراحة حتى ينتهي إلى أعلاها .

والشر يكون في الأكثر حلواً في الحال ، وشاقاً في الاستقبال ، ومَثَلُ فاعله مَثَلُ الذي يقع من ذروة جبل أو بيت لا يجد الألم حتى يقع على الأرض .

وقال : لا ينبغي أن تعتدّ بأخُوَّة أخٍ يستطيع أن ينفعك فلا يفعل .

وقال : إذا أردت أن تصطفي إنساناً لنفسك ، فلا بأس أن تمتحنه بما لا يصح الاصطفاء بدونه .

وقال : لا تصحب إلا مَنْ تستطيع القيام بحقوقه

ولا يحوجك لطلب حقوقك ، لكمال قيامه بها .

وقال : من عول في إسقاط حقوق إخوانه على قبول العذر ، كان أقل ما يلقاهم به الغش والمكر .

وقال : أكرم إخوانك إكراماً تستطيع الدوام عليه ، وإلا كان مآل الأمر إلى الوحشة والقطيعة .

وقال : التأويل على ضربين :

أحدهما : يدل على الكمال ، وهو ما يُؤَوَّلُ ليصل إلى الأفهام . وهذا النوع كثير في الكتاب والسنة .

والثاني : ما يُؤَوَّلُ ليصح كونه حقا أو غير باطل . وهذا يدل على النقص .

فكل شيخ يحتاج في صحبته إلى التأويل على الوجه الثاني ، لا يكمل الاقتداء به ، لأن التأويل لا يحصِّل كمالاً ، وإنما يدفع نقصاً .

وقال : من أفرط في حب شهوة من شهوات الدنيا المباحة ، وقع لا محالة في موجب النار أو العار .

وقال : تَخاصَمَ العجزُ والحرمانُ : أيُّهما أضَرُّ على صاحبه ؟! وترافَعَا إلى العقل ، فقضىٰ بينهما : أنَّ العجْزَ أصلٌ ، والحرمانَ فرعُهُ .

وقال : ما من طويّة إلا وفيها خفيّة .

وقال : إذا صلحت المقاصد لم يَخِبِ القاصد .

وقال : الشيطان على إضلال العالِم أحرص منه على إضلال الجاهل ، لأن العالم إذا ضلَّ يضلُّ بضلاله غيره ، والجاهل ليس كذلك .

وقال : من أصلح نيته بلغ أمنيته .

وقال : يصعب سلوك سبيل النجاة على مَنْ غلب على قلبه حب المال والجاه .

وقال : الخوف الصادق يعمل في محو الشهوات النفسانية والهمم الدنية عمل النار في إحراق الأشجار . قال الله تعالى : ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٦٦] .

والرجاء الصادق يعمل في استخراج النِّيَّاتِ الطيبة والأعمال الصالحة عمل الماء في الأرض الهامدة الخاشعة . قال الله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ﴾ [الحج : ٢٢/ ٥] .

وقال : ينبغي أن توقِدَ لك سراجاً من العلم النافع والعمل الصالح ، تستضيء به في ليل ظلمات الدنيا ، حتى يطلع عليك فجر الموت ، أو شمس الساعة ، فإنك إن بقيت

في ليلها بلا سراج ، تنتظر طلوع هذا الفجر ، أو سطوع هذه الشمس ، حَقَّ عليك قول الله تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء : ١٧/ ٧٢] .

وقال رضي الله عنه : كفى بالنجاة من النار مثوبة ، وكفى بحرمان الجنة عقوبة .

وقال : العالم بأسره متلاشي ، وهو في الحقيقة لا شيء .

وقال : من رحمة ربك بك أن حجبك عنه .

وقال : الإفراط في الأمر آية على المصير فيه إلى التفريط .

وقال : مَنْ مَدحَك عند رضائه بما ليس فيك ، ذمَّك لا محالة عند غضبه عليك بما ليس فيك . بَيْتَا شِعْرٍ :

إذا آنستُ من خِلٍّ جَفاءً   فلا أَجْفُوْ وإنْ هو قد جفاني
ولكنـي أفارقه برفقٍ   وأُمْسِك عن تناولِهِ لساني

وقال رضي الله عنه : الذكر لله مغناطيس القلوب ، يجذبها بخاصيته من مواطن الغفلة إلى عوالم الغيوب .

وقال : لا يطمع في بلوغ الآمال والأوطار ؛ من لم يوطِّنْ نفسه على ركوب الأهوال والأخطار .

وقال : لا ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل ، الذي يظن

بنفسه العقل أصلا . فإنه إن خاطبه على مقتضى عقله ، كان مضيِّعا للعقل ومستهينا بفضله . وإن خاطبه بحَسَب جهله ، كان متشبِّهاً به ومعدوداً مثله . قال الله تعالى لنبيه : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٩٩] .

وقال : من أرضاك بما يضرك في دينك ـ كالمداهنة لك وعدم النصح والتبصير بالعيوب ـ فهو لك عدو ، وإن كانت نفسك تميل إليه من حيث طبعها وهواها . وهو كالطعام اللذيذ الملائم ، وفيه السُّمُّ الناقع .

وَمَنْ أسخطك بما ينفعك في دينك ـ مثل التنبيه على العيوب والنقائص التي هي فيك ـ فهو لك ولي وإن كرهته بطبعك . ومَثَلُه كالدَّواء المُرِّ الذي يكون في ضمنه العافية والشفاء .

وقال : من أحبَّ أن يذكره الناس ويثنوا عليه بشيء من الكمال ، وهو يعلم من نفسه خلافه . وكره أن يذموه بأمر يعلم من نفسه انطواءَهُ عليه ، حتى يصير يفرح ويميل إلى من يمدحه ، وينفر ويكره من يذمه ، فقد عظمت حماقته وتمت غباوته .

وقال : الإيمان شجرة ثابتة في أرض القلب ، والاعتقادات والمعارف الإيمانية بمنزلة الأصول والعروق

لتلك الشجرة ، والأخلاق المحمودة والأعمال الصالحة بمنزلة الفروع والغصون لها .

ومثال الموت ، وما يعرض عنده من الفتن ، ويحصل بواسطته من شدة الألم ، كالسيل القوي الذي يجري على أصول هذه الشجرة ، أو الريح المزعزعة التي تحرك فروعها ، وتميل بها يميناً وشمالا .

فإن لم تكن هذه الشجرة الشريفة ، في نهاية القوة ، والنمو ، والرسوخ ، فروعا وأصولا ، خيف عليها الانقلاع في ذلك الوقت .

ومن أجل ذلك ، اشتدَّ خوف الأكابر من سوء الخاتمة ، وزيغ القلب عند الموت .

ثم إن القوادح والعوارض التي تعرض لأصولها ، من البدع والشكوك ، والاضطراب في أمر الآخرة ، يجري مجرى ما يعرض في أصول الشجر من الآفات والأخلاق المذمومة ، والمعاصي تجري منها مجرى ما يقع لفروع الشجرة وأغصانها من العوارض .

فلا جرم أن كان الذي يقدح في الأصل ويوهنه ، أضر على الشجرة كثيراً من الذي يقع على الفروع .

ولهذا عظم أمر البدعة والشك في اليوم الآخر . وكان على صاحبه أضر من المعاصي والمحرمات .

نسأل الله العافية ، والوفاة على الإسلام .

وقال رضي الله عنه ونفع به : الدنيا تنادي على نفسها بلسان الحال ، خطابا للراغبين فيها : احذروني فإنني فتنة ، وخذوا مني زاد الآخرة . وامتثلوا أمر الله لكم ، في ترككم إياي . واعتبروا بمن مضى من قبلكم ، من الزاهدين فيَّ والمتمتعين بي . وانظروا في سِيَرِهم ، وكيف ذهبوا وانقلبوا إلى الآخرة. الزاهدون منهم بنعيم لا ينقضي ، وأهل الحرص بحسرة لا تنقطع .

وقال : الكمال أربعة أجزاء :

العلم ، وبه يُعْرَف حق الله تعالى . والعمل بالعلم ، وهو القيام بأمر الله .

والإخلاص في العلم والعمل ، وهو تصفية ما لله .

والبراءة من الحول والقوة ، وهو الاعتماد على الله .

فمن عرف حق الله ، وقام بأمر الله ، وصفى مالله ، واعتمد على الله ، فهو الإنسان المرتَضَىٰ ، الولي لله المجتَبَىٰ .

وقال رضي الله عنه : السماع يشفي السقيم ، ويحيي الرميم ، إذا وقع من أهله مع أهله في الوقت القابل لذلك ، والمحل اللائق به . وهو فتنة على المستمع بالحظ والهوى ، وعلى المسمِّع على هذا الوجه .

وقال : لا بد للإنسان في الوصول إلى سعادات الآخرة من أمرين :

أحدهما : الهداية والتوفيق من الله . وهو بمنزلة الغيث الذي يصيب الأرض .

والثاني : السعي إلى الله على منهاج الاستقامة ، وهو بمنزلة الحرث للأرض ، وتعهدها بما تحتاج إليه من البذر ، والتربية والحفظ ، وتنحية المؤذي ، إلى غير ذلك .

فحرث الأرض دون أن يصيبها السيل عناء وتعب بلا حاصل . وإصابة السيل لها مع ترك الحرث إضاعة .

فالتوفيق من الله كالغيث ، ليس للعبد فيه مدخل ، وذلك هو الحقيقة . والسعي والاجتهاد الذي هو بمنزلة حرث الأرض وتعهدها إلى العبد ، وهو كسبه ، وعنه يُسأل ، وعليه يُجزى ، وذلك هو الشريعة .

وقال رضي الله عنه : الدنيا بمنزلة البادية المخوفة ،

الكثيرة السُّرَّاق والغُصَّاب . والآخرة بمنزلة المدينة الخصيبة الآمنة . والإنسان خرج إلى الدنيا ليأخذ مما فيها ، فيقدِّمه للآخرة .

فالعاقل كلما حصل في يده شيء من أمتعتها قَدَّمه أمامه ، ليُحفظ ويأمن عليه ، وينتفع به إذا وصل إلى محل استقراره وهي الآخرة .

والجاهل يحتبس ما معه عنده بخلاً به ، فإما أن يأخذه الغُصَّاب من يده ؛ وهي أمثال آفات الدنيا . وإما أن يسافر هو من البادية التي لا قرار له بها على القهر منه ، ويُكَلَّف ترك ما معه ، فيأخذه من يبقى في المحل الذي انتقل عنه .

هذا مثال عجيب ، فليفهمه العاقل اللبيب . قال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت : ٢٩/٤٣] .

وقال رضي الله عنه : الخوف لا ينتفي ، ولا يذهب عن المؤمن ، وإن كان قوي الإيمان صالح العمل . بل كلما كان الإيمان أكمل والعمل أصلح ، كان الخوف أعظم .

مثال ذلك :

الإنسان يكون معه الذهب، والفضة الكثيرة، والأقمشة

المليحة ، وهو مسافر في خبت مخوف ، أو بحر مغرق . فالمال الذي يتوصل به إلى الغنى والشرف معه ، ولكنه لا يَنْتَفِعُ به ، ويشتد خوفه على فوته ، ولا يخاف من ليس معه شيء .

ثم إنه لا يتم سرور صاحب هذا المال بماله ، وينتفي عنه الخوف حتى يصل البندر ، ويتيقن السلامة .

فالآخرة هي بندر الأمن ، والدنيا هي البحر المغرق ، والخبت المخوف، والمسافر هو الإنسان، والنقود والأقمشة التي تكون معه هي المعارف الإيمانية والأعمال الصالحة ، والأمور التي يَخشى منها في هذا السفر على هذه الأمتعة الشريفة هي الشكوك والآفات التي تعرض للإيمان والأعمال الصالحة فتفسدها . نسأل الله العافية .

وقال رضي الله عنه ونفع به : تذهب الدنيا شيئاً فشيئاً ، حتى لا يبقى منها شيء .

وقال : كلام أهل الإخلاص والصدق نور وبركة ، وإن كان غير فصيح . وكلام أهل الزياء والتكلف ظُلْمة وخيبة ، وإن كان فصيحاً .

وقال : من لم تكن له بصيرة تهديه ، طال تعب المعلِّمين والمؤدِّبين فيه .

وقال : من تكبَّر على الحق وأهله ، ابتلاه الله بالذل والباطل وأهله، فيجتمع عليه عند ذلك مصيبتان وعقوبتان، وتفوته منقبتان ومثوبتان .

وقال : المؤمن يتجوز في العادات ولا يتجوز في العبادات . والمنافق يتجوز في العبادات ولا يتجوز في العادات .

وقال : من لم يتهم نفسه في كل ورد وصَدَر ، وقع منها كُلُّ البلايا الكُبَر .

وقال : رب داع إلى الهوى والطبيعة ، وهو يدعي أنه يدعو إلى الدين والشريعة .

وقال : العلم عليك حتى تعمل به ، فإذا عملت به كان العلم لك .

وقال : ما أظَلَّت الخضراء ولا أقلَّت الغبراء أشد حماقة ممن يعلم حُسْنَ شيء وهو له تارك ، ويعلم قُبْحَ شيء وهو له فاعل .

وقال : دبِّرْ ثم افعلْ . فكِّرْ ثُمَّ قُلْ .

وقال : كفى أهل الآخرة شرفاً أنَّ كل أحد يحُبُّ أن ينسب إليهم ، وإن لم يكن منهم . وكفى أهلَ الدنيا ضَعةٌ أن كل أحد يكره أن يذكر في جملتهم ، وإن كان من أكابرهم .

وقال : من أكبر الكبائر الباطنة والظاهرة ، أن تلتمس من أصحابك الدنيا ، وهم يلتمسون منك الآخرة .

وقال : قيمة الإنسان عند أهل الدنيا ، ما يأخذه منهم .

وقال : إن أردت أن تستشير إنسانا فَقَدِّر أنه يشير عليك بمخالفة ما تحب ، فإن رأيت امتثاله ، وإلا فدع .

وقال : رأي الإنسان فرع علمه وعقله ، فلا ينبغي أن يضعه عند من لا يأخذ به .

ولَحِقَ بعدُ من الكلام المنثور ، هذا المسطور :

وقال : مَنْ سَلَكَ مَلَكَ ، ومن حَادَ هَلَكَ .

وقال : من حَفظ الفؤاد ، حُفظ من الفساد .

وقال : مَن حفظ الجوارح ، أَمِنَ الجوارح .

وقال : كاد العاقل أن لا يكون له عدو .

وقال : كاد الأحمق أن لا يكون له صديق .

وقال : في أسفار الأرباح راحة الأرواح والأشباح ، وفي أسفار الأخطار تعب الظواهر والأسرار . والله أعلم .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

تحفة الأبرار

فى الصلاة على النبى المختار

لقطب الإرشاد عبد الله بن علوى الحداد



٥ شارع مصطفى كامل ـ بالخرنفش ت ٣٧٠٧٩

الطبعـــة الأولى

١٣٧٨هـ – ١٩٥٩م

لهذه المجموعة

تحفة الأبرار

في

الصّلاة على النبي المختار

صلى الله عليه وسلم

تأليف

قطب الدعوة والإرشاد الحبيب

عبد الله بن علوي الحداد العلوي الحسيني

جمعها

علوي بن محمد بن طاهر الحداد العلوي

حفيد المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً ، الحَمْدُ لِلهِ الفَتَّاحِ الْعَلِيمِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالصَّلاَةِ والتَّسْلِيمِ عَلى نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ الْعَظِيمِ الرَّءُوفِ الرَّحِيمِ ، الْهَادِي إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَوَعَدَنَا عَلَى ذَلِكَ الأَجْرَ الْكَرِيمَ وَالفَضْلَ الجَسِيمَ ، فَكَانَتْ الصَّلاَةُ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْهِ ، والْمُقَرِّبَةِ زُلْفَى لَدَيْهِ ، بِهَا يَحْصُلُ القَبُولُ ، وَيَسْهُلُ الْوُصُولُ إِلَى الْمَرْجُوِّ والْمَأْمُولِ مِنْ رِضَا الْمَوْلَى والرَّسُولِ ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلى حَبِيبِكَ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ الْكَرِيمِ الْوَصُولِ ، الرَّفِيعِ القَدْرِ عِنْدَكَ والْمُقَرَّبِ لَدَيْكَ وَالشَّافِعِ الْمَقْبُولِ ، وَعلى آلِهِ الأَطَايِبِ الفُحُولِ ، وَأَصْحَابِهِ الْكَمَلَةِ العُدُولِ .

«أمَّا بعدُ» فهٰذهِ صَلَوَاتٌ نبوِيَّةٌ ، هِىَ نفائسُ عَالِيَةٌ ، وَجَوَاهِرُ غالِيَةٌ ، ونفثَاتٌ رُوعِيَّةٌ ، وَوَارِدَاتٌ قُدْسِيَّةٌ ، شَارِحَةٌ لِلصُّدُورِ مُصْلِحَةٌ لِلْقُلُوبِ مُوَصِّلَةٌ إلى المَطْلُوبِ ، جَالِيَةٌ لِلْهُمُومِ والغُمُومِ مُقَرِّبَةٌ إلى الحَىِّ القَيُّومِ ، مِنْ نفائِسِ سيِّدِنَا لِسَانِ الصِّدْقِ ودَاعِى الحَقِّ وشَيْخِ أَهْلِ الطَّرِيقِ ، أَهْلِ الصِّدْقِ والتَّحْقِيقِ إِمَامِ أَرْبَابِ العِرْفَانِ وَنَاشِرِ عُلُومِ الْإِسْلَامِ والْإِيمَانِ والْإِيقَانِ قُطْبِ الدَّعْوَةِ وَالْإِرْشَادِ الحَبِيبِ «عَبْدِاللهِ بْنِ عَلَوِى الحَدَّادِ» الحُسَيْنِىِّ الحَضْرَمِىِّ السُّنِّىِّ مُجَدِّدِ القَرْنِ الحَادِى عَشَرَ جَمَعْتُ فِيهَا مَا بَلَغَنِى مِنْ صِيَغِ صَلَوَاتِهِ وأَضَفْتُ إِلَيْهَا مَا الْتَقَطْتُهُ مِنْ صُدُورِ مُكَاتَبَاتِهِ وخُطَبِ مُؤَلَّفَاتِهِ ، رَاجِياً أَنْ تَكُونَ عَمَلاً مَقْبُولاً وسَبَباً مَوْصُولاً وصِلَةً بِسَيِّدِ الْأَنَامِ وخَلِيفَتِهِ الْإِمَامِ يَنْتَفِعُ بِهَا مَنْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَوَسِيلَةً لِلْفَوْزِ بِشَفَاعَتِهِ العُظْمَى يَوْمَ الوِرْدِ المَوْرُودِ

وَالاُستظلالِ بِظِلِّ لِوائِهِ المَعْقُودِ يَوْمَ يَقُومُ المَقامَ المَحْمُودَ ، وقدْ حافظْنا على ألفاظِ سيِّدِنا وحبيبِنا عبدِ اللهِ إلاَّ ما كانَ مِنْ إبْدالِ صِيغةِ غَيْبَةٍ بِحُضورٍ ونَحْوِهِ ، وَقَدْ خَتَمْتُها بِدَعواتٍ وصِيغَتَيْنِ مِنَ الصَّلَوَاتِ لِسَيِّدِي الْوَالِدِ الظَّاهِرِ فِى أَكْمَلِ المَظاهِرِ العَالِمِ الْعَامِلِ الدَّاعِى إِلَى خَيْرِ المَسَاعِى العَارِفِ بِاللهِ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْحَبِيبِ الْمُنِيبِ الْأَوَّابِ طَاهِرٍ لِلْمُنَاسَبَةِ وَالْجَمْعِ بَيْنَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ ، وَأَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ بِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ أَنْ يُلْحِقَنِي بِهِمْ وَيَحْشُرَنِي مَعَهُمْ فِي حِزْبِ السَّلامَةِ إِلَى مَنَازِلِ الْفَوْزِ وَالْكَرَامَةِ مَعَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، إِنَّهُ الْكَرِيمُ لِمَنْ اسْتَجْدَاهُ ، السَّمِيعُ لِمَنْ دَعَاهُ ، الْمُجِيبُ لِمَنْ نَادَاهُ ، الْجَوَادُ فَلاَ يُخَيِّبُ مَنْ رَجَاهُ ، لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

كَتَبَهُ الْفَقِيرُ إِلَى اللهِ عَلَوِى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ الْحَدَّادُ عَفَا اللهُ عَنْهُ آمِين

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ «اللَّهُمَّ» يا رَبَّ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلِّ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَأجْزِ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ (إحدى عشرة مرة) «اللَّهُمَّ» صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعلى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَدَدَ مَا عَلِمْتَ ومِلْءَ مَا عَلِمْتَ (إحدى عشرة مرة) «اللَّهُمَّ» صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعلى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَدَدَ الشَّفْعِ والْوَتْرِ وَكَلِمَاتِ رَبِّنَا الطَّيِّبَاتِ الْمُبَارَكَاتِ (إحدى عشرة مرة) «اللَّهُمَّ» صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعلى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَدَدَ كُلِّ ذَرَّةٍ أَلْفَ مَرَّةٍ (إحدى عشرة مرة) «اللَّهُمَّ» صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعلى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ فِي الْأَوَّلِينَ وَصَلِّ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعلى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ فِي الآخِرِينَ وَصَلِّ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِلى يَوْمِ الدِّينِ (إحدى عشرة مرة) «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ وَكَرِّمْ عَلى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ السَّابِقِ لِلْخَلْقِ نُورُهُ الرَّحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ

ظُهُورُهُ عَدَدَ مَنْ مَضَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَنْ بَقِيَ وَمَنْ سَعِدَ مِنْهُمْ وَمَنْ شَقِيَ صَلَاةً تَسْتَغْرِقُ الْعَدَّ وَتُحِيطُ بِالْحَدِّ صَلَاةً لَا غَايَةَ لَهَا وَلَا انْتِهَاءَ وَلَا أَمَدَ لَهَا وَلَا انْقِضَاءَ صَلَاتَكَ الَّتِي صَلَّيْتَ عَلَيْهِ صَلَاةً دَائِمَةً بِدَوَامِكَ بَاقِيَةً بِبَقَائِكَ لَا مُنْتَهَى لَهَا دُونَ عِلْمِكَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ كَذَلِكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ (إحدى عشرة مرة) «اللَّهُمَّ» صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً وَلِحَقِّهِ أَدَاءً (إحدى عشرة مرة)

«اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي حَلَّيْتَهُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشِّيَمِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّائِرِينَ عَلَى سَبِيلِهِ وَالْمُتَّبِعِينَ لِآثَارِهِ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ قَدَماً بَعْدَ قَدَمٍ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى قُطْبِ الدَّوَائِرِ وَإِمَامِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ الْبَحْرِ الْخِضَمِّ الزَّاخِرِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الْفَائِزِينَ بِكَمَالِ الِاتِّبَاعِ لَهُ مِنْ بَيْنِ

سَائِرِ الْبَرِيَّاتِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلى إمَامِ الْمُرْسَلِينَ وَسَيِّدِ النَّبِيِّينَ وحَبِيبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ سَيِّدِنَا ومَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهْ وأَصْحَابِهِ بِالْغُدُوِّ والآصَالِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ عَلى الْإمَامِ الْأَعْظَمِ والنَّبِيِّ الْأَكْرَمِ والرَّسُولِ الْأَفْخَمِ حَبِيبِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ السِّرَاجِ الْمُنِيرِ وعَلى أَهْلِ بَيْتِهِ الْقَائِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ بِهِدَايَةِ أُمَّتِهِ ودُعَائِهِمْ إلى الْخَيْرِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّكَ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْأَنَامِ وعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ وتَابِعِيهِمْ عَلَى الدَّوَامِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا ومَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ فِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلى نَبِيِّكَ الْمَخْصُوصِ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ أُولِي النَّجْدَةِ والْكَرَمِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ «اللَّهُمَّ» صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا

مُحَمَّدٍ الهَادِى إلى سَبِيلِ النَّجاةِ وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ وسَلِّمْ كَثِيرًا «اللّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الأنامِ وَعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ «اللّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ومَنْ والاَهُ «اللّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على مَنْ خَصَّصْتَهُ بِالمَقَامِ المَحْمُودِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وأَصْحَابِهِ الَّذِينَ عَرَّفْتَهُمْ حِينَ وصَفْتَهُمْ بِقَوْلِكَ (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) «اللّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ مَا ذَكَرَ اللهَ ذَاكِرٌ وشَكَرَهُ شَاكِرٌ «اللّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعلى عِتْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ «اللّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّم عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ المَحْفُوظِينَ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وشِرْكِهِ «اللّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى رَسُولِكَ الأَمِينِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ الأَكْرَمِينَ «اللّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وآلٍ «اللّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ومُصْطَفَاكَ

وخيرتك من جميع خليقتك سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه وعترته «اللهم» صل على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم «اللهم» صل وسلم على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين بدوامك يا ألله
يا عزيز يا غفور «اللهم» صل على سيدنا ومولانا محمد
الذى أمرنا على لسانه بحفظ الحدود والوفاء بالعهود
والرضا بالموجود والصبر على المفقود «اللهم» صل على
سيدنا محمد الهادى إلى الصراط المستقيم «اللهم» صل
وسلم على سيدنا محمد الذى قلت فى التنويه بتنزيهه
ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى «اللهم»
صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله المقتفين له
فى أخلاقه وأقواله وأعماله «اللهم» صل على نبيك
المحمود لديك ورسولك الحامد لك بين يديك سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه وسلم كثيرا «اللهم» صل على

سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيلِ «اللهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ المُهَاجِرِينَ والأنْصَارِ
«اللهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ الطَّاهِرِ وعلَى
آلِهِ وأَصْحَابِهِ وكلِّ مُوَافِقٍ على المَحَبَّةِ سَائِرٍ «اللهُمَّ» صَلِّ
وَسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وكلِّ مَنْ هَاجَرَ ونَصَرَ «اللهُمَّ»
صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وأَصْحَابِهِ الَّذِينَ
يَهْدُونَ بِالحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ «اللهُمَّ» صَلِّ على صَفْوَتِكَ مِنَ
العَبِيدِ سَيِّدِنَا ومَوْلانَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وسَلِّمْ كَثِيرًا «اللهُمَّ»
صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ المَوْصُوفِينَ بِعُلُوِّ
الهِمَّةِ «اللهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ
وصَحْبِهِ أُولِي السَّعْيِ الحَمِيدِ «اللهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ البَرَرَةِ المُهْتَدِينَ «اللهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ أُولِي النَّجْدَةِ والوَفَا
«اللهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى كلِّ مَنْ أَعَانَهُ

عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِهِ وآزَرَهُ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ مَعَادِنِ الفَضَائِلِ ومَحَالِّهَا «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ المُخْلِصِينَ لِلَّهِ فِي الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ والمَقَاصِدِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الْبَرَرَةِ الأَطْهَارِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ وكلِّ مَنْ آمَنَ وشَكَرَ وثَابَرَ على طَاعَةِ اللهِ وصَبَرَ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ وأَزْكَى التَّحِيَّاتِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ الْبَرَرَةِ المُتَّقِينَ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ السَّالِكِينَ إِلَى اللهِ سَبِيلاً رَشَداً «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وعِتْرَتِهِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى رَسُولِكَ المُصْطَفَى سَيِّدِنا ومَوْلانَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ مَعَادِنِ الصِّدْقِ والوَفَا «اللَّهُمَّ» صَلِّ

وَسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّالِكِينَ سَبِيلَ الفَوْزِ والنَّجاةِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِى أَتْحَفْتَهُ بِغَايَاتِ المَزِيدِ مِنْ حُبِّكَ وقُرْبِكَ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنا ومَوْلانَا مُحَمَّدٍ إِمَامِ أَهْلِ الْكَمَالِ الَّذِى أَحْيَيْتَ بِهِ مَعَالِمَ الهُدَى ودَرَسْتَ بِهِ مَعَالِمَ الضَّلالِ وعَلى آلِهِ بالغُدُوِّ والآصَالِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى رَسُولِكَ وعَبْدِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ القَائِمِينَ بِدَعْوَةِ أُمَّتِهِ إِلى اللهِ مِنْ بَعْدِهِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلى نَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَهُ بِكِتَابِكَ الَّذِى أَنْزَلْتَهُ وَعَلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ وأَوْلِيَائِهِ وأَحْبَابِهِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وضَاعِفْ لَهُمْ الشَّرَفَ والزُّلْفَى لَدَيْكَ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وشَرِّفْ وكَرِّمْ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ النَّذِيرِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى مَعْدِنِ الفَضَائِلِ والمَكَارِمِ سَيِّدِنَا ومَوْلانَا مُحَمَّدٍ وعلى

آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا تَغَنَّتِ الْحَمَائِمُ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ على رَسُولِكَ الَّذِى أَنْزَلْتَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَالْأَصْحَابِ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ بِدَوَامِكَ يَامَلِكُ يَا وَهَّابُ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِى أُطْلِعَتْ بِهِ السُّعُودُ وَطُمِسَتْ النُّحُوسُ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَآلٍ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خِيرَتِكَ مِنَ الْمُخْتَارِينَ وَصَفْوَتِكَ مِنَ الْمُصْطَفَيْنِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْهُدَاةِ الْمُهْتَدِينَ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ عَلَى مَمَرِّ الْأَحْيَانِ وَالسَّاعَاتِ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِكَ الْأَمِينِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَكْرَمِينَ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِكَ الْحَافِظِ لِعَهْدِكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مِنْ بَعْدِهِ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَى وَتَوَلَّى «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

الْمَخْصُوصِينَ بِمَدْحِكَ وَذِكْرِكَ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى
سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الْمُقْتَبِسِينَ مِنْ أَنْوَارِهِ
الْقَاصِرِينَ نَظَرَهُمْ عَلَى مَا لَدَيْهِ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ
الْمُكَرَّمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلِّمْ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ
عَلَى الْأَبَرِّ الْأَنْقَى رَأْسِ الْأَتْقِيَاءِ وَحَتْفِ الْأَشْقِيَاءِ وَحُجَّةِ
اللهِ عَلَى مَنْ سَعِدَ وَشَقِيَ وَمَضَى وَبَقِيَ الْإِمَامِ الْمُطْلَقِ
فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِ تَعَيُّنَاتِ الْحَقِّ الْمَعْنَوِيَّةِ فِي بُرُوزَاتِهَا
الْمَلَكُوتِيَّةِ وَالْحِسِّيَّةِ وَمَظَاهِرِهَا الْكَوْنِيَّةِ مِرْآةِ الْمُقَابَلَةِ
وَعَيْنِ إِنْسَانِ الْمُوَاجَهَةِ كُلِّيِّ النَّشْأَةِ فِي الْمُظْهَرِينَ كَمَالِيِّ
الْحَقِيقَةِ فِي الْعَالَمِينَ فَالْحَقَائِقُ جُزْئِيَّاتُ حَقِيقَتِهِ الْكُلِّيَّةِ
وَالْحِسِّيَّاتُ أَبْعَاضُ صُورَتِهِ الْخَلْقِيَّةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
أَفْضَلَ صَلَاةٍ وَأَجَلَّهَا «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّكَ الَّذِي
أَسْرَيْتَ بِهِ فَاخْتَرَقَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى

سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ مَالَمَعَ بَارِقٌ وذَرَّ شَارِقٌ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى الْأَمِينِ وعلى جَمِيعِ عِبَادِكَ الأَزْكِيَاءِ الطَّيِّبِينَ «اللَّهُمَّ». صَلِّ وسَلِّمْ على نَبِيِّ الهُدَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ مَعَادِنِ الْفَضْلِ والنَّدَى «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الَّذِى خَصَّصْتَهُ مِنْ بَيْنِ أَنْبِيَائِكَ بِرُؤْيَتِكَ وشُهُودِكَ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بُكْرَةً وعَشِيًّا «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ وأَنْصَارِهِ وأَحْزَابِهِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى إِمَامِ الْمُقَرَّبِينَ وَرَأْسِ السَّابِقِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْمُخْلِصِينَ الصَّادِقِينَ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على نَبِيِّكَ الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وأَصْحَابِهِ وأَعْوَانِهِ وَالأَنْصَارِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْوَجِيهِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ عَلى رَسُولِكَ الأَمِينِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ الطَّيِّبِينَ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ

فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا
مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَى وَالْحَبِيبِ الْمُنْتَقَى
وَالْخَلِيلِ الْمُرْتَضَى وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى
وَالصِّدْقِ وَالْوَفَا «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي الْمَنَاقِبِ وَالْمَفَاخِرِ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُودَعِينَ عُلُومَهُ وَسِرَّهُ
«اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ مَنْبَعِ الْمَحَامِدِ
وَمَطْلَعِ الْمَرَاشِدِ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى إِنْسَانِ عَيْنِ الْوُجُودِ
وَمُجْلِي حَقَائِقِ مَرَاتِبِ الشُّهُودِ الْبَرَكَةِ الشَّامِلَةِ لِكُلِّ
مَوْجُودٍ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْمَحْمُودِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
مَعَادِنِ الْوَفَا وَالْجُودِ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ أَكْمَلَ الصَّلَاةِ وَأَتَمَّ
السَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْأَنَامِ وَخَاتَمِ الرُّسُلِ
الْكِرَامِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ «اللّٰهُمَّ» صَلِّ
وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ

الْأَطْهَار «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ على سَيِّدِنَا ومَوْلاَنَا مُحمدٍ وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ وكلِّ مَنْ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى رَبِّهِ وَيَقْتَفِيهِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأَوَّابِ وَعَلى آلِهِ والْأَصْحَابِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا ومَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ الّذِينَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ وَيُسَبِّحُونَهُ ولَهُ يَسْجُدُونَ «اللّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا ومَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ وأَزْكَى التَّحِيَّاتِ «اللّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ صَلاَةً تَعظُمُ لهُمْ بِهَا الزُّلْفَى لَدَيْكَ «اللّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا ومَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ أَزْكَى الصَّلاَةِ وأَتَمَّ السَّلاَمِ وأَوْفَاهُ «اللّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ أَفْضَلَ صَلَوَاتِكَ وأَزْكَى تَحِيَّاتِكَ «اللّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ القَائِمِ فِي المَقَامِ المَحْمُودِ يَوْمَ الْحَشْرِ والْمَعَادِ «اللّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى إِمَامِ المُوَحِّدِينَ وعَلَمِ

الْمُهْتَدِينَ وَيَتِيمَةِ عِقْدِ السَّابِقِينَ وَمَعْنَى حَقِيقَةِ صِدْقِ الصَّادِقِينَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا وَمُعْتَمَدِنَا فِى دُنْيَانَا وَأُخْرَانَا حَبِيبِكَ وَرَسُولِكَ وَأَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ وَتَنْزِيلِكَ أَبِى الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ النَّاصِرِينَ لِشَرِيعَتِهِ وَالْمُهْتَدِينَ بِهَدْيِهِ وَالْمُتَّبِعِينَ لِسُنَّتِهِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَهْلِ وِدَادِهِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَهْلِ الْمَنَاقِبِ وَالْمَفَاخِرِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَكُلِّ مَنْ يَوَدُّهُ وَيُوَالِيهِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى صَاحِبِ النَّامُوسِ الْأَعْظَمِ وَالْمَقَامِ الْمُقَدَّمِ الْأَقْدَمِ الَّذِى فَتَحَ اللهُ بِهِ الْوُجُودَ وَاخْتَتَمَ بِهِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ وَمَجَّدَ وَعَظَّمَ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الَّذِى خَصَّصْتَهُ بِرِفْعَةِ ذِكْرِكَ وَأَيَّدْتَهُ

بِعِزِّكَ وَنَصْرِكَ وعلى آلِهِ الَّذِينَ خَصَّصْتَهُمْ بِإِذْهَابِ الرِّجْسِ عَنْهُمْ وَأَكْرَمْتَهُمْ بِطُهْرِكَ « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الأَكْرَمِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَئِمَّةِ الرُّشْدِ « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَحَبِيبِكَ وَخَلِيلِكَ وعلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً وَسَلَامًا تُعَظِّمُ لَهُمْ بِهِمَا أُجُورًا وَتُلَقِّيهِمْ بِهِمَا نَضْرَةً وَسُرُورًا « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْأَبْرَارِ وَخَيْرِ الْأَخْيَارِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْقَائِمِينَ بِنُصْرَةِ دِينِ اللهِ وَإِقَامَةِ حَقِّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأَبَرِّ الرَّسُولِ الْأَغَرِّ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ الْأَصْبَرِ الْأَشْكَرِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الْمُطَهَّرِ « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْهَادِي بِإِذْنِ اللهِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ فِي كُلِّ غُدُوٍّ وَأَصِيلٍ « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى

سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ السَّالِكِينَ إِلَى اللهِ سَبِيلاً رَشَداً « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ الَّذِى زَوَى اللهُ عَنَّا بِهِ كُلَّ مَحْذُورٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلاَةً وَسَلاَماً يَتَجَدَّدُ لَهُمْ بِهِمَا الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ « اللَّهُمَّ » صَلِّ أَفْضَلَ صَلَوَاتِكَ وَأَزْكَى تَحِيَّاتِكَ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ صَاحِبِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الْمُطَهَّرِينَ مِنَ الرِّجْسِ وَالْجُحُودِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَكْرَمْتَهُمْ بِالتَّطْهِيرِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الشَّافِعِ الْمُشَفَّعِ فِى الْحَالِ وَالْمَآلِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ وَتَكَرَّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ السِّرَاجِ الْمُنِيرِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ خَصَصْتَهُمْ وَأَكْرَمْتَهُمْ بِالتَّطْهِيرِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُهْتَدِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ يَوْمَ يَقُومُ

النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ الأَمِينِ وعلى أَهْلِ بَيْتِهِ المُطَهَّرِينَ وَعَلَى أَصْحَابِهِ والتَّابِعِينَ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ الأَكْرَمِينَ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا ومَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ النَّاسِجِينَ على مِنْوَالِهِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا ومَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا ومَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ الأَكْرَمِ وعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ مَعَادِنِ العِلْمِ والحِكَمِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا ومَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ بِبَاهِرِ آيَاتِكَ وَأَوْضَحِ دَلاَلاَتِكَ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ المَبْعُوثِ بِالآيَاتِ البَيِّنَاتِ والدَّلاَلاَتِ الوَاضِحَاتِ وعَلَى آلِهِ النَّاهِجِينَ مَنَاهِجَهُ النَّيِّرَاتِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ

وَصَحْبِهِ مَعَادِنِ الْوَفَاءِ وَالْأَمَانَةِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ الْأَمِينِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَعَلَى آلِهِ الشُّرَفَا « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِكَ وَحَبِيبِكَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى آخِرِ الْأَبَدِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ بِالْهُدَى وَالنُّورِ وَالشَّافِعِ الْمُشَفَّعِ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَصَابِيحِ الدَّيْجُورِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْيَانِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الشَّافِعِ الْمُشَفَّعِ يَوْمَ النُّشُورِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِي كُلِّ غُدُوٍّ وَأَصِيلٍ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ

بِإِذْنِكَ لِإِقَامَةِ حَقِّكَ وَإِظْهَارِ دِينِكَ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِكَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَئِمَّةِ الدِّينِ وَأَعْلَامِ الْمُتَّقِينَ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ لَا تُلْهِيهِمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَمْ يَغُرَّهُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْجَامِعِ مِنْ فَضْلِ رَبِّهِ لِجَمِيعِ الْمَحَامِدِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ السَّالِكِينَ عَلَى سَبِيلِ رَبِّهِمْ إِلَى أَفْضَلِ الْمَرَاشِدِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ الْحَبِيبِ إِمَامِ كُلِّ مُجِيبٍ وَمُسْتَجِيبٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ أَوَّاهٍ مُنِيبٍ « اللَّهُمَّ » صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ الظُّلَمِ الَّذِي كَشَفَ بِيُمْنِهِمْ وَنَوَافِذِ عَزَمَاتِهِمْ دَيَاجِيرَ الْغُمَمِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ بَيْتِهِ الْمُكَرَّمِ الْمُطَهَّرِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَعَادِنِ السِّرِّ وَالْأَمَانَةِ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ

الْمُهْتَدِينَ « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ حَمِيدِ الْقَوْلِ وَالْفِعَالِ وَعَلَى آلِهِ أَهْلِ الْكَرَمِ وَالنَّوَالِ « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَقَامِعِ الْمُبْطِلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ حُمَاةِ الدِّينِ « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَكْرَمْتَهُمْ بِكَلِمَةِ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْجَامِعِينَ لِلْكَمَالَاتِ وَالْإِحْسَانِ « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَحِزْبِهِ « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْوُرُودِ « اللّٰهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ الْأَمِينِ وَالْحَبِيبِ الْمَكِينِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَسَيِّدِ السَّابِقِينَ

وَاللَّاحِقِينَ وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ الْمُخْلِصِينَ الصَّادِقِينَ وعلى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ الَّذِى أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَخَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ الَّذِى أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ فِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ بِدَوَامِ اللهِ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ حُمَاةِ الدِّينِ الْقَوِيمِ «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الْغُرَرِ مَا اجْتَمَعَ سَحَابٌ وَمَطَرٌ وَمَا حَرَّكَتِ الْأَرْيَاحُ

أَغْصَانَ الشَّجَرِ « اللّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ على عَبْدِكَ ورَسُولِكَ سَيِّدِنَا ومَوْلانَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ الَّذِينَ أَنْزَلْتَ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةَ وأَلْزَمْتَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وكانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا « اللّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا ومَوْلانَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ الَّذِى أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وخَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ وجَعَلْتَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وأَكْرَمَ السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِينَ وأَوَّلَ الشَّافِعِينَ والْمُشَفَّعِينَ وعلى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ الْكِرَامِ وعَلَى أَصْحَابِهِ الأَئِمَّةِ الأَعْلامِ وعلى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ والْقِيَامِ « اللّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِكَ وعَبْدِكَ وَعلى آلِهِ وصَحْبِهِ « اللّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ الطَّيِّبِينَ وصَحْبِهِ الأَكْرَمِينَ « اللّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنَا ومَوْلانَا مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ الأَمِينِ وعلى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وعَلى أَصْحَابِهِ الهَادِينَ الْمُهْتَدِينَ « اللّهُمَّ » صَلِّ

وسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ أَهْلِ السِّيَادَةِ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ السَّادَةِ القَادَةِ « اللهمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ عَلى نَبِيِّكَ الأَكْرَمِ وَرَسُولِكَ الأَفْخَمِ وحَبِيبِكَ الأَعْظَمِ سَيِّدِنَا ومَوْلانا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ مَعَادِنِ الفَضْلِ والكَرَمِ ويَنَابِيعِ العِلْمِ والحِكَمِ مَا جَرَى قَلَمٌ ونُصِبَ عَلَمٌ « اللَّهُمَّ » صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا ومَوْلانَا مُحَمَّدٍ الَّذِى أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ وَخَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ وجَعَلْتَهُ سَيِّدَ المُرْسَلِينَ وعلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ « اللهمَّ » صَلِّ وسَلِّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ مَا تَعَلَّقَ بِهِ عِلْمُكَ مِنَ الوَاجِبَاتِ والجَائِزَاتِ والمُسْتَحِيلاتِ إِجْمالاً وتَفْصِيلاً مِنْ يَوْمَ خَلَقْتَ الدُّنيا إِلَى يَوْمِ القِيَمَةِ فِى كلِّ يَوْمٍ أَلْفَ مَرَّةٍ. تقرأ هذه الصلاة ثلاث مرات

وبها ختام «تحفة الأبرار» ونسأل الله الكريم بجاه نبيه العظيم أن يتقبّل منا ويرضى بفضله عنا ويختم لنا فى عافية

بالحسنى إنه الجواد الكريم المجيب لاَ إلٓه إلاّ هو عليه توكَّلت وإليه أنيب .

⟪□□⟫

وهاتان الصِّيغتان المنسوبتان للوالد العارف بالله محمد بن طاهر الحداد وتليهما الدَّعوات الّتى وجدت بخطّهِ :

« اللَّهُمَّ » صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ وشَرِّفْ وكَرِّمْ على سَيِّدِنا مُحَمّدٍ الْغَنِيِّ بِمَدْحِكَ عَنِ الْوَصْفِ صَلاَةً إعظَمِ قَدْرِهَا تجَلُّ عَن الْوَصْفِ عَدَدَ تعَلُّقِ إرَادَتِكَ بِكلِّ شَيْءٍ قَبْلَ تَكْوِينِهِ ومَعَهُ وبَعْدَهُ وكمَاَ لاَ نِهَايَةَ لِكمَالِكَ وَعَدَدَ جَمَالِهِ وَكمَالِهِ وجَلاَلِهِ وكمَاَ يَلِيقُ بِكَ وبِهِ وعَدَدَ مَا انْتَهَتْ إلَيْهِ فِي الْعَدَدِ نِيَّاتُ الْمُصَلِّينَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ أَجْمَعِينَ فِي الْمَاضِى والآتِي وفَوْقَ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَعَدَدَ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ بَلْ عَدَدَ ذَرَّاتِ الْوُجُودِ كمَاَ يَلِيقُ بِكَرَمِكَ وَمَحَبَّتِكَ لَهُ صَلاَةً يُعْجِزُ عَنِ الإتْيَانِ بِمِثْلِهَا

لِجَزِيلِ فَضْلِكَ فَلَهَا الْمَدَدُ الْأَوْفَى مِنْ قَوْلِكَ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً صَلَاةً أَنْفَرِدُ بِسِرِّهَا وَنُورِهَا وَبَرَكَتِهَا عَلَى غَيْرِي مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ وَأَكْتُبْ ثَوَابَهَا لِحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ هَدِيَّةً مِنِّي هِيَ بِكَ مِنْكَ إِلَيْهِ وَأَذِقْنِي بِجَاهِكَ وَجَاهِهِ حَلَاوَةَ الْوِصَالِ وَالْاتِّصَالِ بِكَ وَبِهِ كَمَا يَلِيقُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ «اللَّهُمَّ» وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ وَاجْعَلْنِي لَكَ عَبْداً مَحْضاً وَاغْفِرْ لِي وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ آمِينَ . «اللَّهُمَّ» صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْوُجُودِ بِعَدَدِ كُلِّ مَوْجُودٍ مِنْ غَيْرِ حَدٍّ مَحْدُودٍ بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِالْكَرَمِ وَالْجُودِ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ *

وَمِمَّا وُجِدَ بِخَطِّهِ هَذَا الدُّعَاءُ وَهُوَ « اللَّهُمَّ » احْمِلْنَا عَلَى بِسَاطِ الرِّضَا إِلَى حَضَائِرِ القُرْبِ مَصْحُوبِينَ بِالْطَافِكَ الْخَفِيَّةِ وَالآدَابِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مَعْمُورِينَ الْبَوَاطِنِ وَالظَّوَاهِرِ حَائِزِينَ أَسْرَارَ السَّلَفِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ « اللَّهُمَّ » وَمُدَّنَا بِدَوَامِ الْمُشَاهَدَةِ مَعَ كَمَالِ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى وَفْقِ الْمَحَبَّةِ فِي مَقَامِ الْقُرْبَةِ حَتَّى تَتَوَاصَلَ أَنْوَارُنَا وَتَتَّصِلَ بِأَسْرَارِ النُّبُوَّةِ أَسْرَارُنَا فَنَرْوَى وَنُرْوِى وَنَنْشُرُ وَنَطْوِى « اللَّهُمَّ » وَاجْمَعْنَا بِحَبِيبِكَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقَظَةً فِي حَالِ الصَّحْوِ وَالْمَحْوِ حَتَّى تَحْفَظَنَا عَنِ السَّهْوِ وَاللَّهْوِ وَتَدُومَ لَنَا الْمَوَدَّةُ وَنَسْتَأْنِسَ بِكَ فِي الْخَلْوَةِ وَالْوَحْدَةِ وَجَمِّلْنَا يَا أَللهُ بِالْعَافِيَةِ الْكَامِلَةِ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ وَالْبَرَكَةِ الشَّامِلَةِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْأَوْلَادِ وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ الْوَاسِعَةَ فِي اللَّحَظَاتِ وَالْأَسْرَارَ الْجَامِعَةَ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَارْضَ عَنَّا فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ

المَمَاتِ آمِينَ * وكَذَلِكَ هَذَا الدُّعَاءُ : يَا حَيُّ نُورُ رُوحِ سَمْعِ آذَانِ قَلْبِي يَا نُورُ رُوحِ بَصَرِ عُيُونِ قَلْبِي بِحَقِّ الفُحُولِ عَلَيْكَ يَا مُرَوِّحَ الأَرْوَاحِ

وَمِمَّا وُجِدَ بِخَطِّهِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا بَاسِطُ يَا وَدُودُ « اللَّهُمَّ » إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي بَسَطْتَ نُورَهُ فِي أَكْوَانِ المَوْجُودَاتِ فَبَلَغَتْ قُوَى أَسْمَاعِهَا وأَبْصَارِهَا أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِسِرِّ ذَلِكَ النُّورِ المَبْسُوطِ أَنْ تَبْسُطَ يَا أَللهُ فِي عُمْرِي وَرِزْقِي ودِينِي وآخِرَتِي يَا بَاسِطُ أَنْتَ الَّذِي بَسَطْتَ الأَرْوَاحَ فِي الأَجْسَادِ وأَنْتَ الَّذِي تُخْرِجُ مِنْ فُؤَادِ القَلْبِ وَقَلْبِ الفُؤَادِ السِّرَّ إِنَّكَ أَنْتَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ يَوْمَ التَّنَادِ أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِنُورِكَ اللَّامِعِ وفَضْلِكَ الجَامِعِ وَبِحَقِّ كُلِّ مَسْمُوعٍ وسَامِعٍ أَنْ تَرْزُقَنِي الإِطِّلَاعَ عَلَى مَرَاتِبِ

تَجَلِّيَّاتِكَ فِي الْوُجُودِ والِانْتِفَاعَ بِالْأَسْرَارِ الَّتِي ادَّخَرْتَهَا فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وابْسُطْ يَا أَللهُ فى قَلْبِي نُورَ الْوِلَايَةِ الْكُبْرَى وأَيِّدْنِي بِفَهْمِ حَقَائِقِ أَسْمَائِكَ الْحُسْنَى واجْعَلْنِي مَبْسُوطَ الْأَيَادِي بِالْإِنفَاقِ مُتَصَرِّفاً فى خَزَائِنِ الْأَرْزَاقِ يَامَنْ بِيَدِهِ حُكْمُ الْإِطْلَاقِ عِنْدَ انْبِسَاطِ نُورِكَ يَا خَلَّاقُ ثُمَّ أَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ بِاسْمِكَ يَا وَدُودُ « ثلاثاً » أَنْ تَجْعَلَ لِي مَوَدَّةً وشَفَقَةً عِنْدَكَ وعِنْدَ جَمِيعِ خَلْقِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ والْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ومَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ عَدَدَ الْمُتَحَرِّكَاتِ والسَّوَاكِنِ وَعَدَدَ مَا كَانَ ومَا هُوَ كَائِنٌ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَقَدْ تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وحُسْنِ تَوْفِيقِهِ جَمْعُ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ

وَالدَّعَوَاتِ لِتِسْعٍ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ شَوَّال

من سنة ١٣٥٢ مِنَ الْهِجْرَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ

وَأَزكى التَّحِيَّةِ

آمين




زاوية العيدروس العلمية
بحوطة آل أبي علوي بتريم

سلسلة كتب الإمام الحدّاد ٩

كتاب

النفائس العلوية

في المسائل الصوفيّة

للإمام شيخ الإسلام قطب الدّعوة والإرشاد

الحبيب عبد الله بن علوي الحدّاد الحضرمي الشافعي

رحمه الله تعالى




كتاب
النفائس العلوية
في المسائل الصوفية



الطبعَـة الأُولىٰ

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

بالتعـــاون مــع:

الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان

هاتف: ٢٤٢٨٨٦ ــ ص.ب: ٥٩٢٠ ـ ١١٣ ـ تلكس: ٤٢٢١٨ ــ فاكس ٨٦٠١٢٨ ـ ١ ـ ٩٦١

تعريف مُوجز عن الإمام الشهير عبد الله بن علوي بن محمّد الحدّاد

هو سيّدنا الإمام العلّامة الدّاعي إلى الله بقوله وفعله قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمّد الحدّاد ولد رضي الله عنه بالسبير من ضواحي مدينة تريم بحضرموت ليلة الخميس ٥ صفر سنة ١٠٤٤هـ وتربّى في تريم وقد كُفّ بصره وهُو صغير فعوّضه الله عنه بنور البصيرة وجدّ واجتهد في طلب العلوم النافعة وعكف على عُلماء عصره في مُقدّمة مشايخه سيّدنا الحبيب عُمر بن عبد الرّحمن العطاس والحبيب العلّامة عقيل بن عبد الرحمن السّقاف والحبيب العلّامة عبد الرحمن بن شيخ عيديد والحبيب العلامة سهل بن أحمد باحسن الحديلي باعلوي ومن مشايخه أيضًا الإمام العلّامة عالم مكّة المكرمة السّيد محمّد بن علوي السّقاف .

ثم نصبه الله للدعوة والإرشاد داعيًا إلى الله تعالى

بالحكمة والموعظة الحسنة فأقبل عليه الناس وانتشر
صيته في البلدان وانتفع به القاصي والداني فنفع الله
به الكثير وأرشد الجم الغفير وانتشرت دعوته في كل مكان
وانتفع الناس بوعظه وكتبه وأخذ عنه الجم الغفير
فمن كبار تلامذته ابنه سيدنا الحبيب حسن بن عبد الله الحداد
والحبيب أحمد بن زين الحبشي والحبيب عبد الرحمن بن عبد الله
بلفقيه والحبيبين محمد وعمر أبناء زين بن سميط والحبيب عمر بن
عبد الرحمن البار والحبيب علي بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف
والحبيب محمد بن عمر بن طه الصافي السقاف وغيرهم العدد الكثير.
وله مؤلفات كثيرة جمعت النصائح والمواعظ والحكم وانتشرت
انتشارًا كبيرًا وكتب لها القبول والمحبة ونفع الله بها الناس
وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى لغات أجنبية في العصر الحاضر
مثل الإنجليزية والفرنسية . ومؤلفاته غنية عن التعريف

ومشهورة لدى الكبير والصغير ومنها النصائح الدينية. والدعوة التامة ورسالة المعاونة وغيرها من الوصايا والرسائل ومجموع كلامه تثبيت الفؤاد وديوانه العظيم الدر المنظوم الجامع للحكم والعلوم ووصاياه ومكاتباته وأكثر مؤلفاته مطبوعة وأقبل عليها الناس إقبالاً شديداً وأعجب بها العلماء والعارفون وجعلوها بمنزلة الغذاء يقرؤون فيها في كثير من الأوقات وقالوا عنها انها جمعت الخلاصة والزبدة من كلام الإمام حجة الإسلام الغزالي ولا يستغني عنها كل مسلم فهي وجيزة وجامعة ونفع الله بها ببركة مؤلفها الإمام الحداد رضي الله عنه وكان رضي الله عنه قد سافر إلى الحرمين الشريفين وأدى النسكين وزار جده سيد الكونين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك في عام ١٠٧٩ هجرية واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين الذين اغتبطوا به وعرفوا قدره وأثنوا عليه .

ولم يزل يدعوا الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة حتى وفاته إلى رحمة الله تعالى فتوفي ليلة الثلاثاء ٧ ذو القعدة عام ١١٣٢ هجرية ودفن بمقبرة زنبل بتريم رحمه الله رحمة واسعة ورضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه في الدارين آمين .

طه بن حسن بن عبد الرحمن السقاف

حرر الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٤١٢

صور من المخطوطات المستعان بهـا
في طبـع هذا الكتاب

من فتاوى مع

لمسا

كتاب النفائس العلوية في المسائل الصوفية لسيدنا الامام قطب دايرة
الاسلام الشيخ الشهير والعلم المنير ابي الحسن
عفيف الدين عبد الله بن
الشيخ عبد الله
بن علوي بن
محمد
الحداد
اغاث الله به العباد
والبلاد آمين

صفحة الغلاف من المخطوطة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم وعليه توكلت الحمد لله
الواحد الأحد الأول الآخر المتعالي الصمد البديع الكريم الجواد
الذي ليس لعجائب صنعه نفاد على طول الأمد ولا لتوالي نعمه وتواتر
منته حصر ولا عدد أحمده حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده
وأسأله توفيقي لرضاه وامتناحي عافيته وتأييده وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة انتظم بها في سلك ذوي
الأحوال الصادقة والنفوس المطمئنة والمذاهب السديدة
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بالشريعة المطهرة
والصراط المستقيم على القواعد المشيدة العبد الكامل المكمل
من اقتفاه من أمته المحمودة صلى الله وسلم عليه صلاة وسلاما
دائمين بدوام الدهور الأمدية وعلى آله وصحبه خزائن العلوم
وطوالع النجوم والفرسان القروم في الساعات الشديدة وعلى
السالكين على هديهم السائرين من بعدهم الواضحين بسيرهم السديدة
الحرمين بما شادهم وعلا مكانهم رتبة علوية ذوي التحقق بالاتباع
والتحقيق في الاستتباع المعروفين استمرار معنى بالسادة الصوفية
وخصوصا من زاد بشرف الذات وبما شاع وذاع بما بهر العقول
من التتابع والتناسق على توارث الأحوال وانتقالها والسير
المرضية وأعني بهم السادة الحسينيين أولي الكرامات الخارقة
والآيات الباهرة والسنة المحمدية وخصوصا مسك ختام مصر
ونور أعيانهم وبهلوان أقرانهم من عمت الوجود بركاته
وبهرت العقول معارفه الدالة عليها كلماته شيخ الإسلام

الصفحة الأولى من المخطوطة الأولى

انما قال القشيري هذا حيث ادرك من ترسم برسومهم ولم تكن
على هديهم واما الان فلا انسا ولا اخيام وقد ذهبوا اليوم وذهبت
آثارهم ورسومهم وما بقي الا الخير وعفو الله وحسن الظن بالمومنين
خصوصا وعموما وقد صار الناس كلهم من اهل التخريب فانه لم
يبق منهم الا على المندرس من يقيم التوحيد والصلاة والزكاة والصيام
والحج كما ترى وتسمع والله المستعان فان وجد احد ممن يقال له
احد على هذا الشان المسئول عنه مما يعزى اليه صلاح وهو
محافظ بعد اقامة التوحيد على اقامة الصلوات وما في معناها
من قواعد الدين مجتنب للكباير من الزنا والربا واكل اموال الناس
بالباطل ومخالطة الظلمة والفساق المصريين ثم وقع في
شيء من الصغاير المختلف في كثير منها مثل النظر الى
النساء الاجانب او اجتناب شيء من الملاهي التي قد اختلف
فيها وامثال ذلك فقد يسلم له حاله ويخلى هو وربه ايثارا
لجانب السلامة وفرارا من تكذيب الانسان بما لم يحط به علما
فان لله تعالى في خلقه اسرارا ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم
او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا قل كل
يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا والله اعلم
وقد املينا هذه الكلمات الوجيزة على هذه المسايل

الصفحة قبل الأخيرة من المخطوطة الأولى

وهي تحتمل بسطا وان كانت واضحة ونستغفر الله
ونفوض اليه ونعوذ به من شرور
انفسنا وسيئات اعمالنا
سبحانك لا علم لنا
الا ما علمتنا انك
انت العليم
الحكيم
وكان املاء ذلك بكرة يوم الخميس في شهر ذي القعدة سنة
خمس وعشرين ومائة
والف وصلى الله
على سيدنا محمد
وآله وصحبه
وسلم

بلغ مقابلة بحسب الامكان

الصفحة الأخيرة من المخطوطة الأولى

كتاب النفايس العلويه
في المسايل الصوفيه من فتاوي
السيد الجليل العارف بالله تعالى
ظاهرا وباطنا الداعي اليه والدال عليه
قصده من خلقه الموصل الى الله تعالى علم الهدايه
ومعدن الاسرار والبالغ في العلوم الى النهايه الوارث للمقام
المحمدي المتولي من الله الكريم الجواد السيد
الشيخ عبد الله بن علوي بن محمد بن احمد بن عبد الله
الحداد باعلوي نفع الله به وبعلومه واسراره امين
جمعها السيد العلامه المخصوص بالوهب الالهي السيد
العارف بالله تعالى احمد بن زين بن علوي ابن الشيخ
احمد الحبشي باعلوي نفع الله به امين امين
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

صفحة الغلاف من المخطوطة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الواحد الاحد الاول الآخر المتعالي الصمد البديع
الكريم الجواد الذي ليس لعجايب صنعه نفاد على طول الامد
ولا لتوالي نعمه وتواتر مننه حصر ولا عدد احمده حمدا
يوافي نعمه ويكافي مزيده واساله توفيقي لرضاه
وامنا حي عافيته وتاييده واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة انتظم بها في سلك ذوي الاحوال
الصادقة والنفوس المطمئنة والمذاهب السديدة واشهد
ان سيدنا محمد النبي الامي عبده ورسوله المبعوث بالشريعة
المطهرة والصراط المستقيم على القواعد المشيدة العبد
الكامل المكمل لمن اقتفاه من امته المحمودة صلى الله وسلم
عليه صلاة وسلاما دايمين بدوام الدهور الابدية وعلى آله
واصحابه خزاين العلوم وطرق العلم النجوم والفرسان القروم
في الساعات الشديدة وعلى السالكين على هديهم السايرين
من بعدهم الوارثين سيرهم السديدة لاسيما من سما شانهم
وعلا مكانهم رتبة علوية ذوي التحقيق بالاتباع والتحقيق
في الاستنباط المعروفين اسما ومعنى بالسادة الصوفية
وخصوصا من زاد بشرف الذات وبما شاع وذاع مما بهر العقول
من التتابع والتناسق على تواتر الاحوال والمقامات والسير
المرضية واعني بهم السادة الحسينيين اولي الكرامات
الخارقة

الصفحة الأولى من المخطوطة الثانية

فالحال انه مشكل فان كان القايل له ليس من الايمه المعتمدين
في هذا الشان ففي كلامه ذلك رد عليه لما فيه من الاشكالات
والاغاليط الغير الواقعه ولا الجايزه وان كان عن احد من
الايمه الجامعين فيحمل ذلك منه على الشطح والغلبه او على
ضرب من التجوز واقامة بعضيات الامور وجزئياتها مقام
جملها وكلياتها وذلك قد جرى في كلامهم خصوصا وفي
كلام العرب عموما كما يعرف ذلك من له المعان وتوسع
في خصوص ذلك وعمومه والكلام الذي ذكرتموه في تعريف
حال العارف كلام مليح لا فتاملوا ما ذكرناه فانه كلام
مجمل وتحته تفاصيل تظهر بالتامل الدقيق والله اعلم
تم الكتاب بحمد الله وعونه يوم الاحد منتصف ربيع اول سنه سبع
واربعين بعد مايه والف على يد الفقير الى الله عبد الرحمن بن زين
بن عبد الرحمن بالولو باحنان بدل الله سياته حسنات ببركه سيد
الرسالات وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

مقنع صح

الصفحة الأخيرة من المخطوطة الثانية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه ثقتي وبه نستعين

الحمد لله الواحد الأحد، الأول الآخر المتعالي، الصمد البديع، الكريم الجواد الذي ليس لعجائب صنعه نفاد على طول الأمد، ولا لتوالي نعمه وتواتر مننه حصر ولا عدد.

أحمده حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده، وأسأله توفيقي لرضاه وأمناً في عافيته وتأييده.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة أنتظم بها في سلك ذوي الأحوال الصادقة والنفوس المطمئنة والمذاهب السديدة.

وأشهد أن سيدنا محمداً النبي الأمّي، عبده ورسوله، المبعوث بالشريعة المطهرة والصراط المستقيم على القواعد المشيدة، العبد الكامل المكمل لمن اقتفاه من أمته المحمودة صلى الله عليه صلاة وسلاماً دائمين بدوام الدهور الأميدة وعلى آله وأصحابه خزائن العلوم وطوالع النجوم، والفرسان القروم في الساعات الشديدة، وعلى السالكين على هديهم السائرين من بعدهم الوارثين سيرهم السديدة، لا سيما من

سما شأنهم، وعلا مكانهم رتبة علوية، ذوي التحقق بالاتباع والتحقيق في الاستتباع، المعروفين إسماً ومعنى بالسادة الصوفية، وخصوصاً من زاد بشرف الذات وبما شاع وذاع بما بهر العقول من التتابع والتناسق، على توارث الأحوال والمقامات والسير المرضية. أعني بهم السادة الحسينيين أولي الكرامات الخارقة والآيات الباهرة والسنة المحمدية.
وخصوصاً مسك ختامهم ونور أعيانهم وبُهلُولَ أقرانهم من عمت الوجود بركاته وبهرت العقول معارفه الدالة عليها كلماته، شيخ الإسلام وبركة الأنام الوارث المحمدي المتولى من الله الكريم الجواد، شيخنا وبركتنا أبو محمد عبد الله بن علوي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحدَّاد با علوي الحسيني الأشعري أمدنا الله تعالى بمدده وأمتع المسلمين بطول مدده وزاده من تضاعف ترقيه في أعلى مقاماته، على طول أمده إنه على كل شيء قدير، وما ذلك على الله بعزيز.

فصلِّ اللهم على نبيك محمد وعليهم كذلك أضعاف ذلك وأنظمني في سلكهم وحققني بحقائق علومهم، مصحوباً بالعافية والسلامة الكاملين حتى ألقاك على أتم ما ترضى به عني راضياً عني أكمل الرضوان، في فسيح الجنان ووالديّ ومشايخي. يا الله يا رحمٰن، يا أرحم الراحمين.

وبعد، فهذه النفائس «العلوية في المسائل الصوفية» من

فتاوى شيخنا السيد عبد الله بن علوي السالف ذكره. أمرني أن أجمعها وأن أسمي هذا المجموع بهذا الاسم المرفوع تقبل الله الكريم ذلك وهذا أوان الابتداء.

(١) **فمنها: ما سأله عنه** السيد الشريف العالي المنيف، أبو بكر بن السيد شيخ السقاف باعلوي، نفع الله بهم. وهو ما حكم الخواطر في حق الواصل إلى الله تعالى هل يرميها ويعتمد على الخاطر الرباني فقط أم كيف يصنع؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه وجزاه خيراً يعلم السائل أولا أن الواصل إلى الله تعالى: من وصل من العلم بالله سبحانه وتعالى، إلى حد ينتهي إليه علم العلماء به من خلقه. وأهل هذه المرتبة يتفاوتون فيها تفاوتاً لا ينحصر وللواصل إلى هذا المقام حالتان، تسمى إحداهما بالجمع والأخرى بالفرق، فإذا وردت عليه حالة الجمع، فني عن نفسه وعن غيره من جنسه، واستغرق بربه وذهب فيه بالكلية، فلا خاطر هناك يخطر ولا موجود ثَمَّ يظهر إلا الموجود الحق جل وعلا.

وفي وصف هذا الوارد قال بعض المتحققين به:

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري سهوا قضيت بردتي

يعني حكمت بعدم استغراقي بك واستهلاكي فيك. والله أعلم.

وقال آخر:

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعتْ مذ رأتك العين أهوائي

وأصل وجود الخواطر وتشعبها: تفرق الهم وكثرة العلائق وما عند الواصل إلى الله تعالى من هذا الأمر خبر، لأنه قد جعل الهموم هماً واحداً. وهو الله تعالى وإلى الجمع الإشارة بقوله ﷺ: «لي وقت لا يسعني فيه إلا ربي». ثم إن دوام وارد الجمع عزيز جداً وعند دوامه تظهر أمور عجيبة وتبدو شؤون غريبة.

وقد دام هذا الوارد على بعض مشايخ العراق سبع سنين ثم أفاق يسيراً ثم عاد إليه فاستغرقه سبعاً أخرى. وكان في هذه المدة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يصلي بل كان واقفاً في البرية شاخصاً ببصره إلى السماء.

وبلغنا عن بعض مشايخ مصر، أنه توضأ ثم اضطجع وقال لنقيبه: لا توقظني حتى أستيقظ بنفسي فمرت سبع عشرة سنة وهو في نومته. ثم استيقظ وصلى بوضوئه ذلك.

والعارفون يشتاقون إلى الجمع والحق ينقلهم عنه لطفاً بهم. وليقوموا بالتكاليف ولئلا تضمحل أجسامهم وتتلاشى عظامهم، لأن الواردات الإلهية إذا قويت واستولت لم تثبت لها القوى البشرية. كيف وقد احترق الطور وصار دكا لما أشرق عليه ذلك النور.

ولا يصح دعوى حصول الجمع لأقوام تخبطهم الشيطان فتراهم يتركون العبادات ويضيعون الفرائض من الصوم والصلاة، ومع ذلك يتناولون الشهوات ويرتكبون المحرمات، لو كانوا من أولياء الله تعالى لحفظهم ولو كانوا مستغرقين به لغابوا عما سواه.

ولا نطيل الكلام وإن كان طويلاً عريضاً في هذا الموطن، الذي طالما زلت فيه الأقدام، لأنه من الأمور الذوقية التي يصعب على العقول إدراكها فضلاً عن الأوهام.

وأما حالة الفرق فالواصل فيها محفوظ وبعين العناية ملحوظ، وعندها يبقى الخاطر الرباني ويسمى عند الصوفية بالإذن والخاطر الملكي، ويدعى عندهم بالإلهام وهم لا يقدمون عليه إلا ما كان من كتاب أو سنة.

وأما الخاطر الشيطاني فلا وجود له، لأن اللعين لا يستطيع دنوا من قلب واصل إلى الله تعالى مشرق بأنوار معرفته، وربما أسلم شيطان الواصل إلى الله تعالى، على سبيل الوراثة منه لنبيه ﷺ. إذ يقول ﷺ: «لي شيطان، إلا أن الله سبحانه وتعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بالخير».

وأما الخاطر النفساني فيبعد إمكان وجوده، لأن نفس الواصل قد اطمأنت إلى ربها وصارت في حيز القرب متابعة مطيعة، دعاها مولاها فرجعت إليه فأدخلها في عباده وجعلها

معهم في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

(٢) **وسأله** السيد المذكور أيضاً: عن حكم سيئة العارف؟

فأجابه رضي الله عنه وأمدنا منه: العارف في اصطلاح الصوفية شخص آمن بالله على بصيرة وعلم ما افترض الله عليه من طاعته وما حرم عليه من معصيته فامتثل واجتنب، ثم أخذ يكثر النوافل المقربة إلى الله تعالى ابتغاء الزلفى إليه سبحانه، حتى أشرقت عليه أنوار السعادة وصار الغيب في حقه كالشهادة وهداه الحق سبيله وجعل له فرقانا وعلمه من لدنه علما.

ثم إن العارف وإن وصل إلى هذه الرتبة فجائز صدور السيئات عنه وجائز عقابه عليها شرعا وعقلا، لأن غاية العارف أن يكون وليا ونهاية الولي أن يكون محفوظاً، وقد ثبتت المؤاخذة لجماعة من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على أمور صدرت منهم، من ذلك ما حل بآدم صلى الله على نبينا وعليه وسلم حين أكل من الشجرة، وبداود صلى الله على نبينا وعليه وسلم حين صدرت منه تلك النظرة أو الخطرة وبسليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم حين وقع منه ذلك الميل، الذي لم يظهر عليه من العمل به ولا ذرة.

ومع هذا فجمهور المحققين قائلون بعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن الكبائر والصغائر. والذي وقع من

بعضهم إنما وقع على سبيل الخطأ والنسيان.

وقد علم وتقرر أن الأعمال الصالحة التي تصدر عن العارف، يزيد ثوابها على غيره وتتضاعف أضعافاً كثيرة. وكذلك ما يصدر منه من السيئات تعظم المؤاخذة عليها وتفحش المعاقبة وربما عوقب على الصغائر معاقبة غيره على الكبائر وذلك لأنه في حيز القرب، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ الآية. والتي تليها.

وقد بلغنا عن العارف ابن الجلاء، أنه نظر إلى أمرد جميل فقيل له: لتجدن غبها ولو بعد حين فنسي القرآن بعد ذلك.

وخطر لبعضهم خاطر المعصية وهو في الصلاة، فأسود جميع بدنه وبقي مدة حتى شفع فيه بعض المحققين.

ورأى الجنيد فقيراً يسأل الناس. فقال في نفسه: لو اشتغل هذا بالكسب كان أحسن له فلما قام إلى ورده بالليل، لم يجد نشاطا ولا حلاوة فغلبته عيناه فرأى الفقير قد جيء به ممدودا فقيل له: كل لحمه فإنك اغتبته، فقال: سبحان الله إنما كان خطرة، فقيل له: مثلك لا يسمح له بهذا.

وقد عوقب بعضهم على طلبه شيئاً من الشهوات

المباحة لتركه حسن الأدب اللائق بهم مع الله تعالى فيها.

من ذلك أن أبا تراب النخشبي رحمه الله تعالى اشتهى خبزاً وبيضاً، فعدل إلى بعض البلدان ليظفر بشهوته فتعلق به بعض أهلها، وقال: كان هذا مع اللصوص فضربوه ضرباً وجيعاً. ثم عرفه إنسان فذهب به إلى بيته وقدم إليه شهوته، فقال لنفسه: كلي بعد كذا وكذا ضربة.

وعزم بعضهم على ترك أكل السمك فغلبته نفسه فمد يده إليه، فدخلت في يده منه شوكة تلفت بها يده.

وبلغنا عن الشيخ أبي الغيث رحمه الله تعالى: أنه قبل زوجته من غير نية، فحط عن مقامه ولم يصل إليه إلى سنة.

وحكاياتهم في هذا الباب كثيرة ولو بسطنا الكلام على تبيين هاتين المسألتين لخرجنا عن غرضنا من الإيجاز وفيما ذكرناه بلاغ إن شاء الله تعالى.

(٣) **وسأله** الشيخ العلامة عبد الرحمن بن عبد الله الخطيب بارجا رحمه الله تعالى: عن القطب أهو الغوث أو غيره؟ وكذا عن الأوتاد والأبدال وغيرهم، من أهل الله تعالى.

فأجابه جزاه الله أفضل الجزاء ونفعنا به:

اعلم يا أخي أن في الباب أخباراً ترفع إلى رسول

الله ﷺ، وآثاراً تستند إلى أولياء الله تعالى. وسأقتصر من ذلك على ذكر خبر وأثر وأطراف أخر.

روى اليافعي رحمه الله تعالى في روضه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله تعالى في أرضة ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم، وأربعون قلوبهم على قلب موسى، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم، وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل، وله واحد قلبه على قلب إسرافيل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام فإذا مات الواحد جعل الله تعالى مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة جعل الله مكانه من الخمسة، وإذا مات من الخمسة جعل الله مكانه من السبعة، وإذا مات من السبعة جعل الله تعالى مكانه من الأربعين، وإذا مات من الأربعين جعل الله مكانه من الثلاثمائة، وإذا مات من الثلاثمائة جعل الله مكانه من العامة، بهم يرفع الله عز وجل البلاء عن هذه الأمة».

قال الإمام اليافعي رحمه الله تعالى: وهذا الواحد الذي على قلب إسرافيل هو القطب وهو الغوث. ومكانته من الأولياء نفع الله بهم، بمنزلة النقطة من الدائرة التي هي مركزها. به يقع صلاح العالم.

وعن الخضر عليه السلام قال: ثلاثمائة هم الأولياء

وسبعون هم النجباء، وأربعون هم أوتاد الأرض، وعشرة هم النقباء، وسبعة هم العرفاء، وثلاثة هم المختارون، وواحد هو الغوث.

وعن الشيخ عبد القادر الجيلاني، رحمه الله تعالى: أن الأبدال سبعة.

وعن الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى: أن الأوتاد أربعة.

وعن الشيخ محمد بن عربي رحمه الله تعالى قال: يكتنف القطب رجلان يقال لهما: الإمامان، أحدهما عن يمينه ونظره إلى عالم الملكوت والآخر عن شماله ونظره إلى عالم الملك، فإذا مات القطب جعل مكانه الذي عن شماله، انتهى بمعناه.

وذكر أيضاً رحمه الله تعالى أن من الأولياء رجالاً يقال لهم: الأفراد لا يدخلون تحت دائرة القطب وربما لم يطلع عليهم، انتهى. وفيه احتمال.

وفي كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى ما يدل على أن الأفراد وغيرهم من الأولياء، كلهم داخلون بأمر الله سبحانه تحت أمر الغوث.

ثم إن أولياء الله تعالى غير محصورين في هذا العدد.

وقد اجتمع في وقت الشيخ عبد القادر رحمه الله

تعالى، من الأولياء اثنى عشر ألفاً، (وما يعلم جنود ربك إلا هو).

وأما القطب الغوث فليس إلا واحداً في كل زمان، وهو الفرد الجامع ويدعى عند القوم بالخليفة وبالإنسان الكامل، وينعت بصاحب الصديقية الكبرى والولاية العظمى.

وقد ذكر سيدي محيي الدين عبد القادر رحمه الله تعالى، نبذة من أوصافه ومواجيده في كلام نقله عنه اليافعي رحمه الله في آخر حكاية من كتاب المائتين فانظروه إن شئتم.

والقطبانية بمعنى السيادة وكذا يطلق اسم القطب مجازاً على من له سيادة خاصة على أهل مقام أو حال، فيقال: قطب المتوكلين، وقطب الراضين إلى غير ذلك، ولعله إنما يقال لصاحب الصديقية الكبرى: القطب الغوث مع الاكتفاء بلفظ القطب في تعريفه، احترازا عن هذا المجاز.

فهذا القدر من البيان كاف في هذا الباب، وبين القوم خلاف في أسماء أهل هذه المراتب وأعدادهم، وإذا اعتبرته وجدته لفظياً.

وبسط الكلام على تحقيق هذه المسألة يستدعي ذكر مواجيد أهل دائرة الولاية وذكر علاماتهم الدالة عليهم، وتفاوت أهل كل رتبة في رتبتهم إلى غير ذلك. وهذا أمر لا يستقل بتحقيقه إلا القطب الغوث، لإحاطته بجميع

مراتبهم واندراج مقاماتهم في مقامه وأحوالهم في حاله، وأما غيره من الأولياء فلا يحيط إلا بمن هو في رتبته أو دونه، وله إشراف على من هو أعلى منه من غير إحاطة.

وعلى الجملة فهذه المسألة من الأمور التي لا يقنع فيها بدون الكشف والعيان، فمن أراد ذلك فعليه بتهذيب أخلاق نفسه وتلطيف كثافتها بالرياضة البالغة، الماحقة للرعونات النفسانية القاهرة للحظوظ الشهوانية المزينة بالحضور الدائم مع الله تعالى، بوصف حسن الأدب على بساط الذلة والإنكسار والإضطرار والإفتقار، تحقيقاً للعبودية ووفاء بحق الربوبية.

فإذا أحكم العبد هذين الأصلين اللذين أحدهما حسن الرياضة والآخر كمال الحضور إنهتكَ حجاب قلبه وأبصر غيب ربه. فعند ذلك يشاهد الأولياء على مراتبهم ومناصبهم القدسية أرواحا مجردة فحينئذ يستغني عن الوصف ويرتفع من حضيض التقليد إلى أوج الكشف.

وأما نحن معاشر المحجوبين فليس لنا من هذا الأمر وما يجري مجراه إلا مجرد الوصف وليس بقليل إذا لم يقع الجمود عليه، لأنه ينتج المحبة وعنها يكون الشوق، وعنه يكون الطلب ومن طلب وجد، ولكل نبأ مستقر، ولكل أجل كتاب. ولنا في هذا المعنى:

بصرت بركب الحي للحي سائرا فقلت لـهم ما حال ذات الغدائر
محجبة الحسن البديـع الذي غدا بها كل صب واله القلب حائر
ألا فاشرحوا لي حسنها وجمالها فأوصافها تحلو لسمعي وخاطري
فقالوا نرى في ذكرها بعض سلوة لعاشقها دون الشهود بناظري
هَلُمَّ نَجِدَّ السيرَ نحو خبائهـا لنحظى بها ما بين تلك المسامر
فقلت لهم في ذكر أوصاف حسنها تيقظ محجوب وتنشيط سائـر
رعى الله أياما تقضًى نعيمها وتذكارها ما زال نصب سرائري
خليليَّ هل من عودة لليـالي تولت فإني بعدها غير صابـر

٤ **وسأله** الشيـخ المنور عبد الكبير بن عبد الله با حميد بما حاصله: ما حكم من يخالط أهل المعاصي؟ والأكل من طعام من معاملته فاسدة؟ وحكم معاملته؟

فأجابه رضي الله عنه، ونفع به:

أعلم أنه ينبغي للمؤمن الشفيق على دينه الحريص على آخرته، أن لا يخالط ولا يعاشر ولا يجالس إلا أهـل الخير والطاعة المتقين لله تعالى التاركين المعاصي إما بالإجتناب رأساً أو بالتوبة الصحيحة منها إن وقعوا فيها.

ثم إن من يخالط أهل المعاصي عند الحاجة بقدرها، وهو مع ذلك يكره معاصيهم وينكرها عليهم ويدعوهم إلى التوبة منها، سالم في دينه لا تضره مخالطتهم، وربما تندب له

إذا كان يرجو تأثرهم بنصحه، واستجابتهم لدعوته ولو على تراخ.

وأما الذي يخالطهم ولا ينكر عليهم معاصيهم مع القدرة، غير أنه لا يشاركهم ولا يساعدهم على جنايتهم فهذا لا يسلم من الإثم، وربما يصيبه ما أصابهم لا سيما إن كان يخالطهم لغير ضرورة أو حاجة.

وأما الذي يخالطهم، أعني العصاة وهو مع ذلك يثني عليهم، ويحسِّن لهم أهواءهم وربما فتح لهم بعض الأبواب في التوصل إلى أغراضهم الفاسدة فهذا عند الله تعالى أشر منهم وعذاب الله تعالى إليه أسرع ومقته له أحق، والكلام في العصاة المصرين المتظاهرين بالمعاصي المعروفين بها.

وبالجملة، ينبغي للعاقل أن لا يخالط أحداً من المصرين على شيء من المعاصي ولا يجالسهم ولا يجتمع بهم، إلا إن وقع ذلك مصادفة من غير قصد أو ضمه هو وإياه شيء من الإجتماعات أو الأماكن العامة كالمساجد والأسواق.

وذلك لأن مخالطة من هذا وصفه يقسي القلب ويضعف العزم على الطاعة ويجرُّ إلى المعصية بواسطة السريان الذي جعله الله تعالى بحكمته بين المتحابين والمتخالطين ومن جرب هذا عرفه.

وأما الأكل من طعام إنسان له شيء من المعاملات

الفاسدة، وكذلك معاملته فإن كان له معاملات صحيحة أيضاً أوله شيء من الأثمار، الصحيح ملكه لها، وكان الحلال من ماله أكثر من الشبهات والحرام الذي في يده فقد قال العلماء رحمهم الله تعالى. يجوز أكل طعامه ومعاملة من هذا وصفه، والورع اجتناب ذلك ما أمكن، والله تعالى أعلم.

(٥) **وسأله** الرجل المذكور ما حاصله: ما دواء من يتثاقل عن الخيرات ويميل إلى الشهوات مع حبه للخير وأهله وبغضه للشر وأهله؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه وعن سلفه:

أعلم أن لهذا الأمر أسباباً أربعة: الأول: الجهل، وإزالته بالعلم النافع.

الثاني: ضعف الإيمان، وتقويته بالنظر في ملكوت السموات والأرض وملازمة الأعمال الصالحة.

الثالث: طول الأمل، ومعالجته بذكر الموت واستشعار هجومه في كل حال وحين.

الرابع: أكل الشبهات، والخلاص منه بالورع مع التقلل من الحلال.

فمن عالج نفسه حتى أماط عنها هذه الأسباب بأضدادها المذكورة، صار لا يمل من فعل الطاعات ولا يسأم من تعاطي

الخيرات في جميع الأوقات ولا يميل ولا يأنس بالشهوات واللذات الفانيات، ولا ينبغي أن يطلب ذلك في البدايات فإنه لا يحصل إلا بعد المجاهدات، بذلك جرت سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا.

فإن الإنسان في أول الأمر يجانب المخالفات ويفطم نفسه عن الشهوات ويكلفها العمل بالطاعات تكلفاً مع الاستثقال والمشقات، حتى يعلم الله سبحانه وتعالى صدقه في إقباله ورغبته في عمارة قلبه واستقامة حاله فعند ذلك ينظر إليه ويشمله بلطفه الخفيّ، فيجد في الطاعات والعمل بالصالحات مالا مزيد عليه من النعيم واللذات في غير شغل عن الله ويجد في الشهوات غاية المرارات، ويجد في نفسه الغرور عنها أمراً لا يتصور معه خطورها على باله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قال الله تبارك وتعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾، ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ الآية.

(٦) **وسأله** الرجل المذكور أيضاً بما حاصله أيما أفضل للعبد: إخفاء العبادات أو إظهارها؟ وأيما أفضل له من الخوف والرجاء؟

وعمن أراد أن يجعل لنفسه ورداً، هل الأحب كونه قرآناً

أو تسبيحاً أو تهليلاً؟ وأيما الأفضل طول القيام والـركوع والسجود أو قصر ذلك، ليكثر عدد الركعات في النوافل وعن أفكار تطرقه بالليل وفي بعض الأوقات.

وعما وقع له مرة، أنه سمع شخصـاً يذكـر الفرس وما يحتاج إليه من الرياضة والمؤدب وأنه نزّل ذلك على نفسه.

وكذلك سمع شخصاً يذكر الـربيـع وما تحتـاج إليه الأرض عند إصابة السيل لها وقبله من الإصلاح والتعهد، وأنه نزّل ذلك على قلبه، يعني فهل هذا الفهم صحيـح أو لا؟.

وعن رؤيا وقعت له: يأتي ذكرها في الجواب.

فأجابه، زاده الله من فضله وأعاد علينا من بركاته بما لفظه:

أعلم أن الإظهار أفضل لمن لا يخشى على نفسه الرياء ويرجو أن يقتدى به فيما يظهره أحد من أخوانه المؤمنين، والإخفاء أفضل لمن يخشى الرياء ولا يرجو الإقتداء، فإن أمن الرياء ولم يرج الإقتداء أو عكسه فالإخفاء أفضل أيضاً.

وأما الأفضل من الخوف والرجاء، فآعلم أن الخوف أفضل لمن قويت نفسه وعظم ميلها إلى المعاصي حتى

تستقيم والرجاء أفضل لمن أشرف على الموت، حتى يموت على حسن الظن بالله تعالى.

وأما الصحيح في جسمه المستقيم في دينه فالأفضل له استواء الخوف والرجاء حتى يكونا كجناحي الطائر.

(٧) **وأما سؤالك** عمن يريد أن يجعل له ورداً، هل الأحب أن يجعله قرآنا أو تسبيحا أو تهليلا؟

فأعلم أنه لا شيء أفضل من قراءة القرآن، مع الحضور والتدبر والترتيل، ولكن في طبع الإنسان السآمة والملالة، فينبغي له أن يتنقل في الأوراد، فتارة يقرأ وتارة يصلي وتارة يذكر وتارة يتفكر في الموت وما بعده، إلى غير ذلك من وظائف العبادات.

(٨) وأما الأفضل من طول القيام والركوع والسجود أو قصر ذلك، ليكثر عدد الركعات في النوافل.

فأعلم أن المنقول من فعل رسول الله ﷺ في قيامه من الليل طول القيام وطول الركوع والسجود جداً، وكان لا يزيد في قيامه على إحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة.

ووقع خلاف بين العلماء رحمهم الله تعالى في أن الأفضل طول القيام أو طول الركوع والسجود فبعضهم قال بالأول وبعضهم بالثاني، واختار الإمام الغزالي وغيره، أن

الذي يتفق فيه الخشوع والحضور أكثر، هو الأفضل وهذا يختلف باختلاف الأحوال.

(٩) **وأما ما ذكرته** من أفكار تطرقك بالليل وفي بعض الأوقات.

فأعلم أن الفكر أصل كبير في إصلاح القلب واستقامته وإثارة النيات الطيبات والأعمال الصالحات ولكن ليس هو كل فكر، بل هو الفكر في آيات الله تعالى الباهرة وعجائب صنعه الباطنة والظاهرة ونعمه وآلائه المتكاثرة. وفيما وعد به أولياءه من أنواع كرامته في دار المثوبة وتوعد به أعداءه من فنون إهانته في دار العقوبة، ومنه الفكر في الدنيا، من حيث زوالها، وتشويش أحوالها وكثرة أكدارها وأقذارها.

وأما الفكر في شهواتها ولذاتها التي تميل النفس إليها، فإن كان من حيث إنها منغصة مكدرة منقضية، تساق إلى الأعداء وتصرف عن الأحباء فهو من الأفكار النافعة.

وإن كان من حيث ملاءمتها للنفس وموافقتها للطبع، وما فيها من الإستراحة والحلاوة عند من غفل قلبه عن ربه، حتى ربما غبط المتفكر فيها حال تفكره من مكن من العباد من تناولها، فالفكر فيها على هذا الوجه مما لا ينبغي ولا يحسن، بل هو مذموم قبيح لما فيه من تهييج الرغبة والحرص على الدنيا والسعي لجمعها.

وأما الذي سمعته يذكر الفرس، وما يحتاج إليه من الرياضة والمؤدب، وأنك نزّلت ذلك على نفسك في احتياجها إلى من يروضها ويؤدبها بأقواله وأفعاله من أهل الله تعالى.

وكذلك ما سمعته من الشخص الذي يذكر الربيـع، وما تحتاج إليه الأرض عند إصـابة السيـل لها وقبله، من الإصلاح والتعهد، وأنك نزلت ذلك على القلب في احتياجه عند إصابـة مطر الحكمـة له، إلى إصـلاح المشايـخ لـه أو تعهدهم بالنظر والتأديب.

فهذا الذي وقع لك هو من السماع المستقيم والفهم المنور، والقوم رضي الله عنهم يسمون هذا الفن من السماع بالسماع المطلق، وهو أن يلوح له من كل ما يسمعه أي شيء كان، معنى يفهمه، فيما هو بصدده من سلوك الطريق وموافقة الرفيق الأعلى، كل على حسب حاله ومقامه، ولكن شرط ذلك عندهم وقـوع ذلك فجـاءة وبديهـة، من غير تفكـر ولا تعمل، ولهم في ذلك حكايات مشهورة.

منها: ما يحكى أن ثلاثة منهم سمعوا منادياً ينادي: يا سعتر بري، فتواجدوا وربما غابوا فلما سُئِلوا عن الموجب لذلك، قال أحدهم سمعت مخاطبة من الحق: إسْعَ تَرَ بِرِّي وقال الآخر سمعت: ما أوسع بري، وقال الثالث سمعت: الساعة ترى بري، فانظر ــ رحمك الله تعالى ــ كيف غابوا

عن القائل وعما يقول، وكيف لاح لهم من تلك الحضرة ذلك الخطاب الجليل.

وأما ما رأيته في منامك، من قراءتك كتاب العوارف السهروردية، على ذلك الشريف الذي لم يكن معروفاً بالإقراء فتعتبر رؤياك خيراً يحصل لك في هذه الطريق، أعني طريق الصوفية من حيث لا تحتسب إن شاء الله تعالى.

وأما الكتاب الذي رأيته مناماً على يد ذلك الإنسان، الذي لا ينسب إلى الإستقامة، وأن فيه ذكر الرحمة وأسم يوسف.

فتأويله: أن الرجل مرحوم ويكون سبب ذلك: إما تهمة الناس له في شيء هو بريء منه، وإما عفوه ومسامحته لمن يجتني عليه، ونحو ذلك مما اتفق مثله لنبي الله تعالى يوسف عليه السلام.

والشأن في صحة الرؤيا وكونها من المنامات الصحيحة، المحفوظة عن تسويلات النفس ووساوس الشيطان.

وأقل ما يشترط لصدق الرؤيا صدق لسان الرائي في اليقظة، وسلامة قلبه ودماغه من تصور الأمور الفاسدة، والتحدث بالأمور البعيدة عن الصحة وقد قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

خَاتِمَـــة

في التوبة وقد وقع التعريض بذكرها في المكتوب

أعلم أن التوبة باب الله تعالى الواسع المفتوح وفضل الله سبحانه المبذول لكل مقبل، ومعناها: أن يرجع الانسان عن فعل كل شيء يحب الله تركه ويكره فعله كالمعاصي والمحرمات، ويدخل في فعل كل شيء يحب الله فعله ويكره تركه كالفرائض والواجبات.

فمن ترك شيئاً من الفرائض، أو وقع في شيء من المحارم وأراد التوبة منه، فعليه أن يترك ذلك المحرم أو يفعل ذلك الواجب، مع الندم على ما كان منه من التفريط، والعزم على أن لا يعود إلى مثله ما عاش، وتجوز التوبة من بعض الذنوب.

ومن تاب ثم عاد، لم تنتقض توبته الأولى بعوده، ويعود إلى التوبة، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، فله الحمد، لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه وفي الحديث: إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وإن قِبلَ المغرب بابا مسيرة الشمس أربعين يوما مفتوحا للتوبة لا يغلق، حتى تطلع الشمس من مغربها، وإن الله سبحانه وتعالى يقبل توبة العبد

ما لم يغرغر، ومعنى الغرغرة أن يبلغ روحه الحلقوم من الموت، وذلك في آخر رمق.

فقد علمت بهذه الكلمات حكم التوبة ومكانها من الدين، وبقي أن من تاب من ظلم أحد من العباد يلزمه رد ما أخذه، إن كان مالا، والتمكين من القصاص وطلب الإحلال إن كان نفسا أو عرضا لا بدله من ذلك، فإن تعذر عليه من كل وجه، أتى بما قدر عليه، والمرجو من فضل الله أن يرضي خصماءه عنه في الآخرة.

ويلزم التائب أيضاً، إن كان قد فرَّط في ترك شيء من الواجبات، كالصلاة والصيام والزكاة، أن يقضي ما فرط فيه لا بد له من ذلك، يكون ذلك على التراخي والإستطاعة، من غير تضييق ولا تساهل فإن الدين متين، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «بعثت بالحنيفية السمحة»، وقال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا».

وقد بلغنا عن بعض السلف الصالح: أنه مكث مدة طويلة، يسأل الله تعالى أن يتوب عليه توبة نصوحاً. فلم ير أثر الإجابة فطرقه لذلك تعجب فرأى في منامه أنه يقال له: أتحسب أن الذي تطلب أمر سهل؟ إنما تسأل الله تعالى أن يحبك، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب

المتطهرين﴾ تاب الله علينا وعليكم توبة نصوحاً في خير وعافية، وتوفانا على ذلك.

(١٠) **وسأله** الشيخ المنور محمد بن أحمد صلعان، عن قول الشيخ العارف بالله تعالى أبي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه ونفعنا به: (أبْعَدُ الخلق عن الله تعالى أكثرهم إليه إشارة)

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به:

إن أراد الشيخ رحمه الله تعالى بقوله: أبعد الخلق عامة الناس، فالمشير منهم إلى الله سبحانه وتعالى كثير بقوله: هذا لله، ومن الله، ونحو ذلك يدل على ريائه وتشبهه بأهل الخصوصية تزينا بذلك للناس، ولا شك أن هذا يكون أبعد عن الله تعالى، ممن يكون في مثل حاله من العامة.

وإن أراد الشيخ رحمه الله تعالى بقوله: الخلق خصوصَ العارفين فذلك شائع في اللغة، فمعناه أن العارف الذي يكثر الإشارة إلى الله تعالى، أبعد من غيره من العارفين عن الحضرة الإلهية، لأن الإشارة تقتضي البعد والغيبة عن المشاهدة.

(١١) **وسأله** الرجل المذكور أيضاً عن قول بعضهم، النفس تقول للقلب: احضر معي في العادات حتى أحضر معك في العبادات.

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به: هذا يكون من قول النفس المطمئنة للقلب المنير فإذا حضر القلب معها في عاداتها التي لا بد لها منها، كالأكل والشرب ونحوهما، حصل لها بحضوره الإستقامة في العوائد والأخذ فيها على الوجه الأحسن الأفضل.

وأما حضور النفس مع القلب في العبادات فلكي يحصل له النشاط فيها والإجتماع بالباطن والظاهر عليها، فإن الباطن إذا كان مع الظاهر في تصرفاته والظاهر إذا كان مع الباطن في تطوراته، كان الباطن والظاهر على الغاية من الإجتماع على المطالب.

(١٢) **وسأله** المذكور أيضاً عن الشيخ هل يُحَبُّ لذاته؟ أو لصفاته؟ أو لمواساته؟

فأجابه: أعلم أن المحبة للصفات الحسنة الجميلة محبة معقولة، وكذلك للإنتفاع الذي يحصل منه في الدين والدنيا ولكن المحبة للصفات أرفع وأنفع، وأما للذات فليست تعقل إلا في حق الحق عز وجل، وهي مع ذلك دقيقة وغامضة وفيها إشكال على غير أهل البصيرة، وليس شيء يُحَبُّ لذاته على الإطلاق سوى الله تعالى.

وأما قول بعضهم في شأن من خَلَّطَ من أهل البيت النبوي، إنا نبغض صفاتهم دون ذواتهم، فذلك لما في

ذواتهم الجسمانية من البضعة النبوية، وهذا من غير ذلك الوجه الذي ذكرناه.

(١٣) **وسأله** أيضاً عن قوله عليه الصلاة والسلام، في دعائه لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

فأجابه الفقه في الدين هو الفهم في علومه والبحث عن حكمه وأسراره حتى يكون العمل منه على الفهم والبصيرة.

وأما علم التأويل فهو علم تأويل القرآن والسنة، فقد كان ابن عباس رضي الله عنهما من ذلك في الغاية القصوى، وكان يسمى ترجمان القرآن بدعوة رسول الله ﷺ له، وقد يُدعى بهذه الدعوات ويزاد عليها، واهدنا إلى سواء السبيل والسبيل هي الطريق الموصلة إلى رضوان الله تعالى وجنته مع اليسر والعافية. فمن دعا بهذه الدعوات فليقصد بها ما ذكرناه من الفقه في الدين وعلم التأويل والهداية إلى سواء السبيل، فيعطى من ذلك إذا استجاب الله تعالى له الذي هو له مكتوب، مما يصلح له وينفعه.

(١٤) **وسألة** أيضاً: عن قوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى: من شغله ذكري. الحديث.

فأجابه الذي يظهر أن المراد حال المستغرق في الذكر

الذائق فيه المستهتر به الذي صار شغله وديدنه فإن لم يكثر الدعاء في خلال ذلك، لم يفته بذلك شيء مما يحصل للداعين المكثرين من الدعاء، بل يعطى أفضل ما يعطاه السائلون، لأنه مشغول بالله تعالى وبذكره ليس بالأغيار ولا بالحظوظ.

وأما أن الإنسان في حال دعائه يعدل عن الدعاء إلى الذكر ويترك الدعاء، فلا أرى لذلك وجهاً ولا أستحسنه، ولا أقول إنه المراد من الحديث؛ لأن الدعاء من الأذكار وفيه من الافتقار إلى الله تعالى والخشوع له والتذلل بين يديه ما ليس في غيره من العبادات، ولذلك ورد: «الدعاء مخ العبادة».

(١٥) **وسأله** الشيخ عبد الله با سعيد العمودي، عن قول الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي رضي الله تعالى عنه ونفعنا به: لا يكون الشيخ شيخاً حتى يعلم أصول الدين وفروعه، ثم قال: والأصول سبعة والفروع سبعون.

فأجابه رضي الله تعالى عنه، ونفعنا به:

أعلم أن قول الشيخ هذا قول صحيح محقق، فأما قوله: حتى يعلم أصول الدين وفروعه، فمعناه لا بد أن يكون للشيخ الداعي علم بأصول الدين وفروعه على الإجمال أو على التفصيل، من طريق الكسب والتعلم، أو من طريق

الوهب والإلهام، كما وقع مثل ذلك لهذا الشيخ، أعني الشيخ سعيد فإنه قد كان أميّاً، وكذلك جماعة من الأشياخ مثل الشيخ أحمد الصياد والشيخ علي الأهدل والشيخ أبي الغيث وغيرهم، رحمهم الله تعالى.

وأما قول الشيخ رحمه الله تعالى: الأصول سبعة والفروع سبعون. فلا يمكن التنصيص على ذلك بالتعيين، لأنه ربما يكون الشيخ قصد بقوله هذا شيئاً من معاني الدين الباطنة تتأصل وتتفرع على ما ذكره، كما قال بعضهم: لا بد للشيخ من إقامة الفريضة والسنة، ثم قال: الفريضة محبة المولى والسنة الزهد في الدنيا، أو كما قال.

فحاصل كلام الشيخ: أنه لا بد للشيخ من علم بأمور الدين على الوجه الأكمل في الباطن والظاهر وقد ورد: «ما أتخذ الله من ولي جاهل، ولو اتخذه لعلّمه».

(١٦) **وسأله الشيخ المذكور: عن الأولياء أرباب الدوائر، وعن أعدادهم إلى آخر ما سأل مما يأتي ضمن الجواب.**

فأجابه رضي الله تعالي عنه وأمدنا بمنّه منه: قد ذكر طرفاً من ذلك الشيخ الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي في أوائل روض الرياحين فراجعوه، وقد سئلنا عن هذه المسألة

فأجبنا عنها بما تقدم الجواب في هذا الكتاب وفي بعض الرسائل.

وأما أول من أقيم في رتبة القطبانية فقيل: إنه الحسن بن علي رضي الله عنهما، وقيل: أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم على ترتيب الخلفاء ثم الحسن ثم الحسين ثم زين العابدين، هكذا قيل.

وأما آخر من يقام فيها فالمهدي الفاطمي عليه السلام، الذي يكون في آخر الزمان. والقطب: عبارة عن أفضل رجل من أهل الإيمان في كل زمان. وبقية ما سألتم عنه مذكور في روض الرياحين على الإجمال، وأما تفصيل هذه المسألة، فيستدعي بسطاً كثيراً، وبعض ذلك من العلوم التي لا يجوز إيداعها الكتب.

وسأله أيضاً عن قول بعضهم: إن إنكار كرامات الأولياء رضي الله عنهم كفر، وبُعد قول العلماء فيه إنه بدعة إلى آخر ما سأله عنه مما يأتي ضمن الجواب. (١٧)

فأجابه رضي الله تعالى عنه وأرضاه وأخلى قلوبنا بحقه عما سواه: كلام العلماء في ذلك، هو المعتمد. والمذكور في لطائف المنن عن الشيخ أبي تراب النخشبي رحمه الله تعالى، محمول على كفر دون كفر، أو على من أنكرها استبعاداً لوقوعها، من حيث القدرة الإلٰهية أو على وجه آخر.

وأما عد الكرامات من المعجزات فذلك بحكم التبعية لا الإستقلال فليست هي هي، وليس لها حكمها من كل الوجوه ولا من أكثرها، إذ المعجزة تدل على صدق الرسول والكرامة الصادرة من الولي المستقيم على الشريعة تدل على صدقه في حسن متابعته لنبيه، ثم يدل ذلك على أن الشرع المتبع له حق وصدق. فمن هذه الحيثية قالوا: إن كل كرامة لولي فهي معجزة للنبي الذي يكون ذلك الولي من أتباعه، فكم من فرق على هذا بين الكرامة والمعجزة فآفهم.

(١٨) **وسأله** أيضاً عن سؤال الملكين الكريمين لأهل القبور وهل السؤال منهما أو من أحدهما وبأي لغة؟ وهما اثنان أو ثلاثة وهل يتطورون ويتصورون بحسب تطور أحوال الموتى.

فأجابه رضي الله تعالى عنه: أما سؤال الملكين فهو صدق وحق لا شك فيه وذلك كله لا يحتاج إليه بعد اليقين بكون السؤال حقا، وقد ورد في بعض ما سألتم عنه آثار ضعيفة والمعتمد هو الإيمان بسؤال الملكين فقط، وقد نقل الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه: (شرح الصدور في أحوال أهل القبور) من ذلك ما فيه كفاية فراجعوا ذلك إن أردتموه.

(١٩) **وسأله** أيضاً ـ أعني العمودي ـ عن الجنة هل هي في السماء؟ وعن النار هل هي في الأرض السابعة؟ وعن أحوال

الأرض والسماء وحكمهما يوم القيامة هل تبدلان؟ أو يأتي الله سبحانه وتعالى بغيرهما؟ وعن درجات الجنة، وكم هي جنات؟ وما الذي يقوى به المؤمنون على رؤية الله عز وجل وعلا في الآخرة؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه، ونفعنا والمسلمين ببركته:

أعلم وفقك الله تعالى وجعلك من أهل البصائر المنيرة الناظرة بنور الله تعالى: إن هذه العلوم وردت مجملة ومفصلة وفي تفصيلها إجمال، لا تحتمل العقول غيره فحسب الإنسان منها الإيمان اليقيني. على حسب ما ورد من ذلك في صريح الكتاب والسنة.

فأما الجنة فظاهر القرآن يقتضي أنها في السماء وأنها درجات، وفي بعض الروايات: مائة درجة، وفي بعضها بأن درجاتها بعدد آيات القرآن وهي أكثر من ستة آلاف، وأما الجنان فثمان وفي كل جنة جنات كثيرة، وأعلاها الفردوس الأعلى وسقفها عرش الرحمن تبارك وتعالى.

وأما أهلها فهم النبيون والمرسلون وعباد الله الصالحون من المؤمنين والمسلمين. ودرجاتهم فيها على حسب إيمانهم وأعمالهم، فمِن رفيع وأرفع، وعليّ وأعلى، وليس فيهم وضيع ولا دنيّ ألبته.

وأما ما يقوى به المؤمنون على رؤيته تعالى في الجنة

فإنه سبحانه يمدهم بقوة من قوته، ويركِّبهم عند إعادتهم تركيبا يحتمل ذلك ويقوم له وتلك أرواح وأجساد باقية، لا يحوم بها الضعف ولا يلم بها عوارض الفناء فبذلك تقوى على ما هنالك.

وأما أحوال الأرض والسماء يوم القيامة فالظاهر أنهما تتبدلان وتتغيران، ويشملهما ما قضى الله سبحانه به من عموم الفناء على هذا العالم الدنياوي الملكي. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿فإذا انشقت السماء﴾ الآية، ثم تعاد الأرض والسماء فتكونان هما السماء والأرض اللتين كانتا ولكن قد شملهما الفناء وتحولتا من حال إلى حال، كما وقع ذلك للنبي آدم صلى الله على نبينا وعليه وسلم، قيل وغيرهم، هذا ما ظهر والله أعلم بحقيقة الحال.

وأما النار ــ أعاذنا الله تعالى وإياكم منها ــ فقد قيل: إنها الآن تحت الأرض السابعة، وقيل: تحت البحار وهي دركات بعضها تحت بعض وعددها سبع أعلاهن جهنم لعصاة الموحدين. وأسفلهن الهاوية وهي التي لا قعر لها ولا قرار، فإذا كان يوم القيامة وبرز الملك الديان لفصل القضاء بين خلقه، جيء بعرش الرحمٰن ثم جيء بالجنة فجعلت عن يمينه، وجيء بالنار فجعلت عن يساره، ودُعي

الخلق لفصل القضاء والحساب ففريق في الجنة وفريق في السعير. ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾.

وفي الكتاب والسنة تفصيل ما ذكرناه في نص الآيات الكريمات والأحاديث النبويات، فتتبعوا ذلك وتدبروه وتمسكوا بما ذكرناه من هذه الجملة فإن فيها خلاصة المقصود، ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يهد الله فهو المهتد.

(٢٠) **وسألته** نفع الله به عن الإيثار هل هو عام في أمور الدنيا والآخرة؟ أم هو خاص بأمور الدنيا، مما للنفس فيه حظ ورغبة؟ هذا حاصل السؤال.

فأجابني: أعلم أن الإيثار بحظوظ الدنيا وشهواتها من الفضائل العظيمة. وقد درج على ذلك السلف الصالح والخلف المقتدون بهم، ولهم في ذلك الحكايات الكثيرة العجيبة، وقد ذكر الإمام الغزالي نفع الله به ورضي عنه في كتاب ذم المال من الإحياء طرفاً من ذلك، وذكره غيره أيضاً.

وأما الإيثار بأمور الآخرة من القربات الدينية فلا نعلم أحداً ممن يؤخذ بقوله يقول بذلك ولا يراه، لأن ذلك يشبه الزهد في القرب من الله تعالى وفي طلب مرضاته، وهذا شيء أعني العمل بالقرب، ينبغي المسابقة فيه ويطلب المسارعة إليه والمزاحمة عليه.

وفي نوادر حكايات لأرباب الأحوال من أهل التصوف، مما يومي إلى شيء من ذلك، ولكن صاحب الحال يسلم له حاله، مهما كان صادقاً فيه، ولا يقتدى به في حاله.

نعم ومن القربات أشياء فيها أخطار، ويكون البعض أصلح لها من البعض وأحق فقد يتأخر عنها بعضهم لخطرها، وليقوم بها من هو أحق وأقوم بها منه وذلك مثل إمامة الصلاة ومثل إمامة الخلافة، ومثل الفتيا في العلم ومثل تدريسه. وأشياء كثيرة تشبه هذه الأمور.

وإذا دققت النظر في أحوال المؤثرين فيها لغيرهم على أنفسهم، رجع فعلهم ذلك إلى طلب القرب من الله تعالى والتوقي من سخطه بالتعرض للأخطار. وما لا تؤمن السلامة معه في الدين.

(٢١) **وسألته** أيضاً عن وقت أذكار الصباح والمساء، متى يدخل ومتى يحسن العمل بما ورد في ذلك؟. هذا حاصل المقصود من السؤال.

فأجابني رضي الله تعالى عنه ونفع به: أما وقت الصباح والمساء، فعلى حسب ما ذكروه من أن المساء يدخل بالزوال والصباح بما بعد نصف الليل أو الثلث الأخير منه، وأما إقامة الأذكار الواردة في الوقتين فكلما كان في المساء إلى الليل أقرب مثل وقت الإصفرار ومن أول الليل كان الإتيان فيه

بالوارد أحب وأقرب إلى مطابقة الحال، وكذلك الصباح من قبيل الفجر فما بعده إلى الإشراق. وعلى هذا السبيل نعمل في إقامة ما نأتي به من هذا الورد الشريف.

(٢٢) **وسألته** أيضاً: عن المسح الوارد عنه عليه الصلاة والسلام عند النوم بعد القراءة والنفث، وهل ينبغي للإنسان أن يعم جميع جسده ولو مع التكلف في بعض الجسد، لأن في لفظ الحديث: وما استطاع من جسده.

فأجابني رضي الله عنه ونفع به: الظاهر أنه مهما مسح بيديه مجتمعتين على جسده حسبما يقرأ وينفث، لم يستطع أن يمسح بذلك جميع جسده فليمسح ما يستطيعه، كذلك يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من الجسد.

(٢٣) **وسألته** أيضاً عن معنى السير إلى الله تعالى ما هو؟

فأجابني رضي الله عنه:

أعلم أن السير حقيقي ومعنوي، بتزكية النفس والجوارح عن منكرات الأخلاق والأعمال ثم بتحليتها بمحاسن الأخلاق والأعمال، وبذلك يقرب العبد من حضرة الله تعالى قرباً معنوياً، وكلما كان أزكى وأطيب كان أدنى وأقرب، وثم سير آخر إلى الله تعالى ألطف من هذا وأدق، ولكن لا يصلح ذكره، إلا مع من قد انتهى في السير المذكور أولاً أو قارب الإنتهاء.

(٢٤) **وسألته** أيضاً نفع الله به: عما رأيته في كلام بعض أهل الطريق من أنه لا ينبغي الكلام في الأحوال والمقامات الشريفة، لمن لم يبلغها.

فأجابني رضي الله تعالى عنه: كذلك، ولكنه مخصوص بالمريد السالك للطريق، الذي لم يتحقق بعد بتلك الأحوال والمقامات فإن كلامه فيها وسؤاله عنها، ربما يدخله في شيء من التصنع والإعجاب والتكلف والتزين للناس. وما في معناه مما يحط السالك عن حد السلوك أو يشوشه عليه ولم يجيزوا له من ذلك، إلا السؤال عما نازله من المقامات أو ورد عليه من الأحوال وأشكل عليه حكمه، فله في ذلك السؤال من شيخه إن كان، وإلا فمن أهل الطريق مطلقاً أو من كتبهم إن لم يظفر بأحد منهم هذا حكم هذه المسألة على الإجمال.

(٢٥) **وسألته** أيضاً نفع الله به عن الواقف بين يدي الله جل وعلا في صلاة ونحوها، إذا خاف على نفسه أنه إذا استحضر الحضرة الإلٰهية أن يغلب عليه من التعظيم ما يشوش عليه ما هو فيه من الصلاة ونحوها، أو خاف على نفسه من سوء الأدب عند استحضار تلك الحضرة، بشيء من خواطر التكيف أو التشبيه.

فأجابني رضي الله تعالى عنه: أما من خاف المعنى

الأول فعليه أن يستحضر بقدر ما يحتمل قلبه من ذلك، حتى يخرج الأمر عن اختياره فيعذر إذ ذاك. وأما الثاني فيستحضر أن الله تعالى يراه وأنه محيط به ومطلع عليه، ولا يستحضر بالفكر والتكلف أنه يرى الله سبحانه وتعالى، يأمن بذلك إن شاء الله من وقوع أمثال تلك الخواطر التي تعرض في التمثيل والتشبيه، لمن ضعفت معرفته بجلال الله تعالى وتقديسه سبحانه، بطريق الذوق والمشاهدة لا بطريق الإعتقاد والنظر.

(٢٦) **وسألته** أيضاً نفع الله به: عن ما استقبحوه من المريد من طلب الكرامات والمكاشفات كما ذكر ذلك في رسالة المريد؟.

فأجابني رضي الله عنه: ذلك من مخافة أن يصير يجتهد ويدأب في العبادة لطلبها، فيكون من جملة طلبه الحظوظ الدنيوية والأغراض النفسانية هذا إذا كان يطلب الكرامات الصورية من طيّ الأرض والإخبار عن المغيبات وأشباه ذلك، فإن كان يطلب الكرامات الحقيقية كزيادة الإيمان واليقين، والتحقق بالزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة وأمثال ذلك كانت رغبته فيه محمودة، لأن ذلك من الحق والدين الذي يطلبه ويرغب فيه.

(٢٧) **وسألته** أيضاً نفع الله به عن قول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، في باب الشكر من الإحياء إن الملائكة المقربين

أكثر قياماً بالشكر لله تعالى، من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو كلام نحو هذا قريب بما يقتضي أو يوهم تفضيل الملائكة عليهم؟.

فأجابني رضي الله تعالى عنه:

أعلم أن ذلك قول لبعض أهل السنة وقد قيل: إن الإمام الغزالي رحمه الله تعالى منهم والجمهور على خلاف ذلك القول.

وأقول: إن كلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في هذا المحل وفي غيره، مما يوافقه هو قول بالأفضلية من بعض الحيثيات وأحسب أن ذلك كما يقول رحمه الله تعالى، ولا أستجيز أن أنبه عليه لأنه من العلوم الإلهية السرية، والذي عليه العمل هو قول جمهور أهل السنة وعليه الإمام الغزالي كما يدل عليه كلامه في مواضع يقصد منها تحقيق ذلك.

(٢٨) **وسألته** أيضاً نفع الله به: عن الذكر والدعاء بالأسماء العجمية لمن لا يعرف معناها، والذكر بياهو يا هو إلى آخر ما هذا حاصله.

فأجابني رضي الله تعالى عنه: إنا قد ذكرنا لكم شفاها أن مثل ذلك إذا وقع في خلال أدعية المحققين من العارفين الجامعين بين العلم واليقين، مثل الإمام الغزالي والشيخ

السهروردي والشيخ أبي الحسن الشاذلي وأضرابهم نفع الله بهم ورضي الله عنهم. فما على الذاكر بذلك والداعي به من بأس. وهم مقلدون فيه وهم أهل التقليد والأمانة.

وأما إذا وقع في كلام من ليس بهذه المثابة فلا ينبغي أن يذكر به حتى يعرف معناه، فإنه ربما كان ذلك كفراً أو قريباً منه كما قاله بعض المحققين.

وأما الذكر بياهو ياهو، فلا ينبغي إلا للمستغرقين كما قاله الشيخ زروق رحمه الله تعالى، إلا إذا وقع في كلام أهل التحقيق، فالإنسان فيه متبع غير مدع ولا مبتدع.

(٢٩) **وسألته** نفع الله به: عن معنى قول الشيخ القطب السيد أبي بكر ابن الغوث الأعظم السيد عبد الله بن أبي بكر العيدروس علوي رضي الله عنهما ونفع بهما، في قصيدته التي أولها: سَكِرَ المحب وما به سُكْرُ، إلى أن قال في أثنائها: الله يفعل ما يشا من ممكن أو مستحيل، وقد رأيت في ذلك كلاما لبعضهم لم يتحرر؟.

فأجابني رضي الله تعالى عنه: كان الذي أشكل منه قوله: أو مستحيل. بعد أن علم وتقرر من اصطلاح علماء الكلام في التوحيد أن المستحيل ما لا يتصور وجوده ولا يجوز.

والذي يظهر لنا في معنى كلام الشيخ هذا: أن مشيئة

الله تعالى لو تعلقت بالأمر المستحيل لوجد وكان، ولم تعجز قدرته الغالبة عن إسناده ولكن لا تتعلق المشيئة الإلهية بالأمر المستحيل أبدا.

وقد أفهم الشيخ رحمه الله تعالى هذا المعنى بقوله: يفعل ما يشاء فلو شاء لفعل ما يشاء ولكنه لا يشاء المستحيل فلذلك لا يكون وعلى هذا السبيل يفهم قوله تعالى: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى﴾ إلى آخر الآية والولد مستحيل في حقه تعالى. فلذلك لا يريده عز وجل.

ويحتمل قول الشيخ رحمه الله تعالى معنى آخر، وهو أن يكون أراد بالمستحيل هاهنا: الأمر الذي تستبعد العقول وجوده، من الجائزات. واللسان العربي منطلق بتسمية ذلك محالا، كما يقال كثيراً لبعض الأمور المستبعدة هذا محال وهذا من المحال ومثل ذلك سائغ في اتساعات العرب ومجازات كلامهم.

ويحتمل قول الشيخ رحمه الله تعالى معنى ثالثاً لا يجوز ذكره إلا بإذن إلهي لأهله لأنه يدق فهمه وتكل أكثر العقول عن إدراكه، هذا ما ظهر لنا في معنى كلام الشيخ نفع الله به.

(٣٠) **وسألته** نفع الله به: عن معنى قول سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ونفعنا ببركته:

أحيوا مجالس الطاعات بمجالسة من يستحيى منه، فإن ذلك أشكل إلى آخر السؤال.

فأجابني رضي الله عنه وزاده من فضله بما معناه: كأن الإشكال نشأ من معنى الحياء والرياء. وأنه مهما كان الحامل له على فعل الطاعات الحياء من الناس، يكون في طاعته شيء من معاني الرياء، ولكن ليس الرياء من الحياء في شيء، فإن الرياء أن يعمل الإنسان الطاعة يطلب بها المنزلة عند الناس والمكانة لديهم لطمع في مالهم وجاههم، وأما الحياء فهو انقباض يجده صاحب الطبع الكريم عند موجبه، ينبعث به لفعل الخيرات وترك الأمور المستقبحات. وكثيراً ما يحصل عند مجالسة الصالحين.

وفي الحديث: استح من الله تعالى كما تستحي من رجل صالح، وفي ضد ذلك يقول ابن سيرين رحمه الله تعالى: رأيت الشر كله في مجالسة من لا يستحيا منه.

وبلغنا عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه قال لمن قال له في استتاره عن الناس لما رآهم منصرفين عن الجمعة وقد فاتته: لا يستحيي من الله تعالى من لا يستحيي من الناس، وربما أنه رفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، ولكني شككت في ذلك الآن فلذلك لم أجزم برفعه لخطر الكذب على رسول الله ﷺ، وشدة الوعيد الوارد على فعل ذلك.

(٣١) **وسألته** نفع الله به عما إذا راءى الصبيُ هل يَحْبَطُ ثوابه؟. وما حكم ذلك؟

فأجابني رضي الله تعالى عنه:

أعلم أن الصبي ممن رفع عنه القلم حتى يبلغ، فليس يأثم إذا راءى. ولكن إذا راءى بطاعة حبط ثوابه وبطل أجره؛ لأنه مع الإخلاص يثاب عليها. وقد قيل: إن ثواب أعمال الصبي يكون في صحائف أبويه ولو قيل: إن الإثم في ريائه يتعلق بمن يجب عليه إرشاده من أب أو ولي ونحوه، حيث لم يرشده إلى الإخلاص لم يبعد فإنه يجب عليهم أن يأمروا صبيانهم بفعل الواجبات من الصوم والصلاة، ويمنعوهم من المخالفات، كالزنا وشرب المسكر. وللشرط حكم المشروط. ويطول النظر في أمثال هذا السؤال. وفيما ذكرناه كفاية.

(٣٢) **وسأله** نفعنا الله به الشيخ العفيف عبد الله بن أحمد الزبيدي: عن حكم من يعمل على رجاء الثواب.

فأجابه رضي الله تعالى عنه: بأن ذلك رجاء محمود وسعي مبارك مشكور. وعليه يعمل السلف والخلف من صالحي المؤمنين، فإن العبد خلق ضعيفاً فقيراً لا غنى به عن فضل ربه الغني الكبير.

هذا جملة الجواب والكلام يطول في تفصيله، ولكنا نذكر من ذلك طرفا يسيرا. فنقول: العاملون لله تعالى على

ثلاثة أقسام فمنهم من يعمل خشية العقاب وهم الخائفون. ومنهم من يعمل على رجاء الثواب وهم الراجون. ومنهم من يعمل امتثالا للأمر وهم العارفون، ولا بد للعارفين من الرجاء والخوف. وللخائفين من الرجاء والمعرفة. ولكن ينسب العبد إلى ما هو الغالب عليه من المقامات والأحوال.

وما وقع في كلام بعض أهل التصوف، مما يوهم نقصا أو انحطاطا في حال من يعمل على رجاء الثواب أو خوف العقاب، فذلك محمول على قصد التنبيه به على أن الذي يعمل لمجرد امتثال الأمر أفضل من الراجي والخائف والأمر كذلك. ولكنها مقامات بعضها فوق بعض، وليس للعبد أن يقيم نفسه في الذي يختار منها بل الأمر لله تعالى يقيم من يشاء من عباده حيث يشاء ولا بد أن يقيم الحق تعالى في كل مقام من المقامات الثلاثة طائفة من المؤمنين لا تصلح أحوالهم ولا تستقيم قلوبهم إلا بالعمل على وفق ما أقيموا فيه.

وربما أشار بعض أهل المعرفة في تنزيل مقام من يعمل على الرجاء والثواب، إلى حال من لو لم يرغب بثواب أو تخوف بعقاب لكان لا يعمل أصلا وليس في قلبه من تعظيم الحق وإجلاله، ما يحمله على امتثال أمره واجتناب نهيه والمسألة في نفسها غامضة، وقد رأيت فيها ما يشبه الغلط والشطح لبعض أهل الطريق.

ثم أقول: العمل على امتثال الأمر وابتغاء الرضا والقرب حسن جميل. والعمل على رجاء الثواب والرهبة من العقاب حسن جميل، والجامع من أهل الله تعالى هو الذي يعمل على المقامات الثلاثة بالتمام والكمال. ولكنه عزيز.

فليعرف الإنسان ما أقيم فيه وليعمل عليه. ولا يكون كالأجير السوء إن لم يعط الأجر لم يعمل، ولا كالعبد السوء لولا خشية الضرب لم يتأدب. ولكن يعمل لله تعالى لأنه سيده ومولاه ولأنه أمره ونهاه، ويرجو الثواب من باب الفضل والمنة، ويخاف العقاب لسوء أدبه وتقصيره في عبادة ربه، ويرجو العافية منه عفواً من الله تعالى وتفضلا. فهذه هي الطريقة السمحة والمحجة البيضاء، وعليها مضى الصالحون والعلماء. ومن تأمل كلامهم وسيرهم، وكان ذا بصيرة علم ما ذكرناه وعرفه تحقيقا، ونستغفر الله تعالى ونحمده كثيرا.

(٣٣) **وسأله** أيضاً عن الإسرار بالذكر والجهر به أيهما أفضل؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه وأرضاه:

أعلم أن للعلماء العارفين في ذلك كلاما. وحاصله أن الذكر في السِّر أفضل لمن يخشى الرياء، أو يخشى التشويش بجهره على مُصَلٍّ ونحوه. فإن أمن ذلك كان الجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر. ويتعدى نفعه إلى الغير، وهو أقوى في تأثر

القلب وجمعيته ولكن قلب الضعيف الذي لم يكمل حضوره ولم يتم استغراقه وفي الحديث، «خير الذكر الخفي». وفي القرآن: ﴿واذكر ربك في نفسك﴾. وفي الجهر أحاديث أخر.

فبان أن في كل فضلا وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. فليكن الذاكر مع ما يراه منهما أصلح وأجمع لهمه وأوفق لحاله. والله أعلم.

(٣٤) **وسأله** الشيخ الزبيدي المذكور أيضاً عن قوله عليه الصلاة والسلام: «إن واديا في جهنم تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة، أعده الله تعالى للقراء المرائين من هذه الأمة» الحديث.

فأجابه رضي الله تعالى عنه وجزاه عنا وعن المسلمين خيراً: إن أراد ﷺ بالمرائين من هذه الأمة من أظهر الإيمان والطاعة، من غير أن يكون في قلبه شيء من ذلك ألبتة. وإنما أظهره رياء وسمعة وتقية فهذا وصف منافق منخلع عن الإيمان مخلد في النار، وكونه في هذا الوادي الذي تستعيذ منه جهنم زيادة في نكاله وتعذيبه لمكان وتزويره ورياءه وتلبيسه.

وإن أراد ﷺ بالمرائين من القراء من يرائي بعبادته وقراءته، مع اعتقاده الإيمان، غير أنه غلب عليه حب الجاه والمنزلة عند الناس، حتى أظهر ذلك رياء لهم. فيكون حبسه في ذلك الوادي محتملا لمعنيين: إما أنه يختم له بخاتمة

السوء والعياذ بالله تعالى فيخلد في العقاب. ويكون حاله كحال الذي قبله.

والمعنى الثاني أن يجعل في ذلك الوادي تغليظاً عليه وتشديداً. ثم يخلص منه ويخرج برحمة الله على القاعدة الثابتة: أنه لا يخلد في النار من في قلبه أقل شيء من الإيمان. والرياء عظيم من عظائم الكبائر وهو الشرك الأصغر.

(٣٥) **وسأل** أيضاً عن شخص يذكر كثيراً ولا يجد شيئاً من مواجيد الذكر التي يجدها الذاكرون الذائقون ما سببه؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به: سببه عدم صلاح قلبه وعدم طهارته من الأخلاق المذمومة، وعدم عمارته بالأخلاق المحمودة، وعدم تنقية الخواطر والوساوس التي تكون في نفسه حال الذكر، وعدم قطع العلائق الظاهرة الشاغلة عن التجرد لذكر الله تعالى، وعدم سلوكه على يد شيخ عارف بالله تعالى وبالباطن والظاهر إلى غير ذلك.
فمن عجز عن الإتيان بهذا الأمر على وجهه كأمثالنا، فليكثر من ذكر الله تعالى باللسان مع تكلف الحضور بالقلب، ويتعرض بذلك لنفحات الله تعالى. ولا يستبعد أن يأتيه الله تعالى بفرج من حيث لا يحتسب، ولا يتعجب من عدم حصوله على شيء من مواجيد أهل الطريق التي يجدونها في الذكر فإنه لم يستوف شرائط ذلك.

(٣٦) **وسأله** أيضاً عن شخص يجد عند الذكر ما ذكروه من ذكر اللسان والقلب ثم ذكر القلب وعجز اللسان عن الذكر، ثم عجز القلب عن الذكر مع بقاء معناه فيه، وسريانه في جميع باطنه وظاهره، وإنما استوحش من هذه الحالة الثالثة، التي هي عجز اللسان والقلب عن الذكر؟.

فأجابه رضي الله عنه: هذا شخص معدود من الذاكرين الواجدين.

والحالة الثالثة التي استوحش منها هي أشرف حالاته الثلاث وأعلاها قدرا. ولم يبق على هذا الشخص من حالات الذاكرين إلا الحالة الرابعة وهي لب اللباب: شهود المذكور والفناء به عن نفسه، أعني الذاكر عن غيره من الكائنات حتى عن فنائه. وتلك الغاية القصوى والمنزلة العليا. وهذا الشخص على خير كثير. وهو في طريق الذاكرين لله الذائقين لذوقه يمضي ويسير، حققنا الله تعالى وإياكم بحقائق الإيقان، ورفعنا إلى مقام الإحسان بعد التحقق بمقامي الإسلام والإيمان.

(٣٧) **وسأله** الشيخ عبد الله الزبيدي المذكور أيضاً عن الغيبة التي تحصل للذاكر؟

فأجابه رضي الله عنه ونفع به وجزاه أخيراً: هي غيبة عما سوى الله تعالى، حتى يغيب الإنسان عن نفسه وعن ذكره

استغراقاً بمشاهدة المذكور تعالى، وهذه الغيبة هي غاية الحضور ومنتهاه وحصولها نادر، ودوامها أعز من حصولها.

(٣٨) **وسأله** أيضاً عمن حصل له مرض في قلبه ولم يدر سببه؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه وأمتع به: إن عرف المرض ما هو؟ فمعرفة المرض تُعَرِّفُ بسببه عند العارفين. وإن لم يعرف المرض ما هو فليداوِ قلبه بالأدوية العامة النافعة من جميع أمراض القلوب، مثل قراءة القرآن بالتدبر وملازمة الذكر لله تعالى بالحضور، والإكثار من ذكر الموت ومجالسة الصالحين ومطالعة الكتب النافعة، مثل الكتب الغزالية ونحو ذلك من الأدوية.

(٣٩) **وسأله** أيضاً: عمن وجد شيئاً من ثمرات أعماله الصالحة في الدنيا، كالحلاوة وطيب المناجاة مع الله تعالى فرغب في العمل لذلك، فهل يكون ذلك علة قادحة في كمال عمله؟

فأجابه رضي الله عنه ونفعنا به: نعم هي من العلل التي ينبغي للإنسان أن يحترز منها بأن لا يعمل لأجلها، وبأن لا يغتر بها ويسكن إليها، مخافة الإستدراج. بل عليه أن يحمد الله تعالى على ما فتح له من ذلك، ويشتغل بالله تعالى عما سواه، كائنا ذلك السِّوى ما كان.

(٤٠) **وسأله** المذكور أيضاً: عمن ذكر ذنوبه فأحزنته فأحبّ أن يأتيه الموت على ذلك، مخافة أن يقع في ذنوب أخرى، أو استحسانا لحالته تلك من الحزن على ارتكاب الذنوب، وآخر مثله، ولكنه أحب تأخير الأجل للتوبة وإصلاح العمل فأيهما يكون أفضل؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه وأمتع به: كلتا الحالتين مليحة وفاضلة ومن أقيم في واحدة منهما وغلبت عليه، فهي الأفضل والأليق به.

وقد بلغنا حكاية تقرب من هذا الذي ذكرتموه وإن لم تكن عين المسألة. وهي أن ثلاثة من السلف الصالح اجتمعوا. فقال أحدهم: إني أحب الموت خوفاً على ديني من الفتن. وقال الثاني: أحب البقاء رجاء أن أوفق لتوبة أو عمل صالح. وقال الثالث: أنا لا أحب الموت ولا أحب البقاء بل أحب من ذلك ما أحبه الله تعالى واختاره. فأعجبهم قوله، واستحسنوه وحالاتهم الثلاثة كلها حسناة وفاضلة وقد أقيموا فيها.

وصاحب الحالة الثالثة في حالته تلك أكمل لقناعته باختيار الله تعالى، وقد أقيم في ذلك، وهذه أمور ذوقية لا تدرك بالتكلف والأماني، حتى يتخير الإنسان منها ما يحبه ويوافقه.

(٤١) **وسأله** المذكور أيضاً: عن مبدأ الإرادة هل هو اختياري متكلف؟ أو هو غالب اضطراري؟

فأجاب رضي الله عنه ونفع به: المريدون والسالكون مختلفون في ذلك على قسمين:

أحدهما: سالك مع الإختيار والتكلف، وهو السالك قبل الجذب.

والثاني: سالك بالغلبة والإضطرار، وهو المجذوب قبل السلوك.

وبعض أهل الطريق يقول بأفضلية السالك قبل الجذب، وبعضهم يقول بأفضلية المجذوب قبل السلوك.

(٤٢) **وسأله** أيضاً عن حرارة يجدها بعض الذاكرين المتوجهين في باطنه، ثم تنتشر في أعضائه الظاهرة وتعقبها فترة.

فأجابه رضي الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا به: هذه الحرارة من واردات الذكر، وهي تحرق بقايا تكون على باطن العبد وعلى ظاهره. وفيها خير ولها نفع ولكن إن خشي الذاكر من غلبتها فلينتقل من الذكر الذي يذكر به إلى الصلاة على رسول الله ﷺ أو إلى قول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

(٤٣) **وسأله** أيضاً عن تقييده عليه الصلاة والسلام بعض

المنافع المرتبة على قول: لا إله إلاّ الله بقولها صادقاً مخلصاً ونحو ذلك، ومن المعروف أن المسلم صادق ومخلص بها.

فأجابه رضي الله عنه وجزاه خيراً ونفع به: الأمر كذلك، ولكن قد ورد تفسير إخلاصها والصدق فيها المشار إليه في بعض الأحاديث، وهو أن الصدق والإخلاص فيها أن يحجز قائلها عن المعاصي.

وفي بعض الآثار: أن لا يكون مؤْثراً للدنيا على الآخرة. وكأن المراد بالصدق والإخلاص فيها حقيقتهما وغايتهما اللذان لا يصحان إلا من أهل اليقين الكامل والإيمان البالغ الصادق. فينبغي للمؤمن أن يكون قوي الرجاء قوي الخوف متطهراً من دنس الغرور.

وأما حديث صاحب السجلات والبطاقة، فالتي في البطاقة شهادة مخصوصة مقبولة وإلا فلا بد أن يكون للمسلم من لفظ هذه الشهادة شيء كثير، وقد قالوا في قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ أنه شرط المجيء بها دون مجرد العمل، أي أنه رُب عامل لا يأتي بالحسنة إلى الآخرة بمعنى أنه لم يعملها كما أمر فيوافق القبول والرضا. فلا بد من بقاء الخوف ووجود الرجاء، وهما دواءان إذا غلب أحدهما عولج بالآخر. وما ورد في الشريعة يعم ويخص ويخص ويعم فهي مورد عام لخلق كثير كل يأخذ منها على

قدره وعلى حسب حاله، ولهم فيها مقامات شتى وكل مراد بشيء والتفصيل يطول. و ﴿قد علم كل أناس مشربهم، كلوا واشربوا من رزق الله﴾ ﴿واشكروا له إن كنتم إياه تعبدون﴾.

(٤٤) **وسأله** أيضاً أعني عبد الله بن أحمد الزبيدي: عن العزلة وحكمها إلى آخر ما سأل به مما يأتي في الجواب.

فأجابه رضي الله تعالى عنه: وذكرتم مسألة تتعلق بالعزلة وحكمها في هذا الزمان الفاسد المعكوس، الذي غلبت على أهله الغفلة ونسيان عمل الآخرة، مع الحرص على الدنيا وكثرة الاشتغال بها والتهالك على جمعها والاغترار بزخارفها وكما ذكرتم أن مجالستهم ومخالطتهم صارت مخطرة لذلك، ولأن أكثر حديثهم وخوضهم في الغيبة والفضول وما لا يعني من الكلام فلأمر على ما ذكرتم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فلا ينبغي للمشفق على دينه أن يختار مجالسة ومخالطة من هذا وصفه من أهل الزمان؛ فإن مخالطتهم نقص وخسران. وإذا ابتلي بهم فينبغي أن يصمت ويمسك عن الخوض معهم وينصحهم باللطف إن استطاع وينبههم على ما فيه صلاحهم ونجاتهم إن أمكنه. ولا أرى للمتنسك عذراً في ترك الجمعة والجماعة، تعللا بفساد الزمان. ولا أن يترك صلة أرحامه وقرابته بالزيارة في بعض الأحيان.

ولكن أرى له إذا خالط أهل الزمان أن لا يخالطهم إلا فيما لا بد منه له في صلاح دينه أو دنياه، ثم يكون عند خوضهم فيما لا ينبغي صامتا وناصحا إن أمكن. وإن أخذوا في خير وصواب ساعدهم وشاركهم فيه هذا هو الصواب للمقيمين من أهل الصلاح بين ظهراني المسلمين ومن أراد غير ذلك، فليس إلا أن يخرج من بين أظهرهم إلى البراري والقفار، فراراً بدينه وإيثاراً لصلاح قلبه.

وقد شرح هذه المسألة شرحاً وافياً سيدنا وإمامنا حجة الإسلام الغزالي رحمه الله ونفعنا به، في منهاجه، وعقد لها في الإحياء كتاباً مستقلاً.

(٤٥) **وسأله** الرجل المذكور أيضاً عن حكم المحب مع من أحب إذا لم يعمل بعملهم: هل يكون معهم على الإطلاق كما يفهم من ظاهر الحديث: «المرء مع من أحب».

فأجابه رضي الله عنه ونفع به: الذي يظهر لنا مما يقتضيه أقوال المحققين، من المتكلمين على معنى هذا الحديث: أن هذه المعية تكون من بعض الوجوه، لا من جميعها.

ولا بد أن يكون المحب موافقاً لمن أحبه في كليات الأمور، مثل التوحيد وحفظ الفرائض اللازمة واجتناب المحرمات الموبقة، وفعل ما يتيسر من الخيرات. فإن من

أحب أحداً أحب مشابهته والإقتداء به حسب ما يقدر عليه، ولا تصح المحبة بدون ذلك، وهي بدونه لغوية لا حقيقة لها.

وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: لا يغرنكم حديث المرء مع من أحب، مع الغفلة والإغترار وترك صالح الأعمال، فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم يقيناً. انتهى بمعناه.

قلت: وكذلك أرباب البدع من هذه الأمة، يحبون بعض الصحابة رضوان الله عليهم إلى الغاية ويتولونهم، حتى إن أحدهم قد يبذل روحه فما دونها في محبتهم، وليسوا معهم يقيناً، لأنهم خالفوا طريقهم وهديهم ببغضهم غير من تولوه من الصحابة وتبريهم منه، وبغير ذلك من بدعهم في الدين، وهذا ما لا يختلف فيه.

وإذا لزم هذا في البدعة، فيلزم مثله أو قريب منه في الفسق، ثم يلزم مثله أو قريب منه في التخليط وكثرة العصيان.

وعلى ذلك فليقس لأنها مراتب في الخير والشر، فأقبح القبائح وأشر الشرور الكفر، وهو على مراتب ثم البدع وهي متفاوتة، ثم الفسق وهو كذلك ثم التخليط وهو كذلك.

وعلى الضد في الخير يقال، فافهم ما أشرنا إليه وتأمل ما أوردناه، فإنه نفيس والحاجة داعية إليه، وبالتأمل يظهر

المقصود ويتضح المعنى، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وسأله أيضاً عن مسائل، وافتقد المجيب نفع الله به الكتاب. (٤٦)

فذكر ذلك للسائل ثم قال: وأحسب أن في الكتاب المذكور مسائل حاصلها ما الأفضل من كذا وكذا إشارة إلى بعض أشياء، من الأمور التي يقيم الله تعالى فيها بعض عباده بسابق تقديره وحسن تدبيره.

فاعلموا أن أفضلية من أقامه الله سبحانه في شيء من الأمور التي لا اعتراض عليها شرعاً مثل: الفقر والغنى، والظهور والخفاء، وأشباه ذلك أن يقوم بحق الله سبحانه وتعالى اللازم له في ذلك المقام، ويتأدب بالآداب المطلوبة منه في مقامه وبعد ذلك ليس له أن يتطلع إلى مقام آخر غير الذي أقيم فيه، فيكون ذلك من سوء الأدب منه مع ربه عز وجل.

وأما السائل الذي سأل عن المقامات، ليعلم أيها الأفضل منها من غير أن تكون له إقامة في شيء منها، فيطول الكلام معه جداً لأنا إذا سئلنا مثلاً: هل الخمول أفضل أم الشهرة أفضل؟

قلنا: يختلف ذلك باختلاف الناس، فمن كانت صفته

كذا وكذا، فالخمول له أفضل. ومن كانت صفته كذا وكذا، فالشهرة له أفضل، أي من الخمول لأنه أفضل من الرجل الخامل، وكذلك الذي قبله، وبين ذلك فرق فتأملوه.

ثم إن الخامل لا يمكنه أن يجعل نفسه مشهوراً، ولا المشهور أن يجعل نفسه خاملاً، فلم يبق إلا ما ذكرناه من النظر إلى إقامة الله تعالى والتأدب معه كما ينبغي ويجب.

(٤٧) **وسأله** أيضاً: عن أحوال في أمر النفوس وفي أمر الذكر؟

فقال في جوابه له: وتذكرون فيه ما النفوس منجبلة عليه من الغفلة والإعراض والتمادي، والاغترار مع نسيان الموت والتزود للمعاد، وهي مع ذلك تؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر.

فالحال أن النفوس على ما ذكرتم، وعلى مثل الحال الذي وصفتم، ولذلك أسباب، وقد ذكر الإمام حجة الإسلام في بعض رسائله عن نفسه الشريفة ما يشبه هذا الحال، وذلك على سبيل التواضع منه رحمه الله تعالى ونفعنا به.

والحاصل: أن على الإنسان أن يجاهد هذه النفس، ولا يغفل عن رياضتها وتنبيهها وتذكيرها وتنوير ظلماتها، بأنوار العبادات الخالصة والأوراد المتواصلة.

وما ذكرتم عن الفقير الذاكر من الأحوال، فالحال الآخر منها الذي أوله الفترة وآخره الغيبة حال شريف ليس بعده من أحوال الذكر الحقيقي إلا حالة واحدة وهي حالة المشاهدة.

والذي يشار به عليه: أن يداوم ويلازم مع الصدق والإخلاص وطلب الحق الأعلى، من غير علة ولا غرض، بل لإقامة مجرد العبودية للربوبية، فإنه لا يصلح في مثل ذلك الحال إلا إفراد الوجه والقصد على مثل ذلك المعنى، وربك الفتاح العليم المنان الكريم.

(٤٨) **وسأله** عبد الله بن الهيثم عن معنى البديهة وقول العامة: بحق الإثنين مفتاح البابين.

فأجابه رضي الله تعالى عنه فقال في جوابه: وأنت يا عبد الله قد سبق إليك كتاب جواب كتابك الأول، وفيه شرح الكلمة التي تسأل عنها من دعاء الحبيب عليه الصلاة والسلام ولعله لم يبلغك، فمعنى العتبى الرجعى، أعني فإليك الرجوع في طلب الرضا حتى ترضى.

وأما البديهة، فهي كل فعل أو قول يباشره الإنسان من غير سبق فكرة، فإذا أصاب الصواب فيه على علم، قيل: فلان حسن البديهة، وإن لم يصب الصواب أو أصابه على غير علم، كان مذموما بسوء البديهة، ملوما على ترك الفكر والنظر. فاعلم.

وأما قول العامة: بحق الإثنين مفتاح البابين فاعلموا أن أكثر كلمات العامة الجارية على ألسنتهم خارجة عن موازين الشرع والعقل.

وإذا أراد الحكيم أن يتكلف لكلماتهم تأويلاً مناسباً بوجه ربما وجده. والإثنين يوم تعرض فيه الأعمال، فلعل أحد البابين الباب الذي ترفع منه فيفتح لها. والباب الثاني: باب المدد النازل على العاملين المقبولين، فيفتح له، أو يكون أحد البابين خروجه ﷺ إلى الدنيا، والآخر خروجه منها، فقد ولد وقبض ﷺ في يوم الإثنين، ووجوه التأويل كثيرة. والسلام.

(٤٩) **وسأله** أيضاً عيسى بن أحمد باحضرمي: عن حكم الفقر والغنى وما بينهما من التفاضل، وما ورد فيهما من الأحاديث، مما يوهم التنافي.

فأجابه رضي الله عنه ونفعنا به وأعاد علينا من أسراره وبركاته، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل الفقر زينة لعباده الصالحين وحلية لخاصته المفلحين، وذلك إذا قارنه منهم الرضا والتسليم، والشكر والصبر على ما ابتلاهم به العزيز العليم، فأما إذا قارنه الجزع والضجر والاعتراض على القضاء والقدر فهو من البلاء العظيم، المؤدي إلى العذاب

المقيم، فالمدح الواقع على الفقر كتاباً وسنة، المراد به الفقر المقرون بالصبر والرضا وحسن الأدب مع الله تعالى وذلك نحو قوله ﷺ : «الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس».

والذم واقع على الفقر المراد به فقر مقرون بتسخط المقدور وضيق الصدر بمواقع القضاء، حتى ينتهي بصاحبه إلى الاعتراض على الله تعالى في تدبيره. وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام: «كاد الفقر أن يكون كفرا».

ولما كان الفقر أقرب إلى السلامة والفلاح من الغنى، دنيا وأخرى، تخيره أجلاء الخليقة من الأنبياء والأولياء سلفا وخلفا.

فالفقير الراضي الشاكر على فقره، من الله سبحانه بمكان لا يبلغه الغني وإن بذل نفسه وماله في سبيل ربه تعالى.

والفقير المتسخط شر من شرار الأغنياء، لأن بليته في الاعتراض على الله تعالى وهو أمر فظيع. وأما بلية الغنى فنهايتها الاغترار بالدنيا والتمتع بها على وجه غير مرضي، هذا جواب مسألتك فتفقه فيه.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٥٠) **وسأله** المذكور أيضاً: عن معنى الزيادة في العمر الواردة في بعض الأحاديث؟.

فأجابه رضي الله عنه ونفع به: قد صح أن العمر لا يزيد ولا ينقص كتاباً سابقاً.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في معنى الزيادة الواردة، فذهب بعضهم إلى ظاهر الأحاديث. وقال: تكون الزيادة والنقص مشروطة بأسباب، مثاله: أَجَلُ فلان كذا وكذا، فإن فعل كذا زيد له كذا، وكذلك يقال في نقصه، فإنه قد ورد.

وقال بعضهم وهو ابن عباس رضي الله عنهما: إن للإنسان أجلاً في الدنيا من مولده إلى موته، وأجلاً في البرزخ من موته إلى بعثه. وكل مسمى فإن أطاع الله تعالى زيد من أجله البرزخي على أجله الدنيوي، وإن خالف وعصى نقص من أجله الدنيوي فزيد على أجله البرزخي، فلم يكن زيادة من خارج، ولم يبدل الكتاب السابق، وهذا هو الصحيح عندي.

وقال بعضهم: معنى الزيادة الواردة بركة تكون في عمره، حتى يزن عمره القصير عمر غيره الطويل، من غير أن تكون زيادة حسية.

والمطلوب من طول العمر: إنما هو اتساعه لتتسع دوائر العمل الصالح، وقد حصل ذلك لهذا العبد الموفق، وكان طولاً حقيقياً وزيادة معنوية فتأمل هذا الجواب، وخذه بحقه.

(٥١) **وسأله** الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله عباد الشبامي عن قول الشيخ أبي عبد الله القرشي رضي الله عنه: النفس تفزع إلى العوائد عند ورود الشدائد إلى آخره.

فأجابه رضي الله عنه وأمتع به وأرضاه:

اعلم أن المراد بالنفس في هذا الموطن وفيما يجري مجراه: اللطيفة النازعة إلى التمتع بشهوات الدنيا، ولا تكون النفس على هذا الوجه، إلا لسالك لم يرسخ قدمه في السلوك أو عالم رسمي أو عامي غافل، ولا شك أن نفوس هؤلاء تفزع إلى العوائد، عندما تصدمهم الشدائد بنظرهم إليها وقصورهم عليها، وإنما يكون رجوعها إلى الله آخرا، مهما لم تجد إغاثة من قبيل الأكوان.

أما السالك الراسخة قدمه في سلوكه، والعارف الواصل إلى الله تعالى. فليس لهم نفوس تذكر؛ لأنها إما مطمئنة مذعنة للحق مندرجة تحت استيلاء سلطان الروح. وإما مسجونة مقهورة لا تصرف لها ولا حركة. فافهم.

وأما مزايلة الضعف البشري للإنسان، فهو يبدو ويخفى

ولا يضمحل؛ لأن لله تعالى سرًّا لطيفاً في إبقائه؛ تدل على ذلك وقائع تقع للأكابر وتؤذن بوجوده. وكثيراً ما يخفى، حتى ربما يوهم الذهاب في مقام التوكل ومقام المحبة ومقام الرضا. ومن الأحوال حق اليقين وعينه، وما يندرج فيهما منهما.

وأما علم اليقين فصاحبه في الأكثر تفزع نفسه إلى العوائد أولاً ثم يرجعه علمه إلى الله سبحانه وتعالى آخراً.

وإنما الشأن أن يرجع الإنسان عندما تفجؤه الشدائد إلى الله تعالى بديهة، من غير فكر ولا نظر ولا تعريج على شيء من الأكوان، فإن عرج على شيء منها عن الأمر الإلهي، كان مع ذلك بظاهره وقلبه، وسره مع الله تعالى الذي إليه يرجع الأمر كله، وبيده الخير كله وهو على كل شيء قدير.

فتأمل هذا الجواب فإنه نفيس، وفيه على وجازته تنبيهات، تفتقر في إيرادها إلى مزيد إيضاح وتطويل. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(٥٢) **وسأله** الفقيه محمد بن عبد الرحمن مزروع رحمه الله تعالى: هل يجوز لمن لم يصلْ بعد إلى المقامات الشريفة، كالرجاء والمحبة والرضا أن يعمل عليها تكلفاً إلى آخره.

فأجابه رضي الله تعالى عنه وجزاه خيراً:

اعلم ـ علمك الله تعالى ـ أن العمل عليها، بدون أن يكون للإنسان منها حال صحيح أو مقام مكين غير مقدور عليه، ولا هو في اختيار العبد. وإن توهمه فذلك من حيث الأماني، ويخشى عليه أن يقع في شؤم الدعاوي.

وإنما الممكن والذي في الإختيار أن يقصد الإنسان إلى تحصيلها ويسير إليها على السبيل التي فتحها الله تعالى إليها.

وقد شرحها وأحسن وأجاد حجة الإسلام رحمه الله تعالى ونفعنا به في الإحياء وغيره. فيمكن الإنسان أن يستجلب الرجاء والرضا مثلا باستخصار ما ورد فيهما من الشواهد، فإن حصل له منها حال فله أن يعمل عليه.

ومن الأحوال واردات ترد على القلوب من غير تسبب ولا تعرض، فإن وردت أيضاً عمل الإنسان على مقتضاها شاء أم أبى. فاعلموا ذلك، وله تفصيل لا تسعه الأوراق.

(٥٢) **وسأله** المذكور أيضاً: هل يجوز السكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لمن يخشى على نفسه الرياء في ذلك؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به: لا يجوز له بحال، ويجب عليه أن يجاهد نفسه في نفي الرياء عنها مع العمل، ولا يجاهدها بتركه. أعنى ترك العمل. فذلك أمنية

الشيطان، وقد سماه الفضيل رحمه الله تعالى ونفعنا به بالرياء فقال: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك.

وما دام الإنسان يخشى على نفسه الرياء، فالغالب عليه أنه بعيد عنه. وما لا يدخل تحت الإختيار، من خواطر القلوب، فكفارته أن يكرهه، مهما كان من خواطر الآثام.

(٥٤) **وسأله** رضي الله تعالى عنه الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن عبد الله عباد رحمه الله تعالى: هل ذكر حجة الإسلام رحمه الله تعالى، علم اليقين، وعينه، وحقه، على الوجه الذي يشير إليه القوم؟

فأجابه أمتع الله بحياته وزاده من هباته: لم أقف عليه ولكن يوجد في الإحياء وفي غيره من مؤلفاته، إشارات إلى هذه الأسامي في مواضع مفرقة.

والمثال الذي ذكرتموه من كلامه من تمثيله بمن يبلغه: أن زيداً في الدار إلى آخره، تصريح بالمراتب الثلاث وإن لم ينص على أسمائها هناك، وعلم اليقين هو الأول من مراتب المثال، والله أعلم.

(٥٥) **وسأله** المذكور أيضاً: هل يجوز للإنسان أن يستجلب المقامات والأحوال الشريفة، بالتفكر فيها المحصل لها من بعض الوجوه.

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفع به: نعم له ذلك والتفكر فيها طريق إليها ولكن مع العمل بما يقتضيه الفكر أو يفتقر إلى مقاربته له. مثال ذلك: أن الرجاء من المقامات، ويمكن العبد تحصيله بالفكر في الآيات والأخبار والآثار الواردة فيه، والعمل بالطاعات التي جعلها الله تعالى شرطاً لحصول المرجو، هذا مثاله في المقامات فقس عليه.

وأما الأحوال، فالتفكر فيها وما يقاربه طريق إلى الاستعداد لها لأنها مواهب. وقد تحصل مع الإستعداد وقد لا، وقد ترد على من لم يستعد من باب الفضل فضلاً.

(٥٦) **وسأله** الشيخ المذكور أيضاً عن قول الشيخ أبي عبد الله القرشي رضي الله تعالى عنه ونفعنا به: السماع ثم الفهم ثم المنازلة ثم الذوق.

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به: محل المنازلة من الذوق محل السماع من الفهم. ومثال ذلك من المشاهدة أن يصف لك إنسان بلدا وما فيها من العجائب، فحديثه إياك سماع، وتعقلك معاني ما حدثك بهم فهم، ووصولك إلى البلد الذي وصفه لك منازلة، ومشاهدتك لعجائبها وتأنسك بها ذوق، فاستدل بالشاهد على الغائب.

(٥٧) **وسأله** المذكور أيضاً عن ما ذكره أيضاً في بعض

رسائله، من أنه قد يكون للمريد شيخ يربيه من حيث لا يشعر المريد.

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفع به: هو كذلك، والمراد ها هنا شيخ الفتح الذي يربي المريد بحسن عنايته وسديد نظره وثم شيخان غيره أحدهما: شيخ الرياضة والتهذيب، والثاني وهو دونه: شيخ التعليم والإفادة ولا بد في هذين من المعرفة في الجانبين مع اعتقاد التعظيم والأهلية في الشخص المعين.

وأما شيخ الفتح، فقد يكون على المعنى الذي ذكرناه فمن ذلك قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي لتلميذه الشيخ أبي العباس المرسي، أول ما أتاه: قد رُفعتَ إليّ منذ عشرة أو قال: تسعة أعوام.

ومن ذلك ما وقع للسيد يوسف الفاسِي، من المتأخرين مع سيدي الشيخ أبي بكر بن سالم علوي رضي الله تعالى عنهم وأمدنا بهم، من طوافه عليه، وهو في بلاد المغرب ووصفه له ومعرفته له قبل أن يقدم عليه إلى حضرموت حتى إن السيد يوسف رحمه الله تعالى، كان يطوف على مشايخ المغرب، من عدم تمييزه لشيخه الذي يلاحظه من هو؟ إلى أن حلف له بعضهم: أن شيخك ليس في غربنا هذا وحكاياتهم في ذلك كثيرة.

وقد تجتمع المراتب الثلاث من مـراتب المشيخة، لبعض الشيـوخ على الندور. وذلك هو الشيـخ المطلق، بل هو الإكسير العزيز والكبريت الأحمر الذي يتحدث به. وقلَّ ما يوجد. ولكن فضل الله واسع وجوده شامل.

وإن اندرست الطريق وغابت نجومها، فالقدرة صالحة والإمكان واسع. وغير مستحيل أن يوجد في هذا الزمـان المبارك، من يجمع الله تعالى له هذه المراتب ويرشد إليه من يريد به السعادة من عباده، ويوقف عليه من يريد إيصاله إلى مراتب الولاية من خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فعليك ــ وفقك الله سبحانه ــ بإمعان النظر في هذا الكتاب فإنه نفيس. وكن في حين إشرافـك عليه ممتلئـاً بالتعظيم، متحققاً بالتسليم وخالياً من دعوى العلم، متحلياً بالإعتراف بالإفلاس عن ثاقب الفهم، فبذلك ييئس الشيطان منك.

(٥٨) **وسأله** الشيـخ عبد الرحمن عباد المذكور أيضاً: عن المحو المذكور في قول الشيـخ السودي رحمه الله تعالى ونفعنا به:

وامح العلوم وما قد كنت تكتبه　　　فمحوه واجب من كل مكتتب

وبيت للفقيه عمر با مخرمه نحوه، هل هو موافق لما ذكره الإمام حجة

الإسلام رحمهم الله تعالى في كتاب عجائب القلب من الأحياء، عند ذكر ما ينـحجب به القلب عن المكاشفة بصريـح الحق؟.

فأجابه رضي الله تعالى عنه وأرضاه ونفع به: ليس هو أعني المحو المذكور، موافقاً لمعنى ما ذكره الحجة.

وبيانه: أن العلوم عبارة عما يشعر به القلب من الأشياء ويتصوره، والمحو للعلوم الجاري على ألسنة القوم، يقع على معنيين: أحدهما محو كل ما يشعر به القلب ويتصوره ويخطر فيه، مما يشغل عن التجرد للسير إلى الله تعالى، وذلك في حال البداية، ولا يتم سلوك السالك إلا به.

والثاني: يكون عند مقاربة الوصول إلى حال الفناء، وهو محو جميـع الأذكار والأفكار والتصورات، وكل شيء يتصور أن يكون للقلب به تعلق أو إليه التفات وذلك ليجتمع الهم على الله سبحانه وتعالى، وينفرد في القلب ذكر الله عز وجل وقصده سبحانه والتوجه إليه تعالى.

والمحو ها هنا عبارة عن عدم السكون إلى الأشياء والإعتماد عليها مع الإجتهاد في محو علائقها المتعلقة بالقلب تكلفا في أول الأمر، إلى أن يصير ذلك حالاً وهو حال الفناء. ومن شأنه محو مالا يدخل تحت الإختيار من الصوارف عن الله تعالى.

وفي هذه الحالة، يغيب الإنسان ويذهل عن كل شيء

سوى الله تعالى، حتى عن نفسه وعن فنائه، وذلك بطريق الذوق لا بطريق العلم، ومن وراء ذلك حال البقاء لمن شاء الله تعالى له الإمامة وأهله للخلافة وفيه يقع الإثبات بعد المحو، على وجه لا يشغل عن الله تعالى ويمنع من إفراد القلب له تعالى.

وأما ما ذكره الحجة رحمه الله تعالى فيما ينحجب به القلب، وذلك قوله: إن القلب قد ينحجب يعني عن المكاشفة بصريح الحق بالتقليد فإن كان رحمه الله تعالى أراد بالتقليد ها هنا تقليد من لم يصب الحق في اجتهاده فهو واضح.

وإن أراد به تقليد من أصاب الحق من المجتهدين، فله محامل كثيرة منها: أن المتكلم بالحق قد يتكلم ببعض وجوهه ويسكت عن البعض، لاستغنائه عن ذكرها في حين كلامه. ومنها أن المحق قد يتنزل فيما يقول إلى حدٍّ لا يخفى على أحد من عامة المؤمنين الذين جعله الله تعالى إماماً لهم.

والتقليد على هذين الوجهين، يمنع من جمد عليه عن المكاشفة بجلية الحق. أعني به، معاينة الأشياء على ما هي عليه عند الله تعالى. وذلك خاصية النبوة والولاية. وما تعبد الله تعالى به أحداً، أعني بطريق التكليف. والتقليد على ذلك الوجه لا يقدح في الإيمان ولا يقطع عن النجاة، ودخول

الجنة من مات على الإيمان. وكل مجتهد مصيب. والمقلدون من المؤمنين لأئمة الدين على هدى من ربهم.

ولكن ينبغي أن يعرف الفرق بين الإيمان والعلم، وبين الكشف والبصيرة، وبين النجاة والثواب، وبين السعادة والرؤية. وفي المسألة أغوار بعيدة وتحتها أسرار غامضة. ومن شأن المتكلم في بيان هذه العلوم، مع من لم يصل إلى شيء منها بطريق الذوق أنه لا يزيدها بيانه لها إلا غموضا، ويحصل حل الإشكال بما ذكرناه إن شاء الله تعالى فتأملوه حقه.

(٥٩) **وسأله** السيد الجليل عيسى بن السيد محمد الحبشي: عن قول رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»، فهل ذلك مطلق حتى يحصل لمن لم يوافق محبوبه في أعماله وأقواله وغيرهما من تقلباته؟

فأجابه رضي الله عنه:

أعلم ــ علمك الله تعالى ــ أن الحديث فيه ترغيب وترهيب، حيث يكون الإنسان مع من يحبه، سواء كان من الأبرار أو الفجار، فكيف حال من يحب الدنيا الملعونة، حيث يصير معها.

ثم إن المعية الحاصلة بالمحبة، تحصل مطلقا. ولكن لا يصح وجود المحبة إلا بموافقة المحبوب فيما يأتي ويذر، حسب الإستطاعة.

والمحبة دعوى لا تثبت حتى تقوم بها بينة الموافقة. فالذي يدعي محبة شخص، وهو مع ذلك يخالفه في أغراضه ومراداته التي يقدر عليها، ولا يوالي من يواليه، ولا يعادي من يعاديه يقضي العقل بتكذيبه.

نعم لا يشترط لحصول هذه المعية، المساواة للمحبوب في جميع أعماله. فإن ذلك يقتضي المماثلة فيمن يستطاع مماثلته، فقد علمت أن المحبة لا تصلح بدون الموافقة أبداً.

(٦٠) **وسأله** السيد المذكور أيضاً عن قول المحاسبي رحمه الله تعالى، ونفعنا به: لكل عابد فترة إما إلى سنة، وأما إلى بدعة.

فأجابه رضي الله تعالى عنه وأمدنا بمدده:

أعلم أني أحسب أني قد سمعت هذا الكلام، فيما يروى عن رسول الله ﷺ. ومعناه: أن العابد يكون له في ابتداء أمره حدة في العبادة تتجاوز حد الإقتصاد والوسط المشروع لعامة المسلمين، وذلك كمال في حقه إن ثبت عليه، ولم يخرج به إلى ما يضر بعقله أو جسمه ضررا ينكره الشرع.

ثم يكون للعابد فترة يفتر بها عن تلك الحدة، فإن رجع منها إلى الإقتصاد المشروع فقد رجع إلى السنة، وإن رجع منها إلى التفريط الذي هو التضييع والإهمال

والإعراض عن العبادة فقد رجع إلى البدعة، ونضرب لذلك مثلا ليعرف. فنقول: إذا وجد بالإنسان باعث العبادة والتبتل إلى الله تعالى فقد يقوم الليل كله. ثم إنه لا بد أن يفتر، من حيث البشرية التي خلق عليها، فإن رجع من قيام كل الليل إلى قيام النصف أو الثلث، فقد أصاب السنة. وإن ترك القيام فقد وقع في البدعة، ومعنى البدعة ها هنا: مخالفة هدي السلف الصالح.

والذي يظهر أن الفترة لا تكون لكل عابد، ولكن ذلك هو الأكثر. ولا ينبغي للإنسان أن يترك الدخول في الأوراد مخافة الفتور، فإن ذلك من الحمق والغرور.

(٦١) **وسأله** المعلم أحمد بن علي بن دعفة، المقيم بالشحر: عن حكم العزلة والخلوة، إلى آخر ما سأله عنه؟.

فأجاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه وأمتع بطول حياته، ونفع به:

أعلموا ـ علمكم الله تعالى ـ أن العزلة أعم من الخلوة، ويقصد بها السلامة من الشر والأشرار. ولها شرائط أجلها: أخذ ما لا بد منه من العلوم الإيمانية والإسلامية ومنها: أن لا يكون الحامل عليها سوء الظن بالمسلمين، بل الحرص على سلامة الدين، مع اتهام الإنسان نفسه، وخوفه على المسلمين من شرها. ومنها: أن لا يدع المعتزل صلاة

الجمعة وكذا الجماعة، ولا يقصر عن واجب فرضه الله تعالى عليه في نفس ولا عيال، ولا يترك مخالطة أهل الخير الذين تنفعه مخالطتهم في دينه.

وقد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ونفع به في كتاب منهاج العابدين، كلاماً مقنعاً في العزلة فانظروا فيه.

وأما الخلوة، فهي أخص من العزلة، ويقصد بها تهذيب النفس، وتصقيل مرآة القلب، لينكشف الحجاب بينه وبين ربه سبحانه وتعالى، وتنقطع عنه علائق الخلق، حتى لا يبقى له التفات إلى غير الله تعالى.

وشرائطها شرائط العزلة وتزيد عليها بأنه لا يتم دخولها إلا بشيخ محقق. فإن لم يوجد، وكان المريد ذا بصيرة منيرة وهمة عالية وقوة نفس، وثبات جأش بالغ، جاز له دخولها.

وأما مدتها فالغالب والأكثر إلى الأربعين، ولهذا سميت بالأربعينية، وقد تكون عشراً أو سبعاً أو ثلاثاً، ورأيت بعض المحققين أخلى بعض المريدين إلى مائة وعشرين يوما.

والظاهر أنها تختلف باختلاف الأشخاص، لطافة وكثافة، وباختلاف الشيوخ. وقد ذكر السهروردي رحمه الله تعالى ونفع به في العوارف، فيها أبواباً وكلاما واسعاً. فانظروه إن شئتم.

وكان سيدي الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس رحمه الله تعالى ونفعنا به، يشير كثيراً إلى خلوة مختصرة، وهي أن يختلي المريد ليلة الجمعة ويومها مع ملازمة الجوع والسهر والصمت وترك المخالطة للناس، مع إدمان التوجه إلى الله تعالى، والعكوف على الذكر والتلاوة.

فإن رأيتم أن تعملوا على ذلك فدونكم إياه فإنه مبارك نافع والشيخ نفع الله تعالى به، من أجلاء المحققين، المطلعين من أسرار طريق الله تعالى على أشياء كثيرة خفيت على المتقدمين.

(٦٢) **وسأله** الرجل المذكور أيضاً عن مواجيد العارفين ومكاشفاتهم، هل هي على الدوام؟ أم تكون في بعض الأحوال؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركته: الظاهر أن المكاشفات بالجلال والجمال لا تدوم أبداً، وإن دامت على العبد أخرجته عن التمييز، وغيبته عن شعوره بنفسه وبشريته، كما قد يقع ذلك لبعضهم مدة ثم يذهب.

وإذا فات بسبب هذا الإستغراق شيء من الفرائض اللازمة، كالصلاة والصيام، فقد كانوا يقضونه، ومن شأن السالك أن تبدو له الحقائق وتستتر عنه، ولا يزال حاله كذلك حتى يصير من المتمكنين، فإذا صار منهم، بقي على حال

لا يشغله الخلق عن الحق، ولا تخرجه الحقيقة عن الشريعة ولا تحجبه الشريعة عن الحقيقة، وتكون بعض الحقائق مكشوفة له على الدوام، ويحتجب عنه بعضها في بعض الأوقات، وتنكشف له في وقت آخر.

وقد يباشر من هذا وصفه أحوال معيشته من تسبب أو صناعة، ولا يضره ذلك، ولا يحجبه عن ربه.

(٦٣) **وسأله** الرجل المذكور أيضاً، هل الأحسن والأتم للمريد أن يلازم الشيخ، ويقف عنده، أو يبقى يتردد عليه وقتاً دون وقت؟.

فأجابه رضي الله عنه اعلم أنه يجب عليه إن أشار عليه الشيخ بأحد الأمرين، أن يلزمه ويثبت عليه، فإن وجد بسبب ما أشار عليه به من الوقوف عنده أو البعد عنه شيئاً في نفسه، أطلعه عليه.

وإن كتمه إياه فقد خان ونكث، وكذلك يطلعه على جميع أموره، خصوصاً ما يتعلق منها بالطريق وأحوال القلوب، ولا تمنعه الهيبة ولا الحياء من ذلك.

فإن لم يشر عليه شيخه بالإقامة عنده ولا بتركها، فليكن مع ما هو الأصلح لقلبه والأتم في حسن ظنه بشيخه وتعظيمه له، ومن رجع إلى اختيار الشيوخ وآثره على هوى نفسه، من غير اعتراض أفلح وأنجح.

وإن ظهر للمريد من شيخه ما يقدح في الإعتقاد، وجب عليه أن يسأله عنه، فإن علم من حاله أنه لا يستحسن السؤال عن مثل ذلك، أولَ له تأويلاً مستقيماً يليق بأحوال أهل الله تعالى.

وأما من ظهر عليه من المنسوبين إلى طريق الله تعالى ما لا يحتمل التأويل كالزنا وأخذ أموال الناس بالباطل، فيجري عليه الأحكام التي أجراها الله تعالى على سائر المسلمين، ظاهراً وباطناً.

وإن تصور أن يكون لمثل هذا المنتسب مريد قد أخذ عنه على بصيرة، فليعتقد أن ذلك مما جرى به القلم على هذا العبد، وأنه يرجع إلى الله تعالى بالتوبة النصوح والندم الخالص، الذي يمحق آثار المعاصي ويغسل أدناسها.

فإن ظهر له من غير شك ولا ريب إصراره على الذنوب، وجرأته على الله تعالى فقد تبين سلبه وطرد الله سبحانه له عن بابه فليفارقه ويبغضه في الله تعالى، فليس بقليل من طرد عن باب الله تعالى بعد التقريب وسلب بعد العطاء وحجب بعد الكشف، ويفعل الله تعالى ما يشاء.

ولكن لا ينبغي لأحد أن يقدر صدور هذه الأمور القبيحة عن أهل الطريق المنسوبين إلى الله تعالى الذين ظهر واشتهر تولية الله تعالى لهم وموالاته وتقريبه واصطفاؤه فإن الله تعالى

يحفظهم عن مثل ذلك، ويحول بينهم وبينه، فضلاً وكرماً.

بل ينبغي للمعتقد فيهم أن يعتقد أن في قلوبهم وسرائرهم من الخير والنور والكشف والعلوم والحكم، ما لا يقدره قدر ولا يتناوله حصر، وإن الذي ظهر على ظواهرهم من ذلك ذرة من رمل، وقطرة من بحر، فبذلك يعظم نفعه بهم ويتسع له المدد منهم، وفقنا الله تعالى وإياكم لإصابة الصواب في النيات والأعمال وعصمنا وإياكم من الشك والإرتياب في جميع الأحوال، ورزقنا كمال المتابعة لرسوله ﷺ وعلى آله وصحبه بالغدو والآصال.

(٦٤) **وسأله** نفع الله به الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن عبد الله بارجا، عن أبيات[1] للشيخ أبي علي الروذبادي رضي الله تعالى عنه ونفع به، أعني يتكلم على معانيها.

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركته **وقال في جوابه**، ونحن نقول شيئاً يسيراً جداً:

فأما قوله نفع الله به: قالوا غداً العيد ماذا أنت لابسه،

---

(1) الأبيات المشار إليها هي:

قالوا غداً العيدُ ماذا أنتَ لابسهُ	فقلت خِلعةَ ساقٍ حُبُّهُ جُرِعَا
فقرٌ وصبرٌ هُما ثوبايَ تحتَهما	قلبٌ يَرَى إلفهُ الاعيادَ والجُمعا
أحرى الملابسِ أن تلقَى الحبيبَ به	يومَ التزوارِ في الثوبِ الذي خَلَعَا
الدهرُ لي مَأتمٌ إن غِبتَ يا أمَلي	والعيدُ ما كنتَ لي مَرأى ومُستَمَعَا

فيحتمل أن يكون الضمير من قالوا، راجعاً إلى إخوانه في طريقه وقولهم له: غدا العيد بشارة بحصول المشاهدة.

وقوله، فقلت: خلعة ساق، لعل الخلعة خلعة الخلافة، والساقي هو الرجل العارف يسقي عباد الله تعالى، بأمر الله تعالى العلوم والمعارف.

وقوله: حبه جرعا إشارة إلى تحمل المشاق في طريق الله تعالى، وإن من عظم أربه عظم في تحصيله نصبه.

وقوله: أحرى الملابس إلى آخره، يوجد معناه في قوله ﷺ عن الله تعالى: «ما تقرب المتقربون إليّ بمثل أداء ما افترضت عليهم» الحديث، وتكون العين التي في قافية البيت منصوبة.

وقوله: فقر وصبر هما ثوباي تحتهما، فأما ثوب الفقر فهو خلعة العبودية المحضة وأما ثوب الصبر فهو خلعة يلبسها كل من عرف الدنيا، وهي خلعة يخلعها صاحبها عند الموت.

وقوله: قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا، هذا يحتمل معنيين:

أحدهما وهو الأولى: أن يريد حفظ الشريعة في عين الحقيقة وتكون الجمع والأعياد هي المعروفة بين المسلمين.

والثاني: أن يريد ساعات المشاهدة ومواقف الحضور

التي يقول فيهن بعض العارفين: وقفة مع الله تعالى على الصفا أفضل من ألف حجة مقبولة.

وأما قوله: العيد لي مأتم إلى آخره، فقد شرحه الشيخ ابن عطاء الله تعالى في الحكم بقوله: النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو لشهوده واقترابه، والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو لوجود حجابه.

وقال الشيخ أبو يزيد رضي الله تعالى عنه ونفعنا به: في الجنة رجال لو احتجب الحق عنهم طرفة عين، لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار، وليس هذا شرحاً مستوفياً ولو أذن لنا في الكلام لأطلقنا أعنة الأقلام، ولكل شيء قدرا.

ومن عجيب الإتفاق، أن مما كتبنا به إلى بعض أوليائنا في الله تعالى، قبل وصول كتابكم بأيام:

أعلم يا أخي أن لله سبحانه وتعالى عبادا، لا تنقضي أعيادهم ولا تنقطع أمدادهم، لما يجدون في قلوبهم من أنوار قرب ربهم، وروح الأنس بجنابه المقدس وإنما العيد عندهم لزوم الموافقات والتطهر من دنس المخالفات ودوام الحضور مع الله تعالى في جميع الأوقات، ومنهم القائل:

العيد لي مأتم ما غبتَ يا أملي والعيد ما كنتَ لي مرأى ومستمعاً

انتهى.

(٦٥) **وسأله** الفقيه محمد بن عبد الرحمن مزروع عن بعض خواطر تعرض له، وذكر أنه يخشى على نفسه منها؟.

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به:

أعلم أنك لن تداويها بشيء أنفع من الإعراض عنها والتناسي لها وبأن تقول كثيراً عند ورودها: «سبحان الملك الخلاق، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد، وما ذلك على الله بعزيز».

وأعلم أن الخواطر القهرية، من أنواع البلاء التي يثاب عليها المؤمن، إذا قام بالأدب الواجب للحق فيه، وقد سلطها الله على العبد، ليرجع إليه فاراً بانكساره واضطراره، فيجيبه إذ ذاك: «من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء».

وقد تكون الخواطر آثار أمور تعاطاها الإنسان، من أكل طعام غير طيب أو مخالطة لأحد من أهل الشر، فيجب عليه أيضاً أن يفتش على نفسه ويتوب عما يطلع عليه من ذلك، وإن كان يتهم به نفسه، ولم يقف على عيبه فليتب من الذنوب كلها، ما علم منها وما لم يعلم. وإن تصور انفكاك الخواطر عن الأسباب فهي من البلايا المجردة فليصبر عليها الانسان حتى ينقضي زمان وجودها، يثيبه الله تعالى على ذلك.

(٦٦) **وسأله** الرجل المذكور أيضاً: عن القعود بعد صلاة

الصبح في المصلى إلى الطلوع، هل الثواب الوارد فيه موقوف عليه؟ أم يحصل لمن قام عن مصلاه وخرج إلى بيته أو غيره، مع المحافظة على الذكر والتسبيح؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه وعنا به:

أعلم أن الثواب الوارد في الذكر لله تعالى، من بعد صلاة الفجر إلى الطلوع، ورد في بعض الأحاديث مقيداً بالقعود في المصلى، وفي بعضها مطلقاً، فإن كان عليه الصلاة والسلام ذكر القعود، لأنه أجدر للمحافظة وأبعد عن التفرقة، فيحصل الثواب لا محالة لمن حافظ واجتمع، سواء كان في مصلاه أو قائما عنه، لا سيما إن كان الداعي له على القيام الحرص على زيادة الإجتماع على الذكر لعارض يعرض في محل القعود، من خوف رياء أو ارتفاع أصوات.

وكذلك إذا كان المخرج له أمراً فيه زيادة خير وبر، وهو باق على محافظته ومواظبته.

فأما إن كان المخرج له شهوة من صلاح أمر دنيوي أو تناول شهوة كالقهوة، فالظاهر أن ذلك الثواب لا يحصل له، وكذلك إذا كان القعود المنصوص جاء ذكره لخاصية في عينه، وأسرار النبوة ولطائف معانيها وخواص مداركها يعسر إدراكها من كل الأوجه، إلا على من أقيم فيها وقد أغلق بابها بموت رسول الله ﷺ، والفهم بحر واسع وكل يسبح فيه على قدر

نصيبه، وما قسم له من ربه، وفقنا الله تعالى وإياكم لإصابة الصواب في جميـع الأحوال.

(٦٧) **وسأله** الشيـخ عبد الرحمن بن عبد الله عباد: عن الفرق بين العجز والضعف؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا به آمين:

أعلم أن العجز، عبارة عن اضمحلال الإستطاعة عن فعل الأمر أو عن تركه، بحيث لا يبقى له قدرة عليه بحال.

فإن قدر على بعضه دون سائره قيل: عاجز عما عجز عنه، قادر على ما قدر عليه، والعجز ضد القدرة، والضعف ضد القوة، والقوة من معاني القدرة.

فإذاً يكون الضعف قدرة غير تامة، فالقادر على الشيء من بعض الوجوه الذي لا يحسن القيام به من كل وجه يقال له: ضعيف، والله تعالى أعلم.

وقد يطلق العجز كثيراً في اللغة المعروفة على الكسل الذي هو ضد النشاط، وهو أن يتقاعد الإنسان مهانة وتثاقلا عن الأمـر وهو يستـطيـع فعله أو تركـه، هذا مـا ظهـر لي ولم أراجع فيه كتاباً والسلام.

(٦٨) **وسأله** رضي الله عنه السيد الفاضل أحمد بن عوض با حسين علوي: هل الشيـخ عبد القادر الجيلاني أفضل؟ أم

الشيخ الإمام سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي علوي؟ نفع الله بهما آمين، وحققنا بحقائق علومهما، ورضي عنهما وعن سائر الصالحين إلى آخر ما ساقه في سؤاله.

فأجابه رضي الله تعالى عنه وجزاه عنا وعن المسلمين خيرا:

أعلم ـ علمك الله تعالى ـ أن الشيخ عبد القادر رضي الله تعالى عنه، ممن جمع الله تعالى له بين علمي الظاهر والباطن وسلوك الطريقة وشهود الحقيقة وتربية المريدين، فصار قطب زمانه وغوثه، كما ذكره المحققون، وكانت وفاته قبل السنة التي ولد فيها سيدنا وإمامنا ومن عليه بعد الله تعالى ورسوله معتمدنا، شيخ الطريقة والحقيقة، وإمام أهل الظاهر والباطن، القطب الرياني الفقيه المقدم محمد بن علي علوي رضي الله تعالى عنه بسنين.

فهما أعني الشيخ المقدم، والشيخ عبد القادر رضي الله عنهما إمامان كبيران، قطبان جامعان شريفان سُنّيان كل منهما فاضل سابق مقرب.

وانتفاعنا واعتمادنا على السيد المقدم أكثر وأظهر، لأنه الأب والشيخ الذي تدور عليه الدوائر في هذه الجهة لنا ولغيرنا.

وكذلك الشيخ أبو مدين رضي الله عنه إمام عظيم

جامع، وممن قُطِّب أيضاً على ما ذكره العارفون فانتقلت القطبية من الشيخ عبد القادر إلى الشيخ أبي مدين إلى الشيخِ الفقيه المقدم، على الترتيب لا على التوالي، فإنه ربما قُطِّب بينهم جماعة من الأقطاب لإتساع المدة، والله سبحانه وتعالى أعلم بحقائق الأمور.

قال سيدنا الشيخ الإمام عبد الرحمن بن محمد السقاف رضي الله تعالى عنه: ما نفضل على الفقيه المقدم بعد الصحابة إلا من ورد بتفضيله نص، كأويس القرني رضي الله تعالى عن الجميع، ورضي عنا بهم وأمدنا بهم.

(٦٩) **وسأله** السيد المذكور أيضاً: عن المريد ما هو؟ وعن الصوفي والتصوف، وما الذي إذا فعله الإنسان يصير صوفيا؟

فأجابه رضي الله عنه ونفعنا به:

أعلم أن المريد هو من تمحضت فيه إرادة وجه الله تعالى والدار الآخرة، بجميع حركاته وسرائره وظواهره لمعاده ومعاشه، وهذا أمر عظيم إذا صح واستقام فتأمله.

وأما الصوفي، فهو كما قال بعض العارفين: الصوفي، من صفى من الكدر وامتلأ من العبر، واستغنى بالله تعالى عن البشر، واستوى عنده الذهب والمدر.

وأما التصوف فهو كما قال بعضهم أيضاً: التصوف، هو الخروج من كل خلق دنيّ والدخول في كل خلق سَنيّ.

وقد وقع خلاف كثير بين أهل الطريق في التصوف ما هو؟ والصوفي من هو؟ وهذا الذي ذكرنا من أحسنه وأجمعه.

فمن صفى أعماله وأقواله ونياته وأخلاقه، من شوائب الرياء وأخلصها عن كل شيء يسخط المولى، وأقبل بباطنه وظاهره على الله تعالى وعلى طاعته، مع الإعراض عمن سواه، وقطع العلائق الشاغلة له، عن التجرد لهذا الأمر، من أهل ومال، وشهوة وحظ وهوى نفس، وكان جميع ذلك مقرونا بالعلم، واتباع الكتاب والسنة، وهَدْي السلف الصالح، فهو الصوفي الكامل. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٧٠) **وسأله** السيد المذكور أيضاً: عن السلوك ما معناه؟ وعن المنازلة والإصطلام، الجاريين على لسان أهل الطريق.

فاجابه رضي الله عنه وأرضاه وأمدنا من مدده: أما السلوك فهو عبارة عن سير القلب في تحقيق أخلاق الإيمان وتصحيحها، وتحقيق مقامات اليقين وإحكامها، والسير في ذلك من منزل إلى منزل، والترقي من مقام إلى مقام، من البداية إلى النهاية وهو سير باطن في طريق باطن.

وأما المنازلة فيعبرون بها عن الواردات الربانية، التي يفتح الله بها على الأسرار والقلوب.

وأما الإصطلام فيعبرون به عن وارد رباني قوي، يستولي على العبد، فيأخذه عن إحساسه وشعوره بالكلية، وهذا إنما يكون وروده على الندور، وإذا ورد فلا يبقى طويلا، وإن بقي التحق صاحبه بأهل الوله والتأله من المجاذيب، وهم من أقسام هذه الطائفة، والله أعلم.

(٧١) **وسأله** ـ نفع الله به ـ السيد العلامة عبد القادر بن أحمد الأهدل اليمني الحسيني: عن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بعد الأذان برفع الصوت إلى آخر ما سأل به، مما يأتي حاصله في الجواب.

فأجابه رضي الله تعالى عنه فقال في جوابه: وصل كتابكم وذكرتم أنه جرت عندكم مذاكرة في شأن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بعد الأذان من المؤذنين برفع الصوت على النحو المعروف المعتاد، وأنكم نقلتم في تقرير ذلك، ما ذكره الشيخ صفي الدين بن حجر في «شرح العباب» له، وأنه حصل بعد ذلك إنكار من بعض الناس فألحقتم في الرد عليه ما ذكرتم من البحث المبارك الواقع في محله، فجزاكم الله خيراً.

ثم صورتم سؤالاً في ذلك مستقيماً إلى الشيخ الصفي مفتي الإسلام أحمد بن عمر الحبيشي وأجاب على ذلك وقد أصاب وأفاد وأجاد، شكر الله تعالى سعيه.

وقد بعثتم بجميع ذلك إلينا في صحبة الكتاب أعني ما نقلتم عن الشيخ بن حجر، والبحث الواقع على أثره والرد على المنكر، والسؤال والجواب المذكورين آنفاً، وطلبتم منا أن نبرز لكم ما عندنا في ذلك إيناسا وتأكيدا، وإن كان ما بحثتموه في ذلك وأجاب به الشيخ أحمد الحبيشي شافياً كافياً.

فنقول على سبيل التبرك والتيامن بذكر رسول الله ﷺ، والتنويه بشيء من معرفة حقه الذي لا يجهل ولا ينكر.

أما حقه على أمته ﷺ فهو أعظم الحقوق وأوجبها وألزمها بعد حق الله عز وجل، ولا يقدر أحد منهم على القيام بما عليه من ذلك، ولو فعل ما عساه أن يفعل ولو بذل ما عساه أن يبذل، وما في قدرتهم من القيام بواجب حقه إلا المتابعة لسنته والنصرة لدينه، والإكثار من الصلاة والسلام عليه، وكمال المحبة والمودة له ولأهل بيته وأصحابه مع التوقير والتعظيم.

وأما الصلاة والسلام عليه ﷺ فقد أمر الله تعالى بها عباده في كتابه العزيز، بقوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته﴾ الآية الكريمة.

وورد في فضلها وفي الحث عليها من الأحاديث الصحيحة الحسنة ما اشتهر وانتشر، ومن كلام السلف

والخلف الصالح، ما لا يعد ولا يحصر وشهرة ذلك تغني عن ذكره.

وقد ألف الشيخ ابن حجر الثاني في ذلك كتابا فريدا سماه: «الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود» وسبقه السخاوي إلى وضع كتاب في ذلك سماه «القول البديع في الصلاة على النبي الشفيع» وكتب الأئمة من المتقدمين والمتأخرين، سيما كتب الحديث طافحة بذلك.

وأما ما اعتيد فعله من المؤذنين بعد الأذان لسائر الصلوات أو بعضها في بعض الجهات، فهو من البدع الحسنة المرضية، التي لا يحسن إنكارها، بعد أن ورد الأمر بالصلاة والسلام على الرسول ﷺ في الكتاب والسنة، من غير تقييد بوقت ولا حال ولا زمان ولا مكان.

وإنما خصت بعض الأوقات والأحوال من حيث زيادة الثواب وجزالة الأجر، مع بقاء الأمر والفضل في عموم الأوقات والأحوال في الإسرار والجهر والإنفراد والإجتماع، لا يجوز إنكار شيء من ذلك لعينه، ولا يستقيم حتى يدل عليه دليل، ولم ينقل ذلك فسقط قول المنكر ولم يبق في يده شيء، لأن هذا الموطن الذي هو بعد الأذان من المواطن المطلوبة فيها الصلاة والسلام على الرسول ﷺ، وفيها الأحاديث الصحيحة.

وكون ذلك من المؤذن وبرفع الصوت تذكيرا بذلك للمستيقظين والغافلين من أمته ﷺ، زيادة من الخير والبر.

وهذا التذكير بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، بعد الأذان على النحو مما ذكرتم من شعائر أهل الحرمين الشريفين ومن دأبهم بعد الأذان لكل صلاة سوى المغرب لضيق وقتها وإلا الصبح فإنهم يجعلونه قبل الأذان، ويفعل عندنا بحضرموت ولكن في بعض الأوقات وفي بعض الأماكن ولو فعله أحد من المؤذنين بعد كل أذان عندنا ما كنت أحسب أن ينكر عليه منكر ولا أن يعارضه معارض.

فمن ينكر هذا الفعل المبارك أو يعترض عليه لعينه معاذ الله، وكذلك يقرأ الآية الشريفة التي ذكرتموها كثيرون من المؤذنين عندنا بعد الفراغ من الأذان: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ الآية.

ولا شك ولا ريب أن ذكره عليه الصلاة والسلام وثناءه وتعديد مناقبه وفضائله التي يتضمنها تذكير المذكر، مع الصلاة والسلام عليه ﷺ جميع ذلك من أعظم القربات وأجل الطاعات.

وهي من المقويات للإيمان والمؤكدات له، والموجبات للزيادة في المحبة والتعظيم للرسول ﷺ في حق المُذَكِّر وفي حق غيره من السامعين من المؤمنين.

وهي مع ذلك من المغيظات والمخزيات لمبغضيه عليه أفضل الصلاة والسلام من المنافقين والكافرين.

فليت شعري أي عذر يبقى لمن ينكر العمل الذي يكون بهذه المثابة ويكون فيه جميع هذه الفوائد والمصالح وغيرها من الفضائل التي وعد الله سبحانه وتعالى بها المصلين والمسلمين على رسوله ﷺ، من أنه لا يصلي عليه أحد من أمته واحدة إلا ويصلي الله عز وجل عليه عشرا، وكذلك السلام.

فإن كان المنكر أنكر أصل هذا التذكير على الإطلاق، فقد جهل وأخطأ وهو أقل من أن يخاطب وأجهل من أن يعلم.

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وإن كان أنكر وقوعه بعد كل أذان، وكان المعروف في البلد عندكم فعله في بعض الأوقات كالجمعة ونحوها كما هو العادة عندنا فإنكاره طبيعي، أنكر ما خالف المعتاد واستثقله وذلك يكون مثله كثيراً للمترسمين الذين تغلب عليهم أحكام الطبائع والعوايد.

وإن كان أنكره لا لعينه ولكن لأنه يشوش أعني الجهر بذلك على مصل ونحوه، فله وجه إن صح دعواه وفيه ما في جهر المصلى بالقراءة في الصلاة الجهرية، ولا يخفى عليكم

ولم تذكروا في جملة ما ذكرتم لا تلويحا ولا تصريحا: من هو المنكر، شخصه وطبقته؟ وفي ذكره غرض ما.

ويختلف بسببه الكلام على الواقعة، لأن من الناس المتعصب ومنهم الحاسد للمتكلم حتى يذكر بسبب حسده ما لا ينكره لو صدر من غير فلان. ومنهم الجاهل ومنهم المتجاهل، ومنهم من لا يتوجه له بخطاب أصلاً وطبقات الناس كثيرة وفي التعيين بعض فائدة.

وكذلك لم تذكروا ما هو المعتاد عندكم من قبل من التذكير، أهو في بعض الأوقات؟ أم في سائرها بعد كل أذان؟ فإن لذكر ذلك شيئاً من الفائدة أيضاً.

ولعل هذا المنكر إنما اشتد إنكاره بعد أن رددتم عليه ذلك الرد، وهو حق ولكن فيه بعض بشاعة وشناعة عليه.

وإن كان صدر منكم ذلك الرد بعد التعريف له برفق ولطف، فلم يقبل وأفرط مع ذلك في النكير والتشنيع، حتى دل شيء من ظواهر إنكاره على ما ذكرتم في الإنكار فرضاً وتوزيعاً على تلك المراتب، فقد أصبتم وأجملتم وشكر الله تعالى سعيكم، وإلا فإني أوصيكم إذا أمرتم بمعروف أو نهيتم عن منكر، أن يكون ذلك على أتم ما يكون من اللطف والرفق فإنه أدعى إلى القبول وإحسم لمواد الفتنة وأسد لأبواب الخصومة والشقاق وقد ورد الأمر بذلك شرعاً.

وفي الحديث «ما كان الرفق في شيء إلا زانه. وما كان الخرق في شيء إلا شانه» وورد أيضاً «أن الله سبحانه وتعالى رفيق يحب الرفق». والرفق خير كله.

(٧٢) **وسأله** الفقيه الشيخ أحمد بن أبي بكر با شعبان فضل، المقيم ببلدة بلقام من أرض الهند المتوفي بها: عن الغيبة لم كانت أشد من ثلاثين زنية في الإسلام، مع أنهم لم يعدوها من الكبائر مطلقا كالزنا؟

فأجابه رضي الله عنه وأمتع به ونفع: إنه ليس شدة الغيبة على الزنا من حيث الأمر الظاهر الذي هو فحش الزنا وما يؤدي إليه من اختلاط الأنساب وغيره من المفاسد، بل هو من حيث أن الباعث على الزنا مجرد الشهوة وذلك من أوصاف البهائم، والباعث على الغيبة وهتك أعراض المسلمين خبث في القلب وغل وغش على ذلك المسلم وذلك من أوصاف الشياطين، وهو أشد وأقبح من أوصاف البهائم إلى الثلاثين ضعفاً كما ورد في الخبر إن صح إسناده.

وقد ورد أيضاً الغيبة أشد من الزنا من غير ذكر عدد، وفي شدة الغيبة على الزنا، من حيث تعلقها بحقوق الخلق معنى ظاهر لا يخفى، وقد ورد في بعض الآثار: «إن الفلس الواحد من مظالم العباد يؤخذ فيه سبعمائه صلاة مقبولة». وظلم العباد هو الظلم الذي لا يترك.

وأما الزنية فأحسبها بكسر الزاي، وقوله ﷺ: «ولا طير إلا طيـرك» فأحسبه أيضاً بفتح الطاء وإسكان الياء على وزن خير ولم يحضر لدينا شيء من كتب اللغة في هذا الوقت حتى نراجعه، فانظروه في النهاية لأبن الأثير أو القاموس إن كانا أو أحدهما لديكم. ويصلكم بيان ذلك فيما بعد والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٧٣) **وسأله** الفقيه المذكور أيضاً عن مؤمني الجن: هل لهم حظ في المعرفة الخاصة؟ وفي الرؤية إذا دخلوا الجنة؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفع به:

أعلم أن الشيخ العـارف عبـد الـوهـاب الشعـراني المصري رحمه الله تعالى ذكر أن للجن أعني المؤمنين منهم حظا في المعرفة الخاصة، وأنهم سألوه عن مسائل منها، وعقد لجوابهم كتابا سماه: «كشف الران عن وجه أسئلة الجان» وقد وقفت على هذا الكتاب له.

وأما الرؤية لله تعالى في الجنة فأعلم أنه قد وقـع خلاف في مؤمني الجن: هل يدخلون الجنة أم لا؟ وأحسب أنه لم يوجد دليل صحيح خاص بهم في دخول مؤمنيهم الجنة. ووقـع الإحتجاج بعمومات لم يسلمها القائل بعدم الدخول.

والـذي يظهـر لي ــ والعلم عند الله عـز وجل ــ أن

المؤمنين منهم يدخلون الجنة ويرون الرب فيها إن شاء الله تعالى.

(٧٤) **وسأله** الشيخ با شعبان المذكور أيضاً: عن من ليست له ذرية ما الذي ينبغي له أن يقصد بالذرية إذا دعا؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه وأمتعنا بحياته فقال، أقول: الذرية تطلق على الأولاد ما تناسلوا وعلى الآباء وإن علوا.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾.

فإذا دعا من ليست له ذرية بالإطلاق الأول فيقصد الآباء والأولاد جميعا، وإن لم يكن له أولاد فإنهم في حيز الإمكان ولا يكاد يتصور أن يقطع الإنسان الحي الذي لا أولاد له بعدمهم في حقه في الوقت المستقبل لأن الإمكان باق في حقه ولو كان عنينا، ولا يصير ذلك محالا في حقه إلا بالموت.

ولا بأس أن يقصد من لا أولاد له إذا دعا للأولاد والذرية أولاد أخوانه وأقاربه الأقربين، إذ هم في المعنى كالأولاد له وكذلك العالم الصالح في حق المتعلمين منه والمقتدين به، والله سبحانه أعلم.

(٧٥) **وسأله** المذكور أيضاً: عن نبات الخلق قبل البعث إلى آخر ما سأل به؟.

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفع به: يكون خارج الأرض متصلا بها كالنبات فيما يظهر، ولا ينافي ذلك قوله تعالى: ﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ فإنه أراد خروجاً بعد خروج بأرواح وأجسام مهطعين إلى الداعي. وذلك غير الخروج الأول.

وكذلك وقوفهم على الصراط عند تبديل الأرض، إن صحت به الرواية لا بُعد فيه، فإنه إذ ذاك موجود ويوسعه الله تعالى إذا شاء ثم يجعله بعد دقيقاً للمرور عليه للمحنة واختبار الصدق.

ويمكن تأويل الصراط بشيء آخر غير الصراط الذي هو الجسر على جهنم، أعاذنا الله تعالى منها وإياكم، والأمر واسع وملك الله تعالى أوسع والقدرة والعلم الإلهيان أوسع وأوسع.

(٧٦) **وسأله** الرجل المذكور أيضاً: عن كيفية دخول الإنسان من أبواب الجنة الثمانية؟.

فأجاب رضي الله تعالى عنه وأمتع به المسلمين ونفعنا به: إن كانت الأبواب مفرقة في سور الجنة الشامل لها كلها

فيدخل من أحدها ويكون فتح سائرها له على سبيل الإجلال وزيادة الإكرام، إذا فتحت له كلها ودخل من أيها شاء.

وقد رأيت من ذكر ذلك من العلماء رحمهم الله تعالى وفي حديث ما يقال بعد الوضوء فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء فانظروه والمعنى ظاهر فيه، وهو الأقرب إلى الفهم وإن كانت الأبواب على طبقات الجنة وهي ثمان، طبقة فوق طبقة، فيكون معناه: أنه صار في أعلى الجنان ودخل من الأبواب الثمانية، التي هي أبواب طبقات الجنان، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٧٧) **وسأله** الرجل المذكور أعني با شعبان أيضاً: عن حشر المتكبرين في صور الذر، كما ورد فيهم وفي غيرهم على صور أخرى توازي أوصافهم القبيحة التي كانوا عليها في دار التكليف، وهل ذلك على ظاهره أو له معنى آخر؟.

فأجابه رضي الله عنه ورضي عنا به فقال، أقول: لا مانع من وقوعه على ظاهره أبدا، ولا ينبغي أن يعدل به إلى معنى آخر مع إمكان وقوع ما وردت به الأخبار.

ولما سئل ﷺ عن الأشقياء: كيف يستطيعون المشي على وجوههم إلى النار؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»

فخذ المعنى من المعنى في سعة الإقتدار الإلهي ما لم يؤد الأمر إلى محال ممتنع عقلاً وشرعاً.

(٧٨) **وسأله** المذكور أيضاً: عن قول سيدنا الإمام الغزالي رحمه الله ونفعنا به وبكتبه، ليس كل أحد له قلب.

فأجابه رضي الله عنه بقوله: يريد رحمه الله تعالى ونفع به، القلب الحقيقي الذي يفقه ويعقل عن الله تعالى، وهو معنى شريف قائم بهذا القلب الصنوبري اللحمي الموجود لكل أحد، وعلى ما ذكر يتنزل قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ أي قلب يفقه عن الله تعالى، وفي آية أخرى أثبت لهم القلوب الصورية ونفى عنهم الفقه الذي هو المراد والمقصود، فقال تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾.

وهذا ما تيسر إيراده في الوقت الحاضر من غير تفكر سابق ولا روية، بل هو وارد الوقت وفيض الفضل، ومن أثر نَفَسِ مَدَدِ تَرجَمَةِ طَلْسَمِ مَعْنَى. ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾.

وكل ما معنا ولدينا فمن هذه الحضرة جاء، ولو أردنا أن نقول لقلنا شيئاً كثيراً ولكنا صادفنا وقتاً وزماناً تعرفه وتراه، وإن وجد مخصوص فينبغي أن يعطى على حسب خصوصه، ولا تجري لأجله الأمور العامة الكلية.

ولا يمنعكم من السؤال ــ وإن كثر ــ شيء من عوارض الأوهام، فإنا نجيب على الفسحة وكما ينبغي، وعلى الوجه الذي يكون هو الأصلح والأولى. فنكون معكم وتكونون معنا في حضرة الإطلاق أحسن وأوفق.

(٧٩) **وسأله** الشيخ أحمد المذكور أيضاً، عن رد روحه عليه الصلاة والسلام عليه كلما سلم عليه مسلم من أمته ليرد عليه، كما ورد في الحديث.

فأجابه رضي الله تعالى عنه وأمدنا منه: لا إشكال في ذلك فإن معنى الرد ها هنا رد معنى للروح، من حيثية يشعر الرسول ﷺ بسلام من يسلم عليه من أمته فعبر بالبعض عن الكل، ومثله كثير.

وقد قال بعض العلماء يلزم من هذا الرد أن تكون روحه عليه الصلاة والسلام مستمرة على الإقامة في جسده الشريف، لأن الوجود لا يخلو من مسلم عليه من أمته، وهـذا قول صحيـح ولكنه قريب المدرك بالنسبة إلى مدارك أهل العلوم اللدنية الواسعة المستمدة من الحضرات الإلهية، وفيما أشرنا إليه إيضاح ما أشكل عليكم إن شاء الله تعالى.

(٨٠) **وسأله** با شعبان المذكور: عن خلق أهل الجنة وأهل النار، متى يتغير إلى الحسن والقبـح وغيرهما مما ورد؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه وأرضاه ورزقنا به رضاه:
أحسب ـ والله أعلم ـ أن ذلك يكون عندما تجب لهم الجنة أو النار بالحكم الإلهي المرتب على إقامة الأمر في حق أهل الجنة وإضاعته في حق أهل النار، وذلك عند انصراف كل من الفريقين إلى مستقره، وإن قيل: يكون ذلك عند دخولهما إلى الجنة أو النار لم يكن بعيداً.

(٨١) **وسأله** هل يجوز تعدد المشايـخ في حق شخص واحد إلى آخر السؤالات، وتأتي مفردة بأجوبتها.

فأجابه رضي الله تعالى عنه فقال في جوابه: وأما المسائل التي سألتم عنها فيحتاج الكلام عليها إلى بسط يضيق الوقت عنه الآن، فنتكلم عليهـا بأوجـز لفظ، يحصل بـه المقصود والإيضاح.

نعم يجوز ذلك بشرط أن لا يكون بين طرائقهم منافاة ولا مضادة ولا يكون بينهم شيء من الخلاف، ويكونون كلهم من أهل الصدق والإنصاف، والإعتماد على واحد يكون هو المعول عليه، ولا بد منه في الغالب وحيث صدر منه النهي عن الإجتماع بغيره والأخذ منه، لزم وكان الهلاك في خلافه، لأنه قد يكون صلاح المريد متوقفا على ذلـك، ولا يليق بالمريد في حال ضعفه وأوائل دخوله في الطريق سوى ذلك،

عناية باجتماع القلب وتوافر الرغبة، وقد ذكرنا من ذلك طرفا في أواخر رسالة المريد فانظروه.

(٨٢) **وسأله** السائل المذكور أيضاً: عن حكم في السماع يتضح في الجواب.

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفع به: السماع إذا حضره الشيـخ المتمكن وحضر الجماعة بحضوره عن إذنه وعلى موافقة الشروط التي يشترطها في الحضور، وكانوا كلهم معتقدين لذلك الشيـخ غير منكرين عليه، كان الحاضرون كذلك محفوظين بحاله وعلو همته وحيطة عنايته.

(٨٣) **وسأله** السائل المذكور أيضاً عن أول قدم يضعه المريد في طريق الله تعالى؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه: هو قدم التوبة ولها سوابق ولواحق، وفي أول رسالة المريد إشارة إلى ذلك.

(٨٤) **وسأله** السائل المذكور أيضاً عن حكم ما إذا رمى المريد نفسه على الشيـخ؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفع به: إلى الشيـخ النظر في أمره وعليه أن يأخذ بما رآه الأصلح والأنفع والأرفع في حقه، فإنه أمانة الله تعالى عنده.

وتختلف أحوال المريدين في ذلك اختـلافاً كثيـراً،

والذي على المريد اعتماد ما يشير به الشيـخ عليه ويقيمه فيه ظاهرا أو باطنا من غير زائد.

(٨٥) **وسأله** أيضاً: عن الفرق بين عالم الغيب والشهادة، إلى آخر ما سأله به؟.

فأجابه رضي الله عنه: عالم الشهادة ما من شأنه أن يدرك بالحواس الخمس، وعالم الغيب ما وراء ذلك من أمر الله تعالى الذي تقبله العقول السليمة، وتؤمن به القلوب الموقنة ويرى منه أنبياء الله تعالى وأولياءه بأبصار البصائر ما يشاء الله تعالى.

وأما عالم اللاهوت والناسوت والجبروت، فعالم اللاهوت طور من أطوار عالم الغيب تظهر فيه الأمور الإلهية المحضة الصرفة.

وعالم الناسوت طور يقابله، تظهر فيه الأمور الإنسانية اللطيفة الروحانية.

وعالم الجبروت طور من عالم الغيب، تظهر فيه من الأمور الإلهية ما يدل على حقائق القهر وشدة البطش وسرعة الإنتقام ونهاية العز والإستغناء وما يناسب ذلك.

وهذا ملخص ما فهمناه واقتبسناه من كلام الأئمة في

هذا الشأن، فافهموه حقه وتأملوه كما ينبغي، والله الموفق والمعين.

(٨٦) **وسأله** الشيخ الفقيه أحمد بن عبد الله شراحيل: ما وجه الإقتداء في المعصية في قول أبي محمد سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى ورحمنا به وهو قوله: كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء طاعة كان أو معصية فهو عيش للنفس، وكل فعل يفعله بالإقتداء فهو عذاب على النفس. انتهى.

فأجابه رضي الله عنه، وجزاه عن المسلمين خيراً وعنا:

أعلم أولاً أن النفس في اصطلاح الصوفية ـ نفعنا الله بهم ـ هي لطيفة في الإنسان من طبعها إيثار الراحات العاجلة، وهي مجبولة على الميل إلى الحظوظ الفانية وتعذيبها عندهم بالرياضة على موافقة الكتاب والسنة شرط في صحة السلوك، ويكون تعذيبها هو معنى مجاهدتها على اتباع الحق واجتناب الباطل والإعراض عن كل فضول، وهذا التعذيب عندهم هو عين النعيم حالا ومآلا، وإطلاقهم التعذيب عليه تنزل منهم للعامة ليفهموا عنهم.

ولما كانت المتابعة لرسول الله ﷺ هي الخصلة الجامعة لهذا المعنى، كان القوم رضي الله عنهم ونفعنا بهم ـ من بين سائر الطوائف ـ لهم أعظم العناية بها وأتم المحافظة عليها،

وهم نفع الله بهم لا يقيمون وزنا لمن لم تكن حركاته وسكناته في ظاهره وباطنه واقـعة على موافقة الكتاب والسنة.

فقول سهل رحمه الله تعالى: كل فعل إلى آخره نبه به على أن ترك الإقتداء ولو في أمر لا تميل النفس إليه بطبعها كالطاعة، مما يقويها ويهيـج شهوتها، وإن كل فعل يكون مع الإقتداء، وإن كان مما تميل إليه النفس بطبعها كالمعاصي والملذوذات من الفضول فيه أعظم المشقة عليها، وذلك لأن الإتباع للرسول ﷺ هو الحق والحق ضد الهوى، والنفس مأسورة في قبضة هواها، فهي تستروح إلى موافقته وتميل إلى متابعته.

وأيضاً فالنفس مجبولة لسر خفي على كراهية الإنقياد والإنقهار تحت حكم أحد، وعلى حب الإستقلال بالأمور والإستبداد بها، حتى إنها لا تحب أن يكون لأحـد عليها سلطان، فهي لذلك تكره الإقتداء ولو فيما يوافقها طبـعا وتميل إلى تركه ولو فيما ينافرها كما تقدم.

وأما معنى الإقتداء في المعصية فلا بد أن نذكر قبله معنى الإقتداء في الطاعة مجملاً التزاما للأدب، فمعناه في الـطاعات: إخـلاصها لله تعـالى، وفعلها على وفق العلم والأدب باطنا وظاهرا.

وأما وجهه في المباحات فهـو أن يتناول ويستعمـل

ما يستعمله منهما معتقداً حله وناويا به الإستعانة على القيام بحقوق الله تعالى.

وأما وجهه في ترك المعصية فهو أن يتركها حياء من الله تعالى وإجلالا له ورهبة من عقابه.

وأما وجهه في فعل المعاصي إن جرى عليه القضاء بإتيانها فهو بأن لا يختارها ولا يفرح بها ولا يصر عليها، وأن يسترها عن الخلق، ويبادر منها إلى الملك الحق، مع الخوف من المعاقبة عليها والمؤاخذة بها.

وليس هذا بيانا شافيا لكلام سهل نفع الله به، بالنسبة لما يحتوي عليه من المعاني الجامعة والآداب النافعة، ولكن يكون فيه إن شاء الله تعالى بلاغاً وكفاية وخير الكلام ما قل ودل وكلمة من كلامهم لا يستوفي المطّلع على علومهم شرحها إلا في مجلد وأكثر فاعتبروا يا أولي الأبصار، وفقنا الله تعالى وإياكم لإصابة الصواب.

(٨٧) **وسأله** الفقيه محمد بن عبد الرحمن مزروع، رحمه الله تعالى: عن سبب الميل إلى الخلق، وما سبيل الخلاص منه؟

فأجابه رضي الله عنه ونفعنا به:

أعلم أن سببه ضعف اليقين، ودواؤه الذي يحصل به

الخلاص منه، قوة اليقين، ويحصل من وجهين: أحدهما النظر في الآيات الناطقة وهي آيات الكتاب وفي الآيـات الصامتة وهي عجائب الوجود العلوية منها والسفلية، وهذا يسمونه المحققون بالفكر.

والثاني منها تهذيب النفس وتصقيل مرآة القلب بحسن الرياضة وصدق المجاهدة، حتى يتجلى فيها الحق وهذا الثاني هو الذي آثره الصوفية رحمة الله عليهم أجمعين ونفعنا بهم.

ولا تظنن أن اليقين هو الإعتقاد الجازم فإنه موجود لعامة المؤمنين، ولم يضمحـل معه الميـل إلى المخلوقين، إنما اليقين المشار إليه نور رباني يستغرق القلب ويستولي عليه فحينئذ لا يرى الموقن غير الله تعالى، فينقطع عن نفسه فضلاً عن غيرها من الأكوان.

ومن الأدوية النافعة للقلب من داء الميل إلى الخلق: أن يتذكر على الدوام أن أحدا من الخلق لا يقدر على أن ينفع نفسه ولا أن يدفـع عنها ضراً ومن أعـجز ممن هذا وصفه وهل يحسن بالعاقل أن يميل إلى من هذا نعته كلا إنما هي أوهام تترجم عن ضعف اليقين فاشتغل بتقويته لعلك تنجو منها.

(٨٨) **وسأله** الفقيه المذكور: ما بال الإنسان يحب الصالحين مع تقاعده عن موافقتهم وعن سلوك سبيل صلاحهم.

فأجابه رضي الله تعالى عنه، وحققنا بحقائق علومه:

أعلم أن الوعد المرتب على الإنتفاع بحبهم ليس موقوفاً على موافقتهم من كل وجه حتى يعمل بجميـع أعمالهم، فإن المتصف بذلك من الصالحين أنفسهم والمحب له معدود من محبيهم، ولا يفوز بالخير المشروط بمحبتهم كل أحد حتى يلوح عليه أثر من التشبه بهم.

وأما سبب التقاعد عن سلوك سبيلهم فليس إلا فقد الهمة وهي قالب التوفيق، والتوفيق في خزانة الله تعـالى فليطلب منه تعالى.

(٨٩) **وسأله** السائل المذكور أيضاً: ما بال الإنسان يحب المادح له ولو بما ليس فيه. ويبغض الذام له ولو بما يعلمه من نفسه؟

فأجابه رضى الله تعالى عنه ورضى عنا به:

أعلم أن هذا الأمر معجون في جبلة ابن آدم لا ينجو منه إلا من خرج عن مقتضيات البشرية والتحق بأفق الملائكة الروحانية، وطريق الوصول إلى ذلـك مذكـور في جواب المسألة الأولى والخلاص منه عند أهل الإخلاص: أن يسوي المخلص بين المدح والذم، وبين الذام والمادح.

وأما كراهته الذم والفرح بالمدح، فقد يكون ذلك مباحاً

وقد يكون محرماً، حسب المستند الذي لأجله فرح أو كره.

فمن فرح بالمدح لأنه يدل على وجود الجاه عند المادح، وكره الذم لأنه يدل على فقده عند الذام، فهو محجوب ناقص الحظ من التوجه الخاص.

وقد يفرح الإنسان بالمدح ويكره الذم، من حيث إن ألسنة الخلق أقلام الحق، ومن حيث إنه سبحانه أظهر الجميل وستر القبيح، وهذا يكون في المدح إذا ظهرت محاسنه وذكر بالخير يفرح رجاء أن يعامله مولاه بمثل ذلك، وفي الذم إذا ظهرت مساويه يحزن مخافة أن يعامله ربه بمثل ذلك في الآخرة.

وبسط الكلام على تحقيق هذه المسألة يستدعي بسطا، وقد أشبع الكلام على المسألة الأخيرة حجة الإسلام في كتاب ذم الجاه والرياء من الإحياء.

(٩٠) **وسأله** بعضهم عن معنى: من عرف نفسه عرف ربه؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه، وأمدنا به منه فقال:

أعلم أن هذه الكلمة حديث يروى عن رسول الله ﷺ، وقد تضمنت على وجازتها من المعارف والعلوم شيئاً كثيراً وهو الذي أيد بجوامع الكلم ﷺ.

ثم أعلم أن لهذه الكلمة معاني كثيرة، نقتصر منها على

ذكر معنيين بأوجز عبارة قال الله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ وقال تعالى: ﴿وفي أنفكسم أفلا تبصرون﴾.

المعنى الأول: من كون المعرفة بالنفس طريق إلى المعرفة بالحق، أنك إذا نظرت إلى نفسك وإلى عجزها وافتقارها وقصورها وانقهارها، وأنها لا تستطيع أن تجلب نفعاً لنفسها ولا أن تدفع ضراً عنها، تعلم بذلك أن لها رباً وخالقاً هو المنفرد بإيجادها وإمدادها والقائم عليها بما كسبت والمجازي لها بما عملت، له الغنى المطلق والوجود المحقق.

قيل لبعض العارفين: بم عرفت ربك؟ فقال بنقض العزائم يعني بذلك أنه قد يعزم على الأمر ليبرمه فينتقض ويعزم على نقضه فيبرم، فاستدل بذلك على كونه مربوبا وأن أمره في يد غيره، ذلك هو الله العزيز الحكيم.

المعنى الثاني: أنك إذا نظرت إلى نفسك ورأيتها مائلة إلى الشر والباطل ومعرضة عن الخير والحق، وراغبة في التمتع بالدنيا الفانية، غافلة عن الآخرة الباقية مجبولة على التمتع بالشهوات، والدخول تحت رق العادات، علمت أنه لا ينجيك من بأسها، ويعصمك من فتنتها إلا الخالق لها القادر

على إصلاحها وهو الله تبارك وتعالى، فعند ذلك تفزع إليه مكتفياً به ومعتمدا عليه.

فإذا علم سبحانه من قلبك صدق الفرار، وصحة الرغبة في الخلاص أفاض عليك الأنوار وكاشفك بمصونات الأسرار، وألقى على النفس الأمارة بالسوء المقارنة للشر والأشرار، من الطمأنيه والانقياد للحق والنفرة عن الباطل والرغبة في ملازمه الخير ومرافقة الأخيار، ما تقرُّ به عين القلب، ويمحي عنه وجود كل ما يشغل عن سلوك سبيل القرب، فعند ذلك تعرف لطف مولاك عز وجل وعنايته بك، وإقباله عليك وحسن نظره إليك.

وأصل هذه المعرفة معرفتك بشؤم النفس، الحامل لك على الفزع إلى الله تعالى فتنبه لما أشرنا إليه وتأمله حقه واقنع بهذه اللامعة فإنها من العلم المكنون المتلاطمة بحاره، ويكون فيما ذكرناه وشرحناه الغناء والبلاغ، وإلى الله ترجع الأمور.

(٩١) **وسأله** الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله عباد، عن سماع من جاوز الأحوال والمقامات إلى آخره.

فأجابه رضي الله عنه فقال: وأما سماع من جاوز الأحوال والمقامات، وقد أشار إليه الحجة في الباب الثاني من

كتاب السماع فالشيخ يريد به الفاني عن كل ما سوى الله تعالى حتى عن نفسه.

ومثال ذلك من الشاهد فيما يقع للمخلوق مع المخلوق، ما صدر من النسوة من تقطيع الأيدي عند مشاهدة الجمال اليوسفي فصح بذلك فناؤهن في مشاهدته حتى عن أنفسهن.

(٩٢) **وسأله** أحمد بن محمد الغشم الزيدي عن ما حاصله: ما قولكم في أفعال العباد؟

فأجابه رضي الله عنه، ونفع به الإسلام:

أعلم وفقك الله تعالى أن مذهبنا والذي نعتقده وندين الله تعالى به، أنه لا يكون كائن من خير وشر ونفع وضر، إلا بقضاء الله تعالى وقدره وإرادته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وعندنا لذلك من النصوص السمعية الواضحة في الكتاب والسنة ومن البراهين العقلية المسلمة عند كل ذي بصيرة ما يجل عن الحصر وكتب أئمتنا التي ألفوها في علم أصول الدين طافحة بذلك وهي في أيديكم.

ومذهبنا برزخ بين مذهبين: أحدهما مذهب الجبرية القائلين أن العباد مجبورون على ما يأتون ويذرون مقهورون مضطرون في كل حال، تضاهي أفعالهم أفعال الناسي والمكره بل أفعال المجنون والنائم، وهذا المذهب يعرف

بطلانه ببديهة العقل، لو لم يدل دليل على كونه باطلا.

والثاني: مذهب المعتزلة القائلين أن أفعال العباد الإختيارية خلق لهم. وأنهم إن شاءوا فعلوا وإن شاءوا تركوا.

وأما هيئة الكسب الذي نقول به فهو شيء يعرفه الإنسان من نفسه، إذ لا يعزب عن عاقل الفرق بين أفعاله الإضطرارية والإختيارية، وأنه في الإضطرارية منها مجبور، وفي الإختيارية غير مستقل.

والذي ذكرناه من مذهبنا أولا يجب عندنا اعتقاده والإيمان به. ولا يصح الإيمان بدونه. وهو أن كل شيء أي شيء كان، لا يكون إلا بقضاء الله تعالى ومشيئته سبحانه.

ومع ذلك فنحن نحب المطيع ونثني عليه ونحثه على التشمير في الطاعة، ونحذره الوقوع في المعصية. ونقول: بإثابة الله تعالى له.

ونبغض العاصي وننهاه عن المعصية، وندعوه إلى الطاعة ونقول: بمعاقبة الله تعالى له ونقيم الحدود ونرفع المظالم إلى الولاة. ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر. ونعد قول العاصي منا إذا قال عندما يقال له: لم عصيت؟ قال: هذا بقضاء الله وقدره، من أعظم الذنوب.

والرضا بقضاء الله تعالى واجب عندنا ومحله: أن ترضى بأفعاله تعالى جملة، وأنها فضل وعدل.

ومن الرضا عندنا: سكون القلب عند ورود المصائب في الأنفس والأموال، وحصول الشدائد من المخاوف والفاقات. والرضا بالمعاصي معدود عندنا من كبائر الذنوب.

(٩٣) **وسأله** الزيدي المذكور أيضاً: عمن حارب عليا كرم الله وجهه ونازعه من المسلمين؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه، ونفعنا به:

أعلم أن الذين باشر علي رضي الله عنه قتالهم بنفسه في خلافته، بعد أن خرجوا عليه ثلاث طوائف:

الأولى: أهل الجمل، الزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، وأهل البصرة خرجوا عليه بعد أن بايعوه يطلبون بدم عثمان رضي الله عنه. ولم يكن رضي الله عنه قتله ولا أمر بقتله ولا رضيه. ولكنه قبل البيعة من قتلته ولم يسلمهم، لأمر رأى في صلاح الدين واجتماع المسلمين، في ذلك الحين فلم يفطن له الخارجون عليه.

الثانية: أهل صفين، معاوية وعمرو بن العاص وأهل الشام، ولم يبايعوا عليا وخرجوا عليه يطلبون بدم عثمان.

الثالثة: أهل النهروان، وهم الخوارج وقد بايعوه وقاتلوا معه ثم خرجوا عليه ينقمون تحكيم الحكمين يوم صفين

وما قاتل علي رضي الله عنه أحداً من هذه الطوائف إلا بعد أن دعاهم إلى الإجتماع والألفة والدخول في الطاعة فأبوا.

وكلهم بغاة عندنا ومنازعون وخارجون بغير حق صريح وصواب واضح. نعم من خرج منهم وله في خروجه شبهة فأمره أخف ممن خرج ينازعه في الأمر ويطلبه لنفسه. والله أعلم بنياتهم وسرائرهم وسلامتنا في السكوت عنهم. ﴿تلك أمة قد خلت﴾.

وقال علماؤنا في شأن الزبير ومن معه ومعاوية ومن معه: إنهم اجتهدوا فأخطأوا فلهم عذر. وعلى كل حال فغاية من خرج على الإمام المرتضى من أهل التوحيد المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة أن يكون عاصياً والعاصي عندنا لا يجوز لعنه بعينه.

وليس الخروج على الأئمة عندنا كفراً بل لا يجوز عندنا لعن أحد إلا إذا علمنا أنه مات كافرا، وأن رحمة الله تعالى لا تناله بحال كإبليس. ومع ذلك فلا فضيلة في لعن من هذا وصفه، ويجوز عندنا لعن العاصين والفاسقين والظالمين عموماً.

وأما الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما فهما أماما حق قد استجمعت فيهما شرائط الإمامة وكملت أهليتهما لها.

فأما الحسن فبايعه أهل الحل والعقد ممن كان في طاعة

الإمام علـي وذلك بعد مقتله. فلما سار إليه معاوية بجموع أهل الشام يقصد حربه. وسار هو إليه بجموع أهل العراق فحين تقارب الفريقان، نظر الحسن نظر الرحمة والشفقة على الأمة ليتم الله تعالى له ما قال جده ﷺ فيه: «إن ابني هذا سيد. وإني أرجو أن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». الحديث.

فعند ذلك خلع نفسه وبايـع لمعاوية على أن يكون له الأمر من بعده في شرائط اشترطها. فمات رضي الله تعالى عنه قبل معاوية فجعل الأمر معاوية إلى ولده يزيد، فبايعه الناس طوعاً وكرها وأبـى الحسين رضي الله عن أن يبايـع فعند ذلك كتب إليه أهل العراق أن يصير إليهم ليملكوه عليهم، فأجابهم رضي الله تعالى عنه إلى ذلك وسار يقصد العراق.

فكتب يزيد إلى عامله بها: عبيد الله بن زياد يحثه على حرب الحسين رضي الله تعالى عنه والوقيعة به فقام بذلك ووافقه أهل العراق عليه بعد أن بايعوا الحسين، ودخلوا في طاعته بزعمهم فقتل هنالك شهيداً في طائفة من أهل بيته رضوان الله عليهم.

والذي قتله والذي أمر بقتله والذي أعان على ذلك: عندنا من الفاسقين المارقين عاملهم الله بعدله أجمعين.

وليس يزيد عندنا بمنزلة معاوية فإن معاوية رضي الله عنه صحابـي. وليس يترك الفرائض وينتهك المحارم مثل يزيد، فيزيد فاسق بلا شك لأنه كان يترك الصلاة ويقتل النفس ويزني ويشرب الخمر. وحسابه على الله تعالى.

(٩٤) **وسأله** الزيـدي المذكـور أيضاً. فقـال ما حـاصله: ما قولكم في هذه الجموع التي نراها في مساجدكم، تنشد فيها الأشعار الغزلية بالنغمات الطيبة والألحان الموزونة؟

فأجابه رضي الله تعالى عنه، وأمتع به.

أعلم أنها ليست عندنا من الذكر ولا هي مثله، ولكنها شيء مباح وتركها أفضل. وقد أنشد الشعر عند رسول الله ﷺ واستنشده وربما تمثل عليه الصلاة والسلام بالبيت والبيتين منه. وأنشد في مسجده بحضرته أنشده حسان وغيره ويثبت الجواز بمرة إذا لم يقع النهي عنه.

وهو وإن كان لم ينشد عند رسول الله ﷺ بالألحان. فإنه مهما صح إنشاده بدونها لم يحرم إنشاده بها، حتى يدل على تحريمه دليل واضح من السنة ولم يرد ذلك.

وبعض الفضلاء الأخيار العارفين بالزمان وأهله وما هم عليه من الكسل عن العبادة، وقلة الرغبة في الخير يرى أن جمعهم على الذكر لله تعالى مـع إدخال شيء فيه من الأشعار

الصحيحة المعاني والمباني، مما لا بأس به لأن للنفوس ميلاً إليها، فيقودهم بواسطته إلى الإجتماع على ذكر الله تعالى ولكل امرىء ما نوى. والمطلع على السرائر هو الله سبحانه وتعالى.

ومن ساء ظنه وخبثت طويته رأى الحسن قبيحا والقبيح حسنا، ولا أقل من الإنصاف ولا أقل من التوقف في مواطن الإشكال.

ومن لم يعرف الحق وجب عليه طلب معرفته من أهله وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو رد وكل ما فارق هدي السلف الصالح فهو شر، إن كانت المفارقة على سبيل المضادة والمعاندة وإلا فالحق واسع. والجواز غير الفضيلة وليس الجائز كالمندوب ولا المندوب كالواجب. ونحن على بصيرة من أمرنا وهدى من ربنا وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بين أظهرنا، ولسنا جاهلين بأمر الدين ولا مبتدعين فيه ولا متبعين الأهواء المضلة ولا متحكمين بعقولنا في دين الله تعالى، ونقبل الحق ممن جاء به ونرجع إليه ولا نكابر ولا نقلد الرجال.

فافهم ما ألقيناه إليك وأمليناه عليك من الجواب على أسئلتك. فإنه ما من كلمة من الكلام الذي أوردناه إلا وعندنا لها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وكلام أئمة الهدى

أدلة واضحة حذفناها اختصارا. وخير الكلام ما قل ودل. و ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً﴾.

والظاهر أنك متعصب على مذهبك، لا تقبل إلا ما وافقه ولا ترى الحق إلا فيه. فإن صح هذا فليس للكلام معك فائدة. اللهم إلا إن كنت تعتقد في مذهبك أنه حق، وأن الحق ليس محصوراً فيه ومقصورا عليه، حتى تضلل وتخطيء من خرج عنه قيد شبر.

فإن كنت كذلك أعني لا تعتقد أن الحق مقصور على مذهبك، فللكلام معك فوائد ولأجلها وعلى رجاء حصولها أجبناك.

منها أن لا تعتقد خلو هذه الجهة عمن يعرف الحق، ويقدر على التعبير عنه ويناضل ويدافع من حاد عنه بلسانه وسيفه وسنانه وأنصاره وأعوانه حسب استطاعته وإمكانه. ولن يذم بالعجز والقصور من بذل الإستطاعة واستفرغ الطاقة.

ومنها: أنك أقمت في هذه المدينة مدة وتزعم أنك تحبها، وتحب أهلها وقد حان حين مفارقتك لها. فلا ينبغي أن تسير منها منطويا على سوء الظن بأهلها لما رأيت منهم بزعمك، وهم أهل البيت الذين طهرهم الله تعالى، وفرض عليك وعلى سائر المسلمين مودتهم وموالاتهم. والله يهدي

من يشاء إلى صراط مستقيم. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكان إملاؤها أي هذا الجواب يوم الإثنين رابع جمادى الأول سنة اثنتين وسبعين وألف من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

(٩٥) **وسأله** بعض الأصحاب: عن تفسير قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾

فأجابه نفع الله به ورضي عنه:

أعلم أن للمفسرين في بعض معانيها اختلافا يكاد أن يكون لفظياً ونحن نذكر ما هو الأصح والأوضح إن شاء الله تعالى مع غاية الإيجاز.

قال الله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي عن القرآن والهدى فلم يؤمن به. وهذا حال من كفر وجحد، فإن له معيشة ضنكا في الدنيا بالحرص الشديد عليها فلا يزال في

ضنك، وإن كان متسعاً في الصورة وإما بالقلة المصحوبة بضيق الصدر وعدم الصبر وفي البرزخ بما يصب عليه من أنواع عذاب القبر ومن ضيق اللحد وتعذيب الملائكة إياه وتسليط الحيوانات المؤذية، إلى غير ذلك. وفي الآخرة بأكل الضريع الزقوم وشرب الحميم والغساق، خالداً مخلداً في النار نسأل الله العافية.

﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ أي أعمى القلب والبصر ﴿قال رب لم حشرتني أعمى﴾ أنكر عمى البصر الحادث عليه وأما عمى القلب فإنه لم يزل فيه ﴿وقد كنت بصيراً﴾ أي في الدنيا.

﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها﴾ أي أعرضت وتعاميت عنها. ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أي تترك في العمى وسوء الحال وأليم العذاب والنكال، نسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياكم على الإيمان ويعصمنا من الزيع والضلال والحمد لله على كل حال.

(٩٦) **وسأله** بعض الأصحاب أيضاً: عن الكبش الذي يعتاد أهل الغيل تركه في بيوتهم ويسمونه مسايرا.

فأجاب رضي الله عنه ونفعنا به: أما الكبش الذي يعتاد نركه أهل الغيل في بيوتهم ويسمونه مسايرا وكلما ذهب أبدلوه بغيره. فهذا والعياذ بالله من الشرك بالله والشرك ظلم عظيم

وهو وأمثاله سبب تسلط الشيطان وجنوده على العاملين به. فإن الله تعالى قد سلط الشيطان على من يتبعه من بني آدم وهذا من الإتباع له، قال الله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾.

فلا تفعل ذلك ولا تترك أحداً يطيعك من أهل البلد يفعله، وفي التحصن بالله ورسوله وآيات القرآن وإقامة الصلوات ما يكفي شر جميع الشياطين من الجن والإنس أجمعين.

وصدر إليك حرز أبي دجانة الأنصاري[1] الذي كتبه له

---

(١) (فائدة) روى البيهقي في أواخر دلائل النبوة عن أبي دجانة واسمه سماك بن خرشة قال: شكوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم أني نمت في فراشي فسمعت صريرا كصرير الرحى ودوياً كدوي النحل ولمعا كلمع البرق، فرفعت رأسي فإذا أنا بظل أسود يعلو ويطول في صحن داري فمسست جلده فإذا هو كجلد القنفذ فرمى في وجهي مثل شرر النار، فقال ﷺ: «عامر دارك يا أبا دجانة»، ثم طلب ﷺ دواة وقرطاسا وأمر عليا رضي الله تعالى عنه أن يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم «هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين إلى من يطرق الدار من العمار والزوار إلا طارقا يطرق بخير؛ أما بعد: فإن لنا ولكم في الحق سعة، فإن كنت عاشقا مولعا أو فاجرا مقتحما فهذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ورسلنا يكتبون ما تمكرون، اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبدة الأصنام وإلى من يزعم أن مع الله إلها آخر. لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه =

رسول الله ﷺ، حين شكا عليه ظهور الجن في بيته فلما جعله فيه هربوا منه، وولوا مدبرين.

أما النسخة الصادرة إليك منا فعلقها في دارك، بعد أن تنقل منها نسخة تتركها ظاهرة تكتب منها لمن أراد من الراغبين فيها من المسلمين، بشرط أن تترك هذا المساير وتعتمد على الله الذي لا نافع ولا ضار غيره.

ولو أن هؤلاء الناس توكلوا على الله وتطهروا من

= ترجعون. حم لا ينصرون. حم عسق تفرق أعداء الله وبلغت حجة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ـ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» قال أبو دجانة رضى الله عنه: فأخذت الكتاب وأدرجته وحملته إلى داري وجعلته تحت رأسي فبت ليلتي، فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول: يا أبا دجانة أحرقتنا بهذه الكلمات، فبحق صاحبك إلا ما رفعت عنا هذه الكلمات فلا عود لنا في دارك ولا في جوارك ولا في موضع يكون فيه هذا الكتاب. قال أبو دجانة: فقلت والله لا أرفعه حتى أستأذن رسول الله ﷺ. قال أبو دجانة: فلقد طالت عليّ ليلتي بما سمعت من أنين الجن وصراخهم وبكائهم حتى أصبحت فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله ﷺ وأخبرته بما سمعت من الجن ليلتي وما قلت لهم، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا دجانة ارفع عن القوم فوالذي بعثني بالحق نبيا إنهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة» قال البيهقي: وقد ورد في حرز أبي دجانة رضي الله عنه حديث طويل غير هذا موضوع لا تحل روايته، وهذا الذي رواه البيهقي رواه الديلمي الحافظ في كتاب الإنابة والقرطبى في كتاب التذكار في أفضل الأذكار.

النجاسات، وأقاموا الصلوات لما آذتهم الشياطين ولا ضرتهم الجن، بل كانوا يفرون منهم لأن كيد الشيطان كان ضعيفاً.

وأما الأمراض والعاهات فقد يسوقها الله تعالى إلى عباده المؤمنين ليثيبهم وقد ينساق من البليات والآفات إلى الذين يتمسكون بهذه الأوهام ويتعلقون بالجن أضعاف ذلك، وهم مأثومون مأزورون لا مثابون ولا مأجورون.

فتمسكوا بالله وتحصنوا به واحذروا من التجربة على الله وهي أن يقول الإنسان: اقرأ هذه الآية أو اكتب هذا الحرز أو اسمع شور فلان الصالح. وانظر كيف يكون الحال.

فإن مثل هذا شك وبسببه حرموا أكثر الناس بركات الصالحين وبركات إشاراتهم، حتى صاروا يقولون: ما بقي في الزمان أحد من أهل الأسرار والكرامات. وقد قطعت بهم هممهم الضعيفة وقلة صدقهم ويقينهم إنما ينتفع من كانت له همة وقوة يقين، حتى لا يتصور أن يخطر في نفسه خلاف ما يقول الرجل الذي يعتمد عليه وعلى إشارته من أهل الله.

(٩٧) **وسـألـه** السيد الجليـل أحمـد بن عـوض بـا حسين با علوي: عن معنى الأدب الذي يشير إليه الصوفية، رضوان الله عليهم.

فأجابه رضي الله عنه ونفعنا به: قد اختلفت أقوالهم فيه اختلافا يرجع حاصله إلى وقوف الإنسان على حده من

العبودية، وقيامه بحق الربوبية قياماً مقروناً بنهاية التعظيم وغاية الإحترام مع الخروج والإنسلاخ عن دعوى القيام وشهوده من أنفسهم. إما لإستغراقهم بشهود قيام الحق في ذلك بهم وإما لإستغراقهم بشهود التقصير من أنفسهم، ورؤية معانيها التي لا يبقى معها نظر إليها ولا احتفال بها، فهذا المذكور نكتة ما قالوه في الأدب رحمهم الله تعالى.

(٩٨) **وسأله** السيد المذكور: ما يقصده الإنسان بسلامه على الصالحين في صلاته ومن هم الصالحون المرادون هنالك؟

فأجابه رضي الله عنه ونفعنا به:

أعلم أن الصلاح منزلة رفيعة وقد وصف الله تعالى الجلة من أنبيائه فقال في حقهم: من الصالحين. قال ذلك في حق إبراهيم وعيسى ويحيى عليهم السلام فتأمل الآيات المنصوص فيها ذلك وحسبك.

فينبغي للإنسان إذا سلم على الصالحين هنالك: أن يقصد مراد رسول الله ﷺ منهم فيما علمه أمته من التشهد.

(٩٩) **وسأله** السيد المذكور أيضاً: عمن قرأ في سنة العشاء الأخيرة ألم السجدة وتبارك الملك: هل يجزيه ذلك عن قراءتهما عند النوم أو قبله؟

فأجابه: نعم يجزيه ذلك كما ورد.

(١٠٠) **وسأله** المذكور: عن أذكار النوم هل تحصل لمن أتى بها عند إرادة النوم والتهيؤ له.

فأجابه رضي الله عنه: أما جميع أذكار النوم من التسبيح وغيره، فتحصل لمن أتى بها عند إرادة النوم والتهيؤ لـه. ومنها ما لا يحصل إلا عند الاضطجاع ووضع الجنب حسب المنصوص في الأحاديث الواردة في ذلك.

(١٠١) **وسأله** عن المسبعات: هل تقضى؟

فأجابه: نعم تقضى وتتم بعد الطلوع والغروب كغيرها من الأوراد المؤقتة.

(١٠٢) **وسأله** عن حضور شيء من المجالس التي يكون فيها السماع بالدفوف أو العود.

فأجابه نفع الله به: أما حضور شيء من المجالس التي يكون فيها السماع بالدفوف أو العود. فالحضور فيها من الخطر إلا مع الرجال الكمل من العارفين بإذنهم فميلوا عن ذلك ما وجدتم إليه سبيلا وفي السماع تفصيل يطول.

وقد أشبع القول فيها سيدنا الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، في الإحياء وأفرد له كتاباً.

(١٠٣) **وسأله** عن من يجد الميل إلى العلم الظاهر أكثر منه إلى العلم الباطن.

فأجابه نفع الله به ورضي عنه: أما الميل إلى العلم الظاهر أكثـر من العلم الباطن فهـو من تسويـلات النفس ووسوسة العدو. والإحتجاج لذلك بحاجة الناس إلى العلم الظاهر غلط، فإنهم محتاجون إلى العلم الباطن كذلك وأشد.

وإن خلو الباطن من معرفة العلم الباطن يقدح في الإيمان. وقلة المعرفة بالعلم الظاهر يقدح في الإسلام وهما متلازمان والأول أشرف.

فارغبوا في العلمين وشمروا لتحصيلهما واجتهدوا في الجمع بينهما وكونوا بالأهم منهما والأنفـع أشد اهتماماً، وعليه أبلغ حرصاً.

والكلام على هذه المسـائل يستـدعي بسطاً كثيـراً، ولو أفردت كل واحدة منها بالتصنيف لكانت جديرة به. وقد أسكت العلماء بالله وبدينه وألزمهم الصمت الإعراض عن الله وعن سلوك طريقه وقلة الرغبة في العلم وقلة الصبر على طلب الحق وطلب أهله، وعدم الإنقياد لهم والأخذ بما لديهم عند العثور عليهم وهذا قد غلب واستولى على أهل هذا الزمان، إلا من عصم الله وقليل ما هم.

(١٠٤) **وسأله**: عما يفعله السائل في كتبه من فلان إلى فلان.

فأجابه: الذي فعلته في كتبك الأخيرة من قولك في

أولها: من فلان إلى فلان هو السنة والأدب وعليه عمل السلف والخلف الصالح. فالزمه.

(١٠٥) **وسأله**: أنه يقرأ شيئاً من أوراده وهو يمشي.

فأجابه: لا بأس بذلك ولا جناح فيه إذا وقع مع حضور القلب واجتماعه كحاله لو كان جالساً. نص على ذلك العلماء الأخيار في القراءة والإذكار.

(١٠٦) **وسأله** السيد المذكور أيضاً: عن ترتيب أحزاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي ــ رحمه الله تعالى ــ المباركة الجليلة.

فأجابه رضي الله عنه: رتبوا منها حزب البر في أذكار الصباح، وحزب البحر بعد العصر.

وأما قول الشيخ حسين بلفقيه فيها فهو ظاهر، ولكن ينبغي أن يقدم ما ورد عن رسول الله ﷺ في ذلك الوقت عليها.

مثال ذلك: إذا أردت أن تقرأ حزب البحر بعد العصر قدمت التسبيح والتحميد والتكبير على الحزب. وذلك عند اشتراك الوقت تقدم النبوي وباقي الكلام واضح. والزيادات التي زدتموها في أذكار الصباح والمساء التي جمعناها أجعلوها بعدها. ولا بأس بها.

وطالِعْ كتب القوم ما استطعت بفهم وبدون فهم، فإن

فيها البركة والخير. ويكفيك من أحزاب الشاذلية هذان الحزبان. والاستكثار من حفظ الأذكار والأدعية النبوية أكمل وأتم.

والأمور الموهمة التي في الأحزاب ينبغي للإنسان أن لا يتفكر فيها ولا يعترض عليها، ويتدبر في الأمور الواضحة ويتفهمها. والواضح ما ظهر معناه وعرف وجهه والموهم والمشكل: ما بَعُد عن الفهم.

وقولك: إنك زدت في رضيت بالله الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ: ورسولا بعد نبيا لا بأس به قد وردت الرواية برسولا غير أن الأخرى أصح والجمع مطلوب.

(١٠٧) **وسأله** السيد الجليل العفيف عبد الله بن عقيل بن شيخ: عن معاني هذه الأبيات، وهي قول القائل:

من كل معنى لطيف استقي قدحا ... وكل ناطقة في الكون تطربني

وقول الآخر:

ياقرة العين سل عيني هل اكتحلت ... بمنظر حسن مذغبت يا أملي

وقول الآخر:

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلا ... رأيت جميع الكائنات ملاحا

وإن ما ترى إلا مظاهر صنعه ... حجبت فصيرت الحسان قباحا

ما معنى هذه الرؤية وما حدها؟ وما حقيقتها؟ والله سبحانه وتعالى منزه عن اللونية والصورة والشخصية.

فأجابه نفعنا الله به ورضي عنه: ما سألتم عنه من معنى الأبيات التي ذكرتموها ومما لم تذكروها مما في معناها، فالمعنى منها واضح ولا إشكال فيه لأن الرؤية رؤية قلب بعين الإعتبار والإستبصار.

وقد تكون بعين المشاهدة الذوقية من بصر البصيرة السرية. وذلك لا يفتقد إلى تقدير كون ولا شكل ولا لون ولا شخصية ولا مقابلة ولا غير ذلك من ألوان الأجسام ومدركاتها المحسوسة.

وعلى مثل ذلك يرى المؤمنون ربهم في الجنة. وهي وإن كانت بالأبصار الظاهرة فالأبصار هناك في مثل البصائر والأسرار ها هنا.

فأما قول القائل في البيت الأول: من كل معنى لطيف إلخ، فهو يشير إلى أن الكون صار في حقه واسطة تقيده المعارف الإلهية بكل وجه وذلك أمر واقع صحيح لأهله.

وأما البيت الثاني: يا قرة العين إلخ، فهو يشير إلى إنه لا يشهد غيره وإنه إذا رأى الغير لم يره بل يرى من أظهره وأبداه رؤية حقيقة وفي قوله بعض توسع وهو سائغ للمحبين والمشتاقين.

وأما البيتان الأخيران: إذا ما رأيت الله في الكل فاعلا

إلى آخرهما، فهي رؤية آثار صفات الصانع في الصنعة فترى الأفعال من حيث فعل الفاعل ووجوه حكمته وعجائب إتقانه لها وما خلقها له وأراده منها وبها ولها وكل ذلك حسن جميل لا قبح فيه ولا نقص.

ومن عكس هذه الرؤية بحكم حظه وسوء اختياره فقد يرى القبيح في الكل أو في البعض. وليس من هذا الحال الإستسحان الشرعي والإستقباح الشرعي فإن لذلك معاني أخرى جاءت من وجه آخر وهو الأمر الإلهي.

وأما تنزيه الحق وتقديسه وتعاليه عن صفات المخلوقين فهو الأمر المجمع عليه شريعة وحقيقة. وكذلك هو في الدنيا والآخرة إلا أن لأهل الطريق إطلاقات وتوسيعات.

ومنهم من قد يغلب فيشطح والكل معذور، وله فيما يأتيه مستند ووجه يعرفه أهله. ولا أوسع من الأمور الإلهية ولا أعظم منها وضوحاً لأهلها ولا أكثر منها خطراً لمن ليس من أهلها، سيما إن أخذ فيها بغير شيخ محقق يهديه في تلك المسالك ويجول به في تلك الممالك. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(١٠٨) **وسأله** السيد الجليل أحمد بن زين الحبشي با علوي جامع الفتاوى: عما دلت عليه الآيات والأخبار من أن عذاب الكفار ــ والعياذ بالله من ذلك ــ دائم مؤبد مع ما ورد من

رواية الإمام أحمد عن ابن عمر: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد. وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا.

ونقل غير واحد نحو هذا عن ابن مسعود وأبـي هريرة ونقله ابن تيمية عن جماعة من الصحابة وغيرهم، فما الذي ينبغي أن يؤول به ذلك؟.

فأجابه رضي الله عنه ونفعنا به: ما سألتم عنه فهي مسألة قد كثر فيها الكلام وقد اعترض فيها وبسببها بعض العلماء من أهل السنة على بعض المنسوبين إلى طريق الله أخذوا بذلك الحديث الذي ذكرتموه. وقالوا بانقطاع العذاب عن أهل النار الذين هم أهلها من المشركين والكفار وليس لهم حجة في ذلك الحديث مهما قُدِّرَ أنه صحيح، لأن النصوص من الكتاب والسنة البالغة مبلغ التواتر الغير القابلة للتأويل، لا تصادم بمثل ذلك الخيال.

وقد رأيت بعض أهل العلم ذكر في الجمع بين الأمرين وجها فقال: إن النار طبقات سبع وأن أعلاها تسمى جهنم، وهي التي يكون فيها العصاة من المؤمنين، ولا شك في أنهم يخرجون منها بإيمانهم على تفاوت في ذلك فتبقى بعد خروجهم منها فارغة. أعني تلك الطبقة. فهذا الذي ذكره فيه قرب ولست أسلمه له؛ لأن الإشكال لا يزول به ولا سبيل

إلا الأخذ بما نطقت به نصوص الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف والخلف من الأمة.

وأعلم أن من اتسع نظره في الكتب المؤلفة في أنواع العلوم وجد فيها كثيراً مما يشبه هذه المسائل، وربما أثارت عنده شيئاً من الأهام والإشكالات. ولا ينجيه من ذلك إلا أن تكون له بصيرة منيرة وقريحة صحيحة. وقد أحرز معتقده من قبل بأخذ عقيدة جامعة مما أجمعت عليه أهل السنة.

وقد رأينا مما ذكرناه في الكتب شيئاً كثيراً فعافانا الله من الإغترار به ومن الإتباع لما تشابه منه، وعندنا في هذه المسألة التي ذكرتموها كلام طويل لكثير من المتصوفة، وفي غيرها من المسائل التي تجري مجراها.

وأظن أن الشيخ بن حجر أشار إلى هذه المسألة في بعض المواضع من الزواجر. وقد طال العهد بذلك الكتاب، وما هناك ما يقتضي الإشكال عند من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

(١٠٩) **وسأله** الشيخ الفاضل الفقيه الصوفي عبد الله بن سعيد بن عثمان العمودي، بما حاصله: ما قولكم فيمن لم تبلغه الدعوة وأتت منه أمور هداية من الله على قانون الشريعة، هل له ثواب بالجنة ويكون كأهل الجنة؟. أوْلا يثاب أو في ذلك تفصيل؟ إلى آخر ما سأل عنه.

فأجابه رضي الله عنه، ونفعنا به: أما ما سألت عنه فاعلم أولاً أن للعلماء من أهل هذا الشأن اختلافاً في أهل الفترات الكائنة بين الأنبياء، وفي من لم تبلغه الدعوة ممن هو في أقاصي البلاد وأقطارها الشاسعة.

فمن قائل بتعذيبهم لأنهم لم يوحدوا الله، والله لا يغفر أن يشرك به.

ومن قائل: يقول بعدم تعذيبهم لأنهم لم تبلغهم دعوة ولم تقم عليهم حجة والله تعالى يقول: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ في آيات كثيرة.

ومن قائل: بالوقف وهو الأسلم والأحزم لأن الأدلة على الأمرين من النقليات والعقليات فيها ما يشبه التعارض، وإن كان لا تعارض في حقيقة الأمر.

فأما ما ذكرته من حال من لم تبلغه الدعوة ولكنه آمن وعمل بالصالحات المشروعة على لسان الرسول ﷺ الهاما من الله له وهداية خصه الله تعالى بها، وهذا أمر لا يستحيل إمكانه وإن كنا لم نكن قد سمعنا بوجوده.

ولكنا نقول: إن أمكن ذلك فيكون حاله أحسن بكثير ممن لم يؤمن ولم يعمل بالشريعة، ممن لم تبلغهم الدعوة وقد قيل: إنه يرحم ولا يعذب كما سبق.

ومن القائلين بذلك: الإمام حجة الإسلام في كتابه «التفرقة بين الكفر والزندقة» والله أعلم بحقائق الأمور وبعواقبها ومصائرها وبكل شيء من جميع وجوهه ومن جميع جهاته.

والناظر في هذه الأشياء إن كان ممن يخشى الله ويتقيه لا يمكنه القطع والجزم، إلا بما صرحت به الشريعة ونصت عليه نصا محققا لا معارض له وهذا في أمثال هذه الأمور كالمتعذر.

فتأمل ما ذكرناه حقه فإنه جامع ويتناول أكثر مما وقع السؤال عنه، والله الهادي إلى الصواب.

(١١٠) **وسأله** السيد أحمد المذكور بما لفظه: هل قد يكون المتعلق بشيخ من مشايخ الطريق يترقى بواسطة شيخه من حيث لا يعلم المتعلق؟. فإن كان كذلك فما السبب في ذلك؟ هل هي المحبة للشيخ ولطريقه والميل إلى ما هو عليه من السيرة وشهود الكمال فيه؟ فإن كان كذلك فهل لهذا السبب من مُقَوٍّ ومعظم وما هو؟.

فأجابه نفع الله به: نعم يترقى بنظره وبتعظيمه وحسن الظن فيه، من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم وترقيه وانتفاعه بذلك أكثر من ترقيه بمجاهدته وأعماله فإذا اجتمعا في المريد كان أجدر بالترقي وأحرى بالانتفاع.

وأما الذي يقوى به ما ذكرتم فهو أن ينظر المريد فيما يؤكد اعتقاده وتعظيمه للشيخ من أعماله الصالحة وسيره المرضية.

وبالجملة فلا أنفع للمريد من انطوائه في الشيخ وكمال حسن الظن والإعتقاد فيه والقليل من التوجه والمجاهدة مع ذلك كثير. وبالعكس حكم العكس.

وفي بيان هذه المسألة على سبيل البسط طول. وقد أشرنا إلى طرف من ذلك في رسالة المريد فتأملوه ففيه كفاية إن شاء الله.

(١١١) **وسأله** السيد الفاضل عبد الله بن محمد مساوى المقعد عن التعليم للصغار وغيرهم، وعن أشياء تظهر في الجواب.

فأجابه نفع الله به بقوله: أما التعليم للصغار وغيرهم فذلك مطلوب ومحبوب في الشرعِ، بشرط العلم والإخلاص لله تعالى. ومعنى العلم هنا أن تُعلِّم ما تعلَمْ وتسكت عما لا تعلم فإن الله لا يحب المتكلفين، وإثم المتكلم بما لا يعلم أعظم من إثم الساكت عما يعلم.

وأما المطالعة في الكتب الغزالية فذكرت أنك قد طالعت ما تيسر منها وإن في كتاب النصائح لنا كفاية.

فاعلم أن ذلك كذلك من بعض الوجوه وفي الكتب

الغزالية نور وبركة ونفـع وسر، ولها من التأثير ما ليس لغيرها فطالـع منها مـع النصائح ما تيسر، إما من الإحياء أو من الأربعين الأصل أو من منهاج العابدين والله يتولى هداك، ويأخذ منا ومنكم بمجامع القلوب إلى ما يحبه ويرضاه مع الخواتيم الحسنة، آمين.

وأما الزواج فلا بأس فيه وله فوائد ومنافع وفيه مؤن وأثقال فزن هذا بهذا وكن مع الأرجح. وأما كونه في الأشراف أو غيرهم:

فاعلم أن الجنس أطيب وأطهر وأوفق وما قدره الله وقضاه من ذلك، مما لا عبث فيه شرعاً ولا عرفاً. فما هو إلا حسن مليـح.

(١١٢) **وسأله** الشيـخ الصوفي عبد الله بن سعيد العمودي: عن حد الصدق والصادق، وحد الصديقية والصديق، وعن مسائل أخرى تظهر في الجواب.

فأجابه نفع الله به ورضي الله عنه وعنا به ومتـع بحياته بقوله: فأما سؤالكم عن حد الصدق والصادق.

فاعلم أن الصدق حال شريف ويعبرون به عن اجتماع الباطن والظاهر على تحصيل الأمر المطلوب من طريقه على أكمل ما يمكن من وجوهه والصادق من قامت به هذه الحالة

ولا بد أن يكون بين الصادقين في ذلك تفاوت من كامل وأكمل، إلى أن ينتهي الصادق إلى أوائل مراتب الصديقية وذلك نهاية.

(١١٢) **وأما سؤالكم** عن حد الصديقية والصديق. فالصديق: هو المستجمع لجميع مراتب الصدق وأحوال الصديقين على الوجه الأتم الأمكن من غير تزلزل ولا تلوين.

والصديق: من قامت به هذه الصفة ورسخت قدمه في هذه المرتبة وهو عبارة عن المؤمن الكامل في إيمانه ويقينه وإقباله على الله تعالى وعمله لله ودعوته إلى الله بلسان حاله ومقاله.

وأهل هذه المرتبة متفاوتون فيها من كامل وأكمل، إلى أن ينتهى الصديق إلى أوائل مراتب النبوة. فتلك نهاية الصديقية.

وهل بين النبوة والصديقية مرتبة أخرى؟

يتردد النظر في ذلك فذكر الشيخ العارف محمد بن عربي صاحب الفتوحات: أن بينهما مرتبة أخرى تدعى بمرتبة القربة. وله في ذلك مؤلف لطيف وقد رأيناه وقرىء علينا بتعز من بلاد اليمن، قرأه رجل من أهل العلم والتصوف يسمى يوسف الجاوي وهو من أصحابنا.

والذي نقول به: إنه ليس بين النبوة والصديقية مرتبة على انفرادها ولا مقام. وهذه المرتبة التي أشار إليها ابن عربي رحمه الله هي أعلى مقام في الصديقية، وهي من خصوصيات بعض أهل هذه المرتبة الشريفة كالخلة والكلام والروحية ونحوها في مقام النبوة والرسالة مخصوصة ببعض أهل هذه المرتبة الشريفة السامية وقد جمع الله كل ذلك لنبينا ﷺ فساد به جميع الأنبياء والمرسلين.

ويقول الشيخ ابن عربي: إن في هذه المرتبة التي هي مرتبة القربة الخضر ونحوه فإنه فوق الصديقين ودون الأنبياء ومن هو في مثل حاله كذي القرنين ومريم عليهم السلام.

والحق عندنا في ذلك ما قد ذكرناه وهو ظاهر في كلام حجة الإسلام وغيره من المحققين لمن تأمله ذكر ذلك في الأربعين الأصل وغيره. حتى إن الشيخ ابن عربي أشار إلى ما ذكره حجة الإسلام من ذلك وقال: إن هذه المرتبة يعني القربة قد تخفى حتى على بعض أكابر المحققين مثل الإمام الغزالي. فإنه لم يذكر مرتبة بين الصديقية والنبوة هذا ما ظهر لنا. والله أعلم.

(١١٤) **وأما سؤالكم** عن التمكين، وهل هو عام في المقامات؟

فنعم هو عام في جميعها، وقد يكون العبد من أهل التمكين في مقام دون مقام مثل: أن يكون متمكناً في مقام الإخلاص والزهد غير متمكن في مقام التوكل والمحبة. فإذا أعطي التمكين في جميع المقامات، فهو المتمكن حقاً.

والتمكين: عبارة عن كمال الثبات والرسوخ في المقام، حتى لا يتزلزل صاحبه ولا يتلون ولا تحكم عليه الأحوال ولا يتصرف فيه عموماً أو خصوصاً، على حسب ما تقدم من عموم التمكين وخصوصه.

(١١٥) **وأما سؤالكم** عن أدنى يقين الصادق وأكثره، وعن أدنى يقين الصديق وأكثره.

فهذه مسألة لا يحسن السؤال عنها لأن هؤلاء هم أهل كمال اليقين الصديق منهم والصادق. الغاية أن يقال: الصديق أتم يقيناً من الصادق وإن الصادقين يتفاوتون في اليقين على حسب تفاوتهم في الصدق. وكذلك الصديقون وإنما يسأل عن أدنى اليقين وأكمله في حق عامة المؤمنين.

وقد أشرنا إلى ذلك في أوائل رسالة المعاونة فانظروه هنالك، وإلى يقين الصديقين الإشارة بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. فالغطاء لا بد منه في هذه الدار وهو عبارة عن

حجاب ما، ولكنه قد يرق ويلطف جداً حتى يحسب بعض المكاشفين أنه لا غطاء ولا حجاب.

والحق أنه لا بد من الحجاب ما دام الإنسان في هذه الدار، لو لم يكن إلا وجود جسم المكاشف وقالبه البشري فهو من حجبه.

(١١٦) **وأما سؤالكم** هل في الصديقية روح للنفس في كل المقامات أو في شيء منها.

فنعم لها روح وأنس ولكنه لا يسمى حظا، لأن النفس بإزاء ذلك الوصف الشريف.

والمرتبة المنيفة التي هي الصديقية لا تكون إلا نفساً مطمئنة قد فنيت حظوظها البشرية وانمحقت أغراضها الجسمانية فنعيمها في ذلك ومنه وبه يشبه نعيم أهل الجنة فيها، لا يشغل عن الله ولا يحجب عنه إن كان صاحبه بوصف أهل الفناء وبوصف أهل البقاء.

وتأمل تمام هذا المعنى في كلام ابن عطاء في أواخر الحكم حيث يقول فيها فإن ينزلوا إلى سماء الحقوق أو إلى أرض الحظوظ إلى آخر ما ذكره هنالك.

(١١٧) **وأما سؤالكم** عن الأفراد هل هم خارجون عن دائرة القطب الغوث كما يقول ذلك بعضهم أو هم داخلون فيها؟

فاعلم أنا قد سُئلنا عن هذه المسألة قديماً وقد أجبنا عنها بما فيه كفاية بالنسبة إلى الزمان والمكان، ونقول الآن: إن لله في خلقه أسراراً خفية وخصوصيات وتصاريف لا يحيط بها غيره، وإن من أعطاه شيئاً من سره أو أطلعه على أمر من غيبه أو صرفه في شيء من ملكه فهو على ما أعطاه وقد تضيق مرآة بعضهم فيحسب أنه لا شيء وراءه، وقد تتسع فيعرف ويعلم أن الذي لديه قليل من كثير وصغير من كبير ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾. ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾.

والقطب الغوث: هو إمام الأولياء أهل الدائرة والتصريف وهم المعدودون في الأخبار والآثار الواردة فيهم، فإن أطلع الله عبداً على أن له أولياء غير هؤلاء المعدودين فقد يكونوا من المعدودين كوشف بشيء من أسرارهم الخارجة عن أحكام الدوائر والتصريف فظن أنها رجال، وهي أسرار رجال من أهل الدوائر.

وإن كانوا رجالاً وصح له الكشف فيهم، سلمنا له ذلك إذا كان من أهله فإن أمر الله عظيم وملكه واسع وأسراره لا تحصر على حسب ما قدمناه، إلا أنا لا نسلم ذلك لكل قائل من أهل هذا الشأن حتى يكون عندنا هو صاحب المقام الجامع للمقامات وهو الإنسان الكامل أو من يقرب من مقامه مثل الإمامين والأربعة الأوتاد أو السبعة الأبدال.

وأما من كان من أهل الطريق وإن كان له ذوق وتحقيق، فقد تظهر منهم أمور وتفيض منهم كلمات تعد عند أهل التحقيق من التيهات والشطحات، وهم صادقون فيها بالنسبة إليهم ومعذورون لما غلب عليهم وقام بهم من الأمر الإلهي الذي لا يطاق ولا يستطاع منعه، إلا أن يقول القائل ما قال.

ولعل من هذا كلام الشيخ الصوفي أحمد با عبد القادر الذي نقلته عنه إن كان هو القائل له وغير مسبوق إليه، وإن كان نقله عن غيره فذلك القائل من ذلك القبيل رحمهم الله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وأما ما أشرتم إليه في كتاب وصل منكم قريباً من أنكم فهمتم من جواب صدر منا إليكم وذكرنا فيه أن أهل الله ينقسمون على الجملة إلى ثلاثة أقسام، وأن في مقابلة كل قسم منها طائفة من الكاذبين يتشبهون بالصادقين وليسوا من الصدق وأهله في شيء فذلك صحيح.

وأما ما فهمته أنت وفهمه صاحبك فالكل من ذلك واسع، غير أن الكاذب الذي يقابل الصادق هو على ضد ما عليه الصادق في حقيقة الأمر، وإنما يلتبس الأمر بينهما من حيث الظاهر على من لا تحقيق عنده، ولا بصيرة، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وأما قولكم في الفناء والبقاء إلخ.

فاعلم أن المعتبر في ذلك: ذوق هذه المعاني والتحقق بها دون مجرد العلم، فإنه قد يعلم بأحوال الفناء والبقاء من ليس من أهل الفناء ولا من أهل البقاء وقد يدخل عليه بسبب ذلك شيء من الدعوى من حيث عدم تفرقته بين الأمور العلمية والأمور الذوقية.

وأما قولكم: هل الفناء فناء وجود أو فناء شهود وكذلك البقاء.

فاعلم أن في ذلك تفصيلا فمن حيث بعض الأمور يكون فناء وجود أو شهود وكذلك البقاء وفي بعض الأمور، يكون شهوداً فقط. والوجود على ما هو عليه.

وأكثر ما يكون الفناء وجوداً وشهوداً في الصفات دون الذوات، وكذلك البقاء لأن الفاني قد يفنى عن الوجود والوجود باق على وجوده وإنما فني هو عن علمه به وشعوره له. وفي الأمر تفصيل يحتاج إلى تطويل فأمعن النظر فيما ذكرناه وأحسن التأمل فيه، يظهر لك المقصود ولو شيئاً فشيئاً.

(١١٨) **وأما** ما ذكرت في الكتاب السابق: من وضعك التأليف وأن قصدك أن تذكر في بعض أبوابه من أخذت عنه من أهل هذا الشأن، ثم إنك قد وصلت بهذا التأليف إلينا عندما وصلت للزيارة وقع منا النظر عليه.

فإذا كان من قصدك أن تذكر من أخذت عنه في ذلك الباب الذي رسمته من المؤلف فذلك من الصواب إن شاء الله. وإذا كان قصدك أن نذكر لك بعض من أخذنا عنه وبعض الأسانيد التي لنا في الخرقة وغيرها.

فاعلم أنا قد لقينا وأخذنا عن خلق كثير، وجماعة يطول عددهم من السادة آل أبـي علوي وغيرهم ممن أدركناه بتريم وجهة حضرموت ونواحيها وممن لقيناه في حال سفرنا إلى الحج بالحرمين الشريفين وباليمن.

والظاهر أنا لو عددناهم ربما يزيد عددهم على المائة من بين عالم وعارف وأخ صالـح.

وقد سئلنا مرات في أن نـعدهم ونذكر شيئاً من مناقبهم فمنعتنا عن ذلك عوارض الزمـان وقلة رغبة أهله في هذه الشأن وموانـع أخر. وما كل عذر يتهيأ ذكره كما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله، ولكنا نذكر لك من ذلك شيئاً يسيراً على سبيل الإجمال.

فاعلم أنا أخذنا العلم الظاهر عن جمـاعة من أهله واشتغلنا عليهم اشتغالاً معتبـراً في أوقات صـالحة لـذلك ثم أخذنا علوم الطريقة عن جمـاعة من أهلهـا من ظاهـر وخامل، وكانوا من البقايا في ذلك الزمان وقد صاروا إلى الله تعالى والدار الآخرة.

فمن أجلّهم أعني أهل الطريق السيد الصوفي المَلامَتيّ عقيل بن عبد الرحمن بن محمد بن عقيل السقاف با علوي ترددنا عليه وأخذنا عنه ولبسنا منه الخرقة وذكر لي عند الإلباس أنه لم يلبس أحداً غيري.

ولقينا السيد القدوة العالم الجامع أبا بكر بن السيد القدوة عبد الرحمن بن شهاب، والسيد الصوفي عبد الرحمن بن شيخ مولى عيديد با علوي، وولده السيد المجذوب العارف شيخ بن عبد الرحمن، والسيد المجذوب العارف عمر بن أحمد الهادي بن شهاب با علوي، والسيد المجذوب الملامتي سهل بن محمد با حسن الحديلي با علوي، والسيد الفاضل العارف المحقق الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس صاحب حريضه اجتمعنا به مراراً وأخذنا عنه أخذاً تاما طريقة الذكر والمصافحة وإلباس الخرقة.

وأخذنا عن السيد المشهور العارف المذكور الشيخ محمد بن علوي با علوي نزيل مكة المشرفة وذلك بالمكاتبة والمراسلة ولم نجتمع به ظاهراً، وقد لبسنا منه بالمكاتبة أيضاً رحم الله الجميع ونفعنا بهم وأعاد علينا من بركاتهم وأسرارهم وعلى كافة المسلمين.

وأما الإسناد فنذكر منه طرفاً قريباً ونبدأ بإسناد السيد محمد بن علوي فنقول: أخذنا البأس الخرقة عن السيد

محمد بن علوي وأجازنا بها، وعن السيد العارف الشيخ عبد الله بن علي صاحب الوهط، وهو عن الشيخين الجليلين المحققين السيد شيخ بن عبد الله العيدروس صاحب «العقد النبوي»، والسيد عمر بن عبد الله العيدروس المدفون بعدن.

فأما السيد شيخ فلبس من والده السيد الشيخ عبد الله بن شيخ.

وأخذ السيد عبد الله عن عمه الشيخ القطب الشهير أبي بكر بن الشيخ الأستاذ عبد الله بن أبي بكر العيدروس.

وأخذ السيد عمر عن والده السيد عبد الله، وأخذ عبد الله عن والده السيد علوي بن الشيخ عبد الله العيدوس.

وأخذ السيد علوي عن أخيه السيد الشيخ القطب أبي بكر بن عبد الله صاحب عدن فاجتمع إسناد السيد شيخ والسيد عمر إلى الشيخ أبي بكر على حسب ما ترى في هذا السياق إلى الشيخ أبي بكر.

وأما السيد العارف الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس فأخذ عن السيد الشيخ الحسين بن الشيخ القطب المحقق أبي بكر بن سالم.

وأخذ الشيخ الحسين عن والده الشيخ أبي بكر.

وأخذ الشيخ أبو بكر عن السيد الشيخ عمر بن محمد با شيبان فيما سمعنا.

وأخذ السيد عمر باشيبان عن الشيخ القدوة السيد عبد الرحمن بن الشيخ الإمام الجامع علي بن أبي بكر.

وأخذ الشيخ عبد الرحمن عن والده الشيخ علي بن أبي بكر المذكور.

وأما السيد الصوفي عقيل بن عبد الرحمن المتقدم ذكره، فأخذ عن والده السيد العارف عبد الرحمن بن محمد بن عقيل.

وأخذ السيد عبد الرحمن عن السيد العارف أوحد زمانه الشيخ أحمد بن علوي با جحدب.

وأخذ السيد أحمد بن علوي عن السيد عمر بن محمد با شيبان المتقدم ذكره.

فأما سيدنا الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس صاحب عدن، فأخذ عن والده قطب العارفين عبد الله بن أبي بكر، وعن عمه الشيخ المحقق علي بن أبي بكر وأخذ الشيخان المذكوران عن والدهما الشيخ السكران أبي بكر بن الشيخ الأستاذ عبد الرحمن السقاف، وعن عمهما الشيخ الجامع عمر المحضار بن الشيخ عبد الرحمن.

وأما السيد عمر بن محمد با شيبان فقد قدمنا أنه أخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي والشيخ عبد الرحمن أخذ عن والده الشيخ علي وعن عمه الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس المتقدم ذكره فيمن أخذنا عنه.

وإذا أردت تمام هذه الأسانيد فانظر في «كتاب البرقة» لسيدنا الشيخ الأستاذ علي بن أبي بكر وهو كتاب ألفه في إلباس الخرقة وفي ذكر من أخذ عنه هذه الطريقة.

وانظر أيضاً في «الجزء اللطيف في التحكيم الشريف» الذي ألفه سيدنا الشيخ القطب أبو بكر بن عبد الله العيدروس فيمن أخذ عنه وفي ذكر أسانيدهم وألحق ذلك بما ذكرناه. واختصر إن شئت أو ابسط فإن للبسط مجالاً هنالك إن أردته لأنها خرق عديدة.

وهناك أسانيد كثيرة ترجع إلى سيدنا الأستاذ الأكبر الفقيه المقدم محمد بن علي علوي، وإلى سيدنا الأستاذ المعظم الشيخ محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلي وإلى مشايخ آخرين مذكورين في التأليفين اللذين سميناهما: «كتاب البرقة» لسيدنا الشيخ علي بن أبي بكر، و «الجزء اللطيف» لسيدنا الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس.

فإن أردت الكتابين المذكورين فاطلبهما فإن وجدتهما عندكم بدوعن وإلا كتبت إلينا نرسلهما إليك، والله تعالى

يأخذ بنواصينا إلى كل خير ويصلح منا النيات والمقاصد والسرائر والظواهر، ويختم لنا بالحسنى والإحسان ولكم ولأحبابنا والمسلمين.

(١١٩) **وسأله** المذكور أيضاً بما لفظه: إذا قال قائل ذو ذوق وشهود، إن الأضداد تجمع على حال واحد في ملحظ شهود التوحيد فقلنا له:

نعم بشرط أن تأخذ الشريعة منك حقها والحقيقة حقها وتحكم بالعقل في المعقولات وبالنقل فيما يحتاج إليه. فهذا الجواب صحيح وتلك المقالة صحيحة أم يقال غير ذلك؟

فأجابه نفعنا الله به: أما السؤال الواقع أو المفروض وكذلك الجواب عليه فالسؤال قائم والجواب مطابق إلا قول المجيب فيه وتحكم بالعقل في المعقولات فإنه لا وجه له هناك يعتبر.

وأما قوله وبالنقل فهو داخل في قوله أن تأخذ الشريعة منك حقها، لأن الشريعة هي المنقولات والحقيقة ثمرة العلم بها والعمل على السنن المشروع المسلوك لأهل الوصول بعد السلوك. والله أعلم.

(١٢٠) **وسأله** الفقيه الفاضل عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي عن قول الشيخ الأخضر لتلميذه الفقيه الصوفي

عمر بن عبد الله با مخرمة وذلك مما ذكره مؤلف مناقب الشيخ الجليل معروف با جمال في خاتمتها: من أنه أعني الشيخ الأخضر قال لتلميذه من جملة كلام: وأجزتك في علوم لم يطلع عليها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلى آخر ما سأله عنه.

فأجابه نفعنا الله به:

اعلم أن هذا كلام صحيح من حيث المعنى ولا إشكال فيه، وأما صورته وظاهره فمستبشع ومستنكر وكثير من الأمور قد يكون كذلك فيحتاج أولاً في أمثال هذا إلى صحة إسناده عن القائل.

ثم إذا صح فينبغي النظر في حل إشكاله عند الحاجة الداعية إلى ذلك، وأنت تعلم ما قص الله عز وجل من قصة موسى والخضر في كتابه وموسى بلا شك أمكن وأفضل من الخضر عليهما السلام، على قول من يقول: بولاية الخضر وهم الأكثرون وعلى قول من يقول بنبوته أيضاً.

وقد انفرد الخضر بالإطلاع على علوم لم يطلع عليها موسى عليه السلام ولم يقتض ذلك أفضليته ولا أرجحيته على موسى.

فيكفيك هذا شاهداً والمراتب والمقامات غير العلوم والمعارف.

وأنت تعلم أن بعض عبيد الملك من ملوك الدنيا قد يطلعه الملك على شيء من أسراره، التي لم يُطلع عليها عبداً آخر من عبيده.

ويكون هذا العبد الذي لم يطلعه على السر الذي أطلع عليه الآخر أرفع وأجل عند الملك من الآخر الذي أطلعه وهذا قد يكون كثيراً وله مقتضيات وحكم وأسرار. فانظروا الآن فيما ذكرتم فإنه يتضح لكم بما ذكرناه.

ويكون مثل ذلك حتى في أولاد الرجل الواحد وفي أصحابه وفي أخدامه. وقد يطلع بعضهم على بعض أسراره وغيره منهم أرفع وأكرم لديه من الذي يطلعه على هذا الأمر المخصوص.

فاجعلوا هذا دستوراً وسلماً لحل هذا الإشكال ولغيره مما في معناه ومما جرى مجراه، فإن الذي يطالع الكتب قد يقف على أشياء كثيرة من أمثال ما ذكرتم ومن أشباهه، واستعينوا بالله والله يتولى هداكم والسلام.

(١٢١) **وسأله** المذكور أيضاً: عما سيتضح في الجواب.

فأجاب نفع الله به بقوله: فأما ما ذكرتم من وقوع المذاكرة من بعض الأصحاب في أبيات من التائية لنا التي فيها ذكر اليقين فذلك أمر واضح عند أهله ظاهر بأدنى تأمل لهم.

فقوله: عليك بتصحيح الأساس الذي هو اليقين. الأبيات.

فالمشار إليه أولاً فيها هو علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين. وهي كلمات متداولة بين القوم مذكورة في رسالة القشيري وغيرها.

وبقول الناظم: من صحة علم اليقين تتفرع صحة حقائق الإسلام. ومن صحة عين اليقين تتفرع صحة حقائق الإيمان. ومن صحة حق اليقين تتفرع صحة حقائق الإحسان.

وأما مقامات اليقين التسعة فهي المذكورة من قوله: وابدأ بتصحيح توبة، إلى قوله: مع الرضا بكل الذي يقتضيه في كل حالة فتلك هي التسع المقامات المنعوتة بمقامات اليقين.

وقد شرحها الشيخ أبو طالب المكي في كتاب القوت شرحاً طويلاً. وكذلك الإمام الغزالي في ربع المنجيات شرحها وشرح غيرها وذكرناها في آخر رسالة المعاونة. وشرحناها شرحاً مختصراً وكذلك في آخر النصائح الدينية ذكرناها هي وغيرها من ثمرات اليقين.

وأما ما ذكرتم في الكتاب الثاني من أنه أشكل عليكم شيء من المعنى في الجواب الصادر، عن قول الشيخ

العارف عبد الرحمن با هـرمز لصـاحبه الفقيـه عمر فـذلك لا إشكال فيه ولا التباس.

وما توهمتم فيه من الإشكال بما أوردتموه لا يشكل عليه بوجه عند من يعرف الإجمالات والتفصيلات ويفـرق بين الأمور المقيدة والأمور المطلقة وإن لم ينبه عليها عند كل ذكر لها، بما قد تقرر عنده من قواعد العلوم وإن منها كلي ومنها جزئي.

فاعلم أن قولنا: يجوز أن يطلع الله بعض المفضولين على شيء من أسراره، لا يطلع عليها من هو أفضل منه صحيـح وواقع. وهذا لا يمنع عموم أقوالهم التي ذكرتها فإن الجائز غير الواقـع أولاً.

والثاني: أن الواقـع على الخصوص لا يغير في وجه الواقع على العموم وقصة الخضر مع موسى عليهما السلام كافية في الدلالة على ذلك فإن موسى أفضل من الخضر، وقد أطلعه الله من سره على أمور لم يطلع عليها موسى وأخبره تعالى أنه أعلم منه أعني بهذه الأسرار.

وأما أنه لا يصل إلى أهل الدائرة شيء إلا بعلم من القطب فذلك صحيـح. أعني في الأسرار العامة. وما يتعلق بحكم ما أرصدوا له من القيام بمصالح العالم. وكذلك قول من ذكرتم من الأقطاب لو تحركت ذرة الـخ. فذلك أمر مقيد

لأن ذلك لا يصح على الإطلاق، والدوام إلا لله وحده لا شريك له.

فإذا سمعت شيئاً من أقوالهم يشبه ذلك فاعلم أنه مقيد ومخصوص وإن لم ينبه عليه قائله فقد عرف تقييده له من القواعد والأصول التي عليها المعول والإعتماد، ومثل ذلك كثير حتى في الكتاب والسنة، أعني أن أشياء مقيدة ترد مطلقة وبالعكس.

ولا يلتبس ذلك على المتسعين في العلم الراسخين فيه وقد التبس ذلك على بعض الضعفاء فزاغوا وضلوا عن سواء السبيل.

وأما قولكم: إن القطب يكون ملحظه حضرة اسمه الله وبه يسمى عبد الله الخ.

فذلك ذكره الشيخ ابن عربي وأطال فيه وهو صحيح عنده ومسلم له ولكن فيه تقييد وفيه تخصيص، وفيه شيء من الكلام المشكل.

والحاصل: أن النظر في حقائق علوم أهل هذه الطريق ودقائقها، لا يصح إلا لمن مهر في العلوم الظاهرة وتفنن فيها أولا، ثم راض نفسه وهذبها التهذيب الكامل، ثم حصلت له جذبة إلٰهية محقت منه البقايا البشرية التي لا يبلغها بالرياضة.

وإلا فمن لازم من نظر في دقائق علومهم وهـو على غير ما وصفناه من الكمال أنه لا يخرج من إشكال، إلا ويقع في إشكال وقد يتحير فلا يدري ما يصنـع وقد يكون أمراً آخر هو أشد من ذلك، فانظروا في علومهم الواضحة.

وأذا ظهر لكم إشكال في شيء منها فكرروا النظر فيه، واعرضوه على القواعد والأصـول تعرفـوا منها أذلك مقيد أو مـطلق عام هـو، أو خاص كلي أو جـزئي، واقـع على الدوام، أو في بعض الأحوال.

وإذا قد ذكرنا لكم شيئاً فلا تعترضـوا عليه بـإشكال تستشكلونه أنتم وتقولون قالوا وقالوا، فأنا أعلم بما قالوا منكم وأعرف فاستمسكوا بما ذكرناه وتأملوه حقه. والله يفتح منا ومنكم بصر البصائر ويهدينا لما هو الحق عنده مما اختلف فيه ومن غيره. فإنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم.

(١٢٢) **وسئل** نفع الله به عن قول الشيـخ حسين بن عبد الله با فضل: وعليك بورد مختصر تقتصر عليه عند الضـرورة ووسيط في وقت الحاجة وبسيط عند انشراح الصدر، وأقل المختصر الوجيز إمراره على البال إلى آخر ما ذكره السائل عنه وأشياء أخر تظهر في الجواب،

فأجاب نفـع الله بقوله:

الحمد لله سألت عن قول الشيخ الصوفي حسين ابن الفقيه الإمام عبد الله بلحاج با فضل رحمه الله في الأوراد الخ، فمقصوده وحاصله أنه: ينبغي للإنسان المداومة على الأوراد والمحافظة عليها حسب الإمكان، وفي كل وقت على حسب ما يليق بذلك الوقت.

وقوله: ويكون لك ورد مختصر وورد وسيط وورد بسيط فذلك ظاهر ويختلف باختلاف الأوقات من الشغل والفراغ والمرض والصحة.

ومثال ذلك: ما ذكره الإمام الغزالي في البداية فيما يقال قبل طلوع الشمس فإنه ذكر أنه ينبغي أن يكون من الأوراد عشرة أذكار فذكرها، ثم قال: يقول كل واحد منها مائة أو سبعين أو عشر مرات وهو أقله، ولما ذكرها في الإحياء قال: أو يقولها ثلاثاً ثلاثاً فما ذلك إلا باختلاف الوقت والنشاط والفراغ.

وكذلك من الأذكار الواردة في السنة بعد الصلوات وعند الصباح والمساء وعند النوم وغيرها، يمكن الإنسان أن يجعل من ذلك بسيطاً ووسيطاً ووجيزاً إذا كان متسعاً في العلم بالوارد في السنة.

وأقل الأوراد إمرارها على البال عند الأشغال المهمة

والأمراض الغالبة كما ذكروا مثل ذلك في صلاة المغلوب بالمرض.

وما قصد الشيخ من كلامه هذا إلا حث المريد على الإعتناء بالأوراد على أي وجه كان وأمكن.

(١٢٣) **وسألت** عن إهداء ثواب الأعمال إلى الموتى من الوالدين والأقارب وغيرهم.

فاعلم أن إهداء ثواب الصدقات المالية إليهم من ماء وطعام ونحو ذلك مما ورد وصحت فيه الأخبار. وكذلك الاستغفار والدعاء لهم فإن الله ينفعهم بذلك ويصل إليهم بفضل الله من نور وسرور، وغير ذلك من أنواع الثواب.

وأما قراءة القرآن الكريم وإهداء ثواب ذلك إليهم فقد اختلف العلماء في وصول ثوابه ورجح كثيرون منهم وصول ذلك إليهم، وحصول الإنتفاع لهم بذلك ونقلوا فيه آثاراً كثيرة ومنامات صحيحة.

وأما الأخبار الواردة فيه فكلها ضعيفة فإذا كان هذا في قراءة القرآن فيكون في مثل الصلاة والصيام، وإهداء ثواب ذلك إليهم أبعد.

فينبغي التصدق على الموتى والإكثار من الإستغفار لهم والدعاء والترحم عليهم ويجعل الإنسان بعض ثواب صدقاته

لوالديه ونحوهم، ويستبقي الكثير أو الأكثر من ذلك لنفسه.

وللعلماء في هذه المسألة كلام كثير وتتشعب منها مسائل، وهذا حاصل القول فيها.

(١٢٤) **وأما ما سألت عنه** من كلام الخطيب الأجلّ ابن نباتة من قوله: أعظم الله على المصيبة بطول الغفلة أجرنا، فأظنه مما لا وجه له إذ المصيبة بالغفلة قد يأثم عليها الإنسان ويعاقب، فضلاً عن أن يخلى ويترك، فكيف يثاب على ذلك ويؤجر؟

وفي كلام الخطيب رحمه الله مواضع كثيرة من خطبه مما يشكل، خصوصاً في أوائل الخطب ومثل ذلك يقع في كلام العلماء، لأن الإنسان بشر يخطيء ويصيب وقد تضيق العبارة في بعض المواطن، سيما عند التعبير عن الأمور الدقيقة الغامضة.

وأما المصائب التي يؤجر عليها العبد فهي ما يصيبه في نفسه وماله وأقاربه من مرض وفاقة وموت ونقص، مهما صبر واحتسب.

وأما مصائب الدين فأكثرها معاصي يعاقب الإنسان عليها ويمقت لأنها إنما تقع في الغالب بقصد العبد واختياره، ولو وقعت منه مصائب الدنيا بالقصد والإختيار لعوقب عليها.

مثال ذلك: لو جرح نفسه أو ولده باختياره أو تلف ماله كان على ذلك معاقباً ومأزوراً. وأما اسم المصيبة فقد يعم الدنيوية منها والدينية، لكن موضع الأجر منها ما وقع من الدنيويات بغير اختيار من العبد وصبر لله واحتسب.

وأما قول الله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ وقد ذكرت ذلك في سؤالك تستدل به، فقد ذكر الله ذلك حكاية عن أقوام لم يرض قولهم.

وذكر أهل التفسير أن المراد بالحسنة ها هنا: مثل الخصب والنصر والسيئة ضد ذلك من الجدب والهزيمة، ومثله قوله تعالى: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ وقوله تعالى: ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

وأما قوله عز وجل: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ فإن للعلماء عن ذلك أجوبة من أحسنها قول بعضهم: إن بين الآيتين محذوفاً تقديره ﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ يقولون: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾ الآية، والحذف والإضمار في القرآن معروف.

هذا آخر الجواب، والله الهادي إلى الحق والصواب والله أعلم وأحكم. فانظر فيه وتأمله فإنه جامع بالغ وإن كان موجزاً مختصراً وخير الكلام ما قل ودل.

(١٢٥) **وسأله** الشيخ الفاضل إدريس بن أحمد بن إدريس الصعدي المكي الشهير بالشماع عن إيمان المقلد.

فأجابه نفع الله به بقوله: وأما المسألة التي أومأت إليها من علم الإعتقاد والأصول.

فاعلم أن إيمان المقلد فيما نراه ونقوله إيمان صحيح لا يمترى في صحته، محصل له علم ومعرفة بأول هذا الدين وابتداء ظهوره، وما كان ﷺ يقبله من أجلاف العرب وسكان البوادي منهم وهذا أمر واضح جلي.

وأما أنت وأمثالك فلسنا نرى أنك من أهل التقليد بل أنت من أهل الإستبصار وممن شرح الله صدره للإيمان والإسلام.

وعندنا أن من قرأ القرآن وفهم فيه ولو بعض فهم، فهو من المؤمنين المستبصرين إذا أيقن وآمن بما فيه، لأن القرآن متواتر على القطع ومعجز على القطع، ولم يزل الحال كذلك من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا. فكيف يكون مقلداً من كان إيمانه عن علم صح وثبت بالتواتر من غير نكير ولا منازع

في ذلك بل يصح الإيمان مع الإستبصار بدون ذلك من العلم.

وأما ما ذكره السنوسي فحديث آخر. والرجل من علماء الكلام المتعصبين عليه وكل يؤخذ من كلامه ويترك غير رسول الله ﷺ، كما قالت الأئمة.

وإن أردت النظر في شيء من علوم الكلام، فلا تَعْدُ كتاب قواعد العقائد وهو الثاني من كتاب الإحياء، وعول على النظر منه في الفصل الأول وما ذكره في الفصل الثالث في الرسالة القدسية إن رأيت فيه مزيد طمأنينة وانشراح صدر وإلا فدع النظر فيه. وكرر النظر فيما سواه.

وعلم الكلام إنما هو دواء لأهل الشكوك ومن انقدحت في نفسه شبهة فيأخذ منه على قدر دائه، فإذا حصل الشفاء فليس للنظر فيه كثير فائدة ولا كثير منفعة.

وما ذكره الله في القرآن من ذلك فيه غاية الكفاية، ونهاية النفع والفائدة ولست ترى هنالك إلا الإجمال، وكذلك ما تراه في السنة وكلام السلف الصالح.

فعلم أن الإجمال من هذا العلم أنفع من التفصيل، إلا لأهل الشبه والإشكالات.

وقد ذكر الإمام الغزالي في كتاب قواعد العقائد ما

أجملناه ها هنا، فانظر بحسب الحاجة وإلا فالإشتغال بعلوم الكتاب والسنة وإصلاح القلوب والأعمال أهم من ذلك، إذا قد صح المعتقد على نحو ما ذكرناه من قبل.

والذي أوردناه ها هنا كلام إجمالي، ففصله بفهمك وأحسن النظر والتأمل فيه والله تعالى يتولى هداك ويؤيدك بروح منه وإيانا. آمين.

(١٢٦) **وسأله** الشيخ المنور عبد الله بن سعيد العمودي: عن المعرفة والمحبة ما الأفضل منهما؟

فأجابه نفع الله به: ما سألتم عنه من تفضيل المعرفة على المحبة، أو العكس فالذي نقول به: إن المعرفة أعلم وأوجب والمحبة أشرف وألطف والحال مثل ما ذكرتم أن المحبة من فروع المعرفة ومن نتائجها، فإنك لا تحب من لا تعرف وقد تعرف من لا تحب، ونقف عن تفضيل إحداهما على الأخرى فإن لكلٍ فضلا من وجه غير الوجه الذي منه فضيلة الأخرى.

وأما المعرفة التي تثمرها المحبة فتلك معرفة ولكنهم إنما يسمونها بالمشاهدة والمشاهدة غير المعرفة والمعرفة فقط تشعر ببُعد ما بخلاف المشاهدة.

وقد وقع بين أهل هذا الشأن في تفضيل المكاشفة على

المشاهدة والعكس وبين الأخيرتين ما بين الأولتين من العموم والخصوص والأصل والفرع فالمكاشفة أعم والمشاهدة أخص وقولنا فيهما كهو في الأولتين، والله أعلم.

(١٢٧) **وسأله** الفقيه الفاضل عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي: عن طاعة الوالدين فيما يأمران به هل يجري ذلك في ما إذا أمرا بمباشرة أسباب الدنيا والتوسع في المباحات التي ربما أدت إلى المضرات؟

فأجابه نفع الله به ورضي عنه: ما سألتم عنه مما يجب على الولد من طاعة الوالدين. فذلك كذلك ولو أنهما أمراه بالتوسع في المباحات الدنيوية، والتلبس بأسباب الدنيا التي ربما تضر الإنسان في دينه أو تعرضه للوقوع في معصية ربه.

فالذي نراه ونقول به: إنه لا يطيعهما في ذلك ولكنه لا يشافههما، ولا يواجه بصريح الرد والمخالفة ولكنه يداريهما ويتلطف معهما لما يجب لهما من الحرمة ويتعين عليه من البر لهما والرفق بهما.

وإذا كان لا يطيعهما في معصية الله إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فتلك الأشياء المذكورة من مقدمات المعاصي ومن الوسائل إليها، وللوسائل حكم المقاصد ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

على أن مباحات هذا الزمان وأسبابه الدنيوية التي يقول فيها من لا رسوخ له في علوم الكتاب والسنة إنها مباحات قد صارت الآن محرمات وشبهات، بحكم غلبة التخليط واضطراب الديانة على أهل هذا الزمان، لا يمتري في ذلك من له بصيرة في الدين وقدم راسخة في علوم الكتاب والسنة من أهل اليقين والتقوى. فاعلم ذلك وتأمله تسعد وترشد إن شاء الله والأمر كله لله ولا حول ولا قوة إلا به وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١٢٨) **وسأله** الشيخ الصوفي عبد الله بن سعيد العمودي: عن ما إذا فعل الولي ما يبطل العدالة إلى آخر ما سأل عنه، مما سيتضح في الجواب.

فأجابه رضي الله عنه: ما سألتم عنه من أنه إذا فعل الولي ما يبطل العدالة، أي من الذنوب الكبائر ولم يصر على ذلك، أي إنه تاب توبة معتبرة بشرائطها الباطنة والظاهرة، فهل يبقى على مقامه وحاله من الولاية؟

فاعلم أنك إن كنت تريد الولاية العامة الحاصلة لعامة المؤمنين، فاعلم أنه قد يكون ذلك وتدل عليه أدلة كثيرة مستغنى عن ذكرها لشهرتها وظهورها.

وإن كنت تريد بالولاية الولاية الخاصة، التي يقال في صاحبها: إنه محفوظ عن المخالفات فاعلم أن الولاية على

هذا الوجه أمر عظيم لا يمكن صاحبها أن ينهمك في المباحات والشهوات من الحلال فضلاً عن الوقوع في صغائر الذنوب وإنما قالوا بجواز صدور أمثال ذلك عن الولي، احترازاً من مشاركة الأولياء للأنبياء في العصمة التي لا يجوز معها صدور الذنوب بحال.

واعلم أن الجائز غير الواقع وليس كل جائز بواقع. ولو فرض وقوع مثل ذلك عن الولي الخاص انحط به انحطاطاً عظيماً وربما سلب حاله ومقامه.

يدل على ذلك: أن بعض أهل هذه المقامات وقعت منهم أشياء من المباحات فحجبوا بها عن مقاماتهم وانحطوا بها عن درجاتهم كما يعرف ذلك من سبر سيرهم.

وقد أوضحنا هذه المسألة بسؤال بعض السائلين عن قريب من سؤالكم هذا وذلك في أوائل الفتاوى المجموعة مما سئلنا عنه، بجمع السيد الجليل أحمد بن زين الحبشي.

فإن كانت عندكم فانظروا فيها، وإلا فما ذكرناه لكم في هذا الجواب المجمل يكفي ويغني.

والذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها أقذار وأدناس وأوساخ قد طهر الله منها أولياءه وحجزهم عنها ورفع أقدارهم عن أن تخطر لهم أو تميل إليها نفوسهم فضلا عن ملابستها

والوقوع فيها. وإنما الذنوب التي يقع في كلام بعضهم أنه يقع في شيء منها، ذنوب في الطاعـات وفي المقامـات تـعرض لهم فيسمونها ذنوباً على حسب درجاتهم الرفيعة وأقـدارهم المنيفة، من حيث إن حسنـات الأبرار سيئـات المقربين.

ولعلك وقفت على شيء من ذلك في كلام بعضهم عند اعترافهم بتقصيرهم وتواضـعهم لربهم وسقوط أقدارهم عن مشاهداتهم.

فاعرف هذه الجملة فإنها مهمة وقـد يغلط فيها من لم يحقق هذه العلوم وترسخ قدمه في مقامات أهل التحقيق وأين أين الثريا من الثرى! وأين أين المزابل من مجالس الملوك!!

خذ ما عرفت ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحـل

والله يتولانا وإياكم بحسن ولايته. ويلحظنا دائماً بعين عنايته

(١٢٩) **وسأله** رضي الله عنه بعض الخواص في أثناء مكاتبته عما سيأتي.

فأجابه فقال: وصل كتابكم المبارك الشامل للفنون من المعارف واللطائف، الشاهدة لكم باستقامة اللسان والجنان والجمـع بين لطائف إيراد المعاني في قالب حسن البيان.

ومن جملة ما ضمنتموه كتابكم الإستشارة فيمن أذن له شيخ كامل، في أن يلبس الخرقة، فلم ير ذلك المأذون له أنه أهل لذلك، فهل له أن يلبس ثم أتبعتم ذلك بمسائل نفيسة تطلبون منا جواباً عليهم.

والحال أنّا نجيبكم في هذا الوقت الحاضر، على المهم منها، بجواب واضح وجيز ثم نسعفكم إن شاء الله من العام القابل بالجواب المبسوط المستوفي، لأن كتابكم لم يصل إلينا إلا قرب السفر ووافق في الوقت تفرقة، وعوارض صورية مؤثرة في عالمها التي هي مظهره.

إذا تقرر هذا، فلنشرع في الجواب الوجيز على المهمات من جملة المسائل فنقول: يجوز لمن أذن له الشيخ المعتبر أن يلبس الخرقة، وإن لم ير نفسه أهلا لذلك وعدم رؤيته الأهلية في نفسه زيادة في كماله، ويجبر ما يكون فيه من نقص إن كان وعليه مراعاة الشروط التي اشترطها عليه شيخه في الإلباس وفي من يلتمس منه إن اشترط عليه شيئاً. وله أن يقيم من رأى أهليته لإلباس الغير ويتأكد عليه ذلك، أعني الإلباس والإقامة جدا، مهما خاف اندراس ذلك الطريق من تلك السلسلة.

وله أن يحكم لشيخه تأدباً معه، ويكون هو الواسطة بين الشيخ وبين اللابسين من يده.

وأما الذي يظهر لنا من كلام سيدنا القطب العارف أبي بكر بن عبد الله العيدروس علوي له تحكيمنا يعني والده أي أنه شيخنا المطلق المحقق الذي تحكيمنا منه وله وبه اقتدينا وانتظمنا في سلك طريقه، وليس كما ظهر للشيخ بحرق.

وأما لبس سيدنا المقدم من الشيخ أبي مدين فهو ليس من يده. والشيخ عبد الله الصالح وعبد الرحمن المغربي واسطتان بينهما. كذلك ذكر الأشياخ.

(١٣٠) **وأما قولكم**: هل يجوز تعليم العلم لمن يخشى على نفسه الرياء في التعليم؟

فأقول: نعم يجوز له وربما تعين عليه في العلم العيني، يعني عند فقد من يقوم به وعليه مع ذلك أن يجاهد نفسه في ترك الرياء، والإتصاف بالإخلاص ويتوب ويستغفر من العوارض والخطرات التي تخطر له في ذلك.

ويود الشيطان اللعين لعنه الله: أن يترك المسلمون العلم والعمل والأمر والنهي بهذا التلبيس.

والغالب أن من يخشى الرياء لا يكون مرائياً. وأما المرائي المصر على الرياء فلا ثواب له وربما أثم مع فوات الثواب ولا يؤجر على التعليم ولا على الدلالة على الهدى والدعوة إلى الخير. إذ كل ذلك من التعليم.

نعم أرجو أن ينفعه الله بدعاء المتعلم واستغفاره إن دعا له واستغفر.

وقد اشبع الكلام في أحكام الرياء إمامنا وإمام أهل الإسلام سيدنا الغزالي في الإحياء في الكتاب الثامن من المهلكات. فتأملوه وضموا إليه النظر في كتاب الإخلاص السابع من المنجيات فهنالك الشفاء من كل داء.

(١٣١) **وأما قولكم** في أجسام أهل الجنة وكلامهم: أيكون على المعهود من أجسامنا وكلامنا في هذه الدار؟ أو على وجه آخر؟

فأقول: نعم هو على المعهود من أجسامنا وكلامنا وطعامنا وشرابنا إلى آخر ما نتعاطاه، لا يجوز أن يعتقد غير ذلك على ظاهر ما ورد في الكتاب والسنة من غير تأويل، إلا أن أجسام أهل الجنة تكون أعظم من هذه الأجسام كما ورد وتكون مدركاتها أوسع بكثير. حتى بلغنا أن الشخص من أهل الجنة ينظر ببصره إلى مسافة سبعين سنة من كل جهة، ولهم في النكاح والأكل وغيرهما اتساع عظيم يليق بذلك الموطن.

وأما من يعتقد أن أجسام أهل الجنة وكلامهم ولذاتهم، تكون من قبيل المعاني والمدركات الروحانية، فهو معتقد بمعتقد الفلاسفة. ذلك معتقدهم في هذا الأمر.

قال حجة الإسلام: جميع ما ورد في أمور الآخرة،

يحمل على الظاهر المعهود من غير تأويل. وجميع صفات الله مما يوهم التشبيه وينافي التنزيه فهو على المذهبين إما السكوت عن التأويل مع اعتقاد التنزيه وهو مذهب السلف. وإما الخوض في التأويل وحمل ما ورد على ما هو اللائق بجلال الله وقدسه، انتهى بمعناه ومذهبنا في ذلك مذهب السلف.

(١٣٢) **وأما قولكم في الأطفال**: فأطفال المسلمين في الجنة.

والذي نراه في أطفال المشركين، الوقوف وعدم الجزم بدخولهم الجنة أو النار، لإختلاف كثير وقع في شأنهم. لعله لا يخفاكم.

وحال أطفال المسلمين في الجنة على أكمل أحوال الطفولية وأتممها، إذ لا نقص في الجنة لأنهم كمثل البالغين العاملين، هذا ما ظهر لنا ولم أقف إلى الآن على شيء في ذلك.

وثواب أعمال أطفال المسلمين في صحائف آبائهم وهم في درجاتهم. وحيث لم يتأهل الآباء لذلك بسبب كفر أو نحوه. فيكون لمن فوقهم من الآباء كالجد وإن علا، أو القائم بتربية الطفل وتأديبه من قيِّم وسلطان عادل. إذ موجب الإستحقاق في جعل الثواب للآباء، أمران: أحدهما أمر الولادة. والثاني القيام بالتربية والتأديب.

وإذا أهدي للطفل شيء من قراءة ونحوها لحقه، فإما

أن يكون زيادة له في حسن الوجه ونوره ونحو ذلك. أو يكون لمن ثواب أعماله له ممن تقدم وعائدة ذلك على الطفل.

وإذا أهدي ثواب شيء لإنسان حي صار إلى صحائف حسناته. وإن لم يتأهل المهدَى له حياً أو ميتاً للإهداء بسبب شرك ونحوه فيعود إلى المهدي كأنه لم يهده.

وهذه الأمور التي ذكرناها منزعها الإجتهاد والرد إلى الأصول والقواعد وقل أن تجد في أمثال هذه الأشياء نصاً واضحاً من كتاب وسنة، وغاية ما تجد إن وجدت مقالاً لأحد من العلماء يكون مستنده ما ذكرناه من الإجتهاد.

(١٣٣) **وأما قولكم** في كلام الشيخ ابن الفارض في البيت من التائية وما في معناه من كلام جماعة من الطائفة الصوفية، ربما يوهم من القائل تفضيل نفسه أو غيره، من غير الأنبياء على الأنبياء عليهم السلام فغير خاف عليكم إن إجماع الأمة منعقد على تفضيل الأنبياء على غيرهم مطلقاً.

وهذه الطائفة أشد الناس تمسكاً بالحق وأعظمهم اتباعاً للكتاب والسنة. والذي ينسبهم إلى الإفراط والغلو أصدق من الذي ينسبهم إلى التفريط والإضاعة. وإن كانا أعني الناسبين مخطئين جميعاً فاعلم هذه الجملة حقها.

نعم فاضت على ألسنة رجال منهم من أرباب الأحوال

الغالبة، كلمات توهم هذا الأمر الذي ذكرته وغيره، وهي محتملة للتأويل من وجوه كثيرة.

وأحسن وجوهه أن يحمل ذلك على الغلبة والإستغراق وسقوط التمييز وخروج الأمر عن الإختيار المنوط به التكليف.

ويكفي على ذلك شاهداً من الحديث الصحيح، قوله عليه السلام: في مثل فرح الله المقدس بالتائب، وأنه كمثل الذي ضاعت راحلته حتى قال عليه السلام قال: من فرحه عند وجود راحلته بعد الإياس منها: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح. وهذا كفر صريح لو قاله معتقداً عن تمييز فلم يعدّ شيئاً لما غلب عليه من الفرح ما استولى على تمييزه.

والشواهد على ذلك كثيرة جداً وهو أحسن المحامل لأهل الله في هذا الباب وهو واسع جداً وإن قدر الله جواباً أوسع من هذا، بسطنا الكلام على هذه المسألة فإنا بالأشواق والحاجة إلى ذلك وإن لم يقدر الله. ففي ما فتح به وأجراه في هذا المكتوب، تذكرة وتبصرة للنبيه واللبيب.

وأما البليد الأحمق والحاسد المنكر، فلا يزيد البيان فيهما إلا قساوة وجفاء هذا لحماقته لا يعقل وهذا لحسده وإنكاره لا يعترف ولا ينقاد. والتوفيق بيد الله.

(١٣٤) **وسأله** الشيخ الفاضل الفقيه الصوفي عبد الله بن محمد با عثمان العمودي عما وقع في كتاب لطائف المنن من انقسام الناس فيما إذا ظلموا إلى منتقم لنفسه وغير منتقم إلى أن ذكر القسم الرابع، وهم الطبقة العليا حتى قال: ومن هذا ما اتفق لإبراهيم بن أدهم.

ثم قال فقال الشيخ أبو العباس: ليس هذا عين الكمال، بل ما فعله الصحابي سعيد بن زيد أحد العشرة هو عين الكمال ادعت عليه امرأة الخ.

قال السائل: وظهر لي أن فعل إبراهيم بن أدهم هو عين الكمال. وفعل الصحابي عين الكمال أيضاً لأن الجناية مختلفة، إذ نسبت المرأة المرأة المذكورة أحد سادات الصحابة إلى الظلم على ملأ من الناس بين يدي أمير. فكان الكمال ما فعله رضي الله عنه ليظهر براءته وكذبها وأما الجاني على إبراهيم فقد جنى على عضو منه مع جهله بعين المجنى عليه هذا حاصل السؤال.

(١٣٥) **وسأله** أيضاً عن مسألة في الفناء ذكرها المصنف في كتابه المذكور، نقلا عن شيخه أبي العباس أيضاً ويظهر في الجواب.

فأجابه رضي الله عنه بقوله: وأما ما سألتم عنه وقد استشكلتموه وهو ما وقع في كتاب لطائف المنن للشيخ

ابن عطاء الله الشاذلي رحمه الله وقد ذكر شأن إبراهيم بن أدهم رحمه الله مع الذي ضرب رأسه فعفا عنه الواقعة.

وأن الشيخ أبا العباس المرسي رحمه الله يقول في ذلك: إن شأن سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة من أصحاب رسول الله ﷺ: في أنه دعا على المرأة التي ادعت عليه، أنه اغتصب شيئاً من أرضها والرواية في ذلك مشهورة أكمل من حال إبراهيم في عفوه. فنعم الأمر كذلك والوجه منه على حسب ما قد فهمتموه وظهر لكم.

والحاصل أن فعل إبراهيم هو الأحسن والأولى على العموم والإطلاق، وبذلك جاءت أدلة الشريعة بالترغيب في العفو مطلقاً، حتى يعرض مثل ذلك العارض الذي وقع في شأن سعيد بن زيد وذلك قليل ومخصوص.

ووقع مثل ذلك أو قريباً منه لسعد بن أبي وقاص أحد العشرة أيضاً مع رجل من أهل الكوفة، قال فيه ما يقدح في دينه وأمانته رضي الله عنه فدعا عليه واستجيب له فيه، وكان مستجاب الدعوة، والوقائع في ذلك متعددة من الصحابة والتابعين ولكنها قليلة بالنسبة إلى ما روي في الصفح والعفو عن الأنبياء والأئمة وعباد الله الصالحين.

والوجه فيه ما قد ظهر لك، إن كان الواقع يرجع إلى نفس الإنسان ودنياه فالعفو فيه هو الوجه والأحسن.

وإن كان شيء يرجع إلى الدين وحرمات الله وما أشبه ذلك فالوجه فيه المؤاخذة، وقد روي ذلك كله عن رسول الله ﷺ من أقواله وأفعاله، كما يعرف ذلك من تبحر في السنة النبوية.

وأما ما استشكلتموه في الكتاب المذكور من قول المؤلف عن شيخه المذكور: أنه لا بد أن تبقى مع الولي في فنائه لطيفة علمية، عليها يترتب التكليف الإلهي فذلك كذلك ولكن ليس هو في كل فناء مطلقاً، بل يكون ذلك في أوائل الفناء وقبل استحكامه ويكون أيضاً في أواخر الفناء إذا شارف الإنسان حال البقاء.

وأما الفناء الذي يكون معه الإصطلام والإستغراق فليس يبقى معه شعور. ولكن هذا الفناء قلَّ ما يدوم وليس هو بأفضل أحوال الفناء ولا يصح من الإنسان التعرض له، إلا إنه قد يقع من غير طلب له ولا قصد فيعذر من قام به من أهله.

وقد ذكر القشيري في الرسالة عن بعض المشايخ أنه دخل بيته في وقت مجاعة فرأى في البيت شيئاً من الطعام، فقال: يكون هذا في بيتي والناس بهذه الحال من الفاقة فغشى عليه واختلط عقله فلم يكن يعود إليه الشعور والتمييز إلا في أوقات الفرائض من الصلوات، ثم يعود إليه ذلك

الحال فقال القشيري في شأن ذلك الشيخ: إن هذا من الحفظ الإلهي والذهاب في الله المحمود، هذا معنى الحكاية وحاصلها.

وجملة الأمر أن في الفناء أحوالاً فاضلة وليست بغالبة. وفيه أحوال تغلب وتستولي على العبد حتى يفنى عن نفسه أولاً ثم يفنى عن فنائه.

وليست هذه الأحوال بالأحوال الفاضلة على الإطلاق. والكلام في ذلك يطول.

وقد ذكر القشيري في الرسالة والسهروردي في العوارف من حال الفناء ما هو أبسط من هذا فانظروه وفيما ذكرناه كفاية لمن فيه كمال فطنة ونباهة مثلكم والله أعلم.

وذكرتم أنكم مشتاقون إلى الزيارة والإجتماع وأنه يمنعكم من ذلك تعلق الوالدين وشجن يحصل عليهم بغيبتكم عنهم لا سيما الوالدة، فذلك عذر.

وقد أخر أويس القرني رحمه الله، عن الإجتماع برسول الله ﷺ والصحبة له قيامه على والدته براً بها وتعطفاً عليها. فكان ذلك مزيداً في فضله، من وجه غير الوجه الذي فضل به الأصحاب غيرهم.

والفضائل كثيرة ووجوهها متعددة. وفي الحديث:

«ففيهما فجاهد» لمن استأذنه عليه الصلاة والسلام في الجهاد، وفيه: «ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما»، للذي قال له: أتيتك وتركت والديَّ يبكيان.

وفي الحديث أيضاً الذي ذكر له أمه فقال له: «الزم رجلها فثمَّ الجنة».

ومن الدين مهم وأهم وما يتمكن منه الحريص عليه مع البعد الجسماني. ومنه ما ليس كذلك، ومن علم وفهم واتقى وأحسن لم يخف عليه سبيل التفرقة بين المهمات والفضائل والأولى والأحسن، والله تعالى يشرح صدورنا وصدوركم للإسلام والإيمان ويجعلنا من المتحققين بالتقوى والإحسان لنفوز منه بمعيته ومحبته. ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾. ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح﴾ إلى قوله تعالى: ﴿والله يحب المحسنين﴾.

(١٣٦) **وسأله** بعض أصحابه من السادة عن كلام للشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني نفع الله به. وهو قوله رضي الله عنه: كل طور بين الناسوت والملكوت فهو شريعة. وكل طور بين الملكوت والجبروت فهو حقيقة. وكل طور بين الجبروت واللاهوت فهو معرفة انتهى.

فأجابه رضي الله عنه:

أعلم أن الناسوت إشارة إلى عالم الإنسان الحسي

والملكوت إشارة إلى عالم الغيب من الإنسان وغيره والطور الذي بينهما يسمى عالم الملك والشريعة من هذا العالم، لأنها عبارة عن القيام بالحق وإثبات الحركات والأسباب من حيث أثبتها الله تعالى.

والطور الذي بين الملكوت والجبروت حقيقة والملكوت هو كما تقدم: عالم الغيب والجبروت من ذلك العالم، غير أنها خصوصه والملكوت عمومه. والحقيقة عبارة عن شهود الأشياء كلها بالله ولله ذوقاً وكشفاً. والجبروت تقدم: أنه أخص من الملكوت. واللاهوت إشارة إلى الأسماء والصفات والذات الإلهية والمعرفة إشارة إلى المشاهدة لها والمكاشفة بحقائقها.

فمن قام ظاهراً بالشريعة وتحقق باطنا بالحقيقة وشاهد بعده أنوار الأسماء والصفات والذات العلية، فهو الرجل الكامل.

فالشريعة إسلام وهي الإنقياد لله. والحقيقة إيمان ويقين وهي الإخلاص لله والمعرفة إحسان وهي الفناء بالله وفي الله.

وهذا بعض ما ظهر في الوقت من معنى هذا الكلام، مختصراً والعلم عند الله والله أعلم.

(١٣٧) **وسأله** بعض الفضلاء من أهل المدينة الشريفة،

عما ذكره الشيـخ العارف بالله تعالى محمد بن عربـي، في كتابه الفتوحات من التأويل لقوله عليه السلام، في حديث الدجال: «يوم كجمعة ويوم كشهر». الحديث.

يقول: أي الشيـخ ابن عربـي، في معنى ذلك: إن الغيوم تكثر في ذلك الزمان إلى آخر ما ذكره. وإن السائل استشكل تأويل الحديث بذلك.

فأجابه رضي الله عنه، ونفع به، بما لفظه بعد كلام سبق.

وذكرتم أن لكم عناية ورغبة في مطالعة كتب الشيـخ العارف الصوفي محيي الدين محمد بن علي بن عربي وأنكم استشكلتم تأوليه الذي أول به معنى الحديث المذكور في مدة الدجال وخشيتم أن يكون ذلك مما دس على الشيـخ في مؤلفاته، حيث قام عندكم الإشكال فيه.

فاعلموا أن المشكلات الواقعة في كتب الشيـخ سيما الفصوص والفتوحات منها كثيرة. فإما أن تكون دست على الشيـخ وإما أن تكون برزت منه في حين غلبة حال، واستيلاء سلطان حقيقة فيكون من الشطح الذي يعذر فيه من غلب عليه من أهله.

وإما أن يكون الشيـخ أبداها، موريا بها عن أسرار

ومعاني تدق عن العبارة فكانت القوالب والصور غير مستقيمة وهي لأرواح وحقائق صحيحة قويمة لا يعدو كلام الشيخ الذي أشكل أحد هذه الثلاثة المعاني إن شاء الله تعالى. والشيخ من أهل الأقدام الراسخة في العلوم والمعارف والتقوى لله والزهد في الدنيا.

فليس يسوغ لأحد يخشى الله يعلم من حال الشيخ ما ذكرناه، ثم يتهمه بزيغ عن الحق، كما وقع في ذلك بعض أهل الجرأة والإقدام على ما لا يجوز الإقدام عليه.

فإذا طالعتم كلام هذا الشيخ وعرض لكم ما تستشكلونه فسلموه ولا تبحثوا عنه، ولا تطلبوا لحل اشكاله التأويلات البعيدة فتحصلوا على التعب المجرد.

هذا ما نشير به عليكم وعلى كل من ينظر في كتب هذا الشيخ وكتب أمثاله من أرباب الحقيقة التي أبدوها في كتبهم. ومن لم يمتثل ويأخذ بما ذكرناه لم نأمن عليه من الوقوع في الغلط الأكبر أو الأصغر. والله تعالى يثبتنا وإياكم بالقول الثابت ويجعلنا ممن عرف الحق فلزمه وتمسك به، وعرف الباطل فاجتنبه واطرحه.

وتأملوا هذه الكلمات فإن تحتها تنبيهات مهمة يحتاج في إيرادها إلى تطويل يضيق عنه هذا المكتوب. وخير الكلام ما قل ودل.

(١٣٨) **وسأله** السيد أبو بكر بن علي بن إبراهيم البيتي عن قول الشيخ يحيى بن معاذ الرازي: أترك الدنيا كلها تجدها كلها وتركها في أخذها وأخذها في تركها.

فأجابه رضي الله عنه: هو كلام واضح وليس فيه أدنى غموض. ومعناه: أن من ترك الدنيا كلها زهداً فيها، عوضه الله راحة في قلبه بترك الحرص والإهتمام وفي جسمه بترك السعي والطلب.

وقصد الإنسان العاقل من الدنيا في الدنيا أن يكون كذلك. ولطلبه وقصده يسعى الناس ويحرصون في ظواهرهم وبواطنهم ولكنهم يخطئون الطريق إلى ذلك فلا يظفر به منهم إلا الزاهدون. ويكاد يشير إلى ذلك قوله ﷺ: «الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن».

وقد سُئِلَ بعض الحكماء عن الدنيا لمن؟ فقال: لمن تركها. وعن الآخرة لمن؟ فقال: لمن طلبها.

(١٣٩) **وسأله** السيد المذكور عن قوله سيدنا أبي بكر الصديق، في وصية لعمر رضي الله عنهما، حين أستخلفه على الناس: وأعلم يا عمر أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار.

فأجابه رضي الله عنه بقوله: هو واضح أيضاً لأن

الأعمال تكون مؤقتة في الغالب فلا تُقبل إلا في أوقاتها. فإن تدوركت بالقضاء كان لها حكم آخر يحتاج إلى شرائط في قبولها. وكذلك من أعمال النهار ما يتعلق بالخلق وأكثر حوائج الناس إنما تكون بالنهار فإذا فوتها الإنسان في وقتها من غير عذر لم يتقبل ذلك منه.

وأما قوله: وإنها لا تقبل فريضة حتى تؤدي النافلة فذلك بيِّن، لأن الفرض حق لازم والنفل تطوع زائد. وأداء الحقوق مقدم على التبرعات في الحقوق الحقية والخلقية إلا أن في ذلك تفصيلاً هذا إجماله.

(١٤٠) **وسأله** عن قوله عليه الصلاة والسلام: «يحشر الناس حفاة عراة غرلا»، أي غير مختونين. والحديث الآخر: «إن الأمة تحشر في أكفانها» وما وجه الجمع بينهما؟.

فأجابه أنه يؤخذ بالأصح من الحديثين أولاً فإن استويا في الصحة، فيكون الحشر في الأكفان مختصاً بهذه الأمة أو بخصوص منها. والأمة تأتي على معان كثيرة ولفظ الناس أعم من لفظ الأمة. وأظن أن حديث: يحشر الناس حفاة... الخ أصح من الحديث الآخر، مع كونه عاماً.

(١٤١) **وسأله** عن قراءة سورة الإخلاص في حال الختم: هل تقرأ ثلاثاً أو أربعاً أو واحدة.

فأجابه رضي الله عنه: الوجه أنها إما أن تقرأ مرة واحدة، كغيرها من السور وإما أن تقرأ أربعاً، مرة لحقها من الختمة المتلوة وثلاثاً على رجاء أن تكون كختمة ثانية.

فإن يكن في الختمة الأولى المتلوة شيء من التقصير، كان في حسن الرجاء أن يكفر الله ذلك بهذه الختمة المرجوة. ويكون الذي يقرؤها هو القاريء لا غيره فذلك هو الأحسن والأصوب. أي ويستمع الباقون لقراءته ولا يقرءون معه.

وقد ورد وصح عنه عليه الصلاة والسلام أن قراءة قل هو الله أحد مرة تعدل ثلث القرآن فقراءتها ثلاثاً تعدل ختمة وهذا هو الذي نقول به. إما أن تقرأ مرة وإما أن تقرأ أربع مرات وأما ثلاثاً فقط فلا وجه له، والله أعلم.

(١٤٢) **وسأله** الفقيه عمر بن عبد الله بن العفيف الهجراني: عن قول الشيخ الصوفي حسن بن أحمد با شعيب في شرحه على قصيدة الشيخ العارف عبد الهادي السودي رحمه الله التي مطلعها: غُرَيب مُطِرَت بلادك، حيث يقول في شرحه عند ذكر التجريد: نعم المطية التجريد لو شرع في البروز عن الستة وترك العشرة وقطع الأربعة وتوجه إلى الواحد.

فأجابه رضي الله عنه بقوله: أما الواحد فهو الله تعالى. وأما قوله في الستة والعشرة والأربعة فهذه أشياء من الأعداد قصدها الشيخ، وأشار بها إلى أشياء يتجرد عنها السالك.

وهي على الجملة من القواطع التي تكون أمامه أو العلائق التي تكون خلفه. ولا يمكن التخصيص لها إلا بالسماع من جهة الشارح لأنها كثيرة ولا يدري ما أراد منها. وعلى السالك الصادق أن يتجرد عن جميعها ويتوجه إلى الواحد الحق بمجموع باطنه وظاهره.

وأما قوله في شرحه على قوله من القصيدة: فارق العلائق. قال شيخنا: وهو يقصد به الشيخ القطب أبا بكر بن سالم علوي بينك وبين الله عشرة حجب الناس تسعة، والنفس والشيطان. وكل مانع حجاب واحد. فهذا أمر يختلف فيه السالكون.

ولعل الشيخ قصد به المخاطب أو الحاضرين عنده، حال قوله ذلك خصوصاً فإن الناس مختلفون في ذلك اختلافاً كثيراً، حتى إن منهم من لا يكون له إلا حجاب واحد هو نفسه. ومنهم من يكون له سبعون حجاباً وأقل وأكثر فلا يستقيم الحكم على الكل بالعشرة الحجب. ويكون الناس تسعة منها على الكل فافهم ذلك. هذا ما ظهر لي والله أعلم.

(١٤٣) **وسأله** الشيخ عبد الله بن سعيد العمودي: عن العارف هل ينكر شيئاً من حركات العباد؟

فأجابه رضي الله عنه: نعم ينكر منها ما أنكرته الشريعة المطهرة ويجب عليه ذلك كغيره من سائر المؤمنين

والمسلمين، على وفق ما فصلته الشريعة وحققه العلماء في مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما من حيث النظر إلى أفعال الله التي لا تذكر معها أفعال العباد، فليس ينكر العارف شيئاً منها حالاً ولا جوازاً وذلك عليه خصوصاً وعلى سائر المسلمين عموماً، لعلو مقامه وكمال حاله.

ومن لم يعرف المعروف الشرعي وينكر المنكر الشرعي، فقد عصى وأساء. وليس له قدم في شريعة ولا حقيقة. والفاني المستغرق الذي يكون مستوفي الباطن والظاهر بوارده له في ذلك حكم الذين رفع عنهم القلم من النائم ونحوه إلى أن يفيق ويرجع إلى تمييزه واحساسه.

فإياك أن تميل إلى قول من غلط وشطح. فإن بعض ذلك منهم أمر شنيع يكاد يقارب الزندقة والخروج من الدين.

(١٤٤) **وسأله** الفقيه الفاضل: عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي: عن كلام أشكل عليه وهو قول بعضهم: لا تكمل المعرفة للكامل حتى يعلم ماله وما منه وما فيه وما عليه ويقوم بذلك، ويعلم ما قد كان قبل التكوين وما لم يكن، وما سيكون قبل تكوينه وبعده، وما لم يكن لو كان كيف يكون ومتى كل ذلك يكون انتهى.

قال السائل: فجعل العلم بذلك من كمال المعرفة.

والذي وقع عندي أن المعرفة التي تصح أن يطلق على صاحبها اسم العارف: أن يعلم ما يجب لله سبحانه وتعالى وما يستحيل عليه، وما يجوز في حقه لا عن دليل وبرهان. بل من طريق الكشف والمشاهدة.

وأما ما ذكره من قوله: حتى يعلم ماله الخ، فهو من باب الإطلاع على بعض المغيبات وليس من شرط المعرفة.

وأما ما ذكره من قوله: ويعلم ما قد كان إلى آخره. فإنه وقع عندي في ذلك إشكال جداً لأن ذلك لا يكون إلا في حق الله سبحانه وتعالى وبتقدير وقوع شيء من العلم بشي من ذلك لبعض من اختصهم الله بأسراره، لا يكون ذلك شرطاً للمعرفة ولا لكمالها انتهى مقصود السؤال.

فأجابه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به بقوله: وأما ما وقفت عليه من قول بعضهم لا تكمل المعرفة للكامل الخ. وإن ذلك قد أشكل عليكم فالحال أنه مشكل.

فإن كان القائل له ليس من الأئمة المعتمدين في هذا الشأن فكلامه ذلك رد عليه، لما فيه من الإشكالات والأغاليط غير الواقعة ولا الجائزة.

وإن كان عن أحد من الأئمة الجامعين فيحمل ذلك منه على الشطح والغلبة أو على ضرب من التجوز وإقامة بعضيات الأمور وجزئياتها مقام جملها وكلياتها وذلك قد يجري في

كلامهم خصوصاً وفي كلام العرب عموماً، كما يعرف ذلك من له إمعان وتوسع في خصوص ذلك وعمومه.

والكلام الذي ذكرتموه في تعريف حال العارف كلام مليح مقنع. فتأملوا ما ذكرناه فإنه كلام مجمل وتحته تفاصيل تظهر بالتأمل الدقيق. والله أعلم.

(١٤٥) **وسأله** بعض المحبين فيمن يرى بعض الأولياء في المنام، ثم احتجب عنه ذلك هل ذلك لخلل في الرائي أم لسبب آخر؟ وما الذي يتدارك به ذلك الخلل ونحوه من العلاجات النافعة.

فأجابه نفع الله به: سألتم عن رجل كان يرى في المنام بعض الصالحين رحمهم الله ونفعنا وإياكم بهم. ثم انقطع عليه ذلك.

فاعلم أن الرؤيا من المبشرات كما في الحديث. وهي أيضاً من المنذرات الواعظات لمن اتعظ بها ونفعت فيه النذر.

فإذا كان يرى الإنسان ثم انقطع عنه ذلك فيدل على أنه نزلت درجته عن درجة من يبشر وينذر فينبغي له أن يتوب ويكثر من الإستغفار، ومن الصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام.

فقد قال بعض العارفين: من أنفع الأذكار لأهل هذا

الزمان بالخصوص: الإكثار من الإستغفار ومن الصلاة والسلام على النبـي المختار صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين.

هذا ما ظهر للفقير من الجواب في هذا الحين الذي قد تشوشت فيه القلوب وتفاحشت فيه الذنوب والعيوب. فنستغفر الله لنا ولكم علام الغيوب.

(١٤٦) **وسأله** بعض طلبة العلم: عن قول الشيـخ العارف أحمد بن عبد الله بن أبـي الخيار رحمه الله: محط حرف الزاي، وحضرة الدال حرف الكمال، والعز والفخار.

فأجابه رضي الله عنه بقوله:

بسم الله الفتاح العليم والحمد لله الجواد الكريم وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد الهادي إلى الصراط المستقيم.

هذه المسألة من علوم الإشارة والتعبير عنها بصريـح العبارة، لا يزيدها إلا غموضاً حتى أنه لو عبر عنها المشير نفسه لم يكن الأمر إلا كذلك.

وإن كـان المشير بهـا من أهـل الحقيقـة والتحقيق الجامعين بين العلم وسلوك الطريق، فليتبرك بسماع كلامه

ويعتقد الحق والصدق فيه، يحصل له بذلك الإنتفاع. وإن لم يفهم ما أشار إليه وأومى له.

ومثل هذا وقع كثيراً في كلام أهل الحق وفي كلام غيرهم أيضاً. وفي التسليم السلامة والخير كله في التحقق بالتقوى ولزوم الإستقامة والله أعلم.

(١٤٧) **وسأله** أيضاً عن طلب العلوم النافعة: بأي شيء يكون صادقاً في طلبه ومحسناً فيه؟ أذلك بكثرة قراءة الكتب؟ أو الإجتماع بالعلماء؟ أو بحسن الفهم والذكاء.

فأجابه أمتع الله به: بكل ذلك يكون صادقاً ومحسناً، بعد أن يكون على نية صالحة في طلب العلوم والإخلاص لله في ذلك، وقصد الإنتفاع والنفع.

ومن اجتمعت له في طلبه هذه الأسباب، كان طالباً نجيباً، يرجى له الفتح والتحصيل لما طلبه على وجهه.

ومن لم تجتمع له وكان حسن النية مخلصاً لله، كان له بطلبه نصيب. ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾.

(١٤٨) **وسأله** أيضاً عن الدعاء المستجاب: ما علامته. وعما سيتضح في الجواب.

فأجابه رضي الله عنه، ونفعني به بقوله: فليعلم أولاً

أن كل دعاء يـدعو بـه المؤمن المنيب المقبل على الله، مستجاب. غير أنه قد يعجل وقد يؤجل، وقد يعطيه الله بدل دعائه الذي دعاه به ما هو خير له منه نظراً من الله لعبده واختيارا. وعلى ذلك دلت الآيات والأخبار والآثار.

ثم إنهم ذكروا من علامات الإستجابه: قشعريرة يجدها الداعي، وبرودة في القلب عند طلب ما دعا به.

وأما من يستجاب لـه ومن لا يستجاب لـه لموانـع وعوارض، قد تعرض له فمن ذلـك: أكل الحـرام ولبسه والإصرار على ظلم العباد، والدعاء مـع الغفلة عن الله، لقوله عليه السلام: «واعلمـوا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل». ومنها أن يكون قاطعاً لأرحامه مشاحناً لبعض إخوانه المؤمنين وهاجراً لهم بغير حق.

وأما سؤال السائل عمن سأل ربه في حاجات، فرأى الإجابة في بعضها: هل يدل ذلك على حصول الإجابة في الجميـع؟.

نعم يدل ذلك على ذلك، من حيث الرجاء وسعة الجود الإلهي وحسن الظن بالله. وقد لا يدل لبعض أمور قد تقوم بالسائل أو بما سأل فيه. هذا ما ظهر من وجه الجواب في الوقت الحاضر، والله أعلم.

وهذه المسائل تحتاج إلى بسط لأنها مسائل مجملة، إذا

فُصِّلَ القول فيها امتد وطال وخير الكلام ما قل ودل. والله المستعان.

(١٤٩) **وسأله** عما يتعلق بجلسة الإستراحة وقد أجاب عنها جماعة من العلماء رحمهم الله قال: والذي مال إليه الخاطر ممن أجاب عنها منهم ما أجاب به الشيخ أحمد بن عمر الحبيشي والسيد محمد البرزنجي لأنه أبعد عن الحرج والإستقصاء المكروه، في أكثر الأمور.

وليعلم السائل أن جلسة الإستراحة قد اختلف العلماء الأوائل في كونها سنة أم لا والذي يقول: إنها غير سنة يقول إنما فعلها رسول الله ﷺ في آخر عهده حين ثقل جسمه وعسر عليه القيام من السجود.

ثم إن القائل بها يقول هي جلسة مختطفة، بقدر سبحان الله، حتى إن بعضهم يقول يطيل التكبير على اللام التالية مخففة من حين يرتفع من السجود إلى القيام منه. ولم يعَد ذلك تطويلاً لخفة هذه الجلسة.

فإذا كان الأمر كذلك فما عاد ينبغي للإنسان أن يطيل النظر بمثل تلك الوسوسة، ببطلان الصلاة وعدمه ومراعاة الخلاف إن كان ونحو ذلك.

وقد قال عليه السلام: «هلك المتنطعون». قالها ثلاثاً وليصرف المصلي معظم نظره وغاية اهتمامه، إلى حضور قلبه

في صلاته وخشوعه لله فيها وتفريـغ صدره عن وساوس الدنيا وأفكارها التي تستغـرقه في صـلاته وتصـده عن الحضور والخشوع فيها، والله أعلم.

(١٥٠) **وسئل** عما سيتضح في الجواب.

فأجاب بقوله:

وأما ما سألتم عنه من وجه إهداء ثواب الصدقة من الأموال إلى الأموات من الوالدين وغيرهما فذلك مما ينبغي. وقد ورد به الحديث. وهو أن يقول الإنسان بعد الصلاة على الرسول اللهم اجعل ثواب ذلك. ويسميه إلى روح فلان فقط. أو فلان وفلان.

وأما القراءة فقد اختلف العلماء في وصول ثوابها إلى الموتى.

والظاهر أن مذهب الإمام الشافعي رحمه الله المنـع وفي مذهب غيره كذلك. وقال بعض أصحابه: بوصول ذلك فليقل الإنسان: اللهم اجعل ثواب مـا قرأت من الحـزب الفلاني أو السورة الفلانية إلى روح فلان من والد وغيره.

وليكن ذلك في بعض ما يتصدق به وبعض ما يقرؤه من القرآن. وليدخر جل ذلك ومعظمه لنفسه. هذا هو الوجه عندنا والذي يدل عليه كلام العلماء في المسألة. وأما ما يقرؤه بالأجرة فيهب ثواب جميعه لمستأجره.

وأما ما سمعتموه من قول من يقول: واجعل مثل ثواب ذلك في صحائفنا فذلك دعاء يستجاب أو لا يستجاب.

وأما قول الملَك: آمين ولك بمثل ذلك فذلك خاص بدعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب فلا يقاس عليه غيره. والعامة يخطئون ويصيبون والخطأ في أقوالهم وأفعالهم أكثر من الصواب فيها. هذا ما نراه ونأخذ به. والله ورسوله أعلم.

(١٥١) **وسئل** عن قول الصوفية: نور العقل ونور العلم ونور الحق فهل هذه الأنوار أرواح مختلفة تحل في القلب أو لا شيء إلا نور العقل، ويكون هو كالمرآة ينتقش فيه أنوار العلوم والمعارف والواردات ويكون هو أصل الكل كناظر العين تنتقش فيه الأجرام فيفيد الناظر العلم بها. أفيدوا المشجون عن هذا السر المصون. انتهى كلام السائل على ما يتعلق بسؤاله.

فأجاب رضي الله عنه بقوله:

الحمد لله وقفنا على السؤال المبارك، وهو دال من سائله على النجابة والتعطش لمعرفة الصواب والإصابة والإجابة والإستجابة، فيعلم السائل وفقه الله: أن تعدد الأنوار غير مستغرب وقوعه كثيراً في كلام أهل التصوف وغيرهم وإيجادها كذلك.

والحاصل أن بين هذه الثلاثة المذكورة تغاير ما يقتضي

التعدد، وارتفاع بعضها على بعض. كما تقول: نور البصر ونور البصيرة ونور السريرة، فيظهر التعدد والتغاير. وفي نحو هذا المثال يقول القائل: السريرة هي البصيرة أو بينهما تغاير. فنقـول: بينهما عمـوم وخصوص فـالسريـرة أعم والبصيرة أخص.

ويطول الكلام في مثل ذلك. فقد ألف الإمام حجة الإسلام كتاباً سماه: (مشكاة الأنوار) ذكر فيه الأنوار ومراتبها وأشياء كثيرة دقيقـة من علوم الحق والحقيقة. والله أعلم وأحكم.

(١٥٢) **وسئل** عما سيتضح في الجواب.

فأجاب:

سألتم ــ أصلح الله شأنكم ــ عما وقع في حزب النور لسيدنا الإمام العارف أبـي الحسن الشاذلي رضي الله عنه: من ذكره السبعين والثمانية في مساق السؤال أولاً ثم في الإستعاذة ثانياً.

فالسبعون والثمانية المتوسل بها غير السبعين والثمانية المستعاذ منها لا محالة ثم إن للتأويل في الموضعين مجالاً رحباً. فيصح أن يكون العدد المذكور في محل السؤال من الأنبياء أو من الملائكة أو من أسماء الله الحسنى، إلى غير ذلك.

ويجوز أن يكون العـدد المذكـور في الإستعاذة من أخلاق النفس الأمارة. أو من الآفات الطارئة أو من الشياطين، إلى غير ذلك.

ونقول: ينبغي أن يكون قصد الداعي بـه على نية الشيـخ صاحب الحزب وقصد مراده الذي أراده. وذلك أوسع وأتم لأن الشيـخ من العارفين الأمناء أرباب العلوم اللدنية. والله أعلم.

(١٥٣) **وسئل** أيضاً كيف ينبغي أن يقرأ ويرتـب أحزاب سيدنا الشيـخ أبـي الحسن المذكور؟

فأجاب ـ أمتع الله به ـ بقوله:

أعلم أنه ذكر بعض العارفين في حزب البحر: أنه ينبغي أن يرتب بعد كل صلاة.

وذكر بعضهم وأظنه ابن بنت الميلق وهو من مشايـخ الشاذلية الجامعين: إنه ينبغي أن يقرأ حزب البر بعد صلاة الصبـح. وهو الحزب الكبيـر للشيـخ أبـي الحسن وسماه بالكيمياء الأكبر. وحزب النور بعد الظهر وحزب البحر بعد العصـر وحـزب التـوحيـد بعــد المغـرب وكلهــا للشيـخ أبـي الحسن. وحزب الحمد والشكر بعد العشاء وهو للشيـخ أبـي العباس المرسي تلميذ الشيـخ ووارثه.

نعم وينبغي أن يقرأ على أكمل الأحوال من الطهارة والإستقبال والخشوع وحضور القلب مع الله. فبذلك يحصل المقصود من الإنتفاع وتنوير القلب. وأيضاً فيقدم عليها ما ورد بعد الصلوات عن الرسول ﷺ من الآيات والأذكار والدعوات. فذلك ذكره المعتنون بهذا الشأن.

والسر: في صدق التوجه وعلو الهمة وصفاء القصد.

(١٥٤) **وسئل** عما سيتضح.

فأجاب: أما ما سألتم عنه من حال الثلاثة الذين جاءوا إلى حلقة الذكر فوجد أحدهم موضعاً فدخل فيها وجلس الثاني خلفه وأعرض الثالث.

وظاهر الحال أن الأول: محمود مستحسن الحال.

والثاني: غير بعيد منه لأن حياء الرب من عبده من وصف الكرم ولا ذمَّ معه.

والثالث الذي أعرض: مذموم منه الإعراض وقد ينتهي ذلك إلى الإثم، إن اقترن كبرا واستخفافا بالذكر وأهله.

فأما إن كان ذلك عن غفلة أو تساهل بالخير فما فوَّته على نفسه من ذكر الله له وثنائه وثوابه كافيه.

وأما حِلَق القرآن العظيم وكذا العلم النافع في الدين.

فنعم هي من حِلَق الذكر بالمعنى الأعظم لأن كل مطيع لله ومشغول بما يقرب إليه مريدا بذلك وجهه تعالى والدار الآخرة فهو من الذاكرين له تعالى. كذلك ذكر العلماء مثل الإمام النووي في الأذكار وغيره منهم.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «يصبح على كل سُلاَمَى من الناس صدقة» الحديث. فتلك صدقة ترجع إلى الشكر وحسن القيام به.

والظاهر لا إثم على من ترك ذلك ولكنه ينسب إلى الغفلة، ويوصف بالتقصير عن حق الشكر لله تعالى ولذلك قال ﷺ في بعض طرق الحديث فمن فعل ذلك فقد زحزح نفسه عن النار وفي بعضها: ويجزي عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى. وكل ذلك من الفضائل وفعل الخير الذي يقدم العبد لنفسه ويتقرب به إلى ربه لأن الخصال المذكورة في ذلك الحديث كلها من النوافل المقربة إلى الله. كما قال عليه السلام: فمن سبح لله وفعل وفعل وذكر أشياء من الخيرات المقربة إليه سبحانه عز وجل.

وأما قوله عليه السلام: «ابغوني في الضعفاء».

فهم المساكين والمستضعفون من صالحي المؤمنين وكان رسول الله ﷺ يحبهم ويجلس معهم. ويقول: إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿واصبر

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ الآية. وقوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ الآية.

وفي صدر سورة عبس ما ينبه على ذلك وشرح الحال فيه هذا ما ظهر في الوقت الحاضر وهو ما يدل عليه أقوال العلماء رحمهم الله. والله ورسوله أعلم.

(١٥٥) **وسئل** عن قوله عليه الصلاة والسلام: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه» إلى آخر الكلمات: هل يحصل من الثواب مثل ذلك، لمن قال في التكبير والتهليل كذلك.

فأجاب رضي الله عنه: المنصوص عنه عليه الصلاة والسلام لا يقاس بغيره. ولكن إن فعل ذلك عبد مخلص على وجه الرجاء ففضل الله واسع ولا بأس بذلك إن حصل الثواب الموعود على الأول. وإلا فلا يخلو ما قيس عليه من ثواب وأجر. إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. والسلام.

(١٥٦) **وسأله** بعض المحبين عن هذا المذكور.

فأجاب رضي الله عنه: سألت عن الخبر والأثر عن كل آية أن لها ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً. والمطلع بالتشديد، هو المرتقي.

وللعلماء في ذلك كلام طويل أشار إليه الإمام الغزالي

رحمه الله في الإحياء وفي الأربعين وأبو طالب المكي وصاحب العوارف فيما أظن وغيرهم. والكلام يطول في ذلك. والسؤال عنه غير مهم؛ لأن الكلام في الظاهر والباطن والحد والمطلع أكثره يرجع إلى العلوم الظاهرة.

وأما السؤال عن الذكر والدعاء الذي يقال عند التهجد، فنحن نفعله بعد الركعتين الخفيفتين وهو أحسن الأوقات له. وهو غير الذكر والدعاء الذي يقال عند الإستيقاظ، ومسح الوجه ورفع الرأس إلى السماء، فأنا أقوله عند الإستيقاظ وقبل الوضوء.

وقد رأينا صاحب تحفة المتعبد ذكر الدعاء الذي أوله: اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض إلخ في أدعية الإفتتاح، فلا وجه لذلك فيما يرى فليكن بعد الركعتين الخفيفتين.

وأما السور التي وردت قراءتها كل ليلة. مثل يس والجن والدخان والملك والواقعة فإن قرئت من أول الليل كان أمثل. وإن منع من ذلك عذر فيكون بعد الإستيقاظ. وعلى مثل ذلك نعمل إذا حصل العذر من سرعة نوم أو عذر آخر.

هذا ما نقوله في جواب هذه الأسئلة ونرى في الحال. والله ورسوله أعلم.

(١٥٧) **وسأله** عمر بن سالم با حميد عن هذا المذكور.

فأجابه نفع الله به بقوله: أما ما سألت عنه من أنهم يعجلون صلاة المغرب في هذا الشهر المبارك رمضان ويخشى الإنسان أنه إن أفطر على أكثر من الماء من نحو التمر يحتاج إلى مضمضة ومبالغة فيها، لإزالة أثره. فربما يفوته بسبب ذلك التكبير للإحرام أو أكثر منه.

فأما تعجيل الفطور وتقديمه على صلاة المغرب. فإنه السنة التي عليها العمل سلفاً وخلفاً ويحصل ذلك بالماء سيما إذا خاف الإنسان من فوات مثل ما ذكرت بسبب ما ذكرت.

وأما الفطر بالتمر ونحوه فتلك سنة أخرى. فإن تأخرت إلى بعد الصلاة بسبب ذلك العذر فالأمر قريب. والعمل عندنا على الفطر بالتمر ثم بالماء بعده، ثم الصلاة مع إعطاء كل شيء من ذلك ما هو من حقه.

(١٥٨) **وأما ما سألت** عنه من قول بعض العامة، عند سماعه لقول المؤذن آخر الآذان: لا إله إلا الله. فيقول السامع المجيب: نعم لا إله إلا الله، وأنك استحسنت ذلك. فهل ورد فيه شيء؟

فاعلم أنّا لم نسمع فيه من حيث الوارد بذكر، واتباع السنة هو الأحسن والأفضل. والعادات وإن استحسنت، فلا عمل عليها مع خلافها للواردات من السنة.

وسألت عن قول الخطيب في الإستسقاء، حيث ذكر

الثمار والزروع وادفع عنها كثير العاهات وكأنك توهمت أنه يدفع الكثير. فبقي البعض من العاهات، ولا سيما الكلمة ليس كما توهمت وإنما مجاز كلامه وادفع عنها العاهات الكثيرة. وقصد بالتكثير التكثير للعاهات لا التبعيض. ولكنه أخر العاهات وقدم كثيراً لموافقة السجع الذي هو أوقع في النفس سيما في الوعظيات. ولو قال: العاهات ولم يقل كثيراً ولا قليلاً كما قال في غيرها لكان مليحاً لكن هذا أملح من حيث الفصاحة والإيقاع. وله في بعض خطب رمضان قضيت فيك كثير الحاجات، يعني الحاجات الكثيرة فتأمله فإنه واضح.

(١٥٩) **وسئل** عما سيذكر في الجواب.

فأجاب بقوله رضي الله عنه: أما ما سألتم عنه من شأن المعاصي التي تقع من أهلها في شهر رمضان مع أن الشياطين مصفدون. فاعلم أنه ورد في بعض الأحاديث أن التصفيد خاص بالمردة منهم فإذا كان الحال كذلك فلا إشكال.

وإن كان عاماً فيهم فذلك من النفس؛ لأن النفس الأمارة بالسوء تعصي بمجردها وخصوصاً في بعض الأحوال وفي بعض الأمور المشتهاة لها. وقد ذكروا خاطراً مستقلاً عنه

يكون مثل ذلك وقد أشار الشيخ ابن عربي إلى شيء من ذلك.

وأما قولكم: إنه لا يصلي الصلاة الكاملة على الإطلاق إلا الإنسان الكامل الذي هو القطب الغوث.

فليس الأمر كذلك. فإنا نقول: أهل دائرة الولاية والخواص من المؤمنين يصلون الصلاة الكاملة غير أنهم يتفاوتون في الكمال فيها وفي غيرها من العبادات والتوجهات الإلٰهية.

ولكن يكون الإنسان الكامل أكملهم وأتمهم في ذلك، لأنه يقابل بوجهه الحضرة القدسية الخاصة التي هي حضرة الأحدية. فافهموا المقصود من ذلك فإن من كمل إيمانه كملت لله صلاته وعباداته.

والحمد لله والفضل لله يؤتيه من يشاء ويختص به من يشاء وهو ذو الفضل العظيم. والله أعلم.

(١٦٠) **وسأله** الفقيه الفاضل العالم العامل الشيخ المنور عبد الله بن عثمان العمودي، عما سيتضح من الجواب.

فأجابه نفع الله به وأمتعنا والمسلمين ببقائه آمين، بقوله: أما المسائل التي سألتم عنها في الكتاب السابق، الواصل صحبة الولد المنور سعيد فهي واضحة لا ينبغي أن

تخفى على مثلكم. ولكنا نتكلم عليها بكلام وجيز يحصل به حل الإشكال إن كان.

فأما سؤالكم عما ورد أن جنة عدن: قصر الجنة مشرفة على الجنان فهذا ليس في الذهن أنه قد مر بنا. ولكن المشهور في الفردوس والعدن: أنهما سرة الجنة وقصبة الجنة. وكل ذلك لا منافاة بينه ويمكن الجمع بين ما ورد إن صح بوجه قريب.

وقد ورد أن الفردوس أعلى الجنة، وأن سقفها عرش الرحمن وفي دعاء نبوي: اللهم إني إسألك الجنة التي ظلها عرشك ونورها وجهك وحشوها رحمتك.

وإذا سأل الله العبدُ المؤمن الجنة فقط كفاه، سيما إذا كان العلوم والأعمال والإخلاص فيها، على مثل أحوال المخصوصين من أهل هذا الزمان.

وقد بلغنا عن الإمام ابن المبارك رحمه الله أنه خرج على أصحابه يوماً فقال: اجترأت على ربي البارحة فسألته الجنة. وحديث الأعرابي: أمَا إني ما أحسن شيئاً من دندنتك ودندنة معاذ فإني أسأل الله الجنة وأستعيذه من النار. فقال عليه الصلاة والسلام: حولها ندندن الحديث بمعناه.

(١٦١) **وأما سؤالكم** عن قوله صلوات الله وسلامه عليه:

لو أوخذت وابن مريم بما كسبتْ هاتان، يعني السبابة والإبهام إلى آخره مع أنهما معصومان ورسولان كريمان. فهذا لا خفاء به فإن حق الله على عباده لا يستطيع أحد منهم القيام به، لا ملَك مقرب ولا نبي مرسل وللخصوص ذنوب يليق بمقاماتهم الرفيعة يرجع إلى النظرات والخطرات حتى في الطاعات والقربات مما لا يكاد أن يسلم منه البشر.

وانظر إلى قصة آدم وإبراهيم وداود وسليمان عليهم السلام المذكورة في القرآن وفي الأحاديث والآثار تعلم المقصود من قوله عليه الصلاة والسلام.

وقد أشرنا إلى تنبيه يسير من ذلك في جواب رسالة، كتب بها إلينا بعض السادة من أهل الشحر. ولعلها عندكم في مجموع الرسائل إن كان هناك. وفي حديث الشفاعة ما ينبه على شيء من ذلك حيث يذهب الناس إلى آدم ويصير الأمر إلى سيد المرسلين.

(١٦٢) **وأما سؤالكم** عن الحديث المذكور فيه: من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين إلى أن قال: ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين. وهو مشهور.

فالظاهر أن المشار إليه به: القيام بذلك في الصلاة من الليل؛ لأن أكثر قراءة السلف الصالح للقرآن بالليل. إنما هو في القيام به منها كما نقل ذلك عنه عليه الصلاة والسلام في

الأحاديث الصحيحة وعن سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

وأما القراءة في غير الصلاة من ليل أو نهار ففيها عنه ﷺ: أن الحرف بعشر حسنات وذلك في حديث صحيح وفيها أثر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أن من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة فله بكل حرف مائة حسنة. وإن كان في الصلاة وهو قاعد فخمسون حسنة وإن كان في غير الصلاة وهو على طهارة فخمس وعشرون. وإن كان وهو على غير طهارة فبكل حرف عشر حسنات. ومثل هذا لا يقوله الصحابي من نفسه. فله حكم المرفوع.

وفي الباب أحاديث يتوهم منها الإنسان التعارض. وأنها تجتمع للقاري أجور من حسنات متعددة. وهذا لا بُعد فيه ولا امتناع فإن فضل الله واسع. والناس متفاوتون في الدرجات في القراءة وغيرها. فاحمل التفاوت على التفاوت. ولكل درجات مما عملوا ولنوفينهم أجورهم وهم لا يظلمون.

(١٦٣) **وأما سؤالكم** عن حال أهل التخريب من الصالحين من عباد الله، أهل الجذب الرباني، الذين ذهبت عقولهم بحقائق ظهرت لهم، فلم يحتملوها وخشوا على أنفسهم من الشهرة وتأله الناس بهم فتستروا بشيء من ذلك.

فنقول: أما في هذا الزمان فكما قال القشيري في رسالته وتبعه الشيخ ابن عربي.

أما القشيري فقال:

أمـا الخيام فـإنهم كخيـامهم   وأرى نساء الحي غير نسائها

وأما ابن عربـي فقال: إنما قال القشيري هذا، حيث أدرك من ترسم برسومهم ولم يكن على هديهم وأما الآن فلا نساء ولا خيام. وقد ذهبوا اليوم وذهبت آثارهم ورسومهم. وما بقي إلا الخبر وعفو الله وحسن الظن بالمؤمنين خصوصاً وعموماً وقد صار الناس كلهم من أهل التخريب، فإنه لم يبق منهم إلا على الندور من يقيم التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج كما ترى وتسمع. والله المستعان.

فإن وجد أحد ممن يقال له أحد على هـذا الشأن المسؤول عنه ممن يعزى إليه صلاح وهو محافظ بعد إقامة التوحيد على إقامة الصلاة وما في معناها من قواعد الدين مجتنب للكبائر من الزنا والرياء وأكل أموال الناس بالباطل ومخالطة الظلمة والفساق المصرِّين. ثم وقـع في شيء من الصغائر المختلف في كثير منها مثل النظر إلى النساء الأجانب واستماع شيء من الملاهي، التي قد اختلف فيها وأمثال ذلك. فقد يسلم له حاله ويخلى هو وربه إيثاراً لجـانب السلامة، وفراراً من تكذيب الإنسان بما لم يحط به علماً؛ فإن لله تعالى في خلقه أسراراً. وربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم. وما أرسلناك عليهم وكيلاً. قل كل

يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً. والله أعلم.

وقد أملينا هذه الكلمات الوجيزة على هذه المسائل وهي تحتمل بسطاً وإن كانت واضحة.

ونستغفر الله ونفوض إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

وكان إملاء ذلك بكرة يوم الخميس من شهر ذي القعدة الحرام سنة خمس وعشرين ومائة وألف (١١٢٥ هـ).

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

الفهرس

عقيدة أهل الإسلام

للإمام شيخ الإسلام
السيد عبد الله بن علوي الحداد الحسيني
المتوفى ١١٣٢هـ - رحمه الله تعالى

ومعه مختصر شرح

العلامة حسنين محمد مخلوف
مفتي الديار المصرية - رحمه الله

مكتبة الهداية

عقيدة أهل الإسلام

الطّبعَـة السّـادسَـة
سَـنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م
طَبعَـة مكتبَة الهدايَة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

مكتبة الهداية
ص.ب: ٥٣٩٥ - ١٣
بيروت - لبـنان

عقيدة أهل الإسلام

للإمام شيخ الإسلام
السيد عبد الله بن علوي الحداد الحسيني
المتوفى ١١٣٢هـ - رحمه الله تعالى

ومعه مختصر شرح

العلامة حسنين محمد مخلوف
مفتي الديار المصرية - رحمه الله

مكتبة الهداية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا ومولانا محمد رسول الله، وعلى آله وأصحابه. ومن اتبع هداه.

وبعدُ، فقال قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾. وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ .وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ . وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾.

فالإسلامُ الذي جاء به سيدنا محمد رسول الله ﷺ هو الدِّينُ الذي ارتضاه الله لعباده، وهو دينُ الفطرة، والملة الحنيفيّةُ السمحة، التي لا نجاة لعبد إلا باتِّباعها اعتقاداً وعملاً.

وإن أهمّ مباني الإسلام الحنيف وعمادَ الدين الحق: هو (شهادة أن لا إله إلا اللَّهُ، وأن محمداً رسولُ الله ﷺ). وهي الكلمة الجامعة لما يجب على كل مكلف الإيمانُ به من العقائد في حق الله تعالى وحق رسوله ﷺ، ولذا جعلها الشارع ترجمةً عمّا في القلب من الإيمان، والتصديق واليقين ولم يقبل من أحدٍ الإيمانَ إلا بالشهادة بها.

وقد فصّل مضمونها، وأوضح مقصودها: الإمامُ المجدِّدُ شيخُ الإسلام الشريف: «عبدالله بن علوي الحداد الحسيني الحَضْرَمي الشافعي» المتوفى بمدينة «تَريم» إحدى مدن حضرموت في سنة **١١٣٢** هـ رحمه الله؛ فيما ذكره في خاتمة كتابه «النصائح الدينية» من (عقيدة الإسلام) التي أجمع عليها أهل السُّنة والجماعة، وهم

الفرقة الناجية المرضيِّة، ودَرَج عليها السلف الصالح من الأمة.

* * *

ولما كانت العقيدة الإسلامية هي الرأسَ بالنسبة للأعمال، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، والأساسَ الذي تتوقف عليه صحتُها والاعتدادُ بها، وكانت هذه العقيدة التي أملاها الإمام الحداد صافيةً نقيةً، واضحةً جليَّةً، وهي منهاج المؤمنين، وعُدَّة الأمن وسبيل النجاة يوم الدين: رأينا أداءً لواجب الدعوة إلى الله والنصيحةِ لعامة المسلمين أن نُفرِدها في هذه الوُريقات، ونَدْعُوَ المسلمين، (وخاصَّةً الناشئة) في المدارس والمعاهد إلى استظهارها، وتدبُّر معانيها، والتحصُّن بها من الضلالات الفَاشية، والأهواءِ الفاشية التي يروِّجها أعداء الإسلام في كل مكان وزمان كيداً له وكرهاً﴿ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟

﴿ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وناصر الحق والدِّين.

وإننا نهيب بالعلماء والوعَّاظ الذين حُمِّلُوا أمانة العلم والدعوة إلى الحق، والإرشاد إلى الهدى: أن يتخوَّلوا العامة شِيباً وشباناً في دروسهم ومجالس وعظهم بالقول فيها وشرح معانيها، شرحاً واضحاً مختصراً، لا تعرُّضَ فيه لمخالِفٍ معانِد، ولا لِمَا لا ضرورة تدعو إليه من تفصيلات واصطلاحات فنية، وبذلك ترسخ العقيدةُ الحقَّة في قلوبهم، ويُشرِق نورُها في صدورهم، ويكونون من المؤمنين باللَّهِ ورسولِهِ وكتابِهِ على بيِّنة ويقين، ومن السعداء الناجين يوم الدين.

* * *

ولدى الشروع في الطبعة الثانية لهذه العقيدة، فتح الملك العلاَّم، بهذا الشرح الموجز وخاتمته، فلله تعالى الحمد والمنة على هذا الإنعام.

واللَّهَ نسأل: أن يحفظنا من زَيْغ القلوب ووساوس الصدور، ونزعاتِ الأهواء، ومن جميع الفتن، ما ظهر

منها وما بطن، وأن يلهمنا الرشدَ والسَّداد، ويوفقنا لما به النجاة يوم التناد، ويفقهنا في الدين حتى نعلمه علم اليقين، ونكون في الآخرة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

كتبه
حسنين محمد مخلوف
مفتي الديار المصرية السابق
وعضو جماعة كبار العلماء

١٠ رجب سنة ١٣٨١ هـ
١٨ ديسمبر سنة ١٩٦١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام السيد عبدالله بن علوي الحداد نفع الله به:

الحمد لله وحدَه، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وبعد، فإنَّا نعلمُ ونعتقدُ، ونؤْمِنُ ونوقِنُ ونشهدُ[1] أنّ لا إلٰهَ إلّا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له[2]. إلٰهٌ عظيمٌ، مَلِكٌ[3]

---

(١) بين بهذه المتعاطفات: أنَّ العلم بهذه العقائد الآتية يجب أن يكون يقينياً جازماً عن نظر واستدلال. لا تشوبه شائبة من الجهل أو التردد، أو التقليد المحضِ أو الهوى.

(٢) «لا إله إلا الله» لا معبودَ بحق، ولا مستغنياً عما سواه، ومفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله تعالى، حال كونه «وحده لا شريك له» في ذلك. ويندرج في ذلك جميع العقائد المتعلقة به تعالى.

(٣) «ملك» ـ بكسر اللام ـ: ذو الملك والعظمة والسلطان، =

كِبيرٌ، لا ربَّ سواه، ولا معبودَ إلا إيَّاه. قـدِيمٌ أَزَلِيٌّ[1]، دائمٌ أبدِيٌّ[2]. لا ابتداءَ لأوَّلِيَّتِهِ، ولا انتهاءَ لآخِرِيَّتِهِ أَحَدٌ صَمَدٌ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لا شبيهَ لـه وَلاَ نَـظِيـرَ[3]، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

= متصرِّف في خلقه بالتدبير التام؛ قال تعالى: ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو الملك**﴾ «سورة الحشر».

(١) «قديم» لا ابتداءَ لوجوده «أزَليٌّ» ـ بفتح الزاي ـ: نسبة إلى الأَزل، وهو القدم.

(٢) «دائمٌ»: باق لا انتهاء لوجوده «أبديٌّ» نسبة إلى الأبد، وهو لغة الدائم، قال تعالى: ﴿**هو الأول والآخر**﴾ «سورة الحديد» أي الأول قبل كل شيء بلا بداية، والآخر بعد كل شيء بلا نهاية.

(٣) «أحدٌ»: منفرد في ألوهيته وربوبيته فلا شريك له فيهما. «صَمَدٌ» مقصود في الحوائج على الدوام لكمال قدرته «لم يَلد» فمن زعم أن له تعالى ولداً، فقد ضل وكفر. «كفواً» مثلاً وشبيهاً في ذاته وصفاته وأفعاله «سورة الإخلاص».

وأنّـه تعالى مُقَـدَّسٌ عن الزّمـان والمكـان[1]، وعن مشابهة الأَكْوان[2]، ولا تُحِيط به الجهاتُ[3]، ولا تَعْتَرِيه الحادِثات[4] مُسْتَوٍ على عرشـه على الْوَجْـه الّذِي قـالَهُ، وبالمعنى الذي أراده، استواءً يليقُ بِعِزِّ جلالِه، وعُلوِّ مَجْدِهِ وكِبْرِيائه[5].

---

(١) «مقدَّس»: مطهَّر منزَّه عن جميع النقائص، وسمات الحدوث، ومنها الزمان والمكان؛ فلا يقارنه زمان، ولا يحويه مكان. إذ هو الخالق لهما، فكيف يحتاج إليهما!؟.

(٢) «الأكوان»: المخلوقات التي أوجدها الله تعالى بقولـه «كُنْ»: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾، فلا يشابهها تعالى في شيء من أوجـه الشبـه ﴿ليس كمثله شيء﴾.

(٣) «لا تحيط به الجهات»: كقدّام وخلف وفوق وتحت، ويمين وشمال، إذ هي نسب حادثةٌ بحدوث الأشياء، والله تعالى قديمٌ أزليٌّ.

(٤) «لا تعتريه الحادثات»: لا تطرأُ عليه؛ كالأمراض والاحتياج، والحركة والسكون؛ والجوع والشهوة، ونحو ذلك مما يحدث للخلق وينافي الجلال والكمال الإلهي.

(٥) قـال تعـالى: ﴿الـرحمنُ على العـرش استـوى﴾ والإيمـان =

وأنه تعالَى قَرِيبٌ من كلِّ موجودٍ[1]، وهو أقرَب إلى الإنْسَـانِ مِنْ حَبْـلِ الـوَرِيـد[2]، وعلى كـلِّ شيءٍ رَقيبٌ

= بالاستواء واجب، وإنْ جهلت حقيقة العرش وكيفية استوائـه تعالى عليه.

ولما قام البرهان على تنزهه تعالى عن الحيِّز والمكان والجهة، كسائر لوازم الحدوث ـ وجب أن يكون استواؤه على عرشه لا بمعنى الاستقرار والتمكن، بل بالمعنى اللائق بجلاله تعالى.

(١) «قـريب:» أي بعلمه، فـلا يبعد عنـه شيء، لا قرب مكـان لاستحالته عليه تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿**وهو معكم**﴾ أي بعلمه المحيط، وقوله تعالى: ﴿**ونحن أقربُ إليه من حبل الوريد**﴾ أي بعلمنا، بقرينة قوله قبله: ﴿**ونعلم ما توسوس به نفسه**﴾، وقوله: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سـادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثـر إلا هو معهم**﴾ أي بعلمه المحيط، بقرينة قوله قبله: ﴿**يعلم ما في السموات والأرض**﴾.

(٢) «الوريد»: عِرق في باطن العنق يجري فيه الـدم ويصل إلى جميع أجزاء البدن، والحبل العرق وهو مثل لفرط القرب قال تعالى: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾.

وشهيدٌ(١)، حَيٌّ قَيُّومٌ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾(٢).

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٣). ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾(٤).

---

(١) «رقيب»: حفيظ لا يغفل **﴿وكان اللَّهُ على كـل شيء رقيباً﴾** «شهيد» عليم بما ظهر وما بطن، علم مشاهدة **﴿إنَّ اللَّهَ على كل شيء شهيد﴾**.

(٢) «حيٌّ»: متَّصف بالحياة الدائمة، التي لا بداية لها، ولا نهاية «قيوم»: عظيم القيام بتدبير خلقه «سِنَة»: غَفوة ونعاس، وهو النومة الخفيفة «آية الكرسي».

(٣) «البديعُ»: المبدع والمنشىء للأشياء بلا احتـذاء ولا اقتداء. «قضى أمراً»: أراده، قال تعالى: **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾** أي أحدث فهو يحدث.

(٤) «وكيل»: متصرِّف في كل شيء كيف يشاء، أو حفيظ عليه، أو شهيد «آية ٦٢ الزمر».

وأنه تعالَى على كلِّ شيءٍ قديرٌ[1]، وبكلِّ شيء عليم[2] ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[3] ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[4] ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[5] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ

---

(١) «قديرٌ»: متَّصف بالقدرة الأزلية التامة ﴿**إنَّ الله على كل شيء قدير**﴾ فلا شيء من الممكنات «وهي التي يجوز وجودها وعدمها» إلا وهو في قبضة قدرته، وتحت قهره وسلطانه.

(٢) «عليمٌ»: متَّصف بالعلم الأزلي ﴿**وهو بكل شيء عليم**﴾ يعلم أزلًا كل شيء، واجباً كان أو مستحيلاً، على وجه الإحاطة به على ما هو به دون سبق خفاء.

(٣) أي أحاط علمه بكل شيء: فلا تخفى عليه من أمره خافية «آخر سورة الطلاق».

(٤) أي أحصى عددَ كل شيء وحصله، وأحاط به «آخر سورة الجن»

(٥) «ما يعْزبُ عن ربك»: ما يغيب ويبعد عن علم ربك «من مثقال ذرة»: أصغر نملة، وتطلق الذرة على الهباءة «آية ٦١ يونس».

مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1]. ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[2]. ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

---

(١) «ما يلجُ في الأرض»: ما يدخل فيها من بذور وكنوز وموتى. «ما يخرج منها»: من نبات ومعادن وغيرها. «ما ينزل من السماء»: من أمطار وملائكة، وعذاب ورحمة. «وما يعرج فيها»: ما يصعد إليها من أعمال ودعاء وأرواح وغير ذلك. «وهو معكم»: مصاحب لكم بعلمه المحيط، حتى بالسرائر والخواطر النفسية «آية ٤ الحديد».

(٢) قال تعالى: ﴿**فإنه يعلم السرَّ وأخفى**﴾ «طه آية ٧»، والأخفى خواطر النفوس وأحاديثها. قال تعالى: ﴿**وأسرُّوا قولكم أو أجْهروا به إنَّه عليمٌ بذات الصدور**﴾.

(٣) «كتاب مبين»: هو اللوح المحفوظ؛ أو العلم الأزلي «آية ٥٩ الأنعام».

وأنه تعالَى مُريدُ للكائِنَاتِ[1]، مُدبِّرٌ للحادثات[2].

وأَنَّه لا يكونُ كائنٌ من خير أو شَرٍّ، أَوْ نَفْعٍ، أو ضُرٍّ، إلا بقَضائِهِ ومَشيئَتِه، فما شاءَ كان، وما لم يَشَأْ لَم يَكُنْ ولو اجْتَمَعَ الخلْقُ كلُّهم عَلَى أن يُحَرِّكوا في الوجـود ذَرَّةً أَوْ يُسَكِّنُوها دون إرادَتِهِ تعالى لعَجَزوا عنه.

وأنه تعالى سميعٌ بصيرٌ[3]، متكلِّمٌ بكلامٍ قديمٍ أزليٍّ

---

(1) «مريد»: متصف بالإرادة الأزلية، وهي تتعلق بإيجاد الأشياء الممكنة في أوقاتها المحددة لها، على وفق ما سبق به العلم الأزلي، فلا موجود منها إلا وهو مستندٌ إلى مشيئته. وصادر عن إرادته فهو تعالى: **﴿فعَّال لما يريد﴾**. **﴿يضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء﴾** **﴿فمن يرد اللَّهُ أن يهدَيهُ يشْرَحْ صدْرَهُ للإسلام وَمَنْ يُرِدْ أن يُضِلَّه يجعلْ صدْرَهُ ضيِّقاً حَرَجاً كأنَّما يَصَّعَّدُ في السماء﴾**.

(2) «مدبِّر»: متَّصفٌ بالتدبير والإحكام **﴿يدبرُ الأمر من السماء إلى الأرض﴾**.

(3) «سميع بصير»: متَّصف أزلاً بالسمع والبصر لجميع الموجودات بدون حاسة وآلة، لتنزهه تعالى عن مشابهة =

لا يشْبِه كلامَ الخلق(١).

وأنَّ القرآنَ العظيم كلامُهُ القديمُ، وكتابُه المنزَّلُ على نبيِّه ورسولِهِ محمدٍ صلّى الله عليه وسلم.

وأنهُ سبحانه الخالقُ لكلِّ شيء(٢)، والرازقُ له والمدبِّرُ

= الحوادث، فلا يعـزُب عن رؤيته هـواجس الضمير، وخفـايا الوهم والتفكير، ولا يشذُّ عن سمعه دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**.

(١) «متكلِّم»: متَّصف بكلامٍ أزلي قديم، ليس بصوت ولا حرف؛ فلا يشبه كلامُه كلامَ الخلق، كما لا تشبه ذاتُه الذوات، ولا وجـودُه وجودَ المخلوقـات، قال تعـالى: **﴿وكلَّم اللّهُ مـوسى تكليماً﴾** فله تعالى كلام هو صفة له أزلية قائمة بذاته تعالى، تتعلق تعلق دلالة بما يتعلق به العلم الأزلي.

(٢) «الخالق لكل شيء»: بقدرته من المواد والصور، والقـوى، والقدر والحسيّات والمعنويات؛ والعلم والمعلومات، وغير ذلك **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ ﴿الله خالق كل شيء وهو على كـل شيء وكيل﴾** فكـل حادثٍ في العـالم فهو فعله وخلقـه واختراعه تعالى لا خالق له سواه. ولا محدث له إلا إياه.

له، والمتصرِّف فيهِ كيف شاءَ؛ ليس له في مُلْكِه منازعٌ ولا مُدافعٌ، يُعطي من يَشاء، ويمنع من يشاء، ويغفِرُ لمن يَشاءُ، ويعذِّبُ من يشاء ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

وَأَنَّه تعالى حكيمٌ في فعلِهِ، عَدْلٌ في قضائه؛ لا يُتَصَوَّرُ منه ظلمٌ ولا جَوْرٌ، ولا يجبُ عليه لأحدٍ حقٌّ[1]؛ ولو أنه سُبحانه أهلكَ جميعَ خلقهِ في طَرْفَة عَيْنٍ لم يكن بذلك جائراً عليهم، ولا ظالماً لهم، فإنهم مِلْكُه وعبِيدُه، وله أن يفْعَلَ في ملكِهِ ما يَشاءُ، وما ربُّك بظلَّامٍ للعبيد، يُثيبُ عبادَه عَلَى الطاعاتِ فضْلاً وكَرَماً، ويعاقبُهُم على المعاصي حكمةً وعَدْلاً.

---

(١) بل الحق واجبٌ له على كل أحد، إذ هو سبحانه الربُّ المنعمُ المتفضِّلُ بالإيجاد والإمداد، والتدبير والإرشاد. والإنعام على جميع العباد ﴿وإن تعدوا نعمةَ الله لا تحصوها﴾.
وفي الحكم العطائية: «نعمتان ما خَرَج موجودٌ عنهما. ولا بد لكل مكون منهما: نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد».

وأنَّ طاعتَه واجِبةٌ على عِبادِهِ بإيجابه على أَلْسِنَةِ أنبيائه ورُسلِهِ عليهم الصَّلاة والسَّلامُ.

ونُـؤْمِنُ بكـل كتـاب أنـزلَـهُ اللَّهُ[1]، وبكـلِّ رَسُـولٍ أَرْسلَهُ الله وبملائكة الله تعالى[2].

وبالقَدَر خَيْرِه وشَرِّه[3].

* * *

(١) «ونؤمن بكل كتاب» إلخ: أي بأنَّ له تعالى كتباً أنزلهـا على رسله، على الوجه الذي يليق بجلاله وكماله، وحكمته وتدبيره فالمحرَّف منها بأيدي الأحبار والـرهبان لا يصـح نسبته إليـه تعالى، لعدم إنزاله على رسله، ولعدم لياقته بشأنه العظيم، ولا الإيمان به وتصديقه لعدم صحته وكونه حديثاً مفترى.

(٢) يجب الإيمـان تفصيلاً فيمـا ورد مفصلاً. وإجمـالاً فيما ورد مجملاً من الكتب والرسل والملائكة ﴿آمنَ الرسولُ بما أُنْزِلَ إليه من ربه والمؤمنونَ كلٌّ آمنَ باللَّهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ لا نفرِّقُ بين أحدٍ من رُسُلِهِ﴾ ﴿مِنْهم من قصصْنَا عليكَ ومنهم مَنْ لم نَقْصُص عليك﴾.

(٣) «وبالقَدَرِ خيرِهِ وشره»: أي ونؤمنُ بأنه تعالى قدَّر في الأزل ما =

ونشهد أنَّ محمداً عبـدُ اللَّهِ ورسولـه[1]، أَرْسَلَهُ إلى

= سيقع من الأشياء، خيراً كان أو شراً. وعلم أنه سيقع في زمان ومكان حددهما وعلى صفات مخصوصة أرادهـا؛ فهو يقـع حتماً فيما لا يزال بقدرته على حسب ما قدره وأراده سبحانه أزلاً، وحسبما اقتضته حكمته تعالى: **﴿إنَّا كل شيء خلقنـاه بقدر﴾ ﴿خلق كل شيء فقدَّره تقديراً﴾، ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾** فهو واقع منه تعالى خلقاً وإيجاداً، ومن العبد فعلاً، واكتسـاباً، ولـذا يثاب عليـه ويعـاقب **﴿ومـا بكم من نعمـة فمن الله﴾، ﴿قـل لن يصيبنا إلا مـا كتب الله لنا﴾** أي قـدَّره وقضاه **﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم﴾ ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هـذه من عند الله، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك، قل كلٌّ من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾**.

ومن الأدب في غير مقام التعليم والبيان: أنْ لا ينسب الشر إليه تعالى وإن كان هو الخالق المقدِّر له ـ فافهم.

وأما القضاء من الله تعالى: فهو فَصْل الأمر بعد تقديـره، فهو أخصُّ من القدر. وقد قيـل إنَّ القدر بمنـزلة الشيء المعـد للكيـل، والقضاء بمنزلة الكيل.

(١) في الصحيحين: «ما من أحدٍ يشهـدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّ =

الجنِّ والإنس، والعَرَب والعَجَم ـ بالهُدَى ودِين الحق[1]، لِيُظْهِرَه على الدين كلِّه ولو كَرِه المشركون.

وأنَّه بلَّغ الرسالةَ وأدَّى الأمانَة، وَنَصحَ الأمّةَ، وكشَفَ الغُمَّة[2]، وجاهَدَ في الله حقَّ جهادِه، وأنه صادقٌ أمينٌ، مؤيَّدٌ بالبراهين الصادِقة، والمعجزاتِ الخارقةِ[3]. وأنَّ الله فرضَ على العباد تصديقه وطاعتَه واتِّبَاعَهُ.

وأنَّه لا يقْبَل إيمان عبدٍ ـ وإن آمَنَ به سبحانه ـ حتى

= محمداً رسول الله، إلا حرَّمه الله على النار» أي عاملاً بمقتضاهما.

(١) «بالهدى ودين الحق»: ﴿**هوَ الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق**﴾ أي بالقرآن ودين الإسلام ﴿**ذلك الكتابُ لا رَيْبَ فيه هدىً للمتقين**﴾، ﴿**إنَّ الدين عند الله الإسلام**﴾، ﴿**ولا يَدينونَ دين الحق من الذين أوتوا الكتاب**﴾ الآية.

(٢) «كشف الغُمَّة»: أزال الجهالة، وما كان عليه الناس من الضلالة فاهتدوا إلى سواء السبيل.

(٣) وأعظمها وأبقاها وأدْومها القرآنُ العظيم المعجز لجميع البشر والجن ﴿**لا يأتونَ بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً**﴾.

يؤمِنَ برسالة محمد ﷺ، وبجميع ما جاء به، وأخبرَ عنه من أمور الدنيا والآخرةِ والبَرْزَخ[1].

«ومن ذلك» أن نُؤمن بسؤالِ، مُنكرٍ ونَكيرٍ للموتى: عن التوحيدِ والدِّين والنُّبوَّة[2].

وأن يُؤمِنَ بنعيم القَبْرِ لأهل الطاعةِ وبعذابِه لأهل المعصيةِ[3].

---

(١) «البرزخ»: ما بين الموت ويوم البعث والنشور ﴿**ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون**﴾.

(٢) «منكر ونكير»: هما مَلَكان يدخلان القبر فيسألان الميت مؤمناً كان أو كافراً، عما ذكر، بعد أن يعيد الله إليه الحياة بقدر ما يفهم الخطاب ويجيب، وهي حياةٌ برزخية خاصة، وبعده يكون القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

(٣) «لأهل المعصية»: هم الكفار، والفساق. قال تعالى: ﴿**النارُ يُعرضونَ عليها غُدوّاً وعشيَّاً ويومَ تقومُ الساعة ادْخِلوا آلَ فرعونَ أشدَّ العذاب**﴾ وقد استعاذ ﷺ من عذاب القبر وفي ذلك وردت أحاديث كثيرة، متواترة المعنى.

وأن يُؤمِنَ بالبعثِ بعد الموتِ[1].

وبحَشْر الأجسادِ والأرواحِ إلى الله[2]، وبالوقوفِ بين يَدَي اللَّهِ، وبالحسابِ[3]، وأنَّ العباد يتفاوتون فيه إلى

---

(١) «وأن يؤمنَ بالبعث» إلخ . . . : قال تعالى: ﴿ثم إنَّكم يوم القيامة تُبْعثون﴾ ﴿كما بدأكم تعودون﴾ ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾ ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ ﴿وهو أهون عليه﴾ ومن أنكرَ ذلك كفَرَ لجحوده قدرة ربه وتكذيبه كلامه تعالى.

(٢) «وبحشر الأجساد والأرواح»: دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وزوجناهم بحورٍ عين﴾، ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريقَ وكأسٍ من معين﴾ ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زُرْقاً﴾، ﴿كلما نضجتْ جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾، ﴿يوم تَشْهَدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون﴾. وفي الحديث: «إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة، عراةً غرلاً» إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الصريحة في الحشر الجسماني، ولا يصح صرفها مع كثرتها عن ظواهرها، والقدرة صالحة لذلك قطعاً، كما قدمنا.

(٣) «وبالحساب» ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ =

مُسَامَحٍ ومَنَاقَش، وإلىٰ مَنْ يدخلُ الجنة بغير حساب.

وأن يُؤْمِنَ بالميزانِ الذي توزَن فيه الحسنات والسيئاتُ[1] وبالصراطِ وهو جِسْرٌ ممدودٌ على مَتْن جهنَّمَ[2]، وبحَوْضِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ: «الذي يَشربُ منه المؤمنون قبلَ دخولِ الجنة، وماؤه من الجنةِ»[3].

= كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله، فيغفرُ لمن يشاء، ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً﴾ الآية. وفي الحديث: «من نوقش الحساب عُذِّب». والمناقشة: التحقيق والتدقيق والاستقصاء.

(١) «وأن يؤمن بالميزان»: ﴿وَنَضَعُ الموازينَ القسطَ ليوم القيامة﴾، ﴿والوزنُ يومئذٍ الحق: فمن ثَقُلَتْ موازينُهُ فأولئك هم المفلحون ومن خفَّت موازينهُ فأولئك الذين خَسِروا أنفسَهُم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾.

(٢) «وبالصراط»: قال تعالى: ﴿فاهدوهم إلى صِراط الجحيم. وقفوهُم إنَّهُم مسئولون﴾.

(٣) في صحيح مسلم: «يشخب فيه ميزابان من الجنة. من شرب =

وأنْ يُؤْمِنَ بشفاعةِ الأنبياء، ثم الصدِّيقين والشهداء، والعلماءِ والصالحينَ والمؤمنينَ. وأنَّ الشفاعةَ العُظمى مخصوصةٌ بمحمّدٍ ﷺ[1].

وأنْ يُؤْمِن بإخراج مَنْ دَخَل النار من أهل التوحيد، حتى لا يُخَلّد فيها مَنْ كان في قلبه مِثقالُ ذَرَّةٍ من إيمانٍ[2]. وأنَّ أهلَ الكفرِ والشِّركِ مُخَلّدُون في النار أبدَ الآبدينَ، و ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ وأنَّ المؤْمِنينَ مُخَلّدون في الجنة أبداً سَرْمداً[3]

= منه لم يظمأ أبداً، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل».

(١) أي في فَصْلِ القضاء، وله ﷺ شفاعات أخرى.

(٢) «وأن يؤمن بإخراج»... إلخ: لقوله تعالى: **﴿فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره﴾**. وقوله: **﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾**. وقوله: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنّات الفردوس نزلاً: خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً﴾**.

(٣) «سرمداً»: دائماً.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ[1] وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[2].

وأنَّ المؤمنينَ يَرَوْنَ ربَّهم في الجنة بأبصارِهم، على ما يلِيق بجلالِهِ وَقُدس ِ كماله[3].

وأنْ يعتقِدَ فَضْلَ أصحاب رسول الله ﷺ وتـرتِيبَهُم، وأنهم عدولٌ خيارٌ أُمناءُ، لا يجوزْ سَبُّهُمْ، ولا القَدْحُ في أحدٍ منهْم، وأنَّ الخليفَة الحقّ بعدَ رسولِ الله ﷺ: «أبو

---

(١) «النصب» ـ محركاً ـ: التعب والإعياء.

(٢) دل على الخلود في الجنة والنار وعدم فنائهما: الكتاب والسنة والإجماع، ولا عبرة بمن شذَّ عنه فضل.

(٣) «يرون ربهم» إلخ..: قال تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾، وهذه الرؤية هي المرادة من الزيادة في قولـه تعالى: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ فيرى سبحانه لا في مكـان ولا جهة، ولا بـاتصال شعـاع، ولا ثبوت مسـافة بين الرائين وبينه تعالى، بل على الوجه الذي يليق بقدسيته وجلاله سبحانه! وفي صحيح مسلم: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رِدَاء الكبرياء على وجهه في جنَّة عدن».

بكر الصِّدِّيقُ»، ثم «عمر الفاروقُ»، ثم «عثمانُ الشهيدُ»، ثم «عليٌّ المرتَضى»[1]، رضي الله تعالى عنهم، وعن أصحابِ رسولِ الله ﷺ أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم برحمتك اللّهُمّ يا أرْحَم الراحمين.

(تمت عقيدة الإسلام الحنيف الصافية المنجية بحمد الله وتوفيقه).

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

---

(١) تلك عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن يحد عنها فهو ضالٌ أثيم.

﴿ وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ .

﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

خاتمة

في شرح أسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة.

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي له تعالى أحسنُ الأسماء لاشتمالها على التقديس والتعظيم والتمجيدُ، وعلى صفات الجلال والكمال له عز وجل: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «إنَّ لله تسعةً وتسعين آسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة. إنه وتر يحب الوتر». وفي رواية البخاري: «ولا يحفظها أحدٌ إلا دخل

الجنة». فمعنى «أحصاها»: حفظها. وقيل: فهم معانيها وآمن بها. وقيل: تخلَّق بما يمكنه من العمل بمعانيها.

والجمهور على أنَّ أسماءه تعالى غير محصورة في هذا العدد، وإنما لهذه الأسماء المعدودة خاصَّةٌ، وهي أنَّ من أحصاها دخل الجنة.

* * *

وهذه الأسماء الحسنى هي ـ كما رواها الإمام أبو عيسى الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنهما، وابن حبان وصححه: ـ هو ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1].

(الرحمنُ[2]. الرحيمُ[3]. . . . .

---

(١) الله: هو أعظم الأسماء، لدلالتِهِ على الذاتِ العلية الجامعة لكل صفات الألوهية المنعوتةِ بنعوت الربوبية.

(٢) الرحمن: بما ستر في الدنيا وأفاض من الخير على المحتاجين.

(٣) الرحيم: بما غفر في العُقبى وجاد بالفضل والإنعام على العباد.

الملكُ[1]. القـدُّوسُ[2]. السَّلامُ[3]. المؤمِنُ[4]. المُهَيْمِنُ[5]. العزيزُ[6]. الجبَّارُ[7]. المتكبرُ[8]. الخالقُ[9]. البارىءُ[10].

---

(١) الملك: ذو الملك والعظمة والسلطان؛ المستغني بذاته وصفاته عن كل شيء.
(٢) القدوس: المنزّه عن سمات النقص وموجبات الحدوث.
(٣) السلام: ذو السلامة من جميع الآفات والنقائص.
(٤) المؤمن: المصدق نفسه ورسله وكتبه، أو المؤمِّن عبادَه من المخاوف.
(٥) المهيمن: الرقيب المبالغ في المراقبة والحفظ، أو الشاهد، أي العالِمُ الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأكوان.
(٦) العزيز: الغالب من العزة وهي القوة والشدة والغلبة، أو العديم المثل.
(٧) الجبار: الذي يقهر العباد على كل ما أراد.
(٨) المتكبر: المتعالي العظيم، أو المتعالي عن صفات المخلوقات.
(٩) الخالق: المقدر للأشياء، أو الذي أظهر الموجودات بقدرته وقدَّر كل واحد منها بمقدار معين بإرادته على مقتضى حكمته.
(١٠) البارىء: الخالق للأشياء على غير مثال سابق.

المصوِّرُ[1]. الغفارُ[2]. القهار[3]. الوهَّـابُ[4]. الرزَّاق[5].
الفتّـاحُ[6]. العليمُ[7]. القابضُ[8]. الباسِطُ[9]. . . . .

---

(١) المصوِّر: المبدع لصور المخلوقات، والمزيِّن والمرتب لها.
(٢) الغفَّار: الذي أسبل الستر على ذنوب عباده في الدنيا، وتجاوز عن عقوبتها في الأخرى.
(٣) القهـار: الغـالب لجميـع الخـلائق، أو الـذي يقصم ظهـور الجبابرة فيقهرهم بالإهانة والإذلال والإهلاك.
(٤) الوهاب: جزيل العطاء والنوال، كثير المنن والإفضال، عظيم اللطف والإقبال يعطي من غير سؤال، ولا يقطع نواله عن عباد بحال.
(٥) الرزاق: المتولي خلق الأرزاق، المتفضل بإيصالها إلى العباد.
(٦) الفتاح: الحاكم بين الخـلائق من الفتح بمعنى الحكم، أو الـذي يفتح خزائن الرحمة على أصناف البرية.
(٧) العليم: المحيط علمه بكل شيء، فلا تخفى عليه خافية.
(٨) (٩) القابض الباسط: مضيق الرزق على من أراد، وموسعه على من أراد، أو قابض الأرواح عند الممات وناشـرها عند الحياة.

الخافضُ[١]. الرافعُ[٢]. المُعِزُّ[٣]. المذِلُّ[٤]. السميعُ[٥]. البصيرُ[٦]. الحكَمُ[٧]. العدلُ[٨]. اللطيفُ[٩]. الخبيرُ[١٠]. الحليمُ[١١]. العظيمُ[١٢]. الغفورُ[١٣]. الشكورُ[١٤] . . . .

---

(١) (٢) الخافض الرافع: الواضع من عصاه، والرافع من تولاه.

(٣) (٤) المعز المذل: الذي أعز أولياءه فضلاً، وأذل أعداءه عدلاً.

(٥) (٦) السميع البصير: المتصف بالسمع والبصر لجميع الموجودات بدون حاسة أو آلة.

(٧) الحكَم: ـ بفتح وسطه ـ الحاكم الذي لا مرد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

(٨) العدل: العادل الذي لا يفعل إلا ما ينبغي له فعله.

(٩) اللطيف: الذي لطفت أفعاله وحسنت، أو العليم بخفيات الأمور ودقائقها، وما لطف منها.

(١٠) الخبير: العليم ببواطن الأمور وخفياتها.

(١١) الحليم: الذي لا يعجل بالانتقام مع غاية الاقتدار.

(١٢) العظيم: الذي لا يتصوره عقل، ولا تحيط بكنهه بصيرة.

(١٣) الغفور: بمعنى الغفَّار كثير المغفرة والستر لذنوب عباده.

(١٤) الشكور: المثني على المطيعين من عباده، أو الذي يعطي الثواب الجزيل على العمل القليل.

العليُّ[1]. الكبيرُ[2]. الحفيظُ[3]. المقيتُ[4]. الحسيبُ[5]. الجليلُ[6]. الكريمُ[7]. الرقيبُ[8]. المجيبُ[9]. الواسعُ[10] . . . .

---

(١) العلي: العالي البالغ الغاية في علو الرتبة، أو الذي علا بذاته وصفاته عن مدارك الخلق بالكنه والحقيقة.
(٢) الكبير: الذي فاق مدح المادحين ووصف الواصفين، أو ذو الكبرياء، أي كمال الذات والوجود.
(٣) الحفيظ: الحافظ المبالغ في الحفظ لما يريد حفظه.
(٤) المقيت: المقتدر، خالق الأقوات، أو المتكفل بأرزاق خلقه، وإعطائهم أقواتهم.
(٥) الحسيب: الكافي، وكل كفاية إنما هي منه تعالى.
(٦) الجليل: الكامل في جميع صفاته النفسية والقدسية.
(٧) الكريم: الجواد، الذي لا يضيع من توسَّل إليه، ولا يترك من التجأ إليه.
(٨) الرقيب: الحفيظ الذي لا يغفل، أو العليم الذي لا يعزب عنه شيء.
(٩) المجيب: الذي يجيب دعوةَ الداعي إذا دعاه.
(١٠) الواسع: الذي إفضاله شامل، ونواله كامل، أو المتّسع علمه فلا يجهل وقدرته فلا يعجز.

الحكيمُ[1]. الودودُ[2]. المجيدُ[3]. الباعثُ[4]. الشهيدُ[5]. الحقُّ[6]. الوكيلُ[7]. القويُّ[8]. المتينُ[9]. الوَلِيُّ[10]. الحميدُ[11] ....

---

(١) الحكيم: المصيب في التقدير، المحسن في التدبير، أو ذو الحكمة وهي كمال العلم وإحسان العمل.
(٢) الودود: المحب للطائعين من عباده، المتحبِّب إليهم بإنعامه.
(٣) المجيد: البالغ الغاية في المجد والشرف، أو الشريفة ذاته، الجميلة أفعاله، الجزيل نواله.
(٤) الباعث: باعث الرسل، وباعث الموتى من القبور، وباعث الهمم إلى معالي الأمور.
(٥) الشهيد: البالغ الغاية في علمه مع الحضور.
(٦) الحق: المتحقق الثابت وجوده أزلاً وأبداً، أو الحقيق بالعبادة.
(٧) الوكيل: المتصرف في كل شيء كما يشاء، أو الموكول إليه كل أمر.
(٨) القوي: الكامل في القوة، فلا يعجز بحال.
(٩) المتين: شديد القوة كامل القدرة فلا يضعف عما يريد بحال.
(١٠) الوليُّ: المتكفل بأمور الخلق كلها، أو الناصر لأوليائه القاهر لأعدائه.
(١١) الحميد: المحمود على كل حال.

المحصي[١]. المُبدِئ[٢]. المُعيدُ[٣]. المحيِي[٤]. المميتُ[٥]. الحيُّ[٦]. القيُّومُ[٧]. الواجِدُ[٨]. الماجِدُ[٩]. الواحدُ[١٠]. الصَّمَدُ[١١]. القادرُ[١٢]. المقتدِرُ[١٣]. . . . .

---

(١) المحصي: العالم الذي هو بالظاهرِ بصير، وبالباطن خبير.

(٢) المبدىء: الخالق ابتداءً، فله تعالى النشأة الأولى.

(٣) المعيد: الخالق انتهاءً، فله تعالى النشأة الأخرى.

(٤) (٥) المحيي المميت: من يحيي بإيجاد الأرواح للموتى، ويميت بنزعها من الأحياء.

(٦) الحيُّ: الباقي المتّصف بالحياةِ الدائمة التي لا بداية لها ولا نهاية.

(٧) القيوم: عظيم القيام بتدبير خلقه.

(٨) الواجد: الغني، أو العالم، أو الذي يجد كل ما يطلبه ويريده ولا يعوزه شيء.

(٩) الماجد: المجيد، وتقدَّم تفسيره.

(١٠) الواحد: الذي لا ثاني له فهو المنفرد بالألوهية والربوبية، و (الأحد) المنفرد في ألوهيته وربوبيته.

(١١) الصمد: المقصود في الحوائج على الدوام لعظم قدرته، وكمالها.

(١٢)(١٣) القادر المقتدر: ذو القدرة التامة.

المقدِّمُ[1]. المؤَخِّرُ[2]. الأوَّلُ[3]. الآخِرُ[4]. الظَّاهِرُ[5]. الباطنُ[6]. الوالِي[7]. المتعالِي[8]. البَرُّ[9]. التوابُ[10]. المنتقمُ[11]. العفوُّ[12]. الرءوفُ[13]. مالِكُ الملك[14].

---

(١) (٢) المقدِّم المؤخِّر: يقدِّم من يشاء، ويؤخِّر من يشاء عن بابه وجنابه.
(٣) الأول: القديمُ قبل كل شيء بلا بداية.
(٤) الآخر: الباقي بعد كل شيء بلا نهاية.
(٥) الظاهرُ: الذي ظهر بصفاته ومصنوعاته.
(٦) الباطن: الذي بطن بكنه ذاته وصفاته.
(٧) الوالي: المالك للأشياء، المتصرف فيها بإرادته وحكمته.
(٨) المتعالي: البالغ الغاية في العلو والارتفاع عن النقائص.
(٩) البر: المحسن بالخير والإنعام.
(١٠) التواب: الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات.
(١١) المنتقم: المعاقب للعصاة على مكروهات الأفعال.
(١٢) العفو: ذو العفو، وهو ترك المؤاخذة على الذنب.
(١٣) الرءوف: ذو الرأفة والرحمة الشديدة البالغة.
(١٤) مالك الملك: الذي تنفذ مشيئته في ملكه كما يشاء، ويجري حكمه على ما يشاء.

ذو الجلال والإكـرامِ[١]. المقسِطُ[٢]. الجامعُ[٣]. الغنيُّ[٤]. المُغْنيّ[٥]. المانعُ[٦]. الضـارُّ[٧]. النافـعُ[٨]. النورُ[٩]. الهاديُ[١٠]. البديـعُ[١١]. الباقي[١٢]. الوارثُ[١٣] . . . .

---

(١) ذو الجلال والإكرام: الذي لا شرف ولا جلال ولا كمال، إلا له تعالى، ولا كرامة إلا منه تعالى.

(٢) المقسط: العادل في حكمه.

(٣) الجامع: يجمع أجزاء الخلق بعد تفرقها عند البعث.

(٤) الغني: المستغني عن كل ما سواه.

(٥) المغني: يغني من يشاء عما سواه.

(٦) المانع: يمنع من فضله من استحق المنع.

(٧) (٨) الضار النافع: خالق الضر والنفع.

(٩) النور: الظاهر بنفسه المـظهر لغيـره، أو المظهـر لكل خفي بإخراجه إلى الوجود.

(١٠) الهادي: الذي يهدي القلوب إلى الحق وإلى ما فيه صلاحها ديناً ودنيا.

(١١) البديع: الموجد للأشياء بلا احتذاء ولا اقتـداء، أو الذي لا مثل له ولا نظير في ذاته وصفاته وأفعاله.

(١٢) الباقي: الدائم الوجود بعد كل شيء بلا انتهاء.

(١٣) الوارث: الباقي بعد فناء الخلق.

الرشيدُ[1]. الصَّبُورُ[2]).

تمَّت الأسماء الحسنى الواردة في الحديث ومعانيها[3].

نسأل الله من فضله حسن الختام، ونصلي ونسلم على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه البررة الكرام، القدوة الأعلام.

هذا وقد تمَّ بتوفيق الله تعالى (وله الحمد والمنة) هذا التعليق الموجز على «عقيدة الإسلام» الذي قصدنا به تيسير فهمها للعوام، تزكيةً لنفوسهم، وتطهيراً لعقولهم من دنس الجهل والأوهام، كما تمَّ شرح معاني «أسماء الله الحسنى» بإيجاز وهو خير ختام، سائلاً القَبول والرضا

---

(١) الرشيد: الذي أرشد الخلق وهداهم إلى مصالحهم.

(٢) الصبور: القادر على الصبر، فيؤخر العقوبة إلى الأجل المعلوم.

(٣) اقتبسنا تفسيرها من حواشي الجلالين وغيرها مع الإيجاز.

والمثوبة من الملك العلام، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسول الله أفضل الأنام، وعلى آله وأصحابه الهداة الأعلام.

تبصرة وذكرى

إنَّ من لطف الله تعالى ورحمته بعباده (وهو اللطيف الكريم الرءوف الرحيم) أن اصطفى من الناس الأنبياء عليهم السلام. اجْتبَاهم وهداهم إلى صراطه المستقيم وآتاهم العلم والنبوة والحكمة واليقين وأقامهم الأسوة الحسنة للناس أجمعين، وبعث منهم (ثلاثمائة وثلاثة عشر) رسلاً هداة مرشدين، مبشرين ومنذرين وداعين إلى الحق والهدى، والدين والعلم والنور، والنهج القويم والصراط المستقيم، ومحذّرين من الباطل والضلال والجهل والعمي وسوء المصير ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

وأنزل إليهم من كتبه الناطقة بالحق الهادية إلى الرشد الداعية بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة إلى توحيد

الخالق جل وعلا في ألوهيته وربوبيته، وإلى وجوب عبادته وطاعته، وإلى الحق والهدى، مبشِّرةً من أطاع واهتدى بالنجاة والفوز العظيم، ومنذرةً من عصى واعتدى بالخسران وعذاب الجحيم.

وكان آخرَها وأعمَّها، وأفضلَها وأدومَها (القرآنُ العظيم) الذي بعث الله به خاتم رسله الأكرمين محمداً ﷺ وعليهم أجمعين.

وقد قصَّ الله تعالى فيه أنباء خمسة وعشرين رسولاً من عباده المصطَفَيْن الأخيار، وما كان من أممهم حيال رسالاتهم ودعوتهم للعظة والاعتبار وهم: آدم «أبو البشر» ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحٰق ويعقوب ويوسف ولوط وداود وسليمان وإلياس وإدريس وذو الكفل وأيوب ويونس وزكريا ويحيى وشعيب وصالح وهود واليسع وموسى وهارون وعيسى ومحمد خاتم الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام.

* * *

وخصَّ الله القرآن العظيم بالإعجاز في كل شأنه فعجز الإنس والجن عن معارضته والإتيان بمثله، بل بمثل أقصر سورة منه عجزاً دائماً ظاهراً فبقي على مدى القرون علماً وهدى ونوراً وضياءً ورحمة وشفاءً لما في الصدور بما حواه من عقائد وشرائع وعلوم وفضائل ومناهج قويمة للحياة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

وقد صدق الله تعالى إذ عَجَز الكل عن معارضته والإتيان حتى بأقصر سورة من مثلِه من حين نزوله إلى الآن وباءوا بالخسران المبين مع شدة حرصهم على تكذيبه ومعارضته، وأنزله تعالى أوفى كتاب وأتمه وأكمله كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ فكان هو الكفيل بمصالح العباد في الدنيا والدين والمغني لهم عما سواه في كل شأن وحين.

واقتضت حكمة الله تعالى ليبقى كتابة العزيز دليلاً وحجةً وهادياً ومرشداً إلى يوم الدين لهذه الأمة المحمدية ـ أن يحفظه من العبث به والاعتداء عليه بالتحريف والتبديل كما فعله الأحبار والرهبانِ في التوراة والإنجيل حيث استحفظهم عليهما فحرفوهما وعبثوا بهما ضلالاً وكفراً فضمن الله حفظه من ذلك وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. وقد صدق الله وأنجز وعده فبقي القرآن من حين نزولِهِ إلى الآن معجزاً مصوناً محفوظاً آيات آيات وسوراً سوراً، بل كلمات وحروفاً من الإخلال به والاعتداء عليه بالتحريف والتغيير رغم شدة حرص أعدائه على تحريفه، بل على محوه من الوجود وسيبقى كذلك إلى يوم الدين: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾

﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

والحمد لله رب العالمين.

فاعلم ذلك أيُّها الأخ المسلم واعتصم بالقرآن العظيم حبل الله المتين، وبهدي رسول الله الأمين واحذر الفتنة في الدين والأعداء الكائدين، وأطع الله ورسوله في كل حال وحين تفز بالخير في الدنيا وبالنعيم المقيم يوم الدين: وتكن فيه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وفقنا الله وإياك إلى الحق واليقين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين.

كتبه

حسنين محمد مخلوف

عفا الله عنه

الورد الكبير المُسَمَّى

مفتاح السعادة والفلاح

في أذكار المساء والصباح



الوِرْدُ الكَبِيرُ المُسَمَّى

مفتاحَ السعادةِ والفلاح

فى أذكارِ المساءِ والصباح

وَأَدْعِيَةٌ تُنْسَبُ لِأَهْلِ الفَضْلِ والصَّلَاحِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِين * وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين * وَبَعْدُ فَيَقُولُ العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللهِ تَعَالَى عَبْدُ اللهِ بنُ عَلَوِى بنُ مُحَمَّد الحَدَّاد * إِنَّا قَدْ جَمَعْنَا هَذَا الوِرْدَ المُبَارَكَ لِأَنْفُسِنَا ولِمَنْ رَغِبَ فِى تَرْتِيبِهِ وَالمُوَاظَبَةِ عليهِ مِنَ المُسْلِمِينَ * وَقَدْ كُنَّا جَمَعْنَا قَبْلَ ذلكَ * نُبْذَةً مُخْتَصَرَةً فِى أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ * وَهَذَا الوِرْدُ أَجْمَعُ

وَأَوْسَعُ مِنْهَا وَقَدْ جَمَعْنَاهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُعْتَمَدَةِ كَمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِهَا * وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ الْقَارِىءُ بَدَلَ الصَّبَاحِ الْمَسَاءَ وَبَدَلَ الْيَوْمِ اللَّيْلَةَ وَبَدَلَ النُّشُورِ الْمَصِيرَ * وَلَا حَرَجَ أَنْ يَبْدَأَ بِالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ أَوَّلًا أَوْ بِقَوْلِهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ * أَوْ بِقَوْلِهِ بِسْمِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِي فَكُلُّ ذَلِكَ وَاسِعٌ * وَكَذَلِكَ أَنْ يَبْتَدِىءَ فِيهِ إِنْ شَاءَ قُبَيْلَ الْفَجْرِ أَوْ بَعْدَهُ وَقَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ * وَمَهْمَا خَافَ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَوْ غُرُوبِهَا قَبْلَ بُلُوغِهِ فِيهِ إِلَى الْمُسَبَّعَاتِ فَلْيَقْرَأْهَا أَوَّلًا * لِأَنَّهَا تَفُوتُ بِالطُّلُوعِ وَالْغُرُوبِ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ * وَمَحَلُّهَا آخِرُ هَذَا

الوِرْدِ * وَإِنْ أَمْكَنَتْهُ المُدَاوَمَةُ عَلَى جَمِيعِ هَذَا الوِرْدِ صَبَاحًا وَمَسَاءً فَهُوَ الكَمَالُ * وَإِلَّا فَلْيُوَاظِبْ عَلَيْهِ صَبَاحًا وَعَلَى النُّبْذَةِ المُخْتَصَرَةِ السَّابِقَةِ مَسَاءً * فَالمَيْسُورُ لَا يَسْقُطُ بِالمَعْسُورِ * وَالمُعَوَّلُ عَلَيْهِ هُوَ العَمَلُ لِلَّهِ مَعَ الْإِخْلَاصِ وَالْخُشُوعِ وَالْحُضُورِ * وَفِيهِ أَذْكَارٌ وَأَدْعِيَةٌ لَمْ تَرِدْ صَبَاحًا وَمَسَاءً وَهِيَ اليَسِيرُ * وَلَكِنَّا اسْتَحْسَنَّا ذَلِكَ لِمَا رَأَيْنَا فِيهَا مِنَ الجَمْعِ رَجَاءَ النَّفْعِ * وَالأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى * وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ * وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ * وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ *

وَ كَانَ الفَرَاغُ مِنْ إِمْلَائِهِ بِتَارِيخِ يَوْمِ الْاحَد الثَّالِثِ وَالعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ شَــوَّال سنة (١١٠٧) مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ *

هَذَا أَوَّلُ الوِرْدُ المُبَارَكْ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ (ثلاثًا) وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ (ثلاثًا ثلاثًا)

رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (ثلاثا) * ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * وَقُلْ رَبِّ

اغفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ * إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ

ثَاقِبٌ * فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا * إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ *

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ * ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ * اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ * مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ * وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ * وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ * وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا * وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ *

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * سَبَّحَ لِلَّهِ

مَا فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ * وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا * وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * (ثلاثاً) (ثُمَّ يَسْكُتُ قَلِيلًا وَيَنْبَغِى أَنْ يَقْرَأَ فِى سَكْتَتِهِ)

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ * (ثم يقرأ) ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ * سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى * يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ * وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ﴾ *

« آى الكفاية » ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ

مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ
لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ *
يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ * وَهُوَ الغَفُورُ
الرَّحِيمُ * وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ
رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي
كِتَابٍ مُبِينٍ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي
وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا
إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَأَيِّنْ مِنْ
دَآبَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا * اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ
وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ
رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا * وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ
مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ

مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ * قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ *

« آى الحفظ » ﴿ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ *

إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد * هَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُود * بَلِ الَّذِينَ
كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ
مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ *

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ * وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ * ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ *
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا *
وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ
اللهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ * وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُون * لَقَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوا
فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ
بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً * يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ *
وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ
ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ * يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ
شَيْءٍ * قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ
مَالَا يُبْدُونَ لَكَ * يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ
شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هٰهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ
لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ *
وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي
قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ
وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ
ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ *
وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ *
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ * فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ
وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ *

الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ * الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَاشَرْقِيَّةٍ وَلَاغَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ * نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ * وَيَضْرِبُ اللهُ الْامْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ * إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (سبع مرات) *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * وَلَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ * حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ * مَا شَاءَ اللهُ لَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ * آمَنْتُ

بِاللهِ وَمَلَائِـكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ
وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ * أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ * وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ * اللَّهُمَّ إِنِّى أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ
حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِـكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ *
بِأَنِّى أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ * أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ
الْإِسْلَامِ * وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ * وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ * وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ *
اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ
نَمُوتُ * وَإِلَيْكَ النشُورُ * أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ
الْمُلْكُ لِلهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * اللَّهُمَّ إِنَّا

نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ وَفَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ
وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاهُ * نَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا قَبْلَهُ
وَخَيْرَ مَا فِيهِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ
وَشَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ * أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ
الْمُلْكُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ * نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ
مَا بَعْدَهُ * وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ *
رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ *
رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ * وَمِنْ عَذَابٍ
فِي الْقَبْرِ * اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ
مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ

الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ * أَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَنِي فِي هَذَا الْيَوْمِ بِكُلِّ خَيْرٍ * وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَجْتَرِحَ فِيهِ سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ * أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ * وَالْكِبْرِيَاءُ لِلَّهِ * وَالْخَلْقُ لِلَّهِ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ * وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا سَكَنَ فِيهِمَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ * اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِنَا هَذَا صَلَاحًا * وَأَوْسَطَهُ نَجَاحًا * وَآخِرَهُ فَلَاحًا * اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَهُ رَحْمَةً * وَأَوْسَطَهُ نِعْمَةً * وَآخِرَهُ تَكْرِمَةً * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ * وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ * وَخَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِمُلْكِهِ وَاسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَيْبَتِهِ * وَأَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِحِكْمَتِهِ وَتَصَاغَرَ كُلُّ شَيْءٍ لِكِبْرِيَائِهِ *

اللَّهُمَّ أَعِنِّى وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ * وَانْصُرْنِى وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ وَامْكُرْ لِى * وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ * وَانْصُرْنِى عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ * وَاهْدِنِى وَيَسِّرِ الْهُدَى لِى * رَبِّ اجْعَلْنِى لَكَ شَكَّارًا ذَكَّارًا * لَكَ مِطْوَاعًا * إِلَيْكَ مُخْبِتًا مُنِيبًا * رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِى * وَاغْسِلْ حَوْبَتِى * وَأَجِبْ دَعْوَتِى * وَثَبِّتْ حُجَّتِى * وَاهْدِ قَلْبِى * وَسَدِّدْ لِسَانِى * وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِى * اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ * وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ * وَجَمِيعِ سَخَطِكَ وَمِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ * وَالْأَدْوَاءِ وَالْأَسْوَاءِ * وَمِنَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ * وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ * وَضِيقِ الْأَرْزَاقِ وَمِنَ السُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ * وَالْجُنُونِ وَالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ

وَسَيِّءِ الْأَسْقَامِ * اللَّهُمَّ ارْفَعْنِي وَلَا تَضَعْنِي *
وَادْفَعْ عَنِّي وَلَا تَدْفَعْنِي * وَأَعْطِنِي وَلَا تَحْرِمْنِي *
وَأَكْرِمْنِي وَلَا تُهِنِّي * وَزِدْنِي وَلَا تَنْقُصْنِي *
وَارْحَمْنِي وَلَا تُعَذِّبْنِي * وَانْصُرْنِي وَلَا تَخْذُلْنِي *
وَاسْتُرْنِي وَلَا تَفْضَحْنِي * وَآثِرْنِي وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيَّ *
وَاحْفَظْنِي وَلَا تُضَيِّعْنِي * إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ * اللَّهُمَّ وَمَا قَدَّرْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ وَشَرَعْتُ
فِيهِ بِتَوْفِيقِكَ وَتَيْسِيرِكَ * فَأَتْمِمْهُ لِي بِأَحْسَنِ
الْوُجُوهِ كُلِّهَا وَأَصْلَحِهَا وَأَجْمَلِهَا وَأَصْوَبِهَا إِنَّكَ
عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ * وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ * يَا مَنْ
قَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرَضُونَ بِأَمْرِهِ * يَا مَنْ
يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ *
وَيَا مَنْ أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ
شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ رَبِّى
وَسَعْدَيْكَ * وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ * وَالشَّرُّ لَيْسَ
إِلَيْكَ * أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ * تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ
أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ * اللَّهُمَّ وَمَا قُلْتُ مِنْ
قَوْلٍ أَوْ حَلَفْتُ مِنْ حَلِفٍ أَوْ نَذَرْتُ مِنْ نَذْرٍ
فَمَشِيئَتُكَ بَيْنَ يَدَىْ ذَلِكَ كُلِّهِ * مَا شِئْتَ
كَانَ وَمَا لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ * وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِكَ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * اللَّهُمَّ
مَا صَلَّيْتُ مِنْ صَلَاةٍ فَعَلَى مَنْ صَلَّيْتَ *
وَمَا لَعَنْتُ مِنْ لَعْنٍ فَعَلَى مَنْ لَعَنْتَ * أَنْتَ وَلِيِّى
فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى
بِالصَّالِحِينَ * اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ

الْقَضَاء * وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ * وَلَذَّةَ
النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ * وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ * فِي غَيْرِ
ضَرَّاء مُضِرَّةٍ * وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ * أَعُوذُ بِكَ أَنْ
أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَكْتَسِبَ خَطِيئَةً مُخْطِئَةً وَذَنْبًا
لَا تَغْفِرُهُ * اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ
عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ * ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ *
فَإِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا * وَأُشْهِدُكَ
وَكَفَى بِكَ شَهِيدًا * أَنَّكَ أَنْتَ اللّٰهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ * لَكَ الْمُلْكُ
وَلَكَ الْحَمْدُ * وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ * وَأَنَّ
وَعْدَكَ حَقٌّ وَلِقَاءَكَ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
لَا رَيْبَ فِيهَا * وَأَنَّكَ تَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ *

وَأَنكَ إنْ تَكِلْنِي إلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إلى ضَعْفٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنبٍ وَخَطِيئَةٍ * وَإنِّي لَا أَثِقُ إلّا بِرَحْمَتِكَ * فَاغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إنّكَ أنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * اللَّهُمَّ أنْتَ أحَقُّ مَنْ ذُكِرَ وَأحَقُّ مَنْ عُبِدَ * وَأعْظَمُ مَنِ ابْتُغِيَ * وَأرْأَفُ مَنْ مَلَكَ * وَأجْوَدُ مَنْ سُئِلَ * وَأوْسَعُ مَنْ أعْطَى * أنْتَ المَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ * وَالفَرْدُ لَا نِدَّ لَكَ * كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلّا وَجْهَكَ * لَنْ تُطَاعَ إلّا بِإذْنِكَ * وَلَنْ تُعْصَى إلّا بِعِلْمِكَ * تُطَاعُ فَتَشْكُرُ * وَتُعْصَى فَتَغْفِرُ * أقْرَبُ شَهِيدٍ * وَأدْنَى حَفِيظٍ * حُلْتَ دُونَ النُّفُوسِ * وَأخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَكَتَبْتَ الآثَارَ * وَنَسَخْتَ الآجَالَ * القُلُوبُ لَكَ مُفْضِيَةٌ * وَالسِّرُّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ *

الحَلالُ مَا أَحْلَلْتَ * وَالحَرَامُ مَا حَرَّمْتَ * وَالدِّينُ مَا شَرَعْتَ * وَالأَمْرُ مَا قَضَيْتَ * وَالخَلْقُ خَلْقُكَ * وَالعَبْدُ عَبْدُكَ * وَأَنْتَ اللهُ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ * أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ ٱلَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمٰوَاتُ وَالأرْضُ * وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَكَ * وَبِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ * أَنْ تُقِيلَنِي فِي هَذِهِ الغَدَاةِ (أَوِ العَشِيَّةِ) وَأَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ بِقُدْرَتِكَ * بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ * حَمْدًا يَفُوقُ وَيَفْضُلُ وَيَعْلُوا حَمْدَ الحَامِدِينَ * حَمْدًا يَكُونُ لَنَا رِضًى وَذُخْرًا عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ * الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * ٱلَّذِي دَحَى الأَقَالِيمَ * واخْتَصَّ مُوسَى كَلِيمٍ * وَأَحْيَى العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * وَسَمَّى نَفْسَهُ ٱلرَّحْمٰنَ الرَّحِيمَ * وَهُمَا اسْمَانِ كَرِيمَانِ عَظِيمَانِ

شِفَاءٌ لِكُلِّ سَقِيمٍ * وَغِنًى لِكُلِّ عَدِيمٍ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * لَيْسَ لَكَ فِي مُلْكِكَ مُنَازِعٌ وَلَا قَرِينٌ * وَلَا نَصِيرٌ وَلَا مُعِينٌ * بَلْ كُنْتَ قَبْلَ وُجُودِ العَالَمِينَ أَجْمَعِينَ * أَنْتَ إِحَاطَتُنَا مِنْ جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ * وَسَطَوَاتِ السَّلَاطِينِ * وَعَوْنُنَا عَلَى الأَقْرَبِينَ وَالأَبْعَدِينَ * وَوِجْهَتُنَا إِلَى الأَجْنَاسِ المُخْتَلِفِينَ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ * نَعْبُدُكَ بِالإِقْرَارِ * وَنَعْتَرِفُ بِالتَّقْصِيرِ وَنَخْجَلُ مِنَ الذُّنُوبِ * وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ * وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * نَسْتَعِينُ اللهَ عَلَى كُلِّ حَاجَةٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ * اللَّهُمَّ يَا هَادِيَ المُضِلِّينَ * لَا هَادِيَ لَهُمْ غَيْرُكَ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ * وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً * ذَلِكَ
الفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً * غَيْرِ المَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ * وَلاَ الضَّالِّينَ آمِينَ * سُبْحَانَ اللهِ
وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ * لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ *
اللَّهُمَّ ثَبِّتْ عِلْمَهَا فِي قَلْبِي * وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي *
وَاغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ
وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى * اللَّهُمَّ كُنْ
بِنَا رَؤُوفاً * وَعَلَيْنَا عَطُوفاً * وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ *
أَخْذَ الكِرَامِ عَلَيْكَ * قَوِّمْنَا إِذَا اعْوَجَجْنَا
وَأَعِنَّا إِذَا اسْتَقَمْنَا * وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِذَا عَثَرْنَا *
وَكُنْ لَنَا حَيْثُمَا كُنَّا * بِسْمِ اللهِ عَلَى نَفْسِي
وَأَهْلِي وَمَالِي * بِسْمِ اللهِ عَلَى دِينِي وَنَفْسِي وَأَهْلِي

وَوَلَدِى وَمَالِى * رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَ بِالْإِسْلَامِ دِيناً وَ بِمُحَمَّدٍ رَسُولًا * اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنْ فُجَاءَةِ الْخَيْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فُجَاءَةِ الشَّرِّ * اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً * وَأَسْأَلُكَ رِزْقاً طَيِّباً * وَأَسْأَلُكَ عَمَلًا مُتَقَبَّلًا * اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْتَوْدِعُكَ دِينِى وَنَفْسِى وَأَهْلِى وَأَوْلَادِى وَجَمِيعَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَىَّ أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينِى وَأَمَانَتِى وَخَوَاتِيمَ عَمَلِى * اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِى وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ * وَأَبُوءُ بِذَنْبِى فَاغْفِرْ لِى إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ * اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ

آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ * أَنْتَ تَكْشِفُ الْمَغْرَمَ وَالْمَأْثَمَ * اللَّهُمَّ لَا يُهْزَمُ جُنْدُكَ وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ * وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ * سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ * وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ (ثلاثاً) * أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (ثلاثاً) بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (ثلاثاً) اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ (ثلاثاً) * اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي * اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي * اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي لَا إِلَهَ

إِلَّا أَنْتَ (ثلاثاً) اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا شَرِيكَ لَكَ * أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ (ثلاثاً) اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْكَ فِي نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسِتْرٍ * فَأَتِمَّ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ وَعَافِيَتَكَ وَسِتْرَكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ (ثلاثاً) * اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ * أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ (أربعاً) * رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا (ثلاثاً) * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ (ثلاثاً) آمَنْتُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَكَفَرْتُ

بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ * وَاسْتَمْسَكْتُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (ثلاثاً) * اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي * وَأَنْتَ تَهْدِينِي * وَأَنْتَ تُطْعِمُنِي * وَأَنْتَ تَسْقِينِي * وَأَنْتَ تُمِيتُنِي * وَأَنْتَ تُحْيِينِي (سبعاً) * حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (سبعاً) * يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِكَ أَسْتَغِيثُ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ * لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ (ثلاثاً) * حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (ثلاثاً) * مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ (ثلاثاً) * اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أُمَّةَ أَحْمَد * اللَّهُمَّ ارْحَمْ أُمَّةَ أَحْمَدَ * اللَّهُمَّ فَرِّجْ عَنْ أُمَّةِ أَحْمَد (ثلاثاً) اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ * وَاغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ (ثلاثاً) * يَا لَطِيفاً بِخَلْقِهِ يَا عَلِيماً

بِخَلْقِهِ يَاخَبِيراً بِخَلْقِهِ أُلْطُفْ بِنَا يَا لَطِيفُ يَا عَلِيمُ يَا خَبِيرُ (ثلاثاً) * اللّهُمَّ خَلِّصْنِي الْيَوْمَ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ * اللّهُمَّ اُجْعَلْ لِي سَهْماً فِي كُلِّ حَسَنَةٍ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ (ثلاثاً) يَا لَطِيفاً لَمْ تَزَلْ * أُلْطُفْ بِنَا فِيمَا نَزَلْ * إِنَّكَ لَطِيفٌ لَمْ تَزَلْ * أُلْطُفْ بِنَا وَالْمُسْلِمِينَ (ثلاثاً) * سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مَا شَاءَ اللهُ * أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً * اللّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ * وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * مَا شَاءَ اللهُ كَانَ * وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ * وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ * أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً * اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا * إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي * وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي * حَسْبِيَ اللهُ وَكَفَى * سَمِعَ اللهُ لِمَنْ دَعَا لَيْسَ وَرَاءَ اللهِ مُنْتَهَى * وَلَا دُونَ اللهِ مَلْجَأً * كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الصَّبَاحِ وَخَيْرَ الْمَسَاءِ * وَخَيْرَ الْقَضَاءِ وَخَيْرَ الْقَدَرِ * وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الصَّبَاحِ وَشَرِّ الْمَسَاءِ * وَشَرِّ الْقَضَاءِ وَشَرِّ الْقَدَرِ * اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ

وَالشَّهادَةِ رَبَّ كُلِّ شَىْءٍ وَمَلِيكَهُ * أَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِى *
وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ وَأَنْ أَقْتَرِفَ سُوءًا
عَلَى نَفْسِى أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ * اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ
العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ * اللَّهُمَّ إِنِّى
أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِى دِينِى وَدُنْيَاىَ وَأَهْلِى
وَمَالِى * اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِى وَآمِنْ رَوْعَاتِى *
اللَّهُمَّ احْفَظْنِى مِنْ بَيْنِ يَدَىَّ وَمِنْ خَلْفِى وَعَنْ
يَمِينِى وَعَنْ شِمَالِى * وَمِنْ فَوْقِى * وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ
أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِى * اللَّهُمَّ لَا تُؤْمِنِّى مَكْرَكَ *
وَلَا تَرْفَعْ عَنِّى سِتْرَكَ * وَلَا تُنْسِنِى ذِكْرَكَ *
وَلَا تَجْعَلْنِى مِنَ الغَافِلِينَ * اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ
صِحَّةً فِى إِيمَانٍ * وَإِيمَانًا فِى حُسْنِ خُلُقٍ وَنَجَاحًا

يَتْبَعُهُ فَلاحٌ وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً وَمَغْفِرَةً مِنْكَ
وَرِضْوَانًا * أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ * وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ * أَعُوذُ
بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ
عِبَادِهِ * وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَنْ
يَحْضُرُونِ * اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ
وَمَا أَظَلَّتْ * وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ * وَرَبَّ
الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ * كُنْ لِي وَلِكَافَّةِ أَهْلِ
بَيْتِي وَأَوْلَادِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ
جَمِيعًا * أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَبْغِيَ *
عَزَّ جَارُكَ * وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ * وَلَا إِلٰهَ غَيْرُكَ حَصَّنْتُ
نَفْسِيَ وَإِيَّاهُمْ أَجْمَعِينَ بِالْحَيِّ الْقَيُّومِ الَّذِي لَا يَمُوتُ
أَبَدًا * وَدَفَعْتُ عَنِّي وَعَنْهُمُ السُّوءَ بِلَا حَوْلَ

وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ * يا كهيعص *
نَعُوذُ بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ التِي تُوجِبُ النِّقَمَ * وَنَعُوذُ
بِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ * وَنَعُوذُ بِكَ
مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تَهْتِكُ العِصَمَ * وَنَعُوذُ بِكَ
مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تَمْنَعُ غَيْثَ السَّماءِ * وَنَعُوذُ بِكَ
مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تُذِلُّ الأَعِزَّاءَ * وَتُدِيلُ الأَعْدَاءَ *
بِسْمِ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ * لَا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ * بِسْمِ اللهِ
وَبِاللهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ * بِسْمِ اللهِ
مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ * مَا شَاءَ اللهُ كُلُّ
نِعْمَةٍ مِنَ اللهِ * مَا شَاءَ اللهُ الخَيْرُ كُلُّه بِيَدِ اللهِ
مَا شَاءَ اللهُ لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إلّا اللهُ (ثلاثًا) * اللّهُمَّ
أَحْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ * وَاحْفَظْنِي
بِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ * وَارْحَمْنِي بِقُدْرَتِكَ

عَلَيَّ فلا أهلكُ وأنتَ ثِقتي ورجائي * حسبيَ اللهُ
تبارَكَ لديني * حسبيَ اللهُ عزّ وجلّ لِدُنيايَ *
حسبيَ اللهُ الكريمُ العظيمُ لِمَا أهمَّني * حسبيَ
اللهُ الحليمُ القويُّ لِمَنْ بغَى عَلَيَّ * حسبيَ اللهُ
الشّديدُ لِمَنْ كادَنِي بسُوءٍ * حسبيَ اللهُ الرَّحيمُ
عِندَ الموْتِ * حسبيَ اللهُ الرّءُوفُ عِندَ المسْئَلَةِ
في القَبْرِ * حسبيَ اللهُ الكريمُ عِندَ الحسابِ *
حسبيَ اللهُ اللّطيفُ عِندَ الميزانِ * حسبيَ اللهُ
القديرُ عِندَ الصِّراطِ * حسبيَ اللهُ لا إلهَ إلّا هُوَ
عَلَيْهِ توكّلتُ وهُوَ ربُّ العرْشِ العَظِيمِ * اللّهُمَّ
اغْفِرْ لِأُمّةِ مُحَمَّدٍ * اللّهُمَّ ارْحَمْ أُمّةَ مُحَمَّدٍ *
اللّهُمَّ اسْتُرْ أُمّةَ مُحَمَّدٍ * اللّهُمَّ اجْبُرْ أُمّةَ مُحَمَّدٍ *
سُبْحَانَ ذِي المُلْكِ والمَلَكُوتِ * سُبحَانَ

ذِي العِزَّةِ وَالجَبَرُوتِ * سُبْحَانَ الحَيِّ الَّذِي
لَا يَمُوتُ * سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ *
لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ * لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ * لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْقَى رَبُّنَا وَيَفْنَى
كُلُّ شَيْءٍ * اللهُ أَكْبَرُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ * اللهُ
أَكْبَرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ * اللهُ أَكْبَرُ يَبْقَى رَبُّنَا
وَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ * لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ *
لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ * لَا إِلَهَ
إِلَّا اللهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ * اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي
وَأَنَا عَبْدُكَ ابْنُ أَمَتِكَ فِي قَبْضَتِكَ * نَاصِيَتِي
بِيَدِكَ * مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ * عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ *
أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ

أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ * أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ * أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ * أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي * وَنُورَ بَصَرِي وَجِلَاءَ حَزَنِي * وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي * يَا رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ * اللّهُمَّ اجْعَلْ لِي مِنْ كُلِّ هَمٍّ أَصْبَحْتُ أَوْ أَمْسَيْتُ فِيهِ فَرَجًا وَمَخْرَجًا وَارْزُقْنِي مِنْ حَيْثُ لَا أَحْتَسِبُ (ثلاثاً) * اللّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَدَدَ عَفْوِكَ عَنْ خَلْقِكَ * اللّهُمَّ كَمَا لَطُفْتَ بِلُطْفِكَ فِي عَظَمَتِكَ دُونَ اللُّطَفَاءِ * وَعَلَوْتَ بِعَظَمَتِكَ عَلَى العُظَمَاءِ * وَعَلِمْتَ مَا تَحْتَ أَرْضِكَ كَعِلْمِكَ بِمَا فَوْقَ عَرْشِكَ * وَكَانَتْ وَسَاوِسُ الصُّدُورِ كَالعَلَانِيَةِ عِنْدَكَ * وَعَلَانِيَةُ القَوْلِ

كَالسِّرِّ فِي عِلْمِكَ * وَانْقَادَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِكَ
وَخَضَعَ كُلُّ ذِي سُلْطَانٍ لِسُلْطَانِكَ * وَصَارَ
أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ كُلُّهُ بِيَدِكَ * اجْعَلْ لِي
مِنْ كُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ أَصْبَحْتُ أَوْ أَمْسَيْتُ فِيهِ
فَرَجًا وَمَخْرَجًا * اللَّهُمَّ إِنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذُنُوبِي
وَتَجَاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتِي وَسِتْرَكَ عَلَى قَبِيحِ عَمَلِي
أَطْمَعَنِي أَنْ أَسْأَلَكَ مَالَا أَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ مِمَّا
قَصَّرْتُ فِيهِ * أَدْعُوكَ آمِناً * وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِسًا *
فَإِنَّكَ الْمُحْسِنُ إِلَيَّ وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَى نَفْسِي فِيمَا
بَيْنِي وَبَيْنَكَ * تَتَوَدَّدُ إِلَيَّ بِالنِّعَمِ مَعَ غِنَاكَ *
وَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ بِالْمَعَاصِي مَعَ فَقْرِي إِلَيْكَ *
وَلَكِنِ الثِّقَةُ بِكَ حَمَلَتْنِي عَلَى الْجَرَاءَةِ عَلَيْكَ *
فَعُدْ بِفَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ عَلَيَّ * إِنَّكَ أَنْتَ

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * اللّهُمَّ اقْذِفْ فِي قَلْبِي رَجَاءَكَ * وَاقْطَعْ رَجَائِي عَمَّنْ سِوَاكَ * حَتَّى لَا أَرْجُوَ أَحَدًا غَيْرَكَ * اللّهُمَّ مَا ضَعُفَتْ عَنْهُ قُوَّتِي وَقَصُرَ عَنْهُ عَمَلِي * وَلَمْ تَنْتَهِ إِلَيْهِ رَغْبَتِي * وَلَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي وَلَمْ يَجْرِ عَلَى لِسَانِي مِمَّا أَعْطَيْتَ أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِنَ اليَقِينِ فَخُصَّنِي بِهِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ * اللّهُمَّ أَصْلِحِ الإِمَامَ وَالأُمَّةَ وَالرَّاعِيَ وَالرَّعِيَّةَ * وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فِي الخَيْرِ * وَادْفَعْ شَرَّ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ * اللّهُمَّ أَنْتَ العَالِمُ بِسَرَائِرِنَا فَأَصْلِحْهَا ، وَأَنْتَ العَالِمُ بِذُنُوبِنَا فَاغْفِرْهَا * وَأَنْتَ العَالِمُ بِعُيُوبِنَا فَاسْتُرْهَا * وَأَنْتَ العَالِمُ بِحَوَائِجِنَا فَاقْضِهَا * لَا تَرَنَا حَيْثُ نَهَيْتَنَا * وَلَا تَفْقِدْنَا حَيْثُ أَمَرْتَنَا * أَعِزَّنَا بِالطَّاعَةِ *

وَلَا تذلّنا بِالمَعْصِيَةِ * أَشْغِلْنَا بِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ *
وَاقْطَعْ عَنَّا كُلَّ قَاطِعٍ يَقْطَعُنَا عَنْكَ * أَلْهِمْنَا
ذِكْرَكَ * وَشُكْرَكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ سُبْحَانَ اللهِ
وَبِحَمْدِهِ * سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ * لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ * مَاشَاءَ
اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ * لَا تُحْيِنَا عَلَى غَفْلَةٍ * وَلَا تَأْخُذْنَا
عَلَى غِرَّةٍ * رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا *
رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِنَا * رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ *
وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا * أَنْتَ مَوْلَانَا
فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ * اللَّهُمَّ اطْلِقْ
أَلْسِنَتَنَا بِذِكْرِكَ * وَطَهِّرْ قُلُوبَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ *
وَرَوِّحْ أَرْوَاحَنَا بِنَسِيمِ قُرْبِكَ * وَامْلَأْ أَسْرَارَنَا
بِمَحَبَّتِكَ * وَاطْوِ ضَمَائِرَنَا بِنِيَّةِ الخَيْرِ لِعِبَادِكَ *

وَاُكْفِ أَنْفُسَنَا بِعِلْمِكَ * وَامْلَأْ صُدُورَنَا
بِتَعْظِيمِكَ * وَصَيِّرْ كُلِّيَتَنَا إِلَى جَنَابِكَ * وَحَسِّنْ
أَسْرَارَنَا مَعَكَ * وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ مَا صَفَا
وَيَدَعُ الكَدَرَ * وَيَعْرِفُ قَدْرَ العَافِيَةِ وَيَشْكُرُ
عَلَيْهَا * وَيَرْضَى بِكَ رَبًّا وَكِيلًا * لِتَكُونَ لَهُ
كَفِيلًا * وَوَفِّقْنَا لِتَعْظِيمِ عَظَمَتِكَ * وَارْزُقْنَا
اللَّهُمَّ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكَرِيمِ * تَبَارَكْتَ
وَتَعَالَيْتَ يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ * اللَّهُمَّ إِنَّ
العِلْمَ عِنْدَكَ وَهُوَ مَحْجُوبٌ عَنِّي * وَلَا أَعْلَمُ أَمْرًا
أَخْتَارُهُ لِنَفْسِي وَقَدْ فَوَّضْتُ إِلَيْكَ أَمْرِي *
وَرَجَوْتُكَ لِفَاقَتِي وَفَقْرِي * فَأَرْشِدْنِي اللَّهُمَّ إِلَى
أَحَبِّ الأُمُورِ إِلَيْكَ وَأَرْضَاهَا عِنْدَكَ وَأَحْمَدِهَا
عَاقِبَةً لَدَيْكَ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ * إِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ

وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * اللَّهُمَّ أَسْمِعْنَا خَيْرًا *
وَأَطْلِعْنَا خَيْرًا * وَارْزُقْنَا اللَّهُمَّ العَافِيَةَ * وَاجْمَعْ
قُلُوبَنَا عَلَى التَّقْوَى * وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ *
أَعْدَدْتُ لِكُلِّ هَوْلٍ أَلْقَاهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ
لَا إِلَهَ إِلا اللهُ * وَلِكُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ مَا شَاءَ اللهُ *
وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ الْحَمْدُ لله * وَلِكُلِّ رَخَاء وَشِدَّةٍ
الشُّكْرُ لِلَّهِ * وَلِكُلِّ أُعْجُوبَةٍ سُبْحَانَ اللهِ *
وَلِكُلِّ ذَنْبٍ أَسْتَغْفِرُ اللهَ * وَلِكُلِّ مُصِيبَةٍ
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * وَلِكُلِّ ضِيقٍ
حَسْبِيَ اللهُ * وَلِكُلِّ قَضَاء وَقَدَرٍ تَوَكَّلْتُ عَلَى
اللهِ * وَلِكُلِّ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللهِ * وَلِكُلِّ سُكُونٍ وَحَرَكَةٍ بِاسْمِ اللهِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ * لَهُ المُلْكُ

وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (عشراً) * لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ (عشراً) * لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (عشراً) * سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ (عشراً) * سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوح (عشراً) * سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ (عشراً) * أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ * وَأَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ وَالْمَغْفِرَةَ (عشراً) اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِىَ لِمَا مَنَعْتَ * وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ (عشراً) اللَّهُمَّ

صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ (عشراً) بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (عشراً) * وَالْمُسَبَّعَاتُ الْمَشْهُورَةُ وَهِيَ الْفَاتِحَةُ (سبعاً) * وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (سبعاً) * وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (سبعاً) * وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (سبعاً) * وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (سبعاً) * وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ (سبعاً) سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ * وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ (سبعاً) * اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمَ (سبعاً) * أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ * وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ (سبعاً) اللَّهُمَّ افْعَلْ بِي وَبِهِمْ عَاجِلاً وَآجِلاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ * وَلَا تَفْعَلْ بِنَا يَا مَوْلَانَا مَا نَحْنُ لَهُ أَهْلٌ إِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * جَوَادٌ كَرِيمٌ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (سبعاً)* سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ (مائةً) * سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ (مائة) * سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ (مائة) * « ويزيد صباحاً فقط » لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ * لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (مائة) * « وإن شاء يقول » : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ * سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ (مائة) « فله ذلك » * « وكذلك » سُبْحَانَ اللهِ (مائة)

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ (مائة) * وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ (مائة) وَاللّٰهُ أَكْبَرُ (مائة) * «فكل ذلك له» *

تم الورد المبارك بحمد الله تعالى وعونه



المُسَمّى

الدُّرُّ المنظُومُ لِذوِي العُقُولِ والفُهُومِ

مِنْ أنفاسِ

سَيّدنا الإمَام العَارفِ باللهِ قُطب الدّعوَة والإرشَادِ

شَيخ الإسْلَام

الحبيب عبدِ الله بن علوِيّ بن محمّدٍ الحدّاد العلوِيّ

الحُسَينيّ ـ الحضرَميّ ـ التّريميّ

(١٠٤٤ - ١١٣٢هـ)



الطبعة الثانية من نوعها
مصححة، ومنقحة، ومرتبة ترتيباً جديداً مع الشكل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة الناشر

عجيبٌ جدّاً أَمرُ هذا (الديوانِ)، إِنَّهُ يتجدَّدُ بمرورِ الزَّمنِ. . تزدادُ حروفُهُ إشراقاً ولمعاناً. . وتزدادُ قصائدهُ توهُّجاً. . وقَبولاً وٱستحساناً. . لا يُمَلُّ سماعُها بل يحلو تكرارها ، وتظهرُ على القارئ والمستمع آثارُها. . مفاهيمُها غزيرةٌ. . وعلومُها كثيرةٌ. . لا يشكُّ القارئُ عندَ قراءتها أَنَّها تحملُ (سرّاً) مِنْ أَسرارِ القرآنِ الكريمِ. . فإِنَّ لها حلاوةً. . وعليها طلاوةً. . وكثيرٌ من كتبِ السَّلفِ الصَّالحِ ـ إِنْ لَمْ تكُن كلُّها ـ تحمِلُ سرّاً من أَسرارِ القرآنِ ؛ كما قال النَّاظمُ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ :

أَلَا إِنَّـهُ البَحْـرُ المُحِيـطُ وَغَيْـرُهُ مِنَ الْكُتُبِ أَنْهَارٌ تُمَدُّ مِنَ الْبَحْرِ

غيرَ أَنَّ (النِّسبةَ المئويَّةَ) لهٰذا السرِّ القرآني تختلفُ مِنْ كتابٍ لآخرَ. . وبقدرِ ما في الكتابِ من هٰذهِ (النِّسبةِ المئويَّةِ) للسرِّ القرآني. . تُذاقُ حلاوتُهُ. . وتظهَرُ طلاوتُهُ. . وبقدر ما يحملهُ كلُّ كتابٍ من هذهِ (النِّسبةِ المئويَّةِ) تظهَرُ فيهِ

صفاتٌ من صفاتِ الكتابِ العزيزِ . . وتتجلَّى فيهِ إِشراقاتُهُ . . وآثارُهُ ونفحاتُهُ . . ومن هُنا نفهَمُ معنى قولِ بعضِ السَّلفِ الصَّالحِ : (كادَ « الإحياءُ » أَن يكونَ قرآناً) .

وإذا تأمَّلَ الإِنسانُ هٰذا (الدِّيوانَ) وتذوَّقَ قصائدَهُ . . ظهرَ لَهُ بوضوحٍ أنَّ (النِّسبةَ المئويَّةَ) الَّتي فيهِ منَ (السرِّ القرآني) عاليةٌ جداً . . لا توجدُ إِلَّا في النوادرِ مِنَ الكتبِ . . ولهٰذا يحسُّ القارئُ عندَ قراءتِهِ للدِّيوانِ بنسبةٍ كبيرةٍ مِنَ المشاعرِ والأَحاسيسِ الَّتي يشعرُ بها عندَ قراءتهِ للكتابِ العزيزِ ﴿تقشعرُّ منهُ جلودُ الَّذينَ يخشونَ ربَّهم ثمَّ تلينُ جلودهُم وقلوبُهم إلى ذكرِ اللهِ . . ﴾ .

وكم كنت أتمنَّىٰ أنْ يُقرأَ هٰذا (الدِّيوانُ) في بعضِ المجالسِ العلميَّةِ قراءةَ تحقيقٍ . . وشرحٍ وتدقيقٍ لا لمجرَّدِ الإنشادِ . . أوِ التَّذكيرِ والاستشهادِ . . فقد تظهَرُ من خلالِ قراءتهِ وتحقيقهِ كثيرٌ من غرائبِ العلومِ الدَّقيقةِ . . وتتَّضحُ بذلكَ معالمُ الطَّريقةِ . . الموصِلَةِ إلى معرفةِ الحقيقةِ . .

وقد وفَّقنا اللهُ ـ سبحانهُ وتعالى ـ لإعادةِ طبعهِ في صورةٍ منسَّقةٍ . . مشكولةٍ ومحقَّقةٍ . . تسهيلاً للقارئِ والمنشدِ . . والواعظِ والمرشدِ . . وللسَّلامةِ مِنَ الوقوعِ في أَخطاءٍ شنيعةٍ

تجرَحُ المسامعَ . . وتؤذي السَّامعَ . . وتسيءُ إلى المؤلفِ والجامعِ فقد قيلَ (المُحرِّفُ عدوُّ المصنِّفِ) .

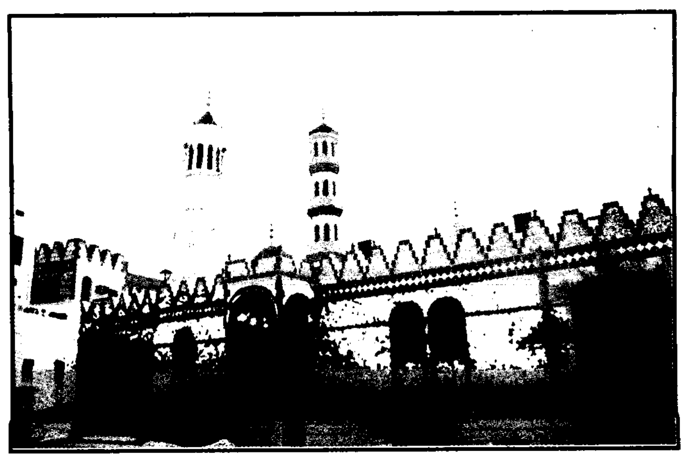
وهٰكذا يتجدَّدُ هٰذا « الدِّيوانُ » في شَكْلهِ وترتيبهِ . . وإخراجهِ وتبويبهِ . . كما يتجدَّدُ في نفعهِ وعطائِهِ . . وإشراقهِ وسنائِهِ . . ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا . . ﴾ .

فعسى أن يكونَ في هٰذا التَّجديدِ تجديدٌ لحياتِنا . . وجمعٌ لشتاتِنا . . نلمسهُ في سلوكِنا واتِّجاهاتِنا . . وفي أَبنائِنا وبناتِنا . . ونذوقهُ ونحسُّ بهِ في عبادتِنا وصلاتِنا . . وننتفعُ بهِ في حياتِنا وبعدَ مماتِنا . . فالتَّوفيقُ لهٰذا العملِ . . بشيرٌ بحصولِ الأملِ . . منْ ربِّنا عز وجل . .

لَـوْ لَـمْ تُـرِدْ نَيْـلَ مَـا أَرْجُـو وَأَطْلُبُـهُ
مِـنْ فَيْـضِ جُـودِكَ مَـا أَلْهَمْتَنِـي ٱلطَّلَبَـا

والحمدُ للهِ والفضلُ لهُ أوَّلاً وأَخيراً

عبد القادر جيلاني سالم الخرد



مسجد الإمام الحداد (الفتح)

ويسمى مسجد الأبرار . بعد التوسعة الأخيرة عام ١٤١٢هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدّمة

للإمامِ ٱلعلّامةِ
عَلويّ بنِ أحمدَ بنِ حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلحدّاد
حفيدِ ٱلنّاظِمِ

ربّ يسّر يا كريم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وأشهدُ أن لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدهُ خالقُ الخلقِ أجمعينَ ، وإلـٰهُ منْ في السمواتِ والأرضينَ ، أرسلَ رسلَهُ بالحقِّ ، وأوحىٰ إليهم وإلىٰ النبيينَ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ لكافَّة الخلقِ أجمعين . اللهمَّ صلِّ وسلِّم عليهِ وعلىٰ آلهِ وصحبهِ والتابعينَ ، وعُمَّ بأفضلِ الصلواتِ والتسليمِ نبيَّنا محمداً والمرسلينَ والأنبياءَ أجمعين .

وبعدُ : فديوانُ الحبيبِ القطبِ الغوثِ عبدِ اللهِ بن علويِّ الحدَّادِ شهرتُهُ في كلِّ جهةٍ قريبةٍ ، وشاسعةٍ بعيدةٍ ،

فرأيتُ[1] أن أُقيِّدَ بالكتابةِ ما عندي فيهِ من الفوائدِ ، معَ ما قيَّدهُ الحبيبُ محمَّدُ بنُ سميطٍ ، في البابِ الخامسِ من المناقبِ ؛ لأنَّه كما قالَ الوالدُ أحمدُ في شرحِ راتبِ جَدِّهِ ، قالَ فيهِ : وقد سمَّىٰ الشيخُ عبدُ اللهِ الحدَّادُ ـ نفعَ اللهُ بهِ ـ ديوانهُ « الدرَّ المنظومَ لذوي العقولِ والفهوم » ، فخصَّهُ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ بذي العقلِ والفهمِ ، فخرجَ الأحمقُ والبليدُ الفَدْمُ ؛ لأنَّه ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ أودعَ فيهِ أسْراراً ومعارفَ ، وعلوماً دقيقةً ولطائف ، وقد أشارَ إلىٰ ذلكَ بقولهِ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ :

(إنَّا أودَعْنَا فيهِ من الأسرارِ ما لم نودعهُ في غيرهِ من المؤلفاتِ ، فافهم . واللهُ أعلمُ) . انتهىٰ من « الشرحِ علىٰ الراتبِ » .

قد جمعَ فيهِ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ مِنَ الحِكَمِ واللطائفِ ، والأسرارِ والمعارفِ ، والتُّحَفِ والطرائفِ ، والحقائقِ والدقائقِ ، بالرمزِ والتلويحِ ، والتوضيحِ والتصريحِ ، وكم

---

(١) من كلام الحبيب علوي بن أحمد الحداد (حفيد الناظم) اهـ .

ضمَّنهُ مِن علومِ التوحيدِ والتفريدِ ، والتقديسِ والتنزيهِ ، ومِن علومِ الإسلامِ والإيمانِ ، واليقينِ والإحسانِ ، بالإشارةِ والعبارةِ والتبيينِ .

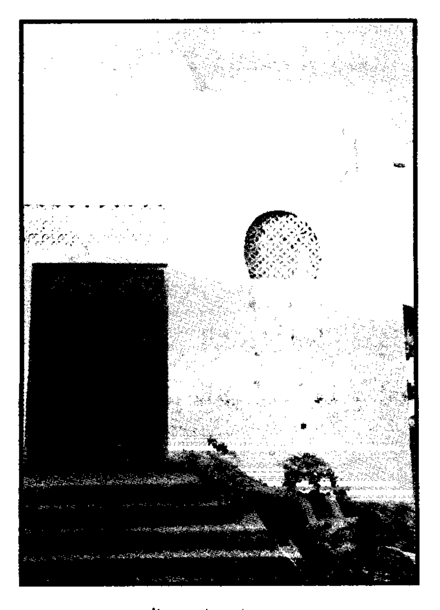
وقد سمعتُ عنهُ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ أنَّهُ قالَ :

(إنَّ في كلامنا المنظومِ علوماً لا توجدُ في غيرِهِ مِن الكتبِ ، ومَن كانَ عندهُ كفاهُ) بلفظهِ أو بمعناهُ .

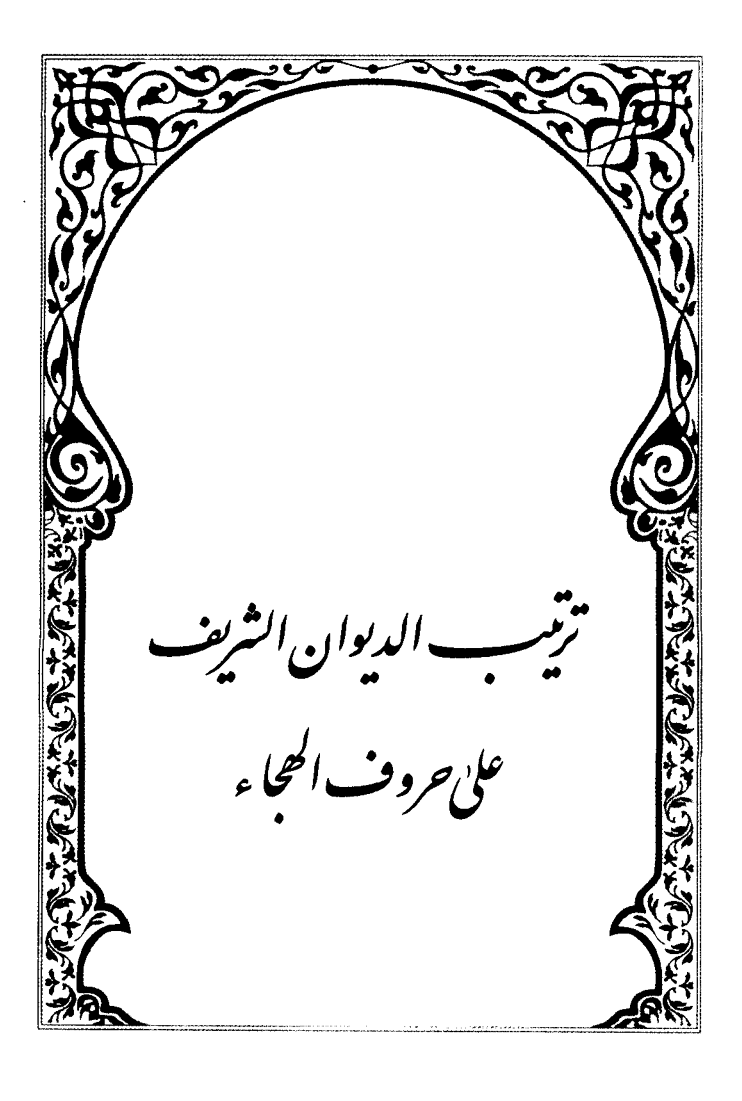
وقد استوعبَ نظمهُ ـ نفعَ اللهُ بهِ ـ جميعَ أبحرِ الشعرِ الخمسةَ عشرَ ، أو السبعةَ عشرَ علىٰ ما ذكرَ علماءُ ذلكَ الفنِّ ـ أعني : علمَ العروضِ ، وغيرَ ذلكَ ممَّا يذكرونهُ مِن البحورِ بالنسبةِ لِمَا أُحدِثَ ، كما يعرفُ ذلكَ مَن نظرَ فيهِ ـ وقد نزَّهَ شعرَهُ عن جميعِ عيوبِ الشعرِ العروضيَّةِ ؛ كالإيطاءِ ، والإقواءِ ، والإلقاءِ ، وغيرِ ذلكَ ممَّا يعلمُهُ أهلُ ذلكَ الفنِّ ، قد أيَّدَ اللهُ لسانَهُ ، وسدَّدَ بنانَهُ ، وشيَّدَ أركانَهُ ، ورفعَ شأنَهُ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ

وبالجملةِ فكلامُهُ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ السهلُ الممتنعُ ، القريبُ المنتفَعُ . اهـ

* * *



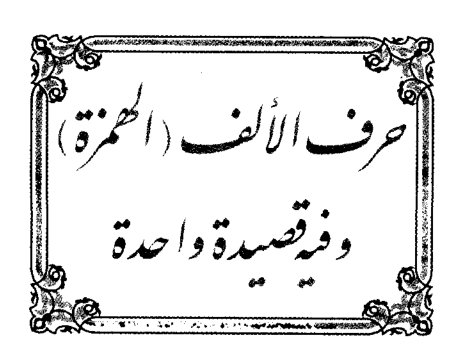
صورة محل ميلاده بالسبير



ترتيب الديوان الشريف
على حروف الهجاء



صورة مسجد الأوابين



قال رضي الله عنه : (١/أ)

أَمُوتُ بِدَائِي وَٱلدَّوَا فِي يَدَيْكُمُ
أَحِبَّةَ قَلْبِي أَنْعِمُوا بِدَوَائِي

إِذَا كَانَ دَائِي أَصْلُهُ ٱلْبُعْدُ عَنْكُمُ
فَإِنَّ دَوَائِي قُرْبُكُمْ وَشِفَائِي

تَوَالَتْ كُرُوبِي مُذْ ضَرَبْتُمْ حِجَابَكُمْ
فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِيْ لِكَشْفِ غِطَائِي

أَطَلْتُمْ بِعَادِي بَعْدَ قُرْبٍ أَلِفْتُهُ

فَعُدْ يَا زَمَانَ ٱلْوَصْلِ قَبْلَ فَنَائِي

لَئِنْ دَامَ هَـٰذَا ٱلْهَجْرُ مِنْكُمْ وَفِي ٱلْحَشَا

مِنَ ٱلْوَجْدِ مَا فِيهَا وَرَدْتُ ثَرَائِي

يُعَيِّرُنِي مَنْ لَمْ يَجِدْ مَا وَجَدْتُهُ

بِمَا نَالَنِي مِنْ وَحْشَةٍ وَضَنَاءِ

وَفِي ٱلْقَلْبِ شُغْلٌ عَنْ سَمَاعِ ٱنْتِقَادِهِ

بِتَأْمِيلِ وَصْلٍ بَعْدَ طُولِ تَنَائِي

أَقُولُ لِنَفْسِي سَاعِياً فِي ٱخْتِبَارِهَا

تَسَلَّيْ بِدُنْيَا عَنْهُمُ وَمُنَاءِ

فَقَالَتْ أَخُلْفٌ بَعْدَ وَعْدٍ وَعَدْتَنِي

بِأَيْمَنِ ذَاتِ ٱلْبَانِ يَوْمَ وَنَائِي

وَقَــدْ أَضْــرَمَ ٱلْبَيْــنُ ٱلْمُبَــرِّحُ نَــارَهُ
فَقُلْــتُ سَيُطْفَــا حَــرُّهُ بِلِقَــائِــي
وَلَمَّـا حَـدَا بِـي حَـادِيَ ٱلشَّـوْقِ قَـاصِـداً
إِلَيْكُــمْ بِجُنْـدَيْ فِطْــرَتِــي وَهَــوَائِــي
دَعَتْنِــي إِلَيْهَــا ذَاتُ مَكْــرٍ وَحِيلَــةٍ
وَقَــالَــتْ أَنَــا ٱلْمَقْصُــودُ لَيْسَ سِــوَائِــي
فَــأُفٍّ لَهَــا خَــدَّاعَــةٌ لَا تَغُــرُّنِــي
بِــرَوْنَقِهَــا ٱلْمَمْــدُودِ فَــوْقَ خَنَــاءِ
تَنَحَّــيْ تَنَحَّــيْ لَا سَــلَامــاً وَلَا رِضــاً
تُــرِيـدِيــنَ قَطْعِــي عَــنْ سَبِيـلِ غِنَـائِـي
تَحَقَّقْـتُ مَطْلُــوبِــي فَــأَسْــرَعْـتُ نَحْـوَهُ
فَــدَامَ سُــرُورِي وَٱضْمَحَــلَّ عَنَــائِـي

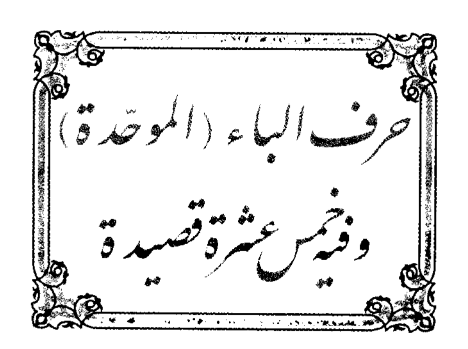
وَدَامَ شُهُــودِي وَٱسْتَمَــرَّتْ مَــوَاسِمِـــي

وَطَــابَ زَمَــانِـــي وَٱسْتَتَــمَّ صَفَــائِـــي

بِــرَبِّــي قِيَــامِــي لَا بِنَفْسِـــي وَلَا ٱلسِّــوَىٰ

فَشُكْــرِي لَـــهُ سُبْحَــانَـــهُ وَثَنَــائِـــي

* * *



وقال رضي الله عنه : (١/ب)

أَلَا يَا نَازِلِينَ عَلَى ٱلْكَثِيبِ
مِنَ ٱلْوَادِي عَلَى ٱلْمَرْعَى ٱلْخَصِيبِ

نَأَتْ بِي عَنْكُمُ ٱلدَّارُ فَمَا لِيْ
وَلِلْبُعْدِ ٱلْمُفَتِّتِ لِلْقُلُوبِ

تُرَوِّعُنِي ٱلْحَوَادِثُ كُلَّ حِينٍ
وَتَقْصِدُنِي مَهُولَاتُ ٱلْكُرُوبِ

وَلَــوْ أَنِّــي مُقِيــمٌ فِــي حِمَــاكُــمْ

أَرَاكُــمْ لَــمْ أُهَــدَّدْ بِــٱلْخُطُــوبِ

وَلَــمْ أَسْلُــوكُــمُ يَــا أَهْــلَ وِدِّي

فَــلَا تَصْغَــوْا لِإِرْجَــافِ ٱلْكَــذُوبِ

يَــرَىٰ أَنِّــي خَلِــيٌّ عَــنْ هَــوَاكُــمْ

وَلَــمْ يَــدْرِ بِمَــا بَيْــنَ ٱلْجُنُــوبِ

أُحِبُّكُــمُ لَكُــمْ وَلِمَــا مَنَحْتُــمْ

مِــنَ ٱلْإِحْسَــانِ وَٱللُّطْــفِ ٱلْعَجِيــبِ

وَكَــمْ أَهْــدَتْ إِلَــىٰ سِــرِّي يَــدَاكُــمْ

مَــوَاهِــبَ دُونَهَــا أَرَبُ ٱلْأَرِيــبِ

وَكَــمْ بَــرَزَتْ لِــرُوحِــي مِــنْ حِمَــاكُــمْ

مُحَجَّبَــةٌ عَــنِ ٱلْفَطِــنِ ٱللَّبِيــبِ

وَلِـــي أَمَـــلٌ وَرَا هَـٰـــذَا بَعِيْـــدٌ

وَذَلِـــكَ أَنْ أَصِيـــرَ إِلَـــى ٱلْحَبِيـــبِ

وَأَشْهَـــدَهُ مُشَـــاهَـــدَةً وَأَفْنَـــىٰ

عَـــنِ ٱلْكَـــوْنِ ٱلْبَعِيـــدِ مَـــعَ ٱلْقَـــرِيـــبِ

وَأَنْ أَبْقَـــىٰ بِـــهِ بَعْـــدَ ٱلتَّفَـــانِـــي

فَيَـــا بُشْـــرَايَ مَـــا أَوْفَـــىٰ نَصِيبِـــي

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢/ ب)

أَنْتُــــمُ أَنْتُــــمُ أَحِبَّـــــةُ قَلْبِـــــي
وَمُــرَادِي مِــنَ ٱلْــوُجُــودِ وَحَسْبِــي

وَإِذَا مَــا وَجَــدْتُكُــمْ طَــابَ عَيْشِــي
وَتَــوَلَّــىٰ هَمِّــي وَغَمِّــي وَكَــرْبِــي

وَيَــرِقُّ لِــيَ ٱلــزَّمَــانُ وَيَحْيَــا
كُــلُّ مَيْــتٍ مِنِّــي وَيَسْهُــلُ صَعْبِــي

شَــرِّفُــونِــي بِــٱلْقُــرْبِ مِنْكُــمْ وَوَصْــلٍ
يَــا دَوَائِــي مِــنْ كُــلِّ دَاءٍ وَطِبِّــي

يَــا سُكُــونــاً فِــي مُهْجَتِــي وَفُــؤَادِي
لَا بِغَــــورٍ وَلَا بِنَجْــــدٍ وَكُثْــــبِ

حُبُّكُــــمْ وَوِدَادُكُــــمْ حَشْــــوُ قَلْبِــــي

مِــــنْ قَــدِيــمٍ وَقَبْــلَ مَــاءٍ وَتُــرْبِ

وَإِذَا مَـــا ذَكَــرْتُكُــمْ سُــرَّ سِــرِّي

وَٱسْتَــرَاحَــتْ رُوحِــي بِــأُنْــسٍ وَقُــرْبِ

فَــٱرْتَضُــونِــي عَبْــداً لَكُــمْ وَنَــزِيــلاً

وَلَـــزِيمــاً لَكُــمْ فَقِيــراً مُلَبِّــي

دَعْــوَةَ ٱلْحَــقِّ حِيــنَ يَــدْعُــو إِلَيْكُــمْ

دَاعِــيَ ٱلْحَــقِّ خَيْــرُ عُجْــمٍ وَعُــرْبِ

(أَحْمَــدُ) ٱلْحَــامِــدِيــنَ خَيْــرُ ٱلْبَــرَايَــا

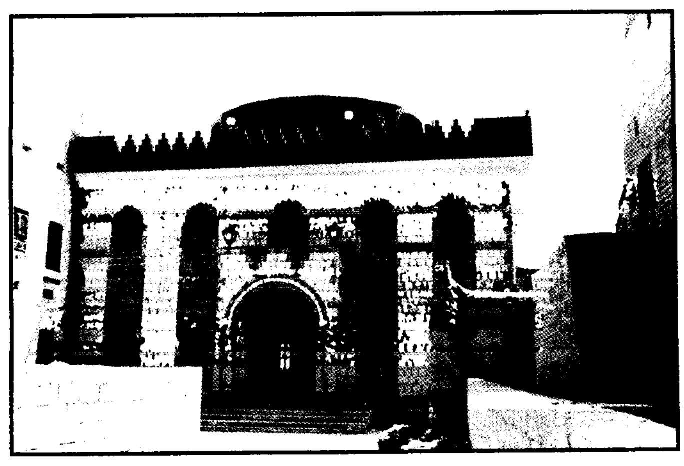
سَيِّــدُ ٱلْمُــرْسَلِيــنَ صَفْــوَةُ رَبِّــي

صَلَــــوَاتٌ مِــــنَ ٱلْإِلَــــهِ عَلَيْــــهِ

وَعَلَــــى ٱلْآلِ خَيْــــرِ آلٍ وَصَحْــــبِ

مَـــا شَـــرَىٰ بَـــارِقٌ وَهَـــبَّ نَسِيـــمٌ
وَٱسْتَهَلَّـــتْ غَمَـــامَـــةٌ فَـــوْقَ شِعْـــبِ

* * *



صورة دار الحضرة الكائن بتريم بجوار مسجد باعلوي
وهو الدار الذي نشأ فيه الناظم وتربى وتقام فيه (حضرة) بعد صلاة الجمعة إلى الآن

وقال رضي الله عنه : (٣/ ب)

تَفِيضُ عُيُونِي بِٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَاكِبِ
وَمَا لِيَ لَا أَبْكِي عَلَىٰ خَيْرِ ذَاهِبِ

عَلَى ٱلْعُمْرِ إِذْ وَلَّىٰ وَحَانَ ٱنْقِضَاؤُهُ
بِآمَالِ مَغْرُورٍ وَأَعْمَالِ نَاكِبِ

عَلَىٰ غُرَرِ ٱلْأَيَّامِ لَمَّا تَصَرَّمَتْ
وَأَصْبَحْتُ مِنْهَا رَهْنَ شُؤْمِ ٱلْمَكَاسِبِ

عَلَىٰ زَهَرَاتِ ٱلْعَيْشِ لَمَّا تَسَاقَطَتْ
بِرِيحِ ٱلْأَمَانِي وَٱلظُّنُونِ ٱلْكَوَاذِبِ

عَلَىٰ أَشْرَفِ ٱلْأَوْقَاتِ لَمَّا غُبِنْتُهَا
بِأَسْوَاقِ غَبْنٍ بَيْنَ لَاهٍ وَلَاعِبِ

عَلَـىٰ أَنْفَـسِ ٱلسَّـاعَـاتِ لَمَّـا أَضَعْتُهَـا

وَقَضَّيْتُهَـا فِـي غَفْلَـةٍ وَمَعَـاطِـبِ

عَلَىٰ صَـرْفِـيَ ٱلْأَنْفَاسَ فِي غَيْـرِ طَـائِلٍ

وَلَا نَـافِـعٍ مِـنْ فَضْـلِ عِلْـمٍ وَوَاجِـبِ

عَلَـىٰ مَـا تَـوَلَّـىٰ مِـنْ زَمَـانٍ قَضَيْتُـهُ

وَزَجَّيْتُـهُ فِـي غَيْـرِ حَـقٍّ وَصَـائِـبِ

عَلَـىٰ فُـرَصٍ كَـانَـتْ وَلَـوْ أَنَّنِـي ٱنْتَهَـزْ

تُهَـا نِلْـتُ فِيهَـا مِنْ شَـرِيـفِ ٱلْمَطَـالِـبِ

وَأَحْيَـانِ آنَـاءٍ مِـنَ ٱلـدَّهْـرِ قَـدْ مَضَـتْ

ضَيَـاعـاً وَكَـانَـتْ مَـوْسِمـاً لِلـرَّغَـائِـبِ

عَلَـىٰ صُحُـفٍ مَشْحُـونَـةٍ بِمَـآثِـمٍ

وَجُـرْمٍ وَأَوْزَارٍ وَكَـمْ مِـنْ مَثَـالِـبِ

عَلَىٰ كَمْ ذُنُوبٍ كَمْ عُيُوبٍ وَزَلَّةٍ

وَسَيِّئَةٍ مَخْشِيَّةٍ فِي ٱلْعَوَاقِبِ

عَلَىٰ شَهَوَاتٍ كَانَتِ ٱلنَّفْسُ أَقْدَمَتْ

عَلَيْهَا بِطَبْعٍ مُسْتَحِثٍّ وَغَالِبِ

عَلَىٰ أَنَّنِي آثَرْتُ دُنْيَا دَنِيَّةً

مُنَغَّصَةً مَشْحُونَةً بِٱلْمَعَايِبِ

عَلَىٰ عَمَلٍ لِلْعِلْمِ غَيْرُ مُوَافِقٍ

وَمَا فَضْلُ عِلْمٍ دُونَ فِعْلٍ مُنَاسِبِ

عَلَىٰ فِعْلِ طَاعَاتٍ بِغَيْرِ تَوَجُّهٍ

وَمِنْ غَيْرِ إِخْلَاصٍ وَقَلْبٍ مُرَاقِبِ

أُصَلِّي ٱلصَّلَاةَ ٱلْخَمْسَ وَٱلْقَلْبُ جَائِلٌ

بِأَوْدِيَةِ ٱلْوَسْوَاسِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

عَلَــىٰ أَنَّنِــي أَتْلُــو ٱلْقُــرَانَ كِتَــابَــهُ

تَعَــالَــىٰ بِقَلْــبٍ ذَاهِــلٍ غَيْــرِ رَاهِــبِ

عَلَــىٰ أَنَّنِــي قَــدْ أَذْكُــرُ ٱللهَ خَــالِقِــي

بِغَيْــرِ حُضُــورٍ لَازِمٍ وَمُصَــاحِــبِ

عَلَــىٰ طُــولِ آمَــالٍ كَثِيْــرٍ غُــرُورُهَــا

وَنِسْيَــانِ مَــوْتٍ وَهْــوَ أَقْــرَبُ غَــائِــبِ

عَلَــىٰ أَنَّنِــي لَا أَذْكُــرُ ٱلْقَبْــرَ وَٱلْبِلَــىٰ

كَثِيــراً وَسَفْــراً ذَاهِبــاً غَيْــرَ آيِــبِ

عَلَــىٰ أَنَّنِــي عَــنْ يَــوْمِ بَعْثِــي وَمَحْشَــرِي

وَعَــرْضِــي وَمِيــزَانِــي وَتِلْــكَ ٱلْمَصَــاعِــبِ

مَــوَاقِــفُ مِــنْ أَهْــوَالِهَــا وَخُطُــوبِهَــا

يَشِيــبُ مِــنَ ٱلْــوِلْــدَانِ شَعْــرُ ٱلــذَّوَائِــبِ

تَغَـافَلْـتُ حَتَّـىٰ صِـرْتُ مِـنْ فَـرْطِ غَفْلَتِـي
كَـأَنِّيَ لا أَدْرِي بِتِلْـكَ ٱلْمَـرَاهِـبِ
عَلَـى ٱلنَّـارِ أَنِّـيْ مَـا هَجَـرْتُ سَبِيلَهَـا
وَلَا خِفْـتُ مِـنْ حَيَّـاتِهَـا وَٱلْعَقَـارِبِ
عَلَـى ٱلسَّعْـيِ لِلْجَنَّـاتِ دَارِ ٱلنَّعِيـمِ وَٱلْـ
ـكَـرَامَـةِ وَٱلـزُّلْفَـىٰ وَنَيْـلِ ٱلْمَـآرِبِ
مِـنَ ٱلْعِـزِّ وَٱلْمُلْـكِ ٱلْمُخَلَّـدِ وَٱلْبَقَـا
وَمَـا تَشْتَهِيـهِ ٱلنَّفْـسُ مِـنْ كُـلِّ طَـالِـبِ
وَأَكْبَـرُ مِـنْ هَـٰذَا رِضَـا ٱلـرَّبِّ عَنْهُـمُ
وَرُؤْيَتُهُـمْ إِيَّـاهُ مِـنْ غَيْـرِ حَـاجِـبِ
فَـآهٍ عَلَـىٰ عَيْـشِ ٱلْأَحِبَّـةِ نَـاعِمـاً
هَنِيّـاً مُصَفّـىً مِـنْ جَمِيـعِ ٱلشَّـوَائِـبِ

وَآهٍ عَلَيْنَا فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ
عَنِ ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَقُرْبِ ٱلْحَبَايِبِ

وَآهٍ عَلَىٰ مَا فَاتَ مِنْ هَدْيِ سَادَةٍ
وَمِنْ سِيَرٍ مَحْمُودَةٍ وَمَذَاهِبِ

عَلَىٰ مَا لَهُمْ مِنْ هِمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ
وَجِدٍّ وَتَشْمِيرٍ لِنَيْلِ ٱلْمَرَاتِبِ

عَلَىٰ مَا لَهُمْ مِنْ عِفَّةٍ وَفُتُوَّةٍ
وَزُهْدٍ وَتَجْرِيدٍ وَقَطْعِ ٱلْجَوَاذِبِ

عَلَىٰ مَا لَهُمْ مِنْ عُزْلَةٍ وَسِيَاحَةٍ
بِقَفْرِ ٱلْفَيَافِي وَٱلرِّمَالِ ٱلسَّبَاسِبِ

عَلَىٰ مَا لَهُمْ فِي صَوْمِ كُلِّ هَجِيرَةٍ
وَمِنْ خَلْوَةٍ بِٱللهِ تَحْتَ ٱلْغَيَاهِبِ

عَلَــى ٱلصَّبْـرِ وَٱلشُّكْـرِ ٱللَّــذَيْـنِ تَحَقَّقُــوا

وَصِــدْقٍ وَإِخْــلَاصٍ وَكَــمْ مِــنْ مَنَــاقِــبِ

عَلَـىٰ مَـا صَفَـا مِـنْ قُـرْبِهِـمْ وَشُهُـودِهِـمْ

وَمَــا طَــابَ مِــنْ أَذْوَاقِهِــمْ وَٱلْمَشَــارِبِ

فَكَــمْ بِفُــؤَادِي مِــنْ غَلِيــلٍ وَمِــنْ أَسًــى

وَمِــنْ حَسَــرَاتٍ مُتْعِبَــاتٍ غَــوَالِــبِ

وَكَـمْ مِـنْ دُمُـوعٍ فِـي ٱلْخُـدُودِ سَـوَاكِـبٍ

تَجُـودُ بِهَـا سُحْــبُ ٱلْجُفُـونِ ٱلــذَّوَائِـبِ

وَلَــوْ أَنَّنِــي أَبْكِــي ٱلــدُّمُـوعَ وَبَعْـدَهَـا ٱلــ

ــدِّمَــاءَ عَلَــىٰ مَــا فَــاتَنِــي يَــا مُعَــاتِبِــي

لَكَـــانَ قَلِيـــلاً فِـــي كَثِيـــرٍ وَمَـــا عَسَـــىٰ

يَـــرُدُّ ٱلْبُكَـــا مِـــنْ ذَاهِـــبٍ أَيِّ ذَاهِـــبِ

فَـــأَسْتَغْفِـــرُ ٱللهَ ٱلْعَظِيـــمَ جَـــلَالُـــهُ

وَقُـــدْرَتُـــهُ فِـــي شَـــرْقِهَـــا وَٱلْمَغَـــارِبِ

إِلَيْـــهِ مَتَـــابِـــي وَهْـــوَ حَسْبِـــي وَمَلْجَئِـــي

وَلِـــيْ أَمَـــلٌ فِـــي عَطْفِـــهِ غَيْـــرُ خَـــائِـــبِ

وَأَسْـــأَلُـــهُ ٱلتَّـــوْفِيـــقَ فِيمَـــا بَقِـــيْ لِمَـــا

يُحِـــبُّ وَيَـــرْضَـــىٰ فَهْـــوَ أَسْنَـــى ٱلْمَطَـــالِـــبِ

وَأَنْ يَتَغَشَّـــــانَـــــا بِعَفْـــــوٍ وَرَحْمَـــــةٍ

وَفَضْـــلٍ وَإِحْسَـــانٍ وَسَتْـــرِ ٱلْمَعَـــايِـــبِ

وَأَنْ يَتَـــــوَلَّانَـــــا بِلُطْـــــفٍ وَرَأْفَـــــةٍ

وَحِفْـــظٍ يَقِينَـــا شَـــرَّ كُـــلِّ ٱلْمَعَـــاطِـــبِ

وَأَنْ يَتَـــوَفَّـــانَـــا عَلَـــىٰ خَيْـــرِ مِلَّـــةٍ

عَلَـــىٰ مِلَّـــةِ ٱلْإِسْـــلَامِ خَيْـــرِ ٱلْمَـــوَاهِـــبِ

مُقِيمِيـــــنَ لِلْقُــــرْآنِ وَٱلسُّنَّـــــةِ ٱلَّتِــــي
أَتَــانَــا بِهَــا عَــالِــي ٱلـذُّرَىٰ وَٱلْمَـرَاتِـبِ

(مُحَمَّـــدٌ) ٱلْهَـــادِي ٱلْبَشِيـــرُ نَبِيُّنَـــا
وَسَيِّـــدُنَـــا بَحْــرُ ٱلْهُـــدَىٰ وَٱلْمَنَـــاقِـــبِ

عَلَيْـــهِ صَـــلَاةُ ٱللهِ ثُـــمَّ سَـــلَامُـــهُ
وَآلٍ وَأَصْحَـــابٍ لَـــهُ كَـــٱلْكَـــوَاكِـــبِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٤/ب)

جَــزَى ٱللهُ خَيْــراً سَيِّــداً وَٱبْــنَ سَيِّــدٍ

وَعَــلَّامَــةً مِــنْ آلِ طَـٰــهَ ٱلْأَطَــايِــبِ

عَلَــىٰ جَمْعِــهِ كُتْبــاً يَعِــزُّ ٱجْتِمَــاعُهَــا

لِنَفْــعِ عِبَــادِ ٱللهِ مِــنْ كُــلِّ طَــالِــبِ

بِــأَجْــدَادِكُــمْ قَــدْ أَظْهَــرَ ٱللهُ دِينَــهُ

وَأَشْهَــرَهُ فِــي شَــرْقِهَــا وَٱلْمَغَــارِبِ

وَأَنْتُــمْ بِهَــا مِــنْ بَعْــدِهِــمْ تَخْلُفُــونَهُــمْ

بِــإِظْهَــارِ دِيــنِ ٱللهِ مُعْطِــي ٱلــرَّغَــائِــبِ

فَعِــشْ صَــالِحــاً فِــي غِبْطَــةٍ وَسَعَــادَةٍ

وَعَــافِيَــةٍ مِــنْ كُــلِّ بُــؤْسٍ وَنَــائِــبِ

وَفِـــي نِعَـــمٍ تَتْـــرَىٰ وَعِـــزٍّ وَرِفْعَـــةٍ
تَـدُومُ عَلَـىٰ رَغْـمِ ٱلْحَسُـودِ ٱلْمُجَـانِـبِ

وَلَا زِلْـتَ يَـا ٱبْـنَ ٱلطَّـاهِـرِيـنَ مُـوَفَّقـاً
وَمُحْتَلِيـاً أَسْنَـى ٱلْحُلَـىٰ وَٱلْمَنَـاقِـبِ

وَلَا زَالَ فِـــي إِخْـــوَانِنَـا وَرُبُـــوعِنَـا
مِـنَ ٱلْعَلَـوِيِّـنَ ٱلْكِـرَامِ ٱلْمَنَـاسِـبِ

كَمِثْلِكُـــمُ يُحْيُـــونَ سُنَّـــةَ جَـــدِّهِـــمْ
عَلَـى ٱلْعِلْـمِ وَٱلتَّقْـوَىٰ وَحِفْـظِ ٱلْمَـرَاتِـبِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٥/ ب)

سَلَكْنَا ٱلْفَيَافِي وَٱلْقِفَارَ عَلَى ٱلنُّجْبِ
تَجِدُّ بِنَا ٱلْأَشْوَاقُ لَا حَادِيَ ٱلرَّكْبِ

فَنَهْوِي عَلَيْهَا بِٱلْعَشِيَّةِ وَٱلَّذِي
يَلِيهَا مِنَ ٱللَّيْلِ ٱلْبَهِيمِ عَلَى ٱلْقُتْبِ

يَلَذُّ لَنَا أَنْ لَا يَلَذَّ لَنَا ٱلْكَرَىٰ
لِمَا خَالَطَ ٱلْأَرْوَاحَ مِنْ خَالِصِ ٱلْحُبِّ

وَيَبْرُدُ حَرٌّ بِٱلْهَجِيرِ تَمُدُّهُ
سَمُومٌ إِذَا هَاجَتْ تُزَعْزِعُ لِلْكُثْبِ

وَمَا زَالَ هَـٰذَا دَأْبَنَا وَصَنِيعَنَا
إِلَىٰ أَنْ أَنَخْنَا ٱلْعِيسَ بِٱلْمَنْزِلِ ٱلرَّحْبِ

نَـزَلْنَـا بِخَيْـرِ ٱلْعَـالَمِيـنَ (مُحَمَّـدٍ)

نَبِـيِّ ٱلْهُـدَىٰ بَحْـرِ ٱلنَّـدَىٰ سَيِّـدِ ٱلْعُـرْبِ

رَسُـولٌ أَمِيـنٌ هَـاشِمِـيٌّ مُعَظَّـمٌ

وَسَيِّـدُ مَـنْ يَـأْتِي وَمَـنْ مَـرَّ فِـي ٱلْحُقْـبِ

مَـلَاذُ ٱلْبَـرَايَـا غَـوْثُ كُـلِّ مُـؤَمِّـلٍ

كَـرِيـمُ ٱلسَّجَـايَـا طَيِّـبُ ٱلْجِسْـمِ وَٱلْقَلْـبِ

يُـؤَمِّلُـهُ ٱلْعَـافُـونَ مِـنْ كُـلِّ مُمْحِـلٍ

كَتَـأْمِيلِهِـمْ لِلسَّـاكِبَـاتِ مِـنَ ٱلسُّحْـبِ

كَـرِيـمٌ حَلِيـمٌ شَـأْنُـهُ ٱلْجُـودُ وَٱلْـوَفَـا

يُـرَجَّـىٰ لِكَشْـفِ ٱلضُّـرِّ وَٱلْبُـؤْسِ وَٱلْكَـرْبِ

رَحِيـمٌ بَـرَاهُ ٱللهُ لِلْخَلْـقِ رَحْمَـةً

وَأَرْسَلَـهُ دَاعٍ إِلَـى ٱلْفَـوْزِ وَٱلْقُـرْبِ

وَأَرْسَلَــهُ بِـــٱلْحَــقِّ وَٱلصِّـــدْقِ وَٱلْهُـــدَىٰ

وَبَـذْلِ ٱلنَّـدَىٰ وَٱلـرِّفْـقِ وَٱلْمَنْطِـقِ ٱلْعَـذْبِ

بِـــهِ ٱللَّهُ أَنْجَـانَــا مِـــنَ ٱلشِّـــرْكِ وَٱلــرَّدَىٰ

وَمِـنْ عَمَـلِ ٱلشَّيْطَـانِ وَٱلْجِبْـتِ وَٱلنُّصْــبِ

وَأَدْخَلَنَـــا فِـــي خَيْـــرِ دِيـــنٍ يُحِبُّـــهُ

وَيَــرْضَــاهُ دِيــنُ ٱلْحَــقِّ فَــٱلْحَمْــدُ لِلــرَّبِّ

لَـــهُ ٱلْمِنَّـــةُ ٱلْعُظْمَـــىٰ عَلَيْنَـــا بِبَعْثِـــهِ

إِلَيْنَـــا وَمِنَّـــا عَـــالِـــيَ ٱلـــذِّكْـــرِ وَٱلْكَعْـــبِ

نَبِـــيٌّ عَظِيـــمٌ خُلْقُـــهُ ٱلْخُلُـــقُ ٱلَّـــذِي

لَـــهُ عَظَّـــمَ ٱلـــرَّحْمَـٰــنُ فِـــي سَيِّـــدِ ٱلْكُتْـــبِ

وَأَيَّـــدَهُ بِـــٱلْـــوَحْـــيِ وَٱلنَّصْـــرِ وَٱلصَّبَـــا

وَأَمْــلَاكِــهِ وَٱلْمُــؤْمِنِيــنَ وَبِــٱلــرُّعْــبِ

وَبِـاْلْمُعْجِـزَاتِ ٱلظَّـاهِـرَاتِ ٱلَّتِـي نَمَـتْ

عَلَى ٱلْقَطْـرِ عَـدّاً بَعْـدَ مَـا كَـلَّ مَـنْ نُبِّـي

وَآتَـــاهُ قُـــرْآنـــاً بِـــهِ أَعْجَـــزَ ٱلْـــوَرَىٰ

جَمِيعـاً عَلَـى ٱلتَّـأْبِيـدِ يَـا لَـكَ مِـنْ غَلْـبِ

أَلَا يَـــا رَسُـــولَ ٱللهِ إِنَّـــا قَـــرَابَـــةٌ

وَذُرِّيَّـــةٌ جِئْنَـــاكَ لِلشَّـــوقِ وَٱلْحُـــبِّ

وَقَفْنَـــا عَلَـــىٰ أَعْتَـــابِ فَضْلِـــكَ سَيِّـــدِي

لِتَقْبِيـــلِ تُـــرْبٍ حَبَّـــذَالِـــكَ مِـــنْ تُـــرْبِ

وَقُمْنَـــا تُجَـــاهَ ٱلْـــوَجْـــهِ وَجْـــهٍ مُبَـــارَكٍ

عَلَيْنَـا بِـهِ نُسْقَـى ٱلْغَمَـامَ لَـدَى ٱلْجَـدْبِ

أَتَيْنَـــاكَ زُوَّاراً نَـــرُومُ شَفَـــاعَـــةً

إِلَـــى ٱللهِ فِـــي مَحْـــوِ ٱلْإِسَـــاءَةِ وَٱلـــذَّنْـــبِ

وُفُــــودٌ وَزُوَّارٌ وَأَضْيَـــافُ حَضْــــرَةٍ

مُكَــرَّمَــةٍ مُسْتَــوْطَــنِ ٱلْجُــودِ وَٱلْخِصْــبِ

وَفِــي ٱلنَّفْــسِ حَــاجَــاتٌ وَثَــمَّ مَطَــالِــبٌ

نُــؤَمِّــلُ أَنْ تُقْضَــىٰ بِجَــاهِــكَ يَــا مُحْبِــي

تَــوَجَّــهْ رَسُــولَ ٱللهِ فِــي كُــلِّ حَــاجَــةٍ

لَنَــا وَمُهِــمٍّ فِــي ٱلْمَعَــاشِ وَفِــي ٱلْقَلْــبِ

وَإِنَّ صَــلَاحَ ٱلــدِّيــنِ وَٱلْقَلْــبِ سَيِّــدِي

هُــوَ ٱلْغَــرَضُ ٱلْأَقْصَــىٰ فَيَــا سَيِّــدِي قُــمْ بِــي

عَلَيْــكَ صَــلَاةُ ٱللهِ يَــا خَيْــرَ مَــنْ تَــلَا

كِتَــابــاً مُنِيــراً جَــاءَ بِــٱلْفَــرْضِ وَٱلنَّــدْبِ

عَلَيْــكَ صَــلَاةُ ٱللهِ يَــا خَيْــرَ مُهْتَــدٍ

وَهَــادٍ بِنُــورِ ٱللهِ فِــي ٱلشَّــرْقِ وَٱلْغَــرْبِ

عَلَيْــكَ صَــلَاةُ ٱللهِ يَــا خَيْــرَ مَــنْ دَعَــا

إِلَــى ٱللهِ بَعْــدَ ٱلـرِّفـقِ بِـٱلسُّمْـرِ وَٱلْقُضْــبِ

عَلَيْــكَ صَــلَاةُ ٱللهِ يَــا سَيِّــداً سَــرَىٰ

إِلَــى ٱللهِ حَتَّــىٰ مَــرَّ بِــٱلسَّبْــعِ وَٱلْحُجْــبِ

وَقَــامَ بِـ ﴿أَوْ أَدْنَــىٰ﴾ فَنَــاهِيــكَ رِفْعَــةً

وَمَجْـداً سَمَـا حَتَّـىٰ أَنَـافَ عَلَـى ٱلشُّهْــبِ

عَلَيْــكَ سَــلَامُ ٱللهِ مَــا سَــارَ مُخْلِــصٌ

إِلَيْــكَ يَقُــولُ : ٱللهُ وَٱلْمُصْطَفَــىٰ حَسْبِــي

عَلَيْــكَ سَــلَامُ ٱللهِ مَــا أَسْحَــرَ ٱلصَّبَــا

فَحَـــرَّكَ أَرْوَاحَ ٱلْمُحِبِّيـــنَ لِلْقُـــرْبِ

عَلَيْــكَ سَــلَامُ ٱللهِ مَــا بَــارِقٌ شَــرَىٰ

وَمَــا غَنَّــتِ ٱلْأَطْيَــارُ فِــي عَــذَبِ ٱلْقُضْــبِ

عَلَيْـــكَ سَـــلَامُ ٱللهِ مَـــا حَـــرَّكَ ٱلْحِـــدَا

قُلُـوبـاً إِلَـىٰ مَغْنَـاكَ بِـاْلشَّـوْقِ وَٱلْحُـبِّ

عَلَيْـــكَ سَـــلَامُ ٱللهِ عَـــدَّ ٱلنَّبَـــاتِ وَٱلـ

ـــرِّمَـالِ وَعَـدَّ ٱلْقَطْـرِ فِـي حَـالَـةِ ٱلسَّكْـبِ

عَلَيْـــكَ سَـــلَامُ ٱللهِ أَنْـــتَ مَـــلَاذُنَـــا

لَدَى ٱلْيُسْرِ وَٱلْإِعْسَارِ وَٱلسَّهْلِ وَٱلصَّعْبِ

عَلَيْـــكَ سَـــلَامُ ٱللهِ أَنْـــتَ حَبِيبُنَـــا

وَسَيِّـدُنَـا وَٱلـذُّخْـرُ يَـا خَيْـرَ مَـنْ نُبِّـي

عَلَيْـــكَ سَـــلَامُ ٱللهِ أَنْـــتَ إِمَـــامُنَـــا

وَمَتْبُـوعُنَـا وَٱلْكَنْـزُ وَٱلْغَـوْثُ فِـي ٱلْخَطْـبِ

وَصَلَّـــىٰ عَلَيْـــكَ ٱللهُ دَأْبـــاً وَسَـــرْمَـــداً

وَسَلَّـــمَ يَـــا مُخْتَـــارُ وَٱلْآلِ وَٱلصَّحْـــبِ

* * *

وقال رضي الله عنه :

(٦/ب)

لَيْـــسَ هَـٰـــذَا بِعَجِيـــبِ
مِنْـــكَ يَـــا ظَبْـــيَ ٱلْكَثِيـــبِ

يَـــا شَبِيهــــاً بِقَضِيـــبِ
هَـــزَّهُ رِيـــحُ ٱلْجَنُـــوبِ

تَتَنَحَّـــىٰ عَـــنْ جَنَـــابِـــيْ
وَهْـــوَ مَـــأْوىً لِلْغَـــرِيـــبِ

وَتُصَـــافِـــي مَـــنْ جَفَـــانِـــي
مِـــنْ بَعِيـــدٍ وَقَـــرِيـــبِ

فَصْلٌ

بِئْـــسَ هَـٰـــذَا ٱلْفِعْـــلُ فَـــٱعْـــدِلْ
عَنْـــهُ لِلْفِعْـــلِ ٱلْجَمِيـــلِ

وَٱتَّقِ ٱلرَّحْمَٰنَ وَٱعْقِلْ

وَٱعْدُ عَنْ قَالٍ وَقِيلِ

وَتَجَنَّبْ كُلَّ مُبْطِلْ

وَغَبِيٍّ وَجَهُولِ

وَٱتَّبِعْ كُلَّ عَلِيمٍ

وَحَلِيمٍ وَمُصِيبِ

فَصْلٌ

يَا رَعَى ٱللهُ زَمَاناً

مَرَّ بِي فِي شِعْبِ عَامِرْ

وَسَقَى ٱللهُ لَيَالٍ

بَيْنَ هَاتِيكَ ٱلْمَشَاعِرْ

وَٱلْمَعَـــاهِــدْ وَٱلْمَشَــاهِــدْ

وَٱلْمَعَـــابِـــدْ وَٱلْمَـــآثِـــرْ

هَـــلْ تَـــرَىٰ عَيْشــاً تَقَضَّـــىٰ

عَـــائِـــداً لِـــي عَـــنْ قَـــرِيـــبِ

فَصْلٌ

أَيُّهَـــا ٱلْغِمْـــرُ ٱلْمُغَفَّـــلْ

لَا تَكُـــنْ تَتْبَـــعْ هَـــوَاكَـــا

وَٱتْـــرُكِ ٱلـــدُّنْيَـــا ٱلْحَقِيـــرَهْ

وَٱطَّـــرِحْهَـــا مِـــنْ وَرَاكَـــا

وَٱطْلُـــبِ ٱلْأُخْـــرَى ٱلْخَطِيـــرَهْ

وَٱتَّبِـــعْ مَـــنْ قَـــدْ دَعَـــاكَـــا

خَـــاتَـــمَ ٱلـــرُّسْـــلِ ٱلْكِـــرَامِ
نِعْـــمَ مِـــنْ خِـــلٍّ حَبِيـــبِ

فَصْلٌ

صَلَـــوَاتُ ٱللهِ سَـــرْمَـــدْ
بِـــٱلْغَـــدَايَـــا وَٱلْعَشِيَّـــاتْ
تَبْلُـــغُ ٱلْهَـــادِي مُحَمَّـــدْ
ٱلْمُشَفَّـــعْ فِـــي ٱلْبَـــرِيَّـــاتْ
وَٱلْخَـــلَائِـــقْ وَٱلْأَئِمَّـــهْ
بَعْـــدَهُ مِـــنْ خَيْـــرِ سَـــادَاتْ
مِـــنْ ذَوِي ٱلْقُـــرْبَـــىٰ وَصَحْـــبٍ
كُـــلِّ أَوَّاهٍ مُنِيـــبِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٧/ب)

مَــــا بَــــالُ ٱلْعُيُــــونْ

تَــذْرِي ٱلــدُّمُــوعَ ٱلسَّــوَاكِــبْ

مِــــنْ فَــــرْطِ ٱلشُّجُــــونْ

كَــٱلنَّــارِ بَيْــنَ ٱلْجَــوَانِــبْ

لَاعِــــجْ مَــــا يَهُــــونْ

مِــنْ طُــولِ بُعْــدِ ٱلْحَبَــايِــبْ

مَــــا أَدْرِي مَــــا يَكُــــونْ

ضَــاقَــتْ عَلَــيَّ ٱلْمَــذَاهِــبْ

فَصْلٌ

مَــــا هَــــبَّ ٱلنَّسِيــــمْ

مِــنْ حَــيٍّ سَلْمَــىٰ وَلُبْنَــىٰ

فِـــي ٱللَّيْـــلِ ٱلْبَهِيـــمْ
إِلَّا وَبَـــاتَ ٱلْمُعَنَّـــىٰ
ٱلصَّـــبُّ ٱلسَّقِيـــمْ
مُبَلْبَـــلُ ٱلْبَـــالْ مُضْنَـــىٰ
سَهْـــرَانَ ٱلْجُفُـــونْ
كَئِيـــبْ حَيْـــرَانْ ذَائِـــبْ

فَصْلٌ

يَـــا شَـــادِنْ زَرُودْ
لِـــمَ تَجَـــافَيْـــتَ عَنِّـــي
يَـــا وَرْدِي ٱلْخُـــدُودْ
مَـــا كَـــانْ ذَا فِيـــكْ ظَنِّـــي

شَمَّـــــــتَ ٱلْحَسُــــــودْ

عَلَـــــيَّ إِذْ بَـــانْ وَهْنِـــــيْ

ظَـــــنَ أَنِّـــــي أَهُــــونْ

كَــــــلَّا وَرَبِّ ٱلْمَغَــــــارِبْ

فَصْلٌ

إِنِّـــــي يَــــا عَــــــذُولْ

بِــــاْللهِ مَــــوْلَايْ وَاثِـــــقْ

ٱلْبَــــــرِّ ٱلْــــــوَصُــــولْ

خَــالِــقْ جَمِيـــعِ ٱلْخَـــلَائِـــقْ

دَائِـــــــمْ لَا يَـــــــزُولْ

وَهَّــــــابْ فَتَّـــــاحْ رَازِقْ

فِـــي حُسْـــنِ ٱلظُّنُـــونْ
بِـــٱللهْ كُـــلُّ ٱلْمَطَــالِـــبْ

فَصْلٌ

وَٱلْهَـــــــادِي ٱلْبَشِيــــــرْ
خَيْـــرُ ٱلْبَـــرِيَّـــاتْ جَـــدِّيْ
ٱلْبَــــــدْرُ ٱلْمُنِيــــــرْ
بِـــهْ تَـــمَّ فَخْـــرِي وَمَجْـــدِي
بِـــٱلطُّهْـــرِ ٱلنَّـــذِيـــرْ
أَنَـــالُ غَـــايَـــاتْ قَصْـــدِي
مِـــنْ كُـــلِّ ٱلْفُنُـــونْ
عَلَـــىٰ هَـــوَانِ ٱلْمُجَـــانِـــبْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٨/ ب)

مَــا بَــالُ جِيــرَانِنَــا بِــٱلْبَــانْ

مَــالُــوا عَــنِ ٱلْــوُدِّ وَٱلْحُــبِّ

وَصَيَّــــرُوا حَظَّنَــــا ٱلْهُجْــــرَانْ

مِنْهُــمْ وَمَــا ثَــمَّ مِــنْ ذَنْــبِ

أَصْبَحْــتُ مِــنْ بُعْــدِهِــمْ وَلْهَــانْ

مُتَيَّــــمَ ٱلْجِسْــــمِ وَٱلْقَلْــــبِ

تَجْـرِي دُمُـوعِـي عَلَـى ٱلْأَجْفَـانْ

كَــأَنَّهَــا مَــاطِــرُ ٱلسُّحْــبِ

فصل

يــا سَعْــدُ مَــا كَــانَ فِــي ظَنِّــي

أَنَّ ٱلْأَحِبَّــــةَ وَٱلْجِيــــرَانْ

بَعْـــدَ ٱللِّقَــا يُعْــرِضُــوا عَنِّـــي

وَيَتْـــرُكُـــونِـــيْ كَـــذَا حَيْـــرَانْ

فَقُـــلْ لَهُـــمْ يَـــا أَخَـــا ٱلْيُمْـــنِ

أَيْـــنَ ٱلْمَـــوَاثِيـــقُ وَٱلْأَيْمَـــانْ

وَأَيْـــنَ عَهْـــدٌ لَنَـــا قَـــدْ كَـــانْ

بِـــٱلسَّفْـــحِ مِـــنْ جَـــانِـــبِ ٱلشِّعْـــبِ

فَصْلٌ

سَقْيـــاً لِأَيَّـــامِنَـــا ٱلـــلَّاتِـــي

مَـــرَّتْ لَنَـــا بِـــٱلْحِمَـــى ٱلْمَـــأْنُـــوسْ

كَـــانَـــتْ بِهَـــا كُـــلُّ لَـــذَّاتِـــي

فِـــي عَـــالَـــمِ ٱلـــرُّوحِ وَٱلْمَحْسُـــوسْ

لَـــوْلَا ٱلتَّـــرَجِّـــي لِمَـــا يَـــأْتِـــي

مِـــنْ نَفْحَـــةِ ٱلْمَلِـــكِ ٱلْقُـــدُّوسْ

لَمَـــزَّقَـــتْ قَلْبِـــيَ ٱلْأَحْـــزَانْ

وَذُبْـــتُ مِـــنْ شِـــدَّةِ ٱلْكَـــرْبِ

فَصْل

عِـشْ بِـٱلـرَّجَـا وَٱلْأَمَـلْ يَـا صَـاحْ

وَحَسِّـــنِ ٱلظَّـــنَّ بِـــٱلْمَعْبُـــودْ

وَزَجِّ وَقْتَـــكَ بِـــٱلْأَفْـــرَاحْ

وَلَا تَـــأَسَّـــفْ عَلَـــىٰ مَفْقُـــودْ

وَٱرْقَ إِلَـــىٰ عَـــالَـــمِ ٱلْأَرْوَاحْ

فَـــإِنَّـــهُ ٱلْأَصْـــلُ وَٱلْمَقْصُـــودْ

وَلَا تُعَـــوِّلْ عَلَـــى ٱلْجُثْمَـــانْ
فَــــإِنَّمَــــا هُــــوَ لِلتُّــــرْبِ

فَصْلٌ

فَهَــلْ تَــرَىٰ يُسْعِــدُ ٱلــدَّهْــرُ
بَعْــــدَ ٱلتَّفَــــرُّقِ وَٱلْبَيْــــنِ
مِــنْ قَبْــلِ أَنْ يَنْقَضِــي ٱلْعُمْــرُ
بِمُلْتَقَــــىٰ قُــــرَّةِ ٱلْعَيْــــنِ
وَيَــدْنُــوَ ٱلــرُّكْــنُ وَٱلْحِجْــرُ
مِــنْ مُنْتَهَــى ٱلْحُسْــنِ وَٱلــزَّيْــنِ
وَبِــــٱلْمُعَــــرَّفِ مِــــنْ نَعْمَــــانْ
مَــــوَاقِــــفُ ٱلْفَــــوْزِ وَٱلْقُــــرْبِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٩/ب)

مُحِــبٌّ لَيْــسَ يَــدْرِي مَــنْ يُحِــبُّ
وَلَا مَــــاذَا يُحِــــبُّ أَيَسْتَتِــــبُّ

لَــهُ هَــٰـذَا فَقُــلْ لِــيْ يَــا نَــدِيمِــي
وَأَوْضِــحْ مَــا تُحِــبُّ لِمَــنْ تُحِــبُّ

إِذَا هَبَّــتْ نُسَيْمَــاتُ ٱلْمَعَــالِــي
تَــزَلْــزَلَ قَلْبُــهُ إِنْ كَــانَ قَلْــبُ

وَإِنْ سَجَعَــتْ حَمَــامَــاتُ ٱلْعَــلَالِــي
عَلَــىٰ أَغْصَــانِهِــنَّ تَــرَاهُ يَصْبُــو

وَإِنْ مَــرَّتْ أَحَــادِيــثُ ٱلْغَــوَانِــي
بِــهِ يَبْكِــي بِــدَمْــعٍ لَا يَغِــبُّ

وَإِنْ عَـرَضَـتْ لَطِيفَـاتُ ٱلْأَغَـانِـي
عَلَـىٰ أَسْمَـاعِـهِ يَغْشَـاهُ كَـرْبُ
فَهَـــلْ هَـٰــذَا مِـــنَ ٱلْأَدْوَاءِ دَاءٌ
يُـــدَاوِيــهِ وَيُجْــدِي فِيــهِ طِــبُّ
وَقَـدْ ذَهَـبَ ٱلْأُسَـاةُ وَقَـدْ تَفَـانَـوْا
وَوَارَاهُــمْ عَــنِ ٱلْأَبْصَــارِ تُــرْبُ
وَإِنَّـا عَـنْ قَـرِيـبٍ سَـوْفَ نَمْضِـي
عَلَـىٰ آثَـارِهِـمْ فَـٱلْكُـلُّ رَكْـبُ
إِلَـى ٱلـرَّبِّ ٱلـرَّحِيـمِ عَـلَا عُـلَاهُ
وَجَنَّـــاتٍ بِهَـــا فَـــوْزٌ وَقُـــرْبُ
لِأَهْـــلِ ٱلْبِـــرِّ وَٱلتَّقْـــوَىٰ ، وَنَـــارٌ
وَحَسْــبُ ٱلْمُجْـرِمِـينَ بِهَـا وَحَسْــبُ

فَيَا رَحْمَٰنُ يَا ذَا ٱلْعَرْشِ سَلِّمْ
وَخَلِّصْ إِنَّ هَٰذَا ٱلْخَطْبَ صَعْبُ

* * *



صورة للمسجد القديم في الحاوي قبل تجديده

وقال رضي الله عنه : (١٠/ب)

وَصِيَّتِـــي لَـــكَ يَـــا ذَا ٱلْفَضْـــلِ وَٱلْأَدَبِ
إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْكُـنَ ٱلسَّـامِـي مِـنَ ٱلـرُّتَـبِ

وَتُـــدْرِكَ ٱلسَّبْـــقَ وَٱلْغَـــايَـــاتِ تَبْلُغُهَـــا
مُهَنَّـــأً وَتَنَـــالَ ٱلْقَصْـــدَ وَٱلْأَرَبِ

تَقْـوَى ٱلْإِلَـٰهِ ٱلَّـذِي تُـرْجَـىٰ مَـرَاحِمُـهُ
ٱلْـــوَاحِـــدِ ٱلْأَحَـــدِ ٱلْكَشَّـــافِ لِلْكُـــرَبِ

إِلْـــزَمْ فَـــرَائِضَـــهُ وَٱتْـــرُكْ مَحَـــارِمَـــهُ
وَٱقْطَـعْ لَيَـالِيْـكَ وَٱلْأَيَّـامَ فِـي ٱلْقُـرَبِ

وَأَشْعِـــرِ ٱلْقَلْـــبَ خَـــوْفـــاً لَا يُفَـــارِقُـــهُ
مِـــنْ رَبِّـــهِ مَعَـــهُ مِثْـــلٌ مِـــنَ ٱلـــرَّغَـــبِ

وَزَيِّــنِ ٱلْقَلْــبَ بِــاْلإِخْــلَاصِ مُجْتَهِــداً

وَٱعْلَـمْ بِـأَنَّ ٱلـرِّيَـا يُلْقِيـكَ فِـي ٱلْعَطَـبِ

وَنَــقِّ جَيْبَــكَ مِــنْ كُــلِّ ٱلْعُيُــوبِ وَلَا

تَـدْخُلْ مَـدَاخِـلَ أَهْـلِ ٱلْفِسْقِ وَٱلـرِّيَـبِ

وَٱحْفَـظْ لِسَـانَـكَ مِـنْ طَعْـنٍ عَلَـىٰ أَحَـدٍ

مِــنَ ٱلْعِبَــادِ وَمِــنْ نَقْــلٍ وَمِــنْ كَــذِبِ

وَكُــنْ وَقُــوراً خَشُــوعــاً غَيْــرَ مُنْهَمِــكٍ

فِـي ٱللَّهْـوِ وَٱلضِّحْـكِ وَٱلْأَفْـرَاحِ وَٱللَّعِـبِ

وَنَــزِّهِ ٱلصَّــدْرَ مِــنْ غِــشٍّ وَمِــنْ حَسَــدٍ

وَجَـانِـبِ ٱلْكِبْـرَ يَـا مِسْكِيـنُ وَٱلْعُجُـبِ

وَٱرْضَ ٱلتَّــوَاضُــعَ خُلْقــاً إِنَّــهُ خُلُــقُ ٱلْـ

أَخْيَـارِ فَـٱقْتَـدْ بِهِـمْ تَنْجُـو مِـنَ ٱلْـوَصَـبِ

وَٱحْــذَرْ وَإِيَّــاكَ مِــنْ قَــوْلِ ٱلْجَهُــولِ أَنَــا

وَأَنْــتَ دُونِــيَ فِــي فَضْــلٍ وَفِــي حَسَــبِ

فَقَــدْ تَــأَخَّــرَ أَقْــوَامٌ وَمَــا قَصَــدُوا

نَيْــلَ ٱلْمَكَــارِمِ وَٱسْتَغْنَــوْا بِكَــانَ أَبِــي

وَخَــالِــفِ ٱلنَّفْــسَ وَٱسْتَشْعِــرْ عَــدَاوَتَهَــا

وَٱرْفُــضْ هَــوَاهَــا وَمَــا تَخْتَــارُهُ تُصِــبِ

وَإِنْ دَعَتْــكَ إِلَــىٰ حَــظٍّ بِشَهْــوَتِهَــا

فَــٱشْــرَحْ لَهَــا غِــبَّ مَــا فِيــهِ مِــنَ ٱلتَّعَــبِ

وَٱزْهَــدْ بِقَلْبِــكَ فِــي ٱلــدَّارِ ٱلَّتِــي فَتَنَــتْ

طَــوَائِفــاً فَــرَأَوْهَــا غَــايَــةَ ٱلطَّلَــبِ

تَنَــافَسُــوهَــا وَأَعْطَــوْهَــا قَــوَالِبَهُــمْ

مَــعَ ٱلْقُلُــوبِ فَيَــا لِلّٰهِ مِــنْ عَجَــبِ

وَهْـيَ ٱلَّتِـي صَغُـرَتْ قَـدْراً وَمَـا وَزَنَـتْ
عِنْـدَ ٱلإِلَـٰـهِ جَنَـاحـاً فَـٱلْحَـرِيـصُ غَبِـي
وَخُـذْ بَـلاَغَـكَ مِـنْ دُنْيَـاكَ وَٱسْـعَ بِـهِ
سَعْـيَ ٱلْمُجِـدِّ إِلَـىٰ مَـوْلاَكَ وَٱحْتَسِـبِ
وَٱعْلَـمْ بِـأَنَّ ٱلَّـذِي يَبْتَـاعُ عَـاجِلَـهُ
بِـآجِـلٍ مِـنْ نَعِيـمٍ دَائِـمٍ يَخِـبِ
وَإِنْ وَجَـدْتَ فَـوَاسِ ٱلْمُعْـوِزِيـنَ تَفِـضْ
عَلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـكَ ٱلأَرْزَاقُ فَـٱسْتَجِـبِ
وَإِنْ بُلِيـتَ بِفَقْـرٍ فَـٱرْضَ مُكْتَفِيـاً
بِـٱللهِ رَبِّـكَ وَٱرْجُ ٱلْفَضْـلَ وَٱرْتَقِـبِ
وَإِنْ تَجَـرَّدْتَ فَـٱعْمَـلْ بِـٱلْيَقِيـنِ وَبِـٱلْـ
ـعِلْـمِ إِذَا كُنْـتَ مَـوْقُـوفـاً مَـعَ ٱلسَّبَـبِ

وَٱتْلُ ٱلْقُرَانَ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ وَجِلٍ

عَلَى ٱلدَّوَامِ وَلَا تَذْهَلْ وَلَا تَغِبِ

فَإِنَّ فِيهِ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْعِلْمُ فِيهِ مَعاً

وَٱلنُّورُ وَٱلْفَتْحُ أَعْنِي ٱلْكَشْفَ لِلْحُجُبِ

وَٱذْكُرْ إِلَٰهَكَ ذِكْراً لَا تُفَارِقُهُ

فَإِنَّمَا ٱلذِّكْرُ كَٱلسُّلْطَانِ فِي ٱلْقُرَبِ

وَقُمْ إِذَا هَجَعَ ٱلنُّوَّامُ مُجْتَهِداً

وَكُلْ قَوَاماً وَلَا تَغْفَلْ عَنِ ٱلْأَدَبِ

وَٱلْوَالِدَانِ لَهُمْ حَقٌّ يَقُومُ بِهِ

مَنْ يَتَّقِ ٱللهَ وَٱلْمُدْلُونَ بِٱلنَّسَبِ

وَٱلْجَارُ وَٱلصَّحْبُ لَا تَنْسَ حُقُوقَهُمُ

وَٱخْتَرْ مُصَاحَبَةَ ٱلْأَخْيَارِ وَٱنْتَخِبِ

وَخَالِقِ ٱلنَّاسَ بِٱلْخُلْقِ ٱلْكَرِيمِ وَلَا

تَعْتِبْ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا تَعِبِ

وَٱنْصِفْ وَلَا تَنْتَصِفْ مِنْهُمْ وَنَاصِحَهُمْ

وَقُمْ عَلَيْهِمْ بِحَقِّ ٱللهِ وَٱنْتَدِبِ

وَٱحْذَرْ مُصَاحَبَةَ ٱلْأَشْرَارِ وَٱلْحُمَقَىٰ

وَٱلْحَاسِدِينَ وَمَنْ يَلْوِي عَلَى ٱلشَّغَبِ

وَحَالِفِ ٱلصَّبْرَ وَٱعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَهُ

مُرٌّ وَآخِرَهُ كَٱلشَّهْدِ وَٱلضَّرَبِ

يَا رَبِّ إِنَّكَ مَقْصُودِي وَمُعْتَمَدِي

وَمُرْتَجَايَ لِدُنْيَايَ وَمُنْقَلَبِي

فَٱغْفِرْ وَسَامِحْ عُبَيْداً مَا لَهُ عَمَلٌ

بِٱلصَّالِحَاتِ وَقَدْ أَوْعَىٰ مِنَ ٱلْحُوَبِ

لَٰكِنَّهُ تَائِبٌ مِمَّا جَنَاهُ وَقَدْ
أَتَاكَ مُعْتَرِفاً يَخْشَىٰ مِنَ ٱلْغَضَبِ

فَإِنْ عَفَوْتَ فَفَضْلٌ مِنْكَ يَا صَمَدُ
فَجُدْ عَلَيَّ إِلَٰهِي وَأَزِلْ رَهَبِي

ثُمَّ ٱلصَّلَاةُ عَلَى ٱلْهَادِي وَعِتْرَتِهِ
(مُحَمَّدٍ) مَا هَمَىٰ وَدْقٌ مِنَ ٱلسُّحُبِ

وَمَا تَرَنَّمَتِ ٱلْوَرْقَا عَلَىٰ فَنَنٍ
وَمَا تَمَايَلَتِ ٱلْأَغْصَانُ فِي ٱلْكُثُبِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١١/ب)

يَا سَعْدُ قِفْ بِي عَلَى ٱلطُّلُولْ
أَبْكِي عَلَى ٱلْأَحِبَّهْ
وَأَسْكُبُ ٱلدَّمْعَ كَٱلسُّيُولْ
مِنْ حَسْرَةٍ وَكُرْبَهْ
لَعَلَّهَا تَبْرُدُ ٱلْكُلُولْ
مِنْ حَرِّ طُولِ غُرْبَهْ
لَهْفِي عَلَى ٱلْجِيرَةِ ٱلنُّزُولْ
بِخَيْرِ كُلِّ تُرْبَهْ

فصل

بَانُوا عَنِ ٱلْأَهْلِ وَٱلْوَطَنْ
وَٱلرَّبْعِ وَٱلْمَنَازِلْ

وَأَوْحَشُـــوا ٱلْجَـــارَ وَٱلسَّكَـــنْ

وَٱلْـــوِرْدَ وَٱلْمَنَـــاهِـــلْ

وَخلَّفُـــونِـــي عَلَـــى ٱلـــدِّمَـــنْ

أَبْكِـــي بِـــدَمْـــعْ سَـــائِـــلْ

يَـــا غَـــارَةَ ٱللهِ وَٱلـــرَّسُـــولْ

عَسَـــىٰ رِضَـــاً وَقُـــرْبَـــهْ

فصل

أَرَاكَ يَـــا سَـــاكِـــنَ ٱلْفُـــؤَادْ

تَبْخَـــلْ عَلَـــيْ بِنَظْـــرَهْ

يَحْصُـــلْ بِهَـــا ٱلْقَصْـــدُ وَٱلْمُـــرَادْ

وَٱلْأُنْـــسُ وَٱلْمَسَـــرَّهْ

وَيَـــذْهَـــبُ ٱلْهَجْـــرُ وَٱلْبِعَـــادْ
وَٱلْبُـــــؤْسُ وَٱلْمَضَـــــرَّهْ
فَـٱسْمَـحْ لَـكَ ٱلْخَيْـرُ يَـا مَلُـولْ
وَٱذْكُـــــرْ عُهُـــودَ صُحْبَـــهْ

فصل

فِـــي حِيـــنِ كُنَّـــا بِـــدَالْ مِيـــمْ
بِـــــٱلْـــــوَادِي ٱلْمُنَـــــوَّرْ
بِجَـــانِـــبِ ٱلسَّفْـــحِ مِـــنْ تَـــرِيـــمْ
وَٱلْعَيْـــشْ غَـــضٌّ أَخْضَـــــرْ
يَسْـــرِي لَنَـــا ٱلْبَـــرْقُ وَٱلنَّسِيـــمْ
مُمَسَّـــــكٌ مُعَنْبَـــــرْ

حَيْــثُ ٱلْأَحِبَّــهْ بِــهِ حُلُــولْ

صِــرْبَــهْ تَــؤُمُّ صِــرْبَــهْ

*　*　*



المكان الذي غُسِّلَ فيه الناظم في بيته بالحاوي بعد وفاته
وهي الغرفة التي كان يستقبل فيها الزائرين

وقال رضي الله عنه :   (١٢/ب)

يـــا سَـــاكِنِيـــنْ نَعْمَـــانْ
عَطْفـــاً عَلَـــى ٱلْمَكْـــرُوبْ
ٱلْهَـــائِـــمِ ٱلْـــوَلْهَـــانْ
ٱلـــذَّاهِـــلِ ٱلْمَغْلُـــوبْ
مَـــنْ دَمْعُـــهُ شَنَّـــانْ
فِـــي خَـــدِّهِ مَسْكُـــوبْ
مِـــنْ فُـــرْقَـــةِ ٱلْأَوْطَـــانْ
وَٱلشَّـــادِنِ ٱلـــرُّعْبُـــوبْ

فَصْلٌ

ذَاكَ ٱلَّـــــذِي حُبُّـــــهْ
فِـــي مُهْجَتِـــي سَـــاكِـــنْ

وَبُغْيَتِـــي قُـــرْبُـــهْ
وَٱلْكُـــلُّ لُـــهْ رَاكِـــنْ
ٱللهُ يُسْـــرِعْ بُـــهْ
لِلشَّيِّـــقِ ٱلسَّـــاهِـــنْ
تَسْكُـــنْ بِـــهِ ٱلْأَشْجَـــانْ
وَيَحْصُـــلُ ٱلْمَطْلُـــوبْ

فَصْلٌ

مَتَـــىٰ مَتَـــىٰ يَـــا صَـــاحْ
تُقْضَـــىٰ لَنَـــا ٱلْأَوْطَـــارْ
مِـــنْ رَاحَـــةِ ٱلْأَرْوَاحْ
أُنْـــسِ ٱلْحِمَـــىٰ وَٱلْجَـــارْ

وَتَكْمُـــــــلُ ٱلْأَفْـــــــرَاحْ

وَتَنْجَلِــــــي ٱلْأَكْـــــــدَارْ

يَـــــا رَبِّ يَـــا رَحْمَـٰـــــنْ

فَـــرِّجْ عَلَـــى ٱلْمَحْنُـــوبْ

فَصْلٌ

وَٱجْبُـــــرْ لَـــهُ كَسْـــرَهْ

وَٱصْلِـــحْ لَـــهُ أَمْـــرَهْ

وَٱطْلِـــقْ لَـــهُ أَسْـــرَهْ

وَٱشْـــرَحْ لَـــهُ صَـــدْرَهْ

وَٱشْـــدُدْ لَـــهُ أَزْرَهْ

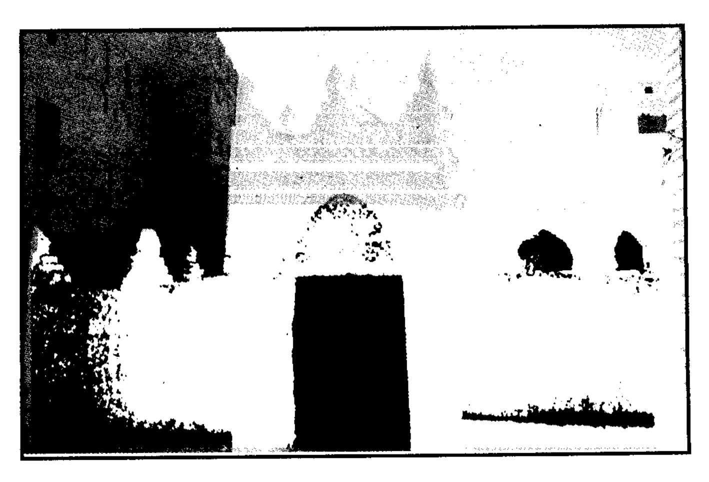
وَٱغْفِـــرْ لَـــهُ وِزْرَهْ



يَـــا دَائِـــمَ ٱلْإِحْسَـــانْ

شُكْـــرَكْ عَلَـيْنَـــا دُوْبْ

❋ ❋ ❋



مسجد الهجيرة

وهو أول مسجد كان الناظم يقيم فيه دروسه

ويكثر التردد إليه من بداية أمره ويقع بجوار مسجد المحضار بتريم

وقال رضي الله عنه : (١٣/ ب)

يَـا صَـاحِ قَلْبِـي مَـا سَـلَا وَلَا طَـابْ
مِـنْ بَعْـدْ مَـا فَـارَقْ رُبُـوعْ ٱلْأَحْبَـابْ
وَحَـلَّ بَيْـنَ ٱلْبَـادِيَـهْ وَٱلْأَجْنَـابْ
وَٱلْبُعُـدْ عَـنْ أُلَّافِـهِ وٱلْأَصْحَـابْ

فصل

رَعَـى ٱللهْ أَوْقَـاتَ ٱلْـوِصَـالْ يَـا صَـاحْ
أَيَّـامْ كُنَّـا فِـي سُـرُورْ وَٱفْـرَاحْ
نُسْقَـىٰ بِكَـاسَـاتِ ٱلْهَنَـا مِـنَ ٱلـرَّاحْ
مَـا نَخْتَشِـي مَـسَّ ٱلنَّصَـبْ وَٱلْأَوْصَـابْ

فَصْل

يَا سَعْدُ سِرْ بِي نَحْوَ رَبْعِ حِبِّي
فَالشُّوْقْ قَدْ قَطَّعْ نِيَاطْ قَلْبِي
فَلَيْسَ يُبْرِدْ حَرَّ نَارِ كَرْبِي
إِلَّا نُزُولِي بَيْنَ تِلْكَ الْأَطْنَابْ

فَصْل

اللهُ جَارِي مِنْ جَفَا الْحَبَايِبْ
إِنُّهْ مُصِيبَهْ دُونَهَا الْمَصَايِبْ
فَهَلْ تَرَىٰ تَصْفُو لِيَ الْمَشَارِبْ
مِنْ بَعْدْ طُولِ الْبُعُدْ وَالتِّغِرَّابْ

فصل

أَرْجُــو إِلَـٰهِــي ذَا ٱلْكَــرَمْ وَٱلَأْفْضَـــالْ
يَفْتَــحْ عَلَــىٰ قَلْبِــي سَنِــيَّ ٱلَأْحْــوَالْ
مِمَّــا مَنَــحْ أَوْتَــادَهَــا وَٱلَأْبْــدَالْ
وَٱغْــوَاثَهَــا وَٱفْــرَادَهَــا وَٱلَأْقْطَــابْ

فصل

أُولَـٰئِــكَ ٱلْأَقْــوَامْ هُــمْ مُــرَادِي
وَمَطْلَبِــي مِــنْ جُمْلَــةِ ٱلْعِبَــادِ
وَحُبُّهُــمْ قَــدْ حَــلَّ فِــي فُــؤَادِي
أَهْــلُ ٱلْمَعَــارِفْ وَٱلصَّفَــا وَٱلَآدَابْ

فَصْل

ٱلْمُخْلِصُونَ ٱلصَّادِقُونْ ٱلْأَبْرَارْ
ٱلطَّيِّبُونَ ٱلطَّاهِرُونْ ٱلْأَخْيَارْ
ٱلْعَارِفُونْ ٱلذَّائِقُونْ ٱلْأَحْرَارْ
ٱلْكُلُّ مِنْهُمْ مُخْبِتٌ وَأَوَّابْ

فَصْل

يَا ٱللهْ بِذَرَّهْ مِنْ مَحَبَّةِ ٱللهْ
أَفْنَىٰ بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَى ٱللهْ
وَلاَ أَرَىٰ مِنْ بَعْدِهَا سِوَى ٱللهْ
ٱلْوَاحِدِ ٱلْمَعْبُودْ رَبِّ ٱلْأَرْبَابْ

فَصْل

فَمَــا أُرَجِّــي ٱلْيَــوْمْ كَشْــفَ كُــرْبَــهْ
إِلَّا ٱنْ صَفَــا لِــيْ مَشْــرَبُ ٱلْمَحَبَّــهْ
وَنِلْــتُ مِــنْ رَبِّــي رِضــاً وَقُــرْبَــهْ
يَكُــونُ فِيهَــا قَطْــعُ كُــلِّ ٱلْأَسْبَــابْ

فَصْل

عَلَــىٰ بِسَــاطِ ٱلْعِلْــمِ وَٱلْعِبَــادَهْ
وَٱلْغَيْــبُ عِنْــدِي صَــارَ كَــٱلشَّهَــادَهْ
هَـٰـذَا لَعَمْــرِي مُنْتَهَــى ٱلسَّعَــادَهْ
سُبْحَــانَ رَبِّــي مَــنْ رَجَــاهْ مَــا خَــابْ

فَصْل

يَـا طَـالِـبَ ٱلتَّحْقِيـقْ قُـمْ وَبَـادِرْ
وَٱنْهَـضْ عَلَـىٰ سَاقِ ٱلْهِمَـمْ وَخَـاطِـرْ
وَٱصْبِـرْ عَلَـىٰ قَمْـعِ ٱلْهَـوَىٰ وَصَـابِـرْ
وَٱصْـدُقْ وَلَا تَبْـرَحْ مُـلَازِمَ ٱلْبَـابْ

فَصْل

وَٱعْلَـمْ بِـأَنَّ ٱلْخَيْـرَ كُلُّـهْ أَجْمَـعْ
ضِمْـنَ ٱتِّبَـاعَـكْ لِلنَّبِـيْ ٱلْمُشَفَّـعْ
صَلَّـىٰ عَلَيْـهِ ٱللهُ مَـا تَشَعْشَـعْ
فَجْـرٌ وَمَـا سَـالَـتْ سُيُـولْ ٱلْأَشْعَـابْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٤/ب)

يَــــا مُنْتَهَـــــى ٱلْآمَــــالْ
وَمَقْصِـــــــدَ ٱلطُّـــــــلَّابْ
عَبْـــــدُكْ ضَعِيـــــفُ ٱلْحَــــالْ
ٱلْخَــــائِــــفُ ٱلْمُـــــرْتَـــابْ
أَتَـــــاكَ خَــــالِـــي ٱلْبَـــــالْ
عَــــنْ جُمْلَــــةِ ٱلْأَحْبَــــابْ
ضَـــــاقَـــتْ بِـــــهِ ٱلْأَحْـــوَالْ
وَخَــــانَـــــتِ ٱلْأَسْبَــــابْ

فصل

لَـــــمْ يَــــدْرِ مَـــــا يَصْنَــــعْ
مِـــــنْ شِــــدَّةِ ٱلْحَيْـــــرَهْ

عُمْـــرُه مَضَـــىٰ أَجْمَـــعْ
فِـــي ٱلسَّعْـــيِ وَٱلـــدَّوْرَهْ
وَٱلْـــوَقِـــتَ قَـــدْ ضَيَّـــعْ
فِـــي خِـــدْمَـــةِ ٱلصُّـــورَهْ
وَٱلْآنْ قَلْبُـــــهْ مَـــــالْ
إِلَـــىٰ لُـــزُومِ ٱلْبَـــابْ

فصل

وَصَـــرْفِ هَـــمِّ ٱلسِّـــرّْ
عَـــنْ خِـــدْمَـــةِ ٱلْأَجْسَـــامْ
مَـــعَ ٱعْتِنَـــاقِ ٱلْبِـــرّْ
وَٱلتَّـــرِكْ لِـــلْآثَـــامْ

يَـــــا رَبَّنَــــــا يَسِّـــــرْ

لَـــــهُ ٱلَّـــــذِي قَـــــدْ رَامْ

يَـــــا دَائِــــمَ ٱلْإِفْضَــــالْ

يَـــا بَـــرُّ يَـــا تَـــوَّابْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٥/ب)

يَـا نَفْـسُ هَـٰذَا ٱلَّـذِي تَـأْتِينَـهُ عَجَـبُ
عِلْـمٌ وَعَقْـلٌ وَلَا نُسْـكٌ وَلَا أَدَبُ

وَصْـفُ ٱلنِّفَـاقِ كَمَـا فِـي ٱلنَّـصِّ نَسْمَعُـهُ
عِلْـمُ ٱللِّسَـانِ وَجَهْـلُ ٱلْقَلْـبِ وَٱلسَّبَـبُ

حُـبُّ ٱلْمَتَـاعِ وَحُـبُّ ٱلْجَـاهِ فَـٱنْتَبِهِـي
مِنْ قَبْلِ تُطْوَىٰ عَلَيْكِ ٱلصُّحْفُ وَٱلْكُتُبُ

وَتُصْبِحِيـنَ بِقَبْـرٍ لَا أَنِيـسَ بِـهِ
ٱلْأَهْـلُ وَٱلصَّحْـبُ لَمَّـا أَلْحَـدُوا ذَهَبُـوا

وَخَلَّفُـوكِ وَمَـا أَسْلَفْـتِ مِـنْ عَمَـلٍ
ٱلْمَـالُ مُسْتَـأْخَـرٌ وَٱلْكَسْـبُ مُصْطَحَـبُ

وَٱسْتَيْقِنِـــي أَنَّ بَعْــدَ ٱلْمَــوْتِ مُجْتَمَعــاً

لِلْعَــالَمِيــنَ فَتَــأْتِــي ٱلْعُجْــمُ وَٱلْعَــرَبُ

وَٱلْخَلْــقُ طُــرّاً وَيَجْــزِيهِــمْ بِمَــا عَمِلُــوا

فِــي يَــوْمٍ لَا يَنْفَــعُ ٱلْأَمْــوَالُ وَٱلْحَسَــبُ

وَٱخْشَــيْ رُجُــوعــاً إِلَــىٰ عَــدْلٍ تَــوَعَّــدَ مَــنْ

لَا يَتَّقِيــهِ بِنَــارٍ حَشْــوُهَــا ٱلْغَضَــبُ

وَقُــودُهَــا ٱلنَّــاسُ وَٱلْأَحْجَــارُ حَــامِيَــةً

لَا تَنْطَفِــي أَبَــدَ ٱلْآبَــادِ تَلْتَهِــبُ

وَٱلْبُعْــدَ عَــنْ جَنَّــةِ ٱلْخُلْــدِ ٱلَّتِــي حُشِيَــتْ

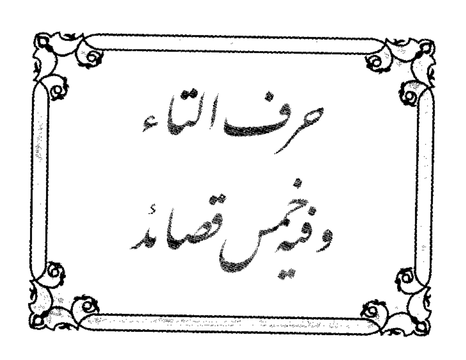
بِــٱلطَّيِّبَــاتِ وَلَا مَــوْتٌ وَلَا نَصَــبُ

فِيهَــا ٱلْفَــوَاكِــهُ وَٱلْأَنْهَــارُ جَــارِيَــةٌ

وَٱلنُّــورُ وَٱلْحُــورُ وَٱلْــوِلْــدَانُ وَٱلْقُبَــبُ

وَهَـٰـــذِهِ ٱلـــدَّارُ دَارٌ لَا بَقَــــاءَ لَهَـــا
لَا يَفْتِنَنَّـــكِ مِنْهَـــا ٱلْـــوَرْقُ وَٱلـــذَّهَـــبُ
وَٱلْأَهْـــلُ وَٱلْمَـــالُ وَٱلْمَـــرْكُـــوبُ تَـــرْكَبُـــهُ
وَٱلثَّـــوْبُ تَلْبَسُـــــهُ فَـــٱلْكُـــلُّ يَنْقَلِـــبُ
لَا بَـــارَكَ ٱللهُ فِـــي ٱلـــدُّنْيَـــا سِـــوَىٰ عَـــرَضٍ
مِنْهَـــا يُعَـــدُّ إِذَا مَـــا عُـــدَّتِ ٱلْقُـــرَبُ
يُـــرِيـــدُ صَـــاحِبُـــهُ وَجْـــهَ ٱلْإِلَـٰـــهِ بِـــهِ
دُونَ ٱلـــرِّيَـــا إِنَّـــهُ ٱلتَّلْبِيـــسُ وَٱلْكَـــذِبُ
لَا يَقْبَـــلُ ٱللهُ أَعْمَـــالاً يُـــرِيـــدُ بِهَـــا
عَـــامِلُهَـــا غَيْـــرَ وَجْـــهِ ٱللهِ فَـــٱجْتَنِبُـــوا
تَمَّـــتْ وَصَلُّـــوا عَلَـــى ٱلْمُخْتَـــارِ سَيِّـــدِنَـــا
وَٱلْآلِ وَٱلصَّحْـــبِ قَـــوْمٌ حُبُّهُـــمْ يَجِـــبُ

* * *



وقال رضي الله عنه :

الْبِــدَارَ ٱلْبِــدَارَ قَبْــلَ ٱلْفَــوَاتِ
إِنَّمَــا أَنْــتَ عُــرْضَــةُ ٱلْآفَــاتِ

بَــادِرِ ٱلْفَــوْتَ قَبْــلَ أَنْ تَقْطَعَنْــكَ
دُونَ مَــا تَبْتَغِــي حُتُــوفُ ٱلْمَمَــاتِ

مَــا أَرَاكَ مُشَمِّــراً وَٱللَّيَــالِــي
سَــوْفَ تُــدْنِــي إِلَيْــكَ مَــا هُــوَ آتِــي

إِنَّمَـا رَأْسُ مَـالِـكَ ٱلْعُمْـرُ فَـٱعْمُـرْ

ـهُ بِفِعْـلِ ٱلْجَمِيـلِ وَٱلْمَكْـرُمَـاتِ

وَٱتَّخِـــذْهُ مَطِيَّـــةً تَمْتَطِيهَـــا

فِـي سُلُـوكِ ٱلسَّبِيـلِ لِلـدَّرَجَـاتِ

وَجَـوَاداً تَطْـوِي عَلَيْـهِ مَـدَىٰ هَـٰ

ـذِهِ ٱلـدُّنْيَـا لِتَبْلُـغَ ٱلْغَـايَـاتِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١/ت)

اَللهُ لَا تَشْهَـــدْ سِــــوَاهُ وَلَا تَـــرَىٰ
إِلَّاهُ فِـــي مُلْـكٍ وَفِـــي مَلَكُـــوتِ

سُبْحَـانَـهُ سُبْحَـانَـهُ مِـنْ مَـاجِـدٍ
مُتَفَـــرِّدٍ بِـــٱلْعِـــزِّ وَٱلْجَبَـــرُوتِ

مَـــنْ قَيَّـــدَاهُ قُصُـــورُهُ وَكَـــلَالُـــهُ
عَـــنْ أَنْ يَـــرَاهُ فَسِمْـــهُ بِـــٱلْمَبْتُـــوتِ

سَـــافِـــرْ إِلَيْـــهِ بِهِمَّـــةٍ عُلْـــوِيَّـــةٍ
حَتَّـــىٰ تَـــرَاهُ وَقُـــلْ لِنَفْسِـــكَ مُـــوتِـــي

وَٱقْبِـــلْ عَلَيْـــهِ بِكُـــلِّ قَلْبِـــكَ قَـــاصِـــداً
مَحْـــوَ ٱلظِّـــلَالِ أُشِيـــرُ لِلنَّـــاسُـــوتِ

بِٱلشَّمْسِ شَمْسِ ٱلذَّاتِ حَتَّىٰ لَا تَرَىٰ
شَيْئاً سِوَىٰ مُتَقَدَّسِ ٱللَّاهُوتِ
فَإِذَا ٱنْتَهَيْتَ إِلَى ٱلَّذِي عَرَّفْتُهُ
شَاهَدْتَ مِنْ عَرْشٍ إِلَىٰ بَهَمُوتِ
وَرَأَيْتَ سِرّاً لَمْ يُجِزْ إِفْشَاءَهُ
أَهْلُ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْكَشْفِ وَٱلتَّثْبِيتِ
إِنَّا لَنَعْلَمُهُ وَلَمْ نَحْظَ بِهِ
ذَوْقاً لِمَا مَعَنَا مِنَ ٱلتَّشْتِيتِ
وَٱلشَّوْقُ مِنَّا لَا يَزَالُ مُنَازِعاً
وَٱلْأَمْرُ بِٱلتَّقْدِيرِ وَٱلتَّوْقِيتِ
يَا لَيْتَنِي قَدْ غِبْتُ عَنْ هَـٰذَا ٱلْوَرَىٰ
وَدُعِيتُ بِٱلْمُسْتَغْرِقِ ٱلْمَبْهُوتِ

مَــاذَا عَلَــيَّ مِــنَ ٱلْأَنَــامِ وَقَــوْلِهِــمْ

إِنْ أُدْعَ بِــالْمَحْبُــوبَ اَوِ ٱلْمَمْقُــوتِ

حَسْبِــي إِلَـٰهِــي وَٱلَّــذِي يَخْتَــارُهُ

ٱللهُ أَكْبَــرُ غَــارَ بَحْــرُ ٱلْحُــوتِ

❋ ❋ ❋

وقال رضي الله عنه : (٢/ ت)

بَعَثْتُ لِجِيرَانِ ٱلْعَقِيقِ تَحِيَّتِي
وَأَوْدَعْتُهَا رِيحَ ٱلصَّبَا حِينَ هَبَّتِ

سُحَيْراً وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيَّ فَحَرَّكَتْ
فُؤَادِي كَتَحْرِيكِ ٱلْغُصُونِ ٱلرَّطِيبَةِ

وَأَهْدَتْ لِرُوحِي نَفْحَةً عَنْبَرِيَّةً
مِنَ ٱلْحَيِّ فَٱشْتَاقَتْ لِقُرْبِ ٱلْأَحِبَّةِ

وَحَنَّتْ لِتَذْكَارِ ٱللَّيَالِي ٱلَّتِي خَلَتْ
لَنَا بَيْنَ هَاتِيكَ ٱلرُّبُوعِ ٱلْأَنِيسَةِ

وَإِخْوَانِ صِدْقٍ أَوْحَشَ ٱلْقَلْبَ بُعْدُهُمْ
فَلِلّٰهِ مَا لَاقَيْتُ مِنْ حَرِّ فُرْقَةِ

دِيَارِي نَأَتْ عَنْ دُورِهِمْ وَتَبَاعَدَتْ

مَنَـــازِلُنَـــا لَا عَـــنْ قَـــلَاءٍ وَجَفْـــوَةِ

عَلَى ٱلْحِرْصِ مِنِّي أَنْ أَرَاهُمْ وَمِنْهُمُ

فَمَا سَمَحَتْ يُمْنَى ٱلزَّمَانِ بِمُنْيَتِي

وَمَـا بُعْـدُهُـمْ عَنِّي وَلَا ٱلْبُعْـدُ عَنْهُـمُ

بِحَـالِ ٱخْتِيَـارٍ بَـلْ بِقَهْـرِ مَشِيْئَـةِ

وَحُكْـمُ إِلَـٰـهِ ٱلْعَـالَمِيـنَ مُنَفَّـذٌ

عَلَىٰ كُلِّ حَـالٍ وَٱلـرِّضَـا خَيْـرُ قُنْيَـةِ

بِـهِ تَنْجَلِـي عَنَّـا ٱلْهُمُـومُ إِذَا طَـرَتْ

وَتَسْـرِي بِـهِ عَنَّـا ٱلْغُمُـومُ ٱلْمُلِمَّـةِ

وَكَمْ حَادِثٍ قَدْ ضَاقَ مُتَّسَعُ ٱلْفَضَا

عَلَـيَّ بِـهِ فَـٱنْـزَاحَ مِنْـهُ بِخَطْـرَةِ

أَحِبَّـةَ قَلْبِـي هَـلْ لِأَيَّـامِنَـا ٱلَّتِـي
تَقَضَّـتْ بِـذَاتِ ٱلْبَـانِ إِذْنٌ بِـرَجْعَـةِ

فَقَـدْ طَـالَ هَـٰذَا ٱلْبُعْـدُ وَٱمْتَـدَّ وَقْتُـهُ
وَطَـالَ ٱنْتِظَـارِي حِجَّـةً بَعْـدَ حِجَّـةِ

تَـرَوْا تَجْمَـعُ ٱلْأَقْـدَارُ بَيْنِـي وَبَيْنَكُـمْ
وَأَحْظَىٰ بِكُمْ مِنْ قَبْلِ تَأْتِي مَنِيَّتِي

فَوَا أَسَفِي إِنْ مُتُّ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَرَىٰ
وُجُـوهـاً عَلَيْهَـا نُـورُ عِلْـمٍ وخَشْيَـةِ

وَجَلْـوَةُ إِخْـلَاصٍ وَصِـدْقٍ وَقُـرْبَـةٍ
وَآثَارُ كَشْفِ ٱلْغَيْبِ عَنْ ذَوْقِ خِبْرَةِ

وَأَسْمَـعَ مِنْهُـمْ كُـلَّ عِلْـمٍ مُقَـدَّسٍ
عَنِ ٱلْحِسِّ وَٱلْأَوْهَامِ مِنْ فَتْحِ حِكْمَةِ

وأَنْشَقَ مِنْ أَرْيَاحِهِمْ كُلَّ طَيِّبٍ
ذَكِيٍّ تَطِيبُ ٱلرُّوحُ مِنْهُ بِشَمَّةِ

وَأُمْسِي بِهِمْ فِي مَوْقِفِ ٱلشَّرْعِ سَالِكاً
طَرِيقَةَ حَقٍّ وَاصِلاً لِلْحَقِيقَةِ

فَلِلّٰهِ أَقْوَامٌ نَأَى ٱلْبَعْضُ مِنْهُمُ
عَنِ ٱلْبَعْضِ إِيثَاراً لِمَقْصُودِ خَلْوَةِ

وَأُنْساً بِمَوْلَاهُمْ وَشُغْلاً بِذِكْرِهِ
وَخِدْمَتِهِ فِي كُلِّ حِينٍ وَحَالَةِ

وَحِرْصاً عَلَىٰ هَـٰذَا ٱلْخُمُولِ لِأَنَّهُ
أَمَانٌ لِأَهْلِ ٱللهِ مِنْ شَرِّ شُهْرَةِ

وَحُبَّ ٱنْقِطَاعٍ وَٱعْتِزَالٍ فَإِنَّ فِيـ
ـهِمَا طِيبَ عَيْشٍ فِي زَمَانِ ٱلْبَلِّيَةِ

فَمِنْهُمْ مُقِيمٌ فِي ٱلْأَنَامِ وَإِنَّهُ
لَمَسْتُورُ عَنْهُمْ تَحْتَ أَسْتَارِ غَيْرَةِ
يَرَاهُ ٱلْوَرَىٰ إِلَّا ٱلْقَلِيلُ كَغَيْرِهِ
مِنَ ٱلْغَافِلِينَ ٱلتَّارِكِينَ ٱسْتِقَامَةِ
وَمِنْهُمْ رِجَالٌ يُؤْثِرُونَ سِيَاحَةً
وَسُكْنَىٰ مَغَارَاتِ ٱلْجِبَالِ وَقَفْرَةِ
يَسِيحُونَ مِنْ شِعْبٍ إِلَىٰ بَطْنِ وَادِيٍ
وَكُلِّ خَرَابٍ وَٱلْفَيَافِىْ ٱلْخَلِيَّةِ
وَمِنْهُمْ رِجَالٌ ظَاهِرُونَ بِأَمْرِهِ
لِإِرْشَادِ هَـٰذَا ٱلْخَلْقِ نَهْجَ ٱلطَّرِيقَةِ
لَهُمْ هِمَّةٌ فِي دَعْوَةِ ٱلْخَلْقِ جُمْلَةً
إِلَى ٱللهِ عَنْ نُصْحٍ وَلُطْفٍ وَرَحْمَةِ

فَهُـمْ حُجَّـةٌ لِلْمُـؤْمِنِيـنَ بِـرَبِّهِـمْ

وَفِيهِـمْ لِمُـرْتَـادِ ٱلْهُـدَىٰ خَيْـرُ قُـدْوَةِ

وَحَتْـفٌ عَلَـىٰ أَهْـلِ ٱلضَّـلَالِ وَحُجَّـةٌ

تَقُـومُ عَلَـىٰ أَهْـلِ ٱلشِّقَـاقِ وشِقْـوَةِ

وَكُلٌّ عَلَىٰ نَهْجِ ٱلسَّبِيلِ ٱلسَّوِيِّ لَمْ

يُخَـالِـفَ أَمْـراً آخِـذاً بِـٱلشَّـرِيعَـةِ

وَإِنَّ ٱلَّـذِي لَا يَتْبَـعُ ٱلشَّـرْعَ مُطْلَقـاً

عَلَـىٰ كُـلِّ حَـالٍ عَبْـدُ نَفْـسٍ وَشَهْـوَةِ

صَـرِيـعُ هَـوىً يُبْكَـىٰ عَلَيْـهِ لِأَنَّـهُ

هُوَ ٱلْمَيْتُ لَيْسَ ٱلْمَيْتُ مَيْتَ ٱلطَّبِيعَةِ

وَمَا فِي طَرِيقِ ٱلْقَوْمِ بَدْءاً وَلَا ٱنْتِهَاءْ

مُخَـالَفَـةٌ لِلشَّـرْعِ فَـٱسْمَـعْ وَأَنْصِـتِ

وَخَــلِّ مَقَــالَاتِ ٱلَّــذِيــنَ تَخَبَّطُــوا

وَلَا تَــكُ إِلَّا مَــعْ كِتَــابٍ وَسُنَّــةِ

فَثَمَّ ٱلْهُدَىٰ وَٱلنُّورُ وَٱلْأَمْنُ مِنْ رَدَىٰ

وَمِــنْ فِتْنَــةٍ تُخْشَــىٰ وَزَيْــغٍ وَبِــدْعَــةِ

وَمُتَّبِعُــو حُكْــمِ ٱلْكِتَــابِ وَسُنَّــةٍ

هُــمُ ٱلْمُفْلِحُــونَ ٱلْفَــائِــزُونَ بِجَنَّــةِ

عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ رِضْوَانُهُ ٱلَّذِي

هُــوَ ٱلنِّعْمَــةُ ٱلْعُظْمَــىٰ وَأَكْبَــرُ مِنَّــةِ

وَمَنْ حَادَ عَنْ عِلْمِ ٱلْكِتَابِ وَسُنَّةٍ

فَبَشِّــرْهُ فِــي ٱلــدُّنْيَــا بِخِــزْيٍ وَذِلَّــةِ

وَبَشِّــرْهُ بِــٱلْعُقْبَــىٰ بِسُكْنَــىٰ جَهَنَّــمٍ

وَحِــرْمَــانِ جَنَّــاتِ ٱلْخُلُــودِ وَرُؤْيَــةِ

أَلَا مَـا لِقَلْبِـي كُلَّمَـا ذُكِـرَ ٱلْحِمَـىٰ

وَأَهْلُ ٱلْحِمَىٰ مِنْ خَيْرِ عُرْبٍ وَجِيرَةِ

يَهِيـجُ بِـهِ وَجْـدٌ وَشَـوْقٌ وَلَـوْعَـةٌ

شُجُونٌ لَهَا تَجْرِي عَلَى ٱلْخَدِّ دَمْعَتِي

وَمَـا لِفُـؤَادِي قَـدْ تَـوَطَّنَـهُ ٱلْأَسَـىٰ

أُحِـسُّ بِـهِ مِـنْ حَـرِّهِ لَفْـحَ جَمْـرَةِ

تَعَـوَّدَ تَـذْكَـارَ ٱلْخِيَـامِ وَأَهْلِهَـا

إِلَـىٰ أَنْ غَـدَا مِـنْ شَـوْقِـهِ كَـٱلْمُفَتَّـتِ

وَلِلهِ رُوحٌ خَـالَـطَ ٱلْحُـبُّ كُلَّهَـا

وَمَـازَجَهَـا حَتَّـىٰ صَبَـتْ لِلْصَّبَـابَـةِ

وَخَـامَـرَهَـا خَمْـرُ ٱلْغَـرَامِ فَـأَصْبَحَـتْ

وَأَمْسَتْ عَلَىٰ حُبِّ ٱلْحَبِيبِ مُقِيمَةِ

يَظُـنُّ بِهَـا مَـنْ لَيْـسَ يَـدْرِي بِشَـأْنِهَـا

بِـأَنَّ بِهَـا سُكْـرَ ٱلْخُمُـورِ ٱلْأَثِيمَـةِ

لَهَـا أَبَـداً شَـوْقٌ إِلَـىٰ خَيْـرِ مَعْهَـدٍ

بِهِ خَيْرُ عَهْدٍ فِي ٱلْعُصُورِ ٱلْقَدِيمَةِ

يُـذَكِّـرُهَـا ٱلْعَهْـدَ ٱلْقَـدِيـمَ سَمَـاعُهَـا

لِتَـرْجِيـعِ تَـالٍ لِلْمَثَـانِـي ٱلْكَـرِيمَـةِ

وَرَنَّـــةُ أَذْكَـــارٍ وَصَـــوْتُ مُسَبِّـــحٍ

وَنَغْمَـــةُ حَـــادٍ لِلْمَطَـــايَـــا ٱلْمُجِـــدَّةِ

وَتَغْـرِيـدُ وُرْقٍ فَـوْقَ أَغْصَـانِ دَوْحَـةٍ

وَتَلْحِيـنُ شَـادٍ بِـٱلْأَغَـانِـي ٱلـرَّقِيقَـةِ

وَكُـلُّ نَسِيـمٍ هَـبَّ أَوْ بَـارِقٌ شَـرَىٰ

وَأَشْيَا أَرَىٰ فِي سَتْرِهَا حِفْظَ حُرْمَةِ

حِــذَارَ غَبِــيٍّ أَوْ حَسُــودٍ مُــوَلَّــعٍ

بِــإِنْكَــارِ أَسْــرَارِ ٱلْعُلُــومِ ٱلــدَّقِيقَــةِ

فَقَدْ سَتَرُوا أَهْلُ ٱلطَّرِيقِ وَأَخْمَلُوا

أُمُــوراً مِــنَ ٱلتَّحْقِيــقِ حَتَّــىٰ تَغَطَّــتِ

لِئَــلَّا يَــرَاهَــا ٱلْمُنْكِــرُونَ فَيَخْسَــرُوا

بِــإِنْكَــارِهَــا لَا عَــنْ دَلِيــلٍ وَحُجَّــةِ

كَمَا أَنْكَرُوا قَوْمٌ عَلَىٰ بَعْضِ مَنْ مَضَىٰ

مِنَ ٱلْعَارِفِينَ أَهْلِ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْبَصِيرَةِ

وَيَسْمَعُهَــا قَــوْمٌ وَلَيْسُــوا مِــنَ أَهْلِهَــا

فَيَــرْتَبِكُــوا فِيهَــا بِجَهْــلٍ وَغِــرَّةِ

كَمَــا ضَــلَّ أَقْــوَامٌ بِهَــا وَتَخَبَّطُــوا

وَمَالُوا عَنِ ٱلدِّينِ ٱلْقَوِيمِ وَشِرْعَةِ

وَإِنَّ ٱلَّذِي أَبْدَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مَا سَبِيـ
ـلُـهُ ٱلسَّتْـرُ مَغْلُـوبٌ بِحَـالٍ قَـوِيَّـةِ
يُفَـارِقُـهُ ٱلتَّمْيِيـزُ عِنْـدَ وُرُودِهَـا
عَلَيْـهِ وَإِنْ أَخْطَـا فَلَيْـسَ بِمُعْنَـتِ
وَكَـمْ مِـنْ قَـرِيـبٍ بَعَّـدَتْـهُ عِبَـارَةٌ
عَنِ ٱلْفَهْمِ فَٱسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ ٱلشَّرِيعَةِ
وَسَلِّـمْ لِأَهْـلِ ٱللهِ فِـي كُـلِّ مُشْكِـلٍ
لَـدَيْـكَ ، لَـدَيْهِـمْ وَاضِـحٌ بِـٱلْأَدِلَّـةِ
خَلِيلَيَّ هَلْ مِنْ مُسْعِدٍ مِنْكُمَا عَلَىٰ
سُلُـوكِ سَبِيـلٍ دَارِسٍ وَخَفِيَّـةِ
تَـأَخَّـرَ عَنْهَـا ٱلْأَكْثَـرُونَ وَأَعْـرَضُـوا
لِمَـا عَلِمُـوا فِـي قَطْعِهَـا مِـنْ مَشَقَّـةِ

رِيَـاضَــةُ نَفْـسٍ وَٱعْتِـزَالُ عَــوَائِـدٍ
وَقَمْــعُ حُظُــوظٍ لِلنُّفُــوسِ مُمِيتَــةِ
وَتَـرْكِ ٱلْأَمَـانِـي وَٱلْمُـرَادَاتِ كُلِّهَـا
وَكُـلِّ ٱخْتِيَـارٍ وَٱلتَّـدَابِيـرُ جُمْلَـةِ
وَكَنْسُ ضَمِيرِ ٱلْقَلْبِ كَي يَبْقَ فَارِغاً
مِـنَ ٱلْحُـبِّ لِلـدُّنْيـا ٱلْغَـرُورِ ٱلـدَّنِيَـةِ
وَتَطْهِيـرُهُ سَبْعـاً عَـنِ ٱلْمَيْـلِ لِلسِّـوَىٰ
بِمَـــاءِ ٱلْفَنَـــا بِـــٱللهِ عَنْـــهُ وَغَيبَـــةِ
وَجَمْعٌ عَلَى ٱلْمَوْلَى ٱلْعَظِيمِ بِتَرْكِ مَا
عَـنِ ٱلـذِّكْـرِ يُلْهِـي وَٱلْتِـزَامُ ٱلْعِبَـادَةِ
فَـإِنْ تُسْعِـدَانِـي بِـٱلْـوِفَـاقِ فَـإِنَّ لِـي
بِــهِ بَعْــضَ أُنْــسٍ وَٱرْتِيَــاحٍ وَقُــوَّةِ

وَإِلَّا فَــأَمْــرُ ٱللهِ عِنْــدِي مُعَظَّــمُ

وَعِنْـدِي بِحَمْـدِ ٱللهِ يَـا رُبَّ بُغْيَـةِ

وَكَـمْ طُـرْفَـةٍ كَـمْ تُحْفَـةٍ كَـمْ عَطِيَّةٍ

بِـهِ دُونَهَـا بَسْطِـي وَرَوْحِـيَ وَرَاحَتِـي

أُطَـالِـعُ أَمْـرَ ٱلْقَبْضَتَيْـنِ فَقَبْضَـةُ ٱلْـ

ـيَمِيـنِ وَأُخْـرَىٰ لِلْيَمِيـنِ ٱلْأَخِيـرَةِ

فَسَبْــقُ سَعَــادَاتٍ وَسَبْــقُ شَقَــاوَةٍ

بِمَحْـضِ ٱخْتِيَـارٍ دُونَ سَعْـيٍ وَحِيلَـةِ

وَأَعْمَالُهُمْ تَجْرِي عَلَىٰ وَفْقِ سَابِقٍ

لَهُــمْ عِنْــدَهُ وَٱلْخَتْــمُ كَــٱلْأَوَّلِيَّــةِ

وَمَسْــحَ يَـدِ ٱلـرَّحْمَـٰـنِ ظَهْـرَ صَفِيِّـهِ

فَـأَخْـرَجَهُـمْ كَـٱلـذَّرِ يَـوْمَ ٱلشَّهَـادَةِ

فَأَشْهَدَهُمْ وَٱلْكُلُّ مِنْهُمْ مُوَحِّدُ

هُنَاكَ وَبَعْدَ ٱلْأَمْرِ نَافٍ وَمُثْبِتِ

وَسِرّاً خَفِيّاً حَارَ فِيهِ أُولُو ٱلنُّهَىٰ

عَلَىٰ صُورَةٍ لَا ٱلصُّورَةِ ٱلْآدَمِيَّةِ

فَنَزِّهْ إِلَٰهَ ٱلْعَالَمِينَ وَقَدِّسَنْ

عَنِ ٱلصُّورَةِ ٱلْحِسِّيَّةِ ٱلْبَشَرِيَّةِ

وَغُصْ فِي بِحَارِ ٱلسِّرِّ إِنْ كُنْتَ عَارِفاً

بِسَاحَاتِهَا ٱلدُّرِّيَّةِ ٱلْجَوْهَرِيَّةِ

وَكُنْ فِي أَحَادِيثِ ٱلصِّفَاتِ وَآيِهَا

عَلَىٰ مَذْهَبِ ٱلْأَسْلَافِ حَيْثُ ٱلسَّلَامَةِ

وَاشْهَدْ لِلُطْفِ ٱلفَضْلِ فِي كَوْنِ آدَمٍ

مِنْ ٱلطِّينِ مَخْلُوقَ ٱلْيَدَيْنِ ٱلنَّزِيهَةِ

فَسَــوَّاهُ وَٱلنَّفْــخُ ٱلْكَــرِيــمُ مُعَقَّــبٌ

بِــهِ ثُــمَّ بَعْــدَ ٱلنَّفْــخِ أَمْــرٌ بِسَجْــدَةِ

وَإِبْلِيــسُ لَــمْ يَسْجُــدْ فَــأَسْخَــطَ رَبَّــهُ

وَحَلَّــتْ بِــهِ مِــنْ مَقْتِــهِ شَــرُّ لَعْنَــةِ

لِــذَلِــكَ إِحْتَــالَ ٱلصَّفِــيَّ وَزَوْجَــهُ

بِحِيلَتِــهِ فِــي حِيــنِ كَــانَــا بِجَنَّــةِ

وَقَالَ كُلَا مِنْ شَجْرَةِ ٱلنَّهْيِ مُطْمِعاً

لَــهُ وَلَهَــا فِــي ٱلْخُلْــدِ وَٱلْمَلَكِيَّــةِ

فَلَمَّــا أَلَمَّــا بِــٱلْخَطِيَّــةِ أُهْبِطَــا

مِــنَ ٱلْجَنَّــةِ ٱلْعَلْيَــا إِلَــىٰ دَارِ وَحْشَــةِ

وَحَــلَّ بِهِــمْ كَــرْبٌ عَظِيــمٌ وَحَسْــرَةٌ

وَحُــزْنٌ مُقِيــمٌ فِــي ٱنْقِطَــاعٍ وَغُــرْبَــةِ

إِلَىٰ أَنْ تَلَقَّىٰ آدَمٌ مِنْ إِلَٰهِهِ

مِنَ ٱلْكَلِمَاتِ ٱلْمُوجِبَاتِ لِتَوْبَةِ

فَتَابَ عَلَيْهِ وَٱجْتَبَاهُ وَخَصَّهُ

وَأَكْرَمَهُ فَضْلاً بِأَمْرِ ٱلْخِلَافَةِ

وَأَسْرَارُ أَمْرِ ٱللهِ نُوحاً وَقَدْ دَعَا

عَلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ يَغْرَقُوا بِٱلسَّفِينَةِ

لِيَرْكَبَهَا وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَهْلُهُ

وَزَوْجَانِ مِنْ كُلِّ ٱلْوُجُودِ لِحِكْمَةِ

وَلِلهِ فِي آلِ ٱلْخَلِيلِ سَرَائِرُ

تَجِلُّ عَنْ ٱلْإِحْصَاءِ عَدّاً لِكَثْرَةِ

رَأَىٰ كَوْكَباً فِي أَوَّلِ ٱلْأَمْرِ فَٱنْتَهَىٰ

بِهِ ٱلْحَالُ تَدْرِيجاً لِإِفْرَادِ وِجْهَةِ

وَكَسَّــرَ إِبْــرَاهِيــمُ أَصْنَــامَ قَــوْمِــهِ

وَأَبْقَــىٰ كَبِيــراً كَــي يَــرُوحُــوا بِخِــزْيَــةِ

إِذَا مَا أُحِيلُوا فِي ٱلسُّؤَالِ عَلَيْهِ لَمْ

يَــرُدَّ وَأَنَّــىٰ مِــنْ جَمَــادٍ وَمَيِّــتِ

وَقَــامَــتْ عَلَيْهِــمْ حُجَّــةٌ أَيُّ حُجَّــةِ

فَكَــادُوا لَــهُ كَيْــداً بِنَــارٍ عَظِيمَــةِ

لَــهُ أَوْقَــدُوهَــا ثُــمَّ أَلْقَــوْهُ فَــٱنْثَنَــتْ

عَلَيْــهِ بِــأَمْــرِ ٱللهِ فِــي مِثْــلِ رَوْضَــةِ

وَمَــا لِعَــدُوِّ ٱللهِ نَمْــرُودَ يَــدَّعِــي

رُبُــوبِيَّــةً فَــٱسْــأَلْــهُ دَفْــعَ ٱلْبَعُــوضَــةِ

وَفِــي قِصَّــةِ ٱلْأَطْيَــارِ وَهِــيَ عَجِيبَــةٌ

وَكَمْ مِنْ أُمُورٍ فِي ٱلْوُجُودِ عَجِيبَةِ

كَـأَسْـرَارِ مُـوْسَـىٰ حِيْـنَ أَلْقَتْـهُ أُمُّـهُ

رَضِيعـاً بِـأَمْـرِ ٱللهِ فِـي وَسْـطِ لُجَّـةِ

فَجَـاءَتْ بِـهِ ٱلْأَقْـدَارُ حَتَّـىٰ أَتَـتْ بِـهِ

عَدُوّاً هُوَ ٱلْمَخْشِيُّ فِي أَصْلِ قِصَّةِ

فَـرَبَّـاهُ حَتَّـىٰ كَـانَ مَـا كَـانَ وَٱنْتَهَـىٰ

نِهَـايَتَـهُ فَـٱعْجَـبْ لِأَسْـرَارِ قُـدْرَةِ

وَحِيْـنَ رَأَىٰ نَـاراً فَـأَمْكَـثَ أَهْلَـهُ

وَجَـاءَ إِلَيْهَـا لِلْهُـدَىٰ أَوْ لِجَـذْوَةِ

فَنُودِيْ مِنَ ٱلْوَادِي ﴿ أَنَا ٱللهُ ﴾ فَٱسْتَمِعْ

لِمَـا أَنَـا مُـوحٍ وَٱنْطَلِـقْ بِـرِسَـالَتِـي

وَكَلَّمَـهُ سُبْحَـانَـهُ بَعْـدَ هَـٰذِهِ

عَلَـىٰ طُـورِ سِينَـا مَـرَّةً بَعْـدَ مَـرَّةِ

وَكَمْ فِي ٱلعَصَا وَٱليَدِّ مِنْ سِرِّ قُدْرَةٍ

وَتَكْـذِيـبِ فِـرْعَـوْنٍ وَإِيمَـانِ سَحْـرَةِ

وَعِيْسَىٰ مِنَ ٱلْآيَاتِ فِي أَصْلِ كَوْنِهِ

بِــدُونِ أَبٍ عَــنْ نَفْخَــةٍ قُــدُسِيَّــةِ

وَقَدْ كَانَ يُحْيِي ٱلْمَيْتَ عَنْ إِذْنِ رَبِّهِ

وَيُبْــرِي بِـإِذْنِ ٱللهِ مِــنْ كُـلِّ عِلَّــةٍ

وَيَخْلُـقُ مِـنْ طِيـنٍ كَهَيْئَـةِ طَـائِـرٍ

فَيَحْيَـا بِنَفْـثٍ مِنْـهُ مِـنْ سِـرِّ نَفْخَـةِ

وَإِنَّ لَـهُ فِـي آخِـرِ ٱلْـوَقْـتِ مَهْبِطـاً

إِلَـى ٱلْأَرْضِ بَيْـنَ ٱلْأُمَّـةِ ٱلْأَحْمَـدِيَّـةِ

وَعَــنْ آلِ إِسْـرَائِيـلَ حَـدِّثْ فَفِيهِـمُ

أَعَــاجِيــبُ، نَـصُّ ٱلسُّنَّــةِ ٱلنَّبَـوِيَّــةِ

وَقَــدْ جَمَــعَ ٱلْأَسْــرَارَ وَٱلْأَمْــرَ كُلَّــهُ

مُحَمَّــدٌ ٱلْمَبْعُــوثُ لِلْخَلْــقِ رَحْمَــةِ

بِـــهِ خَتَـــمَ ٱللهُ ٱلنُّبُــوَّةَ وَٱبْتَـــدَا

فَلِلَّـــهِ مِـــنْ خَتْـــمٍ بِـــهِ وَبِـــدَايَـــةِ

وَإِنَّ رَسُـــولَ ٱللهِ مِـــنْ غَيْـــرِ رِيْبَـــةٍ

إِمَامٌ عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ فِي كُلِّ حَضْرَةِ

وَجِيهٌ لَدَى ٱلرَّحْمَـٰنِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ

وَصَــدْرُ صُــدُورِ ٱلْعَــارِفِيــنَ ٱلْأَئِمَّــةِ

أَتَــاهُ أَمِيــنُ ٱللهِ بِــٱلْــوَحْــيِ فِــي حِــرَا

وَكَــانَ بِــهِ فِــي حَــالِ نُسْــكٍ وَخَلْــوَةِ

فَقَــالَ لَــهُ: ٱقْــرَأْ، قَــالَ: لَسْــتُ، فَغَطَّــهُ

وَأَرْسَلَـــهُ حَتَّـــى ٱلثَّـــلَاثِ فَتَمَّـــتِ

وَفِـي طَـيِّ هَـٰذَا رُبَّ سِـرٍّ مُحَجَّـبٍ
لَـهُ يَهْتَـدِي أَهْـلُ ٱلْقُلُـوبِ ٱلْمُنِيـرَةِ

وَكَانَ بِهِ ٱلْإِسْرَاءُ مِنْ خَيْرِ مَسْجِدٍ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَىٰ إِلَىٰ أَوْجِ ذِرْوَةِ

مِنَ ٱلْمُسْتَوَىٰ وَٱلْقَابِ قَوْسَيْنِ قُرْبُهُ
مِـنَ ٱللهِ أَوْ أَدْنَـىٰ وَخُـصَّ بِـرُؤْيَـةِ

وَأَوْحَـى ٱلَّـذِي أَوْحَـىٰ إِلَيْـهِ إِلَـٰهُـهُ
عُلُـوماً وَأَسْـرَاراً وَكَـمْ مِـنْ لَطِيفَـةِ

وَشَـاهَـدَ جَنَّـاتٍ وَنَـاراً وَبَـرْزَخـاً
وَأَحْـوَالَ أَمْـلَاكٍ وَأَهْـلَ ٱلنُّبُـوَّةِ

وَصَلَّـىٰ وَصَلَّـوْا خَلْفَـهُ فَـإِذَا هُـوَ ٱلْـ
ـمُقَدَّمُ وَهْوَ ٱلرَّأْسُ لِأَهْلِ ٱلرِّئَاسَةِ

حَبِيــبٌ خَلِيــلٌ عَظَّــمَ ٱللهُ قَــدْرَهُ

جَمِيــلٌ جَلِيــلٌ ذُو بَهَــاءٍ وَهَيْبَــةِ

لَهُ ٱلدَّعْوَةُ ٱلْعُظْمَىٰ لَهُ ٱلرُّتَبُ ٱلْعُلَىٰ

لَــهُ ٱلْمِلَّــةُ ٱلْغَــرَّا وَخَيْــرُ مَحَجَّــةِ

لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْخُلْقُ ٱلْعَظِيمُ كِلَاهُمَا

لَـهُ ٱلْحُكْـمُ وَٱلسَّيْـفُ ٱلْمَلِـيُّ بِسَطْـوَةِ

وَقَــدْ قَــرَنَ ٱلْمَحْمُــودُ إِسْــمَ مُحَمَّــدٍ

مَعَ إِسْمِهِ فِي ٱلذِّكْرِ فَٱعْزِزْ بِرِفْعَةِ

وَآيَــةُ حُــبِّ ٱللهِ مِنَّــا ٱتِّبَــاعُــهُ

بِــهِ وَعَــدَ ٱلْغُفْـرَانَ بَعْــدَ ٱلْمَحَبَّــةِ

وَمَــنْ يُطِــعِ ٱلْهَــادِي أَطَــاعَ إِلَـٰهَــهُ

وَمَـنْ يَعْصِـهِ يَعْـصِ ٱلْإِلَـٰـهَ وَيُمْقَـتِ

وَمَــنْ بَــايَــعَ ٱلْمُخْتَــارَ بَــايَــعَ رَبَّــه
يَــدُ ٱللهِ مِــنْ فَــوْقِ ٱلْأَيَــادِي ٱلْــوَفِيَّــةِ
وَآلُ رَسُـــــولِ ٱللهِ بَيْـــــتٌ مُطَهَّـــــرٌ
مَحَبَّتُهُـــمْ مَفْــرُوضَـــةٌ كَــٱلْمَـــوَدَّةِ
هُــمُ ٱلْحَــامِلُــونَ ٱلسِّــرَّ بَعْــدَ نَبِيِّهِــمْ
وَوُرَّاثُـــهُ ، أَكْــرِمْ بِهَــا مِــنْ وِرَاثَــةِ
وَأَصْحَـــابُـــهُ ٱلْغُـــرُّ ٱلْكِـــرَامُ أَئِمَّـــةٌ
مُهَــاجِــرُهُــمْ وَٱلْقَــائِمُــونَ بِنُصْــرَةِ
نُجُومُ ٱلْهُدَىٰ أَهْلُ ٱلْفَضَائِلِ وَٱلنَّدَىٰ
لَقَــدْ أَحْسَنُــوا فِــي حَمْــلِ كُــلِّ أَمَــانَــةِ
وَمُتَّبِعُــوهُــمْ فِــي سُلُــوكِ سَبِيلِهِــمْ
إِلَــى ٱللهِ عَــنْ حُسْــنِ ٱقْتِفَــاءٍ وَأُسْــوَةِ

أُولَـٰئِكَ قَـوْمٌ قَـدْ هَـدَى ٱللهُ فَـٱقْتَـدِهْ

بِهِـمْ وَٱسْتَقِـمْ وَٱلْـزَمْ وَلَا تَتَلَفَّـتِ

وَلَا تَعْـدُ عَنْهُـمْ إِنَّهُـمْ مَطْلَـعُ ٱلْهُـدَىٰ

وَهُـمْ بَلَّغُـوا عِلْـمَ ٱلْكِتَـابِ وَسُنَّـةِ

فَـذُو ٱلْقَـدْحِ فِيهِـمْ هَـادِمٌ أَصْـلَ دِينِـهِ

وَمُقْتَحِـمٌ فِـي لُـجِّ زَيْـغٍ وَبِـدْعَـةِ

فَمَا بَعْدَ هَدْيِ ٱلْمُصْطَفَىٰ وَصِحَابِهِ

هُدىً ، لَيْسَ بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالَةِ

أَبَـانَ كِتَـابُ ٱللهِ فِيمَـا أَبَـانَ عَـنْ

مَسَـالِـكِ فِقْـهٍ وَٱعْتِبَـارٍ وَعِبْـرَةِ

وَأَحْوَالِ مَنْ يَأْتِي وَأَحْوَالِ مَنْ مَضَىٰ

وَأَنْبَـاءِ تَـرْغِيـبٍ وَأَنْبَـاءِ رَهْبَـةِ

وَمَنْشُــورِ أَحْكَــامٍ وَمَــأْثُــورِ حِكْمَــةٍ

وَمَسْتُــورِ أَسْــرَارِ ٱلْعُلُــومِ ٱلــدَّقِيقَــةِ

وَعَنْ كُلِّ مَا يَحْتَاجُهُ ٱلْخَلْقُ كُلُّهُمْ

بِــدِيــنٍ وَدُنْيَــا فِــي ٱجْتِمَــاعٍ وَوِحْــدَةِ

وَشَــرْحِ ٱلصِّــرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيــمِ وَحَثِّهِــمْ

عَلَيْــهِ وَأَحْــوَالِ ٱلْمَعَــادِ وَرَجْعَــةِ

وَعَــنْ كُــلِّ فَــرْضٍ أَوْجَــبَ ٱللهُ فِعْلَــهُ

وَكُــلِّ حَــلَالٍ أَمْــرُهُ بِــٱلسَّــوِيَّــةِ

وكُــلِّ حَــرَامٍ أَوْجَــبَ ٱللهُ تَــرْكَــهُ

وَمَا حَالُهُ ٱلْإِشْكَالُ مِنْ شَأْنِ شُبْهَةٍ

وَحِفْظِ قَوَانِينِ ٱلْمَعَاشِ وَمَا بِهِ ٱلْـ

ـقَوَامُ وَضَبْطِ ٱلْكُلِّ تَحْتَ ٱلسِّيَاسَةِ

وَأَحْـوَالِ أَرْبَـابِ ٱلـرِّسَـالَاتِ وَٱلَّـذِي

بِـــهِ أُيِّـــدُوا مِـــنْ مُعْجِـــزَاتٍ جَلِيلَـــةِ

وَأَحْـوَالِ مَـنْ رَدَّ ٱلْهُـدَىٰ فَتَعَجَّلَـتْ

لَهُ قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحَشْرِ بَعْضُ ٱلْعُقُوبَةِ

وَمَعْـرِفَـةِ ٱلـذَّاتِ ٱلْعَلِّـيِّ عُـلَاؤُهَـا

بِمَـا لَا خَفَـا فِيـهِ عَلَـىٰ ذِي بَصِيـرَةِ

وَمَعْرِفَةِ ٱلْأَوْصَافِ فِي عُظْمِ شَأْنِهَا

وَجُمْلَـةُ أَوْصَـافِ ٱلْإِلَـٰهِ ٱلْعَظِيمَـةِ

وَمَعْـرِفَـةِ ٱلْأَفْعَـالِ وَهْـيَ فَسِيحَـةٌ

وَفِيهَـا مَجَـالٌ وَٱتِّسَـاعٌ لِفِكْـرَةِ

سَمَـاءٌ وَأَرْضٌ وَٱلْجِبَـالُ وَأَبْحُـرٌ

وَرِيـحٌ وَنَبْـتٌ وَٱلسَّحَـابُ ٱلْمُظِلَّـةِ

وعَـرْشٌ وَكُـرْسِـيٌّ وَشَمْـسٌ وَظُلْمَـةٌ

وَنُــورٌ وَأَمْـلَاكُ ٱلطِّبَـاقِ ٱلـرَّفِيعَـةِ

وجِــنٌّ وَإِنْــسٌ وَٱلْجَمَــادَاتُ كُلُّهَــا

وَطَيْــرٌ وَأَسْمَــاكٌ وَكُــلُّ بَهِيمَـــةِ

وَكَـمْ غَيْـرِ هَـٰـذَا وَٱلْجَمِيـعُ مُسَبِّـحٌ

لِخَــالِقِــهِ سُبْحَــانَ رَبِّ ٱلْبَــرِيَّــةِ

تَبَـارَكَ مَــنْ عَــمَّ ٱلْــوَرَىٰ بِنَــوَالِــهِ

وَأَوْسَعَهُــمْ فَضْــلاً بِـإِسْبَـاغِ نِعْمَــةِ

وَقَــدَّرَ أَرْزَاقــاً لَهُــمْ وَمَعَــايِشــاً

وَدَبَّــرَهُــمْ فِــي كُــلِّ طَــوْرٍ وَنَشْــأَةِ

أَحَاطَ بِهِمْ عِلْماً وَأَحْصَىٰ عَدِيدَهُمْ

وَصَــرَّفَهُــمْ عَــنْ حِكْمَــةٍ وَمَشِيئَــةِ

وَلِلهِ بَيْـــنَ ٱلْمُـــؤْمِنِيـــنَ وَمِنْهُـــمُ

بِكُــلِّ زَمَــانٍ كَــمْ مُنِيــبٍ وَمُخْبِــتِ

وَكَــمْ سَــالِـكٍ كَـمْ نَـاسِـكٍ مُتَعَبِّـدٍ

وَكَـمْ مُخْلِـصٍ فِـي غَيْبِـهِ وَٱلشَّهَـادَةِ

وَكَـمْ صَـابِـرٍ كَـمْ صَـادِقٍ مُتَبَتِّـلٍ

إِلَـى ٱللهِ عَـنْ قَصْـدٍ صَحِيـحٍ وَنِيَّـةِ

وَكَمْ قَانِتٍ قَوَّامْ فِي غَسَقِ ٱلدُّجَىٰ

مِنَ ٱلْخَوْفِ مَحْشُوِّ ٱلْفُؤَادِ وَمُهْجَةِ

يُنَـاجِـي بِـآيَـاتِ ٱلْقُـرَانِ إِلَـٰهَـهُ

بِصَـوْتٍ حَـزِيـنٍ مَـعْ بُكَـاءٍ وَعَبْـرَةَ

وَكَمْ ضَامِرِ ٱلْأَحْشَاءِ يَطْوِي نَهَارَهُ

بِحَـرِّ هَجِيـرٍ مَـا تَهَنَّـا بِشَـرْبَـةِ

وَكَـــمْ مُقْبِــلٍ فِــي لَيْلِــهِ وَنَهَــارِهِ
عَلَىٰ طَـاعَـةِ ٱلْمَـوْلَـىٰ بِجِـدٍّ وَهِمَّـةِ

وَكَمْ زَاهِدٍ فِي هَـٰذِهِ ٱلدَّارِ مُعْرِضٍ
وَمُقْتَصِــرٍ مِنْهَــا عَلَــىٰ حَــدِّ بُلْغَــةِ

تَــزَيَّنَــتِ ٱلــدُّنْيَـا لَـهُ وَتَــزَخْـرَفَـتْ
فَغَــضَّ وَلَــمْ يَغْتَــرَّ مِنْهَــا بِــزِينَــةِ

وَكَمْ مُعْرِضٍ عَنْ صُحْبَةِ ٱلْخَلْقِ مُؤْثِرٍ
لِــوِحْــدَتِــهِ وَٱلْإِنْقِطَــاعِ وَعُــزْلَــةِ

وَكَــمْ عَــالِـمٍ بِـٱلشَّــرْعِ لِلّٰهِ عَـامِـلٍ
بِمُـوجِبِـهِ فِــي حَــالِ عُسْــرٍ وَيُسْــرَةِ

وَكَـمْ آمِـرٍ بِـٱلـرُّشْـدِ نَـاهٍ عَـنِ ٱلـرَّدَىٰ
سَرِيعٍ إِلَى ٱلْخَيْرَاتِ مِنْ غَيْرِ فَتْرَةِ

وَكَـمْ مِـنْ وَلِـيٍّ لِـلْإِلَـٰـهِ بِـأَرْضِـهِ
وَكَـمْ عَـارِفٍ مُسْتَهْتِـرٍ فِـي ٱلْمَحَبَّـةِ

وَكَـمْ مِـنْ أَمِيـنٍ حَـامِـلٍ لِأَمَـانَـةٍ
مِـنَ ٱلسِّـرِّ لَا تُفْشَـىٰ لِأَهْـلِ ٱلْخِيَـانَـةِ

وَصَاحِبِ كَشْفٍ قَدْ تَجلَّتْ لِقَلْبِهِ ٱلْـ
ـحَقَـائِـقُ فِـي أَطْـوَارِهَـا ٱلْعُلُـوِيَّـةِ

فَـأَبْـدَالُهُـمْ أَوْتَـادُهُـمْ نُقَبَـاؤُهُـمْ
مَعَ ٱلنُّجبَا وَٱلْقُطْبُ رَأْسُ ٱلْعِصَابَةِ

أُوْلَـٰئِـكَ أَبْـدَالُ ٱلنَّبِيِّـيـنَ أُبْـرِزُوا
لِفَضْـلِ رَسُـولِ ٱللهِ فِـي خَيْـرِ أُمَّـةِ

عِبَـادٌ كِـرَامٌ آثَـرُوا ٱللهَ رَبَّهُـمْ
فَـآثَـرَهُـمْ وَٱخْتَصَّهُـمْ بِـٱلْـوِلَايَـةِ

وَآنَسَهُـمْ بِـٱلْقُـرْبِ مِنْـهُ وَبِـٱلـرِّضَـا
حَبَـاهُـمْ وَأَسْقَـاهُـمْ بِكَـأْسِ ٱلْمَـوَدَّةِ

بِهِمْ يَدْفَعُ ٱللهُ ٱلْبَلَايَا وَيَكْشِفُ ٱلرَّ
زَايَـا وَيُسْـدِي كُـلَّ خَيْـرٍ وَنِعْمَـةِ

وَلَـوْلَاهُـمُ بَيْـنَ ٱلْأَنَـامِ لَـدُكْـدِكَـتْ
جِبَـالٌ وَأَرْضٌ لِٱرْتِكَـابِ ٱلْخَطِيَّـةِ

* * *

أَيَا صَاحِبِي وَٱلنُّصْحُ دَأْبِي وَمَذْهَبِي
عَلَـيَّ بِـهِ أَخْـذُ ٱلْعُهُـودِ ٱلْـوَثِيقَـةِ

أَلَا فَـٱلْـقِ سَمْعـاً وَاعِيـاً لِقَبُـولِ مَـا
أُشِيـرُ بِـهِ تَحْمَـدْ أُخَـيَّ مَشُـورَتِـي

عَلَيْكَ بِتَصْحِيحِ ٱلْأَسَاسِ ٱلَّذِي هُوَ ٱلْـ
ـيَقِينُ وَرُوحُ ٱلدِّينِ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ
فَمِنْ عِلْمِهِ إِنْ صَحَّ صَحَّتْ بِهِ لَكَ ٱلْـ
ـحَقِيقَــةُ مِــنْ إِسْــلَامِــكَ ٱلْعِلْمِيَّــةِ
وَمِنْ عَيْنِهِ إِنْ أَشْرَقَتْ أَشْرَقَتْ لَكَ ٱلْـ
ـحَقِيقَــةُ مِــنْ إِيمَــانِــكَ ٱلْعَمَلِيَّــةِ
وَمِــنْ حَقِّــهِ إِنْ حَقَّ حُقَّتْ بِهِ لَكَ ٱلْـ
ـحَقِيقَــةُ مِــنْ إِحْسَــانِــكَ ٱلْمَعْنَــوِيَّــةِ
مَقَــامَــاتُــهُ تِسْــعٌ، عَلَيْــكَ بِحِفْظِهَــا
وَإِحْكَــامِهَــا وَٱبْــدَأْ بِتَصْحِيــحِ تَــوْبَــةِ
وَخَوْفٍ وَنِعْمَ ٱلْخَوْفُ لِلْعَبْدِ سَائِقٌ
وَنِعْــمَ ٱلــرَّجَــا مِــنْ قَــائِــدٍ لِلسَّعَــادَةِ

وَصَبْــرٍ جَمِيــلٍ عِنْــدَ كُــلِّ بَلِيَّــةٍ

وَأَمْــرٍ وَنَهْــيٍ أَوْ رُكُــونٍ لِشَهْــوَةِ

وَشُكْـرٍ عَلَـى ٱلنَّعْمَـا بِـرُؤْيَـةِ مُنْعِـمٍ

وَصَرْفِ ٱلَّذِي أَسْدَاهُ فِي سُبْلِ طَاعَةِ

وَصَحِّحْ مَقَامَ ٱلزُّهْدِ فَهْوَ ٱلعِمَادُ وٱلتَّـ

ـوَكُّلِ وَهْـوَ ٱلـزَّادُ فِي خَيْـرِ رِحْلَـةِ

وَحُـبِّ إِلَـٰـهِ ٱلْعَـالَمِيـنَ مَـعَ ٱلـرِّضَـا

بِكُـلِّ ٱلَّـذِي يَقْضِيـهِ فِـي كُـلِّ حَـالَـةِ

وَجَاهِدْ تُشَاهِدْ وَٱغْنَمِ ٱلْوَعْدَ بِٱلْهُدَىٰ

هُـدىً نَصُّـهُ فِـي ٱلْعَنْكَبُـوتِ بِـآيَـةِ

وَحَافِظْ عَلَى ٱلْمَفْرُوْضِ مِنْ كُلِّ طَاعَةٍ

وَأَكْثِـرْ مِـنَ ٱلنَّفْـلِ ٱلْمُفِيـدِ لِقُـرْبَـةِ

بِكُنْـتُ لَـهُ سَمْعـاً إِلَـىٰ آخِـرِ ٱلنَّبَـا
عَنِ ٱللهِ فِي نَصِّ ٱلرَّسُولِ ٱلْمُثَبَّتِ
وَجَانِبْ ـ هُدِيتَ ـ ٱلنَّهْيَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَمَـا تَشْتَهِيـهِ ٱلنَّفْـسُ مِـنْ كُـلِّ لَـذَّةِ
وَكُـنْ فِـي طَعَـامٍ وَٱلْمَنَـامِ وَخِلْطَـةٍ
وَنُطْـقٍ عَلَـىٰ حَـدِّ ٱقْتِصَـارٍ وَقِلَّـةِ
وَجَالِسْ كِتَابَ ٱللهِ وَٱحْلُلْ بِسُوحِهِ
وَدُمْ ذَاكِـراً فَـٱلـذِّكْـرُ نُـورُ ٱلسَّـرِيـرَةِ
عَلَيْـكَ بِـهِ فِـي كُـلِّ حِيـنٍ وَحَـالَـةٍ
وَبِـٱلْفِكْـرِ إِنَّ ٱلْفِكْـرَ كُحْـلُ ٱلْبَصِيـرَةِ
وَكُـنْ أَبَـداً فِـي رَغْبَـةٍ وَتَضَـرُّعٍ
إِلَـى ٱللهِ عَـنْ صِـدْقِ ٱفْتِقَـارٍ وَفَـاقَـةِ

وَوَصْـفِ ٱضْطِـرَارٍ وَٱنْكِسَـارٍ وَذِلَّـةٍ

وَقَلْـبٍ طَفُـوحٍ بِـٱلظُّنُـونِ ٱلْجَمِيلَـةِ

وحَقِّقْ أُصُولَ ٱلْقَوْمِ وَٱعْلَمْ طَرِيقَهُمْ

وَكُـلَّ ٱصْطِـلَاحٍ بَيْنَهُـمْ فِي ٱلطَّرِيقَـةِ

كَفَـرْقٍ وَجَمْـعٍ وَٱلْحُضُـورِ وَغَيْبَـةٍ

وَصَحْـوٍ وَمَحْـوٍ وَٱنْفِصَـالٍ وَوُصْلَـةِ

وَلَا بُـدَّ مِـنْ شَيْـخٍ تَسِيـرُ بِسَيْـرِهِ

إِلَـى ٱللهِ مِـنْ أَهْـلِ ٱلنُّفُـوسِ ٱلـزَّكِيَّـةِ

مِـنَ ٱلْعُلَمَـاءِ ٱلْعَـارِفِيـنَ بِـرَبِّهِـمْ

فَـإِنْ لَـمْ تَجِـدْ فَـٱلصِّـدْقُ خَيْـرُ مَطِيَّـةِ

وَبَعْـدُ فَـإِنَّ ٱلْحَـقَّ أَفْضَـلُ مَسْلَـكٍ

سَلَكْـتَ، وَتَقْـوَى ٱللهِ خَيْـرُ بِضَـاعَـةِ

وَمَنْ ضَيَّعَ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْمَلَ أَمْرَهَا
تَغَشَّتْهُ فِي ٱلْعُقْبَىٰ فُنُونُ ٱلنَّدَامَةِ

وَمَنْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا قُصَارَىٰ مُرَادِهِ
فَقَدْ بَاءَ بِٱلْخُسْرَانِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي طَاعَةِ ٱللهِ شُغْلُهُ
عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ لَا يَفُوزُ بِبُغْيَةِ

ولَا يَنْشَقُ ٱلْفَيَّاحَ مِنْ طِيبِ حَضْرَةِ ٱلْـ
ـوِصَالِ إِذَا هَبَّتْ نَسِيمُ ٱلْعِنَايَةِ

وَمَنْ أَكْثَرَ ٱلْعِصْيَانَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ
فَذَاكَ طَرِيحٌ فِي فَيَافِي ٱلْغَوَايَةِ

بَعِيدٌ مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ حَلَّ بِهِ ٱلْبَلَا
وَوَاجَهَهُ ٱلْخُذْلَانُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ

عَجِبْتُ لِمَنْ يُوصِي سِوَاهُ وَإِنَّهُ

لَأَجْدَرُ مِنْهُ بِٱتِّبَاعِ ٱلْوَصِيَّةِ

يَقُولُ بِلَا فِعْلٍ وَيَعْمَلُ عَامِلاً

عَلَىٰ ضِدِّ عِلْمٍ يَا لَهَا مِنْ خَسَارَةِ

عُلُومٌ كَأَمْثَالِ ٱلْبِحَارِ تَلَاطَمَتْ

وَأَعْمَالُهُ فِي جَنْبِهَا مِثْلُ قَطْرَةِ

وَقَدْ أَنْفَقَ ٱلْأَيَّامَ فِي غَيْرِ طَائِلٍ

كَمِثْلِ ٱللَّيَالِي إِذْ تَقَضَّتْ وَوَلَّتِ

عَلَى ٱلسَّوْفِ، وَٱلتَّسْوِيفُ شَرُّ مُصَاحِبٍ

وَقَوْلُ عَسَىٰ عَنْ فَتْرَةٍ وَبَطَالَةِ

تَنَكَّبَ عَجْزاً عَنْ طَرِيقِ عَزِيمَةٍ

وَمَالَ لِتَأْوِيلٍ ضَعِيفٍ وَرُخْصَةِ

يَهُــمُّ بِــلَا جِــدٍّ وَلَيْــسَ بِنَــاهِــضٍ
عَلَىٰ قَـدَمِ ٱلتَّشْمِيـرِ مِـنْ فَـرْطِ غَفْلَـةِ
وَقَدْ سَارَ أَهْلُ ٱلْعَزْمِ وَهْوَ مُخَلَّفٌ
وَقَدْ ظَفِرُوا بِٱلْقُرْبِ مِنْ خَيْرِ حَضْرَةِ
وَقَـدْ نَـالَـوُا ٱلْمَطْلُـوبَ وَهْـوَ مُقَيَّـدٌ
(أَدْرَكُوا)
بِقَيْدِ ٱلْأَمَانِي وَٱلْحُظُوظِ ٱلْخَسِيسَةِ
وَلَمْ يَنْتَهِزْ مِنْ فَائِتِ ٱلْعُمْرِ فُرْصَةً
وَلَـمْ يَغْتَنِـمْ حَـالَـيْ فَـرَاغٍ وَصِحَّـةِ
وَلَـمْ يَخْشَ أَنْ يَفْجَـأُهُ مَـوْتٌ مُجَهِّـزٌ
فَـإِنَّ مَجِـيءَ ٱلْمَـوْتِ غَيْـرُ مُـوَقَّـتِ
وَلَــمْ يَتَـأَهَّــبْ لِلْــرُّجُــوعِ لِــرَبِّــهِ
وَلَــمْ يَتَــزَوَّدْ لِلْطَّــرِيــقِ ٱلْبَعِيــدَةِ

وَبَيْنَ يَدَيْهِ ٱلْمَوْتُ وَٱلْقَبْرُ وَٱلْبِلَىٰ
وَبَعْثٌ وَمِيزَانٌ وَأَخْذُ ٱلصَّحِيفَةِ

وَجِسْرٌ عَلَىٰ مَتْنِ ٱلْجَحِيمِ وَمَوْقِفٌ
طَوِيلٌ وَأَحْوَالُ ٱلْحِسَابِ ٱلْمَهُولَةِ

وَلَٰكِنَّهُ يَرْجُو ٱلَّذِي عَمَّ جُودُهُ
وَإِحْسَانُهُ وَٱلْفَضْلُ كُلَّ ٱلْخَلِيقَةِ

إِلَٰهٌ رَحِيمٌ مُحْسِنٌ مُتَجَاوِزُ
إِلَيْهِ رُجُوعِي فِي رَخَائِي وَشِدَّتِي

غِيَاثِي إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
وَمِنْهُ أُرَجِّي كَشْفَ ضُرِّي وَمِحْنَتِي

مَلَاذِي وَمَقْصُودِي وَكَهْفِي وَمَفْزَعِي
عَلَيْهِ ٱعْتِمَادِي وَهْوَ ذُخْرِي وَعُدَّتِي

وَحَسْبِي كَفَانِي عِلْمُهُ وَٱطِّلَاعُهُ
عَلَىٰ مَا بِقَلْبِي وَٱلْفُؤَادِ وَجُمْلَتِي
هَرَبْتُ بِتَقْصِيرِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي
إِلَيْهِ وَعُذْرِي رَاجِياً نَيْلَ رَحْمَةِ
وَوَجَّهْتُ وَجْهِي قَاصِداً لِفِنَائِهِ
عَلَىٰ ثِقَةٍ مِنِّي بِإِعْطَاءِ رَغْبَةِ
فَيَا نَفَحَاتِ ٱللهِ يَا عَطَفَاتِهِ
وَيَا جَذَبَاتِ ٱلْحَقِّ جُودِي بِزَوْرَةِ
وَيَا نَظَرَاتِ ٱللهِ يَا لَحَظَاتِهِ
وَيَا نَسَمَاتِ ٱللُّطْفِ أُمِّي بِهَبَّةِ
وَيَا غَارَةَ ٱلرَّحْمَـٰنِ جِدِّي بِسُرْعَةٍ
إِلَيْنَا وَحُلِّي عَقْدَ كُلِّ مُلِمَّةِ

وَيَا رَحْمَةَ ٱلرَّبِّ ٱلرَّحِيمِ تَوَجَّهِي

وَأَحْيِي بِرُوحِ ٱلْفَضْلِ كُلَّ رَمِيمَةِ

وَيَا كُلَّ أَبْوَابِ ٱلْقَبُولِ تَفَتَّحِي

فَإِنَّ مَطَايَا ٱلْقَصْدِ نَحْوَكِ أَمَّتِ

وَيَا سُحُبَ ٱلْجُودِ ٱلْإِلَـٰهِيِّ أَمْطِرِي

فَإِنَّ أَكُفَّ ٱلْمَحْلِ تِلْقَاكِ مُدَّتِ

بِحُرْمَةِ هَادِينَا وَمُحْيِي قُلُوبِنَا

وَمُرْشِدِنَا نَهْجَ ٱلطَّرِيقِ ٱلْقَوِيمَةِ

دَعَانَا إِلَىٰ حَقٍّ بِحَقٍّ مُنَزَّلٍ

عَلَيْهِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ أَفْضَلَ دَعْوَةِ

أَجَبْنَا قَبِلْنَا مُذْعِنِينَ لِأَمْرِهِ

سَمِعْنَا أَطَعْنَا عَنْ هُدىً وَبَصِيرَةِ

فَيَا رَبِّ ثَبِّتْنَا عَلَى ٱلْحَقِّ وَٱلْهُدَىٰ

وَيَا رَبِّ أَقْبِضْنَا عَلَىٰ خَيْرِ مِلَّةِ

وَعُمَّ أُصُولاً وَٱلْفُرُوعَ بِرَحْمَةٍ

وَأَهْلاً وَأَصْحَاباً وَكُلَّ قَرَابَةِ

وَسَائِرَ أَهْلِ ٱلدِّينِ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ

أَقَامَ لَكَ ٱلتَّوْحِيدَ مِنَ غَيْرِ رِيبَةِ

وَصَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمَ ٱلدَّهْرِ سَرْمَداً

عَلَىٰ خَيْرِ مَبْعُوثٍ إِلَىٰ خَيْرِ أُمَّةِ

مُحَمَّدٍ ٱلمَخْصُوصِ مِنْكَ بِفَضْلِكَ ٱلْـ

ـعَظِيمِ وَإِنْزَالِ ٱلْكِتَابِ وَحِكْمَةِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٣/ ت)

سَــلَامٌ عَلَــىٰ إِخْــوَانِنَــا وَٱلْأَحِبَّــةِ

سَلَامٌ كَأَنْفَاسِ ٱلصَّبَا فِي ٱللَّطَافَةِ

وَكَــٱلْمِسْــكِ نَشْــراً إِذْ تَهُــبُّ بِطِيبِــهِ

نُسَيْمَاتُ وَادِي ٱلْمُنْحَنَىٰ حَيْثُ هَبَّتِ

سَلَامٌ عَلَى ٱلْأَحْبَابِ أَنَّىٰ تَبَاعَدَتْ

مَنَــازِلُهُــمْ عَنَّــا فَعَــنْ غَيْــرِ جَفْــوَةِ

فَإِنَّ لَهُمْ فِي ٱلْقَلْبِ ذِكْراً وَمَوْضِعاً

وَهُمْ نُصْبَ عَيْنِ ٱلْقَلْبِ فِي كُلِّ حَالَةِ

إِذَا ذُكِـرَتْ أَوْقَـاتُ وَصْـلٍ تَصَـرَّمَـتْ

لَنَــا بِــرُبَــا نَجْــدٍ وَأَوْطَــانِ طَيْبَــةِ

وَمُجْتَمَعِ ٱلْأَحْبَابِ فِي كُلِّ مَرْبَعٍ

بِأَسْمَارِ أُنْسٍ مِنْ حَدِيثِ ٱلصَّبَابَةِ

بَكَتْ عَيْنُ قَلْبِي بِٱلدُّمُوعِ وَبِٱلدِّمَا

فَوَا حَسْرَتِي حَتَّىٰ أَمُوتَ بِحَسْرَةِ

وَوَا لَهَفِي يَا حُزْنَ قَلْبِي وَلَوْعَتِي

عَلَىٰ جِيرَةٍ مِنْ خَيْرِ عُرْبٍ وَجِيرَةِ

وَلِي أَمَلٌ فِي مَعْشَرٍ وَبَقِيَّةٍ

حَبَاهُمْ إِلَـٰهُ ٱلْعَالَمِينَ بِنَظْرَةِ

وَخَصَّصَهُمْ بِٱلْقُرْبِ مِنْهُ وَبِٱلرِّضَا

وَبِٱلنُّورِ وَٱلْفَتْحِ ٱلْمُبِينِ وَرَحْمَةِ

وَخَصَّ (صَفِيَّ ٱلدِّينِ) مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ

زِيَادَةَ إِحْسَانٍ وَأَلْطَافِ رَأْفَةِ

سَلِيلَ ٱلشُّيُوخِ ٱلْعَارِفِينَ مَعَادِنِ ٱلسَّـ

ـــرَائِـرِ وَٱلْعِـرْفَـانِ أَهْـلِ ٱلْـوِلَايَـةِ

لَنَا مِنْهُمُ نِعْمَ ٱلصِّلَاتُ وَمُحْكَمُ ٱلرَّ

وَابِـطِ فِـي أَحْكَـامِ عِلْـمِ ٱلطَّـرِيقَـةِ

فَعَنْهُمْ أَخَذْنَا وَٱقْتَبَسْنَا حَقَائِقَ ٱلطَّـ

ـــرَائِـقِ عَـنْ صِـدْقٍ وَصَفْـوِ مَـوَدَّةِ

فَبِـٱلْحَـقِّ فَلْنَـأْخُـذْ عُلُـومَ طَـرِيقِهِـمْ

يَـــداً بِيَـــدٍ حَتَّـــىٰ مَقَـــامِ ٱلنُّبُـــوَّةِ

فَيَا (أَحْمَدَ) ٱلْحَبْرَ ٱلْمُبَارَكَ يَا ٱبْنَ مَنْ

سَمَـا بِعُلُـوِّ ٱلْقَـدْرِ بَيْـنَ ٱلْبَـرِيَّـةِ

فَعَـنْ عَيْـدَرُوسِ ٱلسِّـرِّ بَعْـدَ عَفِيفِـهِ

إِلَى ٱلشَّيْخِ قُطْبِ ٱلْعَارِفِينَ ٱلْأَئِمَّةِ

عَلِـيِّ ٱبـنَ ٱبِـي بَكْـرِ ٱلْإِمَـامِ مَـلَاذِنَـا

وَعُمْـدَتِنَـا فِـي نَقْـلِ عِلْـمِ ٱلْحَقِيقَـةِ

بِـأَبْيَـاتِـكَ ٱلْغُـرِّ ٱلَّتِـي قَـدْ نَظَمْتَهَـا

تَـذَكَّـرْتُ أَوْقَـاتـاً خَلَـتْ لِـلْأَحِبَّـةِ

وَكَمْ بَعَثَتْ لِي مِنْ شُجُونٍ وَحَرَّكَتْ

كَـوَامِـنَ أَشْـوَاقٍ بِقَلْبِـي وَمُهْجَتِـي

فَدُمْ فِي صَلَاحٍ نَاعِمَ ٱلْبَالِ صَالِحَ ٱلسَّـ

ـرَائِـرِ مَغْمُـورَ ٱلْـوُجُـودِ بِنَفْحَـةِ

وَصَلَّـىٰ إِلَـٰهِـي كُلَّمَـا هَبَّـتِ ٱلصَّبَـا

عَلَى ٱلْمُصْطَفَىٰ ٱلْهَادِي وَآلٍ وَعِتْرَةِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٤/ت)

نَسَمَـــاتُ ٱلْحَـــيِّ وَهْنــاً إِذْ سَــرَتْ
بِشَـــذَا نَجْـــدٍ لِـــرُوحِـــي بَشَّـــرَتْ

بِلِقَـــا سُعْـــدَىٰ فَيَـــالِلهِ مِـــنْ
نَفْـــسِ صَـــبٍّ ظَفِــرَتْ إِذْ صَبَــرَتْ

هَـٰكَـــذَا ٱلْأَمْـــرُ فَـــلَازِمْ وَٱنْتَظِـــرْ
مِــنْ لَطِيـفِ ٱلصُّنْـعِ أَلْطَـافاً جَـرَتْ

أَذْهَبَـــتْ غَمّـــاً وَكَـــرْبـــاً خَيَّمَـــا
وَأَقَـــامَـــا فِـــي صُـــدُورٍ حَصِـــرَتْ

فَـــٱرْجُ مَـــوْلَاكَ وَلَا تَيْـــأَسْ وَإِنْ
جَـــلَّ خَطْـــبٌ وَأُمُـــورٌ عَسُـــرَتْ

إِنَّ لِلهِ ـ تَعَـــالَـــىٰ مَجْــدُهُ ـ

نَفَحَــاتٍ بِــٱلــرَّجَــاءِ ٱنْتُظِــرَتْ

وَمَــعَ ٱلْعُسْــرِ وَإِنْ طَــالَ ٱلْمَــدَىٰ

فِيــهِ يُسْــرَانِ بِـ (شَــرْحٍ) ذُكِــرَتْ

فَجُيُــوشُ ٱلْعُسْــرِ وَلَّــتْ دُبُــراً

وَجُيُــوشُ ٱلْيُسْــرِ حَقّــاً نُصِــرَتْ

فَــرَجٌ جَــاءَ بِــهِ ٱلــرَّحْمَــٰنُ مَــنْ

فَضْلُــهُ عَنْــهُ ٱلْمَسَــاعِــي قَصُــرَتْ

وَلَـــهُ ٱلْحَمْـــدُ عَلَـــىٰ آلَائِـــهِ

وَأَيَـــادٍ بَطَنَـــتْ أَوْ ظَهَـــرَتْ

وَعَلَـــىٰ لُطْــفٍ خَفِــيٍّ شَــامِــلٍ

وَمُنُـــوحٍ وَفُتُـــوحٍ بَهَـــرَتْ

وَنَـــوَامِيـــسَ بِهَـــا أَرْدَى ٱلْعِـــدَا
وَجَـــلَاهُـــمْ بِجُنُـــودٍ قَهَـــرَتْ
فَتِجَـــارَاتُ ٱلْهُـــدَىٰ قَـــدْ رَبِحَـــتْ
وَتِجَـــارَاتُ ٱلـــرَّدَىٰ قَـــدْ خَسِـــرَتْ
وَيْـــحَ قَـــوْمٍ قَـــدْ أُقِيمَـــتْ فِيهِـــمُ
دَعْـــوَةُ ٱلْحَـــقِّ ٱلَّتِـــي قَـــدْ شَهَـــرَتْ
فَغَـــدَوْا لَـــمْ يَـــرْفَعُـــوا رَأْســـاً بِهَـــا
عَـــنْ نُفُـــوسٍ جَهِلَـــتْ وَٱسْتَكْبَـــرَتْ
نِعَـــمٌ لِلهِ كَـــانَـــتْ عِنْـــدَهُـــمْ
حُـــوِّلَـــتْ إِذْ لَـــمْ تَكُـــنْ قَـــدْ شُكِـــرَتْ
وَكِتَـــابُ ٱللهِ قَـــدْ نَبَّهَهُـــمْ
لَـــوْ تَلَـــوْهُ بِقُلُـــوبٍ حَضَـــرَتْ

آيَةُ (ٱلْأَنْفَالِ) وَ(ٱلرَّعْدِ) مَعَ (ٱلنَّـ
ـحْــلِ) لَمَّــا غَيَّــرُوهَــا غَيَّــرَتْ
نِعَـــمٌ إِنْ شَكَــــرُوهَـــا بَقِيَـــتْ
وَنَمَـــتْ أَوْ كَفَـــرُوهَـــا نَفَـــرَتْ
جَهِلُـــوا حَقّـــاً لِقَـــوْمٍ بَيْنَهُـــمْ
مِـــنْ ذَوِي ٱلْحَـــقِّ بُـــدُورٌ أَسْفَـــرَتْ
مِـــنْ دُعَـــاةِ ٱلْخَيْـــرِ أَعْـــلَامِ ٱلْهُـــدَىٰ
وَٱلنَّـــدَىٰ مِـــنْ عِتْـــرَةٍ قَـــدْ طُهِّـــرَتْ
ظَلَمُـــوهَـــا حَقَّهَـــا فَـــٱسْتَنْصَـــرَتْ
بِـــرَسُـــولِ ٱللهِ حَتَّـــىٰ نُصِـــرَتْ
جَـــاءَ نَصْـــرُ ٱللهِ وَٱلْفَتْـــحُ مَعـــاً
وَجُنُـــــودٌ وَرِيَـــاحٌ بَشَّـــــرَتْ

بِعَلِـيٍّ ٱلْمُـرْتَضَـىٰ لَيْـثِ ٱلْـوَغَـىٰ

وَبِــزَهْـرَاءِ ٱلْعُــلَا قَــدْ زَهَـرَتْ

وَبِسِبْطَـــيْ أَحْمَـــدٍ وَٱلسَيِّـــدِ ٱلْـ

ـعَــابِــدِ ٱلْأَوَّاهِ أَمْــدَادٌ سَـــرَتْ

وَٱلَّــذِي لِلْعِلْـمِ يُـدْعَـىٰ بَـاقِـراً

مِنْــهُ غَــارَاتٌ لَنَــا قَــدْ بَكَّـرَتْ

وَٱلْإِمَـــامِ ٱلصَّـــادِقِ ٱلْأُسْتَـــاذِ لِلْـ

ـفَــاطِمِيِّـــنَ بِــهِ قَــدْ فَخُــرَتْ

وَبِمُـــوْسَـــىٰ وَعَلِـــيٍّ نَجْلِـــهِ

وَٱلْعُــرَيْضِـيْ عَمِّــهِ مَـا قَصَّــرَتْ

وَٱبْــنِ عِيْسَـــىٰ وَبَنِيــهِ ٱلنُّجَبَــا

وَبَنِيْهِـــمْ سَـــادَةٍ قَــدْ ذُكِــرَتْ

رَبِّ فَاْحفَظْنَا بِهِمْ وَٱنْفَعْ بِهِمْ

وَأَعِدْ مِنْ بَرَكَاتٍ غَمَرَتْ

وَٱكْفِنَا يَا رَبَّنَا شَرَّ ٱلْعِدَا

وَٱلْأَذَىٰ مِنْ فِرْقَةٍ قَدْ بَطَرَتْ

بَهَتُونَا بِمَقَالٍ سَيِّئٍ

كَانَتِ ٱلْأَحْرَىٰ بِهِ لَوْ أَبْصَرَتْ

قَدْ حَلُمْنَا وَصَفَحْنَا عَنْهُمُ

وَبِذَا أَسْلَافُنَا قَدْ أَخْبَرَتْ

يَظْلِمُونَا ثُمَّ نَعْفُو عَنْهُمُ

هَٰكَذَا ٱلْفَضْلُ لِقَوْمٍ قَدَرَتْ

وَصَلَاةُ ٱللهِ دَأْباً سَرْمَداً

لِرَسُولِ ٱللهِ مَا ٱلْفُلْكُ جَرَتْ

وَسَـــرَتْ أَرْوَاحُ نَجْـــدٍ سَحَـــراً

وَشَـــرَىٰ بَـــرْقٌ وَسُحْـــبٌ أَمْطَـــرَتْ

وَعَلَـــى ٱلْآلِ مَـــعْ ٱلْأَصْحَـــابِ مَـــا

لَيْلَـــةٌ عَـــنْ فَجْـــرِهَـــا قَـــدْ أَسْفَـــرَتْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٥/ت)

سَقَتْكَ غَوَادِي ٱلسُّحْبِ رَبْعَ ٱلْأَحِبَّةِ
فَكَمْ بِكَ مِنْ خَوْدٍ وَكَمْ مِنْ خَرِيدَةِ

وَهَيْفَاءَ مِثْلِ ٱلْغُصْنِ رَنَّحَهُ ٱلصَّبَا
وَغُرَّتُهَا كَٱلْبَدْرِ تَحْتَ ٱلدُّجُنَّةِ

وَثَغْرٌ بِهِ دُرٌّ وَجِيدٌ مُمَسَّكٌ
وَصَدْرٌ بِهِ مِنْ لُؤْلُؤٍ كُلُّ دُرَّةِ

وَغَانِيَةٍ بِٱلْحُسْنِ تُحْسَبُ أَنَّهَا
مِنَ ٱلْقَاصِرَاتِ ٱلسَّاكِنَاتِ بِجَنَّةِ

سَبَتْنِي بِأَخْلَاقٍ وَخَلْقٍ مُبَارَكٍ
لَطِيفٍ كَأَنْفَاسِ ٱلسُّحَيْرِ ٱلزَّكِيَّةِ

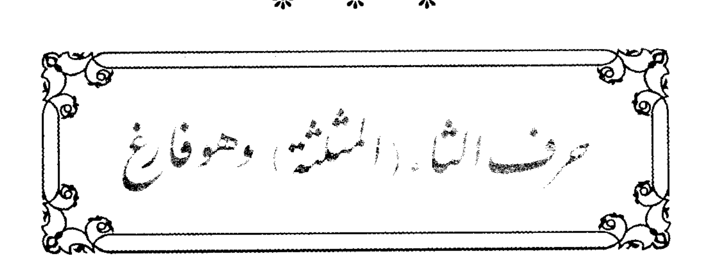
غُــرِيــتُ بِهَــا وَٱلْحَمْــدُ لِلهِ وَحْــدَهُ
عَلَــىٰ كُــلِّ إِحْسَــانٍ عَلَــيَّ وَنِعْمَــةِ

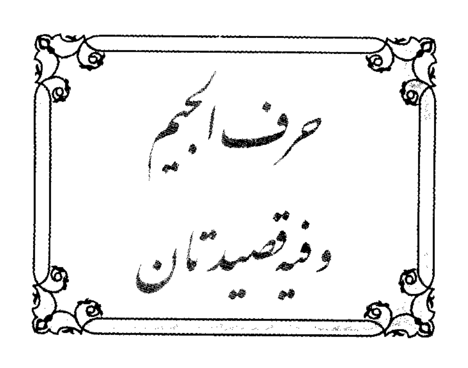
وَنَسْــأَلُــهُ ٱلتَّــوْفِيــقَ وَٱلْعَفْــوَ وَٱلــرِّضَــا
وَأَنْ يَتَــوَفَّــانَــا عَلَــىٰ خَيْــرِ مِلَّــةِ

عَلَــىٰ مِلَّــةِ ٱلْإِسْــلَامِ دِيــنِ مُحَمَّــدٍ
نَبِــيِّ ٱلْهُــدَى ٱلْمُخْتَــارِ خَتْــمِ ٱلنُّبُــوَّةِ

عَلَيْــهِ صَــلَاةُ ٱللهِ مَــا هَبَّــتِ ٱلصَّبَــا
وَمَا غَرَّدَتْ وُرْقٌ عَلَىٰ غُصْنِ دَوْحَةِ

* * *





وقال رضي الله عنه : (١/ج)

اَلْنَّـاسُ فِـي ضِيـقٍ وَفِـي حَـرَجِ
يَشْكُـونَ مِـنْ كَسْـرٍ وَمِـنْ عَـرَجِ
يَـا رَبُّ يَـا رَحْمَـٰـنُ يَـا ذَا ٱلْعُـلَا
ٱلْغَـوْثَ بِـٱلْفَتْـحِ وَبِـٱلْفَـرَجِ

يَـــا رَبُّ يَـــا مَنَّـــانُ يَـــا رَبَّنَـــا

ٱلْطُــفْ بِنَــا وَٱهْـــدِ إِلَــى ٱلنَّهَــجِ

يَــا رَبُّ يَــا حَنَّــانُ يَــا ذُخْــرَنَــا

عَــافِ مِـــنَ ٱلْإِخْــلَالِ وَٱلْعِــوَجِ

يَـــا رَبُّ يَـــا دَيَّـــانُ يَـــا كَهْفَنَـــا

فِــي سَــاعَــةِ ٱلْإِرْجَــافِ وَٱلــرَّهَــجِ

يَــا رَبُّ يَــا ذَا ٱلْعَــرْشِ وَٱلْكِبْــرِيَــا

وَٱلْمَجْـــدِ إِحْفَظْنَـــا مِـــنَ ٱلْهَـــرَجِ

وَمِـــنْ فَـــرِيـــقٍ لَا خَـــلَاقَ لَهُـــمْ

قَــدْ أَمْعَنُــوا فِــي ٱلْخُلْــفِ وَٱلْمَــرَجِ

وَرُبَّمَـــا رَامُـــوا بِـــأَفْـــوَاهِهِـــمْ

أَنْ يُلْبِسُـــوا ٱلْإِصْبَـــاحَ بِـــٱلــدَّلَــجِ

وَيَتْـرُكُـونَـا كَـاْلْبَهَـائِـمِ وَٱلْـ

أَنْعَـامِ لَا نُصْغِـي إِلَـى ٱلْحُجَـجِ

كَـلَّا لَعَمْـرُ ٱللهِ لَـنْ يَقْـدِرُوا

وَلَـنْ يُطِيقُـوا ذَاكَ أَوْ نَعُـجِ

إِنَّـا بِحَبْـلِ ٱللهِ مُعْتَصِمُـونْ

وَسُنَّـةِ ٱلْمُسْتَخْلَـصِ ٱلْبَهِـجِ

نَسْـأَلُـكَ ٱللّٰهُـمَّ بِـٱلْمُصْطَفَـىٰ

وَبِـٱلْخَلِيـلِ ٱلطَّيِّـبِ ٱلْأَرِجِ

وَصَـاحِـبِ ٱلطُّـورِ ٱلْمُنَـاجَـىٰ بِـهِ

وَٱلـرُّوحِ وَٱلنَّـاجِـي عَلَـى ٱللُّجَـجِ

وَبِـٱلْأَبِ ٱلْأَوَّلِ آدَمِهَـا

وَشِيـثِ وَٱلْمَـرْفُـوعِ فِـي ٱلـدَّرَجِ

وَجُمْلَـةِ ٱلْأَمْـلَاكِ وَٱلْكُتْـبِ وَٱلـرُّ

سْــلِ ٱلْكِــرَامِ وَسَــائِـرِ ٱلسُّــرُجِ

جِبْــرِيــلَ مِيكَــائِيــلَ وَاوٌ وَرَا

وَصَــاحِــبِ ٱللَّــوْحِ إِذَا يَهِــجِ

بِــٱلنَّفْــخِ وَٱلْقَــابِــضِ أَرْوَاحَنَــا

مِــنْ سَــاكِــنٍ مِنْهَــا وَمُنْــزَعِــجِ

يَــا رَبُّ تِلْــكَ مَسَــائِــلٌ نُظِمَــتْ

لِعَبْــدٍ سُــوءٍ بِمَنْطِــقٍ لَهِــجِ

جَــمِّ ٱلــذُّنُــوبِ كَثِيــرِهَــا قَعَــدَتْ

بِــهِ ٱلْأَمَــانِــيْ عَــنْ عُــلَا ٱلْفَــرَجِ

وَٱلْقَــوْمُ قَــدْ تَعِبُــوا وَقَــدْ كَــرُبُــوا

وَقِيـلَ عَنْهُـمْ (أَزْمَــةُ ٱنْفَــرِجِــي)

وَقَـــدْ أَقَـــرَّ ٱلْجَمِيـــعُ وَٱعْتَـــرَفُـــوا

بِـــأَنَّهُـــمْ مُخْطِئُـــونَ كَـــٱلْهَمَـــجِ

فَـٱغْفِـرْ وَسَـامِـحْ وَٱعْـفُ عَنَّـا فَقَـدْ

تُبْنَـــا مِـــنَ ٱلْمَـــذْمُـــومِ وَٱلسَّمِـــجِ

وَأَنْـــزِلِ ٱلْغَيْـــثَ وَأَنْبِـــتْ لَنَـــا

وَنَـــجِّ مِـــنْ حَـــرِّهَـــا وَمِـــنْ وَهَـــجِ

بِسِـــرِّ يَـــاسِيـــنَ شَفِيـــعِ ٱلْـــوَرَىٰ

وَأَحْمَـــدِ ٱلْحَـــامِـــدِيـــنَ إِذْ يَلِـــجِ

نَبِيِّـــكَ ٱلْهَـــادِي ٱلـــرَّسُـــولِ إِلَـــى ٱلْـ

ـخَلْـقِ جَمِيعـاً بِـأَوْضَـحِ ٱلْحُجَـجِ

عَلَيْـــهِ أَزْكَـــى ٱلصَّـــلَاةِ دَائِمَـــةً

تَكُـــرُّ كَـــرَّ ٱلشُّهُـــورِ وَٱلْحِجَـــجِ

وَٱلْآلِ وَٱلصَّحْبِ مَا هَمَىٰ مُزُنٌ
وَسَارَتِ ٱلْجَارِيَاتُ فِي ٱلثَّبَجِ

* * *



صورة مدخل البيت (الدهليز) وتسمى (الضَّيْقَه)
كان الناظم يصلي فيه قبل دخوله إلى المسجد
ويجلس فيه عند خروجه من البيت حتى تقام الصلاة

وقال رضي الله عنه : (٢/ج)

بُـرُوقُ ٱلْغَـوْرِ تَلْمَـعُ فِـي ٱلـدَّيَـاجِي
فَتُـذْكِـرُنِـي لُيَيْـلَاتِ ٱلتَّنَـاجِـي

وَأَيَّـامـاً خَلَـتْ فِـي طِيـبِ عَيْـشٍ
بِـوَادِي ٱلْخَيْـرِ مَـا بَيْـنَ ٱلْفِجَـاجِ

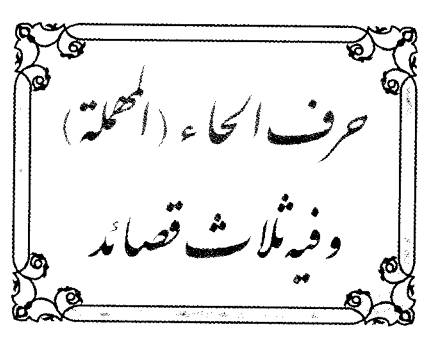
وَأَصْحَـابـاً وَأَحْبَـابـاً كِـرَامـاً
مِـنَ ٱلْبَيْـتِ ٱلْمُشَـرَّفِ بِـٱلسِّـرَاجِ

وَغِيـداً طَـاهِـرَاتٍ زَاهِـرَاتٍ
بِـأَسْمَـارٍ تُصَـانُ عَـنِ ٱللَّجَـاجِ

فَهَـلْ ذَاكَ ٱلـزَّمَـانُ يَعُـودُ يَـوْمـاً
وَيُـؤْذِنُ كُـلُّ كَـرْبٍ بِـٱنْفِـرَاجِ

فَيُصْبِحُ كُلُّ حِبٍّ فِي سُكُونٍ
وَيُمْسِي كُلُّ مُؤْذٍ فِي ٱنْزِعَاجِ
بِلُطْفِ ٱللهِ كَشَّافِ ٱلْبَلَايَا
تَعَالَىٰ لَا يُخَيِّبُ فِيهِ رَاجِي
نُؤَمِّلُهُ وَنَرْجُوهُ دَوَاماً
يُقَوِّمُ مَا هُنَاكَ مِنِ ٱعْوِجَاجِ
وَيَشْمَلُنَا بِعَافِيَةٍ وَعَفْوٍ
فَنُضْحِي فِي سُرُورٍ وَٱبْتِهَاجِ
بِبَرْكَةِ أَحْمَدٍ خَيْرِ ٱلْبَرَايَا
شَفِيعِ ٱلْكُلِّ يَوْمَ ٱلْإِحْتِيَاجِ
عَلَيْهِ ٱللهُ صَلَّىٰ كُلَّ حِينٍ
وَسَلَّمَ مَا لَجَا لِلهِ لَاجِي

❊ ❊ ❊



وقال رضي الله عنه : (١/ح)

أَحِبَّتَنَــــا بِنَجْــــدٍ وَٱلصَّفِيــــحِ
مَــرَاهِــمُ كُــلِّ ذِي قَلْــبٍ جَـرِيـحِ

عَسَــىٰ عَطْفــاً عَلَــىٰ دَنِــفٍ كَئِيــبٍ
حَــزِيــنِ ٱلْقَلْــبِ مُنْكَسِــرٍ طَـرِيـحِ

وَهَــلْ مِــنْ رَحْمَــةٍ مِنْكُــمْ لِصَــبٍّ
صَبَــا قِــدْمــاً إِلَــى ٱلْأَوْجِ ٱلْفَسِيــحِ

لَـــهُ رُوحٌ تَحِـــنُّ لِخَيْـــرِ عَهْـــدٍ

بِمَعْهَـدِهَـا ٱلْأَنِيـسِ مِـنَ ٱلسُّفُـوحِ

بِنَعْمَـــــانِ ٱلْأَرَاكِ وَأَيُّ أَخْـــــذٍ

فَقُـلْ لِـي عَنْـهُ بِـٱلنُّطْـقِ ٱلْفَصِيـحِ

وَمِـلْ بِـي يَمْنَـةً عَـنْ طُـورِ نَفْـسٍ

إِلَـىٰ طُـورِ ٱلسَّـرَائِـرِ وَٱلْمُنُـوحِ

لَعَلِّـيْ أَنْ أُنَـادَىٰ مِـنْ قَـرِيـبٍ

فَمَـا ٱلْمُعْطِـي - تَقَدَّسَ - بِـٱلشَّحِيـحِ

وَلَـٰكِنَّـا حُجِبْنَـا بِـاٱلْأَمَـانِـي

وَبِـاٱلْكَـوْنِ ٱلْكَثِيـفِ وَبِـاٱلنُّـزُوحِ

فَهَيَّـا بِـٱلْقُلُـوبِ إِلَـىٰ حِمَـاهَـا

وَمَغْنَـاهَـا وَمَـوْطِـنِ كُـلِّ رُوحِ

فَــإِنَّ ٱلــرُّوحَ مِــنْ مَلَكُــوتِ غَيْــبٍ
تَنَــزُّلُهَــا لِمَتْجَــرِهَــا ٱلــرَّبِيــحِ
وَإِنَّ ٱلْجِسْــمَ مِــنْ طِيــنٍ وَمَــاءٍ
يَمِيــلُ إِلَــى ٱلْحُظُــوظِ بِكُــلِّ رِيــحِ
فَــوَجِّــهْ حَيْــثُ شِئْــتَ فَــأَنْــتَ مِمَّــا
لَــهُ وَجَّهْــتَ فَــٱخْتَــرْ لِلْمَلِيــحِ
وَجَــانِــبْ كُــلَّ سَفْسَــافٍ وَنُكْــرٍ
مِــنَ ٱلْأَخْــلَاقِ وَٱلْعَمَــلِ ٱلْقَبِيــحِ
وَسَــافِرْ فِــي ٱلسَّبِيــلِ إِلَــى ٱلْمَعَــالِــي
بِجِــدٍّ وَٱسْتَمِــعْ قَــوْلَ ٱلنَّصِيــحِ
وَلاَ تُــؤْثِــرْ عَلَــى ٱلــرَّحْمَــٰنِ شَيْئــاً
تَعَــالَــىٰ قَــابِــلُ ٱلتَّــوْبِ ٱلنَّصُــوحِ

إِلَـٰـــهٌ وَاحِـــدٌ مَلِـــكٌ عَظِيـــمٌ
تُسَبِّحُـــهُ مَـــلَائِكَـــةُ ٱلصَّفِيـــحِ

* * *



هذا المكان الذي كان يستريح فيه الناظم عند نزوله من بيته في أثناء السلّم (الدرج).
وقد يحضر فيه بعض الطلبة فيقرؤُون عليه في ذلك المكان.
وقد قُرِئَتْ عليه كتب عديدة في هذا المحل
قرأها الحبيب أحمد بن زين الحبشي وغيره من تلاميذ الناظم

وقال رضي الله عنه : (٢/ح)

بُرُوقُ ٱلْحِمَىٰ وَقْتَ ٱلسُّحَيْرِ تَلُوحُ
وَتَغْـدُو نُسَيْمَـاتُ ٱلصَّبَـا وَتَـرُوحُ

فَتُذْكِرُنِي نَجْداً سَقَى ٱللهُ سُوحَهَا
مُلِثّـاً بِـأَكْنَـافِ ٱلـرِّيَـاضِ تَسِيـحُ

وَأَنْبَتَهَـا زَرْعـاً وَعُشْبـاً ومُـزْهِـراً
بِـأَزْهَـارِهـا رِيـحُ ٱلْجَنُـوبِ تَفُـوحُ

مَـرَابِـعُ أَحْبَـابٍ لَنَـا شَـطَّ دَارُهُـمْ
وَقَـلَّ مَـزَارٌ وَٱلْـوِدَادُ صَحِيـحُ

هُـمُ يَسْـأَلُوا عَنَّـا وَنَسْـأَلُ عَنْهُـمُ
وَنَـرْجُـو وِصَـالاً وَٱلـزَّمَـانُ شَحِيـحُ

وَنَبْكِـي عَلَيْهِـمْ أَنْ وَيَبْكُـونَ مِثْلَنَـا

بِـدَمْـعٍ بِـأَرْجَـاءِ ٱلْخُـدُودِ سَفُـوحُ

عَسَـى ٱللهُ نَـرْجُـو ٱللهَ يَجْمَـعُ شَمْلَنَـا

وَكُـــلٌّ لِكُـــلٍّ وَادٌّ وَنَصِيـــحُ

وَإِنَّـا وَهُـمْ تَحْـتَ ٱلْمُقَـدَّرِ وَٱلْقَضَـا

وَمِيزَانُ مَنْ يَرْضَى ٱلْقَضَاءَ رَجِيحُ

وَإِنَّـا وَإِيَّـاهُـمْ وَإِنْ طَـالَ عَهْـدُنَـا

بِقُـرْبٍ وَأُنْـسٍ وَٱنْحَسَمْـنَ قُـرُوحُ

لَفِـي دَارِ دُنْيَـا قَـدْ أَحَـاطَ بِهَـا ٱلْفَنَـا

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَغْدُو فَسَوْفَ يَرُوحُ

فَغَـايَتُنَـا مَـوْتٌ وَقَبْـرٌ وَبَـرْزَخٌ

وَبَعْثٌ إِلَى ٱلرَّبِّ ٱلرَّحِيمِ صَرِيحُ

فَنُحْشَـرُ جَمْعـاً لِلْحِسَـابِ وَلِلْجَـزَاءْ

وَنَـرْجُـو سَمَـاحـاً وَٱلْكَـرِيـمُ سَمُـوحُ

فَنَسْـأَلُـهُ سَتْـراً وَعَفْـواً وَرَحْمَـةً

وَصَفْحـاً فَخَيْـرُ ٱلـرَّاحِمِيـنَ صَفُـوحُ

فَيُـدْخِلُنَـا ٱلْجَنَّـاتِ فَضْـلاً وَمِنَّـةً

وَيُنْجِـي مِـنَ ٱلنِّيـرَانِ وَهْـيَ لَفُـوحُ

وَيَشْفَـعُ فِينَـا أَحْمَـدٌ سَيِّـدُ ٱلْـوَرَىٰ

نَبِـيُّ ٱلْهُـدَىٰ فَـٱلْجَـاهُ ثَـمَّ فَسِيـحُ

عَلَيْـهِ صَـلَاةُ ٱللهِ ثُـمَّ سَـلَامُـهُ

مَتَـىٰ لَاحَ بَـرْقٌ أَوْ تَنَسَّـمَ رِيـحُ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٣/ح)

طَـابَـتْ لَيَـالِيـكَ وَٱلْأَيَّـامُ يَـا صَـاحِ
فَـــٱغْنَـــمْ بَقِيَّـــةَ إِمْسَـــاءٍ وَإِصْبَـــاحِ

وَٱصْـــرِفْ بَقِيَّـــةَ عُمْـــرٍ لَا بَقَـــاءَ لَـــهُ
فِي طَاعَةِ ٱللهِ وَٱعْصِ ٱللَّائِمَ ٱللَّاحِي

وَأَقْبِلْ عَلَى ٱللهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ خَالِقِنَا
مُـدَبِّـرِ ٱلْأَمْـرِ عَـنْ طَـوْلٍ وَإِصْـلَاحِ

وَقَـدِّمِ ٱلْخَيْـرَ وَٱعْمَـلْ لِلْمَعَـادِ وَلِلْـ
ـخُلْـدِ ٱلْمُـؤَبَّـدِ فِـي رَوْحٍ وَأَفْـرَاحِ

وَجَنَّـــةٍ مُلِئَـــتْ بِـــٱلطَّيِّبَـــاتِ مِـــنَ ٱلْـ
ـقُصُـورِ وَٱلْحُـورِ وَٱلْأَلْبَـانِ وَٱلـرَّاحِ

وَٱلْفَوْزِ وَٱلْقُرْبِ وَٱلرِّضْوَانِ مِنْ مَلِكٍ
مُهَيْمِنٍ وَاحِدٍ لِلْخَيْرِ فَتَّاحِ
مَعَ ٱلنَّجَاةِ مِنَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي بَرَزَتْ
لِلظَّالِمِينَ مَعَ خِزْيٍ وَإِفْضَاحِ
فِيهَا ٱلْعَقَارِبُ وَٱلْحَيَّاتُ تَنْهَشُهُمْ
عَمَّ ٱلْعَذَابُ لِأَجْسَامٍ وَأَرْوَاحِ
أَحَاطَتِ ٱلنَّارُ مِنْ كُلِّ ٱلْجِهَاتِ بِهِمْ
سُحْقاً لَهُمْ أُسَرَا غَمٍّ وَأَتْرَاحِ
لَمَّا عَصَوْا رَبَّهُمْ ذَا ٱلْبَطْشِ أَسْكَنَهُمْ
دَارَ ٱلْبَوَارِ وَمَأْوَىٰ كُلِّ مُجْتَاحِ
لَمْ يَتَّبِعْ لِرَسُولِ ٱللهِ صَفْوَتِهِ
مُحَمَّدِ ٱلْمُصْطَفَىٰ ، أَلْعَاقِبِ ٱلْمَاحِي

عَلَيْـهِ أَزْكَـىٰ صَـلَاةِ ٱللهِ مَـا هَطَلَـتْ
سَحَـابَـةٌ أَوْ صَبَـا غُصْـنٌ بِـأَرْيَـاحِ

* * *



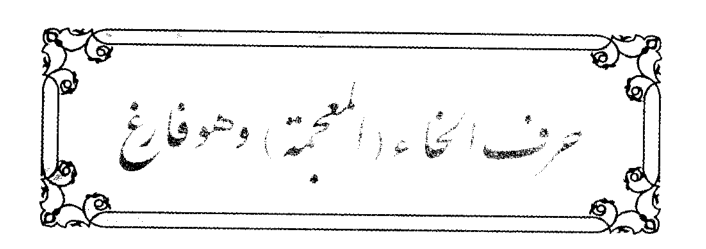
صورة المكان الذي كان يجلس به الإمام الحداد أثناء المجالس والدروس
وتسمى المحضرة؛ والصورة قديماً قبل التجديد

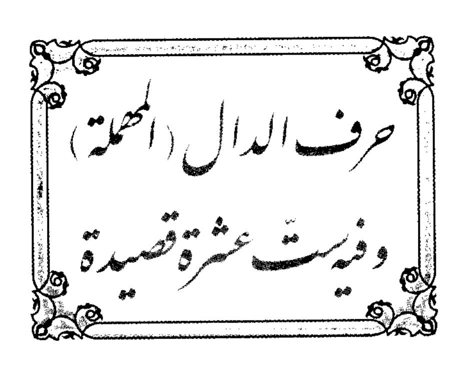
وقال رضي الله عنه :

نَحْـنُ فِـي رَوْحٍ وَرَاحَـهْ
وَحُبُـورٍ وَٱسْتِـرَاحَـهْ

نِعْمَـةُ ٱلْإِسْـلَامِ أَعْلَـىٰ
نِعْمَـةٍ حَلَّـتْ بِسَـاحَـهْ

* * *





(١/ د)

وقال رضي الله عنه:

أَجُودُ بِدَمْعِي وَٱلدُّمُوعُ عَلَى ٱلْخَدِّ
شُهُودٌ عَلَى ٱلْأَشْوَاقِ وَٱلْحُزْنِ وَٱلْوَجْدِ

أُحِسُّ بِقَلْبِي حَسْرَةً وَكَآبَةً
لِمَا نَالَنِي مِنْ وِحْشَةِ ٱلْبُعْدِ وَٱلصَّدِّ

إذَا رُمْتُ مِـنْ نَجْـدٍ دُنُـوّاً تَـزَاحَمَـتْ

عَلَيَّ أُمُورٌ تَقْتَضِي ٱلْبُعْدَ عَنْ نَجْدِ

وَعَنْ جِيرَةِ ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي حَلَّ حُبُّهُمْ

فُؤَادِي فَأَلْهَانِي عَنِ ٱلْقَبْلِ وَٱلْبَعْدِ

مَحَبَّتُهُـمْ دِينِـي وَفَـرْضِـي وَسُنَّتِـي

وَعُرْوَتِيَ ٱلْوُثْقَىٰ وَأَفْضَلُ مَا عِنْدِي

وَفِي قُرْبِهِمْ أُنْسِي وَرَوْحِي وَرَاحَتِي

وَلَسْـتُ بِشَـيْءٍ إِنْ بَلَـوْنِـيَ بِـٱلْبُعْـدِ

وَمَهْمَا سَرَتْ لِي نَسْمَةٌ مِنْ رُبُوعِهِمْ

يُخَالِطُهَا عَرْفُ ٱلْبَشَامَاتِ وَٱلرَّنْدِ

وَرِيـحُ ٱلْخُـزَامَـىٰ وَٱلْأَرَاكِ تَهِيـجُ بِـي

شُجُوناً تَدَعْنِي لَا أُعِيدُ وَلَا أُبْدِي

فَمَا حِيلَتِي وَٱلْعُمْرُ وَلَّىٰ وَلَمْ أَنَلْ
لِقَاهُمْ وَمَا لِلْعُمْرِ إِنْ فَاتَ مِنْ رَدِّ
وَمَا أَسْتَلِذُّ ٱلْعَيْشَ فِي ٱلْبُعْدِ عَنْهُمُ
وَلَوْ كَانَ مُلْكُ ٱلْأَرْضِ فِي قَبْضَةِ ٱلْيَدِّ
وَإِنِّي لَأَرْجُو قُرْبَهُمْ وَوِصَالَهُمْ
وَإِنْ طَالَتِ ٱلْأَيَّامُ مَا لَمْ أَرِدْ لَحْدِي
فَيَا سَعْدُ سِرْ بِي نَحْوَهُمْ وَٱبْلِغَنَّهُمْ
بِأَنِّي عَلَىٰ حِفْظِ ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلْعَهْدِ
وَنَبِّئْهُمُ عَنْ لَوْعَتِي وَصَبَابَتِي
وَكَتْمِي لِأَسْرَارِ ٱلْهَوَىٰ غَايَةَ ٱلْجُهْدِ
وَأَنِّي مُقِيمٌ فِي مَوَاطِنِ غُرْبَةٍ
عَلَىٰ كَثْرَةِ ٱلْأُلَّافِ فِي جَانِبٍ وَحْدِي

قَـرِيـبٌ بَعِيـدٌ كَـائِـنٌ غَيْـرُ كَـائِـنٍ
وَحِيدٌ فَرِيدٌ فِي طَرِيقِي وَفِي قَصْدِي
أُمُـورٌ وَأَحْـوَالٌ تَعِـنُّ وَلَـمْ أَجِـدْ
عَلَيْهَـا مُعِينـاً وَهْـيَ تَقْعُـدُ بِـٱلْفَـرْدِ
فَكُـنْ لِـي شَفِيعـاً عِنْـدَهُـمْ فَلَعَلَّهُـمْ
يَمُنُّوا بِجَمْعِ ٱلشَّمْلِ فَضْلاً عَلَى ٱلْعَبْدِ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَزُوْرُ خِيَامَهُمْ
سُحَيْـراً عَلَـىٰ حَـالِ ٱلْمَسَـرَّةِ وَٱلْـوُدِّ
وَهَـلْ تَجْمَـعُ ٱلْأَيَّـامُ بَيْنِـي وَبَيْنَهُـمْ
وَهَلْ بَعْدَ هَـٰذَا ٱلْبُعْدِ يَا سَعْدُ مَا يُجْدِي
أُرَجِّـي وَلِـي ظَـنٌّ جَمِيـلٌ بِخَـالِقِـي
تَعَالَىٰ عَظِيمُ ٱلشَّأْنِ مُسْتَوْجِبُ ٱلْحَمْدِ

إِلَـٰـهُ ٱلْبَــرَايَــا كُلِّهَــا وَمَلِيكُهَــا

تَنَــزَّهَ عَــنْ شِبْــهٍ وَمِثْـلٍ وَعَــنْ نِــدِّ

* * *

صورة المحضرة بعد التجديد

وقال رضي الله عنه : (٢/ د)

أَدِرْ ذِكْـــرَ سَلْمَـــىٰ وَذِكْـــرَ سُعَـــادْ
عَلَـىٰ مَسْمَعِـي عَـلَّ يَصْفُـو ٱلْفُـؤَادْ
وَيَهْـــدَأُ وَتَسْكُـــنُ أَشْجَـــانُـــهُ
فَـــإِنَّ بِـــهِ مِثْـــلَ وَرْيِ ٱلـــزِّنَـــادْ
إِذَا ذَكَـــرَ ٱلصَّـــبُّ عَيْشـــاً مَضَـــىٰ
بِحَـــيِّ ٱلْأَحِبَّـــةِ فِـــي خَيْـــرِ وَادْ
بَكَـــاهُ بِـــدَمْـــعٍ يُـــرَوِّي ٱلْخُـــدُودْ
كَمَـا يُـرْوِيَ ٱلْأَرْضَ صَـوْبُ ٱلْعِهَـادْ
وَهَـــاجَـــتْ بِـــأَحْشَـــائِـــهِ لَـــوْعَـــةٌ
لَهَـــا زَفَـــرَاتٌ تَكَـــادُ تَكَـــادْ

وَإِنِّـــي لَأُبْقِـــي عَلَـــىٰ مُهْجَتِـــي
إِذَا جَـدَّ بِـي ٱلْـوَجْـدُ خَـوْفَ ٱلنَّفَـادْ
تَسَـــلٍّ وَمَـــا ثَـــمَّ مِـــنْ سَلْـــوَةٍ
وَلَسْـــتُ بِنَـــاسٍ عُهُـــودَ ٱلْـــوِدَادْ
وَلَا مَعْشَـــراً كَـــانَ مِـــنْ أُسْـــرَتِـــي
وَقَـــوْمِـي هُـــمُ ٱلْمُبْتَغَـــىٰ وَٱلْمُـــرَادْ
تَفَـــانَـــوْا جَمِيعـــاً وَأُفْـــرِدْتُ فِـــي
أُنَـــاسٍ وَخَلْـــفٍ كَثِيـــرِ ٱلْفَسَـــادْ
قَلِيـــلِ ٱلـــرَّشَـــادِ جَمَـــاهِيـــرُهُـــمْ
عَبِيـــدُ ٱلْحُطَـــامِ نُسَـــاةُ ٱلْمَعَـــادْ
فَـــلَا مَـــرْحَبـــاً لَا وَسَهْـــلاً بِهِـــمْ
وَأَهْـــلاً وَسَهْـــلاً بِحِـــزْبِ ٱلـــرَّشَـــادْ

فَيَـا سَعْـدُ إِنْ كُنْـتَ لِـي مُسْعِـداً
فَهَيَّـا وَهَيَّـا نَطُـوفُ ٱلْبِـلَادْ
لِتَسْـآلِنَـا وَبِـأَقْـدَامِنَـا
عَـنِ ٱلسَّـادَةِ ٱلْغُـرِّ فَـٱلشَّـوْقُ زَادْ
فَـإِنْ قَـدْ ظَفِـرْنَـا بِمَطْلُـوبِنَـا
فَفَضْـلٌ مِـنْ ٱللهِ رَبِّ ٱلْعِبَـادْ
وَإِنْ قَـدْ فَقَـدْنَـا فَحَـالُ ٱلـزَّمَـانْ
زَمَـانِ ٱلْبَـلَايَـا كَثِيـرِ ٱلنَّكَـادْ
عَلَـىٰ أَنَّ مِنْهُـمْ بَقَـايَـا قَلِيـلْ
وَلَـٰكِنَّهُـمْ تَحْـتَ سَتْـرِ ٱلْجَـوَادْ
عَلَـىٰ وُفْـقِ مَـا قَـالَ خَيْـرُ ٱلْـوَرَىٰ
وَقَـالَ ٱلْـوَصِـيُّ إِمَـامُ ٱلسَّـدَادْ

فَيَــا رَبُّ يَــا رَبَّنَــا كُــنْ لَنَــا
فَــإِنَّــكَ خَيْــرُ وَلِــيٍّ وَهَــادْ
وَأَخْتِــمْ بِخَيْــرٍ وَحُسْــنِ ٱلْيَقِيــنْ
وَحُــبُّ ٱللِّقَــاْ خَيْــرُ مَــا يُسْتَفَــادْ
وَصَــلِّ وَسَلِّــمْ عَلَــىٰ أَحْمَــدٍ
نَبِــيِّ ٱلْهُــدَىٰ كُلَّمَــا غُصْــنُ مَــادْ
وَدَرَّ ٱلْغَمَــامُ وَهَــبَّ ٱلنَّسِيــمْ
وَغَنَّــى ٱلْحَمَــامُ وَزَمْــزَمَ شَــادْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٣/ د)

أَهْــلاً وَسَهْــلاً بِـــٱلظُّبَــيِّ ٱلْأَغْيَــدْ

مُكَحَّـــلِ ٱلْعَيْنَيْـــنِ وَرْدِيِ ٱلْخَـــدْ

عَـذْبِ ٱللَّمَـى ٱلـدُّرِّيْ رُشَيِّـقِ ٱلْقَـدّْ

وَافَـىٰ حِمَـانَـا فِـي ٱلصَّبَـاحْ ٱلْأَسْعَـدْ

فصل

فَقُلْــتُ خَيِّــمْ يَــا مَلِيــحْ يَــا زِيْــنْ

وَٱبْشِــرْ فَقَــدْ أَصْبَحْــتَ قُــرَّةَ ٱلْعِيْــنْ

فَــلَا تُـــذَوِّقْنِـــي مَـــرَارَةَ ٱلْبَيْـــنْ

وَٱلْبُعْــدُ مِنْــكَ يَــا غَــزَالْ ثَهْمَــدْ

فَصْلٌ

وَلَا تَعَـدِّي يَـا ظُبَـيَّ عَيْـدِيـدْ
فِـي رَبْعِنَـا تَـرْعَـى ٱلْـوَفَـا بِتَـأْكِيـدْ
سَـاعَـاتْ وَصْلَـكْ كُلُّهَـا لَنَـا عِيـدْ
وَأَنْـتَ لِـي فِـي ٱلْغَـانِيَـاتْ مَقْصَـدْ

فَصْلٌ

لَمَّـا بَـدَا لِـي وَجْهُـكَ ٱلْمُنَـوَّرْ
كَـأَنَّـهُ بَـدْرُ ٱلتَّمَـامِ أَسْفَـرْ
أَيْقَنْـتُ أَنَّ ٱلشُّـوشَ عَنِّـيَ ٱدْبَـرْ
وَأَنَّ عَهْـدَ ٱلْأُنْـسِ قَـدْ تَجَـدَّدْ

فَصْلٌ

فَـــالْحَمْـــدُ لِلهِ الَّـــذِيْ تَكَـــرَّمْ

وَنَفَّـــسَ الْكُـــرْبَـــهْ وَفَـــرَّجَ الْهَـــمْ

وَبَعْـــدُ صَلَّـــى اللهُ ثُـــمَّ سَلَّـــمْ

عَلَـــى النَّبِـــيِّ الْهَـــاشِمِـــيْ مُحَمَّـــدْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٤/ د)

أَقُــــولُ لِلنَّـــاظِـــمِ ٱلْمُجِيـــدِ
ظَفِــرْتَ بِــٱلْخَيْــرِ وَٱلْمَــزِيـــدِ
وَقَــابَلَتْــكَ لَطَــائِــفُ ٱللّٰـهِ
ٱلْــوَاحِــدِ ٱلْمَــاجِــدِ ٱلْــوَدُودِ
أَبْشِــرْ بِنُــورٍ وَشَــرْحِ صَــدْرٍ
لِلْحَــــقِّ وَٱلْحِفْــظِ لِلْعُهُـــودِ
وَٱللُّطْــفِ وَٱلْعَــوْنِ ثُــمَّ رِزْقٍ
مُهَنَّـــأٍ طَيِّـــبٍ رَغِيـــدِ
بِمَـــدْحِــكَ ٱلْقَــوْمَ صَفْــوَةُ ٱللّٰهْ
سَــادَاتُنَــا زِينَــةُ ٱلْــوُجُــودِ

أَئِمَّــــةُ ٱلـــــدِّيــــنِ وَٱلْأَدِلَّاْ

عَلَــى ٱلْهُــدَىٰ خِيْــرَةُ ٱلْمَجِيــدِ

بُحُــورُ عِلْــمٍ جِبَــالُ حِلْــمٍ

أَهْــلُ ٱلْمَعَــارِفِ وَٱلشُّهُــــودِ

مِــنْ بِضْعَــةِ ٱلْمُصْطَفَــى ٱلْيَمَــانِــي

مُحَمَّــدِ ٱلْحَــامِــدِ ٱلْحَمِيــدِ

عَلَيْــهِ أَزْكَــى ٱلصَّــلَاةِ دَأْبــاً

مَــا غَنَّــتِ ٱلْــوُرْقُ فِــي زَرُودِ

* * *

وقال رضي الله عنه :　(٥/ د)

بُو بَكِرْ سِرْ فِي طَرِيقِ ٱللهِ رَبِّ ٱلْعِبَادْ

ٱلْوَاحِدِ ٱلْمَاجِدِ ٱلْفَرْدِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْجَوَادْ

وَٱزْهَدْ لَكَ ٱلْخَيْرْ فِي دَارِ ٱلْفَنَا وَٱلنَّفَادْ

دُنْيَا دَنِيَّهْ حَقِيرَهْ كُلُّهَا ٱلَّا نَكَادْ

فِيهَا ٱلْكَدَرْ وَٱلْبَلَايَا وَٱلْمِحَنْ فِي ٱزْدِيَادْ

وَكُلُّ مَنْ حَبَّ دُنْيَا ٱلسُّوءْ مَا لُهْ رَشَادْ

وَلَا بَصِيرَهْ وَلَا رَهْبَهْ لِيَوْمِ ٱلْمَعَادْ

وَكُلُّ مَنْ يَتَّقِي ٱلرَّحْمَٰنْ يُعْطَى ٱلْمُرَادْ

يَنْجُو مِنَ ٱلشَّرِّ فِي ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلتَّنَادْ

مَنْ كَانَ زَادُهْ مِنَ ٱلتَّقْوَىٰ ظَفِرْ خَيْرْ زَادْ

وَمَنْ يُحَافِظْ عَلَىٰ فَرْضِ ٱلصَّلَاةِ ٱسْتَفَادْ

وَمَـنْ يُضَيِّـعْ صَـلَاتُـهْ رَاحْ فِـي شَـرٍّ وَادْ

وَمَنْ يُحَافِظْ عَلَىٰ رُكْنِ ٱلزَّكَاةِ ٱسْتَجَادْ

وَصَـارَ مَـالُـهْ مُحَصَّـنْ مِـنْ جَمِيـعِ ٱلْفَسَـادْ

وَٱتْـلُ ٱلْقُـرَانَ كَـلَامَ ٱلـرَّبِّ رَايِـحْ وَغَـادْ

وَفِي ٱلدَّيَاجِي إِذَا ٱلْغَافِلْ غَرِقْ فِي ٱلرُّقَادْ

وَلَازِمِ ٱلـذِّكِـرْ فَهْـوَ ٱلـرُّكُـنْ وَهْـوَ ٱلْعِمَـادْ

نُـورُ ٱلسَّـرَائِـرْ وَرَاحُ ٱلـرُّوحْ وَٱنْسُ ٱلْفُـؤَادْ

وَقِـفْ عَلَـىٰ بَـابْ رَبَّـكْ وَٱسْتَغِـثْ بِـهْ وَنَـادْ

وَٱدْعُهْ وَسَلْ مِنُهْ حُسْنَ ٱلْعَاقِبَهْ وَٱلسَّدَادْ

وَٱلْخَتِـمْ بِـٱلْخَيْـرْ وَٱلتَّثْبِيـتْ عِنْـدَ ٱلْحَصَـادْ

تَمَّتْ وَصَلُّوا عَلَى (ٱحْمَدْ) كُلَّمَا غُصُنْ مَادْ

وَمَا سَرَى ٱلْغِيثْ وَٱسْقَىٰ كُلَّ حَاضِرْ وَبَادْ

وَكُلَّ رَافِعْ وَنَازِلْ وَٱلْوَطَا وَٱلْوِهَادْ

بِسِرِّ (يٰسٓ) فَٱتْلُوهَا وَقُولُوا عُوَادْ

عُوَادْ يَا رَحْمَةَ ٱلرَّبِّ ٱلْكَرِيمِ ٱلْجَوَادْ

❋ ❋ ❋

وقال رضي الله عنه : (٦/ د)

حُوَيْدِي ٱلْمَطَايَا كَمْ تُقِيمُ مَعَ ٱلصَّدِّ
وَتَسْلُو عَنِ ٱلْأَحْبَابِ بِٱلْعَلَمِ ٱلْفَرْدِ

كَأَنَّكَ لَا تَشْتَاقُ مِثْلِي لِقُرْبِهِمْ
وَعِنْدَكَ مَا عِنْدِي مِنَ ٱلْحُبِّ وَٱلْوِدِّ

وَلَا تَذْكُرِ ٱلْعَهْدَ ٱلْقَدِيمَ بِرَامَةٍ
وَأُحْدٍ وَسَلْعٍ يَا رَعَى ٱللهُ مِنْ عَهْدِ

بِنَفْسِيَ أَفْدِي ٱلنَّازِلِينَ بِطَيْبَةٍ
وَأَهْلِي فَهَلْ تَفْدِيهُمُ مِثْلَ مَا أَفْدِي

وَإِلَّا فَسَاعِدْنِي عَلَىٰ قَصْدِ سُوحِهِمْ
وَخُذْ كُلَّ مَا تَطْلُبْهُ مِمَا تَرَىٰ عِنْدِي

فَهَيَّا بِنَا نَنْضِي ٱلْمَطَايَا وَنَطْوِيَ ٱلْـ

ـمَهَامِهَ حَتَّىٰ نَبْلُغَ ٱلْحَيَّ مِنْ نَجْدِ

مَـــرَابِـــعُ أَحْبَـــابٍ بِهَـــا وَمَـــآرِبُ

لَنَا لَمْ تُقَضَّىٰ بَعْدُ فِي زَمَنِ ٱلْبُعْدِ

وَهَلْ تَنْقَضِي فِي ٱلْبُعْدِ آرَابُ طَالِبٍ

وَلَـٰكِنَّـهُ يَـدْنُـو فَيُـدْنَـىٰ مِـنَ ٱلْقَصْـدِ

وَقَـدْ كُنْـتُ وَافَيْـتُ ٱلْأَبَـاطِـحَ مَـرَّةً

وَلَـٰكِنَّـنِي لَـمْ أُرْوَ مِـنْ ذَلِـكَ ٱلْـوِرْدِ

وَلَمْ أَشْتَفِي مِنْ قُرْبِ سَلْمَىٰ وَوَصْلِهَا

وَتَقْبِيلِ خَالِ ٱلْخَدِّ مُسْتَوْدَعِ ٱلْعَهْدِ

وَوَافَيْـــتُ أَيْضــاً دَارَ طَـٰــــهَ وَرَبْعَـــهُ

مُحَمَّـدٍ ٱلْمَبْعُـوثِ بِـٱلْحَـقِّ وَٱلـرُّشْـدِ

فَهَلْ لِيْ إِلَىٰ تِلْكَ ٱلْمَعَاهِدِ عَوْدَةٌ
وَقَدْ طَالَتِ ٱلْأَيَّامُ فِي ٱلْبُعْدِ وَٱلصَّدِ

وَعِنْـدِيَ أَشْـوَاقٌ وَحُـزْنٌ وَلَـوْعَـةٌ
تَزِيدُ مَعَ ٱلتَّذْكَارِ وَجْداً عَلَىٰ وَجْدِ

وَقَدْ قَعَدَتْ بِيْ ٱلنَّاهِضَاتُ مِنَ ٱلْقُوَىٰ
وَمِنْ غَيْرِهَا فَٱسْمَعْ لَكَ ٱلْخَيْرُ مَا أُبْدِي

وَكُـنْ نَـائِبـاً عَنِّـي بِـإِهْـدَا تَحِيَّـةٍ
مُعَنْبَرَةٍ كَٱلْمِسْكِ فِي ٱلْعَرْفِ وَٱلنَّدِّ

وَبُـلَّ ثَـرَىٰ أَرْضِ ٱلْحَبِيـبِ بِـدَمْعَـةٍ
مُسَلْسَلَةٍ تَجْرِي عَلَى ٱلْخَدِّ كَٱلْمَدِّ

وَفِـي دَعْـوَةٍ مَسْمُـوعَـةٍ مُسْتَجَـابَـةٍ
عَسَى ٱللهُ أَنْ يَغْسِـلْ بِهَـا دَرَنَ ٱلْعَبْـدِ

وَيَهْـدِيـهِ لِلْحُسْنَـىٰ وَيَخْتِـمْ لَـهُ بِهَـا

وَبِٱلْعَمَلِ الْمَرْضِيِّ، أَلْخَالِصِ ٱلْمُجْدِي

وَصَلَّـى ٱلْإِلَـٰهُ ٱلْحَـقُّ دَأْبـاً وَسَـرْمَـداً

عَلَىٰ خَاتَمِ ٱلرُّسْلِ ٱلْكِرَامِ بِلَا حَدِّ

مَعَ ٱلْآلِ وَٱلْأَصْحَابِ يَا رَبِّ وَٱجْمَعِ ٱلْـ

ـجَمِيعَ بِفَضْلٍ مِنْكَ فِي جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٧/ د)

حَيَّ حَيَّ لَيَالِ ٱلْوَصْلِ فِي وَادِي ٱلْغِيدْ
وَادِي ٱلْخِيرْ وَٱلرَّحْمَهْ وَكَمْ جِيدْ مِنْ جِيدْ
ضِمِنْ تِلْكَ ٱلضَّرَايِحْ وَٱلْمَقَابِرْ بِعَيْدِيدْ
اَلْمُحِبِّيــنَ لِلّٰهْ كُــلَّ يَــوْمٍ لَهُــمْ عِيــدْ
مِنْ رِجَالِ ٱلْعُلُومِ ٱلثَّابِتَهْ بِٱلْأَسَانِيدْ
وَٱلْمَعَارِفْ وَٱلْأَعْمَالِ ٱلصَّحِيحَهْ بِتَأْكِيدْ
وَٱلسِّيَاحَهْ بِٱلْأَوْدِي وَٱلْمَفَاوِزْ وَبِٱلْبِيدْ
فِي تَرِيمِ ٱلْمَدِينَهْ كَمْ هُمَامٍ وَصِنْدِيدْ
أَهْلِ بَيْتِ ٱلنَّبِيِّ ٱلطَّاهِرِينَ ٱلْمَحَامِيدْ
كُــلُّ مَــنْ حَبَّهُــمْ يِبْشِــرْ بِنُصْــرَهْ وَتَــأْيِيــدْ

وَٱلسَّعَـادَهْ وَيَحْظَـىٰ مِـنْ إِلَـٰهِـهْ بِتَسْـدِيـدْ
وَٱلَّذِي يَبْغَضَ أَهْلِ ٱلْبَيْتْ يِبْشِرْ بِتَنْكِيدْ
فِي حَيَاتِه وَفِي قَبْرِهْ عُقُوبَهْ وَتَشْدِيدْ
يَا أَهْلَ بَيْتِ ٱلنَّبِيْ أَيْنَ ٱلذِّمَمْ وَٱلْمَوَاعِيدْ
أَيْـنَ تَخْـوِيفُكُـمْ بِـٱلْمُجْتَـرِيـنَ ٱلْمَنَـاكِيـدْ
يَـا ٱلْفَقِيـهَ ٱلْمُقَـدَّمْ سَيِّـدَ ٱلسَّـادَةِ ٱلصِّيـدْ
وَٱدْعُ عَلْوِي وَنَجْلَهْ وَٱلْوَجِيهَ ٱلَّذِي زِيدْ
وَٱلْمُسَمَّىٰ عُمَرْ مِحْضَارْ يَا نِعِمْ مِنْ سِيدْ
وَٱبْنَ ٱبِي بَكِرْ عَبْدَ ٱللهْ عَزِيزَ ٱلْمَوَاجِيدْ
هَيَّـا هَيَّـا بِكُـمْ غَـارَهْ تُـذِيـبُ ٱلْجَـلَامِيـدْ
أَسْرِعُوا أَسْرِعُوا غَارَهْ تُطَفِّي ٱلْمَوَاقِيدْ
أَسْرِعُوا أَسْرِعُوا غَارَهْ تَحُلُّ ٱلْمَعَاقِيدْ

قَبلْ لَا يَشْمِتُونَ ٱلْحَاسِدُونَ ٱلْمَحَاقِيدْ

يَا آلْ عَلْوِي ٱدْرِكُوا مِنْ قَبلْ فُرْقَهْ وَتَبْدِيدْ

فَـأَنَّ فِيكُـمْ مَفَـاتِيـحَ ٱلْهُـدَىٰ وَٱلْمَقَـالِيـدْ

فَضِـلْ مِـنْ رَبِّكُـمْ وَٱلْأَمِـرْ لِلّٰهْ تَـوْحِيـدْ

نَحْمَدُهْ نَشْكُرُهْ مِنْ غَيْرِ حَصْرٍ وَتَعْدِيدْ

ثُمَّ صَلُّوا عَلَى ٱلْهَادِي مُحَمَّدْ بِتَرْدِيدْ

مَا ٱسْتَهَلَّتْ حَمَامَاتُ ٱلْحِمَىٰ بِٱلتَّغَارِيدْ

أَوْ سَرَى ٱلْبَرِقْ فِي ٱلدَّاجِي عَلَىٰ شِعِبْ عَيْدِيدْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٨/ د)

زَارَنِـي بَعْـدَ ٱلْجَفَـا ظَبْـيُ ٱلنُّجُـودِ
عَنْبَــرِيُّ ٱلْعَــرْفِ وَرْدِيُّ ٱلْخُــدُودِ
وَسَقَـانِـيْ مِـنْ رَحِيـقٍ فِـي ٱلْبَـدِيـدِ
وَشَفَـىٰ بِـاْلْمُلْتَقَـىٰ قَلْـبَ ٱلْعَمِيـدِ

فَصْلٌ

قَلْـتُ أَهَـلاً يَـا غَـزَالَ ٱلـرَّقْمَتَيْـنِ
أَنْـتَ قُـرَّةْ خَـاطِـرِيْ أَيْضـاً وَعَيْنِـي
لَا تَعَـدِّي يَـا سُـوَيْجِـي ٱلْمُقْلَتَيْـنِ
هَـٰكَـذَا تَـرْعَـىٰ ذِمَـامِـي وَعُهُـودِي

فَصْلٌ

أَقْبَلَتْ لِي حِينَ أَقْبَلَتَ ٱلْبَشَائِرْ
بِٱلْأَمَانِي وَٱلْمُنَىٰ يَا ظَبْيَ عَامِرْ
كَمْ وَكَمْ لِيْ مِنْ مَرَامٍ وَمَرَامِرْ
فِيكَ يَا دُرِّي ٱلْمَبَاسِمْ وَٱلْعُقُودِ

فَصْلٌ

يَا قَضِيباً يتمَايَلْ فِي كثِيبِ
عِنْدَمَا هَبَّتْ لَهُ رِيحُ ٱلْجَنْوبِ
عُدْ إِلِيْنَا لَا تَخَفْ قَوْلَ ٱلرَّقِيبِ
يَا مَسَرَّاتِي مَتَىٰ مَا عَادَ عُودِي

فَصْلٌ

يَـا رَعَـى ٱللهُ لَيَـالٍ بِـٱلْمَعَـاهِـدْ
نِلْـتُ فِيهَـا مَـا أُرَجِّيـهِ وَزَائِـدْ
هَـلْ تَـرَىٰ عَيْشـاً تَقَضَّـىٰ ثَـمَّ عَـائِدْ
إِنْ وَإِلَّا بِـٱلْبُكَـا يَـا عَيْـنُ جُـودِي

فَصْلٌ

إِنَّ لِـيْ فِـي ٱللهِ آمَـالاً طَـوِيلَـهْ
وَظُنُـونـاً حَسَنَـهْ فِيـهِ جَمِيلَـهْ
لَيْسَ لِي فِي نَيْلِ مَا أَرْجُو وَسِيلَهْ
غَيْـرَ طَـٰهَ ٱلْمُصْطَفَـىٰ زَيْـنِ ٱلْـوُجُـودِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٩/ د)

عَسَىٰ مَنْ بَلَانَا بِٱلْبِعَادِ يَجُودُ
وَعَلَّ لُيَيْلَاتِ ٱللِّقَاءِ تَعُودُ
وَتُسْعِدُ بَعْدَ ٱلْبُعْدِ بِٱلْقُرْبِ غَادَةٌ
مُوَرَّدَةٌ هَيْفَا ٱلْقَوَامِ خَرُودُ
وَيَبْرُدُ حَرٌّ بِٱلْفُؤَادِ وَلَوْعَةٌ
لَهَا تَحْتَ أَحْنَاءِ ٱلضُّلُوعِ وَقُودُ
خَلِيلَيَّ دَمْعِي فَوْقَ خَدَّيَّ شَاهِدٌ
عَلَيَّ بِوَجْدٍ فِي ٱلْفُؤَادِ عَتِيدُ
وَكَمْ رُمْتُ أَنْ أُخْفِيْ هَوَىٰ ظَبْيَةِ ٱلْحِمَىٰ
فَلَمْ أَسْتَطِعْ وَٱللَّائِحَاتُ شُهُودُ

نُحُــولٌ وَحُــزْنٌ وَٱصْفِــرَارٌ وَعَبْــرَةٌ
وَسُهْــدٌ طَــوِيــلٌ وَٱلْأَنَــامُ رُقُــودُ
فَلَمْ يَبْقَ لِي فِي كَتْمِهِ ٱلْآنَ مَطْمَعٌ
وَإِنْ ظَلَمُــونِــي عُــذَّلٌ وَحُسُــودُ
أُقَاسِيَ شُجُوناً لَوْ يُقَاسُونَ بَعْضَهَا
لَضَــاقَ عَلَيْهِــمْ بِــٱلْكُــرُوبِ وُجُــودُ
يَقُولُونَ مَا شَاؤُوْا فَحَسْبِي وَحَسْبُهُمْ
إِلَــٰهٌ عَظِيــمٌ عَــالِــمٌ وَشَهِيــدُ
أَلَــمْ تَــرَ أَنَّ ٱلضُّــرَّ يَــاسَعْــدُ مَسَّنِــي
وَقَــدْ كِــدْتُ مِــنْ فَــرْطِ ٱلضَّنَــاءِ أَبِيــدُ
فَــإِنْ كُنْــتَ مِنِّــي وَٱلــرَّفِيــقُ مُسَــاعِــدٌ
يُعِيــنُ وَفِــي مَــسِّ ٱلْخُطُــوبِ يُفِيــدُ

فَبَادِرْ وَسِرْ عَنِّي وَخُذْ لِي رِسَالَةً
إِلَىٰ مَنْ ثَوَىٰ فِي ٱلْقَلْبِ وَهْوَ بَعِيدُ
تُبَلِّغُهَا فِي عَبْرَةٍ وَمَدَامِعٍ
وَعِنْدَكَ وُدٌّ صَادِقٌ وَأَكِيدُ
وَقُلْ لِحَبِيبِ ٱلْقَلْبِ ذَاكَ ٱلَّذِي أَنَا
بِحُبِّي لَهُ بَيْنَ ٱلْأَنَامِ سَعِيدُ
عُبَيْدُكَ يَا مَوْلَايَ أَدْرِكْهُ إِنَّهُ
وَحِيدٌ فَرِيدٌ وَٱلزَّمَانُ شَدِيدُ
وَقَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ وَتَنَكَّرَتْ
عَلَيْهِ أُمُورٌ وَٱضْطَرَبْنَ عُهُودُ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا يُرَجِّيهِ مِنْكُمُ
فَمُنُّوا وَجُودُوا يَا كِرَامُ وَعُودُوا

* * *

وقال رضي الله عنه :

(١٠/ د)

قُلْ لِلَّذِي جَدَّ بِٱلْأَظْعَانِ يَا حَادِي

سُقْهَا رُوَيْداً لِيَلْقَى ٱلْحَاضِرُ ٱلْبَادِي

وَتُنْعِشَ ٱلْهَائِمَ ٱلْوَلْهَانَ رُؤْيَةُ مَنْ

يَؤُمُّ قَوْماً أَقَامُوا جَانِبَ ٱلْوَادِي

إِنْ قَيَّدَ ٱلْحَظُّ أَقْدَامِي وَأَوْقَفَنِي

فَكُنْ رَسُولِي إِلَيْهِمْ أَيُّهَا ٱلْغَادِي

سَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَخَبِّرْهُمْ بِمَا لَقِيَتْ

رُوحِي وَجِسْمِي وَقَلْبِي ٱلْوَالِهُ ٱلصَّادِي

وَقُلْ لَهُمْ مَا نَأَىٰ عَنْكُمْ وَفِي يَدِهِ

مَا لَا غِنىً عَنْهُ مِنْ ظَهْرٍ وَمِنْ زَادِ

ظَـنَّ ٱلْخَلِـيُّ بِـأَنَّ ٱلْبُعْـدَ يُـؤْنِسُنِـي
فَكَيْـفَ يُـؤْنِسُنِـي طَـرْدِي وَإِبْعَـادِي

أَمْ كَيْفَ أَسْلُو عُرَيباً صَارَ قُرْبُهُمُ
أَقْصَىٰ مَرَامِي وَمَطْلُوبِي وَمُرْتَادِي

أَمْ كَيْفَ أَنْسَىٰ لَهُمْ عَهْداً وَقَدْ مَنَحُوا
مَحْضَ ٱلْوِدَادِ وَجَادُوا قَبْلَ إِيجَادِي

وَأَتْحَفُـونِـي بِسِـرٍّ لَـوْ أَبُـوحُ بِـهِ
لَشَاعَ فِي ٱلنَّاسِ لُوَّامِي وَحُسَّادِي

إِنِّـي لَيُقْلِقُنِـي هَـٰذَا ٱلنَّسِيْـمُ مَتَـىٰ
مَـا هَـبَّ مِـنْ حَيْـثُ أَغْـوَارٍ وَأَنْجَـادِ

وَمَـا تَمَـايَـلَ غُصْـنٌ فِـي حَـدِيقَتِـهِ
إِلَّا تَــذَكَّـرْتُ أَوْقَـاتِـي وَأَعْيَـادِي

وَلَا تَغَنَّىٰ بِـذِكْـرِ ٱلْغَـانِيَـاتِ شَـجٍ
إِلَّا جَرَى ٱلدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي عَلَى ٱلنَّادِي
قَـدْ طَـالَ مُكْثِـي بِـدَارِ ٱلْبُعْـدِ مُنْتَظِـراً
إِذْنَ ٱلْمَصِيـرِ إِلَيْهِـمْ طُـولَ آمَـادِي
أُقَبِّـلُ ٱلتُّـرْبَ مِـنْ أَرْضٍ بِهَـا نَـزَلُـوا
يَوْمَ ٱجْتِمَاعِي بِهِمْ فِي حِينِ إِشْهَادِي
يَا هَلْ تَرَىٰ تَجْمَعُ ٱلْأَيَّامُ فِي دَعَةٍ
بَيْنِـي وَبَيْـنَ أُحَيْبَـابِـي وَأَسْيَـادِي
وَأَرْتَوِي مِنْ شَرَابِ ٱلْقَوْمِ فِي زُمَرٍ
مِـنْ عَـارِفِيـنَ وَأَقْطَـابٍ وَأَوْتَـادِ
وَأُوْقِـدُ ٱلنُّـورَ فِـي مِصْبَـاحِ وَاضِحَـةٍ
نُـورٌ عَلَـىٰ نُـورِ مِـنْ فَتْـحٍ وَأَوْرَادِ

نُورُ ٱلسُّلُوكِ وَنُورُ ٱلْجَذْبِ قَدْ جُمِعَا

فَــأَشْــرَقَــا بَيْــنَ زُهَّــادٍ وَعُبَّــادِ

هَـا قَـدْ عَلِمْـتُ وَلَا شَـكٌّ يُخَـالِطُنِي

أَنَّ ٱلطَّـرِيقَـةَ فِـي خَـرْقِـي لِمُعْتَـادِ

وَتَـرْكِ مَـأْلُـوفِ نَفْـسٍ زَانَـهُ خُلُـقٌ

أَنْجُـو بِـهِ بَيْـنَ أَشْكَـالِـي وَأَضْـدَادِي

وَقَــدْ تَحَقَّقْــتُ أَنَّ ٱلْخَيْــرَ أَجْمَعَــهُ

ضِمْنَ ٱتِّبَاعِي لِجَدِّي ٱلْمُصْطَفَى ٱلْهَادِي

عَلَيْــهِ أَزْكَــىٰ صَــلَاةِ ٱللهِ يَتْبَعُهَــا

مِنْــهُ ٱلسَّــلَامُ بِــآزَالٍ وَآبَــادِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١١/ د)

مَـــا حَـــلَّ قَلْبِـــي وَلَا سَكَـــنْ
إِلَّا هَـــوَىٰ ظَبْيَـــةِ ٱلنُّجُـــودْ
وَرْدِيَّـــةِ ٱلْخَـــدِّ وَٱلْـــوَجَـــنْ
دُرِّيَّـــةِ ٱلثَّغْـــرِ وَٱلْعُقُـــودْ
مَعْشُـــوقَـــةِ ٱلنَّفْـــسِ فِـــي ٱلْـــوَطَـــنْ
لَـٰكِنَّهَـــا مَـــا لَهَـــا عُهُـــودْ
إِنْ أَقْبَلَـــتْ طَـــابَ لِـــيْ ٱلـــزَّمَـــنْ
أَوْ أَدْبَـــرَتْ ضَـــاقَ بِـــي ٱلْـــوُجُـــودْ

فَصْلٌ

فَمَــنْ رَسُــولِــي إِلَــىٰ سُعَــادْ
تُعْطِينِــــيَ ٱلْأَمْــــنَ وَٱلْخفَــــرْ
مِــنْ هَجْــرِهَــا ٱليَــوْمَ وَٱلْبِعَــادْ
لَعَــلَّ يَحْصُــلْ لِــــيَ ٱلْمَقَــــرْ
فَــٱلشَّــوْقُ عِنْــدِي طَمَــا وَزَادْ
وَشَــاعَ فِــي ٱلْبَــدْوِ وَٱلْحَضَــرْ
وَشَــوَّشَ ٱلْعَيْــشَ وَٱلْــوَسَــنْ
وَكَــدَّرَ ٱلشُّــرْبَ وَٱلْــوُرُودْ

فَصْلٌ

ظَلَمْتَنِــــي أَيُّهَــــا ٱلْغَــــزَالْ
وَلَسْــتُ بِــٱلْجَــائِــرِ ٱلظَّلُــومْ

عَلَيْـكَ فِـي حَـالَـةِ ٱلْـوِصَـالْ
وَلَا ٱلْجَفَـا أَيُّهَـا ٱلْغَشُـومْ
أَشْكُـو إِلَـى ٱللهِ ذِي ٱلْجَـلَالْ
وَعِنْـدَهُ تُجْمَـعُ ٱلْخُصُـومْ
نَـرْجُـوهُ فِـي ٱلسِّـرِّ وَٱلْعَلَـنْ
سُبْحَـانَـهُ عَـزَّ مِـنْ وَدُودْ

فصل

وَٱلْآنَ مَـا عَـادْ شِـيْ كَـلَامْ
قَـدْ كَـانَ مَـا كَـانَ يَـا لَئِيـمْ
عَلَـى ٱلـرُّبَـا وَٱهْلِهَـا ٱلسَّـلَامْ
نَمْضِـي إِلَـى ٱلسَّيِّـدِ ٱلْكَـرِيـمْ

بِتُــــرْبَــــةِ ٱلسَّــــادَةِ ٱلْكِــرَامْ

بِــوَادِ عَيْــدِيــدْ مِــنْ تَــرِيــمْ

لَــمْ نَلْــقَ فِــي هَـٰــذِهِ ٱلــدِّمَــنْ

إِلَّا ٱلتَّبَــــارِيــــحَ وَٱلصُّـــــدُودْ

فَصْلٌ

وَلَّــى ٱلصِّبَــا وَٱنْقَضَــى ٱلشَّبَــابْ

وَخَيَّــمَ ٱلشَّيْــبُ فِــي ٱلــرُّؤُوسْ

وَآذَنَ ٱلْعُمْــــرُ بِــــٱلــذَّهَــابْ

وَبِــٱلْمَسِيــرِ إِلَــى ٱلــرُّمُــوسْ

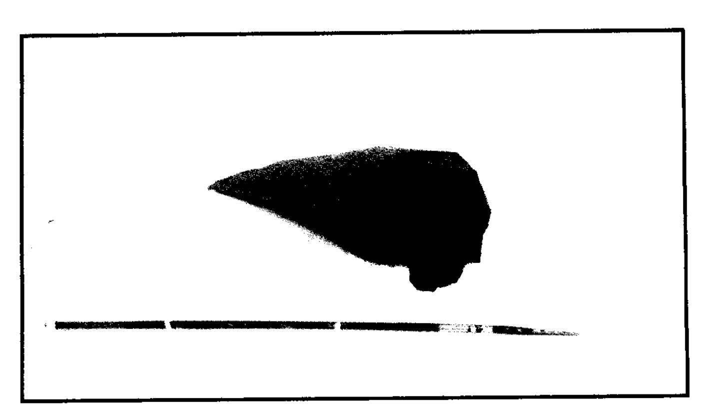
عَسَـــىٰ عَسَــىٰ يَحْصُــلُ ٱلْمَتَــابْ

وَٱلْعَفْــوُ مِــنْ بَــارِىءِ ٱلنُّفُــوسْ

وَنَحْــظَ بِــاْلأَمْــنِ وَٱلْمِنَــنْ

وَٱلْفَــوْزِ فِــي جَنَّــةِ ٱلْخُلُــودْ

*   *   *



القبع : مجموعة من لباس لبعض السلف الصالح . .

تستعمل كعلم (راية) في المجموعات وكذلك للإلباس على سبيل التبرك

وقال رضي الله عنه : (١٢/ د)

مَــا طَــابَ قَلْبِــي وَلَا فُــؤَادِي
مِــنْ بَعْـدِ مَــا غِبْـتُ عَــنْ بِـلَادِي

كَيْــفَ ٱلسُّلُــوُّ وَقَــدْ تَنَــاءَىٰ
عَنِّــي حَبِيبِــي مَــعَ رُقَــادِي

لَا أَسْتَــرِيــحُ وَلَا يُــدَانِــي
قَلْبِــي ٱلسُّــرُورُ مَــعَ ٱلْبِعَــادِ

وَلَا بَــرِحْــتُ حَلِيــفَ حُــزْنٍ
أُقَضِّــي ٱلْــوَقْــتَ بِــٱلنَّكَــادِ

ٱللهُ يَشْفِــي غَلِيــلَ شَــوْقِــي
بِــرَشْفِــيَ ٱلثَّغْــرَ مِــنْ سُعَــادِ

وَحَطِّـيَ ٱلـرَّحْـلَ فِـي حِمَـاهَـا
فِــي خَيْــرِ رَبْــعٍ وَخَيْــرِ نَــادِي
وَفِتْيَــــةٍ مَــــا لَهُــمْ هُمُــــومٌ
وَلَا ٱلْتِفَـــاتٌ إِلَـــى ٱلْعِبَـــادِ
قَــدْ جَــرَّدُوا ٱلْقَصْــدَ حِيْــنَ نُــودُوا
بِخَلْــعِ نَعْــلٍ فِــي خَيْــرِ وَادِي
لِلّٰهِ لِلّٰهِ مِــــــــنْ رِجَـــــالٍ
سَــارُوا عَلَــىٰ مَنْهَــجِ ٱلـرَّشَـادِ
حَتَّــىٰ ٱنْتَهَــوْا فِــي ٱلْعُــلَا وَغَـابُـوا
عَــنْ كُــلِّ حَــاضِــرْ وَكُــلِّ بَــادِي
يَــا هَــلْ لِقَلْبِــي وَهَــلْ لِــرُوحِـي
يَــوْمــاً وُصُــولٌ إِلَــى ٱلْمُــرَادِ

وَهَــلْ يَجُــودُ ٱلــزَّمَــانُ وَقْتــاً

بِــٱلشُّــرْبِ مِــنْ مَنْهَــلِ ٱلْــوِدَادِ

مِــنْ قَبْــلِ أَنْ تَنْقَضِــيْ حَيَــاتِــي

وَيَــأْذَنَ ٱلْعُمْــرُ بِــٱلنَّفَــادِ

أَمُــوتُ يَــا سَــادَتِــي بَعِيــداً

عَنْكُــمْ ظَمَــآنَ ٱلْفُــؤَادِ صَــادِي

حَــاشَــاكُــمُ يَــا حُلُــولَ نَجْــدٍ

مِــنْ قَطْــعِ مَــنْ يَسْمَــعُ ٱلْمُنَــادِي

وَيَتْــرُكُ ٱلْكُــلَّ فِــي هَــوَاكُــمْ

وَلَا يُبَــالِــي بِمَــنْ يُعَــادِي

إِنِّــي لَأَرْجُــو عَــوَاطِــفَ ٱللّٰــهِ

ٱلْمُحْسِــنِ ٱلْمُفْضِــلِ ٱلْجَــوَادِ

سُبْحَانَهُ جَلَّ مِنْ كَرِيمٍ
قَدْ عَمَّ بِالْفَضْلِ وَالْأَيَادِي

* * *



صورة سبحة الإمام الحداد رضي الله عنه

وقال رضي الله عنه : (١٣ / د)

مَا فِي ٱلْوُجُودِ وَلَا فِي ٱلْكَوْنِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا فَقِيرٌ لِفَضْلِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْأَحَدِ

مُعَوِّلُونَ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ فُقَرَا
لِفَيْضِ إِفْضَالِهِ يَا نِعْمَ مِنْ صَمَدِ

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ ٱلْأَكْوَانَ مِنْ عَدَمٍ
وَعَمَّهَا مِنْهُ بِٱلْإِفْضَالِ وَٱلْمَدَدِ

تَبَارَكَ ٱللهُ لَا تُحْصَىٰ مَحَامِدُهُ
وَلَيْسَ تُحْصَرُ فِي حَدٍّ وَلَا عَدَدِ

أَللهُ أَللهُ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ
أَللهُ أَللهُ مَعْبُودِي وَمُلْتَحَدِي

أَللهُ أَللهُ لَا أَبْغِـــي بِــــهِ بَـــدَلاً
أَللهُ أَللهُ مَقْصُـــودِي وَمُعْتَمَــــدِي
أَللهُ أَللهُ لَا أُحْصِـــي ثَنَـــاهُ وَلَا
أَرْجُو سِوَاهُ لِكَشْفِ ٱلضُّرِّ وَٱلشِّدَدِ
أَللهُ أَللهُ أَدْعُـــوهُ وَأَسْـــأَلُـــهُ
أَللهُ أَللهُ مَـــأْمُـــولِـــي وَمُسْتَنَـــدِي
يَـا فَـرْدُ يَـا حَـيُّ يَـا قَيُّومُ يَـا مَلِكـاً
يَــا أَوَّلاً أَزَلِــي يَــا آخِــراً أَبَــدِي
أَنْــتَ ٱلْغَنِــيُّ عَــنِ ٱلْأَمْثَالِ وَٱلشُّـرَكَـا
أَنْتَ ٱلْمُقَدَّسُ عَنْ زَوْجٍ وَعَنْ وَلَدِ
أَنْتَ ٱلْغِيَاثُ لِمَنْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ
وَمَــنْ أَلَــمَّ بِــهِ خَطْــبٌ مِــنَ ٱلنَّكَــدِ

أَنْتَ ٱلْقَرِيبُ ٱلْمُجِيبُ ٱلْمُسْتَغَاثُ بِهِ

وَأَنْتَ يَا رَبُّ لِلرَّاجِينَ بِٱلرَّصَدِ

أَرْجُوكَ تَغْفِرُ لِيْ أَرْجُوكَ تَرْحَمُنِي

أَرْجُوكَ تُذْهِبُ مَا عِنْدِي مِنَ ٱلْأَوَدِ

أَرْجُوكَ تَهْدِيَنِي أَرْجُوكَ تُرْشِدُنِي

لِمَا هُوَ ٱلْحَقُّ فِي فِعْلِي وَمُعْتَقَدِي

أَرْجُوكَ تَكْفِيَنِي أَرْجُوكَ تُغْنِيَنِي

بِفَضْلِكَ ٱللهُ يَا رُكْنِي وَيَا سَنَدِي

أَرْجُوكَ تَنْظُرُنِي أَرْجُوكَ تَنْصُرُنِي

أَرْجُوكَ تُصْلِحُ لِي قَلْبِي مَعَ جَسَدِي

أَرْجُوْكَ تَعْصِمُنِي أَرْجُوكَ تَحْفَظُنِي

يَا رَبِّ مِنْ شَرِّ ذِي بَغْيٍ وَذِي حَسَدِ

أَرْجُـوكَ تُحْيِيْنِـي أَرْجُـوكَ تَقْبِضُنِـي
عَلَـى ٱلْبَصِيـرَةِ وَٱلْإِحْسَـانِ وَٱلـرَّشَـدِ
أَرْجُـوكَ تُكْـرِمُنِي أَرْجُـوكَ تَـرْفَعُنِي
أَرْجُـوكَ تُسْكِنُنِـي فِـي جَنَّـةِ ٱلْخُلُـدِ
مَـعَ ٱلْقَـرَابَـةِ وَٱلْأَحْبَـابِ تَشْـمُلُنَـا
بِٱلْفَضْلِ وَٱلْجُودِ فِي ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ غَدِ
وَجَّهْـتُ وَجْهِـيْ إِلَيْـكَ ٱللهُ مُفْتَقِـراً
لِنَيْـلِ مَعْـرُوْفِـكَ ٱلْجَـارِي بِـلَا أَمَـدِ
وَلَا بَـرِحْـتُ أَمُـدُّ ٱلْكَـفَّ مُبْتَهِـلاً
إِلَيْكَ فِـي حَـالَـيِ ٱلْإِمْـلَاقِ وَٱلـرَّغَـدِ
وَقَـائِـلاً بِـٱفْتِقَـارٍ لَا يُفَـارِقُنِـي
يَا سَيِّدِي يَا كَرِيمَ ٱلْوَجْهِ خُذْ بِيَدِي

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٤/ د)

مَرَّتْ لَنَا بِٱلْحِمَى ٱلْمَأْنُوسِ أَعْيَادُ
مَعَ ٱلْأَحِبَّةِ لَوْ عَادَتْ وَلَوْ عَادُوا

كُنَّا قَضَيْنَا بِهَا ٱلْأَوْطَارَ فِي دَعَةٍ
وَطِيبِ عَيْشٍ فَمَا كَادَتْ وَمَا كَادُوا

أَنَّىٰ وَقَدْ حَالَتِ ٱلْأَقْدَارُ دُونَهُمُ
فَٱلْهَمُّ مُجْتَمِعٌ وَٱلْقَوْمُ قَدْ بَادُوا

هَٰذَا ٱلزَّمَانُ وَهَٰذَا ٱلدَّهْرُ عَادَتُهُ
فِينَا وَفِي غَيْرِنَا بَيْنٌ وَأَنْكَادُ

إِنَّ ٱلْحَوَادِثَ لَا تُبْقِي عَلَىٰ أَحَدٍ
وَلِلْكَرِيمِ قَنَاةٌ لَيْسَ تَنْآدُ

تَجَلُّــدٌ وَٱصْطِبَــارٌ كَــانَ وَرَّثَــهُ ٱلْـ
أَبْنَــاءَ مِــنْ قَبْــلُ آبَــاءٌ وَأَجْــدَادُ
نَمْضِي عَلَىٰ سُبُلٍ كَانُوا لَهَا سَلَكُوا
أَسْــلَافُنَــا وَهُــمُ لِلهِ أَجْنَــادُ
مَا زَعْزَعَتْهُمْ يَدُ ٱلْأَيَّامِ حِينَ سَطَتْ
وَكَيْــفَ لَا وَهُــمُ لِــلْأَرْضِ أَطْــوَادُ
نَبِيُّنَــا وَعَلِــيٌّ وَٱلْحُسَيْــنُ وَزَيْـ
ـنُ ٱلْعَابِدِينَ بِهَـٰذَا فِي ٱلْوَرَىٰ سَادُوا
لَنَــا بِهِــمْ أُسْــوَةٌ إِذْ هُــمْ أَئِمَّتُنَــا
وَنَحْــنُ لِلْقَــوْمِ أَبْنَــاءٌ وَأَحْفَــادُ
وَٱلصَّبْــرُ يَــا نَفْــسُ خَيْــرٌ كُلُّــهُ وَلَــهُ
عَــوَاقِــبٌ كُلُّهَــا نُجْــحٌ وَإِمْــدَادُ

فَٱصْبِرْ هُدِيتَ فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ مُشْتَرَكٌ

بَيْـــنَ ٱلْأَنَـــامِ وَإِنْ طَـــاوَلْـــنَ آمَـــادُ

وَٱلنَّاسُ فِي غَفَلَاتٍ عَنْ مَصَارِعِهِمْ

كَـــأَنَّهُـــمْ وَهُـــمُ ٱلْأَيْقَـــاظُ رُقَّـــادُ

دُنْيَـــا تَغُـــرُّ وَعَيْـــشٌ كُلُّـــهُ كَـــدَرٌ

لَـــوْلَا ٱلنُّفُـــوسُ ٱلَّتِـــي لِلْـــوَهْـــمِ تَنْقَـــادُ

كُنَّـــا عَـــدَدْنَـــا لِهَـــٰذَا ٱلْمَـــوْتِ عُـــدَّتَـــهُ

قَبْـــلَ ٱلْـــوَفَـــاةِ وَأَنْ يُحْفَـــرْنَ أَلْحَـــادُ

فَٱلدَّارُ مِنْ بَعْدِ هَـٰذِي ٱلدَّارِ آخِرَةٌ

تَبْقَـــىٰ دَوَامـــاً بِهَـــا حَشْـــرٌ وَمِيعَـــادُ

وَجَنَّـــــةٌ أُزْلِفَـــــتْ لِلْمُتَّقِيـــنَ، وَأَهْـ

ـــلِ ٱلْحَـــقِّ وَٱلصَّبْـــرِ أَبْـــدَالٌ وَأَوْتَـــادُ

فَٱعْمَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ ٱلْمَمَاتِ وَلَا
تَعْجِزْ وَتَكْسَلْ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ جَهَّادُ
لَا يَنْفَعُ ٱلْعَبْدَ إِلَّا مَا يُقَدِّمُهُ
فَبَادِرِ ٱلْفَوْتَ وَٱصْطَدْ قَبْلَ تُصْطَادُ
يَا صَاحِبِي إِنَّ قَلْبِي ٱلْآنَ مُكْتَئِبٌ
قَدْ كَانَ عَاوَدَهُ مَا كَانَ يَعْتَادُ
تَذَكُّرٌ لِأُصَيْحَابٍ قَدِ ٱنْتَزَحُوا
عَنَّا تَنَاءَىٰ بِهِمْ غَوْرٌ وَأَنْجَادُ
كَفَىٰ كَفَىٰ حَزَناً أَنَّ ٱلزَّمَانَ مَضَىٰ
وَٱلشَّمْلُ مُفْتَرِقٌ وَٱلْجَمْعُ أَفْرَادُ
مُشَتَّتُونَ بِأَطْرَافِ ٱلْبِلَادِ عَلَىٰ
رَغْمِ ٱلْأُنُوفِ كَمَا تَهْوَاهُ حُسَّادُ

بَيْنَ ٱلْأَبَاعِدِ لَا تَدْرِي أَمَاثِلُهُمْ

مَا حَقُّهُمْ وَهُمُ جَمْعٌ وَأَحْشَادُ

لَهْفِي عَلَىٰ غُرَبَاءِ ٱلدَّارِ حِينَ ثَوَوْا

وَلَمْ يُطِيفُوا بِهِمْ أَهْلٌ وَعُوَّادُ

مِنْ آلِ طَٰهَ وَآلِ ٱلْمُرْتَضَىٰ وَمِنَ ٱلزَّ

هْرَا ٱلْبَتُولِ لِقَصْرِ ٱلْمَجْدِ قَدْ شَادُوا

أَعِزَّةٍ فِي ٱلذُّرَىٰ مِنْ هَاشِمٍ وَعَنِ ٱلْـ

ـكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ ٱلْغَرَّاءِ مَا حَادُوا

يَمُوتُ مَيِّتُهُمْ مِنْ حَيْثُ شَاءَ فَأَرْ

ضُ ٱللهِ وَاحِدَةٌ وَٱلْقَوْمُ أَمْجَادُ

أَبْكِيهُمُ بِدُمُوعٍ عَلَّ سَائِلَهَا

يَبُلُّ مِنْ جَمَرَاتِ ٱلْقَلْبِ إِيقَادُ

تَحَسُّـــرٌ وَشُجُـــونٌ كُلَّمَـــا لَمَعَـــتْ

بُـــرُوقُ كَـــاظِمَـــةٍ تَنْمُـــو وَتَـــزْدَادُ

وَكُلَّمَا نَاحَتِ ٱلْوَرْقَا عَلَىٰ غُصُنٍ

وَكُلَّمَـــا خَفَقَـــتْ بِـــٱلْـــوَادِ أَنْـــوَادُ

فَيَـا بِعَيْـدِيـدَ بَشَّـارَ ٱلْبَشَـائِـرِ هَـلْ

وَافَـتْ عَلَـى ٱلْيُمْـنِ إِخْـوَانٌ وَأَوْلَادُ

أَرْوَاحُهُـمْ وَنُفُـوسٌ كَـانَ فَـارَقَهَـا

بِـــٱلْقَبْـــضِ لِلّٰهِ أَجْسَـــامٌ وَأَجْسَـــادُ

بَانُوا عَنِ ٱلْأَهْلِ وَٱلْأَوْطَانِ مِنْ زَمَنٍ

وَكَـانَ مِـنْ وُدِّهِـمْ لَـوْ أَنَّهُـمْ عَـادُوا

فَعَـــوَّقَتْهُـــمْ مَقَـــادِيـــرٌ مُقَـــدَّرَةٌ

مَخْتُـــومُهَـــا مَـــا لَـــهُ دَفْـــعٌ وَلَا رَادُ

مِثْلُ ٱلشَّقِيقِ وَإِبْنِ ٱلْعَمِّ فِي زُمَرٍ
طَابَتْ خَلَائِقُهُمْ وَٱلسَّعْيُ وَٱلزَّادُ

مِنَ ٱلَّذِينَ بِعِلْمِ ٱلدِّينِ قَدْ عَمِلُوا
وَٱسْتَغْرَقَتْهُمْ عِبَادَاتٌ وَأَوْرَادُ

دُعَاةِ خَيْرٍ هُدَاةٍ مُهْتَدِينَ رِضاً
مِنْ سَادَةٍ مَا لَهُمْ فِي ٱلْفَضْلِ أَنْدَادُ

حَدَا بِهِمْ هَاذِمُ ٱللَّذَّاتِ فَٱنْطَلَقُوا
إِلَىٰ مَصِيرٍ بِهِ فَوْزٌ وَإِسْعَادُ

بَرَازِخُ ٱلنُّورِ دِهْلِيزُ ٱلْجِنَانِ مِنَ ٱلْـ
ـفِرْدَوْسِ وَٱلْعَدْنِ يَاللهِ مَا فَادُوا

فَٱلْمَوْتُ لِلْمُؤْمِنِ ٱلْأَوَّابِ تُحْفَتُهُ
وَفِيهِ كُلُّ ٱلَّذِي يَبْغِي وَيَرْتَادُ

لِقَا ٱلْكَرِيمِ تَعَالَىٰ مَجْدُهُ وَسَمَا
مَعَ ٱلنَّعِيمِ ٱلَّذِي مَا فِيهِ أَنْكَادُ
فَضْلٌ مِنَ ٱللهَ إِحْسَانٌ وَمَرْحَمَةٌ
فَٱلْفَضْلُ لِلهِ كَٱلْآزَالِ آبَادُ
فَٱلظَّنُّ بِٱللهِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا
ظَنٌّ جَمِيلٌ مَعَ ٱلْأَنْفَاسِ يَزْدَادُ
نَرْجُوهُ يَرْحَمُنَا نَرْجُوهُ يَجْبُرُنَا
فَهْوَ ٱلْجَوَادُ ٱلَّذِي بِٱلْجُودِ عَوَّادُ
نَرْجُوهُ يَنْظُرُنَا نَرْجُوهُ يَسْتُرُنَا
فَمِنْهُ لِلْكُلِّ إِمْدَادٌ وَإِيْجَادُ
نَدْعُوهُ نَسْأَلُهُ عَفْواً وَمَغْفِرَةً
مَعْ حُسْنِ خَاتِمَةٍ فَٱلْعُمْرُ نَفَّادُ

وَقَدْ رَضِينَا قَضَاءَ ٱللهِ كَيْفَ قَضَىٰ

وَٱللُّطْفَ نَرْجُو وَحُسْنُ ٱلصَّبْرِ إِرْشَادُ

ثُمَّ ٱلصَّلَاةُ عَلَى ٱلْهَادِي وَعِتْرَتِهِ

مُحَمَّدٍ مَا ٱنْثَنَتْ بِٱلرِّيحِ أَعْوَادُ

وَمَا سَرَتْ نَسَمَاتُ ٱلْحَيِّ فِي سَحَرٍ

وَكَانَ مِنْهَا لِحَرِّ ٱلشَّجْوِ إِبْرَادُ

* * *

وقال رضي الله عنه :　(١٥/ د)

يَـا وَجِيـهِ أَنَّهَـا هَبَّـتْ رِيَـاحُ ٱلسُّعُـودِ
وَٱوْمَضَ ٱلْبَرْقُ فِي ٱلدَّاجِي مِنَ ٱقْصَى ٱلنُّجُودِ

ذَكَّرَانِي لَيَالٍ ، قَدْ خَلَتْ حَوْلَ هُودِ
شِعْبِ قَبْرِ ٱلنَّبِي ٱلْمُرْسَلْ وَفِيِّ ٱلْعُهُودِ

يَا لَيَالِي ٱلرِّضَا عُودِي لِيَخْضَرَّ عُودِي
بِـٱللِّقَـا وَٱلتَّـدَانِـي بَعْـدَ طُـولِ ٱلصُّـدُودِ

يَـا عُـرَيْـبَ ٱلْحِمَـىٰ رِقُّـوا لِصَـبٍّ عَمِيـدِ
وَٱرْحَمُوا مَنْ دُمُوعُهْ جَرَّحَتْ بِٱلْخُدُودِ

كُلَّمَـــا لَاحْ بَـــارِقْ فَـــوْقَ وَادِي زَرُودِ
وَٱسْتَهَلَّ ٱلْحَيَا ٱلْمُغْدِقْ وَحَنِّ ٱلرُّعُودِ

بَـاتْ سَهْـرَانْ مَـا يَهْنَـا لَـذِيـذَ ٱلـرُّقُـودِ

مِـنْ تَـذَكُّـرِ عَيْـشٍ ، مَـرَّ بَيْـنَ ٱلْعُـدُودِ

وَٱلـرُّبَـا وَٱلْمَسَـايِـلْ وَٱلْـوَطَـا وَٱلسُّنُـودِ

حَيَّ تِلْكَ ٱلْمَجَامِعْ حَيَّ تِلْكَ ٱلْوُفُودِ

حَيَّ عِيداً بِهَا ، فَاقَتْ عَلَىٰ كُلِّ عِيدِ

مَعْ رِجَالِ ٱلْوَفَا ،مِنْ مُنْسَبِينَ ٱلْجُدُودِ

وَٱلْمُحِبِّيـــنْ لِلّٰهِ ٱلْـــوَلِـــيِّ ٱلْحَمِيـــدِ

رَبِّ ٱلْأَرْبَابِ ذِي ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْوَدُودِ

هَلْ تَرَىٰ عَاذْ ، يِرْجَعْ مَا مَضَىٰ يَا مُرِيدِي

أَوْ يَعُـودُ ٱلَّـذِي قَـدْ فَـاتْ يَـا مُسْتَعِيـدِي

أَوْ هُوَ ٱلْبُعْدُ حَتَّىٰ نَجْتَمِعْ فِي ٱللُّحُودِ

فِي رَجَا رَحْمَةِ ٱلرَّبِّ ٱلْكَرِيمِ ٱلْمَجِيدِ

نَـرْتَجِـي مِنْـهُ يُسْكِنَّـا جِنَـانَ ٱلْخُلُـودِ

فِي جِوَارِ ٱلنَّبِي ٱلْمُخْتَارْ زَيْنِ ٱلْوُجُودِ

(أَحْمَدَ) ٱلشَّافِعِ ٱلْمَقْبُولْ يَوْمَ ٱلْوُرُودِ

وَآلِـهِ ٱلطَّـاهِـرِيـنَ ٱلـرَّاكِعِيـنَ ٱلسُّجُـودِ

* * *

وقال رضي الله عنه :

يَـا وَجِيـهِ أَنَّهَـا هَبَّـتْ رِيَـاحُ ٱلسُّعُـودِ
وَأَوْمَضَ ٱلْبَرْقُ فِي ٱلدَّاجِي مِنَ أَقْصَى ٱلنُّجُودِ
ذَكَّـرَانِـي لَيَـالٍ ، قَـدْ خَلَـتْ حَـوْلَ هُـودِ
شِعْـبِ قَبْـرِ ٱلنَّبِـيِّ ٱلْمُـرْسَـلْ وَفِـيِّ ٱلْعُهُـودِ
يَـا لَيَـالِـي ٱلـرِّضَـا عُـودِي لِيَخْضَـرَّ عُـودِي
إِنْ تَعُـودِي يَعُـدْ سَعْـدِي فَـزُورِي وَعُـودِي
وَٱنْجِـزِي يَـا لُيَيْـلَاتِ ٱلْـوَلَا لِـي وُعُـودِي
وَٱسْمَحِـي بِـٱلْمَسَـرَّهْ وَٱلتَّـدَانِـي وَجُـودِي
عَـلَّ تَـرْتَـاحْ أَرْوَاحِـي وَيَحْيَـا وُجُـودِي
حَبَّذَا مَا مَضَىٰ فِي سَفْحِ شِعْبِ ٱلْوُفُودِ

فِـي لَيَـالٍ زَهَـتْ أَنْـوَارُهَـا غَيْـرِ سُـودِ

حَـلَّ فِيهَـا ٱلْهَنَـا وَٱنْحَـلَّ عَقْـدُ ٱلصُّـدُودِ

مَـا بِهَـا قَـطُّ مِـنْ وَاشٍ وَلَا مِـنْ حَسُـودِ

بَـلْ أُخَيْـوَانُ صِـدْقٍ طُهِّـرُوا عَـنْ جُحُـودِ

قَـدْ صَفَـوْا وَٱصْطَفُـوا لَمَّـا وَفَـوْا بِـٱلْعُهُـودِ

مِـنْ أُهَيْـلِ ٱلْـوَلَاءْ مِـنْ كُـلِّ بَـرٍّ وَدُودِ

فِي حِمَىٰ مُرْسَلٍ حَامِي ٱلْحِمَىٰ وَٱلْحُدُودِ

قَدْ بَدَتْ شَمْسُ نُورِهْ فِي جَمِيعِ ٱلْوُجُودِ

عَطَّـرَ ٱلْكَـوْنَ عِطْـرُهْ مِـنْ خُـزَامَـىٰ وَعُـودِ

فِـي ٱلْـوَرَىٰ فَـاحْ نَشْـرُهْ عَـمَّ كُـلَّ ٱلْـوُجُـودِ

فَـازَ زُوَّارُ قَبْـرِهْ فِـي ذَهَـابٍ وَعَـودِ

كَـمْ لَنَـا مِـنْ شُيُـوخٍ كَـمْ لَنَـا مِـنْ جُـدُودِ

قُــدِّسُــوا ثَــمَّ مِــنْ رِقِّ ٱلسِّــوَىٰ وَٱلقُيُــودِ

كَمْ سُقُوا مِنْ رَحِيقٍ فِي كؤُوسِ ٱلشُّهُودِ

فِــي مَعَــانِــي صَفَــا وِرْدٍ وَصَــافِــي وُرُودِ

تَحْـتَ سِتْـرِ ٱللَّيَـالِـي وَٱلـوَرَىٰ فِـي رُقُـودِ

كَـمْ رَقَـوْا مِـنْ مَـرَاقِـي عَـالِيَـاتِ ٱلصُّعُـودِ

فِــي مَثَــانِــي قِيَــامٍ أَوْ مُثَنَّــىٰ سُجُــودِ

كَــٱلْفَقِيــهِ ٱلْمُقَــدَّمْ شَيْخِنَــا وَٱلْعَمُــودِي

وَٱبْــنِ عَبَّــادْ وَٱبْــنِ ٱلْجَعْـدِ زَيْـنِ ٱلْـوُفُـودِ

ثُمَّ غَوْثِ ٱلْوَرَى ٱلسَّقَافِ مُحْيِي ٱلْعُهُودِ

وَٱبْنِــهِ ٱلْفَخْــرِ وَٱلْمِحْضَــارِ أُسْــدِ ٱلْأُسُــودِ

وَٱبْــنَ أَبِــي بَكِــرْ وَٱمْثَـالِـهِ وَسَعْـدِ ٱلسُّعُـودِ

هُــمْ شُيُــوخِــي وَآبَــائِــي وَفَخْــرِي وَسُــودِي

عِزُّهُمْ لِي حِمَىٰ حَامِي أَقَاصِي حُدُودِي

وَٱنْ دَهَتْنِي دَوَاهِي مُعْضِلَهْ هُمْ جُنُودِي

رَبِّ سَالَكْ بِهِمْ نَيْلَ ٱلرِّضَا وَٱلسُّعُودِ

بِٱلْهَنَا فِي مَعَاشِي وَٱلْغِنَا فِي لُحُودِي

وَٱلْمُنَىٰ وَٱلزِّيَادَهْ فِي جِنَانِ ٱلْخُلُودِ

ثُمَّ صَلُّوا عَلَى ٱلْهَادِي مُحَمَّدْ وَهُودِ

مَاشَرَى ٱلْبَرْقُ أَوْ هَبَّتْ نُسَيْمَاتْ جُودِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٦/ د)

هَدَى ٱللهُ مَعْشُوقَ ٱلْجَمَالِ إِلَى ٱلْهُدَىٰ
وَجَنَّبَهُ مَا يَخْتَشِيهِ مِنَ ٱلرَّدَىٰ

وَنَفْسَ حَسُوْدٍ أَسْخَنَ ٱللهُ عَيْنَهُ
وَأَسْهَرَهُ حَتَّىٰ يَبِيْتَ مُسَهَّدَا

وَلَا بَرِحَتْ تُهْدِي لَنَا ظَبْيَةُ ٱلْحِمَىٰ
مِنَ ٱلْمِسْكِ وَٱلْكَافُورِ فِي غَفْلَةِ ٱلْعِدَا

أُحِبُّ لَهَا دَمُّونَ وَٱلنَّجْدَ وَٱلرُّبَا
وَخَيْلَةَ وَٱلشِّعْبَ ٱلَّذِي نُورُهُ بَدَا

مُحَجَّبَةٌ مِنْ هَاشِمٍ وَمُحَمَّدٍ
عَلَيْهِ صَلَاةُ ٱللهِ دَأْباً وَسَرْمَدَا

فَلَا تَعْذُلُونِي فِي ٱلْمَلِيحَةِ وَٱعْذُرُوا
فَقَلْبِي بِهَا يُمْسِي عَلَيْهَا كَمَا غَدَا
فَيَا أَيُّهَا ٱلْعُذَّالُ رِفْقاً وَرَحْمَةً
بِصَبٍّ كَئِيبٍ عَيْشُهُ قَدْ تَنَكَّدَا
وَلَا تَتَوَهَّمْ ظَبْيَةُ ٱلْحَيِّ أَنَّنِي
صَبَوْتُ مَعَاذَ ٱللهِ وَٱلْحَادِ قَدْ حَدَا
وَسَاقَ نِيَاقَ ٱلشَّوْقِ يَقْصِدُ مَعْهَداً
بِهِ نَزَلَ ٱلْأَقْوَامُ فِي رَوْضَةِ ٱلنَّدَىٰ
بِعَيْدِيدَ حَيَّ ٱللهُ عَيْدِيدَ كُلَّهُ
بِسَارِيَةٍ كَمَّا سَرَى ٱلْبَرْقُ أَرْعَدَا
وَجَازَ ٱلرِّيَاضَ ٱلْخُضْرَ مِنْ وَادِي ٱلنَّقَا
بِزَنْبَلَ مِنْ بَشَّارِ مَا قُمْرِيٌّ شَدَا

وَعَمَّ ٱلْفُرَيْطَ ٱلنُّورُ مَعْ أَهْلِ بَكْدَرٍ
هَوَاطِلُ غُفْرَانٍ مَعَ ٱلْأَمْنِ مِنْ رَدَىٰ
فَكَمْ ضِمْنَ هَاتِيكَ ٱلْمَقَابِرِ عَارِفٌ
وَحَبْرٌ بِهِ فِي ظُلْمَةِ ٱلْجَهْلِ يُهْتَدَىٰ
بِعَيْدِيدَ عَادَتْ كُلُّ عِيدٍ أَنِيسَةً
مَعَ ٱلْجِيرَةِ ٱلْغَادِينَ مِنَ مَعْشَرِ ٱلْهُدَىٰ
أَئِمَّةِ دِينِ ٱللهِ يَدْعُونَ خَلْقَهُ
إِلَىٰ بَابِهِ طُوبَىٰ لِمَنْ سَمِعَ ٱلنِّدِا
وَسَارَ إِلَى ٱلرَّبِّ ٱلْعَظِيمِ مُبَادِراً
لِطَاعَتِهِ يَرْجُو ٱلنَّعِيمَ ٱلْمُخَلَّدَا
وَيَخْشَىٰ عَذَابَ ٱللهِ فِي نَارِهِ ٱلَّتِي
يُخَلَّدُ فِيهَا مَنْ طَغَىٰ وَتَمَرَّدَا

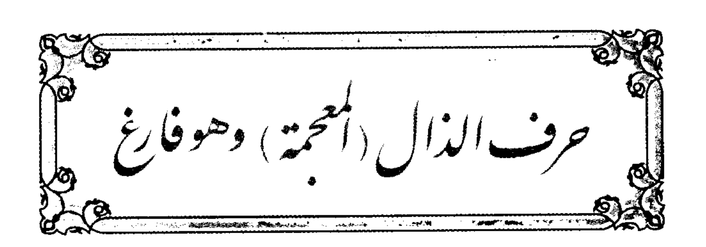
وَلَـمْ يَتَّبِـعْ خَيْـرَ ٱلْأَنَـامِ مُحَمَّـداً

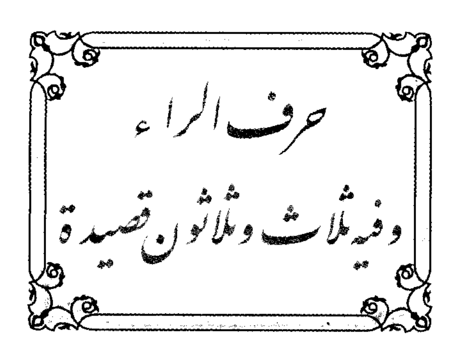
نَبِيَّ ٱلْهُدَىٰ بَحْرَ ٱلنَّدَىٰ مُجْلِيَ ٱلصَّدَا

عَلَيْـهِ صَـلَاةُ ٱللهِ ثُـمَّ سَـلَامُـهُ

صَـلَاةً وَتَسْلِيمـاً إِلَـىٰ آخِـرِ ٱلْمَـدَىٰ

* * *





وقال رضي الله عنه : (١/ ر)

(إِذَا شِئْتَ) أَنْ تَحْيَا سَعِيداً مَدَى ٱلْعُمْرِ

وَتُجْعَلَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ فِي رَوْضَةِ ٱلْقَبْرِ

وَتُبْعَثَ عِنْدَ ٱلنَّفْخِ فِي ٱلصُّورِ آمِناً

مِنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلتَّهْدِيدِ وَٱلطَّرْدِ وَٱلْخُسْرِ

وَتُعْـرَضَ مَـرْفُـوعـاً كَـرِيمـاً مُبَجَّـلاً

تُبَشِّـرُكَ ٱلْأَمْـلَاكُ بِـٱلْفَـوْزِ وَٱلْأَجْـرِ

وَتَرْجَحَ عِنْدَ ٱلْوَزْنِ أَعْمَالُكَ ٱلَّتِي

تُسَرُّ بِهَا فِي مَوْقِفِ ٱلْحَشْرِ وَٱلنَّشْرِ

وَتَمْضِيْ عَلَىٰ مَتْنِ ٱلصِّرَاطِ كَبَارِقٍ

وَتَشْرَبَ مِنْ حَوْضِ ٱلنَّبِيْ ٱلْمُصْطَفَى ٱلطُّهْرِ

وَتَخْلُـدَ فِـي أَعْلَـى ٱلْجِنَـانِ مُنَعَّمـاً

حَظِيّاً بِقُرْبِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْأَحَدِ ٱلْوَتْرِ

وَتَنْظُـرَهُ بِـٱلْعَيْـنِ وَهْـوَ مُقَـدَّسٌ

عَنِ ٱلْأَيْنِ وَٱلتَّكْيِيفِ وَٱلْحَدِّ وَٱلْحَصْرِ

(عَلَيْـكَ) بِتَحْسِيـنِ ٱلْيَقِيـنِ فَـإِنَّـهُ

إِذَا تَـمَّ صَـارَ ٱلْغَيْـبُ عَيْنـاً بِـلَا نُكْـرِ

وَكُـــنْ أَشْعَــرِيّــاً فِــي ٱعْتِقَــادِكَ إِنَّـــهُ

هُوَ ٱلْمَنْهَلُ ٱلصَّافِي عَنِ ٱلزَّيْغِ وَٱلْكُفْرِ

وَقَــدْ حَــرَّرَ ٱلْقُطْــبُ ٱلْإِمَــامُ مَــلَاذُنَــا

عَقِيــدَتَــهُ فَهْــيَ ٱلشِّفَــاءُ مِــنَ ٱلضُّــرِّ

وَأَغْنِــي بِــهِ مَــنْ لَيْــسَ يُنْعَــتُ غَيْــرُهُ

بِحُجَّــةِ إِسْــلَامٍ فَيَــا لَــكَ مِــنْ فَخْــرِ

وَخُذْ مِنْ عُلُومِ ٱلدِّينِ حَظّاً مُوَفَّراً

فَبِٱلْعِلْمِ تَسْمُو فِي ٱلْحَيَاةِ وَفِي ٱلْحَشْرِ

وَوَاظِبْ عَلَىٰ دَرْسِ ٱلْقُرَانِ فَإِنَّ فِي

تِــلَاوَتِــهِ ٱلْإِكْسِيــرَ وَٱلشَّــرْحَ لِلصَّــدْرِ

أَلَا إِنَّـــهُ ٱلْبَحْـــرُ ٱلْمُحِيـــطُ وَغَيْـــرُهُ

مِــنَ ٱلْكُتْــبِ أَنْهَــارٌ تُمَــدُّ مِــنَ ٱلْبَحْــرِ

تَـدَبَّـرْ مَعَـانِيـهِ وَرَتِّلْـهُ خَـاشِعـاً
تَفُوزُ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ بِٱلْكَنْزِ وَٱلذُّخْرِ
وَكُـنْ رَاهِبـاً عِنْـدَ ٱلْـوَعِيـدِ وَرَاغِبـاً
إِذَا مَا تَلَوْتَ ٱلْوَعْدَ فِي غَايَةِ ٱلْبِشْرِ
بَعِيـداً عَـنِ ٱلْمَنْهِـيِّ مُجْتَنِبـاً لَـهُ
حَرِيصاً عَلَى ٱلْمَأْمُورِ فِي ٱلْعُسْرِ وَٱلْيُسْرِ
وَإِنْ رُمْـتَ أَنْ تَحْظَـىٰ بِقَلْـبٍ مُنَـوَّرٍ
نَقِيٍّ عَنْ ٱلْأَكْدَارِ فَٱعْكِفْ عَلَى ٱلذِّكْرِ
وَثَابِرْ عَلَيْهِ فِي ٱلظَّلَامِ وَفِي ٱلضِّيَا
وَفِـي كُـلِّ حَـالٍ بِـٱللِّسَـانِ وَبِـٱلسِّـرِّ
فَـــإِنَّـــكَ إِنْ لَازَمْتَـــهُ بِتَـــوَجُّـــهٍ
بَدَا لَكَ نُورٌ لَيْسَ كَٱلشَّمْسِ وَٱلْبَدْرِ

وَلَـٰكِنَّـــهُ نُـــورٌ مِـــنَ ٱللهِ وَارِدُ

أَتَىٰ ذِكْرُهُ فِي سُورَةِ ٱلنُّورِ فَٱسْتَقِرِ

وَصَــفِّ مِــنَ ٱلْأَكْــدَارِ سِــرَّكَ إِنَّــهُ

إِذَا مَا صَفَا أَوْلَاكَ مَعْنىً مِنَ ٱلْفِكْرِ

تَطُــوفُ بِــهِ غَيْــبَ ٱلْعَــوَالِــمِ كُلِّهَــا

وَتَسْرِي بِهِ فِي ظُلْمَةِ ٱللَّيْلِ إِذْ يَسْرِي

وَبِٱلْجِدِّ وَٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ تَحُلُّ فِي

فَسِيحِ ٱلْعُلَا فَٱسْتَوْصِ بِٱلْجِدِّ وَٱلصَّبْرِ

وَكُــنْ شَــاكِــراً لِلهِ قَلْبــاً وَقَــالَبــاً

عَلَـىٰ فَضْلِـهِ إِنَّ ٱلْمَـزِيـدَ مَـعَ ٱلشُّكْـرِ

تَوَكَّلْ عَلَىٰ مَوْلَاكَ وَٱرْضَ بِحُكْمِهِ

وَكُنْ مُخْلِصاً لِلهِ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ

قَنُـوعـاً بِمَـا أَعْطَـاكَ مُسْتَغْنِيـاً بِـهِ
لَهُ حَامِداً فِي حَالَيِ ٱلْيُسْرِ وَٱلْعُسْرِ
وَكُنْ بَاذِلاً لِلْفَضْلِ سَمْحاً وَلَا تَخَفْ
مِـنَ ٱللهِ إِقْتَـاراً وَلَا تَخْـشَ مِـنْ فَقْـرِ
وَإِيَّـاكَ وَٱلـدُّنْيَـا فَـإِنَّ حَـلَالَهَـا
حِسَابٌ وَفِي مَحْظُورِهَا ٱلْهَتْكُ لِلسَّتْرِ
وَلَا تَـكُ عَيَّـابـاً وَلَا تَـكُ حَـاسِـداً
وَلَا تَـكُ ذَا غِـشٍّ وَلَا تَـكُ ذَا غَـدْرِ
وَلَا تَطْلُبَـنَّ ٱلْجَـاهَ يَـا صَـاحِ إِنَّـهُ
شَهِيٌّ وَفِيهِ ٱلسُّمُّ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي
وَإِيَّـاكَ وَٱلْأَطْمَـاعَ إِنَّ قَـرِينَهَـا
ذَلِيلٌ خَسِيسُ ٱلْقَصْدِ مُتَّضِعُ ٱلْقَدْرِ

وَإِنْ رُمْــتَ أَمْــراً فَــٱسْــأَلِ ٱللهَ إِنَّــهُ

هُوَ ٱلْمُفْضِلُ ٱلْوَهَّابُ لِلْخَيْرِ وَٱلْوَفْرِ

وَأُوصِيكَ بِٱلْخَمْسِ ٱلَّتِي هُنَّ يَا أَخِي

عِمَــادٌ لِــدِيــنِ ٱللهِ وَاسِطَــةُ ٱلْأَمْــرِ

وَحَافِظْ عَلَيْهَا فِي ٱلْجَمَاعَةِ دَائِماً

وَوَاظِبْ عَلَيْهَا فِي ٱلْعِشَاءِ وَفِي ٱلْفَجْرِ

وَقُــمْ فِــي ظَــلَامِ ٱللَّيْــلِ لِلهِ قَــانِتــاً

وَصَــلِّ لَــهُ وَٱخْتِــمْ صَــلَاتَــكَ بِــٱلْــوِتْــرِ

وَكُــنْ تَــائِبــاً مِــنْ كُــلِّ ذَنْــبٍ أَتَيْتَــهُ

وَمُسْتَغْفِراً فِي كُلِّ حِينٍ مِنَ ٱلْوِزْرِ

عَسَى ٱلْمُفْضِلُ ٱلْمَوْلَى ٱلْكَرِيمُ بِمَنِّهِ

يَجُودُ عَلَىٰ ذَنْبِ ٱلْمُسِيئِينَ بِٱلْغَفْرِ

فَــإِحْسَــانُــهُ عَــمَّ ٱلْأَنَــامَ وَجُــودُهُ

عَلَىٰ كُلِّ مَوْجُودٍ وَإِفْضَالُهُ يَجْرِي

وَصَــلِّ عَلَــىٰ خَيْــرِ ٱلْبَــرِيَّــةِ كُلِّهَــا

مُحَمَّــدٍ ٱلْمَبْعُــوثِ بِــٱلْعُــذْرِ وَٱلنُّــذْرِ

نَبِــيِّ ٱلْهُــدَىٰ مَــنْ عَظَّــمَ ٱللهُ شَــأْنَــهُ

وَأَيَّــدَهُ بِــٱلْفَتْــحِ مِنْــهُ وَبِــٱلنَّصْــرِ

عَلَيْــهِ صَــلَاةُ ٱللهِ ثُــمَّ سَــلَامُــهُ

صَــلَاةً وَتَسْلِيمــاً إِلَــىٰ آخِــرِ ٱلــدَّهْــرِ

مَعَ ٱلْآلِ وَٱلْأَصْحَابِ مَا هَبَّتِ ٱلصَّبَا

وَمَا زَمْزَمَ ٱلْحَادِي وَمَا غَرَّدَ ٱلْقُمْرِي

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢/ ر)

ٱلْحَـــالُ يَـــا أَحْبَــابَنَـــا بِبَشَّـــارْ
ٱلْأَهْــلُ أَنْتُـــمْ وَٱلْحُمَـــاهْ وَٱلْجَـــارْ
جَــادَتْ عَلَيْكُــمْ صَيِّبَــاتُ ٱلْأَمْطَــارْ
مِــنْ رَحْمَـةِ ٱلـرَّبِّ ٱلْعَـزِيـزْ مِـدْرَارْ

* * *

لِلّٰهِ مِـــنْ أَحْبَـــابْ تَتْبَـــعْ أَحْبَـــابْ
عَلَــى ٱلْأَثَــرْ مِــنْ سَــادَةٍ وَأَصْحَــابْ
مَــا أَنْتُــمُ ٱلْأَغْـرَابْ بَـلْ نَحَـا أَغْـرَابْ
فِــي هَــذِهِ ٱلــدُّنْيَــا مَحَــلِّ ٱلْأَكْـدَارْ

* * *

دَارِ ٱلْفَنَـــا دَارِ ٱلْغُـــرُورْ وَٱلْـــزُّورْ
مَــا تَخْـدَعْ ٱلَّا كُـلَّ عَبِـدْ مَغْـرُورْ
مَــنْ لَا بَصِيـرَهْ لُــهْ وَلَا مُعُــهْ نُــورْ
لَـوْ كَـانْ يُبْصِـرْ لَٱعْتَبَـرْ بِمَـنْ صَـارْ

*　*　*

بِمَـــنْ غَـــدَا لِلتُّـــرْبِ وَٱلْمَقَـــابِـــرْ
مِـــنَ ٱلْأَصَـــاغِـــرْ وَمِـــنَ ٱلْأَكَـــابِـــرْ
وَٱلْبِعِـــثْ بَعْـــدَ ٱلْمَـــوتْ لِلْمَحَـــاشِـــرْ
فَرِيقْ فِي ٱلْجَنَّهْ وْفَرِيقْ فِي ٱلنَّارْ

*　*　*

يَـــا أَهْـــلَ ٱلْبَـــرَازِخْ بَـــرْزَخِ ٱلسَّـــلَامَـــهْ
وَٱلـــرَّوحْ وَٱلـــرَّيْحَـــانْ وَٱلْكَـــرَامَـــهْ

لَا دَاخَلَتْكُمْ حَسْرَةُ ٱلنَّدَامَهْ

وَلَا بِرِحْتُمْ فِي سُرُورْ وَٱنْوَارْ

* * *

مَتَىٰ مَتَىٰ يَا أَحْبَابَنَا ٱلتَّلَاقِي

مِنْ بَعْدْ طُولِ ٱلْبُعْدِ وَٱلْفِرَاقِ

مَا حَدْ عَلَى ٱلدُّنْيَا ٱلْغَرُورْ بَاقِي

وَٱلْمَوْتُ تُحْفَةْ كُلِّ عَبِدْ مُخْتَارْ

* * *

يَصْبِرْ عَلَى ٱلطَّاعَاتْ وَٱلْقَنَاعَهْ

وَٱلْفَقِرْ وَٱلْإِقْلَالْ وَٱلْمَجَاعَهْ

فَمَا ٱلشَّجَاعَهْ غَيْرْ صَبِرْ سَاعَهْ

وَٱلْفَوْزْ فِي ٱلْعُقْبَىٰ لِكُلِّ صَبَّارْ

* * *

وَٱلْقَبْـــرُ إِمَّـــا رَوْضَـــةٌ نَعِيمَـــهْ

نَعَـــمْ وَإِلَّا حُفْـــرَةٌ جَحِيمَـــهْ

فَـاْعْمَـلْ لِنَفْسِـكْ لَا تَكُـنْ بَهِيمَـهْ

تَجْـرِي وَلَا تَـدْرِي بِعُظْـمِ ٱلْأَخْطَـارْ

* * *

فَـٱللهُ يَـرْحَـمْ جَمْعَنَـا بِفَضْلِـهْ

وَلَا يُعَـامِلْنَـا بِقِسْـطِ عَـدْلِـهْ

بِبَـرْكَـةِ ٱلْهَـادِي خِتَـامِ رُسْلِـهْ

أَحْمَـدْ إِمَـامِ ٱلْمُتَّقِيـنْ ٱلْأَبْـرَارْ

* * *

وقال رضي الله عنه :　　　　(٣/ ر)

ٱلشَّكُّ وَٱلْوَهْمُ رَأْسُ ٱلشَّرِّ وَٱلْحَذَرِ
وَٱلْجِدُّ وَٱلصَّبْرُ بَابُ ٱلْفَوْزِ وَٱلظَّفَرِ
وَٱلْعَزْمُ وَٱلْحَزْمُ لَا يُنْجِي مِنَ ٱلْقَدَرِ
سَلِّمْ هُدِيتَ لِمَاضِي ٱلْحُكْمِ وَٱصْطَبِرِ
وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

حَسِّنْ ظُنُونَكَ بِٱلْمَوْلَىٰ تَرَى ٱلْبُشْرَىٰ
فَٱلرَّبُّ عِنْدَ ظُنُونِ ٱلْعَبْدِ فَلْتَدْرَىٰ
جَاءَ ٱلْحَدِيثُ بِذَا فَٱصْغِ إِلَى ٱلذِّكْرَىٰ
وَٱلْبَسْ مِنَ ٱلصَّبْرِ سِرْبَالاً لَدَى ٱلضَّجَرِ
وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

لَا تَجْـزَعَـنَّ وَلَا تَيْـأَسْ مِـنَ الْفَـرَجِ
وَقُلْ إِذَا لَحَّ خَطْبُ ٱلضُّرِّ وَٱلْحَرَجِ
إِشْتَـدِّ أَزْمَـةُ إِنْ تَشْتَـدِّ تَنْفَـرِجِـي
فَـٱلْعُسْـرُ بِـٱلْيُسْرِ مَتْبُوعٌ عَلَـى ٱلْأَثَـرِ
وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ الْبُؤْسِ وَالضَّرَرِ

* * *

رَوِّحْ فُـؤَادَكَ مِـنْ هَـمٍّ وَمِـنْ حَـزَنِ
فَـإِنَّـهُ تَعَـبٌ لِلـرُّوحِ وَٱلْبَـدَنِ
وَٱرْجِعْ إِلَى ٱللهِ فِي ٱلسَّرَّاءِ وَٱلْمِحَنِ
رُجُـوعَ مُفْتَقِـرٍ مُضْطَـرٍّ مُنْكَسِـرِ
وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

كَمْ شِدَّةٍ ضَاقَ مِنْهَا ٱلصَّدْرُ وَٱلنَّادِي
تَخَوَّفَ ٱلْقَلْبُ مِنْهَا شَرَّهَا ٱلْعَادِي
أَمْسَتْ فَمَا أَصْبَحَتْ حَتَّىٰ بَدَا بَادِي
مِنْ لُطْفِ رَبِّكَ لَمْ يُبْقِ وَلَمْ يَذَرِ
وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

وَلِلنَّوَائِبِ وَٱلْأَكْدَارِ أَوْقَاتُ
إِذَا انْقَضَتْ تَنْقَضِي مِنْهَا إِقَامَاتُ
وَفِي ٱلتَّحَرُّكِ قَبْلَ ٱلْوَقْتِ آفَاتُ
فَٱسْكُنْ لَهَا وَٱرْتَقِبْ يَا قَلْبُ وَٱصْطَبِرِ
وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

وَإِنَّ قَـوْلَـكَ لِـمْ هَـٰـذَا وَكَيْـفَ وَهَـلْ

مِنْكَ ٱعْتِرَاضٌ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَزَّ وَجَلْ

قُـلْ قَـدَّرَ ٱللهُ مَـا شَـاءَ ٱلْإِلَـٰـهُ فَعَـلْ

إِذَا غُلِبْتَ كَمَا قَدْ صَحَّ فِي ٱلْخَبَرِ

وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

قُلْ حَسْبِيَ ٱللهُ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلَّذِي يَعْلَمْ

بِـٱلسِّـرِّ وَٱلْجَهْـرِ وَٱسْتَسْلِـمْ لَـهُ تَسْلَـمْ

وَلَا تَقُـلْ لَـوْ كَـذَا كَـانَ كَـذَا تَنْـدَمْ

وَٱرْضَ بِمُرِّ ٱلْقَضَا تَنْجُو مِنَ ٱلْخَطَرِ

وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

وربَّ أَمْـرٍ مَهُـولٍ يُضْجِـرُ ٱلْإِنْسَـانْ
فِي طَيِّهِ مُوجِبَاتُ ٱلْعَفْوِ وَٱلْغُفْـرَانْ
وَفِـي عَـوَاقِبِـهِ ٱلْخَيْـرَاتُ وَٱلْإِحْسَـانْ
فَٱرْمِ ٱلْعَوَاقِبَ وَٱدْخُلْ رَوْضَةَ ٱلْفِكَرِ
وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

وَبَشِّـرِ ٱلْقَلْـبَ بِـٱلْإِفْـرَاجِ وَٱلْفَـرَحِ
وَبِـٱلْعَـوَافِـي مِـنَ ٱلْأَكْـدَارِ وَٱلتَّـرَحِ
وَبِـٱلْمُنَـىٰ وَٱلْهَنَـا وَٱلْفَـوْزِ بِـٱلْمِنَـحِ
مِنْ فَضْلِ رَبِّكَ وَٱشْكُرْ مُدَّةَ ٱلْعُمُرِ
وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

قُلْ يَا سَمِيعَ ٱلدُّعَا يَا عَالِمَ ٱلْأَسْرَارْ

يَا كَاشِفَ ٱلضُّرِّ يَا غَفَّارُ يَا قَهَّارْ

يَا جَابِرَ ٱلْكَسْرِ يَا جَبَّارُ يَا سَتَّارْ

إِلَيْكَ فَوَّضْتُ أَمْرِي وَٱنْتَهَىٰ نَظَرِي

وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

يَا عُدَّتِي يَا رَجَائِي فِي ٱلْمُهِمَّاتِ

وَمَفْـزَعِـي وَمَـلَاذِي فِـي ٱلْمُلِمَّـاتِ

ضَاقَتْ بِمَا حَلَّ حَالَاتِي وَأَوْقَاتِي

فَٱكْشِفْهُ فِي عَجَلٍ يَا بَارِىءَ ٱلصُّوَرِ

وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

إِلَيْكَ وَجَّهْتُ وَجْهِي وَٱنْتَهَىٰ سَيْرِي

وَلَمْ أُرَجِّي لِكَشْفِ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّيْرِ

سِـــوَاكَ يَـا رَبُّ يَـا فَتَّـاحُ بِـاْلْخَيْـرِ

سُبْحَـانَـكَ ٱللهُ يَـا رُكْنِـي وَيَـا وَزَرِي

وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

يَـا ذَا ٱلْجَـلَالِ وَذَا ٱلْإِكْـرَامِ وَٱلْإِعْظَـامْ

يَا مَالِكَ ٱلْمُلْكِ يَا ذَا ٱلطَّوْلِ وَٱلْإِنْعَامْ

يَـا رَبُّ يَـا رَبُّ ثَبِّتْنَـا عَلَـى ٱلْإِسْـلَامْ

وَٱلْحَقِّ وَٱلصِّدْقِ وَٱحْفَظْنَا مِنَ ٱلْغِيَرِ

وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

إِنِّي سَأَلْتُكَ بِٱلْهَادِي ٱلنَّبِي ٱلطَّاهِرْ
مُحَمَّدِ ٱلْمُصْطَفَى اَلصَّابِرِ ٱلشَّاكِرْ
خَيْـرِ ٱلْبَـرِيَّـةِ مِـنْ بَـادٍ وَمِـنْ حَـاضِـرْ
أَنْ تَكْشِفَ ٱلضُّرَّ وَٱجْمَعْنِي عَلَىٰ وَطَرِي
وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

يَا خَاتِمَ ٱلرُّسْلِ يَا يَاسِينُ يَا طَـٰهَ
يَـا خِيـرَةَ ٱللهِ فِـي ٱلـدُّنْيَـا وَأُخْـرَاهَـا
يَا أَكْرَمَ ٱلْخَلْقِ يَا أَعْلَى ٱلْوَرَىٰ جَاهَا
نَـادَاكَ ذُو كُـرْبَـةٍ مِـنْ لُجَّـةِ ٱلْكَـدَرِ
وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلضَّرَرِ

* * *

يَا مَنْ هُوَ ٱلْعُرْوَةُ ٱلْوُثْقَىٰ لِمُعْتَصِمِ
وَمَنْ هُوَ ٱلنِّعْمَةُ ٱلْعُظْمَىٰ لِمُغْتَنِمِ
صَلَّىٰ وَسَلَّمَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ وَٱلْأُمَمِ
عَلَيْكَ دَأْباً وَبِٱلْآصَالِ وَٱلْبُكَرِ
وَٱسْأَلْ مِنَ ٱللهِ كَشْفَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلْضَّرَرِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٤/ ر)

ٱلْحَمْــدُ لِلهِ ٱلشَّهِيــدِ ٱلْحَــاضِــرِ
ٱلْـوَاحِـدِ ٱلْمَلِـكِ ٱلْعَـزِيـزِ ٱلْغَـافِـرِ

مُنْشِــي ٱلْبَـرَايَـا كُلِّهَــا وَمُعِيــدِهَــا
بِـٱلْبَعْـثِ فِـي ٱلْيَـوْمِ ٱلْعَبُـوسِ ٱلْآخِـرِ

وَمُخَلِّـــدِ ٱلْأَبْــرَارِ فِـــي جَنَّـــاتِـــهِ
وَجِـوَارِهِ فِـي خَيْـرِ عَيْـشٍ نَـاضِـرِ

وَمُخَلِّـــدِ ٱلْفُجَّـــارِ فِـــي نِيــرَانِـــهِ
وَجِـوَارِ إِبْلِيــسَ ٱللَّعِيــنِ ٱلْخَــاسِـرِ

سُبْحَــانَ رَبِّــكَ مِــنْ عَظِيــمٍ قَــادِرِ
مُتَصَــرِّفٍ فِـــي أَوَائِـــلٍ وَأَوَاخِـــرِ

كُـلُّ ٱلْخَـلاَئِـقِ سَـاجِـدُونَ لِـوَجْهِـهِ
طَـوْعـاً وَكَـرْهـاً بِـٱلْأَصِيـلِ وَبَـاكِـرِ

مَـلأَتْ بَـدَائِعُـهُ ٱلْـوُجُـودَ وَأَشْـرَقَـتْ
أَنْـــوَارُهُ بِظَـــوَاهِـــرٍ وَسَـــرَائِـــرِ

خَـصَّ ٱلـرِّجَـالَ ٱلْعَـارِفِيـنَ بِقُـرْبِـهِ
وَبَـــأُنْسِـــهِ أَهْـــلَ ٱلْمَقَـــامِ ٱلْعَـــاشِـــرِ

شُغِفُـوا بِـهِ وَٱسْتَغْـرَقُـوا فِـي ذِكْـرِهِ
طُـولَ ٱلـزَّمَـانِ بِكُـلِّ رُوحٍ طَـائِـرِ

مِثْلَ ٱلشَّرِيفِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْغَوْثِ ٱلَّذِي
يُسْمَـىٰ إِذَا يُـدْعَـىٰ بِعَبْـدِ ٱلْقَـادِرِ

وَٱلْعَارِفِ ٱلْقُطْبِ ٱلْمُقَدَّمِ فِي ٱلْوَرَىٰ
شَيْـخِ ٱلشُّيُـوخِ ٱلْمُسْتَقِيـمِ ٱلصَّـابِـرِ

وَٱلْحُجَّـــةِ ٱلْغَـــزَّالِ أُسْتَـــاذِ ٱلْمَـــلَا

مُحْيِـي عُلُـومِ ٱلـدِّيـنِ كَـمْ مِـنْ دَاثِـرِ

وَٱبْنِ ٱلرِّفَاعِيْ أَحْمَدَ ٱلْحَبْرِ ٱلَّذِي

قَـدْ كَـانَ كَـٱلْبَحْـرِ ٱلْخِضَـمِّ ٱلـزَّاخِـرِ

هَـٰذَا وَكَـمْ كَـمْ غَيْـرِهِـمْ مِـنْ سَـادَةٍ

مِمَّـنْ تَصَـوَّفَ فِـي ٱلـزَّمَـانِ ٱلْغَـابِـرِ

فَـــٱللهُ يَنْفَعُنَـــا وَيَحْفَظُنَـــا بِهِـــمْ

مِـــنْ شَـــرِّ كُـــلِّ مُخَـــالِـفٍ وَمُنَـــاكِـــرِ

يَـــا رَبِّ وَٱخْتِـــمْ بِـــٱلْيَقِيـــنِ وَتَـــوْبَـــةٍ

مَقْبُـــولَـــةٍ لِأَصَـــاغِـــرٍ وَأَكَـــابِـــرِ

ثُـــمَّ ٱلصَّـــلَاةُ عَلَـــى ٱلنَّبِـــيِّ مُحَمَّـــدٍ

مَـــا لَاحَ بَـــرْقٌ فِـــي سَحَـــابٍ مَـــاطِـــرِ

وَٱلْآلِ وَٱلصَّحْـبِ ٱلْكِـرَامِ وَتَـابِـعٍ

مِـنْ كُـلِّ صَبَّـارٍ مُنِيـبٍ شَـاكِـرِ

* * *



صور بعض مؤلفات الإمام الحداد رضي الله عنه

وقال رضي الله عنه : (٥/ر)

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي وَٱلْفُؤَادُ بِهِ نَارُ
وَفِي ٱلْعُمْرِ إِسْرَاعٌ وَفِي ٱلدَّهْرِ إِدْبَارُ

هَلِ ٱلْعَيْشُ فِي حَيِّ ٱلْأَحِبَّةِ عَائِدٌ
وَهَلْ قَدْ جَرَتْ بِٱلْعَوْدِ يَا سَعْدُ أَقْدَارُ

فَقَدْ مَنَعَتْنِي عَنْ لِقَاهُمْ مَوَانِعٌ
وَقَدْ قَصُرَتْ بِي دُونَ ذَلِكَ أَعْذَارُ

وَلِي أَرَبٌ لَمْ يَنْقَضِي بَعْدُ فِي ٱلْحِمَىٰ
وَلِي ثَمَّ أَحْبَابٌ وَلِي ثَمَّ أَوْطَارُ

وَلِي شَجَنٌ فِيهِمْ وَلِي وَلَعٌ بِهِمْ
وَلِي مَدْمَعٌ فِي ٱلْخَدِّ لِلْبُعْدِ مِدْرَارُ

وَلِـي زَفْـرَةٌ تَعْلُـو مَتَـىٰ مَـا ذَكَـرْتُهُـمْ

وَكَـمْ بِـيَ مِـنْ فَـرْطِ ٱلصَّـبَابَـةِ آثَـارُ

أَسِـيرُ هَـوىً تَسْمُـو بِـهِ نَسْمَـةُ ٱلصَّبَا

إِذَا مَا سَرَتْ مِنْ حَيِّهِمْ وَهْيَ مِعْطَارُ

تُــذَكِّــرُهُ قُــرْبَ ٱلْأَحِبَّــةِ وَٱللِّقَــا

سُحَيْراً إِذَا غَنَّتْ عَلَى ٱلْأَيْكِ أَطْيَارُ

وَيَـأْخُـذُهُ كَـٱلسُّكْـرِ طِيْبـاً وَنَشْـوَةً

إِذَا ذُكِـرُوا وَٱلـرَّاحُ ذِكْـرٌ وَتَـذْكَـارُ

رَعَـى ٱللهُ جِيـرَانَ ٱلْأَبَـاطِـحِ وَٱلصَّفَـا

فَقَدْ جَاوَرُونِي بِٱلْجَمِيلِ وَمَا جَارُوا

وَأَمَّـا هَـوَاهُـمْ وَٱلْغَـرَامُ فَقَـدْ سَطَـا

عَلَــيَّ وَلَا لَــوْمٌ عَلَيْهِــمْ وَلَا عَــارُ

فَإِنِّي رَضِيتُ ٱلْمَوْتَ فِيهِمْ صَبَابَةً

وَإِنِّـــي مُـــرْتَـــادٌ لِـــذَاكَ وَمُخْتَـــارُ

وَلَا أَنْثَنِـــي عَـــنْ حُبِّهِـــمْ وَوِدَادِهِـــمْ

وَإِنْ طَـالَـتِ ٱلْأَيَّـامُ وَٱنْتَـزَحَ ٱلـدَّارُ

وَمَـا أَنَـا بِـٱلنَّـاسِـي عُهُـودَ أَحِبَّتِـي

وَإِنْ لَمْ أَزُرْهُمْ فِي ٱلزَّمَانِ وَلَا زَارُوا

فَقَـدْ خَـالَطَـتْ كُلِّـي بَشَـاشَـةُ حُبِّهِـمْ

وَهُمْ فِي رُبَىٰ قَلْبِي سُكُونٌ وَحُضَّارُ

بَقِيَّـةُ قَـوْمٍ قَـدْ مَضَـوْا وَخَلَفْتُهُـمْ

وَهُمْ خَلَّفُونِي فِي ٱلْحِمَىٰ عِنْدَمَا سَارُوا

وَمُقْتَبِـسٌ مِـنْ نُـورِهِـمْ وَبِسِـرِّهِـمْ

عُنِيـتُ وَأَنْـوَارٌ لَـدَيْهِـمْ وَأَسْـرَارُ

وَلَيْسَ مَعِي إِلَّا انْكِسَارٌ وَذِلَّةٌ
وَفَقْرٌ وَذَنْبٌ وَٱلْمُهَيْمِنُ غَفَّارُ

وَلِي أَمَلٌ فِي ٱللهِ جَلَّ جَلَالُهُ
وَظَنٌّ جَمِيلٌ لَمْ تُغَيِّرْهُ أَغْيَارُ

وَلِي مِنْ رَسُولِ ٱللهِ جَدِّي عِنَايَةٌ
وَوَجْهٌ وَإِمْدَادٌ وَإِرْثٌ وَإِيثَارُ

عَلَيْهِ صَلَاةُ ٱللهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
يَدُورُ بِهَا بَعْدَ ٱلْعَشِيَّةِ إِبْكَارُ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٦/ ر)

أَلَا يَا صَاحْ يَاصَاحْ ، لَا تَجْزَعْ وَتَضْجَرْ

وَسَلِّمْ لِلْمَقَادِيرْ ، كَيْ تُحْمَدْ وَتُؤْجَرْ

وَكُنْ رَاضِي بِمَا قَدَّ،رَ ٱلْمَوْلَىٰ وَدَبَّرْ

وَلَا تَسْخَطْ قَضَا ٱللهْ ، رَبِّ ٱلْعَرِشْ ٱلْأَكْبَرْ

وَكُـنْ صَـابِـرْ وَشَـاكِـرْ

تَكُـنْ فَـايِـزْ وَظَـافِـرْ

وَمِـنْ أَهْـلِ ٱلسَّـرَائِـرْ

رِجَـالُ ٱللهْ مِـنْ كُلِّ ، ذِي قَلْبٍ مُنَـوَّرْ

مُصَفَّىٰ مِنْ جَمِيعِ ٱلدَّنَسْ طَيِّبْ مُطَهَّرْ

فَصْلٌ

وَذِهْ دُنْيَـا دَنِيَّـهْ ، حَـوَادِثْهَـا كَثِيـرَهْ

وَعِيشَتْهَـا حَقِيـرَهْ ، وَمُـدَّتْهَـا قَصِيـرَهْ

وَلَا يَحْرِصْ عَلَيْهَا ، سِوَىٰ أَعْمَى ٱلْبَصِيرَهْ

عَدِيمِ ٱلْعَقِلْ لَوْ كَانْ ، يَعْقِلْ كَانْ أَفْكَرْ

يُفَكِّـرْ فِـي فَنَـاهَـا

وَفِـي كَثْـرَةْ عَنَـاهَـا

وَفِـي قِلَّـةْ غِنَـاهَـا

فَطُوبَىٰ ثُمَّ طُوبَىٰ ، لِمَنْ مِنْهَا تَحَذَّرْ

وَطَلَّقْهَا وَفِي طَا ، عَةِ ٱلرَّحْمَـٰنْ شَمَّرْ

فصل

أَلَا يَا عَيْنْ جُودِي ، بِدَمْعٍ مِنْكِ سَائِلْ

عَلَىٰ ذَاكَ ٱلْحَبِيبِ ٱلَّذِي قَدْ كَانْ نَازِلْ

مَعَانَا فِي ٱلْمَرَابِعْ ، وَأَصْبَحْ سَفِرْ رَاحِلْ

وَأَمْسَى ٱلْقَلْبُ وَٱلْبَالْ ، مِنْ بَعْدِهْ مُكَدَّرْ

وَلَـٰكِـــنْ حَسْبِــيَ ٱللَّهْ

وَكُـــلُّ ٱلْأَمِـــرْ لِلَّهْ

وَلَا يَبْقَـــىٰ سِـــوَى ٱللَّهْ

عَلَىٰ بَشَّارْ جَادَتْ ، سَحَائِبْ رَحْمَةِ ٱلْبَرّْ

وَحَيَّاهُمْ بِرَوْحِ ٱلرِّضَا رَبِي وَبَشَّرْ

فَصْلٌ

بِهَا سَادَاتُنَا وَٱلشُّيُوخُ ٱلْعَارِفُونَا

وَأَهْلُونَا وَأَحْبَابْ ، قَلْبِي نَازِلُونَا

وَمَنْ هُمْ فِي سَرَائِرْ ، فُؤَادِي قَاطِنُونَا

بِسَاحَهْ تُرْبُهَا مِنْ ، ذَكِيِّ ٱلْمِسْكِ أَعْطَرْ

مَنَازِلْ خِيْرْ سَادَهْ

لِكُلِّ ٱلنَّاسْ قَادَهْ

مَحَبَّتْهُمْ سَعَادَهْ

أَلَا يَا بَخِتْ مَنْ زَارَهُمْ بِٱلصِّدِقْ وَٱنْدَرْ

إِلَيْهِمْ مُعْتَنِي كُلُّ مَطْلُوبُهْ تَيَسَّرْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٧/ ر)

إِلَيْكَ يَا رَبِّ يَا عَالِمْ بِذَاتِ ٱلصُّدُورْ
إِلَيْكَ يَا رَبِّ يَا مَنْ لُهْ تَصِيرُ ٱلْأُمُورْ
إِلَيْكَ يَا رَبَّنَا أَنْتَ ٱلْعَفُوُّ ٱلْغَفُورْ
إِلَيْكَ بَأَهْلِ ٱلْكِسَا ٱلْمُخْتَارِ بَدْرِ ٱلْبُدُورْ
(مُحَمَّدِ) ٱلطُّهْرِ ذِي نُورُهْ طَمَسْ كُلَّ نُورْ
وَبِٱلرَّضِيِّ ٱلَّذِي يَسْقِي ٱلشَّرَابَ ٱلطَّهُورْ
غَداً مِنَ ٱلْحَوْضْ يَوْمَ ٱلْبَعِثْ يَوْمَ ٱلنُّشُورْ
وَبِٱبْنَةِ ٱلْمُصْطَفَى ٱلزَّهْرَا ٱلْبَتُولِ ٱلصَّبُورْ
وَبِٱلْحَسَنْ ذِي زِهِدْ فِي مُلُكْ دَارِ ٱلْغُرُورْ
وَبِٱلْحُسَيْنِ ٱلَّذِي غَدْرُوا بُهْ أَهْلُ ٱلْفُجُورْ

شَهِيدْ بِٱلطَّفِّ فَائِزْ بِٱلرِّضَا وَٱلسُّرُورْ

وَرَاحْ قَاتِلُهْ يَدْعُو فِي لَظَىٰ بِٱلثُّبُورْ

نَسْأَلَكْ بَأَهْلِ ٱلْكِسَا يَا رَبِّ تَكْفِي ٱلشُّرُورْ

وَأَنْزِلْ لَنَا ٱلْغَيْثْ يَسْقِي ٱلنَّخِلْ يَسْقِي ٱلذُّبُورْ

تَحْيَا بِهِ ٱلْأَرِضْ يُرْوِي ٱلْجَدِبْ يُرْوِي ٱلدُّثُورْ

وَوَفِّقِ ٱلْحَيَّ مِنَّا وَٱرْحَمَ أَهْلِ ٱلْقُبُورْ

تَمَّتْ وَصَلُّوا عَلَى أَحْمَدْ يَا جَمِيعَ ٱلْحُضُورْ

وَسَلِّمُوا كُلَّمَا ٱلْقُمْرِيْ سَجَعْ فِي ٱلْوُكُورْ

وَكُلَّمَا سَارْ حَادٍ قَصِدْ طَيْبَهْ يَزُورْ

* * *

وقال رضي الله عنه :

(٨/ ر)

أَنْتُــــمُ لِلْعَيْــــنِ وَٱلْأَثَــــرِ

مُنْتَهَــى ٱلْآمَــالِ وَٱلْــوَطَــرِ

يَــا سُكُــونــاً فِــي ٱلسَّــرَائِــرِ مِــنْ

سِــرِّ سِــرِّي لَا مِــنَ ٱلنَّظَــرِ

عَطْفَــــةً يَهْــــدَأُ بِهَــــا قَلِــــقٌ

ضَــاعَ مِنْــهُ ٱلْعُمْــرُ فِــي ٱلسَّفَــرِ

لَــمْ يَــزَلْ فِــي لُــجِّ فِكْــرَتِــهِ

رَاكِبــاً لِلْهَــوْلِ وَٱلْخَطَــرِ

سَــائِحــاً فِــي بَــرٍّ مُعْتَبِــرِ

وَيْــحَ مَقْصُــورٍ عَلَــى ٱلْفِكَــرِ

هَٰكَــذَا فِــي طُــولِ مُــدَّتِــهِ
طَــائِفــاً فِــي ٱلْحَــادِثِ ٱلــدَّثِــرِ
أَيْــنَ عِلْــمُ ٱلْكَشْــفِ مِــنْ نَظَــرٍ
أَيْــنَ رَأْيُ ٱلْعَيْــنِ مِــنْ خَبَــرِ
أَيْــنَ أَيْــنَ ٱلْمُهْمَــلَانِ عُــلاً
وَٱنْخِفَــاضــاً فَــٱرْمِ بِــٱلْبَصَــرِ
إِنَّ سِــــــرَّ ٱللهِ مُسْتَتِــــــرٌ
فِــي جَمِيــعِ ٱلْكَــوْنِ وَٱلْبَشَــرِ
فَــٱقْطَــعِ ٱلْحُجْــبَ ٱلْكَثِيفَــةَ بِــٱلسَّـ
ـيْــرِ عَنْهَــا غَيْــرَ مُقْتَصِــرِ
وَٱقْطَــعِ ٱلْحُجْــبَ ٱللَّطِيفَــةَ بِــٱلسَّـ
ـيْــرِ فِيهَــا غَيْــرَ مُغْتَــرِرِ

فَــــإِذَا جَــــاوَزْتَ مُـــــرْتَقِيــــاً

سِــــــدْرَةَ ٱلْأَسْــــــرَارِ وَٱلْقَـــــدَرِ

فَتَـــــوَقَّـــــفْ وَٱنْتَظِـــــرْ عَلَمــــاً

مِـــــنْ عُلُـــومِ ٱلْأَمْـــــرِ وَٱدَّكِــــرِ

وَٱحْتَفِـــظْ بِـــٱلشَّـــرْعِ وَٱبْـــغِ بِـــهِ

حُكْـــمَ رَبِّ ٱلْعَـــرْشِ فِـــي ٱلصُّـــوَرِ

دِيـــنَ خَيْـــرِ ٱلْخَلْـــقِ أَشْـــرَفِهِـــمْ

سَيِّـــــدِ ٱلسَّــــادَاتِ مِـــــنْ مُضَــــرِ

صَلَــــــــــوَاتُ ٱللهِ تَبْلُغُـــــــــــهُ

مَــا تَغَنَّـــى ٱلْـــوُرْقُ فِـــي ٱلشَّجَــرِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٩/ ر)

أَنَـاْ فِـي شُغْـلٍ عَـنِ ٱلنَّـاسِ وَعَـنْ
كُـلِّ مَـا هُـمْ فِيـهِ مِـنْ خَيْـرٍ وَشَـرْ

عَمَلِـي لِـيْ وَلَهُـمْ أَعْمَـالُهُـمْ
وَبِعَيْـنِ ٱللهِ مَـنْ بَـرَّ أَوْ فَجَـرْ

وَإِلَـى ٱللهِ حِسَـابُ ٱلْكُـلِّ فِـي
يَـوْمِ نَـارُ ٱللهِ تَـرْمِـي بِـٱلشَّـرَرْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (ر/١٠)

إِنْ كَانَ هَٰذَا ٱلَّذِي أُكَابِدُهُ
يَبْقَىٰ عَلَيَّ فَلَسْتُ أَصْطَبِرُ
مَا أَنَا مِنْ حَجَرٍ وَلَا مَدَرٍ
مَا أَنَا إِلَّا كَمَا تَرَىٰ بَشَرُ
لِيْ مَشْرَبٌ سَائِغٌ فَكَدَّرَهُ
شَوْبٌ مِنَ ٱلنَّفْسِ خَلْطُهُ كَدَرُ
مُرُّ ٱلْمَذَاقِ وَإِنَّ غُصَّتَهُ
مِنْ دُونِهَا يَكُنِ ٱلضَّرِيعُ وَٱلصَّبِرُ
لَا أَشْتَكِيكَ إِلَى ٱلَّذِينَ هُمُ
عِنْدِي ٱلْهَبَاءُ إِذَا ٱنْتَهَى ٱلنَّظَرُ

إنْ مِلْتُ يَوْماً بِحُكْمِ طَارِقَةٍ

ٱلْآنَ مِنْهَا إِلَيْكَ أَعْتَذِرُ

مَا ثَمَّ غَيْرُكَ وَٱلْحِجَابُ عَلَىٰ

طَوَائِفٍ فِي جُسُومِهِمْ حُصِرُوا

أُولَٰئِكَ ٱلْقَاصِرُونَ لَوْ عَلِمُوا

مَا عَلِمَ ٱلْعَارِفُونَ مَا عُذِرُوا

كَأَنَّ مَنْ فَوْقَ هَٰذِهِ عَدَمٌ

لَمْ يُوجَدُوا أَوْ كَأَنَّهُمْ قُبِرُوا

مَشَاهِدٌ بِٱلْفُؤَادِ أَشْهَدُهَا

مِنْ بَاطِنِ ٱلْعِلْمِ دُونَهَا ٱلنَّظَرُ

كَٱلْجُودِ إِنْ آمَنُوا وَإِنْ شَكَرُوا

وَٱلْقَهْرِ إِنْ كَذَّبُوا وَإِنْ كَفَرُوا

وَٱلْعَــدْلِ إِنْ عُــذِّبُــوا وَإِنْ هُتِكُــوا

وَٱلْفَضْــلِ إِنْ رُحِمُــوا وَإِنْ سُتِــرُوا

لَا أَجْهَــلُ ٱلْحِكْمَــةَ ٱلَّتِــي بَــرَزَتْ

فِــي ضِمْــنِ إِيجَــادِهِــمْ وَلَا أَذَرُ

ٱلْجَبْــــرُ وَٱلْإِعْتِــــزَالُ مُطَّــرَحٌ

فَــٱلْمَــذْهَبَــانِ كِــلَاهُمَــا ضَــرَرُ

أَنْفِــي وَأُثْبِــتُ غَيْــرَ مُكْتَــرِثٍ

بِقَــوْلِ مَــنْ قَــالَ إِنَّ ذَا خَطَــرُ

وَٱلْمَــذْهَــبُ ٱلْمُسْتَقِيــمُ أَذْهَبُــهُ

نَــصَّ ٱلْكِتَــابُ وَصَــرَّحَ ٱلْخَبَــرُ

صِــرْفُ ٱلْيَقِيــنِ وَمَحْــضُ مَعْــرِفَــةٍ

خُــصَّ ٱلشُّهُــودُ وَعُمِّــمَ ٱلْقَــدَرُ

مَـا أُدْخِـلُ ٱلشَّـكَّ بَيْـتَ مُعْتَقَـدِي
أُغْلِقُـــهُ وَتَـــدُقُّـــهُ ٱلْغِيَـــرُ
هَـٰـذَا ٱلَّـذِي مِـنْ أَجْلِـهِ جَـزِعَـتْ
نَفْسِـي وَصَـارَ قَـرِينَهَـا ٱلْضَّجَـرُ
يَـا مَلْجَئِـي لَا أَقُـولُ فِـي حَـرَجٍ
بَــلْ لَا أَزَالُ إِلَيْــكَ مُفْتَقِـــرُ
دُهِيـتُ بِـٱلْحُمْـقِ إِنْ زَوَيْـتُ وَقَـدْ
صَـرَّفْتَنِـي فِـي ٱلْـوُجُـودِ أَفْتَخِـرُ
رِدَائِـيَ ٱلـذُّلُّ مَـا حَيِيـتُ كَمَـا
أَنِّـي بِعَجْـزِيَ أَصْبَحْـتُ مُتَّـزِرُ
وَصْـفُ ٱلْعَبِيـدِ وَلَا أُفَـارِقُـهُ
حَسْبِـي بِـهِ وَعَلَيْـهِ أَفْتَقِـرُ

يَــا رَبُّ يَــا أَمَلِــي وَيَــا عَضُــدِي

يَــا مَلْجَئِــي يَــا مَــلَاذُ يَــا وَزَرُ

كَــمْ لَــكَ مِــنْ مِنَّــةٍ وَمِــنْ نِعَــمٍ

عَلَــيَّ تَتْــرَىٰ مَــوَاهِــبٌ غُــرَرُ

لَــوْ كَــانَ لِــيْ عُمْــرُ ٱلــدُّنَــا وَمَضَــىٰ

فِــي ٱلشُّكْــرِ كَــانَ يَفُــوقُــهُ ٱلْعُشُــرُ

لَــٰكِنَّنِــي قَــدْ بَقِيــتُ مُعْتَــرِفــاً

بِٱلْعَجْزِ فِي ٱلشُّكْرِ فَٱنْتَفَى ٱلْحَذَرُ

عَــامَلْتَنِــي بِــٱلْجَمِيــلِ مُبْتَــدِئــاً

جَعَلْتَنِــــي أَثَــــراً وَمَــــا أَثَــــرُ

مَــا كَــادَتِ ٱلْفَــانِيَــاتُ تُــوقِفُنِــي

إِلَّا زَوَتْهَــــا ٱلْعُلُــــومُ وَٱلْفِكَــــرُ

وَلَا أَتَـــانِـــي ٱللَّعِيـــنُ يَفْتِنُنِـــي

إِلَّا رَمَـــاهُ مِـــنَ ٱلْعُـــلَا شَـــرَرُ

لِلهِ فِـــي خَلْقِـــهِ سَـــرَائِـــرُ لَا

تُحْصَـــىٰ وَلَا يَهْتَـــدِي لَهَـــا ٱلْبَصَـــرُ

لِلسِّـــرِّ قَـــوْمٌ لِحَمْلِـــهِ صَلُحُـــوا

كَـــمْ مِـــنْ خَبِيـــرٍ نَصِيبُـــهُ ٱلْخَبَـــرُ

* * *

وقال رضي الله عنه :

(١١/ ر)

بَصُرْتُ بِرَكْبِ ٱلْحَيِّ لِلْحَيِّ سَائِراً
فَقُلْتُ لَهُمْ مَا حَالُ ذَاتِ الْغَدَائِرِ

مُحَجَّبَةِ الْحُسْنِ ٱلْبَدِيعِ الَّذِي غَدَا
بِهَا كُلُّ صَبٍّ وَالِهَ ٱلْقَلْبِ حَائِرِ

أَلَا فَٱشْرَحُوا لِي حُسْنَهَا وَجَمَالَهَا
فَأَوْصَافُهَا تَحْلُو لِسَمْعِي وَخَاطِرِي

فَقَالُوا تَرَىٰ فِي ذِكْرِهَا بَعْضَ سَلْوَةٍ
لِعَاشِقِهَا دُونَ ٱلشُّهُودِ بِنَاظِرِ

هَلُمَّ نَجُدُّ ٱلسَّيْرَ نَحْوَ خِبَائِهَا
لِنَحْظَىٰ بِهَا مَا بَيْنَ تِلْكَ ٱلْمَشَاعِرِ

فَقُلْتُ لَهُمْ فِي ذِكْرِ أَوْصَافِ حُسْنِهَا

تَيَقُّظُ مَحْجُوبٍ وَتَنْشِيطُ سَائِرِ

رَعَى اللهُ أَيَّاماً تَقَضَّى نَعِيمُهَا

وَتَذْكَارُهَا مَا زَالَ نُصْبَ سَرَائِرِي

خَلِيلَيَّ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ لِلَيَالِيٍ

تَوَلَّتْ فَإِنِّي بَعْدَهَا غَيْرُ صَابِرِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٢/ر)

بِنَفْسِيَ أَفْدِي خَيْرَ مَنْ وَطِىءَ الثَّرَىٰ
نَبِيَّ ٱلْهُدَىٰ بَحْرَ ٱلنَّدَىٰ سَيِّدَ ٱلْوَرَىٰ

خِتَـامَ ٱلنَّبِيِّيـنَ ٱلْكِـرَامِ جَمِيعِهِـمْ
حَبِيـبَ إِلَـٰـهِ ٱلْعَـالَمِيـنَ بِـلَا مِـرَا

أَمِيـنٌ وَمَـأْمُـونٌ عَلَـىٰ وَحْـيِ رَبِّـهِ
وَتَنْـزِيلِـهِ ٱلْقُـرْآنَ عِصْمَـةَ مَـنْ قَـرَا

أَتَـاهُ أَمِيـنُ ٱللهِ جِبْـرِيـلُ جَهْـرَةً
وَكَـانَ لِـرَبِّ ٱلْعَـرْشِ يَعْبُدُ فِـي حِـرَا

وَأَسْرَىٰ بِهِ ٱلرَّبُّ ٱلْعَظِيمُ إِلَى ٱلْعُـلَا
فَسُبْحَانَ مَنْ أَسْرَىٰ وَبُورِكَ مِنْ سَرَىٰ

إِمَامٌ لَـهُ ٱلتَّقْـدِيـمُ فِـي كُـلِّ حَضْـرَةٍ

مُعَظَّمَـةٍ مَـرْفُـوعَـةِ ٱلْقَـدْرِ وَٱلـذُّرَىٰ

خَلِيــلٌ صَفِــيٌّ ٱللهِ مَخْتَــارُ قُــرْبِــهِ

وَرُؤْيَتِـهِ ، هَـٰذَا ٱلْحَـدِيثُ كَمَا جَـرَىٰ

حَبِيبِــي رَسُــولَ ٱللهِ إِنِّــي نَـزِيلُكُــمْ

عَلَىٰ بَابِكُمْ أَرْجُو ٱلضِّيَافَةَ وَٱلْقِرَىٰ

حَبِيبِــي رَسُــولَ ٱللهِ إِنِّــي عُبَيْـدُكُــمْ

فَقِيــرٌ ضَعِيــفٌ لَا أُطِيــقُ تَصَبُّــرَا

حَبِيبِــي رَسُــولَ ٱللهِ إِنِّــي سَلِيلُكُــمْ

وَلِي رَحِمٌ يَدْرِي بِهَا كُلُّ مَنْ دَرَىٰ

حَبِيبِــي رَسُــولَ ٱللهِ إِنِّــي قَصَـدْتُكُـمْ

لِكَشْـفِ مُهِـمٍّ فِـي مَـرَابِعِنَـا طَـرَا

حَبِيبِــي رَسُــولَ ٱللهِ قَــادَتْــهُ فِــرْقَــةٌ

مُضَلِّلَــةٌ لَيْسَــتْ لِنُــورِ ٱلْهُــدَىٰ تَــرَىٰ

حَبِيبِــي رَسُــولَ ٱللهِ كُــنْ شَــافِعــاً لَنَــا

إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرَّحْمَـٰنِ أَحْسَنِ مَنْ بَرَا

فَسَلْــهُ لَنَــا وَٱدْعُــهْ لَنَــا أَنْ يُغِيثَنَــا

وَيَــرْحَمَنَــا إِنَّ ٱلْمَعَــاشَ تَكَــدَّرَا

بِجَــدْبٍ وَقَحْــطٍ قَــدْ تَمَــادَىٰ وَفِتْنَــةٍ

وَجَــوْرِ وُلَاةٍ أَلْصَــقَ ٱلْكُــلَّ بِــٱلْعَــرَا

فَسَلْهُ تَعَالَىٰ يُبْدِلُ ٱلْجَدْبَ وَٱلْغَلَا

بِخِصْبٍ وَرُخْصٍ فِي ٱلْمَدَائِنِ وَٱلْقُرَىٰ

وَيُصْلِــحْ وُلَاةَ ٱلْأَمْــرِ عِنْــدَ فَسَــادِهِــمْ

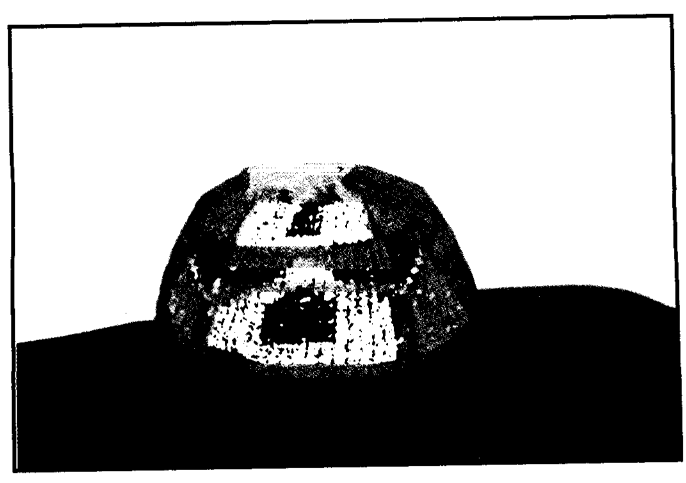
وَيُــوقِظُهُــمْ لِلْعَــدْلِ مِــنْ سِنَــةِ ٱلْكَــرَىٰ

فَيَـا رَبُّ يَـا رَحْمَٰـنُ شَفِّـعْ نَبِيَّنَـا
رَسُولَكَ فِينَا وَٱكْفِ مَنْ جَارَ وَٱجْتَرَا
وَلَا تُبْقِنَـا يَـا رَبَّنَـا عُـرْضَـةً لَهُـمْ
وَهَدْفَ مَرَامِي كُلِّ مَنْ خَانَ وَٱمْتَرَىٰ
وَخُذْ بِنَوَاصِينَا إِلَى ٱلْحَقِّ وَٱلْهُدَىٰ
وَٱخْتِمْ لَنَا بِٱلْخَيْرِ إِنْ أَزْمَعَ ٱلسُّرَىٰ
فَـإِنَّـكَ مَـوْلَانَـا وَإِنَّـكَ رَبُّنَـا
وَسَيِّـدُنَـا وَٱلْقَصْـدُ فِـي كُـلِّ مَـا عَـرَا
وَصَـلِّ عَلَـىٰ رُوحِ ٱلْحَبِيـبِ مُحَمَّـدٍ
وَسَلِّـمْ وَبَـارِكْ كُلَّمَـا بَـارِقٌ شَـرَىٰ
مَعَ ٱلْآلِ وَٱلْأَصْحَابِ وَٱلتَّابِعِينَ مَا
جَرَى ٱلسَّيْلُ فِي وَادٍ وَمَا ٱلْمُزْنُ أَمْطَرَا

وَتَمَّــتْ وَفَــاحَ ٱلْحَمْــدُ لِلَّهِ خَتْمُهَــا

عَبِيــراً وَمِسْكــاً لِلْــوُجُــودِ مُعَطِّــرَا

* * *



صورة طاقية الإمام الحداد رضي الله عنه،
وقد أضيف لها لاحقاً الحرير الأخضر لحفظها

وقال رضي الله عنه : (١٣/ ر)

حُيِّيتَ يَا مَرْبَعَ ٱلْأَحْبَابْ

بِٱلسَّفْحِ مِنْ وَادِي ٱلسِّدْرِ

وَٱلرَّاكْ وَٱلنَّخِلْ وَٱلْأَعْشَابْ

وَٱلضَّرِعْ وَٱلزَّرِعْ وَٱلثُّمْرِ

وَٱلْغِيدْ وَٱلْخُرَّدِ ٱلْأَتْرَابْ

قَوَاصِرِ ٱلطَّرْفِ فِي ٱلْخِدْرِ

وَٱلسَّادَةِ ٱلْقَادَةِ ٱلْأَنْجَابْ

مَرْفُوعِي ٱلْقَدْرِ وَٱلذِّكْرِ

* * *

فَصْلٌ

يَــــا وَادِيَ ٱلــــرَّوْحْ وَٱلــــرَّحْمَــــهْ

وَٱلنُّــــورْ وَٱلْخَيْــــرْ وَٱلْأَلْطَــــافْ

وَٱلْخِصْــــبِ وَٱلْيُسْــــرِ وَٱلنِّعْمَــــهْ

مُسْتَــــوْطَــــنِ ٱلسَّــــادَةِ ٱلْأَشْــــرَافْ

أَهْــــلِ ٱلْمُــــرُوءَاتِ وَٱلْهِمَّــــهْ

وَٱلْجُــــودِ وَٱلْفَضْــــلِ وَٱلْإِنْصَــــافْ

سَقَــــاكْ يَــــا وَادِيَ ٱلْــــوَهَّــــابْ

بِكُــــلِّ مُغْــــدَوْدِقٍ غَمْــــرِ

* * *

فصل

وَادِي ٱبْــنِ رَاشِــدْ مُنَــىٰ قَلْبِــي

وَرَاحَـــةُ ٱلـــرُّوحْ وَٱلْخَـــاطِـــرْ

لَا زَالْ مَظْلُـــولْ بِـــٱلسُّحْـــبِ

مَطْلُـــولْ مِـــنْ صَيِّـــبِ ٱلْمَـــاطِـــرْ

مُخْضَـــرَّ بِـــٱلـــزَّرْعِ وَٱلْعُشْـــبِ

يَـــرُوقُ لِلنَّفْـــسِ وَٱلنَّـــاظِـــرْ

مَعْمُـــورْ بِـــٱلْعِلِـــمِ وَٱلْآدَابْ

وَٱلْعَـــدْلِ وَٱلْبِـــرِّ وَٱلشُّكْـــرِ

* * *

فَصْلٌ

قَــدْ كُنْــتَ يَــا وَادِيَ ٱلْأَنْــوَارْ
مَشْحُــونْ بِــٱلْخَيْــرِ وَٱلْأَخْيَــارْ
خَــالٍ عَــنِ ٱلشُّــوْشِ وَٱلْأَكْــدَارْ
مَــا تَحْــوِي ٱلشَّــرَّ وَٱلْأَشْــرَارْ
حَتَّــىٰ دَهَــانَــا زَمَــانُ ٱلْعَــارْ
بِخَلْــفِ سُــوءٍ مِــنَ ٱلْأَغْمَــارْ
مِــنْ كُــلِّ مَفْتُــونْ بِــٱلْأَسْبَــابْ
خَــالٍ عَــنِ ٱلْحَــقِّ وَٱلصَّبْــرِ

* * *

فَصْلٌ

هُــمْ شَـــوَّشُــوا عَيْــشَ وَادِينَــا

بِـــٱلظُّلُـــمْ وَٱلْبَغْـــيِ وَٱلْعُـــدْوَانْ

وَكَـــدَّرُوا صَفْـــوَ نَـــادِينَـــا

بِـــٱلْحِـــرْصِ وَٱلشُّـــحِّ وَٱلطُّغْيَـــانْ

يَــا سَيِّــدَ ٱلــرُّسْــلِ هَــادِينَــا

هَيَّـــا بِغَـــارَهْ إِلَيْنَـــا ٱلْآنْ

يَـــا هِمَّـــةَ ٱلسَّـــادَةِ ٱلْأَقْطَـــابْ

مَعَـــادِنِ ٱلصِّـــدْقِ وَٱلسِّـــرِّ

* * *

فَصْلٌ

نَـــادِ ٱلْمُهَـــاجِـــرْ صَفِـــيَّ ٱللهْ
ذَاكَ ٱبْـــنَ عِيْسَـــىٰ أَبَـــا ٱلسَّـــادَاتْ
ثُـــــمَّ ٱلْمُقَـــــدَّمْ وَلِـــــيَّ ٱللهْ
غَـــوْثَ ٱلْـــوَرَىٰ قُـــدْوَةَ ٱلْقَـــادَاتْ
ثُـــمَّ ٱلْـــوَجِيـــهَ لِـــدِيـــنِ ٱللهْ
سَقَّـــافَنَـــا خَـــارِقَ ٱلْعَـــادَاتْ
وَٱلسَّيِّـــدَ ٱلْكَـــامِـــلَ ٱلْأَوَّابْ
ٱلْعَيْـــدَرُوسْ مَظْهَـــرَ ٱلْقُطْـــرِ

* * *

فَصْلٌ

قُــومُــوا بِنَــا وَٱكْشِفُــوا عَنَّــا
يَــا سَــادَتِــي هَــٰذِهِ ٱلْأَسْــوَا

وَٱحْمُــوا مَــدِينَتَكُــمُ ٱلْغَنَّــا
مِــنْ جُمْلَــةِ ٱلشَّــرِّ وَٱلْبَلْــوَىٰ

يَا أَهْلَ ٱلْحَسَبْ وَٱلنَّسَبْ ٱلْأَسْنَىٰ
وَٱلْعِلِــمْ وَٱلْحِلِــمْ وَٱلتَّقْــوَىٰ

بِجَــدِّكُــمْ وَبِكُــمْ تَنْجَــابْ
سُحْــبُ ٱلْبَلِيَّــاتِ وَٱلضُّــرِّ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٤/ ر)

خُــذْ مَــا صَفَــا وَدَعِ ٱلْكَــدَرْ
وَكِــلِ ٱلْأُمُــورَ إِلَــى ٱلْقَــدَرْ

مَهْمَــا غُلِبْــتَ كَمَــا أَمَــرْ
هَــادِي ٱلْــوَرَىٰ خَيْــرُ ٱلْبَشَــرْ

إِنَّ ٱلْأُمُــورَ جَــرَىٰ بِهَــا
قَلَــمٌ عَلَــى ٱللَّــوْحِ ٱلْأَغَــرْ

فِــي سَــابِقِ ٱلْعِلْــمِ ٱلْقَــدِيــمْ
مِــنْ قَبْــلِ إِيجَــادِ ٱلصُّــوَرْ

وَدَعِ ٱلْهُمُــــومَ فَــــإِنَّهَــــا
يَــا صَــاحِبِــي مَحْــضُ ٱلضَّــرَرْ

وَٱغْنَــمْ زَمَــانَــكَ وَٱسْتَــرِحْ

مِــنْ لَــوْ وَلِــمْ تَلْــقَ ٱلظَّفَــرْ

وَٱرْجِــــعْ إِلَــــى ٱللهِ إِذَا

مَــا لَــحَّ خَطْــبٌ أَوْ عَسَــرْ

وَإِذَا بُلِيــــتَ بِمِحْنَـــةٍ

فَــٱصْبِــرْ لَهَــا فِيمَــنْ صَبَــرْ

مِــنْ كُــلِّ بَــرٍّ مُــوقِــنٍ

مُتَــوَقِّــرٍ عِنْــدَ ٱلْغِيَــرْ

وَإِذَا خُصِصْــتَ بِنِعْمَـــةٍ

فَــٱشْكُــرْ مَــعَ مَــنْ قَــدْ شَكَــرْ

لِلهِ رَبِّ ٱلْعَـــالَمِيــــنْ

تُعْــطَ ٱلْمَــزِيــدَ كَمَــا ذَكَــرْ

وَٱعْمَـــلْ لِنَفْسِـــكْ صَـــالِحـــاً
تَنْجُـــو بِـــهِ مِـــنْ كُـــلِّ شَـــرْ
وَتَفُـــوزُ بِـــٱلْحُسْنَـــىٰ وَبِـــٱلْـ
ـجَنَّـــــاتِ دَارِ ٱلْمُسْتَقَـــــــرْ
دَارِ ٱلْبَقَـــــا دَارِ ٱلنَّعِيـــــمْ
دَارِ ٱلْكَـــرَامَـــةِ وَٱلنَّظَـــــرْ
وَأَعِـــــدَّ زَادَكَ لِلْمَعَـــــــادْ
مِـــنْ قَبْـــلِ يَفْجَـــاكَ ٱلْحَـــذَرْ
فَـــٱلْمَـــوْتُ آتٍ عَـــنْ قَـــرِيـــبْ
وَلَعَـــلَّ يَـــوْمَـــكَ قَـــدْ حَضَـــرْ
يَـــا رَبُّ أَنْـــتَ ٱلْمُبْتَغَـــىٰ
وَٱلْمُـــرْتَجَـــىٰ وَٱلْمُـــدَّخَـــرْ

يَـــا رَبَّنَـــا فَـــٱسْتُـــرْ وَسَـــا

مِــخْ أَنْــتَ أَكْــرَمُ مَــنْ سَتَــرْ

يَـــا رَبَّنَـــا وَٱنْظُـــرْ إِلَيْـ

ـنَـــا أَنْــتَ أَحْسَــنُ مَــنْ نَظَــرْ

يَـــا رَبَّنَـــا وَٱخْتِـــمْ لَنَـــا

بِـــٱلْخَيْــرِ إِنْ حَــانَ ٱلسَّفَــرْ

ثُــمَّ ٱلصَّــلَاةُ عَلَــى ٱلــرَّسُــولْ

خَيْــرِ ٱلْبَــرِيَّــةِ مِــنْ مُضَــرْ

خَتْـــمِ ٱلنَّبِيِّـــنَ ٱلْكِـــرَامْ

نِعْــمَ ٱلْمَصَــابِيــحُ ٱلْغُــرَرْ

وَآلِـــهِ وَٱصْحَـــابِـــهِ

وَٱلتَّـــابِعِيــنَ عَلَـــى ٱلْأَثَـــرْ

مَــــا هَبَّـــتِ ٱلنَّسَمَـــاتُ بِـــٱلْـ

ـعَـــرْفِ ٱلْمُعَنْبَـــرِ فِـــي ٱلسَّحَـــرْ

أَوْ غَـــــــرَّدَتْ وُرْقُ ٱلْحِمَـــــــىٰ

فَـــوْقَ ٱلْغُصُـــونِ مِـــنَ ٱلشَّجَـــرْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٥/ ر)

شُغِفَ ٱلْمُحِبُّ بِحُبِّ ظَبْيَةِ عَامِرِ
وَصَبَا إِلَيْهَا بِٱلْفُؤَادِ وَنَاظِرِ

مَحْبُوبَةٍ مَحْجُوبَةٍ إِلَّا عَلَىٰ
ذِي عِفَّةٍ وَتُقىً كَتُومٍ صَابِرِ

يَرْضَى مِنَ ٱلدُّنْيَا ٱلْغَرُورِ بِبُلْغَةٍ
لَا يَتَّسِعْ فِيهَا اتِّسَاعَ ٱلْبَاطِرِ

تِلْكَ ٱلْغَزَالُ ٱلْعَامِرِيَّةُ كَمْ سَبَتْ
وَرَمَتْ بِأَسْهُمِ لَحْظِ طَرْفٍ فَاتِرِ

لِمُتَيَّمٍ حِلْفِ ٱلصَّبَابَةِ وَٱلْجَوَىٰ
يَرْعَى ٱلنُّجُومَ بِجُنْحِ لَيْلٍ دَاجِرِ

أَفْـدِي سُـوَيْكِنَـةَ ٱلنَّقَـا وَمُحَجَّـرٍ
بِبَقِيَّـةٍ مِـنْ رَسْـمِ جِسْـمٍ دَاثِـرِ
مَـنْ لِـي وَهَـلْ لِـي أَنْ أَرَاهَـا زَائِـراً
سَحَـراً وَقَـدْ نَـامَ ٱلـرَّقِيـبُ ٱلْعَـاثِـرِ
هِيَ بَهْجَتِي هِيَ وِجْهَتِي هِيَ قِبْلَتِي
فِـي حِيـنِ أَسْجُـدُ لِـلْإِلَـٰـهِ ٱلْغَـافِـرِ
لِـيْ وَلِغَيْـرِي مِـنْ أَئِمَّـةِ مَـذْهَبِـي
مِمَّـنْ تَصَـوَّفَ فِـي ٱلـزَّمَـانِ ٱلْغَـابِـرِ
وَلِغَيْـرِنَـا مِـنْ أَهْـلِ قِبْلَتِنَـا ٱلَّتِـي
صَلَّـىٰ إِلَيْهَـا كُـلُّ عَبْـدٍ ذَاكِـرِ
مُتَمَسِّـكٍ مُتَنَسِّـكٍ مُتَبَتِّـلٍ
لِلّٰهِ فِـي إِعْـلَانِـهِ وَسَـرَائِـرِ

وَٱلْآنَ فَلْنَـرْقَ إِلَـىٰ أَنْ نَنْتَهِـي
فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلرُّوحِ ٱللَّطِيفِ ٱلطَّائِرِ

فَنُشَاهِدُ ٱلْأَمْلَاكَ حَوْلَ صَفِيحِهَا
مُسْتَقْبِلِينَ لِنَحْوِ عَرْشِ ٱلْفَاطِرِ

سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِوَجْهِهِ
بِتَذَلُّلٍ وَتَخَشُّعٍ وَتَصَاغُرِ

ٱلْوَاحِدِ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَلِيلِ تَقَدَّسَتْ
أَوْصَافُهُ عَنْ قَوْلِ كُلِّ مُدَابِرِ

مِنْ مُشْرِكٍ أَوْ شَاكِكٍ مُتَرَدِّدٍ
فِي ٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَعَادِ ٱلْآخِرِ

آمَنْتُ بِٱللهِ ٱلْعَظِيمِ وَكُتْبِهِ
وَرَسُولِهِ ٱلْهَادِي ٱلْأَمِينِ ٱلطَّاهِرِ

خَتْـــمِ ٱلنَّبِيِّـــنَ ٱلْكِـــرَامِ جَمِيعِهِـــمْ
صَلَّـــىٰ عَلَيْـــهِ ٱللهُ عَـــدَّ ٱلْمَـــاطِـــرِ

وَٱلْآلِ وَٱلصَّحْـــبِ ٱلْكِـــرَامِ وَتَـــابِـــعٍ
مِـــنْ كُـــلِّ أَوَّاهٍ مُنِيـــبٍ شَـــاكِـــرِ

❋ ❋ ❋

وقال رضي الله عنه :　　　　(١٦/ ر)

قَدْ كَفَانِي عِلْمُ رَبِّي
مِنْ سُؤَالِي وَٱخْتِيَارِي

فَدُعَائِي وَابْتِهَالِي
شَاهِدٌ لِي بِٱفْتِقَارِي

فَلِهَٰذَا ٱلسِّرِّ أَدْعُو
فِي يَسَارِي وَعَسَارِي

أَنَا عَبْدٌ صَارَ فَخْرِي
ضِمْنَ فَقْرِي وَٱضْطِرَارِي

قَدْ كَفَانِي عِلْمُ رَبِّي
مِنْ سُؤَالِي وَٱخْتِيَارِي

* * *

يَـــــا إِلَٰهِـــــي وَمَلِيكِـــــي

أَنْـــتَ تَعْلَـــمْ كَيْـــفَ حَـــالِـــي

وَبِمَـــا قَـــدْ حَـــلَّ قَلْبِـــي

مِـــنْ هُمُـــومٍ وَٱشْتِغَـــالِ

فَتَـــدَارَكْنِـــي بِلُطْـــفٍ

مِنْـــكَ يَـــا مَـــوْلَـــى ٱلْمَـــوَالِـــي

يَـــا كَـــرِيـــمَ ٱلْـــوَجْـــهِ غِثْنِـــي

قَبْـــلَ أَنْ يَفْنَـــى ٱصْطِبَـــارِي

قَـــدْ كَفَـــانِـــي عِلْـــمُ رَبِّـــي

مِـــنْ سُـــؤَالِـــي وَٱخْتِيَـــارِي

* * *

يَـــا سَـــرِيـــعَ ٱلْغَـــوْثِ غَـــوْثـــاً
مِنْـــكَ يُـــدْرِكْنِـــي سَـــرِيعَـــا
يَهْـــزِمُ ٱلْعُسْـــــرَ وَيَـــأْتِـــي
بِـــالَّـــذِي أَرْجُـــو جَمِيعَـــا
يَـــا قَـــرِيبـــاً يَـــا مُجِيبـــاً
يَـــا عَلِيمـــاً يَـــا سَمِيعَـــا
قَـــدْ تَحَقَّقْـــتُ بِعَجْـــزِي
وَخُضُـــوعِـــي وَٱنْكِسَـــارِي
قَـــدْ كَفَـــانِـــي عِلْـــمُ رَبِّـــي
مِـــنْ سُـــؤَالِـــي وَٱخْتِيَـــارِي

* * *

لَـــمْ أَزَلْ بِـــاٱلْبَـــابِ وَاقِـــفْ
فَـــاٱرْحَمَـــنْ رَبِّـــي وُقُـــوفِـــي
وَبِـــوَادِي ٱلْفَضْـــلِ عَـــاكِـــفْ
فَـــأَدِمْ رَبِّـــي عُكُـــوفِـــي
وَلِحُسُـــــنِ ٱلظَّـــــنِّ لَازِمْ
فَهْـــوَ خِلِّـــي وَحَلِيفِـــي
وَأَنِيسِـــــي وَجَلِيسِـــــي
طُـــولَ لَيْلِـــي وَنَهَـــارِي
قَـــدْ كَفَـــانِـــي عِلْـــمُ رَبِّـــي
مِـــنْ سُـــؤَالِـــي وَٱخْتِيَـــارِي

* * *

حَاجَةً فِي ٱلنَّفْسِ يَا رَبْ
فَٱقْضِهَا يَا خَيْرَ قَاضِي
وَأَرِحْ سِرِّي وَقَلْبِي
مِنْ لَظَاهَا وَٱلشُّوَاظِ
فِي سُرُورٍ وَحُبُورٍ
وَإِذَا مَا كُنْتَ رَاضِي
فَٱلْهَنَا وَٱلْبَسْطُ حَالِي
وَشِعَارِي وَدِثَارِي
قَدْ كَفَانِي عِلْمُ رَبِّي
مِنْ سُؤَالِي وَٱخْتِيَارِي

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٧/ ر)

لَـكَ ٱلْخَيْـرُ حَـدِّثْنِـي بِظَبْيَـةِ عَـامِـرِ
وَمَا حَالُهَا مِنْ بَعْدِنَا يَا مُسَامِرِي

وَرَوِّحْ فُـؤَاداً ذَابَ مِـنْ حَـرِّ بُعْـدِهَـا
بِتَذْكَارِها إِنْ كُنْتَ يَوْماً مُذَاكِرِي

فَـإِنَّ أَحَـادِيـثَ ٱلْأَحِبَّـةِ مَـرْهَـمٌ
لِقَلْبِي مِنَ ٱلدَّاءِ ٱلْعُضَالِ ٱلْمُخَامِرِ

هَوىً حَلَّ فِي قَلْبِي وَأَوْطَنَ مُهْجَتِي
وَخَـالَـطَ أَجْـزَائِـي وَسَـارَ بِسَـائِـرِي

إِذَا فَـاتَنِـي قُـرْبُ ٱلْأَحِبَّـةِ وَٱللِّقَـا
فَفِي ذِكْرِهِمْ أُنْسٌ لِوَحْشَةِ خَاطِرِي

فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ صَيِّبُ ٱلنَّدَىٰ

فَطَلٌّ بِهِ يَحْيَا مَوَاتُ سَرَائِرِي

وَشَنِّفْ بِتَذْكَارِ ٱلْأَحِبَّةِ مَسْمَعِي

وَأَخْلِصْهُ عَنْ تَذْكَارِ غَيْرٍ مُغَايِرِ

فَتَذْكَارُهُمْ رَاحِي وَرَوْحِي وَرَاحَتِي

يَطِيبُ بِهِ قلبي وَتَصْفُو ضَمَائِرِي

أَنَا ٱلْهَائِمُ ٱلْمَفْتُونُ فِي حُبِّ سَادَةٍ

تَهَتَّكْتُ فِيهِمْ بَيْنَ بَادٍ وَحَاضِرِ

وَخُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ ٱلْغَرَامَ طَرِيقَةً

أَمُوتُ وَأَحْيَا هٰكَذَا يَا مُعَاشِرِي

وَإِنَّ ٱلتَّفَانِي وَٱلتَّمَزُّقَ فِيهِمُ

لَمِنْ أَرَبِي ٱلْأَقْصَىٰ وَأَسْنَىٰ ذَخَائِرِي

تَرِقُّ لِيَ ٱلْأَحْبَابُ إِذْ مَسَّنِي ٱلضَّنَىٰ

وَتَشْمُتُ بِيْ ٱلْحُسَّادُ بَيْنَ ٱلْعَشَائِرِ

وَإِنِّي لَفِي شُغْلٍ عَنِ ٱلْكُلِّ بِٱلَّذِي

أُقَاسِي بِمَحْبُوبِي سُوَيْجِي ٱلنَّوَاظِرِ

وَأَعْـذُرُ عُـذَّالِـي وَمَـنْ لَامَنِـي عَلَـىٰ

هَوَىٰ أُمِّ عَمْرٍو نُورِ قَلْبِي وَنَاظِرِي

لِحَـرْمَـانِهِـمْ عَـنْ حُبِّهَـا وَشُهُـودِهَـا

وَعَنْ عِلْمِ مَا تَحْتَ ٱلنِّقَابِ ٱلسَّوَاتِرِ

رَعَـى ٱللهُ مَـنْ هَـامَ ٱلْفُـؤَادُ بِحُبِّهَـا

بَـدِيعَـةَ حُسْـنٍ مُخْجِـلٍ لِلـزَّوَاهِـرِ

عَزِيزَةَ وَصْفٍ حَارَ فِيهِ أُولُو ٱلنُّهَىٰ

مِنَ ٱلْعَارِفِينَ أَهْلِ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْبَصَائِرِ

بِهِ هَامَتِ ٱلْأَرْوَاحُ فِي حَالِ كَوْنِهَا

مُجَـرَّدَةً عَـنْ كُـلِّ جِسْـمٍ وَحَـاصِـرِ

وَمِـنْ بَعْـدِهِ مَهْمَـا حَـدَتْهَـا بِذِكْـرِهَـا

حُـدَاةُ ٱلْمَطَـايَـا لِلـرُّبُـوعِ ٱلْعَـوَامِـرِ

وَمَهْمَـا سَـرَتْ مِـنْ حَيِّهَـا سَحَـرِيَّـةٌ

مِـنَ ٱلنَّسَمَـاتِ ٱلطَّيِّبَـاتِ ٱلْعَـوَاطِـرِ

وَمَهْمَا شَرَىٰ بَرْقُ ٱلْحِمَىٰ فِي دُجُنَّةٍ

وَغَنَّتْ عَلَى ٱلْأَغْصَانِ وُرْقُ ٱلطَّوَائِرِ

شَهِـدْتُ مَعَـانِـي حُسْنِهَـا وَجَمَـالِهَـا

بِرُوحِي وَجِسْمِي تَحْتَ جُنْحِ الدَّيَاجِرِ

وَسَـامَـرْتُهَـا فِـي خَلْـوَةٍ أُنُسِيَّـةٍ

بِـأَلْطَـفِ أَسْمَـارٍ وَخَيْـرِ مُسَـامِـرِ

وَلَـذَّ لِـيَ ٱلتَّقْرِيـبُ مِنْهَـا وَأَشْـرَقَـتْ
عَلَـىٰ بَـاطِنِـي أَنْـوَارُهُ وَظَـوَاهِـرِي
وَيَـا طَـالَمَـا قَبَّلْتُهَـا وَٱلْتَـزَمْتُهَـا
وَقَدْ هَجَعَتْ عَيْنُ ٱلرَّقِيبِ ٱلْمُدَابِرِ
كَـأَنَّ أُوَيْقَـاتَ ٱلنُّـزُولِ بِحَيِّهَـا
مُعَجَّلَـةٌ مِـنْ جَنَّـةٍ فِـي الْمَصَـائِـرِ
وَلِلَّهِ مَـا أَحْلَـى ٱلْوُقُـوفَ بِسُـوحِهَـا
وَأَطْيَبَـهُ مَـا بَيْـنَ تِلْـكَ ٱلْمَشَـاعِـرِ
بِوَادِي خَلِيلِ ٱللهِ ذِي ٱلصِّدْقِ وَٱلوَفَا
أَبِي ٱلرُّسْلِ إِبْرَاهِيمَ تَاجِ ٱلْأَكَابِرِ
وَقِبْلَةِ أَهْلِ ٱلدِّينِ مِنْ كُلِّ شَاسِعٍ
وَدَانٍ إِلَيْهَـا فَهْـيَ أُمُّ ٱلْحَضَـائِـرِ

وَطَلْسَمُ سِرِّ ٱلذَّاتِ رَمْزٌ بِهِ اهْتَدَىٰ

إِلَيْهَا رِجَالُ ٱلْحَقِّ مِنْ كُلِّ نَاظِرِ

وَمِنْ هَٰهُنَا جَذْبُ ٱلْقُلُوبِ وَمَيْلُهَا

وَمِنْهُ مَطَارُ ٱلرُّوحِ مِنْ كُلِّ طَائِرِ

وَمَهْبِطُ إِمْدَادَاتِ كُلِّ رَقِيقَةٍ

بِأَسْرَارِ عِلْمِ ٱلذَّاتِ لِأَهْلِ ٱلسَّرَائِرِ

إِلَى ٱلْحَجَرِ ٱلْمَيْمُونِ زَادَ تَشَوُّقِي

وَكَانَ بِهِ أُنْسُ ٱلْفُؤَادِ ٱلْمُجَاوِرِ

بِهِ ٱلْعَهْدُ وَٱلْمِيثَاقُ يَشْهَدُ بِٱلْوَفَا

لِكُلِّ وَفِيٍّ مُخْلِصِ ٱلْقَلْبِ طَاهِرِ

وَمُلْتَزَمٌ نُجْحُ ٱلْمَطَالِبِ عِنْدَهُ

وَحِجْرٌ لِبُعْدِي عَنْهُ فَاضَتْ مَحَاجِرِي

وَزَمْزَمُهَا رَاحُ ٱلْكِرَامِ وَمَرْهَمُ ٱلسْـ
ـسِقَامِ بِـهِ تَبْـرَأُ كُلُـومُ ٱلضَّمَـائِـرِ
وَإِنَّ مُقَـامـاً بِـٱلْمَقَـامِ أَلَـذُّ فِـي
فُـؤَادِي وَأَحْلَـىٰ مِـنْ وُرُودِ ٱلْبَشَـائِـرِ
صَفَا بِصَفَاهَا ٱلْعَيْشُ مِنْ كُلِّ شَائِبٍ
وَرَاقَ بِفَيْـضِ ٱلْـوَارِدَاتِ ٱلْغَـوَامِـرِ
بِمَـرْوَتِهَـا تَمْـرِيـنُ كُـلِّ حَقِيقَـةٍ
لِمَشْهَـدِ حَـقٍّ لَا يُـرَامُ لِقَـاصِـرِ
بِأَجْيَادِهَـا جَـادَتْ سَحَـائِـبُ رَحْمَـةٍ
عَلَىٰ كُلِّ ذِي قَلْبٍ مُنِيبٍ وَحَاضِرِ
وَتُقْتَبَـسُ ٱلْأَنْـوَارُ مِـنْ بِـي قُبَيْسِهَـا
وَهَـاهُـوَ يَـرْعَـاهَـا بِقَلْـبٍ وَنَـاظِـرِ

بِعَــامِـرِهَــا لِلصَّــادِقِيــنَ عِمَــارَةُ ٱلْـ

ـقُلُـوبِ بِفَيَّاضٍ مِـنَ ٱلْفَضْـلِ غَـامِـرِ

وَفِــي عَــرَفَــاتٍ كُــلُّ ذَنْــبٍ مُكَفَّــرٌ

وَمُغْتَفَــرٌ مِنَّــا بِــرَحْمَــةِ غَــافِــرِ

وَقَفْنَــا بِهَــا وَٱلْحَمْــدُ لِلهِ وَٱلثَّنَــا

وَشُكْــراً لَــهُ إِنَّ ٱلْمَـزِيـدَ لِشَــاكِـرِ

عَشِيَّةَ وَافَى ٱلْوَفْدُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ

وَفَــجٍّ وَهُــمْ مَــا بَيْــنَ دَاعٍ وَذَاكِــرِ

وَرَاجٍ وَبَــاكٍ مِــنْ مَخَــافَــةِ رَبِّــهِ

بِفَائِضِ دَمْعٍ كَٱلسَّحَابِ ٱلْمَوَاطِرِ

وَفِـي ٱلْـوَفْـدِ كَـمْ عَبْـدٍ مُنِيـبٍ لِـرَبِّـهِ

وَكَـمْ مُخْبِـتٍ كَـمْ خَـاشِـعٍ مُتَصَـاغِـرِ

وَذِي دَعْـوَةٍ مَسْمُـوعَـةٍ مُسْتَجَـابَـةٍ

مِـنَ ٱلْأَوْلِيَـا أَهْـلِ ٱلصَّفَـا وَٱلْبَصَـائِـرِ

وَلِلَّهِ كَـمْ مِـنْ نَظْـرَةٍ كَـمْ عَـوَاطِـفٍ

وَكَـمْ نَفَحَـاتٍ لِـلْإِلَـٰهِ غَـوَامِـرِ

وَإِنَّـا لَنَـرْجُـو عَفْـوَهُ أَنْ يَعُمَّنَـا

وَيَشْمُـلَ مِنَّـا كُـلَّ بَـرٍّ وَفَـاجِـرِ

أَفَضْنَـا عَلَـى ٱلـزُّلْفَـىٰ بِمُـزْدَلِفَـاتِهَـا

وَمَشْعَـرِهَـا أَكْـرِمْ بِهَـا مِـنْ مَشَـاعِـرِ

وَجِئْنَـا مِنـىً فِـي خَيْـرِ كُـلِّ صَبِيحَـةٍ

لِـرَمْـيٍ إِلَـىٰ وَجْـهِ ٱلْعَـدُوِّ ٱلْمُجَـاهِـرِ

وَحَلْـقٍ وَإِهْـدَاءِ ٱلـذَّبَـائِـحِ قُـرْبَـةً

إِلَى ٱللهِ وَٱلْمَرْفُوعُ تَقْوَى ٱلضَّمَائِرِ

وَبِتْنَـا بِهَـا تِلْـكَ ٱللَّيَـالِـي وَيَـا لَهَـا

لَيَـالٍ لَقَـدْ طَـابَـتْ بِطِيـبِ ٱلتَّـزَاوُرِ

أَلَا يَا لَيَالِي ٱلْخَيْفِ عُودِي وَأَسْعِدِي

لِكَـيْ يَحْيَىٰ مِنِّـي كُـلُّ مَيْـتٍ وَدَاثِـرِ

وَعُـدْنَـا إِلَـى ٱلْبَيْـتِ ٱلْعَتِيـقِ بِنَفْـرَةٍ

مُبَـارَكَـةٍ مُسْتَعْجِـلاً مِثْـلَ آخِـرِ

فَيَا كَعْبَةَ ٱلْحُسْنِ ٱلْبَدِيعِ ٱلَّذِي غَدَا

بِهَـا كُـلُّ صَـبٍّ وَالِـهَ ٱلْقَلْـبِ حَـائِـرِ

وَيَـا مَـرْكَـزَ ٱلْأَسْـرَارِ وَٱلنُّـورِ وَٱلْبَهَـا

وَلُطْـفِ جَمَـالٍ رَاقَ فِـي كُـلِّ نَـاظِـرِ

تَحِـنُّ إِلَيْـكِ ٱلْمُـؤْمِنُـونَ قُلُـوبُهُـمْ

وَأَرْوَاحُهُـمْ مِـنْ وَارِدٍ مِثْـلِ صَـادِرِ

بَعُدْتُ بِجِسْمِي عَنْكِ وَٱلْقَلْبُ حَاضِرٌ

لَـدَيْـكِ وَإِنِّـي بَعْـدَ ذَا غَيْـرُ صَـابِـرِ

وَلَمْ يَكُ بُعْدِي عَنْكِ زُهْداً وَخِيرَةً

عَلَيْـكِ وَلَـٰكِـنْ لِلشُّؤُونِ ٱلْعَـوَاذِرِ

وَيَـا مَكَّـةُ ٱلْغَـرَّاءُ يَـا بَهْجَـةَ ٱلـدُّنَـا

وَيَـا مَفْخَـراً مُسْتَـوْعِبـاً لِلْمَفَـاخِـرِ

عَسَـىٰ عَـوْدَةٌ لِلْمُسْتَهَـامِ وَرَجْعَـةٌ

إِلَيْـكِ لِتَقْبِيـلِ ٱلثَّـرَىٰ وَٱلْمَـآثِـرِ

أُرَجِّـي وَلِـي ظَـنٌّ جَمِيـلٌ بِخَـالِقِـي

وَإِنَّ ٱلرَّجَا فِي ٱللهِ أَسْنَىٰ ذَخَائِرِي

وَلَمَّـا أَتَيْنَـا بِـٱلْمَنَـاسِكِ وَٱنْقَضَـتْ

وَذَلِـكَ فَضْـلٌ مِـنْ كَـرِيـمٍ وَقَـادِرِ

حَثَثْنَا ٱلْمَطَايَا قَاصِدِينَ زِيَارَةَ ٱلْـ
ـحَبِيبِ رَسُولِ ٱللهِ شَمْسِ ٱلظَّهَائِرِ

وَسِـرْنَـا بِهَـا نَطْـوِي ٱلْفَيَـافِـي مَحَبَّـةً
وَشَوْقاً إِلَىٰ تِلْكَ ٱلْقِبَابِ ٱلزَّوَاهِرِ

فَلَمَّـــا بَلَغْنَـــا طَيْبَـــةً وَرُبُـــوعَهَـــا
شَمَمْنَا شَذىً يُزْرِي بِعَرْفِ ٱلْعَنَابِرِ

وَأَشْـرَقَـتِ ٱلْأَنْـوَارُ مِـنْ كُـلِّ جَـانِـبٍ
وَلَاحَ ٱلسَّنَـا مِـنْ خَيْـرِ كُـلِّ ٱلْمَقَـابِـرِ

مَعَ ٱلْفَجْرِ وَافَيْنَا ٱلْمَدِينَةَ طَابَ مِنْ
صَبَـاحٍ عَلَيْنَـا بِـٱلسَّعَـادَةِ سَـافِـرِ

إِلَـىٰ مَسْجَـدِ ٱلْمُخْتَـارِ ثُـمَّ لِـرَوْضَـةٍ
بِهَا مِنْ جِنَانِ ٱلْخُلْدِ خَيْرِ ٱلْمَصَائِرِ

إِلَىٰ حُجْرَةِ ٱلْهَادِي ٱلْبَشِيرِ وَقَبْرِهِ
وَثَمَّ تَقَرُّ ٱلْعَيْنُ مِنْ كُلِّ زَائِرِ

وَقَفْنَا وَسَلَّمْنَا عَلَىٰ خَيْرِ مُرْسَلٍ
وَخَيْرِ نَبِيٍّ مَا لَهُ مِنْ مُنَاظِرِ

فَرَدَّ عَلَيْنَا وَهْوَ حَيٌّ وَحَاضِرٌ
فَشُرِّفَ مِنْ حَيٍّ كَرِيمٍ وَحَاضِرِ

زِيَارَتُهُ فَوْزٌ وَنُجْحٌ وَمَغْنَمٌ
لِأَهْلِ ٱلْقُلُوبِ ٱلْمُخْلِصَاتِ ٱلطَّوَاهِرِ

بِهَا يَحْصُلُ ٱلْمَطْلُوبُ فِي ٱلدِّينِ وَٱلدُّنَا
وَيَنْدَفِعُ ٱلْمَرْهُوبُ مِنْ كُلِّ ضَائِرِ

بِهَا كُلُّ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَمُؤَجَّلٍ
يُنَالُ بِفَضْلِ ٱللهِ فَٱنْهَضْ وَبَادِرِ

وَإِيَّـاكَ وَٱلتَّسْـوِيـفَ وَٱلْكَسَـلَ ٱلَّـذِي
بِـهِ يُبْتَلَـىٰ كَـمْ مِـنْ غَبِـيٍّ وَخَـاسِـرِ
فَـإِنَّـكَ لَا تَجْـزِي نَبِيَّـكَ يَـا فَتَـىٰ
وَلَوْ جِئْتَهُ قَصْداً عَلَى ٱلْعَينِ سَائِرِ
فَبُورِكَ مِنْ قَبْرٍ حَوَىٰ سَيِّدَ ٱلْوَرَىٰ
وَسَامِي ٱلذُّرَىٰ بَحْرَ ٱلْبُحُورِ ٱلزَّوَاخِرِ
نَبِيَّ ٱلْهُدَىٰ بَحْرَ ٱلنَّدَىٰ مُجْلِيَ ٱلصَّدَا
مُبِيـدَ ٱلْعِـدَا مِـنْ كُـلِّ غَـاوٍ وَغَـادِرِ
بَعِيدَ ٱلْمَدَىٰ مَا ضَلَّ عَبْدٌ بِهِ ٱقْتَدَىٰ
مُـزِيـلَ ٱلـرَّدَىٰ لِلْحَـقِّ دَاعٍ وَآمِـرِ
إِمَـامٌ لَـهُ ٱلتَّقْـدِيـمُ فِـي كُـلِّ مَـوْطِـنٍ
وَصَدْرٌ عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ مِنْ غَيْرِ حَاصِرِ

لَـهُ تَتبَـعُ ٱلـرُّسْـلُ ٱلْكِـرَامُ وَتَقْتَفِـي

لِآثَـارِهِ فِـي وِرْدِهَـا وَٱلْمَصَـادِرِ

نُبُـوَّتُـهُ كَـانَـتْ وَآدَمُ طِينَـةٌ

وَفِيهِ ٱنْتَهَتْ غَايَاتُ تِلْكَ ٱلدَّوَائِرِ

هُوَ ٱلسَّاسُ وَهْوَ ٱلرَّأْسُ لِلْأَمْرِ كُلِّهِ

بِـأَوَّلِهِـمْ يُـدْعَـىٰ لِـذَاكَ وَآخِـرِ

وَتَحْتَ لِوَاهُ ٱلرُّسْلُ يَمْشُونَ فِي غَدٍ

وَنَـاهِيـكَ مِـنْ جَـاهٍ عَـرِيضٍ وَبَـاهِـرِ

وَفِيـهِ عَلَيْـهِ ٱللهُ صَلَّـىٰ وَدَائِـعٌ

مِنَ ٱلسِّرِّ لَا تُرْوَىٰ خَلَالَ ٱلدَّفَاتِرِ

وَلَـٰكِنَّهَـا مَكْتُـومَـةٌ وَمُصَـانَـةٌ

لَـدَى ٱلْأَوْلِيَـاءِ ٱلْعَـارِفِيـنَ ٱلْأَكَـابِـرِ

وَمَـوْرُوثَـةٌ مَخْصُوصَـةٌ بِضَنَـائِـنٍ

لِـرَبِّـكَ مِـنْ أَهْـلِ ٱلتُّقَـىٰ وَٱلسَّـرَائِـرِ

(مُحَمَّدٌ) ٱلْمَحْمُودُ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَا

بِـأَوْصَـافِ حَمْـدٍ طَيِّـبٍ مُتَكَـاثِـرِ

وَأَحْمَـدُهُـمْ لِلّٰهِ فِـي كُـلِّ مَـوْطِـنٍ

وَأَشْكَـرُهُـمْ فِـي يُسْـرِهِ وَٱلْمَعَـاسِـرِ

وَأَعْلَـمُ خَلْـقِ ٱللهِ بِـٱللهِ رَبِّـهِ

وَأَخْشَـاهُـمُ لِلّٰهِ مِـنْ غَيْـرِ نَـاكِـرِ

وَأَطْـوَعُهُـمْ لِلّٰهِ أَعْبَـدُهُـمْ لَـهُ

وَأَقْـوَمُهُـمْ بِـٱلْحَـقِّ بَيْـنَ ٱلْعَشَـائِـرِ

هُوَ ٱلْقَائِمُ ٱلسَّجَّادُ فِي غَسَقِ ٱلدُّجَىٰ

فَسَـلْ وَرَمَ ٱلْأَقْـدَامِ عَـنْ خَيْـرِ صَـابِـرِ

هُـوَ ٱلـزَّاهِـدُ ٱلْمُلْقِـي لِـدُنْيَـاهُ خَلْفَـهُ
هُـوَ ٱلْمُجْتَـزِي مِنْهَـا بِـزَادِ ٱلْمُسَـافِـرِ
وَبَـاذِلُهَـا جُـوداً بِهَـا وَسَمَـاحَـةً
بِكَـفٍّ نَـدَاهَـا كَـٱلسَّحَـابِ ٱلْمَـوَاطِـرِ
وَرَدَّ مَفَـاتِيـحَ ٱلْكُنُـوزِ زَهَـادَةً
وَمَـا مَـالَ لِلـدُّنْيَـا ٱلْغَـرُورِ بِخَـاطِـرِ
وَمِـنْ سَغَـبٍ شَـدَّ ٱلْحِجَـارَةَ طَـاوِيـاً
لِأَحْشَـائِـهِ أَلطَّيِّبَـاتِ ٱلضَّـوَامِـرِ
فَحَمْـداً لِـرَبٍّ خَصَّنَـا بِمُحَمَّـدٍ
وَأَخْـرَجَنَـا مِـنْ ظُلْمَـةٍ وَدَيَـاجِـرِ
إِلَـىٰ نُـورِ إِسْـلَامٍ وَعِلْـمٍ وَحِكْمَـةٍ
وَيُمْـنٍ وَإِيمَـانٍ وَخَيْـرِ ٱلْأَوَامِـرِ

وَطَهَّـرَنَـا مِـنْ رِجْـسِ كُفْـرٍ وَخُبْثِـهِ

وَشِـرْكٍ وَظُلْـمٍ وَٱقْتِحَـامِ ٱلْكَبَـائِـرِ

أَتَـىٰ بِكِتَـابِ ٱللهِ يَتْلُـوهُ دَاعِيـاً

إِلَـى ٱللهِ بِـٱلْحُسْنَـىٰ وَخَيْـرِ ٱلْبَشَـائِـرِ

وَأُيِّـدَ بِـٱلْآيَـاتِ مِـنْ كُـلِّ مُعْجِـزٍ

وَبُـرْهَـانِ صِـدْقٍ قَـاطِـعٍ لِلْمَعَـاذِرِ

فَلَبَّـىٰ رِجَـالٌ دَعْـوَةَ ٱلْحَـقِّ فَـٱهْتَـدَوْا

وَنَـالُـوا ٱلْمُنَـىٰ فِـي عَـاجِـلٍ وَأَوَاخِـرِ

وَأَنْكَـرَ أَقْـوَامٌ وَصَـدُّوا وَأَعْـرَضُـوا

فَقَـوَّمَهُـمْ بِـٱلْمُـرْهَفَـاتِ ٱلْبَـوَاتِـرِ

وَسَـارَ إِلَيْهِـمْ بِـٱلْجُيُـوشِ وَبَعْضُهُـمْ

مَـلَائِكَـةٌ أَعْظِـمْ بِهِـمْ مِـنْ مُـؤَازِرِ

وَمَــازَالَ يَغْــزُوهُــمْ بِكُــلِّ كَتِيبَــةٍ

مُكَــرَّمَــةٍ أَنْصَــارُهَــا كَــٱلْمُهَــاجِرِ

إِلَىٰ أَنْ أَجَابُوا دَعْوَةَ ٱلْحَقِّ وَٱلْهُدَىٰ

وَأَسْلَــمَ مِنْهُــمْ كُــلُّ طَــاغٍ وَكَــافِــرِ

وَأَدْخَلَهُــمْ فِــي ٱلــدِّيــنِ قَهْــراً وَعُنْــوَةً

بِحَدِّ ٱلْمَوَاضِي وَٱلرِّمَاحِ ٱلشَّوَاجِرِ

لِسَطْــوَتِــهِ تَخْشَــى ٱلْمُلُــوكُ وَتَتَّقِــي

وَمِنْ بَأْسِهِ خَافَتْ كُمَاةُ ٱلْعَشَائِرِ

تَسِيرُ ٱلصَّبَا وَٱلرُّعْبُ شَهْراً بِنَصْرِهِ

تُــزَلْــزِلُهُــمْ مِــنْ قَبْــلِ غَــازٍ وَغَــائِــرِ

فَــرَايَــاتُــهُ مَعْقُــودَةٌ وَجُنُــودُهُ

مُــؤَيَّــدَةٌ بِــٱلنَّصْــرِ مِــنْ خَيْــرِ نَــاصِــرِ

وَأَخْـلَاقُـهُ مَحْمُـودَةٌ وَصِفَـاتُـهُ

وَأَعْـدَاؤُهُ مَقْهُـورَةٌ بِـٱلـدَّوَائِـرِ

وَآيَـاتُـهُ مَشْهُـودَةٌ وَشَهِيـرَةٌ

وَظَـاهِـرَةٌ مَـا بَيْـنَ بَـادٍ وَحَـاضِـرِ

لَـهُ آيَـةُ ٱلْمِعْـرَاجِ وَهْـيَ عَظِيمَـةٌ

وَكَمْ آيَةٍ لَمْ يُحْصِهَا حَصْرُ حَاصِرِ

وَدَعْـوَتُـهُ عَـمَّ ٱلْإِلَـٰهُ بِحُكْمِهَـا

جَمِيـعَ ٱلْبَـرَايَـا مِـنْ قَـدِيـمٍ وَآخِـرِ

وَمُعْجِـزَةُ ٱلْقُـرْآنِ فِـي عُظْـمِ شَـأْنِهَـا

مُـؤَبَّـدَةٌ حَتَّـىٰ قِيَـامِ الْمَحَـاشِـرِ

وَأَقْسَـمَ رَبُّ ٱلْعَـالَمِيـنَ بِعُمْـرِهِ

فَأَعْظِمْ بِهَا مِنْ مَالِكِ ٱلْمُلْكِ قَادِرِ

وَخُلْـقٌ لَـهُ أَثْنَـى ٱلْعَظِيـمُ بِعُظْمِـهِ

عَلَيْـهِ فَكَـانَـتْ مَـرْكَـزاً لِلْمَفَـاخِـرِ

وَفِي ٱلْحَشْرِ حَوْضٌ وَٱللِّوَا وَقِيَامُهُ

لِفَصْلِ ٱلْقَضَا بَعْدَ ٱعْتِذَارِ ٱلْأَكَابِرِ

فَيَشْفَـعُ مَقْبُـولُ ٱلشَّفَـاعَـةِ وَٱلْـوَرَىٰ

بِجُمْلَتِهِـمْ مَـا بَيْـنَ بَـاكٍ وَحَـائِـرِ

* * *

نَبِـيَّ ٱلْهُـدَىٰ لَا تَنْسَنِـي مِـنْ شَفَـاعَـةٍ

فَـإِنِّـي مُسِـيءٌ مُـذْنِـبٌ ذُو جَـرَائِـرِ

أَلَا يَـا رَسُـولَ ٱللهِ عَطْفـاً وَرَحْمَـةً

لِمُسْتَـرْحِـمٍ مُسْتَنْظِـرٍ لِلْمَبَـارِرِ

أَلَا يَــا حَبِيــبَ ٱللهِ غَــوْثــاً وَغَــارَةً

لِــذِي كُــرْبَــةٍ مُسْــوَدَّةٍ كَــٱلــدَّيَــاجِــرِ

أَلَا يَــا خَلِيــلَ ٱللهِ نَجْــدَةَ مَــاجِــدٍ

كَــرِيــمِ ٱلسَّجَــايَــا كَــاشِفــاً لِلْمَعَــاسِــرِ

أَلَا يَــا أَمِيــنَ ٱللهِ أَمْنــاً لِخَــائِــفٍ

أَتَــى هَــارِبــاً مِــنْ ذَنْبِــهِ ٱلْمُتَكَــاثِــرِ

أَلَا يَــا صَفِــيَّ ٱللهِ قُــمْ بِــي فَــإِنَّنِــي

بِكُــمْ وَإِلَيْكُــمْ يَــا شَــرِيــفَ الْعَنَــاصِــرِ

وَسِيلَتُنَــا ٱلْعُظْمَــىٰ إِلَــى ٱللهِ أَنْــتَ يَــا

مَلَاذَ ٱلْوَرَىٰ مِنْ كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ

وَيَــا غَــوْثَ كُــلِّ ٱلْمُسْلِمِيــنَ وَغَيْثَهُــمْ

وَعِصْمَتَهُمْ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَضَائِرِ

حَمَى ٱللهُ أَرْضاً حَلَّ فِيهَا ضَرِيحُكَ ٱلْـ
ـمُعَظَّمُ يَـا تَـاجَ ٱلْعُـلَا وَٱلْمَفَـاخِـرِ

وَحَيَّـا وَأَحْيَـانَـا بِتَيْسِيـرِ عَـوْدَةٍ
إِلَيْهَـا عَلَـىٰ حَـالٍ جَمِيـلٍ وَسَـارِرِ

لِيَبْـرُدَ حَـرٌّ فِـي ٱلْفُـؤَادِ يُثِيـرُهُ ٱشْـ
ـتِيَـاقٌ لِقَلْبِـي شَـامِـلٌ وَلِظَـاهِـرِي

رَعَـى ٱللهُ أَوْقَـاتـاً بِطَيْبَـةَ قَـدْ خَلَـتْ
وَتَـذْكَـارُهَـا مَـازَالَ حَشْـوَ سَـرَائِـرِي

يُمَثِّلُهَـا فِكْـرِيْ فَـأَهْتَـزُّ نَحْـوَهَـا
بِـوَجْـدٍ لَطِيـفٍ أَرْيَحِـيٍّ وَقَـاهِـرِ

إِلَى ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُخْتَارِ صَفْوَةِ رَبِّهِ
وَصَـاحِبِـهِ ٱلصِّـدِّيـقِ خَيْـرِ مُـؤَازِرِ

وَفَارُوقِهِ ٱلْبَرِّ ٱلتَّقِيِّ وَبَضْعَةِ ٱلرَّ

سُولِ وَأُمِّ ٱلطَّيِّبِينَ ٱلزَّوَاهِرِ

وَعُثْمَانَ ذِي ٱلنُّورَيْنِ مَعْ كُلِّ مَنْ حَوَىٰ

بَقِيعُ ٱلنَّدَىٰ مِنْ سَادَةٍ وَأَكَابِرِ

وَلَا تَنْسَ مَوْلَانَا أَبَا ٱلْحَسَنِ ٱلرِّضَىٰ

وَإِنْ كَانَ لَمْ يُدْفَنْ بِتِلْكَ ٱلْمَقَابِرِ

لِمَغْنَىٰ قُبَاهَا وَٱلْكَثِيبِ وَرَامَةٍ

وَأُحْدٍ وَسَلْعٍ وَٱلنَّقَا وَٱلْمَآثِرِ

سَقَاهَا إِلَٰهِي كُلَّ وَابِلِ رَحْمَةٍ

مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ ٱلْمُغْدِقَاتِ ٱلْمَوَاطِرِ

وَأَنْبَتَهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِثُمْرِهِ

وَأَزْهَارِهِ تَمْتِيعُ نَفْسٍ وَنَاظِرِ

وَلِلْحَـرَمَيْنِ ٱلْأَكْـرَمَيْـنِ سُـؤَالُنَـا

مِـنَ ٱللهِ أَمْنـاً شَـامِـلاً لِلْمَظَـاهِـرِ

وَعَـافِيَـةً مِـنْ كُـلِّ بُـؤْسٍ وَفِتْنَـةٍ

وَرِزْقـاً هَنِيئـاً وَاسِعـاً غَيْـرَ قَـاصِـرِ

وَأَنْ يَسْتَقِيـمَ ٱلْحَـقُّ وَٱلـدِّيـنُ فِيهِمَـا

وَيَحْيَـا مِـنَ ٱلْإِسْـلَامِ كُـلُّ ٱلـدَّوَاثِـرِ

وَفِي سَائِرِ ٱلْأَقْطَارِ مِنْ أَهْلِ دِينِنَا

فَـذَلِـكَ فَضْـلٌ مِـنْ كَـرِيـمٍ وَقَـادِرِ

إِلَـٰـهٍ رَحِيـمٍ مُحْسِـنٍ مُتَفَضِّـلٍ

عَلَـىٰ كُـلِّ بَـرٍّ فِـي ٱلْـوُجُـودِ وَفَـاجِـرِ

لَـهُ ٱلْحَمْـدُ لَا نُحْصِـي ثَنَـاهُ وَشُكْـرَهُ

عَلَىٰ نِعَمٍ لَمْ يُحْصِهَا حَصْرُ حَاصِرِ

عَلَىٰ مَا هَدَانَا وَٱجْتَبَانَا وَخَصَّنَا

وَخَوَّلَنَا فِي ظَاهِرٍ وَسَرَائِرِ

عَلَىٰ جَلْبِهِ ٱلْمَحْبُوبَ مِنْ كُلِّ نَافِعٍ

عَلَىٰ دَفْعِهِ ٱلْمَرْهُوبَ مِنْ كُلِّ ضَائِرِ

عَلَى ٱلْمَنِّ وَٱلطَّوْلِ ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ بِهِ

يَعُودُ عَلَيْنَا بِٱلْأَيَادِي ٱلْغَوَامِرِ

عَلَىٰ لُطْفِهِ ٱلْجَارِي ٱلْخَفِيِّ وسَتْرِهِ ٱلْـ

ـجَمِيلِ وَفَضْلٍ فَائِضٍ مُتكَاثِرِ

وَبِرٍّ وَمَعْرُوفٍ وَخَيْرٍ مُوَسَّعٍ

وَجُودٍ وَإِحْسَانٍ عَمِيمٍ وَوَافِرِ

وَكَمْ نِعْمَةٍ أَسْدَىٰ وَكَمْ مِحْنَةٍ زَوَىٰ

وَكَمْ كُرْبَةٍ جَلَّىٰ بِسِرٍّ وَظَاهِرِ

وَكَمْ سَقَمٍ عَافَىٰ وَكَمْ مُعْتَدٍ كَفَىٰ
وَرَدَّ بِسَعْـيٍ خَـائِـبٍ غَيْـرَ ظَـافِـرِ
وَكَـمْ حَـاسِـدٍ يَبْغِـي ٱلْغَـوَائِـلَ كَـادَهُ
وَأَكْبَتَـهُ فَـٱنْكَـبَّ فِـي حَـالِ خَـاسِـرِ
فَلَسْـتُ بِشُكْـرِ ٱللهِ رَبِّـي وَخَـالِقِـي
أَقُـومُ عَلَـىٰ إِحْسَـانِـهِ ٱلْمُتَـوَاتِـرِ
وَلَـٰكِنَّنِـي بِـٱلْعَجْـزِ عَـنْ حَـقِّ شُكْـرِهِ
مُقِرٌّ وَلَوْ شَمَّرْتُ فِي سَعْيِ شَاكِرِ
وَلَـوْ كَـانَ لِـي عُمْـرُ ٱلـدُّنَـا وَقَطَعْتُـهُ
بِـأَفْضَـلِ شُكْـرِ ٱلشَّـاكِـرِيـنَ ٱلْأَكَـابِـرِ
وَأَضْعَافِ أَضْعَافِ ٱلْجَمِيعِ مُضَاعَفاً
بِـلَا أَمَـدٍ يَـأْتِـي عَلَيْـهِ وَآخِـرِ

لَمَا قُمْتُ بِٱلشُّكْرِ ٱلَّذِي هُوَ أَهْلُهُ

وَكُنْتُ مَعَ ٱلتَّقْصِيرِ فِي وَصْفِ قَاصِرِ

وَكَيْفَ وَأَنِّي لَسْتُ فِي حِفْظِ حَقِّهِ

وَفِي شُكْرِهِ آتٍ بِطَوْقِي وَحَاضِرِي

فَــأَسْتَغْفِــرُ ٱللهَ ٱلْعَظِيــمَ لِــزَلَّتِــي

وَعَجْزِي وَتَقْصِيرِي وَعُظْمِ جَرَائِرِي

وَأَسْــأَلُــهُ تَــوْفِيقــاً وَأَمْنــاً وَرَحْمَــةً

وَلُطْفــاً وَيُسْــراً كَــاشِفــاً لِلْمَعَــاسِــرِ

وَلِلْعَفْــوِ وَٱلْغُفْــرَانِ وَٱلصَّفْــحِ أَرْتَجِي

مِــنَ ٱللهِ غَفَّــارِ ٱلــذُّنُــوبِ ٱلْكَبَــائِــرِ

فَظَنِّــي جَمِيــلٌ فِــي إِلَٰـهِــي وَخَــالِقِــي

وَحَسْبِي بِهِ مِنْ قَابِلِ ٱلتَّوْبِ غَافِرِ

نُـوَحِّـدُهُ سُبْحَـانَـهُ وَهْـوَ وَاحِـدٌ

تَقَـدَّسَ عَـنْ مِثْـلٍ لَـهُ وَمُنَـاظِـرِ

وَلَيْـسَ لَـهُ فِـي ذَاتِـهِ وَصِفَـاتِـهِ

شَرِيكٌ تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ قَوْلِ كَافِرِ

وَجَـلَّ عَـنِ ٱلتَّشْبِيـهِ وَٱلْكَيْـفِ رَبُّنَـا

وَعَنْ كُلِّ مَا يَجْرِي بِوَهْمٍ وَخَاطِرِ

وَعَـنْ جِهَـةٍ تَحْـوِيـهِ أَوْ زَمَـنٍ بِـهِ

يُحَـدُّ تَعَـالَـىٰ عَـنْ بُـدُوٍّ وَآخِـرِ

عَلِيـمٌ وَحَـيٌّ قَـادِرٌ مُتَكَلِّـمٌ

مُـرِيـدٌ سَمِيـعٌ مُبْصِـرٌ بِـٱلْمَصَـادِرِ

أَحَاطَ بِتَحْتِ ٱلتَّحْتِ وَٱلْفَوقِ عِلْمُهُ

وَيَعْلَـمُ مَـا يَبْـدُو وَمَـا فِـيَ ٱلضَّمَـائِرِ

وَمِـنْ عَـدَمٍ أَنْشَـا ٱلْعَـوَالِـمَ كُلَّهَـا

بِقُــدْرَتِــهِ فَــٱعْظِــمْ بِقُــدْرَةِ قَــادِرِ

وَلَا كَـائِـنٌ قَـدْ كَـانَ أَوْ هُـوَ كَـائِـنٌ

سِـوَىٰ بِمُـرَادِ ٱللهِ مِـنْ غَيْـرِ حَـاصِـرِ

وَيَسْمَـعُ حِـسَّ ٱلنَّمْـلِ عِنْـدَ دَبِيبِـهِ

وَيُبْصِـرُ مَـا تَحْـتَ ٱلْبِحَـارِ ٱلـزَّوَاخِـرِ

وَأَنَّ كَــلَامَ ٱللهِ وَصْــفٌ لِــذَاتِــهِ

وَلَيْـسَ بِمَخْلُـوقٍ خِـلَافـاً لِصَـاغِـرِ

وَأَفْعَـالُـهُ فَضْــلٌ وَعَــدْلٌ وَحِكْمَـةٌ

وَلَيْــسَ بِظَــلَّامٍ وَلَيْــسَ بِجَــائِــرِ

يُثِيـبُ عَلَـى ٱلطَّـاعَـاتِ فَضْـلاً وَمِنَّـةً

وَتَعْـذِيبُـهُ قِسْـطٌ لِعَـاصٍ وَفَـاجِـرِ

تُسَبِّحُ كُلُّ ٱلْكَائِنَاتِ بِحَمْدِهِ

وَتَسْجُدُ إِعْظَاماً لَهُ عَنْ تَصَاغُرِ

فَسُبْحَانَهُ مِنْ خَالِقٍ مَا أَجَلَّهُ

وَأَعْظَمَهُ مُنْشِي ٱلسَّحَابِ ٱلْمَوَاطِرِ

وَمُحْيِي بِهَا مَيْتاً مِنَ ٱلْأَرْضِ هَامِداً

وَمُنْبِتِهِ مِنْ كُلِّ رَطْبٍ وَنَاضِرِ

وَرَافِعِ أَطْبَاقِ ٱلسَّمَٰوَاتِ عِبْرَةً

مُزَيِّنِهَا بِٱلنَّيِّرَاتِ ٱلزَّوَاهِرِ

وَمُجْرِي ٱلرِّيَاحِ ٱلذَّارِيَاتِ بِمَا يَشَا

وَمُمْسِكِ فِي جَوِّ ٱلسَّمَا كُلَّ طَائِرِ

وَمُرْسِي ٱلْأَرَاضِي بِٱلْجِبَالِ وَفِيهِمَا

جَمِيعاً مِنَ ٱلْآيَاتِ يَا رُبَّ بَاهِرِ

وَفِي ٱلْبَحْرِ كَمْ مِنْ آيَةٍ حَارَ عِنْدَهَا
وَسَبَّحَ إِعْظَاماً لَهُ كُلُّ نَاظِرِ

بِهِ ٱلْفُلْكُ تَجْرِي شَاحِنَاتٍ بِأَمْرِهِ
وَلَحْمٌ طَرِيٌّ مِنْ نَفِيسِ ٱلْجَوَاهِرِ

وَفِي ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْعَجَائِبُ فَٱعْتَبِرْ
وَفَكِّرْ وَعُدْ بِٱلطَّرْفِ خَاسٍ وَحَاسِرِ

وَكَمْ فِي ٱلْجَمَادَاتِ ٱلصَّوَامِتِ عِبْرَةٌ
لِمُعْتَبِرٍ مُسْتَيْقِظِ ٱلْقَلْبِ حَاضِرِ

فَقَدْ مَلَأَ ٱللهُ ٱلْعَوَالِمَ حِكْمَةً
وَأَشْحَنَهَا بِٱلْمُبْدَعَاتِ ٱلْبَوَاهِرِ

لِيَنْظُرَ فِيهَا ٱلنَّاظِرُونَ فَيَعْلَمُوا
بِهَا قُدْرَةَ ٱلْمُنْشِي لَهَا خَيْرِ قَادِرِ

وَيَسْتَيْقِنُوا أَنْ لَا إِلَـٰهاً وَخَالِقاً
سِوَى ٱللهِ جَلَّ ٱللهُ رَبِّي وَفَاطِرِي

وَأَشْهَدُ أَنَّ ٱللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
إِلَـٰهُ ٱلْبَرَايَا عَالِمٌ بِٱلسَّرَائِرِ

مَلِيكٌ جَمِيعُ ٱلْعَالَمِينَ عَبِيدُهُ
وَفِي قَهْرِهِ مِنْ صَاغِرٍ وَأَكَابِرِ

وُقُوفٌ عَلَىٰ أَبْوَابِهِ يَرْتَجُونَهُ
وَيَخْشَونَهُ عَنْ ذِلَّةٍ وَتَصَاغُرِ

وَأَشْهَدُ أَنَّ ٱللهَ أَرْسَلَ أَحْمَداً
إِلَى ٱلْخَلْقِ طُرّاً بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْبَصَائِرِ

فَبَلَّغَ أَمْرَ ٱللهِ تَبْلِيغَ صَادِقٍ
أَمِينٍ شَفِيقٍ وَاسِعِ ٱلْقَلْبِ صَابِرِ

وَجَاهَدَ فِي ٱلرَّحْمَـٰنِ حَقَّ جِهَادِهِ
وَشَمَّـــرَ حَتَّـــىٰ رَدَّ كُــلَّ مُكَــابِــرِ

وَأَشْهَـدُ أَنَّ ٱلْمَـوْتَ حَـقٌّ وَكُـلَّ مَـا
أَتَىٰ بَعْدَهُ مِنْ بَعْثِ مَنْ فِي ٱلْمَقابِرِ

وَحَشْــرٍ وَمِيــزَانٍ وَنَــارٍ وَجَنَّـــةٍ
وَجِسْرٍ وَحَوْضٍ طَيِّبِ ٱلْمَاءِ عَاطِرِ

لِسَيِّدِنَا ٱلْهَادِي ٱلشَّفِيعِ (مُحَمَّدٍ)
حَمِيدِ ٱلْمَسَاعِي كُلِّهَا وَٱلْمَآثِرِ

عَلَيْــهِ صَــلَاةٌ تَشْمُــلُ ٱلْآلَ بَعْــدَهُ
مَعَ ٱلصَّحْبِ مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ وَغَافِرِ

* * *

وقال رضي الله عنه :

(١٨/ ر)

مَـا لِلْفُـؤَادِ يَفِيـضُ بِـاْلأَكْـدَارِ
وَكَـأَنَّ فِيـهِ تَلَهُّبـاً مِـنْ نَـارِ

وَلِمُقْلَـةٍ عَبْـرَىٰ تَفِيـضُ دُمُـوعُهَـا
سَحّـاً كَفَيْـضِ ٱلْـوَابِـلِ ٱلْمِـدْرَارِ

حُـزْنـاً عَلَـى ٱلْأَحْبَـابِ لَمَّـا فَـارَقُـوا
وَتَـرَحَّلُـوا عَـنْ مَـرْبَعِـي وَجِـوَارِي

وَسَرَتْ بِهِمْ نُجُبُ ٱلرَّكَائِبِ تَرْتَمِي
وَتَـؤُمُّ دَاراً بُـورِكَـتْ مِـنْ دَارِ

هَذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱلشُّجُونَ وَهَاجَهَا
وَأَصَـارَنِـي لَا يَسْتَقِـرُّ قَـرَارِي

يَا حَسْرَتِي مِنْ بُعْدِهِمْ يَا لَوْعَتِي
يَـا طُـولَ حُـزْنِـي لِٱنْتِـزَاحِ مَـزَارِي
يَـا كُـرْبَتِي يَـا غُـرْبَتِـي يَـا وَحْـدَتِـي
يَـا وَحْشَتِـي يَـا حَيْـرَتِـي بِقِفَـارِ
لَهَفِـي عَلَـىٰ ظَبْـيِ ٱلنَّقَـا وَمُحَجَّـرٍ
وَغَـزَالِ نَجْـدٍ مُنْتَهَـىٰ أَوْطَـارِي
مِسْكِيَّـةِ ٱلْأَعْـرَافِ ذَاتِ مَحَـاسِـنٍ
تُسْبِـي ٱللَّبِيـبَ حَمِيـدَةِ الْآثَـارِ
قَدْ كَانَ أُنْسِي فِي ٱلْوُجُودِ وُجُودَهَا
بِشَمَـائِـلٍ مِثْـلِ ٱلنَّسِيـمِ ٱلسَّـارِي
أَلِـفَ ٱلـرُّبُـوعَ وَصَـارَ فِيهَـا آنِسـاً
لَا تَعْتَـرِيـهِ خَـوَاطِـرُ ٱلْأَسْفَـارِ

حَتَّـىٰ أَتَـاهُ مِـنَ ٱلْمُقَـدَّرِ مُـزْعِـجٌ

وَٱلْكَـــوْنُ دَوَّارٌ مَـــعَ ٱلْأَقْـــدَارِ

فَمَضَـىٰ عَلَـىٰ وَجْـهِ ٱلسَّبِيـلِ مُيَمِّمـاً

لِمَهَـــابِـــطِ ٱلْأَنْـــوَارِ مِـــنْ بَشَّـــارِ

وَبَقِيـتُ مُضْطَـرِبَ ٱلْجَـوَانِـحِ بَعْـدَهُ

مُتَشَـــوِّشَ ٱلْإِعْـــلَانِ وَٱلْإِسْـــرَارِ

يَـا ظَبْـيَ عَيْـدِيـدِ ٱلْمُبَـارَكِ عَـوْدَةً

يَحْيَـا بِهَـا دَنِـفٌ أَخُـو تَـذْكَـارِ

تَجْـرِي مَـدَامِعُـهُ إِذَا جَـنَّ ٱلـدُّجَـىٰ

وَيَحِـــنُّ بِـــٱلْآصَـــالِ وَٱلْإِبْكَـــارِ

أَسَفـاً عَلَيْـكَ وَحَسْـرَةً وَتَـوَجُّعـاً

وَٱلْأَمْـــرُ لِلهِ ٱلْعَـــزِيـــزِ ٱلْبَـــارِي

يَـا قَلْـبُ لَا تَجْـزَعْ وَكُـنْ مُتَصَبِّـراً

مُتَـوَقِّـراً فِـي كُـلِّ خَطْـبٍ طَـارِي

مُتَنَظِّـــراً مُتَـــوَقِّعـــاً مُتَـــرَجِّيـــاً

مُتَـــرَقِّبـــاً لِلطَـــائِـــفِ ٱلْجَبَّـــارِ

ٱلْـوَاحِـدِ ٱلْمَلِـكِ ٱلـرَّفِيـعِ جَـلَالُـهُ

مُتَـــوَاصِـــلِ ٱلْإِحْسَـــانِ وَٱلْإِبْـــرَارِ

رَبٌّ عَظِيـــمٌ مُخْلِـــفٌ وَمُعَـــوِّضٌ

مَـــا فَـــاتَ بِـــٱلْأَضْعَـــافِ وَٱلْإِكْثَـــارِ

وَإِذَا ٱلْحَـــوادِثُ أَظْلَمَـــتْ وَتَنَكَّـــرَتْ

فَـٱفْـزَعْ إِلَـىٰ جَـاهِ ٱلنَّبِـي ٱلْمُخْتَـارِ

ٱلْمُصْطَفَى ٱلْهَادِي ٱلْأَنَامَ إِلَى ٱلْهُدَىٰ

زَيْـــنِ ٱلْـــوُجُـــودِ وَخِيـــرَةِ ٱلْأَخْيَـــارِ

اَلْمُجْتَبَىٰ اَلْمُنْتَقَىٰ مِنْ هَاشِمٍ
بَحْرِ ٱلنَّدَىٰ وَٱلْفَضْلِ وَٱلْإِيثَارِ
(وَمُحَمَّدِ) ٱلْمَحْمُودِ ذِي ٱلْجَاهِ ٱلَّذِي
وَسِعَ ٱلْبَرَايَا سَيِّدِ ٱلْأَبْرَارِ
خَيْرِ ٱلْوَرَىٰ وَمَلَاذِ كُلِّ مُؤَمِّلٍ
وَمُدَمِّرِ ٱلطَّاغِينَ وَٱلْكُفَّارِ
وَمُقَدَّمِ ٱلرُّسُلِ ٱلْكِرَامِ إِمَامِهِمْ
وَخِتَامِهِمْ مِنْ غَيْرِ مَا إِنْكَارِ
قَدْ خَصَّهُ ٱلرَّبُّ ٱلْكَرِيمُ بِقُرْبِهِ
وَرِضَاهُ وَٱلْغُفْرَانِ وَٱلْأَسْرَارِ
وَبِلَيْلَةِ ٱلْمِعْرَاجِ لَمَّا أَنْ رَقَىٰ
أَعْلَى ٱلذُّرَىٰ فِي حَضْرَةِ ٱلْقَهَّارِ

وَمَـرَاتِـبٍ وَمَنَـاقِـبٍ وَفَضَـائِـلٍ

وَوَسَـائِـلٍ مَـرْفُـوعَـةِ ٱلْمِقْـدَارِ

يَـا سَيِّـدِي يَـا سَنَـدِي يَـا عُمْـدَتِـي

يَـا عُـدَّتِـي فِـي عُسْـرَتِـي وَيَسَـارِي

يَا مَفْزَعِي عِنْدَ ٱلْكُرُوبِ وَمَلْجَئِي

عِنْـدَ ٱلْخُطُـوبِ وَخَشْيَـةِ ٱلْإِضْـرَارِ

يَـا عِصْمَتِـي يَـا نُصْـرَتِـي يَـا قُـوَّتِـي

يَـا مُنْجِـدِي يَـا مُنْقِـذِي يَـا جَـارِي

يَـا سَيِّـدَ ٱلشُّفَعَـاءِ أَدْرِكْنِـي فَقَـدْ

أَصْبَحْـتُ فِـي بَحْـرِ ٱلْأَسَـىٰ مُتَـوَارِي

وَعَلَـيَّ مِـنْ لَيْـلِ ٱلْغُمُـومِ دُجُنَّـةٌ

أَمْسَيْـتُ فِيهَـا حَـائِـرَ ٱلْأَفْكَـارِ

وَبِقَلْبِـيَ ٱلْـوَجْـدُ ٱلَّـذِي مَـا زَالَ فِـي
سَــوْدَائِــهِ مُتَــأَجِّجــاً كَــٱلنَّــارِ

مِــنْ فُـرْقَـةِ ٱلْأَحْبَـابِ وَٱلْأُلَّافِ لِـي
مَــعْ قِلَّــةِ ٱلْأَعْــوَانِ وَٱلْأَنْصَــارِ

قُــمْ يَــا رَسُــولَ ٱللهِ بِـي وَتَــوَلَّنِـي
وَٱشْفَـعْ إِلَـى ٱلـرَّحْمَـٰنِ فِي أَوْزَارِي

وَٱسْــأَلْــهُ كَشْــفَ مُهِمَّتِــي وَمُلِمَّتِــي
وَقَضَــاءَ حَــاجَـاتِــي وَسَتْـرَ عَـوَارِي

وَصَـلَاحَ حَـالَاتِـي وَحُسْـنَ عَـوَاقِبِـي
وَسَـدَادَ خَـاتِمَتِـي وَحُسْـنَ جِـوَارِي

وَدَوَامَ عَــافِيَــةٍ وَعَفْــوٍ شَــامِــلٍ
وَكَمَــالَ تَــوْفِيــقٍ وَلُطْــفٍ جَــارِي

وَعَلَيْكَ صَلَّى ٱللهُ يَا عَلَمَ ٱلْهُدَىٰ

مَا هَبَّتِ ٱلنَّسَمَاتُ بِٱلْأَسْحَارِ

وَٱلْآلِ وَٱلصَّحْبِ ٱلْكِرَامِ وَتَابِعٍ

مَا غَنَّتِ ٱلْأَطْيَارُ فِي ٱلْأَشْجَارِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٩/ ر)

نَحْمَــدُ ٱللهَ عَلَــى ٱلْخَيْــرِ ٱلْكَثِيــرْ
نِعْمَــةِ ٱلتَّــوْحِيــدِ وَٱلــدِّيــنِ ٱلْيَسِيــرْ
وَرَسُـــولٍ جَــاءَ بِــٱلْحَــقِّ بَشِيــرْ
وَنَــذِيــراً بِــٱلْكِتَــابِ ٱلْمُسْتَنِيــرْ
وَإِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ٱلْمَصِيرْ
أَيُّهَــا ٱلنَّــاسُ أَطِيعُــوا وَٱسْمَعُــوا
وَٱسْتَجِيبُــوا وَٱسْتَقِيمُــوا وَٱتْبَعُــوا
وَإِلَــى ٱللهِ أَنِيبُــوا وَٱسْــرِعُــوا
قَبْــلَ أَنْ يَــأْتِيكُــمُ ٱلْيَــومُ ٱلْعَسِيــرْ
وَإِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ٱلْمَصِيرْ

ظَهَــرَ ٱلْحَــقُّ فَلَــمْ يَبْــقَ ٱرْتِيَــابْ

وَبَـدَتْ شَمْـسُ ٱلْهِـدَايَـهْ وَٱلصَّـوَابْ

فَٱنْهَضُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُرْخَى ٱلْحِجَابْ

وَٱعْمَلُـوا لِلْخُلْـدِ فِـي ٱلْيَـوْمِ ٱلْقَصِيـرْ

وَإِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ٱلْمَصِيرْ

وَٱسْتَعِــدُّوا لِمُــلَاقَــاةِ ٱلْعَظِيــمْ

بِــٱمْتِثَــالِ ٱلْأَمْــرِ وَٱلْقَلْــبِ ٱلسَّلِيــمْ

وَٱجْتِنَــابِ ٱلنَّهْــيِ وَٱلْفِعْــلِ ٱلـذَّمِيـمْ

وَٱحْذَرُوا عِصْيَانَ ذِي ٱلْعَرْشِ ٱلْقَدِيرْ

وَإِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ٱلْمَصِيرْ

أَيُّهَــــا ٱلنَّـــاسُ اتَّقُــوا دَارَ ٱلْفَنَـــا

وَٱحْــذَرُوهَــا إِنَّهَــا رَأْسُ ٱلْعَنَـــا

وَٱطْلُبُــوا دَارَ ٱلْكَــرَامَــهْ وَٱلْهَنَـــا

وَٱلنَّعِيـمِ ٱلْمَحْـضِ وَٱلْمُلْـكِ ٱلْكَبِيـرْ

وَإِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ اَلْمَصِيرْ

كَيْـفَ تَــرْضَــونَ بِـدُنْيَـا لَا تَــدُومْ

حُشِيَــتْ شُغْــلاً وَبُــؤْســاً وَهُمُــومْ

وَعَنَـــــاءً وَبَـــــلَاءً وَغُمُـــــومْ

فَــٱرْفُضُــوهَــا إِنَّهَــا ٱلنَّــزْرُ ٱلْحَقِيــرْ

وَإِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ اَلْمَصِيرْ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَطِيعُوا مَنْ خَلَقْ

وَتَفَضَّلْ وَتَطَوَّلْ وَرَزَقْ

وَتَوَحَّدْ وَتَفَرَّدْ وَٱسْتَحَقْ

كُلَّ حَمْدٍ وَتَقَدَّسْ عَنْ نَظِيرْ

وَإِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ اَلْمَصِيرْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢٠/ ر)

نَسِيمْ حَاجِرْ يَا نَسِيمْ حَاجِرْ
هَلْ مِنْ خَبَرْ تُشْفِي بِهِ ٱلْخَوَاطِرْ
عَنْ جِيرَةِ ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي تُجَاوِرْ
فَٱلشَّوْقُ قَدْ أَرْبَىٰ عَلَى ٱلسَّرَائِرْ

* * *

وَافَيْتَ رَبْعِي يَا نَسِيمْ ٱلْأَسْحَارْ
مِنْ بَعْدِمَا نَامَتْ عُيُونْ ٱلْأَغْيَارْ
عَسَىٰ مَعَكْ لِي يَا نَسِيمْ أَخْبَارْ
عَنْ ٱلْحَبِيبِ ٱلنَّازِحِ ٱلْمُهَاجِرْ

* * *

حُـبُّ ٱلْأَحِبَّـهْ فِـي ٱلْفُـؤَادْ خَيَّـمْ

لَا بَـلْ جَـرَىٰ مِنِّـي مَجَـارِيَ ٱلـدَّمْ

وَكُلَّمَـا بَـرْقُ ٱلْحِمَـىٰ تَبَسَّـمْ

فَاضَتْ دُمُوعُ ٱلْعَيْنْ فِي ٱلْمَحَاجِرْ

* * *

مَضَـىٰ زَمَـانِـي فِـي ٱلْجَفَـا وَدَهْـرِي

وَمَـدْمَعِـي قَـدْ خَـانَنِـي وَصَبْـرِي

وَضَـاقَ بِـٱلْفُـرْقَـهْ فَسِيـحُ صَـدْرِي

مَـا حِيلَتِـي كَـمْ شَـا أَكُـونْ صَـابِـرْ

* * *

عَسَـىٰ عَسَـىٰ يَـا سَـاكِنِيـنْ نعْمَـانْ

أَنْ يَنْثَنِـي حَـالُ ٱلصَّفَـا ٱلَّـذِي كَـانْ

وَيَنْكَشِـفْ حَـالُ ٱلْأَسَـىٰ وَٱلْأَشْجَـانْ

بِـوَصِـلْ لَيْلَـىٰ بَهْجَـةِ ٱلْمَسَـامِـرْ

* * *

أَنَـا ٱلَّـذِي فِـي حُبِّهَـا مُتَيَّـمْ

مَحْـزُونْ مَشْجُـونُ ٱلْفُـؤَادْ مُغْـرَمْ

فَهَـلْ تَـرَاهَـا يَـا نَـدِيـمْ تَعْلَـمْ

بِمَـا بِقَلْبِـي مِـنْ هَـوىً مُخَـامِـرْ

* * *

يَـا سَـاكِنِيـنَ ٱلسَّفِـحْ مِـنْ فُـؤَادِي

وَادِي ٱلنَّقَـا يَـا خَيْـرَ كُـلِّ وَادِي

حَيْـثُ ٱلْمَنَـادَىٰ يَسْمَـعُ ٱلْمُنَـادِي

يَا أَهْلَ ٱلْبَصَائِرْ حَدِّقُوا ٱلْبَصَائِرْ

* * *

هَـٰذَا جَمَـالُ ٱلْحَـقِّ قَـدْ تَجَلَّـىٰ

وَلَـمْ يَكُـنْ مَحْجُـوبْ قَبْـلُ كَـلَّا

لَكِـنَّ قَلْـبَ ٱلْعَبْـدِ حِيـنَ يُجْلَـىٰ

شَـاهَـدْ وَكَـانَـتْ مِنُّـهُ ٱلسَّـوَاتِـرْ

* * *

طُـورُ ٱلتَّجَلِّـي قَلْـبُ كُـلِّ عَـارِفْ
وَمَهْبَـطُ ٱلْأَسْـرَارْ وَٱللَّطَـائِـفْ
وَٱلنَّفِـسْ مُـوْسَـىٰ تَشْهَـدُ ٱلْمَعَـارِفْ
مَهْمَـا تَجَلَّـتْ وَٱثْبِـتِ ٱلظَّـوَاهِـرْ

* * *

وَٱلنَّفِـسْ مِغْنَـاطِيـسْ أَمِـرْ ٱلِٱلْهَـامْ
وَٱلـرُّوحْ مِغْنَـاطِيسْ كُـوْنْ ٱلَٱجْسَـامْ
وَذَاكْ مِـنْ بَعْـدِ التَّـوَجُّـهِ ٱلتَّـامْ
بِكُـلِّ بَـاطِـنْ وَبِكُـلِّ ظَـاهِـرْ

* * *

ٱللهُ أَكْبَـــرْ هَـٰـــذِهِ ٱلْحَقِيقَـــهْ

قَـدْ أَشْـرَقَـتْ مِـنْ مَشْـرِقِ ٱلطَّـرِيقَـهْ

فَـٱمْسِـكْ أَخِـي بِـٱلْعُـرْوَةِ ٱلْـوَثِيقَـهْ

وَهْــيَ ٱتِّبَـاعُـكْ سَيِّـدَ ٱلْعَشَـائِـرْ

* * *

(مُحَمَّـدَ) ٱلْمَبْعُـوثْ بِـٱلْهِـدَايَـهْ

وَٱلْحَــقِّ وَٱلتَّحْقِيــقِ وَٱلْــوِلَايَــهْ

إِنْسَــانَ عَيْـنِ ٱلْكَشْـفِ وَٱلْعِنَـايَـهْ

وَرُوحْ مَعْنَـىٰ جُمْلَـةِ ٱلْمَظَـاهِـرْ

* * *

وقال رضي الله عنه :

(٢١/ر)

وَكَـمْ مِحْنَـةٍ كَـابَـدْتُهَـا وَبَلِيَّـةٍ
إِلَـىٰ أَنْ أَتَـانَـا ٱللهُ بِـٱلْفَتْـحِ وَٱلنَّصْـرِ

صَبَرْتُ لَهَا حَتَّىٰ انْقَضَىٰ وَقْتُهَا ٱلَّذِي
بِهِ وُقِّتَتْ فِي سَابِقِ ٱلْعِلْمِ وَٱلذِّكْرِ

وَلَـوْ أَنَّنِـي بَـادَرْتُهَـا قَبْـلَ تَنْقَضِـي
بِمَا تَقْتَضِيهِ ٱلنَّفْسُ فِي حَالَةِ ٱلْعُسْرِ

مِنَ ٱلْجَزَعِ ٱلْمَذْمُومِ وَٱلْغَمِّ وَٱلْأَسَىٰ
لَكُنْتُ قَدِ اسْتَجْلَبْتُ ضُرّاً إِلَىٰ ضُرِّ

وَمَا جَزَعُ ٱلْإِنْسَانِ فِي حَالَةِ ٱلْبَلَا
سِوَىٰ تَعَبٍ فِي ٱلْحَالِ يَذْهَبُ بِٱلْأَجْرِ

إِذَا مَـا ٱبْتَـلَاكَ ٱللهُ فَـٱلصَّبْـرُ حَقُّـهُ

عَلَيْكَ وَإِنْ أَوْلَاكَ فَٱلْحَقُّ فِي ٱلشُّكْرِ

وَمَـنْ عَـرَفَ ٱلـدُّنْيَـا تَحَقَّـقَ أَنَّهَـا

بِلَا مِرْيَةٍ مُسْتَوْطَنُ ٱلْبُؤْسِ وَٱلشَّرِّ

فَـلَا بُـدَّ لِـلْإِنْسَـانِ طُـولَ حَيَـاتِـهِ

وَمَـا دَامَ فِيهَـا مِـنْ مُـلَازَمَـةِ ٱلصَّبْـرِ

فَطُـوبَـىٰ لِعَبْـدٍ قَـدْ تَجَـافَـىٰ نَعِيمَهَـا

وَآثَـرَ دَاراً خَيْـرُهَـا أَبَـداً يَجْـرِي

هِيَ ٱلْجَنَّةُ ٱلْخُلْدُ ٱلَّتِي طَابَ نُزْلُهَا

لِقَوْمٍ أَطَاعُوا ٱللهَ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ

رِجَـالٍ كِـرَامٍ عَظَّمُـوا حَـقَّ رَبِّهِـمْ

وَقَامُوا بِهِ فِي حَالَةِ ٱلْعُسْرِ وَٱلْيُسْرِ

أَقَــامُــوا كِتَــابَ ٱللهِ وَٱسْتَمْسَكُــوا بِــهِ
وَبِــٱلسُّنَّــةِ ٱلْغَــرَّاءِ وَٱلْأَنْجُــمِ ٱلــزُّهْــرِ
هُــدَاةِ ٱلْــوَرَىٰ طُــوبَــىٰ لِعَبْــدٍ رَآهُــمُ
وَجَــالَسَهُــمْ لَــوْ مَــرَّةً مِنْــهُ فِــي ٱلْعُمْــرِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢٢/ ر)

هَـوِّنْ عَلَيْـكَ نَـوَائِـبَ ٱلـدَّهْـرِ
يَهُـنْ عَلَيْـكَ كُـلُّ مَـا يَجْـرِي

وَكُـنْ لِلُطْـفِ ٱللهِ مُسْتَنْظِـراً
مِـنْ حَيْـثُ لَا تَـدْرِيـهِ أَوْ تَـدْرِي

فَكَـمْ لَـهُ مِـنْ فَـرَجٍ عَـاجِـلٍ
يَكْشِـفُ لِلْبَـأْسَـاءِ وَٱلضُّـرِّ

فَحَسِّـنِ الظَّـنَّ بِمَـوْلَاكَ فِـي ٱلْـ
أَحْـوَالِ مِـنْ يُسْـرٍ وَمِـنْ عُسْـرِ

وَرَوِّحِ ٱلْقَلْـبَ بِـرَوْحِ ٱلـرِّضَـا
تَعِيـشُ فِـي أُنْـسٍ وَفِـي بِشْـرِ

وَكُـنْ مِـنَ ٱلشُّكْـرِ عَلَـىٰ غَـايَـةٍ

إِنَّ النَّعِيـمَ ٱلصِّـرْفَ فِـي ٱلشُّكْـرِ

نَعَـمْ وَعَـوِّلْ فِـي جَمِيـعِ ٱلْأُمُـورْ

مَـا دُمْـتَ فِي ٱلـدُّنْيَـا عَلَـى ٱلصَّبْـرِ

فَـإِنَّهَـا دَارُ ٱلْمِحَـنْ وَٱلْأَسَـىٰ

مِـنْ غَيْـرِ مَـا شَـكٍّ وَلَا نُكْـرِ

طُـوبَـىٰ لِمَـنْ جَـانَبَهَـا وَٱتَّصَـفْ

بِـٱلـزُّهْـدِ فِيهَـا مُـدَّةَ ٱلْعُمْـرِ

يَـا رَبِّ وَفِّقْنَـا وَسَـدِّدْ وَكُـنْ

عَـوْنـاً لَنَـا فِـي ٱلسِّـرِّ وَٱلْجَهْـرِ

وَٱغْفِـرْ لَنَـا وَٱلْطُـفْ بِنَـا دَائِمـاً

وَٱخْتِـمْ لَنَـا بِـٱلْخَيْـرِ وَٱلْبِـرِّ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢٣/ ر)

يَـا أَحْمَـدَ ٱللهْ يُيَسِّـرْ كُـلَّ مَـا قَـدْ تَعَسَّـرْ

رَبُّنَـا ٱللهْ سُبْحَـانُـهْ لَـهُ ٱلْبَحْـرُ وٱلْبَـرْ

مَـالِكُ ٱلْمُلِكْ وَٱحْكَمْ مَـنْ تَصَـرَّفْ وَدَبَّـرْ

اَلْكَـرِيـمُ ٱلـرَّحِيـمُ ٱلْعَـادِلُ ٱلْمُحْسِنُ ٱلْبَـرْ

وَاسِـعُ ٱلْجُـودْ وَٱلْمَعْـرُوفْ يُعْطِـي وَيَقْهَـرْ

نَحْمَـدُهْ نَشْكُـرُهْ فِيمَـا قَضَـىٰ بُـهْ وَقَـدَّرْ

قَلْبِـي ٱصْبِـرْ عَلَـى ٱلْمَكْتُـوبْ وَٱلَّا تَصَبَّـرْ

وَٱرْضَ بِٱلْحُكُمْ مِنْ رَبِّكْ حَلَا عِنْدَكْ أَوْ قَرْ

فَأَنَّ رَبَّكْ بِكَ ٱلْطَفْ مِنْكْ وَٱعْلَمْ وَأَخْبَرْ

لَا تَعَـرَّضْ وَلَا تَجْـزَعْ وَلَا قَـطِّ تَضْجَـرْ

فَأَنَّ مَنْ يَسْخَطِ ٱلْمَكْتُوبْ مَا قَطُّ يَظْفَرْ

وَٱلَّذِي يَرْضَ بِٱلْمَكْتُوبْ يُفْلِحْ وَيُجْبَرْ

وَٱعْلَمَ ٱنَّ ٱلْقَضَا قَدْ كَانْ بِٱلْخِيرْ وَٱلشَّرْ

قَدْ جَرَىٰ بُهْ قَلَمْ فِي ٱللَّوْح مِنْ قَبِلْ يَظْهَرْ

سَلِّمِ ٱلْأَمِرْ تَسْلَمْ لِلْمُهَيْمِنْ وَتُؤْجَرْ

جَلَّ ذُو ٱلْعَرِشْ مَوْلَانَا ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُكَبَّرْ

مَالِكُ ٱلْمُلُكْ وَحْدُهْ مَا لِحَدْ فِيهْ مِنْ ذَرْ

كُلُّهُ ٱلْأَمِرْ لُهْ قَدَّرْ وَدَبَّرْ وَسَخَّرْ

فَٱحْمَدُوهُ ٱشْكُرُوهْ فِي حَالَيِ ٱلنَّفِعْ وَٱلضَّرْ

وَٱذْكُرُوهُ ٱسْأَلُوهْ لَا تَسْأَلُوا غَيْرَهُ ٱلْبَرْ

ثُمَّ صَلُّوا عَلَى ٱلْهَادِي ٱلشَّفِيعِ ٱلْمُصَدَّرْ

أَحْمَدَ ٱلنُّورْ ذِي نُورُهْ عَلَى ٱلْكُونْ يَزْهَرْ

* * *

وقال رضي الله عنه :

(٢٤/ر)

يَــــا رَحْمَـــــةَ ٱللهِ زُورِي

وَأَنْعِمِـــــي بِحُضُـــــورِ

وَيَمِّمِـــي سُـــوحَ قَـــوْمٍ

فِـــي ضَنْـــكِ عَيْـــشٍ مَـــرِيـــرِ

إِنَّـــا مَـــدَدْنَـــا يَـــدَيْنَـــا

إِلَـــى ٱلـــرَّحِيـــمِ ٱلْغَفُـــورِ

مَـــوْلَـــى ٱلْمَـــوَالِـــي تَعَـــالَـــىٰ

لَيْـــسَ لَـــهُ مِـــنْ نَظِيـــرِ

وَلَا لَـــهُ مِـــنْ شَـــرِيـــكٍ

فِـــي مُلْكِـــهِ أَوْ ظَهِيـــرِ

حَـــاشَـــاهُ حَـــاشَـــاهُ عَمَّـــا
يَقُـــولُ كُـــلُّ كَفُـــورِ
سُبْحَـــانَـــهُ مِـــنْ مَلِيـــكٍ
وَمِـــنْ عَلِيـــمٍ قَـــدِيـــرِ
وَمِـــنْ عَلِـــيٍّ كَبِيـــرِ
وَمِـــنْ سَمِيـــعٍ بَصِيـــرِ
وَمِـــنْ غَنِـــيٍّ حَمِيـــدِ
وَمِـــنْ وَلِـــيٍّ نَصِيـــرِ
نَحْمَـــدُهُ نَشْكُـــرُهُ نُثْنِـــي
عَلَيْـــهِ طُـــولَ ٱلـــدُّهُـــورِ
نَـــرْجُـــوهُ نَسْـــأَلُ مِنْـــهُ
تَيْسِيـــرَ كُـــلِّ عَسِيـــرِ

وَكَشْفَ كُلِّ مُهِمٍّ
وَجَبْرَ كُلِّ كَسِيرِ

وَٱلْعَفْوَ عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ
مَعَ صَلَاحِ ٱلْأُمُورِ

وَأَنْ يُدِيلَ وَيُبْدِلْ
غُمُومَنَا بِٱلسُّرُورِ

وَأَنْ يُزِيحَ كُرُوباً
قَدْ خَيَّمَتْ فِي ٱلصُّدُورِ

وَيَرْفَعَ ٱلْقَحْطَ عَنَّا
وَٱلظُّلْمَ مَعْ كُلِّ زُورِ

وَكُلَّ أَمْرٍ مَهُولٍ
وَفِتْنَةٍ وَشُرُورِ

فَيَـــــا مُغِيــــثُ أَغِثْنَــــا

قَبْــــلَ ٱلْقُنُــــوطِ ٱلْمُبِيــــرِ

وَٱرْحَــــمْ شُيُــوخــاً ضِعَــافــاً

وَصِبْيَــــةً فِــــي ٱلْحُجُــــورِ

وَٱرْحَــــمْ بَهَــائِــمَ عُجْفــاً

أَوْدَتْ بِجَــــدْبٍ مُضِيــــرِ

رَبِّ ٱسْقِنَــــا رَبِّ جُــــدْنَــــا

بِكُــــلِّ جَــــودٍ غَــــزِيــــرِ

يُضْحِــــي بِــــهِ كُــــلُّ وَادٍ

يَجْــــرِي بِمَــــاءٍ نَمِيــــرِ

وَتُصْبِــــحُ ٱلْأَرْضُ تَــــزْهُــــو

بِكُــــلِّ نَبْــــتٍ نَضِيــــرِ

مِــــنْ كُــــلِّ زَوْجٍ وَنَــــوْعٍ

مِــــنْ رَائِــــقٍ وَكَثِيــــرِ

وَيُمْسِــــيَ ٱلْكُــــلُّ مِنَّــــا

فِــــي نِعْمَــــةٍ وَحُبُــــورِ

وَكُــــلُّ قَلــــبٍ مُــــرَاحــــاً

وَكُــــلُّ طَــــرْفٍ قَــــرِيــــرِ

وَٱجْعَــــلْ إِلٰهِــــيَ هَـٰــــذَا

عَــــوْنــــاً عَلَــــىٰ كُــــلِّ خَيْــــرِ

وَطَــــاعَــــةً وَصَــــلَاحــــاً

ذُخْــــراً لِيَــــوْمِ ٱلنُّشُــــورِ

وَقُــــوَّةً وَبَــــلَاغــــاً

لَنَــــا لِحُسْــــنِ ٱلْمَصِيــــرِ

وَلِلنُّــــــزُولِ بِـــــدَارٍ

طَــابَــتْ لِكُــلِّ صَبُــورِ

وَكُـــلِّ عَبْـــدٍ مُنِيـــبٍ

وَكُـــلِّ بَـــرٍّ شَكُـــورِ

دَارِ ٱلنَّعِيــــــمِ وَدَارِ ٱلْـ

ـخُلُـــودِ دَارِ ٱلسُّـــرُورِ

وَسُلَّمـــــاً وَسَبِيـــــلاً

إِلَـــى ٱللِّقَـــاءِ ٱلْخَطِيـــرِ

لِقَـــاءِ رَبٍّ كَـــرِيـــمٍ

فَـــرْدٍ لَطِيـــفٍ خَبِيـــرِ

وَجَنَّـــــةٍ وَنَجَـــــاةٍ

مِـــنْ حَـــرِّ نَـــارِ ٱلسَّعِيـــرِ

يَـــا رَبِّ يَـــا رَبْ أَجِــرْنَـــا

فَـــأَنْـــتَ خَيْـــرُ مُجِيـــرِ

يَـــا رَبِّ يَـــا رَبِّ عَطْفـــاً

عَلَـــى ٱلضَّعِيـــفِ ٱلْفَقِيـــرِ

يَـــا رَبِّ يَـــا رَبِّ صَفْحـــاً

عَـــنْ ٱلـــذَّلِيـــلِ ٱلْحَقِيـــرِ

يَـــا رَبِّ يَـــا رَبِّ عَفْـــواً

عَـــنِ ٱلـــذَّمِيـــمِ ٱلصَّغِيـــرِ

يَـــا رَبِّ وَٱخْتِـــمْ بِخَيْـــرٍ

إِنْ حَـــانَ حِيـــنُ ٱلْمَسِيـــرِ

إِلَـــى ٱلْقُبُـــورِ سَـــلَامٌ

مِنَّـــا عَلَـــى أَهْـــلِ ٱلْقُبُـــورِ

ثُـمَّ ٱلصَّـلَاةُ عَلَـى (أَحْمَـدْ)

عَلَـى ٱلسِّـرَاجِ ٱلْمُنِيـرِ

عَلَـى ٱلصَّفِـيِّ ٱلْمُصَفَّـىٰ

عَلَـى ٱلْبَشِيـرِ ٱلنَّـذِيـرِ

مَـنْ جَـاءَنَـا بِكِتَـابٍ

يُتْلَـىٰ وَذِكْـرٍ وَنُـورِ

وَخَصَّـهُ ٱلـرَّبُّ ٱلْأَعْلَـىٰ

مِنْـهُ بِفَضْـلٍ كَبِيـرِ

صَـلَاةُ ذِي ٱلْعَـرْشِ تَتْـرَىٰ

عَلَيْـهِ طُـولَ ٱلْعُصُـورِ

مَـا سَـارَتِ ٱلـرِّيـحُ تَجْـرِي

أَمَـامَ غَيْـثٍ مَطِيـرِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢٥/ ر)

يَا زَائِرِي حِينَ لَا وَاشٍ مِنَ ٱلْبَشَرِ
وَٱللَّيْلُ يَخْطُرُ فِي بُرْدٍ مِنَ ٱلسَّحَرِ

فَقُلتُ يَا غَايَةَ ٱلْآمَالِ مَا سَبَقَتْ
مِنْكَ ٱلْمَوَاعِيدُ بِٱلتَّقْرِيبِ فِي ٱلْخَبَرِ

وَلَوْ بَعَثْتَ رَسُولاً مِنْكَ يَأْمُرُنِي
بِٱلسَّعْيِ نَحْوَكَ لَٱسْتَبْشَرْتُ بِٱلظَّفَرِ

فَكَيْفَ إِذْ جِئْتَ يَا سُولِي وَيَا أَمَلِي
فَٱلْحَمْدُ لِلهِ ذَا فَوْزٌ بِلَا خَطَرِ

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنِّي مِنْكَ مُقْتَرِبٌ
لِمَا لَدَيَّ مِنَ ٱلْأَوْزَارِ يَا وَزَرِي

حَتَّىٰ دَنَوْتَ وَصَارَ ٱلْوَصْلُ يَجْمَعُنَا
وَٱلسِّــرُّ مِنْــكَ وَمِنِّــي غَيْــرُ مُسْتَتِــرِ
عَلَى ٱلْكَثِيبِ مِنَ ٱلْوَادِي سَقَاهُ حَياً
مِــنَ ٱلْغَمَــائِـمِ بِــٱلْآصَــالِ وَٱلْبُكَــرِ
لِلّٰهِ بَــارِقَــةٌ لِلْقَلْــبِ قَــدْ لَمَعَــتْ
مِنْ عَالَمِ ٱلْأَمْرِ لَا مِنْ عَالَمِ ٱلصُّوَرِ
أَنْسَتْــكَ إِيَّــاكَ وَٱلْأَكْــوَانَ أَجْمَعَهَــا
وَأَوْقَفَتْــكَ عَلَــى ٱلْمَطْلُــوبِ وَٱلْــوَطَرِ
هَـٰذَا ٱلْحَدِيثُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ فَطِنٍ
أَنِّــي أَرَدْتُ بِــهِ ٱلتَّنْبِيــهَ فَــٱعْتَبِــرِ
يَا أَيُّهَا ٱلْجَوْهَرُ ٱلْمَحْصُورُ فِي صَدَفٍ
مُخْلَــوْلَــقٍ غَــرَضِ ٱلتَّغْيِيــرِ وَٱلْكَــدَرِ

مُثَبَّطٍ فِي حَضِيضِ ٱلْحَظِّ هِمَّتُهُ

فِي لَذَّةِ ٱلْبَطْنِ وَٱلْمَنْكُوحِ وَٱلنَّظَرِ

تَقُودُهُ شَهَوَاتٌ فِيهِ جَامِحَةٌ

حَتَّىٰ تَزُجَّ بِهِ فِي لُجَّةِ ٱلْخَطَرِ

يَا أَيُّهَا الرُّوحُ هَلْ تَرْضَىٰ مُجَاوَرَةً

عَلَى ٱلدَّوَامِ لِهَـٰذَا ٱلْمُظْلِمِ ٱلْكَدِرِ

فَأَيْنَ كُنْتَ وَلَا جِسْمٌ تُسَاكِنُهُ

أَلَسْتَ فِي حَضَرَاتِ ٱلْقُدْسِ فَٱذَّكِرِ

تَأْوِي مَعَ ٱلْمَلَأِ ٱلْأَعْلَىٰ وَتَكْرَعُ مِنْ

حِيَاضِ أُنْسٍ كَمَا تَجْنِي مِنَ ٱلثَّمَرِ

تَأْتِي إِلَيْكَ نَسِيمُ ٱلْقُرْبِ مُهْدِيَةً

عَرْفَ ٱلْجَمَالِ كَعَرْفِ ٱلْمَنْدَلِ ٱلْعَطِرِ

حَتَّىٰ جُعِلْتَ بِأَمْرِ ٱللهِ فِي قَفَصٍ

لِيَبْتَلِيكَ فَكُنْ مِنْ خَيْرِ مُخْتَبَرِ

فَحِينَ أَبْصَرْتَ هَـٰذَا ٱلْجِسْمَ قَدْ بَرَزَتْ

بِهِ ٱلْعَجَائِبُ مِنْ بَادٍ وَمُسْتَتِرِ

أَنْسَتْكَ بَهْجَتُهُ مَا كُنْتَ تَشْهَدُهُ

مِنْ قُدْسِ رَبِّكَ فَٱعْرِفْ ضَيْعَةَ ٱلْعُمُرِ

رَضِيتَ بِٱلْفِكْرِ عَنْ كَشْفٍ وَأَيْنَكَ مِنْ

جَلِيَّةِ الْحَقِّ إِنْ أَخْلَدْتَ لِلْفِكَرِ

لَا تَقْنَعَنَّ بِدُونِ ٱلْعَيْنِ مَنْزِلَةً

فَٱلْخَبُّ مِنْ يَكْتَفِي بِٱلظِّلِّ وَٱلْأَثَرِ

وَعُدْ هُدِيتَ فَقَدْ نُودِيتَ مُطَّرِحاً

هَـٰذَا ٱلْوُجُودَ وَمَا فِيهِ مِنَ ٱلْغِيَرِ

وَٱسْلُكْ سَبِيلاً إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ قَيِّمَةً

بِهَـا أَتَـاكَ إِمَـامُ ٱلْبَـدْوِ وَٱلْحَضَـرِ

مَشْـرُوحَـةً فِـي كِتَـابِ ٱللهِ وَاضِحَـةً

فَسِـرْ عَلَيْهَـا وَكُـنْ بِـٱلصِّـدْقِ مُتَّـزِرِ

وَبِـٱلـرِّيَـاضَـةِ مِـنْ صَمْـتٍ وَمَخْمَصَـةٍ

مَـعَ ٱلتَّخَلِّـي عَـنِ ٱلْأَضْـدَادِ وَٱلسَّهَـرِ

وَدُمْ عَلَـى ٱلـذِّكْـرِ لَا تَسْـأَمْـهُ مُعْتَقِـداً

أَنَّ ٱلتَّوَجُّهَ رُوحُ ٱلْقَصْدِ فِي ٱلسَّفَرِ

وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تُفْضِي إِلَىٰ غَرَضٍ

بِدُونِ أَنْ تَقْتَفِي فِي ٱلْوِرْدِ وَٱلصَّدَرِ

خَيْـرَ ٱلنَّبِيِّـنَ هَـادِينَـا وَمُـرْشِـدَنَـا

بِمَـا أَتَـانَـا مِـنَ ٱلْآيَـاتِ وَٱلسُّـوَرِ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ إِلٰهِي كُلَّمَا سَجَعَتْ
حَمَامَةٌ فَوْقَ مَيَّاسٍ مِنَ ٱلشَّجَرِ

* * *



مكان حفظ سبحة الإمام الحداد بالضيقة بالحاوي

وقال رضي الله عنه : (٢٦/ ر)

يَـــا جِيــرَةَ ٱلْحَـــيِّ مِـــنْ زَرُودْ
يَـــا بَهْجَـــةَ ٱلْمَسَـــامِـــرْ
مَتَـــىٰ مَتَـــىٰ سَفْـــرُكُـــمْ يَعُـــودْ
يَـــا نُـــزْهَـــةَ ٱلْخَـــوَاطِـــرْ
غَـــزَالُكُـــمْ ذَلِـــكَ ٱلشَّـــرُودْ
رُوحِـــي عَلَيْـــهِ طَـــائِـــرْ
وَٱلْعَيْـــنُ مِـــنْ فَقْـــدِهْ تَجُـــودْ
بِـــٱلـــدَّمْـــعِ كَـــٱلْمَـــوَاطِـــرْ

فَصْلٌ

قُــولُــوا لَــهْ يَجْبُــرُ ٱلْكَسِيــرْ
وَيَــــرْحَــــمُ ٱلْمُتيَّــــمْ

وَيَتَّقِــي ٱلْخَــالِــقَ ٱلْقَــدِيــرْ
ٱلْمَــــالِــــكَ ٱلْمُعَظَّــــمْ

ٱلْــوَاحِــدَ ٱلْعَــالِــمَ ٱلْخَبِيــرْ
لِلــــرَّاحِمِيــــنَ يَــــرْحَــــمْ

سُبْحَــانَــهُ وَاجِــبُ ٱلْــوُجُــودْ
مُــــدَوِّرَ ٱلــــدَّوَائِــــرْ

* * *

فَصْل

يَـــا قَلْـــبُ إِنَّ ٱلْهَـــوَىٰ هَـــوَانْ
فَـــٱتْـــرُكْ هَـــوَى ٱلْغَـــوَانِـــي

وَٱقْنَـــعْ لَـــكَ ٱلْخَيْـــرُ بِـــٱلْعِيَـــانِ
فِـــي كُـــلِّ مَـــا تُعَـــانِـــي

وَٱطْلُـــبْ عِـــوَضْ كُـــلِّ شَـــيْءٍ فَـــأْنْ
ٱلْعِيـــــنَ فِـــــي ٱلْجِنَـــــانِ

دَارِ ٱلْبَقَـــا جَنَّـــةِ ٱلْخُلُـــودْ
طَـــابَـــتْ لِكُـــلِّ صَـــابِـــرْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢٧/ ر)

يَـا صَـابِـراً أَبْشِـرْ وَبَشِّـرْ مَـنْ صَبَـرْ
بِـٱلنَّصْـرِ وَٱلْفَـرَجِ ٱلْقَـرِيـبِ وَبِـٱلظَّفَـرْ

نَـالَ ٱلصَّبُـورُ بِصَبْـرِهِ مَـا يَـرْتَجِـي
وَصَفَتْ لَهُ ٱلْأَوْقَاتُ مِنْ بَعْدِ ٱلْكَدَرْ

فَٱصْبِرْ عَلَى ٱلْمِحَنِ ٱلْقَوَاصِدِ وَٱنْتَظِرْ
فَـرَجـاً تَـدُولُ بِـهِ دِوَلُ ٱلْقَـدَرْ

وَإِذَا ٱلْحَـوَادِثُ أَظْلَمَـتْ وَتَنَكَّـرَتْ
فَـٱسْكُـنْ وَإِيَّـاكَ ٱلتَّحَـرُّكَ وَٱلْحَـذَرْ

إِنَّ ٱلنَّـوَائِـبَ كَـٱلسَّحَـائِـبِ تَنْجَلِـي
فِي سُرْعَةٍ وَوُجُودُهَا يُضْحِي خَبَرْ

وَإِذَا تَطُــولُ إِقَــامَــةٌ مِــنْ حَــادِثٍ
كَــانَــتْ مُبَشِّــرَةً بِطُــولِ ٱلْمُنْتَظَــرْ

فَــٱصْبِــرْ هَــدَاكَ ٱللَّهُ صَبْــرَ ٱلْأَتْقِيَــا
ٱلْأَبْــرِيَــاءِ ٱلثَّــابِتِيــنَ لَــدَى ٱلْغِيَــرْ

وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلْكَوْنَ مَطْبُوعٌ عَلَى ٱلتَّــ
ــغْيِيرِ وَٱلتَّكْـدِيـرِ فَـٱمْعِـنْ فِـي ٱلنَّظَـرْ

وَٱغْنَــمْ زَمَــانَــكَ رَاحَــةً وَتَــرَوُّحــاً
وَدَعِ ٱلْهُمُـومَ فَـإِنَّهَـا مَحْـضُ ٱلضَّــرَرْ

وَٱدْخُـلْ مَيَـادِيـنَ ٱلتَّـوَكُّـلِ وَٱلـرِّضَـا
وَٱشْكُرْ عَلَىٰ مَا سَاءَ مِنْ حَالٍ وَسَرّْ

وَٱقْتَـدْ بِتَـاجِ ٱلْأَصْفِيَـا عَلَـمِ ٱلْهُـدَىٰ
زَيْنِ ٱلْوُجُودِ (مُحَمَّدٍ) خَيْرِ ٱلْبَشَرْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢٨/ ر)

يَـا صَـاحِبَـيَّ وَكُنْتُمَـا أَنْصَـارَا
عَـوْنـاً عَلَـى ٱلْحَـقِّ ٱلْمُبِيـنِ جِهَـارَا

أَمَّـا ٱلْحَبِيـبُ ٱلسَّيِّـدُ ٱلْبَـرُّ ٱلَّـذِي
أَعْلَـىٰ لَـهُ ٱلـرَّبُّ ٱلْعظيـمُ مَنَـارَا

وَأَقَـامَـهُ دَاعٍ إِلَيْـهِ بِقَـوْلِـهِ
وَبِفِعْلِـهِ مَـنْ غَيْـرِ مَـا إِنْكَـارَا

فَـٱللهُ يُبْقِيـهِ وَيَـرْفَـعُ قَـدْرَهُ
وَيُنِيلُـهُ مِـنْ بِـرِّهِ أَوْطَـارَا

وَيَـزِيـدُهُ عِلْمـاً وَمَعْـرِفَـةً بِـهِ
وَسَعَـادَةً لَا تَنْتَهِـي لِقُصَـارَىٰ

وَ(عُمَـرْ) فَلَا تَنْسَـىٰ مَقَـالَتَـهُ فَقَـدْ

شَـدَّ مَـعَ ٱلْقَـوْمِ ٱلْكِـرَامِ وَسَـارَا

وَٱخْتَـارَهُـمْ لِثَنَـائِـهِ وَوَلَائِـهِ

أَعْنِـي بِهِـمْ اَلسَّـادَةَ ٱلْأَخْيَـارَا

فَـٱللهُ يَجْمَعُنَـا بِهِـمْ فِـي دَارِهِ

وَجِـوَارِهِ وَنَبِيِّـهِ ٱلْمُخْتَـارَا

صَلَّـىٰ عَلَيْـهِ ٱللهُ دَأْبـاً سَـرْمَـداً

وَٱلْآلِ مَـا غَنَّـى ٱلْحَمَـامُ وَطَـارَا

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢٩/ ر)

يَا قَرِيبَ ٱلْفَرَجْ سَالَكْ تُجَلِّي ذِي ٱلْأَكْدَارْ

يَـا خَفِـيَّ ٱللَّطَـائِـفْ بِيْـدَكَ ٱلنَّفْـعْ وَٱلضَّـارْ

عَـافِنَـا وَٱعْـفُ عَنَّـا وَٱكْفِنَـا شَـرِّ ٱلْأَشْـرَارَ

وَٱلْبَلِيَّـاتْ وَٱلْعَـاهَـاتْ وَٱلـذَّمِّ وَٱلْعَـارْ

وَٱغْفِرِ ٱلذَّنْبْ وَٱرْحَمْنَا وَعِذْنَا مِنَ ٱلنَّارْ

سَلْكَ بِكْ سَلْكَ بِكْ يَا رَبِّ يَا خِيْرْ غَفَّارْ

سَلْكَ بِكْ سَلْكَ بِكْ يَا رَبِّ يَا خِيْرْ سَـتَّارْ

سَلْكَ بِكْ سَلْكَ بِكْ يَا رَبِّ يَا نُورْ ٱلْأَنْوَارْ

سَلْكَ بِٱلْمُصْطَفَىٰ ٱلْهَادِي لَنَا خِيرْ مُخْتَارْ

وَابِنِ عَمِّهْ عَلِيٍّ ٱلْحَبِرْ قَيْدُومْ ٱلْأَبْرَارْ

وَٱبْنَةِ ٱلْمُصْطَفَى ٱلزَّهْرَا ٱلْبَتُولْ أُمِّ ٱلْأَطْهَارْ

وَٱلْحَسَنْ وَٱلْحُسَيْنْ أَهْلِ الْكِسَا خِيرْ ٱلْأَخْيَارْ

سَلَكَ يَا ٱللهْ بِهِمْ تَحْفَظْ لَنَا ٱلرَّبْعِ وَٱلدَّارْ

وَٱلْقَرَابَاتْ وَٱلْأَصْحَابْ وَٱلْأَهْلْ وَٱلْجَارْ

وَٱرْشِدِ الْوَالِي إِنُّهْ يَا إِلَـٰهَ ٱلسَّمَا حَارْ

لَمْ يَزَلْ فِي عَنَا دائِرْ مَعَ كُلِّ مَنْ دَارْ

فِي شَبَهْ مَنْ وَقَعْ فِي بَحْرْ عَجَّاجْ تَيَّارْ

وَٱصْلِحِ ٱلْكُلَّ يَا عَالِمْ بِمَكْنُونْ ٱلْأَسْرَارْ

وَٱخْتِمِ ٱلْقَوْلْ صَلَّى ٱللهْ عَلَىٰ نُورْ ٱلْأَنْوَارْ

أَحْمَدَ ٱلْمُصْطَفَىٰ وَآلِهْ مَصَابِيحْ ٱلْأَقْطَارْ

وَٱلصَّحَابَهْ مُهَاجِرْهُمْ لِوَجْهِكْ وَٱلْأَنْصَارْ

كُلَّمَا غَرَّدَ ٱلْقُمْرِي عَلَى أغْصَانْ ٱلْأَشْجَارْ

أَوْ سَرَتْ نَسَمَاتُ ٱلْحَيِّ فِي وَقِتْ ٱلْأَسْحَارْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٣٠/ ر)

يَــا مَــنْ هَــوَاهُــمْ أَقَــامْ

فِــي مُهْجَتِــي وَٱسْتَقَــرْ

عَطْفــاً عَلَــى ٱلْمُسْتَهَــامْ

بِكُــمْ حَلِيــفِ ٱلسَّهَــرْ

وَدَمْعُــهُ كَــٱلْغَمَــامْ

مِــنْ فَقْــدِ بَــاهِــي ٱلْغُــرَرْ

مَــنْ فَــرْعُــهُ كَــٱلظَّــلَامْ

وَوَجْهُــهُ كَــٱلْقَمَــرْ

فَصْلٌ

قُـــولُـــوا لِظَبْـــيِ ٱلـــرِّمَـــالْ

يَسْمَـــحْ لِهَـٰـــذَا ٱلْكَئِيـــبْ

بِقُـــرْبِـــهِ وَٱلْـــوِصَـــالْ

لَعَـــلَّ عَيْشُـــهْ يَطِيـــبْ

وَيَتَّقِـــــي ذَا ٱلْجَـــلَالْ

فِيـــهِ ٱلشَّهِيـــدَ ٱلـــرَّقِيـــبْ

مِـــنْ قَبِـــلْ يَـــأْتِـــي ٱلْحِمَـــامْ

وَنَنْطَلِـــــقْ لِلْحُفَـــــرْ

* * *

فَصْل

يَـا صَـاحِبِـي قُـمْ بِنَـا
فَقَـدْ تَمَـادَى ٱلْبِعَـادْ

وَسِـرْ بِنَـا سِـرْ بِنَـا
حَتَّـىٰ نُـوَافِـي سُعَـادْ

بِمَكَّـةٍ أَوْ مِنَـىٰ
حَيْـثُ ٱجْتِمَـاعُ ٱلْعِبَـادْ

نَحْظَـىٰ بِنَيْـلِ الْمَـرَامْ
مِنْهَـا وَنَقْضِـي ٱلْـوَطَـرْ

* * *

فَصْلٌ

وَبَعْـــدُ نَــأْتِـــي ٱلـــرَّسُـــولْ

(مُحَمَّـــــدِ) ٱلْمُصْطَفَـــــىٰ

خَيْـــرِ ٱلْأَنَـــامْ ٱلْــوَصُــولْ

نَشْكُـــو مِـــنَ أَهْـــلِ ٱلْجَفَـــا

مِـــنْ كُـــلِّ ظَـــالِـــمْ جَهُـــولْ

كَـــدَّرْ عَلَيْنَـــا ٱلصَّفَـــا

يَـــا رَبَّنَـــا يَـــا سَـــلَامْ

غِثْنَـــا بِخَيْـــرِ ٱلْبَشَـــرْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٣١/ ر)

يَــــا نَسِيـــــمْ ٱلَٱسْحَـــــارْ

أَحْمِــلْ تَحِيَّـاتِــي لَأَهْــلِ ٱلَٱخْـدَارْ

ثُـــــمَّ عُـــــدْ بِـــــاٱلَٱخْبَـــــارْ

عَنْهُـمْ وَهَـل هُـمْ حَـافِظِيـنْ لِلْجَـارْ

وَٱلـــــذِّمَـــــمْ وَٱلَٱسْـــــرَارْ

أَمْ قَـدْ تَنَـاسَـوْهَـا لِطُـولْ ٱلَٱسْفَـارْ

لِٱبِـــــنْ آدَمَ أَطْـــــوَارْ

وَكُلُّهُـمْ مِـنْ تَحِـتْ حُكُـمْ ٱلَٱقْـدَارْ

وَٱللهْ يَخْلُـقْ مَـا يَشَـا وَيَخْتَـارْ

إِنَّ قَلْبِـــــــــــي ٱلْآنْ

يَـا صَـاحِبِـيْ فِـي غُـرْبَـةٍ وَكُـرْبَـهْ

مِــــنْ زَمَـــانْ قَـــدْ خَــانْ

وَمَعْشَــرٍ لَا يَحْفَظُــونْ صُحْبَـــهْ

مَــــا تَــــرَاهُـــمَ أَعْــــوَانْ

إِلَّا عَلَـىٰ بَـاطِـلْ وَتَـرِكْ قُـرْبَـهْ

مَــــا أُولَـٰئِـــكَ آخْيَــــارْ

كَــلاَّ وَلَا بِــاْلْمُتَّقِيــنْ ٱلْأَبْــرَارْ

وَٱللّٰهْ يَخْلُقْ مَا يَشَا وَيَخْتَارْ

يَـــا نَــدِيـــمْ قُـــلْ لِــي

هَــلْ تَــرْجِـعُ ٱلْأَيَّـامُ وَٱللَّيَـالِـي

أَلَّتِـــــي صَفَـــــتْ لِـــــي

وَتُسْعِـــدُ ٱلْأَحْبَـــابْ وَٱلْمَـــوَالِـــي

بِـــــاْجْتِمَـــــاعِ شَمْلِـــــي

مِـــنْ قَبْـلِ أَنْ نَغْـدُو إِلَـى ٱلـرِّمَـالِ

وَٱللَّبِـــــــنْ وَٱلَاحْجَـــــــارْ

مِـــنْ تَحِـتْ لُطْـفِ ٱللهْ خِيْـرْ غَفَّـارْ

وَٱللهُ يَخْلُـقْ مَـا يَشَـا وَيَخْتَـارْ

أَنَـــــا لَسْـــــتُ آيِـــــسْ

مِنْ رَوْحِ رَبِّ ٱلْعَرِشْ وَاسِعِ ٱلْجُودْ

وَٱلْعَـــــدُوُّ تَـــــاعِـــــسْ

وَمُنْـــزَوِي لَكِـــنْ لِحَـــدٍّ مَحْـــدُودْ

وَٱلــــرَّسُــــول حَـــارِسْ

وَٱلسَّـادَةِ ٱلْأَسْـلَافْ عَهِـدْ مَعْهُـودْ

يَــــا نُـــــزُولْ بَشَّـــــارْ

هَيَّا بِكُـمْ قُـومُـوا عَسَـى ٱلْفَلَـكْ دَارْ

وَٱللهْ يَخْلُـقْ مَـا يَشَـا وَيَخْتَـارْ

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه : (٣٢/ ر)

يَا هَاجِرِي كَمْ ذَا تَكُونُ مُهَاجِرِي
أَوَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ هَجْرَكَ ضَائِرِي

وَشَعُرْتَ أَنِّي قَدْ أَبِيتُ مُسَهَّداً
سَهْرَانَ فِي جُنْحِ ٱلظَّلَامِ ٱلدَّاجِرِ

أَرْعَى ٱلنُّجُوْمَ بِنَاظِرٍ أَوْ نَاظِراً
وَمُسَائِلاً عَنْ عَابِرٍ مِنْ غَابِرِ

مَا كَانَ هَـٰذَا يَا رَعَاكَ ٱللهُ مِنْ
ظَنِّي وَلَا مِمَّا يَجُولُ بِخَاطِرِي

أَتُحِبُّ أَنْ تُشْمِتْ عَلَيَّ عَوَاذِلِي
وَحَوَاسِدِي وَمُعَانِدِي وَمُنَاكِرِي

حَاشَاكَ مِنْ هَـٰذَا وَمِنْ قَطْعِي وَقَدْ

وَاصَلْتَنِـي يَـا نُـورَ عَيْـنِ سَـرَائِـرِي

أُمْنُـــنْ عَلَـــيَّ بِعَـــوْدَةٍ أَوْ زَوْرَةٍ

أَشْفَـىٰ بِهَـا يَـا عَـائِـدِي يَـا زَائِـرِي

أَشْكُـو إِلَيْـكَ وَأَشْتَكِيـكَ إِلَـى ٱلَّـذِي

فَطَـرَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ ٱلْعَـزِيـزِ ٱلْغَـافِـرِ

ٱلْـوَاحِـدِ ٱلْمَلِـكِ ٱلْعَظِيـمِ جَـلَالُـهُ

ذِي ٱلْعِـزِّ وَٱلْمَجْـدِ ٱلـرَّفِيـعِ ٱلْبَـاهِـرِ

يَـا رَبُّ يَـا رَبَّـاهُ يَـا أَمَـلَاهُ يَـا

ذُخْـرِي إِذَا ضَـنَّ ٱلسَّحَـابُ بِمَـاطِـرِ

غِثْنِـي بِغَـوْثٍ إِنَّنِـي لَـكَ خَـاضِـعٌ

عَبْـدٌ ذَلِيـلٌ لَا أَقُـومُ لِضَـائِـرِ

يَـا مَطْلَبِـي يَـا مَـأْرَبِـي يَـا مَهْـرَبِـي
يَا مَفْزَعِي فِي يُسْرَتِي وَمَعَاسِرِي
يَـا عُـدَّتِـي فِـي شِـدَّتِـي يَـا عُمْـدَتِـي
فِـي مُـدَّتِـي وَمَـوَارِدِي وَمَصَـادِرِي
ٱنْظُـرْ إِلَـيَّ بِنَظْـرَةٍ مِـنْ رَحْمَـةٍ
كَـيْ يَحْيَىٰ مِنِّـي كُـلُّ مَيْـتٍ دَاثِـرِ
إِنِّـي إِلَيْـكَ بِـأَحْمَـدٍ مُتَشَفِّـعٌ
خَتْـمِ ٱلنَّبِيِّـنَ ٱلـرَّسُـولِ ٱلطَّـاهِـرِ
وَبِصِنْـوِهِ وَوَلِيِّـهِ وَصَفِيِّـهِ
ٱلْمُـرْتَضَـى ٱلْبَـرِّ ٱلتَّقِـيِّ ٱلنَّـاصِـرِ
وَبِسِبْطِهِـمْ وَحَفِيـدِهِـمْ وَسَلِيلِهِـمْ
ٱلشَّيْـخِ مُحْيِـي ٱلـدِّيـنِ عَبْـدِ ٱلْقَـادِرِ

ٱلْجَيْلِــي ٱلْمَشْهُــورِ فَــرْدِ زَمَــانِــهِ

شَيْــخِ ٱلشُّيُــوخِ بِبَــاطِــنٍ وَبِظَــاهِــرِ

غَــوْثِ ٱلْبِــلَادِ وَغَيْثِهَــا وَمُغِيثِهَــا

عَــنْ إِذْنِ سَيِّــدِهِ ٱلْمَلِيــكِ ٱلْقَــاهِــرِ

طَــوْدِ ٱلشَّــرِيعَــةِ وَٱلطَّــرِيقَــةِ وَٱلْهُــدَىٰ

بَحْــرِ ٱلْحَقِيقَــةِ أَلْخِضَــمِّ ٱلــزَّاخِــرِ

صَــدْرِ ٱلصُّــدُورِ بِــلَا نَكِيــرْ لِمُنْكِــرٍ

وَإِمَــامِ أَهْــلِ ٱلْحَــقِّ غَيْــرِ مُنَــاكِــرِ

نُــــورِ ٱلْإِلَـٰـــهِ أَنَـــارَهُ لِعَبَـــادِهِ

كَــيْ يَهْتَــدُوا فِــي عَــاجِــلٍ وَأَوَاخِــرِ

كَمْ قَدْ هَدَى ٱلرَّبُّ ٱلْكَرِيمُ بِنُصْحِهِ

وَدُعَــائِــهِ مِــنْ جَــاهِــلٍ أَوْ حَــائِــرِ

قَــدْ قَــالَ عَــنْ أَمْــرٍ عَلَــىٰ كُــرْسِيِّــهِ
قَـدَمِـي عَلَـىٰ أَعْنَـاقِ أَهْـلِ دَوَائِـرِيْ

فَــأَقَــرَّتِ ٱلْكُبَــرَاءُ فِــي أَقْطَــارِهَــا
وَتَــوَاضَعُــوا طَــوْعــاً لِقُــدْرَةِ قَــادِرِ

يَا شَيْخُ (مُحْيِي ٱلدِّينِ) يَا أُسْتَاذَنَا
وَمَــلَاذَنَــا أَدْرِكْ بِغَــوْثٍ حَــاضِــرِ

إِنَّ ٱلْكُــرُوبَ وَكُــلَّ خَطْــبٍ هَــائِــلِ
قَــدْ يَمَّمَــتْ سُــوحَ ٱلْفَقِيــرِ ٱلْقَــاصِــرِ

فَــٱنْهَــضْ بِــهِ وَٱدْرِكْ لَهَــا مُسْتَنْجِــداً
مُسْتَنْصِـــــراً مُسْتَنْظِـــــراً لِبَـــــوَادِرِ

مُسْتَعْطِفــاً مُسْتَــرْحِمــاً مُتَــوَسِّــلاً
مُتَشَفِّعــاً بِــكَ لِلــرَّحِيــمِ ٱلْغَــافِــرِ

وَإِلَى ٱلنَّبِيِّ (مُحَمَّدٍ) خَيْرِ ٱلْوَرَىٰ
صَلَّىٰ عَلَيْهِ ٱللهُ عَدَّ ٱلْمَاطِرِ

فِي قَطْرِهِ وَٱلْبَحْرِ فِي أَمْوَاجِهِ
وَٱلرَّمْلِ فِي ذَرَّاتِهِ ٱلْمُتَكَاثِرِ

وَٱلْآلِ وَٱلْأَصْحَابِ مَعْ أَتْبَاعِهِمْ
مِنْ كُلِّ صَبَّارٍ مُنِيبٍ شَاكِرِ

وَٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلْكَرِيمِ خِتَامُهَا
أَبَداً عَلَىٰ إِحْسَانِهِ ٱلْمُتَوَاتِرِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٣٣/ ر)

يَا هَلْ لِجِيرَانِنَا بِٱلْمَرْبَعِ ٱلْخَضِرِ
مِنْ جَانِبِ ٱلْحَيِّ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ خَبَرِ

بِمَا نُقَاسِيهِ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ حَزَنٍ
وَمِنْ شُجُونٍ وَمِنْ شَوْقٍ وَمِنْ سَهَرِ

وَمِنْ تَوَجُّعِ أَحْشَاءٍ وَمِنْ قَلَقٍ
وَمِنْ دُمُوعٍ مِنَ ٱلْأَجْفَانِ كَٱلْمَطَرِ

لَوْ كَانَ عِنْدَهُمُ عِلْمٌ لَرُبَّتَمَا
رَقُّوا لِذِي سَقَمٍ مُشْفٍ عَلَى ٱلْخَطَرِ

بُعْدُ ٱلْمَزَارِ وَقُرْبُ ٱلدَّارِ مِنْ عَجَبٍ
فَٱعْجَبْ لِصَبٍّ عَلَى ٱلْحَالَيْنِ مُصْطَبِرِ

لَا بِـاْخْتِيَـارٍ وَلَٰكِـنْ حُكْـمُ مُقْتَـدِرٍ

مَاضٍ عَلَى ٱلْعَبْدِ مِنْ نَفْعٍ وَمِنْ ضَرَرِ

رِضـاً وَإِلَّا فَصَبْـرٌ لِـلْإِلَٰـهِ عَلَـىٰ

أَقْـدَارِهِ فَهْـوَ أَهْـلُ ٱلْحَمْـدِ وَٱلْخِيَـرِ

فَيَـا نُسَيْمَـاتِ نَجْـدٍ اِحْمِلِـي خَبَـراً

إِلَى ٱلْأَحِبَّةِ مَهْمَا جُزْتِ فِي ٱلسَّحَرِ

وَبَلِّغِيهِـــمْ تَحِيَّـــاتٍ مُمَسَّكَـــةً

تُهْـدَىٰ إِلَيْهِـمْ مَـعَ ٱلْآصَالِ وَٱلْبُكَـرِ

وَٱسْتَطْلِعِي عِلْمَ أَسْرَارٍ قَدِ ٱسْتَتَرَتْ

عَنِّـي وَظَنِّـيَ أَنَّ ٱلْعَيْـنَ كَـاْلْأَثَـرِ

فَلَيْتَ شِعْرِيَ هَلْ سُعْدَىٰ تُسَاعِدُنِي

بِوَصْلَةِ ٱلشَّمْلِ مِنْ قَبْلِ ٱنْقِضَا ٱلْعُمُرِ

وَهَلْ جَرَىٰ قَدَرٌ بِٱلْوَصْلِ فِي قِدَمٍ

وَٱلْأَمْرُ وَٱلشَّأْنُ سَبْقُ ٱلْحُكْمِ وَٱلْقَدَرِ

يَا صَاحِبِي أَنْتَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ

مَـاذَا تُـرِيـدُ بِـوَصْلِ ٱلْغَـانِـي ٱلْخَفِـرِ

مُحَجَّـبٍ وَجْهُـهُ بَـدْرٌ وَطُـرَّتُـهُ

لَيْـلٌ وَقَـامَتُـهُ كَـٱلْمَـائِـسِ ٱلنَّضِـرِ

وَقَـدْ فَنِيـتَ وَوَلَّـى ٱلْعُمْـرُ أَكْثَـرُهُ

فِي غَيْرِ شَيءٍ وَهَـٰذَا غَايَةُ ٱلْخُسُرِ

وَأَقْبَلَ ٱلشَّيْبُ مَعْ ضُعْفٍ وَمَعْ كِبَرٍ

وَمَا ٱلْهَوَىٰ بَعْدَ مَسِّ ٱلضُّعْفِ وَٱلْكِبَرِ

فَٱرْجِعْ إِلَى ٱللهِ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ

وَٱتْـرُكْ هَـوَاكَ وَهَـيِّ ٱلـزَّادَ لِلسَّفَـرِ

فَقَــدْ دَنَــا سَفَــرٌ لَا بُــدَّ مِنْــهُ إِلَــىٰ

قَبْـرٍ وَبَعْـثٍ وَحَشْـرِ ٱلـرُّوحِ وَٱلصُّـوَرِ

وَمَوْقِفٍ فِيهِ كَمْ هَوْلٍ وَكَمْ كُرَبٍ

وَفِيــهِ وَزْنٌ وَمَمْــدُودٌ عَلَــىٰ سَقَــرِ

وَفِيـهِ حَـوْضٌ طَهُـورُ ٱلْمَـاءِ عَـاطِـرُهُ

لِلْمُصْطَفَىٰ سَيِّدِ السَّادَاتِ مِنْ مُضَرِ

(مُحَمَّدٍ) خَاتَمِ ٱلرُّسْلِ ٱلْكِرَام وَمَنْ

أَتَــىٰ مِــنَ ٱللهِ بِــٱلْآيَــاتِ وَٱلسُّــوَرِ

وَخَصَّهُ ٱللهُ بِٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ وَبِٱلذِّ

كْـرِ ٱلـرَّفِيـعِ وَبِـٱلْأَخْـلَاقِ وَٱلسِّيَـرِ

وَبِــٱلْمَعَــاجِــزِ مِمَّــا لَا بَقَــا مَعَــهُ

لِعُــذْرِ مُعْتَــذِرٍ يَعْتَــلُّ بِــٱلْعُــذُرِ

أَبَعْدَ تَنْزِيلِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ وَمَا
أَقَامَ مِنْ حُجَجٍ كَٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ

يَبْقَىٰ لِذِي مَرَضٍ أَوْ مِرْيَةٍ شُبَهٌ
أَوْ مُشْكِلٌ لَا وَرَبِّ ٱلْبَيْتِ وَٱلْحَجَرِ

لَكِنْ شَقَاوَةُ أَقْوَامٍ وَحَظُّهُمُ ٱلْـ
ـمَنْحُوسُ أَوْقَعَهُمْ فِي ٱلشَّرِّ وَٱلشَّرَرِ

فَٱلْحَمْدُ لِلهِ نَارَ ٱلْحَقُّ وَٱتَّضَحَتْ
مَعَالِمُ ٱلرُّشْدِ بَيْنَ ٱلْبَدْوِ وَٱلْحَضَرِ

وَأَظْهَرَ ٱللهُ دِينَ ٱلْحَقِّ وَانْطَمَسَتْ
فِي نُورِهِ سَائِرُ ٱلْأَدْيَانِ فَٱدَّكِرِ

بِوَجْهِ أَبْيَضَ مَيْمُونِ ٱلنَّقِيبَةِ مَحْـ
ـمُودِ ٱلشَّمَائِلِ وَٱلْأَفْعَالِ وَٱلْأَثَرِ

مُهَــذَّبٍ هَــاشِمِــيٍّ لَا نَظِيــرَ لَــهُ

فِــي ٱلْعَــالَمِيــنَ بِــلَا شَــكٍّ وَلَا نُكُــرِ

مُــؤَيَّــدٍ بِجُنُــودِ ٱللهِ مِــنْ مَلَــكٍ

وَمُــؤْمِــنٍ وَبِنَصْــرِ ٱللهِ وَٱلظَّفَــرِ

وَبِــٱلصَّبَــا وَبِــرُعْــبٍ فِــي قُلُــوبِهِــمُ

مَسِيرَ شَهْرٍ كَمَا قَدْ صَحَّ فِي ٱلْخَبَرِ

مُجَــاهِــدٍ فِــي سَبِيــلِ ٱللهِ مُجْتَهِــدٍ

فِــي طَــاعَــةِ ٱللهِ بِــٱلْآصَــالِ وَٱلْبُكَــرِ

مُشَمِّــرٍ فِــي مَــرَاضِــي ٱللهِ مُحْتَسِــبٍ

بِـــٱللهِ مُقْتَـــدِرٍ بِـــٱللهِ مُنْتَصِـــرِ

ذَلَّتْ لِوَطْأَتِهِ غُلْبُ ٱلرِّقَابِ مِنَ ٱلْـ

أَعْرَابِ وَٱلْعُجْمِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرِ

لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَٱمْتَنَعُوا

كُفْراً وَبَغْياً دَعَاهُمْ بِٱلْقَنَا ٱلسُّمُرِ

وَبِٱلسُّيُوفِ ٱلْمَوَاضِي ٱلْبِيضِ يَحْمِلُهَا

مُهَاجِرُونَ وَأَنْصَارٌ مِنَ ٱلْغُرَرِ

أَئِمَّةُ ٱلدِّينِ أَصْحَابُ ٱلسَّوابِقِ فِي ٱلْـ

إِسْلَامِ وَٱلْقَدَمِ ٱلْمَشْكُورِ وَٱلْأَثَرِ

مِثْلُ ٱلْعَتِيقِ أَنِيسِ ٱلْغَارِ صَاحِبِهُ

فِيهِ عَلَى ٱلصِّدْقِ صِدِّيقُ ٱلْعُلَا ٱلشَّهِرِ

وَٱلثَّانِي ٱلتَّالِي ٱلْبَرِّ ٱلتَّقِيِّ أَخِيْ ٱلْـ

إِحْسَانِ وَٱلْعَدْلِ يَا لِلهِ مِنْ عُمَرِ

وَإِبْنِ عَفَّانَ ذِي ٱلنُّورَيْنِ مَنْ جَمَعَ ٱلْـ

ـقُرْآنَ وَٱلْمُنْفِقِ ٱلْبَذَّالِ فِي ٱلْعُسُرِ

وَزَوْجِ خَيْرِ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ أَبِي ٱلسِّـ

ـبْطَيْنِ صِنْوِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُصْطَفَى ٱلطُّهُرِ

وَحَمْزَةِ ٱلْبَأْسِ عَمِّ ٱلْمُصْطَفَىٰ وَكَذَا ٱلْـ

ـعَبَّاسْ أَبِي ٱلْفَضْلِ وَٱلْطَّيَّارِ خَيْرِ سَرِي

آلِ ٱلنَّبِـيِّ وَأَصْحَـابِ ٱلنَّبِـيِّ هُـمُ ٱلْـ

ـقَوْمُ ٱلَّذِينَ هُدُوا فَٱقْتَدْ بِهِمْ وَسِرِ

وَٱلتَّـابِعِيـنَ عَلَـى ٱلْآثَـارِ بَعْـدَهُـمُ

مِنْ كُلِّ مَنْ قَدْ قَضَىٰ نَحْباً وَمُنْتَظِرِ

عَلَـىٰ مَسَـالِـكِ خَيْـرِ ٱلْأَنْبِيَـا سَلَكُـوا

بِٱلْجِدِّ وَٱلصِّدْقِ فِي عُسْرٍ وَفِي يُسُرِ

نَبِيِّنَـا ٱلْمُجْتَبَـىٰ هَـادِي ٱلْأَنَـامِ إِلَـىٰ

دَارِ ٱلسَّـلَامِ وَدَارِ ٱلْخُلْـدِ وَٱلنَّظَـرِ

اَللّٰهُ عَظَّمَــــــهُ اَللّٰهُ أَكْـــــرَمَـــهُ

اَللّٰهُ قَــدَّمَــهُ فِــي ٱلْــوِرْدِ وَٱلصَّــدَرِ

اَللّٰهُ فَضَّلَــــــهُ اَللّٰهُ جَمَّلَــــــهُ

اَللّٰهُ أَرْسَلَــــهُ لِلْجِــــنِّ وَٱلْبَشَـــرِ

اَللّٰهُ شَـــــرَّفَـــــهُ اَللّٰهُ أَزْلَفَـــهُ

بِـٱلْحُبِّ وَٱلْقُـرْبِ وَٱلْأَسْـرَارِ وَٱلْأَثَـرِ

يَـا سَيِّـدِي يَـا رَسُـولَ ٱللهِ يَـا أَمَلِـي

وَيَـا غِيَـاثِـي وَيَـا كَهْفِـي وَمُـدَّخَـرِي

عَلَيْـكَ بَعْـدَ إِلَـٰـهِ ٱلْعَـرْشِ مُعتَمَـدِي

فِي كُلِّ خَطْبٍ وَمَرْهُوبٍ مِنَ ٱلضَّرَرِ

وَكُـــلِّ حَـادِثَــةٍ مَـالِـي بِهَـا قِبَـلُ

وَكُـــلِّ نَـائِبَــةٍ خَـدَّاشَــةِ ٱلظُّفُـرِ

وَفِـي ٱلْمَـوَاطِـنِ وَٱلْأَحْـوَالِ أَجْمَعِهَـا
مِمَّـا أُلَاقِيـهِ فِـي ٱلـدُّنْيَا وَفِـي ٱلْأُخَـرِ
يَا سَيِّدِي عَبْدُكَ ٱلْجَانِي ٱلْمُقَصِّرُ قَدْ
أَتَــاكَ مُنْكَسِــراً فَــٱجْبُــرْ لِمُنْكَسِــرِ
وَمُسْتَغِيثـاً لِشَــيْءٍ قَــدْ عَنَـاهُ مِـنَ ٱلْـ
أَمْــرِ ٱلْمُهِــمِّ فَــلَا تُهْمِــلْ وَلَا تَــذَرِ
وَحَـاجَـةٌ فِـي ضَمِيـرِ ٱلنَّفْـسِ وَاقِفَـةٌ
فَسَلْ تُجَبْ ثُمَّ قُلْ تُقْضَىٰ عَلَىٰ قَدَرِ
فَأَنْتَ ذُو ٱلْوَجْهِ وَٱلْجَاهِ ٱلْوَسِيعِ لَدَى ٱلْـ
ـرَّبِّ ٱلْكَرِيمِ عَظِيـمِ ٱلْجُـودِ وَٱلْقَـدَرِ
فَــلَا تَــدَعْنِــي رَسُــولَ ٱللهِ مُطَّـرَحـاً
بَيْــنَ ٱلْحَــوَادِثِ وَٱلْآفَــاتِ وَٱلْغِيَــرِ

فَـإِنَّ لِـي نَسَبـاً فِيكُـمْ وَلِـي رَحِمـاً

مِنْكُـمْ وَإِنْ كُنْـتُ ذَا ذَنْـبٍ وَذَا غَـرَرِ

فَـٱلْعَفْـوُ أَوْسَـعُ وَٱلْغُفْـرَانُ مُنْتَظَـرٌ

مِـنْ رَبِّنَـا خَيْـرِ غَفَّـارٍ وَمُقْتَـدِرِ

سُبْحَـانَـهُ جَـلَّ لَا نُحْصِـي ثَنَـاهُ وَلَا

نَـرْجُـو سِـوَاهُ لِنَيْـلِ ٱلسُّـولِ وَٱلْـوَطَـرِ

وَيَـا نَبِـيَّ ٱلْهُـدَىٰ وَافَتْـكَ مِـنْ بُعُـدٍ

مَـدِيحَـةٌ مِـنْ كَثِيـرِ ٱلْعَـيِّ وَٱلْحَصَـرِ

فَٱسْمَحْ وَأَعْذِرْ رَسُـولَ ٱللهِ إِنَّكَ بِٱلـ

ـسَّمَاحِ وَٱلْعُرْفِ مَعْـرُوفٌ وَبِـٱلْعُـذُرِ

عَلَيْـكَ أَزْكَـىٰ صَـلَاةِ ٱللهِ يَتْبَعُهَـا

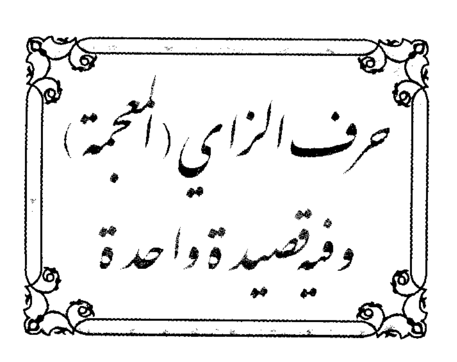
مِنْـهُ ٱلسَّـلَامُ مَـعَ ٱلْآصَـالِ وَٱلْبُكَـرِ

وَٱلْآلِ وَٱلصَّحْبِ مَا غَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ
وَمَا سَرَتْ نَسَمَاتُ ٱلْحَيِّ فِي ٱلسَّحَرِ

* * *



صورة مسجد الأوابين من الداخل



وقال رضي الله عنه : (١/ ز)

قَصَدْتُ إِلَى ٱلْعَلْيَا بِهِمَّةِ عَاجِزِ
فَنُودِيتُ إِنَّ ٱلْقُرْبَ مِنْ دُونِ حَاجِزِ

وَنُبِّئْتُ أَنَّ ٱلْوَصْلَ مِنْ قَبْلِ نَيْلِهِ
عِقَابٌ سَعَىٰ فِي قَطْعِهَا كُلُّ فَائِزِ

فَقُلْتُ وَقَلْبِي فِيهِ أَيُّ عَزِيمَةٍ
يُطَالِعُ أَحْوَالَ ٱلذُّرَىٰ وَٱلْمَرَاكِزِ

أَرَىٰ بَذْلَ رُوحِي فِي هَوَاكُمْ فَرِيضَةً

وَبُخْلِي بِهَا فِي حُبِّكُمْ غَيْرُ جَائِزِ

وَأَنْتُمْ مُنَىٰ قَلْبِي وَرَاحَةُ خَاطِرِي

وَأَنْتُمْ مُرَادِي لَا حُصُولُ ٱلْجَوَائِزِ

وَفِي ٱلسِّرِّ دَاعٍ لَوْ أَجَبْتُ دُعَاءَهُ

لَصِرْتُ قَرِينَ ٱلْوَحْشِ بَطْنَ ٱلْمَفَاوِزِ

* * *



وقال رضي الله عنه : (١/ س)

سَقَى ٱللهُ بَشَّاراً بِوَابِلِ رَحْمَةٍ
يَجُودُ عَلَيْهَا بِٱلصَّبَاحِ وَبِٱلإِمْسَا

مَرَابِعَ أَحْبَابِ ٱلْفُؤَادِ وَمَنْ لَهُمْ
بِهِ صِدْقُ وُدٍّ فِي سَرَائِرِهِ أَرْسَىٰ

وَحَيَّاهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِٱلْعَفْوِ وَٱلرِّضَا
وَأَوْلاَهُمُ ٱلإِحْسَانَ وَٱلْقُرْبَ وَٱلأُنْسَا

فَثَمَّ أُحَيْبَابِي وَأَهْلِي وَسَادَتِي
وَأَشْيَاخُنَا ٱلْمُحْسِنُونَ لَنَا غَرْسَا

غَرَائِسُ مَجْدٍ فِي حَقَائِقِ نِسْبَةٍ
مُطَهَّرَةٍ سُدْنَا بِهَا ٱلْغَيْرَ وَٱلْجِنْسَا

وَلَا تَنْسَ مَا بَيْنَ ٱلْقُبُورِ بِزَنْبَلٍ
لِقَبْرٍ بِقَلْبِي ذِكْرُهُ قَطُّ لَا يُنْسَىٰ

تَضَمَّنَ إِلْفاً صَالِحاً وَمُبَارَكاً
فَأَكْرِمْ بِهِ قَبْراً وَأَكْرِمْ بِهِ رَمْسَا

دَفَنْتُ مَعَ مَنْ فِيهِ رُوحِي وَرَاحَتِي
فَعَادَ أَغَضُّ ٱلْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ يَبْسَا

فَلَا تُلْفِنِي إِلاَّ حَزِيناً لِفَقْدِهِ
نَوَاطِقُ سُلْوَانِي لِفُرْقَتِهِ خُرْسَا

فَيَا رَحْمَةَ ٱلرَّحْمَـٰنِ زُورِيهِ وَٱحْلُلِي

عَلَـىٰ قَبْـرِهِ حَتَّـىٰ تَطِيـبَ لَـهُ نَفْسَـا

وَحَيِّيـــهِ عَنَّـــا بِـــٱلسَّـــلَامِ وَرَوِّحِـــي

بِرَوْحِ ٱلرِّضَا وَٱلْقُرْبِ مَعْنَاهُ وَٱلْحِسَّا

وَقُولِي لَهُ إِنَّا عَلَى ٱلْعَهْدِ وَٱلْوَفَا

وَإِنَّ ٱلْفَنَـا قَـدْ عَمَّـمَ ٱلْجِـنَّ وَٱلْإِنْسَـا

وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَرْجُو ٱلْبَقَا بَعْدَ أَحْمَدٍ

نَبِيِّ ٱلْهُدَىٰ مَنْ نُورُهُ يُخْجِلُ ٱلشَّمْسَا

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢/ س)

يَـا قُـلْ لِأَحْبَـابِنَـا يَـا قُـلْ لِجِيـرَتِنَـا
يَـا قُـلْ لِخِيـرَتِنَـا مِـنْ سَـائِرِ ٱلنَّـاسِ

أَنْتُـمْ وَسَـائِلُنَـا أَنْتُـمْ مَقَـاصِـدُنَـا
أَنْتُـمْ ذَخَـائِـرُنَـا لِلْبُـؤْسِ وَٱلْبَـأْسِ

لَا أَوْحَـشَ ٱللهُ مِنْكُـمْ يَـا أَحِبَّتَنَـا
فَـإِنَّكُـمْ أُنْسُنَـا مُنُّـوا بِـإِينَـاسِ

إِذَا ذَكَـرْنَـاكُـمُ نَـارَتْ سَـرَائِـرُنَـا
وَٱنْكَنَسَ ٱلصَّدْرُ مِنْ هَمٍّ وَوَسْوَاسِ

وَأَزْعَـجَ ٱلنَّفْسَ عَـنْ أَوْطَانِ غَفْلَتِهَـا
وَٱلْقَلْـبُ يَخْنُـسُ عَنْـهُ شَـرُّ خَنَّـاسِ

وَيَـدْنُـوَ ٱلْمَلَـكُ ٱلْمَيْمُـونُ يُلْهِمُـهُ

خَوَاطِرَ ٱلْخَيْرِ وَٱلْمَرْؤُوْسُ كَٱلرَّاسِ

وَتَصْعَدُ ٱلرُّوحُ تَرْقَىٰ نَحْوَ مَعْهَدِهَا

مِـنْ عَـالَـمِ ٱلْأَمْرِ فِـي رَوْحٍ وَأَنْفَـاسِ

كَمِثْـلِ حَـالَتِهَـا مِـنْ قَبْـلِ مَهْبِطِهَـا

بِهَيْكَلِ ٱلْجِسْمِ فِي حَبْسٍ وَأَحْرَاسِ

لِلهِ لِلهِ مَسْعُـــــودٌ بِـــــوَارِدَةٍ

مِنْ حَضْرَةِ ٱلْقُدْسِ لَا بِٱلْغَافِلِ ٱلنَّاسِي

وَمُسْتَقِيـمٌ عَلَـى ٱلْأَوْرَادِ يَعْمَلُهَـا

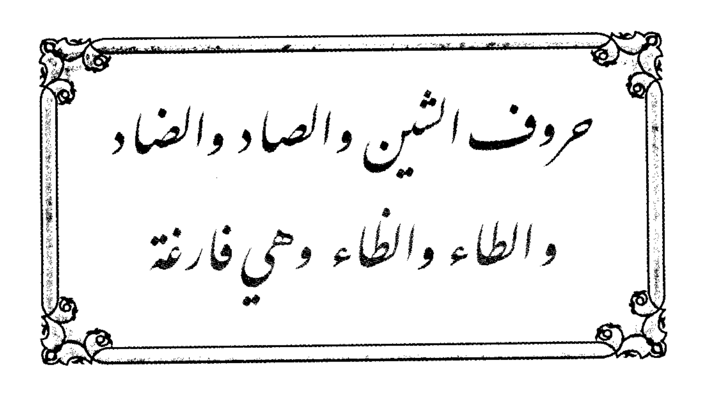
لِـرَبِّـهِ مُخْلِصـاً يَبْنِـي عَلَـىٰ سَـاسِ

وَمُتَّـقٍ وَرِعٌ عَـنْ كُـلِّ مُشْتَبِـهِ

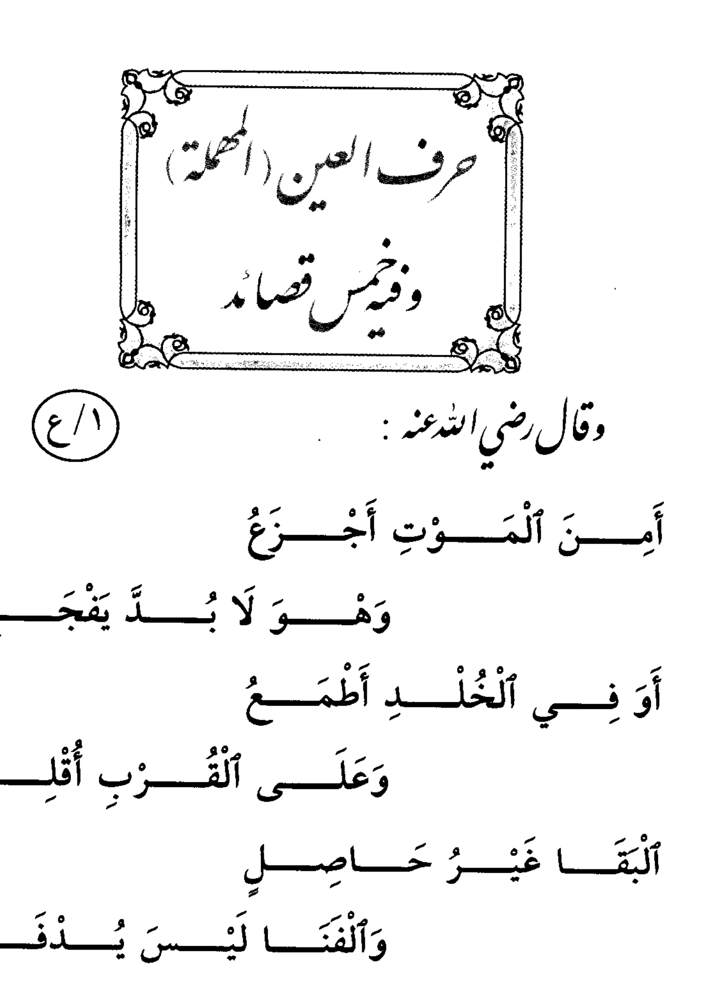
بَعْـدَ ٱلْحَـرَامِ عَلَـىٰ مِنْهَـاجِ أَكْيَـاسِ

وَٱلزُّهْدُ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلْغَرُورِ هُوَ ٱلْـ
ـمِلَاكُ لِلْخَيْرِ فَٱشْرَبْ مِنْهُ بِٱلْكَاسِ
ثُمَّ ٱلصَّلَاةُ عَلَى ٱلْهَادِي وَعِتْرَتِهِ الْـ
ـبَيْتِ ٱلْمُطَهَّرِ مِنْ رِجْسٍ وَأَدْنَاسِ

* * *



حروف الشين والصاد والضاد والطاء والظاء وهي فارغة



حرف العين (المهملة)

وفيه خمس قصائد

وقال رضي الله عنه : (١/ع)

أَمِــنَ ٱلْمَــوْتِ أَجْــزَعُ
وَهْــوَ لَا بُــدَّ يَفْجَــعُ
أَوَ فِــي ٱلْخُلْــدِ أَطْمَــعُ
وَعَلَــى ٱلْقُــرْبِ أُقْلِــعُ
ٱلْبَقَــا غَيْــرُ حَــاصِــلٍ
وَٱلْفَنَــا لَيْــسَ يُــدْفَــعُ

مَـا مِـنَ ٱلْمَـوْتِ مَهْـرَبٌ
لَا وَلَا ٱلْحِـذْرُ يَنْجَـعُ
إِنَّ كَـأْسَ مَنِيَّـةٍ
مُـرَّهُ سَـوْفَ أُجْـرَعُ
فَـأَمُـوتُ وَأَنْقَضِـي
وَعَلَـى ٱلنَّعْـشِ أُرْفَـعُ
وَأَصِيـرُ لِمَـدْفَـنٍ
لِلْمَخُـوفَـاتِ يَجْمَـعُ
وَهْـوَ لِلْمَـرْءِ رَوْضَـةٌ
أَوْ مَضِيـقٌ وَبَلْقَـعُ
فَـإِذَاْ لَا مَحِيـصَ عَـنْ
هَـٰذِهِ كَيْـفَ أَفْـزَعُ

قُــلْ لِمَــنْ كَــانَ عُمْــرُهُ

بِــاْلــدُّنَــا يَتَمَتَّــعُ

يَكْتَسِــي لَيِّنَــاتِهَــا

وَعَلَــى اْلقُطْــنِ يُضْجَــعُ

يَنْتَقِــي طَيِّبَــاتِهَــا

وَهْــوَ يَلْهُــو وَيَــرْتَــعُ

غَــارِقــاً فِــي نَعِيمِهَــا

أَوَ فِــي اْلخُلْــدِ تَطْمَــعُ

فَكَــأَنِّــي بِــرُوحِــهِ

فِــي اْلسِّيَــاقِ تَقَعْقَــعُ

وَبِــأَطْفَــالِ بَيْتِــهِ

وَاْلحَــرِيــمِ تَضَعْضَــعُ

ثُــمَّ يُكْسَــىٰ بِخِــرْقَـةٍ

وَلِقَبْـــــرٍ يُشَيَّـــــعُ

مُظْلِــمٍ ضَيِّـقِ ٱلْفِنَــا

وَيْلَـــهُ كَيْـــفَ يَصْنَـــعُ

فِيــهِ يَبْلَــىٰ جَمَــالُــهُ

وَٱلْمَفَــاصِــلُ تُقْطَـــعُ

وَيَصِيــــرُ كَجِيفَــــةٍ

بَــلْ أَخَـــسُّ وَأَبْشَـــعُ

ثُــمَّ يَبْلَــىٰ وَيَنْمَحِــي

وَإِلَــى ٱلْأَصْــلِ يَــرْجِــعُ

وَهْــوَ لَــوْ يَبْــقَ هَٰكَــذَا

كَــانَ أَجْــدَىٰ وَأَنْفَـــعُ

لَكِنِ ٱلْبَعْثُ بَعْدَهُ
يَوْمَ كُلٌّ يُرَوَّعُ
يَوْمَ يُنْفَخُ نَفْخَةً
لِلْبَرِيَّةِ تجمَعُ
يَوْمَ نَشْرٍ وَمَحْشَرٍ
وَوُقُوفٍ وَمَجْمَعُ
يَوْمَ يَبْرُزُ رَبُّنَا
لِلْحِسَابِ فَنَخْضَعُ
مَوْقِفٌ مَا أَمَرَّهُ
آهِ مَا كَانَ أَفْظَعُ
فِيهِ يَنْكَشِفُ ٱلْغِطَا
وَٱلْمَوازِينُ تُوضَعُ

وَتَــرَىٰ كُــلَّ مُــرْضِــعٍ
تَنْــسَ مَــنْ كَــانَ تُــرْضِــعُ
وَٱلْجَــزَا كُــلُّ عَــامِــلٍ
يَلْــقَ مَــا كَــانَ يَصْنَــعُ
فَجَــزَا كُــلِّ مُــؤْمِــنٍ
لِلْهَــوَىٰ كَــانَ يَقْمَــعُ
طَــائِــعٍ لِمَلِيكِــهِ
وَمِــنَ ٱلــرِّزْقِ يَقْنَــعُ
جَنَّــةٌ عِنْــدَ رَبِّــهِ
أَبَــداً يَتَمَتَّــعُ
وَجَــزَا كُــلِّ مُعْــرِضٍ
ظَــلَّ لِلْمَــالِ يَجْمَــعُ

وَعَـــنِ ٱلْإِثْـــمِ وَٱلْخَنَـــا

لَـــمْ يَكُـــنْ يَتَـــوَرَّعُ

لَيْـــسَ إِلَّا جَهَنَّـــمٌ

وَهْـــيَ أَدْهَـــىٰ وَأَفْظَـــعُ

بِـــٱلْحَـــدِيـــدِ مُثَقَّـــلٌ

وَٱلْمَقَـــامِـــعُ تَقْمَـــعُ

وَٱلصَّـــدِيـــدُ شَـــرَابُـــهُ

وَٱلْعَقَـــارِبُ تَلْسَـــعُ

يَـــا إِلَـٰهِـــي وَسَيِّـــدِي

إِنَّنِـــي لَـــكَ أَضْـــرَعُ

وَإِلَـــىٰ بَـــابِـــكَ ٱلْتَجِـــي

وَهْـــوَ لِلْكُـــلِّ مَفْـــزَعُ

أَحْيِنِــــي لَــــكَ مُسْلِمــــاً

مِنْــــكَ أَخْشَــــىٰ وَأَخْشَــــعُ

وَعَلَــــيَّ بِــــزَلَّتِــــي

سَيِّــــدِي لَا تُشَنِّــــعُ

وَأَمِتْنِــــي عَلَــــى ٱلْهُــــدَى

دِيــــنِ مَــــنْ هُــــوَّ مَنْبَــــعُ

لِلْفَضَــــائِــــلِ كُلِّهَــــا

وَهْــــوَ لِلْخَلْــــقِ يَشْفَــــعُ

أَحْمَــــدُ ٱلْهَــــادِي ٱلَّــــذِي

كَــــانَ بِــــٱلْحَــــقِّ يَصْــــدَعُ

صَــــلِّ رَبِّ عَلَيْــــهِ مَــــا

بَــــاتَــــتِ ٱلْــــوُرْقُ تَسْجَــــعُ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢/ع)

سَمَحَ ٱلزَّمَانُ بِوَصْلِ رِيمِ ٱلْأَجْرَعِ
ذَاتِ ٱلْمَحَاسِنِ وَٱلْجَمَالِ ٱلْمُبْدَعِ

مِسْكِيَّةِ ٱلْأَنْفَاسِ فِي لَهَوَاتِهَا
كَٱلشُّهْدِ يَشْفِي كُلَّ قَلْبٍ مُوجَعِ

حُورِيَّةٍ قَمَرِيَّةٍ نُورِيَّةٍ
كَٱلْغُصْنِ مَالَ بِهِ ٱلصَّبَا أَلْمُطْلِعِ

عَرَبِيَّةٍ مُضَرِيَّةٍ قُرَشِيَّةٍ
تُعْزَىٰ لِطَٰهَ خَيْرِ كُلِّ مُشَفَّعِ

مَكِّيَّةٍ رُكْنِيَّةٍ حَرَمِيَّةٍ
خُصَّتْ بِزَمْزَمَ وَٱلْمَقَامِ ٱلْأَرْفَعِ

وَبِـرَحْمَـةِ ٱلـرَّبِّ ٱلـرَّحِيـمِ لِنَـاظِـرٍ

أَوْ طَـائِـفٍ أَوْ رَاكِـعٍ مُتَخَشِّـعِ

مِـنْ كُـلِّ وَجْـهٍ قِبْلَـةٌ يَـأْتَمُّهَـا

كَـمْ مِـنْ إِمَـامٍ مُسْتَقِيـمٍ أَوْرَعِ

تَسْبِـي ٱلْقُلُـوبَ بِحُسْنِهَـا وَجَمَـالِهَـا

بِتَلَطُّـفٍ وَتَعَطُّـفٍ وَتَمَنُّـعِ

وَتُـرَوَّحُ ٱلْأَرْوَاحُ فِـي صَبَـوَاتِهَـا

فَكَـأَنَّهَـا مَـدْهُـوشَـةٌ لَيْسَـتْ تَعِـي

أَفْـدِي سُـوَيْكِنَـةَ ٱلنَّقَـا وَمُحَجَّـرٍ

إِنْ أَطْمَعَتْ فِي ٱلْوَصْلِ أَوْ لَمْ تُطْمِعِ

حَسْبِـي هَـوَاهَـا وَٱلنُّـزُولُ بِسُـوحِهَـا

مَـعْ فِتْيَـةٍ نَـزَلَـتْ بِـأَشْـرَفِ مَـوْضِـعِ

قُلْ لِلْعَذُولِ أَطَلْتَ لَوْمَكَ فِي ٱلَّتِي
لَـوْ كُنْـتَ ثَـمَّ مَعِـي كُنْـتَ مَعِـي[1]
فَـٱعْـذِرْ لِأَرْبَـابِ ٱلصَّبَـابَـةِ وَٱلْهَـوَىٰ
إِنْ كُنْـتَ لَسْـتَ بِسَـالِـكٍ لِلْمَهْيَـعِ
تِلْكَ ٱلسَّبِيـلُ سَبِيـلُ أَرْبَـابِ ٱلْهُـدَىٰ
اَلْمُهْتَـدِيـنَ بِهَـدْيِ خَيْـرِ مُشَـرِّعِ
صَلَّـىٰ عَلَيْـهِ ٱللهُ مَـا بَـرْقٌ شَـرَىٰ
أَوْ لَعْلَـعَ ٱلـرَّعْـدُ ٱلْهَتُـونُ بِلَعْلَـعِ

* * *

(١) لو كنت ثَمَّ مَعِي لَكُنتَ هنا معي: أي لو كنت أيها العذول معي هناك تراها وتشاهدها لما أطلت لومك ولكنت هنا معي ومرافق لي. وبهذا يتضح المعنى ويستقيم الوزن.

وقال رضي الله عنه : (٣/ع)

مَــا لِلْمَنَــازِلِ وَٱلْمَــرَابِــعِ لَا تَعِــي
عَنِّــي وَظَنِّــي أَنَّهَــا لَــمْ تَسْمَــعِ
خَرِسَتْ وَصُمَّتْ بَلْ تَفَانَتْ بَلْ عَفَتْ
وَسَفَــتْ عَلَيْهَــا كُــلُّ رِيــحٍ زَعْــزَعِ
وَتَنَكَّــرَتْ أَعْــلَامُهَــا وَعُلُــومُهَــا
وَرُسُــومُهَــا فَكَــأَنَّهَــا لَــمْ تَــرْبَــعِ
وَكَــأَنَّــهُ مَــا كَــانَ فِيهَــا سَــاكِــنٌ
أَوْ مُخْبِــرٌ أَوْ مَــنْ يُجِيــبُ إِذَا دُعِــي

* * *

وقال رضي الله عنه : (ع/٤)

يَــا سَعْــدُ قَلْبِــي حَــزِيــنْ

عَلَــىٰ فِــرَاقِ ٱلــرُّبُــوعْ

قَـــدْ زَادَ مِنْـــهُ ٱلْحَنِيـــنْ

وَسَــاعَــدَتْــهُ ٱلــدُّمُــوعْ

نَــادَيْــتُ هَــلْ لِــي مُعِيــنْ

بِـــدَمْعِـــهِ وَٱلْخُشُـــوعْ

(مِــنْ كُــلِّ عَــاشِــقْ مَكِيــنْ

قَــدْ طَــالَ مِنْــهُ ٱلنُّــزُوعْ)

فَصْلٌ

إِلَـــىٰ عُـــرَيْـــبِ ٱلْحِمَـــىٰ
اَلنَّـــازِلِيـــنَ ٱلْكَثِيـــبْ

فِيهِـــمْ عُـــذَيْـــبُ ٱللَّمَـــىٰ
فَـــرْدُ ٱلْجَمَـــالِ ٱلْغَـــرِيـــبْ

رَمَـــاهُ لَمَّـــا رَمَـــىٰ
قَلْبِـــي بِسَهْـــمٍ مُصِيـــبْ

(فَصَـــارَ مِثْلِـــي رَهِيـــنْ
طُـــولَ ٱلـــزَّمَـــانِ يَلُـــوعْ)

* * *

فَصْل

مِسْكِينْ مَا لُهْ قَرَارْ
وَلَا لِقَلْبِهْ سُكُونْ
اَللَّيلْ مِثْلُ ٱلنَّهَارْ
وَٱلْوَقِتْ كُلُّهْ شُجُونْ
وَٱلْقَصِدْ خَلْعُ ٱلْعِذَارْ
عِنْدُهْ وَطَيُّ ٱلشُّؤُونْ
(وَٱلْيَوْمُ مِثْلُ ٱلسِّنِينْ
وَٱلْوِتِرُ مِثْلُ ٱلْجُمُوعْ)

فَصْلٌ

يَـــا هَـــلْ لِأَيَّـــامِنَـــا

بِـــٱلْمُنْحَنَـــىٰ وَٱلنَّقَـــا

مِـــنْ عَـــوْدَةٍ بِـــٱلْهَنَـــا

لِكَـــيْ يَـــزُولَ ٱلشَّقَـــا

وَيَنْمَحِــــــي ذَا ٱلْعَنَـــــا

بِـــٱلْقُـــرْبِ ثُـــمَّ ٱللِّقَـــا

(أَرْجُـــو ٱلْقَـــوِيَّ ٱلْمَتِيـــنْ

رَبِّـــي إِلَيْـــهِ ٱلـــرُّجُـــوعْ)

* * *

وقال رضي الله عنه : (ع/٥)

يَا سَائِلِي عَنْ عَبْرَتِي وَمَدَامِعِي
وَتَنَهُّدٍ تَرْتَجُّ مِنْهُ أَضَالِعِي

وَتَأَسُّفٍ وَتَلَهُّفٍ وَتَشَوُّفٍ
وَتَعَرُّفٍ وَتَطَوُّفٍ بِمَرَابِعِ

وَتَجَنُّبٍ وَتَغَرُّبٍ وَتَطَلُّبٍ
وَتَلَوُّعٍ وَتَوَلُّعٍ بِمَطَامِعِ

يَكْفِيكَ مَسْأَلَتِي شُهُودُكَ مَا تَرَىٰ
مِنْ شَاهِدِي فِي وِحْدَتِي وَمَجَامِعِي

وَظَوَاهِرُ ٱلْأَحْوَالِ تُغْنِي ذَا ٱلْحِجَا
وَٱلْفَهْمِ عَنْ نُطْقِ ٱللِّسَانِ ٱلذَّائِعِ

لَـٰكِــنْ لَعَلَّــكَ أَوْ لَعَلَّــكَ تَبْتَغِــي

بِـٱلشَّـرْحِ إِعْـلَامَ ٱلْبَعِيـدِ ٱلشَّـاسِعِ

هَـٰذَا وَلِي فِي شَرْحِ بَعْضِ ٱلْحَالِ مَا

يُسْلِــي فُــؤَادَ ٱلْمُسْتَهَــامِ ٱلنَّــازِعِ

فَٱسْمَعْ هُدِيتَ وَلَا تَكُنْ بِي عَاذِلاً

عَـنْ جِيـرَةٍ بَيْـنَ ٱلْعُـذَيْـبِ وَلَعْلَـعِ

قَـدْ طَـالَمَـا طَـوَّفْـتُ بَيْـنَ خِيَـامِهِـمْ

لِأَرَىٰ وَأَسْمَـعَ مَـا يَـرُوقُ لِمَسْمَعِـي

فَـرَأَيْـتُ لَـٰكِـنْ مَـا يُـذَوِّبُ مُهْجَتِـي

وَسَمِعْـتُ لَـٰكِـنْ مَـا يُفَيِّضُ مَـدْمَعِـي

مِــنْ فُــرْقَــةٍ وَتَشَتُّــتٍ لِأَحِبَّــةٍ

وَتَبَــدُّدٍ فِــي كُــلِّ قَفْــرٍ بَلْقَــعِ

لَحَّتْ بِهِمْ نُوَبُ ٱلزَّمَانِ فَصَدَّعَتْ

مِنْ جَمْعِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ بِمُصَدَّعِ

وَجَرَىٰ عَلَيْهِمْ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي

مِنْ شَأْنِهِ تَفْرِيقُ كُلِّ مُجَمَّعِ

فَتَوَحَّشَتْ مِنْ بَعْدِهِمْ وَتَنَكَّرَتْ

مِنْ بُعْدِهِمْ حَالُ ٱلرُّبَا وَٱلْمَرْبَعِ

لَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ ٱلرُّبُوعِ وَأَهْلِهَا

مِنْ مُخْبِرٍ أَوْ مَنْ يُجِيبُ إِذَا دُعِي

آهٍ عَلَىٰ تِلْكَ ٱلدِّيَارِ وَأَهْلِهَا

مِنْ حَادِثِ ٱلدَّهْرِ ٱلْمُمِضِّ ٱلْمُوْجِعِ

آهٍ عَلَىٰ تِلْكَ ٱلْخِيَامِ وَمَا حَوَتْ

مِنْ كُلِّ غَانٍ بِٱلْجَمَالِ ٱلْمُبْدَعِ

آهٍ عَلَىٰ تِلْكَ ٱلْقِبَابِ وَمَا بِهَا
مِنْ قَاصِرٍ وَمُحَجَّبٍ وَمُبَرْقَعِ
آهٍ عَلَىٰ تِلْكَ ٱلرِّيَاضِ وَكُلِّ مَا
فِيهَا مِنَ ٱلْغِيدِ ٱلْحِسَانِ ٱلرُّتَّعِ
آهٍ عَلَىٰ تِلْكَ ٱلْحِيَاضِ وَمَنْ بِهَا
مِنْ وَارِدٍ أَوْ شَارِبٍ مُتَضَلِّعِ
آهٍ عَلَىٰ غِزْلَانِ حَاجِرَ وَٱلنَّقَا
وَظِبَاءِ وَادِي ٱلْمُنْحَنَىٰ وَٱلْأَجْرَعِ
آهٍ عَلَىٰ آرَامِ رَامَةَ تَرْتَعِي
بِسُفُوحِهَا وَحِمَائِهَا ٱلْمُتَمَنِّعِ
آهٍ عَلَىٰ أَقْمَارِ أَفْلَاكِ ٱلْعُلَا
وَشُمُوسِهَا ٱلْمُشْرِقَاتِ ٱلسُّطَّعِ

وَكَـوَاكِـبٍ وَثَـوَاقِـبٍ وَمَصَـابِـحٍ

وَمَعَـالِـمٍ وَأَدِلَّـةٍ لِلْمَهْيَـعِ

وَشَـوَامِـخٍ وَبَـوَاذِخٍ وَرَوَاسِـخٍ

فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلتَّقْوَىٰ بِأَفْضَلِ مَوْضِعِ

وَمَعَـاهِـدٍ وَمَقَـاعِـدٍ وَمَعَـابِـدٍ

وَمَقَـاصِـدٍ وَقَـوَاصِـدٍ لِلْمَشْـرَعِ

وَحَضَـائِـرٍ وَمَحَـاضِـرٍ وَمَنَـاظِـرٍ

وَنَـوَاظِـرٍ نُـورَ ٱلْجَمَـالِ ٱلْأَرْفَـعِ

وَمَـدَارِسٍ وَمَجَـالِـسٍ وَمَغَـارِسٍ

وَمَحَـارِسٍ لِلْحَـاضِـرِ ٱلْمُسْتَجْمِـعِ

وَجَـوَامِـعٍ وَمَجَـامِـعٍ وَمَسَـامِـعٍ

وَمَـدَامِـعٍ لِلْخَـائِـفِ ٱلْمُتَخَشِّـعِ

وَمَمَالِكٍ وَمَسَالِكٍ مِنْ سَالِكٍ
وَمَدَارِكٍ لِلشَّيِّقِ ٱلْمُتَطَلِّعِ
وَمَدَارِجٍ وَمَنَاهِجٍ وَمَعَارِجٍ
وَمَخَارِجٍ مِنْ مُشْكِلٍ مُسْتَبْشَعِ
وَوَسَائِلٍ وَفَضَائِلٍ وَمَنَاهِلٍ
وَمَحَافِلٍ مِنْ كُلِّ حَبْرٍ أَوْرَعِ
وَطَرَائِقٍ وَحَقَائِقٍ وَرَقَائِقٍ
وَدَقَائِقٍ لَيْسَتْ تُرَامُ لِمُدَّعِي
وَعَوَارِفٍ وَمَعَارِفٍ وَلَطَائِفٍ
وَطَرَائِفٍ وَمَعَاكِفٍ بِٱلْمَجْمَعِ
وَبَصَائِرٍ وَسَرَائِرٍ وَضَمَائِرٍ
وَخَوَاطِرٍ جَوَّالَةٍ فِي ٱلْمُبْدَعِ

وَتَطَــوُّفٍ وَتَعَــرُّفٍ وَتَصَــوُّفٍ

وَتَصَــرُّفٍ بِــٱلْإِذْنِ لِلْمُسْتَجْمِــعِ

مِنْ كُلِّ طَوْدٍ فِي ٱلْعُلُومِ وَفِي ٱلْحِجَا

مُتَبَحِّــرٍ مُتَفَنِّــنٍ مُتَــوَسِّــعِ

دَاعٍ إِلَــى ٱللهِ ٱلْعَظِيــمِ بِفِعْلِــهِ

وَمَقَــالِــهِ وَٱلْحَــالِ غَيْــرِ مُضَيِّــعِ

ذِي عِفَّــةٍ وَفُتُــوَّةٍ وَأَمَــانَــةٍ

وَصِيَــانَــةٍ لِلسِّــرِّ أَحْسَــنِ مَــنْ يَعِــي

وَزَهَــادَةٍ وَعِبَــادَةٍ وَشَهَــادَةٍ

مِنْــهُ ٱلْغُيُــوبُ بِمَنْظَــرٍ وَبِمَسْمَــعِ

جَمَعَ ٱلرِّيَاضَةَ وَٱلْكُشُوفَ وَلَمْ يَزَلْ

يَــرْقَــىٰ إِلَــىٰ أَنْ يَسْتَجِيــبَ إِذَا دُعِــي

مِثْلِ ٱلْإِمَامِ عَلِيٍّ زَيْنِ ٱلْعَابِدِيـ
ـنَ ٱلْقَانِتِ ٱلْمُتَبَتِّلِ ٱلْمُتَخَشِّعِ

وَٱلْبَاقِرِ ٱلسَّجَّادِ خَيْرِ مُهَذَّبٍ
أَلْعَالِمِ ٱلرَّبَّانِي ٱلْمُتَوَرِّعِ

وَٱلصَّادِقِ ٱلصِّدِّيقِ أُسْتَاذِ ٱلْأُلَىٰ
وَإِمَامِ أَهْلِ ٱلْحَقِّ غَيْرَ مُدَافَعِ

وَخَلِيفَةِ ٱلصِّدْقِ ٱبْنِ عَبْدِ عَزِيزِهَا
اَلْعَادِلِ ٱلْمُتَحَفِّظِ ٱلْمُتَطَوِّعِ

وَأُوَيْسٍ ٱلْقَرَنِيِّ أَخْيَرِ تَابِعٍ
وَأَبِي سَعِيدِ ٱلنَّاصِحِ ٱلْمُتَبَرِّعِ

وَمُحَمَّدٍ أَعْنِي ٱبْنَ وَاسِعَ قَارِئِ ٱلـ
ـرَّحْمَٰنِ لُذْ بِٱلزَّاهِدِ ٱلْمُتَقَنِّعِ

أَكْـرِمْ بِـهِ وَبِمَـالِـكِ ٱلْخَيْـرِ ٱلَّـذِي
أُرِيَ ٱلْمَنَـامَ فَكَـانَ أَحْسَـنَ مُسْـرِعِ
وَٱلْعَجَمِـــيِّ ٱلْمُسْتَجَـــادِ وَعُتْبَـــةٍ
نِعْـــمَ ٱلشَّهِيـــدُ بِنِيَّـــةٍ وَبِمَضْجَـــعِ
وَٱحْسِـنْ بِثَـابِـتَ وَٱلـرَّبِيـعِ ٱلْمُنْتَقَـىٰ
وَبِـإِبْـنِ زَيْـدٍ أَلْحَمِيـدِ ٱلْمَـرْجَـعِ
وَٱلثَّـوْرِي ٱلْحَبْـرِ ٱلشَّحِيـحِ بِـدِينِـهِ
اَلْخَـائِـفِ ٱلْمُتَخَشِّـعِ ٱلْمُتَضَـرِّعِ
وَأَبِـــي حَنِيفَـــةَ ٱلْإِمَـــامِ وَمَـــالِـــكٍ
وَٱلشَّـــافِعِـــيِّ وَأَحْمَـــدَ ٱلْمُتَمَنِّـــعِ
تِلْـكَ ٱلْأَئِمَّـةُ وَٱلـدُّعَـاةُ إِلَـى ٱلْهُـدَىٰ
وَٱلْحَـقِّ مِـنْ أَهْـلِ ٱلْمَقَـامِ ٱلـرَّابِـعِ

وَأَبِـي عَلِـيٍّ وَأَبِـي إِسْحَـاقِهِـمْ
وَوُهَيْـبِ وَرْدِيٍّ ٱللَّطِيـفِ ٱلْمَنْـزَعِ

وَٱبْنِ ٱلْمُبَارَكِ وَٱلَّذِي سَبَقَ ٱلْأُلَىٰ
فِـي زُهْـدِهِ دَاوُودْ طَـيِّ ٱلْأَوْرَعِ

وَيَلِيـهِ مَعْـرُوفٌ عَلَـىٰ قَـدَمِ ٱلْـوَفَـا
وَكَذَا ٱلسَّرِيُّ إِلَى ٱلْجُنَيْدِ ٱلْأَلْمَعِي

وَٱلْحَـافِـي ٱلْمَـدْعُـوْ بِبِشْـرٍ حَبَّـذَا
مِـنْ زَاهِـدٍ مُتَبَتِّـلٍ مُسْتَجْمِـعِ

وَٱلتُّسْتَـرِيِّ أَبِـي مُحَمَّـدِ سَهْلِهِـمْ
اَلْعَـالِـمِ ٱلْمُتَحَقِّـقِ ٱلْمُتَطَلِّـعِ

وَٱبْـنِ ٱلْمُحَـاسَبَةِ ٱلَّذِي يُعْـزَىٰ لَهَـا
نِعْـمَ ٱلْـوَلِيُّ وَبِـٱلـرِّعَـايَـةِ قَـدْ رُعِـي

وَمُؤَلِّفِ «ٱلْقُوتِ» ٱلَّذِي ٱنْتَفَعَ ٱلنُّهَىٰ
بِكِتَابِهِ أَحْسِنْ بِهِ مِنْ لَوْذَعِي
وَتَلَاهُ مَنْ بَعَثَ «ٱلرِّسَالَةَ» نَاصِحاً
لِلْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَابِ ٱلْأَرْفَعِ
وَٱلْحُجَّةُ ٱلْحَبْرُ ٱلَّذِي بَاهَىٰ بِهِ
أَهْلَ ٱلنُّبُوَّةِ خَيْرُ كُلِّ مُشَفَّعِ
وَبِوَضْعِهِ «ٱلْإِحْيَاءَ» فَاقَ فَيَا لَهُ
مِنْ فَائِقٍ وَكَمِثْلِهِ لَمْ يُوضَعِ
وَٱلشَّيْخُ مُحْيِي ٱلدِّينِ فَرْدُ زَمَانِهِ
اَلْجِيْلِيُ ٱلْمَشْهُورُ زَاكِي ٱلْمَنْبَعِ
وَكَذَا ٱلرِّفَاعِيُّ ٱلرَّفِيعُ مَقَامُهُ
وَٱلشَّاذِلِيُّ ٱلشَّاكِرُ ٱلْمُسْتَوْسِعِ

وَكَصَاحِبِ ٱلْغَرْبِ ٱلْمُنِيرِ شُعَيْبِهِ
وَلِسُهْرَوَرْدِيِّ ٱلْعَوَارِفِ فَٱتْبَعِ
وَأُصُولُنَا وَشُيُوخُنَا مِنْ سَادَةٍ
عَلَوِيَّةٍ نَبَوِيَّةٍ فَٱسْمَعْ وَعِ
اَلشَّيْخُ نُورُ ٱلدِّينِ ثُمَّ مُحَمَّدٌ
وَيَلِيهِ عِيسَىٰ ذُو ٱلْمَحَلِّ ٱلْأَرْفَعِ
وَأَحْمَدْ وَعَبْدُ ٱللهِ مَعْ عَلَوِيِّهِمْ
بَصْرِيِّهِمْ وَجَدِيدِهِمْ مَهْمَا دُعِي
وَسَلِيلِ عَلْوِيٍّ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ
وَسَلِيلِهِ فَمُسَلَّمٍ فِي ٱلْمَرْكَعِ
رَدَّ ٱلرَّسُولُ عَلَيْهِ مِثْلَ سَلَامِهِ
يَا شَيْخُ فَٱعْجَبْ لِلْفَخَارِ ٱلْأَجْمَعِ

وَنَــزِيــلِ مِــرْبَــاطٍ إِمَــامٍ جَــامِــعٍ

أَصْــلٍ لِأَشْيَــاخِ ٱلطَّــرِيــقِ مُفَــرِّعِ

وَبَنِيــهِ خُــصَّ إِمَــامَهُــمْ أُسْتَــاذَهُــمْ

شَيْــخَ ٱلشُّيُــوخِ ٱلْعَــارِفَ ٱلْمُتَــوَسِّــعِ

وَتَــلَاهُ عَلْــوِيٌّ أَتَــىٰ بِعَلِيِّهِــمْ

وَعَفِيفِهِــمْ وَمُحَمَّــدِ ٱلْمُسْتَــوْدَعِ

وَوَجِيــهِ دِيــنِ ٱللهِ سَقَّــافِ ٱلْعُــلَا

وَٱلْفَخْرِ وَٱلْمِحْضَارِ يُسْرِعُ إِنْ دُعِي

وَٱلْعَيْـدَرُوسِ ٱلْقُطْـبِ سُلْطَـانِ ٱلْمَـلَا

وَأَخِيــهِ نُــورِ ٱلــدِّيــنِ شَيْــخِ ٱلْمَهْيَــعِ

وَمُحَمَّــدِ ٱلْقَــوَّامِ صَــاحِــبِ رَوْغَــةٍ

وَنَــزِيــلِ عَيْــدِيــدَ ٱلْفَقِيــهِ ٱلْأَوْرَعِ

وَمُحَمَّـــدٍ ذَاكَ ٱلْفَقِيـــهِ وَصِنْـــوِهِ

اَلشَّيْـخِ نُـورِ ٱلـدِّيـنِ أُنْـسِ ٱلْمَـرْبَـعِ

وَمُحَمَّـــدٍ ذَاكَ ٱلْمُعَلِّـــمِ زَاهِـــدٍ

وَمُجَـاهِـدٍ فِيهِـمْ عَظِيـمِ ٱلْمَـوْقِـعِ

وَٱلْعَدْنِيِ ٱلْبَحْرِ ٱلْخِضَمِّ أَخِي ٱلنَّدَىٰ

وَكَـذَا ٱلْـوَجِيـهِ ٱلْمُتَّقِـيِّ ٱلْأَخْشَـعِ

وَسَلِيـلِ عَلْـوِيٍّ بِـأَحْمَـدِ جَحْـدَبٍ

وَٱلشَّيْـخِ شَيْـخٍ ذِي ٱلْمَحَـلِّ ٱلْأَرْفَـعِ

وَسَلِيلِـــهِ ذَاكَ ٱلْعَفِيـــفِ وَصِنْـــوِهِ

اَلْحَبْــرِ عَبْــدِ ٱلْقَــادِرِ ٱلْمُتَضَلِّـــعِ

وَٱلشَّيْـخِ اَبِـي بَكْـرٍ سُـلَالَـةِ سَـالِـمٍ

ذِي ٱلْفَخْرِ وَٱلْجَاهِ ٱلْفَسِيحِ ٱلْأَوْسَعِ

وَٱبْـنِ ٱلْحُسَيْـنِ ٱلْعَيْـدَرُوسِ وَنَجْلِـهِ
وَكَصَاحِبِ ٱلْوَهْطِ ٱلْمَلَاذِ ٱلْمَفْزَعِ

وَٱلشَّيْـخِ عَبْـدِ ٱللهِ صَـاحِـبِ مَكَّـةٍ
مَـوْلَـى ٱلشُّبَيْكَـةِ سَـلْ بِـهِ وَتَضَـرَّعِ

وَكَصَاحِبِ ٱلشِّعْبِ ٱلْمُهَيَّبِ أَحْمَدٍ
مَـنْ بِـٱلْجَـلَالَـةِ صَـارَ كَـٱلْمُتَـدَرِّعِ

* * *

وَلَأَقْبِضَـنَّ عِنَـانَ قَـوْلِـي هَـا هُنَـا
حَسْبِـي وَفِـي تَعْـدَادِهِـمْ لَـمْ أَطْمَـعِ

فَهُـمُ ٱلْكَثِيـرُ ٱلطَّيِّـبُ ٱلْمَـدْعُـو لَهُـمْ
مِنْ جَدِّهِمْ حِينَ ٱلزِّفَافِ أَلَا تَعِي

بَيْــتُ ٱلنُّبُــوَّةِ وَٱلْفُتُــوَّةِ وَٱلْهُــدَىٰ

وَٱلعِلْمِ فِي ٱلْمَاضِي وَفِي ٱلْمُتَوَقَّعِ

بَيْــتُ ٱلسِّيَــادَةِ وَٱلسَّعَــادَةِ وَٱلْعِبَــا

دَةِ وَٱلْخَيْــرَاتِ كُــلٍّ أَجْمَــعِ

بَيْـتُ ٱلْإِمَـامَـةِ وَٱلـزَّعَـامَـةِ وَٱلشَّهَـا

مَــةِ وَٱلْأَمَنَــاتِ لِلْمُتَــرَوِّعِ

قَــوْمٌ يُغَــاثُ بِهِــمْ إِذَا حَــلَّ ٱلْبَــلَا

وَلَدَى ٱلْمَسَاغِبِ كَٱلْغُيُوثِ ٱلْهُمَّعِ

قَــوْمٌ إِذَا أَرْخَــى ٱلظَّــلَامُ سُتُــورَهُ

لَـمْ تُلْفِهِـمْ رَهْـنَ ٱلْـوِطَـا وَٱلْمَضْجَـعِ

بَـلْ تَلْقَهُـمْ عُمُـدَ ٱلْمَحَـارِبِ قُـوَّمـاً

لِلّٰهِ أَكْــرِمْ بِــٱلسُّجُــودِ ٱلــرُّكَّــعِ

يَتْلُـــونَ آيَـــاتِ ٱلْقُـــرَانِ تَـــدَبُّـــراً

فِيـــهِ وَلَا كَـــٱلْغَـــافِـــلِ ٱلْمُتَـــوَزِّعِ

ثَبَتُـوا عَلَـىٰ قَـدَمِ ٱلـرَّسُولِ وَصَحْبِـهِ

وَٱلتَّـــابِعِيـــنَ لَهُـــمْ فَسَـــلْ وَتَتَبَّـــعِ

وَمَضَوْا عَلَىٰ قَصْدِ ٱلسَّبِيلِ إِلَى ٱلْعُلَا

قَـــدَمـــاً عَلَـــىٰ قَـــدَمٍ بِجِـــدٍّ أَوْزَعِ

وَجَمَـــاعَـــةٌ مِنْهُـــمْ أَخَـــذْنَـــا عَنْهُـــمُ

عِلْمَ ٱلطَّرِيقِ ٱلْقَصْدِ فَٱنْصِتْ وَٱسْمَعِ

مِثْـلُ ٱلْجَمَـالِ نَـزِيـلِ مَكَّـةَ شَيْخِنَـا

وَٱلْفَخْـرِ وَٱلصُّـوفِـي عَقِيـلِ ٱلْمِصْقَـعِ

وَأَبِـي حُسَيْـنٍ عُمَـرَ ٱلْعَطَّـاسِ مَـنْ

قَـدْ كَـانَ مِـنْ أَهْـلِ ٱلْيَقِيـنِ بِمَـوْضِـعِ

وَوَجِيــهِ دِيــنِ ٱللهِ مَــعْ نَجْــلٍ لَــهُ
يُــدْعَىٰ بِشَيْــخٍ وَٱلْمُنِيــبِ ٱلْأَخْشَــعِ

وَكَصَاحِبِ ٱلشِّحْرِ ٱبْنِ نَاصِرَ ٱحْمَدٍ
مَــنْ بِـٱلْعِنَايَةِ وَٱلـرِّعَـايَةِ قَـدْ رُعِـي

وَبَقِيَّــةٌ فِــي ٱلْعَصْــرِ مِنْهُــم عُمِّــرُوا
لِتَكُــونَ فِيهِــمْ مِتْعَــةُ ٱلْمُتَمَتِّــعِ

وَيَكُــونَ فِيهِــمْ لِلــرُّبُــوعِ وَأَهْلِهَــا
أُنْــسٌ وَنَفْــعُ ٱلطَّــالِــبِ ٱلْمُتَنَفِّــعِ

فَــٱللهُ يَحْفَظُهُــمْ وَيُخْلِــفُ مِنْهُــمُ
أَمْثَــالَهُــمْ فِــي حَيِّنَــا وَٱلْمَــرْبَــعِ

وَٱلْقَصْــدُ ذِكْــرُ نَصِيحَــةٍ وَوَصِيَّــةٍ
لِلنَّفْــسِ وَٱلْإِخْــوَانِ إِن كَـانُــوا مَعِـي

تَقْــوَىٰ إِلَـٰــهِ ٱلْعَــالَمِيــنَ فَــإِنَّهَــا

عِــزٌّ وَحِــرْزٌ فِــي ٱلــدُّنَــا وَٱلْمَــرْجَــعِ

فِيهَا غِنَى ٱلدَّارَيْنِ فَٱسْتَمْسِكْ بِهَا

وَٱلْــزَمْ تَنَــلْ مَــا تَشْتَهِيــهِ وَتَــدَّعِــي

وَٱلزُّهْدِ فِي ٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيِّ مَتَاعُهَا

دَارِ ٱلْــوَبَــاءِ فَمَــا بِهَــا مِــنْ مَــرْتَــعِ

تُلْهِــي عَــنِ ٱلْأُخْــرَىٰ وَلَا تَبْقَــىٰ وَلَا

تَصْفُــو بِحَــالٍ فَــٱجْتَنِبْهَــا أَوْ دَعِ

وَعَلَيْــكَ بِــٱلصَّبْــرِ فَــلَا تَعْــدِلْ بِــهِ

شَيْئــاً وَبِــٱلشُّكْــرِ ٱلْأَتَــمِّ ٱلْأَوْسَــعِ

وَٱلْخَــوْفِ لِلهِ ٱلْعَظِيــمِ وَبِــٱلــرَّجَــا

فَكِــلَاهُمَــا مِثْــلُ ٱلــدَّوَاءِ ٱلْأَنْفَــعِ

وَٱلصِّدْقِ وَٱلْإِخْلَاصِ لِلهِ ٱحْتَفِظْ

بِهِمَا فَإِنَّهُمَا عِمَادُ ٱلْمَشْرَعِ

وَٱلتَّوْبَةِ ٱلْخَلْصَاءِ أَوَّلِ خُطْوَةٍ

لِلسَّالِكِينَ إِلَى ٱلْحِمَاءِ ٱلْأَمْنَعِ

وَبِمُرِّ مَا يَقْضِي ٱلْإِلَٰهُ وَحُلْوِهِ

كُنْ رَاضِياً وَمِنَ ٱلتَّوَكُّلِ فَٱكْرَعِ

وَلِصَالِحِ ٱلنِّيَّاتِ كُنْ مُتَحَرِّياً

مُسْتَكْثِراً مِنْهَا وَرَاقِبْ وَٱخْشَعِ

وَٱقْنَعْ بِمَيْسُورِ ٱلْمَعَاشِ وَلَا تُطِلْ

أَمَلاً وَعَمَّا لَا يَحِلُّ تَوَرَّعِ

وَٱحْذَرْ مِنَ ٱلْكِبْرِ ٱلْمَشُومِ فَإِنَّهُ

دَاءٌ وَمِنْ عُجُبٍ وَشُحٍّ مُهْلِعِ

وَمِـنَ ٱلـرِّيَـاءِ فَـإِنَّـهُ ٱلشِّـرْكُ ٱلْخَفِـيُّ

(. . . . . .) شِيمَةُ ٱلْعَبْدِ ٱلدَّعِي[1]

وَٱلنَّفْـسَ رُضْهَـا بِـٱعْتِـزَالٍ دَائِـمٍ

وَٱلصَّمْتِ مَعْ سَهَرِ ٱلدُّجَىٰ وَتَجَوُّعِ

وَهَـوَاكَ جَـاهِـدْهُ جِهَـادَ مُنَـازِعٍ

وَمُخَـالِـفٍ مِثْـلَ ٱلْعَـدُوِّ ٱلْأَبْشَـعِ

وَٱعْمُـرْ بِـأَوْرَادِ ٱلْعِبَـادَةِ عُمْـرَكَ ٱلْـ

ـفَـانِـي وَسَـاعَـاتِ ٱلـزَّمَـانِ ٱلْمُـزْمَـعِ

وَٱتْـلُ ٱلْقُـرَانَ كَـلَامَ رَبِّـكَ دَائِمـاً

بِتَـدَبُّـرٍ وَتَـرَتُّـلٍ وَتَخَشُّـعِ

---

(١) لعل تكملة الشطر (كما أتاك وشيمة العبد الدعي). أي: كما أتى في الحديث.

وَٱلـذِّكْـرَ لَازِمْـهُ وَوَاظِبْـهُ عَلَـىٰ

مَـرِّ ٱلـزَّمَـانِ مَـعَ ٱلْحُضُـورِ ٱلْأَجْمَـعِ

فَهُـوَ ٱلْغِـذَاءُ لِكُـلِّ قَلْـبٍ مُهْتَـدٍ

وَهْـوَ ٱلـدَّوَاءُ لِكُـلِّ قَلْـبٍ مُـوْجَـعِ

وَعَلَيْكَ بِٱلصَّلَوَاتِ فَٱعْـرِفْ حَقَّهَا

وَمَكَـانَهَـا مِـنْ دِيـنِ رَبِّـكَ وَٱخْضَـعِ

وَٱحْسِـنْ مُحَـافَظَـةً عَلَيْهَـا وٱحْضُـرَنْ

فِيهَـا وَلَا تَغْفَـلْ وَلَا تَتَـوَزَّعِ

وَٱلصَّـوْمِ وَٱلـزَّكَـوَاتِ وَٱلْحَـجِّ إِلَـىٰ

بَيْـتِ ٱلْإِلَـٰهِ فَقُـمْ بِفَـرْضِـكَ وَٱسْـرِعِ

وَٱعْلَـمْ بِـأَنَّـكَ عَـنْ قَـرِيـبٍ مَيِّـتٌ

فَٱذْكُرْ مَمَاتَكَ وَٱخْشَ سُوءَ ٱلْمَصْرَعِ

وَٱذْكُـرْ بِـأَنَّـكَ عَـنْ قَلِيـلٍ صَـائِـرٌ
فِـي بَطْـنِ قَبْـرٍ مِـنْ فَـلَاةٍ بَلْقَـعِ
وَمِـنَ ٱلْقُبُـورِ إِلَـى ٱلنُّشُـورِ لِمَحْشَـرٍ
وَٱلْـوَزْنِ وَٱلْجَسْـرِ ٱلْمَهُـولِ ٱلْأَشْنَـعِ
ثُـــمَّ ٱلْمَصِيـــرُ لِجَنَّـــةٍ وَنَعِيمِهَـــا
أَوْ حَـــرِّ نَـــارٍ وَٱلْعَـــذَابِ ٱلْأَفْضَـــعِ
يَـــا رَبَّنَـــا يَـــا رَبَّنَـــا أَلْطُـــفْ بِنَـــا
وَٱغْفِـرْ لَنَـا وَٱرْحَـمْ وَأَلِّـفْ وَٱجْمَـعِ
يَـــا رَبِّ وَٱجْبُـــرْنَـــا وَوَفِّقْنَـــا لِمَـــا
يُرْضِيكَ عَنَّا أَنْتَ أَسْمَعُ مَنْ دُعِي
يَـا رَبِّ وَٱخْتِـمْ بِـٱلْيَقِيـنِ وَبِـٱلْهُـدَىٰ
أَعْمَـــارَنَـــا وَٱلـــزَّيْـغَ عَنَّـــا فَـــٱدْفَـــعِ

يَــا رَبِّ وَٱجْمَعْنَــا وَأَحْبَــاباً لَنَــا

فِـي دَارِكَ ٱلْفِـرْدَوْسِ أَطْيَـبِ مَـوْضِـعِ

فَضْــلاً وَإِحْسَــانــاً وَمَنّــاً مِنْــكَ يَــا

ذَا ٱلْجُودِ وَٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٱلْأَوْسَعِ

وَٱجْعَلْ صَلَاتَكَ وَٱلسَّلَامَ مُضَاعَفاً

لِنَبِيِّــكَ ٱلْمُخْتَــارِ خَيْــرِ مُشَفَّــعِ

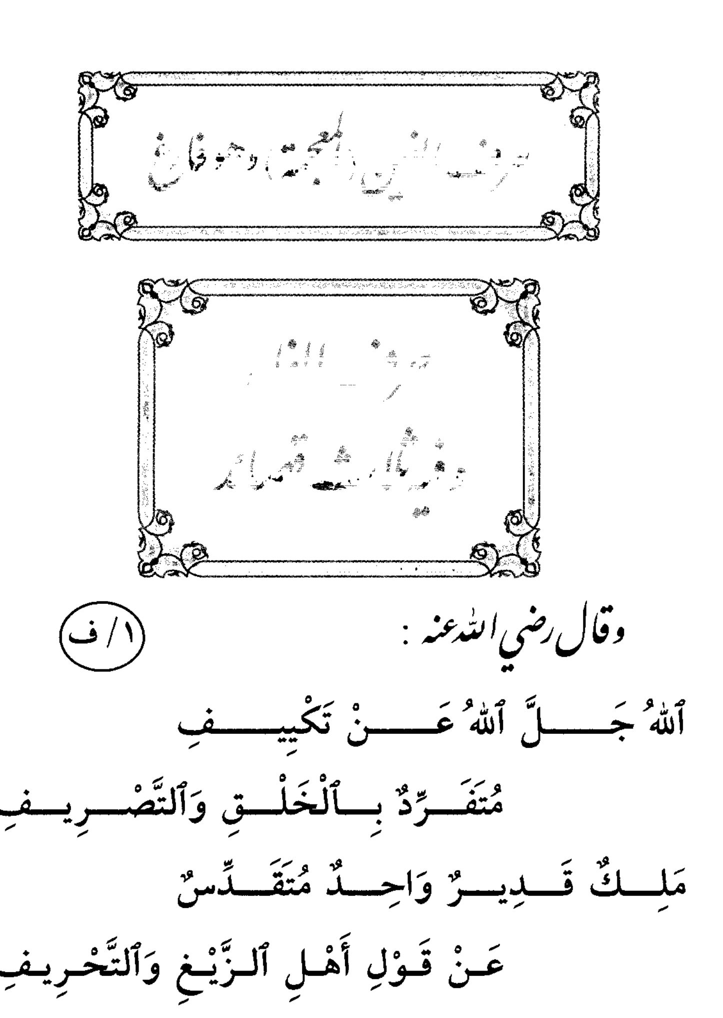
اَلْمُصْطَفَــى ٱلْهَــادِي إِلَيْــكَ مُحَمَّــدٍ

وَٱلْآلِ وَٱلْأَصْحَــابِ ثُــمَّ ٱلتَّــابِــعِ

وَٱلْحَمْــدُ لِلهِ ٱلْكَــرِيــمِ خِتَــامُهَــا

وَقَــدِ ٱنْتَهَــتْ فَــٱقْبَــلْ إِلَـٰهِـيَ وَٱنْفَــعِ

* * *



وقال رضي الله عنه : (١/ ف)

ٱللهُ جَـــلَّ ٱللهُ عَــــنْ تكيِيــــفِ
مُتفَــرِّدٌ بِــاْلْخَلْـقِ وَٱلتَّصْــرِيــفِ
مَلِـــكٌ قَــدِيــرٌ وَاحِــدٌ مُتقَــدِّسٌ
عَــنْ قَـوْلِ أَهْـلِ ٱلـزَّيْـغِ وَٱلتَّحْـرِيـفِ

خَـصَّ ٱلـرِّجَـالَ عِبَـادَهُ بِـدُنُـوِّهِ

وَحُبُـوِّهِ وَٱلْأُنْـسِ وَٱلتَّعْـرِيـفِ

وَخِطَـابِـهِ وَوُجُـودِهِ وَشُهُـودِهِ

وَبِسِـرِّهِ وَٱلْفَضْـلِ وَٱلْمَعْـرُوفِ

فَتَبَـادَرُوا وَتَسَـارَعُـوا فِـي حُبِّـهِ

وَوَفَـوْا بِحَـقِّ ٱلْأَمْـرِ وَٱلتَّكْلِيـفِ

فَـٱقْتَـدْ بِهِـمْ إِنْ كُنْتَ عَبْـداً مُخْلِصـاً

وَتُحِـبُّ أَنْ تُـدْعَـىٰ بِٱسْمِ ٱلصُّـوفِـي

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢/ ف)

بَشِّـرْ فُـؤَادَكَ بِـٱلنَّصِيـبِ ٱلْـوَافِـي
مِـنْ قُـرْبِ رَبِّـكَ وَاسِـعِ ٱلْأَلْطَـافِ

اَلْـوَاحِـدِ ٱلْمَلِـكِ ٱلْعَظِيـمِ فَلُـذْ بِـهِ
وَٱشْرَبْ مِنَ ٱلتَّوْحِيدِ كَأْساً صَافِي

وَٱشْهَـدْ جَمَـالاً أَشْـرَقَـتْ أَنْـوَارُهُ
فِـي كُـلِّ شَـيْءٍ ظَـاهِـراً لَا خَـافِـي

وَعَلَـىٰ مَنَـصِّ ٱلْجَمْـعِ قِـفْ مُتَخَلِّيـاً
عَـنْ كُـلِّ فَـانٍ لِلتَّفَـرُّقِ نَـافِ

وَٱلْبَـسْ لِـرَبِّ ٱلْعَـرْشِ فِـي أَقْـدَارِهِ
ثَـوْبـاً مِـنَ ٱلتَّسْلِيـمِ وَافٍ ضَـافِـي

وَٱسْتَكْــفِ رَبَّــكَ كُــلَّ هَــمٍّ إِنَّــهُ

سُبْحَـانَـهُ ٱلْبَـرُّ ٱللَّطِيـفُ ٱلْكَـافِـي

وَٱسْـأَلْـهُ أَنْ يُلْبِسْـكَ ثَـوْبَ إِنَـابَـةٍ

وَهِــدَايَــةٍ وَسَــلَامَــةٍ وَعَــوَافِــي

وَٱشْكُرْ عَلَى ٱلنَّعْمَاءِ وَٱصْبِرْ لِلْبَلَا

وَتَحَــلَّ بِــٱلْإِفْضَــالِ وَٱلْإِنْصَــافِ

وَعَلَيْكَ بِٱلْإِخْلَاصِ وَٱلصِّدْقِ وَبِٱلـ

ـزُّهْدِ وَجَـانِـبْ مُنْكَـرَ ٱلْأَوْصَـافِ

وَٱسْتَصْحِـبِ ٱلتَّقْـوَىٰ وَكُـنْ ذَا هِمَّـةٍ

وَفُتُــوَّةٍ وَأَمَــانَــةٍ وَعَفَــافِ

وَأَنِــبْ إِلَــىٰ دَارِ ٱلْكَــرَامَــةِ وَٱلْبَقَــا

وَعَــنِ ٱلــدَّنِيَّــةِ كُــنْ أَخِـي مُتَجَـافِـي

وَٱلْـــزَمْ كِتَـــابَ ٱللهِ وَٱتْبَـــعْ سُنَّـــةً
وَٱقْتَـــدْ هَـــدَاكَ ٱللهُ بِـــٱلْأَسْـــلَافِ

أَهْـــلِ ٱلْيَقِيـــنِ لِعَيْنِـــهِ وَلِحَقِّـــهِ
وَصَلُـــوا وَثَـــمَّ جَـــوَاهِـــرُ ٱلْأَصْـــدَافِ

رَاحُ ٱلْيَقِيـــنِ أَعَـــزُّ مَشْـــرُوبٍ لَنَـــا
فَٱشْرَبْ وَطِبْ وَٱسْكَرْ بِخَيْرِ سُلَافِ

هَـٰـذَا شَـرَابُ ٱلْقَـوْمِ سَـادَتِنَـا وَقَـدْ
أَخْطَـا ٱلطَّـرِيقَـةَ مَـنْ يَقُـلْ بِخِـلَافِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٣/ ف)

يَـا رَسُـولَ ٱللهِ يَـا أَهْـلَ ٱلْـوَفَـا
يَـا عَظِيـمَ ٱلْخُلْـقِ يَـا بَحْـرَ ٱلصَّفَـا

أَنْـتَ بَعْـدَ ٱللهِ نِعْـمَ ٱلْمُـرْتَجَـىٰ
وَٱللَّجَـا يَـا مُجْتَبَـىٰ يَـا مُصْطَفَـىٰ

يَـا خِتَـامَ ٱلـرُّسْـلِ يَـا خَيْـرَ ٱلْـوَرَىٰ
يَـا سَـرِيـعَ ٱلْغَـوْثِ أَدْرِكْ مَـنْ هَفَـا

عَبْـدَكَ ٱلْجَـانِـي ٱلَّـذِي زَلَّاتُـهُ
أَوْقَعَتْـهُ فِـي صُـدُودٍ وَجَفَـا

وَرَمَتْـهُ فِـي بِحَـارٍ مِـنْ أَسَـىٰ
مَـوْجُهَـا مِـنْ كُـلِّ وَجْـهٍ قَـدْ طَفَـا

فَــأَتَــاكُــمْ هَــارِبــاً مِــنْ ذَنْبِــهِ

وَمِــنَ ٱلــدَّهْــرِ ٱلَّــذِي قَــدْ أَجْحَفَــا

وَزَمَــــانٍ عُكِّسَـــتْ أَحْـــوَالُـــهُ

صَــارَ فِيـهِ ٱلْـوَجْـهُ فِـي حَـدِّ ٱلْقَفَـا

وَمِــنَ ٱلْكَــرْبِ ٱلَّــذِي أَوْدَىٰ بِــهِ

وَمِــنَ ٱلْغَــمِّ ٱلَّــذِي قَــدْ أَلْحَفَــا

وَفُتُــونٍ وَشُجُــونٍ مَــا لَهَــا

كَــاشِــفٌ إِلَّا ٱعْتِنَــاكُــمْ وَكَفَــىٰ

فَــأَغِثْنِــي بِغِيَــاثٍ عَــاجِــلٍ

وَٱفْتَقِــدْنِــي يَــا شَــرِيـفَ ٱلشُّــرَفَــا

وَٱنْتَقِــذْنِــي وَتَــدَارَكْنِــي وَكُــنْ

لِــي مُعِينــاً يَــا إِمَــامَ ٱلْحُنَفَــا

وَٱحْمِنِـــي مِـــنْ كُـــلِّ مَـــا أَحْـــذَرُهُ

فِـــي مَعَـــاشٍ وَمَعَـــادٍ أَزِفَـــا

وَٱسْأَلِ ٱلرَّحْمَٰنَ لِي فِي حَاجَتِي

أَلَّتِـــي فِـــي ٱلنَّفْـــسِ مِنْهَـــا كَلَفَـــا

أَنْـــتَ بَـــابُ ٱللهِ نَـــالَ ٱلْمُـــرْتَجَـــىٰ

وَٱلْأَمَـــانِـــي مَـــنْ عَلَيْـــهِ وَقَفَـــا

أَنْـــتَ حَبْـــلُ ٱللهِ مَـــنْ أَمْسَكَـــهُ

فَـــازَ بِـــٱلْخَيْـــرِ وَبِـــٱلْعَهْـــدِ وَفَـــا

يَـــا رَسُـــولَ ٱللهِ يَـــا شَمْـــسَ ٱلْهُـــدَىٰ

كُـــلُّ ضُـــرٍّ بِكُـــمُ قَـــدْ كُشِفَـــا

يَـــا رَسُـــولَ ٱللهِ يَـــا بَحْـــرَ ٱلنَّـــدَىٰ

كُـــلُّ جُـــودٍ مِنْكُـــمُ قَـــدْ عُـــرِفَـــا

يَـــا رَسُـــولَ ٱللهِ إِنَّ ٱلْجَـــدْبَ وَٱلْـ
ـقَحْـطَ وَٱلبَـأْسَـاءَ فِـي ٱلْأَرْضِ طَفَـا
يَـــا رَسُـــولَ ٱللهِ قَـــدْ أَوْدَىٰ ٱلْغَـــلَا
بِـــٱلْمَسَـــاكِيـــنِ ٱلْعُفَـــاةِ ٱلضُّعَفَـــا
طَحَنَتْهُـــــمْ سَنَـــــوَاتٌ عُجُـــــفٌ
صَـــارَ فِيهَـــا ٱلْكُـــلُّ مِنْهُـــمْ لِشَفَـــا
وَذَوُو ٱلْأَمْـــوَالِ مِنْهُـــمْ وَٱلْغِنَـــىٰ
بَخِلُـــوا بُخْـــلاً قَبِيحـــاً مُتْلِفَـــا
لَـــمْ يَـــدَعْهُـــمْ بُخْلُهُـــمْ أَنْ يُنْفِقُـــوا
فِـــي سَبِيـــلِ ٱللهِ مُعْطِـــي ٱلْخَلَفَـــا
فَبَقِـــي أَهْـــلُ ٱلضَّـــرُورَاتِ بِهَـــا
مِثْـــلَ حُـــوتٍ بَحْـــرُهُ قَـــدْ نَشِفَـــا

وَٱلَّـذِي أَوْجَـبَ هَـٰـذَا كُلَّـهُ

أَنَّ كُـلّاً مِنْهُـمُ قَـدْ أَسْـرَفَـا

فَـٱسْـأَلِ ٱلْعَفْـوَ لَهُـمْ يَـا سَيِّـدِي

رَبَّـكَ ٱلـرَّحْمَـٰنَ أَكْـرَمْ مَـنْ عَفَـا

وَٱدْعُـهُ أَنْ يُنْـزِلَ ٱلْغَيْـثَ لَهُـمْ

عَـامّـاً يَنْسَـوْا بِـهِ مَـا سَلَفَـا

وَيَعِيـشَ ٱلنَّـاسُ فِيـهِ صَـالِحـاً

يَشْكُـرُونَ ٱللهَ جَهْـراً وَخَفَـا

فَتَشَفَّـعْ يَـا رَسُـولَ ٱللهِ فِـي

كَشْـفِ هَـٰذَا ٱلْكَـرْبِ حَتَّـىٰ يُكْشَفَـا

فَلَـكَ ٱلْقَـدْرُ ٱلْمُعَظَّـمْ شَـأْنُـهُ

وَلَـكَ ٱلْجَـاهُ ٱلْفَسِيـحُ ٱلْكَنَفَـا

رَبِّ لَاطِفْنَا بِجَاهِ ٱلْمُصْطَفَىٰ
وَٱسْقِنَا ٱلْغَيْثَ فَإِنَّا ضُعَفَا

قَدْ عَصَيْنَا ثُمَّ تُبْنَا فَأَقِلْ
وَتَقَبَّلْ مَنْ جَنَىٰ وَٱعْتَرَفَا

وَٱرْفَعِ ٱلْقَحْطَ مِنَ ٱلْأَرْضِ مَعَ ٱلْـ
ـظُّلْمِ وَٱلْجَوْرِ ٱلَّذِي قَدْ كَثُفَا

وَٱنْصُرِ ٱلدِّينَ وَأَرْشِدْ أَهْلَهُ
وَوُلَاةَ ٱلْأَمْرِ وَفِّقْ لِلْوَفَا

يَا كَرِيْماً يَا جَوَاداً مَاجِداً
يَا رَحِيماً يَا لَطِيفَ ٱللُّطَفَا

يَا عَلِيماً يَا حَلِيماً مُحْسِناً
يَا عَطُوفاً عَطْفُهُ قَدْ أُلِفَا

يَـا عَظِيـمَ ٱلْمَــنِّ وَٱلْإِفْضَــالِ وَٱلْـ
ـجُـودِ وَٱلْعُـرْفِ ٱلَّـذِي قَـدْ وُصِفَـا

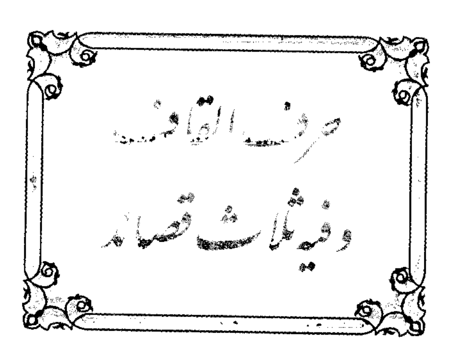
وَصَــــلَاةُ ٱللهِ تَغْشَــــىٰ أَحْمَــــداً
مَــنْ لِنَــارِ ٱلشِّــرْكِ وَٱلْكُفْــرِ طَفَــا

وَسَــــلَامُ ٱللهِ مَــعْ بَــرْكَــاتِــهِ
وَعَلَــى ٱلْآلِ ٱلْكِــرَامِ ٱلشُّــرَفَــا

وَعَلَــى ٱلْأَصْحَــابِ مَــعْ أَتْبَــاعِهِــمْ
دَائِمــاً مَــا بَــرْقُ نَجْــدٍ رَفْــرَفَــا

وَسَـــرَىٰ مِنْهَـــا نَسِيـــمٌ طَيِّـــبٌ
لِعَلِيــلِ ٱلْقَلْـــبِ أَبْـــرَأَ وَشَفَـــا

* * *



(١/ق)

وقال رضي الله عنه :

بُرَيقُ ٱلْحِمَىٰ مِنْ جَانِبِ ٱلْغَوْرِ أَبْرَقَا

فَـأَذْكَـرَنِـي عَقْـداً وَعَهْـداً وَمَـوْثِقَـا

وَعَيْشاً خَلَا وَٱلْغُصْنُ غَضٌّ وَمُورِقٌ

بِوَادِي ٱلنَّقَا رَعْياً لِمَنْ سَكَنَ ٱلنَّقَا

عُـرَيْـبٌ لَهُـمْ تَحْـتَ ٱلضُّلُـوعِ مُنَيْـزِلٌ

بِـهِ وُدُّهُـمْ بَـاقٍ إِلَـىٰ مَـوْعِـدِ ٱللِّقَـا

إِذَا مَا ذَكَرْتُ ٱلْكَوْنَ فِيهِمْ وَبَيْنَهُمْ

يَكَادُ لِفَرْطِ ٱلْوَجْدِ أَنْ يَتَمَزَّقَا

فُؤَادٌ عَلَىٰ طُولِ ٱلزَّمَانِ مُتَيَّمٌ

يَحِنُّ إِلَيْهِمْ حَسْرَةً وَتَشَوُّقَا

وَيَصْبُو إِلَيْهِمْ كُلَّمَا هَبَّتِ ٱلصَّبَا

وَإِنْ نَاحَتِ ٱلْوَرْقَاءُ بَاتَ مُؤَرَّقَا

سَقَى ٱللهُ أَكْنَافَ ٱلْأَبَاطِحِ صَيِّباً

مُلِثّاً إِذَا لَحَّتْ بَوَارِقُهُ سَقَىٰ

أَحِبَّتَنَا هَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِعَوْدَةٍ

نُسَرُّ بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَتَفَرَّقَا

فَأَمَّا إِلَيْكُمْ يَا أُحَيْبَابَ مُهْجَتِي

فَإِنِّيَ قَدْ أَصْبَحْتُ عَنْهَا مُعَوَّقَا

بِضُعْـفٍ وَذَنْـبٍ وَٱلـذُّنُـوبُ مَـوَانِـعٌ
عَنِ ٱلْخَيْرِ فَاتْرُكْهَا لِتَنْجُو مِنْ ٱلشَّقَا

وَسِرْ فِي ٱلصِّرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيمِ إِلَى ٱلْعُلَا
عَلَى ٱلصِّدْقِ وَٱلْإِخْلَاصِ وَٱلْبِرِّ وَٱلتُّقَىٰ

وَإِيَّـاكَ وَٱلـدُّنْيَـا ٱلْغَـرُورَ فَـإِنَّهَـا
مَتَـاعٌ قَلِيـلٌ مَـا لَهَـا أَبَـداً بَقَـا

وَتُلْهِيـكَ عَـنْ جَنَّاتِ خُلْـدٍ نَعِيمُهَـا
يَـدُومُ وَيَصْفُـو حَبَّـذَا لَـكَ مُلْتَقَـىٰ

وَفِيهَـا رِضَـا ٱلـرَّبِّ ٱلْكَـرِيـمِ وَقُـرْبُـهُ
وَرُؤْيَتُـهُ أَكْـرِمْ بِـذَلِـكَ مُـرْتَقَـىٰ

وَصَلَّىٰ وَسَلَّمْ ذُو ٱلْجَلَالِ عَلَى ٱحْمَدٍ
شَفِيـعِ ٱلْبَـرَايَـا كُلَّمَـا ٱلْمُـزْنُ أَغْـدَقَـا

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢/ ق)

دَعِ ٱلنَّاسَ يَا قَلْبِي يَقُولُونَ مَا بَدَا
لَهُـمْ وَٱتَّثِـقْ بِـٱللهِ رَبِّ ٱلْخَـلَائِـقِ

وَلَا تَرْتَجِي فِي ٱلنَّفْعِ وَٱلضُّرِّ غَيْرَهُ
تَبَـارَكَ مِـنْ رَبٍّ قَـدِيـرٍ وَخَـالِـقِ

فَلَيْـسَ لِمَخْلُـوقٍ مِـنَ ٱلْأَمْـرِ هَـاهُنَـا
وَلَا ثَـمَّ شَـيْءٌ فَـٱعْتَمِـدْ قَـوْلَ صَـادِقِ

هُـوَ ٱلـرَّبُّ لَا رَبٌّ سِـوَاهُ وَكُلُّهُـمْ
عَبِيدٌ وَتَحْتَ ٱلْحُكْمِ مِنْ غَيْرِ فَارِقِ

نَعَمْ بَعْضُهُمْ مِمَّنْ يُحِبُّ وَيَرْتَضِي
لِطَـاعَتِـهِ وَٱلْبَعْـضُ عَـاصٍ وَمَـارِقِ

بِتَــوْفِيقِــهِ صَــارَ ٱلْمُطِيــعُ يُطِيعُــهُ
وَخَــالَــفَ بِــٱلْخِـذْلَانِ كُــلُّ مُفَــارِقِ

فَسَلْ رَبَّكَ ٱلتَّوْفِيقَ وَٱلْعَفْوَ وَٱلرِّضَا
وَكَوْناً مَعَ أَهْلِ ٱلْهُدَىٰ وَٱلطَّرَائِقِ

رِجَـالٌ إِلَـى ٱلـرَّحْمَـٰنِ سَـارُوا بِهِمَّـةٍ
عَلَى ٱلصِّدْقِ وَٱلْإِخْلَاصِ مِنْ غَيْرِ عَائِقِ

فَنَـالُـوا ٱلَّـذِي كُـلُّ ٱلْمَطَـالِـبِ دُونَـهُ
فَلِلَّــهِ مِــنْ عَيْــشٍ كَــرِيــمٍ وَرَائِــقِ

دُنُــوٌّ وَتَقْــرِيــبٌ وَأُنْــسٌ بِحَضْــرَةٍ
مُقَـدَّسَـةٍ فِـي مُنْتَهَـىٰ كُـلِّ سَـابِـقِ

فَـآهٍ عَلَـىٰ عَيْـشِ ٱلْأَحِبَّـةِ كَـمْ أَسـىً
عَلَيْـهِ وَكَـمْ دَمْـعٍ عَلَـى ٱلْخَـدِّ دَافِـقِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٣/ ق)

يَا جَمِيلِ ٱنَّ سِتْرَ ٱللهْ عَلَى ٱلْخَلِقْ بَاقِ
كَمْ غفَرْ كَمْ سَتَرْ حَتَّىٰ عَلَى ٱهْلِ ٱلشِّقَاقِ

اَلَّـذِي يَـرْكَبُـونَ ٱلْمُـوبِقَـاتِ ٱلشَّـوَاقِ
بَعْـدَ تَـوْبَـاتِهِـمْ مِنْهَـا وَحُسْـنِ ٱلْـوِفَـاقِ

أَحْسِنِ ٱلظَّنَّ بِٱلْمُسْلِمْ وَلَوْ كَانْ نَاقِي
وَٱحْذَرِ ٱلْفَاسِقِينَ ٱهْلَ ٱلرِّيَبْ وَٱلنِّفَاقِ

لَا تُـرَافِقْهُـمُ ٱنَّ ٱلْقُـوْمْ بِئْـسَ ٱلـرِّفَـاقِ
وَٱصْحَبِ ٱلْمُتَّقِينَ ٱهْلَ ٱلْهِمَمْ وَٱلسِّبَاقِ

اَلَّذِينَ رَقَوْا بِٱلطَّاعَةَ ٱعْلَى ٱلْمَرَاقِي
أَهِـلْ عِيـنِ ٱلْيَقِيـنِ ٱلْخَـاشِعِيـنَ ٱلـرِّقَـاقِ

اَلَّذِي ٱنْفَاسُهُمْ تَخْرِقْ رَفِيعَ ٱلطِّبَاقِ

اَلْمُقِيمِينْ فِي ٱلْحَضْرَهْ مَعَ خِيْرْ سَاقِي

عِيْنْ تَسْنِيمْ يَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ دِهَاقِ

خَتْمُهَا ٱلْمِسكْ يَا لِلّٰهْ تِلْكَ ٱلْمَسَاقِي

ثُمَّ ذَا ٱلْحِينْ يَا سَاجِي ٱلْمُقَلْ وَٱلْحِدَاقِ

يَا ٱلَّذِي حَلَّ حُبُّهْ تَحْتَ سَتْرِ ٱلصِّفَاقِ

يَا جَمِيلَ ٱلْمُحَيَّا يَا عُذَيْبَ ٱلْمَذَاقِ

يَا لَطِيفَ ٱلْمَحَاسِنْ يَا كَثِيرَ ٱلْوِفَاقِ

مَا بَدَا لَكْ فَدِيْتَكْ فِي ٱلْقَصَا وَٱلْمَهَاقِ

وَٱللَّقَالِقْ وَكُثْرِ ٱلنَّقْنَقَهْ وَٱلْعِلَاقِ

لِلَّذِي قِدُهْ مِنَّكْ فِي غِلَاقِ ٱلْغِلَاقِ

فِي شَبَهْ مَنْ وَقَعْ فِي ضِيقْ حَبْلِ ٱلْخِنَاقِ

رُدِّ رَأْسَــكْ بِنَظْــرَةْ وُدّْ فَــٱلْــوُدِّ بَــاقِ

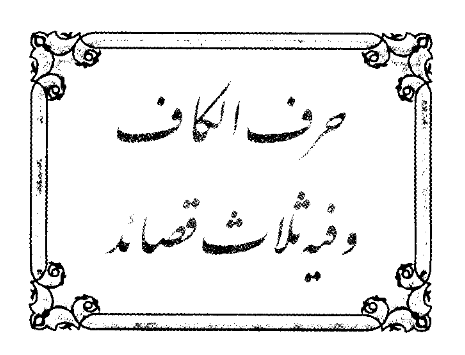
وَٱتَّــقِ ٱللهْ رَبَّــكْ خِيْــرْ حَــافِـظْ وَوَاقِــي

ثُمَّ صَلُّوا عَلَى ٱفْضَلْ مَنْ سَرَىٰ بِٱلْبُرَاقِ

أَحْمَــدَ ٱلشَّــافِـعِ ٱلْمَقْبُــولْ يَــوْمَ ٱلتَّــلَاقِ

مَا جَرَى ٱلسِّيْلْ مِنْ مُزْنِ ٱلسَّمَا فِي ٱلسَّوَاقِي

* * *



وقال رضي الله عنه : (١/ ك)

أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ لَا تَيْأَسْ مِنَ ٱللهْ مَوْلَاكْ

وَٱرْجُ فَضْلَهْ وَلُطْفَهْ فِي مَمَاتِكْ وَمَحْيَاكْ

وَٱذْكُرِ ٱسْمِهْ تَعَالَىٰ فِي صَبَاحِكْ وَمَمْسَاكْ

لَا تُعَوِّلْ عَلَىٰ غَيْرِهْ لِنَفْعِكْ وَضَرَّاكْ

فَأَنَّهْ ٱلْفَرْدْ ذِي بِيدُهْ تَدَابِيرْ ٱلْأَفْلَاكْ

مَا لِحَدْ شَيْ مُعُهْ حَاشَاهُ فِي ذَا وَلَا ذَاكْ

وَٱشْكُـرْ آلَاهْ وَٱنْعَـامَـهْ يَـزِيـدَكْ وَيَـرْضَـاكْ

وَٱصْبِرْ إِنْ إِبْتَلَاكْ فَأَنَّهْ بِكَ أَرْحَمْ مِنَ آبَاكْ

وَٱدْعُهُ ٱسْأَلْهْ يَكْشِفْ عَنْكَ ضُرَّكْ وَبَلْوَاكْ

وَٱحْفَـظَ أَمْـرَهْ وَلَا تَعْصِيـهْ فَـٱلْمَعْصِيَـهْ دَاكْ

كَيْفْ تَعْصِي ٱلَّذِي مِنْ نُطْفَةٍ جَلَّ سَوَّاكْ

ثُـمَّ غَـذَّاكْ بِـإحْسَـانِـهْ وَنَمَّـىٰ وَرَبَّـاكْ

أَيُّهَـا ٱلْغَـافِـلِ ٱسْتَيْقِـظْ وَمَهِّـدْ لِمَثْـوَاكْ

وَٱذْكُرِ ٱلْمُوْتْ قَبْلَ ٱلْمُوْتْ يَنْزِلْ بِمَغْنَاكْ

وَٱجْمَعِ ٱلزَّادْ لِلسَّفِرِ ٱلْمَدِي قَبِلْ يَفْجَاكْ

آهْ يَا قَلْبِي إِيشْ أَغْفَلَكْ عَنْ حَالْ عُقْبَاكْ

كَيْفْ تَغْفَلْ عَنِ ٱلْعُقْبَىٰ وَتَرْكَنْ لِدُنْيَاكْ

فَٱتْرُكِ ٱلْفَانِيَ ٱلْمَرْذُولْ وَٱقْبِلْ عَلَىٰ أُخْرَاكْ

وَٱعْمَلِ ٱلْخِيْرْ تَظْفَرْ فِي مَعَادَكْ وَرُجْعَاكْ

وَٱحْمَـدِ ٱللهْ إِذْ وَفَّقَـكْ لِلـرُّشُـدْ وَٱهْـدَاكْ

وَٱتَّبِـعْ سُنَّـةَ ٱلْهَـادِي مُحَمَّـدْ وَبُشْـرَاكْ

* * *

وقال رضي الله عنه :

(٢/ك)

يَـا بَهْجَـةَ ٱلْحُسْـنِ هَـلْ أَرَاكِ
وَهَــلْ سَبِيــلٌ إِلَــىٰ لِقَــاكِ

قَطَّعْـتِ بِـٱلْبُعْـدِ وَٱلتَّجَـافِـي
قَلْبِـي فَمَـا بِـيَّ مِـنْ حَـرَاكِ

أَصْبَحْـتُ بَيْـنَ ٱلْأَنَـامِ صَـابٍ
إِلَيْـكِ لَيْـسَ إِلَـىٰ سِـوَاكِ

وَرُبَّمَــا رَامَــتِ ٱلْأَعَــادِي
صَـدِّيْ وَصَـرْفِـيَ عَـنْ هَـوَاكِ

فَمَـا ٱسْتَطَـاعُـوا وَأَيْـنَ مِنِّـي
اَلْمَيْـلُ عَنْـكِ وَعَـنْ حِمَـاكِ

أَلَا لَحَــــا ٱللهُ كُــــلَّ لَاحٍ
فِيــكِ لَحَــانِــي وَمَــا دَرَاكِ
وَلَــوْ رَأَىٰ وَجْهَــكِ ٱلْمُفَــدَّىٰ
وَمَــا تَغَشَّــاهُ مِــنْ سَنَــاكِ
وَذَاقَ مِــنْ سَلْسَبِيــلِ ثَغْــرٍ
وَٱسْتَنْشَقَ ٱلطِّيـبَ مِـنْ شَـذَاكِ
لَصَــارَ مِثْلِـي حَلِيـفَ وَجْـدٍ
طَـرِيـحَ حُـبٍّ عَلَـىٰ فِنَـاكِ
وَكَــانَ مِنِّــي وَفِــي طَـرِيقِـي
وَصَــارَ عَـوْنِـي عَلَـىٰ هَـوَاكِ
وَٱلْآنَ يَــا غَــايَــةَ ٱلْأَمَــانِــي
هَـٰذَا ٱلْبُكَـا لَيْـسَ بِـٱلتَّبَـاكِـي

يَجْـرِي بِـهِ مَـاءُ كُـلِّ عَيْـنٍ
كَـأَنَّـهُ ٱلسَّيْـلُ مِـنْ جَفَـاكِ
وَمِـنْ وُقُـوفِـي عَلَـىٰ طُلُـولٍ
دَوَارِسِ ٱلـرَّسْـمِ فِـي رُبَـاكِ
عَلَى ٱنْقِطَاعِي عَلَى ٱنْفِرَادِي
عَـنْ مَعْشَرٍ خُصَّ بِٱصْطِفَـاكِ
عَلَى ٱغْتِرَابِي عَلَى ٱكْتِرَابِي
عَلَـى ٱجْتِنَـابِـيَ فِـي ٱلشِّـرَاكِ
مُسْتَـأْسَـرٌ مَـا لَـهُ فِـدَاءٌ
وَلَا سَبِيـلٌ إِلَـى ٱلْفَكَـاكِ
يَـا قُـرَّةَ ٱلْعَيْـنِ دَارِكِيـهِ
قَبْـلَ ٱلتَّـوَرُّطِ فِـي ٱلْهَـلَاكِ

وَأَنْعِشِــــي مَيِّتــــاً رَمِيمــــاً

بِنَسْمَــةِ ٱلْأُنْــسِ مِــنْ سُــرَاكِ

* * *



صورة مسجد باعلوي المشهور بتريم

حيث كان الإمام الحداد في صباه يصلي به مئتي ركعة كل يوم

وقال رضي الله عنه : (٣/ ك)

يَلُومُونَنِي وَٱللَّوْمُ مَا أَنَا تَارِكُهْ
مُوَالَاةُ حِزْبٍ أَصْبَحَ ٱلشَّكُّ مَالِكُهْ

غَرِيقٌ بِبَحْرِ ٱلْجَهْلِ مُشْفٍ عَلَى ٱلرَّدَىٰ
مَطَالِبُهُ تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ وَمَدَارِكُهْ

أَرَى ٱلْحَقَّ بَيْنَ ٱلنَّاسِ قَدْ صَارَ خَافِياً
وَقَدْ دَرَسَتْ أَعْلَامُهُ وَمَسَالِكُهْ

أَرَىٰ مَرْبَعَ ٱلْأَحْبَابِ قَدْ ظَلَّ خَاوِياً
وَفَارَقَهُ فُرْسَانُهُ وَعَوَاتِكُهْ

فَلِلَّهِ مَا هَـٰذَا ٱلَّذِي قَدْ لَقِيتُهُ
مَعَرَّةُ دَهْرٍ وَطِئَتْنِي سَنَابِكُهْ

أُنَـادِي قَـرِيبـاً قَـدْ سَبَتْـهُ حُظُـوظُـهُ

وَأَدْعُـو بَعِيـداً آسَـرَتْـهُ مَهَـالِكُـهْ

فَهَـٰـذَا غَـرِيـقٌ وَٱلْأَخِيـرُ مُثَبَّـطٌ

وَأَيُّهُمَـا تَخْتَـارُهُ وَتُمَـاسِكُـهْ

وَمَـا أَنَـا بِـٱلْمُخْتَـالِ زَهْـواً بِنَفْسِـهِ

وَلَـٰكِنَّنِـي أَهْـوَى ٱلْجَمِيـلَ وَسَـالِكُـهْ

أَحِـنُّ إِلَـى ٱلْعَلْيَـا وَقَـدْ حَـالَ دُونَهَـا

فَـوَارِسُ سُلْطَـانِ ٱلْهَـوَىٰ وَفَـوَاتِكُـهْ

وَمَـنْ يَبْتَغِـي ٱلْأَمْـرَ ٱلنَّفِيـسَ بِنَفْسِـهِ

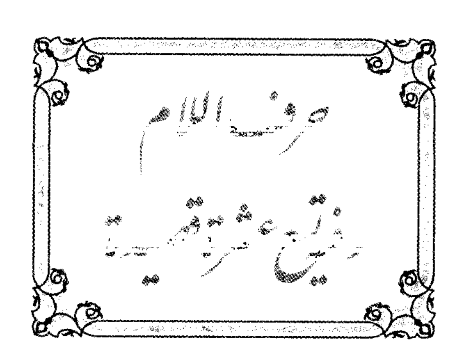
يُخَاطِرُ دُونَ ٱلْمُلْكِ يَلْقَىٰ مَعَارِكُهْ

هَلُمُّـوا أَلِمُّـوا عُصْبَـةً هَـاشِمِيَّـةً

لِنُصْـرَةِ دِيـنِ ٱللهِ رَغْمـاً لِآفِكُـهْ

وَقُـومُـوا بِعَـوْنِ ٱللهِ قَـوْمَـةَ وَاحِـدٍ
لِهَتْكِ حِجَابٍ بَاءَ بِٱلْفَوْزِ هَاتِكُهْ
لَقَـدْ آنَ صُبْـحُ ٱلْعَـدْلِ يَنْشَـقُّ فَجْـرُهُ
وَقَدْ حَانَ لَيْلُ ٱلْجَوْرِ يَنْزَاحُ حَالِكُهْ
بِطَلْعَةِ إِبْنِ ٱلْمُصْطَفَىٰ عَلَمِ ٱلْهُدَىٰ
حَلِيفِ ٱلتُّقَىٰ خَيْرِ ٱلْأَنَامِ وَنَاسِكُهْ
مُحَمَّـــدٍ ٱلْمَهْـــدِيْ خَلِيفَـــةِ رَبِّنَـــا
إِمَامِ ٱلْهُدَىٰ بِٱلْقِسْطِ قَامَتْ مَمَالِكُهْ
كَـأَنِّـي بِـهِ بَيْـنَ ٱلْمَقَـامِ وَرُكْنِهَـا
يُبَـايِعُـه مِـنْ كُـلِّ حِـزْبٍ مُبَـارِكُـهْ
بِــهِ يُنْعِــشُ ٱلــرَّحْمَـٰـنُ مِلَّــةَ جَـدِّهِ
وَتَحْيَـا مَعَـالِـمْ دِينِـهِ وَمَنَـاسِكُـهْ

* * *



وقال رضي الله عنه : (ل/١)

أَسِفْتُ عَلَىٰ أَيَّامِ عُمْرٍ تَصَرَّمَتْ
فَـآهٍ عَلَيْهَا لَيْتَهَا كَانَ تُقْبِلُ

لِأُودِعَهَا خَيْراً أَفُوزُ بِأَجْرِهِ
إِذَا جُزِيَ ٱلْإِنْسَانُ مَا كَانَ يَعْمَلُ

لَقَدْ ظَنَّ أَهْلُ ٱلشَّكِّ وَٱلزَّيْغِ أَنَّهُمْ
إِذَا قُبِرُوا لَا يُبْعَثُونَ لِيُسْأَلُوا

فَسُحْقاً لَهُمْ مَا كَانَ أَرْدَا عُقُولَهُمْ

أَيَخْلُقُ هَـٰذَا ٱلْخَلْقَ رَبِّي وَيُهْمِلُ

فَلَا بُدَّ مِنْ بَعْثٍ وَنَارٍ وَجَنَّةٍ

وَتَنْعِيمِ مَنْ بِٱلْحَقِّ يَقْضِي وَيَعْدِلُ

وَتَعْذِيبِ مَنْ لَا يَتَّقِي ٱللهَ رَبَّهُ

وَعَنْ حَقِّ مَوْلَاهُ ٱلْمُهَيْمِنِ يَغْفُلُ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢/ ل)

أَقُومُ بِفَرْضِ ٱلْعَامِرِيَّةِ وَٱلنَّفْلِ
وَأَصْدُقُهَا فِي ٱلْقَصْدِ وَٱلْقَوْلِ وَٱلْفِعْلِ

وَآتِي إِلَىٰ مَا تَشْتَهِيهِ وَإِنْ يَكُنْ
مَرِيراً وَجَدْتُ ٱلْمُرَّ مِثْلَ جَنَى ٱلنَّحْلِ

وَأَمْضِي إِلَىٰ مَا تَبْتَغِيهِ وَإِنْ غَدَا
وَمِنْ دُونِهِ ٱلْبِيضُ ٱلصَّوَارِمُ وَٱلنَّبْلِ

وَأَمْنَحُهَا وُدِّي وَأَحْفَظُ عَهْدَهَا
وَأَرْقُبُهَا فِي حَالَيِ ٱلْوُجْدِ وَٱلْقِلِّ

قَضَيْتُ شَبَابِي فِي قَضَاءِ حُقُوقِهَا
وَهَـٰذَا مَشِيبِي قَدْ تَهَيَّأَ لِلنُّزْلِ

وَلَـمْ أَرَ مِنْهَـا مُـذْ عَلِقْـتُ بِحَبْلِهَـا
سِوَى ٱلْغَمْطِ وَٱلْإِصْرَارِ وَٱلْبُخْلِ بِٱلْوَصْلِ
شَأَمْضِي لِشَأْنِي وَٱطَّرِحْهَا وَشَأْنَهَا
فَشُغْلِي بِهَا قَدْ بَانَ مِنْ أَقْبَحِ ٱلشُّغْلِ
وَأُصْلِتُ مِـنْ غِمْـدِ ٱلسَّجِيَّـةِ مُـرْهَفـاً
مِنَ ٱلْعَزْمِ مَاضٍ قَدْ تَحَاشَىٰ عَنِ ٱلْفَلِّ
وَإِنَّ ٱمْـرَأً تَلْقَـاهُ يَطْلُـبُ حَقَّـهُ
وَيَـذْهَـلُ عَـنْ حَـقٍّ عَلَيْـهِ لَـذُو جَهْـلِ
وَشَـاهِـدُ إِفْـلَاسِ ٱلْفَتَـىٰ جَهْـلُ عَيْبِـهِ
وَذِكْرُ عُيُوبِ ٱلْعَالَمِينَ مِنَ ٱلْعَقْلِ
فَـإِيَّـاكَ أَنْ تَخْتَـارَ صُحْبَـةَ مَـنْ تَـرَىٰ
لَهُ ظَاهِراً يُعْجِبْكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْلِي

لَقَدْ عَزَّ فِي هَـٰذَا ٱلزَّمَانِ مُوَافِقٌ
يُعِينُكَ فِي مَجْدٍ وَيَنْهَاكَ عَنْ سُفْلِ

إذَا قُلْتَ خَيْراً قَالَ لَبَّيْكَ مُسْرِعاً
وَإِنْ قُلْتَ شَرّاً قَالَ أَقْلِيكَ أَوْ تَقْلِي

فَمَا عَيْشُ مَنْ يُمْسِي وَيُصْبِحُ فَاقِداً
أَخاً ثِقَةً مَأْمُونَ فِي ٱلْجِدِّ وَٱلْهَزْلِ

يُؤَازِرُهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَرُومُهُ
وَيَحْفَظُهُ فِي ٱلْمَالِ وَٱلنَّفْسِ وَٱلْأَهْلِ

مُظَاهَرَةُ ٱلْإِخْوَانِ أَمْرٌ مُقَرَّرٌ
عَلَيْهِ يَدُورُ ٱلشَّأْنُ فَٱسْتَوْصِ بِٱلْخِلِّ

أَمَا إِنَّ هَـٰذَا ٱلدَّهْرَ قَدْ ضَلَّ أَهْلُهُ
هُمُومُهُمُ فِي لَذَّةِ ٱلْفَرْجِ وَٱلْأَكْلِ

وَفِي جَمْعِ مَالٍ خَوْفَ فَقْرٍ فَأَصْبَحُوا
وَقَدْ لَبِسُوا قُمْصاً مِنَ ٱلْجُبْنِ وَٱلْبُخْلِ

وَقَدْ دَرَجَ ٱلْأَسْلَافُ مِنْ قَبْلِ هَـٰؤُلَا
وَهِمَّتُهُـمْ نَيْـلُ ٱلْمَكَـارِمِ وَٱلْفَضْـلِ

لَقَدْ رَفَضُوا ٱلدُّنْيَا ٱلْغَرُورَ وَمَا سَعَوْا
لَهَـا وَٱلَّـذِي يَـأْتِـي يُبَـادَرُ بِـٱلْبَـذْلِ

فَقِيـرُهُـمُ حُـرٌّ وَذُو ٱلْمَـالِ مُنْفِـقٌ
رَجَاءَ ثَوَابِ ٱللهِ فِي صَالِحِ ٱلسُّبْلِ

لِبَـاسُهُـمُ ٱلتَّقْـوَىٰ وَسِيمَـاهُـمُ ٱلْحَيَـا
وَقَصْدُهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فِي ٱلْقَوْلِ وَٱلْفِعْلِ

مَقَـالُهُـمُ صِـدْقٌ وَأَفْعَـالُهُـمْ هُـدَىٰ
وَأَسْـرَارُهُـمْ مَنْـزُوعَـةُ ٱلْغِـشِّ وَٱلْغِـلِّ

خُضُوعٌ لِمَوْلَاهُمْ مُثُولٌ لِوَجْهِهِ
قُنُوتٌ لَهُ سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ مِثْلِ
فَقَدْنَا جَمِيعَ ٱلْخَيْرِ لَمَّا تَرَحَّلُوا
وَمِنْهُم خَلَا وَعْرُ ٱلْبَسِيطَةِ وَٱلسَّهْلِ
وَصِرْنَا حَيَارَىٰ فِي مَفَاوِزِ جَهْلِنَا
نُشَبَّهُ بِٱلْبَهْمِ ٱلسُّوَيْرِحَةِ ٱلْغُفْلِ
نُخَبِّطُ لَا نَدْرِي ٱلطَّرِيقَ إِلَى ٱلنَّجَا
وَبِٱلْجَوْرِ نَمْحُو سُنَّةَ ٱلْبِرِّ وَٱلْعَدْلِ
فَآهٍ عَلَيْهِمْ لَيْتَ دَاهِيَةَ ٱلْفَنَا
بِحِزْبِ ٱلرَّدَىٰ حَلَّتْ وَحِزْبُ ٱلْهُدَىٰ خُلِّي
سَأَبْكِي عَلَيْهِمْ مَا حَيِيتُ بِعَبْرَةٍ
لَهَا مَدْمَعٌ فِي ٱلْخَدِّ يَشْهَدُ بِٱلثَّكْلِ

وَأَحْمِلُ نَفْسِي مَا ٱسْتَطَعْتُ عَلَى ٱقْتِفَا
سَبِيلِهِمُ حَتَّىٰ أُوَسَّدَ فِي ٱلرَّمْلِ
عَلَيْهِمْ سَلَامُ ٱللهِ إِنْ كَانَ قَدْ مَضَوْا
فَذِكْرٌ لَهُمْ بَاقٍ وَقَدْ شَاعَ بِٱلنَّقْلِ
حَيَاتُهُمُ خَيْرٌ لَهُمْ وَمَمَاتُهُمْ
فَطُوبَىٰ لَهُمْ فَازُوا وَسَادُوا عَلَى ٱلْكُلِّ
إِلَٰهِي بِحَقِّ ٱلْقَوْمِ مُنَّ بِتَوْبَةٍ
مِنَ ٱلذَّنْبِ تَغْسِلُنَا بِهَا أَبْلَغَ ٱلْغَسْلِ
وَغِثْ يَا مُغِيثَ ٱلْمُسْتَغِيثِ قُلُوبَنَا
بِغَيْثِ هُدىً يُحْيِي ٱلْقُلُوبَ مِنَ ٱلْمَحْلِ
وَصَلِّ عَلَى ٱلْهَادِي ٱلْبَشِيرِ شَفِيعِنَا
نَبِيِّ ٱلْهُدَىٰ بَحْرِ ٱلنَّدَىٰ خَاتِمِ ٱلرُّسْلِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٣/ ل)

أَلَا يَـا نَفْـسُ وَيْحَـكِ كَـمْ تَـوَانِـي
وَكَـمْ طُـولِ ٱغْتِـرَارٍ بِـٱلْمَحَـالِ

وَكَـمْ شُغْـلٍ بِمَـا لَا خَيْـرَ فِيـهِ
وَكَـمْ حِـرْصٍ عَلَـىٰ شَـرَفٍ وَمَـالِ

وَكَـمْ سَهْـوٍ وَكَـمْ لَهْـوٍ وَهَـزْلٍ
وَكَـمْ مَيْـلٍ إِلَـىٰ دَارِ ٱلـزَّوَالِ

وَكَـمْ تَلْـوِيـنَ عَـنْ مَحْمُـودِ فِعْـلٍ
وَكَـمْ تَقَعِيـنَ فِـي قُبْـحِ ٱلْفِعَـالِ

وَكَـمْ ذَا تَـرْكَنِيـنَ إِلَـى ٱلـدَّنَـايَـا
وَكَـمْ تَتَقَـاعَـدِيـنَ عَـنِ ٱلْمَعَـالِـي

لَعَمْــرِي دَلَّ هَـٰــذَا ٱلْفِعْــلُ مِنْــكِ
عَلَــىٰ نِسْيَــانِ شَــأْنِ ٱلْإِرْتِحَــالِ
أَمَــا وَٱللهِ مَــا سَبَــبُ ٱلتَّبَــاطِـي
عَــنِ ٱلْمَحْمُــودِ مِــنْ فِعْــلٍ وَقَــالِ
وَإِيثَــارِ ٱلثَّبَــاتِ عَلَــىٰ أُمُــورٍ
لِصَــاحِبِهَــا تَقُــودُ إِلَــى ٱلضَّــلَالِ
سِــوَىٰ شَيْئَيْــنِ إِمَّــا ٱلشَّــكُّ فِيمَــا
بِــهِ وَعَــدَ ٱلْمُهَيْمِــنُ ذُو ٱلْجَــلَالِ
وَإِمَّــا غَفْلَــةٌ مُــزِجَــتْ بِحُمْــقٍ
وَتَهْــوِيسَــاتِ بَطَّــالٍ وَغَــالِــي
فَــوَاأَسَفِــي وَوَانَــدَمِــي وَحُــزْنِــي
عَلَىٰ مَـا كَـانَ مِنِّـي فِـي ٱلْخَـوَالِـي

وَوَالَهَفِـــي عَلَــىٰ زَمَـــنٍ تَقَضَّــىٰ
عَلَــىٰ عَمَــلٍ بِمَــذْمُــومِ ٱلْخِصَــالِ

وَعُمْـــرٍ ضَــاعَ فِـــي إِيثَــارِ دَارٍ
حَقِيقَتُهَـــا تُشَبَّـــهُ بِـــٱلْخَيَـــالِ

كَظِـــلٍّ زَائِـــلٍ أَوْ طَيْـــفِ نَـــوْمٍ
يَـــؤُولُ بِسُـــرْعَـــةٍ لِـــلِانْحِـــلَالِ

يَـــزُولُ نَعِيمُهَـــا عَمَّـــا قَـــرِيـــبٍ
وَمُـــؤْثِـــرُهَـــا يَصِيـــرُ إِلَـــىٰ وَبَـــالِ

وَمَـــا ٱلـــدُّنْيَـــا بِبَـــاقِيَـــةٍ وَلَـٰكِـــنْ
نُفَـــارِقُهَـــا بِمَـــوْتٍ وَٱنْتِقَـــالِ

إِلَـــىٰ قَبْـــرٍ مَهُـــولٍ فِيـــهِ يُلْقَـــىٰ
عَلَيْنَـــا ٱلتُّـــرْبُ مَـــعْ لَبِـــنٍ ثِقَـــالِ

وَدُودٍ فِيـهِ يَـأْكُلُنَـا فَتَبْلَـىٰ

مَحَـاسِنُنَـا وَحَسْبُـكَ مَـا نُصَـالِـي

وَنَبْقَـىٰ فِـي ٱلْقُبُـورِ إِلَـىٰ نُشُـورٍ

بِنَفْـخِ ٱلصُّـورِ فِـي يَـوْمِ ٱلسُّـؤَالِ

وَنُـوقَـفُ مَـوْقِفـاً صَعْبـاً ثَقِيـلاً

وَتَـأْتِـي كُـلُّ نَفْـسٍ لِلْجِـدَالِ

وَيُنْصَـبُ ثَـمَّ مِيـزَانٌ لِـوَزْنٍ

وَكُتْـبٌ بِـٱلْيَمِيـنِ وَبِـٱلشِّمَـالِ

مُنَـاقَشَـةٌ وَتَفْتِيـشٌ فَـإِمَّـا

مَصِيـرٌ لِلنَّعِيـمِ أَوِ ٱلنَّكَـالِ

أَلَا لَا يَسْتَـرِيـحُ وَمَـنْ وَرَاهُ

كَهَـٰذَا ٱلْيَـوْمِ إِلَّا ذُو خَبَـالِ

لَقَــدْ عَلِمَــتْ ذَوُو ٱلْأَلْبَــابِ طُــرّاً

بِــأَنَّ ٱلْخَيْــرَ فِــي طَلَــبِ ٱلْكَمَــالِ

بِفَطْــمِ ٱلنَّفْــسِ عَــنْ مَــأْلُــوفِ حَــظٍّ

وَرَفْــضِ ٱلْفَــانِيَــاتِ بِــلَا ٱحْتِفَــالِ

وَفِــي ظَمَــأَ ٱلْهَــوَاجِــرِ وَٱعْتِــزَالٍ

عَــنِ ٱلْأَشْــرَارِ مَــعْ سَهَــرِ ٱللَّيَــالِـي

وَإِدْمَــانِ ٱلتَّــوَجُّــهِ بِــٱفْتِقَــارٍ

وَإِقْبَــالٍ عَلَــىٰ مَــوْلَــى ٱلْمَــوَالِـي

إِلَــٰـهٍ وَاحِــدٍ مَلِــكٍ قَــدِيــرٍ

عَظِيــمِ ٱلشَّــانِ وَهَّــابِ ٱلنَّــوَالِ

تَعَــالَــىٰ عَــنْ مُشَــاكَلَــةِ ٱلْبَــرَايَــا

وَجَــلَّ عَــنِ الْكَمِيَّــةِ وَٱلْمِثَــالِ

نُـــوَحِّـــدُهُ وَنَشْكُـــرُهُ وَنُثْنِـــي
وَنَسْـــأَلُـــهُ دَوَامـــاً بِـــٱبْتِهَـــالِ
يُـــوَفِّقُنَـــا لِمَـــا يُـــرْضِيـــهِ عَنَّـــا
وَيُثْبِتُنَـــا بِـــدِيـــوَانِ ٱلـــرِّجَـــالِ
وَيُصْلِحُنَـــا وَيَمْنَحُنَـــا نَعِيمـــاً
وَرَوْحـــاً فِـــي ٱلْحَيَـــاةِ وَفِـــي ٱلْمَـــآلِ
وَيَجْعَـــلُ أَفْضَـــلَ ٱلصَّلَـــوَاتِ مِنَّـــا
عَلَـــىٰ خَيْـــرِ ٱلْـــوَرَىٰ فِـــي كُـــلِّ حَـــالِ
مَـــعَ ٱلتَّسْلِيـــمِ يَغْشَـــاهُ وَيَغْشَـــىٰ
صَحَـــابَتَـــهُ ٱلْكِـــرَامَ وَخَيْـــرَ آلِ

* * *

وقال رضي الله عنه :　(٤/ ل)

أَهْـلاً وَسَهْـلاً بِـٱلْحَبِيـبِ ٱلْـوَاصِـلِ
مِـنْ بَعْـدِ مَـا نَـامَـتْ عُيُـونُ ٱلْعَـاذِلِ
أَحْيَيْتَنِـي بِـٱلْقُـرْبِ مِنْـكَ وَبِـٱللِّقَـا
مِـنْ بَعْـدِ مَـوْتِـي بِـٱلْبِعَـادِ ٱلْقَـاتِـلِ
يَـا مَـنْ هَـوَاهُ وَحُبُّـهُ وَوِدَادُهُ
سَكَنَ ٱلسُّوَيْدَا مِنْ فُؤَادِي ٱلدَّاخِلِ
أَنْـتَ ٱلْمُـرَادُ وَأَنْـتَ غَـايَـةُ مَطْلَبِـي
مِنْ كُلِّ عَالٍ فِي ٱلْوُجُودِ وَسَافِلِ
رَاحَـتْ بِـرُوحِـي صَبْـوَةٌ وَصَبَـابَـةٌ
بِجَمَـالِـكَ ٱلْفَـرْدِ ٱلْبَـدِيـعِ ٱلْكَـامِـلِ

فَغَدَوْتُ مِنْ بَيْنَ ٱلْأَنَامِ مُدَلَّهاً

وَمُوَلَّهاً فِي حَالِ صَبٍّ ذَاهِلِ

ذَهَبَتْ بِهِ ٱلسَّكَرَاتُ مِنْ كَأْسِ ٱلْهَنَا

وَٱلْأُنْسِ لَا مِنْ كَأْسِ خَمْرِ ٱلْبَاطِلِ

فَتَرَاهُ فَانٍ عَنْ عَوَالِمِ حِسِّهِ

لَا يَسْتَفِيقُ لِقَوْلِ ضِدٍّ عَاذِلِ

فَٱشْرَبْ شَرَابَ ٱلْعَارِفِينَ ٱلْأَوْلِيَا

اَلْجَامِعِينَ لِكُلِّ وَصْفٍ فَاضِلِ

وَٱخْضَعْ لِسَاقِيهِمْ وَقُطْبِ مَدَارِهِمْ

وَإِمَامِ سَالِكِ سُبْلِهِمْ وَٱلْوَاصِلِ

غَوْثِ ٱلْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَمُغِيثِهَا

عَنْ إِذْنِ سَيِّدِهِ ٱلْمَلِيكِ ٱلْعَادِلِ

إِنْ شِئْتَ تَعْرِفُهُ وَتَعْلَمُ وَصْفَهُ
بِطَرِيقَةِ ٱلْإِجْمَالِ فَٱسْمَعْ سَائِلِي
هُوَ سَيِّدٌ مُتَوَاضِعٌ مُتَخَشِّعٌ
وَرِعٌ تَقِيٌّ زَاهِدٌ فِي ٱلْعَاجِلِ
اَلشَّرْعُ سِيرَتُهُ ٱلْحَقِيقَةُ حَالُهُ
وَمِنَ ٱلْعُبُودَةِ بِٱلْمَقَامِ ٱلْحَافِلِ
بَرٌّ رَحِيمٌ بِٱلْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ
يَرْعَى ٱلْوُجُودَ بِعَيْنِ لُطْفٍ شَامِلِ
يَمْتَدُّ مِنْ بَحْرِ ٱلْبُحُورِ مُحِيطِهَا
خَيْرِ ٱلْأَنَامِ بِعَاجِلٍ وَبِآجِلِ
صَلَّى عَلَيْهِ ٱللهُ مَا هَبَّ ٱلصَّبَا
أَوْ سَارَ حَادٍ قَصْدَهُ بِرَوَاحِلِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٥/ ل)

أَنَـــا مَشْغُـــولٌ بِلَيْلَـــىٰ
عَـــنْ جَمِيـــعِ ٱلْكَـــوْنِ جُمْلَـــهْ

فَـــإِذَا مَـــا قِيـــلَ مَـــنْ ذَا
قُـــلْ هُـــوَ ٱلصَّـــبُّ ٱلْمُـــوَلَّـــهْ

أَخَـــذَتْـــهُ ٱلـــرَّاحُ حَتَّـــىٰ
لَـــمْ تُبَـــقِّي فِيـــهِ فَضْلَـــهْ

رَاحُ أُنْـــسٍ رَاحُ قُـــدْسٍ
لَيْسَـــتِ ٱلـــرَّاحَ ٱلْمُضِلَّـــهْ

* * *

فَصْلٌ

نَسَمَـــاتُ ٱلْقُـــرْبِ هَبَّـــتْ

مِـــنْ رُبُـــوعِ ٱلْعَـــامِـــرِيَّـــهْ

أَطْـــرَبَـــتْ رُوحِـــي وَسِـــرِّي

حِيـــنَ أَهْـــدَتْ لِـــي ٱلتَّحِيَّـــهْ

وَسَـــرَتْ فِـــي ٱلْكَـــوْنِ مِنْهَـــا

نَفَحَـــــاتٌ عَنْبَـــــرِيَّـــــهْ

فَـــٱرْوِ عَنِّـــي مِـــنْ حَـــدِيثِـــي

إِنْ تَكُـــنْ يَـــا سَعْـــدُ أَهْلَـــهْ

* * *

فصل

إِنَّـــهُ سِـــرٌّ شَـــرِيـــفٌ

لَيْـــسَ لِـــلأَغْيَـــارِ يُـــذْكَـــرْ

إِنَّـــهُ مَعْنـــــىً لَطِيـــفٌ

عَـــنْ جَمِيـــعِ ٱلنَّـــاسِ يُسْتَـــرْ

غَيْـــرَ عَـــنْ عَبْـــدٍ تَقِـــيٍّ

صُـــوفِـــيٍ صَـــافٍ مُحَـــرَّرْ

ذِي شَـــرِيعَـــهْ وَحَقِيقَـــهْ

جَمَـــعَ ٱلْفَـــرْعَ وَأَصْلَـــهْ

* * *

فصل

أَيْـــنَ أَرْبَـــابُ ٱلْمَثَـــانِـــي
وَٱلْعُلُـــومِ ٱللَّـــدُنِيَّـــهْ
أَيْـــنَ أَصْحَـــابُ ٱلْمَعَـــانِـــي
وَٱلنُّفُـــوسِ ٱلْعُلُـــوِيَّـــهْ
أَنَـــا أَدْعُـــو مَـــنْ دَعَـــانِـــي
هَـٰكَـــذَا حُكْـــمُ ٱلْقَضِيَّـــهْ
فِـــي خُصُـــوصٍ لَا عُمُـــومٍ
عَلَّـــةً مِـــنْ بَعْـــدِ نَهْلَـــهْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٦/ ل)

تَبَلَّغْ بِالْقَلِيلِ مِنَ ٱلْقَلِيلِ
وَهَيِّ ٱلزَّادَ لِلسَّفَرِ ٱلطَّوِيلِ

وَلَا تَغْتَرَّ بِٱلدُّنْيَا وَذَرْهَا
فَمَا ٱلدُّنْيَا بِدَارٍ لِلنَّزِيلِ

وَلَا تَحْسَبْ بِأَنَّكَ سَوْفَ تَبْقَىٰ
فَلَيْسَ إِلَىٰ بَقَاءٍ مِنْ سَبِيلِ

وَلَا تَحْرِصْ عَلَى ٱلْمَالِ ٱلْمُخَلَّىٰ
خِلَافَكَ لِلْقَرِيبِ أَوِ ٱلسَّلِيلِ

وَأَنْفِقْ مِنْهُ مَهْمَا كَانَ مَالاً
وَقَدِّمْ مِنْهُ لِلْيَوْمِ ٱلثَّقِيلِ

وَخَيْـرُ ٱلـزَّادِ تَقْـوَى ٱللهِ فَـٱعْلَـمْ

وَشَمِّـرْ وَٱعْـدُ عَـنْ قَـالٍ وَقِيـلِ

وَحَـقُّ ٱللهِ أَعْظَـمُ كُـلِّ حَـقٍّ

فَقُـمْ بِـٱلْحَـقِّ لِلْمَلِـكِ ٱلْجَلِيـلِ

وَطَـاعَتُـهُ غِنَـى ٱلـدَّارَيْـنِ فَـٱلْـزَمْ

وَفِيهَـا ٱلْعِـزُّ لِلْعَبْـدِ ٱلـذَّلِيـلِ

وَفِـي عِصْيَـانِـهِ عَـارٌ وَنَـارٌ

وَفِيـهِ ٱلْبُعْـدُ مَـعْ خِـزْيٍ وَبِيـلِ

فَـلَا تَعْـصِ إِلَٰهَـكَ وَأَطِعْـهُ

دَوَامـاً عَـلَّ تَحْظَـىٰ بِـٱلْقَبُـولِ

وَبِـٱلـرِّضْـوَانِ مِـنْ رَبٍّ كَـرِيـمٍ

عَظِيـمِ ٱلْفَضْـلِ وَهَّـابِ ٱلْجَـزِيـلِ

وَصَلَّـىٰ رَبُّنَـا فِـي كُـلِّ حِيـنِ
وَسَلَّـمَ بِـٱلْغُـدُوِّ وَبِـٱلْأَصِيـلِ
عَلَـىٰ طَـٰـهَ ٱلْبَشِيـرِ بِكُـلِّ خَيْـرٍ
خِتَـامِ ٱلـرُّسْـلِ وَٱلْهَـادِي ٱلـدَّلِيـلِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٧/ ل)

حَــيِّ ظَبْــيَ ٱلــرِّمَــالِ وَٱلْأَطْــلَالِ

بِسَلَامِـي وَٱشْـرَحْ لَـهُ كَيْـفَ حَـالِـي

يَـا نَسِيـمَ ٱلشَّمَـالِ إِنْ جُـزْتَ وَهْنـاً

بِــرُبَــاهُ وَقَــدْ غَفَــا كُــلُّ خَــالِــي

وَٱسْتَبِــنْ هَــلْ لَــهُ بِمَــا ثَــمَّ عِلْــمٌ

مِــنْ شُجُــونٍ وَمِــنْ تَبَلْبُــلِ بَــالِ

وَحَــدِيــثٍ مِــنَ ٱلْغَــرَامِ قَــدِيــمٍ

كِــدْتُ أَبْلَــىٰ وَمَــا أَرَاهُ بِبَــالِــي

مَــا رَأَيْــتُ وَلَا سَمِعْــتُ وَلَٰكِــنْ

لَيْــسَ هَٰــذَا يَــا صَــاحِبِي بِمَحَــالِ

وَهْوَ أَحْرَىٰ بِأَنْ يَكُونَ صَحِيحَ ٱلْـ
أَصْلِ إِللِّي مِنْ حَضَرَاتِ ٱلْجَلَالِ

سَوْفَ أَطْوِي ٱلْفُؤَادَ كَتْماً عَلَىٰ مَا
فِيهِ مِنْ لَوْعَةٍ وَمِنْ بَلْبَالِ

وَٱنْتِظَاراً لِمَا بِهِ ٱللهُ يَأْتِي
مِنْ خَفِيِّ ٱلْأَلْطَافِ وَٱلْإِقْبَالِ

وَلَطِيفِ ٱلدَّلَالِ حُلْوِ ٱلتَّثَنِّي
فِي لَمَاهُ أَحْلَىٰ مِنَ ٱلسَّلْسَالِ

سَاحِرِ ٱلطَّرْفِ وَرْدِيِ ٱلْخَدِّ بَانِ ٱلْـ
ـقَدْ عَزِيزِ ٱلْوِصَالِ صَعْبِ ٱلْمَنَالِ

إِنْ سَلَانِي فَلَسْتُ عَنْهُ بِسَالٍ
أَوْ قَلَانِي فَإِنَّنِي غَيْرُ قَالِي

كِـدْتُ مِـنْ وَصْلِـهِ أُقَـارِبُ يَـأْسـاً

لِأَمْتِـدَادِ ٱلْمَـدَىٰ وَطُـولِ ٱلْحِبَـالِ

غَيْـرَ أَنِّـي فِـي نَيْلِـهِ مُسْتَعِيـنٌ

بِـٱلْإِلَـٰهِ ٱلْعَظِيـمِ مَـوْلَـى ٱلْمَـوَالِـي

وَٱلـرَّسُـولِ ٱلْأَمِيـنِ هَـادِي ٱلْبَـرَايَـا

سَيِّـدِ ٱلْأَنْبِيَـاءِ عَيْـنِ ٱلْكَمَـالِ

وَٱلْـوَلِـيِّ ٱلْمَكِيـنِ أُسْتَـاذِنَـا ٱلْقُطْـ

ـبِ أَبِي ٱلْخَيْرِ عَيْدَرُوسِ ٱلْمَعَالِي

ٱلْإِمَـامِ ٱلْهُمَـامِ غَـوْثِ ٱلْأَنَـامِ

أَلْهَـزْبَـرِ ٱلضِّـرْغَـامْ أَبِـي ٱلْأَشْبَـالِ

ٱلشَّـرِيـفِ ٱلْعَفِيـفِ كَهْـفِ ٱلْيَتَـامَىٰ

وَٱلْأَيَـامَـىٰ وَحَـامِـلِ ٱلْأَثْقَـالِ

مُحْيِي ٱلـدِّيـنِ كَنْزِ ٱلْيَقِيـنِ بَحْرِ ٱلْـ

ـعِلْـمِ طَـوْدِ ٱلْحِلْـمِ وَٱلْإِفْضَـالِ

بَـرْكَـةِ ٱلْـوُجُـودِ مُقْـرِي ٱلْـوُفُـودِ

عَيْـنِ ٱلشُّهُـودِ مَجْلَـى ٱلْجَمَـالِ

قُـدْوَةِ ٱلأَوْلِيَـاءِ سُلْطَـانِ ٱلْأَصْفِـ

ـيَـاءِ مِـنَ ٱلْأَوْتَـادِ وَٱلْأَبْـدَالِ

كَـمْ أَغَـاثَ بِـهِ ٱلْإِلَـٰهُ صَـرِيخـاً

وَلَهِيفـاً وَكَـمْ نَفَـىٰ مِـنْ مَحَـالِ

وَهَـدَىٰ ضَـالّاً وَأَرْشَـدَ غَـاوٍ

تَـائِهـاً فِـي مَفَـاوِزٍ مِـنْ ضَـلَالِ

يَـا ٱبْـنَ طَـٰهَ وَيَـا ٱبْـنَ خَيْـرِ وَصِـيٍّ

وَٱبْنَ سِبْطِ ٱلرَّسُولِ وَٱبْنَ ٱلرِّجَالِ

اَلــرِّجَــالِ ٱلْفُحُــولِ مِــنْ كُــلِّ صَــدْرٍ

وَإِمَــامٍ فِــي ٱلْعِلْــمِ وَٱلْأَعْمَــالِ

هَيَّــا يَــا عَيْــدَرُوسُ هَيَّــا بِغَــوْثٍ

غَــارَةٌ مِنْكُــمُ تَحُــلُّ عِقَــالِــي

وَتُــزِيــحُ ٱلْكُــرُوبَ عَنِّــي وَتُــدْنِــي

مَــا أُرَجِّــي مِــنْ صَــالِــحِ ٱلْأَعْمَــالِ

وَرَسِيــسٌ عَلَــى ٱلْفُــؤَادِ مُقِيــمٌ

مِــنْ قَــدِيــمٍ يَلُــوحُ لِــي فِــي ٱلْمِثَــالِ

عَلَّ يَبْدُو فِي ٱلْحِسِّ فِي خَيْرِ حَالٍ

وَكَفَــانِــي عِلْــمُ ٱلْإِلَــٰهِ بِحَــالِــي

غَيْــرَ أَنَّــا إِلَــى ٱلــدُّعَــاءِ نُــدِبْنَــا

وَأُمِــرْنَــا بِــهِ وَبِــٱلْاِبْتِهَــالِ

وَصَــلَاةُ ٱلْمَلِيــكِ تَغْشَــىٰ نَبِيّــاً

قَــدْ أَتَــانَــا بِــٱلْفَتْــحِ وَٱلْأَنْفَــالِ

أَحْمَــدَ ٱلْمُصْطَفَــىٰ وَآلاً وَصَحْبــاً

هُــمْ عَلَــى ٱلْحَــقِّ خَيْـرُ صَحْـبٍ وَآلِ

مَـا سَـرَتْ نَسْمَـةُ ٱلسُّحَيْـرِ فَـأَشْجَتْ

وَأَثَــارَتْ كَــوَامِــنَ ٱلْبَلْبَــالِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٨/ ل)

حَيَّا سُلَيْمَانَ صَوْبُ ٱلْعَارِضِ ٱلْهَطِلِ
مِـنْ رَحْمَـةِ ٱللهِ بِـٱلْإِبْكَـارِ وَٱلْأُصُـلِ

ٱلسَّيِّدَ ٱلْفَاضِلَ ٱبْنَ ٱلسَّادَةِ ٱلْفُضَلَا
مِـنْ آلِ أَحْمَـدَ طَـٰهَ خَـاتَـمِ ٱلـرُّسُـلِ

نِعْمَ ٱلشَّرِيفُ ٱلَّذِي فِي ٱلصَّالِحِينَ لَهُ
ذِكْرٌ وَلَيْسَ عَنِ ٱلسِّرِّ ٱلْمَصُونِ خَلِي

نَشَا عَلَىٰ طَاعَةِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِنْ صِغَرٍ
وَٱلْخَيْرِ وَٱلْبِرِّ وَٱلْمَرْضِيْ مِنَ ٱلْعَمَلِ

مَشَىٰ عَلَىٰ مَنْهَجِ ٱلْأَسْلَافِ مِنْ سَلَفٍ
لَـهُ مِـنَ ٱلْأَوْلِيَـاءِ ٱلسَّـادَةِ ٱلْأُوَلِ

فَـــاللهُ يُحْسِـــنُ مَثْـــوَاهُ وَيَـــرْحَمُـــهُ

وَيَـرْضَ عَنْـهُ وَيَغْفِـرْ سَـــائِرَ ٱلـزَّلَـلِ

وَيَجْمَعُ ٱلشَّمْلَ مِنَّا حَيْثُ حَضْرَتُهُ

بِمَقْعَدِ ٱلصِّدْقِ غَايَةْ قَصْدِ كُلِّ وَلِي

وَأَنْ يُـــوَفِّقَنَـــا لِلصَّـــالِحَـــاتِ وَمَـــا

يُرْضِيهِ قَبْلَ حُلُولِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْأَجَلِ

ثُـــمَّ ٱلصَّـــلَاةُ عَلَـــى ٱلْمُخْتَـــارِ سَيِّـــدِنَـــا

مُحَمَّـــدٍ وَسَـــلَامُ ٱللهِ بَعْـــدُ يَلِـــي

* * *

وقال رضي الله عنه : (٩/ ل)

خَلِّ ٱدِّكَارَكَ رَبْعاً دَارِسَ ٱلطَّلَلِ

وَمَنْزِلاً بَيْنَ ذَاتِ ٱلضَّالِ وَٱلْأَثَلِ

وَمَجْمَعاً لِأُحَيْبَابٍ صَحِبْتَهُمُ

وَٱلْعَيْشُ غَضٌّ وَصَرْفُ ٱلدَّهْرِ فِي شُغُلِ

وَمَرْتَعاً كَانَتِ ٱلْغِيدُ ٱلْأَوَانِسُ فِي

أَفْيَائِهِ تَنْثَنِي فِي ٱلْحَلْيِ وَٱلْحُلَلِ

مِنْ كُلِّ غَانِيَةٍ بِٱلْحُسْنِ قَاصِرَةٍ

هَيْفَا خَدَلَّجَةٍ مَوَّاجَةِ ٱلْكَفَلِ

كَٱلْبَدْرِ غُرَّتُهَا كَٱللَّيْلِ طُرَّتُهَا

كَٱلْغُصْنِ قَامَتُهَا سَحَّارَةُ ٱلْمُقَلِ

وَكَـمْ حَبِيـبٍ وَفِـيٍّ ٱلْعَهْـدِ مُجْتَمِـعٍ

عَلَـى ٱلْمَـوَدَّةِ لَا بِـٱلْعَـاجِـزِ ٱلْـوَكِـلِ

مِـنْ آلِ فَـاطِمَـةٍ بِيـضِ ٱلْـوُجُـوهِ لَـهُ

إِلَى ٱلْمَكَارِمِ سَعْيُ ٱلْمُسْرِعِ ٱلْعَجِلِ

فَهَلْ تَرَىٰ عَائِداً فِي ٱلْحَيِّ مُجْتَمِعاً

مَـعَ ٱلْأَحِبَّـةِ بِـٱلْإِبْكَـارِ وَٱلْأُصُـلِ

وَبِـٱلْمَسَـامِـرِ مِـنْ لَيْـلٍ وَقَـدْ هَـدَأَتْ

عَيْـنُ ٱلشُّنَـاةِ وَأَهْـلِ ٱلنَّقْـلِ وَٱلْعَـذَلِ

يَدُورُ مَا بَيْنَنَا كَأْسُ ٱلْحَدِيثِ مِنَ ٱلْـ

ـقَدِيمِ نُسْقَىٰ بِهَا فِي ٱلنَّهْلِ وَٱلْعَلَلِ

لَسْنَـا نُبَـالِـي وَلَا نَـدْرِي بِنَـائِبَـةٍ

تَنُوبُ مِنْ حَادِثَاتِ ٱلدَّهْرِ وَٱلْعِلَلِ

أَنَّـــىٰ وَهَيْهَــاتَ أَنْ تُثْنِـــي أَعِنَّتَهَــا

تِلْكَ ٱلْأُوَيْقَاتُ بَعْدَ ٱلْأَوْبِ وَٱلْقفلِ

فَقَلَّمَـا عَـادَ مَـا قَـدْ فَـاتَ مِـنْ زَمَـنٍ

صَفَـا وَخِـلٍّ وَفِـيْ فَـٱقْصِـرْ وَلَا تُطِـلِ

فَمَـا نَهَيْتُـكَ عَـنْ تَـذْكَـارِهَـا مَلَـلاً

لَهَـــا وَلَا سَلْـــوَةً عَنْهَـــا وَلَا تُهِـــلِ

لَـكِـــنْ تُهَيِّـــجُ أَحْـــزَانـــاً وَتَبْعَثُهَـــا

وَحَسْـــرَةً فَـــدَعِ ٱلتَّـــذْكَـــارَ وَٱمْتَثِـــلِ

فَـٱعْلَـمْ هُـدِيـتَ وَخَيْـرُ ٱلْعِلْـمِ أَنْفَعُـهُ

أَنَّ ٱتِّبَاعَ ٱلْهَوَىٰ ضَرْبٌ مِنَ ٱلْخَبَلِ

فَكَـمْ وَكَـمْ ضَـلَّ بِـٱلْأَهْـوَا وَطَـاعَتِهَـا

مِـنْ عَـاقِـلٍ جَـامِـعٍ لِلْعِلْـمِ وَٱلْعَمَـلِ

هُوَ ٱلْهَوَانُ كَمَا قَالُوا وَقَدْ سُرِقَتْ
اَلنُّـونُ مِنْـهُ فَجَـانِبْـهُ وَحِـدْ وَمِـلِ

وَٱقْبِلْ عَلَىٰ طَاعَةِ ٱلرَّحْمَـٰنِ وَٱلْزَمْهَا
فِي كُلِّ حِينٍ وَلَا تَخْلُدْ إِلَى ٱلْكَسَلِ

وَلَا تُخَـالِـفْ لَـهُ أَمْـراً تَبَـارَكَ مِـنْ
رَبٍّ عَظِيـمٍ وَسِـرْ فِـي أَقْـوَمِ ٱلسُّبُـلِ

وَخُـذْ بِمَـا فِـي كِتَـابِ ٱللهِ مُجْتَهِـداً
مُشَمِّراً وَٱحْتَرِزْ مِنْ سَوْفَ وَٱلْأَمَلِ

وَلَا تُعَـرِّجْ عَلَـىٰ دَارِ ٱلْغُـرُورِ وَدَا
رِ ٱلْخُلْفِ وَٱلزُّورِ وَٱلنِّسْيَانِ لِلْأَجَلِ

وَٱحْذَرْ مُصَاحَبَةَ ٱلْخَلْفِ ٱلْمُضِيعِ فَقَدْ
صَارُوا إِلَى ٱلشَّرِّ وَٱلْعِصْيَانِ وَٱلزَّلَلِ

وَأَصْبَحُوا فِي زَمَانٍ كُلُّهُ فِتَنٌ

وَبَاطِلٌ وَفَسَادٌ بَيِّنٌ وَجَلِي

هُوَ ٱلزَّمَانُ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ يَحْذَرُهُ

أَئِمَّةُ ٱلْحَقِّ مِنْ حَبْرٍ وَمِنْ بَدَلِ

هُوَ ٱلزَّمَانُ ٱلَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا

عُرْفٌ تَرَاهُ عَلَى ٱلتَّفْصِيلِ وَٱلْجُمَلِ

هُوَ ٱلزَّمَانُ ٱلَّذِي عَمَّ ٱلْحَرَامُ بِهِ

وَٱلظُّلْمُ مِنْ غَيْرِ مَا شَكٍّ وَلَا جَدَلِ

أَيْنَ ٱلْقُرَانُ كِتَابُ ٱللهِ حُجَّتُهُ

وَأَيْنَ سُنَّةُ طَٰهَ خَاتَمِ ٱلرُّسُلِ

وَأَيْنَ هَدْيُ رِجَالِ ٱللهِ مِنْ سَلَفٍ

كَانَ ٱلْهُدَىٰ شَأْنَهُمْ فِي ٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ

أَكُلُّ أَهْلِ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْحَقِّ قَدْ ذَهَبُوا
بِٱلْمَوْتِ أَمْ سُتِرُوا يَا صَاحِبِي فَقُلِ

وَٱلْأَرْضُ لَا تَخْلُ مِنْ قَوْمٍ يَقُومُ بِهِمْ
أَمْرُ ٱلْإِلَـٰهِ كَمَا قَدْ جَاءَ فَٱحْتَفِلِ

وَٱرْجُ ٱلْإِلَـٰهَ وَلَا تَيْأَسْ وَإِنْ بَعُدَتْ
مَطَالِبُ إِنَّ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ مَلِي

وَٱطْلُبْ بِصِدْقِكَ أَهْلَ ٱلْحَقِّ عَلَّكَ أَنْ
وَٱصْبِرْ وَجِدَّ وَطَوِّفْ قَصْدَهُمْ وَجُلِ

فَإِنْ ظَفِرْتَ فَإِنَّ ٱللَّهَ ذُو كَرَمٍ
وَإِنْ فَقَدْتَ فَقَدْ أُعْذِرْتَ فِي ٱلْمَثَلِ

وَفِي ٱلْإِلَـٰهِ مَلِيكِ ٱلْعَالَمِينَ غِنًى
عَنْ كُلِّ شَيءٍ فَلَازِمْ بَابَهُ وَسَلِ

هُوَ ٱلْقَرِيبُ ٱلْمُجِيبُ ٱلْمُسْتَغَاثُ بِهِ
قُـلْ حَسْبِـيَ ٱللهُ مَعْبُـودِي وَمُتَّكَلِـي

وَٱسْـأَلْـهُ مَغْفِـرَةً وَٱسْـأَلْـهُ خَـاتِمَـةً
حُسْنَـىٰ وَعَـافِيَـةً وَٱلْجَبْـرَ لِلْخَلَـلِ

وَأَنْ يُـوَفِّقَنَـا لِلصَّـالِحَـاتِ وَمَـا
يُـرْضِيـهِ عَنَّـا وَيَحْفَظْنَـا مِـنَ ٱلْخَطَـلِ

وَأَنْ يُصَلِّـي عَلَـى ٱلْمُخْتَـارِ سَيِّـدِنَـا
مُحَمَّـدٍ مَـا بَكَـتْ سُحْـبٌ بِمُنْهَمِـلِ

وَٱلْآلِ وَٱلصَّحْـبِ مَـا غَنَّـتْ مُطَـوَّقَـةٌ
عَلَى ٱلْغُصُونِ فَأَشْجَتْ وَاجِداً وَخَلِي

وَٱلْحَمْـدُ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَـالَمِيـنَ عَلَـىٰ
إِنْعَـامِـهِ وَتَعَـالَـىٰ ٱللهُ خَيْـرُ وَلِـي

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٠/ل)

ذَكَـرَ ٱلْعَهْـدَ وَٱلـرُّبَـىٰ وَٱلْمَنَـازِلْ
فَغَـدَا دَمْعُـهُ عَلَـى ٱلْخَـدِّ سَـائِـلْ

وَذَكَـتْ مِـنْ فُـؤَادِهِ نَـارُ وَجْـدٍ
وَٱشْتِيَـاقٍ وَلَـوْعَـةٍ وَبَـلَابِـلْ

لَا تَلُمْـهُ عَلَـى ٱلَّـذِي كَـانَ مِنْـهُ
إِنَّـهُ لَا يُصِيـخُ سَمْعَـاً لِعَـاذِلْ

مَلَـكَ ٱلْحُـبُّ قَلْبَـهُ فَتَـرَاهُ
لَا يَـزَالُ وَلْهَـانَ حَيْـرَانَ قَـائِـلْ

يَا رُبُوعَ ٱلْأَحْبَابِ بِٱلسَّفْحِ مِنْ عَيْـ
ـدِيدَ هَـلْ عَيْشُنَـا ٱلَّـذِي مَـرَّ آيِـلْ

يَا زَمَانَ ٱلْوِصَالِ إِنْ عُدْتَ عُدْنَا
وَٱجْتَمَعْنَا فِي ٱلْحَيِّ وَٱلْحَيُّ آهِلْ

بِٱلْغَوَانِي ٱلْحِسَانِ يَرْتَعْنَ فِيهِ
نَاعِمَاتٍ بَيْنَ ٱلْحِمَىٰ وَٱلْمَنَاهِلْ

وَٱلْأَحِبَّاءِ وَٱلْمُحِبِّينَ وَٱلسَّا
دَاتِ مِنْ فَاضِلٍ وَمِنْ إِبْنِ فَاضِلْ

مِثْلِ نَجْلِ الْعَفِيفِ شَيْخٍ كَرِيمٍ
مِنْ كَرِيمٍ مَا إِنْ لَهُ مِنْ مُمَاثِلْ

اَلْحَبِيبِ ٱلْقَرِيبِ حِسّاً وَمَعْنىً
اَلشَّرِيفِ ٱلْمُنِيفِ زَيْنِ ٱلشَّمَائِلْ

عَيْدَرُوسِ ٱلزَّمَانِ(١) فَرْدِ ٱلْعَصْرِ
نُورِ ٱلْمَكَانِ صَدْرِ ٱلْمَحَافِلْ

(١) لعله: عيدروس الزمان والوقت. فليراجع اهـ

بَحْـرِ عِلْـمٍ وَطَـوْدِ حِلْـمٍ مُنِيـفٍ
وَمَـلَاذٍ لِلضُّعَفَـا وَٱلْأَرَامِـلْ

وَجَـوَادٍ سَمْـحٍ زَكِـيٍّ وَفِـيٍّ
أَرْيَحِـيٍّ لِلّٰهِ دَاعٍ وَعَـامِـلْ

كَـانَ فِينَـا حِينـاً وَكُنَّـا جَمِيعـاً
فِـي سُـرُورٍ وَغِبْطَـةٍ وَفَـوَاضِـلْ

فَتَنَـاءَتْ بِـهِ ٱلْمَنَـازِلُ عَنَّـا
وَٱجْتِمَـاعُ ٱلْأَرْوَاحِ بَـاقٍ وَحَـاصِـلْ

إِنْ قَضَـى ٱللهُ رَبُّنَـا بِـٱجْتِمَـاعٍ
فَهْـوَ أَهْـلُ ٱلْجَمِيـلِ وَٱلْكُـلُّ آمِـلْ

عِنْـدَ بَيْـتِ ٱلْإِلَـٰهِ رَبِّ ٱلْبَـرَايَـا
وَضَـرِيـحٍ قَـدْ ضَـمَّ خَتْـمَ ٱلـرَّسَـائِلْ

أَوْ بِـأَوْطَـانِنَـا وَحَيْـثُ نَشَـأْنَـا

وَأَقَـامَـتْ أَسْـلَافُنَـا وَٱلْأَوَائِـلْ

فَهُـوَ اَلْمُـرْتَجَـىٰ تَعَـالَـىٰ عُـلَاهُ

وَٱلْمُجِيـبُ لِكُـلِّ دَاعٍ وَسَـائِـلْ

وَإِذَا ٱلْإِجْتِمَـاعُ لَـمْ يُقْـضَ حُكْمـاً

قَبْلَ حِينِ ٱلْوَفَاةِ فِي حَالِ عَاجِلْ

فَعَسَـىٰ فِـي جِـوَارِ رَبِّنَـا فِـي جِنَـانٍ

قَـدْ أُعِـدَّتْ لِلْمُتَّقِيـنَ ٱلْأَفَـاضِـلْ

وَصَـلَاةُ ٱلْإِلَـٰـهِ تَتْـرَىٰ وَتُهْـدَىٰ

لِنَبِـيٍّ بِـٱلْحَـقِّ قَـاضٍ وَعَـادِلْ

أَحْمَـدَ ٱلْمُصْطَفَـىٰ شَفِيـعٍ مُطَـاعٍ

سَيِّـدِ ٱلْمُـرْسَلِيـنَ خَيْـرِ ٱلْـوَسَـائِـلْ

وَسَلَامٌ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ
وَأَوَانٍ وَبُكْرَةٍ وَأَصَائِلْ

وَعَلَىٰ آلِهِ ٱلْكِرَامِ وَصَحْبٍ
وَعَلَى ٱلتَّابِعِينَ أَهْلِ ٱلْفَضَائِلْ

* * *

وقال رضي الله عنه :

عَجَبَــاً لِلْمُطْمَئِنِّيــنَ بِــدُنْيَــا
لَيْــسَ فِيهَــا إِلَــى ٱلْبَقَــاءِ سَبِيــلُ

حُشِيَتْ بِٱلْمُنَغِّصَاتِ بَلْ لَيْسَ فِيهَا
يَــا أُخَــيَّ مِــنَ ٱلسُّــرُورِ فَتِيــلُ

* * *

وقال رضي الله عنه :

(١١/ ل)

غَزَالَ ٱلْحِمَىٰ قَلْبِي بِحُبِّكِ قَدْ مُلِي
فَصُدِّي حَمَاكِ ٱللهُ إِنْ شِئْتِ أَوْ صِلِي

وَلَا تَحْسَبِي أَنِّي سَلَوْتُكِ لَا وَلَا
وَلَٰكِنَّنِي أَرْضَىٰ بِحُكْمِكِ فَٱعْدِلِي

تَمَلَّكْتِ مِنِّي ظَاهِرِي وَسَرَائِرِي
وَإِنْ تَجْهَلِي يَا قُرَّةَ ٱلْعَيْنِ فَٱسْأَلِي

لَحَا ٱللهُ عُذَّالِي عَلَيْكِ وَلُوَّمِي
فَإِنَّهُمُ عَنِّي وَعَنْكِ بِمَعْزِلِ

يَلُومُونَنِي فِيهَا وَهُمْ قَدْ صَبَوْا بِهَا
وَمَنْ قَالَ لَا مِنْهُمْ فَغَيْرُ مُحَصِّلِ

خَرِيدَةُ حُسْنٍ قَدْ سَبَانِي جَمَالُهَا
قَدِيماً وَجِسْمِي بَيْنَ مَاءٍ وَصَلْصَلِ
تَنَزُّلُهَا مِنْ عَالَمِ ٱلْأَمْرِ وَٱلْهُدَىٰ
فَكُنْ مُهْتَدٍ كَيْمَا تَسُودَ وَتَعْتَلِي
وَتَشْهَدَ لِلّٰهِ ٱلْعَظِيمِ جَلَالَهُ
وَسُلْطَانَهُ فِي كُلِّ طَوْرٍ وَمَحْفَلِ
تَبَارَكَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَا
وَكُلِّ ٱلْبَرَايَا مِنْ أَخِيْرٍ وَأَوَّلِ
لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ٱلْمُطَاعُ فَمَا يَشَا
يَكُونُ عَلَىٰ وُفْقِ ٱلْمَشِيئَةِ يَا وَلِي
وَمَا لَمْ يَشَأْهُ لَا يَكُونُ بِلَا مِرَا
فَأَيْقِنْ وَجَانِبْ كُلَّ غَاوٍ مُضَلِّلِ

وَسَلْ رَبَّكَ ٱلْغُفْرَانَ وَٱلْعفْوَ وَٱلرِّضَا

وَمَـوْتـاً عَلَـى ٱلْإِسْـلَامِ خَتْـمَ مُهَلِّـلِ

إِذَا جَـاءَ فَتَّـانَـا ٱلْقُبُـورِ لِيَسْـأَلَا

فَقُـلْ رَبِّـيَ ٱللهُ ٱلْعَظِيـمُ وَمَـوْئِلِـي

وَقُلْ دِينِيَ ٱلْإِسْلَامُ وَٱلْهَادِيَ أَحْمَدٌ

نَبِيِّـي حَبِيـبُ ٱللهِ أَفْضَـلُ مُـرْسَـلِ

إِذَا بُعِـثَ ٱلْأَمْـوَاتُ لِلْفَصْـلِ وَٱلْقَضَـا

وَوَزْنٍ وَجِسْـرٍ هَـائِـلٍ وَمُقَلْقَـلِ

وَقُـلْ حَسْبِـيَ ٱللهُ ٱلْكَـرِيـمُ لِكُـلِّ مَـا

أَخَـافُ وَأَخْشَـىٰ إِذْ عَلَيْـهِ مُعَـوَّلِـي

وَعِنْـدَ وُرُودِي ٱلنَّـارَ أَرْجُـو نَجَـاتَـهُ

بِـرَحْمَتِـهِ وَٱللهُ خَيْـرُ مُـؤَمَّـلِ

وَلِلْمُتَّقِيـنَ ٱلْجَنَّـةُ ٱلْخُلْـدُ أُزْلِفَـتْ

وَفَـازُوا بِهَـا مِـنْ مَـاجِـدٍ مُتَفَضِّـلِ

فَـأَوْرَثَهُـمْ جَنَّـاتِـهِ وَنَعِيمَهَـا

بِمَـا عَمِلُـوا مِـنْ صَـالِـحٍ مُتَقَبَّـلِ

وَوَفَّقَهُـمْ لِلْخَيْـرِ ثُـمَّ أَثَـابَهُـمْ

بِرِضْوَانِهِ عَنْهُمْ وَبِٱلْمَوْطِنِ ٱلْعَلِي

بِهِ ٱلْقُرْبُ وَٱلْمُلْكُ ٱلَّذِي لَيْسَ يَنْقَضِي

مُصَفًّى مِنَ ٱلْأَكْدَارِ عَنْ كُلِّ مُشْغِلِ

وَرُؤْيَـةُ رَبِّ ٱلْعَـالَمِيـنَ هِـيَ ٱلْمُنَـىٰ

وَغَـايَـةُ قَصْـدِ ٱلْقَـاصِـدِينَ ٱلْمُكَمَّـلِ

مِـنَ ٱلْحُـورِ وَٱلْـوِلْـدَانِ زَوْجٌ وَخَـادِمٌ

وَمِـنْ ذَهَـبٍ وَٱلْـوَرْقِ قَصْـرٌ كَمَنْـزِلِ

وَأَنْهَارُهَا قَدْ فُجِّرَتْ وَعُيُونُهَا

وَفَاكِهَةٌ مِنْ كُلِّ قِطْفٍ مُذَلَّلِ

فَقُلْ يَا عِبَادَ ٱللهِ مِنْ كُلِّ مُؤْمِنٍ

تَقِيٍّ مُنِيبٍ خَاشِعٍ مُتَبَتِّلِ

هَلُمُّوا إِلَى ٱللهِ ٱلْكَرِيمِ وَأَسْرِعُوا

وَسِيرُوا عَلَى ٱلنَّهْجِ ٱلْقَوِيمِ ٱلْمُوَصِّلِ

وَإِيَّاكُمُ مِثْلِي فَإِنِّي مُخَلِّطٌ

وَقَدْ مَرَّ عُمْرِي كُلُّهُ فِي تَعَلُّلِ

وَفِي شَهَوَاتٍ لَيْسَ يُحْمَدُ غِبُّهَا

وَفِي غَفَلَاتٍ رُخْصَةِ ٱلْمُتَأَوِّلِ

وَلَٰكِنَّنِي أَرْجُو إِلَٰهِي وَخَالِقِي

وَإِنَّ ٱلرَّجَا فِي ٱللهِ حِصْنِي وَمَعْقِلِي

وَجَـاهِ رَسُـولِ ٱللهِ سَيِّـدِنَـا ٱلَّـذِي
أَتَـانَـا بِـآيَـاتِ ٱلْكِتَـابِ ٱلْمُنَـزَّلِ

عَلَيْـهِ صَـلَاةُ ٱللهِ ثُـمَّ سَـلَامُـهُ
وَآلٍ وَأَصْحَـابٍ كِـرَامٍ وَمَـنْ يَلِـي

مِـنَ ٱلتَّـابِعِيـنَ ٱلْمُحْسِنِيـنَ ٱتِّبَـاعَـهُ
وَأَتْبَـاعِهِـمْ فِـي عَـاجِـلٍ وَمُـؤَجَّـلِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٢/ ل)

قُـــلْ لِلَّـــذِي قَـــدْ لَامَنِـــي
دَعْنِـــي وَشَـــأْنِـــي يَـــا عَـــذُولْ

لَـــوْ كُنْـــتَ تَـــدْرِي مَـــا جَـــرَىٰ
مَـــا كُنْـــتَ تَنْهَـــىٰ يَـــا جَهُـــولْ

أَمَـــا تَـــرَىٰ جِسْمِـــي ٱلسَّقِيـــمْ
قَـــدْ شَفَّـــهُ دَاءُ ٱلنُّحُـــولْ

قُـــلْ لِـــي بِمَـــنْ هَـٰــذَا ٱلْعَنَـــا
وَذَا ٱلتَّصَـــابِـــي وَٱلـــذُّهُـــولْ

ٱللهُ حَسْبِـــي وَكَفَـــىٰ
قُـــلْ مَـــا تَشَـــا يَـــا ذَا ٱلْفُضُـــولْ

يَــا سَــاكِنِيــنَ سَــرَائِــرِي

عِنْــدِي لَكُــمْ صَفْــوُ ٱلْــوِدَادْ

مَلَّكْتُكُـــمْ يَــا سَــادَتِــي

زِمَــــامَ أَمْــــرِي وَٱلْقِيَــــادْ

لَا تُهْمِلُــوا مَــنْ قَــدْ غَــدَا

يَسْمُــو بِكُــمْ بَيْــنَ ٱلْعِبَــادْ

وَاقِــفْ عَلَــى ٱلْبَــابِ مُقِيــمْ

يَــرْجُــو ٱلسَّعَــادَةَ وَٱلْقَبُــولْ

اَللهُ حَسْبِــي وَكَفَــىٰ

قُــلْ مَــا تَشَــا يَــا ذَا ٱلْفُضُــولْ

* * *

هَبَّــتْ نُسَيْمَــاتُ ٱلْــوِصَــالْ

مِــنْ جَــانِــبِ ٱلْقُــدْسِ ٱلْعَلِــي

وَٱسْتَغْــرَقَــتْ أَنْــوَارُهَــا

عَــوَالِــمَ ٱلْقَلْــبِ ٱلْخَلِــي

عَمَّــا سِــوَىٰ مَعْبُــودِهِ

اَلْــوَاحِــدِ ٱلْحَــقِّ ٱلْــوَلِــي

وَكُــوشِفَــتْ أَسْــرَارُهُ

وَحَــلَّ فِــي بُــرْجِ ٱلْــوُصُــولْ

اَللهُ حَسْبِــي وَكَفَــىٰ

قُــلْ مَــا تَشَــا يَــا ذَا ٱلْفُضُــولْ

* * *

بَـــاتَ ٱلْمُحِـــبُّ مَـــعَ ٱلْحَبِيـــبْ

وَٱلْعَـــــاذِلُ ٱلْغَـــــافِـــلْ بَعِيـــــدْ

لَـــمْ يَـــدْرِ مَـــا شَـــأْنُ ٱلْهَـــوَىٰ

بَيْـــــنَ ٱلْمَـــــوَالِـــي وَٱلْعَبِيـــــدْ

يَـــــا وَيْحَـــــهُ مَـــــاذَا عَلَيْـــــهْ

لَـــوْ كَـــانَ يَعْـــرِفْ لِلسَّعِيـــــدْ

مَكَـــــانَـــــهُ مِـــــنْ رَبِّـــــهِ

وَٱللهُ يَعْلَـــــمُ مَـــــا يَقُـــــولْ

اَللهُ حَسْبِـــــي وَكَفَـــــىٰ

قُـــلْ مَـــا تَشَـــا يَـــا ذَا ٱلْفُضُـــولْ

* * *

مَــــاذَا يَقُـــولُ ٱلْمُنْكِـــرُونْ

فِيمَـــنْ لَـــهُ قَلْـــبٌ سَلِيـــمْ

عَلَـــىٰ جَمِيـــعِ ٱلْمُسْلِمِيـــنْ

وَقَصْـــدُهُ ٱلْمَـــوْلَـــى ٱلْكَـــرِيـــمْ

وَيَعْتَقِـــدْ فِـــي نَفْسِـــهِ

بِـــأَنَّـــهُ عَبْـــدٌ ذَمِيـــمْ

لَـــوْلَا عِنَـــايَـــةُ رَبِّـــهِ

لَكَـــانَ بَطَّـــالاً ضَلُـــولْ

اَللهُ حَسْبِـــي وَكَفَـــىٰ

قُـــلْ مَـــا تَشَـــا يَـــا ذَا ٱلْفُضُـــولْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٣/ ل)

لَيْسَ دِينُ ٱللهِ بِٱلْحِيَلِ
فَٱنْتَبِهْ يَا رَاقِدَ ٱلْمُقَلِ

يَا جَهُولَ ٱلْقَلْبِ فَارِغَهُ
أَنْتَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ فِي شُغُلِ

عِشْتَ فِي شَكٍّ وَفِي رِيَبٍ
غَارِقاً فِي لُجَّةِ ٱلْأَمَلِ

لَسْتَ تَدْرِي بِٱلْمَمَاتِ وَلَا
بِٱلَّذِي يَفْجَأُ مِنَ ٱلْأَجَلِ

وَٱلَّذِي بَعْدَ ٱلْمَمَاتِ مِنَ ٱلْـ
ـهَوْلِ وَٱلْأَفْزَاعِ وَٱلْوَجَلِ

ضَمَّـــــةِ ٱلْقَبْـــــرِ وَفِتْنَتُـــــهِ
ظُلَـــمٌ تَغْشَـــاكَ كَـــٱلظُّلَـــلِ

وَنَكِيـــــرُ ٱلْقَبْـــــرِ مُنْكَــــرُهُ
بِهِمَـــا زَيْـــغٌ لِـــذِي دَخَـــلِ

وَإِذَا مَـــا ٱلْمَـــرْءُ يُسْـــأَلُ عَـــنْ
عِلْمِـــهِ وَٱلْقَـــوْلِ وَٱلْعَمَـــلِ

يَـــوْمَ بَعْـــثِ ٱلْخَلْـــقِ مَحْشَـــرِهِمْ
لِـــلْإِلَـــهِ ٱلْحَـــقِّ خَيْـــرِ وَلِـــي

فَيُجَـــازِيهِـــمْ بِمَـــا عَمِلُـــوا
مِـــنْ خَفِـــيٍّ بَـــاطِـــنٍ وَجَلِـــي

فَجَـــزَاءُ ٱلظَّـــالِـــمِ ٱلْخَطِـــلِ
اَلْغَـــوِيْ ٱلْمَغْـــرُورِ بِـــٱلْمَهَـــلِ

لَيْــــسَ إِلَّا ٱلنَّـــارَ يَسْكُنُهَـــا

فِــــي عَـــذَابٍ غَيْـــرِ مُنْتَقِـــلِ

وَجَـــزَاءُ ٱلْمُحْسِـــنِ ٱلْــوَجِـلِ

اَلتَّقِـــيِّ ٱلصَّـــالِـــحِ ٱلْعَمَـــلِ

جَنَّـــةُ ٱلْفِـــرْدَوْسِ يَنْــزِلُهَـــا

فِــــي نَعِيـــمٍ دَائِـــمٍ خَضِـــلِ

يَنْظُـــرُ ٱلــرَّحْمَٰـــنَ يَشْهَـــدُهُ

وَيُجَـــاوِرْ خَـــاتَـــمَ ٱلــرُّسُـــلِ

أَحْمَـــدَ ٱلْمُخْتَـــارَ شَـــافِعَنَـــا

وَأَمِيـــرَ ٱلْمُـــؤْمِنِيـــنَ عَلِـــي

* * *

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ هٰذا البيت تذييلاً على الأبيات الَّتي أوَّلها:

يَا مَنْ يَرَىٰ مَدَّ ٱلْبَعُوضِ جَنَاحَهُ
فِــي ظُلْمَــةِ ٱللَّيْــلِ ٱلْبَهِيــمِ ٱلْأَلْيَــلِ

* * *

وَٱعْفُ بِفَضْلِكَ سَيِّدِي وَٱصْفَحْ عَنِ ٱلْـ
ـعَبْدِ ٱلْمُسِــيءِ ٱلْمُـذْنِــبِ ٱلْمُتَـذَلِّـلِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٤/ ل)

مَـرْحَبـاً بِـٱلشَّـادِنِ ٱلْغَـزِلِ
زَارَنِـي وَهْنـاً عَلَـىٰ مَهَـلِ
كَقَضِيـبِ ٱلْبَـانِ فِـي كُثُـبٍ
يَنْثَنِـي فِـي ٱلْحَلْـيِ وَٱلْحُلَـلِ
كُلَّمَـا هَـبَّ ٱلْجَنُـوبُ لَـهُ
سَحَـراً يَهْتَـزُّ كَـٱلثَّمِـلِ
هُـوَ مِـنْ كَـأْسِ ٱلصَّبَـا ثَمِـلٌ
لَيْـسَ كَـأْسَ ٱلْإِثْـمِ وَٱلـزَّلَـلِ
فَشَفَـىٰ نَفْسِـي بِـزَوْرَتِـهِ
مِـنْ جَمِيـعِ ٱلـدَّاءِ وَٱلْعِلَـلِ

عَطِـــرٌ فِـــي ثَغْـــرِهِ بَـــرَدٌ
لَـذَّ لِـي فِـي ٱلنَّهْـلِ وَٱلْعَلَـلِ
مَـــا أُحَيْـــلَاهُ وَأَلْطَفَـــهُ
رَائِـــقَ ٱلْإِقْبَـــالِ وَٱلْقُبَـــلِ
خُلْقُـــهُ مِثْـــلُ ٱلنَّسِيـــمِ إِذَا
رَقَّ فِـــي ٱلْإِبْكَـــارِ وَٱلْأُصُـــلِ
مَـــا بِـــهِ خُلْـــفٌ وَلَا مَلَـــلٌ
بِئْسَ حَـالُ ٱلْخُلْـفِ وَٱلْمَلَـلِ
فَـــرْعُـــهُ لَيْـــلٌ وَغُـــرَّتُـــهُ
قَمَـــرٌ يَصْطَـــادُ بِـــٱلْمُقَـــلِ
لَــمْ أَزَلْ فِـي حَـالِ عِشْـرَتِـهِ
نَـــازِلاً بِـــٱلْمَنْـــزِلِ ٱلْخَضِـــلِ

فَسَقَى ٱلرَّحْمَٰنُ مَعْهَدَهُ

بَيْنَ رَبْعِ ٱلْقَوْمِ وَٱلْجَبَلِ

وَسَقَى ٱلسَّاحَاتِ مُنْهَمِلٌ

غَدِقٌ فِي إِثْرِ مُنْهَمِلِ

يُضْحِيَ ٱلرَّبْعُ بِهِ خَصِباً

خَضِرَ ٱلْأَوْعَارِ وَٱلسَّهَلِ

مَرْبَعُ ٱلْأَحْبَابِ مِنْ قِدَمٍ

وَمَحَطُّ ٱلسَّادَةِ ٱلْأُوَلِ

مِنْ تَرِيمِ ٱلْخَيْرِ لَا بَرِحَتْ

فِي أَمَانِ ٱللهِ خَيْرِ وَلِي

اَلْإِلَٰهِ ٱلْحَقِّ خَالِقِنَا

جَلَّ عَنْ شِبْهٍ وَعَنْ مَثَلِ

وَأَمَانِ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمَدَنِي

أَحْمَدِ ٱلْأَمْلَاكِ وَٱلرُّسُلِ

خَيْرِ خَلْقِ ٱللهِ شَافِعِهِمْ

وَٱلْوَرَىٰ فِي غَايَةِ ٱلْوَجَلِ

وَأَمَانِ ٱلْعِتْرَةِ ٱلشُّرَفَا

مِنْ بَنِي ٱلزَّهْرَا وَآلِ عَلِي

وَبَنِي عَلْوِيٍّ قَادَتِنَا

جَامِعِيِّ ٱلْعِلْمِ وَٱلْعَمَلِ

وَحُمَاةِ ٱلْجَارِ مِنْ رَهَقٍ

وَأَذىً بِٱلْبِيضِ وَٱلْأَسَلِ

اَلْكِرَامِ ٱلْمُطْعِمِينَ لِمَنْ

أَمَّهُمْ فِي ٱلْخِصْبِ وَٱلْمَحْلِ

مِثْـلِ مَـوْلَانَـا ٱلْمُهَـاجِـرِ لُـذْ

بِـٱبْـنِ عِيْسَـى ٱلسَّيِّـدِ ٱلْبَطَـلِ

وَعُبَيْــــــدِ ٱللهِ يَتْبَعُــــــهُ

عَلَـوِيْ ٱلْمَـذْكُـورُ فِـي سُمَـلِ

وَعَلِــــيٌّ شَيْخُنَــــا وَأَتَـــىٰ

بِـٱلْإِمَـامِ ٱلْجَـامِـعِ ٱلْحَفِـلِ

وَٱلْفَقِيــهِ ٱلْحَبْــرِ عُمْــدَتِنَـا

وَٱلْعَفِيــفِ ٱلْمُحْسِــنِ ٱلْبَــذِلِ

لِمَــوَارِيــثِ ٱلــرَّسُــولِ حَــوَوْا

وَأَمِيــرِ ٱلْمُــؤْمِنِيــنَ عَلِــي

وَمِــنَ ٱلسِّبْطَيْــنِ قَــدْ وَرِثُــوا

ثُــمَّ كَــمْ حَبْــرٍ وَكَــمْ بَــدَلِ

مِـنْ أُصُـولٍ طُهِّـرَتْ وَزَكَـتْ

مِنْ جَمِيعِ ٱلرِّجْسِ وَٱلدَّخَلِ

وَفُـرُوعٍ قَـدْ نَمَـتْ وَسَمَـتْ

لِلْعُـلَا مِـنْ غَيْـرِ مَـا جَـدَلِ

هُـمْ أَمَـانُ ٱلْأَرْضِ مِـنْ فَـزَعٍ

وَهُـــدَاةُ الْخَلْـــقِ لِلسُّبُـــلِ

لُـذْ بِهِـمْ فِـي كُـلِّ نَـائِبَـةٍ

وَٱدْعُ ذَا ٱلْعَـرْشِ بِهِـمْ وَسَـلِ

وَصَـــــلَاةُ ٱللهِ دَائِمَـــــةً

تَتَغَشَّـىٰ خَـاتَـمَ ٱلـرُّسُـلِ

أَحْمَـدَ ٱلْهَـادِي وَعِتْـرَتَـهُ

مَـا شَـرَىٰ بَـرْقٌ عَلَـى ٱلْقُلَـلِ

وَتَغَنَّى ٱلْـوُرْقُ فِـي سَحَـرٍ
بِغُصُـونِ ٱلْبَـانِ وَٱلْأَثَـلِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٥/ ل)

يَــا آخِــذاً مِنِّــي بِــأَذْيَــالِــي
فِــي بُكَــرِي أَيْضــاً وَآصَــالِــي

مُثَبِّطــاً لِــي عَــنْ مُسَــارَعَتِــي
إِلَــىٰ حَبِيــبٍ حُبُّــهُ مَــالِــي

قَــدْ مَــازَجَ ٱلــدَّمَّ وِدَادِي لَــهُ
وَغَــاصَ فِــي لَحْمِــي وَأَوْصَــالِــي

وَصَــارَ أَقْصَــىٰ مَــا أُؤَمِّلُــهُ
وِصَــالُــهُ يَــا سَعْــدَ آمَــالِــي

أَنْــزَلْتُهَــا بَــابَ ٱلْكَــرِيــمِ وَلَــنْ
أَخْشَــىٰ انْقِطَــاعــاً بَعْــدَ إِنْــزَالِــي

إِلَيْـك عَنِّـي أَيُّهَـا ٱلْقَـالِـي
أَنْـتَ ٱلَّـذِي مَـا زِلْـتَ فِـي بَـالِـي
مُبَغَّضـاً أَهْـوَىٰ فِـرَاقَـك لِـي
فِـي كُـلِّ حَـلٍّ لِـي وَتَـرْحَـالِـي
أَكْـرَهُ عُـذَّالِـي وَأَنْـتَ لَهُـمْ
رَأْسٌ فَيَـا وَيْـلٌ لِعُـذَّالِـي
نَـارُ ٱلْأَسَـىٰ مِـنْ تَحْـتِ أَضْلُعِهِـمْ
تَصْلَـىٰ بِهَـا ٱلْأَجْـوَافُ فِـي ٱلْحَـالِ
وَفِـي ٱلْجَـزَا نَـارُ ٱلْجَحِيـمِ لَهُـمْ
وَمَـنْ يَتُـبْ مِنْهُـمْ لَـهُ مَـالِـي

* * *

يَــا عَــاذِلِــي دَعْ عَنْــكَ زَخْـرَفَــةً
أَتْعَبْــتَ فِيهَــا بَــالَــكَ ٱلْبَــالِــي
هَــلْ أَنْــتَ مِنِّــي حِيــنَ أَكْـرَمَنِــي
رَبِّــي قَــرِيــبٌ أَيُّهَــا ٱلْخَــالِــي
وَهَــــلْ رَأَتْ عَيْنَــــاكَ سِــــرّاً بِــــهِ
قَــدْ خَصَّنِــي مِــنْ بَيْــنِ أَشْكَــالِــي
أَوْ مَــا رَأَتْ رُوحِــي وَمَــا سَمِعَــتْ
مِــنْ غَيْبِــهِ فِــي ٱلْمَنْظَــرِ ٱلْعَــالِــي
مُــتْ إِنْ تَشَــأْ غَيْظــاً فَلَيْــسَ إِلَــىٰ
قَطْعِــي سَبِيــلٌ قَــدْ تَجَلَّــىٰ لِــي
وَقَــدْ حَمَــىٰ أَطْــرَافَ مَمْلَكَتِــي
بِــٱلْقَهْــرِ جَــلَّ ٱلْقَــاهِــرُ ٱلْــوَالِــي

لِـي مِنْـهُ عَيْـنٌ مِنْـكَ تَحْفَظُنِـي

بِـٱلْغَيْـبِ نِعْـمَ ٱلْحَـافِـظُ ٱلْكَـالِـي

لَا آمَـــنُ ٱلْمَكْـــرَ وَلَـٰكِنَّنِـــي

أُرِيــدُ أَنْ أَخْــزِيـكَ يَـا غَــالِـي

وَٱلــرِّفْـقُ أَوْلَـىٰ لَـوْ رَجَـوْتُـكَ يَـا

مُعَـــانِـدِي يَـــوْمـاً لِإِقْبَـالِـــي

أَخْشَــــىٰ إِلَـٰهِـــي وَأُؤَمِّلُـــــهُ

وَحُسْـــنُ ظَنِّـــي فِيــهِ أَوْلَـىٰ لِـي

وَحَسْبِـــيَ ٱللهُ تَعَـــالَـــىٰ عُـــلَاً

عَـــنْ قَــوْلِ ذِي إِفْــكٍ وَإِضْــلَالِ

لَا يُشْبِــهُ ٱلْعَــالَــمَ فِـــي ذَاتِــهِ

كَـــذَاكَ فِـــي وَصْـــفٍ وَأَفْعَــالِ

كَـــانَ وَلَا خَلْــقٌ فَـــأَوْجَـــدَهُـــمْ
وَعَمَّهُـــمْ مِنْـــهُ بِـــإِفْضَـــالِ
وَسَـــوْفَ يُفْنِيهِـــمْ وَيَبْعَثُهُـــمْ
بَعْـــدُ فَيَجْـــزِيهِـــمْ بِـــأَعْمَـــالِ
فَيُسْكِـــنُ ٱلطَّـــاغِيـــنَ دَارَ ٱلْبَـــلَا
اَلنَّـــارَ فِـــي خِـــزْيٍ وَأَنْكَـــالِ
وَٱلْمُتَّقِيـــنَ جَنَّـــةً وَلَهُـــمْ
فِيهَـــا نَعِيـــمٌ لَيْـــسَ بِـــٱلْبَـــالِ
يَـــرَوْنَـــهُ فِيهَـــا بِـــأَبْصَـــارِهِـــمْ
يَـــا لَـــكَ مِـــنْ فَـــوْزٍ وَإِقْبَـــالِ
يَـــا رَبِّ أَدْخِلْنَـــا بِفَضْلِـــكَ فِـــي
مَـــنْ تَـــرْتَضِـــي وَٱلصَّحْـــبِ وَٱلْآلِ

وَصَـــلِّ يَـــا رَبِّ عَلَـــىٰ أَحْمَـــدِ

نَبِيِّـــكَ ٱلْهَـــادِي بِـــإِجْـــلَالِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٦/ل)

يَــا رَبِّ يَــا عَــالِـمَ ٱلْحَــالْ
إِلَيْــــكَ وَجَّهْــــتُ ٱلآمَــــالْ
فَــٱمْنُــنْ عَلَيْنَــا بِــٱلإِقْبَــالْ
وَكُــنْ لَنَــا وَٱصْلِــحِ ٱلْبَــالْ

* * *

يَــا رَبِّ يَــا رَبَّ ٱلأَرْبَــابْ
عَبْــدُكْ فَقِيــرُكْ عَلَــى ٱلْبَــابْ
أَتَــىٰ وَقَــدْ بَــتَّ ٱلأَسْبَــابْ
مُسْتَــدْرِكــاً بَعْــدَ مَــا مَــالْ

* * *

يَــا وَاسِــعَ ٱلْجُــودِ جُــودَكْ
ٱلْخَيْــرُ خَيْــرُكْ وَعِنْــدَكْ
فَــوْقَ ٱلَّــذِي رَامَ عَبْــدُكْ
فَـأَدْرِكْ بِـرَحْمَتِكْ فِي ٱلْحَـالْ

* * *

يَــا مُــوجِــدَ ٱلْخَلْــقِ طُــرَّا
وَمُــوسِــعَ ٱلْكُــلِّ بِــرَّا
أَسْــأَلُــكَ إِسْبَــالْ سَتْــرَا
عَلَــى ٱلْقَبَــائِــحْ وَٱلْأَخْطَــالْ

* * *

يَــا مَــنْ يَــرَىٰ سِــرَّ قَلْبِــي
حَسْبِــي ٱطِّــلَاعُــكَ حَسْبِــي

فَـــٱمْـــحُ بِعَفْــوِكَ ذَنْبِـــي
وَٱصْلِـحْ قُصُـودِي وَٱلْأَعْمَـالْ

* * *

رَبِّ عَلَيْـــــكَ ٱعْتِمَــــادِي
كَمَـــا إِلَيْــــكَ ٱسْتِنَــــادِي
صِــــدْقــاً وَأَقْصَـــىٰ مُــرَادِي
رِضَــاؤُكَ ٱلــدَّائِــمُ ٱلْحَــالْ

* * *

يَـــا رَبِّ يَـــا رَبِّ إِنِّـــي
أَسْــأَلُـــكَ ٱلْعَفْــوَ عَنِّـــي
وَلَــمْ يَخِــبْ فِيــكَ ظَنِّـــي
يَـا مَـالِـكَ ٱلْمُلْـكِ يَـا وَالْ

* * *

أَشْكُـــو إِلَيْـــكَ وَأَبْكِـــيْ
مِـــنْ شُـــؤْمِ ظُلْمِـــي وَإِفْكِـــي
وَسُـــوءِ فِعْلِـــي وَتَـــرْكِـــي
وَشَهْـــوَةِ ٱلْقِيـــلِ وَٱلْقَـــالْ

* * *

وَحُـــبِّ دُنْيَـــا ذَمِيمَـــهْ
مِـــنْ كُـــلِّ خَيْـــرٍ عَقِيمَـــهْ
فِيهَـــا ٱلْبَـــلَايَـــا مُقِيمَـــهْ
وَحَشْـــوُهَـــا آفَـــاتْ وَٱشْغَـــالْ

* * *

يَـــا وَيْـــحَ نَفْسِـــي ٱلْغَـــوِيَّـــهْ
عَـــنِ ٱلسَّبِيـــلِ ٱلسَّـــوِيَّـــهْ

أَضْحَـــتْ تُـــرَوِّجْ عَلَـــيَّهُ
وَقَصْـــدُهَـــا ٱلْجَـــاهْ وَٱلْمَـــالْ

* * *

يَـــا رَبِّ قَـــدْ غَلَبَتْنِـــي
وَبِـــٱلْأَمَـــانِـــي سَبَتْنِـــي
وَفِـــي ٱلْحُظُـــوظِ كَبَتْنِـــي
وَقَيَّـــدَتْنِـــي بِـــٱلْأَكْبَـــالْ

* * *

قَـــدِ ٱسْتَعَنْتُـــكَ رَبِّـــي
عَلَـــىٰ مُـــدَاوَاةِ قَلْبِـــي
وَحَـــلِّ عُقْـــدَةِ كَـــرْبِـــي
فَـــٱنْظُـــرْ إِلَـــى ٱلْغَـــمِّ يَنْجَـــالْ

* * *

يَــا رَبِّ يَــا خَيْــرَ كَــافِــي
أَحْلِــلْ عَلَيْنَــا ٱلْعَــوَافِــي
فَلَيْــسَ شَــيْ ثَــمَّ خَــافِــي
عَلَيْــكَ تَفْصِيــلْ وَٱجْمَــالْ

* * *

يَــا رَبِّ عَبْــدُكْ بِبَــابِــكْ
يَخْشَــىٰ أَلِيــمَ عَــذَابِــكْ
وَيَــرْتَجِــي لِثَــوَابِــكْ
وَغَيْــثُ رَحْمَتِــكْ هَطَّــالْ

* * *

وَقَــدْ أَتَــاكَ بِعُــذْرِهْ
وَبِــٱنْكِسَــارِهْ وَفَقْــرِهْ

فَـــاْهْــــزِمْ بِيُسْــــرِكَ عُسْــــرِهْ

بِمَحْــضِ جُــودِكْ وَٱلْإِفْضَــالْ

* * *

وَٱمْنُــــنْ عَلَيْـــهِ بِتَـــوْبَـــهْ

تَغْسِلُــهُ مِــنْ كُــلِّ حَــوْبَــهْ

وَٱعْصِمْــهُ مِــنْ شَــرِّ أَوْبَــهْ

لِكُــلِّ مَــا عَنْــهُ قَــدْ حَــالْ

* * *

فَــأَنْــتَ مَــوْلَــى ٱلْمَــوَالِــي

ٱلْمُنْفَــــرِدْ بِــــٱلْكَمَــــالِ

وَبِــــٱلْعُلَــــىٰ وَٱلتَّعَــــالِــي

عَلَــوْتَ عَــنْ ضَــرْبِ ٱلْأَمْثَــالْ

* * *

جُــودُكْ وَفَضْلُــكْ وَبِــرُّكْ

يُــرْجَــىٰ وَبَطْشُــكْ وَقَهْــرُكْ

يُخْشَــىٰ وَذِكْــرُكْ وَشُكْــرُكْ

لَازِمْ وَحَمْــدُكْ وَٱلِٱجْــلَالْ

* * *

يَــا رَبِّ أَنْــتَ نَصِيــرِي

فَلَقِّنِــــي كُــــلَّ خَيْــــرِ

وَٱجْعَــلْ جِنَــانَــكْ مَصِيــرِي

وَٱخْتِــمْ بِــٱلِٱيمَــانْ ٱلَاجَــالْ

* * *

وَصَــلِّ فِــي كُــلِّ حَــالَــهْ

عَلَــىٰ مُــزِيــلِ ٱلضَّــلَالَــهْ

مَــنْ كَلَّمَتْــهُ ٱلْغَــزَالَــهْ

مُحَمَّــدِ ٱلْهَــادِي ٱلــدَّالْ

* * *

وَٱلْحَمْــــــدُ لِلّٰهِ شُكْــــرَا

عَلَــىٰ نِعَــمْ مِنْــهُ تَتْــرَىٰ

نَحْمَــدْهُ سِــرّاً وَجَهْــرَا

وَبِــٱلْغَــدَايَــا وَٱلَاصَــالْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٧/ ل)

يَا صَاحِبِي إِنَّ دَمْعِي ٱلْيَوْمَ يَنْهَمِلُ
عَلَى ٱلْخُدُودِ حَكَاهُ ٱلْعَارِضُ ٱلْهَطِلُ

وَفِي ٱلْفُؤَادِ وَفِي ٱلْأَحْشَاءِ نَارُ أَسىً
إِذَا أَلَمَّ بِهَا ٱلتَّذْكَارُ تَشْتَعِلُ

عَلَى ٱلْأَحِبَّةِ وَٱلْإِخْوَانِ إِذْ رَحَلُوا
إِلَى ٱلْمَقَابِرِ وَٱلْأَلْحَادِ وَٱنْتَقَلُوا

كُنَّا وَكَانُوا وَكَانَ ٱلشَّمْلُ مُجْتَمِعاً
وَٱلدَّارُ آهِلَةٌ وَٱلْحَبْلُ مُتَّصِلُ

حَدَا بِهِمْ هَاذِمُ ٱللَّذَّاتِ فِي عَجَلٍ
فَلَمْ يُقِيمُوا وَعَنْ أَحْبَابِهِمْ شُغِلُوا

وَلَـمْ يَعُـوجُـوا عَلَـىٰ أَهْـلٍ وَلَا وَلَـدٍ

كَـأَنَّهُـمْ لَـمْ يَكُـونُـوا بَيْنَهُـمْ نَـزَلُـوا

إِنِّـي لَأَعْجَـبُ لِلـدُّنْيَـا وَطَـالِبِهَـا

وَلِلْحَـرِيـصِ عَلَيْهَـا عَقْلُـهُ هَبِـلُ

وَغَـافِـلٍ لَيْـسَ بِـٱلْمَغْفُـولِ عَنْـهُ وَإِنْ

طَـالَ ٱلْمَـدَىٰ غَـرَّهُ ٱلْإِمْهَـالُ وَٱلْأَمَـلُ

نَـاسٍ لِـرِحْلَتِـهِ نَـاسٍ لِنُقْلَتِـهِ

إِلَـى ٱلْقُبُـورِ ٱلَّتِـي تَعْيَـا بِهَـا ٱلْحِيَـلُ

فِيهَـا ٱلسُّـؤَالُ وَكَـمْ هَـوْلٍ وَكَـمْ فِتَـنٍ

لِلْمُجْـرِمِـينَ أَنَّهُـمْ عَـنْ رَبِّهِـمْ غَفَلُـوا

وَفِـي ٱلْقُبُـورِ نَعِيـمٌ لِلتَّقِـيِّ كَمَـا

فِيهَـا ٱلْعَـذَابُ لِمَـنْ فِـي دِينِـهِ دَخَـلُ

قُـلْ لِلْحَـزِيـنِ ٱلَّـذِي يَبْكِـي أَحِبَّتَـهُ

إِبْـكِ لِنَفْسِـكَ إِنَّ ٱلْأَمْـرَ مُقْتَبِـلُ

فَسَوْفَ تَشْرَبُ بِٱلْكَأْسِ ٱلَّذِي شَرِبُوا

بِهَا بِهَـا إِنْ يَكُـنْ نَهْـلٌ وَإِنْ عَلَـلُ

فَـٱغْنَـمْ بَقِيَّـةَ عُمْـرٍ مَـرَّ أَكْثَـرُهُ

فِي غَيْرِ شَيْءٍ فَمَهْلاً أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ

أَمَا تَرَىٰ ٱلْقَوْمَ قَدْ رَاحُوا وَقَدْ ذَهَبُوا

مِـنْ مَعْشَـرٍ زَانَهُـمْ عِلْـمٌ بِـهِ عَمِلُـوا

مِنْ آلِ عَلَوِيٍّ سَادَاتِ ٱلْأَنَامِ مِنَ ٱلْـ

ـبَيْـتِ ٱلْمُطَهَّـرِ لَا شَـكٌّ وَلَا جَـدَلُ

كَانَتْ تَرِيمُ بِهِمْ تَزْهُو مَسَاجِدُهَا

وَدُورُهَـا وَكَـذَا ٱلْأَقْطَـارُ وَٱلسُّبُـلُ

تَبْكِــي إِذَا فُقِــدُوا مِنْهَــا وَحُــقَّ لَهَــا

إِذْ هُــمْ مَــرَاهِمُهَــا إِنْ خِيفَــتِ ٱلْعِلَــلُ

وَٱلْأَمْــنُ وَٱلْيُمْــنُ فِيهَــا لِلنَّــزِيــلِ بِهَــا

وَٱلْــوَارِدِيــنَ إِذَا جَــاؤُوا وَإِنْ قَفَلُــوا

مِثْلُ ٱلشَّرِيفِ ٱلْمُنِيفِ ٱلْهُنْدُوانِ شِهَا

بِ ٱلدِّينِ وَٱلْعِلْمِ نِعْمَ ٱلْخَاشِعُ ٱلْوَجِلُ

صَافِي ٱلسَّرِيرَةِ بَرَّاقُ ٱلْأَسِرَّةِ مَخْـ

ـفُوضُ ٱلْجَنَاحِ لِأَهْلِ ٱلْخَيْرِ مُبْتَذِلُ

مُعَمِّــرُ ٱلْــوَقْــتِ بِــٱلْأَوْرَادِ حَــافِظُــهُ

بِٱلْعِلْمِ وَالذِّكْرِ لَا عَجْزٌ وَلَا كَسَلُ

هُــوَ ٱلصَّفِــيُّ ٱلْــوَفِــيُّ ٱلْأَخُّ مِــنْ قِــدَمٍ

عَلَى ٱلصَّفَا وَٱلْوَفَا إِنْ شِئْتُمُ فَسَلُوا

اَلسَّيِّدُ ٱلْفَاضِلُ ٱبْنُ ٱلسَّادَةِ ٱلْفُضَلَا

اَلصَّالِحِينَ بِهِمْ حَيُّ ٱلْهُدَىٰ خَضِلُ

آهٍ عَلَيْـــهِ وَآهٍ بَعْـــدَهُ وَعَسَـــىٰ

يُثَبِّـــتُ ٱللهُ إِنَّ ٱلسَّفْـــرَ مُـــرْتَحِـــلُ

فَـــٱللهُ يَـــرْحَمُـــهُ وَٱللهُ يُكْـــرِمُـــهُ

وَيَـرْضَ عَنْـهُ وَجَنَّـاتُ ٱلْعُلَـىٰ نُـزُلُ

وَٱللهُ يَخْلُفُـهُ بِـٱلْخَيْـرِ فِـي عَقِـبٍ

مُبَـــارَكٍ وَذَوِي وِدٍّ بِـــهِ ثَكِلُـــوا

وَٱلْأَقْـرَبِيـنَ وَأَهْـلِ ٱلْقُطْـرِ أَجْمَعِهِـمْ

إِذْ فَقْـدُ أَمْثَـالِـهِ خَطْـبٌ لَـهُ زَعَـلُ

وَٱلْحَمْـــدُ لِلهِ لَا يَبْقَـــىٰ سِـــوَاهُ وَلَا

يُـــرْجَـىٰ سِـوَاهُ عَلَيْـهِ ٱلْكُـلُّ مُتَّكِـلُ

ثُمَّ ٱلصَّلَاةُ عَلَى ٱلْهَادِي مُحَمَّدٍ ٱلْـ

ـمَبْعُوثِ بِٱلْحَقِّ مَخْتُوماً بِهِ ٱلرُّسُلُ

وَٱلْآلِ وَٱلصَّحْبِ مَا لَاحَ ٱلصَّبَاحُ وَمَا

هَبَّ ٱلنَّسِيمُ فَمَالَ ٱلْبَانُ وَٱلْأَثَلُ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٨/ ل)

يَا سَعْدُ رَاحَ ٱلْوَفَا وَأَهْلُهْ وَرَاحَ ٱلْجَمِيلْ

وَرَاحُوا ٱلنَّاسْ ذِي كَانُوا هُدَاةَ ٱلسَّبِيلْ

وَذِي بِهِمْ يَصْلُحُ ٱلْفَاسِدْ وَيُشْفَى ٱلْعَلِيلْ

رِجَالْ كَانُوا هُمُ ٱلْعُدَّهْ لِحَمْلِ ٱلثَّقِيلْ

عَلَى ٱلْهُدَىٰ وَٱلنَّدَىٰ وَٱلْخِيْرْ كَانُوا دَلِيلْ

اَلظِّلِّ وَٱلْبَارِدِ ٱلصَّافِي بِحَرِّ ٱلْمَقِيلْ

وَكَانْ فِيهِمْ غِنَى ٱلْمُعْدَمْ وَعِزُّ ٱلذَّلِيلْ

وَفِيهِمِ ٱلْغُوثْ لِلْمَلْهُوفْ وَٱلْمُسْتَقِيلْ

صَارُوا إِلَى ٱللهْ نِعْمَ ٱلرَّبُّ نِعْمَ ٱلْوَكِيلْ

وَلَيْسْ فِي ٱلنَّاسْ بَعْدَ ٱلْقَوْمْ مِنْهُمْ بَدِيلْ

لِلَّهِ مِـــنْ عَبْـــرَهْ وَدَمْعَـــهْ تَسِيـــلْ

وَمِـنْ تَحَسُّـرْ عَلَيْهِـمْ لَيْـسَ يَشْفِـي غَلِيـلْ

وَلَا يَـرُدُّ ٱلَّـذِي قَـدْ فَـاتْ حُـزْنَ أَوْ عَـوِيـلْ

وَٱلصَّبِـرْ أَبْقَـىٰ وَأَتْقَـىٰ لِـلْإِلَـٰـهِ ٱلْجَلِيـلْ

وَإِنْ تَقُـلْ كِيْـفْ حَـالِ ٱلْمَنْـزِلَـهْ وَٱلنَّـزِيـلْ

وَكِيْـفْ حَـالِ ٱلْمَـرَابِـعْ وَٱلـرُّبَـا وَٱلْمَسِيـلْ

بَعْدَ ٱلَّذِي قَدْ تَفَانَوْا جِيلْ مِنْ بَعِدْ جِيلْ

فَمَـا بَقِـي شَـيْ وَلَـٰكِـنْ سِتْـرْ رَبَّـكْ جَمِيـلْ

وَظَنُّنَـا فِيـهْ سُبْحَـانَـهْ وَأَمَلْنَـا طَـوِيـلْ

نَـرْجُـوُهْ يَـرْحَـمْ وَيَغْفِـرْ كُـلَّ ذَنْـبٍ ثَقِيـلْ

وَيَجْبُـرُ ٱلْكَسِـرْ فَهْـوَ ٱلْمُـرْتَجَـىٰ وَٱلْكَفِيـلْ

وَٱلْمُحْسِنُ ٱلْمُنْعِمُ ٱلْمُفْضِلْ وَمُعْطِي ٱلْجَزِيلْ

تَمَّتْ وَصَلُّوا عَلَى ٱلْمُخْتَارْ هَادِي ٱلسَّبِيلْ

وَٱلْآلْ وَٱلصَّحِبْ فِـي غَـدْوَاتِهَـا وَٱلْأَصِيـلْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٩/ ل)

يَــا نَسِيــمْ ٱلْأَطْــلَالْ

إِنْ جُزْتَ بِٱللهْ حَيِّ رَبَّةَ ٱلْخَالْ

طَــابْ مِنِّــي ٱلْبَــالْ

لَمَّا تَنَشَّقْ رُوحَكَ ٱلَّذِي مَالْ

مِنُــهْ غُصُــنْ مَيَّــالْ

فِي وَسْطِ قَلْبِي لَا ذَوَىٰ وْلَا زَالْ

يَــا نَسِيــمْ قَــدْ طَــالْ

شَوْقِي وَحَالِي مِنْ بِعَادِهَا حَالْ

فصل

بُغْيَـــــةُ ٱلْمُتَيَّـــــمْ

عَقْلِي بِهَا طُولَ ٱلزَّمَانْ مُغْرَمْ

حُبُّهَـــــا تَحَكَّـــــمْ

وَمَازَجَ ٱللَّحْمْ وَٱلْعِظَامْ وَٱلدَّمْ

شَــــأْنُهَــــا مُعَظَّـــمْ

لَوْ شَاهَدَ ٱلْكَافِرْ جَمَالَهَا ٱسْلَمْ

مَــــا بِهَــــا تِبْـــدَّالْ

هِيْ مَطْلَبِي فِي صَدِّهَا وَٱلِٱقْبَالْ

فَصْلٌ

كَعْبَـــةَ ٱلْمَحَـــاسِـــنْ
مَا خِلْتُ قَلْبِي عَنْ لِقَاكِ سَاكِنْ
ضَـــاقَـــتِ ٱلْمَسَـــاكِـــنْ
عَلِيْهْ حَتَّىٰ مَـلَّ مَـنْ يُسَـاكِـنْ
يَـــا عَـــذُولْ بَـــائِـــنْ
فَـإِنَّنِـي لِلْعَـذِلْ غِيْـرْ رَاكِـنْ
أَنْـــتَ وَٱلنَّبِـــي زَالْ
فِي عَذْلْ مِثْلِي عَاجَلَتْكَ ٱلَاجَالْ

* * *

فصل

يَـــا رَفِيـــقْ سَـــاعِـــدْ

وَسِرْ بِنَا حَتَّىٰ عَسَىٰ نُشَاهِدْ

وَنَـــرَى ٱلْمَعَـــاهِـــدْ

وَنَنْظُـرَ ٱلْأَعْـلَامَ وَٱلْمَشَـاهِـدْ

مُنْتَهَـــى ٱلْمَقَـــاصِـــدْ

يَوْمَ ٱنْتَهَاضَكْ لِلرُّبُوعْ قَاصِدْ

سِـــرْ وَخَلِّـــفْ ٱلْمَـــالْ

وَٱلْأَهِلْ خَلْفَ ٱلظَّهِرْ لَا تَكُنْ ذَالْ

* * *

فَصْلٌ

مَــــنْ هَــــوِيْ يُخَــــاطِــــرْ

بِٱلْكُلِّ فِي ٱلْمَحْبُوبْ لَا يُحَاذِرْ

فِــــي ٱلْهَــــوَىٰ مَعَــــاسِــــرْ

لَـٰكِنَّهَــا أَنْــوَارْ لِلسَّــرَائِــرْ

لِيْــــسْ ثَــــمَّ خَــــاسِــــرْ

اَلْكُــلُّ رَابِــحْ وَاصِــلٌ وَسَــائِــرْ

ذِهْ سَبِيــــــلْ ٱلْأَبْــــــدَالْ

اَلْأَوْلِيَا أَهْلِ ٱلصَّفَا وَٱلْأَحْوَالْ

* * *

وقال رضي الله عنه :

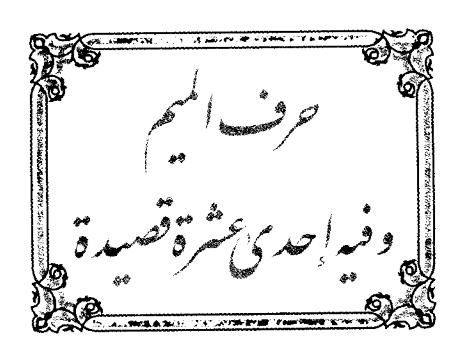
يَـــا مَـــنْ أُرَجِّـــي فَيْــضَ فَضْلِـــهْ

وَأَخَـــافُ مِـــنْ سَطْـــوَاتِ عَـــدْلِـــهْ

مَـــا لِـــي سِـــوَاكَ فَـــلَا تَكِلْنِـــي

يَـــا مَـــنْ لَـــهُ ٱلْخَلْـــقُ وَٱلْأَمْـــرُ كُلُّـــهْ

* * *



وقال رضي الله عنه : (١/م)

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَىٰ كُلِّ مَا
أَوْلَىٰ مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ وَٱلنِّعَمِ

سُبْحَانَهُ أَمْطَارُ رَحْمَتِهِ
يَقْدُمُهَا نَشْرٌ مِنَ ٱلْكَرَمِ

يَشْتَمُّهُ ٱلْمَغْمُومُ فِي غَمِّهِ
فَيَجِدُ ٱلرَّوْحَ مِنَ ٱلْغُمَمِ

وَيُبْصِــرُ ٱلْمَحْجُــوبُ مِــنْ نُــورِهَــا
شَيْئــاً فَيُخْــرِجُــهُ مِــنَ ٱلظُّلَــمِ

وَإِنْ أَصَــابَ ٱلْبَــلُّ مِــنْ مَــائِهَــا
قَلْبــاً صَــدِيْ يَخْضَــرُّ بِــٱلْحِكَــمِ

تَعَــرَّضُــوا فِــي كُــلِّ وَقْــتٍ لَهَــا
وَرَابِطُــوا وَٱسْمُــوا مَــعَ ٱلْهِمَــمِ

وَٱسْعَــوْا إِلَــى ٱللهِ وَلَا تَكْسَلُــوا
بِــٱلْقَلْــبِ وَٱلْعَيْنَيْــنِ وَٱلْقَــدَمِ

مَــنْ عَــرَفَ ٱللهَ صَفَــا قَلْبُــهُ
وَعَــاشَ مَحْفُــوظــاً مِــنَ ٱلتُّهَــمِ

مُــرَوَّحــاً مِــنْ هَــمِّ تَــدْبِيــرِهِ
مُسْتَمْسِكــاً بِــٱللهِ مُعْتَصِــمِ

الصَّـــدْرُ مَشْــرُوحٌ وَفِـــي سِـــرِّهِ

أُنْـــسٌ فَـــلَا يُـــوحَـــشْ وَلَا يُضَـــمِ

تَبَـــارَكَ ٱلـــرَّحْمَـٰـــنُ فِـــي مَجْـــدِهِ

قَـــدْ عَـــمَّ بِـــٱلْأَرْزَاقِ وَٱلْقِسَـــمِ

يُـــدَبِّـــرُ ٱلْأَشْيَـــا بِـــلَا فِكْـــرَةٍ

لَـــوْ لَـــمْ يُقِمْهَـــا لَـــمْ تَكُـــنُ تَقُـــمِ

وَهْـــوَ ٱلَّـــذِي قَـــدْ كَـــانَ أَوْجَـــدَهَـــا

جَمِيعَهَـــا طُـــرّاً مِـــنَ ٱلْعَـــدَمِ

أَشْهَـــدُ أَنَّ ٱللهَ حَـــيٌّ قَـــدِيـــرْ

لَـــهُ ٱلْبَقَـــاءُ ٱلْحَـــقُّ كَـــٱلْقِـــدَمِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢/م)

سَـــلَامٌ سَــلَامٌ كَمِسْــكِ ٱلْخِتَـامْ
عَلَيْكُــمْ أُحَيْبَــابَنَــا يَــا كِـــرَامْ
وَمَــنْ ذِكْـرُهُـمْ أُنْسُنَـا فِـي ٱلظَّـلَامْ
وَنُــورٌ لَنَــا بَيْــنَ هَـٰـذَا ٱلْأَنَــامْ

* * *

سَكَنْتُـــمْ فُــؤَادِي وَرَبِّ ٱلْعِبَــادْ
وَأَنْتُــمْ مَـرَامِـي وَأَقْصَـى ٱلْمُـرَادْ
فَهَــلْ تُسْعِــدُونِــي بِصَفْــوِ ٱلْــوِدَادْ
وَهَــلْ تَمْنَحُــونِـي شَـرِيـفَ ٱلْمَقَـامْ

* * *

أَنَــا عَبْـدُكُــمْ يَــا أُهَيْــلَ ٱلْــوَفَــا
وَفِــي قُــرْبِكُــمْ مَــرْهَمِــي وَٱلشِّفَــا
فَــلَا تُسْقِمُــونِــي بِطُــولِ ٱلْجَفَــا
وَمُنُّــوا بِــوَصْــلٍ وَلَــوْ فِــي ٱلْمَنَــامْ

* * *

أَمُــــوتُ وَأَحْيَــــا عَلَــىٰ حُبِّكُــــمْ
وَذُلِّــي لَــدَيْكُــمْ وَعِــزِّي بِكُــمْ
وَرَاحَــاتُ رُوحِــي رَجَــا قُــرْبِكُــمْ
وَعَــزْمِــي وَقَصْــدِي إِلَيْكُــمْ دَوَامْ

* * *

فَــلَا عِشْــتُ إِنْ كَــانَ قَلْبِــي سَكَــنْ
إِلَــى ٱلْبُعْــدِ عَــنْ أَهْلِــهْ وَٱلْــوَطَــنْ

وَمَـنْ حُبُّهُـمْ فِـي ٱلْحَشَـا قَـدْ قَطَـنْ
وَخَــامَــرَ مِنِّــي جَمِيــعَ ٱلْعِظَــامْ

* * *

إِذَا مَــرَّ بِــٱلْقَلْــبِ ذِكْــرُ ٱلْحَبِيــبْ
وَوَادِي ٱلْعَقِيـــقِ وَذَاكَ ٱلْكَثِيـــبْ
يَمِيــلُ كَمَيْــلِ ٱلْقَضِيــبِ ٱلــرَّطِيــبْ
وَيَهْتَــزُّ مِــنْ شَــوْقِــهِ وَٱلْغَــرَامْ

* * *

أَمُـــوتُ وَمَـــا زُرْتُ ذَاكَ ٱلْفِنَـــا
وَتِلْـــكَ ٱلْخِيَـــامَ وَفِيهَـــا ٱلْمُنَـــىٰ
وَلَـــمْ أَدْنُ يَـــوْمـــاً مَـــعَ مَـــنْ دَنَـــا
لِلَثْـــمِ ٱلْمُحَيَّـــا وَشُـــرْبِ ٱلْمُـــدَامْ

* * *

لَئِـــنْ كَـــانَ هَـٰـذَا فَيَـــا غُـــرْبَتِـــي

وَيَـا طُـولَ حُـزْنِـي وَيَـا كُـرْبَتِـي

وَلِـــي حُسْـــنُ ظَـــنٍّ بِـــهِ قُـــرْبَتِـــي

بِـــرَبِّـــي وَحَسْبِـــي بِـــهِ يَـــا غُـــلَامْ

* * *

عَسَـــى ٱللهُ يَشْفِـــي غَلِيـــلَ ٱلصُّـــدُودْ

بِـوَصْـلِ ٱلْحَبَـايِـبْ وَفَـكِّ ٱلْقُيُـودْ

فَـــرَبِّـــي رَحِيـــمٌ كَـــرِيـــمٌ وَدُودْ

يَجُـــودُ عَلَـــىٰ مَـــنْ يَشَـــا بِـــٱلْمَـــرَامْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٣/ م)

عَلَىٰ رِيمِ وَادِي ٱلرَّقْمَتَيْنِ سَلَامِي
وَحَسْبِي بِهِ فِي رِحْلَتِي وَمُقَامِي

مِنَ ٱلْغَانِيَاتِ ٱلقَاصِرَاتِ مُحَجَّبٍ
بَعِيدِ ٱلْمَرَامِي لَا يُرَامُ لِرَامِي

عَزِيزَةُ وَصْلٍ قَدْ سَبَانِي جَمَالُهَا
بِحُسْنٍ وَإِحْسَانٍ وَرَعْيِ ذِمَامِي

وَقَدٍّ كَغُصْنِ ٱلْبَانِ يَحْكِي ٱعْتِدَالَهُ
وَوَجْهٍ كَبَدْرِ ٱلتِّمِّ تَحْتَ ظَلَامِ

وَخَدٍّ شَقِيقِ ٱلْوَرْدِ فِي وَجَنَاتِهِ
وَطَرْفٍ بِهِ سِحْرٌ وَرَشْقُ سِهَامِ

وَثَغْـرٍ يَفُـوحُ ٱلْمِسْـكُ مِـنْ لَهَـوَاتِـهِ

بِــهِ سَلْسَبِيــلٌ خَيْــرُ كُــلِّ مُــدَامِ

وَجِيدٍ كَإِبْرِيقٍ مِنَ ٱلْوَرْقِ خَالِصٍ

وَصَــدْرٍ بِــهِ رُمَّــانَــةُ ٱلْمُتَنَـامِـي

وَخَصْرٍ طَوَاهُ ٱلْخَمْصُ عَنْ إِخْتِيَارِهِ

وَأَحْشَــاءَ لَــمْ تُغْــنَ بَـأَكْـلِ طَعَـامِ

فَلَا تَغْرَقَنْ فِي وَصْفِ حَوْرَا كَأَنَّهَا

مِنَ ٱلْقَاصِرَاتِ ٱلطَّرْفِ جَوْفَ خِيَامِ

نَمَتْهَا ٱلْقُرُومُ ٱلصِّيدُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

إِذَا ٱنْتَسَبَــتْ جَـاءَتْ بِكُـلِّ هُمَـامِ

مِنَ ٱلْفَاطِمِيِّينَ ٱلدُّعَاةِ إِلَى ٱلْهُدَىٰ

قَـدِ ٱنْتَهَجُـوا فِـي نَهْـجِ خَيْـرِ إِمَـامِ

نَبِيِّ ٱلْهُدَىٰ بَحْرِ ٱلنَّدَىٰ سَيِّدِ ٱلْوَرَىٰ
وَسَامِي ٱلذُّرَى ٱلْمَاحِي لِكُلِّ ظَلَامِ

وَخَيْـرِ وَصِـيٍّ بَعْـدَهُ وَٱبْـنِ عَمِّـهِ
عَلِـيٍّ ٱلـرِّضَـى ٱلْجَـالِـي لِكُـلِّ قَتَـامِ

وَحَمْزَةَ وَٱلْعَبَّاسِ مَعْ جَعْفَرٍ أَخِي ٱلْـ
ـجَنَـاحَيْـنِ طَيَّـارٍ بِـدَارِ مُقَـامِ

وَجَـاءَتْ بِـأُمِّ ٱلْمُـؤْمِنِيـنَ خَـدِيجَـةٍ
وَزَهْـرَا ٱلْعُـلَا تَعْلُـو بِمِسْـكِ خِتَـامِ

وَسِبْطَـيْ رَسُـولِ ٱللهِ مَـعْ زَيْـنِ عَـابِـدٍ
وَبَـاقِـرِهِـمْ وَٱلصَّـادِقِ ٱلْمُتَسَـامِـي

وَعَـزِّزْ بِنُـورِ ٱلـدِّيـنِ ثُـمَّ بِنَجْلِـهِ
وَعِيسَـىٰ يَلِيـهِ ٱلسَّيِّـدُ ٱلْمُتَحَـامِـي

تَحَامَىٰ عَنِ ٱلدُّنْيَا وَهَاجَرَ فَارّاً
إِلَىٰ ٱللهِ وَٱلْأَحْدَاثُ ذَاتُ ضِرَامِ

مِنَ ٱلْبَصْرَةِ ٱلْخَضْرَاءِ يَخْتَرِقُ ٱلْقُرَىٰ
وَيُلْحِقُ أَغْوَاراً لَهَا بَآكَامِ

إِلَىٰ أَنْ أَتَى ٱلْوَادِيْ ٱلْمُبَارَكَ فَٱرْتَضَىٰ
وَمَدَّ بِهِ أَطْنَابَهُ لِخِيَامِ

فَأَصْبَحَ فِيهِ ثَاوِياً مُتَوَطِّناً
بِذُرِّيَّةٍ مَزْمُومَةٍ بِزِمَامِ

مِنَ ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَحُسْنِ شَمَائِلِ
كِرَامُ ٱلسَّجَايَا أَرْدَفَتْ بِكِرَامِ

بِهِمْ أَصْبَحَ ٱلْوَادِي أَنِيساً وَعَامِراً
أَمِيناً وَمَحْمِيّاً بِغَيْرِ حُسَامِ

وَجَـــاءَ عُبَيْـــدُ ٱللهِ لَا يَـــأْلُ أُسْـــوَةً

بِـــوَالِـــدِهِ ٱلـــرَّاقِـــي لِكُـــلِّ سَنَـــامِ

وَسَـــارَ عَلَـــىٰ آثَـــارِهِـــمْ عَلَـــوِيُّهُـــمْ

وَبَصْـــرِيُّهُـــمْ جَـــدُّ ٱلتَّقِـــيْ بِسَـــلَامِ

كَـذَاكَ جَـدِيـدٌ جَـدُّ حَـافِـظِ عَصْـرِهِ

عَلِـيٍّ ٱلْمَعَـالِـي لِلشَّـرِيعَـةِ حَـامِـي

وَجَـاءَ جَمَـالُ ٱلـدِّيـنِ يَتْلُـو أَبـاً لَـهُ

وَجَـــا عَلَـــوِيٌّ بَعْـــدَهُ بِنَـــوَامِي

وَبِـٱلشَّـيْـخِ مَـنْ رَدَّ ٱلـرَّسُـولُ سَـلَامَـهُ

وَكَـــانَ يُصَلِّـــي هَـٰكَـــذَا بِـــدَوَامِ

وَصَـاحِـبُ مِـرْبَـاطٍ إِمَـامٌ وجَـامِـعٌ

تَفَـــرَّعَ مِنْـــهُ أَصْـــلُ كُـــلِّ إِمَـــامِ

كَمِثْلِ ٱلْفَقِيهِ ٱلْحَبْرِ يَقْدُمُ قَوْمَهُ
وَعَمَّيْهِ وَٱلنَّجْلِ ٱلْغَيُورِ أَسَامِي

أَتَانَا بِنُورِ ٱلدِّينِ ثُمَّ عَفِيفِهِ
جَوَادٍ كَهَتَّانِ ٱلْغَمَائِمِ هَامِي

وَذِي ٱلنُّورِ وَٱلْأَسْرَارِ صَاحِبِ يَبْحَرٍ
مُحَوِّطِهَا مِنْ شَرِّ كُلِّ حَرَامِ

وَبِٱلْعَارِفِ ٱلسَّقَّافِ شَيْخٍ مُعَظَّمٍ
وَقُطْبٍ مَكِينٍ حَازَ كُلَّ مَقَامِ

وَبِٱلْفَخْرِ وَٱلْمِحْضَارِ أَكْرِمْ بِسَادَةٍ
هُدَاةٍ وَمَهْدِيِّينَ سُبْلَ سَلَامِ

وَبِٱلْعَيْدَرُوسِ ٱسْتَاذِنَا وَبِصِنْوِهِ
بِبَحْرَيْ هُدىً لِلْمَكْرُمَاتِ طَوَامِي

أَوْلَـٰئِـــكَ وُرَّاثُ ٱلنَّبِـــيِّ وَرَهْطُـــهُ

وَأَوْلَادُهُ بِـــٱلـــرَّغْـــمِ لِلْمُتَعَـــامِـــي

مَـــوَارِيثُهُـــمْ فِينَـــا وَفِينَـــا عُلُـــومُهُـــمْ

وَأَسْـــرَارُهُـــمْ فَلْيَسْـــأَلِ ٱلْمُتَـــرَامِـــي

إِذَا جَـاءَ بِـٱلصِّـدْقِ ٱلَّـذِي هُـوَ سُلَّـمٌ

إِلَـــىٰ كُـــلِّ خَيْـــرٍ نَـــالَ كُـــلَّ مَـــرَامِ

وَكَمْ حِكْمَةٍ عَنْهُمْ وَحُكْمٍ وَكَمْ وَكَمْ

نَـــوَامِيـــسِ قَهْـــرٍ لِلطُّغَـــاةِ رَوَامِـــي

يُـرِيـدُونَ أَنْ يُطْفُـوا بِـأَفْـوَاهِ زُورِهِـمْ

مَصَـــابِيـــحَ نُـــورٍ قَـــدْ مَحَـــتْ لِظَـلَامِ

مِنَ ٱلسَّلَفِ ٱلْمَاضِينَ وَٱلْخَلَفِ ٱلَّذِي

ذَكَـــرْنَـــا كِـــرَامـــاً أَعْقَبَـــتْ بِكِـــرَامِ

وَإِنَّــا عَلَــىٰ آثَــارِهِــمْ وَسَبِيلِهِــمْ

وَمَــا نَحْــنُ عَــنْ حَــقٍّ لَهُــمْ بِنِيَــامِ

مُقِرِّينَ بِٱلتَّقْصِيرِ عَنْ شَأْوِ مَجْدِهِمْ

وَحُسْــنِ مَسَــاعِيهِــمْ بِكُــلِّ مَقَــامِ

وَلَٰكِنَّهُــمْ آبَــاؤُنَــا وَأُصُــولُنَــا

وَأَسْــلَافُنَــا مِمَّــنْ مَضَــىٰ بِسَــلَامِ

وَمِنَّــا إِمَــامٌ حَــانَ حِيــنُ خُــرُوجِــهِ

يَقُــومُ بِــأَمْــرِ ٱللهِ خَيْــرَ قِيَــامِ

فَيَمْلَــؤُهَــا بِــٱلْحَقِّ وَٱلْعَــدْلِ وَٱلْهُــدَىٰ

كَمَــا مُلِئَــتْ جَــوْراً بِظُلْــمِ طَغَــامِ

إِذَا قَــامَ قُمْنَــا وَٱلْمُــوَفِّــقُ رَبُّنَــا

بِنُصْــرَتِــهِ إِنْ رَاثَ حِيــنُ حِمَــامِ

وَإِلَّا فَنَـرْجُـو أَنْ يَقُـومَ بِنَصْـرِهِ
فُـرُوعٌ مِـنَ ٱلْبَيْـتِ ٱلْمَصُـونِ نَـوَامِـي

وَلِلَّهِ رَبِّـي ٱلْحَمْـدُ وَٱلشُّكْـرُ وَٱلثَّنَـا
عَلَـىٰ نِعَـمٍ مَشْكُـورَةٍ بِـدَوَامِ

وَنَسْـأَلُ مَـوْلَانَـا تَبَـارَكَ إِسْمُـهُ
ثَبَـاتـاً وَتَـأْيِيـداً وَحُسْـنَ خِتَـامِ

وَتَمَّـتْ وَصَلَّـى ٱللَّهُ أَزْكَـىٰ صَـلَاتِـهِ
عَلَـىٰ أَحْمَـدٍ مَـا ٱنْهَـلَّ وَدْقُ غَمَـامِ

وَمَا غَرَّدَتْ وُرْقٌ عَلَىٰ غُصْنِ دَوْحَةٍ
وَمَـا لَاحَ بَـرْقُ ٱلنَّجْـدِ جُنْـحَ ظَـلَامِ

وَآلٍ وَأَصْحَـابٍ وَمَـنْ كَـانَ تَـابِعـاً
عَلَـى ٱلْبِـرِّ وَٱلتَّقْـوَىٰ وَحِفْـظِ ذِمَـامِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٤/م)

قُـلْ لِأَحْبَـابِنَـا بِسُـوحِ ٱلْمَقَـامِ
وَبِحِجْـرِ ٱلنَّـدَىٰ وَنَـادِي ٱلْكِـرَامِ

وَبِـرَبْـعِ ٱلصَّفَـا وَأَجْيَـادِ جُـودِ ٱللّٰـ
ـهِ بِـٱلْمُـرْتَجَـىٰ عَلَـى ٱلْأَقْـوَامِ

هَـلْ لِأَيَّـامِنَـا وَهَـلْ لِلَيَـالٍ
قَـدْ تَقَضَّـتْ مِـنْ عَـوْدَةٍ بِسَـلَامِ

بِحِمَـاكُـمْ حَمَـاهُ مِـنْ كُـلِّ سُـوءٍ
رَبُّنَـا ذُو ٱلْجَـلَالِ وَٱلْإِكْـرَامِ

وَسَقَـاهُ هَـوَاطِـلَ ٱلسُّحْـبِ سَحّـاً
بِـٱلْغُـدُوِّ وَبِـٱلْعَشِـيْ وَٱلظَّـلَامِ

وَأَقَامَ بِهِ شَعَائِرَ ٱلدِّينِ الْـ
ـمُرْتَضَى عِنْدَهُ لِكُلِّ ٱلْأَنَامِ

أَيُّ حِينٍ وَأَيُّ عَيْشٍ تَقَضَّىٰ
بَيْنَ تِلْكَ ٱلرُّبُوعِ وَٱلْأَعْلَامِ

فِي مَوَاطِنْ قَدْ بَارَكَ ٱللهُ فِيـ
ـهَا لِأَهْلِ ٱلْقُرْآنِ وَٱلْإِسْلَامِ

حَرَمُ ٱللهِ بَلَدُ ٱللهِ بَيْتُ ٱللَّـ
ـهِ ٱلْعَتِيقُ ٱلْحَرَامُ طُولَ ٱلدَّوَامِ

قِبْلَةُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ وَجْهٍ
أَمَّهُ لِلصَّلَاةِ كُلُّ إِمَامِ

كَطَوَافٍ بِهِ طَوَافُ ٱلْأَمْلَاكِ حَوْ
لَ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ لِلْإِعْظَامِ

وَكَبَيْـــتِ ٱللهِ ٱلْمَعْمُــورِ مِنْ فَــوْ

قَ ٱلطِّبَاقِ فِي ٱلتَّشْرِيفِ وَٱلْإِلْمَامِ

أَيُّ عَيْشٍ يَطِيبُ فِي ٱلْبُعْدِ عَنْهُ

لِمُحِـــبٍّ مُتَيَّـــمٍ مُسْتَهَـــامِ

شَيِّقِ ٱلْقَلْبِ وَٱلْفُؤَادِ حَلِيفِ ٱلْـ

ـحُزْنِ وَٱلسُّهْدِ وَٱلضَّنَا وَٱلسِّقَامِ

بَيْنَ جَنْبَيْهِ لَاعِجٌ لَيْسَ يَهْدَا

مِنْ شُجُونٍ وَلَوْعَةٍ وَغَرَامِ

وَبِأَحْشَائِهِ مِنَ ٱلْوَجْدِ كَٱلنَّا

رِ فِـي تَـوَقُّـدٍ وَٱضْطِـرَامِ

وَلَهُ مَدْمَعٌ عَلَى ٱلْخَدِّ جَارٍ

لِلتَّنَائِي وَطُولِ حِينَ ٱنْصِرَامِ

نَشِـطَ ٱلسَّـائِـرُونَ فِـي كُـلِّ عَـامٍ

وَتَـأَخَّـرْتُ عَنْهُـمُ كُـلَّ عَـامِ

وَإِذَا مَـا هَمَمْـتُ يَمْنَعُنِـي ٱلْحَـ

ـظُّ وَشُـؤْمُ ٱلـذُّنُـوبِ وَٱلْإِجْتِـرَامِ

كِـدْتُ أَنْ أَحْسُـدَ ٱلْمُجَـدِّدَ عَهْـداً

كُـلَّ حِيـنٍ بِبَيْـتِ رَبِّ ٱلْأَنَـامِ

مَـا حَسِبْـتُ وَلَا تَـوَهَّمْـتُ أَنِّـي

بَعْـدَ ذَاكَ ٱلْإِلْمَـامِ وَٱلْإِلْتِيَـامِ

وَٱلتَّـدَانِـي وَقَـدْ غَفَـتْ كُـلُّ عَيْـنٍ

مِـنْ عَـذُولٍ مُـوَلَّـعٍ بِـٱلْمَـلَامِ

وَٱلتَّعَلُّـقِ بِـٱلْأَذْيَـالِ وَٱلتَّقْبِيـلِ وٱلْإِقْـ

ـبَـالِ وَٱلْإِسْتِـلَامِ وَٱلْإِلْتِـزَامِ

وَٱلتَّمَلِّـي بِغَـايَـةِ ٱلْقَصْـدِ وَٱلسُّـو

لِ وَأَقْصَىٰ مَطَـالِبِـي وَمَـرَامِـي

يُضْحِـيَ ٱلصَّـدُ وَٱلتَّبَـاعُـدُ حَظِّـي

طُـولَ هَـٰذَا ٱلـزَّمَـانِ وَٱلْأَعْـوَامِ

إِنَّ هَـٰذَا مِـنَ ٱلْعَجِيـبِ وَلَـٰكِـنْ

كَـمْ عَجِيـبٍ نَـرَاهُ فِـي ٱلْأَيَّـامِ

وَأَرَى ٱلْعَجْـزَ وَٱلتَّكَـاسُـلَ وَٱلتَّسْـ

ـوِيفَ مِنْ ادْوَاءِ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْأَجْسَامِ

ذَهَبَـتْ غُـرَرُ ٱلْأَحَـايِيـنِ فِيهَـا

ضَـائِعَـاتٍ فِـي غَفْلَـةٍ وَمَنَـامِ

فَـدَعِ ٱلْعَجْـزَ وَٱلتَّكَـاسُـلَ وَٱسْلُـلْ

صَـارِمَ ٱلْعَـزْمِ يَـا لَـهُ مِـنْ حُسَـامِ

وَٱقْطَعِ ٱلْقَاطِعَاتِ مِنْ كُلِّ وَهْمٍ

وَٱعْتِيَادٍ يُشِيرُ لِلْإِحْجَامِ

وَتَقَدَّمْ فَٱلْخَيْرُ وَٱلْبِرُّ أَحْرَىٰ

مَا يُعَانَىٰ بِٱلْجِدِّ وَٱلْإِقْدَامِ

وَٱغْتَنِمْ مِنْ بَقِيَّةِ ٱلْعُمْرِ مَا أَمْـ

ـكَنَ وَٱلْإِخْتِيَارُ طَوْعُ ٱلزِّمَامِ

وَٱنْتَهِزْ فُرْصَةَ ٱلزَّمَانِ وَبَادِرْ

بَغَتَاتِ ٱلْحِمَامِ وَٱلْأَسْقَامِ

يَا حُوَيْدِي ٱلْمُطِيِّ كَمْ ذَا ٱلتَّرَاخِي

هَيَّا هَيَّا بِنَا لِقَصْدِ ٱلْخِيَامِ

سِرْ بِنَا غَيْرَ كَارِهِينَ وَلَا مُكْـ

ـرَهِينَ مِنْ بِلَادِ ٱلْأَئِمَّةِ ٱلْأَعْلَامِ

مِنْ تَرِيمَ ٱلنَّدَىٰ مُهَاجِرِ ٱلْأَجْـ
ـدَادِ وَٱلْآبَاءِ وَٱلْأَعْمَامِ
وَٱقْطَعِ ٱلْوَادِيَ ٱلْمُبَارَكَ طُولاً
مُسْتَعِيناً بِٱللهِ رَبِّ ٱلْأَنَامِ
ثُمَّ عَرِّجْ بِنَا عَلَى ٱلْيَمَنِ ٱلْفَيْحَا
ءِ ذَاتِ ٱلسُّهُولِ وَٱلْآكَامِ
وَإِذَا مَا بَلَغْتَ ٱللِّيثَ فَٱلْهَضْـ
ـمَ فَسَعْدِيَّةَ ٱلْمِيقَاتِ لِلْإِحْرَامِ
فَإِلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلْبَيْضَا فَأُمِّ ٱلْـ
ـقُرَىٰ أَقْصَى ٱلْأَمَانِيِّ أَقْصَى ٱلْمَرَامِ
مَهْبِطِ ٱلْوَحْيِ وَٱلْقُرَانِ قَدِيماً
وَظُهُورِ ٱلتَّوْحِيدِ وَٱلْأَحْكَامِ

مَكَّــةِ ٱلْيُمْــنِ وَٱلْهُــدَىٰ بَلَــدِ ٱللَّـ

ـــهِ ذَاتِ ٱلــرُّكْــنِ ذَاتِ ٱلْمَقَــامِ

فَنَطُــوفُ ٱلْقُــدُومَ أَوَّلَ شَــيْءٍ

إِبْتِــدَاءً بِــٱلْبَيْــتِ كَــٱلْإِخْتِتَــامِ

وَنُقِيمُ بِهَا ٱلَّذِي كَتَبَ ٱللهُ مِنَ ٱلأَيَّا

مِ مَهْمَا تَرَاخَى ٱلْحَجِيجُ فِي ٱلْإِلْمَامِ

وَإِذَا مَــا ٱلْحَجِيــجُ وَافَــوْا يَــؤُمُّــو

نَ ٱلْبَيْتَ الحَرَامَ بِٱلتَّعْظِيمِ وَٱلْإِحْتِرَامِ

يَبْتَغُــونَ فَضْــلاً مِــنْ رَبِّهِــمْ وَرِضْــوَا

نــاً كَمَــا فِــي ٱلْقُــرَانِ خَيْــرِ ٱلْكَــلَامَ

كَانَ مِنْهَا ٱلْمَسِيرُ قَصْدَ مِنَى ٱلْخَيْـ

ـــفِ فِــي ثَــامِــنٍ مِــنْ ٱلْأَيَّــامِ

فَنَبِيـــتُ بِهَـــا وَنَغْـــدُو جَمِيعـــاً

لِلْـوُقُـوفِ بِـٱلْمَـوْقِـفِ ٱلْمُتَسَـامِـي

مَجْمَـعِ ٱلْخَيْـرِ وَٱلْإِجَـابَـاتِ وَٱلْغُفْـ

ـرَانِ وَٱلْعَفْـوِ عَـنِ ٱلـذُّنُوبِ ٱلْعِظَامِ

حَيْثُمَـا تَحْضُـرُ ٱلْمَـلَائِكَـةُ ٱلْأَكْرَمُونَ

وَٱلصَّـالِحُـونَ مِـنَ ٱلْعِبَـادِ ٱلْكِـرَامِ

فَـــإِذَا غَـــرَبَـــتْ أَفَضْنَـــا لِجَمْـــعٍ

وَإِلَـــى ٱلْمَشْعَـــرِ ٱلْمُنِيـــفِ ٱلْحَـــرَامِ

وَأَتَيْنَـــا مِنـــىً لِـــرَمْـــيٍ وَحَلْـــقٍ

وَلِإِهْـــــدَاءْ بَهِيمَـــــةِ ٱلْأَنْعَـــــامِ

وَأَفَضْنَـــا نَطُـــوفُ لِلـــرُّكْـــنِ بِـــٱلْبَيْـ

ـتِ وَٱلسَّعْيِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَضَىٰ بِأَمَامِ

وَرَجَعْنَـــا إِلَـــىٰ مِنـــىً لِمَبِيـــتٍ

وَلِــرَمْـــيٍ وَحَـــانَ حِيـــنُ ٱلتَّمَـــامِ

وَنَفَـــرْنَـــا بِـــآخِـــرٍ نَحْمُـــدُ ٱللهَ

عَلَـىٰ مَـا هَـدَانَـا وَخَصَّنَـا بِـٱلـدَّوَامِ

فَلَـهُ ٱلْمَـنُّ وَلَـهُ ٱلطَّـوْلُ لَانُحصِـي

ثَنَـاءً عَلَيْـهِ عَـزَّ مِـنْ مَلِيـكٍ سَـلَامِ

ثُـمَ جِئْنَـا نُـوَدِّعُ ٱلْبَيْـتَ مِـنْ غَيْـرِمَـا

طِيْبَـةٍ مِنَّـا بِفُـرْقَـةِ ٱلْأَجْسَـامِ

وَرَحَلْنَـــا نُحَثْحِـــثُ ٱلْعِيـــسَ حُبّـــاً

وَٱشْتِيَـاقـاً لِقَبْـرِ خَيْـرِ ٱلْأَنَـامِ

وَطَـــوَيْنَـــا بِهَـــا ٱلْمَهَـــامِـــهَ لَا نَلْـ

ـــوِي بِلَيْـلٍ عَلَـىٰ لَـذِيـذِ ٱلْمَنَـامِ

فَــإِذَا مَــا بَلَغْنَــا ٱلْعَقِيــقَ ٱلْــوَا
دِي ٱلْمُبَــارَكْ وَفَــاحَ عَــرْفُ ٱلْخِيَــامِ
وَوَصَلْنَا ٱلْمَدِينَةَ ٱلشَّرِيفَةَ مَنَاخَ ٱلـ
ـدِّيــنِ وَٱلْإِيمَــانِ وَٱلْإِسْــلَامِ
وَدَخَلْنَا ٱلْمَسْجِدَ ٱلَّذِي أُسِّسْ عَلَى ٱلتَّقْـ
ــوَى بِتَــأْسِيسِ أَمَــامِ كُــلِّ إِمَــامِ
وَقَصَــدْنَــا لِــرَوْضَــةٍ فِيــهِ مِــنْ جَـ
ـنَّــاتِ دَارِ ٱلْخُلُــودِ دَارِ ٱلسَّــلَامِ
وَدَنَــوْنَــا مِــنْ حُجْــرَةٍ وَضَــرِيــحِ
لِنَبِــيِّ ٱلْهُــدَىٰ وَمِسْــكِ ٱلْخِتَــامِ
وَوَقَفْنَــا تُجَــاهَــهُ بِخُشُــوعٍ
وَخُضُــوعٍ وَهَيْبَــةٍ وَٱحْتِــرَامِ

وَقُلُــــوبٍ طَــــوَافِــــحٍ بِسُــــرُورٍ

وَٱبْتِهَـــاجٍ وَلَـــوْعَـــةٍ وَغَـــرَامِ

وَوُجُـــوهٍ مُبْتَلَّـــةٍ بِـــدُمُـــوعٍ

مِــنْ جُفُونٍ تَفِيـضُ فَيْـضَ ٱلْغَمَـامِ

وَقَــرَأْنَـا ٱلسَّــلَامَ أَكْـرَمَ خَلْـقِ ٱللّـ

ـهِ عَلَيْهِ بَعْدَ ٱلصَّلَاةِ أَزْكَى ٱلسَّلَامِ

وَحَظِينَـــا بِـــٱلـــرَّدِّ مِنْـــهُ وَنِلْنَـــا

كُـــلَّ خَيْـــرٍ وَرَغْبَـــةٍ وَمَـــرَامِ

وَرَجَـــوْنَـــا أَنْ يَغْفِـــرَ ٱللهُ فَضْـــلاً

كُـــلَّ ذَنْـــبٍ وَحَـــوْبَـــةٍ وَأَثَـــامِ

وَيُشَفِّـــعَ رَسُـــولَـــهُ ٱلطُّهْـــرَ فِينَـــا

فَهُـــوَ ٱلشَّـــافِـــعُ ٱلْحَمِيـــدُ ٱلْمَقَـــامِ

ذُو ٱلشَّفَاعَةِ فِي ٱلْمَعَادِ خُصُوصاً
وَعُمُوماً وَٱلسَّجَدَاتِ ٱلتَّوَامِ
بَعْدَ مَا أَحْجَمَ ٱلنَّبِيُّونَ عَنْهَا
وَأَقَامُوا عُذْراً عَنِ ٱلْإِقْدَامِ
يُنْقِذُ ٱلْخَلْقَ مِنْ كُرُوبٍ عِظَامٍ
وَشَدَائِدَ شَيَّبَتْ بِٱلْغُلَامِ
وَلَهُ ٱلْحَوْضُ وَٱللِّوَا وَٱلْمَزَايَا
وَٱلْخَصَائِصُ كُلُّهَا بِٱلتَّمَامِ
ثُمَّ زُرْنَا بِإِثْرِهِ صَاحِبَيْهِ
اَلْجَدِيرَيْنِ بَعْدَهُ بِٱلْقِيَامِ
وَأَتَيْنَا ٱلْبَقِيعَ خَيْرَ مَزَارٍ
لِازْدِيَارِ ٱلصُّدُورِ وَٱلْأَعْلَامِ

وَٱلْمَشَـــاهِـــدَ وَٱلْمَـــآثِـــرَ زُرْنَـــا

كَقُبَـــاهَـــا وَقَبْـــرِ خَيْـــرِ هُمَـــامِ

وَأَقَمْنَـــا بِطَيْبَـــةِ ٱلْخَيْـــرِ حِينـــاً

نَتَمَلَّـــىٰ بِنُـــورِ بَـــدْرِ ٱلتَّمَـــامِ

ٱلـــرَّسُـــولِ ٱلْأَمِيـــنِ أَفْضَـــلِ هَـــادٍ

لِسَبِيـــلِ ٱلْهُـــدَىٰ وَدَارِ ٱلسَّـــلَامِ

سَيِّـــدِ ٱلـــرُّسْـــلِ وَٱلْخَـــلَائِـــقِ طُـــرّاً

مَـــا لَـــهُ عِنْـــدَ رَبِّـــهِ مِـــنْ مُسَـــامِـــي

فَـــإِذَا مَا دَنَا ٱلـــرَّحِيـــلُ أَتَيْنَـــا

لِـــوَدَاعِ ٱلْحَبِيـــبِ وَٱلـــدَّمْـــعُ هَـــامِـــي

وَوِدَادُ ٱلْقُلُـــوبِ فِيهَـــا مُقِيـــمٌ

فِي مَزِيدٍ وَٱلْوَجْدُ وَٱلشَّوْقُ نَامِي

وَوَدِدْنَا طُولَ ٱلْإِقَامَةِ فِيهَا

بَيْنَ تِلْكَ ٱلرُّبُوعِ وَٱلْآطَامِ

وَمَغَانٍ تَشَرَّفَتْ وَٱسْتَنَارَتْ

وَأَضَاءَتْ مِنْ نُورِ مَاحِي ٱلظَّلَامِ

غَيْرَ أَنَّا وَمَنْ وَرَانَا شُجُوناً

وَشُؤُوناً جَذَّابَةً بِٱلزِّمَامِ

رُبَّمَا رُبَّمَا بِهَا قَامَ عُذْرٌ

وَمِنَ ٱلْعُذْرِ مُسْقِطٌ لِلْمَلَامِ

فَٱرْتَحَلْنَا مِنْ طَيْبَةٍ وَمَرَرْنَا

لِاعْتِمَارٍ بِمَكَّةَ ٱلْإِعْتِصَامِ

وَلِتَجْدِيدِ آنِفِ ٱلْعَهْدِ وَتَأْكِيدْ

مُحْكَمِ ٱلْعَقْدِ وَٱلْوَفَا بِٱلذِّمَامِ

وَجَعَلْنَا نُرَحِّلُ ٱلْعِيسَ حَتَّىٰ
وَافَتِ ٱلْحَيَّ حَيَّ قَوْمٍ كِرَامِ
مِنْ بِلَادٍ بِهِ نَشَأْنَا وَإِيَّا
هُ أَلِفنَا إِلْفَ ٱلنُّفُوسِ لِلْأَجْسَامِ
هُوَ مَرْعَىٰ وَلَيْسَ كَٱلسَّعْدَانِ وَمَاءٌ
وَلَا كَصَدَّىٰ وَٱلْأَمْرُ لِلْعَلَّامِ
وَهْوَ بَعْدَ ٱلْمَسَاجِدِ ٱلثَّلَاثَةِ لَمِنْ خَيْـ
ـرِ بِلَادِ ٱللهِ فِي جَنُوبٍ وَشَامِ
ثُمَّ هَـٰذَا ٱلْمَسِيرُ وَٱلْعَوْدُ مِنْهُ
نَحْوَ مَا قَدْ سَمِعْتَ أَقْصَىٰ ٱلْمَرَامِ
تَتَمَنَّى ٱلنُّفُوسُ وَٱلرَّبُّ يَقْضِي
مَا يَشَاءُ مُدَبِّرُ ٱلْأَحْكَامِ

اَلْإِلَـــهُ ٱلْعَظِيـــمُ رَبُّ ٱلْبَــرَايَـــا

ذُو ٱلْجَــلَالِ ٱلــرَّفِيــعِ وَٱلْإِكْــرَامِ

اَلْجَـوَادُ ٱلْكَـرِيـمُ ذُو ٱلْمَــنِّ وَٱلطَّـوْ

لِ وَٱلْفَضْـــلِ وَٱلْأَيَــادِي ٱلْجِسَـــامِ

فَلَـــهُ ٱلْحَمْـــدُ وَلَـــهُ ٱلشُّكْـــرُ دَأْبــاً

دَائِمـــاً سَــرْمَــداً بِغَيْــرِ ٱنْصِــرَامِ

وَصَـــلَاةٌ مِـــنْ رَبِّنَـــا وَسَـــلَامٌ

كُـــلَّ حِيـــنٍ عَلَـــىٰ شَفِيـــعِ ٱلْأَنَـــامِ

أَحْمَـــدَ ٱلْمُصْطَفَـــىٰ وَآلٍ وَصَحْـــبٍ

وَعَلَـــى ٱلتَّـــابِعِيـــنَ طُـــولَ ٱلــدَّوَامِ

مَــا تَغَنَّــتْ حَمَــائِــمُ ٱلْأَيْــكِ وَهْنــاً

وَسَــرَتْ نَسْمَـــةٌ بِعَـــرْفِ ٱلْخُــزَامِ

وَخَتَمْنَــا بِمَــا بَــدَأْنَــا ٱدِّكَــاْراً

قُــلْ لِأَحْبَــابِنَــا بِسُــوحِ ٱلْمَقَــامِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٥/م)

لِلهِ أَحْبَابُنَا بِٱلْأَبْرَقِ ٱلْعَلَمِ
وَبِٱلرُّسُومِ وَبِٱلْأَطْلَالِ مِنْ إِضَمِ

وَبِٱلنُّجُودِ وَبِٱلْأَغْوَارِ مِنْ كُثُبٍ
وَبِٱلْخِيَامِ ٱلَّتِي فِيهَا شِفَا سَقَمِي

وَبِٱلْأَجَارِعِ مِنْ بَطْحَاءِ ذِي سَكَنٍ
مَنَازِلٍ وَنَزِيلٍ سُوحِ ذِي سَلَمِ

وَبِٱلْمَعَالِمِ وَٱلْأَعْلَامِ مِنْ بَلَدٍ
هِيَ ٱلْبِلَادُ لَنَا فِي سَالِفِ ٱلْأُمَمِ

وَبِٱلْمَآثِرِ وَٱلْآثَارِ مِنْ حَرَمٍ
سَقَاهُ مُنْسَجِمٌ فِي إِثْرِ مُنْسَجِمِ

يَحْيَا بِهِ مَنْ دَنَا مِنْهُمْ وَمَنْ بَعُدَتْ

دِيَـارُهُ مِــنْ أَنَــاسِــيَّ وَمِــنْ نَعَــمِ

وَٱلْكُــلُّ جَــارٌ لِبَيْــتِ ٱللهِ خَــالِقِنَــا

تَهْوِي إِلَيْهِ قُلُوبُ ٱلْعُرْبِ وَٱلْعَجَمِ

مَثَــابَــةً وَأَمَــانــاً لِــلْأَنَــامِ كَمَــا

فِي ٱلذِّكْرِ يَعْرِفُ أَهْلُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْحِكَمِ

وَمَقْصِـداً لِــوُفُــودِ ٱللهِ تَقْصِــدُهُ

مَشْيـاً وَفَـوْقَ مُتُـونِ ٱلْأَيْنُـقِ ٱلـرُّسُـمِ

يَا صَاحِبِي هَلْ تَرَىٰ ٱلْأَيَّامَ تُسْعِدُنِي

بِعَـوْدَةٍ بَعْـدَ مَـسِّ ٱلضَّعْـفِ وَٱلْهَـرَمِ

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ٱلْعَهْدُ وَٱنْتَزَحَتْ

عَنْهَـا ٱلْمَنَـازِلُ فَـوَالَهْفِـي وَوَانَـدَمِـي

وَفَاتَنِي زَمَنُ ٱلْإِمْكَانِ فِي كَسَلٍ

وَغَفْلَةٍ وَٱلرَّجَا فِي ٱللهِ مُعْتَصَمِي

وَٱلْحُكْمُ لِلّٰهِ ذِي ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ وذِيْ ٱلْـ

أَمْرِ ٱلْمُطَاعِ تَعَالَىٰ بَارِىءُ ٱلنَّسَمِ

وَفِي ٱلرِّضَا بِقَضَاءِ ٱللهِ سَيِّدِنَا

اَلْخَيْرُ لِلْعَبْدِ وَٱلْأَرْزَاقُ بِٱلْقِسَمِ

فَنَسْأَلُ ٱللهَ تَوْفِيقاً لِطَاعَتِهِ

وَشُكْرِهِ فَهْوَ أَهْلُ ٱلْفَضْلِ وَٱلْكَرَمِ

وَٱلْخَتْمَ عِنْدَ حُضُورِ ٱلْمَوْتِ قَابِضِنَا

بِٱلْخَيْرِ وَٱلْبِرِّ وَٱلْغُفْرَانِ لِلَّمَمِ

ثُمَّ ٱلصَّلَاةُ عَلَى ٱلْهَادِي وَعِتْرَتِهِ

مُحَمَّدٍ مَا سَرَىٰ بَرْقٌ عَلَى ٱلْخِيَمِ

وَمَا تَغَنَّتْ حَمَامُ ٱلْأَيْكِ فِي سَحَرٍ
وَٱنْهَلَّتِ ٱلسُّحْبُ بِٱلْأَمْطَارِ وَٱلدِّيَمِ

* * *

وقال رضي الله عنه :

مَسْتُـــــــورَةٌ دَارُ صَبْــــــرٍ
وَٱلصَّبْـــــرُ خُلْـــقٌ كَـــرِيـــمُ
اَلتُّـــــرْبُ فِيهَـــــا كَثِيـــــرٌ
وَٱلـــرِّيـــحُ فِيهَـــا سَمُـــومُ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٦/م)

نَعَمْ عَالَمُ ٱلْأَرْوَاحِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْجِسْمِ
وَأَعْلَىٰ وَلَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ كُلِّ ذِي عِلْمِ
فَمَا لَكَ قَدْ أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ جَاهِداً
بِخِدْمَةِ هَـٰذَا ٱلْجِسْمِ وَٱلْهَيْكَلِ ٱلرَّسْمِي
ظَلَمْـتَ وَمَـا إِلَّا لِنَفْسِـكَ يَـا فَتَـىٰ
ظَلَمْتَ وَظُلْمُ ٱلنَّفْسِ مِنْ أَقْبَحِ ٱلظُّلْمِ
تَنَبَّـهْ هَـدَاكَ ٱللهِ مِـنْ نَـوْمِ غَفْلَـةٍ
وَلَهْوٍ وَلَا تَعْمَلْ عَلَى ٱلشَّكِّ وَٱلْوَهْمِ
وَسِرْ فِي طَرِيقِ ٱللهِ بِٱلْجِدِّ وَٱسْتَقِمْ
وَلَازِمْ وَخُذْ بِٱلْعَزْمِ يَا صَاحِبَ ٱلْعَزْمِ

وَبَادِرْ نُزُولَ ٱلْمَوْتِ وَٱلْقَبْرِ وَٱلْبِلَىٰ

وَبَعْثاً إِلَى ٱلدَّيَّانِ لِلفَصْلِ وَٱلْحُكْمِ

وَمِـنْ بَعْـدِهِ إِمَّـا مَصِيـرٌ إِلَـىٰ لَظَـىٰ

أَوِ ٱلْجَنَّـةِ ٱلْعَلْيَـا وَوُجْـدٍ بِـلَا عُـدْمِ

حَيَـاةٌ بِـلَا مَـوْتٍ نَعِيـمٌ بِـلَا شَقَـا

وَمُلْـكٌ بِـلَا عَـزْلٍ شَبَـابٌ بِـلَا هُـرْمِ

وَرُؤْيَـةُ رَبِّ ٱلْعَـالَمِيـنَ تَقَـدَّسَـتْ

أَسَامِيهِ وَٱلْأَوْصَافُ يَا لَكَ مِنْ قَسْمِ

وَفَـوْزٌ عَظِيـمٌ لَا يُسَـامَـىٰ وَحُظْـوَةٌ

وَغُنْـمٌ كَبِيـرٌ حَبَّـذَا لَـكَ مِـنْ غُنْـمِ

لِمَنْ تَرَكَ ٱلدُّنْيَا لِمَنْ خَالَفَ ٱلْهَوَىٰ

لِمَنْ آثَرَ ٱلْأُخْرَىٰ لِمَنْ قَامَ بِٱلْعِلْمِ

لِمَـنْ لَـزِمَ ٱلطَّـاعَـاتِ وَٱلْبِـرَّ وَٱلتُّقَـىٰ

وَأَخْلَصَ لِلْمَوْلَىٰ مَعَ ٱلصِّدْقِ وَٱلْحَزْمِ

وَصَلَّـى إِلَـٰهِـي مَـعْ سَـلَامٍ مُضَـاعَـفٍ

عَلَىٰ أَحْمَدَ ٱلْهَادِي ٱلْأَنَامِ إِلَى ٱلسَّلْمِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٧/ م)

وَلَّـــى ٱلـــزَّمَـــانُ وَوَلَّـــتِ ٱلْأَيَّـــامُ
فَعَلَـــى ٱلْمَنَـــازِلِ وَٱلنَّـــزِيـــلِ سَـــلَامُ
لَـــمْ تَبْـــقَ إِلَّا صَبَـــابَـــةٌ مِـــنْ عَيْشِنَـــا
وَحَـــدِيـــثُ أَشْجَـــانِ ٱلصَّبَـــابَـــةِ تَـــامُ
قُـــلْ لِـــلْأَحِبَّـــةِ حَيْثُمَـــا أَبْصَـــرْتَهُـــمْ
إِنَّ ٱلْمُحِـــبَّ ٱلْمُسْتَهَـــامَ يُـــلَامُ
أَيُـــلَامُ مِثْلِـــي فِـــي هَـــوَىٰ أَمْثَـــالِهِـــمْ
كَـــلَّا وَكُلِّـــي لَـــوْعَـــةٌ وَغَـــرَامُ
وَجَـــوَارِحِـــي وَجَـــوَانِحِـــي فِـــي طَيِّهَـــا
كَبِـــدٌ تَـــذُوبُ وَمُهْجَـــةٌ وَسَقَـــامُ

وَلَقَدْ سَبَانِي حُسْنُهُمْ وَجَمَالُهُمْ
وَجَمِيلُهُمْ وَٱلْفَضْلُ وَٱلْإِنْعَامُ
أَنَّىٰ أَحُولُ وَأَنْثَنِي عَنْ بَابِهِمْ
وَبِهِ تَحُطُّ ٱلسَّادَةُ ٱلْأَعْلَامُ
مِنْ كُلِّ عَلَّامٍ مُنِيبٍ خَاشِعٍ
يَحْيَا بِهِ ٱلْإِيمَانُ وَٱلْإِسْلَامُ
أَوْ عَارِفٍ مُتَمَكِّنٍ مُتَحَقِّقٍ
فِي ٱلْكَشْفِ وَٱلتَّقْوَىٰ لَهُ أَقْدَامُ
يَا صَاحِبِي إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ دَعْوَتِي
فَأَجِبْ وَأَسْرِعْ إِنَّ قَوْمَكَ نَامُوا
هَٰذَا ٱلزَّمَانُ زَمَانُ سُوءٍ كُلُّهُ
قَدْ عَمَّ فِيهِ ٱلظُّلْمُ وَٱلْإِظْلَامُ

يَـا رَبِّ وَٱحْفَـظْ دِينَنَـا وَمَعَـاشَنَـا

وَٱخْتِـمْ بِخَيْـرٍ إِنْ أَلَـمَّ حِمَـامُ

ثُـمَّ ٱلصَّـلَاةُ عَلَـى ٱلنَّبِـيِّ وَآلِـهِ

مَـا غَـرَّدَتْ فَـوْقَ ٱلْأَرَاكِ حَمَـامُ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٨/ م)

هَـــوَاكُـــمْ بِقَلْبِـــي وَٱلْفُـــؤَادِ مُقِيـــمُ

وَشَـــوْقِـــي إِلَيْكُـــمْ مُقْعِـــدٌ وَمُقِيـــمُ

وَأَنْتُـــمْ لِـــرُوحِـــي رَوحُهَـــا وَنَعِيمُهَـــا

فَيَـــا حَبَّـــذَا رَوْحٌ لَهَـــا وَنَعِيـــمُ

إِذَا مَـــا دَنَـــوْتُـــمْ فَـــٱلْحَيَـــاةُ لَـــذِيـــذَةٌ

وَفِـــي ٱلْعَيْشِ خَيْـــرٌ وَٱلـــزَّمَـــانُ سَلِيـــمُ

وَمَهْمَـــا بَعُـــدْتُـــمْ سَـــادَتِـــي وَجَفَـــوْتُـــمُ

فَقَلْبِـــي وَجِسْمِـــي وَالِـــهٌ وَسَقِيـــمُ

وَأَحْسَنُ عَيْشٍ لَيْسَ فِيهِ وُجُودُكُمْ

وَإِنْ كَـــانَ مُلْـــكَ ٱلْأَرْضِ فَهْـــوَ ذَمِيـــمُ

وَكُلُّ سُرُورٍ قَدْ خَلَا عَنْ وِصَالِكُمْ

فَمَـا هُـوَ إِلَّا تَـرْحَـةٌ وَغُمُـومُ

فَمُنُّـوا وَجُـودُوا بِـٱللِّقَـا وَتَعَطَّفُـوا

وعُـودُوا فَـإِنِّـي فَـاقِـدٌ وَعَـدِيـمُ

لِمَـنْ تَـدَعُـونِـي سَـادَتِـي وَأَحِبَّتِـي

لِكُـلِّ لَئِيـمٍ لَا يَـزَالُ يَلُـومُ

أَمَا تَرْحَمُوا ذُلِّي وَضَعْفِي وَغُرْبَتِي

وَأَنْتُـمْ كِـرَامٌ وَٱلْكَـرِيـمُ رَحِيـمُ

رَعَى ٱللهُ أَيَّاماً خَلَتْ فِي رُبُوعِكُمْ

بِعَيْـشٍ هَنِـيٍّ لَـمْ تَشُبْـهُ هُمُـومُ

وَكُنَّـا وَكُنْتُـمْ وَٱلـزَّمَـانُ مُسَـاعِـدٌ

وَمَـا ثَـمَّ إِلَّا مُـؤْنِـسٌ وَنَـدِيـمُ

فَهَـلْ لِلَّيَـالِـي ٱلْمَـاضِيَـاتِ بِعَـوْدَةٍ

وَإِلَّا فَـــإِنِّـــي لِلْحَيَـــاةِ سَـــؤُومُ

أَأَبْقَـىٰ كَـذَا بَيْـنَ ٱلْأَبَـاعِـدِ لَيْسَ لِـي

أَنِيـــسٌ حَقِيقِـــيٌّ ٱلْـــوِدَادِ كَتُـــومُ

أُسَـامِـرُهُ فِيكُـمْ بِـأَخْبَـارِ حَيِّكُـمْ

وَفِـي بَحْـرِ أَسْـرَارِ ٱلْـوُجُـودِ نَعُـومُ

وَقَدْ كَانَ بِٱلْوَادِي وَبِٱلرَّبْعِ وَٱلحِمَىٰ

رِجَـالٌ مَصَـابِيـحُ ٱلْـوُجُـوهِ نُجُـومُ

لَهُمْ مِنْ شَرَابِ ٱلْقَوْمِ شِرْبٌ وَمِنْ حَدِيـ

ـثِ نَجْـدٍ حَـدِيـثٌ طَيِّـبٌ وَقَـوِيـمُ

وَكُنْتُ بِهِمْ وَافِي ٱلْجَنَاحَيْنِ سَاكِنَ ٱلْـ

ـفُـؤَادِ وَرِيحِـي إِذْ تَهُـبُّ نَسِيـمُ

فَأَعْدَمَنِي ٱلدَّهْرُ ٱلْخَؤُونُ وُجُودَهُمْ

وَمَا ٱلدَّهْرُ إِلَّا خَائِنٌ وَظَلُومُ

وَأَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ ٱلْأَحِبَّةِ مُفْرَداً

وَحِيداً وَمَحْزُونَ ٱلْفُؤَادِ كَظِيمُ

فَآهٍ وَآهٍ كَمْ دُمُوعٍ أُسِيلُهَا

عَلَيْهِمْ وَمَا إِلَّا ٱلْإِلَٰهُ يَدُومُ

فَأَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ

عَلِيمٌ وَحَيٌّ قَادِرٌ وَقَدِيمُ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٩/ م)

يَـا جِيـرَةَ ٱلْحَـيِّ عَلَيْكُـمْ سَـلَامْ
مَـا غَـرَّدَ ٱلْقُمْـرِي بِـدَوْحِ ٱلْبَشَـامْ

وَمَـا شَـرَى ٱلْبَـرْقُ بِنَجْـدِ ٱلْحِمَـىٰ
وَنَمْنَـمَ ٱلـرَّعْـدُ وَدَرَّ ٱلْغَمَـامْ

وَمَـا سَـرَتْ مِـنْ حَيِّكُـمْ نَسْمَـةٌ
تُـذَكِّـرُ ٱلصَّـبَّ حَـدِيـثَ ٱلْغَـرَامْ

وَلَيْلَـةً مَـرَّتْ بِـوَادِي ٱلنَّقَـا
كَـأَنَّهَـا ٱلْقَـدْرُ بِشَهْـرِ ٱلصِّيَـامْ

فَيَـا لَيَـالِـيْ ٱلْـوَصْـلِ عُـودِي لَنَـا
مِـنْ قَبْـلِ أَنْ يَـأْتِـي رَسُـولُ ٱلْحِمَـامْ

وَيَــذْهَــبَ ٱلْعُمْــرُ سُــدىً ضَــائِعــاً

كَــأَنَّــهُ ٱلطَّيْــفُ بِحِيــنِ ٱلْمَنَــامْ

يَــا صَــاحِبِــي وَلَّــى ٱلــزَّمَــانُ ٱلَّــذِي

كُنْــتُ بِــهِ فِــي غَفْلَــةٍ كَــٱلسَّــوَامْ

وَٱلشَّهْــرُ مِنْــهُ مِثْــلُ أُسْبُــوعِــهِ

وَٱلْيَــوْمُ كَــٱلسَّــاعَــةِ وَٱلْعُمْــرُ عَــامْ

وَٱلْآنَ قَــدْ جَــاءَ ٱلْمَشِيــبُ وَحَــانْ

حِيــنُ ٱلسَّفَــرْ مِنَّــا لِيَــوْمِ ٱلْقِيَــامْ

وَمَــا بَقِــي فِــي ٱلْيَــدِ غَيْــرُ ٱلــرَّجَــا

لِــرَحْمَــةِ ٱللهِ إِلَــٰـهِ ٱلْأَنَــامْ

ٱلْــوَاحِــدِ ٱلْمَــاجِــدِ ذِي ٱلْفَضْــلِ وَٱلْـ

إِحْسَــانِ أَلْمُنْفَــرِدْ بِــٱلــدَّوَامْ

هُــوْ رَبُّنَــا هُــوْ حَسْبُنَــا وَٱلْــوَكِيــلْ
نَــدْعُــوهُ نَسْــأَلْ مِنْــهُ حُسْــنَ ٱلْخِتَــامْ

عَلَــىٰ سَبِيــلِ ٱلْمُصْطَفَــى ٱلْمُجْتَبَــىٰ
مُحَمَّــدِ ٱلْهَــادِي لِــدَارِ ٱلسَّــلَامْ

صَلَّــىٰ عَلَيْــهِ ٱللهُ مَــا غَــرَّدَتْ
عَلَــىٰ غُصُــونِ ٱلْبَــانِ وُرْقُ ٱلْحَمَــامْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٠/م)

يَـا مَـنْ هَـوَاهُـمْ فِـي فَـؤَادِي مُقِيـمْ
وَحُسْنُهُـمْ فِـي مَشْهَـدِي مُسْتَقِيـمْ

هَـلْ مِـنْ سَبِيـلٍ لِـي إِلَـىٰ وَصْلِكُـمْ
مِـنْ قَبْـلِ أَنْ تُمْسِـي ٱلْعِظَـامُ رَمِيـمْ

وَيَظْهَـرُ ٱلسِّـرُّ ٱلَّـذِي صُنْتُـهُ
مِـنْ وُدِّكُـمْ عَـنْ مُبْغِضِـي وَٱلْحَمِيـمْ

يَـا سَـادَتِـي مُنُّـوا عَلَـىٰ عَبْـدِكُـمْ
أَلْهَـائِـمِ ٱلْـوَالِـهْ بِكُـمْ مِـنْ قَـدِيـمْ

عَطْفـاً عَلَـىٰ مَـنْ صَـارَ فِـي قَلْبِـهِ
مِـنْ حُبِّكُـمْ وَٱلشَّـوْقِ أَمْـرٌ عَظِيـمْ

لَـــوْ كَـــانَ يَـــدْرِيـــهِ ٱلْعَـــذُولُ لَـــهُ

فِـي حُسْنِكُـمْ عَـادَ ٱلشَّفِيـقَ ٱلـرَّحِيـمْ

ذَمَمْـتُ نَفْسِـي حِيـنَ وَلَّـى ٱلـزَّمَـانْ

وَلَـمْ أُشَـاهِـدْ حُسْنَهُـمْ يَـا نَـدِيـمْ

وَلَـمْ أَقِـفْ يَـوْمـاً عَلَـىٰ سِـرِّهِـمْ

ذَاكَ ٱلَّـــذِي فِيـــهِ ٱلـــرِّجَـــالُ تَهِيـــمْ

وَلَيْـسَ يَخْفَـانِـي ٱلَّـذِي عَـاقَنِـي

نَفْسِـي بِـهِ تَـدْرِي وَقَلْبِـي عَلِيـمْ

عَـزَمْـتُ شَـأَقْطَـعْ كُـلَّ أَمْـرٍ أَرَىٰ

فِـي قَطْعِـهِ نَيْـلَ ٱلْمَقَـامِ ٱلْكَـرِيـمْ

وَأَرْفُـضُ ٱلـدُّنْيَـا ٱلْغَـرُورَ ٱلَّتِـي

مِـنْ حُبِّهَـا كَـانَ ٱلْحِجَـابُ ٱلْمُقِيـمْ

وَٱلنَّفْـــسَ وَٱلشَّيْطَـــانَ أَعْصِيهِمَـــا

بِقُـــوَّةِ ٱللهِ ٱلْعِلَـــيِّ ٱلْعَظِيـــمْ

أُوَلِّـــيِ ٱلْأَكْـــوَانَ ظَهْـــراً وَلَا

أَرَىٰ سِـــوَىٰ ٱللهِ ٱلْعَـــزِيـــزِ ٱلْحَكِيـــمْ

يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ حُسْنَ ٱلْيَقِينْ

وَعِصْمَـــةَ ٱلصِّـــدْقِ وَقَلْبـــاً سَلِيـــمْ

وَهِمَّـــةً تَعْلُـــو وَصَبْـــراً جَمِيـــلْ

وَنُـــورَ تَـــوْفِيـــقٍ بِـــهِ أَسْتَقِيـــمْ

وَحُسْـــنَ تَـــأْيِيـــدٍ وَعَـــوْنـــاً يَـــدُومْ

فَـــإِنَّـــكَ ٱلـــدَّائِـــمْ وَجُـــودُكْ عَمِيـــمْ

أَرْجُـــوكَ تُعْطِينِـــي ٱلَّـــذِي أَبْتَغِـــي

بِمَحْضِ فَضْلِكْ لَا بِجُهْدِي ٱلذَّمِيمْ

* * *

وقال رضي الله عنه :

(١١/ م)

يَـا وَجِيـهَ ٱلـدِّيـنِ وَٱلْكَـرَمِ

وَحَلِيـفَ ٱلْعِلْـمِ وَٱلْحِكَـمِ

وَسَلِيـلَ ٱلسَّـادَةِ ٱلْكُبَـرَا

سَـابِقِـيِّ ٱلْعُـرْبِ وَٱلْعَجَـمِ

مِـنْ إِمَـامٍ كَـامِـلٍ عَلَـمٍ

فَـإِمَـامٍ فَـاضِـلٍ عَلَـمِ

أَنْـتَ نَـرْجُـو بَعْـدَهُـمْ خَلَـفٌ

صَـالِـحٌ مَـاضٍ عَلَـى ٱلْقَـدَمِ

قَـدَمُ ٱلصِّـدْقِ بِشَـارَتُهُـمْ

عِنْـدَ رَبِّ ٱلْعَـرْشِ فَـٱسْتَقِـمِ

تَبْلُـغُ ٱلْقَصْـدَ وَتُـدْرِكُـهُ

مِـنْ مُفِيضِ ٱلْفَضْـلِ وَٱلْنِّعَـمِ

يَـا وَفِـيَّ ٱلْعَهْـدِ وَٱلْـذِّمَـمِ

وَحَمِيـدَ ٱلْسَّعْـيِ وَٱلْشِّيَـمِ

وَصَحِيـحَ ٱلْـوُدِّ صَـافِيَـهُ

مِـنْ قَـذَى ٱلْأَكْـدَارِ وَٱلْتُّهَـمِ

وَافَـتِ ٱلْعَبْـدَ مَقَـالَتُكُـمْ

وَهْـيَ دُرٌّ أَيُّ مُنْتَظِـمِ

رَاقَ مَعْنَـاهَـا وَصُـورَتُهَـا

فَغَـدَتْ مِـنْ أَحْسَـنِ ٱلْكَلِـمِ

فَجُـزِيتُـمْ كُـلَّ صَـالِحَـةٍ

وَبَلَغْتُـمْ مُنْتَهَـى ٱلْهِمَـمِ

وَحَظِيتُـمْ بِـٱلْمُـرَادِ وَبِـٱلسُّـ

ـولِ وَٱلْمَـأْمُـولِ مِـنْ أَمَـمِ

وَٱلْفَقِيـرُ ٱلْمَحْـضُ مُعْتَـرِفٌ

مِنْـهُ بِـٱلْإِفْـلَاسِ وَٱلْعَـدَمِ

غَيْـرَ أَنَّ ٱلْفَضْـلَ مُـرْتَقَـبٌ

مِـنْ عَظِيـمِ ٱلْفَضْـلِ وَٱلْكَـرَمِ

وَصَـلَاةُ ٱللهِ خَـالِقِنَـا

تَتَغَشَّـىٰ سَيِّـدَ ٱلْأُمَـمِ

أَحْمَـدَ ٱلْمُخْتَـارَ سَيِّـدَنَـا

عَـدَدَ ٱلْأَوْرَاقِ وَٱلـدِّيَـمِ

وَعَلَـىٰ آلِ ٱلنَّبِـيِّ مَـعَ ٱلصَّـ

ـحْـبِ وَٱلْأَتْبَـاعِ كُلِّهِـمِ

* * *

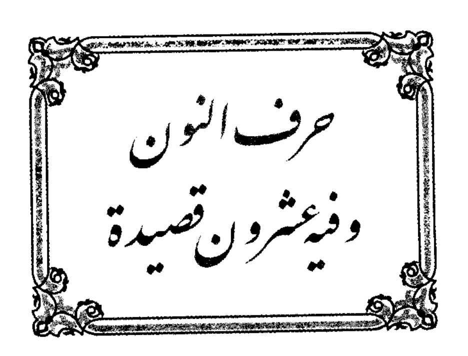
قالَ رضيَ اللهُ عنهُ تذييلاً علىٰ أبيات الإمام الشافعي رضي الله عنه التي أوَّلها :

(وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
جَعَلْتُ ٱلرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّمَا)

فقالَ :

(وَصَلَّىٰ إِلَـٰهِي كُلَّ وَقْتٍ وَسَاعَةٍ
عَلَىٰ أَحْمَدَ ٱلْهَادِي ٱلشَّفِيعِ وَسَلَّمَا)

* * *



وقال رضي الله عنه : (١/ ن)

إِلْـزَمْ بَـابْ رَبِّـكْ ، وَٱتْـرُكْ كُـلَّ دُونْ

وَٱسْأَلْهُ ٱلسَّلَامَهْ ، مِنْ دَارِ ٱلْفُتُونْ

لَا يَضِيقُ صَدْرُكْ ، فَٱلْحَادِثْ يَهُونْ

اَللهُ ٱلْمُقَـدِّرْ ، وَٱلْعَـالَـمْ شُـؤُونْ

(لَا يَكْثُرُ هَمُّكْ مَا قُدِّرْ يَكُونْ)

فِكْــرَكْ وَٱخْتِيَــارَكْ ، دَعْهُمَــا وَرَاكْ
وَٱلتَّدْبِيرَ أَيْضاً ، وَٱشْهَدْ مَنْ بَرَاكْ
مَــوْلَاكَ ٱلْمُهَيْمِــنْ ، إِنَّــهُ يَــرَاكْ
فَوِّضْ لَهُ أُمُورَكْ، وَٱحْسِنْ فِي ٱلظُّنُونْ
(لَا يَكْثُرُ هَمُّكْ مَا قُدِّرْ يَكُونْ)
لَوْ وَلِمْ وَكَيْفَ ، قَوْلُ ذِي ٱلْحَمَقْ
يَعْتَــرِضْ عَلَــى ٱللهِ ، ٱلَّــذِي خَلَــقْ
وَقَضَــىٰ وَقَــدَّرْ ، كُــلَّ شَــيْ بِحَــقْ
يَــا قَلْبِــي تَنَبَّــهْ ، وَٱتْــرُكِ ٱلْمُجُــونْ
(لَا يَكْثُرُ هَمُّكْ مَا قُدِّرْ يَكُونْ)
قَدْ ضَمِنْ تَعَالَىٰ ، بِٱلرِّزْقِ ٱلقَوَامْ
فِي ٱلكِتَابِ ٱلْمُنْزَلْ ، نُوراً لِلْأَنَامْ

فَٱلرِّضَا فَرِيضَهْ ، وَٱلسَّخَطْ حَرَامْ
وَٱلْقُنُـوعْ رَاحَـهْ ، وَٱلطَّمَـعْ جُنُـونْ
(لَا يَكْثُرُ هَمُّكْ مَا قُدِّرْ يَكُونْ)
أَنْـتَ وَٱلْخَـلَائِـقْ ، كُلُّهُـمْ عَبِيـدْ
وَٱلْإِلَـٰـهُ فِينَـا ، يَفْعَـلْ مَـا يُـرِيـدْ
هَمُّكْ وَٱغْتِمَامُكْ ، وَيْحَكْ مَا يُفِيدْ
اَلْقَضَـا تَقَـدَّمْ ، فَـٱغْنَـمِ ٱلسُّكُـونْ
(لَا يَكْثُرُ هَمُّكْ مَا قُدِّرْ يَكُونْ)
أَلَّـذِي لِغَيْـرِكْ ، لَا يَصِـلْ إِلَيْـكْ
وَٱلَّذِي قُسِمْ لَكْ ، حَاصِلٌ لَدَيْكْ
فَـٱشْتَغِـلْ بِـرَبِّـكْ ، وَٱلَّـذِي عَلَيْـكْ
فِي فَرْضِ ٱلْحَقِيقَهْ، وَٱلشَّرْعِ ٱلْمَصُونْ
(لَا يَكْثُرُ هَمُّكْ مَا قُدِّرْ يَكُونْ)

شَـرْعِ ٱلْمُصْطَفَـىٰ ، أَلْهَـادِي ٱلْبَشِيـرْ

خَتْـــمِ ٱلْأَنْبِيَـــا ، أَلْبَـــدْرِ ٱلْمُنِيـــرْ

صَلَّـى ٱللهْ عَلَيْـهْ ، اَلـرَّبُّ ٱلْقَـدِيـرْ

مَا رِيحُ ٱلصَّبَا ، مَالَتْ بِٱلْغُصُونْ

(لَا يَكْثُرُ هَمُّكْ   مَا قُدِّرْ يَكُونْ)

* * *

وقال رضي الله عنه :

إذَا آنَسْــــتُ مِــــنْ خِــــلٍّ جَفَــــاءً
فَــلَا أَجْفُــو وَإِنْ هُــوَ قَــدْ جَفَـانِــي

وَلَـٰكِنِّــــي أُفَــــارِقُــــهُ بِــــرِفْــــقٍ
وَأُمْسِــكُ عَــنْ تَنَــاوُلِــهِ لِسَــانِــي

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢/ ن)

إِنَّ ٱلْقَنَاعَةَ كَنْزٌ لَيْسَ بِٱلْفَانِي
فَٱغْنَمْ هُدِيتَ أُخَيَّ عَيْشَهَا ٱلْهَانِي

وَعِشْ قَنُوعاً بِلَا حِرْصٍ وَلَا طَمَعٍ
تَعِشْ حَمِيداً رَفِيعَ ٱلْقَدْرِ وَٱلشَّانِ

لَيْسَ ٱلْغَنِيُّ كَثِيرَ ٱلْمَالِ يَخْزُنُهُ
لِحَادِثِ ٱلدَّهْرِ أَوْ لِلْوَارِثِ ٱلثَّانِي

يُجَمِّعُ ٱلْمَالَ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ شُبَهٍ
وَلَيْسَ يُنْفِقُ فِي بِرٍّ وَإِحْسَانِ

شَقِي بِأَمْوَالِهِ قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ كَمَا
يَشْقَىٰ بِهَا بَعْدَهُ فِي عُمْرِهِ ٱلثَّانِي

إِنَّ ٱلْغَنِـيَّ غَنِـيُّ ٱلنَّفْـسِ قَـانِعُهَـا
مُـوَفَّـرُ ٱلْحَـظِّ مِـنْ زُهْـدٍ وَإِيمَـانِ

بَـرٌّ كَـرِيـمٌ سَخِـيُّ ٱلنَّفْـسِ يُنْفِـقُ مَـا
حَـوَتْ يَـدَاهُ مِـنَ ٱلـدُّنْيَـا بِـإِيقَـانِ

مُنَـوَّرُ ٱلْقَلْـبِ يَخْشَـى ٱللهَ يَعْبُـدُهُ
وَيَتَّقِيـهِ بِـإِسْـرَارٍ وَإِعْـلَانِ

مُـؤَيَّـدٌ رَاسِـخٌ فِـي ٱلْعِلْـمِ مُتَّبِـعٌ
إِثْـرَ ٱلـرَّسُـولِ بِـإِخْـلَاصٍ وَإِحْسَـانِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٣/ ن)

ٱلْيَــوْمَ قَلْبِــي تَــذَكَّــرْ
مَــا وَلَّــىٰ وَمَــرّْ
مِــنْ عَيْشِنَــا ذَاكَ ٱلْأَخْضَــرْ
مَــعْ بَــاهِــي ٱلْغُــرَرْ
سُــوَيجِــي ٱلطَّــرْفُ ٱلْأَحْــوَرْ
مَعْسُــــولِ ٱلــــدُّرَرْ
فَفَــاضَ دَمْعِــي تَحَــدَّرْ
يَجْــرِيْ كَــٱلْمَطَــرْ

هَلْ عُرْبُ بَشَّارْ يَدْرُونْ مَابِي مِنْ شُجُونْ

أَصْبَحْتُ يَا سَعِدْ مُخْتَارْ
مَا لِي مِنْ قَرَارْ
مِنْ فُرْقَةِ ٱلْحِبّْ وَٱلْجَارْ
فِي أَحْشَايْ نَارْ
وَقْتِي مَضَىٰ كُلُّهْ اَكْدَارْ
مِنْ بُعْدِ ٱلْمَزَارْ
ٱلْقُرُبْ غَايَاتْ ٱلْأَوْطَارْ
وَٱلْهُجْرَانْ قَارْ

مَا بَالْ جِيرَانْ جِيرُونْ لِي مَا يَرْحَمُونْ

أَرَاكْ يَـــا ظَبِـــي عَيْـــدِيـــدْ

تَتْـــــرُكْنِـــــي وَحِيـــــدْ

فِـــي حَـــالْ ضِيـــقٍ وَتَنْكِيـــدْ

مِـــــنْ رَبْعَـــــكْ بَعِيـــــدْ

لَـوْ عُـدْتَ عَـادَتْ لَنَـا ٱلْعِيـدْ

وَٱلْعَيْـــــشُ ٱلسَّعِيـــــدْ

فَـٱلْـوَصـلْ يَـا فَـايِـقَ ٱلْغِيـدْ

غَـــايَـــةْ مَـــا أُرِيـــدْ

فَٱعْطِفْ عَلَىٰ صَبّْ مَحْزُونْ مَا يَعْرِفْ سُكُونْ

ٱللهْ يَـــا خِلِّــيَ ٱعْلَـــمْ
مَـــا بِــي مِـــنْ أَلَـــمْ
أَرْجُــوهْ يَشْفِــي وَيَــرْحَــمْ
مَـــا بِــي مِـــنْ سَقَـــمْ
فَكَـــمْ تَفَضَّـــلْ وَأَنْعَـــمْ
وَٱسْبَـــغْ مِـــنْ نِعَـــمْ
يَـــا قَلِــبْ لَا تُكْثِــرِ ٱلْهَــمّْ
إِنْ خَطْـــــبٌ أَلَـــــمّْ

وَٱصْبِرْ وَإِنْ كُنْتْ مَمْحُونْ فَٱلْحَادِثْ يَهُونْ

* * *

وقال رضي الله عنه :   (٤/ ن)

إِلَـىٰ مَتَـىٰ لَا تَجِـفُّ عَيْنِـي
مِـنْ دَمْـعِ شَـوْقٍ وَدَمْـعِ بَيْـنِ

وَيَـدْنُـوَ ٱلْحِـبُّ مِـنْ رُبُـوعِـي
وَأَقْتَضِـي مِنْـهُ كُـلَّ دَيْـنِ

يَـا نَـازِحَ ٱلـدَّارِ كَـمْ صُـدُودٍ
زُرْنِـي فَقَـدْ حَـانَ حِيـنُ حَيْنِـي

وَجُـدْ عَلَـيَّ بِطِيـبِ وَصْـلٍ
يَجْلُـو عَـنِ ٱلْقَلْـبِ كُـلَّ رَيْـنِ

فَـٱعْطِـفْ عَلَـىٰ وَالِـهٍ كَئِيـبٍ
مُكَـدَّرِ ٱلْعَيْـشِ مِـنْ زُمَيْـنِ

لَـــهُ دُمُـــوعٌ عَلَـــىٰ خُـــدُودٍ
كَـــأَنَّهَـــا مَـــاطِـــرُ ٱلْمُـــزَيْـــنِ
يَشْتَـــاقُ نَجْـــداً وَأَهْـــلَ نَجْـــدٍ
وَأَيْـــنَ نَجْـــدٌ مِنْـــهُ وَأَيْـــنِ
فَهَـــلْ جِبَـــالٌ وَهَـــلْ رِمَـــالٌ
وَهَـــلْ ظِبَـــاءٌ بِـــٱلـــرَّقْمَتَيْـــنِ
وَهَـــلْ سَبِيـــلٌ إِلَـــىٰ خِيَـــامٍ
بَيْـــنَ ٱلْحَجُـــونِ وَمَـــرْوَتَيْـــنِ
وَٱلْبَيْـــتِ وَٱلـــرُّكْـــنِ وَٱلْيَمَـــانِـــي
وَٱلْحِجْـــرِ ثُـــمَّ ٱلسِّقَـــايَتَيْـــنِ
آهٍ عَلَـــىٰ بُعْـــدِهَـــا وَآهٍ
إِذْ عَـــوَّقَـــانِـــي ذَنْبِـــي وَمَيْنِـــي

وَقَدْ سَرَى ٱلضَّعْفُ فِي جَمِيعِي
وَصِـرْتُ نِضْـواً كَمَـا تَـرَيْنِـي

وَٱلْحَمْــدُ لِلهِ لَسْــتُ أَشْكُــو
إِلَــىٰ سِــوَاهُ شَــانِـي وَشَيْنِـي

فَــٱللهُ رَبِّــي وَٱللهُ حَسْبِــي
وَإِنْ أَكُــنْ قَــاصِــرَ ٱلْيَــدَيْــنِ

فَــإِنَّ ظَنِّــي بِــهِ جَمِيــلٌ
سُبْحَــانَــهُ مَــالِــكُ ٱلْخَــزَيْــنِ

مَــنْ خَــافَــهُ وَرَجَــاهُ يَحْظَــىٰ
يَـــوْمَ ٱلْمَعَـــادِ بِجَنَّتَيْـــنِ

تَمَّــتْ وَصَلُّــوا عَلَــىٰ رَسُــولٍ
أُيِّــدَ بِــٱلنَّصْــرِ فِــي حُنَيْــنِ

مُحَمَّـــدٍ سَيِّـــدِ ٱلْبَـــرَايَـــا

أَبِـــي ٱلْبَتُـــولْ جَـــدِّ ٱلْحُسَيْـــنِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٥/ ن)

بِـ « إِحْيَا عُلُومِ ٱلدِّينِ » تَحْيَا قُلُوبُنَا
وَيُكْشَــفُ عَنَّــا غَمُّنَــا وَكُــرُوبُنَــا

كِتَابٌ حَوَى ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي هُوَ نَافِعٌ
مُــؤَلِّفُــهُ أُسْتَــاذُنَــا وَطَبِيبُنَــا

كِتَــابٌ حَــوَىٰ عِلْــمَ ٱلْكِتَــابِ وَسُنَّــةٍ
وَمَــا قَــالَــهُ أَوَّاهُنَــا وَمُنِيبُنَــا

مَــوَارِيــثُ أَسْــلَافٍ لَنَــا وَأَئِمَّــةٍ
مَضَــوْا وَعَلَــىٰ آثَــارِهِــمْ مُسْتَجِيبُنَــا

إِذَا نُشِــرَتْ أَعْــلَامُــهُ وَعُلُــومُــهُ
وَأَبْصَــرَهَــا عَــلَّامُنَــا وَمُصِيبُنَــا

تَحَقَّقَ أَنَّ ٱلْعِلْمَ فِيهِ بِأَسْرِهِ

وَلَمْ يَسْتَرِبْ فِي مِثْلِ هَٰذَا أَرِيبُنَا

وَقَدْ أَطْنَبَ ٱلشَّيْخُ ٱلْإِمَامُ بِوَصْفِهِ

أَبُو ٱلْمَكْرُمَاتِ ٱلْعَيْدَرُوسُ حَبِيبُنَا

وَكَمْ غَيْرِهِ مِنْ عَارِفٍ وَمُحَقِّقٍ

وَحَبْرٍ عَلِيمٍ وَٱلْإِلَٰهُ حَسِيبُنَا

وَتَمَّتْ وَصَلَّىٰ ٱللهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ

عَلَى ٱلْمُصْطَفَى ٱلْهَادِي شَفِيعِ ذُنُوبِنَا

* * *

وقال رضي الله عنه : (٦/ ن)

خَلِّ عَنْكَ ٱلْهَمَّ يَا قَلْبِي ٱلْحَزِينْ

وَتَوَقَّعْ وَارِداً فِي كُلِّ حِينْ

يَشْرَحُ ٱلصَّدْرَ مِنَ ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينْ

وَٱعْبُدِ ٱللهَ وَكُنْ بِهْ مُسْتَعِينْ

وَٱرْضَ بِٱللهِ وَكِيلْ

إِنَّهُ نِعْمَ ٱلْكَفِيلْ

جَلَّ مَوْلَانَا ٱلْجَلِيلْ

إِنَّهُ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّهْ مَتِينْ

عَمَّ بِٱلْفَضْلِ جَمِيعَ ٱلْعَالَمِينْ

فَصْلٌ

وَحِّـدِ ٱلْفَـرْدَ ٱلْمُهَيْمِـنْ تَسْتَـرِيـحْ

إِنَّـهُ ٱلتِّـرْيَـاقُ لِلْقَلْـبِ ٱلْجَـرِيـحْ

وَتَحَقَّـقْ بِـٱلْفَنَـا ٱلصِّـرْفِ ٱلصَّـرِيـحْ

عَـنْ جَمِيـعِ ٱلْكَـوْنِ حَتَّـىٰ لَا تَبِيـنْ

وَٱبْـقَ مِنْ بَعْدِ ٱلْفَـنَا

وَٱدْنُ فِيمَـنْ قَدْ دَنَا

وَٱرْوَ مِنْ رَاحِ ٱلْهَنَا

فِـي ذُرَىٰ أَعْلَـىٰ مَقَـامَـاتِ ٱلْيَقِيـنْ

صُحْبَـةَ ٱلْقَـوْمِ ٱلْكِـرَامِ ٱلسَّـابِقِيـنْ

فَصْلٌ

خَلِّ عَنْكَ ٱلْفِكْرَ فِي أَمْرٍ مَضَىٰ
وَٱلَّذِي يَأْتِي وَسَلِّمْ لِلْقَضَا
لَا يَضِقْ صَدْرُكْ وَإِنْ ضَاقَ ٱلْفَضَا
وَٱرْتَقِبْ لُطْفاً خَفِيّاً يَا ظَنِينْ

إِنَّ فِي ٱلْغَيْبِ عَجَائِبْ
كَمْ نِعَمْ طَيَّ ٱلْمَصَائِبْ
وَأَخُو ٱلتَّدْبِيرْ خَائِبْ
لَمْ يَزَلْ فِي قَبْضَةِ ٱلشَّكِّ رَهِينْ
لَمْ يَذُقْ عَيْشَ ٱلْعِبَادْ ٱلصَّالِحِينْ

فَصْل

إنْ تُــرِدْ عِــزّاً وَمَجْــداً لَا يَبِيــدْ
فَـٱعْتَصِمْ بِـٱللهِ ذِي ٱلْعَـرْشِ ٱلْمَجِيـدْ
وَٱسْتَقِـــمْ لِلهِ وَٱلْــزَمْ لَا تَحِيــدْ
وَتَمَسَّــكْ بِــٱلْكِتَــابِ ٱلْمُسْتَبِيــنْ

وَٱتَّــبِعْ خَيْـرَ ٱلْأَنَـامْ
سَيِّـدَ ٱلرُّسْلِ ٱلْكِـرَامْ
أَحْمَدَ ٱلْمِسْكَ ٱلْخِتَامْ

اَلنَّبِــيَّ ٱلْمُصْطَفَــى ٱلْخِــلَّ ٱلْمَكِيــنْ
اَلـرَّسُـولَ ٱلْمُجْتَبَـى ٱلْهَـادِي ٱلْأَمِيـنْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٧/ ن)

خُـــذْ يَمِيناً خُـــذْ يَمِينَــا
عَـــنْ سَبِيـــلِ ٱلظَّـــالِمِينَـــا
وَٱتَّـــقِ ٱللهَ تَعَـــالَـــىٰ
عَـــنْ مَقَـــالِ ٱلْمُلْحِـــدِينَـــا
ٱلْإِلَـٰـــهَ ٱلْحَـــقَّ رَبَّ ٱلْـ
ـعَـــرْشِ رَبَّ ٱلْعَـــالَمِينَـــا
هُـــوَ رَبُّ ٱلْأَوَّلِينَـــا
هُـــوَ رَبُّ ٱلْآخِـــرِينَـــا
هُـــوَ رَبِّـــي هُـــوَ حَسْبِـــي
هُـــوَ خَيْـــرُ ٱلـــرَّازِقِينَـــا

هُــوَ غَفَّــارُ ٱلْخَطَــايَــا

هُــوَ خَيْــرُ ٱلــرَّاحِمِينَــا

رَبِّ وَٱدْخِلْنَـــا جَمِيعـــاً

فِــي ٱلْعِبَــادِ ٱلصَّــالِحِينَــا

وَٱرْضَ عَنَّــا وَٱعْــفُ عَنَّــا

وَأَجِــــرْنَـــا أَجْمَعِينَـــــا

مِــنْ عَــذَابٍ فِــي جَحِيــمٍ

أُرْصِــدَتْ لِلْمُجْــرِمِينَــا

مِــنْ عُصَــاةٍ فَــاسِقِينَــا

وَعُتَــاةٍ كَــافِــرِينَــا

رَبِّ وَٱدْخِلْنَـــا جِنَــانــاً

أُزْلِفَـــــتْ لِلْمُتَّقِينَـــــا

إِذْ يُنَـــادَوْنَ ٱدْخُلُـــوهَـــا

بِسَــــــلَامٍ آمِنِينَــــــا

وَصَــــــلَاةُ ٱللهِ تَغْشَــــــىٰ

أَحْمَـــدَ ٱلْهَـــادِي ٱلْأَمِينَــا

وَعَلَــــىٰ آلٍ وَصَحْــــبٍ

وَجَمِيـــعِ ٱلتَّـــابِعِينَــا

مَـــا تَـــلَا تَـــالٍ قُـــرَانــاً

جَـــاءَ بِـــٱلْحَـــقِّ مُبِينَــا

* * *

وقال رضي الله عنه : (٨/ ن)

عَلَيْـكَ بِتَقْـوَى ٱللهِ فِـي ٱلسِّـرِّ وَٱلْعَلَـنْ

وَقَلْبَـكَ نَظِّفْـهُ مِـنَ ٱلـرِّجْـسِ وَٱلـدَّرَنْ

وَخَالِفْ هَوَى ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي لَيْسَ قَصْدُهَا

سِوَى ٱلْجَمْعِ لِلدَّارِ ٱلَّتِي حَشْوُهَا ٱلْمِحَنْ

وَإِصْحَبْ ذَوِي ٱلْمَعْرُوفِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلْهُدَىٰ

وَجَـانِـبْ وَلَا تَصْحَـبْ هُـدِيـتَ مَـنِ ٱفْتَتَـنْ

وَإِنْ تَـرْضَ بِـٱلْمَقْسُـومِ عِشْـتَ مُنَعَّمـاً

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرْضَىٰ بِهِ عِشْتَ فِي حَزَنْ

وَصَـلِّ بِقَلْـبٍ حَـاضِـرٍ غَيْـرِ غَـافِـلٍ

وَلَا تَلْـهُ عَـنْ ذِكْـرِ ٱلْمَقَـابِـرِ وَٱلْكَفَـنْ

وَمَــا هَـٰـــذِهِ ٱلـــدُّنْيَــا بِـــدَارِ إِقَـــامَـــةٍ
وَمَـا هِـيَ إِلَّا كَـٱلطَّـرِيـقِ إِلَـى ٱلْـوَطَـنْ

وَمَــا ٱلـــدَّارُ إِلَّا جَنَّـــةٌ لِمَـــنِ ٱتَّقَـــىٰ
وَنَــارٌ لِمَـــنْ لَـــمْ يَتَّـــقِ ٱللهَ فَـــٱسْمَعَـــنْ

فَيَـــارَبِّ عَـــامِلْنَـــا بِلُطْفِـــكَ وَٱكْفِنَـــا
بِجُـــودِكَ وَٱعْصِمْنَـا مِـنَ ٱلـزَّيْـغِ وَٱلْفِتَـنْ

وَوَفِّـــقْ وَسَـــدِّدْ وَٱصْلِـــحِ ٱلْكُـــلَّ وَٱهْـدِنَـا
لِسُنَّـــةِ خَيْـــرِ ٱلْخَلْـــقِ وَٱلسَّيِّـــدِ ٱلْحَسَـــنْ

عَلَيْـــهِ صَـــلَاةُ ٱللهِ ثُـــمَّ سَـــلَامُـــهُ
صَـــلَاةً وَتَسْلِيمـــاً إِلَـــىٰ آخِـــرِ ٱلـــزَّمَـــنْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٩/ ن)

فِيمَ ٱلرُّكُونُ إِلَىٰ دَارٍ حَقِيقَتُهَا
كَٱلطَّيْفِ فِي سِنَةٍ وَٱلظِّلِّ مِنْ مُزُنِ
دَارُ ٱلْغُرُورِ وَمَأْوَىٰ كُلِّ مَرْزِيَةٍ
وَمَعْدِنُ ٱلْبُؤْسِ وَٱللَّأْوَاءِ وَٱلْمِحَنِ
اَلزُّورُ ظَاهِرُهَا وَٱلْغَدْرُ حَاضِرُهَا
وٱلْمَوْتُ آخِرُهَا وَٱلْكَوْنُ فِي ٱلشَّطَنِ
تُبِيدُ مَا جَمَعَتْ تُهِينُ مَنْ رَفَعَتْ
تَضُرُّ مَنْ نَفَعَتْ فِي سَالِفِ ٱلزَّمَنِ
اَلنَّفْسُ تَعْشَقُهَا وَٱلْعَيْنُ تَرْمُقُهَا
لِكَوْنِ ظَاهِرِهَا فِي صُورَةِ ٱلْحَسَنِ

سَحَّارَةٌ تُحْكِمُ ٱلتَّخْيِيلَ حَتَّىٰ يُرَىٰ
كَأَنَّهُ ٱلْحَقُّ إِذْ كَانَتْ مِنَ ٱلْفِتَنِ
إِنَّ ٱلْإِلَـٰهَ بَرَاهَا كَيْ يَمِيزَ بِهَا
بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ أَهْلِ ٱلْحُمْقِ وَٱلْفِطَنِ
فَذُو ٱلْحَمَاقَةِ مَنْ قَدْ ظَلَّ يَجْمَعُهَا
يُعَانِي ٱلسَّعْيَ مِنْ شَامٍ إِلَىٰ يَمَنِ
مُشَمِّراً يَرْكَبُ ٱلْأَخْطَارَ مُجْتَهِداً
لِأَجْلِهَا يَسْتَلِينُ ٱلْمَرْكَبَ ٱلْخَشِنِ
وَذُو ٱلْحِجَا يَقْلُهَا زُهْداً وَيَنْبُذُهَا
وَرَاءَهُ نَبْذَهُ ٱلْأَقْذَارَ فِي ٱلدِّمَنِ
يَرْمِي بِقَلْبٍ مُنِيرٍ فِي مَصَائِرِهَا
فَلَا يُصَادِفُ غَيْرَ ٱلْهَمِّ وَٱلْحَزَنِ

يَجُولُ بِٱلْفِكْرِ فِي تَذْكَارِ مَنْ صَرَعَتْ

مِنْ مُؤْثِرِيهَا بِسَعْيِ ٱلْقَلْبِ وَٱلْبَدَنِ

مِمَّـــنْ أَشَـــادَ مَبَـــانِيهَـــا وَأَحْكَمَهَـــا

لِيَسْتَجِـــنَّ مِـــنَ ٱلْأَقْـــدَارِ بِـــٱلْجُنَـــنِ

نَـــالُـــوا مَكَـــارِمَهَـــا أَحْيَـــوْا مَعَـــالِمَهَـــا

سَلُّـــوا صَـــوَارِمَهَـــا لِلْبَغْـــيِ وَٱلضَّغَـــنِ

رَقَـــوْا مَنَـــابِـــرَهَـــا قَـــادُوا عَسَـــاكِـــرَهَـــا

بِقُـــوَّةٍ وَٱبْتَنَـــوا ٱلْأَمْصَـــارَ وَٱلْمُـــدُنِ

وَعَبَّدُوا ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ أَصْبَحُوا ذُلُلاً

لِأَمْـــرِهِـــمْ بَيْـــنَ مَغْلُـــوبٍ وَمُمْتَهَـــنِ

وَجَمَّعُـــوا ٱلْمَـــالَ وَٱسْتَصْفَـــوْا نَفَـــائِسَـــهُ

لِمِتْعَـــةِ ٱلنَّفْـــسِ فِـــي مُسْتَقْبَـــلِ ٱلـــزَّمَـــنِ

حَتَّىٰ إِذَا ٱمْتَلَؤُوا بِشْراً بِمَا ظَفِرُوا

وَمُكِّنُوا مِنْ عُلَاهَا أَبْلَغَ ٱلْمِكَنِ

نَادَاهُمُ هَاذِمُ ٱللَّذَّاتِ فَٱقْتَحَمُوا

سُبْلَ ٱلْمَمَاتِ فَأَضْحَوْا عِبْرَةَ ٱلْفَطِنِ

تِلْكَ ٱلْقُبُورُ وَقَدْ صَارُوا بِهَا رِمَماً

بَعْدَ ٱلضَّخَامَةِ فِي ٱلْأَجْسَامِ وَٱلسِّمَنِ

بَعْدَ ٱلتَّشَهِّي وَأَكْلِ ٱلطَّيِّبَاتِ غَدَا

يَأْكُلُهُمُ ٱلدُّودُ تَحْتَ ٱلتُّرْبِ وَٱللَّبِنِ

تَغَيَّرَتْ مِنْهُمُ ٱلْأَلْوَانُ وَٱنْمَحَقَتْ

مَحَاسِنُ ٱلْوَجْهِ وَٱلْعَيْنَيْنِ وَٱلْوَجَنِ

خَلَتْ مَسَاكِنُهُمْ عَنْهُمْ وَأَسْلَمَهُمْ

مَنْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَنِ

وَعَافَهُمْ كُلُّ مَنْ قَدْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ

مِـــنَ ٱلْأَقَــارِبِ وَٱلْأَهْلِيــنَ وَٱلْخَــدَنِ

مَا كَانَ حَظُّهُمُ مِنْ عَرْضِ مَا ٱكْتَسَبُوا

غَيْرَ ٱلْحَنُوطِ وَغَيْرَ ٱلْقُطْنِ وَٱلْكَفَنِ

تِلْكَ ٱلْقُصُورُ وَتِلْكَ ٱلدُّورُ خَاوِيَةٌ

يَصِيحُ فِيهَا غُرَابُ ٱلْبَيْنِ بِٱلْوَهَنِ

فَلَــوْ مَــرَرْتَ بِهَــا وَٱلْبُــومُ تَنْــدُبُهَــا

فِي ظُلْمَةِ ٱللَّيْلِ لَمْ تَلْتَذَّ بِٱلْوَسَنِ

وَلَا تَجَمَّلْــتَ بِــٱلْأَرْيَــاشِ مُفْتَخِــراً

وَلَا ٱفْتَتَنْتَ بِحُبِّ ٱلْأَهْلِ وَ ٱلسَّكَنِ

وَلَا تَلَــذَّذْتَ بِــٱلْمَطْعُــومِ مُنْهَمِكــاً

وَلَا سَعَيْــتَ لِــدُنْيَــا سَعْــيَ مُفْتَتِــنِ

وَلَا ٱعْتَبَـرْتَ إِذَا شَـاهَـدْتَ مُعْتَبَـراً

تَـرَاهُ بِـٱلْعَيْـنِ أَوْ تَسْمَعْـهُ بِـٱلْأُذُنِ

إِنَّ ٱلْمَـواعِـظَ لَا تُغْنِـي أَسِيـرَ هَـوىً

مُقَفَّـلَ ٱلْقَلْـبِ فِـي حَيْـدٍ عَـنِ ٱلسَّنَـنِ

مُسْتَكْبِـراً يَبْطُـرُ ٱلْحَـقَّ ٱلصَّـرِيـحَ إِذَا

يُلْقَـىٰ إِلَيْـهِ لِفَـرْطِ ٱلْجَهْـلِ وَٱلشَّنَـنِ

يُمَنِّـيَ ٱلنَّفْـسَ أَمْـراً لَيْـسَ يُـدْرِكُـهُ

إِنَّ ٱلْأَمَـانِـيَ مِقْطَـاعٌ عَـنِ ٱلْمِنَـنِ

يَكْفِـي ٱللَّبِيـبَ كِتَـابُ ٱللهِ مَـوْعِظَـةً

كَمَا أَتَىٰ فِي حَدِيثِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْحَسَنِ

مُحَمَّـدٍ خَيْـرِ خَلْـقِ ٱللهِ قُـدْوَتِنَـا

مُطَهَّرِ ٱلْجَيْبِ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ دَرَنِ

عَلَيْــهِ مِنَّـــا صَـــلَاةُ ٱللهِ دَائِمَـــةً

مَا سَارَتِ ٱلرِّيحُ بِٱلْأَمْطَارِ وَٱلسُّفُنِ

وَٱلْآلِ وٱلصَّحْـبِ مَـا غَنَّـتْ مُطَـوَّقَـةٌ

وَمَا بَكَتْ عَيْنُ مُشْتَاقٍ عَلَىٰ وَطَنِ

* * *

وقال رضي الله عنه :

(١٠/ن)

كَـمْ بِقَلْبِـي فِيـكَ مِـنْ شَجَـنِ
يَـا حَيَـاةَ ٱلـرُّوحِ وَٱلْبَـدَنِ

مَا طَوَافِي ٱلْيَوْمَ فِي ٱلدِّمَنِ
وَٱغْتِرَابُ ٱلنَّفْسِ فِي ٱلْوَطَنِ

* * *

غَيْرَ مِنْ شَوْقِي وَمِنْ وَلَهِي
بِـكَ يَـا رَوحِـي وَيَـا نُـزَهِـي

صَـارَ عَقْلِـي فِيـكَ كَـٱلْبَلَـهِ
وَتَـوَلَّـىٰ بِـٱلْأَسَـىٰ زَمَنِـي

* * *

غِبْتَ عَنِّي يَا مَدَىٰ أَمَلِي
فَٱمْتَلَا قَلْبِي مِنَ ٱلْوَجَلِ
وَجَرَىٰ دَمْعِي مِنَ ٱلْمُقَلِ
كَٱلْحَيَا يَنْهَلُّ مِنْ مُزُنِ

* * *

يَا عُذَيْبَ ٱللَّفْظِ وَٱلشَّنَبِ
أَنْتَ مَا تَرْثَىٰ لِمُكْتَئِبِ
ذَائِبِ ٱلْأَحْشَا مِنَ ٱللَّهَبِ
هُوَ وَٱلْأَسْقَامَ فِي رَسَنِ

* * *

يَا جَمِيلَ ٱلْحَلْيِ وَٱلْحُلَلِ
وَلَطِيفَ ٱلدَّلِّ وَٱلْقُبَلِ

أَنْـتَ تِـرْيَـاقِـي مِـنَ ٱلْعِلَـلِ
وَمِـــنَ ٱلْآفَـــاتِ وَالْمِحَـــنِ

* * *

يَـا غَـزَالَ ٱلْكُثْـبِ وَٱلْخِيَـمِ
عَـنْ يَمِيـنِ ٱلضَّـالِ وَٱلسَّلَـمِ
هَـلْ تُـوَاصِـلْ دَائِـمَ ٱلْأَلَـمِ
مُسْتَهَـامـاً بِـٱلْبِعَـادِ فَنِـي

* * *

قُـرْبُكُـمْ أَقْصَـىٰ مَطَـالِبِـهِ
وَٱللِّقَـا أَسْنَـىٰ مَـآرِبِـهِ
فَـأَرِيحُـوا مِـنْ مَتَـاعِبِـهِ
قَلْبَـهُ ٱلْمَشْحُـونَ بِـٱلْحَـزَنِ

* * *

عَطْفَـــةً يَـــا جِيـــرَةَ ٱلْعَلَـــمِ

يَـــا أُهَيْـــلَ ٱلْجُـــودِ وَٱلْكَـــرَمِ

نَحْـــنُ جِيـــرَانٌ بِـــذَا ٱلْحَـــرَمِ

حَـــرَمِ ٱلْإِحْسَـــانِ وَٱلْحَسَـــنِ

* * *

نَحْـــنُ مِـــنْ قَـــوْمٍ بِـــهِ سَكَنُـــوا

وَبِـــهِ مِـــنْ خَـــوْفِهِـــمْ أَمِنُـــوا

وَبِـــآيَـــاتِ ٱلْقُـــرَانِ عُنُـــوا

فَـــٱتَّئِـــدْ فِينَـــا أَخَـــا ٱلْـــوَهَـــنِ

* * *

نَعْـــرِفُ ٱلْبَطْحَـــا وَتَعْـــرِفُنَـــا

وَٱلصَّفَـــا وَٱلْبَيْـــتُ يَـــأْلَفُنَـــا

وَلَنَــا ٱلْمَعْــلَا وَخَيْــفُ مِنَــىٰ
فَــٱعْلَمَــنْ هَــٰذَا وَكُــنْ وَكُــنِ

* * *

وَلَنَــــا خَيْــــرُ ٱلْأَنَــــامِ أَبُ
وَعَلِــيٌّ ٱلْمُــرْتَضَــىٰ حَسَــبُ
وَإِلَــــى ٱلسِّبْطَيْــــنِ نَنْتَسِــــبُ
نَسَبــاً مَــا فِيــهِ مِــنْ دَخَــنِ

* * *

كَــــمْ إِمَــــامٍ بَعْــــدَهُ خَلَفُــــوا
مِنُــهْ سَــادَاتٌ بِــذَا عُــرِفُــوا
وَبِهَــٰذَا ٱلْوَصْفِ قَدْ وُصِفُوا
مِــنْ قَــدِيــمِ ٱلــدَّهْــرِ وَٱلــزَّمَــنِ

* * *

مِثْـلِ زَيْـنِ ٱلْعَـابِـدِيـنَ عَلِـي
وَٱبْنِـهِ ٱلْبَـاقِـرِ خَيْـرِ وَلِـي

وَٱلْإِمَـامِ ٱلصَّـادِقِ ٱلْحَفِـلِ
وَعَلِـيٍّ ذِي ٱلْعُـلَا ٱلْيَقِـنِ

*   *   *

فَهُـمُ ٱلْقَـوْمُ ٱلَّـذِيـنَ هُـدُوا
وَبِفَضْـلِ ٱللهِ قَـدْ سَعِـدُوا

وَلِغَيْـرِ ٱللهِ مَـا قَصَـدُوا
وَمَـعَ ٱلْقُـرْآنِ فِـي قَـرَنِ

*   *   *

أَهْـلُ بَيْـتِ ٱلْمُصْطَفَـى ٱلطُّهُـرِ
هُـمْ أَمَـانُ ٱلْأَرْضِ فَـٱدَّكِـرِ

شُبِّهُوا بِٱلْأَنْجُمِ ٱلزُّهُرِ
مِثْلَ مَا قَدْ جَاءَ فِي ٱلسُّنَنِ

* * *

وَسَفِينٌ لِلنَّجَاةِ إِذَا
خِفْتَ مِنْ طُوفَانِ كُلِّ أَذَىٰ
فَٱنْجُ فِيهَا لَا تَكُونُ كَذَا
وَٱعْتَصِمْ بِٱللهِ وَٱسْتَعِنِ

* * *

رَبِّ فَٱنْفَعْنَا بِبَرْكَتِهِمْ
وَٱهْدِنَا ٱلْحُسْنَىٰ بِحُرْمَتِهِمْ
وَأَمِتْنَا فِي طَرِيقَتِهِمْ
وَمُعَافَاةٍ مِنَ ٱلْفِتَنِ

* * *

ثُـــمَّ لَا تَغْتَــرَّ بِـــٱلنَّسَـــبِ

لَا وَلَا تَقْنَـــعْ بِكَـــانَ أَبِـــي

وَٱتَّبِـعْ فِـي الْهَـدْيِ خَيْـرَ نَبِـي

أَحْمَـدَ ٱلْهَـادِي إِلَـى ٱلسَّنَـنِ

* * *

فَهْــــوَ خَتْـــمٌ لِلنَّبِيِّينَـــا

وَإِمَـــامٌ لِلْمُطِيعِينَـــــا

وَلِسَـــانٌ لِلْمُجِيبِينَـــا

يَـوْمَ نُـودُوا خَيْـرُ مُـؤْتَمَـنِ

* * *

صَلَـــوَاتُ ٱللهِ ذِي ٱلْكَـــرَمِ

تَتَغَشَّـى ٱلْمُصْطَفَـى ٱلْعَلَـمِ

مَـا سَـرَىٰ رَكْـبٌ إِلَـى ٱلْحَـرَمِ

وَصَبَـا صَـبٌّ إِلَـىٰ سَكَـنِ

* * *

وَعَلَـىٰ آلِ ٱلنَّبِـي ٱلْكُـرَمَـا

وَعَلَـىٰ أَصْحَـابِـهِ ٱلْعُلَمَـا

وَعَلَـىٰ أَتْبَـاعِـهِ ٱلْحُكَمَـا

وَأُولِـي ٱلْأَلْبَـابِ وَٱلْفِطَـنِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١١/ ن)

مَضَى ٱلصِّدْقُ وَٱهْلُ ٱلصِّدْقِ يَا سَعْدُ قَدْ مَضَوْا
فَـلَا تَطْلُبَـنَّ ٱلصِّـدْقَ مِـنْ أَهْـلِ ذَا ٱلـزَّمَـنْ
فَلَيْـسَ لَهُـمْ صِـدْقٌ وَلَا يَعْـرِفُـونَـهُ
قَـدِ ٱرْتَبَكُـوا فِـي لُجَّـةِ ٱلْمَيْـنِ وَٱلـدَّرَنْ
تَمَلَّكَهُـمْ حُـبُّ ٱلْحُظُـوظِ وَشَهْـوَةُ ٱلنُّـ
ـفُـوسِ فَقُـلْ يَـا رَبِّ عَـافِ مِـنَ ٱلْفِتَـنْ
فَـأَيْـنَ أُولُـو ٱلتَّقْـوَىٰ وَأَيْـنَ أُولُـو ٱلنُّهَـىٰ
وَأَيْـنَ أُولُـو ٱلْإِيقَـانِ وَٱلْعِلْـمِ وَٱلْفِطَـنْ
وَأَيْـنَ ٱلـرِّجَـالُ ٱلْمُقْتَـدَىٰ بِفِعَـالِهِـمْ
وَأَقْـوَالِهِـمْ يَـا سَعْـدُ فِـي ٱلسِّـرِّ وَٱلْعَلَـنْ

أَكُلُّهُـــمُ مَـــاتُـــوا أَكُلُّهُـــمُ فَنُـــوا

أَمِ ٱسْتَتَــرُوا لَمَّـــا تَعَـــاظَمَـــتِ ٱلْمِحَـــنْ

وَلَــمْ يَبْــقَ خَيْــرٌ فِــي ٱلــزَّمَــانِ وَأَهْلِــهِ

وَقَــدْ هَجَــرُوا ٱلْقُــرْآنَ وَٱلْعِلْــمَ وَٱلسُّنَــنْ

فَـــآهٍ وَآهٍ كَـــمْ بِقَلْبِـــيَ مِـــنْ أَسَـــىٰ

وَكَمْ لِي وَكَمْ بِي مِنْ غَلِيلٍ وَمِنْ شَجَنْ

إِلَـــى ٱللهِ أَشْكُـــو وَٱلنَّبِـــيِّ مُحَمَّـــدٍ

وَكُــلِّ عَلِيْــمٍ بِــٱلــدِّيَــانَــةِ مُــؤْتَمَــنْ

* * *

وقال رضي الله عنه :

مَــنْ عَــاوَنَ ٱلشَّيْطَــانَ فِــي ظُلْمِــهِ
وَفِسْقِــهِ مِــنْ جُمْلَــةِ ٱلْفَــاسِقِيــنْ

فَهْوَ غَـرِيـقٌ فِـي ٱلضَّـلَالِ وَفِـي ٱلْـ
ـعِنَـــادِ لِلهِ ٱلقَـــوِيِّ ٱلْمَتِيـــنْ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٢/ ن)

وَصَلْنَا إِلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي دُونَهُ ٱلْمُنَىٰ
فَلِلَّـهِ رَبِّـي ٱلْحَمْـدُ وَٱلشُّكْـرُ وَٱلثَّنَـا

وَزُرْنَا عَرُوسَ ٱلْحَيِّ وَسْطَ خِبَائِهَا
مُسَـرْبَلَـةً بِـٱلْحُسْـنِ وَٱلنُّـورِ وَٱلسَّنَـا

وَطُفْنَـا بِهَـا مُسْتَـأْنِسِيـنَ بِقُـرْبِهَـا
وَتَقْبِيلِ خَالِ ٱلْخَدِّ يَا سَعْدَ مَنْ دَنَا

وَشَـاهَـدَتِ ٱلْأَرْوَاحُ مِنَّـا شَعَـائِـراً
مُعَظَّمَـةً قَـدْ ضَمَّهَـا ٱلْبَيْـتُ وَٱلْفِنَـا

مَقَـامٌ وَحِجْـرٌ وَٱلشَّـرَابُ وَإِنَّـهُ
لَكَـوْثَـرُ دَارِ ٱلْخُلْـدِ فِـي عَـالَـمِ ٱلْفَنَـا

وَكَـمْ مَـرَّةٍ عَـانَقْتُهَـا وَٱلْتَـزَمْتُهَـا

بِمُلْتَـزَمِ ٱلْخَيْـرَاتِ وَٱلْفَـوْزِ وَٱلْهَنَـا

وَرُحْتُ وَلَمْ أَشْفِ ٱلْغَلِيلَ وَلَا ٱنْقَضَتْ

أَمَـانِـيُّ نَفْسٍ مِـنْ لِقَـاهَـا وَلَا غِنَـىٰ

وَسِـرْتُ وَفِـي قَلْبِـي إِلَيْهَـا تَشَـوُّقٌ

وَفِيهِ ٱلْتِفَاتٌ لَوْ سَلَا ٱلدَّهْرَ مَا ٱنْثَنَىٰ

وَأَجْمَلْتُ قَصْداً يَا أَخَا ٱلسَّمْعِ مَا جَرَىٰ

هُنَـاكَ وَلَـوْ فَصَّلْتُـهُ هَـاجَ بِـي ٱلْعَنَـا

رَعَـى ٱللهُ رَبُّ ٱلْعَـالَمِيـنَ عَشِيَّـةً

وَقَفْنَـا بِهَـا دُونَ ٱلْمَشَـاعِـرِ مِـنْ مِنَـىٰ

عَلَىٰ عَرَفَاتِ ٱلْخَيْرِ وَٱلْعَفْوِ وَٱلرِّضَا

لِمَـنْ كَـانَ مِنَّـا مُحْسِنـاً وَلِمَـنْ جَنَـىٰ

وَحَيَّا لَيَالِي ٱلْخَيْفِ مَا كَانَ مِثْلَهَا
سِوَىٰ مِثْلِ طَيْفٍ فِي ٱلْمَنَامِ دَنَا وَنَا

عَسَىٰ وَعَسَىٰ أَنْ تَنْثَنِيْ وَتَعُودَ لِي
بِفَضْلِ عَظِيمِ ٱلْفَضْلِ وٱلْجُودِ وَٱلسَّنَا

وَصَلِّ إِلَـٰهِي كُلَّ وَقْتٍ وَسَاعَةٍ
عَلَى ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُخْتَارِ يَا خَيْرَ مُقْتَنَىٰ

* * *

وقال رضي الله عنه :

(١٣/ ن)

هَبَّتْ رِيَاحُ ٱلْقُرْبِ وَٱلتَّدَانِي
مِنْ حَيٍّ مَنْ بِٱلْحُسْنِ قَدْ سَبَانِي
مُتَمَّمِ ٱلْأَوْصَافِ وَٱلْمَعَانِي
حُبُّهْ ثَوَىٰ فِي داخِلِ ٱلْجَنَانِ

* * *

مَا ٱلْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ ٱلْأَوَّلْ
لَا عَاشَ مَنْ عَنْ حُبِّهِ تحَوَّلْ
وَلَا صَفَا قَلْبٌ بِهِ تبَدَّلْ
وَلَا تقَدَّسْ مَنْ يقُلْ بِثَانِي

* * *

أَمَّـــا أَنَـــا يَـــا صَـــاحْ مَـــا بِقَلْبِـــي
وَلَا بِـــــأَسْـــــرَارِي وَلَا بِلُبِّـــــي
مِــنْ جُمْلَــةِ ٱلْأَحْبَــابِ غَيْــرُ حِبِّــي
أَقْصَــى ٱلْمَطَــالِــبْ مُنْتَهَــى ٱلْأَمَــانِــي

* * *

قُــلْ لِلْعَــوَاذِلْ يَتْــرُكُــوا مَــلَامِــي
فَــإِنَّ شَــوْقِــي فِــي ٱلْفُــؤَادِ نَــامِــي
وَٱلــدَّمِــعْ مِــنْ فَــوْقِ ٱلْخُــدُودْ هَــامِــي
لَا أَسْتَمِــــعْ قَــــوْلَ ٱلَّــــذِي نَهَــــانِــــي

* * *

اَللهُ حَسْبِــــــي اَلْإِلَــــــهُ ٱلْأَكْــــــرَمْ
وَمُصْطَفَــــاهُ ٱلْهَــــادِيَ ٱلْمُقَــــدَّمْ

صَلَّـــىٰ عَلَيْـــهِ ٱللَّهُ ثُـــمَّ سَلَّـــمْ

وَٱلْآلَ وَٱلْأَصْحَـــابْ كُـــلْ أَوَانِ

* * *

وقال رضي الله عنه :

لَا تَعْشُ عَنْ ذِكْرِ ٱلْإِلَٰهِ فَإِنَّهُ
مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ ٱلْإِلَٰهِ يُهِينُهُ
وَيْقَيِّضُ ٱلْمَذْكُورُ جَلَّ جَلَالُهُ
لِلْغَافِلِ ٱلشَّيْطَانَ فَهْوَ قَرِينُهُ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٤/ ن)

لَا نَسِيمُ ٱلصَّبَا إِذَا هَبَّ وَهْنَا
وَبَرِيقُ ٱلْحِمَىٰ إِذَا ٱللَّيْلُ جَنَّا

لَا وَلَا ٱلسَّاجِعَاتُ تُشْجِي وَتُغْرِي
فِي ذُرَىٰ كُلِّ مَائِسٍ يَتَثَنَّىٰ

يُذْكِرَانِي وِصَالَ مَنْ قَدْ جَفَانِي
وَأَطَالَ ٱلصُّدُودَ عَنِّي وَضَنَّا

وَتَنَاسَى ٱلْعُهُودَ عَمْداً وَجَازَىٰ
بِٱلْإِسَاءَاتِ مِنْهُ حُسْناً وَحُسْنَىٰ

لَا أُبَالِي بِهِ وَلَٰكِنَّ حِلْماً
وَٱحْتِمَالاً عَمَّنْ جَنَىٰ وَتَجَنَّىٰ

قَبَّحَ ٱللهُ ذَا ٱلزَّمَانَ فَكَمْ قَدْ
هَدَّ لِلأَكْرَمِينَ سُوراً وَرُكْنَا

وَبَنَىٰ لِلِّئَامِ دُوراً وَسُوراً
وَأَشَادَ لَهُمْ رِبَاعاً وَحِصْنَا

خُذْ يَمِيناً عَنْهُمْ وَسِرْ فِي طَرِيقٍ
مُسْتَقِيمٍ إِلَى ٱلنَّعِيمِ ٱلْمُهَنَّا

رَحْمَةِ ٱللهِ جَنَّةِ ٱللهِ خُلْداً
وَبَقَاءً وَلَذَّةً لَيْسَ تَفْنَىٰ

فِي جِوَارِ ٱلْحَبِيبِ خَيْرِ ٱلْبَرَايَا
اَلْخَلِيلِ ٱلْجَلِيلِ فَضْلاً وَمَنَّا

وَٱلْإِلَـٰهُ ٱلْكَرِيمُ مِنْهُمْ قَرِيبٌ
قَدْ رَضِي عَنْهُمُ فَأَعْطَىٰ وَأَسْنَىٰ

وَصَــلَاةُ ٱلْإِلَـٰـهِ فِــي كِــلِّ حِيــنٍ
لِنَبِــيِّ ٱلْهُــدَىٰ فُــرَادَىٰ وَمَثْنَــىٰ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٥/ ن)

يَـــا رَبَّنَـــا يَـــا رَبَّنَـــا
يَـــا رَبُّ يَـــا أَهْـــلَ ٱلثَّنَـــا
يَـــا ذَا ٱلْجَـــلَالِ وَذَا ٱلْعُـــلَا
يَـــا ذَا ٱلْبَهَـــاءِ وَذَا ٱلسَّنَـــا
أَحَطْـــتَ عِلْمـــاً سَيِّـــدِي
بِمَـــا تَقَـــاصَـــىٰ وَدَنَـــا
وَلَـــكَ ٱلْمَشِيئَـــةُ مَـــا تَشَـــا
كَـــانَ ذَلِيـــلاً مُـــذْعِنَـــا
وَعَلَـــوْتَ عَـــنْ إِدْرَاكِنَـــا
وَإِنْ أَطَلْنَـــــا ٱلْإِعْتِنَـــــا

فَنِهَــــايَــــةُ ٱلْمُتَعَمِّقِيــــنَ

تَحَيُّــــرٌ يَــــا مُمْعِنَــــا

مَــا عَنْــهُ حِــرْنَــا إِنَّمَــا

فِيــهِ نَحْيِــرُ لِعَجْــزِنَــا

إِنَّ ٱلْــوُجُــودَ بِــأَسْــرِهِ

بِــٱلْأَحَــدِيَّــةِ مُعْلِنَــا

بَهَــرَتْ بَــدَائِعُــهُ ٱلْعُقُــولْ

فَغَــدَا ٱلْمُــوَفَّــقُ مُــوقِنَــا

وَتَثَبَّــطَ ٱلْمُتَشَكِّكُــونْ

وَكَــأَنَّهُــمْ لَيْسُــوا هُنَــا

سُحْقــاً لِمَــنْ يَشُــكُّ فِــي ٱلْـ

ـحَــقِّ وَقَــدْ تَبَيَّنَــا

يَـــا أَوَّلاً يَـــا آخِـــراً

يَـا ظَـاهِـراً يَـا بَـاطِنَـا

لَـكَ ٱلْقِـدَمْ وَلَنَـا ٱلْحُـدُوثْ

وَلَـكَ ٱلْبَقَـا وَلَنَـا ٱلْفَنَـا

يَـا حَـيُّ يَـا قَيُّـومُ إِنْ

وَكَلْتَنَـا فَمَـنْ لَنَـا

حَـاشَـاكَ أَنْ تُهْمِلَنَـا

حَـاشَـاكَ أَنْ تُخَلِّنَـا

يَـا أَمَـلَ ٱلْمُـؤَمِّلِيـنْ

وَيَـا مَـلَاذاً كُـنْ لَنَـا

فَمِنْـكَ كُـلُّ خِيْـرَةٍ

وَكُـلُّ نِعْمَـةٍ بِنَـا

أَحْسَنْـتَ فِيمَـا قَـدْ مَضَـىٰ
أَبِّــدْ وَزِدْ يَــا مُحْسِنَــا
هَــا أَنَــا ذَا عُبَيْــدُكَ ٱلْـ
ـجَانِـي ٱلْمُقَصِّـرُ بِـٱلْفِنَـا
مُسْتَغْفِــراً لِــذَنْبِــهِ
مُعْتَـرِفـاً بِمَـا جَنَـىٰ
يَـرَى ٱفْتِقَـارَهُ إِلَيْـكَ
عَلَـى ٱلـدَّوَامِ هُـوَ ٱلْغِنَـىٰ
وَلِعِـزِّ قَهْـرِكَ خَـاضِـعٌ
مُتَـوَاضِـعٌ مُتَمَسْكِنَـا
وَلَقَـدْ سَبَتْـهُ حُظُـوظُـهُ
حَتَّـىٰ لَقِـيْ مِنْهَـا ٱلْعَنَـا

مَلَكَتْـــــــهُ أُمْنِيَّـــــاتُ نَفْـ

ـــسٍ هَمُّهَــا عَــرَضُ ٱلــدُّنَــا

وَلَقَـــدْ أَتَـــاكَ بِيَـــأْسِـــهِ

عَمَّـــا سِـــوَاكَ وَلَا ٱنْثَنَـــىٰ

صِفْـــرَ ٱلْيَـــدَيْـــنِ يَمُـــدُّهَـــا

فَـــأَنِلْـــهُ غَـــايَـــاتِ ٱلْمُنَـــىٰ

وَأَذِقْـــهُ بَـــرْدَ رَضَـــاكَ عَنْـ

ـــهُ لِكَـــيْ يَـــدُومَ لَـــهُ ٱلْهَنَـــا

وَأَحْيِـــهِ لَـــكَ مُسْلِمـــاً

وَتَـــوَفَّـــهُ بِـــكَ مُـــوْقِنَـــا

وَٱجْعَلْـــهُ يَـــوْمَ نُشُـــورِهِ

مِـــنْ كُـــلِّ خَـــوْفٍ آمِنَـــا

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٦/ ن)

يَا ظَبْيِ عَيْدِيذْ مَا فِي ٱلْحُسْنِ لَكْ ثَانِي
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَىٰ لُقْيَاكَ يَا غَانِي
وَهَلْ لَنَا مَطْمَعٌ فِي ٱلْوَصْلِ يَا أَمَلِي
وَقْتاً فَتَصْفُو أُوَيْقَاتِي وَأَحْيَانِي
يَا شَادِنَ ٱلْحَيِّ مِنْ جَرْعَاءِ ذِي سَلَمٍ
أَلَا أَلَا تَرْعَ مِيثَاقِي وَأَيْمَانِي
كَمْ ذَا ٱلتَّجَافِي وَكَمْ ذَا ٱلصَّدُّ عَنْ كَلِفٍ
حَلِيفِ وَجْدٍ وَأَشْوَاقٍ وَأَحْزَانِ
يَبْكِي عَلَىٰ زَمَنٍ وَلَّىٰ وَمُجْتَمَعٍ
بِٱلرَّقْمَتَيْنِ لِأَحْبَابٍ وَأَخْدَانِ

مِـــنْ كُـــلِّ بَـــرٍّ تَقِـــيٍّ زَاهِـــدٍ وَرِعٍ
لَـهُ إِلَـى ٱللهِ سَيْـرٌ لَيْـسَ بِـٱلْـوَانِـي

مِــنْ فِتْيَـةٍ مَـا لَهُـمْ هَـمٌّ وَلَا شُغُـلٌ
وَلَا ٱلْتِفَـاتٌ وَلَا مَيْـلٌ إِلَـى ٱلْفَـانِـي

رَاحُـوا فَصَـارَ نَعِيـمُ ٱلْعَيْـشِ بَعْـدَهُـمُ
بُـؤْسـاً بِغَيْـرِ ٱلَّـذِي أَهْـوَاهُ يَلْقَـانِـي

وَٱلْيَوْمَ لَمْ يَبْقَ لِي يَا صَاحِبِي أَرَبٌ
لَـوْلَا وَلَـوْلَا وَحُسْـنُ ٱلظَّـنِّ أَحْيَـانِـي

سَقْيـاً لِأَيَّـامِنَـا ٱلْغُـرِّ ٱلَّتِـي سَلَفَـتْ
مَــعَ ٱلْأَحِبَّــةِ مِــنْ سُكَّــانِ نَعْمَــانِ

حَيْثُ ٱلْخِيَامُ بِهَا ٱلْبِيضُ ٱلْأَوَانِسُ وَٱلْـ
ـغِيــدُ ٱلــرَّوَاتِــعُ فِــي رَوْحٍ وَرَيْحَــانِ

وَغَـادَةٌ وَعَـدَتْ بِـٱلْـوَصْـلِ ثُـمَّ لَـوَتْ
بَلْ أَخْلَفَتْ فَثَنَتْ قَلْبِي عَنِ ٱلثَّانِي

فَمَنْ رَسُولِي إِلَىٰ سُعْدَىٰ يُخَبِّرُهَا
أَنِّـي سَقِيـمٌ وَأَنَّ ٱلْبُعْـدَ أَضْنَـانِـي

وَأَنَّ طِبِّـي مِـنَ ٱلْأَسْقَـامِ فِـي يَـدِهَـا
سَهْـلٌ عَلَيْهَـا فَـلَا تَبْخَـلْ بِـإِحْسَـانِ

وَأَنَّ لِـي أَمَــلاً فِــي أَنْ تَــرِقَّ وَأَنْ
تَحْنُــو لِــوَصْلَــةِ أَرْحَــامٍ وَجِيــرَانِ

فَـإِنْ وَإِلَّا فَـإِنِّـي قَـدْ رَكَنْـتُ إِلَـىٰ
رُكْـنٍ شَـدِيـدٍ لَـهُ شَـأْنٌ مِـنَ ٱلشَّـانِ

مُقَـدَّمِ ٱلْقَـوْمِ قُطْـبِ ٱلْأَوْلِيَـاءِ وَمَـنْ
سَمَا بِمَجْدٍ عَلَى ٱلْقَاصِي مَعَ ٱلدَّانِي

شَيْخِ ٱلشُّيُوخِ وَأُسْتَاذِ ٱلْأَكَابِرِ أَرْ
بَابِ ٱلْبَصَائِرِ مِنْ حَبْرٍ وَرَبَّانِي
شَرِيفِ أَصْلٍ وَنَفْسٍ جَامِعٍ رَسَخَتْ
أَقْدَامُهُ فِي كُشُوفَاتٍ وَعِرْفَانِ
إِمَامِ شَرْعٍ لَهُ ٱلْبَاعُ ٱلطَّوِيلُ بِهِ
عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَتَحْقِيقٌ بِإِيقَانِ
وَشَيْخِ أَهْلِ طَرِيقِ ٱللهِ قَاطِبَةً
بِلَا دِفَاعٍ وَلَا طَعْنٍ لِطَعَّانِ
غَوْثِ ٱلْعِبَادِ وَغَيْثٍ لِلْبَلَادِ بِهِ
تَحْيَا ٱلْجُدُوبُ وَيَرْوَىٰ كُلُّ عَطْشَانِ
دَاعٍ إِلَى ٱللهِ بِٱلْقَوْلِ ٱلسَّدِيدِ وَبِٱلْـ
ـفِعْلِ ٱلْحَمِيدِ عَلَىٰ عِلْمٍ وَبُرْهَانِ

هَـادٍ هَـدَى ٱللهُ رَبُّ ٱلْعَـالَمِيـنَ بِـهِ
أَهْـلَ ٱلضَّـلَالَـةِ مِـنْ غَـاوٍ وَحَيْـرَانِ

كَـانَـتْ بِـدَايَتُـهُ مِثْلَ ٱلنِّهَـايَـةِ مِـنْ
أَقْـرَانِـهِ فَـٱعْتَبِـرْ هَـٰذَا بِتِبْيَـانِ

(مُحَمَّـدُ بْـنُ عَلِـيٍّ) شَيْـخُ مَشْيَخَـةٍ
لَنَـا وَأَصْـلُ فُـرُوعٍ ثُمْـرُهَـا دَانِـي

يَا سَيِّدِي يَا جَمَالَ ٱلدِّينِ يَا سَنَدِي
أَدْرِكْ صَـرِيخـاً أَخَـا غَـمٍّ وَأَحْـزَانِ

يَـدْعُـو بِـكَ ٱللهَ فِـي تَفْـرِيـجِ كُـرْبَتِـهِ
وَمَـا عَنَـاهُ دُعَـاءَ ٱلْخَـائِـفِ ٱلْجَـانِـي

فَقُـمْ بِـهِ وَأَغِثْـهُ وَٱحْـمِ جَـانِبَـهُ
مِمَّـا يُحَـاذِرُ فِـي سِـرٍّ وَإِعْـلَانِ

أَنْـتَ ٱلْغِيَـاثُ لَنَـا فِـي كُـلِّ نَـائِبَـةٍ

بَعْـدَ ٱلْإِلَـٰـهِ وَطَـٰـهَ خَيْـرِ عَـدْنَـانِ

وَأَنْـتَ عُـدَّتُنَـا عِنْـدَ ٱلْخُطُـوبِ إِذَا

لَحَّـتْ وَهَمَّـتْ بِـإِيقَـاعٍ وَعُـدْوَانِ

فَغَـارَةً يَـا شَـرِيـفَ ٱلْجَـدِّ عَـاجِلَـةً

تَحُلُّ عُقْدَةَ هَـٰذَا ٱلْخَطْبِ فِي ٱلْآنِ

لَا زِلْـتَ يَـا ٱبْـنَ رَسُـولِ ٱللهِ مُنْتَجَعـاً

لِلـرَّاغِبِيـنَ وَمَلْجَـا كُـلِّ لَهْفَـانِ

مِـنْ خَيْـرِ ذُرِّيَـةٍ غَـرَّا وَجِيـرَتِهِـمْ

بِبَلْـدَةِ ٱلْخَيْـرِ مِـنْ عِلْـمٍ وَقُـرْآنِ

نَعَـمْ وَبِـٱلْـوَادِي ٱلْمَيْمُـونِ أَجْمَعِـهِ

وَادِي ٱبْنِ رَاشِدَ مِنْ أَقْيَالِ قَحْطَانِ

وَإِنَّ لِــي مَطْلَبــاً أَرْجُــو تُنَجِّــزُهُ
بِيُمْنِ وَجْهِكَ فِي لُطْفٍ وَرِضْوَانِ
فَٱنْهَضْ بِهِ وَٱسْتَقِمْ فِيهِ أَبَا عَلَوِي
لِلهِ إِنَّــكَ ذُو جَــاهٍ وَإِمْكَــانِ
وَٱلْأَمْــرُ لِلهِ جَــلَّ ٱللهُ خَــالِقُنَــا
مُنْشِي ٱلْبَرَايَا وَمُحْيِي ٱلْمَيِّتَ ٱلْفَانِي
ذُو ٱلْجُودِ وَٱلْفَضْلِ وَٱلْإِحْسَانِ نَحْمَدُهُ
عَلَــىٰ تَــوَاصُــلِ إِنْعَــامٍ وَإِحْسَــانِ
نَسْــأَلُــهُ يَجْبُــرُنَــا نَسْــأَلُــهُ يَــرْحَمُنَــا
وَيَعْــفُ عَنَّــا وَيَلْقَــانَــا بِغُفْــرَانِ
وَٱلْأَقْــرَبِيــنَ وَأَهْــلَ ٱلــدِّيــنِ قَــاطِبَــةً
يَــا رَبِّ وَٱخْتِــمْ بِتَــوْحِيــدٍ وَإِيمَــانِ

ثُــمَّ ٱلصَّــلَاةُ عَلَــى ٱلْمُخْتَــارِ سَيِّــدِنَــا

(مُحَمَّــدٍ) مَــا هَمَــتْ سُحْــبُ بِهَتَّــانِ

وَمَا تَغَنَّتْ حَمَامُ ٱلْأَيْكِ فِي سَحَرٍ

وَمَــا صَبَــتْ عَــذَبَاتُ ٱلْأَثْــلِ وَٱلْبَــانِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٧/ ن)

يَـا رَاحِـلاً إِنْ جِئْتَ وَادِي ٱلْمُنْحَنَىٰ
فَٱحْطُطْ بِهِ وَٱنْزِلْ عَلَىٰ كِنْزِ ٱلْغِنَىٰ

وَٱرْعَ ٱلــذِّمَــامَ لِجِيــرَةٍ حَلُّــوا بِــهِ
وَٱنْشُــدْ فُــؤَاداً ضَـاعَ فِـي ذَاكَ ٱلْفِنَـا

وَٱقْـرِ ٱلسَّــلَامَ أُهَيْلَـهُ عَنِّـي وَصِـفْ
مَـا حَـلَّ بِي بَعْـدَ ٱلْبِعَـادِ مِـنَ ٱلضَّنَـا

وَٱسْتَعْطِـفِ ٱلْأَحْبَـابَ كَيْمَـا يَعْطِفُـوا
فَهُــمُ هُــمُ أَهْــلُ ٱلْمَكَــارِمِ وَٱلثَّنَــا

وٱسْــأَلْهُــمُ بِــٱللهِ أَنْ لَا يَقْطَعُــوا
حَبْـلَ ٱلْمُحِـبِّ ٱلْمُسْتَهَـامِ وَإِنْ جَنَـىٰ

قُـلْ يَـا كِـرَامَ ٱلْحَـيِّ هَـلْ مِـنْ زَوْرَةٍ

أَوْ عَـوْدَةٍ لِمَـرِيضِ هَجْـرٍ قَـدْ حَنَـىٰ

لَـمْ يُبْـقِ هَـٰـذَا ٱلْهَجْـرُ مِـنْ فَضَـلَاتِـهِ

إِلَّا إِهَـابـاً فَـوْقَ عَظْـمٍ قَـدْ وَنَـىٰ

يَـا عُـرْبَ نَجْـدٍ كَـمْ تُطِيلُـونَ ٱلْجَفَـا

لِمُتَيَّـمٍ حُشِيَـتْ جَـوَانِحُـهُ عَنَـا

كَلَفـاً بِكُـمْ وَتَعَشُّقـاً لِجَمَـالِكُـمْ

وَتَطَلُّبـاً لِـوِصَـالِكُـمْ أَقْصَـى ٱلْمُنَـىٰ

إِنِّـي لَأَرْثَـىٰ مَـنْ بُلِـي بِبِعَـادِكُـمْ

مِثْلِـي وَأَغْبِـطُ مَـنْ إِلَيْكُـمْ قَـدْ دَنَـا

وَأَرَى ٱلْحَيَاةَ إِذَا خَلَتْ عَنْ وَصْلِكُمْ

أَنَّ ٱلْمَمَـاتَ أَسَـرُّ مِنْهَـا وَٱلْفَنَـا

مَنْ لِي وَهَلْ لِي أَنْ أَرَاكُمْ سَادَتِي
فَضْـلاً وَإِلَّا مَـنْ أَكُـونُ وَمَـنْ أَنَـا

أَنْتُـمْ مُـرَادِي لَا أُبَـالِـي بَعْـدَ مَـا
تَرْضَوْا عَلَيَّ بِمَنْ أَحَبَّ وَمَنْ شَنَا

بِـوِدَادِكُـمْ تَحْيَـا ٱلْقُلُـوبُ وَحُبُّكُـمْ
نُـورُ ٱلسَّـرَائِـرِ خَيْـرُ شَـيْءٍ يُقْتَنَـىٰ

وَبِقُـرْبِكُـمْ وَوِصَـالِكُـمْ تَتَنَعَّـمُ الْـ
أَرْوَاحُ فِـي رَوْضِ ٱلْمَسَـرَّةِ وَٱلْهَنَـا

فِي مَقْعَدِ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي قَدْ أَشْرَقَتْ
أَنْـوَارُهُ بِـٱلْعِنْـدِ يَـا لَـكَ مِـنْ سَنَـا

وَٱلْمُتَّقُـونَ رِجَـالُـهُ وَحُضُـورُهُ
يَـا رَبِّ فَـٱلْحِقْنَـا بِهِـمْ يَـا رَبَّنَـا

* * *

وقال رضي الله عنه :　　(١٨/ن)

يَـا نَـدِيمِـيْ فُـؤَادِيْ مُـرْتَهَـنْ

بِـاللَّيَـالِـي ٱلَّتِـي مَـرَّتْ لَنَـا

بَيْـنَ تِلْـكَ ٱلْمَـرَابِـعْ وَٱلـدِّمَـنْ

وَٱلْمَنَـازِلْ دِيَـارَ ٱحْبَـابِنَـا

مَـا تَهَنَّـتْ جُفُـونِـي بِـٱلْـوَسَـنْ

بَعْـدَ مَـا غَـابَ سُـؤْلِـي وَٱلْمُنَـىٰ

كَامِلُ ٱلْوَصْفِ ذُو ٱلْوَجْهِ ٱلْحَسَنْ

يُخْجِـلُ ٱلْبَـدْرَ نُـورُهْ وَٱلسَّنَـا

* * *

فَصْلٌ

آهْ يَـا حَسْـرَتِـي طَـالَ ٱلْبِعَـادْ

وَٱللَّيَـالِـي تَقَضَّـتْ بِـٱلصُّـدُودْ

مَـرَّ عُمْـرِي وَلَا نِلْـتُ ٱلْمُـرَادْ

مِـنْ تَـلَاقِيـكَ يَـا زَيْـنَ ٱلْـوُجُـودْ

هَـلْ تَـرَىٰ عَـادْ يَـا نُـورَ ٱلْفُـؤَادْ

عَيْشُنَـا ذَاكَ ٱلْأَوَّلْ بَـايَعُـودْ

إِنَّ قَلْبِـي تَـوَلَّاهُ ٱلْحَـزَنْ

مُـذْ تَـوَلَّـتْ لُيَيْـلَاتُ ٱلْهَنَـا

* * *

فَصْلٌ

فِـي إِلَـٰهِـكْ عِـوَضْ عَـنْ كُـلِّ شَـيْ
لَا تَـأَسَّـفْ عَلَـىٰ مَـا قَـدْ مَضَـىٰ
خَـلِّ (لَـوْ) إِنَّهَـا شَـكٌّ وَلَـيْ
عَـنْ سَبِيـلِ ٱلسَّـلَامَـهْ وَٱلـرِّضَـا
وَٱلَّـذِي عَنْـكَ يَطْـرَحْ كُـلَّ عَـيْ
إِنَّمَـا هُـوْ سُكُـونُـكْ لِلْقَضَـا
وَٱلْمَـوَاهِـبْ جَمِيعـاً وَٱلْمِنَـنْ
تَحْـتَ حُسْـنِ ٱلـرَّجَـا فَٱحْطُـطْ هُنَـا

* * *

فَصْلٌ

هَـٰـذِهِ ٱلــدَّارْ مَــا فِيهَــا سُــرُورْ
قَــطُّ تَصْفُــو عَــنَ ٱخْـلَاطِ ٱلْكَــدَرْ
كُـــلُّ مَــنْ حَبَّهَــا عَقْلُــهْ يَــدُورْ
فِـــي خِــلَالِ ٱلْمَــزَابِــلْ وَٱلْقَــذَرْ
لَا تُعَـــرِّجْ عَلَـــىٰ دَارِ ٱلْغُــرُورْ
وَٱجْتَنِبْهَـــا وَوَافِــقْ مَــنْ صَبَــرْ
وَٱجْعَــلِ ٱلــزُّهُــدْ زَادَكْ وَٱلْـوَطَـنْ
فَهْـــوَ رَأْسُ ٱلسِّيَــادَهْ وَٱلْغِنَـــىٰ

* * *

وقال رضي الله عنه : (١٩/ن)

يَـا جِيـرَةً بِـٱلْمَعْهَـدِ ٱلْيَمَـانِـي
مَتَـى ٱلتَّـلَاقِـي وَمَتَـى ٱلتَّـدَانِـي
إِنَّ ٱلْجَفَـا وَٱلْبُعْـدَ قَـدْ عَنَـانِـي
وَحَـلَّ بِـي مِنْـهُ ٱلَّـذِي كَفَـانِـي

* * *

غَـزَالْ حَـاجِـرْ بَهْجَـةُ ٱلْمَسَـامِـرْ
وَنُـزْهَـةُ ٱلْأَرْوَاحْ وَٱلْخَـوَاطِـرْ
فَـاقَـتْ عَلَـىٰ غِـزْلَانْ شِعْـبْ عَـامِـرْ
جَمَـالُهَـا ٱلْمَـوْصُـوفْ قَـدْ سَبَـانِـي

* * *

مِــنْ آلِ طَــٰـهَ وَمِــنَ آلْ يَــاسِيــنْ
وَٱلْجَانِــبِ ٱلْغَــرْبِــي وَطُــورْ سِينِيــنْ
هَلْ أَنْتِ يَا سِتَّ ٱلْحِسَانْ تَدْرِين
بِمَــا أُقَــاسِــي وَبِمَــا أُعَــانِــي

* * *

لِلّٰهِ يَــا مَعْشُــوقَــةَ ٱلْجَمَــالِ
لَطِيفَــةَ ٱلْأَوْصَــافِ وَٱلــدَّلَالِ
تَعَطَّفِــي بِــٱلْقُــرْبِ وَٱلْــوِصَــالِ
عَلَــىٰ حَلِيــفِ ٱلْمَطْــلِ وَٱلتَّــوَانِــي

* * *

إِنَّ ٱلْهَــوَىٰ فِــي ٱلصَّــبِّ قَــدْ تَحَكَّــمْ
وَتَــمَّ مِــنْ شَــأْنِــهْ عَلَيْــهِ مَــا تَــمْ

وَٱللهُ يَعْلَـــمْ مَـــا هُنَـــا وَمَـــا ثَـــمْ
وَمَـــا ٱلْخَبَـــرْ يَـــا صَـــاحِ كَـــٱلْعِيَـــانِ

* * *

هَـٰـــذَا ٱلْغَـــزَالُ ٱلْأَهْيَـــفُ ٱلْمُكَحَّـــلْ
مَـــا أَلْطَفَـــهْ مَـــا أَحْسَنَـــهْ وَأَجْمَـــلْ
مَـــازَالْ قَلْبِـــي فِـــي هَـــوَاهْ مُبَلْبَـــلْ
طُـــولَ ٱلْمَـــدَىٰ وَٱلْـــوَقْـــتِ وَٱلـــزَّمَـــانِ

* * *

مَـــا ضَـــرَّهُ لَـــوْ كَـــانْ قَـــدْ وَصَلْنِـــي
بِـــزَوْرَةٍ تُحْيِـــي ٱلْمَـــوَاتَ مِنِّـــي
وَلَـــمْ يُخَيِّـــبْ بِـــٱلصُّـــدُودِ ظَنِّـــي
وَيُشْمِـــتِ ٱلْحُسَّـــادَ وَٱلشَّـــوَانِـــي

غَـزَالْ يَسْكُـنْ فِـي سُفُـوحْ خَيْلَـهْ
وَيَـرْتَعِـي ٱلْأَخْيَـافَ وَٱلْمَسِيلَـهْ
مَـا لِـي إِلَـىٰ لُقْيَـاهْ مِـنْ وَسِيلَـهْ
إِلَّا ٱلَّـذِي لِلْحَـقِّ قَـدْ دَعَـانِـي

* * *

دَاعِـي ٱلْهُـدَىٰ وَٱلْفَـوْزِ وَٱلْفَـلَاحِ
إِمَـامُ أَهْـلِ ٱلْحَـقِّ وَٱلصَّـلَاحِ
بَحْـرُ ٱلنَّـدَىٰ وَٱلْجُـودْ وَٱلسَّمَـاحِ
مُحَمَّـدُ ٱلْمَخْصُـوصْ بِـٱلْقُـرَانِ

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢٠/ ن)

يَـا نَسِيمَ ٱلصَّبَا هَلْ مِنْ نَبَا
عَنْ غَزَالِ ٱلنَّقَا وَٱلرَّقْمَتَيْنْ
إِنَّ قَلْبِي إِلَيْهَا قَدْ صَبَا
وَجَرَىٰ مَدْمَعِي مِنْ كُلِّ عَيْنْ
ذَهَبَ ٱلْعُمْرُ فِيهَا كَٱلْهَبَا
ضَائِعاً بَيْنَ تَبْرِيحٍ وَبَيْنْ
قُلْ لَهَا وَٱدْنُ مِنْ ذَاكَ ٱلْخِبَا
إِنَّهُ رُبَّمَا قَدْ حَانَ حَيْنْ

فَصْل

عَلَّهَا تَغْتَنِمْ مَا قَدْ بَقِي

مِنْ بَقَايَا ٱلْحَيَاةِ ٱلْفَانِيَهْ

وَتُعَامِلْ بِأَعْمَالِ ٱلتَّقِي

أَلَّذِي لُهْ سَرِيرَهْ صَافِيَهْ

لَا تُعَامِلْ بِأَعْمَالِ ٱلشَّقِي

أَلَّذِي يَنْطَلِقْ لِلْهَاوِيَهْ

قَدْ تَوَلَّىٰ وَأَعْرَضْ وَأَبَىٰ

وَتَجَرَّىٰ عَلَىٰ شَيْنٍ وَمَيْنْ

* * *

فَصْل

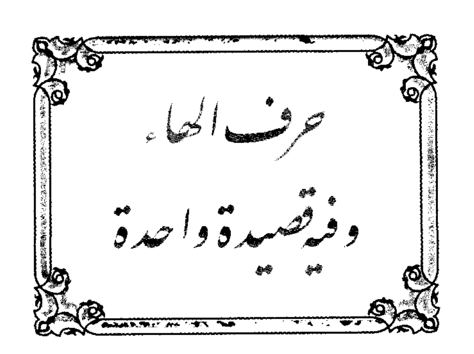
هَـلْ تَـرَىٰ عَـادَ يَـا ظَبْـيَ ٱلنُّجُـودْ
عَيْشُنَـــا بَيْـــنَ زَمْـــزَمْ وَٱلْمَقَـــامْ

اَلَّـــذِي قَـــدْ خَـــلَا عَـــادُهْ يَعُـــودْ
قَبْـــلَ أَنْ يَتَـــوَفَّـــانَـــا ٱلْحِمَـــامْ

فَعَسَـــى اللهُ ذُو ٱلْعَـــرْشِ ٱلْـــوَدُودْ
اَلْكَـــرِيـــمُ ٱلـــرَّحِيـــمْ رَبُّ ٱلْأَنَـــامْ

ثُـــمَّ مِـــنْ بَعْـــدِهِ نَـــأْتِـــي قُبَـــا
وَنَـــزُورُ ٱلنَّبِـــي جَـــدَّ ٱلْحُسَيْـــنْ

* * *



وقال رضي الله عنه : (١/ هـ)

اَلْعَبْــدُ قَــدْ بَنَــاهُ
لِلّٰهِ مِــنْ عَطَــاهُ

وَٱلْعَبْــدُ لَيْــسَ يَمْلِــكْ
شَيْئــاً مَــعَ مَــوْلَاهُ

يَــا رَبَّنَــا تَقَبَّــلْ
مِنْــهُ وَكُــنْ مَعَــاهُ

وَكُـــنْ بِـــهِ لَطِيفــاً

وَٱغْفِــرْ لَـــهُ خَطَــاهُ

وَٱلْمَسْجِـــدُ ٱلْمُبَـــارَكْ

قَـــدْ أَرَّخُـــوا بِنَــاهُ

أَحِبَّـــــةٌ كِـــــرَامٌ

وَبِـــٱلْمَلِيـــحِ فَـــاهُـــوا

وَخَيْـــرُ كُـــلِّ شَـــيْءٍ

قَـــالُـــوا وَمُنْتَقَـــاهُ

مَـــا قَـــالَـــهُ وَجِيــهٌ

ثَنَـــاؤُهُ دُعَـــــاهُ

قَـــالُـــوا وَنَحْـــنُ نَـــرْجُـــو

(نَطْلُـــبْ بِـــهِ رِضَـــاهُ)

يَـــا رَحْمَـــةَ ٱلْمُهَيْمِـــنْ
بُلِّـــي لَـــهُ ثَـــرَاهُ

وَيَـــا كَـــرِيـــمُ يَـــا رَبْ
أَحْسِـــنْ لَـــهُ جَـــزَاهُ

وَلِلْجَمِيـــعِ مِنْهُـــمْ
فَـــإِنَّهُـــمْ أَشْبَـــاهُ

وَقَـــدْ نَـــوَوْا وَقَـــالُـــوا
مِثْـــلَ ٱلَّـــذِي نَـــوَاهُ

عَسَـــىٰ عَسَـــىٰ عَسَـــى ٱللهْ
فَـــٱلْكُـــلُّ قَـــدْ رَجَـــاهُ

وَٱلْكُـــلُّ فِـــي فِنَـــاهُ
وَلَا لَنَـــا سِـــوَاهُ

ثُـــمَّ ٱلصَّـــلَاةُ مِنْـــهُ

تَخُـــصُّ مُصْطَفَـــاهُ

وَآلَــــهُ وَصَحْبَـــاً

وَكُـــلَّ مَـــنْ وَالَاهُ

* * *



وقال رضي الله عنه : (١/ و)

سَقَى ٱللهُ رَبْعاً حَلَّ فِيهِ ٱلَّذِي أَهْوَىٰ

وَمَنْ حُبُّهُ وَٱلْقُرْبُ كَٱلْمَنِّ وَٱلسَّلْوَىٰ

خَـــرِيــدَةُ حُسْـــنٍ غَـــادَةٌ أَرْيَحِيَّـــةٌ

مِنَ ٱلْغَانِيَاتِ ٱلطَّاهِرَاتِ عَنِ ٱلْأَسْوَا

لَهَــا مَنْظَــرٌ كَــٱلْبَــدْرِ عِنْــدَ تمَــامِــهِ

وَثَغْرٌ بِهِ كَٱلشَّهْدِ يَشْفِي مِنَ ٱلْأَدْوَا

وَقَـدٌّ كَغُصْـنِ ٱلْبَـانِ عِنْـدَ ٱعْتِـدَالِـهِ

يَمِيسُ إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُ ٱلصَّبَا زَهْـوَا

تُخَـوِّفُنِـي بِـٱلْبُعْـدِ عِنْـدَ دَلَالِهَـا

وَلَـٰكِنْ لَهَا قَلْبٌ عَلَى ٱلْبُعْدِ لَا يَقْوَىٰ

إِذَا لَامَنِـي فِيهَـا ٱلْعَـذُولُ سَفَـاهَـةً

فَـدَعْـهُ فَـإِنِّـي لَا أُجِيـزُ لَـهُ دَعْـوَىٰ

سَبَـانِـي هَـوَاهَـا وَهْـوَ مِمَّـا أُجِيـزُهُ

وَقَدْ قَالَ فِيهَا ٱلْعَارِفُونَ فَلَا تَغْوَىٰ

وَعَنْ صَاحِبِ «ٱلتَّنْبِيهِ» بَيْتَانِ يُذْكَرَا

وَنَرْوِيهِمَا إِنْ صَحَّ عَنْهُ ٱلَّذِي يُرْوَىٰ

فَحَسْبُكَ وَٱنْزِلْ حَيْثُمَا نَزَلَ ٱلْهُدَىٰ

وَكُـنْ حَيْثُمَـا كَـانَ ٱلتَّـوَرُّعُ وَٱلتَّقْـوَىٰ

وَسِرْ فِي طَرِيقِ ٱلْقَوْمِ وَٱتْبَعْ سَبِيلَهُمْ
فَذَاكَ سَبِيلٌ مَا أَسَدَّ وَمَا أَضْوَا

وَخُذْ بِكِتَابِ ٱللهِ جَلَّ جَلَالُهُ
عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ تَبْلُغِ ٱلْغَايَةَ ٱلْقُصْوَىٰ

وَإِيَّاكَ وَٱلدُّنْيَا ٱلْغَرُورَ وَحُبَّهَا
وَإِيثَارَهَا فَٱلْحِرْصُ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْبَلْوَىٰ

وَكُنْ ذَاكِراً لِلّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَكُنْ مُخْلِصاً لِلّهِ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلنَّجْوَىٰ

وَكُنْ عَامِلاً لِلّهِ بِٱلطَّاعَةِ ٱلَّتِي
هِيَ ٱلزَّادُ لِلْأُخْرَىٰ وَدَعْ كُلَّ مَنْ أَلْوَىٰ

وَصَلِّ عَلَى ٱلْهَادِي ٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
عَلَيْهِ صَلَاةُ ٱللهِ مَا ثَارَتِ ٱلْأَنْوَا

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢/ و)

شَرَى ٱلْبَرْقُ مِنْ نَجْدٍ فَهَيَّجَ لِي شَجْوِي
فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ مَّا إِلَى ٱلْعَالَمِ ٱلْعُلْوِي

إِلَى ٱلْمَلَأَ ٱلْأَعْلَىٰ إِلَى ٱلْقُرْبِ وَٱللِّقَا
إِلَىٰ طُورِ سِينَاهَا إِلَى ٱلشَّطْرِ وَٱلنَّحْوِ

فَحَيَّا ٱلْحَيَا نَجْداً وَأَحْيَا رُبُوعَهَا
بِسَحْمَاءَ تَهْمِي لَا تُعَاجَلُ بِٱلصَّحْوِ

وَسَحَّابَةِ ٱلْأَذْيَالِ مِنْ كُلِّ نَسْمَةٍ
مُعَنْبَرَةٍ وَٱللَّيْلُ يُزْمِعُ أَنْ يَقْوِي

وَهَتَّافَةٍ وَرْقَاءَ فِي عَذَبَاتِهَا
تُذَكِّرُ عَهْداً كَانَ وَٱلْغُصْنُ لَمْ يَذْوِ

وَآهٍ عَلَى ٱلْأَحْبَابِ بِٱلْحَيِّ إِذْ غَدَوْا

وَرَاحُوا وَمَا فِيهِمْ عَلَى ٱلْحَيِّ مَنْ يَلْوِي

فَهَلْ عَـوْدَةٌ لِلنَّـازِحِيـنَ إِلَـى ٱلْحِمَـىٰ

وَمِنْ وِرْدِهِمْ أَرْوَىٰ وَعَنْ فَضْلِهِمْ أَرْوِي

وَيَحْيَا بِهِمْ مَيْتُ ٱلصَّبَابَةِ وَٱلْجَوَىٰ

مِنَ ٱلْقَلْبِ وَٱلْجِسْمِ ٱلْمُشَبَّهِ بِٱلْبَوِّ

إِذَا سَمَحَتْ أَيَّامُهُ ٱللَّاءِ قَدْ خَلَتْ

وَمَرَّتْ كَمَرِّ ٱلْوَحْشِ يَنْفُرُ فِي ٱلدَّوِّ

بَكَـاهَـا بِـدَمْـعٍ مُخْضِـبٍ لِخُـدُودِهِ

كَمَا تُخْضَبُ ٱلْغَبْرَاءُ مِنْ صَيِّبِ ٱلنَّوِّ

وَقَدْ كَانَ مَا قَدْ كَانَ يَا قَلْبُ فَٱصْطَبِرْ

وَسَلِّمْ لِرَبِّ ٱلْعَرْشِ تُعْطَ ٱلَّذِي تَنْوِي

وَفِيـهِ ـ تَعَـالَـىٰ مَجْـدُهُ وَجَـلَالُـهُ ـ

غِنىً عَنْ جَمِيعِ ٱلْكَائِنَاتِ وَمَا تَحْوِي

* * *

وقال رضي الله عنه :

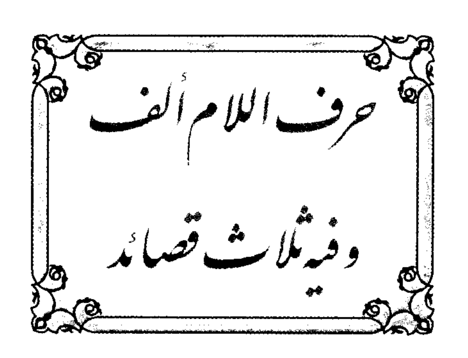
مَــنْ لَــمْ يُبَــالِ لَــمْ يُبَــالَ بِــهِ

وَمَــنْ أَضَــاعَ ٱلنَّــاسَ أَضَــاعُــوهُ

وَمَــنْ شَــرَاهُــمْ يَشْتَــرُوهُ وَمَــنْ

يَبِعْهُــمُ بِــٱلْبَخْــسِ بَــاعُــوهُ

* * *



وقال رضي الله عنه : (١/ لا)

خَلِّهَا تَجْرِي بِعَيْنِ ٱللهِ فِي
بَحْرِ أَقْدَارِ ٱلْمُهَيْمِنْ ذِي ٱلْعُلَا
وَتَأَدَّبْ ثُمَّ سَلِّمْ لِلْإِلَٰهْ
فِي ٱلَّذِي يَقْضِيهِ وَٱحْذَرْ لَوْ ، وَلَا
وَٱنْتَظِرْ لُطْفاً خَفِيّاً مُرْدَفاً
بِٱلْفَرَجْ وَٱلْيُسْرِ مِنْ هَٰذَا ٱلْبَلَا

وَتَــدَبَّــرْ فِــي ٱلَّــذِي نَــصَّ لَنَــا

فِي (ٱلضُّحَىٰ) وَ(ٱلشَّرْحِ) تَحْظَ بِٱلْوَلَا

وَتَشَفَّــعْ بِــرَسُــولِ ٱللهِ فِــي

كُــلِّ خَطْــبٍ هَــائِلٍ خَيْــرِ ٱلْمَــلَا

(أَحْمَــدِ) ٱلْمَحْمُــودِ خَتْــمِ ٱلْأَنْبِيَــا

اَلَّــذِي أَسْــرَىٰ بِــهِ ٱلــرَّبُّ إِلَــىٰ

حَضْــرَةِ ٱلْقُــدْسِ وَسِــدْرَةْ مُنْتَهَــىٰ

جَنَّــةِ ٱلْمَــأْوَىٰ وَشَــأْنٍ قَــدْ عَــلَا

يَــا رَسُــولَ ٱللهِ إِنَّــا ضُعَفَــا

وَمَسَــاكِيــنٌ وَقَــدْ خِفْنَــا ٱلْقِلَــىٰ

لِــذُنُــوبٍ وَعُيُــوبٍ كَثُــرَتْ

أَوْرَثَــتْ كَــرْبــاً وَغَمّــاً أَذْهَــلَا

كُلُّنَـــا نَسْتَغْفِـــرُ ٱللهَ لِمَـــا

قَـــدْ عَمِلْنَـــاهُ مَـــلَاءً وَخَـــلَا

ثُـــمَّ جِئْنَـــاكَ لِتَسْتَغْفِـــرْ لَنَـــا

رَبَّـكَ ٱلـرَّحْمَـٰـنَ يَمْحُـو ٱلـزَّلَـلَا

وَيُعَـــامِلْنَـــا بِمَـــا هُـــوْ أَهْلُـــهُ

مِـــنْ جَمِيـلٍ طَـالَمَـا قَـدْ فَعَـلَا

فَلَـــهُ ٱلْفَضْـــلُ عَلَيْنَـــا دَائِمـــاً

وَلَـــهُ ٱلْمَـــنُّ وَحَمْـــدٌ قَـــدْ تَـــلَا

وَصَـــلَاةُ ٱللهِ تَغْشَـــىٰ ٱلْمُصْطَفَـــىٰ

اَلَّـــذِي بِـــٱلْحَـــقِّ حَقّـــاً أُرْسِـــلَا

وَعَلَـــى ٱلْآلِ ٱلْكِـــرَامِ ٱلشُّـــرَفَـــا

وَعَلَـى ٱلصَّحْـبِ ٱلْهُـدَاةِ ٱلْفُضَـلَا

* * *

وقال رضي الله عنه : (٢/ لا)

خَلِيلَيَّ إِنَّ ٱلشَّوْقَ قَدْ كَادَ أَنْ يَبْلَىٰ

لِعَيْشٍ تَقَضَّىٰ مَا أَسَرَّ وَمَا أَحْلَىٰ

فَجَدَّدَهُ لِلصَّبِّ ذِكْرُ مُذَاكِرٍ

فَعَادَ إِلَىٰ مَا كَانَ مِنْ زَمَنٍ وَلَّىٰ

وَوَصْلِ خَرُودٍ غَادَةٍ أَرْيَحِيَّةٍ

سَبَتْنِي بِحُسْنٍ مَا أَتَمَّ وَمَا أَجْلَىٰ

وَلُطْفِ دَلَالٍ رَاقَ فِي كُلِّ مَسْمَعٍ

بِلَا رِيْبَةٍ حَاشَا وَلَا شَهْوَةٍ كَلَّا

لَهَا مَنْظَرٌ كَٱلْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ

وَثَغْرٌ بِهِ دُرٌّ وَشَهْدٌ فَمَا أَغْلَىٰ

إِذَا أَسْفَرَتْ فِي يَوْمِ عِيدٍ تَزَاحَمَتْ
عَلَيْهَا عُيُونٌ وَٱلْقُلُوبُ بِهَا تُمْلَىٰ

وَكَمْ مِنْ يَدٍ كَمْ مِنْ فَمٍ مُتَبَرِّكٍ
بِمَسْحٍ وَتَقْبِيلٍ وَقَدْ بَلَغُوا ٱلْوَصْلَا

رَعَى ٱللهُ ذَاكَ ٱلْوَجْهَ وَهْيَ بِأَسْرِهَا
وُجُوهٌ لِمَنْ لِلهِ طَافَ وَمَنْ صَلَّىٰ

وَخَالٌ بِهِ ٱلْعَهْدُ ٱلْإِلَـٰهِيُّ أَصْلُهُ
مِنَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْعَلْيَا فَلِلَّـٰهِ مَا أَعْلَىٰ

وَمُلْتَزَمٌ وَٱلْحِجْرُ وَٱلْمُسْتَجَابُ وَٱلْـ
ـمَقَامُ وَكَمْ لِلهِ مِنْ آيَةٍ تُتْلَىٰ

وَزَمْزَمُ غَوْثٌ لِلذَّبِيحِ وَأُمِّهِ
وَقَدْ عَطِشَا وَٱلْغَوْثُ قَدْ عَمَّمَ ٱلْأَمْلَا

وَقِصَّتُهَا مَعْ شَيْبَةِ ٱلْحَمْدِ وَٱلنَّدَىٰ

وَآلِ قُرَيْشٍ فَآْرْوِهَا إِنْ تَكُنْ أَهْلَا

وَفِي عَرَفَاتٍ وَٱلْمَشَاعِرِ كُلِّهَا

وَخَيْفِ مِنىً وَٱلْهَدْيِ وَٱلرَّمْيِ لِلْإِقْلَا

مَوَارِيثُ إِبْرَاهِيمَ ذِي ٱلصِّدْقِ وَٱلْوَفَا

إِلَى ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُخْتَارِ فِي ٱلْإِرْثِ وَٱلْإِدْلَا

بِلَادِ رَسُولِ ٱللهِ مَوْلِدُهُ بِهَا

وَمَبْعَثُهُ وَٱلْوَحْيُ فِي حِينِ مَا أَخْلَا

بِغَارِ حِراً جَاءَ ٱلْأَمِينُ مِنَ ٱلسَّمَا

فَقَالَ لَهُ ﴿ٱقْرَأْ﴾ مِنْ لَدُنْ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ

وَطَيْبَةَ لَا تَنْسَىٰ فَهِجْرَتُهُ بِهَا

وَمَسْجِدُهُ وَٱلْقَبْرُ وَٱلْحُجْرَةُ ٱلْمُثْلَىٰ

ضَـرِيـحٌ حَـوَىٰ خَيْـرَ ٱلْأَنَـامِ مُحَمَّـداً
نَبِيَّ ٱلْهُدَى ٱلْهَادِي لِمَنْ زَاغَ أَوْ ضَلَّا

بِــهِ خَتَــمَ ٱللهُ ٱلنُّبُــوَّةَ وَٱبْتَــدَا
وَقَدَّمَهُ فِي ٱلذِّكْرِ فَٱسْتَجْمَعَ ٱلْفَضْلَا

شَفِيعُ ٱلْوَرَىٰ فِي يَوْمِ بَعْثٍ وَمَحْشَرٍ
إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَٱلْخَوْفُ قَدْ شَمِلَ ٱلرُّسْلَا

وَتَحْتَ لِوَاهُ ٱلرُّسْلُ يَمْشُونَ فِي غَدٍ
وَقَدْ أَحْرَزُوا أَمْناً وَقَدْ أَحْرَزُوا ظِلَّا

شَفِيعَ ٱلْوَرَىٰ لَا تَنْسَنِي مِنْ شَفَاعَةٍ
فَإِنِّي مِنَ ٱلْقُرْبَىٰ وَمِمَّنْ بِهَا أَدْلَىٰ

وَإِنِّــي مُسِــيءٌ مُــذْنِــبٌ وَمُخَلِّــطٌ
وَأَنْتَ شَفِيعُ ٱلْمُذْنِبِينَ إِلَى ٱلْمَوْلَىٰ

عَلَيْــكَ صَــلَاةُ ٱللهِ ثُــمَّ سَــلَامُــهُ

صَلَاةً وَتَسْلِيماً مَدَى ٱلدَّهْرِ لَا يَبْلَىٰ

وَآلٍ وَأَصْحَــابٍ وَمَــنْ كَــانَ تَــابِعــاً

عَلَــى ٱلْبِــرِّ وَٱلتَّقْــوَىٰ يَــدُلُّ كَمَــا دَلَّا

* * *

وقال رضي الله عنه : (لا /٣)

مَـرْحَبـاً مَـرْحَبـاً بِعُـرْبِ ٱلْمُصَلَّـىٰ
وَبِـــأَحْبَـــابِنَـــا وَأَهْـــلاً وَسَهْـــلَا

هُـمْ مُـرَادِي وَهُـمْ مُنَـائِـي وَقَصْـدِي
لَسْـتُ عَنْهُـمْ يَـا صَـاحِبِـي أَتَـوَلَّـىٰ

كَيْـفَ أَسْلُـو وِدَادَهُـمْ كَيْـفَ أَنْسَـىٰ
عَهْـدَهُـمْ وَٱلْفُـؤَادُ بِـٱلْحُـبِّ يُمْـلَا

مِنْ قَدِيمٍ فِي عَالَمِ ٱلرُّوحِ رُوحِي
بِشُهُـــودِ جَمَـــالِهِـــمْ تَتَمَلَّـــىٰ

قَدَمُ ٱلصِّدْقِ مَقْعَدُ ٱلصِّدْقِ حَسْبِي
وَهْوَ حَسْبِي ٱلَّذِي عَلَى ٱلْقَصْدِ يُتْلَىٰ

خُــذْ يَمِينــاً عَنْهَــا لَعَلَّــكَ تُهْــدَىٰ

إِنَّ حِــزْبَ ٱلشِّمَــالِ بِــٱلنَّــارِ يَصْلَــىٰ

وَٱلصِّــرَاطَ ٱلصِّــرَاطَ وَهْــوَ عَسِيــرٌ

وَٱحْــذَرِ ٱلسُّبْــلَ فَــٱلْمَحَجَّــةُ أَجْلَــىٰ

وَإِذَا أَظْلَــمَ الطَّــرِيــقُ فَمَهْــلاً

إِنَّ هَــٰذَا يَــا صَــاحِبِي بِــكَ أَوْلَــىٰ

وَٱلــزَّمَــانُ ٱلْمُبَــارَكُ ٱلْحَــالِ أَمْسَــىٰ

أَسْــوَدَ ٱلْــوَجْــهِ لَا تَــرَىٰ فِيــهِ خِــلَّا

ذَهَبُــوا ذَهَبُــوا وَجَــاءَتْ خُلُــوفٌ

بَعْــدَهُــمْ خَــالَفُــوا فَــذَرْ مَــنْ تَــوَلَّــىٰ

وَدَعِ ٱلنَّــاسَ وَدَعِ ٱلنَّفْــسَ وَٱلْــزَمْ

بَــابَ مَــوْلَاكَ لَا تَحُــلْ عَنْــهُ أَصْــلَا

وَٱتَّقِ ٱللهَ رَبَّكَ ٱلْعَظِيمَ تَعَالَىٰ

عَنْ شَرِيكٍ وَعَنْ شَبِيهٍ وَمِثْلَا

خَالِقَ ٱلْكُلِّ رَازِقَ ٱلْكُلِّ حَقّاً

وَمَلِيكَ ٱلْوُجُودِ عُلْواً وَسُفْلَا

فَازَ عَبْدٌ بِطَاعَةِ ٱللهِ يَخْلُو

وَعَنِ ٱلنُّكْرِ وَٱلْقَبِيحِ تَخَلَّىٰ

وَبِمَا يَرْتَضِيهِ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ

وَفِعَالٍ وَصَالِحٍ قَدْ تَحَلَّىٰ

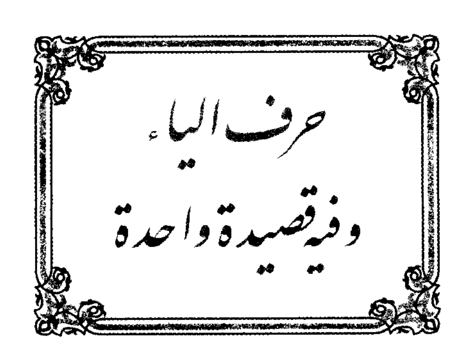
وَصَلَاةُ ٱلْمَلِيكِ فِي كُلِّ حِينٍ

وَأَوَانٍ عَلَى الْمَلَائِكِ تُمْلَىٰ

لِنَبِيِّ ٱلْهُدَىٰ شَفِيعِ ٱلْبَرَايَا

خَاتَمِ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلرُّسْلِ كُلَّا

* * *



وقال رضي الله عنه : (١/ ي)

لِجِيرَانٍ لَنَا بِٱلْأَبْطَحِيَّهْ
بَعَثْتُ مَعَ ٱلنُّسَيْمَاتِ ٱلتَّحِيَّهْ

وَأَوْدَعْتُ ٱلنَّسِيمَ حَدِيثَ حُبٍّ
قَدِيمٍ كَانَ مِنْ يَوْمِ ٱلْقَضِيَّهْ

دَفِينٍ فِي ٱلْفُؤَادِ بِهِ حَيَاتِي
إِذَا صَالَ ٱلْفَنَاءُ عَلَى ٱلسَّوِيَّهْ

تُـزَمْـزِمُ لِـي ٱلْحُـدَاةُ بِـذِكْـرِ لَيْلَـىٰ

وَمَـا هِـيَ يَـا فَتَـىٰ بِـٱلْعَـامِـرِيَّـهْ

فَـأَصْبُـوا ثُـمَّ أَصْبُـوا ثُـمَّ أَصْبُـوا

وَلَا كَـــٱلصَّبَـــوَاتِ ٱلْعُـــذْرِيَّـــهْ

وَلَيْسَـــتْ لِلْغَـــوَانِـــي وَٱلْأَغَـــانِـــي

وَلَا لِلشَّهَـــوَاتِ ٱلـــدُّنْيَـــوِيَّـــهْ

وَلَا لِلْفَـــانِيَـــاتِ بِـــأَيِّ مَعْنَـــىٰ

وَلَٰكِـــنْ لِـــلْأُمُـــورِ ٱلْعُلْـــوِيَّـــهْ

حَقَـائِـقُ مِـنْ رَقَـائِـقَ قَـدْ تَسَـامَـتْ

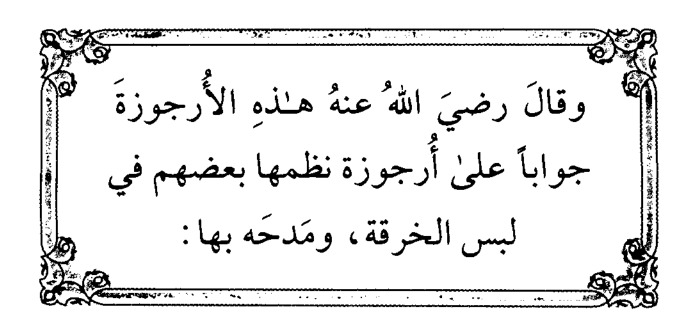
بِـــأَوْجِ ٱلْحَضَـــرَاتِ ٱلْقُـــدُسِيَّـــهْ

مَنَـــاظِـــرُ لِلنَّـــوَاظِـــرِ مِـــنْ قُلُـــوبٍ

مُطَهَّـــــرَةٍ زَكِيَّـــــاتٍ نَقِيَّـــــهْ

وَأَرْوَاحٌ تَطِيرُ إِلَىٰ عُلاَهَا
بِأَجْنِحَةِ ٱلْغَرَامِ ٱلْمَقْعَدِيَّهْ
فَتَسْرَحُ فِي رِيَاضٍ مِنْ جِنَانٍ
وَتَأْوِي لِلْقَنَادِيلِ ٱلْمُضِيَّهْ
فَوَا شَوْقَ ٱلْفُؤَادِ لِخَيْرِ عَيْشٍ
مَعَ ٱلْأَحْبَابِ فِي ٱلْغُرَفِ ٱلْعَلِيَّهْ
عَسَى ٱلرَّبُّ ٱلْكَرِيمُ بِمَحْضِ فَضْلٍ
يُبَلِّغُنَا أَقَاصِي ٱلْأُمْنِيَّهْ

* * *


وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ هـٰذهِ الأُرجوزةَ جواباً علىٰ أُرجوزة نظمها بعضهم في لبس الخرقة، ومَدحَه بها:

قال رضي الله عنه :

أَحْسَنْـــتَ يَـــا وَجِيـــهَ دِيـــنِ ٱللهِ
يَـا ٱبْـنَ ٱلْكِـرَامِ ٱلْغُـرِّ أَهْـلِ ٱللهِ
فِـي نَظْمِـكَ ٱلْإِسْنَـادَ لِـلْإِلْبَـاسِ
مِـــنْ أَوْلِيَـــاءِ ٱللهِ رَبِّ ٱلنَّـــاسِ
أَهْـلِ ٱلْهُـدَىٰ وَٱلْحَـقِّ وَٱلتَّـأْيِيـدِ
وَٱلْعِلْـمِ وَٱلْيَقِيـنِ وَٱلتَّسْـدِيـدِ

مَشَـايِـخِ ٱلطَّـرِيـقِ وَٱلْحِقْيقَـهْ
وَخُلَفَـاءِ ٱللهِ فِـي ٱلْخَلِيقَـهْ

مِـنْ كُـلِّ عَـلَّامٍ إِمَـامٍ قُـدْوَهْ
صُـوفِـي مُصَفًّـىٰ لِـلْإِلَـٰهِ صَفْـوَهْ

هُـمْ غَيْثُنَـا فِـي ٱلْمَحْـلِ وَٱلْجُـدُوبِ
وَغَـوْثُنَـا فِـي ٱلْكَـرْبِ وَٱلْخُطُـوبِ

فَـٱللهُ يَنْفَعْنَـا بِهِـمْ وَيَـرْفَـعْ
وَيَكْشِـفُ ٱلسُّـوءَ بِهِـمْ وَيَـدْفَـعْ

وَيَجْـزِي ٱلنَّـاظِـمَ لِـلْإِسْنَـادِ
خَيْـرَ ٱلْجَـزَا فِـي ٱلْحَـالِ وَٱلْمَعَـادِ

وَيَخْتِـمُ ٱلْآجَـالَ بِـٱلْيَقِيـنِ
مَـعَ ٱتِّبَـاعِ ٱلصَّفْـوَةِ ٱلْأَمِيـنِ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ ٱللهُ ثُمَّ سَلَّمَا
وَبَارَكَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَا

وَآلِهِ وَصَحْبِهِ ٱلْأَئِمَّهْ
وَٱلتَّابِعِينَ مِنْ هُدَاةِ ٱلْأُمَّهْ

انتهى الديوان

وكان الفراغ من طباعة هـٰذا الديوان المبارك في
(٧) ذي القعدة (١٤٢٣هـ) الموافق ليوم وفاة الناظم
رضي الله عنه (٧) ذي القعدة (١٣١٢هـ)
بدار الحاوي للطبع والنشر
بيروت ـ لبنان ـ فاكس (٠١/٧٨٦٢٣٠)
دمشق ـ سورية ـ ص. ب (٣٠٦٠٨)

المحتوى

ـ حرف الذال المعجمة (وهو فارغ)

ـ حرف النون (وفيه عشرون قصيدة)

* * *

هذا الديوان

كثيرون هم أولئك الذين كتبوا عن **(الإمام الحداد)** كتابات مختصرة أو مقتطفات مجملة عن بعض جوانب حياته، وكثيرون هم أولئك الذين **(حاولوا)** أن يكتبوا عنه، ثم عدلوا عن تلك **(المحاولة)** اعترافاً منهم بالعجز عن الخوض في هذا الميدان الواسع الأطراف، والعوم في ذلك المحيط الذي لا ساحل له..

فإن **(الإمام الحداد)** ـ رضي الله عنه ـ لم يكن شخصاً **(عادياً)** لا في تربيته ونشأته، ولا في طفولته وشبابه وكهولته وشيخوخته، ولا في تعلمه ودراسته وعبادته، ولا في شعره ونثره وكتابته. بل ولا في جميع جوانب حياته، فقد كان نموذجاً فريداً، ونادرة من نوادر الزمن، قريباً بعيداً، كائناً غير كائن، وحيداً فريداً في طريقه وقصده، غريباً في مجتمعه على كثرة الأُلأُف في جانب وحده.

على أن الذين كتبوا عنه اقتصرت كتابتهم على القليل. والقليل جداً من أعماله الظاهرة فقط، ومع هذا فلم يوفوها جزءاً من حقها.

وتتجلى **(أسرار شخصية هذا الإمام)** في مؤلفاته القيمة، ومن أهمها ـ وكلها مهم ـ هذا الديوان الذي يحتوي على (١٥٠) قصيدة وأكثر، جمعت معظم بحور الشعر إن لم تكن كلها، وليس (السر) في هذه القصائد من حيث بلاغتها وتشبيهاتها، أو قوافيها وأوزانها، ولكنه (سر غريب) لا يتكلم عنه علماء البلاغة والبيان والبديع، وإنما يتكلم عنه **(أهله)** وقليل مّا هم، إنه **(سر غريب)** يكمن فيما تحمله تلك القصائد بين أسطرها من **(شعور)** عجيب يسيطر على القارىء عند قراءته لها، فينقله إلى حالة لا يستطيع التعبير عنها، إنه **(سر عجيب)** يكمن فيما تحمله تلك القصائد من **(شحنات روحية)** كبيرة، تتفجر في (داخل) الإنسان عند قراءته لها، فتحدث **(تغييراً)** كبيراً، أو بالأصح **(تحسُّناً)** كبيراً (بداخله) فيبدو أثره على (ظاهره)، إنه (سر عجيب) يبدو عندما يحدو الحادي بقصيدة من قصائد هذا الديوان في مجلس من المجالس **(فيتلون)** المجلس كله بلون القصيدة، إنه **(سر عجيب)** تحمله قصائد هذا الديوان يجعل القارىء يشعر بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه القصائد **(علاقتها بالسماء أكثر من علاقتها بالأرض)**. لهذا قال الإمام الحداد ـ رضي الله عنه ـ: **(من كان عنده هذا الديوان فلا يحتاج معه إلى غيره)**.

فإلى قصائد هذا الديوان وكلماته، وأسراره ونفحاته

عبد القادر الجيلاني بن سالم الخرد